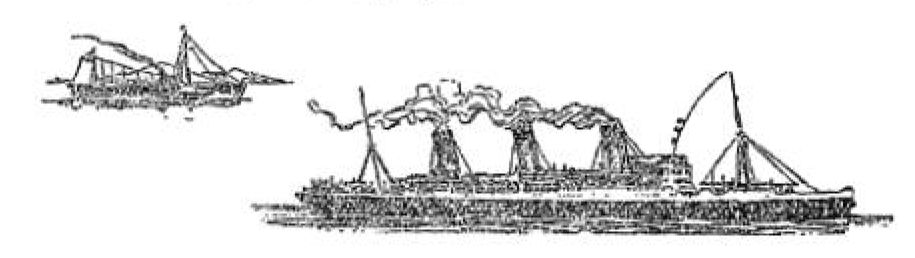
هذا العصر العجيب

في قرن من الزمان تغير وجه العالم

فماذا يكون بعد قرن آخر ؟



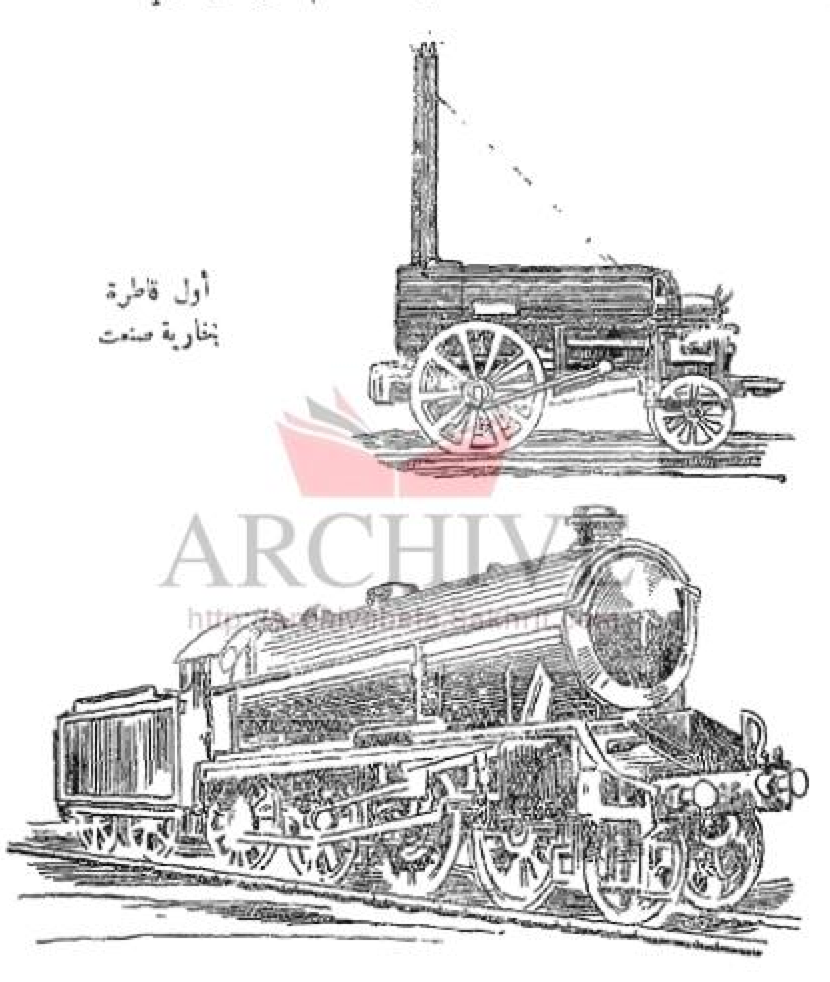
أول باخرة (الى اليسار) وآخر باخرة (الى اليمين)

يقال ان ذهن ارسطوطاليس اكبر الاذهان البشرية وأنفذها الى الحقائق . ومع ذلك لو أننا تصورناه قد نُشر وابتُعثت روحه في عصرنا هذا لاستطاع أصغر واحد بيننا أن يربكه ويضحك منه . فلنتصوره مثلاً قاعداً في احدى غرفنا وأمامنا جهاز التلفون وهو يسمعنا نتكلم الى أحد أصدقائنا الذين يبعدون عنا بنحو ٥٠ كيلومتراً . فيسألنا عن حقيقة هذا الجهاز فنخبره ونوضح له . ولكن دهشة الاستغراب بل التكذيب ترتسم على وجهه . ثم يسمع أزيزاً فيسأل عنه فنقول له ان رجلاً قد ركب طيارة ألا تنظر اليه ؟ فيطل من النافذة فيراها فيزداد تكذيباً ويقول انه طائر جديد لم يذكره في كتابه « التاريخ الطبيعي » لانه لم يره من قبل . فنحاور ونجادل بلا فائدة . ثم نأخذه الى مكان نسمع فيه الاغاني تنشد في لندن وتسمع في القاهرة يحملها الاثير الينا فنخبره أيضاً عن ذلك فيزداد دهشة . وأخيراً يتذكر السحر وانه كان لا يؤمن به ولكنه يجب الآن أن يؤمن به وأن يقر أن في العالم أشياء قد تخالف قواعد المنطق التي وضعها . ولكن ارسطوطاليس ذكي فاذا ذهبت عنه الدهشة ثاب اليه عقله فيأتينا عندئذ صاغراً يطلب الشرح والايضاح ويقف منا موقف التلميذ أمام الاستاذ

وبيننا وبين ارسطوطاليس نحو ٢٢٠٠ سنة فله لذلك عذره في الدهشة والشك . ولكننا لو افترضنا شخصاً آخر استيقظ من الموت ولم يكن قد مضى على وفاته سوى مائة سنة لما قلّت دهشته عن دهشة ذلك الفيلسوف الاغريقي القديم لان كل ما دهش له ارسطوطاليس هو من مبتكرات المائة السنة الماضية . لان العالم في هذه الفترة الصغيرة من الزمن قد تغير فانتشرت فيه شباك السكك الحديدية وانبثت في بحاره البواخر وعج هواؤه بأزيز الطيارات وامتلأت مدنه بالتلفونات والتلغرافات والاتومبيلات وسائر المخترعات الحديثة التي تجعلنا نعتقد انها غيرت من وجه العالم اكثر

مما غيرته الالفان من السنين التي سبقت هذه المائة السنة الاخيرة

وربما كانت السكك الحديدية أعظم المخترعات الحديثة أثراً في حياتنا فقد ربطت البلاد بعضها ببعض برباط التجارة وجعلت الانسان يملك ناصية الدنيا ويمد حضارته الى الغايات جعلت مشقة الاسفار القديمة ملذة المسافر الحديث · ولم يكن في العالم من السكك الحديدية قبل مائة سنة سوى سكة صغيرة بين بلدتين صغيرتين في انجلترا ولم يكن يجرؤ على اتخاذ القطار السائر عليها



أول قاطرة بخارية صنعت

احدث طراز من القاطرات

سوى المجازفين يقعدون أو يقفون فوق البضائع المركومة أما سائر الناس فكانوا يؤثرون العربات تجرها الخيل وتسير على الطرق المألوفة · وبقي هذا القطار وحيداً مدة طويلة ليس له سوى ميزة حمل البضائع · ومدت سكة حديدية بعد ذلك بين لفربول ومانشستر وكان الناس بل كان المهندسون وقت وضع القضبان غير مستقرين بعد على القطار الذي سيجر عليها هل تجره قاطرة بخارية أو تجره الخيول · وأخيراً صنع ستيفنسون قاطرته التي كانت تسير بسرعة ٢٩ ميلاً في

الساعة فاستعملت على هذه السكة سنة ١٨٢٩ ونال ستيفنسون جائزة قدرها ٥٠٠ جنيه . ومنذ ذلك الوقت والقاطرة تشق الاقطار وتنشر حضارة الحديد والبخار في العالم وأحياناً ، لسوء الحظ ، تنشر حضارة النار ...

ومنذ مائة سنة لم يكن في البحار باخرة واحدة بل كانت البوارج والبواخر تسير كلها بالاشرعة تدفعها الريح فتسير طبقاً لاهوائها لا تستطيع أن تحفظ ميعاداً أو تقدر زمناً محدوداً لاسفارها . فلما كانت سنة ١٨٣٨ سارت أول باخرة بين أوربا وأميركا فقطعت المسافة بين لندن ونيويورك في ١٧ يوماً واستمر الرقي يعمل في آلاتها حتى أصبحنا الآن وهذه المسافة تقطعها البواخر في أقل من خمسة أيام



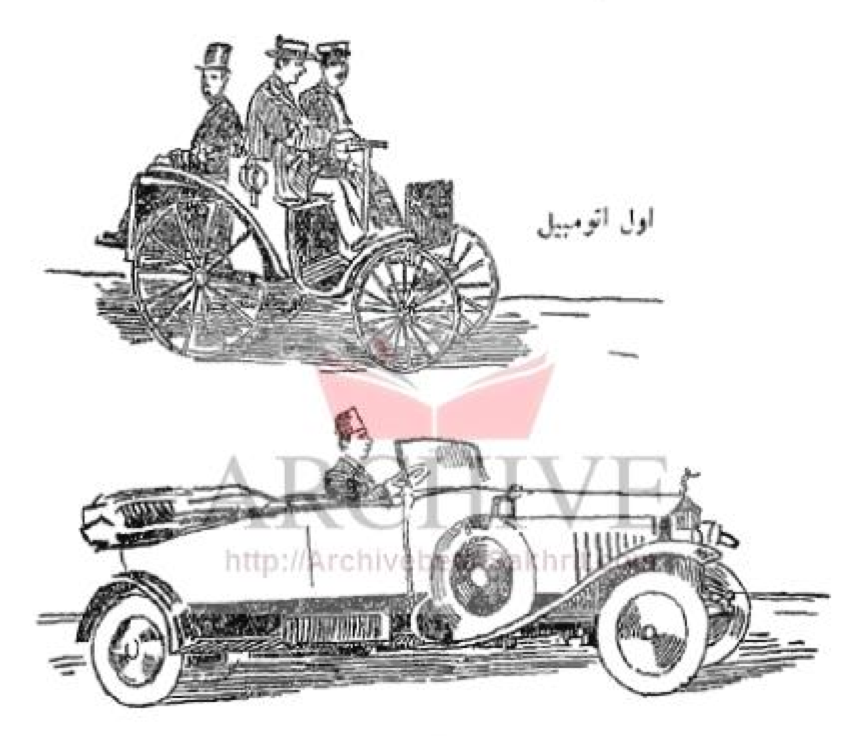
أول تلغراف (فوق) وآخر تلغراف (تحت)

وقبل أن تخرج الباخرة الاولى الى الاقيانوس بعام واحد مدت أسلاك التلغراف على مسافة قصيرة في انجلترا بين المحطات التي شرع الناس يبنونها على السكك الحديدية الجديدة . وفي سنة ١٨٥٠ مدت الاسلاك تحت الماء بين فرنسا وانجلترا . ثم في سنة ١٨٥٨ مدت الاسلاك عبر الاقيانوس الاطلسي بين اوربا وأميركا بعد أن أخفق المهندسون مرتين في وضعها . وامر التلغراف اللاسلكي وانتشاره العجيب ليس يجهله قارىء اليوم

وفي سنة ١٨٣٩ ظهرت أول صورة فتوغرافية التقطها داجير على صفيحة من الفضة وأخذت الفتوغرافية تتقدم وتتحسن فصارت الكتب والصحف تستعين بها في شرح مواضيعها . وفي سنة

١٨٩٦ بلغ من ارتقائها أن صارت تؤخذ عشرات من الصور في قليل من الوقت ومن ذلك ظهر السيناتوغراف الذي أصبحت دوره الآن تربي على دور التمثيل بعشرات المرات

وقد نهزأ بالبسكليت ونظنه أحقر من أن يلفت النظر او يعد بين المخترعات العظيمة ولكن انتشاره الآن وانتفاع الملايين من الناس به وما ينتظر منه قريباً حين تنشأ الطيارات الصغيرة بادماج الاثنين معاً يجعلنا نبالي به ونكبر من قيمته وان كان عمره لا يزيد عن ثلاثين سنة بصرف النظر عن المخترعات الاخرى التي اخترعت من جنسه وانقرضت



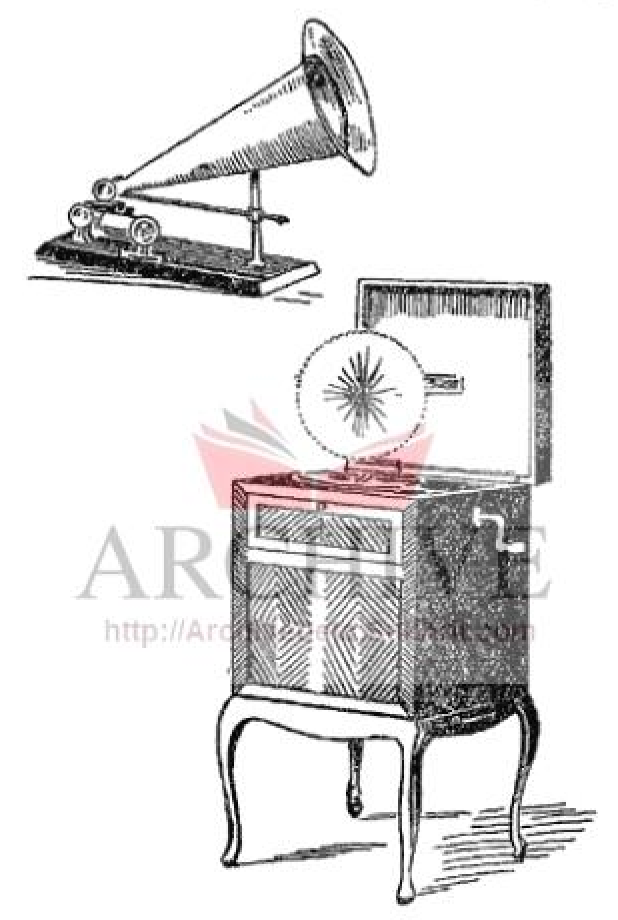
اول اتومبيل

آخر أتومبيل

أما الاتومبيل فان عمره لا يزيد عن عمر البسكليت ولكن أثره اكبر في الامم الراهنة . فقد اكبر من شأن الضاحية وقلل من قيمة المدينة لان الاغنياء وأصحاب الاعمال صاروا لا يبالون بسكنى الضاحية البعيدة لاستسهالهم الانتقال عليه . وقد أصبح يزاحم القاطرات مزاحمة جدية والاغلب أن لواء النصر قد عقد له عليها . فانه أسرع من القطرات وأطوع للسائق منها يمكنه أن يقف أو يعرج الى أي مكان . ويجب ألا ننسى أن الطيارات يرجع امكان اختراعها الى اجتهاد صناع الاتومبيل في ايجاد محرك صغير قوي . ففضل الاتومبيل لا يقتصر عليه وحده بل يتعداه الى الطيارة

وفي سنة ١٨٨٠ لم يكن في العالم سوى تلفون صغير بين لفربول ومانشستر وكان قد مدَّه

المخترع نفسه جراهام بل · أما الآن فعلى الرغم من الاخطاء المضجرة في الارقام لا يمكن أحداً منا أن يقلل من قيمة هذا المخترع الذي يسهل علينا المعيشة في عصر تجاري كعصرنا الحاضر · دع عنك انهُ ربط المدينة بالريف بل ربط الدول بعضها ببعض · وقد اخترعت طريقة جديدة للتخاطب بالتلفون مستغنينا عن الحاجة الى العاملة التي تصر على الخطأ وتهيج أعصابنا ونحن لا نرى امامنا ما نفثأ فيه غضبنا سوى الحديد



أول فنوغراف (فوق) وآخر فنوغراف (تحت)

وليس احد يستطيع ان يذكر المخترعات في المائة السنة الماضية الا ويذكر اديسون صاحب التحسينات العديدة في التلفون وفي المصباح الكهربائي ومخترع الفنوغراف والسينماتوغراف · فهذه كلها مخترعات قد زادت حبور الحياة وبهجتها

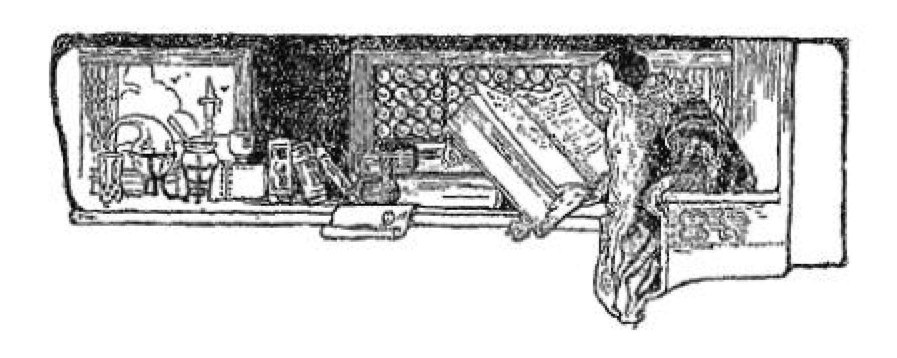
أما التلفون الاثيري الذي ظهرت أول بوادره منذ سنوات فانتشر مع ذلك في الاقطار فانهُ على عظم فائدته لا يزال ما ينتظر منه اكثر جداً مما تحقق · وليس مع ذلك ما تحقق قليلا · فاننا نسمع الآن في القاهرة الاغاني تنشد في لندن · والباخرة تسير في وسط الاقيانوس فتنشر

على المسافرين أخبار العالم كل يوم تأتيها عبر البحار وكل مسافر يقعد مطمئناً لا يخشى خطراً ما اذ يعرف انهُ في حالة حدوث أي خطر فان رسالة أثيرية تبلغ جميع السفن التي في بحار العالم وتخبرها عن مكان الخطر فلا يمضي قليل من الوقت حتى تجتمع السفن في مكان الحادثة وتأخذ في أعمال الانقاذ

ومنذ اكثر من مائة وثلاثين سنة كان نابليون يدهش اهالي القاهرة ببلونات يطيرها وعليها بعض رجاله وظن بعضهم انهُ يوهمهم ان في امكانه ان يبلغ فرنسا على هذه البلونات بعد ان احرق نلسون القائد الانجليزي أسطوله في الاسكندرية. ولكن هذه البلونات بقيت كما هي اكثر من مائة سنة لا يركبها الا المجازفون. فلما كانت سنة ١٩٠٣ تمكن رايط الاميركي من ان يصعد بطيارة اثقل من الهواء وان يبقى بها في الجو ١٢ ثانية. ومنذ ذلك الوقت اخذت الطيارات في التقدم والطيارون في الجراءة والاقدام حتى صارت الدول تتنافس في اقتناء هذه السفن الهوائية وصار البريد يحمل عليها من قطر الى قطر كما تحمل هذه المجلة احياناً من القاهرة الى بغداد

ولسنا نذكر التقدم في الطب والكيمياء والهندسة. فان هذا يحتاج الى مجال اوسع وانما نرجو ألا تقل المائة السنة الآتية من حيث الرقي في الاختراع والاكتشاف عن المائة السنة الماضية حتى يسير العالم على نمط الحياة وهو الانتقال من طور الى طور

والمظنون ان المخترعات الآلية ستقل في القرن القادم وانما يتجه نشاط الانسان والحكومات الى استغلال هذه المخترعات في بناء المنازل وفي زراعة الارض وتمهيد الطرق وفي نشر الوسائل الصحية في المدن. وستتسع المكتشفات في علم الذهن كعلم النفس وتخترع المخترعات لتسهيل التربية واصلاح الاخلاق ونحو ذلك. فالانسان قد بلغ مبلغاً عظيماً في صناعة العدد والآلات ولكن الآلة الانسانية نفسها لم تدرس الدرس الكافي فلا يبعد ان يختص القرن الآتي بدرسها



التوظف والاعمال الحرة

حديث مع احمد لطفي السيد بك

مدير الجامعة المصرية

اذا نحن استثنينا الطلبة الذين يحظون الآن باشراف الاستاذ لطفي السيد بك على ثقافتهم بادارته النيرة للجامعة فاننا نظن ان شباب الامة من الجيل الجديد يجهلون اسمه وعمله

فقد مضى زمن كان فيه لطفي السيد بسمع الامة وبصرها يرأس تحرير «الجريدة» ويخاطب الآباء والشباب عن مبادىء يظنها الجيل الجديد الآن انها من البديهيات . فانه لو وقف خطيب الآن بين طائفة من الشبان يقول لهم ان مصر يجب أن تكون للمصريين وحدهم واننا يجب أن نسعى للاستقلال وان الدستور من حقوق الامة لما رأى المستمعون له في قوله شيئاً عجيباً بل ربما تركوه لنفسه وولوا عنه لانهم يعرفون هذه الاشياء مثل معرفته هو لها . ولكن هذه الاشياء لم تكن غريبة فقط بين سنتي ١٩٠٧ و ١٩١٥ بل كانت أيضاً مما يعاقب الداعون اليها . وذلك لان الدعوة الى الاستقلال كانت تخالف قوانين البلاد لان مصر كانت شرعاً جزءاً من الدولة العثمانية فكانت هذه الدعوة بمثابة الخروج على السلطان . وكان لطفي السيد وحده في الميدان يطلب الاستقلال وهو يراوغ و يداور كأنه في دفاعه عن حق بلاده يرتكب اثماً عظيماً تعاقب عليه المحاكم المصرية . وقد كانت في زمنه صحف تدعو الى جلاء الانجليز ولكن لا لكي تعود مصر للمصريين بل لكي تعود الى الدولة العثمانية . ثم كانت حركة الدستور . فصمد عندئذ لطفي السيد للخديوي يتحدى وطنيته أن يسلم للبلاد دستورها . ولعل من القراء من يذكر كيف قبض على بعض الطلبة أيام الخديوي وسيقوا الى السجن مصفدين بالاغلال لأنهم نادوا بطلب الدستور . وكانت «الجريدة» أول من سكّت لفظة الدستور لمعناها الحاضر . وبينما كانت بعض الصحف تدعو الامة الى ارسال مندوبين عنها لمجلس المبعوثان بالاستانة وتحمل الاقباط بذلك على التعلق بالانجليز كان لطفي السيد يعمل لتوحيد الامة أقباطاً ومسلمين و يطلب اثبات وجودها (بالدستور) بين السلطة الشرعية أي الخديوي وبين السلطة الفعلية أي الانجليز

* * *

لقد احتجت الى كتابة هذه المقدمة الصغيرة للجيل الجديد الذي يجهل تلك السنين السوداء القديمة التي كنا نقف فيها حائرين لا نعرف أين نحن من وطننا . وكان لطفي السيد ينير لنا الطريق ويهدينا الى الغرض و يجمع المتفرق من العواطف و يوجه المتشتت من الجهود نحو خدمة مصر ومصر فقط

أما تاريخ لطفي السيد الحديث فيعرفه كافة القراء منذ كان مديراً لدار الكتب ثم كيف قضى ثلاث سنوات في الوفد ثم كيف ترك الوفد حتى تتسع الفرصة لخصومه فيحققوا ارادة الامة على ما يهوون . ثم كيف عاد الى خدمة الحكومة وهو الآن يشرف على التعليم العالي

ذهبت للقائه بدار الجامعة فوجدته كما كان أيام الجريدة : جسماً ضعيفاً وذهناً يقظاً . اذا تكلم وانطلق في الكلام اشاح عنك بوجهه واستحالت ألفاظه لغة عربية فصيحة وعندئذ ترى عبارات منسجمة قد رتبت على أصول المنطق . ومما يحببني ويملأ قلبي رجاء في المستقبل ان لطفي السيد مصري قح ليس فيه شيء من دم الشركس أو الاتراك الذين ترى الطبقة السائدة في بلادنا تمت اليهم بعرق . وفي لغته شيء من لهجة الفلاحين يجعلك تسر الى نفسك مغتبطاً : هذا مصري لا غش فيه

وكانت مهمتي في لقائه أن أنقل لقراء الهلال رأيه في تلك الحركة التي أقامها الاستاذ و يصا واصف بشأن التوظف والاعمال الحرة . فقد أثار الاستاذ واصف ضجة في مجلس النواب بشأن المرتبات العظيمة التي يتناولها الموظفون وان هذه المرتبات تستغرق جزءاً عظيماً من ميزانية الدولة وانها تؤثر في الاعمال الحرة اذ هي تثبط الشبان عنها وتجذبهم الى الحكومة

فوجدت الاستاذ لطفي السيد يوافق على هذه الضجة الشريفة التي أقامها الاستاذ و يصا واصف و يزيد عليها ان الموظفين كبارهم وصغارهم لا ينالون مثل هذه المرتبات في أية حكومة أخرى في العالم وان هذه الخطة لا تؤثر في الاعمال الحرة فقط بل هي ايضاً تؤثر في المعيشة وترفعها الى مستوى عال من الغلاء

قلت : ولكن ما هو السبيل لتشجيع الاعمال الحرة ؟

وهنا رأيت من اجابة الاستاذ لطفي بك انه لم يتزحزح عن موقفه أيام « الجريدة » فهو استفرادي يكره الاشتراكية بكل أنواعها ولكنه في الوقت نفسه ليس من المحافظين بل من الحربين الذين تسخو نفوسهم بالاصلاح ومعاونة الفرد بشرط ألا تؤدي المعاونة الى اضعاف استقلاله .

وهاك جوابه : ان الاجتماع نسيج مؤلف من خيوط مختلفة فقوته هي قوة هذه الخيوط فاذا أردنا تقوية الاجتماع يجب تقوية الافراد · وذلك بتربية الشبان وترقيتهم حتى يعتادوا الاستقلال والاعتماد على النفس · ومهما صدق ما يقال من ان الجمعية فعل من أفعال الطبيعة وانها لها بذلك صفات وخصائص تخالف صفات الافراد وخصائصهم فلا شك عندي في ان قوة الجمعية مستمدة من قوة الافراد · ونحن في الشرق لطول العهد بسيطرة الانظمة الاستبدادية الاجتماعية التي هي بالضرورة مرآة الانظمة السياسية قد فقدنا شيئاً كثيراً من صفات الاستقلال وحب العمل الاستقلالي · فيجب أولاً على أولي الرأي أن يحاربوا فكرة ادخال الاشتراكية بمركباتها من الروكية Collectivisme والشيوعية الى آخرها الى جمعيتنا · فان هذه الانظمة تفني الفرد في الحكومة · وذلك لاننا كما قلت في حاجة الى أفراد يزاحمون وينجحون في ضروب الاعمال سواء أكانت هذه الاعمال ولاية اعمال الحكومة أم الاشتغال بالاعمال الحرة وسواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية

قلت : وهل تؤثرون نوعاً من الاعمال الحرة على آخر تنصحون به للشبان ؟

فكان الجواب هنا مماثلاً للجواب السابق من حيث الخوف من أية نزعة اشتراكية يقصد منها او يخشى منها تسخير الجمعية للفرد · قال : ان اختيار العمل الحر يتوقف على كفاية الشخص وانا لا انصح للشاب الا بأن يهذب خلقه وينمي كل ما فيه من ملكات واختيارنا نحن له صناعة هو بمثابة تسخير الجمعية له · وكل ما اطلبه هو حماية الفرد من الجهل والضعف وذلك بالتربية

وهنا تذكرت الاجانب والمناكب الضخمة التي يزاحمون بها شباننا فأعربت عن شكي وخشيتي من أن ننهزم في تنازع البقاء أمامهم اذا بالغنا في النزعة الاستفرادية وقاطعنا كل نزعة اشتراكية · ولكن الاستاذ لطفي بك لا يخشى ذلك وأنا ارجو ألا يكون تفاؤله راجعاً الى نظر ذاتي يعكس كفايته الشخصية على سائر شباب الامة · قال : لست أخشى تنازع البقاء أمام الاجانب وكل ما أطلبه ان تلغى الامتيازات الاجنبية وكل ما فينا من ضعف انما يرجع الى الخلق وليست الاخلاق سوى عادات اذا اعتدناها صح خلقنا

قلت : تذكرون ان الصحف تحمل على الدوام على الاغنياء لانهم لا يشجعون الاعمال الحرة باستثمارهم اموالهم فيها وانا اعتقد ان الاقتصاد لا يعرف العواطف ولذلك كثيراً ما استسخف هذه الحملات

فأجاب ان تكليف الاغنياء التصرف بأموالهم على هوى الفقراء أو هوى الجماعة هو تكليف ضد طبائع الاشياء . لان اساس الشركات هو الثقة المتبادلة . وهذه الثقة لا تكون الا اذا أيقن الفرد بقوة غيره وأمانته . وهذه النتيجة لا يمكن ان نصل اليها الا بتربية جيل او جيلين . وليس معنى ذلك اني انقد الصحف لأنها تعظ الاغنياء باستثمار اموالهم في المفيد لمصلحة البلاد ولكني لا أصدق بنتيجة ايجابية لهذا العمل واعتمد فيه فقط على احساس الافراد بالحاجة اليه واكرر ان هذا الاحساس يتولد بالتعليم والتربية

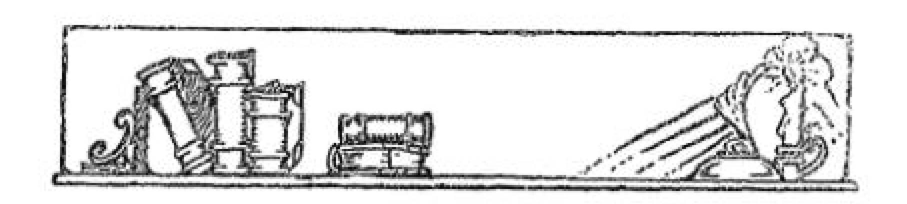
قلت : هل تظنون التعليم في مدارسنا الراهنة يؤثر في تأخير الاعمال الحرة وهل يجب تغيير البرامج او انشاء مدارس اخرى ؟

قال : يبدو لي كأنك تعتقد ان الاعمال الحرة تحتاج الى كفايات خاصة مع انها لا تختلف عن الكفايات التي تحتاج اليها الوظائف . اجل . انه يجب ان تعالج برامج التعليم العالي العملي والعلمي وايضاً يجب تحسين التربية المنزلية . ونحن كما قلت نزاحم اجانب قد تسلحوا بأسلحة حديثة فيجب ان نتسلح مثلهم ولا يكون ذلك الا بتحسين تربية البيت والمدارس

وأخيراً لاحت لي الفرصة ان اهاجم نظرية الاستفراد التي يتعصب لها الاستاذ تعصباً شديداً نائياً بذلك عن كل ما يشم منه روح الاشتراكية . فقلت : انا نساعد المدارس الاهلية باعانات فلم لا نساعد المصانع الاهلية باعانات . ثم لماذا لا نحمي الصناعات الاهلية باقامة سور جمركي يمنع مزاحمة المصنوعات الاجنبية لها ؟ ولذَّ لي عندئذ اني رأيت الاستاذ يحار ويتردد . وأجابني بقوله :

لا بأس من اعانة الصناعة الوطنية كما تعان المدارس الاهلية اما من حيث الحماية الجمركية فاني أحار فيها لان المثل الاعلى عندي باعتباري من الحر بين هو الباب المفتوح أي التجارة الحرة . ولكن مركزنا الآن مركز استثنائي من الصعب ان ينطبق عليه مذهب بعينه فلا بأس من التلفيق بين المذاهب ولذلك ليس ما يمنعنا من اصطناع الحماية اذا كانت الضرورة تقضي بذلك

س . . .



الصحافة والادب

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الصحافة على اختلاف مواعيدها وموضوعاتها قريبة اللحمة بالادب من حيث هو لغة وتعبير عن شعور

فما من صحيفة مهذبة - اياً كان موعدها ومطلبها - الا وهي تزيد ذخيرة اللغة المكتوبة وتضيف الى محصول النفس من المعاني والخواطر ، وهي بهذه المثابة تخدم الادب وتوسع نطاقه بين طبقات القراء . ومتى كان هذا شأن الصحف عامة فأحرى بالصحف المقصورة على الادب او التي تفرد له باباً خاصاً بين ابوابها ان تعد في مقدمة الوسائل الادبية وفي طليعة الفتوح التي تفسح حدود دولته وتضاعف عدد المعنيين به ، وكثيرٌ بين صحف العصر الحاضر التي تصنع هذا الصنيع وتفرغ بعض ابوابها لآثار الشعراء والكتاب والنقاد واصحاب القصص والطرف وسائر ما يسمى ادباً في عرف القراء ، وهي تفعل ذلك لان الادب موضوع مشترك يقرأه الاديب وغير الاديب ويسهل على من شاء ان يأخذ بنصيب منه على قدر استعداده ورغبته . فهو مطلب لا غنى عنه لصحيفة تريد ان تستجمع اسباب الاقبال وتبز غيرها في التنويع والتشويق ، ويرجع الى هذا اعتناء صحف السياسة اليومية في اقطار العالم بباب الادب وما يتصل به ويجري مجراه . فقد اصبح لبعضها كتاب اخصاء يمدونها بالنتف اليومية او الفصول الاسبوعية او بالقصص القصيرة والطويلة المتتابعة . فاستفادت هي وافادت القراء والكتاب فائدة قلّ ان تتاح بغير هذه الوسيلة

فمن تحصيل الحاصل ان يقال ان الصحافة اداة كبيرة النفع للآداب والادباء . خدمتها وخدمتهم باذاعة اشعارهم وآثارهم وتبليغ رسالتهم الى طبقات وطوائف ما كانت لتسمع بها لولا الصحف والمجلات . ولا محل للاسهاب في بيان فوائد الصحافة الادبية للادب لان الاسهاب في بيان ذلك كالاسهاب في القول بان رواج الآداب وتكثير عدد قرائها مفيد للآداب . ومثل هذا القول في غنى عن التبسيط والتدليل

الا ان سؤالاً طبيعياً لا بد ان يرد على الخاطر في هذا المقام وهو : هل افادت الصحافة الادب من جانب النوع والدرجة كما افادته من جانب الكم والكثرة ؟ وبعبارة اوضح هل رفعت الصحافة مستوى الادب كما زادت عدد قرائه وضاعفت مادة مسطوراته ؟ والجواب في رأيي الى النفي اقرب منه الى الايجاب

ذلك ان انتشار الكتابة بين جميع الطبقات يوكلها بالاعم الاشيع من الاذواق والاهواء ويجعل الحكم الغالب عليها لجمهور القراء ومن يطلبون من كل قراءة ملهاة تشبه ملاهيهم المسفة

وتعجب افكارهم الساذجة ، فلا يسع الصحيفة ان تقصر كتابتها على افانين القول التي تحتاج في فهمها وتذوقها الى ملكة نادرة وذهن واسع وطبع مثقف ، ولا حيلة لها الا ان تلقي بالها الى الفئة الكبرى بين سواد قرائها مذ كان بقاؤها وذيوعها رهناً برضاهم عنها قبل رضا الهيئة الناخبة المختارة . وتلك آفة للديمقراطية الحديثة لا ندري كيف يطاق الصبر عليها ولا كيف يعالجها الزمان فيما يعالج من الغير والاطوار

يستبشر قوم برواج الآداب المسرحية ولا ارى في رواجها الا علامة من علامات الكسل عن القراءة وانعام النظر ، و يستبشر آخرون بكثرة الموجزات التي تلخص بدائع القرائح ولا ارى في كثرتها الا علامة اخرى على ذلك الكسل الوخيم فكأن هبوط درجة الآداب تبع لازدياد قرائها حين يكون أولئك القراء من اشباه الاميين او من طلاب اللغو وتزجية الفراغ ، وكأن فكرة المساواة قد هبطت بالاعلى الى مقام الادنى ولم ترتفع بهذا الى مقام ذاك ! فاصبح الاغمار قانعين باقدارهم زاهدين في طلب المزايا الفكرية والفضائل النفسية ، ووقر في اوهامهم انهم انداد أكبر كبير في الذكاء والعلم فلا بغية لهم عنده الا ان يسليهم و ينقدوه ولا حق له في ان يقف منهم موقف الاستاذ من المتعلم والمرشد من المسترشد ... ولا شك في ان سلطان الشعب هو خير نظام عرفه الناس بعد من انظمة الحكم واساليب سياسة الاقوام ، ولكن هذا الاثر الذي جناه على الآداب والفنون حق ايضاً لا شك فيه

وفي اوروبا اليوم ادباء مشهورون يقرأون في انحاء العالم بأسره ، ولكن ليس بين هؤلاء المعاصرين الذين قرأت لهم من هو اجدر بالاحترام من ايبانز الكاتب الاسباني ومرجكفسكي الكاتب الرومي و براندللو الكاتب الايطالي . لانهم اكرم اقداراً على انفسهم واتزه اقلاماً عن محاباة الشهوات وتمليق الجهالات من عامة الكتاب الغربيين ، ولست اعرف سبباً خاصاً لذلك الا انهم نشأوا في أمم متخلفة بين أمم اوروبا لم يسيطر فيها سلطان الشعب على الآداب والاقدار ولم يسحب على الاقلام سنة المساواة والابتذال كما سحبها على الامم السابقة في الحكومة الشعبية والتعليم

و بعد فهل الصحافة هي التي اوجدت هذه الحالة او هي المسئول الاكبر عنها ؟ لا اظن . فانها حالة عمت الكتب والصحف وشاعت بين المصنفات ما كان له موعد مرسوم وما لم يكن له موعد للصدور . و يجب ان نذكر هنا ان الصحافة هي اقدر من غيرها على علاج هذه الحالة لانها تستطيع ان تحمل الجيد على الرديء فيحمله معه و يستميل اليه جمهور القراء شيئاً فشيئاً ولو على سبيل التجربة وحب الاستطلاع

عباس محمود العقاد

بائعات الازهار

قيلت في وصف فتيات بعن الازهار في حفلة لاغاثة منكوبي الشام

بنـات الروض تسعى رفقة　　من بنات الجـاه والقدر الرفيع
زهرات بائعـات زهرا　　يا لقومي هل دريتم ما تبيع

هـذه الخضرة فيهـا امل　　يبرىء النفس من الجرح الوجيع
وبه السلوى اذا الحظ التوى　　وبهِ الامن اذا الآمن ريع

انظر الورد وسـل حمرته　　هل محيـا كمحيـاه البديع
صورة الحب هي الورد فمن　　يشـتريه وله حسن الصنيع

حبـذا الابيض شفافَ السنا　　عن عفاف وصفاء وخشوع
تلبس العـذراء في اوج العلى　　منه ابهى حلل القلب الوديع

هي طاقات من الزهر لهـا　　في اليـد البيضاء آيات تروع
من شراها فبما يبـذله　　بعض تخفيف لويلات الربوع

ستر اعراض وبر بذوي　　رحم ذلوا وإرقاء دموع
وإسا جرحى وابقاء على　　اسد الصقها بالارض جوع
وكساء ليتيم وندى　　يستدر الشـدي قوتاً للرضيع

انمـا احسانكم يمن لكم　　وبه الصحة والشمل الجميع
وبه دفع الرزايا عنكم　　ان فعل البؤس في الخلق فظيع
يستطيع الجود في درء الاذى　　عنكم ما غـيره لا يستطيع

لا تضنوا يا احبـائي فما　　من يضيع المال في الخير مضيع
هـذه الطاقات فيها للفتى　　من غوايات الصبا واق منيع
ولمن لاقى شتاء العمر في　　زهرات البرّ بشرى بالربيع

خليل مطران

رأي في الحضارة الغربية

بقلم السيد مصطفى صادق الرافعي

عرف الاستاذ الرافعي بتعلقه بالشرق وتقاليده وايثار حضارته على حضارة الغرب . وقد طلبنا اليه أن يبين لقراء الهلال أوجه نقوره من الحضارة الغربية وان كنا لا نتفق وإياه في جانب مما ذكر [المحرر]

سأوجز في هذا الرأي ما استطعت وسأجعل كلامي فيه أشبه بلغة النظر تأتي اللمحة القصيرة على ما تطول العبارة فيه وتمتد

ان هذه الحضارة لا تظهر ابداً على حقيقتها إذ كانت حقيقتها لم تجتمع بعد وقد انشأها جيل قريب منا وورّثها مَن بعده وترك معها اخلاقه وطباعه فما برح الناس يشبهون الناس وانما صبغت الحياة ولوّنت ودخلها التمويه والزخرف والخطبُ في هذا يسير اذ كان الاصل الانساني لا يزال باقياً واكثره لا يزال سليماً وبعض الرءوس التي اخترعت ما غير الدنيا لا تزال بعدُ في الدنيا . ولكن الشأن حين تتناسخ الاجيال خلقاً بعد خلق ويظهر على هذه الارض الانسان الميكانيكي الوارث اخلاقه وطباعه من الآلات اكثر مما يرثها من النفوس فيومئذ لا يكون القول في الحضارة موضع حسبان وظن كما هو الآن

وعلى ان الدنيا لا تزال بخير وعلى ان الحضارة الغربية لم تحدث من الانسانية موقع الالوان والتحاسين فقد غمر شرها وكثر أذاها واخذ اهلها يتدافعونها ويتذممون منها وألزموها الاثم وألحقوا بها الفساد وأبكي عقلاءهم وحكماءهم ما جلبت عليهم من الأخانيث والمضاحيك والمهازل والمفاسد وكبائر الاثم والفواحش ولم يقم خيرها بشرها ولا غطت مصالحها على مفاسدها

يحمل الانسان في نفسه نقيضين هما عقله وهواه او دافعه ووازعه فاذا اطلقهما معاً أفسداه واذا صدهما معاً أفسداه كذلك ولكن تمام الانسان ونظامه ان يطلق العقل ويحد الهوى فيصفّى بعضه في بعض فاذا هو قد خلص وتحرر . وما دامت الاهواء مقيدة في حدودها فليس في العقل الا محض الخير فاذا تركا جميعاً لغاياتهما طمّ شيء على شيء ورجعت الحياة صراعاً حيوانياً واحتالت العقول لتغيير الوضع الانساني وتواضع الناس على الاخلاق البهيمية الفاسدة يدخلونها في آدابهم فلا ينكرونها ولا يردونها ولا يرون الادب يكون بغيرها أدباً

فالحضارة الغربية اطلقت العقول تجدّ وتبتدع واطلقت من ورائها الاهواء تلذ وتستمتع وتشتهي فضربت الخير بالشر ضربة لم تقتل ولكنها تركت الآثار التي هي سبب القتل إذ لا تزال تمدّ مدّها حتى تنتهي الى غايتها ، وذلك هو السر في انه كلما تقادمت الازمنة على هذه الحضارة ضج

اهلها واحسوا عللاً اجتماعية لم تكن من قبل . ولو قد عمت الحضارة وتغشت اوربا كلها فلم يبق في تلك الارض سواد ريفي اقرب الى الطبيعة واشكل بها ولا يزال في الحياة على إرثه القديم كالسواد الاعظم الذي يعمر قراها ويملأ صميمها في كل مملكة منها ـ لرأيت افظع ما ترى العين من بلاد متعادية متنابذة لما يتنازع اهلها من طلب المنافع الشخصية والتكالب عليها والاستهتار بالشهوات والتناحر على تكاليف حياتهم الثقيلة المملولة المستوخمة . بيد ان ريف اوربا وقراها وما فيها من نزعة الدين ومن معاني الطبيعة البعيدة عن الحضارة ومن الاخلاق السوية الصحيحة التي لم تزغها المدنية ـ كل ذلك هو الذي يمسك هذه القارة أن تنهار ويحفظها أن تتحلل وهو كالبداوة الخشنة بازاء الحضارة في معانيها المستهلكة فهو بذلك مادة التجديد الانساني في أوربا على حين ان هذه المدنية هي مادة التحديد الحيواني بما تصرف اليه الحواس من المتاع واللذة ، والحواس رُوَّاد القلب فما أدّت اليه اصلحه او افسده . ولقد قرأت في هذه الايام رواية يقال ان كاتبها نادرة اوربا فما فرغت منها الا وأنا اعتقد ان كاتب اوربا هذا هو حيوان اوربا ... ان العقول النابغة المميزة لا تهب منها الحكمة الالهية بقدر ما تهب من الاهواء ولا بعض ذلك بل هي من قسط الافراد الذين لا يبلغون فصلاً في الكتاب الانساني الكبير اما الشهوات فهي للجنس كله إذ هي غايات طبيعية في تركيب الاجسام . واذا قامت الاديان على سنة حكيمة كافلة للمصلحة وهي ابعاد الشهوات عن المجتمع واباحة القليل منها بشروط وقيود واعتبار درء المفسدة مقدماً على جلب المصلحة وذلك وان لم يؤت الناس عقلاً فان العقل لا يرتبهم غيره في آداب الحياة . ولكن الحضارة قامت على اطلاق العقل والهوى فاستباحت الدين في طوائف من الناس وتركته بلا اثر في طوائف اخرى فكانت تحكيماً للشهوات في الناس وتمكيناً لاسبابها في الاجتماع ومن ثم اخذت تقتلع الاخلاق الانسانية من اصولها وما اعرف اكثر مظاهر المدنية الا امراضاً مسماة بغير اسمائها وهي كلها جميلة سائغة مشعشعة لانها كلها تؤلف حلماً مريضاً كأحلام الخمر والافيون

يحسب هذا الغربي المتحضر انه قهر الطبيعة وسخرها فانتصر عليها ولا يعلم ان الطبيعة تهزأ به لان هذا النصر بعينه هو الذي سلطها عليه فتهزم اخلاقه وتوهن قوته الروحية وتطحن لبه في قشرته وتمكن فيه لأعراض الانحلال والسقوط فهو لا يغير الطبيعة وان انتصر عليها وهي تغيره ثم وتتركه يسمي نفسه المنتصر فتضيف الى حماقاته حماقة الغرور . اصبح الغربي المتحضر عصبياً ثائراً حساساً يدلف الى الجنون بخطى بطيئة لكنها سائرة متحركة وابتلته المدنية بأمراضها التي لم تكن في اسلافه كالسرطان وغيره وضربته الشهوات بخدَر الحاسة الروحية وخمولها فاصبح يعمل للغَرَض الأسمى بوسائل معكوسة لا تؤدي الا الى الغرض الاسفل ، ورجع كأنه غريب عن الطبيعة الخشنة التي لا بد له من خشونتها ليبقى قوياً بها وقوياً فيها وقوياً عليها ، وتغير من كل ذلك تاريخ عقله واعصابه فضعف النبوغ الفني واصبح النمط العالي منه خاصاً بالتاريخ القديم وحده مع انه ليس

بين القديم و بين الجديد الا طبيعة هذه الحضارة واثرها على العقول، اما الانسان فهو هو بيد انه في الحضارة الاولى المتخشنة كان كالدينار الجديد رزيناً خشناً فاصبح في هذه الحضارة الناعمة كالدينار الأملس مسحته الايدي وازالت حرشته

اتخذت الحضارة المرأة الغربية من وسائلها في ترقيق الطباع و إرهاف الملكات ومع المرأة ما معها من فنون الدعابة والمغازلة والمفاكهة والاغراء وما تحت هذه من الطباع والاخلاق فاذا العالم المتحضر في صبغة من الانوثة متى اخذ الدهر مأخذه فيها استحالت من بعدُ صبغة من الفجور يشمل العالم و يقولون الجمال والفن ولا يعلمون انهما اذا استفاضا وعما جاء منهما الخيال والهوس وخرج من اجتماع كل ذلك الانحلال والسقوط كما وقع في التمدن الروماني والحضارة العربية

إني لا أرى اكثر مظاهر هذه الحضارة الا اسلحة قاتلة تقتل الخير والرحمة في قلوب الناس فهي ترفع تكاليف الحياة وتزيد فيها وتعسر آمالها فتنشىء بذلك الفقر المدقع وتخرج معه الفوضى والاختلال وتحدث به الاخلاق السافلة كالتلصص والعداء والخبث والحسد ونحوها . ويزيد العالم كل يوم بأسباب كثيرة تبدعها الحضارة فلا تكون الزيادة الا عبثاً وشراً ومضايقة لان ما كان يكفي الجماعة ذات العدد أصبح لا يكفي الا فرداً واحداً و يومئذ لا تستقيم الانسانية الا بأن يغتذي بعضها من بعض فيكثر القتل والاسترقاق والاباحة ولكن في ألفاظ وتعابير مدنية . . . والآفة يومئذ أن الانسانية تكبر والارض لا تكبر فتضيق الحياة بأهلها و تزيدها مطامعهم ضيقاً فيتقرر عندهم نظام التقتيل ويصبح قانوناً إنسانياً عاماً وما أرى هذا القانون سينفذ الا في الأجنة في بطون امهاتهن بحيث يكون في كل أسرة ميزان للموت لا يعطي الدنيا من احدى كفتيه طفلاً حياً إلا بعد أن يجتمع في الكفة الاخرى أربعة موتى او أقل او اكثر

ولن يجدوا علاجاً من داء الحضارة الا بالحمية منها فيوشك اذا هم تنبهوا الى ذلك أن يمنعوا الناس من بعض فنون هذه الحضارة بقوة القانون وأن يفرضوا عليهم بعض الجهل فرضاً يؤخذون به ليبقى تاريخ العالم متصلاً وليجد النوع الانساني على هذه الارض من يوجده بصفاته وخصائصه . فان الاخلاق في تلك الحضارة قائمة على غير قواعدها اذ لم يكن من سبيل لتغيير البناء الانساني الا بتغيير هذه القواعد . وأنا أرى انه لو انتزع من هذه المدنية اكثر حسناتها لذهب في ذلك اكثر سيئاتها اذ كانت الحسنة هي التي تخرج السيئة فالغنى الواسع بازاء الفقر الاوسع والرفاهية السَّرية بازاء الشيوعية والفوضى وهكذا ونعيم هذه الحضارة نعيم في أقله وشقاء في اكثره وهو يفسد من يناله بأضعاف أخلاقه القوية الصالحة ويفسد من لم ينله بتقوية أخلاقه الضعيفة الفاسدة ، ذاك تسقط به مؤاتاة الشهوات إياه وهذا يسفل به امتناعها عليه وهي لغيره معرضة ، ذاك يفسده ما في نفسه وهذا يفسده ما في نفسه وما في غيره . ولا يذهبن عنك أن الحضارة تقرر في جميع الناس هذين الاصلين المقليمين الحرية والمساواة فينشأ الناشىء عليهما و يترشح لها في الحياة حتى اذا شب

وانتهى الى الواقع وجد تلك الحضارة بعينها هي التي تقتلع الاصلين وترمي بهما في وجهه فليس في الواقع الا أشراف ووضعاء والا علية وسفلة والا أفراد معدودون من كل طبقة يراغمون سائر الناس من العمال والمهان والمساكين ونحوهم كأن أساطين المال والسياسة هم وحدهم أصابع الدنيا تأخذ بهم ما هي آخذة ، وبذلك ترجع عقيدة المساواة وانها لعقيدة الظلم وتعود فكرة الحرية وهي فكرة الاستعباد فاذا سواد العالم المتحضر هو الناقم على الحضارة المستريب بها وهو على سخطه ونقمته مسخر لمعيشته الضيقة المقسومة بالجرام من ايدي أصحاب القناطير يعطيهم دمه بجزه ويشتري موته بعيشه وذلك كله مما يجعله متربصاً بالفتن سريعاً فيها اذا وقعت تابعاً لكل من يدعوه اليها او يستجيشه عندها متوثباً على ما يدري وما لا يدري

فالكبير في هذه الحضارة ظالم هو أشبه بمظلوم والصغير مظلوم وهو أشبه بظالم وكأن الحقيقة نفسها خرجت من موضعها فكل شيء حقيقة وكل شيء زور

والروح الانسانية متى اصبحت موتورة ساخطة متبرمة بأسباب مختلفة كأسباب هذه المدنية من سياسية واجتماعية ووطنية لم تكن روح الحياة ولكن روح القتل وما في حكمه ومن ثم فلا بد في هذه الحضارة من انفجارات حربية مستمرة ولا بد لها ان تجد من تقتله ومن تظلمه ومن تستعبده ، واذا تحاجزت الدول وتتاركت زمناً فانما يسمن بعضها بعضاً في مراعي السلم والعيش وكل امة عينها على شحم الاخرى . . .

ولقد كانت الحرب العظمى تنقيحاً إلهياً عنيفاً لهذه الحضارة الزائغة فوضع الله يده عليها فمحت اكثر حسناتها ورقائقها وطرقها البديعة وأماتت طباع الترف لتنبعث طباع القوة وقر في الرجل معنى الرجل وفي المرأة معنى المرأة وكانا قبل ذلك وان الرجل نصف امرأة وان المرأة ضعف نفسها . . فكأن الحرب كانت مصفاة للحضارة ثقوبها الخرائب والخنادق والقبور ، ومتى جمت الاوساخ بعد زمن فالمصفاة باقية

لست انكر ان الحضارة زينة الحياة الدنيا وبهجتها ولكن آفتها ان غايتها التي تجري اليها انما هي المتعة واللذة وانتهاب العمر فهي بذلك توتي جميع لذات الحياة لمن أطاق واتسع كما توتي جميع مكارهها لمن حرم وقتر عليه وبهذين توجد ألفاً من السفلة والحشوة وسقاط الناس اذا هي أوجدت واحداً من اهل الفضل والرحمة والانسانية . ولا قصد فيها بل هي إسراف من طرفيها لا يألو أن يدفع الناس من حد الى حد الى غير حد علواً وسفلاً ، فالنزاع في المادة والنزاع في العاطفة ذاهبان الى ملتقى واحد هو سخط الانسان على الانسان سخطاً شقياً مدنفاً اذ لا أشقى في الاجتماع من ساخط على من لا يترضاه . هي حضارة على المجاز اذا توسعنا في العبارة لنعم الناس فاذا حققنا في صريح هذا المجاز رأينا فيها الذلة والمسكنة والتهلكة بوسائل هي العز والغنى والحياة

مصطفى صادق الرافعي

الخطابة والخطباء في مصر

بقلم الاستاذ محمد توفيق دياب

ربما كان الاستاذ محمد توفيق دياب أول من درس فن الالقاء في بلاد الغرب من شبان مصر . وقد مارسه هنا في جملة محاضرات اظهر فيها كفايته وتفوقه في الخطابة . وهو في هذا المقال يقفنا على بعض أسرار هـذه الصناعة التي سنحتاج اليها كثيراً كلما تقدمنا في مضمار الحياة النيابية [المحرر]

اذا تحفزت الامم للنهوض بعد الفتور ، او ثار ثائرها حفاظاً وغيرة على حقوقها وكرامتها بعد الخنوع ، فيومئذ تغلي القلوب غليان المراجل ، و يومئذ تنفتق الألسنة بالخطب الحارة تعمل في المظالم كالبراكين . وليس في التاريخ صفحة من نهضات الشعوب او ثوراتها الا وفيها من آثار الخطباء نور ونار : نور الهداية الى الحق والاقناع بوجوبه ، ونار الحماسة للحق والاستبسال في سبيله . يومئذ تتعلق مصائر الامم بألسنة الخطباء ، فلا يصدها عن الغاية أحياناً سوى قوة من البطش الغشوم ـ ولكن الى حين

ولقد كانت مصر في فترة او شبه فترة حتى سنة ١٩١٩ فكانت الخطابة كذلك في فترة او شبه فترة . وانما كان الصوت الذي يتردد صداه في الأرجاء بين حين وحين هو صوت المرحوم مصطفى كامل باشا . لكنه على قدرته الخطابية وفؤاده المتأجج لم يبلغ مراده لان رجة الحرب الكبرى لم تكن قد هزت مصر تلك الهزة العنيفة التي أيقظتها من سباتها منزعجة . فلما أيقظتها الكارثة العالمية تفتحت عيونها تنظر ما حولها من دماء سالت أبحراً في سبيل الحرية واعزاز الاستقلال . هنالك أحست مصر أنها أمة و يجب ان تكون كالامم ، أنها شقية و يجب ان تكون سعيدة ، أنها مستعبدة و يجب ان تكون حرة ، أنها تعامل معاملة القصّر المملوكين و يجب ان يعترف لها العالم وانجلترا ببلوغ الرشد والاستقلال

شعور عام بلغ من الحرارة درجة الغليان . ولا بد لهذا الشعور الملتهب من ألسنة فصيحة عضبة ـ وقد كان ـ تعددت المنابر وانطلق المداره وانبرى الشباب والشيوخ والعذارى من ربات الخدور والعقائل من مكنونات القصور ـ انبرى هؤلاء جميعاً يخطبون الجماهير في الجامع والحفلات وفي الميادين العامة أيام المظاهرات القوميـة الكبرى . فكانت أصوات الاوانس من طالبات المدارس تختلط بعقائر الشبان من طلاب الازهر والمدارس الثانوية والعالية . وكان لكل قرية خطباء من ابنائها ولكل مصنع خطباء من عماله ولكل هيئة من هيآت مصر افئدة تفور وألسنة تقول

لكن مَن ذا يكون خطيب مصر الاكبر ؟ مَن ذا ينبغي ان يكون صوته فوق الاصوات وقلبه مداد القلوب و بيانه الخطابي مثالاً للبيان ؟ كل الناس يخطب وكلهم يتفاصح ، لكنهم في ضعفهم وقوتهم سواسية ليس يمتاز بعضهم من بعض بميزة بارزة تخضع لها الرقاب ، والوقت وقت ثورة شاملة و يجب لكي تنجح ان يرتفع صوت هائل يسمعهُ ابناء مصر فيتأثرون به و ينقادون الى الغرض الاسمى . تلك هي القيادة العليا — قيادة القلب العظيم المستقل والصوت الذي اذا علا علت معه الآمال وقويت العزائم واشتد الكفاح . مَن ذا يكون خطيب مصر الاكبر في يوم محنتها الكبرى ؟

كان سعد رئيس الوفد منذ بداية الثورة . فكان طبيعياً ان تتجه اليه الابصار حين اشتدت الحاجة الى خطيب عظيم . كيف لا والوفد لسان الامة وسعد لسان الوفد ؟

نظرية سليمة ، لكن ... لكن هل يحققها بالفعل سعد اذا التفت عليه المحافل واحاط به ألوف السامعين المتلهفين العطاش الى الحماسة والالهام .. من يدري ؟ ثم عاد سعد من أوربا عودته الاولى . واستقبلته الامة بما لم تستقبل به احداً من الملوك او القياصرة فيما نقل الينا التاريخ . ومنذ بلغ الثغر وغادر السفينة والتف به عشرات الالوف من المستقبلين لم يعد سعد رئيس الوفد فحسب ، بل انعقدت له فوق زعامته السياسية زعامة نفسية أخرى هي ابقى وأمتن ، زعامة الخطيب العبقري الفذ ، زعامة العاطفة القوية الجبارة تنطبع بها عواطف السامعين ، زعامة النفس الحساسة الفوارة يبكي السامعون لبكائها ويضحكون لضحكها ويثورون لثورتها حتى ليهون عليهم بذل الحياة راضين !

لكن كيف انطوى هذا السر العظيم في جوانح هذا الشيخ العظيم حتى سنة ١٩١٩ ؟ نعم لقد كان محامياً ممتازاً ومستشاراً ممتازاً ووزيراً ممتازاً ووكيلاً للجمعية التشريعية ممتازاً فصيح العبارة قوي الهجوم قوي الدفاع . بيد ان هــذا البعد الشاسع الذي يفصل اليوم بينه و بين كل قائل وخطيب في العالم العربي لم يكن مشهوداً قبل ايام الثورة . فأين كانت موهبته الكبرى التي امتلك بها نفوس ألوف الالوف من مواطنيه ؟

كانت قوة كمينة اثارتها محنة الوطن . كانت سراجاً ينقصه الثقاب ليشتعل و ينير . وقد جاءت الثورة القومية ثقاباً لهذا السراج فاشتعل وانار . وهل تبدو الكواكب وضاءة الا في الليلة الظلماء ؟ كم من عظماء تمخضت عنهم حوادث التاريخ فجاءة ولم يكن العالم من قبل يقدر عظمتهم قدرها الحق

فاذا سألتني ان اصف لك خطابته وعوامل سحرها وخلابتها فقد كلفتني شططاً . ذلك هو موضع الاعجاز في المواهب النادرة : انك لتحس آثارها الفعالة في نفسك ثم لا تستطيع الى وصف كنهها سبيلاً . على اني أحاول ان انقل اليك بعض خوالجي واحساسي حين اسمع هــذا الخطيب العظيم وأراه ماثلاً على المنبر

احس ان سبعين عاماً من تجاريب الزمان وعبره وحلوه ومره تخاطبني · وتخاطبني على لسان من ؟ على لسان شيخ يعلوه المشيب والجلالة وتكاد تخشع له اعواد المنابر اكباراً · وأحس ان هذه الشخصية لاتلقي الي اقوالاً من اللفظ ولكن قطعاً من الروح · من روح غنية بالذكاء والفطنة غنية بالشعور والعاطفة غنيـة بالعزيمة وشدة البأس · ثم احس ان هذه الروح قد أوتيت من وسائل الخطيب ما لم يؤته احد ممن رأيت · وجه قد ارتسمت فيـه مخائل القوة وأقصى درجات الثقة بالنفس ، وقامة مع هـذه السن معتدلة لا تنحني للايام ، واشارة باليدين في مواطن التوكيد او الاستعانة على اداء الغرض لم اشهد مثلها سداداً وحسن دلالة · وقد يومىء الإيماءة فتجيء ابلغ من الجمل ذات الطنين والرنين · وصوت !!! يا له من صوت ! قوي في حنان · عميق دون ان يكون اجوف · مرتفع اذا شاء دون ان يكون حاداً يحز في الآذان · صوت مرن في الدرجة القصوى من المرونة · يعلو به ويهبط ويوسع من حجمه ويضيق كما تشاء له عواطفه ومعانيه دون تعمل ولا قصد · كالموسيقار النابغة يجري قوسه على اوتار القيثارة فيروعك بالمطرب والمعجب دون ان يتكلف لذلك جهداً · وان سعداً ليتكلم فتحس ان خلجات فؤادك متصلة بنبرات صوته · ذلك ان نبرات صوته متصلة بخلجات فؤاده · وخلجات فؤاده صادرة عن عواطف حية قوية بين سارة تسر السامعين وحزينة تحزنهم وثائرة تثيرهم فلا يمسك حفائظهم الا هو !

وهل بهذا الوصف المقتضب أزعم اني وقفت القارىء على سر هـذه الموهبة التي اودعها الله سعداً · كلا ولن استطيع مهما اطلت · تلك المواهب لطائف ربانية قبل كل شيء · هي موهبة معنوية خفيـة قبلها لفظاً يصاغ او يداً تومىء او صوتاً ينخفض ويرتفع · هي نار مقدسة ونور مقدس · وتلك الوديعة الربانية هي التي تلهم سعداً رصف ألفاظه هذا الرصف البليغ بداهة وهو يخطب ، فتنبعث منه العبارات جزلة متينة يأخذ بعضها برقاب بعض ويأخذك وقعها الى حيث يريد خطيب العربية الاعظم غير منازع

اما بعد فمعذرة الى حضرة صاحب الهلال · لقد تفضل فدعاني الى كتابة شيء في العدد الممتاز من مجلته عن الخطابة والخطباء في مصر · فاذا بي قد كتبت شيئاً يسيراً وعن خطيب واحد · ولكن ماذا تقول يا سيدي اذا كان هـذا الخطيب الواحد يكاد يكون هو الخطابة كلها في مصر لعهدنا الحاضر

اني اجتزىء اليوم يا سيدي بهذه الكلمة وفي عدد آخر اذا سمحت فاني استأنف هـذا الموضوع · واذ ذاك اتناول اطرافه وامر بسائر خطبائنا مراً سريعاً

محمد توفيق دياب

مرامي التربية الحديثة

للاستاذ احمد فهمي العمروسي بك

الاستاذ العمروسي بك من كبار رجال التربية في مصر وله جملة مؤلفات خاصة بهذا الفن تشهد بسعة اطلاعه وسداد رأيه . وقد رغبنا اليه في ان يقف القراء على بعض مرامي التربية الحديثة اذ لا جدال في أن أخطر مسألة تهم أقطار الشرق العربي اليوم هي مسألة التربية التي عليها يتوقف اتجاه النزعات الجديدة في الشباب . فأتحفنا بهذا المقال الممتع الذي ألم فيه بالموضوع على ايجاز عبارته [المحرر]

أسمى ما ترمي اليه التربية الحديثة غرس مبادىء الاخلاق العملية الفاضلة في أفئدة الاطفال والشبان وانماء حب العمل في قلوبهم والصبر والمثابرة عليه من بدء حياتهم واعدادهم بالطرق القويمة والاساليب الحكيمة لان يتولوا شؤونهم بأنفسهم وألا يعولوا في مختلف أعمالهم الا على جهودهم وارشاد عقولهم لكي يضعوا قدمهم من أول الامر ثابتة في ميادين الحياة العملية الحقة وهي الزراعة والتجارة والصناعة ويصبروا و يتجلدوا و يقاوموا حتى يغلبوا و يفوزوا

وان كل تربية لا ترمي الى هذه الغاية السامية هي والعدم سواء لانها لا تطابق سنة الوجود في شيء وكذلك كل تعليم لا يمد النشء بوسائل الكفاح في معترك الحياة انما هو تعليم عقيم لا خير فيه

واني أسوق الى القراء فقرة من كتاب « روزفلت » أحد رؤساء جمهورية الولايات المتحدة السابقين وصف فيه الحياة النشيطة فقال : « لا ينبني لمجتمع من المجتمعات أن يرقى رقياً صحيحاً الا اذا عاش أفراده من رجال ونساء عيشة نقية بسيطة صحية وربوا أبناءهم على اقتحام العقبات وتذليل الصعوبات وعودوهم انتزاع الفوز والنصر في الحياة من طريق الجهد والمعاناة . وان الرجل الجدير بهذا النعت لهو الجلد الصبور النشيط الذي يكد و يكدح ليل نهار لحفظ كيانه واسعاد من يعيشون تحت كنفه »

وان المثل الاعلى الذي يتطلع كل اميركي الى احتذائه والنسج على منواله في الوثوق بالنفس والاعتداد بالذات هو قول الصانع الاميركي الكبير « باترسون » عن حادث وقع له أيام صباه . ذلك انه قال لابيه مرة انه في حاجة الى مزلق (قبقاب للسير على الجليد) فقال له يا بني أمامك الغاب فخذ فأساً واحتطب لك حملاً ثم بعه في المدينة واشتر لك بثمنه ـ ان شئت ـ مزلقاً

والانجليز ينحون هذا النحو بعينه فان الدعامة الكبرى التي يرتكز عليها صرح التربية عندهم انما هي الثقة بالاطفال بمجرد أن يدرجوا و يفهموا فيوكلون الى أنفسهم في جميع امورهم

من المرضع الى البيت ثم منه الى المدرسة . نعم يثقون بهم في أعمالهم فيتركون لهم الحرية التامة في اختيار السبيل التي يسلكونها بعد ايضاح الجادة لهم وانارة الطريق أمامهم فاذا لم يجيدوا الاختيار فعليهم وحدهم يقع الضرر وكذلك يثقون بكلامهم فهم صادقون في حديثهم مصدقون في احلهم وخلطائهم الا أن تقوم الحجة على غير ذلك

وتلك هي الطريقة المثلى التي هداهم اليها المربي الكبير الدكتور توماس ارنولد منذ نصف قرن تقريباً وهم يدينون بها ويحرصون عليها أشد الحرص . والغرض الذي يرمون اليه من اتباع هذه الطريقة هو تعويد أولادهم النشاط في العمل والصراحة في القول والاستقلال في الرأي والدربة على الثقة بالنفس وايقاظ الشعور بالتبعة فيهم وتقديرهم اياها منذ الصغر حق قدرها

وان شجاعة الاطفال الانجليز وفروسيتهم امر مشاهد معروف لدى من يراقبون أعمال الاطفال ويتتبعون حركاتهم

حكى « مسيو تين » في كتابه « مذكرات عن انجلترا » انه رأى غلاماً صغيراً ممتطياً برذوناً ووراءه اخواته الكبيرات و بينما هم سائرون وسط الحقول اذ رأوا ثوراً ضخماً يتطاير الشرر من عينيه فالتفت الغلام الى أخواته وقال لهن : أيتها الفتيات اتبعنني ولا تخفن مكروهاً فاني مستعد لقمع ثورته وكسر شرته

عزم الشاعر الانجليزي « وورد سوورث » مرة على تسلق جبل للتنزه والرياضة و بينما هو يصعد اذ هبت عاصفة شديدة فاستمر في الصعود على الرغم من قصف الريح وهو يقول ــ ان العدول عن المضي في مشروع قام في سبيله خطر صغير لهو خطر على الاخلاق كبير ــ فالارادة والمثابرة هما من أقوم الاخلاق التي تمتاز بها أفراد الامم الراقية الآن

والفضل في بث هذه الاخلاق السامية في نفوس النشء من بدء حياتهم راجع الى الام المهذبة المستنيرة التي تفهم سياسة الاطفال وتقوم بتدبير شؤونهم خير قيام كما هو الحال في الامم الراقية . أما في مصر فاننا نشكو مر الشكوى من سوء الاخلاق ورداءة الطباع والسبب في ذلك راجع الى اهمال الاطفال وعدم العناية بأمر تهذيبهم وتأديبهم في سن الطفولة الاولى وترك حبلهم على غاربهم الى الثامنة أو التاسعة من أعمارهم معرضين لمخاطر الشوارع ومضار البطالة كما يتضح ذلك جلياً من الاقتراح الذي قدمته أخيراً الى اللجنة العامة المكلفة بتنقيح المناهج والنظم المدرسية

واني أسوقه الى قراء الهلال بنصه ليتبينوا منه الفرق العظيم بين التربية المدرسية في مصر و بينها في الامم الراقية والشعوب المتحضرة

* * *

لقد فطنت الامم التي تقدمتنا في مضمار التربية والتعليم الى ضرورة تعهد اطفال الشعب من بدء السنة الثالثة من اعمارهم الى السنة السادسة بالتربية والتهذيب والتأديب في مدارس خاصة تسمى مدارس الامهات في فرنسا ومدارس الاطفال في انجلترا ورياض الاطفال في المانيا واميركا وفي كثير غيرهما من البلدان

والغرض الذي ترمي اليه تلك الامم الراقية من وراء أخذ الاطفال بالتربية والتعليم من هذه السن هو المحافظة على صحتهم من مضار البطالة ومخاطر الشوارع ورداءة البيئة التي يعيش فيها آباؤهم والعناية بتربية حواسهم وتقوية كل حاسة منها بالتمرينات العملية البسيطة التي تناسبها ليتسنى لها أن تقوم بالوظيفة المطلوبة منها على أتم حال واكمل وجه

ثم يأتي بعد ذلك تدريبهم على الاخلاق وطبعهم على الفضائل بالطرق المحسة فينبهون كلما سنحت الفرصة الى عدم التعدي على الغير مثلا واغتصاب حقوقه واستعمال الغلظة والقسوة في معاملتهم كما يجب ان ينبهوا الى تجنب الانانية وحب الذات وأن يعودوا احترام أهلهم وأساتذتهم والامتثال لاوامرهم كل ذلك توصلاً الى تعويدهم حب النظام وتعليمهم كيف يعيشون في المجتمع وكيف يسيرون في الحياة المستقبلة

أما التربية العقلية فلا يبدأون بها الا في سن الخامسة وهي لا تخرج عن تعليمهم مبادىء القراءة والكتابة بكيفية مختصرة الى أبسط حد مستطاع تفادياً من الاخطار التي تنجم عن اجهاد أذهانهم وحشوها بالمعلومات في هذه السن الصغيرة

ولعل أهم الغايات التي تتوخاها تلك الامم من انشاء هذا النوع من المدارس والعمل المتواصل على نشرها وتعميمها بين جميع الطبقات غرس الاخلاق الفاضلة في نفوس الاطفال من بدء نشأتهم وتوجيه غرائزهم وميولهم الى الوجهة الصالحة ولا شك في أن الاطفال في هذه السن يكونون أسهل تطبعاً وأسرع تعوداً للعادات الخلقية منهم في الاسنان الاخرى

وفي اعتقادي أن مجرد توجيه نظر الاطفال في هذه السن الى الصواب وهم متلبسون بالخطأ أوقع في قلوبهم وأغرس للفضيلة في نفوسهم من تلك الدروس النظرية التي يلقنونها من كتب علم الاخلاق في المدارس الابتدائية والثانوية والتي لم يستقر رأي العلماء والمفكرين منذ ألفي سنة قبل الميلاد الى اليوم على فائدتها وتأثيرها في تهذيب الطباع و إصلاح النفوس وستظل تلك المسألة الشائكة وهي علاقة العلم بالاخلاق موضع جدل بين العلماء قد لا ينحسم أبداً في حين أنهم جميعاً متفقون على أن الاطفال يتعلمون الخلق الصحيح بالقدوة والاستهواء والمحاكاة

ولقد أصبحت تلك المدارس في جميع البلاد الراقية المرحلة الاولى من مراحل التربية

ولا سيما الخلقية والاجتماعية فيها وهي الاساس المتين الذي يقوم عليه انشاؤها . أما في مصر فالامر ليس كذلك فان الاطفال لا يغشون التعليم الاولي او الابتدائي الا بعد بلوغ السنة الثامنة او التاسعة بعد أن يكونوا قد تعودوا الضار من العادات والذميم من الاخلاق وتلقنوا الفاسد من المعلومات . ولا شك أن هذا من شأنه ان يعوق سير التربية والتعليم في تلك المدارس و يعقد مهمة المدرسين الذين يجب ان يصرفوا زمناً في ازالة ما علق بأذهان تلاميذهم من الاخطاء وطرد الخرافات ومحاربة العادات القبيحة التي حصلوها من بيئاتهم ان صح إن ما يعلق بالاذهان في الصغر قابل للمحو والزوال في الكبر

لذلك أقترح على هيئة اللجنة الموقرة ان تنظر في هذا الامر الهام بما هو جدير به من العناية والرعاية لعلنا بذلك نتدارك نقصاً ظاهراً في سياسة تربيتنا العامة ونسد ثلمة خطرة أصابت صرح التربية والتعليم عندنا في أساسه

وأن تعمل وزارة المعارف لخلق ادارة مستقلة لهذا النوع الضروري من التربية والتهذيب حتى يسير مع التعليم الالزامي جنباً الى جنب

فان كل ما يوجه من المجهودات و ينفق من النفقات حيال هذا العمل الجليل ليس الا ثمناً زهيداً لما سوف تجنيه الامة من ثمرات تربية الاخلاق التي عليها يتوقف مستقبل حياة الامم وسعادة الشعوب فضلاً عما يعود على البلاد من ترقية التعلم وتحسين حالتيها الاجتماعية والصحية . اهـ

أحمد فهمي العمروسي



الاديب : أمير أم عبد ؟

بقلم الاستاذ سلامه موسى

لما زال استقلال الاغريق وتسلط الرومانيون عليهم نزل الادب من مركز الامارة الى مركز العبودية • فقد كان ادباء الاغريق اصحاب الفلسفات وواضعو الدرامات ينظرون الى الشعب نظر الملك الى رعيته يبحثون في طرق اصلاحه وتنظيم حكوماته ورفع مستوى اخلاقه والسير به نحو الرقي • نقرأ ارسطوطاليس او افلاطون فتجد اميراً مهموماً بهموم رعيته يريد ان تسمو اخلاقهم وتنتظم حكوماتهم ولست تجد فيهما العبد الذي يتملقهم و يخدعهم و يمتدح نقائصهم

فلما تسلط الرومانيون على الاغريق اخذوا يستطرفون اللغة الاغريقية و يتنافسون في تعليمها لاولادهم فصاروا يكثرون من اقتناء عبيد الاغريق لهذا الغرض و يسلمونهم اولادهم • فكان العبد الاغريقي يقف من هؤلاء الاولاد موقف المعلم يستمعون لاقواله و ينتصحون بنصائحه ولكن كما نسمع نحن لنصائح السائق حين يختار الطريق القريب او حين نسترشد برأي الحمال الذي يحمل حقائبنا للقطار نطيعهما كليهما طاعة وقتية وفي سريرة نفوسنا اننا ارفع منهما • وكان لهذه الحالة اثرها في المعلم نفسه لانه وجدانه يجب عليه ان يسر و يقف من اسياده موقف المهرج الذي يضحكهم لا موقف الاستاذ الذي يعلمهم و يؤنبهم

ثم جاءت القرون الوسطى التي استوى فيها العرب والافرنج او كادوا يستوون من حيث نظام الحكومة الاستبدادية التي يسيطر عليها رئيس ديني هو البابا او الخليفة ومن حيث الادب ايضاً • فقد انقسم الادب قسمين عظيمين احدهما يعالج الدين والآخر يعالج الحياة

اما هذا الذي يعالج الحياة فانه لم يرتفع الى مركز الامارة الذي كان لادباء الاغريق القدماء بل نزل الى مركز العبودية الذي انحدر اليه الموالي الاغريق حين كانوا يعلمون صبيان الرومانيين

ففي بغداد تجد ايام الدولة العباسية عدداً كبيراً من الموالي اي العبيد اصطنعوا الادب وقضوا اعمارهم في امتداح أمرائهم واطراء ما فيهم من صفات كما تجد ذلك ايضاً عند امراء ايطاليا حين كان لكل امير شاعر يشيد بذكره و ينوه بمناقبه • ومضى الادباء على ذلك يعتقدون ان مهمتهم مقصورة على سرور الامراء حتى اذا تخلص الادب من رعاية الامير بعض التخلص صار الاديب يشغل نفسه بغير امتداح الامراء والاغنياء ولكنه بقي مع ذلك يحسبان مهمته هي سرور القارىء

ولذته وليست فائدته يجري في ذلك على مأثور الادباء من الموالي قبله . فنشأت طبقة من المهرجين مثل الحريري والهمذاني يعملون بالالفاظ ما يعمله المشعوذ والمهرج بالحركات حين يطيف بهما الناس و يضحكون من تهريجها

ثم قامت النهضة الاوربية تستوحي أمراء الادب القدماء، وتنفض عن نفسها غبار العبيد حتى صار الادب الاوربي الحديث يتسم بسمة الامارة لا يحبو اليك المؤلف على اربع يتصاغر لك او يهرج امامك لكي تضحك وانما هو يسومك درس هـذا العالم بما يوجعك احياناً وقد تجد انت لذتك في هذا الايجاع لانهُ بذلك يفتح بصيرتك و يبسط مدى وعيك لهذا الكون

ونحن هنا في مصر بل في العالم العربي لا يزال بيننا طبقة من الادباء يؤثرون مركز العبيد على مركز الامراء يتظرفون وأحياناً يهرجون قصاراهم ان يقولوا «فحسب» في مكان «فقط» او ان ينقلوا عبارة فخمة من الجرجاني أو من غير الجرجاني يدسونها في ثنايا الفاظهم يحسبون ان مهمتهم مقصورة على سرور القارىء

ولست في ذلك انكر فائدة التأنق أحياناً وان كنت أعرف ان الكأس من الذهب اجمل ما يكون اذا لم يكن عليه نقش وان الجسم الجميل افتن ما يكون اذا تجرد من الثياب وان الثوب الحريري لا يحتاج الى توشية وتطريز وذلك لاني لا أجهل أن الذهب والحرير ليسا في وسع كل احد اقتناؤهما وانه ليس بين النساء من تستجملها عارية الا واحدة او اثنتان في المائة . فنحن في حاجة من وقت لآخر الى التأنق لأننا لا نطيق البساطة فأن الشيء البسيط لا يكون جميلا الا اذا كان من ارفع مادة ومن أعلى طراز وليست تسعفنا اللغة على الدوام بالمادة الحسنة والطراز العالي . ولكني انكر ان يكون همّ المؤلف مقصوراً على التأنق في اللفظ والتظرف في العبارة حتى يقف من القارىء موقف العبد من سيده يقنع بسروره ورضاه عنه . كلا . انما احب من المؤلف ان يقف موقف الامير يقصد الى فائدة القارىء وتعليمه وتنويره . وهو لن يستطيع ذلك حتى يمد بصره و بصيرته في هذا العالم بل هذا الكون ولا يكون ذلك الا بالدرس المتواصل للانسان تاريخه وأصله ومستقبله وحاضره ومؤسساته وما ارتكب من جهالات وأساطير وما حقق من علوم وآداب

هـذا هو موضوع الاديب درساً لنفسه و بسطاً للقارىء حتى يكون ادبه ادب الامارة لا ادب العبودية

سلامه موسى

هل تدوم نهضة الاتراك ؟

بقلم فيلسوف العراق السيد جميل صدقي الزهاوي

السيد الزهاوي ركن من أركان النهضة الحديثة في الادب العربي وقد عاش بين الاتراك مدة طويلة تولى فيها تدريس الفلسفة في اكبر كلياتهم وكان ايضاً عضواً في مجلس المبعوثان . فهو اذا حدثنا عن نهضة الاتراك صدق الحديث وأصاب الحكم [المحرر]

خاض الاتراك معمعان الحرب العالمية مؤملين لانفسهم النصر المبين في جنب المانيا لشدة ثقتهم بمقدرتها واجهزتها وعددها وضخامة جيشها ونظامه الأجد فاصابهم ما اصابهم من الفشل والاندحار وضياع الشرق العربي برمته . واحتلت عاصمتهم جنود الحلفاء وطمع فيهم اليونان وزحفت تكتسح بلادهم الداخلية حتى غلب الظن يومئذ ان لا قيام لهذا الجسد المشلول مما حاق باعصابه من الوهن وانه يضمحل كما تضمحل النجوم التي تصادمها نجوم اكبر منها في السماء وهي (النجوم الوقتية)

النواميس قضت ان لا يعيش الضعفاء

إن من كان ضعيفاً اكلته الاقوياء

ولكن الرماد الذي تراكم في مكان الحريق الهائل لم يخلُ من جمر فاذا نفخ فيها النافخ تأججت من جديد فكانت قوة كبيرة تستطيع عمل شيء جلل . وهكذا كان الامر فان الغازي مصطفى كمال نفخ في رُوع الامة التركية من روحه تلك الروح الكبيرة وهو بمعزل عما كانت تكيده له الخلافة في دارها حتى احياها ورأب صدعها واسترد بما جنده من فلول الجيش المدحور وهو لا يملك يومئذ الا عزمه ما احتلته اليونان من بلادها وكان الفوز باهراً و باهراً جداً اكبرته الامم جمعاء

لا يحسب الزحف غياً جند له عظموت

الجند للموت يحيا وللحياة يموت

ورأى الغازي ومن التف حوله من أولي الارواح الكبيرة والآراء الحرة الجديدة والنظر البعيد الوقاد ان الامم المجاورة لأمتهم قد تنتهز الفرصة فتمزق احشاءها قبل ان تشتد اعضادهم للذود عنها ويجمعوا امرهم للدفاع وان الداء العياء في الشعب هو الجهل والتمسك بالعادات الضارة والتقاليد المثبطة للعزائم وان الخروج بالتدريج من الحمأة التي ساخت ارجلهم فيها منذ العصور العديدة لا يجديهم في مثل موقفهم فهبوا هبة واحدة واوسعوا الخطى وركضوا الى الامام متواثبين

واخذوا بايديهم المعاول يهدمون بها كل سد يقف دون تقدمهم و ينسفون كل قديم رث ، علمتهم السنون ان لا خير لمجتمعهم منه مبدلين اياه بكل جديد اختاره الغربيون لانفسهم بعد اختباراتهم الطويلة في معترك الحياة

واول ما اجهزوا عليه هو الخلافة ميراث الماضي والعقبة الكأداء دون رقيهم الذي اعتقدوا جيداً ان لا حياة لهم في المستقبل الا به فابطلوها وجعلوا حكومتهم جمهورية واختاروا لرياستها بطل النهضة مصطفى كمال ثم ابدلوا المجلة (قانونهم المدني) بقانون سويسرا مع تعديلات توافق نفسية الشعب التركي وعدلوا نظام الازواج والطلاق والارث وصدعوا بسفور النساء وابطلوا الحجاب الذي كان سداً بين اختيار الشاب ومن تلائمه من الازواج وسبباً لشلل نصف الشعب ووصمة في صحيفة الانسانية ثم حظروا لبس الطرابيش والعمائم مبدلين اياها بالقبعات فأتموا شبههم بالامم الراقية من كل وجه وقمعوا كل فتنة قامت في وجه نهضتهم وعقدوا في الاخير اتفاقية مع الحكومة العراقية والانكليزية وهذا خير ما عملوه لانفسهم

اما دوام هذه النهضة فليس للانسان ان يتنبأ بما سوف تلده الايام والليالي فيقول سيكون كذا وكذا غير اني اظن – ولا يغني الظن عن العلم – انها ستدوم لان القائمين بامرها يمهدون لدوامها السبيل . نعم ان كل نهضة سريعة طائشة يعقبها شيء من رد الفعل وقد حدث هذا الرد في صورة الثورة الكردية وحدثت كذلك مؤامرة لاغتيال الغازي ولكن الجمهورية كانت متيقظة فقد قمعت الثورة واطفأت جذوتها و كشفت الستار عن المؤامرة قبل ان ينفذ سهمها وجازت العاملين فيها واخذت لنفسها الحيطة الكافية لما عسى ان يحدث من هذا القبيل في مستقبل الايام

وربما حدثت في الآتي أحداث شبيهة بهاتين ولكنها تبقى عاجزة عن تغيير شكل الحكومة وارجاعها الى ما كانت عليه من الملكية ووقف النهضة أو تلبها الى الرجعة حتى ولو اغتيل الغازي – لا سمح الله – فان فكرة الجمهورية قد تأصلت في أدمغة شباب القوم وجرت كالتيار الكهربائي في أعصابهم فتكهربت بها

والخطر كل الخطر أن يثور الجيش على النظام الجمهوري ويقلبه ظهراً لبطن وهذا مستبعد لان جميع ضباطه من الذين أخلصوا له يفدونه بأرواحهم اذا رأوا ما يمس كرامته وكلما مضت السنون ترصنت الجمهورية أكثر من ذي قبل وقلّ الخطر

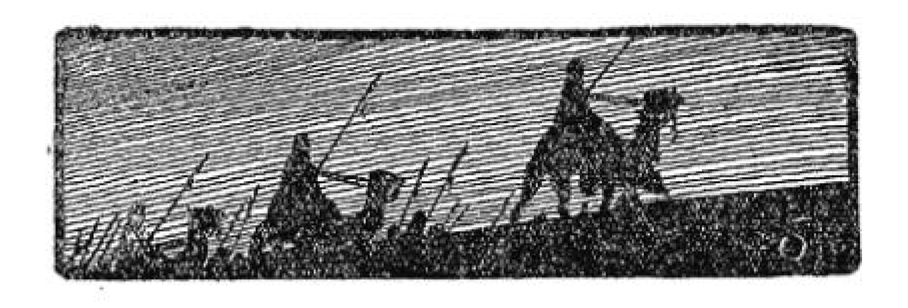
كل اولئك يجعلني أظن أن نهضة الاتراك ستدوم وتكبر وان الحرب المشبوبة بينهم على النظم الرثة القديمة والعادات الموروثة البالية والتقاليد الضارة ستكون أشد مما في الآن وان الجيل

الآتي سيكون أكثر تمسكاً بالجمهورية فانه يكون قد نشأ عليها وابعد عن العادات والخرافات المنافية لها تلك القيود المثقلة كاهل المجتمع متجهزاً بسلاح العلم الحديث على اختلاف صنوفه متأهباً لدرء الطوارىء وتخفيف شدتها

وليس هناك ما يهدد النهضة الا حرب عالمية اخرى أو حرب خاصة جديدة ففي هاتين الحالتين قد ينتهز الساخطون – وهم غير قليل – الفرصة و يعملون للايقاع بها في داخليتها واشغال الحكومة باطفاء نار الفتنة التي تكون قد اندلعت ألسنتها في داخل البلاد عن ادارة الحرب في الخارج كما ينبغي ودرء غوائلها فلا تستطيع أن تصرف جميع مالها من القوة في مقاومة قوى الاعداء المناوئين لها بمدافعهم ورشاشاتهم وطياراتهم ودباباتهم واسطولهم

وهذا الخطر وان كان كبيراً لا ينتظر وقوعه لان الحكومات المتيقظة تحسب لكل حالة حسابها ولا تُغفل ما من شأنه أن يفكك أوصالها ويجلب عليها الويلات فوق الويلات والتاريخ – وهو يكرر نفسه – شاهد على أن الامم الصادقة في نهضتها لا تموت نهضتها بالحروب سواء كانت داخلية أو خارجية مثال ذلك الامة الفرنسية والاميركية في حروبهما بعد نهضتهما

بغداد جميل صدقي الزهاوي



صوت (Romance)

قصة تمثيلية بقلم الكاتب الامريكي ادوارد شلدون
نقلها الى الفرنسية الكاتبان المعروفان روبير دي فلير وفرانسيس دي كروابه

تلخيص وتعليق : الاستاذ الدكتور طه حسين

ينبغي ان تفهم هذا العنوان كما تفهمه حين تجده في كتاب الاغاني ، فهو يدل على مقطوعة من الشعر يغنى بها ، وكذلك اراد صاحب هذه القصة التي اريد ان احدثك عنها في شيء من الايجاز كثير . فأنا (كما قلت في غير هذا الموضع) حين انحو هذا النحو من تلخيص القصص التمثيلي او غير التمثيلي لا اريد ان اغني القارىء العربي عن الاصل الاوربي ، انما اريد ان ارغبه فيه واحبب اليه قراءته ودرسه ، فهذه الفصول المتواضعة ترغيب في قراءة تلك القصص الممتعة لا اكثر ولا اقل

وقصتنا هذه ممتعة حقاً ممتعة في موضوعها ، ممتعة في شكلها ممتعة في لغتها وممتعة بنوع خاص لانها تمثل التئام الذوقين الاميركي والفرنسي التئاماً بديعاً

وضع لها صاحبها هذا العنوان لانها تبتدىء بصوت من الغناء وتنتهي بهذا الصوت ولان هذا الصوت نفسه رشيق عذب فيه سذاجة ورقة ولانك لا تكاد تمضي في قراءة هذه القصة حتى تجد فيها هذه العذوبة وهذه الرشاقة وهذه السذاجة متيحة احسن الالتئام مع حقائق الحياة الواقعة وما فيها من خشونة وغلظة وتعقيد

وان اعجب لشيء فانما اعجب لان هذه القصة لم توقّع بعد على ألحان الموسيقى كما وقعت من قبل قصص تشبهها كل الشبه

على اني لا اريد ان اطيل في المقدمات ولا ان اسرف في التحليل وانما اسرع بك الى القصة نفسها واعتمد على الترجمة احياناً لأدلك على ما فيها من جمال وروعة

***

نحن في مدينة نيويورك في مكتب الاسقف البروتستانتي « توم ارمسترونج » وهو شيخ في السبعين من عمره ، قد جلس الى النار يصطليها اول الليل وحفيدته تقرأ له احدى الصحف . ونحن نحس انها تقرأ له هذه الصحيفة في شيء من السأم والضجر لانها تؤثر ان تتحدث اليه او ان تلهو معه بشيء آخر وآية ذلك انها لا تكاد تمضي في القراءة حتى تقف سائلة جدها الاسقف أليس يؤثر على هذا الكلام صوتاً من اصوات الفنوغراف؟ ثم تدع الصحيفة وتعمد الى الفنوغراف فتنطقه بالصوت المعروف :

« أتعرف ذلك البلد الذي يزهر فيه البرتقال ٠٠٠ ؟ »

فما هي الا ان يظهر الشيخ شيئًا من الضيق و يطلب الى حفيدته في رفق ان تدع هذا الصوت الى صوت آخر ، فاذا سألته الفتاة عن مصدر هذا الضيق ابى عليها واحسسنا نحن انه لا يكره هذا الصوت ولكنه يشفق من استماعه

والفتاة لم تدع الصحيفة الى الفنوغراف الا لتدع الفنوغراف ايضاً الى الحديث ، فهي تريد ان تتحدث الى جدها في امر ذي بال ، تريد ان تتحدث الى الشيخ في امر اخيها الشاب « هري » فقد احب هذا الشاب فتاة ممثلة جميلة رائعة الطلعة يتيمة فقيرة سيئة الحظ وهو يريد ان يتزوجها وهو يريد ان يتحدث في هذا الزواج الى جده ولكنه كلف اخته ان تمهد الشيخ لهذا الحديث ٠ وقد فعلت واقبل الفتى وانصرفت الفتاة ، وخلا الشاب الى جده وذكر له قصته واسرف له في الثناء على هذه الفتاة واعلن اليه انه يريد ان يتخذها له زوجًا ٠ فيأبى عليه الشيخ في رفق معلنًا اليه انه حدث قليل التجربة وان الخير في ان يروّى و يفكر حتى اذا كانت السنة المقبلة رأى في ذلك رأيه ، وليست السنة المقبلة بعيدة فستبدأ بعد ساعات لاننا في اليوم الاخير من شهر ديسمبر ٠ ولكن اباء الشيخ يشق على الفتى و يؤلمه فيقول لجده : لو عاش ابواي الشابان لاستطاعا ان يفهما عاطفة الحب و يقدراها فقد تقدمت بك السن حتى نسيت شبابك وعجزت عن فهم عواطف الشباب

تقع هذه الكلمات في نفس الشيخ موقعًا مؤلمًا فيدعو الفتى الى البقاء وكان قد همّ بالانصراف و يأمره ان يحمل اليه صندوقًا صغيرًا على مائدة في ناحية من نواحي الحجرة ، فاذا حمل اليه هذا الصندوق فتحه واخرج منه منديلا وزهرات من البنفسج قد اتى عليها الدهر فأصبحت هشيماً و بدأ يقص على حفيده قصة هذا المنديل وهذه الزهرات ليثبت له انه على شيخوخته وتقدم السن به لم ينس شبابه ولم ينس انه احب وألم للحب ٠ وهنا يتحول المسرح وتستخفى الحجرة والشيخ والفتى وتمثل امامك القصة التي بدأ الشيخ يقصها على الشاب

فاما الفصل الاول من هذه القصة فيقع في قصر رجل من أغنياء الامير كيين حين كان الاسقف في الخامسة والعشرين من عمره . وقد اقام هذا الرجل الغني في قصره حفلاً دعا اليه وجوه المدينة وأغنياءها وذوي المكانة فيها ليسمعوا عنده مغنية ايطالية ذائعة الصيت قد اتخذها الموسيقيان الشهيران « روسيني » و « فردي » ترجمانًا لما يضمان من الموسيقى . وهي رائعة فاتنة قد شغف بها من أغنياء أوربا وأمرائها خلق كثير وانتهى الامر بها الى هذا الغني الاميركي الذي يتصل باسرة فرنسية هاجرت الى أميركا في آخر القرن الثامن عشر . أحبها هذا الغني وكلف بها كلفًا شديداً فدعاها الى نيويورك وقدمها الى وجوه المدينة وعشاق الفن الموسيقي فيها . ونحن نرى قصر هذا الغني مزدحمًا بمن فيه من الشباب والكهول والشيوخ رجالاً ونساء ونحن نرى ونسمع من عبث الامير كيين وحوارهم ما يلذ ويضحك وما لا سبيل الى ان نلم به في هذا الفصل . ولكني أقف بك عند

رجل من الاغنياء قد دعي الى هذا المحفل فاقبل وانهُ لشديد السخط على القصر وصاحبه ومن فيه ، هو رجل قد أكل الحقد قلبهُ فهو لا يرضى عن شيء ولا عن أحد ، وهو ضخم الثروة ولكنه شديد البخل مسرف في الحرص عظيم الشره يريد أن يستمتع بكل ما يجد دون أن يعترف بشيء من الاستمتاع . ضاق صدره بالمدعوين ففرّ منهم الى احدى غرف القصر وأمر الخادم أن يحمل اليه طعامه وشرابهُ فاذا دخل الغرفة نظر فاذا علبة فيها سيجار فيلقي على هذه العلبة نظرة احتقار وازدراء ثم لا يلبث أن يتحقق ان ما فيها جيد النوع ، فيأخذ واحداً ، ثم لا يكفيه ما أخذ فيأخذ طائفة أخرى من السيجار ويدسها في جيبه ويأتي الخادم وقد حمل اليه من الطعام والشراب ما استطاع فيلقي الى ما حمل اليه نظرة ازدراء واحتقار ثم ينتهر الخادم لانه لم يحمل اليه الا قليلا ويجلس كارهاً الى طعامه ولكنه لا يكاد يذوقه حتى يستجيده فيسرف في الاكل والشرب ، وانه لفي ذلك اذ يدخل عليه القسيس الشاب « توم ارمسترونج » وهو (كما قدمت) في الخامسة والعشرين من عمره جميل الطلعة ، واضح الاسارير ، ممتلىء نشاطاً وقوة ، قد عرف بالاخلاص في خدمة الدين والجد بالعناية في خدمة الفقراء والبائسين ، خفيف الظل حلو الروح يحبه صاحب القصر ويرجو ان يزوجه من احدى قريباته . يدخل هذا القسيس على صاحبنا وهو منهمك في طعامه وشرابه فلا يكاد يراه حتى ينصرف عما هو فيه من طعام الى صاحب القصر فينال منه في لفظ منكر قبيح ، ويعيب عليه هذه المغنية التي دعا الناس لاستماعها في قصره لانها خليلته ولانها معروفة بسوء السيرة ويلوم القسيس لانه يعرض عن هذه الآثام ويقصر في تأدية واجبه الديني فلا يكف صاحب القصر عن هذه الفضيحة ، فيبسم له القسيس حتى اذا فرغ من كلامه قال له هذه الجملة التي تعطيك منه صورة واضحة : لمن هذا الطعام الذي تزدرده ؟ ولمن هذا الشراب الذي تعبّ فيه عباً ؟ ولمن هذا السيجار الذي تدسه في جيبك ؟ أليس هذا كله لصاحب القصر ؟ يجيبه الغني : بلا . ــ وانت ترى ان واجب القسيس هو ان يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويأخذهم بترك ما يتورطون فيه من شر . يجيبه الآخر : نعم . ــ اذن فلا بدأ بك فقد أتيت نكراً لا يعدله نكر حين اغتبت صاحب هذا القصر على هذا النحو القبيح وأنت في قصره تأكل من طعامه وتشرب من شرابه

وهما في هذا الحوار اذ يأتي « دي روشار » صاحب القصر فينصرف هذا الغني ولا يكاد القسيس يخلو الى صاحب القصر حتى يبدأ في تأدية واجبه الديني من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ولكنهُ يجد في هذا مشقة ، فهو يكبر صاحب القصر ويجله وهو مدين له بمركزه في الكنيسة . على ان هذه المشقة لا تصرفهُ عن أداء هذا الواجب فهو يلوم صاحب القصر على ما بينه وبين هذه المغنية من صلة ، وصاحب القصر يجيبه معتذراً اليه في شيء من الرفق والفلسفة والشك في معنى الخير والشر وقيمة الفضيلة والرذيلة و يعلن اليه انهُ يرى السعادة الحقيقية في حب الخير والجمال والشباب.

وهما في هذا الحوار واذا المغنية قد فرغت من غنائها واقبلت يتبعها المعجبون بها فينصرف القسيس وتخلو هذه المغنية الى صاحبها فيكون بينهما حوار نفهم منـهُ ان وعظ القسيس قد أثر في نفس هذا الرجل من حيث لم يشعر . أنظر اليـه يتحدث الى صاحبته بانهُ في الحادية والخمسين من عمره وان اسباب اللهو والنعيم قد تقطعت به وان الخير انما هو في ان يستحيل حبهما الى مودّة بريئة ، وهي تسمع له راضية حيناً ساخطة حيناً آخر ، غاضبة مرة ، مداعبة مرة أُخرى ، مزدرية لما يقول ، حريصة على ان يعدل عنـهُ ، ولكنها على كل حال قد رأت القسيس وهو ينصرف فوقع من نفسها وهي تعلن الى صاحبها في صراحة انها تكره البروتستانتية خلوها من الموسيقى والبخور والاعتراف ولكنها تحب البروتستانتية لان قسسها حسان. وما زالت بصاحبها حتى اقنعتهُ بانه لم يبلغ الخمسين من عمره وانهُ ما زال يستمتع ببقية من شباب وحتى ضربت معهُ موعداً للنزهة اذا كانت الساعة الرابعة من مساء غد . ثم تطلب اليه ان يدعها لتستريح قبل استئناف الغناء وان يرسل اليها شيئاً من الخمر والليمون

فلا تكاد تخلو الى نفسها حتى يمر بها القسيس فتتناوم وتدع رداءً يسقط عنها ، وقد نظر اليها القسيس وحدق فيها وكأنها وقعت من نفسه فيدنو منها في خفة ويعيد اليها الرداء وينصرف ولكنهُ لا يكاد يتجاوز الغرفة حتى يسمع صوتها وهي تشكره . وما هو الا ان يسمع هـذا الصوت حتى يضطرب ولا يدري أيمضي أم يقف فتستوقفهُ وتحدثه ويجيبها الى ما تريد في شيء من الاضطراب والذهول . ويأخذان في الحديث واذا هي تجني على القسيس نفسها وتأخذ في اغتياب المغنية فيلومها القسيس ويطلب اليها ان تستغفر الله من هذا الاثم فتأبى فيغضب ويهم ان ينصرف ولكن الخادم قد أقبل يحمل الشراب فتطلب اليه أن يصبّ لها في القدح فيفعل ثم تطلب اليه أن يصبّ في قدح آخر فيفعل، ثم تدفع اليه احد القدحين فلا يستطيع أن يرده ثم تأمره ان يحدق فيها وتعلن اليه انها ستحدق فيه وتقترح ان يشربا قدحيهما على هذا النحو . فاذا فرغا من الشرب رأيناهما وقد فتن كل منهما بصاحبه فتنة قوية . فاما هي فتستغفر الله من اثمها حين اغتابت المغنية ، وأما هو فيطلب اليها موعداً لانهُ يريد أن يراها وان يتحدث اليها باشياء كثيرة ما كانت لتخطر له من قبل . وهما في هذا الحوار اذ يقبل صاحب القصر فيراهما على هذه الحال : هي كالنائمة وهو جاث بين يديها يناجيها . وانت تستطيع ان تقدر دهش صاحب القصر حين يرى مكان القسيس من المغنية وهو الذي كان يلومه فيها منـذ حين . تنهض المغنية لتستأنف الغناء ولكن القسيس يلح عليها في الموعد غير حافل بمكان صاحب القصر ، فتضرب له الموعد من الساعة الرابعة من مساء غد فاذا ذكرها صاحب القصر بانها قد ضربت له الموعد في هذه الساعة نفسها اجابته : اما موعدك فمؤجل . وتنصرف وقد سقط من يدها منديل فيهوي اليه القسيس فيأخذه

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في بيت القسيس في حجرة عمله ، نرى عمتيه قد جلستا تتنازعان ،

احداهما في الثامنة والخمسين ، والاخرى في الستين ، وكلتاهما قد وقفت حياتها على القسيس لا تدري ماذا تصنع لترضيه وتعنى بطعامه وشرابه ولباسه ، والخصومة بينهما في ذلك متصلة مضحكة ، ولكنهما رغم هذه الخصومة متفقتان في الالم لان الشاب قد تغيرت حياته تغيراً شديداً منذ ثلاثة أسابيع ، فهو شديد الكلف بهذه المغنية الايطالية يقضي معها شطراً من كل يوم حتى نسي خطيبته وحتى أخذ الناس يتحدثون عن كلفه بهذه الفتاة ، وهما تصليان وتضرعان الى الله ان يصرف عن القسيس هذا المكروه وهما تستعينان بدي روشار صديقهما وصديق القسيس وعم خطيبته . وهما تنتظران عودة الشاب بعد حين ولكنهما لا تعرفان من الذي ارسل هذه الطاقة من الزهر دون أن يرسل اسمه معها ولا تفهمان لم لا يريد الشاب ان يأخذ الشاي معهما ولا تعرفان هذا الشخص الذي سيتناول الشاي مع القسيس

وقد أقبل صديقهما دي روشار ، فقصتا عليه القصة وألحتا عليه في أن يحاول صرف الشاب عن هذه المغنية الاجنبية فيعدهما وينبئهما بأن الامر يعنيه كما يعنيهما لانه يحب القسيس كما يحبانه ويعلن اليهما ايضاً أنه سينتظر الشاب ليتحدث اليه ، فتنصرفان عنه ، ولا يكاد يخلو الى نفسه حتى تقبل المغنية فيلقاها دهشاً ! اما هي فيصيبها شيء من الذهول ثم يتحدثان فنفهم من حديثهما أن الحب قد اتصل قوياً عنيفاً بينها وبين الشاب وان هذا الحب على قوته وعنفه طاهر بريء يقوم على اكذوبة او على طائفة من الاكاذيب ، فان الفتاة لم تستطع ان تنبىء صاحبها بحقيقة امرها ولا بما تشتمل عليه حياتها من الآثام وانما تركته يصورها كما أراد له خياله وحبه نقية طاهرة مثالاً للفضيلة والبراءة والطهر . وهي تستعذب هذا الحب الافلاطوني ولا تريد ان تكذب ظن الشاب ، ولم تكذب فلتة وستعود الى أوربا بعد خمسة عشر يوماً فتنقطع بينهما الاسباب وتكون قد سعدت في حياتها بحلم لذيذ . ولكن دي روشار يلفتها الى ان الامر أشد خطراً مما تظن فالشاب يحبها حقاً وسيطلب اليها ان تكون زوجه وليس الى ذلك من سبيل ، وهو يقترح عليها ان تسافر من الغد وان تنصرف الآن دون ان تراه وهي مستعدة للانصراف ولكن القسيس قد اقبل وما يكاد يراها وتراه حتى ينسيا كل شيء وينصرف كل منهما الى صاحبه ويضطر دي روشار الى ان يدعهما حيناً . وهنا موقف بين العاشقين شديد التأثير حقاً فيه لين ودعة وعذوبة ، وفيه حب يبلغ به العنف اقصاه ولكنه سعيد كله غبطة وأمل ، ثم فيه امل تنفطر له القلوب وتتحرق له النفوس شعاعاً ، انظر اليه راضياً مغتبطاً شديد الابتهاج بزيارتها إياه ، انظر اليه في وداعة الطفل يظهرها على ما في غرفته من متاع ، انظر اليه يظهرها على صورة أمه التي ماتت شابة ، واسمع له يتحدث عن أمه : يصفها بالجمال وعذوبة الخلق ورضا النفس ، واسمع له يذكر أمه وما كانت تشعر به لو أنها رأت صاحبته ، ثم انظر اليه يهدي الى صاحبته عقد أمه وهي تأخذ هذا العقد وتطوق به جيدها ، ثم اسمع لهما يغنيان معاً صوتاً كانت أمه تغنيه ، ثم انظر اليهما وقد نسيا كل شيء ، ففي كل منهم

في صاحبه وقد اقبل اليها فضمها بين ذراعيه لحظة ثم اطلقها وهو يطلب اليها ان تكون له زوجاً . هنا تعود الفتاة الى نفسها وتذكر حياتها الآثمة ويحس منها هذا ، ولكنهُ قسيس وهو يحب فما اسرع ما ينتهي به حبه ودينه ومركزه الديني ايضاً الى العفو ، فهو ينسى ماضيها بل يمحوه وهو يلح عليها في ان تكون له زوجاً وهو يعلن اليها مبتهجاً أنهُ سيدعو عمتيه ودي روشار لينبئهما النبأ . فلا تكاد تسمع اسم دي روشار حتى تضطرب ويريبه هذا الاضطراب . والعجب انه نسي كل ماضيها وعفا عن آثامها جميعاً ولكنه شديد الحرص على ان يعلم انه لم يكن بينها وبين هذا الرجل شيء ، هو يلح عليها وهي تتردد حتى اذا اشفقت عليه من الحق كذبت وزعمت له انه لم يكن بينها وبين هذا الرجل شيء ، فيستحلفها على التوراة فتهم باقسام اليمين ولكن دي روشار قد اقبل ، فينبئهُ القسيس بحبه وخطبته ، ولكنه لا يرى منهُ ابتهاجاً فيريبهُ ذلك ، وانظر اليه قد اندفع به الحب والريب حتى انتهى به الى ذهول يشبه الجنون فهو ماثل أمام هذا الرجل وهذه المرأة يستحلفهما على التوراة ان لم يكن بينهما شيء فأما الرجل فقد رق له فكذب عليه ، وأما المرأة فقد كان حبها من القوة والصدق والاخلاص بحيث حال بينها وبين الكذب مرة أخرى . فاسمع لها تعلن في صراحة وألم انها كذبت وان هذا الرجل قد كذب ايضاً وانها كانت خليلتهُ منذ سنين وان آثامها في الحياة اكثر عدداً من صلوات القسيس وانها اتخذت جسمها تجارة وانها لا تصلح له زوجاً وانها تنبئه بهذا كله لانها تحبه حقاً . أما هو فقد فقدَ رشده او كاد وهو الآن جالس مطرق وقد انصرف عنهُ الرجل وهمت هي أن تحدثه فلم يسمع لها فتنصرف حتى اذا سمعت الباب يغلق من دونها أغرق في البكاء كأنه طفل

***

فاذا كان الفصل الثالث فنحن في الفندق الذي تقيم فيه المغنية وقد مضت على ما كان في الفصل الثاني . ونحن نرى خادم المغنية قد جلست الى النار تهيء طعام سيدتها وفي الغرفة اضطراب يدل على استعداد للسفر . وانا أعفيك ـ كارهاً ـ من ضروب الحوار المضحك بين هذه الخادم وأهل الفندق وأعفيك أيضاً من كثير من الحوار اللذيذ لانتهي بك مسرعاً الى القصة

فقد اقبل دي روشار معلناً ان المغنية قد ظفرت في مسرح الاوبرا بفوز لا يشبهه فوز وانه ينتظرها في هذه الغرفة ، وما هي الا ان تقبل الفتاة رائعة مروعة ايضاً قد انفقت جهداً عظيماً لتخفي ما تحس من ألم ولتؤدي واجبها في الاوبرا وقد انتهت من هذا الجهد ووصلت الآن الى غرفتها فتستطيع ان تستسلم لآلامها وهي مستسلمة لهذه الآلام ، أليست منصرفة عن صاحبها هذا ، منصرفة عن خادمها ، منصرفة عن هذه الجموع التي اقبلت من الاوبرا تشيعها وتهتف باسمها ، منصرفة عن كل شيء قد القت بنفسها على الارض مفكرة او كالمفكرة والناس يحاورونها ويلحون عليها وهي لا تجيب الا في كره وسخط وانظر اليها تنهر خادمها في عنف ثم لا تلبث ان ترق لهذه الخادم فتقبلها في حنان ، وانظر اليها معرضة عن صاحبها حتى اذا همَّ ان ينصرف

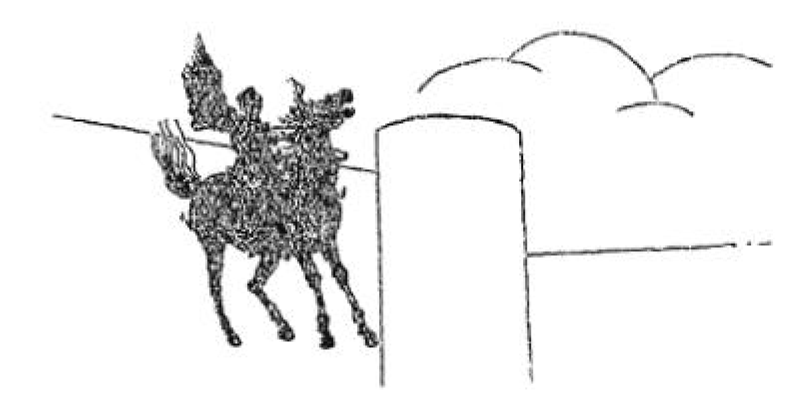
امسكته ، هي ذاهلة لا تفكر الا في صاحبها القسيس وما بعثت في نفسه من الالم منذ حين ، وهي تتحدث بذلك الى نفسها مرة والى صاحبها مرة اخرى حتى اذا عجزت الخادم وعجز صاحبها عن تسليتها او حملها على ان تأكل انصرفا عنها تخلت الى نفسها وما هي الا ان اقبلت على الصلاة جاثية . ولكن بابها يطرق مرة ومرة ومرة اخرى ، فتنهض وتفتح الباب واذا القسيس مقبل في شكل بشع رائع ، مضطرب اشد الاضطراب ، ظاهر الذهول ، حائر الطرف ، لا يكاد يبين ، قد جلل الثلج ثيابه ودلت هيئته على انه قد هام على وجهه غير قليل ، وهو يرتعش من البرد . فاذا سألته فيم اقبل اجابها اجمل جواب وابدعه واشده في النفوس تأثيراً اجابها : لقد خرجت فهمت ساعات لا ادري اين انا والى اي وجه اقصد ولقيتني فتاة سألتني عن طريقها وكنت انت هذه الفتاة ،منذ ذلك الوقت اختلفت عليّ صور منك لا تحصى ، رأيتك طفلة بائسة تعسة ، ورأيتك فتاة تتغنى في الشوارع ورأيتك باغية تسرف في الاثم ورأيتك لاهية ، ورأيتك جميلة ، ورأيتك دميمة ، رأيتك في عزة ، ورأيتك في ذلة ، واحاطت بي منك صور لا تحصى ، ومضيت وهذه الصور من حولي حتى مررت بكنيسة كاثوليكية من كنائسكم فدخلت وجثوت وصليت وفهمت ... فهمت اني آثم ... آثم حقاً ، مسرف في الاثم ، فهمت اني أثر ، فهمت اني مقصر لم اؤد واجبي ، كان حقاً عليّ ان انقذك بعد ان رأيتك فيما رأيتك فيه من اثم وذل وألم ولكني آثرت نفسي عليك ففررت منك ... نعم فهمت وجئت الآن لاؤدي هذا الواجب

أما هي فما كادت تسمع حديثه هذا حتى أخذها شيء من الذهول أشبه شيء بذهول الصوفية ، وفي الحق انها تغيرت تغيراً تاماً وانقطعت الصلة بين حياتها القديمة وحياتها الجديدة . فاسمع لها تهوّن على صاحبها القسيس وتنبئه بأنه قد بلغ ما كان يريد لانه قد استنقذها من الآثام وطهرها من الرجس فجحدت حياتها الماضية وابتدأت حياة جديدة او قل خلعت شخصها الاول واستحالت الى شخص جديد . واسمع له وهو يسألها أن تعده ألا تقدم منذ اليوم على اثم وألا تكون منذ اليوم اداة لهو وعبث . فتدفع له كتاباً قد كانت كتبته فيه هذا الوعد ، ولكن قراءة هذا الكتاب تغير من صاحبنا كل شيء ، فانظر الى نفسه وعواطفه وشهواته الانسانية وقد ثارت ثورة عنيفة منكرة فمزقت ثياب القسيس والقتها عنه واذا هو رجل قائم يحس ويشعر ويحب ويشتهي ويرى أمامه موضوع حبه وشهوته ، واذا هو يعلن هذا الى الفتاة في عنف ويسرع اليها فيضمها اليه واذا هي تضطرب بين ذراعيه اضطراب الطامع المشفق يرغبها حبها في الاسماح ويصرفها ما نذرت عن اللهو واذا هي تضرع اليه ان يخليها وترغب اليه في ألا يكون كغيره من الناس وألا يتخذ جسمها كما اتخذوه متاعاً واذا هي تعلن اليه في ضراعة واشفاق ورهبة ان امرها بين يديه ان شاء تركها صالحة وان شاء ردها الى حيث كانت من الاثم والفساد . واذا كلماتها ورغبتها ورهبتها واشفاقها تؤثر في هذا الرجل فتنطلق ذراعاه عنها قليلاً قليلاً . واذا هو جاثٍ مطرق مغرق في تفكير عميق ،

ولكن الليل قد انتصف وابتدأت السنة ودقت أجراس الكنائس وانطلقت بالصلوات ألسنة المؤمنين ، وكأن هذا كله قد انتهى الى القسيس فايقظه من نومه فينهض متثاقلاً يمر يده على جبهته يعتذر ويستأذن في الانصراف ليلحق بالمصلين وانظر اليه يخرج متثاقلاً وان الظلمة لتنتشر في الغرفة شيئاً فشيئاً حتى تغمرها وتخفي فيها كل شيء واذا المسرح يتغير فجأة كما تغير في اول القصة واذا نحن في حجرة الاسقف حين تركناه في اول القصة ويقص على حفيده ما كان من امره في شبابه . والفتى يسأله : ثم ماذا كان من امر هـذه المغنية ؟ فيجيبه لم اعلم من امرها شيئاً ، انما قصصت عليك هذه القصة لتعلم ان تقدم السن لي لم ينسني اني كنت شاباً واني قد احببت ، ففكر في امر زواجك قبل ان تقدم عليه ، وادع لي اختك فانها لم تتم لي قراءة الصحيفة . ويخرج الفتى فيدعو اخته فتقبل وتستأنف القراءة فاذا هي في الاخبار البرقية واذا هي تقرأ هذا العنوان : موت مغنية شهيرة : كافاليني . فاذا سمع الاسقف هذا الاسم اضطرب قليلاً وطلب الى الفتاة ان تقرأ فتقرأ ان هـذه المغنية التي ماتت قد انقطعت عن الغناء وانصرفت عن المجد وزخرف الحياة في ريعان شبابها منذ سنة ١٨٧٣ ووقفت ثروتها الضخمة على اعمال البر ، وان الفتاة لتقرأ واذا الاجراس تدق ، فقد انتصف الليل وابتدأت السنة والقت الفتاة صحيفتها وتقبل على جدها تهنئه وتقبله ولكنها ترتد عنه قائلة : ارى خدك مبتلاً ! ... وخدك الآخر ... انك تبكي ... ـ كلا يا ابنتي ولكن اين اخوك فتدعو له الفتى ، فاذا اقبل مبتسماً دفع الشيخ اليه الصحيفة وقال له : اقرأ هـذا . فاذا حاول الفتى ان يظهر شيئاً من الدهش دعاه الشيخ الى الصمت قائلاً : اتذكر صاحبتك الممثلة ، اتخذها زوجاً ، وانه ليقول ذلك وان القصة لتنتهي بينما تصل الى الآذان من بعيد جداً أنغام هذا الصوت الذي سمعناه أول القصة :

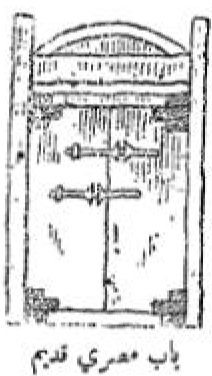
« أتعرف ذلك البلد الذي يزهر فيه البرتقال ... ؟ »

طه حسين



المنزل المصري القديم

شكله وأثاثه



باب مصري قديم

انصرفت عناية المصريين القدماء الى القبور والتهيؤ للعالم الآخر . ولذلك قلما نجد اثراً لم يكشف في غير قبر او معبد . والحق ان معابدهم كانت من الفخامة والروعة ورونق البناء بحيث لا نجد لها مثيلاً الآن . فمعبد الاقصر لا يزال للآن اكبر معابد القطر المصري بما في ذلك المساجد والكنائس . والارجح ان المنازل العظيمة كانت تبنى على هيئة المعابد لأن فن العمارة الحجرية يرجع في الاصل الى القبور والمعابد

وكان الاهلون كما ذكر ذلك ديودور الصقلي يبنون منازلهم بالقصب على ربوات عالية من الارض حتى اذا طغى فيضان النيل لم يبلغ البيوت . وكانوا يطينون القصب . فلما عرفوا اللبن الذي يجفف في الشمس صاروا يبنون منازلهم به ولعله لم يكن يفعل ذلك سوى المتوسطين والاغنياء



منزل مصري

قال ماريت باشا الاثري المعروف : « ان المؤلفين الذين كتبوا عن الازمنة الماضية يخبروننا ان المصريين القدماء لم يكونوا يبالون كثيراً بمساكنهم مدة حياتهم ولكنهم كانوا يعنون اكبر العناية بمنازلهم الابدية حيث يرقدون بعد الموت . ودرس الآثار يتفق واقوال هؤلاء الكتاب الاغريق والرومانيين . فان منازل المدن كانت صغيرة ضيقة مبنية بالخشب او باللبن المجفف في الشمس وذلك في حين ان القبور قد قاومت الدهور . وكان اثاث الجنازة لا يساويه سوى ترف القبر . وكم من اثاث وتماثيل واعمدة وتمائم كانت تجمع حول الميت حتى ليدهش لها المنقب . وعلى عكس ذلك نجد مما نعرفه من المدن المصرية ان الحياة في الهواء الطلق تجعل معظم السكان ـ كما هو الحال في الشرق الآن ـ يستغنون عن ادوات الترف التي هي حاجة من حاجات حضارتنا الراهنة . وان المنازل المصرية القديمة لم تكن تصرف الى بنائها عناية كبيرة »

وكانت واجهة البيت ساذجة تشبه كثيراً واجهات المعابد وكانت بها نوافذ على هيئة الهرم الناقص . وكانت النوافذ في الطابق الاسفل صغيرة بها عمد مشبكة من الخشب بينما النوافذ في

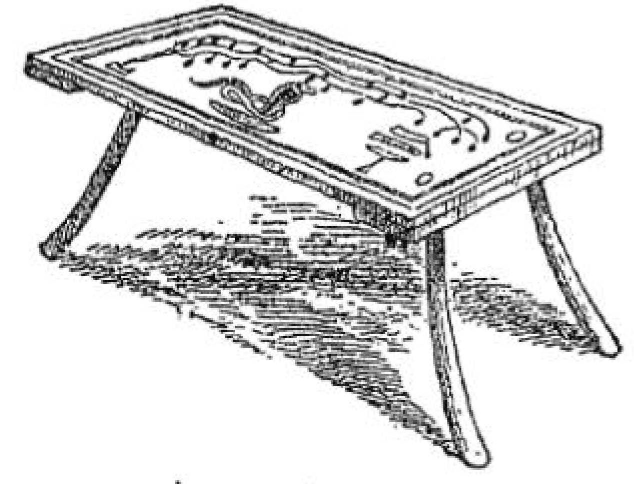
الطابق الاعلى كبيرة · ولعل السبب في ذلك خشية النقب على اهل الدار من اللصوص · وكان فوق الدار رحبة مكشوفة من امام لها اعمدة دقيقة تحمل سقفاً خفيفاً

وكان الباب ذا مصراع واحد او مصراعين ويقفل بمزلاج من الخشب ليس بعيد الشبه من الضبة التي تضبب بها الابواب عند سكان الريف الآن في مصر · ولما عرف الحديد صنع المصريون الاقفال وعنهم اخذ الاغريق والرومان اقفالهم

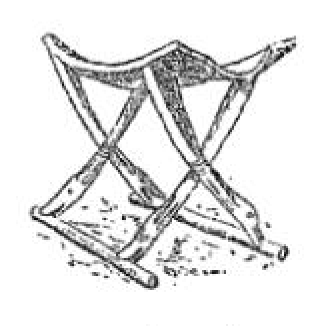
وكان المصريون يغرسون شجرة في صحن الدار يستظلون بها ولعله كانت لها غاية دينية · وكانوا يبنون الغرف تحيط بالصحن · وكان الاغنياء يصنعون فسقية في هذا الصحن

كرسي مصري كبير مزخرف

اما من حيث الاثاث فان الفقراء كما هم الآن لم يكن لديهم منه سوى القليل لان الهواء الحار كما قال ماريت يجعل السكان في غنى عن الاثاث الكثير · والانسان يميل في البلاد الحارة الى السكنى في العراء بعيداً عن اي نوع من الاثاث · ولكننا نعرف من موجودات القبور ان المصريين كانوا يعرفون السرير الذي يشبه العنجريب كما كانوا يعرفون الكرسي · وكانوا يتأنقون في صنع هاتين الاداتين لاجل الاغنياء والامراء والملوك يلبسونها بالعاج والاحجار ويصفحونهما بالذهب واكثر ما تكون ارجل الكراسي والاسرة مصنوعة بهيئة ارجل البقر · وذلك لان البقرة كان من المفروض انها تحمل الموتى الى العالم الآخر · وكانوا يصنعون



مائدة مزخرفة ذات ثلاث قوائم



كرسي يطبق



كرسي صغير بلا ظهر

موائد الطعام برجل واحدة او بثلاث . اما تخوت الملابس فكانوا يصنعونها بهيئة الصندوق له غطاء هرمي يفصل منه وكانوا يلبسون كل هذه الاشياء بالاحجار الكريمة . وبعض اثاث المصريين



مائدة مصرية بقائمة واحدة

مائدة مصرية قائمة على تمثال اسير

القدماء لو عرض في معرض للاثاث ولم يكتب عليه تاريخه لظن الناظر اليه انه من الطرف الجديدة التي تأنق في صنعها صانع حديث



كرسي مصري (في المتحف البريطاني)

كرسي مصري (في المتحف البريطاني)

أسرار الدماغ

بقلم الدكتور نقولا فياض

الدماغ هو تلك الكتلة الرخوة ذات الثنيات (التلافيف) التي يجري الدم في كل ناحية منها ساقياً مغذياً والتي يحيط بها غشاء رقيق فوق غشاء فوق آخر ضمن وعاء من العظم لا مسحة للجمال عليه يقال له الجمجمة يغطيه نسيج بين النعومة والخشونة نسميه جلداً روجياً

ولقد كتبت في عدد سابق عن بعض صفات هذا الدماغ وبحثت فيه من حيث علاقته بالحوادث الغريبة والمتناقضة التي تعرض للانسان في يقظته ونومه من احلام وهذيان وجنون وغير ذلك ووعدتك أيها القارىء أن أتم البحث قريباً وهأنذا أفي اليوم بوعدي

يجب ان تعرف اولاً ان التقسيم الذي ذكرته لك قبلاً وسأتبعه اليوم هو تقسيم خيالي والغاية منه تقريب هذه الحقائق الى الافهام وتسهيل ادراك الوظائف المختلفة التي يؤديها العقل

قلت فيما مضى ان العقل قسمان باطن وظاهر . أما الظاهر فهو ما تعودنا ان نسميه « الادراك » اي القوة الحرة المدبرة المسئولة اي البقعة الظاهرة من سماء العقل البشري التي يتجلى فيها كوكب الذاتية المعبر عنه بكلمة « انا »

واما الباطن فهو تلك القوى الكامنة وراء هذه البقعة

فكما ان نجوم السماء التي تبدو للعين كل ليلة ونقدرها بالملايين وهي لا تتجاوز الثلاثة الآلاف عداً ليست الا جزءاً صغيراً من عالم اللانهاية ووراءها من الشموس غير المنظورة ما لا يعلم عدده الا الله كذلك سماء الادراك ليست الا جزءاً صغيراً من العالم العقلي الواسع ووراءها قوى كثيرة نسبة الادراك اليها نسبة السماء الظاهرة الى فضاء اللانهاية الذي لا نراه

انا اعلم انني بهذا القول لم ازدك بياناً ولم اعطك برهاناً فما تكون يا ترى هذه القوى وكيف نشعر بها ؟ هل في الانسان الظاهر انسان خفي يعيش عيشته الخاصة وتلك القوى تشرف عليه كما تشرف الشموس المجهولة على الفضاء البعيد ، او تلك هي الروح تدير نظام البدن وتحفظ التوازن في حرارته وتركيب سوائله ؟

لا ريب ان التعمق في التماس الحقيقة يرينا ان هناك ارواحاً عدة لا روحاً واحدة لان حياة الفرد هي مجموع حياة الخلايا وكل خلية كائن مستقل بذاته له عمله الخاص ومهمته القائم بها . الا ان هذا البحث سابق لموضوع اليوم اذا لم يكن خارجاً عن دائرته والقوى التي اريد الكلام عنها هي على ما نعلم من خصائص المادة العصبية في الدماغ ونحن نشعر بها ونستدل على وجودها بما ينشأ من اعمالها ونتائجها فينا

هنا ايضاً استعين بالخيال فأقسم هذه القوى الكامنة وراء الادراك الى قسمين لان ما ينشأ من اعمالها ونتائجها فينا يختلف بعضه عن بعض اختلافاً بيناً وقد يكون في هذا التقسيم بعض الدلالة على وظائف كل منها وعلى مدى ما يمكن ان تصل اليه من العمل والتأثير في حياة الانسان وتقدم العمران

فالقسم الاول هو ما نسميه قوى تحت الادراك والثاني قوى فوق الادراك

قوى تحت الادراك

الانسان بالنسبة الى قواه العاقلة كالغني الذي يجهل مقدار ثروته ويرى نفسه مع ذلك قادراً ان ينفق منها بلا حساب فان كثيراً من اعماله العقلية ترافقه في خطوات الحياة وتجري في خدمته كل حين من دون ان يشعر ، مثلاً : اذا اخذت في حل قضية او نظم قصيدة او ايقاع نغم على البيانو فهل تظن انك في حاجة لان يتوارد على ذهنك ويتمثل لخاطرك في آن واحد كل ما تعرف من التاريخ والفلسفة والشعر والموسيقى او تتصوره من الاشخاص والاشياء والحيوان والنبات وغير ذلك ؟ تصور حالة الفكر وقد ازدحمت في ساحته كل هذه الصور والتذكارات القديمة والحديثة الموروثة والمكتسبة للاشتراك في عمل ما من اعمال العقل . لا جرم ان صح ذلك ان تنقلب النتيجة الى عكسها فتظلم القريحة ويتعكر الخاطر ويضطرب الفكر ولا ينفعك بحث ولا كد . ولكن ذلك بعيد الحصول فان اكثر قوى العقل تبقى في مكامنها عاملة لحسابها الخاص . ومن هذه المكامن تطل من حين الى حين على الادراك فيستخدمها لمراده ويستعين بها في جهاده . مثلاً تجهد الفكر في درس مسألة اشكل عليك حلها فلا تصل الى نتيجة وعندما تعييك الحيلة ويتولاك اليأس وتهم بتركها والاقلاع عن البحث فيها تجد ان تلك الصعوبة قد زالت ويبدو لك حلها بسيطاً ذلك لان من القوى الكامنة ما تنبه الى نداء الادراك فلباه وساعده في عمله فظننت انك اتيت شيئاً جديداً وهو في الواقع شيء قديم مخزون

نحن اذاً لا نشعر في اية حالة كانت الا بجزء من الف مما نعرف لاننا في كل ساعة ودقيقة وثانية نودع في دماغنا من الصور والحوادث والافكار عن طريق الحواس ما لا قبل لنا بعده لا سيما وان اكثر ما ينطبع فينا ينطبع بغير انتباهنا وارادتنا فضلاً عما تحمله الينا الوراثة . فالدماغ مستودع هائل لقوى لا حد لها وما الحب والبغض والاهواء على اختلافها والعقائد والخرافات التي تظهر فينا من حين الى آخر الا آتية عن هذه الطريق

اذا عرفنا ذلك امكننا ان نسمي هذه القوى الكامنة تحت الادراك قوى الذاكرة ولكن الذاكرة بأوسع معانيها ذاكرة الفرد وذاكرة السلالة ، ذاكرة الفرد لانها تخزن كل اعمال الحياة وحركاتها منذ يفتح المرء عينيه للنور وذاكرة السلالة لانها تنقل الينا تراث اسلافنا ما ظهر منه

وما خفي . فان دماغنا يحمل من الماضي حملاً عظيماً ونحن كما قال غوستاف لبون : نتكلم بلسان الآباء والاجداد

وما السليقة التي تكون من خلال العصور وما الخلق الذي يمتاز به كل انسان عن سواه ويسمونه بالطبع والفطرة الا من اعمال هذه الذاكرة · نعم قد تغير التربية والبيئة كثيراً من هذا الخلق ولكن الجرثومة او « الخميرة » باقية . تعرف الام والمعلم ذلك ، الاولى مما ترى من الفرق بين اولادها على الرغم من وحدة الحياة البيتية . والثاني مما يقع له من مشاهد الخلف بين التلاميذ على تمتعهم بأسباب من التربية واحدة · وهذا هو الذي يجعل للمرء صفة مستقلة به لانها مؤلفة من مجموع التأثيرات التي طبعتها الايام في طبقات العقل العميقة

وعلى الجملة فان قوى تحت الادراك هي التي تسير الانسان في اعماله اليومية من اكل وشرب ولبس ونوم وعمل وكتابة وتجارة وحب وغير ذلك ولهذا فهي تشمل مراكز التنفيذ التي ذكرها البروفسور كراسه (راجع الرسم في المقالة الاولى) وسماها العقل الادنى تمييزاً لها عن الاسمى الذي هو « انا »

وقد انتقد بعضهم هذه التسمية لانها لا تدل على حقيقة أهمية هذه القوى فان مراكز التنفيذ هي في نظرهم اهم من « انا » لان تربيته تتم بها ولولاها لما اتسعت دائرته ولا وفرت بضاعته ولكن ذلك تلاعب في الالفاظ لا يجب ان نقف عنده . ومهما يكن من اهمية هذه المراكز فالاصل هو « انا » لانه المسئول الوحيد وبدونه لا نظام ولا تمييز ولا سيما لان فيه قوة مستقلة لا تحتاج في عملها الى رأس مال وهي ما نسميه :

قوة فوق الادراك

الفرق بين القوتين ان الاولى قابلة للتغير بما يضاف اليها من المعارف بالخبرة ويخزن في الذاكرة من صور الماضي والحاضر والثانية قائمة بذاتها لا يد فيها للدرس والاختبار

مثلاً : يتجلى لنا حادث قديم لم نره ولم نفكر فيه من عهد عهيد او يقطع الطفل مسافة الارتقاء العقلي التي صرفت الانسانية عصوراً في اجتيازه فيتحول في وقت قصير من طفل همه الاكل والنوم والبكاء الى رجل يعمل ويفكر ويتكلم ففي الحالتين يكون تعليلنا واحداً وهو ان هناك قوة كامنة تحت الادراك هي التذكار الفردي كما في الحادثة الاولى او التذكار الوراثي الذي يكتسبه المرء على مر العصور وتعاقبها كما في الحادث الثاني ولكن يأتي احدنا عملاً خارق العادة هو نفسه لم يكن يحلم به ولا ابوه ولا جده من قبل فلا يمكننا القول بقوة مكتسبة او موروثة بل بقوة ذاتية مخترعة لا علاقة لها بسواها

واذا كانت تسمية « تحت الادراك » مطابقة للواقع لانها ترسب في اعماق طبقات العقل

فتسمية «فوق الادراك» لا تكون مخالفة له لانها تشرق عليه كالنور من اعلى الافق فتنزل على الانسان الوحي وتفتح له ابواب النبوغ وتهديه طريق الاختراع

ان الاختراع لا يختص بالعصور المتمدنة كما قد يتوهم البعض بل هو نتاج كل العصور حتى الزمن الاول قبل التاريخ وفي فجر الانسانية شهدت الارض نوابغ واقلت مخترعين · من يكون يا ترى الرجل الذي اكتشف النار او اخترع الابرة؟ ان آلة الخياطة «سنجر» قد ادهشت المرأة اليوم فتصور دهشة المرأة البدوية الاولى عندما رأت نفسها قادرة في قليل من الوقت بابرة من عظم وخيط مفتول من الياف النبات ان تجمع بين جلد دب وآخر فتخيط قباء لزوجها ومسماة للصيد · ليس فينا اليوم من يرى عجباً ان يمسك الماء في الاناء ولكن الفكرة الاولى التي خلقت هذه الصلة بين ماء جار وصلصال يعجن فيطبخ فيصاغ وعاء لم تكن فكرة عادية لأنه لا نسبة بين الماء والكاس . بل ان النسبة بينهما هي كالنسبة بين تفاحة نيوتن والجاذبية او مكروب باستور والامراض · فاذا كان الاختراع قديماً فذاك دليل على ان العقل البشري هو هو لم يتغير وما يتغير فيه هو مراكز تحت الادراك بما تطبعه الايام فيها . واما فوق الادراك فثابتة الا انها كما قال بعضهم كالثوب المطوي يتفتح شيئاً بعد شيء وكما انكشفت من طياته واحدة ظهر بها رواء جديد

هذه القوى فوق الادراك موجودة في كل انسان اي ان كل انسان ذو استعداد لان يكون نابغة ومخترعاً · كيف ومتى ؟ لا نعلم ولكن ما لا ريب فيه ان هذا الاستعداد موجود · موجود كما توجد السنديانة في بلوطة وكما كان دانت و باستور وغيرهما كامنين في خلية · قوى مطوية تنتظر ان تدق الساعة لتكشف طياتها الخالدة · ومتى دقت الساعة لانسان رفعته فوق معاصريه وجعلته من النوابغ السابقين جيلهم كنبات البلاد الحارة الذي يخرج زهره الى علو امتار في ليلة واحدة بينما سواه يتبع عمل الطبيعة البطيء متدرجاً من الكم والبرعم الى الزهر والثمر

كل معارف الانسان وعلومه لا تصل الى اختراع ان لم يشرق عليها شعاع من طبقات العقل السامية وقد يكفي هذا الشعاع وحده للعمل العظيم فان باسكال استنبط حقائق الهندسة في الحادية عشرة من عمره اي في الزمن الذي لا يشغل فيه عقل الفتى غير اللهو واللعب · وظهور آثاره في زمن البداوة كما بينا دليل على ان العلم والدرس لا يستطيعان استعباد هذه القوة او التأثير فيها مباشرة · اما كلمة بوفون «النبوغ صبر طويل» فربما كان احسن واصدق تفسير لها هو ان المثابرة على البحث وطول التفكير بتنبيههما المتواصل خلايا الدماغ قد يساعدانه على الظهور فيصل الانسان من حيث لا يدري الى اماطة الحجاب عن بعض الحقائق المجهولة · على كل حال يتعذر على من ينتظره النبوغ ان يحدد وقت ظهوره او يجعله قيد ارادته مهما كد وجد

ولو امكننا ان نسأل كبار الشعراء والمصورين والمخترعين مثل دانتي و بتهوفن وليونارد دي فنسي ونيوتن ولافوازيه عن كيفية نبوغهم لما استطاعوا ان يصوروه لنا الا كوميض فجائي يسطع

في سماء الادراك في ساعة من العمر . ألم يتفق لك ايها القارىء ان تطل يوماً من نافذة غرفتك في ليلة حالكة السواد دون ان ترى شيئاً واذا بالبرق قد اومض فبدت لك بأسرع من لمحة اشباح الاشخاص والاشياء هنا شجرة وهناك حجر والى اليمين بيت والى اليسار مجرى ماء ? هكذا النبوغ الذي يفتح للانسان ابواب المجهول ان هو الا وميض البرق في ظلام العقل البشري والقوة المنبعثة كالنيزك من اعلى سماء الادراك لتضيء فضاء الوجدان وتكشف غوامض الوجود

هذه القوة التي لا تتاح لكثير من الناس في حياتهم القصيرة قد تظهر مرة في عمر الفرد وقد تكون متتابعة الظهور فتفيض على صاحبها أنوار الحقائق الخالدة ولنا مثل على الحالة الاولى أي ظهورها مرة في العمر (شوان) صاحب الرأي الخلوي فانهُ وقف عند هذا الحد ولم يأت بعده بشيء جديد وعلى الثانية أي ظهورها المتواصل (لافوازيه) أبو الكيمياء الحديثة فان من يطالع حياة هذا العالم يأخذه الدهش والاكبار لما فيها من العجائب فكم فتح من باب للبحث وكم كشف من حوادث نراها اليوم بسيطة وقد عمي عنها ألوف الباحثين قبله ، حلل الماء والبارود والكحول واكتشف الاختمار وعلل الحرارة في الاحياء وتوصل الى وزنها ونظم الكيمياء وخلق الحرارة الكيمية ولم يمنعهُ هذا عن الاهتمام بالاقتصاد السياسي والصناعة فكان السابق في كل موضوع وكالنسر حيثما أجال بصره وقع على شيء . ولولم تقطع الثورة حبل حياته لأورثنا كنوزاً أخرى هي اليوم في عالم الخفاء تنتظر نابغة غيره لحل طلاسمها

تبين مما تقدم ان في الدماغ قوتين كامنتين الاولى تربطنا بالماضي لانها مستودع التذكار والثانية بالمستقبل لانها مستودع الرقي وكلتاهما لازمة للانسان في نشوئه وارتقائه بل الثانية أسرع عملاً لانها تنفجر انفجاراً فتقصر طويل الامد وتقرب بعيد المدى وربما جاء يوم يكون فيه ما نسميه نبوغاً حالة عادية من حالات الادراك في سلالة أرقى منا . وكما نشأ الشعور البسيط في الخلية التي لا تُرى الى ان تكون منها مع الزمن حاسة النظر الدقيقة سيرتقي ذكاء الانسان الى حاسة نظر معنوية يصل بها الى معرفة ما يجول في ضمير سواه فتصير خواطر الناس كتاباً مفتوحاً للناس وتصبح قراءة الافكار من الحقائق الملموسة الميسرة للجميع

ولا تخفى الفائدة العظمى التي يجتنيها الانسان من وراء هذا الارتقاء اذ يبطل الكذب والرياء ويتغير شكل تنازع البقاء وتزول آثاره الوحشية وتنتشر بين الافراد والجماعات عواطف التسامح وتشتد أواصر الالفة والاخاء ويشرق فجر من الحياة جديد لانسان على الارض جديد

هذا حلم من الاحلام أسره الى القارىء وما تحقيقه بالمستحيل لان الانسانية كما هي اليوم لا تزال في حال الطفولة ولا ريب أن في الخفاء عالماً جديداً من المعرفة والشعور سينفتح للاجيال الآتية لان الوجود لا حد له والذنب على حواسنا اذا قصرت عن الامعان فيه

الدكتور نقولا فياض

بعض امراء العرب

بقلم امين الريحاني

يعني الكاتب المفكر امين الريحاني اليوم بتأليف كتاب عن « نجد الحديث وملحقاته » مشتملاً على نبذ ثلاث هي : نواحي نجد ، محمد عبد الوهاب والوهابية ، آل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد . ويليها تاريخ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود وفتوحاته . وقد مهد لهذا الاخير بذكر بعض الامراء الذين كانوا سائدين في الشطر الشرقي ، او في قسم منه ، من شبه الجزيرة يوم كان ابن سعود منفياً في الكويت . وقد تفضل الاستاذ الريحاني بالفصل الطلي التالي لهذا الجزء من الهلال

[المحرر]

الشيخ مبارك الصباح . امير الكويت . تولى الامارة { ١٣١٣ — ١٣٣٤ هـ / ١٨٩٥ — ١٩١٥ م

كان حاد المزاج ، شديد البأس ، كثير التقلب . فيه شيء من الاسد واشياء من الحرباء . بدوي الطبع ، حضري الذوق . تارة يجبه الخصم ، وطوراً يجامله . وكان كريماً جواداً ، بل كان مسرفاً ، يسترسل الى الترف والبذخ ، ويقدّم ، بعد حبه للمجد والسيادة ، نواعم العيش ونوافله على كل شيء سواها

اما سيف مبارك فقد كان مثل سياسته ذا حدين . قتل اخويه محمداً وجرّاحاً طمعاً في الامارة ، وحبّاً للمجد ، فكان اميراً مجيداً . هو من اولئك الحكام المتفردين بالحكم الذين يرهقون الامة بالضرائب ليحيكوا لها حللاً من الفخر والمجد

شيد قصوراً في الكويت ، وهدم قصوراً في السياسة . كان يلقب بـ « الحواقة » من حاق ومرادفاتها مثل دار ولف ، اي ما يراد به السير على عكس الخط المستقيم . نصف عمله سر لا يدركه سواه ، والنصف الآخر خدعة باهرة ، او خدعة مضحكة ، او خدعة كثيفة مدلهمة

لاعب العشائر وغالبها ، واجزل لها العطاء ، فأخذت ماله وهداياه ، ودعت لاعدائه

خطب الدولة العلية ، ولا مهر غير الحب والاخلاص — نقسم بالله العلي العظيم اننا مخلصون للدولة ونفديها بدمنا — فكُتب كتابه عليها ، ففتحت له قلبها المحنّط المضمخ بالطيب

غازل الدولة البريطانية ، فبادرت اليه ويدها على قلبها المقفل بعشرة اقفال ، وبنت لها حصناً في ظلال قصوره

احب آل سعود فطوقهم بذراعيه — انتم اعز من اولادي — ثم ضرب بهم عدوه ابن الرشيد

احب العجمان ، ثم حار بهم ـ نحزمكم كالحطب بالله ونحرقكم ونحرق دياركم ! ـ ثم اشعلهم حرباً على ابن سعود

ولكنهُ احب الامير خزعلاً حباً جماً ، حباً صافياً ، حباً جميلاً . فبنى خزعل قصراً في الكويت ، و بنى مبارك قصراً في المحمرة ، فكان الاثنان يجتمعان ، اما على ضفاف قارون او على شاطىء الخليج ، ليقضيا اياماً وليالي بين سرب من القيان والراقصات ولسان حالها يقول : بعداً للسياسة والحروب

* * *

الامير محمد بن الرشيد . امير نجد . تولى الامارة ١٢٨٨ — ١٣١٥ هـ / ١٨٧١ — ١٨٩٧ م

كان امير الحاج العراقي يوم كان بندر ابن اخيه طلال متولياً الامارة . وعندما قام بندر واخوه بدر على عمها متعب فقتلاه ، رحل محمد عمها الثاني الى الرياض ، ولاذ بالامام عبد الله ابن سعود ، فوفق بينه و بين ابني اخيه ، فأمنه بندر على حياته ، وكان قد تولى الحكم ، فعاد محمد الى حائل واستمر اميراً للحاج

ثم طمع بامارة اكبر منها ، وقام بعد ثلاث سنوات يحقق مطامعه . قيل انهُ قام يثأر لاخيه ، وقيل انهُ قام يرد السيف الذي ذبح اخاه وكان يومئذ مسلطاً عليه . ومها تعددت الاقوال فالقول الذي لا ريب فيه هو ان سيف الامير محمد تقاضى خمسة رؤوس بدل الرأس الواحد . فقد قتل بندراً واخوته الاربعة ابناء اخيه طلال

يا لكِ من قبرةٍ بمجحرِ   خلا لك الجو فبيضي واصفري

صفر الامير محمد للقبائل فتبعته مختارة او مكرهة ، فكتب له النصر في حروبه كلها

ولكنهُ قال في خطبة خطبها في ساحة حائل يبرر قتله ابناء اخيه : يا مسلمين ، ما قتلتهم والله الا خوفاً على هذه (وضرب رقبته بيده) هموا بقتلي فسبقتهم ومنعتهم . وهل تظنون ان من ذبح اخي متعباً يعفو عني ؟

تولى الامير محمد الامارة فكان كبيرها و كبير شمّر ، بل كبير العرب في ايامه . فقد استولى على بلاد نجد جمعاء حتى وادي الدواسر ، وكان في حكمه عادلاً ، وكان حليماً . ولكن البدو كانت تقول انهُ ضعيف في حكمه لانهُ لا يقطع رؤوس المجرمين ـ لا يقط الرؤوس . كأن الامير محمداً آلى على نفسه ، بعد ذبحه ابناء اخيه الخمسة ، ألاَّ « يقط الرؤوس » الا في الحرب

اما في السياسة فلم يختلف كثيراً عن زميله « حواقة » الكويت · ولكنهُ كان ابعد نظراً ، واسد رأياً منه · هو من أولئك الحكماء الذين يقدرون الناس بعقولهم و يعاملونهم بموجب ذلك

قد كانت له طرائق ثلاث في التغلب والاستيلاء ، اسماؤها ، الكرم ، والسيف ، والارهاب · فيستميل اليه من يستطيع استمالتهم بالهدايا ، و يمتشق الحسام على من لا تغرهم هداياه ، و يمشي الى غرضه على ظهور أولئك الذين يخشون سطوته · اجل ، قد كان ولا غرو مهيباً ، ولكنهُ على الاجمال لم يكن محبوباً

* * *

الامير عبد العزيز بن متعب بن الرشيد · تولى الامارة { ١٣١٥ — ١٣٢٤ هـ / ١٨٩٧ — ١٩٠٦ م

حدثني اعرابي من شمّر قال : كان عبد العزيز جالساً للناس في الفلاة يوماً من الايام فأحس شبه لدغة في ظهره ، فحسبها حشرة لا تستحق الاهتمام ، فسكت وتجلد حتى انتهى من عمله · ثم دخل الى الخيمة وطلب احد عبيده ، فرفع العبد ثياب عبد العزيز فاذا هناك بين كتفيه عقرب كبير ، صاح العبد مذعوراً ، ولم يجرؤ ان يمس العقرب ، فتناوله عبد العزيز بيده ورماه خارج الخيمة · ثم امر العبد أن يذرّ على مكان اللدغ رماداً حامياً ففعل · وقام الملدوغ بعد ذلك كأن لم يكن شيء

قد سمعت غيرها من القصص التي تدل على ان عبد العزيز بن الرشيد كان جباراً · وقد كان في الحرب فارساً مغواراً · قال فيه القائد التركي ، الفريق صدقي باشا : هذا فارس كملي · ولكنه لم يكن كملي في غير ذلك · ولا اظنه سمع بالمتنبي وقد كان في الفروسية مثله في الشعر ، وهو مع ذلك القائل :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو اولٌ وهي المحل الثاني

طمع عبد العزيز بن الرشيد في الاستيلاء على الكويت ، فاصطدم هناك بالشيخ مبارك ، فأظهرت الصدمة خصماً آخر ، خصماً جديداً له ولبيته ، هو سميه عبد العزيز بن سعود ، فحار به ، وقضى في حربه نحبه ، بعد ان خسر نصف ملكه

* * *

الشيخ قاسم بن ثاني · أمير قطر

وُلد سنة ١٢١٦ هـ · كما قيل ، وقد توفي سنة ١٣٣١ فيكون قد عاش مائة وخمس عشرة سنة ، قضى معظمها في اكثار النسل الانساني · فقد تزوج ، والعهدة على الراوي ، بتسعين امرأة ، وبعدد

من الجواري عديد . وكان له من الاولاد والاحفاد وابناء الاحفاد ذكوراً واناثاً ما نضرب صفحاً عن عددهم فلا نتهم بالمبالغة . ولكنه كان اذا ركب يركب ستون فارساً في موكبه ، من صلبه

لم يكن الشيخ قاسم او جاسم كما تلفظ هناك ، سيداً على غير عشيرته يوم كانت قطر تابعة لحكومة البحرين . فقام يدعو العشائر كلها الى الاستقلال ، وكان يومئذ قد تجاوز الخمسين من سنه ، فلبت دعوته . وبعد وقعات بحرية وبرية مع اهل البحرين ، وكسرات وغلبات ، حازت قطر استقلالها

ومن عجائب السياسة في الخليج انه كان للانكليز يد ، ولنا ان نقول يد سلبية ، في استقلال قطر . اي ان حكومة بريطانيا العظمى ارسلت عليها سفينة من سفنها الحربية ، فضربت الزبارة عاصمتها بالمدافع ، وصدّت القطارنة عن استيلائهم على البحرين . ثم ارضتهم بأن فصلت شبه جزيرتهم عن جزائر آل خليفة

اما الترك فقد حاربهم ابن ثاني ، فكسرهم في وقعات عدة وذبح عدداً كبيراً منهم ولكنه لم يستطع ان يخرجهم من الحسا . والحق يقال ان الحرب لم تكن من الاوليات في حياة الشيخ جاسم ، ولا همه ان يكون له صفحة ذهبية — او بالحري قرمزية — في التاريخ

ما استهمه المجد . بل استهمه النسل الانساني كما قلت ، واستهمته كذلك تجارة اللؤلؤ . فقد كان يملك خمساً وعشرين سفينة للغوص ، وكان يبذل ما يجمعه من ذي التجارة في سبيل البر والاحسان

ومن احسانه انه كان ولوعاً بجمع العبيد وعتقهم . قيل انه أعتق في حياته اكثر من خمسين عبداً ، وان مماليكه الاحرار اسسوا بلدة في قطر سموها السودان

ومن اركان احسانه الورع والتقوى . « فقد كان حنبلي المذهب ، متصلباً فيه يصرف واردات اوقافه على الجوامع والخطباء والائمة والمدرسين » بل كان هو بنفسه يعلم الناس الدين ، ويخطب فيهم خطبة الجمعة

اضف الى الورع والتقوى اذن فصاحة اللسان ، والى الفصاحة العلوم الدينية والفقهية ، والى العلوم الضمير الحي واليقين ، والى ذلك كله الثراء والجود ، فيكون المجموع رجلاً ولا كالرجال ، عاش قرناً ويزيد في قطر فكان اميرها ، وخطيبها ، وقاضيها ، ومفتيها ، والمحسن الاكبر فيها

* * *

الشاب المجهول

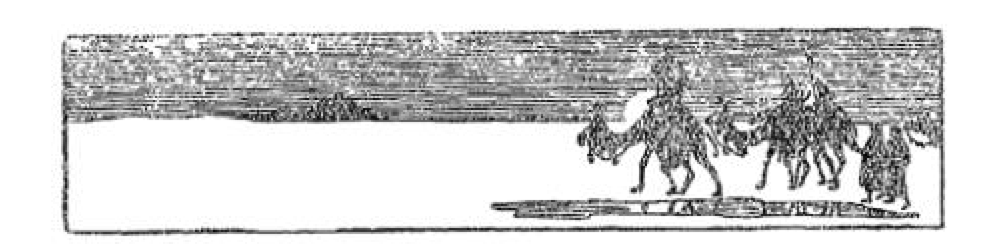
وُلد في الرياض عاصمة ملك اجداده ، فرأى عمومته يتنازعون الملك و يتحاربون ، ورأى العدو على ابواب العاصمة ، وهو يطمع في الاستيلاء على نجد اجمع ، ورأى اباه يحارب في الوقعة الاخيرة و يستسلم الى الله . ثم سمعه ، وهو جالس الى جنبه في الحسا ، يرفض شروط الدولة العلية فسدّت امامه الابواب كلها الا الباب الى الصحراء ، فلجأ الى خيام الشعر وهو مثل اصحابها لا يملك فتراً من الارض ، وليس له غير الثقة الوطيدة العالية ، الثقة بالله ، التي هي كنز الاعرابي الاكبر

ثم سكن الاب الكويت ، وصار الصبي شاباً فيها ، فكانت الذكرى الاليمة رفيقة أفكاره ، وسميرة احلامه . قرأ شيئاً من العلوم هناك ، وهو يفكر في الملك المفقود . جلس امام البحر وهو لا يدري اذا ركبه الى اين تحمله الاقدار ، ثم نظر الى البادية ، وهو يهجس بالملك المفقود . عاشر الامراء والعلماء ، وجلس ساكتاً متأدباً في مجلس الشيوخ ، وهو يحلم بالملك المفقود فتح الكتاب ، ثم القاه جانباً ، وهو يرمق السيف بنظرة كلها شوق وامل

عاش مجهولاً في الكويت ، مجهولاً الا في الاسم والنسب ، وفيما يبدو للناظرين بعيونهم . فقد كان الناس يعرفون ان ذاك الشاب القوي البنية ، الطويل القامة ، البراق العين ، هو عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن سعود

وما كان كبار القوم فكراً وفراسةً يعرفون اكثر من ذلك ، بل كانوا كلهم ، في ظلال سور الغيب ، كالاطفال . جهلوا ما كان يجهله اقرب الناس الى عبد العزيز . حتى اباه وامه . جهلوا ما كان يجهله التاريخ . جهلوا ما كان يجهله الشاب المجهول نفسه . جهلوا كلهم ما لم يكن يعلم به غير الله

امين الريحاني



الدبلوماسية في الاسلام

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

الدبلوماسية هي مجموعة العلائق الخارجية لدولة من الدول ، والاساليب التي تجري عليها هذه الدولة في تسوية شؤونها ومشاكلها الخارجيــة ، وفي معاملة صديقاتها او خصيماتها من الدول الاخرى . هذا على الاقل معنى الدبلوماسية الحديث ، وهذا هو المعنى الذي نقصده في هــذا الفصل بالنسبة للاساليب السياسية التي كانت تتبعها الدول الاسلاميــة المختلفة في علائقها مع الدول النصرانية او في علائقها مع بعضها البعض

ولا ريب ان الدبلوماسية الاسلامية لم تتخذ صيغتها التي تريد ان نعنى بها هنا ، في الحكومات الاسلامية الاولى اعني في عهد النبي والخلفاء الراشدين والدولة الاموية ، فقد كان هذا عهد الفتح والانشاء ، ولم تكن ثمة سبيل لان تنشأ بين الاسلام والنصرانية علائق سياسية اللهم الا ما كان يعقب فتح قطر من عقد الصلح والتعاهد كما حدث في الشام ومصر ايام عمر ، بيد ان هذه لم تكن علائق خارجية الا في معنى من المعاني . ولعل اظهر واهم الحوادث الدبلوماسية في هــذا العهد رسالة النبي العربي الى هرقل امبراطور الدولة الرومانية الشرقية يدعوه فيها الى الاسلام ، وذلك في اواخر السنة السادسة من الهجرة على يد سفيره دحية الكلبي ونفر من الصحابة ، ونص هــذه الرسالة الشهيرة على ما رواه البخاري في صحيحه هو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم ، يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الاريسيين . ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . وارسل النبي مثل هذه الرسالة الى كسرى ملك فارس ، والى ملك غسان النصراني عامل قيصر على الشام . ويروى ان هرقل استقبل رسل النبي بحفاوة ، وصرفهم بأدب . اما كسرى فأهان الرسل وطردهم . ونحن نعرف ما تلا ذلك من فتح الشام وفارس ومصر في خلافة عمر . وهــذا نوع غريب من الدبلوماسية ، بيد انهُ يتفق مع روح العصر الذي اتبع فيه ومع الظروف التي اقترنت به ، فالاسلام المضطرم الناهض كان يرى من حقه ان يفرض تعاليمه على البشر كافة بعد ان اجتاحت هــذه التعاليم جزيرة العرب مهبط وحيه ومبعث رسالته ، ولم يكن امامه ثمة سبيل لاحداث هذه الثورة سوى التحدي والمغامرة ،

ومن كان يتحدى سوى الدولة الفارسية التي ترد سيله من الشرق ، والدولة الرومانية التي ترد سيله من الشمال والغرب ؟

ولم يكن للدولة الاموية نصيب في عقد العلائق الدبلوماسية لانها انفقت اعوامها التسعين في غزوات وحروب مستمرة . ولا نسمع عن هذه العلائق في أيام الدولة العباسية الا منذ عصر هرون الرشيد اذ يروى في التواريخ الغربية ان الرشيد كان يكاتب شارلمان ملك الفرنج وامبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، وانه أوفد اليه سفراءه بهدية فخمة منها خيمة عربية ، وساعة مائية ، وفيل ، ومفاتيح قبر المسيح ، وان شارلمان كان يكاتبه ويهاديه ايضاً [1] ولعل في حوادث الاندلس وقتئذ ما يفسر مصانعة الخليفة العباسي وهو في اقصى المشرق لملك الفرنج في اقصى المغرب . فان عبد الرحمن الداخل الاموي كان قد غلب على الاندلس ، وانتزعها من الخلافة واقام بها دولة قوية وطيدة الدعائم ، وكان بنو العباس يشهدون قيام هذه الدولة الاموية الجديدة بعين الحذر والخوف . وكان شارلمان من جهة اخرى يخشى عاقبة انتشار الدعوة الاسلامية واشتداد ساعدها في جنوب البرنيه ، فكان عليه ان يخمد دعوة الاسلام تأييداً لهيبة الكنيسة ، وان يسحق دولة الاندلس الناهضة احتفاظاً بكبرياء الظفر ، واتقاء لخطر اقتحامها البرنيه وانسياب جيوشها الى ولايات فرنسا الجنوبية كما حدث مراراً من قبل . ولسنا ندري ، ان صحت علاقة الرشيد هذه بشارلمان ، هل كان للرشيد دخل في صوغ سياسة شارلمان نحو الاندلس ، ولكن الذي نعرف هو ان شارلمان كان قد عبر البرنيه بجيش ضخم وحاصر مدينة سرقسطه وان عبد الرحمن الاموي اشرف عليه هنالك بجموعه ورده بخسارة فادحة ، وان المسلمين والبشكنس طاردوا جيش شارلمان في مفاوز البرنيه ومزقوا زهرة جيشه في رونسفال وهي الواقعة التي نظم عنها رولان وصيف شارلمان انشودته الخالدة ، وان عقد الصلح بعد ذلك بين عبد الرحمن وشارلمان ، لم يمنع ملك الفرنج من المضي في سياسة العدوان والكيد لاسبانيا المسلمة

هذا الدور الذي يظهر ان الرشيد حاول ان يقوم به لسحق الدولة الاموية في الاندلس لدى امبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، قد قام بمثله الامبراطور تيوفيلوس امبراطور الدولة البيزنطيه لدى عبد الرحمن بن الحكم امير الاندلس ، فقد كان من عبث المأمون والمعتصم وقتئذ في الاقطار البيزنطية أن اوفد الامبراطور سفراءه في سنة ٨٣٦ (٢٢٥ ه) الى عبد الرحمن بن الحكم بهدية نفيسة ، ورسالة يدعوه فيها الى التحالف ويرغبه في ملك اجداده بالمشرق حقداً منه على المأمون والمعتصم اللذين يعبر عنهما في كتابه بجو بتر ومارز ، فرد عليه عبد الرحمن بهدية فخمة ، و بعث

(١) يظهر أن مؤرخي العرب لا يعرفون شيئا عن هذه المكاتبة والعلائق بين الرشيد وشارلمان بدليل أنهم لا يذكرون شيئاً عنها ، وعبثاً حاولنا ان نظفر في المراجع العربية الكبيرة بما يؤيد معرفتهم لها . وعلى أي حال فان المراجع اللاتينية والفرنجية كلها تشير الى هذه العلائق

اليه سفيره يحيي بن الغزال وهو من كبار الدولة وفحول الشعراء فأحكم بينهما الصلة والتحالف . ولم يغفل الامبراطور قبل ذلك ان يحاول مهادنة الخليفة العباسي بالمفاوضة ، فقد ارسل عقب وفاة المأمون الى اخيه وخلفه المعتصم سفيره يوحنا النحوي ليحاول عقد السلام بينهما فلم يفلح . على ان علاقة الامبراطور مع صاحب الاندلس لم تتعد المراسلة والمجاملة أيضاً لان خلفاء عبد الرحمن الداخل حافظوا على سياسته التي رسمها من الامتناع بالجزيرة والاقتصار على توطيد ملك بني أمية داخلها حتى اضطر الناصر الى تغييرها والتدخل في شؤون المغرب لظروف جديدة عرضت اذ ذاك

* * *

وقد كان اهم عصور الدبلوماسية الاسلامية في اسبانيا المسلمة وذلك لموقعها سواء من البر او البحر على ابواب اوربا النصرانية ولانتظام علائقها التجارية والسياسية مع معظم الدول النصرانية . وفي عهد عبد الرحمن الناصر بلغت العلائق الدبلوماسية ذروة ازدهارها بين الاسلام والدول النصرانية الكبرى وتوالت وفودها وسفاراتها على الاندلس ، ففي صفر سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٨ م) وفدت على الناصر رسل قسطنطين السابع امبراطور القسطنطينية المعروف ببورفيروجنتوس بهدية ثمينة ، واحتفل الناصر بقدومهم في يوم مشهود ، وقدموا اليه كتاب الامبراطور مكتوباً باللغة اليونانية ، وعلى الكتاب طابع ذهبي على احد وجهيه صورة للمسيح وعلى الآخر صورة الامبراطور مصنوعة من الزجاج الملون البديع ، وفي ترجمة عنوانه ما يأتي : من « قسطنطين ورومانين (رومانوس الثاني بن قسطنطين) المؤمنين بالمسيح ، الملكين العظيمين ، ملكي الروم « الى العظيم الاستحقاق الفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالاندلس اطال الله بقاءه » ، وقد هال رسل الامبراطور يومئذ ما رأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ، وخطب اعلام الاسلام في هذا الاجتماع المشهور ومنهم القاضي الاديب منذر بن سعيد البلوطي الذي ارتجل خطاباً نفيساً أتى فيه على اعمال الناصر ، ثم ارتجل من بعده شعراً قال فيه :

ترى الناس افواجاً يؤمون بابه ... وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسط فنائه ... مخافة بأس او رجاء لنائل
فعش سالماً اقصى حياة مؤملا ... فأنت رجاء الكل حاف وناعل
ستملكها ما بين شرق ومغرب ... الى درب قسطنطين اوارض بابل

ولما انصرف رسل الامبراطور بعث الناصر معهم سفيره هشام بن هديل بهدية حافلة ليؤكد المودة ويوثق عرى التحالف فرجع بعد سنتين وقد احكم الصلة بين الاميرين . ثم توالت سفارات ملوك النصرانية بعدئذ على عبد الرحمن الناصر فوفدت عليه رسل ملك الصقالبة وهو يومئذ الملك بطرس بن سيميون (ملك بلغاريا) ، ورسل امبراطور الالمان اوتو الاول (الكبير) ورسل ملك فرنسا فاحتفل لقدومهم كذلك ، وبعث مع وفد الصقالبة ربيعاً (ريفا) الاسقف الى ملكهم . ثم

وفدت عليه رسل البابا يوحنا الثاني عشر في طلب المودة والتحالف فأجابه الى ذلك

* * *

على ان الدبلوماسية الاسلامية لم تغفل العنصر السري الذي هو أخص ظواهر الدبلوماسية الحديثة، فقد كانت للخليفة الاسلامي، فضلا عن أعوانه ورسله السريين الذين ينفذهم الى الولايات والمدن الواقعة تحت حكمه ليمدوه بأخبار الولاة والقضاة والشعب، طائفة كبيرة من الرسل السريين ينفذهم الى القصور والحكومات الاجنبية ليحيطوه علماً بما يقع فيها، وما تدبره نحو بلاده من خير او شر. والظاهر ان بني العباس كانوا اول من نظم هذه الطائفة الدبلوماسية السرية، فقد كان للمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم أعوان سريون في القسطنطينية وفي غيرها من العواصم الكبرى ليقفوا الخليفة على كل حركة يأتيها الامبراطور البيزنطي وولاته. وكان هؤلاء الرسل والجواسيس يختارون من جميع الطبقات وخصوصاً من بين التجار، وأحياناً من النساء البارعات في الجمال والدهاء وكانوا يؤدون مهمتهم بمهارة فائقة. وقد بلغت هذه الوسيلة الدبلوماسية ذروة الانتظام والاهمية في عهد الاوائل من خلفاء بني العباس حينما كانت الخلافة قوية حرة مستأثرة بكل مهام السلطان والملك، ثم اضمحلت باضمحلال شأن الخلفاء ايام غلبة الحرس التركي وآل بويه حينما كان الخليفة سجيناً في قصره او مجرداً من كل سلطة حقيقية. ولما اضمحل شأن الخلافة العباسية، واستقل حكام النواحي بحكم الولايات تحت سلطان الخليفة الاسمي، استبدل الخليفة رسله السريين برسل رسميين وأعوان ظاهرين يمثلونه في قصور القاهرة، ودمشق، والموصل، ونيسابور ومرو وغيرها وكان هؤلاء السفراء يصحبون الامير الذي يمثلون في حكومته في حروبه وغزواته كما كان رسل البابا يصحبون ملوك النصرانية في حروبهم وغزواتهم في أواخر العصور الوسطى. فنراهم في بطانة الب ارسلان وملك شاه، ونراهم في بطانة نور الدين وصلاح الدين، ونراهم احياناً يتدخلون في شؤون هؤلاء الملوك، وأحياناً يصلحون بينهم، ويفصلون في خصوماتهم

* * *

وقد كانت سياسة الاسلام الدينية تختلف باختلاف العصور والدول وليس من موضوعنا ان نبحث هذه السياسة، غير أننا نستطيع ان نقول ان التسامح كان على الاجمال سياسة مقررة للحكومات الاسلامية المختلفة نحو رعاياها. وقد اطلعنا مؤخراً على صورة وثيقة رسمية تاريخية تلقي ضياء على هذه السياسة اصدرها الخليفة المكتفي العباسي سنة ١١٣٨ م الى البطريق ابديشو النسطوري. وفي هذه الوثيقة يمنح الخليفة رعاياه النصارى كل ضروب الحرية الدينية. ويقول الدكتور منجانا امين مكتبة «رينالدز» مكتشف هذه الوثيقة في تعليقه على هذا الاكتشاف: كنا نشعر دائماً بالحاجة الى وثيقة تلقي الضياء على العلائق التي كانت سائدة بين الاسلام الرسمي والنصرانية الرسمية في عصر كان للاسلام فيه حق الحياة والموت على ملايين من الرعايا النصارى.

وقد يكون افراد من النصارى عانوا من عسف افراد من المسلمين ، او قد يكون مجتمع نصراني عانى الارهاق من تعصب حاكم محلي او فقيه ، كذلك اتخذ بعض الخلفاء مثل الخليفة المتوكل اجراءات شنيعة لارهاق النصارى ، ولكن مثل هذه الحوادث يجب ان تعتبر خرقاً للقانون ، وان يعتبر مرتكبوها خوارج على القانون . اما تصرف الاسلام الرسمي في هذا الشأن فواضح في الوثيقة الحاضرة التي تؤكد دون لمحة من الريب أن الارهاق المنظم لم يكن من سياسة الاسلام الرسمية » .

ثم يقول الدكتور منجانا : « ان هذه الوثيقة صادرة من ديوان خليفة عباسي ، ولكن هل يمكن ان يكون ملك انجلترا او ملكة هولاندة او رئيس الجمهورية الفرنسية أكثر تسامحاً في حق رعاياهم المسلمين ؟ ان القرآن لم يكن سبباً فيما ارتكب من حوادث ارهاق النصارى ، كما ان الانجيل لم يكن هو العامل الموحي لما ارتكبته مجالس التفتيش من ضروب الوحشية »

وظاهر مما تقدم ان الدبلوماسية في الدول الاسلامية لم تكن تختلف كثيراً عن تقاليدها في الدول النصرانية في العصور الوسطى ، ويرجع ذلك الى ان نظم الدولة وما تستند اليه من التقاليد السياسية في هاتيك العصور كانت تتشابه من عدة وجوه في الشرق والغرب

محمد عبد الله عنان

المحامي





حقائق جديدة عن البلشفية

بقلم الاستاذ طانيوس عبده

كثيرون من القراء يودون الوقوف على حقيقة تلك الدولة الحمراء التي يلقبون أشياعها ويلقبونها بالدولية الثالثة والدولة الحمراء والبلشفيين والشيوعيين الى غيرها من الالقاب التي تشبه أسماء هم البدوي وما ذلك الا لخفاء امورهم وشدة تناقضها فبينما هم يتناغون من الجوع اذا بهم يموتون من التخم و بينما هم يبيعون آثار المتاحف وتحف المعابد للحصول على المال اذا بهم ينفقونه بدراً في أنحاء المعمور حضاً على الثورة العالمية و بينما هم لا سلاح لهم غير العصي ولا جيش عندهم غير طغمات من المتشردين اذا بأسلحتهم من أحدث طراز وبجيشهم المنظم يملأ الثكنات وبطياراتهم يعج بها الفضاء الى كثير غير ما ذكر من المتناقضات التي يقف عندها المرء حائراً مبهوتاً لا يعلم أيها يصدق و بأيها يأخذ

الى أن نشطت لجنة الاتفاق الدولي التي الفت خصيصاً للوقوف على حقيقة البلشفيين الاقتصادية والحربية والاجتماعية وكل ما يتعلق بهذه الدولة الحمراء ونشرت فصولا مختلفة أخذتها من اوثق المصادر فرأيت أن أقتطف شيئاً من هذه الفصول قد يروي غلة القراء وأول ما أبدأ به طريقة حشد الجيش الاحمر

في سنة ١٩٢٥ صدر مرسوم يقضي بالخدمة العسكرية الاجبارية وهي عاملة واحتياطية ومدتها من سن ١٩ الى ٤٠ فعندما يبلغ الوطني التاسعة عشرة من عمره يبدأ تعليمه العسكري مدة شهر في كل عام . والخدمة العاملة تكون خمسة أعوام

وقد جعلوا نصف عدد الجيش العامل من الميليس اقتصاداً في النفقة فانهم لا يستطيعون الانفاق على جيش عظيم دائم بحيث يستطيعون بهذه الطريقة تعليم ثمانمائة الف جندي في كل عام

والجيش الروسي قسمان قسم وطني بحت من الروسيين والاوكرانيين وهو يعادل ٩٠ في المائة من مجموع الجيش وقسم أجنبي يحشد من قبائل التتر والمغول وغيرهما وهو بنسبة ١٠ في المائة وهذا القسم يستخدمونه في مناطق الحدود وأخص عمله أنهم يجعلونه وسيلة لنشر مبادئهم ولا سيما في آسيا

وقد جعلوا الجيش برمته برياسة زعيم يلقب بقومسير الشعب في الحربية والبحرية وهذا الزعيم يعاونه مجلس الثورة الحربي فالجيش يخضع للمجلس والمجلس يخضع للقومسير والاقسام الخاضعة للمجلس هي :

١ ـ اركان حرب الجيش الاحمر المؤلف من العمال والفلاحين وهو مماثل لاركان الحرب في الجيوش الاوربية

٢ ـ ادارة التفتيش التي تتولى مراقبة التأهبات العسكرية الفنية في جميع أقسام الجيش
٣ ـ ادارة الجيش العليا و يدخل فيها حشد الجنود والخدمة العسكرية والرواتب الخ . .
٤ ـ ادارة القيادة البحرية التي نابت عن وزارة البحرية في العهد السابق
٥ ـ ادارة الاسطول الهوائي
٦ ـ الادارة العليا لتموين الجيش والاسطول وهي مؤلفة من دوائر خاصة بالمدفعية والهندسة والانشاءات والشؤون المالية
٧ ـ إدارة القسم السياسي في الاسطول والجيش
٨ ـ إدارة الشؤون الصحية والتغذية
٩ ـ إدارة المدارس العسكرية
١٠ ـ إدارة المدارس العسكرية للمحاكم العليا والنواب العموميين العسكريين

أما مجموع الجيش فهو مؤلف من ٢١ فيلقاً من المشاة و٤ فيالق من الفرسان مجموعهم ٥٦٢ الف جندي ذلك عدا الاسطول الهوائي المؤلف من ٨٠٠ طيارة مختلفة الطراز ونحو مائة تكس معظمها من الطرز الانكليزي والفرنساوي القديم و بضع فرق من الاوتوموبيلات المصفحة وستين قطاراً مصفحاً وفرق المهندسين وخمس عشرة فرقة للمواصلات و ١٧ تابوراً للتلغراف اللاسلكي وكثير من المدفعيات لمقاومة الطيارات وخمس فرق للخنادق ثم المدفعية الضخمة

وعلى ذلك فان الجيش البلشفي العامل يكون من حيث العدد قد تقدم تقدماً عظيماً بالقياس الى ما كان عليه سنة ١٩١٨ وأما من حيث الفن فانه متأخر عن الجيوش الاوربية

ثم ان من قواعد البلشفية الاساسية ألا يكون في البلاد غير حزب واحد وهو الحزب الشيوعي ومع ذلك فان الجيش الروسي يوجد فيه من الضباط ما يعادل خمسين في المائة من غير الشيوعيين وفي الاسطول لا يزيد عدد الضباط الشيوعيين على ٢٠ في المائة ولذلك كان الاسطول يبدأ الثورة في كل مرة ينتقض فيها الجيش على الحكومة ولذلك أيضاً كان أكثر المناصب الرئيسية بأيدي الشيوعيين

وفوق هذا فان لديهم سبعة أكاديميات عسكرية لاركان الحرب والمدفعية والهندسة والكهربائية والطيران والبحرية والطب والسياسة العسكرية

بقي أمر خطير يستخلص منه حقيقة المبدأ البلشفي وهو الامر الخاص بتربية هذا الجيش العسكري واليك المبدأ الذي ترتكز عليه هذه التربية وهو أخص ما يلقونه على الجندي من الدروس

« ليسقط ـ حب القريب ـ فاننا لا نحتاج الى الحب بل اننا أحوج الى البغض والاحقاد
« يجب علينا أن نتعلم البغض وأن نرضعه مع اللبن فبه دون سواه نفتتح العالم

« ان الشيوعيــة والدين ضدان لا يأتلفان علماً ولا عملاً فمن أراد أن يكون شيوعياً فقد
« وجب عليه أن يكون من غير دين
« اننا نكره المسيحية والمسيحيين حتى أن أفضلهم يجب ان نعده أعدى عداتنا فانهم يحضون
« على الرحمة وحب القريب وهــذا مناقض لتعاليـمنا فان المحبــة المسيحية أعظم عثرة في سبيل
« تقدم الثورة
« اننا قضينا على ملوك الارض فلنهتم الآن بالقضاء على ملوك السماء »

هــذه شذرات من تعاليمهم العسكرية التي يحاولون القاء بذورها في نفس الجندي في حين أن التعاليم العسكرية لا تقتصر حين تدريب الجندي على تعليمه الطاعة والبسالة والوطنية بل تهتم بترقيته الادبيــة فان التعاليم الاوربية حين تعلم الجنـدي الامتثال لرؤسائه تعلمه أيضاً أن يحترم حقوق الغـير وحين تعلمه أن يكون باسـلاً تعلمه أيضاً ان يكون رحيماً واذا علمته ان يحب وطنه فهي تعلمه أيضاً ان يحترم حب عدوه لوطنيته خلافاً للبلاشفة فانهم لايعلمون الجندي غير ما قاله المتنبي في ساعة من ساعات يأسه

ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس روّى رمحه غير راحم

بحيث اصبح ذلك الجندي الشريف لا فرق بينه و بين القتلة السفاكين

على أن الاغرب من كل ذلك أن ما يسمونه بالصليب الاحمر يتلق ما يتلقاه الجيش الاحمر من هذه التعاليم نفسها و يقول لا حياة بغير الثورة ولا ثورة مع الرحمة

انها نتف عن البلشفية ومبادئها وأخطارها فمن تمعن فيها بعين الناقد البصير يستنتج منها ثلاثة أمور خليقة بالاعتبار وهي :

١ ـ ان الخطر البلشفي أقرب انقضاضاً على الانسانيــة من الخطر الاصفر الذي طالمـا تخوفه رجال الغرب

٢ ـ انه اذا عمّ واستفحل يكون أكثر بلاءً وأشد فتكاً

٣ ـ انه مهما بلغ من استفحال داء البلشفة فان دواءه ميسور

اما ان خطره أقرب من الخطر الاصفر فلأن البون لا يزال بعيداً بين الشعبين فان الصينيين ومن يجاورونهم من الصفر لا يحفل الغرب منهم الا بكثرة العديد فانهم اذا استثنيت منهم اليابان لا يزالون تائهين في مهامه الجهالة متوغلين في الخيال والاوهام متقيدين بقيود من التقاليد تقصيهم عن الحضارة والعمران ناهيك بتنبه أوربا لهم فانها تحتل كثيراً من شواطئهم وتجول في ربوعهم جولة مراقب لا تغمض له عين بحيث لا تفوتهم خافيــة من أمرهم فهي لا تؤخذ منهم على غرة خلافاً للروس البلشفيين فانهم بلغوا شأواً بعيداً من الحضارة ولهم في الميادين جولات مشهورة وقد اخذوا بقسط عظيم من المعـارف والعلوم ولهم من المطامع ما لم يحلم به شعب من شعوب التـاريخ

وليس لاوربا شيء من الرقابة عليهم الا ما كان من قبيل التلصص والتجسس ولا هي تحتل قطعة من بلادهم بحيث لا تستطيع أن تقف على شيء من خفايا أمورهم فهي قد تؤخذ معهم على غرة وقد تصبح يوماً وهم يقولون لها : نريد

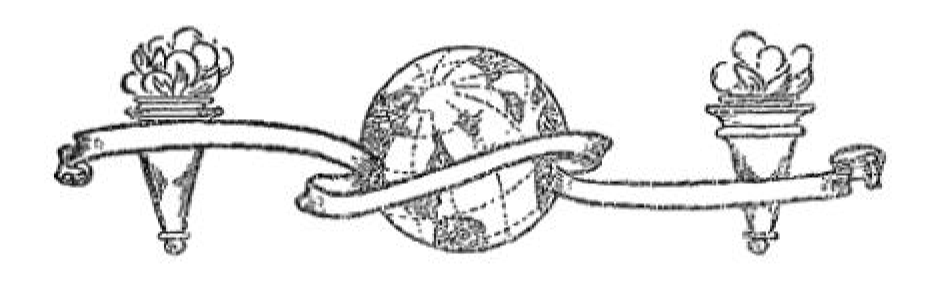
واما ان خطرهم يكون أفتك وأشد من الخطر الاصفر فلأن الرحمة قد ذهبت من قلوبهم بذهاب الدين منها ، وما ظنك بأمة تعلم جنودها البطش قبل أن تعلمهم الطاعة وتجردهم من الرحمة قبل ان تقلدهم السلاح

و يقول رسل الرحمة فيهم لقد قضينا على ملوك الارض فلنقض على ملوك السماء وكفى انهم اعوزهم القضاة يوماً لكثرة من يحاكمونهم فعينوا امرأة بلشفية في منصب القضاء فحكمت في يوم واحد على ستة وثلاثين منكوداً بالاعدام ؟ فمثل هؤلاء المتهوسين اذا أتيح لهم النصر على الامم كما يأملون فانهم يكونون أشد على الانسانية من الاوبئة الفاتكة بل قد يكونون أشد من غضب الله

وأما دواء بلشفتهم فهو موجود في بلادهم نفسها وفي الخارج وان كثيراً من التقارير يدل على أن الفريق الاعظم من الروسيين لم تكن بلشفتهم الا ظاهرية وانه بالرغم عن سياسة الارهاب لا تزال الثورات تتوالى فلا يبعد ان يوفق الروسيون يوماً الى زعيم قادر تلتف حوله تلك الملايين وتقتلع الباشفية من الجذور وأما في الخارج فان أوربا لا بد لها ان تنشط يوماً الى توحيد كلمتها لمقاومة هذا الخطر الداهم وانتزاع الفوضى من بلاد لا غنى لها عن خيراتها

اما اذا امعن الروسيون في خمولهم وتوغلت اوربا في تغاضيها فلا يبقى امام من يريدون القضاء على ملك السماء غير ان ينبري لهم ملك السماء

طانيوس عبده

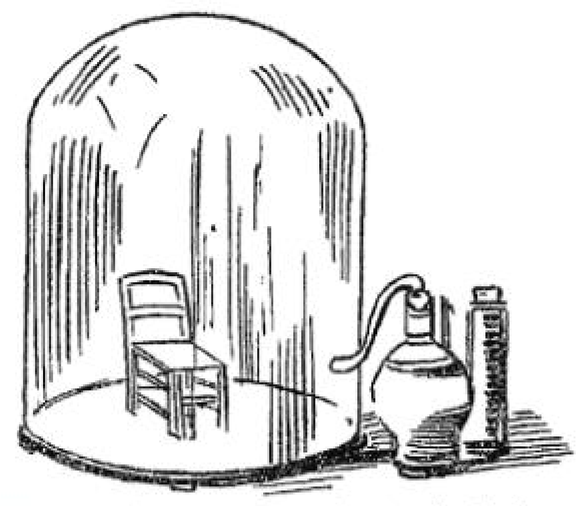


عقوبة الاعدام

هل يجب ابقاؤها أو الغاؤها ؟



الكرسي الكهربائي للاعدام



جهاز للاعدام بغاز سام ينتشر في داخل الجرس المقفل حيث يجلس المحكوم عليه

لما كثرت محاولات الساخطين على حكومة ايطاليا لقتل موسوليني أخذت الصحف الفاشستية تعالج موضوع اعدام المجرمين وتقول ان الغاء هذه العقوبة من ايطاليا هو الذي يعث هؤلاء الساخطين على الاجتراء على قتل موسوليني . وانه لذلك يجب اعادة هذه العقوبة

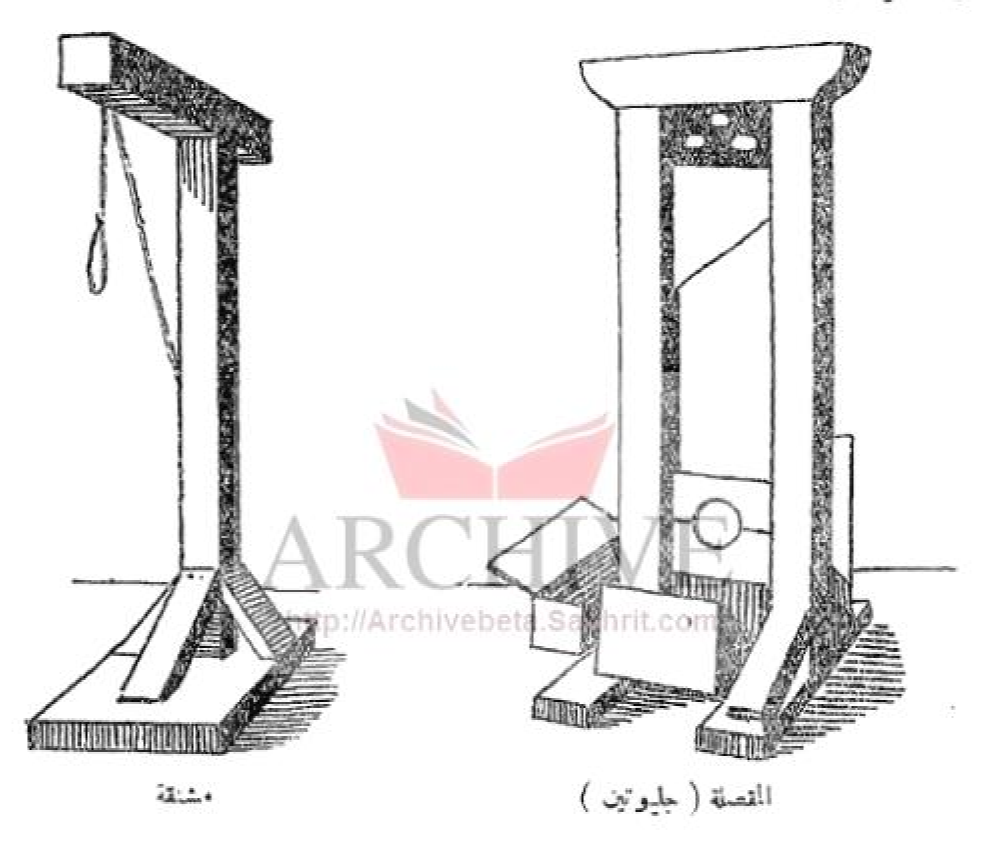
وقد التفتت الصحف الى هذا الموضوع لهذه المناسبة وجعلت تبحثه وتنظر في قيمة الالغاء او الابقاء من الوجهة العمرانية . ومعظم من يكتب عن هذا الموضوع لا يؤيد العقوبة وانما يطلب الغاءها والاعتياض منها بعقوبة السجن المؤبد

وقد كتب هؤلاء مقالات في ضرورة الغاء هذه العقوبة رأينا أن ننقل للقراء أهم أركانها التي يبني عليها كاتبوها وجوب الالغاء

فعقوبة الاعدام في رأي بعض هؤلاء الكتاب أثر من آثار جاهلية الانسان الاولى حين كان يقتل القاتل ترضياً للآلهة لانه حين قتل قتيله أغضب الآلهة بمخالفته شريعتها فيجب لذلك ترضي هذه الآلهة بقتله هو ايضاً لهذه المخالفة . فهذه العقوبة تجري من نظامنا العمراني الآن مجرى السحر والتنجيم والعرافة التي زال الاعتقاد فيها

ولكن القائلين بهذه العقوبة يقولون انها وازع يزع الناس عن الجريمة . ولكن هذا القول لا يقوم الا اذا فرضنا حرية الارادة في كل فرد واننا نأتي اعمالنا مختارين وجميع الابحاث النفسية

والفسيولوجية الحديثة تثبت أن هذه الحجة لا تقوم على ساق . وان الفرد لا يمكنهُ بأية حال أن يخرج عن الكفايات الوراثية التي نزلت اليه من آبائه كما أنهُ لا يستطيع أن يخرج ايضاً من آثار الوسط الذي يعيش فيه . زد على ذلك تركيب جسمه الفسيولوجي من حيث كثرة الصفراء التي تملأُ نفسه غضباً او قلتها ومن حيث تأثير الغدد التي قد تهيئه للبله أو للذكاء وللنشاط أو للخمول ولا يد له في كل ذلك



مشنقة — المقصلة (جليوتين)

وأحسن ما يضمن نقص الاجرام ليس هو عقوبة الاعدام بل هو منع ذوي العاهات الاخلاقية من التناسل وتحسين الوسط بحيث يتعود الانسان عادات حسنة بالتربية وايضاً بمنع التفاوت الكبير في المكافأة حتى يقل التحاسد ويجد الناس من اعمالهم ما يعيضهم من السرقات التي كثيراً ما تضطر مرتكبيها الى الاغتيال

ومما يثبتهُ التاريخ ان الصرامة في العقوبة لم تجد قط في نقص الجرائم . فقد كان القدماء يقتلون المجرمين لجرائم نقنع نحن منها الآن بالحبس سنة أو سنتين ومع ذلك كانت الجرائم في الازمنة الماضية اكثر مما هي الآن . وانما يرجع تناقصها ، على الرغم من خفة العقوبة ، الى انتشار

التربية والى تمكن معظم الناس من الحصول على دخل يكفي معايشهم دون الحاجة الى أن يحصلوا على قوتهم بالانتظام في عصابات السرقة والاغتيال

ومما هو جدير بالذكر انه يحدث في الولايات المتحدة كل عام نحو ١٠٠٠٠ اغتيال ولا يعاقب بعقوبة الاعدام سوى نحو ١٠٠ فقط تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة وبين الرابعة والعشرين

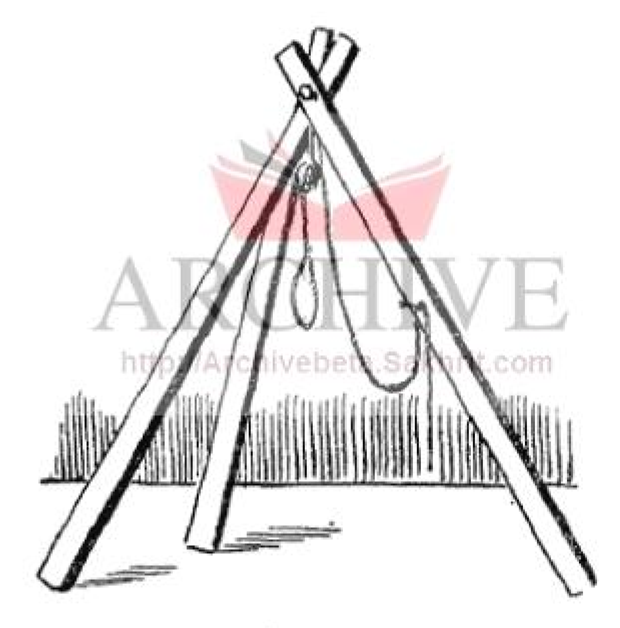
وقد لخص أحد الكتاب أسباب القتل فيما يلي :

١ ــ الوراثة السيئة وعلاجها منع التناسل

٢ ــ الوسط السيء وعلاجه نشر التربية وتيسير وسائل المعيشة

٣ ــ الحالات القاهرة كالغيرة والغضب وهذه لا علاج لها وستبقى على الدوام

٤ ــ احتراف الاغتيال بواسطة العصابات . وعضو العصابة هنا ينظر الى نفسه نظرة الجندي فيجب أن يضمن له النظام الاجتماعي وسيلة أخرى رابحة للعيش



مشنقة بسيطة

هذه هي خلاصة أقوال المطالبين بالغاء العقوبة ومما يجدر ذكره اننا لا نجد للمدافعين عن الاعدام رأياً ظاهراً مما يدل على اتجاه الرأي العام نحو الالغاء . وقد ضربنا صفحاً عن العلل الجنائية التي يتعلل بها هؤلاء أو أولئك كقول البعض ان الاعدام يورث الامة التي تمارسهُ خشونة في الطبع ومراناً على الاغتيال ونحو ذلك . فانه اذا كان لمثل هذا القول وجه في طرق الاعدام القديمة العلنية فليس له وجه الآن لان المجرمين يعدمون في غرف مقفلة بعيدة عن مرأى الجمهور

وطرق الاعدام المستعملة الآن هي المقصلة في فرنسا وهي سكين ثقيلة تقع على قفا العنق

فتفصل الرأس عن البدن . والمشنقة وهي شائعة في بريطانيا و بعض الولايات المتحدة ثم الكرسي الكهربائي في بعض الولايات المتحدة . وأخيراً الغاز السام في ولاية نيفادا وهناك ولاية أخرى تدعى أوطه تخير المجرم بين القتل بالمشنقة أو بالرصاص

وهاك أسماء بعض الدول التي ألغي منها الاعدام مع تاريخ الالغاء

البرتغال ١٨٤٦	هولندا ١٨٧٠	ايطاليا ١٨٨٠
نروج ١٩٠٢	روسيا ١٩٠٣	النمسا ١٩١٨
أسوج ١٩٢١	وأيضاً رومانيا ولاتفيا واستونيا ولتوانيا وسويسرا	



جهاز لضرب العنق

وفي الاقطار الآتية لم تلغ عقوبة الاعدام ولكنها لم تنفذ منذ زمن طويل . وهي :
فنلندا لم تنفذ فيها العقوبة مدة ٩٢ سنة بين سنتي ١٨١٦ و ١٩١٨
ودنماركة لم تنفذ فيها العقوبة منذ سنة ١٨٩٣ و بلجيكا لم تنفذ فيها منذ ٣٠ سنة
وقد ألغيت ايضاً هذه العقوبة من ثمان ولايات من الولايات المتحدة الاميركية
وقلما يمر عام دون ان تعقد الاجتماعات عند جميع الامم المتمدينة لالغاء هذه العقوبة

خير هدية

مستقبل الاخلاق

جدير بنا اليوم ان ننظر الى المستقبل وندرسه من مختلف وجوهه مستعينين بآراء المفكرين من علماء الغرب وكتابه الاجتماعيين . وسننشر في اجزاء الهلال القادمة مباحث تحت عنوان « نظرات في المستقبل » نعالج فيها اتجاه الافكار في الاخلاق والعادات والعلوم والآداب في المستقبل . والمقال التالي مبني على كتاب اجتماعي حديث اسمه « مستقبل الاخلاق » تأليف المستر جواد الانكليزي . ولا بد لنا من الاشارة الى أن غرضنا انما هو عرض الآراء الحاضرة كما هي لا تمحيصها وانتقادها [المحرر]

في « جمهورية افلاطون » عبارة تلفت نظر القارىء وتستوقفه وهي قوله « ان مصلحة الاقوياء تقتضي نشر العدالة » وهو يعني بذلك ان القوانين انما تسن لاجل المحافظة على مصلحة الفئة القوية في الامة . فهذه الفئة تضع الشرائع بغية رعاية مصالحها وتحقيق اغراضها ولا تبالي بمصالح الفئات الضعيفة . وهذا القول حق لا غبار عليه فان التاريخ القديم والحديث يثبت ذلك . فقد أثرت كلمة عن اللورد مانسفيلد القاضي الانجليزي لا تزال تتجاوب اصداؤها في الاوساط الاشتراكية يرددها الاشتراكيون على سبيل التقريع للحضارة الراهنة . وهذه الكلمة هي قوله : ان الشرائع انما وضعت في الاصل لحماية الاملاك لا لحماية الانسان . وذلك لان الفئة المتغلبة هي فئة الاغنياء التي وضعت القوانين فنظرت منها الى حياطة املاكها وحمايتها ولم تنظر منها الى حماية الاشخاص لأن اشخاصها هي محترمة بقوة ما لها من المال اما سائر افراد الامة فلا تبالي بهم

وأنت عندما تنظر في بعض القوانين التي توضع للناس على السواء تجد ان المقصود منها في حالة العقاب هو الفقير لا الغني . فالقانون مثلا يمنع التشرد و يمنع النوم في الشوارع و يمنع شق الجيوب وكل هذه جرائم يأتيها الفقير ولا يفكر فيها الغني . فاذا أنت ساويت بينهما في العقاب لا يقع هذا العقاب الا على رأس الفقير وحده

وليس شك في صدق نظر افلاطون . فان الفئة القوية هي التي تضع للامة ما تجري عليه من اخلاق او قوانين بحيث تكون وفق رغبات هذه الفئة وطبق ميولها وان كانت تضر الفئات الضعيفة في الامة . والآن يجب ان نتساءل : من هي الفئة القوية في المستقبل ؟

والجواب على ذلك ظاهر وهو اننا نعيش في زمن ديموقراطي وان الفئة القوية هي كثرة الامة وليست قلتها . وعلى ذلك فالقوانين والاخلاق في المستقبل ستنطبع بطابع هذه الفئة ومصالحها

وقد عاشت الكثرة منذ فجر التاريخ الى الآن يحكمها القانون بحد مرهف صريح والدين بحد لين ولكنه مع ذلك فعال . ولنذكر ان الدين كان على الدوام عونا للحاكم على الحكم يساعد

الاغنياء على استغلال الفقراء لانه بمثابة العزاء للفقير على حرمانه من نعم هذه الدنيا وفيه من وعود العالم الآخر ما يخفف عنه آلام هذا العالم . ولنا عبرة من نابوليون فقد بدأ حياته السياسية متأثراً بروح الثورة كافراً بالاديان يقاومها ويطارد الكهنة ثم انتهى عندما آلت اليه مقاليد الحكومة الى تثبيت دعائم الدين . فقد كتب نابوليون مرة يقول :

« ما الذي يجعل الفقير يرضى بأن يكون في قاعتي نار أتدفأ بها في حين هو يموت من البرد ؟ وأن يكون في مخزني عشر بذلات بينما هو يسير عريان ؟ وأن يوضع على مائدتي في كل وجبة ما يكفي اطعامه هو وعائلته أسبوعاً ؟ ليس ذلك سوى الدين الذي يخبره بأني أنا وهو سنستوي معاً في العالم الثاني وان المرجح انه سيكون أسعد مني فيه . اجل يجب أن نفتح الكنائس للجميع وألا نكلف الفقير كثيراً حين يريد الصلاة على ميت له »

ولكننا الآن بعد نابوليون بأكثر من مائة عام نعيش في زمن قد تزعزع فيه الايمان . فان الاشتراكيين قد وقفوا على حقيقة قول نابوليون فجعلوا من دأبهم اضعاف الايمان في قلوب الكثرة . والأرجح أن المستقبل سيرى تفشي هذه النزعة على مدى أوسع وأبعد مما نراها الآن

وخلاصة قولنا الى الآن :

١ ـ ان كثرة الامة ستلي الاحكام في المستقبل وستضع القوانين والاخلاق طبق اغراضها لانها ستكون الفئة القوية

٢ ـ ان الايمان كان يعزي هذه الكثرة في الماضي عن حرمانها ولكنه قد تزعزع الآن فهي لن تسكت عن طلب التمتع بنعم هذه الدنيا راضية بالاعتياض منها بنعم الآخرة

بقيت نزعتان نرى بواكيرهما منذ الآن ولكن ليس شك في انهما ستتفشيان في المستقبل اكثر من تفشيهما الآن . وكلتاهما خاصة بالمرأة وعليهما سيتوقف مدى التغير في الاخلاق

١ ـ فأولى هذه النزعات ان المرأة قد دخلت سوق المال تتكسب وتعيش بعرق جبينها كالرجل

٢ ـ والثانية أن طرق منع الحمل الطبية قد عرفت وشاعت ورضي عنها الجمهور في أوربا واميركا وصار الآن يمارسها

فما هو أثر هاتين النزعتين في الاخلاق في المستقبل ؟

لقد كان الجمهور ينظر بعين التسامح لزنا الرجل و بعين الغضب والاشمئزاز لزنا المرأة فالقوانين المصرية لا تكاد تعاقب الزوج الذي يفجأ امرأته في حالة الزنا و يقتلها . ولكنها لم تمنح هذا الحق للمرأة . وحكمة هذا الفرق ظاهرة في أن زنا الرجل خطأ وقتي ينتهي بانتهاء ارتكابه وأما خطأ المرأة فان عواقبه بعيدة الاثر . بل هي قد تكلف الزوج تربية أولاد غيره وتخدعه الى انه قد يورثهم امواله مع اولاده او دون اولاده . ولكن معرفتها بالطرق الطبية المشار اليها آنفاً

ستجعل موقفها في الزنا موقف الرجل · زد على ذلك انها كانت الى الآن تعتبر الحياة الزوجية السبيل الوحيد للحصول على المطعم والمأوى ولكنها الآن بدخولها في سوق الاعمال قد اصبحت في غنى عن الزوج لانها تستطيع الكسب بدونه ولانها لا تخشى زحمة الاولاد وعجزها عن تربيتهم

ثم هذه المرأة العاملة هي احدى افراد الفئة القوية التي تسوم سائر الامة معايير الاخلاق والقوانين وفق رغبتها وطبق هواها · فهي اذن ستجعل الاختلاط الجنسي ميسوراً في المستقبل لا تخشى في ذلك عواقبه ولا تبالي بما فيه من مخالفة للعرف

ولكن هل معنى هذا ان الفوضى ستقوم مقام النظام الراهن وان عقدة الزواج ستنحل وتختلط انساب الناس فلا يعرف الولد اباه ولا يسكن زوج الى زوجته ؟

كلا · لان الانسان مطبوع على ان يسكن الذكر الى الانثى والانثى الى الذكر · ونحن نرى حتى في نظامنا الراهن ان الرجل الذي يخالل المرأة ولا يتزوجها اي لا يتقيد معها بأي قيد شرعي يبقى مع ذلك متقيداً بالقيود الطبيعية التي تربطه بها بما يشبه الرباط الزوجي · فالارجح ان عقدة الزواج تر تخي ولكنها لا تنحل بمعنى ان الطلاق سيكثر عند تأكد الزوجين بأنهما اخطآ فيما ظناه بينهما حباً خالصاً ولم يكن في الحقيقة سوى استحسان زائل · ولكل ممنوع طرافة وجدة تغري وتجذب فاذا زال المنع زال ايضاً الدافع الى الانكباب على الشهوة · والمرجح عندئذ ألا تختلف الحالة عما هي الآن الا قليلا

ويمكن ايراد اوجه الاختلاف كما وضحها المستر جواد فيما يلي :

١ ـ ان المرأة لانها تستطيع ان تعيش بدون الزواج لن تطلب من الرجل ان يعولها مدى حياتها ثمناً لحبها له

٢ ـ انها لهذا السبب ايضاً ولنزعتها الاستقلالية لن ترى داعياً للامتناع عن الاختلاط بالرجال قبل الزواج

٣ ـ ان الرجل لن يتعفف كثيراً عن حب النساء من غير زوجته لعلمه بأن هذا الحب لن يكلفه ان يعولهن فالروابط الزوجية سترتخي قليلا ولكنها لن تنحل

اما من حيث الاولاد فانهم سيقلون بالطبع لانه كلما عرفت الوسائل الطبية وانتشرت الحضارة قلّ التناسل وقنعت المرأة بولد او بولدين · وعندئذ تحتاج الحكومات ، خوفاً من الانقراض المنتظر ، الى ان تجعل الامومة في مركز الصناعات الاخرى من حيث الكسب حتى يقبل عليها النساء بمعنى انها تدفع للمرأة مبلغاً من المال مدة الحمل و بعده حتى تنقطع مدة لتربية الطفل الى حين يمكن الحكومة ان تتسلمه وتقوم هي بتربيته

ومما يرجح قرب وقوع هذه التنبؤات ان عدد النساء في اوربا الآن يرجح بكثير عدد الرجال وذلك للحرب العظمى التي افنت الملايين من شباب الامم · ففي انجلترا وحدها يزيد النساء على

الرجال بمليونين تحكم عليهن الظروف الحاضرة بالعزوبة الابدية . على ان الكثرة بينهن لا تخضع لهذه الظروف خضوعاً اعمى كما كان الحال فيما مضى

ثم ان حركة قلة التناسل قد اخذت تشتد في جميع الاقطار الاوربية حتى صارت البلديات في فرنسا تدفع اعانات مالية لتشجيع الامهات على الاكثار من النسل وحتى صارت مسألة « الفتاة الام » من مسائل اوربا الخطيرة الآن لان هناك عدة فتيات لهن اولاد وليس لهن ازواج فهن يطالبن بالاعتراف بهن وبأبنائهن حتى يكون مركز الفتاة واولادها الذين جاءت بهم بطريق غير شرعي في مستوى مركز الزوجة الشرعية واولادها

حكايتي

وتُحبني وأحبُّها قلبان مسّهما الهوى
فتعاشقا عشقاً طهو راً ثمّ هاجهما الجوى

* * *

سَعَيا لأن يتألفا كيما يصيرا واحدا
وكلاهما رام الوصا ل معاتباً ومعاهدا

* * *

نظر الرقيب اليهما فتجانبا وتنافرا
وتظاهرا بالبغضِ لـكن شقّ ان يتظاهرا

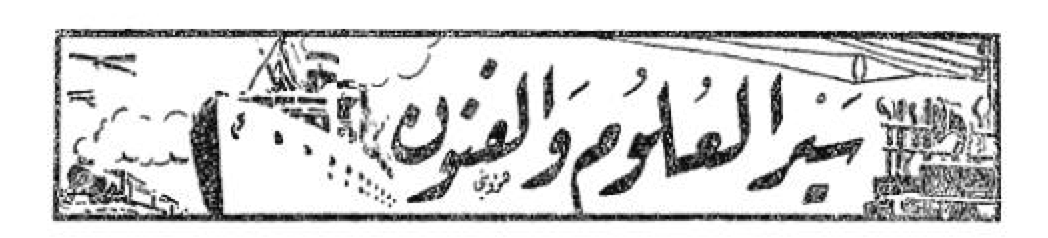
* * *

لما تغاضت عنهما عين الرقيب تعانقا
وتواعدا لكنّ ربّـك شاء أن يتفارقا

* * *

هذي حكاية شاعرٍ يمسي ويصبح باكيا
وعسى الذي قد فرّق الـقلبين يجمع ثانيا

ادوار فارس



تحويل العناصر

يعرف القراء ما سبق ان ذكرته الصحف من ان الاستاذ ميشه الالماني قد تمكن من احالة مقدار صغير جداً من الزئبق الى ذهب · وقد انكر بعض العلماء هذه الدعوى انكاراً قائماً على التجربة فانهم سلطوا ناراً قوية جداً على الزئبق حتى تحطم بعض جواهره ويستحيل بذلك ذهباً فلم يفلحوا · ولكن الصحف العلمية تروي خبراً آخر يؤيد الاستاذ الالماني وهو ان كيماوياً يابانياً قد تمكن من تحطيم جواهر الزئبق واحالتها ذهباً متبعاً في ذلك الطريقة نفسها التي اتبعها الاستاذ الالماني · وليس بين العلماء الآن من ينكر من حيث النظرية امكان احالة العناصر · فان الاشعاع نفسه نوع من الاحالة فان الراديوم باشعاعه المستمر يستحيل الى عنصر آخر · وانما هم ينكرون امكان الاحالة من وجهة عملية في الوقت الحاضر على الاقل

اصلنا من احلامنا

اذا كان ما يقوله علماء النفس صحيحاً كله فان اغرب ما يملكه كل فرد منا هو ذهنه فانه مستودع جميع التجارب الماضية التي مرت بأسلافنا · ويمكن كل انسان ان يكتشف ذهنه بواسطة الاحلام وان كان هذا العمل ليس هيناً . فان كلاً منا يحلم ولكنه ينسى احلامه عند اليقظة · ولكن المران يأتي بشيء كثير · فما يقوله الاستاذ مكدوجال وهو اكبر علماء النفس عند الانجليز وهو الآن يدرس في جامعات اميركا : ان ناساً كثيرين عرفوا اصلهم من احلامهم لانهم مروا في نومهم بتجارب لم يروها هم أنفسهم في حياتهم وانما رآها اسلافهم · فمن الاور بيين المسيحيين من عرفوا اصلهم اليهودي ومنهم من عرفوا اصلهم الشمالي برؤية جبال الثلج الماثلة ماثلة امامهم ونحو ذلك

فاذا صح ذلك صار بحث الاحلام من الملاهي الفريدة التي يتسلى بها كل انسان و يعرف منها أصله

الخوف في علم النفس

من غرائب التعليل ان علماء النفس يردون الخوف والرعب والفرق الى ما يحسه الجنين من الاختناق وقت خروجه الى العالم ساعة يولد · فان الجنين في هذا الوقت يشعر من حيث لا يدري بأن روحه توشك ان تزهق فيتأصل فيه الخوف من ذلك الوقت · وهو اشد ما يكون خوفاً من تلك الاشياء التي تخنقهُ كالغرق وغيره · وقد توصل علماء النفس الى هذا التعليل من الحالات المرضية التي يشتد فيها الخوف كالموسوسين والنورستينيين والهستيريين فان هؤلاء يمثلون في النوبات التي تصيبهم اختناقاً تعقبهُ افاقة يشبهُ ما يحدث للطفل عندما يولد · وهم يقولون ان ذاكرة الطفل ليست تمحى من ذهنه عندما يكبر وانما هي تكتم فقط فتندس في العقل الباطن ولا تظهر الا في حالات المرض

وهذا التعليل لا ينفي ان هناك خوفاً حقيقياً ورثناه عن اسلافنا لانه بمثابة المنبه الذي يردنا عن مواطن الخطر وهذا كخوفنا من الظلام ومن الثعبان مثلاً

المعيشة في منطقة القطب

في ألاسكا الواقعة في الشمال الغربي من كندا وفي كندا نفسها بلدان تقع في منطقة القطب الشمالي او قريباً منها · وقد وصفت احدى السيدات المقيمات هناك المعيشة فقالت ان البلدة التي نقيم فيها أُنشئت اولاً عند اغارة الناس على تلك الاصقاع لاستنباط الذهب منذ ٢٥ سنة · والمباني هناك من الخشب جدرانها مزدوجة قد حشي باطنها بنشارة الخشب وكذلك مصاريع النوافذ مزدوجة وذلك لكي يحتفظ كل بيت بحرارته · وهم لهذا السبب لا يستنفدون من الفحم مقدار ما يستنفده سكان المناطق الاخرى في تدفئة بيوتهم · والثلج يبتدىء في نوفمبر وينتهي في منتصف شهر مايو وطول هذه المدة لا تبدو الشمس · وكل بيت يختزن ميرته لهذا الشتاء القاسي فيصاد او يشترى اللحم ويترك كما هو بلا تمليح او تقديد فيجمد من البرد ويبقى طول الشتاء سليماً يحطم بالفأس ويطبخ · والدجاج لا يبيض طول هذه المدة ولذلك فالبيض من الاطايب التي لا يحصل عليها الا الاغنياء كل دستجة بجنيه · والبرد الشديد يؤثر في الاهالي من حيث تفزز اعصابهم وتغير مزاجهم فلا يكاد يقترب الشتاء من نهايته حتى يكون كل انسان قد خاصم الآخر ويعتزل الناس بعضهم بعضاً وكلهم مغموم · والمظنون ان مغنطيسية القطب هي سبب هذه الحال العصبية فانه لا يكاد يمس الانسان فروة قط حتى ينتثر الشرار في كل ناحية · فاذا جاء الصيف نمت الاعشاب بسرعة وبدت الشمس ليلاً ونهاراً بدون ان تغيب فتسود البهجة ويبدو السرور والفرح ويشتغل الناس ليلاً ونهاراً لا ينامون الا قليلا في الظهر

هل القمر ثلج ؟

وضع الدكتور فوربس كتاباً حديثاً عن النجوم عقد فيه فصلا عن القمر · ومن رأيه ان كثافة القمر نصف كثافة الارض أي ان كتلة القمر لا تزن سوى نصف ما يساويها من كتلة الارض · ولما كانت الصخور ثقيلة كثيفة لم يعد لنا مفر من ان نعتبر ان معظم كتلة القمر من الماء الذي يحيط بكرة صغيرة من الصخور في وسطه · وعمق هذا الماء لا يقل عن ٤٠٠ ميل تحيط بكرة القمر الصغيرة · ولكن لما كان الجو بارداً حول القمر فان هذا الماء قد استحال ثلجاً

و يعتقد الدكتور فوربس ان ما يرى على القمر من الفجوات والشقوق العميقة هي شقوق غير عميقة في قشرة الثلج لان القمر عند ما انفصل من الارض لم تكن مياهه باردة وانما هي استحالت ثلجاً وقت ان ثبت في مداره حول الارض · والمعقول ان الطبقة العليا من الماء بردت أولاً وجمدت ثم اخذ ما تحتها يبرد فحدثت صدوع وشقوق بسقوط كتل الثلج في الماء الذي تحته · وهذه الصدوع هي التي تتراءى لنا كأنها شقوق عميقة بين جبال عالية

كلية فرنسا

تمتاز كوليج دو فرانس (أو كلية فرنسا) في باريس بانها أبعد المعاهد العلمية حرية في انتقاء مدرسيها اذ هي لا تشترط عليهم الحصول على شهادة أو رتبة علمية وانما يكفيها من أساتذتها ان يثبتوا خدمتهم للعلم · وأكبر وسيلة يتوسل بها الراغب في ارتقاء احد كراسيها ان يكون قد اكتشف شيئاً في العلم · وتشبه كلية فرنسا بعض الكليات الاميركية من حيث ان التعليم فيها أمر ثانوي وانما المهم هو البحث العلمي · فوظيفة الاستاذ في الجامعات الراقية لم تعد مجرد التعليم بل تعريف الطلبة بما جد على يد الاستاذ من المكتشفات والسبيل الى السير باكتشاف ما نحو الغاية المقصودة منه · وهذه مهمة شاقة تحتاج فضلا عن الاموال الى كفاية كبيرة في الاساتذة

أدوات من اللبن

لقد كان من تقدم الكيمياء أن صارت مئات من الادوات تصنع من اللبن كما تصنع عشرات من الاصباغ والطيوب من الفحم · فمن اللبن تصنع الآن ايدي العصي كما تصنع ايدي الاقلام · ومعظم الازرار مصنوعة ايضاً من اللبن وكذلك مباسم السجاير وأدوات التزين وكرات البليارد وايدي المباري · وهذه الاشياء تصنع من اللبن بعد نزع القشدة منه فلا يبقى سوى اللبن المخيض الخاثر الذي يضاف اليه قليل من الانفحة (من معدة العجل) فيستحيل جبناً فيضيف اليه الكيماوي أشياء تحيله جبناً جامداً يشبه القرن في القوام والكثافة فيصنع عندئذ ما يشاء منه

النوبيون في مصر

نلخص للقراء هذا المقال المفيد عن مجلة « العالم الاسلامي » الانجليزية :

النوبة هي القسم الكائن بين اسوان ودنقلة حيث يسكن النوبيون الذين يستخدمون في القاهرة بوابين وخدماً . ويقال ان لفظة « نوب » مصرية قديمة معناها الذهب لان المصريين كانوا يستنبطون الذهب من تلك الاصقاع فأطلقوا عليها هـذا الاسم . ويؤخذ من احصاء عمل سنة ١٩٢٤ ان النوبيين المقيمين بين اسوان ووادي حلفا يبلغون ٣٥٠ ٧٧ نفساً . واللغة النوبية قليلة الالفاظ العربية وهذا غريب اذا اعتبرنا قطرهم الذي يقع بين مصر والسودان وكلاهما يتكلم العربية ويسود النوبة . ولا يتكلم العربيـة من النوبيين سوى من خدموا في مصر فاذا رجعوا عادوا الى لغتهم التي لا يعرف نساؤهم غيرها . واول معجم وضع للغة النوبية ألفه العالم الايطالي كارادوري سنة ١٦٥٠ ولـكن ألفت بعد ذلك معاجم اكثر اتقاناً

وقد ذكرت النوبة في الفصل الثاني من التوراة باسم « كوش » . وحوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م دخلت النوبة في حكم مصر وكانت عاصمتها نباطه او ميروئي ومنـذ ذلك الوقت اتصل النوبيون بثقافة مصر وحضارتها . وكانت مصر تجلب من النوبة العبيد والذهب والعاج والصمغ والريش. وحوالي سنة ٧٥٠ ق . م . اغار شباكه ملك النوبيين على مصر وامتلكها عنوة . وكان طهراكة من سلالته وقد حارب اشور . ومنذ ذلك الوقت انحسرت الموجة النوبية . ولما انتشرت المسيحية في مصر دخل النوبيون في هـذا الدين الجديد قبل غارة العرب على مصر . وكان المصريون المسيحيون يلجأون الى النوبة . ولما لم يكن للنوبة جبال تحميها اغار عليها العرب في القرن الثالث عشر فامّحت المسيحية . وفي ايام السلطان سليم سلطان تركيا استغاث النوبيون بالاتراك فأنفذ اليهم هذا السلطان بضع مئات من جنود البوسنة تحت قيادة حسن كوزي فاستولى هذا على البلاد وصار بمثابة الملك المستقل يدفع لوالي مصر خراجاً ولـكنه فيما عدا ذلك كان مستقلاً . وتزاوج النوبيون بهؤلاء الجنود ولا تزال للآن ذراريهم تسمى باسم قلعة داشي وباسم عثمانلي وفي لونهم وملامحهم ما ينبىء بالاصل الشمالي . وقد غمر النيل معظم ارض النوبيين بعد بناء سد اسوان فهم لذلك يعيشون في فقر مدقع ويهاجرون الى السودان ومصر

كيمياء الدموع

لقـد كان موضوع الدموع الى عهدنا هذا موضوع الشعراء وحدهم ولكنه أصبح الآن موضوع الكيماويين فان الكيماوي الياباني « وادا » حلل سوائل الدموع فوجد انها تحتوي على مقدار من البوتاسة يساوي ثلاثة اضعاف ما في مصل الدم أما الكلسيوم والمغنيزيوم فاقل مما هما في مصل الدم

الانسان والدب

عاش الانسان دهراً طويلاً وهو يقتات بالاثمار البرية و بما يصيد من الحيوان ۰ وقد كان الدب في اوربا من الحيوانات التي كان يتنافس الشجعان في قتلها وحمل لحمها ۰ وقد كشف الردم حديثاً عن كهف كبير مشهور في النمسا يدعى كهف كادراخنهول ۰ وكان هذا الكهف معروفاً في القرون الوسطى يعده الناس مأوى العفاريت والجن ۰ وقد جرى التنقيب فيه مدة ثلاث سنوات آخرها سنة ۱۹۲۳ فوجدت به عظام مئات من الدببة واحافير من حيوانات اخرى بينها عظام من الانسان النيندرتالي ۰ وهو الانسان الذي انقرض قبل الانسان الحديث وكان يعرف النار كما كان على شيء كبير من ثقافة الصيد ۰ ويظهر من ابحاث العلماء حول هذا الكهف انه كان مأوى الدببة تأوي اليه وقت البرد والصقيع فكان الانسان النيندرتالي يقف على باب الكهف ومعه عصا ضخمة في طرفها حجر مربوط بها فاذا خرج الدب فاجأه هذا الانسان بضربة على قنطيسته او على جبهته ۰ فاذا وقع اجهز عليه وهو في الغيبوبة الحادثة من الضربة ۰ وقد استنتجوا ذلك من ان جميع جماجم الدببة محطمة من الامام

الحيوان والصحة

من ينظر الى عناية الحيوان بصحته يعجب من غرائزه التي تلهمه الصواب في اختيار طعامه ۰ فمن المعروف ان الماشية في مصر لا تقرب عشباً قذراً وان الفرس عندما يريد الشرب يخوض قليلاً في الجدول أو القناة حتى يبعد عن الطين ثم ينفخ الماء حتى يكشف سطحه المغطى بالجراثيم والغبار وبعد ذلك يشرب ۰ والعنكبوت لا يرضى البتة أن يقترب من حشرة ميتة فما لم يقبض عليها صاحية متحركة فانه يلقيها بعيداً عن نسيجه ۰ ومعظم الحيوانات تدعي الموت اذا رأت عدواً مفترساً فتنتفخ وتجمد وذلك لان الحيوان المفترس لا يأكل الميتة ۰ ونظافة القطة مشهورة فهي لا تكتفي بغسل نفسها بل تغسل أيضاً صغارها وجميع الحيوانات تعنى بالنظافة حتى الارنب يغتسل ويفرك الوسخ الجاف منه حتى ليبدو لمن ينظر اليه كأنه يتأنق ۰ أما الطيور فان كل من اقتناها يعرف مقدار عنايتها بالاستنقاع في الماء

تاريخ استعمال الحديد

يقول الدكتور فرند : ان الانسان اهتدى الى فائدة الحديد واستعماله من النيازك التي تقع على سطح الارض ۰ فانها مؤلفة في اكثر مادتها من حديد ونيكل ۰ و بعد ان عرف الحديد منها استطاع ان يستنبطه من الارض



اعتدال القامة

كانت سارة برنار كبيرة الممثلات في باريس تنقد الجمال بعين فنية وتدرس الوجوه والقامات درس المرأة الكيسة الحاذقة . فما يؤثر عنها قولها ان جمال القامة وامتدادها اهم واخطر على المسارح من جمال الوجوه . لان الوجه يمكن اصلاحه بالاصباغ والدهانات . اما القامة فلا تصلح ولا قيمة للوجه الحسن ما لم تكن القامة حسنة

والرجل والمرأة سواء في ذلك . فمهما يكن الوجه فان القامة المعتدلة والرأس المرتفع يكسبان صاحبهما وجاهة الهيئة وحسن الطلعة وشذوذاً عن العامة . وقد عرّف بعضهم الجمال بقوله : « انهُ الصفة أو الصفات التي تسر العين أو الاذن او تطرب الذهن او الحاسة الاخلاقية بوشائجها أو بمناسبتها للغرض المقصود »

واعتدال القامة يعد من الجمال من حيث انهُ يسر العين ويكسب الشخص وجاهة . ولكن ليس الجمال هو الغرض الوحيد الذي يقصد اليه من اعتدال القامة . فان الصحة غرض آخر بل غرض أهم . لاننا في هيئة الاعتدال يتوزع ثقل الجسم على جميع الاعضاء بالسواء فلا نشعر بالاعياء الا بالمقدار الذي يحتاج اليه عملنا وذلك لان مركز الثقل يقع في وسط الجسم . أما في القامة المنحنية أو عند انبعاج البطن وادبار الظهر فان مركز الثقل لا يقع في مكانه الاول فنحتاج الى ان نضغط بعض العضلات ونكلفها فوق طاقتها و يقع الثقل على بعض الاعضاء دون غيرها فنشعر بالاعياء من المشي البطيء الخفيف الذي لا يكلف صاحب القامه المعتدلة أقل تعب بل قد ينشطهُ و يسره

ج ب ا

الشكل الاول : العمود ا يتزن بسهولة بينما العمود ب يحتاج الى مجهود كبير لاتزانه ويجب ان يميل قليلا والرجل المستكرش لا يمكنه لذلك ان تعتدل قامته

وقد فحص الدكتور براون طائفة كبيرة من طلبة جامعة هارفرد في اميركا فتبين له ان ذوي القامات المعتدلة أصحاء الجسم لا يشكون من شيء بينما كان اصحاب القامات المنحنية أو الناقصة من أي وجه يشكون من الامساك والصداع والضعف العمومي . وذلك لما قلناه من أن صاحب القامة الناقصة يكلف بعض اعضائه من ثقل جسمه اكثر مما يكلف غيرها فيشعر بالاعياء لاقل مجهود

ولكي يدرك القارىء ذلك بوضوح يجب ان ينظر الى الشكل الاول . ففيه يرى ان العمود الايسر يمكن ان يتزن بسهولة بينا اذا نحن وضعنا في وسطه ثقلاً لا يمكن ان يتزن الا اذا مال . وكذلك الرجل المستكرش يجب ان يميل حتى يتزن . فالرجل السمين لا يتعب من ثقل جسمه فقط . بل من احتياجه الى ان يميل جسمه حتى يتزن . وهو في ذلك يضغط بعض الاعضاء اكثر من ضغطه لغيرها فيحس بالتعب قبل غيره

ومعظم النساء يستعملن الكعب العالي لانهن اقصر قامة من الرجال فيحتجن لذلك الى اطالة قامتهن . والكعب اذا لم يكن عالياً جداً أفاد القامة ولم يضرها كما يرى القارىء في الشكل الثاني . ولكنهُ اذا كان عالياً حنى الجسم الى الامام قليلا حتى تنحني الركبتان. ولذلك لا يمكن المرأة التي تستعمل الكعب العالي أن تسير طويلا لان هذا الكعب يحنيها الى الامام فتنفق هي من قوتها مجهوداً لكي تعتدل وهي تتعب لانفاقها هذا المجهود

الشكل الثاني : الكعب العالي يحني الجسم الى الامام قليلاً كما يرى في الرسم الذي الى اليمين

والنساء لعنايتهن بالجمال اكثر عناية بالقامة المعتدلة من الرجال . ولكنهن احياناً يحاولن ايجاد هذه القامة فلا يوفقن . وأول شرط للقامة المعتدلة هو ضمور الجسم لان البطن البارز يتلف كل شيء . وأحسن ما تتوسل به المرأة الى اعتدال القامة ان تتصوَّر وهي تمشي أنها تحمل بيضة على رأسها فتسير وهي تحرص على ألا تقع . ولنسائنا الريفيات قامات معتدلة حصلن عليها لانهن نشأن وهن يحملن الجرار على رؤوسهن فاعتدلت بذلك قاماتهن

لا تخجل من التثاؤب

اذا تثاءبت ربة البيت أمام الضيوف عدوا ذلك منها وقاحة كأنها قد سئمتهم وتدعوهم الى الخروج وتود ان تستريح . والواقع اننا نتثاءب عند ما يرين النعاس على جفوننا . ولكن ليس الكسل أو الميل الى النوم هو العلة الوحيدة للتثاؤب . فان للتثاؤب جملة علل يجب على الضيف أن

يحسب لها اذا رأى رب البيت يتثاءب أمامه · فنحن نتثاءب مثلا اذا رأينا غيرنا يتثاءب · ونتثاءب وقت الهياج العصبي ونتثاءب لعواطف الحب واذا أدمنا التفكير في شيء تثاءبنا

فكما اننا نتثاءب عند ما نذهب الى الفراش لكي ننام كذلك نتثاءب عند ما ننتبه في الصباح من النوم · فالتثاؤب يحدث من النعاس ومن التنبه معاً كما يحدث في الصحة وفي المرض · ومن أغرب الاوقات التي يحدث فيها التثاؤب هو الوقت الذي يسبق زهوق الروح في المحتضر

والسبب الحقيقي للتثاؤب في كل هذه الحالات هو حاجة الجسم الى مقدار كبير من الهواء يدخل الرئة فجأة كما يحدث في التنهد مثلاً

لا تطبع ابنك على طابعك

الوالد مشغوف بأن يرى ابنه ينشأ على غراره يكره ما يكره ويحب ما يحب · وأقوى البواعث على ذلك ان الانسان مغرور بطبعه يتوهم من حيث لا يدري انه ليس في الامكان أبدع منه فاذا رأى ابنه يخالفه في الذوق والمزاج حاول ان يذلله كأنه حيوان جموح · ولكن الواقع ان كل طفل مخلوق جديد في العالم لم يظهر قبله ولن يظهر بعده مثله · وليس ينكر انه ورث أشياء عديدة عن والده ولكنه ورث عن والدته أيضاً أشياء اخرى دع عنك ما جدّ فيه هو نفسه مما يخرج عن الوراثة · فيجب على الوالدين ألا يخشيا كل نزعة جديدة في ابنهما تخالف نزعاتهما ويجب أن يكون موقفهما منه موقف الارشاد لا موقف التذليل وان يحرصا على ألا يكون هذا الارشاد منطوياً على ما فيهما من غرور وزهو يدفعهما الى ان يطبعا ابنهما بطابعهما اذ ليس هناك ما يمنع أن ينشأ الطفل نشأة تفضل نشأة كل منهما لو ترك على سجيته مع الاقتصار على القليل من النصائح

المبالغة في الطبخ

يقول الدكتور فريد برجر الالماني اننا نبالغ كثيراً في طبخ طعامنا . وقد لفته الى ذلك ما وجده من انه لا يشعر بالغذاء الكافي من المطاعم التي تكرر طبخ الطعام وتسخينه وتركه على النار مدة طويلة مثلما يشعر من الطعام المطبوخ بالبيت طبخاً قليلا . وقد عمد الى تحقيق ذلك بان قسم طائفة من الجرذان البيضاء قسمين أحدهما خصه بطعام طبخ قليلا والآخر بطعام قد ألح عليه في الطبخ ساعات . فوجد ان القسم الاول نما وربا في عافية وصحة . في حين ان الثاني بقي مهزولاً قميئاً بطيء النمو . فاستنتج من ذلك ان الطعام الاصح هو الذي لم يبالغ في طبخه



تاريخ مصر الحديث – للدكتور محمد صبري

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة يحتوي على ٢٤١ صفحة من القطع المتوسط

يشمل هذا الكتاب تاريخ مصر من بدء دخول محمد علي الى اليوم وهو من الكتب الفريدة التي جرى فيها المؤلف على طريقة البحث الحديث والنقد فهو لا يقتصر كمعظم ما يكتب في العربية على الرواية بل يقابل ويمحص و يستنتج . وهو في استنتاجه ونقده أدق في حوادث محمد علي مما هو في حوادث توفيق واسماعيل . فقد علل مثلاً هزيمة عرابي بأربعة اسباب كلها صحيحة ولكنه اغفل السبب الاصلي المهم وهو خطة الخديوي توفيق . واليك ما يقول عن اسباب هذه الثورة :

« وتتلخص أسباب الهزيمة :

« اولاً – في ان عرابي وان كان خطيباً يؤثر في الجماهير بقوة الجرأة والاخلاص والايمان الا أنه لم يكن ذلك السياسي المحنك او الجندي المدرب الذي يجمع الكل على احترامه ، وكانت الحركة بحاجة الى قائد حازم مدبر يطهر البلاد من العدو الداخلي و ينظم الدفاع ضد العدو المهاجم

« ثانياً – انتشار الخيانة في الجيش بفضل الحزب الشركسي واعوانه من المصر بين الذين كانوا يبذرون الاموال والمواعيد في الصفوف ، وممن اشتهر بالخيانة بين الضباط علي يوسف الذي خدع عرابي جهة القناة اولاً ، وجهة التل الكبير ثانياً ، حيث كان رئيساً للسواري في المقدمة ففتح الطريق للجيش الانجليزي ومكنه من مباغتة الجيش المصري

« ثالثاً – اغترار عرابي بوعود دلسبس المتكررة بعدم تعرض الانجليز للقناة وإهماله تحصينها رغماً من الرأي السائد في رياسة جيشه ، فلما رأى الانجليز صعوبة الهجوم من جهة كفر الدوار حيث أنشأ المهندس محمود باشا فهمي استحكامات منيعة ، او من جهة النيل قرروا احتلال القناة وإنزال جنودهم في الاسماعيلية ، وقد نجحوا في خطتهم لان عرابي ترك منطقة القناة عوراء

« رابعاً – نكث السلطان عهوده وطعنه الثورة في ظهرها بعد ان كان اول مشجع لها ، وذلك ان اللورد دوفرين مندوب انجلترا في الاستانة دفعه الى اعلان « عصيان » عرابي في منشور وزع بالآلاف في صفوف الجيش المصري فكان من عوامل اضعاف المقاومة » اه .

والكتاب على هذا النسق البديع في ترتيب الحوادث واستنتاج النتائج . وقد احسنت وزارة المعارف بوضع هذا الكتاب الثمين بين ايدي طلبتها فانه جدير بكل رواج

المثالث والمثاني – بقلم حليم دموس

مجموعة شعرية مصورة ومزينة برسوم أدباء العصر وأمثلة من خطوطهم
تحتوي على ٢٠٨ صفحات كبيرة طبعت بمطبعة العرفان بصيدا

الاستاذ حليم دموس شاعر معروف له المقطعات الطريفة التي كثيراً ما يتحف بها الصحف. وقد جمع طائفة كبيرة من اشعاره في هذا المجلد وزينه برسوم عدد كبير من الادباء والاعيان في سوريا فجاء كتاباً ثميناً جديراً بأن يقتنى لاحتوائه على اشعار ثمينة وصور فريدة · وقد عقد المؤلف فصلاً عن شاعر البرازيل كازيمير دي ابراو ترجم فيه بحياته واورد امثلة عديدة من شعره

وللمؤلف شعر طلي نذكر مثلاً منه هذه الابيات وموضوعها «لغتي» :

يا ربّة الشعر رفقاً بالذي مثلا أمامَ هيكلكِ القدسيِّ مبتهلا
لي في الورى لغةٌ هامَ الفؤادُ بها وكم لها فيكِ آياتٌ جرتْ مثلا
أبغي لها المجدَ والعلياء من صغرٍ لا كنتِ لي ربةً إن مجدُها أفلا !
وأنت يا قلماً صاحبتهُ زمناً وظلّ يُسمعني من آيهِ نغما
إحرصْ على لغةِ الاجداد انَّ لها محاسناً هزّتِ الإفرنجَ والعجما
فإن تنكبتَ يوماً عن مناهجها لا كنتَ لي صاحباً لا كنتَ لي قلما !

والكتاب يجري كله على هذه الوتيرة من حسن الديباجة وحلاوة اللفظ ورقة المعنى

كتاب الامالي – لأبي علي القالي
وكتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه

طبع طبعاً فاخراً بمطبعة دار الكتب المصرية في القاهرة : الامالي في مجلدين هما والذيل صفحاتها ٨٣٤ والتنبيه في مجلد واحد صفحاته ٢٠٨ من القطع الكبير . والناشر هو اسماعيل يوسف دياب

كتاب الامالي من كتب الادب المعدودة كان ابن خلدون ينصح الناس بقراءته ويذكره في صف البيان والتبيين للجاحظ · واعتقادنا ان قيمة هذا الكتاب تاريخية أدبية اكثر منها تعليمية فاننا لا نعتقد انه يمكن كاتباً ان يتعلم الانشاء منها· فان معظم الالفاظ المستعملة فيه مماتة أو مهجورة والاساليب العربية المتينة أسهل على الكاتب أن يصطنعها من كتاب كالاغاني أو تراجم ياقوت أو تاريخ ابن خلدون من ان يصطنعها من قراءة او حفظ نوادر ابي علي القالي لان بين اساليبنا الآن وبين الاسلوب الذي اتبعه ابو علي في أماليه هوة لا يمكن اجتيازها ولو ان كاتباً عربياً تحداه في هذا الاسلوب لما وجد قارئاً واحداً يقرأه · ولكن الكتاب مع ذلك خزانة عامرة بنوادر اللغة والاشعار وأخبار الجاهليين والاسلاميين فهو لذلك جدير بالاطلاع والاقتناء

فنحن نشكر للناشر هديته الثمينة ونرجو ألا تخلو مكتبة من مثل هذا الاثر المفيد

ملقى السبيل ـ لاسماعيل افندي مظهر

طبع بالمطبعة العصرية بالفجالة بالقاهرة . عدد صفحاته ٣٦١ من القطع الكبير

يحتوي هذا الكتاب على فصول في مذهب التطور وعلاقته بالفكر الحديث مثل « الرأي المادي ومذهب النشوء » و « دارو ين والماديون » و « الانقلاب الجنيني واثره في تأيد مذهب النشوء » و « المذاهب الحديثة في الحفريات وعلاقتها بمذهب النشوء » الخ

ومع ان هذه الابحاث كما يرى القارىء علمية فان اسلوب المؤلف ادبي فيه عناية مقصورة بالتزويق والمؤلف يميل الى الطريقة الجدلية وقد بحث آراء الافغاني في اسهاب ورد على مز اعمه في مذهب التطور رداً كان يكون اشفى وانهض بالحجة لو انهُ اختصر فيه بعض الاختصار

ولكن الكتاب مع ذلك حافل بالابحاث الطلية عن نظرية التطور . وهاك قطعة تدل القارىء على روح البحث وهي من قوله في الماديين والالهيين :

« يتلخص الآن موقف الماديين والالهيين في شيء واحد . يقول الماديون إن العالم مادة في مادة وقوة في قوة . مادة صماء . وقوة عمياء . لا قصد وراءها ، ولا عقل يديرها ، ولا ارادة تحكم نسبها ، وتسيرها ، ولا علة مريدة تعود اليها . ويحاولون جهد ما يستطيعون أن يقنعوا أنفسهم بان اكتشافهم حلقات الاتصال بين ظاهرات الطبيعة كاف لاثبات زعمهم هذا ، وانهُ مغنيهم عن تعليل مجموع الكون وماهياته

« ويقول الالهيون إن المادة والقوة اشياء مبهمة في الطبيعة ، بل معجزات امام العقل البشري . واننا ان استكشفنا حلقات الاتصال بين الظاهرات الطبيعية فانما ذلك ادراك لبضعة نظم جزئية ثانوية ، لا تعلل الكون في مجموعه . وإن المعجزات لواقعة في الطبيعة بالفعل . فليست المعجزة كما يقول عامة الناس هي خرق نظام الطبيعة الأبدي الثابت ، كلا . انما المعجزة بمعناها العلمي هي ما يعجز العقل البشري والعلم الانساني عند تعليله بالسنن التي تضبط الظاهرات . فقوتا الجذب والدفع مثلاً ، قوتان غامضتان مبهمتان ، يعجز العقل عن إدراكهما إدراكاً علمياً . ومع ذلك فانك ان فرضت عدم وجودهما ، تفككت ، مع فرضك هذا ، ألفة العقل ونظامه . كذلك الماهيات برمتها . فاذا تساءلت مثلاً ما هي الجاذبية ؟ وما هي الكهرباء ؟ وما هي الحرارة ؟ وما هو البعد الرابع في النسبية ؟ عجزت عن الجواب وحصرت عن الكلام . وذلك في معتقدي معنى المعجزة . فالانسان محوط بمعجزات ، مروع بماهيات خفية غامضة تكتنفها ظلمة من كل ناحياتها

« ولقد تعلق الماديون بذيول مادتهم حتى ارهقتهم واذلتهم واستعبدتهم استعباداً . واشد مايكون الاستعباد اثراً في النفس اذا قام على المعتقد . فهم يعتقدون انهم عللوا الكون . في حين انهم لم يعرفوا من علته شيئاً . ولم يجد بنا الى الافاضة في هذا البحث الا نزعة الماديين الى القول بان

مذهب النشوء قد أثبت المادية وضرب القول بالالوهية في صميمه · وهم اذ يقولون ذلك القول ينسون او يتناسون انهم لم يعرفوا ماهية الحياة · و يتغافلون عن ان قولهم هذا مثبت من جهة اخرى ان جاذبية نيوتن ـ و كيمياء لافوازييه ، ونظام لابلاس ، و كونيات هولباخ ، انما كانت تعلل مادية الكون تعليلاً ناقصاً ، وكان ينقصهم النشوء لتتم عالهم المادية · كما ان قولهم اليوم بأن نسبية انشتين قد عللت مادية الكون ، دليل جديد على ان النشوء لم يتم تعليل مادية الكون كما ادعوا من قبل · وسيقولون هـذا القول عينه ، كلما وقعوا على حلقة من تلك الحلقـات التي تربط بين الظاهرات ، وما هم في كل ذلك من تعليل الكون في كثير ولا قليل » اهـ ·

والكتاب على هذا النمط وهو جيد الطبع والورق

كتاب التعاون ـ تأليف الدكتور يحيى احمد الدرديري

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة عدد صفحاته ٢٥٧ من القطع المتوسط ثمنه ١٥ قرشاً

يحتوي هذا الكتاب المفيد على فصول في الطريقة العملية لتأسيس جماعات التعاون · وهو جزءان : الجزء الاول خاص بالتعاون في اوربا · والثاني خاص بالتعاون في مصر · وفي هـذا الجزء الثاني فصول عن : « قانون التعاون لسنة ١٩٢٣ » و « الحكومة وتنظيم الحركة » و « عقد التأسيس الابتدائي » و « النظام الداخلي للشركة »

والمؤلف سهل العبارة واضح المعنى يكثر من ايراد الامثلة · فمن ذلك مثلاً كلامه عن مصانع الزبدة التعاونية في دنمارك حيث قال في صفحة ١٣٠ :

« مما يدلنا على نجاح هذه المصانع وتقدمها السريع انهُ لم يكن موجوداً في الدانمارك الا مصنع واحد تعاوني قبل سنة ١٨٨٢ ثم زاد عددها حتى اصبح في سنة ١٩٠٩ الى ١١٥٧ مصنعاً ، وبلغ عدد البقر الذي يورد منه اللبن لتلك المصانع ١٠٦٠٠٠٠ بقرة او اكثر اي ٨٤ ٪ من مجموع البقر الذي في تلك البلاد

« وبلغ ثمن اللبن الذي ورده الاعضاء في سنة ١٩٠٩ نحو ١٤ مليون جنيه و يتراوح عدد البقر الذي يورد اللبن للمصنع الواحد ما بين ٤٠٠و١٤٠٠ بقرة ولكن في الغالب لا يقل عن ٨٠٠ بقرة »

والكتاب على هـذا النسق المفيد وهو انفع ما يكون لقطر زراعي مثل مصر · وقد احسنت الوزارة في تقرير تدريسه بمدارس المعلمين الاولية

اعتذار

ضاق هذا الجزء عن استيفاء الكلام على جميع الكتب التي جاءتنا في عطلة الهلال . فموعدنا بذلك الاجزاء القادمة باذن الله

مطبوعات جديدة

﴿ الوضعية في الحكمة الخلقية ﴾ يحتوي هذا الكتاب على ثمانية أجزاء كل منها في مجلد . وهو للدكتور سليمان غزالة من أدباء العراق . وموضوعات هذه الاجزاء : الحب البشري . تاريخ الحرية البشرية . الهوى ونحو ذلك . والمجلدات كلها مجلدة تجليداً حسناً وبحث المؤلف طلي العبارة . وقد طبعت بدار السلام في بغداد

﴿ العشق الطاهر ﴾ هو أيضاً للدكتور سليمان غزالة يحتوي على ١٨٨ صفحة حافلة بالمقطعات الشعرية والمنظومات الحسنة عن المرأة والحب والعائلة والزواج ونحو ذلك من الموضوعات التي يجدر بالشباب الوقوف عليها

﴿ معجم الجيب الفرنسي والعربي ﴾ وضعهُ الاديبان بليبل ويزبك الحشروني يحتوي على ٣٨٧ صفحة صغيرة وهو مجلد بالقماش واضح الحروف حسن الطبع وهو من الفرنسية الى العربية وقد طبع بمطبعة كوا بالقاهرة

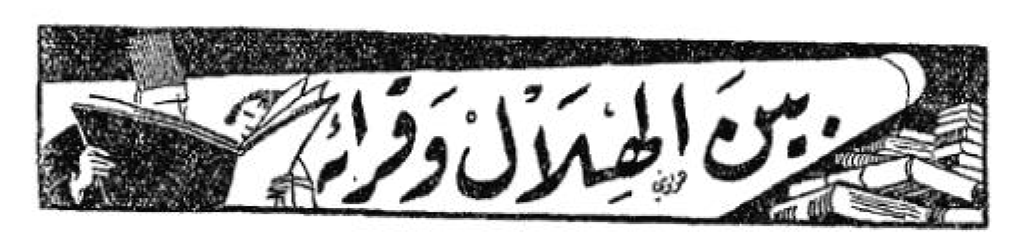
﴿ النهضة العربية في القرن التاسع عشر ﴾ تأليف الاديب الناهض أنيس زكريا نصولي يحتوي على ١٤٣ صفحة يبحث في تاريخ القرن التاسع عشر في الشرق العربي وموضوعاته : المدارس . الطباعة . الصحافة والتأليف . المكاتب . التمثيل . المهاجرة . وبالكتاب عدة فوائد تاريخية وابحاث انتقادية في أصل النهضة العربية

﴿ وطن الفراعنة ﴾ مثل من الشعر القومي للنابغة الاديب الدكتور احمد زكي ابي شادي يحتوي على قصائد عصماء عن موضوعات مصرية مثل رأس البر وعيد النيروز ووادي الملوك والاسفنكس وليالي رمضان والاهرام وراعي الغنم . والاستاذ زكي ابو شادي في طليعة النهضة المصرية يعمل لرقيها وتقدمها

﴿ ديوان رامي ﴾ شعر رامي من ارق الاشعار معنى وأبرعها لفظاً . وهذا الديوان يحتوي على طائفة من القصائد الممتعة معظمها خاص بالحب وما اليه من المعاني يقع في ١١٢ صفحة جيدة الطبع والورق

﴿ قراضة الذهب ﴾ للحسن بن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٥ هـ . وهو يبحث في النقد الادبي كما كان يفهمه ادباء القرن الخامس الهجري يحتوي على ٥٩ صفحة كلها في نقد الشعر يطلب من مكتبة الخانجي بمصر

﴿ مذكرات الغازي مصطفى كمال ﴾ وهي المذكرات الذي املاها الغازي على الصحف التركية اخيراً وقد ألحق بها نص الوثائق التاريخية الخاصة باواخر ايام الحرب . ترجمها الى العربية الاديب عبد العزيز امين الخانجي فوقعت في ١٢٠ صفحة جيدة الطبع



من أين يأتي الجراد ؟

❋ سبرنجفيلد . الولايات المتحدة ❋ نجيب خليل صوما

من أين يأتي الجراد الى لبنان في بعض السنين فقد رأيناه مدة الحرب بكثرة هائلة دون أن نعرف مأتاه ؟

❋ الهلال ❋ الجراد يبيض كل سنة في اماكنه قريباً من الصحاري . والعادة ان الصغار تموت من التقلبات الجوية . ولكن يحدث احياناً انها لا تموت لملاءمة الجو لها فتهب على المزارع وتجرد كل ما أمامها . ويقال انه جمع في سنة ١٨٨١ من بيض الجراد في جزيرة قبرص وحدها ما كان وزنه ٣٠٠ طن . والحشرات كثيرة النسل وانما هي لا تزداد لان أكثر من ٩٩ في المائة من هذا النسل يهلك قبل البلوغ

تحويل السنة الهجرية الى ميلادية

❋ بغداد . العراق ❋ كرابيت ملكونيان

كيف تحول السنة الهجرية الى سنة ميلادية ؟

❋ الهلال ❋ القاعدة الآتية تفيد في تحويل السنة الهجرية الى سنين ميلادية بصرف النظر عن الكسور :

$$\text{سنة هجرية} - \frac{\text{٣ سنة هجرية}}{\text{١٠٠}} + \text{٦٢١٫٦} = \text{سنة ميلادية}$$

الاستقلال الداخلي في الولايات المتحدة

❋ بورتوريكو . الولايات المتحدة ❋ يوسف سعد

لماذا يحكم بقتل القاتل في بعض الولايات المتحدة ويحكم عليه بالسجن في بعض الولايات الاخرى ؟

❋ الهلال ❋ صحة اسم « الولايات المتحدة » هو « الدول المتحدة » فهي جملة دول قد اتحدت في شؤونها الخارجية وبعض شؤون أخرى ولكن كل دولة مع ذلك مستقلة عن الاخرى في شرائعها فهذه مثلاً تتسامح في الطلاق وهذه تتصاعب . وهذه مثلا تعاقب القاتل بالاعدام وهذه بالسجن . فلكل دولة قوانينها ومحاكمها التي قد تخالف ما عند جارتها

فتح العرب لتونس

❊ جازا دلا كوتانا · ارجنتينا ❊ عبود متري منصور
متى كان فتح العرب لتونس ؟
❊ الهلال ❊ فتح المسلمون تونس سنة ٧٠ للهجرة وكانوا بقيادة حسان بن النعمان في خلافة عبد الملك بن مروان

المجلات الطبية

❊ القاهرة · مصر ❊ محمد رضوان قناوي
ما هي اشهر المجلات الطبية العربية والانجليزية ؟
❊ الهلال ❊ هي هذه : المجلة الطبية المصرية بالقاهرة . المجلة الطبية العلمية ببيروت . صحة العائلة بمصر . The Lancet في لندن . The Practitioner في لندن . The Journal of the American Medical Association في اميركا

باني كنيسة اياصوفيا

❊ بروكلن · الولايات المتحدة ❊ الياس سليم غبريل
ذكر اندريه سرفيه في كتابه « الاسلام ونفسية المسلم » ان المهندس الذي بنى كنيسة أياصوفيا سوري الاصل فهل هذا صحيح ؟
❊ الهلال ❊ بنيت كنيسة (او مسجد) اياصوفيا سنة ٥٣٢ م وكان الذي اشرف على البناء مهندسان هما ميليتوس وانتيميوس وذلك في حكم الامبراطور يوستنيان · وكلا المهندسين من ترالس في آسيا الصغرى وقد خضعت هذه المدينة مدة طويلة للفرس ولكن ليس هناك ما يدل على ان سكانها كانوا سوريين والارجح انهم كانوا فرساً او رومانيين

ام ولود متئام

❊ مراندا · تانجنيقا ❊ حماد ناصر
قرأنا في احدى المجلات ان اماً ولدت ١٢ ولداً في ٨ سنوات · فهل هذا صحيح ؟
❊ الهلال ❊ ليس هذا الخبر مستحيلاً · فان من النساء من تلد توأمين وثلاثة في ولادة واحدة · والاتئام يكثر في الامهات الصغيرات الجسم او اذا كان الاب صغيراً لان الحيوان الصغير الجسم كالفأر يلد اكثر جداً من الحيوان الكبير الجسم كالفيل مع ان كليهما لبون · والطبيعة لا تعرف الانواع وانما تعرف الافراد فقط

السقوط على الزئبق

﴿ المنيا . مصر ﴾ سلفتوري مسري

حب ان انسانًا القى بنفسه من مكان عال الى بحيرة من زئبق فهل يطفو او ينغمر وهل يؤذيه السقوط ؟

﴿ الهلال ﴾ الزئبق سائل اثقل من الحديد اي ان الحديد يطفو عليه كما يطفو الخشب على الماء . فاذا القى انسان نفسه فيه فانه ينغمر بقوة السقوط وبنسبة ارتفاعه ثم يعود فيطفو . اما انه يؤذي فان الاذى يتوقف على مقدار ارتفاعه وقت السقوط . والانسان لو القى بنفسه في الماء من مكان عال جداً فان اصطدام الماء به يقتله . فكيف بالزئبق ؟

النورستنية

﴿ انطاكية . سوريا ﴾ معروف حيدر

ما هو علاج النورستنية ؟

﴿ الهلال ﴾ تعالج النورستنية الآن بالتحليل النفسي على طريقة فرود ويونج . ولا نعرف احداً يعالج بهذه الطريقة في مصر او سوريا الآن . واحسن ما يفعله المريض بها ان يشغل نفسه بما يملأه رجاء بالمستقبل ويشعره بفائدته في العالم . اما العقاقير فلا منفعة منها

جريدة ام صحيفة ؟

﴿ كنجستون . جاميكا ﴾ فريد حنا

ايهما اصح ان نقول صحيفة ام جريدة ؟

﴿ الهلال ﴾ كلتاهما صحيحة الآن وصحتهما ترجع الى الاستعمال . ومعنى « جريدة » القديم لا يتفق ومعناها الحاضر ولكن الاستعمال اكسبها المعنى الحديث . « وصحيفة » اصح . ولكن العبرة بالاستعمال في هذه الامور

اصل اللغات وافضلها

﴿ كذا كول ميناس . برازيل ﴾ انطون ابراهيم نهرا

ما هي لغة الانسان الاولى وأية الامم عرفت القراءة والكتابة قبل غيرها وكيف افترقت الامم في لغاتها ؟

﴿ الهلال ﴾ لا يمكن معرفة لغة الانسان الاولى فانما هي اصوات قليلة غامضة المعنى . وربما كان للانسان لغتان في اول خروجه من البهيمية الى الانسانية ، اذا صح ما يقوله بعض العلماء الآن من ان الانسان نشأ من اصلين لا من اصل واحد . اما اقدم كتابة فتنسب الى المصريين ولا يعرف الآن اقدم منها . وقد اختلفت اللغات باختلاف البيئات التي عاشت فيها الامم في

انتشارها على وجه المعمورة كما تختلف اللهجات العامية في الامة الواحدة باختلاف المدن

ملوك غسان

﴿ مكسيكو . مكسيكا ﴾ انطونيوس سليم الشمر

من هم ملوك غسان ومن اشتهر منهم ؟

﴿ الهلال ﴾ دولة الغساسنة كانت من دول بادية الشام العربية التابعة للدولة الرومانية وقد استقر ملكهم نحو اربعة قرون . ويقال ان اصل الغساسنة من اليمن جاءوا عنهُ عند تهدم السدود فنزلوا مشارف الشام وأسسوا دولتهم في ما يعرف الآن باسم حوران . ويبلغ عدد ملوكهم ٣٢ أولهم جفنة بن عمرو وآخرهم جبلة بن الايهم الذي استولى المسلمون على ملكه فأسلم ثم فرَّ الى قيصر بالقسطنطينية فارتد الى المسيحية . ويرى المستشرقون في عدد هؤلاء الملوك مبالغة ويقولون انهم لا يزيدون عن عشرة أولهم جبلة بن شمر وآخرهم جبلة بن الايهم . وقد امتد ملك الغساسنة حتى عمَّ مشارف الشام وتدمر وفلسطين . وبنى ملوكهم القصور يذكر العرب منها القصر الابيض وقصر المشتى وقصر السويداء وغيرها

معاني الالفاظ الحديثة

﴿ عبادان . خليج فارس ﴾ حميد العماري

ما معنى هذه الكلمات ديموقراطية . أتوقراطية . ارستقراطية . بيروقراطية ؟

﴿ الهلال ﴾ مقطع « قراطية » الذي في هذه الكلمات معناه حكومة . وديمو معناه الناس . فلفظة ديمقراطية معناها حكومة الشعب اي ان الشعب يحكم نفسه لا يتسلط عليه ملك مستبد . وأتوقراطية معناها حكومة الفرد أي حكومة الملك المستبد . فمصر كانت مثلاً أتوقراطية أيام محمد علي وهي الآن ديموقراطية السلطة في يد الشعب . وارستقراطية تعني حكومة النبلاء . وبيروقراطية معناها حكومة الموظفين اي حين يتسلط الموظفون على الامة . وقد اطلق على هذه الحكومة اسم الديوانية وهو ترجمة لائقة لهذه اللفظة

صورة محمد علي

﴿ القاهرة . مصر ﴾ محمد امين حسونه

كيف رسمت صورة محمد علي مع ان الفتوغرافية لم تكن معروفة في عصره ؟

﴿ الهلال ﴾ رسمت باليد والرسم باليد اصدق احياناً من الرسم بالفتوغرافية . وكان عند محمد علي موظفون كثيرون من الفرنسيين وكان منهم من يتقن الرسم باليد . وعندما جاء نابوليون الى مصر احضر معهُ رسامين نقلوا صور المشاهير من المصريين . اما ما ترونه في الصحف الآن فهو منقول بالفتوغرافية من هذه الرسوم

اول استعمال التبغ

❊ جراي تون · زيلاندة الجديدة ❊ ج · حنا ابو زيد

من هو اول من استعمل التبغ ومتى كان ذلك ؟

❊ الهلال ❊ الوطن الاصلي للتبغ هو بيرو في اميركا الجنوبية ومن هذا القطر انتقل الى اقطار العالم · وكان الامرنديون ، اي سكان اميركا الاصليين يدخنون التبغ قبل اكتشاف الاوربيين لاميركا · وقد وجدت غلايين التبغ في قبور الامرنديين القدماء · وادخل جان نيكو (ت) التبغ في فرنسا سنة ١٥٥٩ وأطلق اسمه على المادة المخدرة في التبغ وهي النيكوتين · اما السجاير فاستعملها الاوربيون

البنزين وأصله

❊ سنجا · سودان ❊ عازر ابو جيجي

من هو اول من عرف البنزين واهتدى الى طريقة استخراجه ؟

❊ الهلال ❊ يستخرج البنزين من البترول او من زيت الاسفلت وقت تصفيتها · ولا يعرف اسم اول من استخرجه من البترول والغالب انه من الاميركيين ولكن الموسوعات الاميركية نفسها لا تذكر اسمه

المهاجرة الى الولايات المتحدة

❊ قره تبه · عراق ❊ خضوري شاؤل

ما هي الشروط التي تفرضها الولايات المتحدة على المهاجرين الى بلادها الآن ؟

❊ الهلال ❊ يمنع منذ سنة ١٨٨٠ دخول البله والمصروعين وذوي الفاقة والمجرمين والبغايا والفوضيين والمتزوجين بأكثر من امرأة واحدة · وكذلك يمنع دخول الصينيين ما عدا التجار والطلبة وبعض الطوائف الاخرى · وسنة ١٩١٧ منعت المهاجرة الى الولايات المتحدة من أي دولة الا بنسبة ٣ في المائة من عدد المهاجرين المقيمين بالولايات سنة ١٩١٠ من هذه الدولة وقد ألغي هذا القانون سنة ١٩٢٤ · فالشروط المطلوبة من المهاجر الآن هي نفسها التي كانت تطلب منه قبل الحرب

تنبيهات : (١) يكتب السؤال واضحاً مختصراً على حدة ويعنون باسم محرر « الهلال » (٢) لا ننشر الا الاسئلة التي نرى فيها فائدة لجمهور القراء (٣) لا نتعرض لما يمس الدين او السياسة (٤) قد نضطر الى تأجيل الجواب لكثرة الاسئلة لدينا (٥) يهمل السؤال اذا لم تستوف هذه الشروط أو اذا لم نعثر له على جواب



كساد سوق الزواج

تكثر الشكوى من كساد سوق الزواج في جميع البلدان ، وقد اقترحت احدى المجلات الايطالية على قارئيها وقارئاتها ابداء الآراء في هذه المسألة المهمة ، فانتهت اليها أجوبة عدة نذكر على سبيل التمثيل بعضاً منها :

قال احد الشبان ان ما يزهّده في الزواج هو غلاء أسعار جوارب الحرير والقبعات والملابس . وقال آخر انهُ لا يتجرأ على الزواج لانهُ لا يأنس من نفسه مقدرة كافية لمنع زوجته عن لبس الفساتين القصيرة الى ما فوق الركبة والحاسرة عن الصدر والظهر والذراعين . وغيره قد ذكر أسباباً اخرى ومن جملتها ان الوالدين بعد ان يربوا عائلة كبيرة يجدون انفسهم في آخر الامر منفردين وفي ضنك من العيش

وقالت احدى الاوانس انها بعد ما لاحظت في المراقص وأماكن الالعاب الرياضية ما يأتيه الشبان من الافعال ويفوهون به من الاقوال نفرت من الزواج مخافة أن تنشب في حبائلهم . وتزعم فتاة اخرى ان تناقص الزواج ناجم عن اشتغال النساء في المكاتب ونفورهن من رئيس يكون فظ الطباع او كثير التأنق والاستغواء

عين داود

تجزت الاشغال المهمة التي باشروها لجر مياه الشرب الى بيت المقدس ودشنت ووزعت . وهي مجرورة من « عين فرح » البعيدة عن المدينة احد عشر كيلومتراً . والمكان النابعة منهُ المياه منخفض عن بيت المقدس ٣٦٦ متراً ، ولذلك اقتضى الامر بناء ثلاثة مواقف لرفع المياه وقد بلغت نفقة الاشغال جميعها ٥٢ الف جنيه انكليزي دفعتها حكومة فلسطين

ان لعين فرح العذبة المياه شهرة مقدسة قديمة يضرب بها المثل ، فاليها كان داود ، وهو يرعى الغنم ، يقود قطعانه ليسقيها . وكانت تلك المناظر الفتانة تحرك قريحته فينظم الشعر والى ذلك الينبوع يشير حين يقول في المزمور الثالث والعشرين : « الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء » فما أشد ما يكون دهشه اليوم لو بعث وأبصر تلك المياه مجرورة الى مدينته المقدسة

الضرائب على اللحى والشوارب

تفشى في أميركا زي حلق اللحى والشوارب وربما فكر بعضهم في وضع ضرائب على الذين

يطلقون عذارهم وشواربهم كما كانت الحال في روسيا في عهد العاهل بطرس الاكبر فانه وضع ضريبة على جميع أصحاب اللحى ، ولم يكن مستثنى من ذلك الا الاغنياء بحيث اصبحت اللحية علامة من علامات النبل والغنى . وكانوا يدفعون لمن يؤدون الضريبة عن لحاهم نوطاً من النحاس على شكل الانواط التي تعلق في أيامنا هذه باعناق الكلاب وعلى الدراجات . وكان مرسوماً على احد صفحتي النوط رأس رجل كبير اللحية وعلى الصفح الآخر تاريخ السنة المعطى فيها ذلك النوط . وكان كلما دخل رجل مدينة قضي عليه بأن يبرز نوطه ، والويل لمن لم يكن معه ذلك النوط ، فكانوا في الحال يسوقونهُ الى السجن و يزجونهُ فيه

النبي ايليا والبترول

اكتشفوا بترولاً على مقربة من مدينة يافا بفلسطين . وزعم بعضهم ان النبي ايليا لما شد كهنة البعل والقام على المذبح الذي نصبهُ على ما هو مذكور في التوراة في الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الاول وصب عليهم ماء واستنزل عليهم النار فأكلتهم ، لم يكن ما صبهُ عليهم ماء قراحاً وانما كان بترولاً ، فموّه على الحاضرين الحقيقة بتلك الحيلة اللطيفة التي لجأ اليها لديهم . ان هذا الزعم يقيم عليه النكير كثيرون ولكن لا يخلو من انصار يؤيدونهُ

المسدَّس المصوَّر

اخترع رجل اميركاني اسمه اطلبرت سيزالذي مسدساً ترتسم فيه صورة الشخص المصوب عليه كلما أُطلق منهُ عيار ناري حتى ولو كان اطلاق هذا العيار ليلاً ، وهو يحشى بحركة ميكانيكية بعد ما يطلق منه العيار الناري وترتسم على كل صورة تؤخذ به الساعة المطلق فيها العيار وذلك بواسطة حركة مماثلة لحركة الساعة . و يؤكد المخترع ان مسدَّسهُ سيكون جزيل الفائدة لرجال الشحنة . فالغرفة المظلمة الصغيرة موضوعة في غلاف يحفظ مفتاحه دائماً في ادارة الشحنة

ولا تخفى اهمية هذا النوع من السلاح ، فالرصاصة المطلقة على الشقي ، ولو لم تصبهُ ، تجعل صورته مرسومة على الصفحة الفوتوغرافية ، و يتبين من تلك الصورة هل كان الشقي المذكور مسلحاً وماذا كان يفعل عند انطلاق الرصاصة . وتبين ايضاً هل استخدم المسدَّس للدفاع الشرعي ام للاعتداء . والساعة المبينة تدحض مزاعم المتهم الذي يدعي انهُ كان غائباً عن ذلك المكان في الساعة التي ارتكبت فيها الجريمة . وترتسم ايضاً داخل المسدَّس صورة السيارة التي كان الاشقياء يركبونها حين فرارهم واطلق الشحني النار عليها

العدد ١٣ والنحس

روت صحيفة نيو يورك هرالد انهم لم يعقدوا في نيويورك يوم الجمعة في ١٣ اغسطس الا ٦١ زواجاً لان ذلك اليوم كان جمعة وكان الثالث عشر من الشهر وهم يتطيرون من عقد الزواج يوم الجمعة

والعدد ١٣ عندهم يعتبر نحساً . وبوجه الاجمال لا يزيد متوسط عقد الزواج يوم الجمعة عندهم عن ٧٥ عقداً اما في باقي ايام الاسبوع فانهُ يبلغ ١٥٠ . بقي ان نعلم متوسط حوادث الطلاق عندهم يوم الجمعة فهل يا ترى يزيد عنهُ في ايام الاسبوع الاخرى ؟

عاصمة اوستراليا الجديدة

للبلدان الجديدة مزية لا يستهان بها وهي انها تستطيع ان تبني مدنها بملء حريتها على المناهج الحديثة المستكملة جميع اسباب الراحة . ففي ٩ مايو من السنة القادمة يحتفل دوق يورك نجل ملك الانكليز وزوجتهُ الدوقة بتدشين مدينة كانبرا عاصمة اوستراليا الجديدة ، وكان قد تقرر انشاء هذه المدينة سنة ١٩٠١ عند افتتاح اول برلمان في تلك البلاد . وستبلغ مساحة المدينة ١٤٠ هكتاراً . وان الاشغال التي باشروها سنة ١٩١٠ توقفت من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩٢٠ . ولا يخفى ان الفسحات لا تضيق في تلك الجزيرة الكبيرة التي تبلغ مساحتها نحو ربع مساحة افريقيا وقد احتشد نحو ثلاثة اخماس سكانها على سواحلها الشرقية

على ان مثل هذا الحادث لا يعتبر فريداً في التاريخ فسنة ١٧٩٠ على اثر اعلان الاستقلال في الولايات المتحدة قرروا انشاء عاصمة جديدة ، وبعد عشر سنوات اجتمعت دوائر الحكومة في واشنطون . وسنة ١٨٦٧ حولت الملكة فكتوريا قرية بيتون الصغيرة في كندا الى عاصمة واطلق عليها اسم اوتاوى وليست هذه العاصمة اكبر مدينة في تلك البلاد فثمة مونتريال وطورنطور وفنكوفر وونيبغ وكيوبك فجميع هذه المدن تفوق اوتاوى في وفرة عدد السكان . ومعلوم ان واشنطون لا يزيد عدد سكانها عن ٤٣٧٥٧٠ نفساً اما نيويورك ففيها اكثر من خمسة ملايين . وبروسل عاصمة بلجيكا فيها ٢١٤٠٠٠ نسمة وانفرس فيها ٣٠٢٠٠٠ . وانقره عاصمة الجمهورية التركية يبلغ عدد سكانها ٥٨ الفاً وهو قدر ضئيل بالنسبة الى عدد السكان في الاستانة وازمير وادرنه . وبرن عاصمة سويسرا تشغل المنزلة الرابعة بين مدن تلك البلاد من جهة عدد السكان . وعدد سكان رومية يقل ١٢٠ الفاً عن عدد سكان ميلانو و ٤٨ الفاً عن عدد سكان نابولي . وفي الصين يبلغ عدد سكان كانتون اربعة ملايين وعدد سكان بكين مليونا ونصف مليون . ولكن يمكن القول بوجه الاجمال ان عدد سكان العواصم في اكثر البلدان يزيد عن عدد سكان غيرها من المدن

السيارات في الولايات المتحدة

كثرت السيارات في تلك البلاد كثرةً يستطيع ان يعرف اهميتها من يقف على الاحصاء الآتي بيانه :

نشرت جمعية السيارات الاميركانية احصاء يستنتج منهُ ان القوم في الولايات المتحدة ينفقون

في السنة ثمانية مليارات دولار لمشتري السيارات وتوابعها ولاصلاحها ، وجاء في ذلك الاحصاء ان ما تنفقه الولايات المتحدة على السيارات في ثمانية اشهر يعادل ما لها عند انكلترا من دين الحرب

المترو في باريس

ان الاعمال في بناء المترو (السكة الحديدية الممتدة تحت الارض) جارية على قدم وساق واذا ظلت الحال جارية على هذا المنوال ولم تطرأ حوادث تحول دون مواصلة تلك الاعمال امكن انجاز خطوط المترو المقرر انشاؤها سنة ١٩٣١ . على ان من تلك الخطوط ما هو جديد ومنها ما هو تكملة لخطوط قديمة ليتيسر وصل بعضها بالبعض الآخر . ولكي يدرك القراء اهمية المترو المذكور نقول له انه يؤخذ من الاحصاءات المجراة في باريس عن حركة انتقال الناس من مكان الى آخر فيها ، ان المترو وحده ينقل منهم ستين في المائة وجميع وسائط النقل الاخرى فوق سطح الارض (سيارات ودراجات وعربات تجرها الخيل وحوافل) تنقل ٤٠ في المائة . وتقدر النفقة اللازمة لانجاز الخطوط المار بيانها بمليارى فرنك . وحين يفرغون من مدّ جميع تلك الخطوط يبلغ طولها ١٩٩ كيلو متراً ضمن نطاق باريس . ويقولون انهم بعد ذلك يباشرون مد خطوط المترو في ضواحي العاصمة

الجرّاح الذهول

صوّر الجراحون باشعة رنتجن معدة رجل في مستشفى بكولونيا كان يشكو آلاماً في معدته فأبصروا فيها مقصاً ، فسألوهُ عن سبب وجود المقص فيها فاجابهم انه لم يخطر على باله قط ان يبتلع مقصاً ، وبعد التنقيب عرفوا ان احد الجرّاحين اجرى له عملية ونسي المقص في معدته . . .

الزهرة القصيرة الشعر

في اثناء مزاولة الحفريات في جهات فلسطين عثر احدهم على رأس صغير من الفخار يمثل الزهرة عشتروت تلك التي كان بنو اسرائيل من حين الى آخر يسقطون في عبادتها مع أن الانبياء كانوا ينذرونهم بسوء المصير من جراء ذلك . وهذه الزهرة لها شعر قصير يشبه شعر الغواني في هذه الايام

حتى الفيلة

تعوّد الانسان ان يسخر لقواه العقلية ما في هـذا الكون من انسان وحيوان وجماد وقد قرأنا مؤخراً في احدى الصحف انهم ارسلوا الى ينبوع المياه المعدنية في مدينة بودابست اكبر حيوانات حديقة النبات والحيوان في تلك المدينـة وهو الفيل المدعو « العم سام » فقد كان مصاباً بداء في كليتيه ، فارتأى طبيب الحديقة ان يعالجه بالمياه المعدنية بحيث يجرعونهُ منها مائة لتر كل يوم . فلم يستطب الفيل تلك المياه واول مرة جرعوه منها توهم انهم يهزلون معه فغضب ونفث من خرطومه

المياه عليهم فبللهم ، وحينئذ لم يروا بداً من حبس الماء عنهُ لكي يشعر بشدة العطش و يذعن الى شرب ما يقدمونهُ له من المياه المعدنية ، وهكذا كان فانه حين اشتد عليه العطش لم يقدموا له غير تلك المياه فشرب منها مكرهاً

ذكرى الاستاذ ولسون

كان الدكتور ولسون استاذاً ثم مديراً لجامعة برنستون في اميركا ثم كان رئيساً للولايات المتحدة . ولكن احد اثرياء الاميركيين اراد ان يذكره من حيث استاذيته لا من حيث رياسته السياسية . وهذا الثري يدعى ادوارد بوك وهو هولاندي الاصل وقد ارصد ٣٠٠٠٠ جنيه لانشاء كرسي لدراسة الادب بهذه الجامعة في ذكرى الاستاذ ولسون . وقد تولى هذا الكرسي الآن الاستاذ هاربر وهو اديب معروف في اميركا

حيرة مباشر محكمة

في احد ملاعب برسلو كان أحدهم يعرض للانظار حيوانات ضارية كالاسود والتماسيح و بعض الافاعي ، وكان قد اشتراها نسيئة من محل هاجنبك . ولما ماطل في الدفع اقام عليه ذلك المحل الدعوى فحكم له ودفع الحكم الى مباشر المحكمة لوضعه موضع الاجراء وحجز تلك الحيوانات ، فلم يكن اجراء ذلك الحكم بالامر السهل اذ لم يكن ممكناً ان يضع مقوداً في رقاب الحيوانات المذكورة ويجرها ليضعها في حظيرة ولم يكن ممكناً ايضاً ان يضع الاختام على ابواب اقفاصها فيمتنع ايصال الطعام والشراب اليها . و بعدما اعمل الفكرة طويلاً فتق له العقل ان يحجز قسما من دخل الملعب دون ان يتعرض بشيء لتلك الحيوانات

نزعات الشبان في روسيا

قلما يعرف الانسان حقيقة النزعات السائدة في روسيا من قراءة الصحف الغربية وذلك لانه ليس بينها صحيفة تكتب بلا غرض . ولكن يؤخذ من مقال لكاتبة اميركية ان النزعة السائدة بين الشباب الآن في موسكو وفي سائر المدن الكبرى في روسيا هي نزعة الكفر التام بالاديان . وهذا الكفر مصحوب بنوع من التقشف فلا خمر ولا سجاير ولا رقص بل انكباب على درس الطبيعة ومحاولة اخضاعها لمصلحة الانسان . والشبان يسيرون في كفرهم بحماسة تشبه الحماسة الدينية . فكل منهم يعتقد أنه قد وكلت اليه مهمة نشر الاشتراكية في العالم وان عليه وعلى جهوده يتوقف نجاح الجمهورية الاشتراكية في روسيا و بنجاحها يمكن الامم تحديها . فينتشر عندئذ النظام الاشتراكي عند جميع الامم . وقد زال اضطهاد البولشفيين للكنيسة كما زالت ايضاً مقاومة الكنيسة للنظام البولشفي

نظرات في الحياة

لأمير الشعراء احمد شوقي بك

تفتتح هذا العدد من « الهلال » بهذه النظرات بل الحكم الثمينة والنصائح الغالية التي يجب أن تنقش في الصدور . وهي من كتاب « أسواق الذهب » الذي عني بتأليفه شوقي بك واعده للطبع [المحرر]

الحجر الاول

مَن لم يُجرِ زورقاً لم يُسيِّرْ فُلْكا ، ومَن لم يدبِّر منزلاً لم يَسُسْ مُلكا . ومَن خذلته أُسرتُه ، لم تأتِ من الأباعدِ نُصرتُه . ومَن تفرّق عنه ولدُه ، لم يجتمعْ له بلدُه

الخطة

أيها الراكب ، وما تأهّب ، الذاهب ، في غير مذهب : مكانَك ، واحبِس عِنانَك : إن الحياةَ لا تُصحبُ سُدًى ، ولا تُسايَرُ على غير هُدًى . هـذا الشِّراعُ فأين الدفّةُ ؟ وتلك الراحلةُ فأين المِحفّةُ (١) ؟ لا بدَّ مع الحياةِ من خُطّةٍ هي السبيل ، ومن نيّةٍ هي الدليل ، ومن حقيرٍ من المقاصدِ أو جليل

عزاء . . (٢)

أيُّها المقدَّمُ للقتل : ما يُدْريني لعلّك مظلوم ، وما يُدْريك لعلّك بالقتلِ مرحوم أجلٌ آذنَ بانقضاء ، وقدَرٌ دفعك إلى القضاء ، وإذا كان الأجلُ لا بد منه ، والموتُ لا متأخَّرَ عنه ، فيدُ السجّان ، أهونُ من براثنِ السَّرطان ، وعضّةُ الغلّ ،

---

(١) الراحلة الناقة والمحفة مركب كالهودج (٢) قالها المؤلف تعزية للمحكوم عليه بالاعدام

أخفُّ من عضةِ السلّ . وهبكَ نجوتَ اليومَ من الجلادِ الأصغر ، فكيف النجاةُ غداً من الجلاد الأكبر (١) ؟

العلم والبيان

إذا تعلَّمتَ فتأدَّب ، وإذا تأدَّبتَ فتعلَّم ، فإن فقرَ العلمِ إلى البيـان ، فقرُ الخطيب إلى اللسان ، أو الكاتب إلى البنـان ، وإن حاجةَ البيـانِ إلى العلم حاجةُ القلمِ إلى الأنامل ، أو اليدِ إلى محركٍ من الحِسّ عامل

علمٌ لا أدبَ معه عودٌ بلا وتر ، وسحابٌ ليس فيـه مطر ، وريحانٌ غيرُ نضِرٍ ولا عطِرٍ ؛ وأدبٌ لا علمَ معه ، قالبٌ ولا سبائك ، ومنوالٌ ولا حائك (٢)

الغرور

أيُّها المسرورُ بمكانه ، المغرورُ بإمكانه ، التيَّاه ، بالجاه ، المختال بالمال ، المجري خيلَ خيلائه ، المجرِّرُ ذيلَ كبريائه ، المنتفخ بألقابه وأسمائه : إليك . فالقبول ، هبةُ قبول (٣) ، وصحبة الجدّ (٤) ، لها حدّ ، وعادة التوفيق ، مفارقة الرفيق . وما الأموال ، إلا لزوال ؛ ولا العافيَة ، إلا عاريَة (٥) ، وكلُّ وِلايةٍ يوماً تفوت ، سيعزَلُ من يليها أو يموت

العمل

متخذُ الراحةِ عادة ، مقضِيٌّ عليـه بالبلادة ، وضجيعُ الدَّعَة ، ما أضيعَه ، وأشأمَ مضجعَه ! ومحالِفُ البيت ، حيٌّ كميت . فيا أخا اليَسار ، وكثيرَ الضِّياع

(١) عزرائيل (٢) المراد ان العلم الذي لا أدب معه كقالب الصائغ لا منفعة له اذا لم يوجد الذهب الذي يصب فيه ، أو كنسج لا يستطيع ابراز النسيج الا اذا حركته يد النساج ، وقد شبه العلم بالقالب والمنوال ، وشبه الادب بالذهب والنساج (٣) اليك أي تنح وارجع . والقبول الاولى مصدر والثانية ريح الصبا (٤) الجد الحظ (٥) العارية العطية التي لا عوض لها

والعَقار : لا تبيتَنَّ قعيدَ الدّار . ولا تخلُ بالنفسَ الأمّارة ، وقمْ إلى مالك فأحْسِن استثمارَه ، وزدْهُ إصلاحاً يزدْكَ عِمارة (١) . ويأيُّها الضّارعُ (٢) لفقره ، الضاجعُ في عُقْرِه (٣) . تأمل بعين الإفاقة ، هل زادكَ القعودُ إلاّ فاقة ؟ إن باليد المتبطّلةِ لشللا ، وإنَّ مع القدمِ المتعطّلَة لزَللا . قمْ فاحترِفْ ولا تعيشنَّ خبالاً (٤) على قرابتك ، عِيالاً على صحابتِك ، واعلمْ أن الكنّاس ، أشرفُ ممّن يسألُ الناس

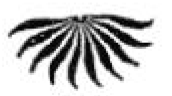
الغيب

المقاديرُ أعِنَّة ، والغيوب أجِنة (٥) ، خلفَ الحُجُبِ مستكنَّةٌ (٦) ، والغدُ لله وحدَه ، يعلم علمَه وعِلمَ ما بعدَه ، فمن كان ذا علمٍ فليَقِفْ عندَه ، ولا يُجاوزْ حدَّه . ضلَّ المنجّمون ، وكذبَ المتكهّنون ، الذين يأفِكون (٧) والذين يدّعون عِلمَ ما سيكون

التعريب

يا أخا اللغات : اصْرفْ كلَّ إحسانِك ، إلى آداب لسانك ، ثم انبُغْ إن شئتَ في غيره ، وعُدْ إلى قومك بخيرِه . وإن أردْتَ أن تنفع ، فكنْ (كابنِ المقفّع) ، نقلَ محسِنا ، وعرَّب متقِنا ، ولم يقل : « أنا »

شوقي



(١) العمارة ما تعمر به الدار (٢) الضعيف (٣) عقر الدار وسطها (٤) الخبال الفساد
(٥) الاجنة جمع جنين وهو المستور من كل شيء (٦) أي مستترة (٧) يكذبون

اين تنبت العبقرية ؟

في الاسر الفقيرة أم في الاسر الغنية ؟

العقيدة الفاشية بين النـــاس ان اولاد الاغنياء لا يفلحون وان ابن الفقير يخرج الى الدنيا معتمداً على نفسه فينجح . ومعظم الناس يجد عزاء في هذا الاعتقاد



(نسبة العبقرية) (نسبة السكان)

الرسم الى اليمين يبين توزع العبقرية في فرنسا . فمن العبقريين ٢٥ في المـائة نبلاء و ٧٥ في المـائة من العامة في حين ان نسبة عدد النبلاء الى مجموع السكان واحد في المائة كما يظهر ذلك في الرسم الى اليسار

ولكن الواقع الذي يثبتهُ الاحصاء ان الاغنياء اذكى عقلاً واقوى خلقاً من الفقراء وان ابناءهم يبذون ابناء الفقراء في ميدان العمل . وقد كان يجب ان تكون هذه الحقيقة من البداهة بحيث يؤمن بها كل احد فان عدم قدرة الفقير على التغلب على فقره دليل العجز وارتفاع الغني الى مكانه دليل الكفاية . ففي تنازع البقاء الذي لا ينقطع بين عناصر الامة يرتفع الكفاة و يرسب العجزة . ولكن القارىء قد يتساءل الآن : هل هؤلاء الاغنياء الذين ارتفعوا الى مقامهم كان ارتفاعهم بقوة ما فيهم من عناصر الرفعة او بمساعدة الوسط ومواتاة الظروف لهم بينما ظروف الفقير لا تؤاتيه على الرفعة . و بعبارة اخرى هل يرجع فقر الفقير الى عجز حقيقي في كفاياته او الى ان الفرص لا تتاح له لكي يتعلم و يعيش عيشة راقية ؟

فالجواب على ذلك ان هذا موضوع لا يمكن ان يقطع فيه الانسان برأي لان ابناء الاغنياء يرثون صفات آبائهم الذهنية والجسمية وفي الوقت نفسهُ يجدون من الظروف الحسنة ما يشجعهم على تنشئة كفاياتهم . فلسنا نستطيع ونحن نقدر نجاحهم ان نعرف مقدار ما يعزى من هذا النجاح الى الوراثة وما يعزى الى الوسط . ولكن الواقع الذي يثبته الاحصاء هو كما قلنا ان ابناء الاغنياء

اذكى من ابناء الفقراء وان العبقرية تنبت في الاوساط الغنية اكثر من نباتها في الاوساط الفقيرة

وطريقة البحث لاثبات ذلك سهلة عند الامم المتمدينة فان تراجم عظمائها معروفة مشهورة . ففي انجلترا مثلاً معجم يدعى « معجم التراجم الوطنية » قد ترجم فيه بثلاثين الف شخص من علية البريطانيين والارلنديين الذين عاشوا في الالف السنة الماضية . وقد بحث الاستاذ وودز عن أصول العائلات التي خرج منها هؤلاء العظماء فوجد ان ١١٫٧ في المائة منهم قد خرجوا من عائلات فقيرة من العمال والصناع وان الباقي نبتوا في عائلات غنية . ومعنى ذلك ان الطبقات الغنية في الامة ، وهي في العدد لا تبلغ خمس السكان تقريباً ، تزود الامة بـ ٨٨٫٣ في المائة من قادتها في العلوم والسياسة والادارة بينما الطبقات الفقيرة وهي اربعة اخماس الامة لا تزودها الا بـ ١١٫٧ في المائة من نبغائها وعباقرتها



هذا الرسم هو نتيجة الرسم السابق اذ يبين النسبة المئوية لطبقات السكان (الى اليسار) والنسبة المئوية من العبقريين مقابل كل من تلك الطبقات (الى اليمين)

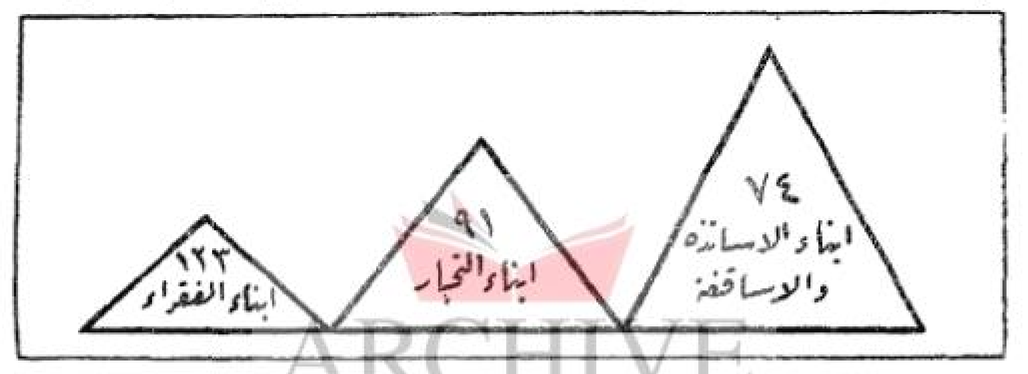
وقد وضع أحد الكتاب الفرنسيين كتاباً يدعى « تكون العظماء » استقرى فيه عظماء الامة الفرنسية في الخمسة القرون الماضية وبحث عن البيئات التي نبتوا منها فجاءت نتيجة بحثه مؤيدة للرأي القائل بان النبوغ والعبقرية ينبتان في الاسر الغنية اكثر جداً مما ينبتان في الاسر الفقيرة فقد وجد ان ٩ في المائة من العظماء في فرنسا يرجعون في أصولهم الى عائلات غنية . وهذا في حين ان الفقراء كانوا يؤلفون ٩٧ في المائة من مجموع السكان بينما الاغنياء لا يؤلفون سوى ٣ في المائة ومعنى ذلك ان ابن الغني كان يفوق ابن الفقير من حيث الكفاية بنسبة ٣٥٠ الى

ومن أغرب ما وجده هذا الكاتب ان نبلاء فرنسا الذين اكثر مؤلفو الثورة الفرنسية من نسبة الانحطاط اليهم لم يكونوا يؤلفون في العدد سوى ١ في المائة من السكان ومع ذلك فلهم ٢٥ في المائة من العظماء . ولعله يحسن بنا أن نقول هنا عرضاً ان نبلاء فرنسا قد احدثوا الثورة لا لانهم كانوا منحطين بل لانهم كانوا أصحاب تلك الآراء المتشططة وكانوا يرعون غلاة الكتاب أمثال

فولتير وغيره . وغير خاف على احد ان افكار الثورة الفرنسية من حرية ومساواة واخاء لم تصعد من الطبقات الدنيا الى العليا بل نزلت من هذه الى تلك

وممن بحثوا هذا الموضوع أيضاً السير غالتون الانجليزي فقد استقرى أحوال أبناء القضاة في انجلترا مدة ٢٥٠ سنة فوجد : ان الرجل العظيم يظهر في الامة بنسبة ١ الى ٥٠٠٠ من جميع السكان . وان بين أولاد القضاة الانجليز يظهر رجل عظيم بنسبة ١ الى ٨ . ومعنى ذلك ان فرصة النجاح المتاحة لابناء القضاة تزيد عن الفرصة المتاحة لجميع السكان بنسبة ٥٠٠ الى ١

وقد وضع الدكتور بورك الانجليزي امتحاناً لفحص التلاميذ بمدينة ليفربول ورتب النتيجة باعتبار الزمن فوجد ان أبناء الفقراء يحتاجون الى ١٢٣ ثانية للاجابة على سؤال لا يحتاج أبناء التجار للاجابة عنه الا لـ ٩١ ثانية بينما أبناء الاساتذة والاساقفة يحتاجون فقط الى ٧٤ ثانية



توزع ذكاء التلاميذ في مدارس ليفربول : الارقام تدل على عدد الثواني اللازمة للاجابة عن سؤال معين

وفي سنة ١٩٠٤ وضع الدكتور هافلوك اليس وهو أديب عالم كتاباً بحث فيه تراجم ١٠٣٠ رجلاً من العبقريين في انجلترا فوجدهم ينتمون الى هذه الطبقات (في المائة)

من الطبقة العالية	١٨،٥	عبقري	من الموظفين	٣،٢	عبقري
« رجال الدين	١٦،٧	«	« التجار	١٨،٨	«
« « القانون	٧،١	«	« الصناعات اليدوية	٩،٢	«
« « الطب	٢،٦	«	« المزارعين	٦،٠	«
« « الصناعات العالية	٧،٨	«	« العمال	٢،٥	«
« « الجيش والبحرية	٦،١				

ولكن في كل هذه الحالات لا يمكننا ان نجزم هل الابناء الناجحون نجحوا لما ورثوه من كفايات اصلية في اجسامهم وعقولهم او للوسط الحسن الذي نشأوا فيه والفرص السعيدة التي عرضت لهم والمساعدات التي لاقوها من آبائهم في انتقاء منصب او نحو ذلك . وخير لنا ان نترك ذلك الآن ونقنع بما يثبته الاحصاء وهو ان العائلات الغنية هي التي تزود الامة باكثر من تسعة اعشار قادتها

حديث مع مستشرق اميركي

يبحث عن اصل « كليلة ودمنة »

نتهم الولايات المتحدة الآن بايثار المادة والعناية بالمال كما كانت نتهم المانيا مدة الحرب. ومع ذلك فان أكبر الفلاسفة الروحيين مثل شوبنهور وكانط المان ونحن المصريين نعرف من عناية الالمان بطبع الكتب العربية القديمة واقبالهم على درس الشرقيات انهم ليسوا كما يتهمون رجال مادة وعباد مال. ومثل هذا يقال ايضاً عن الاميركيين فان الدولار والسينماتوغراف وناطحات السحاب واتومبيلات فورد واشياء أخرى نسمع بوجودها في الولايات المتحدة الاميركية توهمنا ان اهلها مكبون على جمع المال يشرهون الى المادة وينفقون العمر في تحصيلها. ولكن الواقع الآن يكذب هذا الوهم ويثبت ان العناية بالآداب والثقافة القديمة اكبر ما تكون في الجامعات الاميركية

لقد جالت برأسنا هذه الافكار عندما لقينا المستر مارتن سبرنجلنج الاستاذ بالمعهد الشرقي في جامعة شيكاغو. فرأينا فيه رجلاً ربعة نحيفاً يتكلم عن الجاحظ وابن المقفع والدولة الساسانية والنزاع بين قريش والانصار كأنه أديب عربي قد رويت نفسه بالثقافة العربية. وذكرنا ونحن نسمعه يتكلم اللغة العربية ويتعسر في نطق الحاء والعين والقاف أولئك الفرس الذين درسوا العربية ونظموا فيها الشعر وهم لا يحسنون نطقها حتى كان احدهم ـ وقد ذكره الاغاني ـ يأتي بمنشد ينشد شعره اذا طرق باب احد الامراء يستميحه. وما زلنا نعرف في لفظتي خواجه وخوجه أولئك الفرس الذين ملكوا ناصيتي التجارة والتعليم

فهذا الاستاذ سبرنجلنج الاميركي قد جاء مصر وسوريا موفداً من قبل جامعة شيكاغو الاميركية يكذب التهمة القائلة ان الاميركيين ماديون، و يبحث عن أصول كتاب كليلة ودمنة، فهو أميركي يقوم برحلة قد تكلف الجامعة اكثر من الف جنيه لكي يبحث عن كتاب عربي. ولعلنا نوضح قيمة عمله اذا نحن عمدنا الى التشبيه فقلنا مثلاً انه بمثابة ارسال الحكومة المصرية أحد رجالها الى سومطرة لكي يبحث عن نسخة قديمة من كتب فولتير أو شكسبير

واغتنمنا نحن فرصة لقائه لمحادثته عن المشرقيات وعن تربية المستشرقين وانتزعنا منه آراء عن الأدب العربي وغيره مما يراه القارىء فيما يلي :

سألناه أولا عن جامعة شيكاغو ما أهميتها في العالم وما مقدار من يتعلمون فيها ؟

فأجابنا بأنهُ يتعلم فيها ١٢٠٠٠ طالب وان مؤسسها هو روكفلر صاحب الملايين المعروف وانهُ قد أُنفق عليها في العام الماضي مليونان من الجنيهات في اقامة ابنية جديدة ونفقات أخرى وان بها اكبر كلية او معهد في اميركا لدرس المشرقيات وان نفقات الطالب بالجامعة تتراوح بين ٣٠ جنيهاً و ٤٠ جنيهاً . وكان اغرب ما قاله ان ستة من أساتذة شيكاغو نالوا جائزة نوبل وهي الجائزة الاممية التي تبلغ نحو ٨٠٠٠ جنيه وتدفع لمن يثبت فضله في العلوم والآداب

فسألناه عن تعليم المشرقيات في اميركا

فأجابنا ان فانديك احد مؤسسي جامعة بيروت هو اول من لفت نظر الاميركيين الى المشرقيات وان المستر هاربر انشأ كلية لدرسها في جامعة يابل . وهي الآن تدرس في هارفارد وشيكاغو ويابل وكولمبيا وبنسلفانيا وميشيجان وكاليفورنيا · وقال ان التعليم يختلف فشيكاغو مثلاً مختصة بالعرب والفرس والثقافة الاسلامية · بينما هارفارد مختصة باللغات السامية

قلنا : هل يمكنك ايها الاستاذ ان تصف لنا كيف بلغت هذه الرتبة العظيمة في معرفة المشرقيات ؟

قال : ان تربيتي تختلف عما يلاقيه طالب المشرقيات الآن في الجامعات · فقد نشأت واعظاً بروتستانتياً فتعلمت الاغريقية واللاتينية والعبرية ثم اشتغلت بالوعظ فألفيت ضميري يخالف عملي فتركت الوعظ · واندمجت في سلك الطلبة بشيكاغو وقضيت هناك اربع سنوات تعلمت فيها الاغريقية واللغات السامية وانتدبتني «المدرسة الاثرية الاميركية» لزيارة الشرق للبحث عن مخطوطات قديمة سنة ١٩٠٧ · فزرت عندئذ مصر وسوريا والاستانة واشتريت مخطوطات ثمينة من اديار الاستانة ومن مدن القطرين سوريا ومصر · وتعينت مدرساً في هارفارد ثم انتقلت منها الى شيكاغو حيث انا الآن نائب عنها في رحلتي الثانية للشرق

قلنا : وهل للجامعات بعثات أُخرى ؟

قال : انا مرسل للبحث عن كليلة ودمنة · وفي سوريا مرسل آخر للبحث عن الحثيين · وفي الاقصر آخر لتصوير الآثار · وفي سوريا آخر يشتغل بجمع مواد لوضع معجم اشوري مثل المعجم المصري الموجود ببرلين

قلنا : لعلك يا أستاذ تسامحنا في سؤال سخيف وهو : ما الفائدة التي تعود عليكم من البحث عن كليلة ودمنة ؟

قال : لقد انتشر كتاب كليلة ودمنة مثل انتشار كتاب الف ليلة وليلة · وكلاهما أثر في عقول الامريكيين وآدابهم . فحكايات كليلة ودمنة كانت معروفة في انجلترا أيام شكسبير وهي الآن معروفة في اسلندا اذ قد نقلت الى اللغة الاسلندية من اللغة الالمانية · وليس تاريخ الانسان مؤلفاً من تاريخ الفلسفات التي لا تعرفها الا فئة قليلة من الناس ولا من الوقائع والحروب وأسماء الملوك

وانما تعرف حقيقة الانسان من قصصه التي يحبها ويرويها كما ان التحريف أو التنقيح الذي يقع بالترجمة يدل على مزاج الامة المنقول اليها الكتاب

قلنا : وما هي خلاصة أبحاثك في كتاب كليلة ودمنة فان عندنا من المؤرخين من زعم ان ابن المقفع هو المؤلف لهذا الكتاب وانه ادعى ترجمته لكي تنفق سوقه

فقال : ان الاصل الهندي لكتاب كليلة ودمنة لا يزال موجوداً في اللغة السنسكريتية . وهو مؤلف من خمس قصص مكتوبة بحيث يتعلم منها المطالع قواعد النحو للغة السنسكريتية في المفرد والمثنى والجمع . وكان هذا الكتاب سراً لا يذاع للعامة يقصد منه تعليم النشء من الامراء مبادىء الحكم . ولما نقل الى اللغة الفارسية صار ١٢ فصلاً وبقي أيضاً سراً لا يذاع للعامة . ونقله ابن المقفع الى العربية فأذاعه للجمهور وزاد فيه فصلاً من عنده وهو « باب فحص دمنة » وذلك لان ضمير ابن المقفع لم يقنع بترك أمر دمنة ورأى ان يقتص منه . ومما يدلك على مكانة هذا الكتاب عند الفرس ان الفردوسي شاعرهم المعروف ذكره في الملحمة الكبرى الشاهنامة فانه روى حكاية احدى الثورات التي حدثت في عهد كسرى ابرويز . فان والد كسرى يسأل الجاسوس : كيف وجدت هذا الثائر حين لقيته ? فيقول الجاسوس انه رآه يقرأ كتاب كليلة ودمنة . فيضطرب لذلك ويبدو عليه انه يخشى شر هذا الثائر لانه يقرأ كتاباً في أصول الحكم كان سراً لا يذاع للناس

قلنا : انكم كما يبدو لنا قد درستم العربية والفارسية فماذا تحبون فيهما ?

قال : العرب يفخرون كثيراً بقصائدهم ولكن قصب السبق في القصائد هو بلا شك للفرس . أما في النثر فليس شيء في الفارسية يبلغ ما بلغه العرب وخاصة اولئك العظام امثال الجاحظ والاصفهاني صاحب الاغاني . ويعجبني من شعر العرب الموشحات ويجب ألا تنسى ان الحركة «الرومانية» التي فشت في أوربا وكانت أيضاً أصل القصص الحديثة ترجع الى الموشحات العربية . وكذلك لا تنس ان العرب كانوا اول من كتب في الحب بطريقة فلسفية أدبية كما ترى في « طوق الحمامة » لابن حزم

قلنا : ما هو رأي الاميركيين في مصر ?

قال : الاميركيون اقل الامم معرفة بأحوال الامم الاخرى وذلك لانهم ليسوا أمبراطورية . فالانجليز مثلاً لان لهم امبراطورية ضخمة يقرؤون الاخبار الخارجية ويعنون بها وأما نحن فلا نفعل ذلك اذ ليس لنا مستعمرات . ولكن الجمهور الاميركي دُهش واستاء معاً لرفض الحكومة المصرية مبلغ المليوني الجنيه الذي تبرع به روكفلر لدرس الآثار المصرية وخاصة عندما عرض الاستاذ برستد على الحكومة المصرية أن تكتب ما تشاء من الشروط فلم تفعل . والاستاذ برستد أحد اساتذة جامعتنا ولرأيه حرمة كبيرة في بلادنا

اعداء الصواب واعوانه

نصائح لفرانك كرين الكاتب الاميركي المشهور

ليس شك في ان اكبر مصدر تصدر عنهُ القوة في العالم انما هو الفكر الانساني وللفكر أعداء تهاجمه فاذا فازت أحالت قوته ضعفاً

واول هذه الاعداء هو الغضب . لان الفكر الصحيح الصادق هو الفكر الذي يختمر بارداً في رءوسنا بعيداً من حرارة الغضب . فيجب اذن ألا تأتمن تلك الافكار التي تكونت في ذهنك وقت حرارة الغضب او الشهوة او الحب وانما عليك ان تتركها ريثما تبرد في ذهنك فتزنها عندئذ بالميزان الحق

والعدو الثاني للتفكير الصحيح هو الأثرة . فان اغترارنا بانفسنا يفسد علينا احكام ذهننا . فالتواضع من ألزم الواجبات في تأليف الافكار الصحيحة والكبرياء والغرور والزهو كلها تجعل الحقائق تنحني امام الارادة فتذهب بذلك كل قيمة لاعمالنا الذهنية

والعدو الثالث هو الخوف . لان العقل الذي يستطيع مجابهة الحقائق كما هي انما هو عقل الرجل الذي لا يخاف . والخوف ضرب من الذعر والرعب يقف الذكاء و يشله . فكل ما نعمله وقت الخوف وما نستنتجه من تفكيرنا لا قيمة له

والعدو الرابع هو الثبات على الرأي خشية ان نتهم بالتذبذب . فان الانسان ليس معصوماً وليس عليه لوم ان يغير اليوم من آرائه ما ثبت عليه امس ومن البلاهة ان نثبت على رأي نعتقد انهُ خطأ يدفعنا غرورنا بانفسنا الى التمسك به حين يتضح لنا الحق

والعدو الخامس هو التعصب . لان المتعصب يحكم قبل ان يعرف و يرتئي الرأي قبل ان يفحص الشواهد . فيجب ان نترك الذهن حراً طليقاً يزن الحقائق و يقابل بين الراجح والممكن والمحال

والعدو السادس هو الجهل . والجهل هو عدم كفاية الحقائق التي نباشرها وقت الحكم على شيء واستخلاص رأي منها . وانما تمتاز آراء الرجل المتعلم من آراء الجاهل بأن ميدان الحقائق الذي يتناوله المتعلم و يبسط عليه ذهنه اوسع من الميدان الذي امام الجاهل . ثم ان المتعلم يمكنه ان

يرتب حقائقه و يجيد الاستنتاج بخلاف الجاهل الذي قد تتراكم عليه الحقائق وتتشتت فلا يمكنه الترتيب او الاستنتاج

* * *

هذه هي اعداء التفكير الصحيح فلننظر الآن فيما يساعدنا على التفكير مساعدة ايجابية

واول ذلك ان نبدأ بالحقائق واول ادوات هذه الحقائق هو الكلمات . فان معظم الخلط والخبط في المناقشات والمحاورات انما يرجع الى ان المتكلمين لا يتفقون على معنى واحد لالفاظهم ولو اتفقوا لذهب خلافهم

فيجب ان تزود نفسك بمعجم تستشيره من وقت لآخر عن معنى الالفاظ التي تشك فيها وكذلك يحسن بك ان يكون لديك موسوعة كبرى في العلوم والآداب ترجع اليها في كل ما يختلط عليك فهمه فيما يعرض لك من المسائل التاريخية او العلمية . واذا انت اعتدت هذه العوائد وصرت تبحث كل يوم هنا لفظة وهناك موضوعاً تكونت لك على مدى الايام ثروة من المعارف والحقائق تصلح لان تكون اساساً للنظر الصحيح والرأي الصائب

وثاني الاشياء التي تساعدنا على التفكير الصحيح هو عادة القراءة . فيجب ان نجعل الكتاب سلوى نتسلى بها ونخصها بجزء من وقتنا كل يوم . وليس احد يطلب منا ان نعرف كل شيء وانما يطلب منا ان نعرف اين نبحث عن الشيء الذي نريد معرفته . فيجب ان تكون لنا مكتبة نرجع اليها . والمكتبة كالصيدلية بها كافة العقاقير ولكننا لا ندخل الصيدلية ونجرع ما فيها قنينة بعد قنينة وانما نأخذ منها ما نحتاج اليه . وكذلك الحال في المكتبة ليس يطلب منا ان نقرأ كل ما فيها من الكتب وانما نختزن هذه الكتب لكي نرجع اليها ونأخذ منها حاجتنا كما نأخذ الدواء

والثالث هو ان نفتح اذهاننا وان نقف موقف الشك من كل شيء فلا نجزم ولا نكابر بل نجعل اعتقادنا متوقفاً على ما عندنا من حقائق وثقتنا بها . وهذه النزعة انما نكتسبها من العلم الذي يحثنا على فحص الحقائق واقامة آرائنا على اسسها

ورابع الاشياء التي تساعدنا على التفكير الصحيح هو ان نقف على رأي الغير ، والعادة اننا نبدأ الناس برأينا ولكن الخطة المثلى ان نسمع رأي الآخرين ونزنه فننتفع بذلك اكثر مما لو بدأناهم برأينا

والخامس ان نحذر من الوسائل السهلة ونعمد الى ما يوافق اهواءنا فنختاره دون ما يخالفها لان في ذلك ما ترتاح اليه نفوسنا . فان التفكير الصحيح يقتضي نزاهة النظر وشرف الوسيلة والغاية

والسادس ان تمارس تدوين ما تفكر فيه . فان تقييد الافكار بالالفاظ وترتيب عباراتها يوضح في ذهنك ما تظنه مشوشاً مرتبكاً ويقفك على افكارك وينير السبيل امامك ويجعلك تقدر الفائدة التي تستفيدها من قراءتك

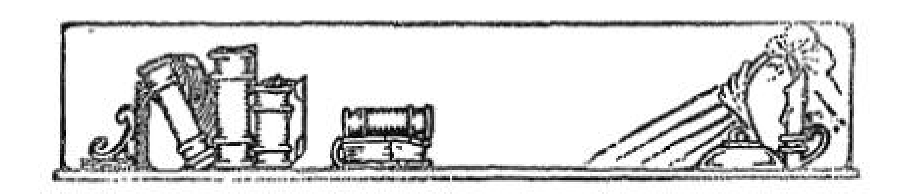
والسابع ان تبحث عن احد الناس تحادثه يكون في مستواك الذهني او اعلى منك فان المحادثة كالكتابة توضح المختلط من الآراء والعقائد . ونحن نرتاح الى محادثة من هم دوننا ولكن انفع لنا ان نحادث من هم اعلى منا حتى ننتفع بهم . ويجب ان نتجنب اولئك الذين لا يفهمون من المحادثة والحوار سوى المكابرة والتعنت والرغبة في قهر الخصم زهواً وغروراً

والثامن يجب ان نتعود وزن الحقائق بميزان الارجحية . فان جميع حقائقنا عرضة للخطأ وصوابها انما هو صواب تقريبي . وحقائق هذا العالم التي يمكن القطع بها قليلة جداً وانما معظم حقائقنا هي ترجيحية فيجب لذلك ان نتعود التمييز بين الراجح والارجح ونلزم ما هو ارجح

والتاسع هو الايمان فانه يساعدنا على التفكير الصحيح ومن الخطأ ان نعتقد انه يطلب منا ان نؤمن باشياء يخطئها عقلنا . فانما الايمان ينفعنا اذا كان في اشياء تعدو طاقة ذكائنا . فاننا اذا آمنا بالحب تسامت اغراضنا وتوضح طريقنا وكذلك الايمان بالله يرفع نفوسنا واخلاقنا

والعاشر هو ان نعرف مهمة الحب من حيث اثره في رقينا الذهني . ومن الخطأ الفاضح ان يقال ان الحب اعمى لان للحب بصيرة وانما الكراهة هي العمياء ، ولست تستطيع أن تفهم شيئاً او شخصاً الا اذا احببته . فلست تفهم كتاباً او رجلاً او صورة ولست تفهم عملك نفسه الا اذا احببت هـذه الاشياء . ويجب ان نذكر أنه كما ان افكارنا تؤثر في عواطفنا كذلك عواطفنا وحبنا يؤثران في افكارنا

وحياتنا الحقيقية هي حياتنا الفكرية ونجاحنا الحقيقي يرجع الى تفكيرنا من حيث صفته ومزاجه



استفتاء الهلال

« الكتب التي أفادتني »

ردود الكتاب والادباء

ننشر اليوم ردين آخرين من الردود التي وردتنا رداً على استفتائنا . وسننشر بقية الردود بالتتابع في الاجزاء القادمة غير متوخين ترتيباً . ولا بد لنا من اعادة نشر الاسئلة التي وجهناها الى حضرات الكتاب والادباء وهي :

١ ـ ما هو الكتاب أو الكتب التي طالعتموها في شبابكم فأفادتكم وكان لها أثر في حياتكم ؟

٢ ـ هل يكفي المطبوع الآن من الكتب العربية لتثقيف الناشئة او لا غنى لها عن الالتجاء الى الكتب الغربية ؟

٣ ـ ما هي الكتب التي تنصحون لشبان اليوم بقراءتها عربيـة كانت أم غير عربية ؟

٤ ـ ما هو موضوع التأليف الذي يفتقر اليه العالم العربي على الخصوص ـ والذي تودون ان يطرقه المؤلفون ؟

رد الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

١ ـ كنت إذ أنا يافع أسهر في بعض الليالي الى جانب أبي ـ يرحمه الله ـ أقرؤ له في « ديوان المتنبي » او « البهاء زهير » فيجهر بالطرب للشعر الجيد ، وأرتاح في نفسي للوزن والنغم ذلك اول أثر عرفته للكتب ، فنشأت للشعر عندي نزعة قوية ، أخمدها حيناً ما انصرفت له من الدرس في الازهر

ثم طالعت ، بارشاد الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده ، « ديوان الحماسة » و « نهج البلاغة » فبعثا ما كان خبا من نزوعي الادبي

واذكر ان كتباً طالعتها من بعد ، كان لها وقع في نفسي ، وكان لها عمل منها : كتاب « الاخلاق والسير » لابن حزم وكتاب « المنقذ من الضلال » للغزالي ،

وكتاب « فصل المقال لابن رشد » ، وكتاب « حياة المسيح » لرينان ، الذي يكاد يكون اول مطالعاتي الفرنسية

٢ ـ لا يكفي المطبوع الآن من الكتب العربية لتثقيف الناشئة ، فان الاتصال الفكري بين اطراف العالم اصبح كالاتصال الاقتصادي سريعاً قوياً . واصبح التثقيف محتاجاً الى الالمام بحركات الفكر العالمي ، ومسايرة الرقي العقلي بين البشر

قد توجد أمم تستغني في تثقيف ناشئتها بما عندها ، لان حياتها الفكرية من القوة والغنى بحيث تغتذي بكل ما تبتدع مجهودات العقول في العالم أولاً فأولاً

أما قومنا فلما يبلغوا هذا المبلغ ، ونرجو أن يكونوا في سبيله ان شاء الله

٣ ـ ليس من السهل النصح للشبان عموماً بقراءة كتب معينة ، خصوصاً في بداية عهدهم ، وعلى الآباء والمرشدين أن يتولوا هداية الناشئ في مطالعاته الى ما يلائم مداركه ، ومزاجه ، واستعداده ، حتى يستوي ذوقه ، ويقوى عقله ، ويتهيأ للاحاطة بخلاصة الافكار والمعارف الانسانية

على انني أرى من الخير لناشئة العربية ان يقرؤوا القرآن ، فهو احسن الوسائل لتهذيب ذوقهم العربي

٤ ـ لعل نوع التأليف الذي يفتقر اليه العالم العربي هو ما كان من باب توطئة العلم Vulgarisation de Science او كان من طراز القصص والروايات التي تجمع الى السمو في جمالها الفني ، الدقة في تصوير ما في العالم من قوة وضعف ، وحسن وقبح

وقد يكون التعريب الراقي المراعى فيه ما يناسبنا أنفع لنا الآن ، حتى ينبغ بيننا من أهل الكفاية العلمية والادبية من يسد حاجتنا

مصر مصطفى عبد الرازق

رد الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

١ ـ أكثرت من مطالعة مقدمة ابن خلدون والمثل السائر لابن الاثير ونقد الشعر لقدامة بن جعفر وديوان الحماسة والمعلقات والمتنبي وبعض الدواوين والرسائل والمجاميع . ومنها العقد الفريد لابن عبد ربه . والمستطرف للابشيهي والكشكول لبهاء الدين العاملي وبعض التواريخ الوطنية كاخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنوس الشدياق وغيره

٢ ـ لا تزال العربية مفتقرة الى كتب كثيرة في الاجتماع والعمران والسياسة والاخلاق والعلوم العصرية فتعريبها مفيد لنا اذا امكن والا فمطالعتها بلغاتها الاجنبية ضرورية للتبسط في المعارف وتثقيف العقول

٣ ـ ان افضل الكتب التي تجب مطالعتها هي كتب الاخلاق وآداب اللغات والتراجم والتواريخ والنقد البياني والروايات الادبية وكتب ارتقاء الامم وانحطاطها وحقوق الامم والدول والانساب

٤ ـ أرى الحاجة ماسة الى كتب فلسفة التاريخ وما يتصل بها كتحليل الاعلام ووصف الآثار القديمة ومعرفة عادات الامم السالفة وأخلاقها وشؤونها المختلفة . وتحليل الادباء وانتقادهم والمعجمات العلمية والعمرانية والاجتماعية على اختلافها والمعجمات للهجات العامية وتحليل الفاظها ودوائر المعارف للفنون والآداب والعلوم وسد الثلم التي يفتقر اليها تاريخنا الوطني والاستدراك على من تقدمنا من المؤرخين كتواريخ الاسر وأنسابها ونشر المذكرات التي دونها كثيرون في حوادث مختلفة . ووصف مخطوطات الخزائن العربية في الشرق والغرب ونشر المؤلفات المفيدة القديمة المدفونة في الخزائن . على اسلوب عصري في الاسناد والتحقيق ووضع الفهارس المختلفة، والاستدراكات الضرورية وما شاكل ذلك

زحلة (لبنان) . عيسى اسكندر المعلوف



الايام

بقلم الدكتور طه حسين

أستاذ الادب بالجامعة المصرية

(١) لا يذكر لهذا اليوم اسماً ولا يستطيع ان يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة بل لا يستطيع ان يذكر من هذا اليوم وقتاً بعينه وانما يقرب ذلك تقريباً ، واكبر ظنه ان هذا الوقت كان يقع من ذلك اليوم في فجره او في عشائه ، يرجح ذلك لانه يذكر ان وجهه تلقى في ذلك الوقت هواء فيه شيء من البرد الخفيف الذي لم تذهب به حرارة الشمس ، ويرجح ذلك لانه على جهله حقيقة النور والظلمة يكاد يذكر انه تلقى حين خرج من البيت نوراً هادئاً خفيفاً لطيفاً كأن الظلمة تغشى بعض حواشيه ، ثم يرجح ذلك لانهُ يكاد يذكر انه حين تلقى هذا الهواء وهذا الضياء لم يأنس من حوله حركة يقظة قوية وانما آنس حركة مستيقظة من نوم او مقبلة عليه . واذا كان قد بقي له من هذا الوقت ذكرى واضحة بيِّنة لا سبيل الى الشك فيها فانما هي ذكرى هذا السياج الذي كان يقوم امامه من القصب والذي لم يكن بينه و بين باب الدار الا خطوات قصار . هو يذكر هذا السياج كأنه رآه امس ، يذكر ان قصب هذا السياج كان اطول من قامته فكان من العسير عليه ان يتخطاه الى ما وراءه ، ويذكر ان قصب هذا السياج كان متقارباً كأنما كان متلاصقاً فلم يكن يستطيع ان ينسلَّ في ثناياه ، ويذكر ان قصب هذا السياج كان يمتد عن شماله الى حيث لا يعلم له نهاية وكان يمتد عن يمينه الى آخر الدنيا من هذه الناحية ، وكان آخر الدنيا من هذه الناحية قريباً فقد كانت تنتهي الى قناة عرفها حين تقدمت به السن وكان لها في حياته — او قل في خياله — تأثير عظيم . يذكر هذا كله و يذكر انه كان يحسد الارانب التي كانت تخرج من الدار كما يخرج منها وتتخطى السياج وثباً من فوق او انسياباً بين قصبه الى حيث تقرض ما كان وراءه من نبت اخضر يذكر منه الكرنب خاصة

ثم يذكر انه كان يحب الخروج من الدار اذا غربت الشمس وتعشى الناس فيعتمد على قصب هذا السياج مفكراً مغرقاً في التفكير حتى يرده الى ما حوله صوت الشاعر قد جلس على مسافة من شماله والتفَّ حوله الناس وأخذ ينشدهم في نغمة عذبة غريبة اخبار ابي زيد وخليفة ودياب ، وهم سكوت الا حين يستخفهم الطرب او تستفزهم الشهوة فيستعيدون و يتمارون و يختصمون

و يسكت الشاعر حتى يفرغوا من لغطهم بعد وقت قصير او طويل ثم يستأنف انشاده العذب بنغمته التي لا تكاد تتغير

ثم يذكر انه كان لا يخرج ليلة الى موقفه من السياج الا وفي نفسه حسرة لاذعة لانه كان يقدر ان سيقطع عليه استماعه لنشيد الشاعر حين تدعوه اخته الى الدخول فيأبى فتخرج فتشده من ثوبه فيمتنع عليها فتحمله بين ذراعيها كأنه الثمامة وتعدو به الى حيث تنيمه على الارض وتضع رأسه على فخذ أمه ، ثم تعمد هذه الى عينيه المظلمتين فتفتحها واحدة بعد الاخرى وتقطر فيهما سائلاً يؤذيه ولا يجدي عليه خيراً ، وهو يألم ولكنه لا يشكو ولا يبكي لانه كان يكره ان يكون كأخته الصغيرة بكاءً شكاءً . ثم ينقل الى زاوية في حجرة صغيرة فتنيمه أخته على حصير قد بسط عليها لحاف وتلقي عليه لحافاً آخر وتذره وان في نفسه لحسرات وانه ليمد سمعه مداً يكاد يخترق به الحائط لعله يستطيع ان يصله بهذه النغمات الحلوة التي يرددها الشاعر في الهواء الطلق تحت السماء . ثم يأخذه النوم فما يحس الا وقد استيقظ والناس نيام ومن حوله اخوته واخواته يغطون فيسرفون في الغطيط فيلقي اللحاف عن وجهه في خيفة وتردد لانه كان يكره ان ينام مكشوف الوجه وكان واثقاً انه ان كشف وجهه اثناء الليل او أخرج احد اطرافه من اللحاف فلا بدّ من ان يعبث به عفريت من العفاريت الكثيرة التي كانت تعمر اقطار البيت وتملأ ارجاءه ونواحيه ، والتي كانت تهبط تحت الارض ما اضاءت الشمس واضطرب الناس ، فاذا آوت الشمس الى كهفها والناس الى مضاجعهم واطفئت السرج وهدئت الاصوات صعدت هذه العفاريت من تحت الارض وملأت الفضاء حركة واضطراباً وتهامساً وصياحاً

وكان كثيراً ما يستيقظ فيسمع تجاوب الديكة وتصايح الدجاج ويجتهد في ان يميز بين هذه الاصوات المختلفة ، فاما بعضها فكانت اصوات ديكة حقاً ، واما بعضها الآخر فكانت اصوات عفاريت تتشكل باشكال الديكة وتقلدها عبثاً وكيداً . ولم يكن يحفل بهذه الاصوات ولا يهابها لانها كانت تصل اليه من بعيد ، انما كان يخاف الخوف كله اصواتاً أخرى لم يكن يتبينها الا بمشقة وجهد كانت تنبعث من زوايا الحجرة نحيفة ضئيلة يمثل بعضها ازيز المرجل يغلي على النار ويمثل بعضها الآخر حركة متاع خفيف ينقل من مكان الى مكان ، يمثل بعضها خشباً ينقصم او عوداً يتحطم وكان يخاف اشد الخوف اشخاصاً يتمثلها قد وقفت على باب الحجرة فسدته سداً وأخذت تأتي بحركات مختلفة اشبه شيء بحركات المتصوفة في حلقات الذكر ، وكان يعتقد ان ليس له حصن من كل هذه الاشباح المخوفة والاصوات المنكرة الا ان يلتف في لحافه من الرأس الى القدم دون ان

يدع بينه و بين الهواء منفذاً او ثغرة ، و كان واثقاً انه ان ترك ثغرة في لحافه فلا بدّ من ان تمتد منها يد عفريت الى جسمه فتناله بالغمز والعبث

لذلك كان يقضي ليله خائفاً مضطرباً الا حين يغلبه النوم وما كان يغلبه النوم الا قليلاً ، كان يستيقظ مبكراً او قل كان يستيقظ في السحر ويقضي شطراً طويلاً من الليل في هذه الاهوال والاوجال والخوف من العفاريت حتى اذا وصلت الى سمعه اصوات النساء يعدن الى بيوتهن وقد ملأن جرارهن من القناة وهن يتغنين «الله يا ليل الله ٠٠» عرف ان قد بزغ الفجر وان قد هبطت العفاريت الى مستقرها من الارض السفلى فاستحال هو عفريتاً واخذ يتحدث الى نفسه بصوت عال ويتغنى بما حفظ من نشيد الشاعر ويغمز من حوله من اخوته واخواته حتى يوقظهم واحداً واحداً فاذا تم له ذلك فهناك الصياح والغناء وهناك الضجيج والعجيج وهناك الضوضاء التي لم يكن يضع لها حداً الا نهوض الشيخ من سريره ودعاؤه بالابريق ليتوضأ ٠٠٠ حينئذ تخفت الاصوات وتهدأ الحركة حتى يتوضأ الشيخ و يصلي و يقرأ ورده و يشرب قهوته ويمضي الى عمله ٠ فاذا اغلق الباب من دونه نهضت الجماعة كلها من الفراش وانسابت في البيت صائحة لاعبة حتى تختلط بما في البيت من طير وماشية

* * *

(٢) كان مطمئناً الى ان الدنيا تنتهي عن يمينه بهذه القناة التي لم يكن بينه وبينها الا خطوات معدودة ٠٠٠ ولم لا ؟ وهو لم يكن يرى عرض هذه القناة ولم يكن يقدر ان هذا العرض ضئيل بحيث يستطيع الشاب النشيط ان يثب من احدى الحافتين فيبلغ الاخرى ، ولم يكن يقدر ان حياة الناس والحيوان والنبات تتصل من وراء هذه القناة على نحو ما هي من دونها ، ولم يكن يقدر ان الرجل يستطيع ان يعبر هذه القناة ممتلئة دون ان يبلغ الماء ابطيه ، ولم يكن يقدر ان الماء ينقطع من حين الى حين عن هذه القناة فاذا هي حفرة مستطيلة يعبث فيها الصبيان ويبحثون في ارضها الرخوة عما تخلف من صغار السمك فمات لانقطاع الماء عنه

لم يكن يقدر هذا كله وانما كان يعلم يقيناً لا يخالطه الظن ان هذه القناة عالم آخر مستقل عن العالم الذي كان يعيش فيه تعمره كائنات غريبة مختلفة لا تكاد تحصى منها التماسيح التي تزدرد الناس ازدراداً ، ومنها المسحورون الذين يعيشون تحت الماء بياض النهار وسواد الليل حتى اذا اشرقت الشمس او غربت طفوا يتنسمون الهواء ، وهم حين يطفون خطر على الاطفال وفتنة للرجال والنساء ، ومنها هذه الاسماك الطوال العراض التي لا تكاد تظفر بطفل حتى تزدرده

ازدراداً والتي قد يتاح لبعض الاطفال ان يظفروا في بطونها بخاتم الملك ذلك الخاتم الذي لا يكاد الانسان يديره في اصبعه حتى يسعى اليه دون لمح البصر خادمان من الجن يقضيان له ما يشاء، ذلك الخاتم الذي كان يتختمه سليمان فيسخر له الجن والريح وما شاء من قوى الطبيعة . وما كان احب اليه أن يهبط في هذه القناة لعل سمكة من هذه الاسماك تزدرده فيظفر في بطنها بهذا الخاتم فقد كانت حاجته اليه شديدة ... ألم يكن يطمع على أقل تقدير في ان يحمله أحد هذين الخادمين الى ما وراء هذه القناة ليرى بعض ما هناك من الاعاجيب، ولكنه كان يخشى كثيراً من الاهوال قبل ان يصل الى هذه السمكة المباركة

على انه لم يكن يستطيع ان يبلو من شاطىء هذه القناة مسافة بعيدة فقد كان هذا الشاطىء محفوفاً عن يمينه وعن شماله بالخطر، فأما عن يمينه فقد كان هناك العدويون وهم قوم من الصعيد يقيمون في دار لهم كبيرة يقوم على بابها ابداً كلبان عظيمان لا ينقطع نباحهما ولا تنقطع احاديث الناس عنهما ولا ينجو المار منهما الا بعد عناء ومشقة، وأما عن شماله فقد كانت هناك خيام يقيم فيها « سعيد الاعرابي » الذي كان الناس يتحدثون بشره ومكره وحرصه على سفك الدماء وامرأته « كوابس » التي كانت قد اتخذت في انفها حلقة من الذهب كبيرة والتي كانت تختلف الى الدار وتقبل صاحبنا من حين الى حين فيؤذيه خزامها ويروعه . وكان اخوف الاشياء اليه ان يتقدم عن يمينه فيتعرض لكلبي العدويين او يتقدم عن شماله فيتعرض لشر « سعيد » وامرأته « كوابس »، على انه كان يجد في هذه الدنيا الضيقة القصيرة المحدودة من كل ناحية ضروباً من اللهو والعبث تملأ نهاره كله

ولكن ذاكرة الاطفال غريبة او قل ان ذاكرة الانسان غريبة حين تحاول استعراض حوادث الطفولة فهي تتمثل بعض هذه الحوادث واضحاً جلياً كأن لم يمض بينها وبينه من الوقت شيء ثم يمحى منها بعضها الآخر كأن لم يكن بينها و بينه عهد، يذكر صاحبنا السياج والمزرعة التي كانت تنبسط من ورائه والقناة التي كانت تنتهي اليها الدنيا و « سعيداً » و« كوابس » وكلاب العدو يين ولكنه يحاول ان يتذكر مصير هذا كله فلا يظفر من ذلك بشيء، وكأنه قد نام ذات ليلة ثم أفاق من نومه فلم يرَ سياجاً ولا مزرعة ولا سعيداً ولا كوابس وانما رأى مكان السياج والمزرعة بيوتاً قائمة وشوارع منظمة تنحدر كلها من جسر القناة ممتدة امتداداً قصيراً من الشمال الى الجنوب، وهو يذكر كثيراً من الذين كانوا يسكنون هذه البيوت رجالاً ونساء ومن الاطفال الذين كانوا يعبثون في هذه الشوارع، وهو يذكر انه كان يستطيع ان يتقدم يميناً وشمالاً على شاطىء القناة

دون ان يخشى كلاب العدويين او مكر سعيد وامرأته ، وهو يذكر انه كان يقضي ساعات من نهاره على شاطىء القناة سعيداً مبتهجاً بما سمع من نغمات «حسن» الشاعر يتغنى بشعره في أبي زيد وخليفة ودياب وهو يرفع الماء بشادوفه ليسقي به زرعه على الشاطىء الآخر للقناة ، وهو يذكر انه استطاع غير مرة ان يعبر هـذه القناة على كتف احد اخوته دون ان يحتاج الى خاتم الملك وانه ذهب غير مرة الى حيث كانت تقوم وراء القناة شجرات من التوت فأكل من توتها ثمرات لذيذة ، وهو يذكر انه تقدم غير مرة عن يمينه على شاطىء القناة حتى وصل الى حديقة المعلم واكل فيها غير مرة تفاحاً وقطف له فيها غير مرة نعناع وريحان ، ولكنه عاجز كل العجز ان يتذكر كيف استحالت الحال وتغير وجه الارض من طورة الاول الى هذا الطور الجديد

* * *

(٣) كان سابع ثلاثة عشر من ابناء ابيه وخامس احد عشر من أشقته ، وكان يشعر بان له بين هذا العدد الضخم من الشباب والاطفال مكاناً خاصاً يمتاز من مكان اخوته واخواته . أكان هـذا المكان يرضيه ؟ أكان يؤذيه ؟ الحق انه لا يتبين ذلك الا في غموض وابهام والحق انه لا يستطيع الآن ان يحكم في ذلك حكماً صادقاً ، كان يحس من امه رحمة ورأفة وكان يجد من ابيه ليناً ورفقاً وكان يشعر من اخوته بشيء من الاحتياط في تحدثهم اليه ومعاملتهم له ، ولكنه كان يجد الى جانب هذه الرحمة والرأفة من جانب امه شيئاً من الاهمال احياناً ومن الغلظة احياناً اخرى ، وكان يجد الى جانب هذا اللين والرفق من ابيه شيئاً من الاهمال ايضاً والازورار من وقت الى وقت ، وكان احتياط اخوته وأخواته يؤذيه لانه كان يجد فيه شيئاً من الاشفاق مشوباً بشيء من الازدراء ، على انه لم يلبث ان تبين سبب هذا كله فقد احس ان لغيره من الناس عليه فضلاً وان اخوته واخواته يستطيعون ما لا يستطيع وينهضون من الامر لما لا ينهض له ، واحس ان امه تأذن لاخوته واخواته في اشياء تحظرها عليه وكان ذلك يحفظه ولكن لم تلبث هذه الحفيظة ان استحالت الى حزن صامت عميق ، ذلك انه سمع اخوته يصفون ما لا علم له به فعلم انهم يرون ما لا يرى

* * *

(٤) كان من اول امره طلعة لا يحفل بما يلقى من الامر في سبيل ان يستكشف ما لا يعلم وكان ذلك يكلفه كثيراً من الالم والعناء ، ولكن حادثة واحدة حدت ميله الى الاستطلاع وملأت قلبه حياء لم يفارقه الى الآن . كان جالساً الى العشاء بين اخوته وابيه وكانت امه كعادتها تشرف على حفلة الطعام ترشد الخادم وترشد اخواته اللائي كن يشاركن الخادم في القيام بما يحتاج

اليه الطاعمون ، وكان يأكل كما يأكل الناس ، ولكن لأمر ما خطر له خاطر غريب : ما الذي يقع لو انه اخذ اللقمة بكلتا يديه بدل ان يأخذها كعادته بيد واحدة ؟ وما الذي يمنعه من هذه التجربة ؟ لا شيء ، واذن فقد اخذ اللقمة بكلتا يديه وغمسها من الطبق المشترك ثم رفعها الى فمه ، فاما اخوته فاغرقوا في الضحك ، واما امه فاجهشت بالبكاء ، واما ابوه فقال في صوت هادىء حزين : ما هكذا تؤخذ اللقمة يا بني ، واما هو فلم يعرف كيف قضى ليلته

من ذلك الوقت تقيدت حركاته بشيء من الرزانة والاشفاق والحياء لا حدّ له ، ومن ذلك الوقت عرف لنفسه ارادة قوية ، ومن ذلك الوقت حرّم على نفسه ألواناً من الطعام لم تبح له الا بعد ان جاوز الخامسة والعشرين . حرّم على نفسه الحساء والارز وكل الالوان التي تؤكل بالملاعق لانه كان يعرف انه لا يحسن اصطناع الملعقة وكان يكره ان يضحك اخوته او تبكي امه او يعلمه ابوه في هدوء حزين

هذه الحادثة اعانته على ان يفهم حقاً ما يتحدث به الرواة عن ابي العلاء من انه اكل ذات يوم دبساً فسقط بعضه على صدره وهو لا يدري فلما خرج الى الدرس قال له بعض تلاميذه : يا سيدي أكلت دبساً ، فاسرع بيده الى صدره وقال : نعم قاتل الله الشره ، ثم حرّم الدبس على نفسه طوال الحياة

واعانته هذه الحادثة على ان يفهم طوراً من اطوار ابي العلاء حق الفهم ، ذلك ان ابا العلاء كان يتستر في اكله حتى على خادمه فقد كان يأكل في نفق تحت الارض وكان يأمر خادمه ان يعد له طعامه في هذا النفق ثم يخرج ويخلو هو الى طعامه فيأخذ منه ما يشتهي ، وقد زعموا ان تلاميذه تذاكروا مرة بطيخ حلب وجودته ، فتكلف ابو العلاء وارسل الى حلب من اشترى لهم منه شيئاً فاكلوا واحتفظ الخادم لسيده بشيء من البطيخ وضعه في النفق وكأنه لم يضعه في المكان الذي تعود ان يضع فيه طعام الشيخ ، وكره الشيخ ان يسأل عن حظه من البطيخ فلبث البطيخ في مكانه حتى فسد ولم يذقه الشيخ

فهم صاحبنا هذه الاطوار من حياة ابي العلاء حق الفهم لانه رأى نفسه فيها . فكم كان يتمنى طفلاً لو استطاع ان يخلو الى طعامه ، ولكنه لم يكن يجرؤ على ان يعلن الى اهله هذه الرغبة . على انه خلا الى بعض الطعام احياناً كثيرة ، ذلك في شهر رمضان وفي ايام المواسم الحافلة حين كان اهله يتخذون ألواناً من الطعام حلوة ولكنها تؤكل بالملاعق ، فكان يأبى ان يصيب منها على المائدة ، وكانت امه تكره له هذا الحرمان فكانت تفرد له طبقاً خاصاً وتخلي بينه وبينه في حجرة

خاصة يغلقها هو من دونه حتى لا يستطيع احد ان يشرف عليه وهو يأكل

على انه عند ما استطاع ان يملك امر نفسه اتخذ هذه الخطة له نظاماً . بدأ بذلك حين سافر الى اوربا لاول مرة فتكلف التعب وابى ان يذهب الى مائدة السفينة فكان يحمل اليه الطعام في غرفته . ثم وصل الى فرنسا فكانت قاعدته اذا نزل في فندق او في اسرة ان يحمل اليه الطعام في غرفته دون ان يتكلف الذهاب الى المائدة العامة ولم يترك هذه العادة الا حين خطب قرينته فاخرجته من عادات كثيرة كان قد الفها

هذه الحادثة اخذته بالوان من الشدة في حياته جعلته مضرب المثل في الاسرة وبين الذين عرفوه حين تجاوز حياة الاسرة الى الحياة الاجتماعية . كان قليل الاكل لا لانه كان قليل الميل الى الطعام بل لانه كان يخشى ان يوصف بالشره او ان يتغامز عليه اخوته . وقد آلمه ذلك اول الامر ولكنه لم يلبث ان تعوده حتى اصبح من العسير عليه ان يأكل كما يأكل الناس . كان يسرف في تصغير اللقمة ، وكان له عم يغيظه منه ذلك كلما رآه فيغضب وينهره ويلح عليه في تكبير اللقمة فيضحك اخوته وكان ذلك سبباً في ان كره عمه كرهاً شديداً . كان يستحي ان يشرب على المائدة مخافة ان يضطرب القدح من يده او ألا يحسن تناوله حين يقدم اليه فكان طعامه جافاً ما جلس على المائدة حتى اذا نهض عنها ليغسل يديه من حنفية كانت هناك شرب من مائها ما شاء الله ان يشرب ، ولم يكن هذا الماء نقياً دائماً ولم يكن هذا النوع من ري الظمأ ملائماً للصحة فانتهى به الامر الى ان اصبح ممعوداً وما استطاع احد ان يعرف لذلك سبباً

ثم حرم على نفسه من ألوان اللعب والعبث كل شيء الا ما لا يكلفه عناء ولا يعرضه للضحك او الاشفاق . فكان احب اللعب اليه ان يجمع طائفة من الحديد وينتحي بها زاوية من البيت فيجمعها ويفرقها ويقرع بعضها ببعض ينفق في ذلك ساعات حتى اذا سئمه وقف على اخوته او اترابه وهم يلعبون فشاركهم في اللعب بعقله لا بيده ، وكذلك عرف اكثر ألوان اللعب دون ان يأخذ منها بحظ . وانصرافه هذا عن العبث حبب اليه لوناً من ألوان اللهو هو الاستماع الى القصص والاحاديث ، فكان احب شيء اليه ان يسمع انشاد الشاعر او حديث الرجال الى ابيه والنساء الى امه ، ومن هنا تعلم حسن الاستماع . وكان ابوه وطائفة من اصحابه يحبون القصص حباً جماً فاذا صلوا العصر اجتمعوا الى واحد منهم يتلو عليهم قصص الغزوات والفتوح واخبار عنترة والظاهر بيبرس واخبار الانبياء والنساك والصالحين وكتباً في الوعظ والسنن ، وكان صاحبنا يقعد منهم مزجر الكلب وهم عنه غافلون ولكنه لم يكن غافلاً عما يسمع بل لم يكن غافلاً عما يتركه

هذا القصص في نفوس السامعين من الاثر . فاذا غربت الشمس تفرق القوم الى طعامهم حتى اذا صلوا العشاء اجتمعوا فتحدثوا طرفاً من الليل واقبل الشاعر فأخذ ينشدهم أخبار الهلاليين والزناتيين وصاحبنا جالس يسمع في اول الليل كما كان يسمع في آخر النهار

والنساء في قرى مصر لا يحببن الصمت ولا يملن اليه ، فاذا خلت احداهن الى نفسها ولم تجد من تتحدث اليه تحدثت الى نفسها ألواناً من الحديث فغنت ان كانت فرحة وعددت ان كانت محزونة . وكل امرأة في مصر محزونة حين تريد ، وأحب شيء الى نساء القرى اذا خلون الى انفسهن ان يذكرن آلامهن وموتاهن فيعددن وكثيراً ما ينتهي هذا التعديد الى البكاء حقاً . وكان صاحبنا أسعد الناس بالاستماع الى اخواته وهن يتغنين والى امه وهي تعدد ، وكان غناء اخواته يغيظه ولا يترك في نفسه أثراً لانه كان يجده سخيفاً لا يدل على شيء بينما كان تعديد أمه يهزه هزاً عنيفاً وكثيراً ما كان يبكيه . وعلى هذا النحو حفظ صاحبنا كثيراً من الاغاني وكثيراً من التعديد وكثيراً من جد القصص وهزله . وحفظ شيئاً آخر لم تكن بينه وبين هذا كله صلة وهي الاوراد التي كان يتلوها جده الشيخ الضرير اذا أصبح او امسى

كان جده هذا ثقيل الظل بغيضاً اليه وكان يقضي في البيت فصل الشتاء من كل سنة وكان قد صلح ونسك حين اضطرته الحياة الى الصلاح والنسك ، فكان يصلي الخمس لاوقاتها ولم يكن لسانه يفتر عن ذكر الله ، وكان يستيقظ آخر الليل ليقرأ ورد سحر وكان ينام في ساعة متأخرة بعد ان يصلي العشاء ويقرأ ألواناً من الاوراد والادعية . وكان صاحبنا ينام في حجرة مجاورة لحجرة هذا الشيخ فكان يسمعه وهو يتلو وكان يحفظ ما يتلو حتى حفظ من هذه الاوراد والادعية شيئاً كثيراً . وكان اهل القرية يحبون التصوف ويقيمون الاذكار ، وكان صاحبنا يحب منهم ذلك لانه كان يلهو بهذا الذكر وبما ينشده المنشدون اثناءه . ولم يبلغ التاسعة من عمره حتى كان قد وعى من الاغاني والتعديد والقصص وشعر الهلاليين والزناتيين والاوراد والادعية وأناشيد الصوفية جملة صالحة وحفظ الى ذلك كله القرآن

« لها بقية » طه حسين

الشرقيون والقبعة

نظرة في تطور القبعة في التاريخ

لما ظفر مصطفى كمال ظفرته المشهورة نحو الغرب وخلع عن وطنه جميع ما يربطه بالشرق كانت القبعة بنداً خطيراً من بنود البرنامج الجديد . فانهُ حتم على الامة التركية اصطناعها وقال في منشوره بهذا الشأن : « يجب ان نظهر بمظهر الامة المتمدينة ويجب ان نصطنع اساليب العالم المتمدين فان الطربوش الذي نلبسهُ جزءاً من اللباس الوطني اصله يوناني . فنحن سنطرحهُ ونتخذ القبعة التي هي اللباس الاممي »

وليس شك في صحة كلام مصطفى كمال من حيث ان القبعة هي العمرة العامة للامم الآن وان كان كلامه عن اصل الطربوش خطأ . فان الذين قرأوا نفح الطيب للمقري لا بد انهم عثروا على ذكر الشربوش وهو الطربوش بعينه . فالطربوش من اصل مغربي .

والناس في اختيار لباسهم لا يراعون دائماً المصلحة الصحية فمن العبث ان يقال ان القبعة تقي الرأس من المطر والشمس لان الانسان في سبيل زينته يتحمل اكثر من اذى المطر والشمس . وانما نحن نراعي مايلبسهُ الناس الذين نريد ان نتشبه بهم فنلبس مثلهم . ونجم اوربا في صعود الآن فليس عجباً ان تتشبه باهلها معظم الامم . لانهُ كما ان العامة تتلقى الازياء من الخاصة كذلك العالم يتلقى الازياء من اوربا . فنساؤنا هنا في مصر مثلاً يقطعن ملابسهن على النمط الجديد في باريس ولست تدخل عند خياطة في القاهرة الا وتجدها تدرس صحف الازياء الصادرة عن باريس . وكذلك الحال في ملابس الرجال فنحن نجري على ما يرسمهُ لنا اهل الازياء في لندن وباريس

وقد قامت حركة في العام الماضي في القاهرة كانت ترمي الى اصطناع القبعة ، الشبيبة المطربشة تبغي القبعة والشبيبة المعممة تبغي الطربوش . وقد نجح بعض ذوي العمائم في استبدال الطربوش بالعمامة ولكن المتطربشين لم يفلحوا في اصطناع القبعة . وكان اقوى ما ثبطهم ما قيل لهم من ان الطربوش شعار وطني الانسلاخ منهُ يضعف الوطنية . ولكن مثال مصطفى كمال والامة التركية بامرها يثبت ان القبعة لا تضعف الوطنية وان كانت تضعف اشياء اخرى كالدين والعادات الشرقية ونحو ذلك لانهُ ليس شك في ان من تشبه بقوم صار منهم ، يحب عاداتهم ويألف افكارهم ويصطنع اذواقهم ، وذلك لان الانسان مفطور على ان يتأثر باحساسه اكثر جداً مما يتأثر بعقله . فالمصري



قبعات النساء من القرن الرابع عشر الى الآن

مثلاً ما دام يرى نفسه كالاوربي في لباسه لا ينقص عنهُ في شيء فانهُ ينزع نزعة اوربية في مسلكه وطباعه . وهذا ما قصد اليه مصطفى كمال

* * *

وليس يعرف تاريخ القبعة على وجه التحقيق وانما يظن ان الحثيين الذين كانوا في شمال سوريا ايام رمسيس الثاني حوالي سنة ١٢٠٠ ق . م . كانوا يلبسون شيئاً يشبه القبعة . ولكن القدماء كانوا في الاغلب يسيرون بلا عمرة وذلك لضرورة اقتصادية لان حلق الشعر او قصه كان يكلف الناس مشقة كبيرة فكان ارخاء الشعر ايسر من قصه او حلقه وكان ايضاً يقوم على الرأس مقام العمرة . فكان لذلك المصريون والاغريق والرومان لا يلبسون شيئاً على رؤوسهم قانعين بما عليها من شعر

اما في القرون الوسطى فقد شاع استعمال القلنسوة وكانت تستطيل احياناً حتى تصير طرطوراً او كان يوضع لها رفرف فتكاد تشبه القبعة

وظهرت القبعات الحديثة اول ما ظهرت في القرن الرابع عشر واخذت من ذلك الحين تتطور الى ان بلغت حالها الحاضرة

وقد يتساءل الانسان : هل تعيش القبعة الى الابد وهل تحتفظ بمكانها العالي الذي لها الآن ؟ والجواب على ذلك انهُ يرجح ان تلغى فان الرأي الطبي يميل الآن الى التخفف من الثياب وتعرية ما يمكن من الاعضاء حتى تتلقى اشعة الشمس وتنتفع بضوئها . وهناك من يقول (والمرجح كثيراً ان يكون قوله الصواب) ان اتخاذ العمرة اياً كانت يورث الصلع وذلك لان العمرة تحبس العروق التي تغذو الشعر بضغطها لها فيموت الشعر موتاً لا رجعة منهُ مهما تعالج الانسان بضروب العلاجات التي يعلن عنها اصحابها . والدليل على صحة هذا القول ان الفلاحين والفعلة والعمال ممن لا يضعون شيئاً على رؤوسهم او يقنعون بطاقية خفيفة لا يصابون بالصلع . وانما يصاب به الاغنياء ذوو العمائم او الطرابيش او القبعات التي تحزق الرأس وتضغط العروق . وقديماً قال الشاعر العربي :

وكل كريم لا ابا لك اصلع

وحقيقة المعنى هنا ان كل غني اصلع لان الغنى هو الشرط الاساسي للكرم . وقد نشأت في اوربا طبقة جديدة من الشباب المتهور لا تتخذ اية عمرة

ولسنا نكبر من شأن الاعتبارات الصحية في اختيار اللباس ولكن اذا كانت القبعة او الطربوش او العمامة سيثبت عليها انها علة الصلع فانها لا شك مقضي عليها في القريب العاجل

أعظم خدمة للبشرية

حلم عالم

للاستاذ وليم مكدوجال البحاثة الانجليزي المشهور

معظم احلام الفلاسفة التي يرسمون فيها المثل العليا للامم خيالية لا بد ان يمر فيها القارىء على خيال قد نشز على الحياة العملية . ولكن الاستاذ مكدوجال يحاول هنا ان يجعل خياله عملياً [المحرر]

ليس في تبرعات الاثرياء الماضية ما يشجع على البر . فان ملايين المستر كارنجي التي خصها لانشاء المكاتب تبدو لنا الآن كأنها قطرة في بحر . وملايين المستر روكفلر التي اسس بها جامعة شريفة ومعهداً عظيماً للبحث العلمي لا يزال الانسان يشك في انها كانت تكون انفع عائدة لو انها وقفت على عمل آخر . فان الدولة يجب ان تقوم بواجباتها من مثل انشاء جامعات او معاهد علمية . اما الغني الذي يريد ان يتبرع للخير والبر فيجب عليه ان يرمي الى غاية خارجة عن واجبات الحكومة لانه اذا عاون الحكومة في اعمالها فانه لن يكون لعمله من نتيجة سوى تخفيف الضرائب عن الملاك وليس هذا بالشيء العظيم في نظر الرجل البار . ثم ان الاصلاح الاجتماعي عن سبيل الترقيع لا يجدي كثيراً فان منفعته زائلة وتكاثر السكان يجدد على الدوام الحاجة الى الترقيع . وهناك من يقول بتسويد نظام شيوعي او اشتراكي ولكن على فرض ان هذا النظام ينجح فان نتيجته تكون تكاثر العمال واولادهم فينحط جوهر الانسانية في الامة وتعود بلادنا كأنها الهند او الصين

ومن هذه المقدمة يتبين لنا انه اذا اراد احد ان يتبرع للخير بنحو خمسين مليون جنيه مثلاً فانه يجب ان يرمي الى غاية واحدة هي تحسين المادة الانسانية ذاتها . اما الانفاق على انشاء المكاتب او المدارس او المستشفيات او نحوها فكل يفيد فائدة وقتية لانه انما يعالج وسط الانسان ولا يعالج الانسان نفسه . وهناك نظريات عدة ترسم للناس أمثل النظم ولكن الواقع ان هذه النظم لا قيمة لها بدون المادة الانسانية المؤلفة منها الامم والهيئات الاجتماعية . فان الحضارة تتقهقر في أمثل النظم البشرية اذا كانت مادة البشر رديئة وهي تتقدم وترقى في اسوأ النظم البشرية اذا كانت المادة البشرية حسنة . فغاية البر يجب ان تكون تحسين الانسان نفسه بصرف النظر عن مؤسساته

وقد حلم كثيرون من الفلاسفة احلاماً وضعوا فيها طوبيات خيالية لم تتحقق لانهم اغفلوا اعتباراً مهماً جداً وهو العائلة . فان كل من يعرف شيئاً عن طبيعة الانسان لا يمكنه ان يقدر

النجاح لأي نظام اجتماعي لا تكون العائلة اساسه . والآن نحن نعرف بالاستقراء المبني على الاحصاءات الدقيقة ان الطبقات العليا في الامم المتحضرة تقلل جداً من نسلها واحياناً تؤثر العقم على التناسل . فينتج من ذلك ان الطبقات الدنيا تغمر الامة بأولادها فتنحط الحضارة رويداً رويداً بتناسل الطبقات الدنيا وعقم الطبقات العالية فتقل الكفايات وتموت الحضارة من الرأس

فالطوبى التي ارسمها فيما يلي اقصد منها الى تكاثر التناسل في هذه الطبقات العليا وذلك بأن نخصص احدى الجزر لهذا العمل نطلق عليها اسم « الجزيرة اليوجنية » تكون العائلة أساس نظامها الاجتماعي . ويكون عليها حاجز لا يدخلها الا الكفاة يتزاوجون بعضهم مع البعض وينسلون اكبر عدد من النسل . وفي الوقت نفسه يجوز لهم ان ينفوا بعيداً عنهم كل من تبدو فيه ، اي في جسمه أو عقله ، سمة سوء او نقص . وهذه الجزيرة تجلب رجالها ونساءها من الخارج في اول نشوئها ولكنها بعد ذلك تعتمد على التزاوج بين اهلها بدون حاجة الى استيراد احد من الخارج . ولن يكون للاولاد الحق في التمتع بالاقامة في الجزيرة ما لم يثبتوا اهليتهم و يقبل ترشيحهم لان يكونوا وطنيين فيها . ولن يمنع اهل هذه الجزيرة من الخروج من جزيرتهم الى العالم والاستخدام في حكوماته المتعددة فان الغاية من انشاء هذه الجزيرة هي خدمة العالم وانما يحتم بقاء كل واحد من سن الخامسة الى سن العشرين حتى ينشأ على طباع حسنة ومسلك خاص ، ينالون مزايا التربية العائلية والمدرسية ثم يخرجون الى جامعات العالم الكبرى فيواصلون دروسهم وابحاثهم . و بعد ذلك يخيرون بين العودة الى جزيرتهم أو البقاء بين ظهراني الامم التي اقاموا في اقطارها . وكل ما يطلب منهم عندئذ ألا يتزوجوا الا من اهل الجزيرة . فيكون مكانهم من جزيرتهم مكان الموظف الانجليزي في الهند من انجلترا . فهو يعيش في الهند ويبقى عشرات السنين بعيداً عن وطنه ، انجلترا ، ولكنهُ مع ذلك يتزوج امرأة انجليزية ولا يعرف من حرمة الوطنية سوى الحرمة الوطنية الانجليزية . وقد تكون المقابلة هنا مع فارق . ولكن شباب الجزيرة اليوجنية في غربتهم عن جزيرتهم قد يهوون الزواج بمن يلتقون بهن من آنسات جميلات . وهذا ولا شك ممكن الوقوع ولكن ليست الخسارة كبيرة منهُ على اهل الجزيرة وان كانت المنفعة لاهل العالم منهُ واضحة . وعلى كل حال يبقى عدد كبير بالجزيرة يرغب في التزوج من اهلها . ولن يخشى اهل الجزيرة شيئاً يؤخرون منهُ الزواج كما انهم لن يخشوا شيئاً من العائلة الكبيرة فسيتراوح عدد اولادهم من الخمسة الى العشرة . وذلك لان عيشهم سيكون هنياً لا يكدهم بالوقف الكبير الذي فرضنا في اول المقال ان احد الاثرياء سيقفه لايجاد هذه الهيئة الاجتماعية

ولكن كيف نبدأ بهذا المشروع ؟

أول ما نحتاج اليه قطعة ارض لها تخوم طبيعية اوجزيرة تبلغ مساحتها نحو ١٠٠٠٠ ميل مربع يكون مناخها موافقاً لان يعيش فيها الرجل الابيض وتكون ارضها خصبة . وأول ما يؤسس فيها

جامعة لتعليم الجنسين فتكون هذه الجامعة بمثابة مركز الجذب لزمرة من الكفاة يهجرون اليها أوطانهم وهذه الزمرة هي البذرة الاولى • ولذلك يجب ان تنتقى هذه البذرة من اكفى الناس من حيث صحة اجسامهم وأذهانهم يبحث عن تاريخ كل فرد منهم وتاريخ اهله اي السلالة التي نبت منها • واذا كان متزوجاً يبحث عن تاريخ زوجته ايضاً • والغاية من ذلك ، كما لا بد قد ادرك القارىء ، أننا لسنا نحتاج الى ثقافته فقط بل الى نسله ايضاً • و بعد ان تمضي مدة يرشح لان يكون عضواً بالجزيرة فاذا قبل فذاك والا غادرها • ثم تأخذ هذه البذرة في اضافة غيرها من كفاة العالم اليها ويبقى الانتخاب مستمراً في البداية مدة ما الى ان يكثر سكان الجزيرة وعندئذ لا يجلب اليها احد من الخارج وانما يبقى عمل التنفية فكل من يظهر في الجزيرة و به نقص ما يطرد منها

والآن لعله يرد الى خاطر القارىء ان الجزيرة ستمتلىء بطبقة من الناس تعيش عيشة الحلم كالوارث يمتص دم غيره و يعيش بعرق العاملين وهو نفسه لا يعمل شيئاً • ولكن الواقع ان جميع المؤسسات النافعة تعيش عيشة حلمية عليها فليس في العالم جامعة او مدرسة تجيد عملها تسد نفقاتها • ولكن هؤلاء الناس لن يعيشوا مع ذلك عيشة الحلم فان كل صبي سيتعلم صناعة ما الى جنب ابحاثه العلمية او الفلسفية • فهم ربما يستغنون عن الالعاب بالصناعات اليدوية المتعددة التي سيتعلمونها

ومثل هذه الجزيرة لن تكون دولة لها اسطولها وجيشها وعلمها فان صغرها يزيل مناعتها ومثل هذه الاشياء تحتاج الى نفقات لا تتحملها فيجب اذاً ان تضمن الدول سلامتها بدون ان تكلفها حمل السلاح • ولكن يكون لها دستورها وشريعتها

وعندما يتكاثر السكان و يفيضون على ريع الوقف وخيرات الجزيرة يرسل الزائد منهم الى العالم • وتكاثر السكان هو غاية قصدنا اليها عندما أشرنا الى ان الحضارات تزول لان الطبقات العليا تمتنع عن التناسل وفي الوقت نفسه يكثر تناسل الطبقات الفقيرة فتغمر هذه تلك وتقل الكفايات في الامم • فاذا تكاثر سكان هذه الجزيرة حتى فاضوا فقد حققنا بذلك غرضنا وهو ان يبقى عدد الطبقة العليا كبيراً حتى يزود الامم بمن تحتاج اليهم من الكفاة في الادارة والعلم والسياسة والادب • وهؤلاء الذين يخرجون من الجزيرة يكونون ملح الارض يصلحونها وتصلح بهم وليس شك في ان هؤلاء الخارجين سيتركون جزيرتهم وهم عالقون بصبابتها ولكنهم يفعلون ذلك وهم يشعرون انهم يؤدون واجباً حقاً للعالم عليهم • ثم ان هـذا التكاثر يؤدي ايضاً الى ان يدقق اهل الجزيرة في الانتخاب فلا يبقى بجزيرتهم محل للتسامح وابقاء غير الكفاة الذين تتضح امارات كفايتهم • وهذا غرض ثان ينتهي بتحسين مادة النوع البشري (انتهت ملخصة)

من « تاريخ الملك عبد العزيز بن سعود »

فتح الحسا

بقلم امين الريحاني

هذه صفحة من الكتاب الذي يعنى بتأليفه الاستاذ الريحاني . ومن مزاياه انه مبني على معلومات وثيقة مستقاة من مصادرها الاصلية فضلاً عن كونه مكتوباً بالاسلوب الطريف الممتع الذي اشتهر به كاتبه [المحرر]

ان خلاصة ما تقدم فيما يختص بالترك هي انهم كانوا في عهد الدستور يناوئون العرب ، لا سيما من حاول جمع كلمتهم وتوحيد سياستهم ، أي ابن سعود ، فقد حرضوا عليه الشريف حسيناً ، وابن الرشيد ، وابن السعدون ، واغروا به كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هي مطير ، ناهيك بالعُجمان في الحسا ، وبحرب في اطراف الحجاز

١٣٣١ هـ
١٩١٣ م

وقد بلغت العداوات في بداية هذا العام اشدها ، فكانت النتيجة ان سارع عبد العزيز الى تحقيق ما كان يبغيه . خرج في ربيع الاول من الرياض ورحله الحسا ، فنزل على ماء الخفس حتى آخر الشهر ، واغار اثناء ذلك على عربان من بني مرة مذنبين فأخذ مواشيهم . على ان الغرض من هذه الاغارة لم يكن محصوراً في ظاهرها

تقدم بعد ذلك الى الحسا ، فأرسل الاتراك يستطلعون خبره وقصده . فقال : انما قصدي الامتيار (شراء الامتعة والزاد) والحقيقة هي انه ابتاع ما كان في حاجة اليه ، وعاد الى الرياض تاركاً عسكره في الخفس

وفي ذاك الحين وصل الى عاصمة نجد ، قادماً من الشام بطريق الجوف ، رجل انكليزي اسمه ليتشمان Col. Leachman ، فسأله ابن سعود :

— ما القصد من سياحتك ؟

— اني جغرافي وأريد ان تساعدني لاجتاز الربع الخالي من واحة يبرين الى عُمان

— قدومك الينا على هذا الوجه خطأ . فلا علم لنا به ، وليس معك توصية من الحكومة البريطانية

— اني رجل انكليزي طالب علم . وانتم معروفون باكرامكم الانكليز خصوصاً العلماء منهم

لم يتأكد عبد العزيز حقيقة ما ادعاه الرجل ، بل ظنه يتجسس للترك . اذ كان قد اعتزم

الهجوم على الحسا ، وكان قد خامر الترك بعض الريب في أمره فرأى أن يستخدم هذا الجغرافي لازالة ذاك الريب حتى يطمئن بال خصمه ، و يسير هو مطمئناً الى غرضه

لذلك قال له : لا يستطيع أن يجيب طلبك غير الترك في الحسا ، فأرى ان تذهب الى المتصرف هناك . وأنا أكتب اليه بشأنك

ومما قاله في كتابه : ان هـذا الرجل مجهول لدينا ، وهو واصل اليكم ، فلكم فيما يبغي الرأي الموفق ان شاء الله

رحل ليتشمان ، و بعد قليل قفل ابن سعود الى معسكره في الخفس ، فكان اول ما باشره أن سعى في ابعاد العجمان لانهم ذوو مطامع سياسية في الحسا ، وقد لا يوافقون على احتلالها . و بما انهم وعرب مطير « قوم » ـ اعداء ـ سيّرهم الى الشمال لمحاربتهم ، وقد انضموا الى عجيمي السعدون

ثم زحف الى الحسا فالتقى في الطريق بنجاب من حكومتها يحمل كتاباً اليـه من المتصرف وفيه الرجاء ان يعلمه من أية الجهـات جاء الانكليزي الى الرياض . فقـال ابن سعود للنجاب : غداً ان شاء الله أنا بنفسي اعلم المتصرف

قد ذكرت اهم الاسباب التي حملت ابن سعود على فتح الحسا . وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عما تقدم منها ، فقد عجل ، على الاقل ، بنتيجتها : كان جمال باشا ـ جمال المشانق السورية بعينه ـ يومئذ والياً في بغداد ، وكان يجامل ابن سعود و يتظاهر بصداقته ، فوعده بالسعي في حسم الخلاف بينه و بين الشريف حسين ، وسأله ان يرسل مندو باً الى بغداد للمذاكرة في هذا الامر

ارسل ابن سعود رجلاً من رجاله العصريين هو احمد بن ثُنَيَّان . ولكن جو السياسة العربية كان قد تغير اثنـاء ذلك ، فسطع فيه نور ابن الرشيد ، وكان النور شبيهاً بوهج الاصفر الرنان . جُذب الجمال الى ابن الرشيد . وعندما وصل ابن ثُنَيَّان الى بغداد وجده غير جميل . وسمع كلاماً لا جمال فيه ولا حكمة : ـ

« ابن سعود لا يعرف مقامه وقد غره ان صفح عنه المشير فيضي باشا . فاذا كان لا يقبل ما تطلبه الحكومة فان في امكاني ان اخترق بلاد نجـد من الشمال الى الجنوب بطابورين ـ بطابورين لا غير »

عاد احمد ثنيان يحمل هذا الكلام الى عبد العزيز ، فكتب عندما استمعه كتاباً الى جمال باشا ارسله بواسطة وكيله في البصرة عبـد اللطيف باشا المنديل ، وفيه هـذه الكلمة : قلتم انكم تستطيعون بطابورين ان تخترقوا بلاد نجد من الشمال الى الجنوب . ونحن نقول ان سنقصر لكم الطريق قريباً ان شاء الله

ثم كتب الى عبد اللطيف المنديل : « اذا سألك الترك : هل أنت مندوب ابن سعود ، فقل لهم : اني عثماني » وقد اشار بذلك خشية ان يلحق به ضرر بعد الهجوم على الحسا

ولكن عبد اللطيف باشا ، وهو المشهور بالصراحة والجرأة الادبية ، لم يعمل باشارة موكله ، فلم ينكر انه نجدي ووكيل ابن سعود . ومما قاله للاتراك : قد جهلتم قدر هذا الرجل ، وهو الآن يعرفكم بنفسه

وصل ابن سعود الى اطراف الحسا ، ولم يكن له فيها معاونون غير وكلائه ابناء القصيبين و يوسف بن سويلم . فسألهم أي مكان أوفق للهجوم على الكوت [1] ؟ فأعلموه بما هناك من الصعوبات لعلو السور ووجود الحرس . فأرسل اليهم يقول : اننا هاجمون في هذه الليلة ، كل صعب مسهّل بحول الله

كان عبد العزيز قد نزل على عين من عيون الاحساء تبعد ميلاً واحداً عن الهفوف . وفي الساعة الثالثة ليلاً (١٠ زوالية) في ٥ جمادى الاولى من هذا العام (١٣ ابريل سنة ١٩١٣) خرج من المعسكر بستمائة من رجاله وخطب فيهم قائلاً :

« اننا هاجمون على الترك في الكوت ، واننا آخذوهم باذن الله . امشوا كانكم بكم الى غرضكم ، ولا تضجوا . اذا كلمكم احد فلا تجيبوه ، حتى ان ضُربتم بالبنادق ، ونحن في الطريق ، فلا تضربوا ، أما وقد صرتم في الكوت فحاربوا من حاربكم ، ووالوا من والاكم . ولكن البيوت لا تدخلوها ، والنساء لا تدنوا منهن »

قال ذلك وسار امامهم . ساروا على الاقدام وهم يحملون جذوع النخل والحبال . فلما وصلوا الى السور قسمهم ثلاث فرق . فقال للفرقة الاولى : أنتم تسيرون الى الباب الجنوبي فتقبضون على الحرس وتستولون على الباب وما يليه . وللفرقة الثانية : وأنتم تسيرون الى السراي على المتصرف فيها فتأسرونه . وللفرقة الثالثة : وأنتم تتفرقون في ابراج السور . هذي هي أوامري فاعملوا بها ولا تتعدوها

باشر اناس حزم الجذوع بالحبال ، فصنعوا منها سلماً تسلقه عشرة من ذوي الشجاعة والاقدام . ثم رموا بالحبال الى العساكر فصعدوا ساكتين ونزلوا الى الكوت متسللين ، والحرس يسألون : من أنتم ؟ فلا يجيبهم احد بكلمة

وكانت كل فرقة عند اكتمالها داخل السور تسير الى الجهة المعينة لها . ولكن هذا العمل لم يتم دون ان يحدث ضجة في الحصون وفي المدينة . أفاق العساكر والاهالي من النوم ، فاستولى عليهم الخوف والذعر ، وهم لا يدرون مَن الهاجمون . علت الاصوات ، واطلقت البنادق ، فامر

(١) الكوت جهة في الهفوف فيها القلعة والحامية

اذ ذاك عبد العزيز احد رجاله ان يصعد الى السور و يعدو عليه مناديًا : الملك لله ثم لابن سعود ، فمن اراد العافية فليلزم مكانه

نادى المنادي بذلك فاستبشر الناس ، وكانوا يهتفون كبارهم وصغارهم : اهلاً وسهلاً · سمعاً وطاعة ، بل جاءوا العساكر بالماء كأنهم اخوانهم وقد عادوا من سفر

اما عبد العزيز فكان لا يزال خارج السور ، فاراد ان يتسلقهُ ، فابى عليه ذلك من تبقى معه من الجنود فهدموا جانبًا منه ، فدخل ودخلوا معه · وكان الحرس قد لجأ الى القلعة ، واهل الكوت بعد ان سمعوا صوت المنادي ، خرجوا من بيوتهم ، فجاءوا يرحبون بابن سعود و يعاهدونهُ على الطاعة والولاء · ثم جاء ، عند ما اصبح الصباح ، من تبقى من الاهالي ، جاءوا يبايعون مثل من تقدمهم فاكرم محسنهم وعفا عن مسيئهم

كل ذلك والاتراك تلك الليلة في حصونهم قابعون · وقد كان لهم اربعة في الهفوف وخارجها، اثنان داخل الكوت ، وحصن الى الجنوب ، والآخر الى الشمال في المبرَّز · فعندما تبلج الفجر شرعوا يطلقون البنادق والمدافع من تلك الحصون طلقات افصحت عن الذعر الذي كان مستوليًا عليهم ، فلا أضروا باحد ، ولا روَّعوا احداً

وعند الظهر جاء جندي من جنود ابن سعود باسير من الترك ، وهو ضابط طاعن في السن فارسله عبد العزيز رسولاً الى المتصرف والى قائد الحامية :

— قل لهم سلموا ان كنتم تبغون العافية · ونحن نؤمّنهم ونرحلهم الى بلادهم · واذا ابوا فليستعدوا لاننا سنهاجمهم في مراكزهم

قبل المتصرف والقائد الامان ، ثم سلمت الحامية التي كان عددها الفًا ومائتي جندي · فاذن عبد العزيز حتى بسلاحهم قائلاً : لا تنزع من الجندي العثماني سلاحه · اما المدافع والذخائر فظلت مكانها في الحصون

ثم جهزهم بالركائب ، ورحّلهم وعائلاتهم ، الف ومائتا جندي بعيالهم وامتعتهم ، ساروا من الهفوف الى العقير وليس معهم من يخفرهم و يؤمن طريقهم غير رجل واحد من رجال ابن سعود هو احمد بن ثنيان مندوبه السابق الى جمال باشا · وعندما وصلوا الى العقير جهزهم الشيخ احمد بسفن نقلهم الى البحرين

وبعد احتلال الهفوف ارسل عبد العزيز سرية الى القطيف بقيادة عبد الرحمن بن سوّيلم ، فلما وصل الى تلك الناحية بادر اهلها الى التسليم · ولم يكن للترك غير شرذمة من الجنود فيها ففروا في السفن هاربين الى البحرين

أما العساكر الذين كانوا في الحسا فعند وصولهم الى البحرين وجدوا من يزيّن لهم الرجوع

الى العقير ، ويشجعهم عليه ، علهم يسترجعون القصر [١] هناك . فظفر فريق منهم بمركب لآل بسام كان يحمل تمراً ، فركبوا فيه وعادوا الى العقير ، فهجموا ليلاً على القصر ، وفيه سرية لابن سعود ، فلم يتمكنوا منه . ثم هجموا على مركزين آخرين كان في الواحد ثلاثة رجال يحمون الماء فردوهم خائبين ، وكان في الثاني ثلاثون رجلاً ، فهزمهم الاتراك واحتلوا مركزهم

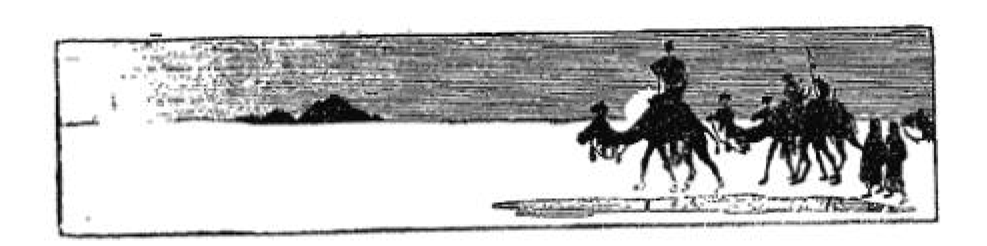
بلغ الخبر عبد العزيز وهو في الهفوف ، فشد الرحال وسارع الى العقير ، فوصلها في الساعة الثانية من الليل . ولكنهُ كان قد سير كوكبة من الخيل فوجدت عند وصولها ان السرية التي كانت في القصر قد هجمت على الترك في المركز الذي احتلوه فهزمتهم وأسرت منهم ثلاثين

أخلى عبد العزيز سبيل هؤلاء في اليوم التالي وأركبهم البحر . ثم كتب الى الشيخ عيسى آل خليفة امير البحرين والى الوكيل السياسي لبريطانية العظمى هناك يلومهم على ما بدا منهم فقال : أيليق بكم تحريض العدو علينا ونحن أصدقاؤكم ؟ فاذا كنتم لا تتلافون مثل هذه الاعمال وتمنعونها فالتبعة فيما قد يعقبها هي عليكم

جاء الجواب دون ابطاء وفيه ان العساكر ركبوا السفن من البحرين قاصدين البصرة ، وقد رجعوا الى العقير دون علم من الحكومة او الوكالة

اما الحقيقة فهي ان آل خليفة والوكيل الانكليزي خشوا ان يتقدم ابن سعود الى داخل الخليج في فتوحاته ، فأقدموا على عمل كان التسرع فيه أظهر من العداء

أمين الريحاني



(١) القصر مقر الامير اي العامل هو غالباً الحصن . أو ان الحصن هو غالباً في القصر

مصر أصل حضارة العالم

بقلم الاستاذ سلامه موسى

يتجه نظر علماء الآثار في جميع انحاء العالم تقريباً الى ان مصر هي منبت الحضارة وان العالم سواء في ذلك القديم والجديد قد اشتق حضارته منها . وليس ذلك لان المصريين كانوا اذكى من سائر الامم حتى استنبطوا آلات الحضارة ومؤسساتها حين كان غيرهم من بني البشر لا يزالون يجوبون الغابات والبوادي وانما يرجع الفضل في ذلك الى وادي النيل الذي هداهم الى الزراعة . والزراعة هي أصل الحضارة

وقد ضرب العلماء في بيداء التخمين عن أصل اهتداء الناس الى الزراعة حتى وقعوا فيما يشبه السخافات . فقد قال بعضهم مثلاً ان الانسان عرف الزراعة لانهُ عندما كان يدفن موتاه كان يضع بعض الحبوب مع الميت حتى يأكلها . فكانت هذه الحبوب تنمو لسقوط المطر عليها فيعتقد أقارب الميت انهُ كافأهم بهذا النبات النامي لانهم خدموه بتزويده في العالم الآخر بالطعام . وانهُ بتوالي هذا العمل فقه الانسان الزراعة

ولكن يعترض على هذا الفرض بان الدفن والعالم الآخر كليهما من مقتضيات الحضارة وان الرجل الذي يعيش في الغابة لا يدفن ولا يعرف عالماً آخر

وانما عرفت الزراعة في وادي النيل . وكان النيل نفسه هو المعلم الذي علم المصريين هذه الصناعة . لانهُ يأتي كل عام في فيضانه بما يشبه التقويم الفلكي دقة ونظاماً . فكان اذا فاض نبتت الحبوب نباتاً طيباً وأثمرت بلا حاجة الى ان ينفق المصري مجهوداً في الري او الحرث او أية عناية أخرى . وكان هذا العمل يتكرر كل سنة فكان لا بد للمصريين ان يتنبهوا الى ان الماء هو اصل الزراعة . ولا يمكن اي نهر آخر في العالم ان يتعلم الناس منه الزراعة لانها لا تفيض بالنظام والمواظبة اللذين نراهما في النيل . وغلات الحبوب كالقمح والشعير والذرة يكفي لنباتها الفيضان دون الحاجة الى ري صناعي

ومتى عرف الانسان الزراعة وهدأ في مكان وترك التجوال في الغابات والبوادي شرع يؤسس مؤسسات الحضارة . لان هدوءه في مكان يحتاج الى حكومة تحرس له حقله وتمنع اعتداء غيره عليه والى بيت يقيم فيه ثم ان العائلة يتوطد بنيانها لان التجوال السابق كان يفككها ويرخي روابطها . ثم ان صناعة البناء تظهر ويليها صناعة الآنية من فخار او خزف . وايضاً تُستأنس الحيوانات المتوحشة وتُعرف رعاية الماشية وصناعة الالبان

وكما ان الطبيعة انعمت على المصري بالنيل يعلمه الزراعة ويفقهه في علاقة الماء بها كذلك

جفاف المناخ المصري علمه الدين . لانه كان يترك جثث الموتى فتجف احياناً دون ان تبلى ففقه من ذلك ان الموت لا يختم الحياة وشرع يساعد الطبيعه على بقاء الجثة بالتحنيط . ومن التحنيط نشأ الاعتقاد بالعالم الثاني وظهرت طبقة الكهنة . وكان للنيل دخل آخر في الدين وهو انه جعل المصري يقدس الماء ويعتقد انه اصل كل شيء حي وانه يطهر كل شيء . وليست قصة الفيضان ونجاة نوح منه الا احدى نتائج الاعتقاد بفيضان النيل وانه اصل الحياة كما اثبت ذلك اليوت سمث

هذه هي النظرية التي يقول بها علماء الآثار عن حضارة العالم وانها مشتقة من مصر . فهل التاريخ يؤيدها ؟

لقد اتيح لكاتب هذه السطور ان يقرأ كتاباً ضخماً للاستاذ بري يبلغ ٥٥١ صفحة حاول فيه اثبات هذه النظرية من تاريخ مصر والعالم . واعتقادنا انه نجح في هذه المحاولة . ولسنا نميل الى رأيه ونقتنع به لبواعث وطنية فانه وان كان يجري في عروقنا دماء الفراعنة فاننا قد انقطعت بيننا وبينهم صلة اللغة والثقافة وهما اهم ما يعمل للتعصب

وليس من السهل تلخيص كتاب بري فانه يستقرىء الحضارات المختلفة التي ظهرت في العالم ويتتبعها من مصر شرقاً الى سوريا فالعراق فالهند فالصين فجنوب آسيا فاستراليا فاميركا ويستخرج منها تلك السمات المصرية التي اتسم بها التاريخ المصري القديم من لدن فراعنة الاسرة الخامسة . وهو في استقرائه يثبت ان التدرج الجغرافي في اتجاه الحضارة المصرية الى الشرق يسير مع التدرج الزمني . فآخر ما ظهر من آثار الثقافة المصرية مثلاً كان في اميركا اقصى الاقاليم عن مصر

وقبل الكلام عن سمات الحضارة المصرية التي نجدها في سائر حضارات العالم يجب ان نذكر ان العالم منذ داروين صار يثق اكثر مما يجب بالوسط . فان ركناً كبيراً من نظرية داروين قائم على ان الوسط يؤثر في الحي . وقد تأثر علماء الآثار بهذا الرأي فكانوا يردون الحضارات المتشابهة في الصين ومصر مثلاً الى ان الوسط في كلا القطرين متشابه وان عوامل المناخ المتشابهة فيهما كافية لان يتشابها في الحضارة والثقافة

ولكن هذا الرأي قد تفيّل الآن بالشواهد العديدة التي تنقضه . ففي اميركا مثلا نجد في عصر الفتح الاوربي في اقليم واحد على خط عرض واحد امتين امة متحضرة واخرى متبدية لا تزال تعيش في الغابات وتقتات بالصيد والجذور . وكذلك الحال في آسيا . وليس الفرق بين الطائفة المتحضرة والاخرى المتوحشة يرجع الى اختلاف المناخ وانما مرجعه الى تقاليد في الثقافة والحضارة تسلمتها الامة المتحضرة اما عن غزو واما عن طريق آخر

ولننظر الآن في سمات الحضارة المصرية الاولى التي انتشرت في العالم وجعلته ما هو الآن . فالمصريون عرفوا الذهب ولم يكونوا في الاصل يحملونه للزينة وانما نقبوا عنه وصاغوه في هيئة الودع كما يرى الآن في المتحف المصري اعتقاداً منهم بانه يطيل الحياة او هو اكسير الحياة . ولا يخفى

ان هذه الفكرة لم تمت الا حديثاً · فان المصريين لما شرعوا يدرسون العالم واذهانهم لا تزال بكراً من الغابة لم تلوث بعد بعقيدة او ثقافة مركبة اخذوا ينظرون الى حبة الشعير وهي اقدم ما عرف من الغلات فرأوها على هيئة عضو التناسل في المرأة · ومما يشتركان ايضاً في انهما مبعث الحياة ذلك يخرج منه الاطفال وهذه تنمو وتخرج منها السنبلة · فجعلوا الشعيرة رمزاً للحياة او لطول الحياة · ثم وجدوا الودعة تشبه الشعيرة فصارت هي ايضاً رمزاً للحياة · وهي لا تزال كذلك للآن عند الزنوج ثم عرفوا الذهب فصاغوه وَدعاً لهذه الغاية ايضاً · وشرعوا من ذلك الوقت ينقبون بهمة عن الذهب فخرجوا من مصر وولوا وجوههم شطر الشرق للبحث عن الذهب وغرسوا في اذهان الشرقيين قيمة الذهب في اطالة الحياة وفي الزينة ايضاً · ولمعظم الامم المتأخرة في آسيا تقاليد وتواريخ مأثورة تثبت مجيء « ابناء الشمس » الى اقطارهم لاستخراج الذهب

هذه واحدة · ثم التحنيط فشا في مصر اولاً والغاية منه ايضاً اطالة الحياة · لان المصري القديم وهو كما قلنا قد خرج من الغابة وذهنه خلو من اية ثقافة او اية فكرة علمية ، كان يعتقد في سذاجة ان الجسم ما دام يحتفظ بشكله الخارجي فانه حي حياة قد تختلف عن حياتنا ولكنها مع ذلك حياة ما · فنشأ من ذلك الاعتقاد بعالم ثان · وما هذا الاعتقاد الا ايمان بطول الحياة او هو محاولة لاطالتها · ونحن نجد التحنيط قد خرج من مصر حتى بلغ اميركا

فعقيدة العالم الثاني وعقيدة الطوفان كلتاهما نشأت من عقائد المصريين الاولى . نشأت الاولى من رغبة المصري في اطالة الحياة ونشأت الثانية من فيضان النيل . وقد عقد اليوت سمث فصلاً وافياً في تطور هذه العقيدة الثانية حتى انتهت بما نراه في رواية التوراة

وقد قلنا ان حضارة مصر التي فشت في العالم هي حضارة الاسرة الخامسة . وهي الاسرة التي ظهرت فيها عبادة را إله الشمس على عبادة امون . وانقسمت الامة المصرية قسمين : امارة دينية ووزارة سياسية . اي ان الحكومة ازدوجت وصار فيها رئيسان احدهما ديني والآخر مدني . وهذا الازدواج فشا في جميع أنحاء العالم وهو لا يزال الى الآن قائماً في بعض الامم . ولعلنا هنا لا نخطيء اذا قلنا ان الخلاف بين قريش والانصار حين قال هؤلاء على أثر وفاة النبي : « منكم الامارة ومنا الوزارة » يرجع الى هذه الثقافة المصرية التي فشت في الاسرة الخامسة

وعلى كل حال نحن نجد بالاستقراء التاريخي والجغرافي ان « أبناء الشمس » أي المصريين الذين خرجوا من مصر أو غيرهم الذين تسلموا منهم ثقافتهم قد انتشروا في آسيا ونقبوا عن الذهب اكسير الحياة وانهم أفشوا بين الناس الاعتقاد بالعالم الثاني وأشاعوا نظام الحكومة المزدوجة : امارة دينية ووزارة سياسية · كما انهم علموهم صناعة التحنيط

ومما يثبت هذا القول اننا نجد درجات التطور في مصر ظاهرة ولكننا لا نجدها كذلك عند الامم التي اقترضت منها حضارتها وثقافتها · فنحن نعرف مثلاً ان القاطرة البخارية توجد في مصر

وفي انجلترا الآن . فاذا نحن فقدنا الوثائق التاريخية وادعى مصري ان مصر هي التي اخترعت القاطرة لم يشق على انجليزي ان يثبت ضد ذلك بان يرجع الى تطورات القاطرة في بلاده من عهد انشاء الآلات البخارية التي صنعها سافري ثم واط ثم ستيفنسون ، ويوضح ان هذه الآلات كانت ناقصة فتحسنت بالتدريج وتطورت حتى بلغت حالتها الحاضرة التي تراها في مصر وانجلترا معاً اما نحن فلا نستطيع ان نظهر تطوراً للآلة البخارية في مصر . فنفهم من ذلك ان القاطرة اخترعت في انجلترا

وكذلك الحال في مصر ازاء العالم . فنحن نجد الهرم كاملاً في اميركا ، ظهر في العصر المسيحي ، ولكننا نجده في مصر قبل المسيح باربعة آلاف سنة ولا نجده كاملاً بل ناقصاً نشأ أولا مصطبة ثم هرماً مدرجاً أي مصطبة فوق مصطبة ثم هرماً كاملاً في الاسرة الرابعة . فمن المعقول انه اذ خرجت حضارة مصر وقت الاسرة الخامسة ونفشت في العالم شيدت الامم التي تلبست بالحضارة المصرية اهرامها على النمط الاخير . وكذلك الحال أيضاً في التحنيط نشأ في مصر تجفيفاً بسيطاً ثم ارتقى ونحن نرى تدرج ارتقائه في قبور المصريين القدماء . ولكننا نجد التحنيط كاملاً في اميركا بل الاغرب من ذلك انه ابتدأ كاملاً في اميركا ثم انحط بعكس ما نرى في مصر مما يدل على ان القائمين بامر التحنيط انقرضوا فزالت صناعتهم في اميركا . ونرى مثل ذلك أيضاً في التنقيب عن الذهب فان « أبناء الشمس » الذين ذهبوا الى جنوب آسيا انقرضوا فذهبت معهم ثقافتهم وكف الاهالي عن البحث عن الذهب ولم يبق عندهم سوى تقاليد وأساطير عن أبناء الشمس الذين يطيلون الحياة

وكذلك الحال في الكتابة اخترعها المصريون اولا لانهم لما كانوا امة زراعية كانوا يحتاجون الى تقويم دقيق ما زلنا نحن المصريين نعمل به في الزراعة التي تجري للآن على التقويم القبطي وفي هذا التقويم شهران هما توت وهاتور وكلاهما من ارباب آبائنا . فهذه الكتابة خرجت من مصر واتجهت الى الشرق حتى بلغت اميركا . وذلك لان الثقافة التي خرجت من مصر كانت على تنوعها وحدة مؤتلفة . فالكتابة كانت معروفة في مصر منذ اكثر من ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد . ولم تظهر في الهند الا حوالي سنة ٧٠٠ ق . م . وحضارة اميركا ابتدأت حوالي الميلاد المسيحي وعرفت في هذا الوقت الكتابة عند الاميركيين القدماء

فليس شك الآن ان حضارات العالم كله اشتقت من مصر ومما يشرح القلب ان دعاة هذه النظرية ليسوا مصريين بل انجليز

سلامه موسى

اللحية والحلاقة

في التاريخ والدين

بقلم الارشمندريت انطونيوس بشير

من الميزات البارزة التي تفرق بين الناس الشعر ، واللحية بنوع خاص من الشعر ، ولذلك لجأ الناس الى ارسال اللحية من اقدم ازمنة التاريخ ليتميز بها الناس بعضهم من بعض . وكانوا يعتقدون بان اللحية بركة من الله يؤتيها من يشاء ويحرمها على من يشاء ولذلك كانوا يبالغون في اكرامها والعناية بها

وللحية انصار واعوان يخلصون لها ويحترمونها ويقدسونها . فهي عندهم علامة الرجولة لان الصبي او الخصي لا لحية لهما ، والمرأة الملتحية كانت تعتبر ساحرة ومخلوقاً غريباً عجيباً . وكان الناس ينظرون الى اللحية في العالم القديم نظرهم الى شيء مقدس ، فاذا شاءوا ان يحتقروا رجلاً امروا بنتف لحيته كما فعل الملك يوحنا عند ما زار ارلندا في سنة ١١٨٥ واذ امر بنتف لحية كل زعيم عاص متمرد فيها

واللحية من ميزات الرجل على المرأة ، ولذلك لا بدع ان نرى الانسان القديم المؤمن بتفوق الرجل على المرأة ، والذي احتقر المرأة طوال الاجيال وحسبها مخلوقاً وضيعاً براه الله ليكون للرجل عبداً وآلة للتسلية ، — لا بدع ان نرى الرجل القديم شديد التعصب للحيته التي تميزه من المرأة ! صادق الايمان بوجوبها في حياته . وما برحت هذه العادة منتشرة في الشرق بنوع خاص ، ولذلك فالشرقيون يعتقدون ان الرجل ذا اللحية الكاملة الذي يود ان يحافظ على شرف لحيته لا يصنع شراً البتة بل هو في مصف الكاملين (دوطي في كتابه الصحراء العربية ص ٢٥٠ مجلد اول)

وفي التقليد ان آدم ، جدنا الاول ، خلقه الله بلحية ، وزفس كبير الآلهة في بلاد اليونان والرومان كان ملتحياً ، والمصورون القدماء والنحاتون والفنانون كانوا يصورون ويمثلون الشخص الاول من الثالوث الاقدس بلحية طويلة ليمثلوا بها ابوته تعالى ، وجميع آباء الاجناس البشرية يصورون باللحية ومثلهم سائر الابطال القدماء ، فابرهيم واغاممنون وودين وارثر الملك ، وشارلمان وغيرهم مصورون باللحية في جميع الآثار الباقية عنهم

واول من قدس اللحية من الشعوب القديمة ، الشعوب السامية او العائشون تحت سلطان الشعوب السامية ، ويظهر مركز اللحية في غاية الوضوح من الامر الذي يحرم قص اللحية والعارضين كما

في (لا ١٩ : ٢٧) ، ويظهر العار الذي يلحق بمن تقص لحيته من العمل الذي اراد العمونيون ان يحتقروا به خدام داود اذ حلقوا لكل منهم جانباً من لحيته وتركوا الجانب الآخر كما نقرأ في سفر صموئيل الثاني (ف ١٠ عدد ٤) ، ولكن ملكهم اشفق عليهم وقال لهم « امكثوا في اريحا حتى تنمو لحاكم » . وكانت نتيجة هذا الاحتقار الحرب . وما برحت الكنيسة في الشرق اذا ارادت ان تحقر اكليريكياً وتجرده من درجته المكرمة تأمر بحلق لحيته

وقد كان اهمال العناية باللحية من دواعي الحزن والكآبة كما نقرأ في (ايوب ١ : ٢٠) ، و (٢ ص ١٩ : ٢٤ وعزرا ٩ : ٣ واشعيا ١٥ : ٢) . ومن اجمل ما وصل الينا عن وصف عادات الشعوب القديمة في اللحية ما نقرأه في الكتاب الثاني من تاريخ هيرودوتس : « ان كهنة الآلهة الغريبة يستخدمون شعوراً طويلة ، ولكنهم يحلقون رءوسهم في مصر ، وقد رأيت بين الامم الاخرى ان لدى القوم عادة كلما مات قريب او نسيب او شخص يعز عليهم فراقه يتركون شعور رءوسهم تنمو بدون ان يقصوا منها شعرة واحدة » وكانت العادة في مصر ان الطبقة الفقيرة تلتحي ولكن الكهنة والملوك والامراء يحلقون شعور رءوسهم ووجوههم على السواء ، ولذلك نرى يوسف يحلق قبل ان يدخل على فرعون (تك ١٤ : ١٤) ، وكان الملوك والامراء يضعون على وجوههم لحى مستعارة في ايام الاحتفالات الرسمية لاجل الزينة الخارجية . اما الآلهة القدماء فكانت اللحية تمثل مجعدة الاطراف في تماثيلهم . وكان الفرس وامراء نينوى يزينون اللحية بخيوط من الذهب ويجعلونها لكي تظهر بجعداتها قدوة بلحية ثورهم المجنح الذي كانوا يعبدونه . وكانت العادة في اشور وبابل على عكس ما كانت في مصر ، فان عامة الناس كانوا يحلقون ولكن الملوك والامراء والاغنياء كانوا يلتحون ، ولعلهم فعلوا ذلك لانهم كانوا يشغلون فوق مركزهم المدني مركزاً دينياً سامياً (لا ٨ : ١٢) ، وقد تبع المسلمون مثال نبيهم محمد الذي كان شديد العناية بلحيته ، ولذلك التحى امراؤهم وشيوخهم وكان وما برح اعظم قسم عندهم القسم بلحية النبي كأنما هم يقسمون بالله . وقد بالغ العرب في احترام اللحية حتى انهم حفظوا كل شعرة تسقط منها ، وكانوا يوارون مجموع الشعرات التي تسقط من لحية الزعيم في القبر الذي يعدونه له بعد موته او يحفظونها لكي يتبركوا بها . وربما كان هذا التقليد نتيجة العادة القديمة التي كانت تعلم بان الرجل الكبير يكون كل ما فيه من قمة رأسه الى اخمص قدميه مقدساً . ولذلك كان الواجب يقضي بحفظ كل ما يسقط من جسده لكي تتبرك به رعيته ، واول من تجاسر من الخلفاء على مقاومة اللحية هو السلطان سليم الاول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) . فانه قص لحيته بكل شجاعة وجرأة وقال للمفتي الاعظم انه فرح كثيراً بعمله لانه لم يبق له شيء يستطيع ان يقوده وزراؤه به

ولكن مثل هذه البدعة الجديدة ضد التقليد والعادة لا يخلو صاحبها من تعريض ذاته لسهام

النقد الحادة • ولذلك نرى ان بطرس الاكبر ، الذي امر شعبه بحلق لحاهم ، وفعل ذلك امامهم ، وفرض ضريبة على كل رجل ذي لحية كائناً من كان ، ـ نرى هذا الملك العظيم يكابد امرّ الآلام ويموت على فراشه حزيناً يائساً • وليس بطرس الاكبر اول من فعل هذا من الملوك فان الاسكندر الكبير فعل بجنوده المكدونيين المدربين على الحروب نفس ما فعله القيصر بعده ، فحلق الاسكندر امامهم وأمرهم ان يحلقوا جميعاً وفرض قصاصاً صارماً على كل من يخالف امره • وقد قال لاحد قواده : ان غايته من هذا العمل ان يتخلص جنوده من ان يكون لهم لحى طويلة يستطيع العدو ان يمسكهم بها ويقودهم صاغرين

وقد قام للحية انصار في كل زمان ومكان وكتبوا المقالات والكتب المختلفة يظهرون فيها وجوب التمسك بها وانها ضرورية للتقوى • واهم هؤلاء المحامين عن اللحية جايمس وارد (١٧٦٩ ـ ١٨٥٩) وقد كان من اشهر الرسامين المعروفين في ذلك العهد • فقد الف كتاباً دعاه « الدفاع عن اللحية » بناه على اساس الكتب المقدسة القديمة واوجب فيه على كل انسان ان تكون له لحية وألا يعلو موسى على رأسه • وفي سنة ١٨٦٠ وضع احدهم كتاباً سماه « الحلاقة خرق لحرمة السبت وعقبة في سبيل انتشار الانجيل » • وقد اظهر فيه ان اللحية حارس مقدس لرجال الدين ، يقيهم شر العيون الحاسدة ويستدعي احترام الناس واكرامهم لهم !

ومن الذين دافعوا عن اللحية قبل هذا التاريخ بزمن طويل الامبراطور يوليان في كتابه « عدوّ اللحية او ماسو بوغون » فانه اسهب في وصف ما كان يشاهده في انطاكية من الاحتقار حيث كان الناس يعيرونه بانه التجأ الى اللحية لكي يتشبه بفلاسفة اليونان • وفي التاريخ والآثار القديمة ان الاغريق استعملوا اللحية حتى ايام الاسكندر الكبير وعنهم اخذ الرومان عادة الحلاقة

ويظهر ان الخلاف العظيم الذي انشأه ارسال اللحية او حلقها من الحرب التي قامت بين الفرس والتتر لان الاولين ابوا ان يقصوا لحاهم في حين ان هذه العادة كانت قد غلبت على الامم المغلوبة • اما الشعوب الغوثية الغربية فكانت الطبقات الحقيرة منها حليقة لكي لا تكون مثل اسيادها ورؤسائها • ولذلك فضل بعض الانكليز النفي والهجرة في ايام الحكم النورماندي على حلق لحاهم • بيد ان النورمانديين لم يلبثوا ان عدلوا عن الحلاقة وتمسكوا بعادة اللحية قدوة بالشعوب التي كانوا يحكمونها

وكل من يمعن النظر في درس تاريخ اللحية يرى ان العادة كانت لها الكلمة العليا في الادوار التي مرّت بها اللحية فكانت موضوعاً للاحترام والتبجيل في بعض العصور كما كانت لآلات الحلاقة في غيرها • فالاسبانيون حلقوا لحاهم لان ملكهم فيليب الخامس لم يستطع ان تكون له لحية • والفرنسويون فعلوا مثل الاسبانيين لان ملكهم لويس الثالث عشر كان بدون لحية ، في حين انهم قبل ذلك بقرن واحد كانوا من انصار اللحية اقتداء بملكهم فرنسيس الاول

الذي لجأ الى اللحية لكي يغطي آثار جرح بليغ في ذقنه · و يقال ان ثلاث شعرات من لحية احد ملوك فرنسا توضع تحت الخاتم الرسمي في الرسالات الملوكية او المعاهدات الدولية كانت تزيد الثقة بتلك الرسائل والمعاهدات

وفي انجلترا نجد ان اللحية كانت غير مستحبة في مختلف الازمنة والامكنة · والشريعة التي وضعها بطرس الاكبر في روسيا وقضى بها على كل ذي لحية بدفع جزاء نقدي عنها للحكومة انما اخذها عن الانكليز · وما برحت بلاد الانكليز السباقة في ميدان الحلاقة حتى اليوم

وقد كانت اللحية بين اليهود كما كانت بين اكثر امم الشرق علامة الاحترام ، ولا شك ان رجال الدين المسيحي اخذوا هذه العادة عن اليهود و كهنتهم بنوع خاص ، فساد استعمالها بينهم وصارت جزءاً من طقوس الكنيسة وتقاليدها · فالرسل ، كما نرى في اقدم الصور والتماثيل التي بقيت لهم ، يمثلون و يصورون باللحية و كذلك اكثر آباء الكنيسة الاولين ·وفي كتابات القديس ايرونيموس واوغسطينوس بعض الاشارات الى اللحية ولكنها اشارات غير صريحة في بيان تاريخ استعمال اللحية في الدين · اما اقدم شريعة في الموضوع بخصوص الاكليروس فهي كما نعتقد ، بعد الدرس القليل الذي درسناه للحية قبل كتابة هذا المقال ، القانون الرابع والاربعون من مجمع قرطجنة المسمى بالرابع (٥٠٣) فهو يحظر على الاكليريكي ان يكون له شعر في رأسه او في وجهه على السواء · وقد كان هذا القانون موضوع جدال وبحث طويلين في الاجيال المتوسطة فبعض الكنائس قبلته وبعضها رفضته ولم تسلم به · غير ان الكنيسة الانكليزية كانت في جميع القرون المتوسطة تعتقد أن اللحية غير منطبقة على النصوص القانونية · وقد استفحل امر العداء للحية حتى اضطر الملك الفرد الى وضع الشريعة القائلة : « كل من يحلق لحية غيره يدفع عشرين شلناً ، وكل من يشد كتاف غيره ليحلق لحيته مثل الكاهن يدفع اربعين شلناً »

وفي ايام الملك ادغار نجد هذا القانون : « لا يغط احد من رجال الاكليروس رأسه الحليق بالشعر ، ولا يأذن للحيته بالنمو او لاحد من الناس ان يسيء حلاقته اذا كان يرغب في بركة الرب ، و بركة مار بطرس و بركتنا» · وقد جرى الغرب من ذلك الحين على هذه العادة التي كانت من اهم المواضيع التي حمي فيها وطيس الجدال بين الشرق والغرب منذ ايام الانشقاق ولكن هذا الموضوع لم يعره الناس كبير اهمية لانه بعيد جداً عن الخلاص وهو مقيد بالعادات والظروف اكثر منه بالشرائع السماوية والنظامات الدينية

وقد ظلت الشريعة الآمرة رجال الاكليروس الغربي بالحلاقة معتبرة في كل الاجيال الوسطى · وفي سنة ١١١٩ نرى مجمع طولوز يتهدد بالحرم كل اكليريكي له لحية او شعر طويل · واصدر البابا اسكندر الثالث منشوراً جاء فيه ان كل من يتجاسر من الاكليروس ان يلتحي و يرسل شعر رأسه يجب ان يحلق شعره بالقوة اذا لزم الامر · وقد ادخل البابا غريغوريوس التاسع

هذه الاوامر في كتاب الشريعة ، ومن ذلك الحين قضي على الاكليروس الغربي ان يحلقوا وجعل عملهم هذا رمزاً لانهم كما يقصون شعورهم فانهم يقطعون اصول الرذائل والخطايا النامية في اعماق الانسان ولذلك تقول الشريعة ما معناه ، ان الاكليريكي يحلق لحيته لكي يظهر نقياً بالسذاجة ويظل مثل الملائكة تبدو على وجهه ملامح الصغار الاطهار الذين احبهم يسوع

واهم الاسباب التي يعتمد عليها الراغبون في حلق اللحية ما يأتي : لكي لا يستخدم الكاهن لحيته للزينة ، لكي لا ينفق اكثر اوقاته في ملاعبة لحيته وتزيينها ، لكي لا يعوقه شعر عارضيه عن تناول الكأس المقدسة . وقد حسبت الكنيسة الغربية هذا السبب الاخير من الدواعي الهامة للحلاقة

وفي اوائل القرن السادس عشر قامت في الكنيسة الغربية حركة ترمي الى اعادة اللحية ولكنها لم تلبث ان ماتت لان روح العصر لم توافقها . وما برحت عادة الحلاقة من ذلك العصر الى اليوم مرعية الاجراء في كنائس الغرب . وقد صرح كتاب « الحق القانوني العام » للكنيسة الرومانية انه لا يجوز لاي كان من رجال الدين ان يلتحي بدون اجازة خاصة من الكرسي الرسولي في رومية »

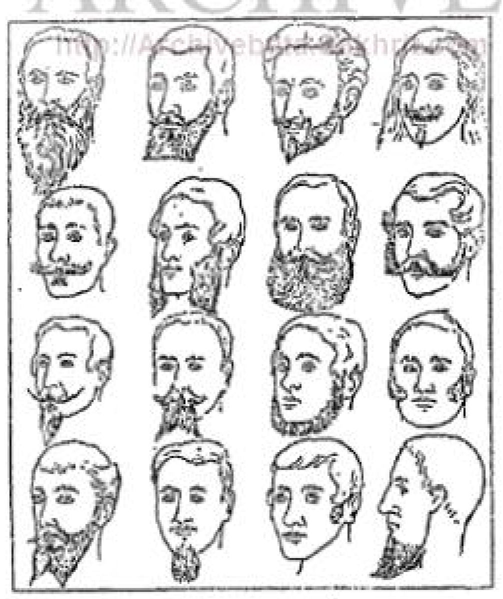
كانت المرأة محتقرة في الشرق ، وكانت مثالاً ونموذجاً للضعف والجبانة ، وما برحت العبارة الجارية على الافواه في الشرق ، التي يقولها الرجل لمن يريد تحقيره من الرجال « اذهب يا امرأة ! » دليلاً على المركز الحقير الذي كان للمرأة في الشرق . فكان الرجل الجبان ، الخامل ، الضعيف ، يسمى في عرف الجمهور « مثل المرأة » او « مستأنث » او « مستخنث » لاجل التحقير . ولما كان الوجه الحليق دليل الانوثة في الشرق كان من العار على الرجل ان يحلق شعر لحيته ويصير « مثل المرأة » . وقد ظل الشرق متمسكاً بهذه العادة القديمة حتى ليستطيع الباحث في تاريخ اللحية والحلاقة ان يقول « ان تاريخ الحلاقة في الشرق هو تاريخ لرقي المرأة »

الكنيسة في الشرق ، في جميع ادوار تاريخها ، كانت معلمة الشرق والوصية على كنوزه . وكان رجالها - وما برحوا - قادة الشعب في امورهم الاجتماعية والادبية ، ولذلك كان واجباً عليهم ان يظهروا بالزي الذي يسترعي احترام الناس واعتبارهم . فكانت اللحية من جملة الازياء التي ورثوها عن العالم القديم وبالغوا في المحافظة عليها جهد الطاقة ومع ان اللحية لا تخلق الكاهن ، كما يقولون ، فالشرقي بطبيعته ، او بالحري بتقاليده ، يحترم اللحية ويكرم اصحابها . وقد طالما سمعت في حداثتي شيوخاً كثيرين يقولون ، « ان سيدنا المطران عظيم بالحقيقة ، ولكن للاسف ان لحيته صغيرة ! » ، وغيرهم كثيرون كانوا يقولون امامي « قد رأينا اليوم كاهناً لحيته لحد زناره ؟ تبارك الذي خلقه ما اطهره ! » وامثال هذه من العبارات الساذجة الطاهرة التي تدل على نقاء قلب الشرقي واهتمامه بالقشور دون اللباب

من جميع ما تقدم نرى ان اللحية عادة اكثر مما هي دين او عقيدة او شريعة مقدسة · وكما انها مجلبة للاحترام في بلاد الشرق كثيراً ما تكون في المغرب مجلبة للاحتقار او تعريض صاحبها للانظار بطريقة غير عادية ، لان مخالفة الجمهور فيما وقع عليه عرفهم واقرته عاداتهم وتقاليدهم ليست بالامر السهل البسيط · لذلك نرى ان الشرقي الذي يعيش في بلاد الغرب · وبنوع خاص الاكليريكي الشرقي الذي يتخذ هذه البلاد وطناً له ، يجب ان يعرف انه كما ان اللحية وسيلة لاحترامه واكرامه من الشعب في الشرق فان الحلاقة في هذه البلاد هي وسيلة لاحترامه واكرامه · اما ان يقص شعره ، ويزين لحيته على الموضة ، فذلك امر لم نستطع حتى الآن ان نعرف الغاية منه او السبب الداعي اليه

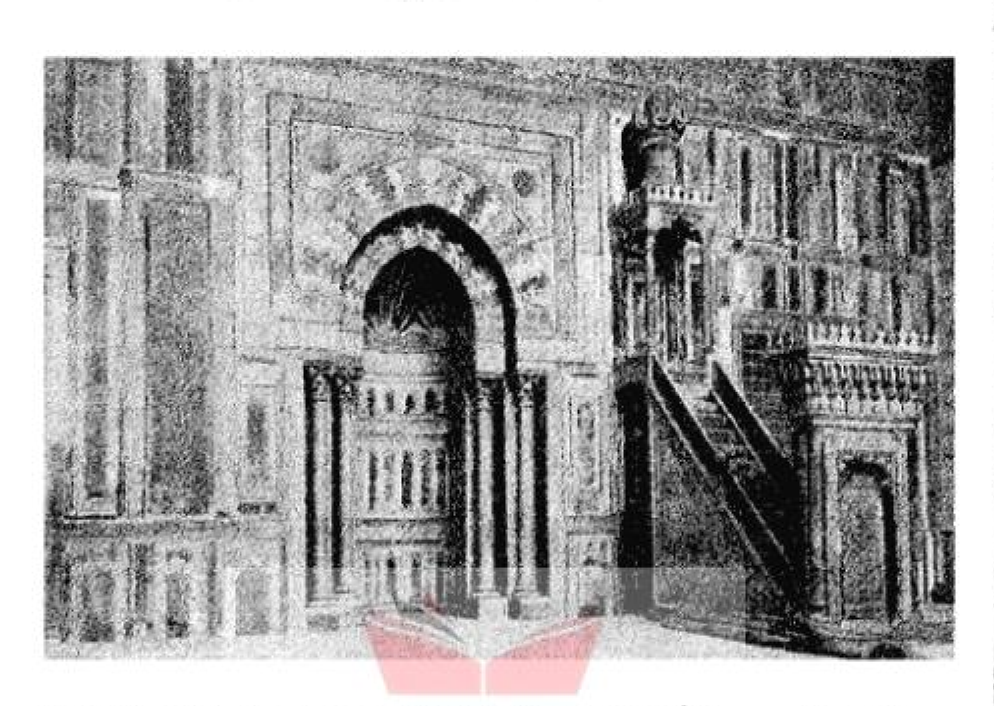
فان شئت ان تخالف الجمهور يا اخي الكاهن الشرقي فتحافظ على زيك الشرقي الجميل الوقور فالبس رداءك وجبتك وقلنسوتك ولا تأذن للموسى بالدنو من شعر رأسك او لحيتك وحينئذ تحتفظ بتقاليدك وعادات اجدادك ، وان شئت ان تعرف ان اللحية عادة مرتبطة بظروف الزمان والمكان وان الظروف في هذه البلاد العظيمة تقضي بالخروج عنها الى ما يعتقد القوم أفضليته فاخرج عنها ولا خوف عليك ولا انت تحزن · اما اذا كنت لا تريد لا هذا ولا ذاك فلك دينك ولي دين

سان فرنسيسكو في ٢٦ ابريل سنة ١٩٢٦ الارشمندريت انطونيوس بشير



أشكال اللحى المختلفة

العمارة الاسلامية في مصر



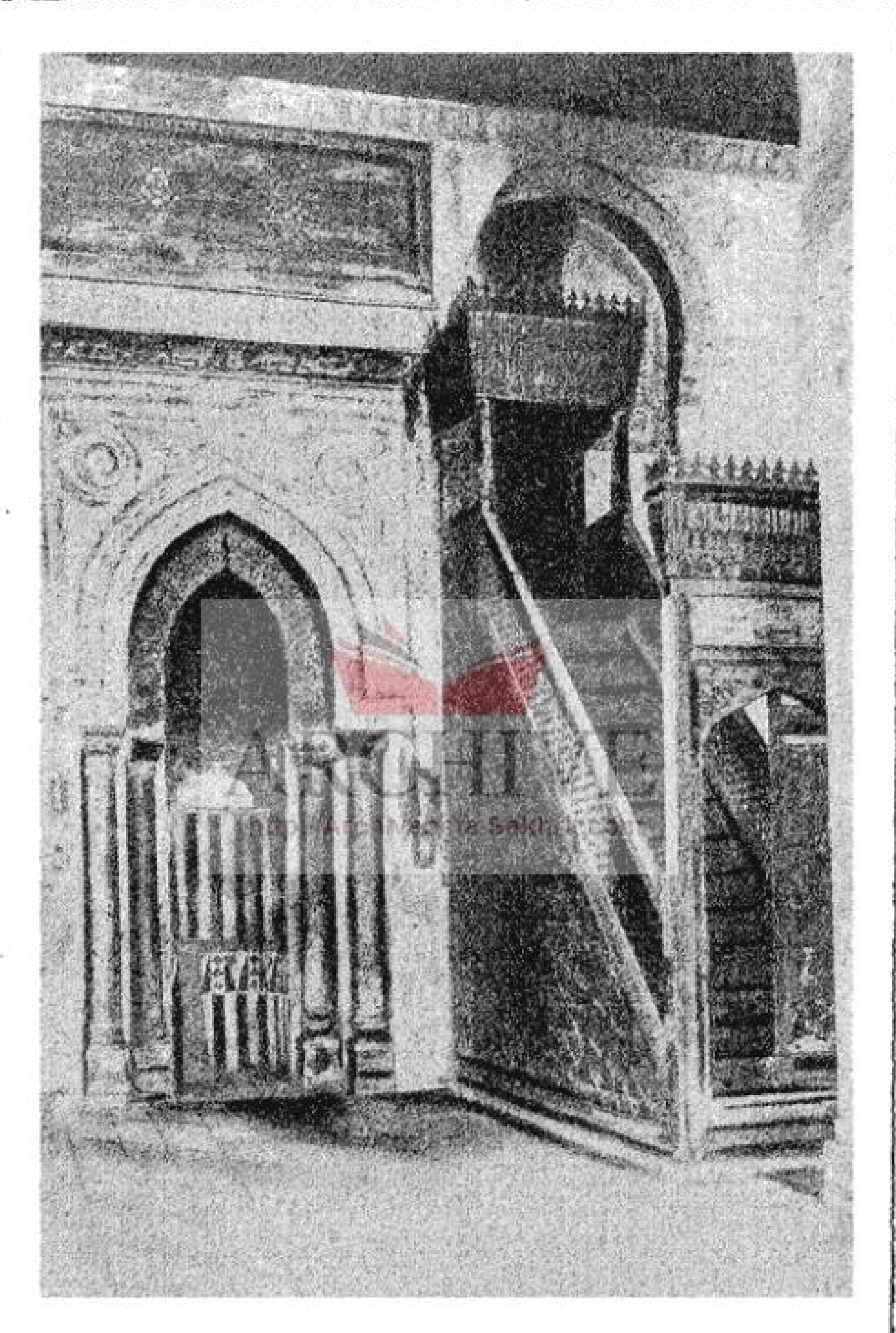
لما فتح العرب مصر لم يكونوا يعنون اقل عناية بالبناء بل كانوا يحرضون اولادهم على المعيشة البدوية بركوب الخيل والابل وحمل السيف والطراد والمناضلة بالقسي لان هذه الصفات هي التي جعلتهم ينتصرون على المتحضرين في مصر وسوريا . ثم لما كانت مصر ولاية يتناوبها الولاة من دمشق او بغداد لم يكن احد من هؤلاء الولاة يبالي بالعمارة لانه كان يعرف انه مرتحل عن قريب الى بلده في سوريا او العراق . فلما استقل احمد بن طولون في مصر شرع حاكم البلاد يغير نظره ويهتم لرقي البلاد وعمارتها . وبنى ابن طولون جامعه على نسق ما رآه في سامرا من البناء . وكانت سامرا عاصمة الدولة العباسية في القرن الثالث للهجرة وكان بها جامع مشهور اراد ابن طولون ان يكون في عاصمته مثله . واخذ الحكام بعده في الدولة الفاطمية (التي شيدت الجامع الازهر) ودول المماليك يشيدون العمارات المختلفة واكثرها مساجد واربطة . ومعظم مباني القاهرة الاسلامية ترجع الى عهد المماليك . ومما يعجب له الانسان ان أشق زمن عاناه المصريون من الظلم هو زمن المماليك وهو ايضاً الزمن الذي كثر فيه بناء المساجد . ولعل هناك علاقة بين الاثنين فان الحاكم الظالم اذا بلغ الشيخوخة طما به ضميره وتمثلت له مساوئه فيحتاج عندئذ الى ان يتقرب من ربه ويترضى ضميره بعمل التقوى وممارسة الصلاح ولا يجد سبيلا الى تحقيق

ذلك سوى بناء الجوامع والاربطة . وقد كان اناطول فرانس ينسب كثرة الرهبان في القرن الثاني والثالث للميلاد الى كثرة التهتك والدعارة في الدولة الرومانيه

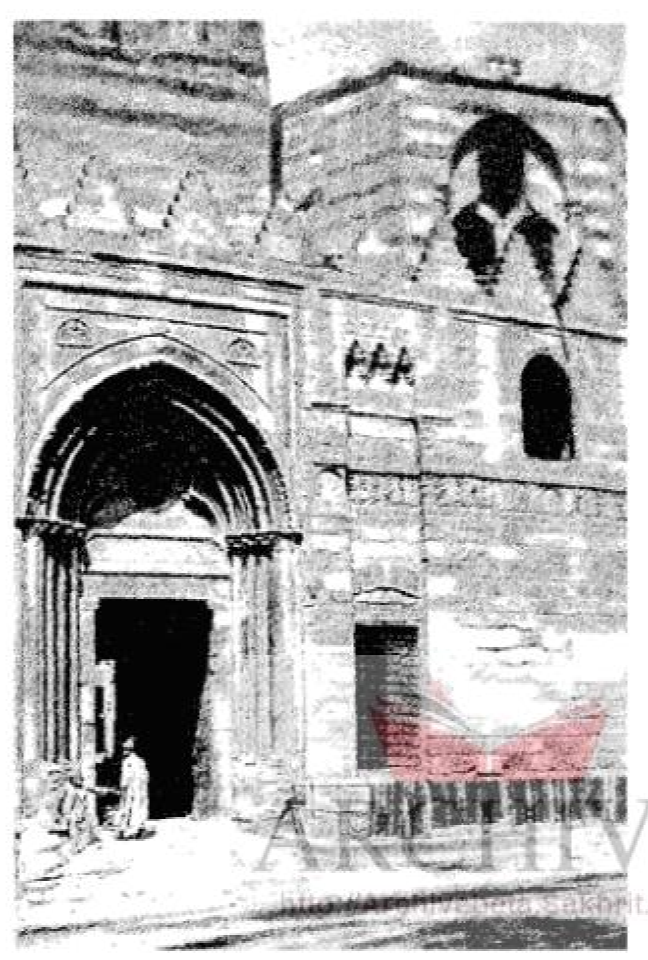
وكان البناء الاسلامي في اول عهده منسوخاً من البناء الروماني بل كان المسلمون احياناً يحتلون الكنائس ويجعلونها مساجد كما فعلوا بجامع دمشق اذ كان في الاصل كنيسة القديس يوحنا . وكما فعلوا في بيت المقدس اذ ان المسجد الاقصى هو نفسه مسجد الصخرة الاسرائيلي القديم . ولكن لما رسخت الحضارة الاسلامية استقل فن العمارة الاسلامي . ولما دخل الاتراك مصر نقلوا اليها الطراز التركي في بناء المنارات الدقيقة والسبيل . ومن اغرب ما يذكر ان أصلح دولة حكمت مصر وهي الدولة الايوبية لم تترك شيئاً من البناء سوى القلعة وهي مشيدة على الطراز الافرنجي في القرون الوسطى . وكان هذا الطراز قد نشره الافرنج في سوريا وفلسطين في الحروب الصليبية وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر اشتهرت في مصر صناعة مربعات القيشاني التي كان الاغنياء يزخرفون بها جدران منازلهم الداخلية وكان المصريون يجلبون هذه المربعات احياناً من دمشق او من فارس .

ويرى القارىء في الصفحة السابقة جامع السلطان حسن بالقاهرة وفي هذه الصفحة جزء داخلي من جامع السلطان قلاوون بالقاهرة ايضاً





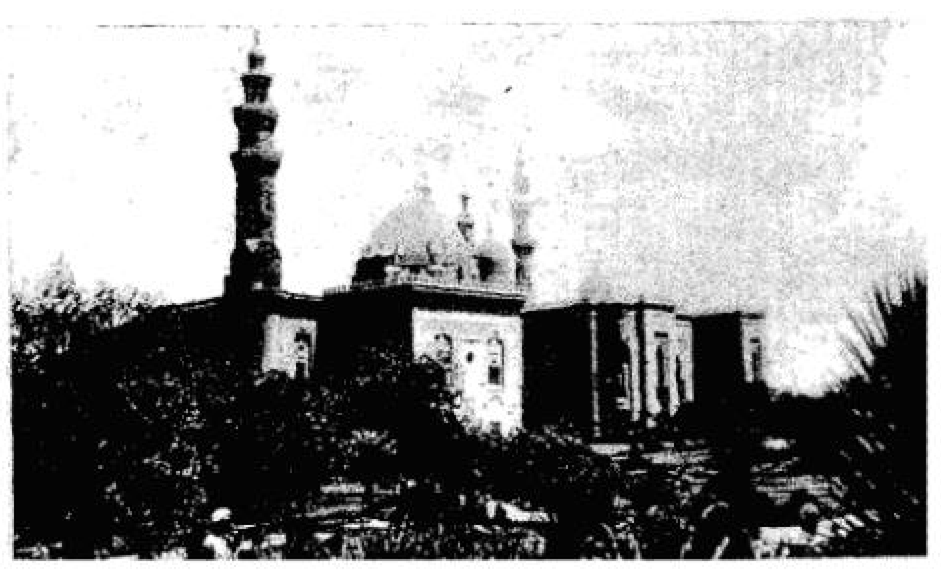
جامع ابن طولون : المنبر والقبلة
اول المساجد الكبيرة التي شيدت في مصر



الى اليسار : جامع محمد بن ناصر بالقاهرة . منظره الخارجي وصحنه اوطأ من الشارع



في اسفل : المنظر الخارجي لجامع السلطان حسن بالقاهرة

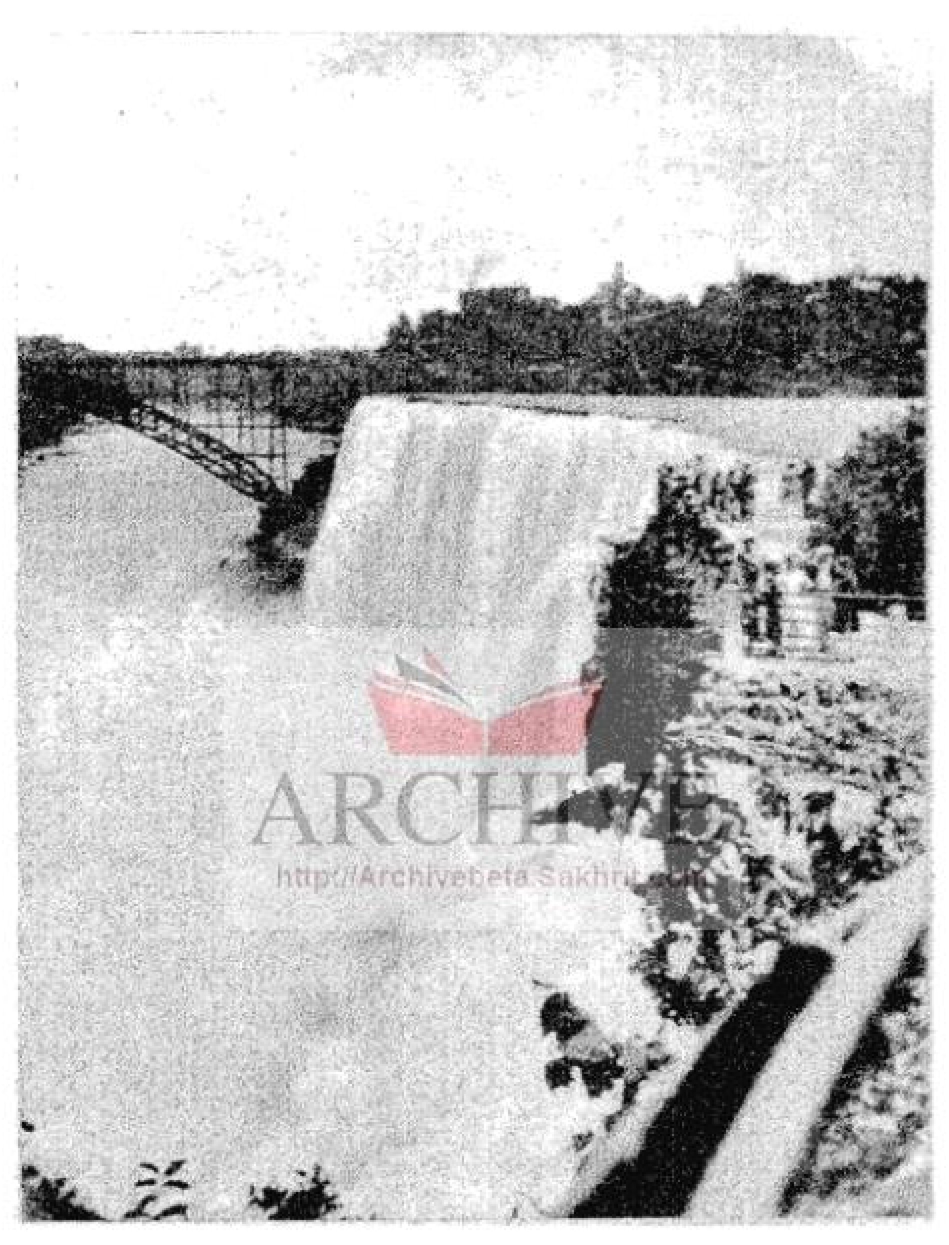


القوى الطبيعية والاستفادة منها



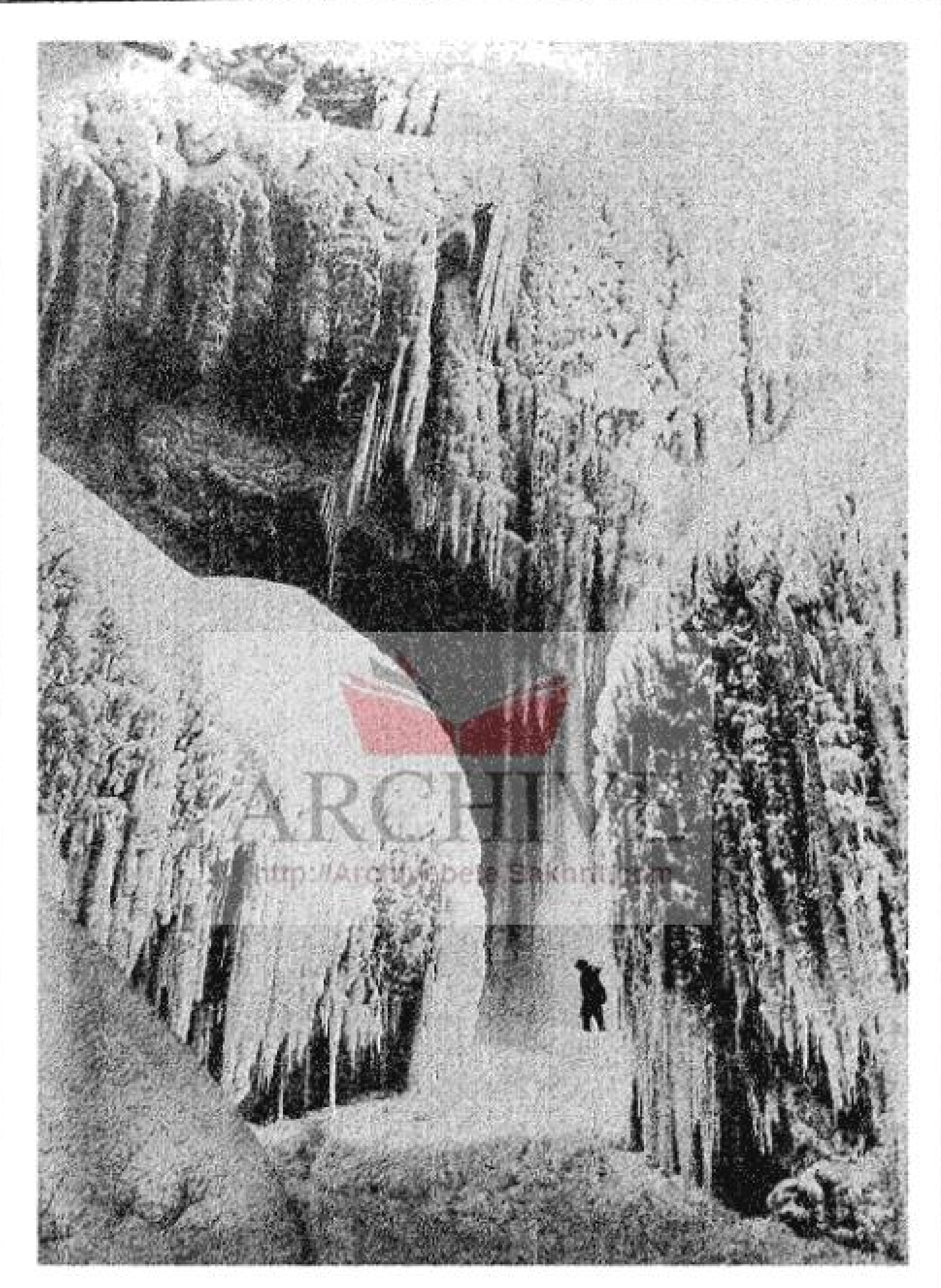
شلالات نياجرا

« الفحم الابيض » هو الماء الساقط الذي ينتفع الانسان بسقوطه ويستعمل قوة هويه لتوليد الكهربائية والانتفاع بها في الاضاءة وتسيير الترام وادارة المصانع . وشلال نياجرا هو اكبر الشلالات التي انتفع الانسان بمائها وهو يقع في اميركا الشمالية في كندا وهي مستعمرة بريطانية مستقلة . ويبلغ مقدار ما ينزل من الماء في الساعة ١٠٠٠٠٠٠٠٠ قدم مكعب . وقد ركبت آلات يديرها هذا الماء الساقط وتتولد الكهربائية من هذه الآلات . ومدينة نياجرا تستمد نورها وقوتها التي تدار به مصانعها من هذه الشلالات . وهي ترى هنا في اعلى الصورة وبينها وبين الجزيرة القائمة في وسط النهر جسر عظيم كما ان بينها وبين الجهة الجنوبية جسر آخر



المياه في سقوطها من شلال نياجرا

يهوي الماء بزخم شديد في شلالات نياجرا فيفور الماء ويصطخب وتتكون الدوامات العديدة أمامه الى مسافة بعيدة . ومنظره من اجمل المناظر في الصيف والشتاء . ففي الصيف تضربه الشمس فتنعكس منه ألوان قزحية تملأ العين بهجة والقلب روعة ويطير منه رشاش كأنه الدقيق يجعل الهواء بليلا . وفي الشتاء يجمد الماء فيتراءى كأنه تل قائم من قمة الشلال الى سفحه



شلال نياجرا وقد استحال ماؤه جمداً

اذا حل الشتاء وصار البرد قارساً جمد ماء الشلال حتى يمكن الانسان ان ينزل الى قعر النهر ويمشي عليه كما يرى القارىء في هذه الصورة حيث يرى الماء وهو متدل كالغصون . والعادة انه اذا جمد الماء لا يعود يذوب الا بعد ٢٤ ساعة



ليس ابدع من منظر شلال نياجرا في الليل حين تسطع الاضواء الكهربائية عليه وتنعكس منه وخاصة اذا كان جامداً في الشتاء فانه يتراءى عندئذ كأنه جبل من الالماس

المذهبان (Les deux écoles)

قصة تمثيلية بقلم الكاتب الفرنسي « الفريد كابو »

تلخيص وتعليق : الاستاذ الدكتور طه حسين

هما مذهبان مختلفان من فهم حياة الزوجية والصلة بين الرجل وامرأته . وهما مذهبان مختلفان من الطلاق ونفعه او ضرره وملاءمته او منافرته لأمزجة الناس وطبائعهم

وقد درس الكاتب في هذه القصة هذين المذهبين درساً متقناً عميقاً في رشاقة وخفة تخيل الى القارىء ان القصة أقرب الى الهزل منها الى الجد ، ولكنه لا يكاد يتدبر و ينعم التفكير حتى يقتنع بأن القصة جد كلها وان الكاتب انما استخدم صناعة التمثيل وفنون الهزل والدعابة ليخفف على القارىء والسامع ثقل هذا الجد و يعينه على أن يسيغ مرارته و يثبت لما يحتاج اليه من تدبر وتفكير . ذلك ان مسألة الزواج والطلاق ووفاء الزوجين وما يترتب على هذا كله من الآثار في حياة الناس وسيرتهم ، من المسائل الاجتماعية المشكلة التي جد الباحثون والفلاسفة والمتشرعون في درسها واستقصائها فلم يوفقوا او لم يكادوا يوفقون مما ارادوا الى شيء فما زالت مسألة الزواج مشكلة وما زال الناس يرون فيه خيراً كثيراً ويحتملون في سبيله شراً كثيراً . وما زال الوفاء بين الزوجين واجباً يؤمن الناس بأنه مقدس ولكنهم يعترفون بأنه شاق ، وما زال الطلاق أمراً يعرف الناس انه شر ولكنهم يعرفون أيضاً انه شر قد لا يكون منه بد . وما زال الناس يقبلون على الزواج و يضطرون الى الطلاق و يوفقون حيناً الى الوفاء و يتورطون حيناً آخر في الخيانة ، وسيظلون كذلك مهما يبحث الباحثون و يكتب الكاتبون ما دامت لهم امزجتهم وطبائعهم ، وما دامت هذه الامزجة وهذه الطبائع مؤثرة في حياتهم وسيرتهم تأثيراً عظيماً . ولكن الناس مع هذا كله يحبون أن يفكروا في الزواج والطلاق وأن يتبينوا ما لهما من النتائج الحسنة أو السيئة . وهم يقدرون ان هذا التفكير ان لم يمح الآثار السيئة التي يستتبعها الزواج والطلاق فقد يعينهم على احتمال هذه الآثار أو تخفيفها أو اتقاء طائفة منها وهو يمكنهم على كل حال من أن ينظروا الى هذه الآثار نظر المطمئن اليها الذي يعد نفسه لها . ومهما يكن من شيء فخير لك أن تستقبل الخير أو الشر وأنت به عالم وله مستعد

* * *

الناس اذن يحبون أن يفكروا في الزواج والطلاق وآثارهما الاجتماعية و يحبون بنوع خاص

أن يتحدث اليهم الكتاب والباحثون في هذا كله فاذا استطاع الكتاب والباحثون أن يتحدثوا اليهم في ذلك دون أن يعنتوهم أو يشقوا عليهم ، اذا استطاع الكتاب والباحثون أن يتحدثوا اليهم في ذلك مصطنعين صورة فنية رشيقة لذيذة خلاّبة جادّة كان ذلك أوقع في نفوسهم وأشد ملاءمة لحاجتهم العقلية والفنية معاً . والى هذا النحو من الحديث أراد صاحب هذه القصة فوفق التوفيق كله الى ما أراد

تحدّث الينا في الزواج والطلاق ووفاء الزوجين والصلة بين هذا كله و بين أمزجة الناس وطبائعهم وتأثير هذا كله في حياة الناس الفردية والاجتماعية فكان في حديثه قيماً ممتعاً كما كان في حديثه ظريفاً خلاباً

وأحب قبل أن أبدأ معك تحليل هذه القصة وتلخيصها أن ألفتك الى شيء قلته في غير هذا الموضع حين عرضت لمذهب كاتبنا هذا في التمثيل . فلكاتبنا هذا في التمثيل مذهب فلسفي خاص وهو ان حياتنا الفردية والاجتماعية مهما تكن خاضعة في حقيقة الامر للنظم والقوانين التي لا سلطان لنا عليها فان للمصادفة أو لما يخيل الينا نحن انه المصادفة فيها تأثيراً عظيماً . وأنت لا تكاد تقرأ له قصة الا رأيت المصادفة تديرها وتسيطر عليها سيطرة دقيقة وليس لهذا كله معنى الا أن عقولنا أقصر من أن تحيط حتى بحياتنا الخاصة وما يتصل بها من الشؤون فنحن قادرون على أن نفكر ونتدبر وننظم حياتنا ولكنا مضطرون الى أن نحسب حساب المصادفة أو حساب الحوادث التي لا نستطيع أن نخلقها ولا أن نتقيها والتي تعرض لنا دون أن نريدها فلا نستطيع لها دفعاً واذا هي تفسد علينا كل ما دبرنا وتنقض علينا كل ما أبرمنا وتدفعنا من طريق مضادة للطريق التي كنا نريد أن نسلكها لو أننا أحرار حقاً

أحب أن تفكر في هذه النظرية حين تقرأ هذه القصة وغيرها من قصص « الفريد كابو » فهي قوام تمثيله كله

ولننظر الآن الى الاشخاص الذين ستقع بينهم هذه القصة فقد استطاع الكاتب أن يصورهم تصويراً دقيقاً متقناً يحسن أن نلم به الماماً ما لنفهم هذه القصة ولنفهم أنها لا تمثل هذه النظريات الفلسفية التي أشرت اليها فحسب وانما تمثل معها لوناً من ألوان الحياة الاجتماعية في باريس آخر القرن الماضي

أول هؤلاء الاشخاص « هنريت » (Henriette) وهي امرأة في مستهل شبابها جميلة رائعة الجمال ، غنية ضخمة الثروة ، عاقلة راجحة الحلم ، مجددة شديدة الطموح الى التجديد ، ثم وفية صادقة الوفاء ، شريفة شديدة الحرص على الشرف . تحب زوجها أصدق حب ولكنها تعسة لان زوجها يمثل شخصية مضادة لشخصيتها : هو مثلها غني ضخم الثروة ، وهو جميل حسن الطلعة محبب الى النساء ، هو مجدد أيضاً ، ولكنه ضعيف لا سلطان له على نفسه ولا على حسه ولا على عواطفه

ولا رأي له في الوفاء والامانة أو قل انه لا يكاد يفكر في وفاء ولا أمانة . أو قل انه لا يكاد يفكر في شيء ولا يقاوم شيئاً وانما يحيا حياة هينة لينة مبتسماً للايام كما ان الايام تبتسم له . يلهو و يعبث و ينتقل من حبّ الى حبّ ومن عبث الى عبث ، وهو يحس من حين الى حين أنه يؤلم امرأته و يسوؤها ولكنه يحسّ من حين الى حين انه لا يكاد يترضاها و يعتذر اليها حتى ترضى عنه وتعذره

وشخص ثالث بين هذين الشخصين هو « لي هوتوا » (Le Hautois) غني حسن الطلعة كأكثر أشخاص التمثيل . ولكنه هادىء رزين مسرف في الهدوء والرزانة مستقيم الخلق منتظم في حياته المادية والمعنوية ، يشغل منصباً من أرقى المناصب القانونية في الدولة ، أحبّ « هنريت » وخطبها فلم تقبله ولكنها منحته صداقتها فقبل ما منحته ورضي بما قسم له القضاء وعاش في دعة وأمن ونظام بين كتبه وصديقته و زملائه

وهل أحدثك عن شخص آخر هو أب « هنريت » رجل لم يبلغ الشيخوخة بعد ، فيه بقية من شباب وقوة وفيه ميل الى اللذة والمرح ، ولكنه على ذلك معتدل مقتصد يحب امرأته و يشفق عليها و يكره أن يؤذيها قليلاً أو كثيراً . وهو على ذلك وديع مطمئن الى الحياة يستقبلها في رضا وابتسام

وامرأته مثله وديعة راضية ولكن لها فلسفة يحسن أن تقف عندها وقفة قصيرة فهي تريد ان تقبل المرأة الحياة كما هي وان تقبل الرجل كما هو بنوع خاص له عيوبه وذنوبه وآثامه ولكن له فضائله ومحاسنه ولا ينبغي ألا تنظر المرأة الا الى العيوب بل ينبغي أن تتخذ المرأة لنفسها قاعدة هي أن تتجاهل ما استطاعت عيوب الرجل وآثامه وتتغاضى ما استطاعت عن زلاته وسيئاته . وهي على هذا كله متواضعة لا تطمع من الحياة في اكثر مما تستطيع الحياة . ثم هي على هذا وذاك محافظة تقبل ما ألف الناس وتكره الخروج عليه وترى الطلاق فساداً وتبديداً لخيرات الحياة

ولا أكاد أحدثك عن شخص آخر باريسي جداً هو هذه المرأة التي تراها في أول القصة وآخرها شديدة النشاط متصلة الحركة ، طلعة مسرفة في حب الاستطلاع ، كثيرة الكلام ، كثيرة الانتقال من بيت الى بيت ، كثيرة التنقل أيضاً بين الناس

ولا اكاد أحدثك عن امرأة أخرى تمثل المصادفة في القصة كلها . فقيرة ولكنها جميلة خلابة ظاهرة التواضع ولكنها مسرفة في الطمع والكبرياء ، ظاهرة السذاجة ولكنها شديدة التعقيد

كل هؤلاء الاشخاص وأشخاص آخرون صوّرهم الكاتب فأحسن تصويرهم فأنت تسمع لهم وكأنك تراهم حقاً

والآن وقد بسطت بين يدي هذه القصة ما بسطت فقد أستطيع أن ألخصها لك في سهولة و يسر

نحن في دار « هنريت » وقد أقبل صديقها « لي هوتوا » وكان على موعد منها فلم يلقها ، فهو دهش ينكر ما تنبئه به الخادم من خروج سيدتها ، والخادم تؤكد له خروجها وخروج سيدها أيضاً بعد الغداء . وهما في هذا الحوار واذا هذه المرأة التي وصفتها لك آنفاً وهي مدام «برينسي» قد أقبلت فلا تكاد تدخل وتسمع طرفاً من الحوار حتى تعلن الى صاحبها ان أمر الزوجين مضطرب وانهما مفترقان من غير شك وانها لا تكاد تدخل بيتاً وتنظر في وجه الخدم حتى تحكم على حياة الزوجين أصالحة هي أم سيئة . ثم تأخذ في الثناء على صاحبها فتبين من جده وانتظام حياته ما وصفتُ لك آنفاً وما ستثبته القصة كلها . وتقبل « هنريت » فاذا هي في شيء من القلق والغيظ . فتدعوها صاحبتها الى العشاء فتعتذر . فاذا سئلت عن عذرها لم تجد عذراً لانها لا تعرف كيف تقضي المساء ولا تعرف أين تتناول العشاء بل هي لا تعرف أتتناول العشاء . تقول هذا كله في لهجة المرأة المضطربة ضيقة الصدر . فاذا تركتها هذه الزائرة أنبأها صاحبها انه قد استأجر لها في الريف الدار التي كلفته أن يستأجرها لتقضي فيها الصيف ، فتنكر ان تكون قد كلفته شيئاً وتجيبه في عنف وضجر يثبتان بانها ليست في حالها المألوفة . وما هي الا ان يقدم أبواها حتى نعرف مصدر ما هي فيه من قلق واضطراب . ذلك انها قد احست من زوجها الخيانة ولما يمض على زواجهما ستة أشهر فصبرت وصابرت وصفحت ولكن هذا كله لم يصرف زوجها عن الاثم . وقد مضى على زواجهما سبعة أعوام وهي تحتمل ما تحتمل حتى ضاقت بذلك وحتى عمل ذلك في حبها لزوجها فأصبحت ذات يوم وهي تشعر ان قد محي من قلبها هذا الحب . ثم عرفت على زوجها خيانة أخرى فأرادت ان تتثبت فبحثت حتى اهتدت الى موضع هذه الخيانة . فلما كان ظهر اليوم الذي نحن فيه خرجت بعد الغداء ورصدت زوجها حتى رأته يدخل داراً ورأت صديقة لها تدخل هذه الدار من خلفه . فصح عزمها فوراً على الطلاق . ولم تتردد ولم تتمهل وانما ذهبت الى المحامي ودبرت معه كل شيء وأرسلت الى ابويها فأقبلا وهي تقص عليهما هذا كله . فأما ابوها فيقبل هذا القصص في شيء من التردد والاشفاق لانه يحب صهره و يحرص عليه ، وأما امها فتسمع لها حتى اذا فرغت من حديثها لقيتها بشيء من الاستهزاء واعلنت اليها مبتسمة أنه ان يكن هناك اثم فهي الآثمة فقد كان الحق عليها الا تتلمس سيئات زوجها وان تتجاهل هذه السيئات وتغمض عينيها مهما تكن آثام الزوج جلية واضحة ، كذلك فعلت هي ، وكذلك استطاعت ان تكون سعيدة ، فاذا سمع زوجها ذلك حاول ان يدافع عن نفسه فترده في لين ولطف وتذكره بخياناته التي لا شك فيها والتي تجاهلتها هي وتعلن اليه انها ستتجاهل سيئاته غداً كما تجاهلتها امس واليوم وتنصح لابنتها ان تسير سيرتها وتعلن اليها ان الطلاق فساد . ولكن ابنتها تأبى ان تراجع فيما اعتزمت فهي تريد الطلاق ولا بد من ان تصل الى ما تريد وهي تطلب الى أبويها ان يؤوياها حتى تنتهي هذه القضية

وهم في ذلك واذا زوجها «ادوار» قد أقبل . فانظر اليه راضياً عن الحياة مبتسماً لما يصافح حماه وحماته معلناً اليهما السرور بلقائهما قاصاً عليهما الاكاذيب ، وانظر اليه مقبلاً على امرأته سعيداً بلقائها يريد ان يقبلها ، وانظر الى امرأته تحصي عليه الاكاذيب واحدة واحدة وقد أقسمت لامها ليكذبن عشر مرات في خمس دقائق فهي تحصي هذه الكذبات . فاذا فرغت من احصائها ذكر زوجها أنه قد نسي أن ينقد سائق العربة التي جاءت به الى البيت فتدعو الخادم وتأمرها ان تصرف هذه العربة التي جاءت بزوجها من مكان كذا وكذا فاذا سمع زوجها اسم الشارع اضطرب اضطراباً خفيفاً

ثم تنصرف المرأتان ويبقى الرجلان . ويأخذ الشيخ في تأنيب صهره ووعظه ويأخذ الفتى في الاعتذار ثم يعلن الى الشيخ أنه تائب منصرف عن اثمه وانه لا يريد الطلاق ولن يرضاه . ويتوسل اليه ان يحمل ابنته على أن تعدل عن هذا الطلاق . والشيخ يحب ذلك لانه كما قدمت حريص على صهره . ولكن انظر الى المصادفة التي ستفسد ما دبر الرجلان : ذلك ان هذا الشيخ عرف امرأة جميلة تعسة هي «استيل» ، عرفها في دكان مجلد للكتب كان يختلف اليها ، وعرف ان زوج هذه المرأة قد تركها وانصرف مع خليلة له فعني بأمرها وأعانها بالمال والمشورة ، وهذه المرأة تريد أن ترفع على زوجها دعوى الطلاق فوعدها صاحبنا ان يقدمها الى محام يعينها في ذلك وهو يريد ان يقدمها الى صهره . ونحن نحس من هذا الحديث ان قد وقع في نفس الشيخ من هذه المرأة شيء ، وقد تم الاتفاق بينه وبين صهره على ان يدبر الفتى هذه المرأة أمر الطلاق وان يدبر هو لصهره أمر الصلح مع زوجه . وتقبل هذه المرأة فيتركها الشيخ مع صهره وقد أوصاه بها خيراً وينصرف ليعظ ابنته وينصح لها

ولكن الفتى لا يكاد يخلو الى هذه المرأة حتى تقع من نفسه . واذا هو لا يملك حسه ولا عاطفته ، واذا هو يعلن الى هذه المرأة أنه كلف بها وأنه يريد أن يتخذها له خليلة فتقبل . ولمَ لا ؟ انها لم تلق من الزواج الا شراً فهي تريد الطلاق وتريد ان تحيا حياة طلقة فيها لهو وعبث كثير

ويعود الشيخ مطمئناً كأنه قد أرضى ابنته او كاد ولكن هذه المرأة تلقاه راضية مبتهجة تشكر له عنايته بها وتعلن اليه انها قد أمنت على المستقبل لانها قبلت ما عرض عليها هذا الفتى وهو ان تكون له خليلة . فلا يكاد الشيخ يسمع هذا حتى تأخذه الغيرة ويملكه الغيظ واذا هو قد تحول عن رأيه وكره صهره وأصبح يرى رأي ابنته ويؤيدها في طلب الطلاق

***

فاذا كان الفصل الثاني فقد كان الطلاق بين الزوجين ومضت عليه أشهر ونحن في مطعم من مطاعم باريس يختلف اليه سراة الناس وأصحاب الظرف منهم . ونحن نرى في هذا المطعم صاحبنا

الفتى مع خليلته قد جلسا الى احدى الموائد ينتظران الطعام وهما يتحدثان فلا نكاد نسمع حديثهما حتى نحس ان الفتى بها مشغوف وانها عليه متسلطة وانه بذلك ضيق الذرع يحبها ويكرهها، وانها به ضيقة الذرع أيضاً لا تحبه ولكنها شديدة الحاجة اليه شاعرة بأنها تملكه فهي تعبث به وتدل عليه وتكلفه الاعاجيب

وهما في هذا النوع من الحديث واذا أسرة قد أقبلت فجلست في ناحية من الحجرة فينظران فاذا زوج الفتى قد أقبلت مع أبويها ٠ فانظر الى هذا الفتى ضيق الذرع بصاحبته ومكانه يود ألا يرى هؤلاء الناس وألا يروه وقد جلست هذه الاسرة الى طعامها وأقبل « لي هوتوا » فجلس اليها وهم يتحدثون فنفهم من حديثهم ان « هنريت » قد رضيت بعد الطلاق ان تتزوج من خطيبها القديم « لي هوتوا » ٠ ولكن انظر الى الشيخ قد رأى صهره فهو يخبر ابنته وزوجه بمكانه فلا يكاد هذا الخبر يصل الى الفتاة حتى تضطرب له اضطراباً خفياً ٠ أما صديقها وخطيبها فيشير بترك المطعم فوراً ، وأما هي فتأبى ذلك وتلح في البقاء ، ويكون بينها وبين خطيبها حوار نفهم منه مقدار ما بينهما من الفرق : فهي مجددة لا ترى بأساً من ان ترى زوجها القديم ولا من ان تتحدث اليه وتسأله عن شأنه ، وهي ترى ان الطلاق قد فرق بينهما ولكنه لم يقطع بينهما كل صلة ولم يحرم عليهما ان يلتقيا او يتحدثا ، وهي تنكر ما ألف الناس من تقاليد ، أما خطيبها فرجل قانون ورجل اخلاق ورجل محافظة وهو يكره كل الكره ان يلتقي الزوجان بعد الطلاق ، وهو يرى ان الطلاق يقطع بين الزوجين كل صلة ٠ فاذا كان بينهما هذا الحوار أحسسنا منه غيرة الخطيب وكدنا نحس ان في نفس « هنريت » شيئاً من الحنين الى زوجها ، ولكنها هي نفسها لا تكاد تشعر بهذا الحنين ، وكل ما تشعر به شيء من اضطراب الاعصاب ولا سيما حين ترى زوجها ومعه امرأة

وقد فرغوا او كادوا يفرغون من طعامهم وهم يريدون ان يذهبوا الى الملعب فتأمر « هنريت » خطيبها ان يلتمس لهم العربة فيذهب

وانه لفي طريقه واذا صاحبة الفتى قد نهضت تريد ان تنصرف لتنتظر صاحبها فتزحم « لي هوتوا » ويعتذر اليها ، وتعذره فلنلاحظ هذا فسنحتاج اليه

أما هنريت وأبواها فقد طلبوا حسابهم الى الخادم ، وكذلك طلب الفتى حسابه وقدم الخادم لكل حسابه ، ولكنهُ أخطأ فدفع الى الفتى حساب الاسرة والى الاسرة حساب الفتى فكان هذا سبباً في ان يتحدثوا . وما هي ان بدأوا في الحديث حتى ظهرت المودة القديمة كاملة فنسي الشيخ كل شيء وتحدث الى الفتى كأن لم يكن طلاق ، وأخذت هنريت تتحدث اليه في سذاجة وتدعوه الى أن يجلس وتعرض عليه كأساً من الخمر فيقبل ثم يأتي لي هوتوا فاذا رأى مكان الفتى من الاسرة غضب واحتج وأعلن ان هذا فجور واسراف في المجون ثم انصرف مع خطيبته وأمها الى الملعب وترك الشيخ مع صهره القديم على أن يلحقهم بعد حين . ولكن الشيخ لن يلحقهم فقد أعجبهُ حديث صهره

وجاءت صاحبة الفتى فخلا المجلس وما زال الفتى وصاحبته بالشيخ حتى حملاه على ان يقضي معهما ليلة

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن عند الشيخ في الحجرة التي يتمرن فيها على ألعابه الرياضية . وهو متعب مكدود يظهر عليه انهُ قضى ليلة ساهرة وأكثر من اللهو والعبث . وهو يخشى امرأته بعض الشيء وقد اقبلت امرأته فهمّ بالاعتذار فتقفه معلنة اليه انها لم تأت لائمة ولا محققة وانما جاءت تسأله أيرغب في كأس من الشاي . فاذا تحدث الى امرأته فهمنا انهُ قد عاد الى ما كان عليه من حب صهره القديم وانهُ يريد ان يصلح بين هـذا الفتى و بين امرأته و يلتمس الحيلة من ذلك . ثم تقبل «هنريت» فيكون بينها و بين أمها حديث نفهم منهُ أنها مضطربة حقاً منذ رأت زوجها ، فهي تحس انها تحبهُ وتحس انها تشفق من الحياة معه : تحب فيـه شبابهُ ونشاطهُ ومرحه وابتسامهُ للحياة ، ولكنها تكره منهُ نزقه وقلة حظه من الوفاء وانصرافه الى اللهو ، وهي تحس انهـا تحب خطيبها وتشفق من الحياة معهُ ايضاً : تحب فيه الجد والدعة والحلم الراجح والوفاء ، ولكنها تشعر بأنهُ قليل النشاط قليل الحظ من الفرح والمرح وان الحياة معهُ لن تكون مبتهجة ولا باسمة وهي تقول انها كانت تحب لو أذنت لها التقاليـد وظروف الحياة في ان تعيش مع الرجلين فتقضي مع أحدهما النهار ومع الآخر الليل . أما أمها فتنهرها في رفق وتنكر عليها هذا الغلو في تكليف الحياة ما لا تطيق وتعلن اليها ان ليس الى السعادة من سبيل وان هذه السعادة المطلقة لو تحققت لامرأة لكان في تحقيقها شيء من الجور كثير ، فعليها ان تختار احد الرجلين وأن ترضى من الحيـاة بما يقسم لها القضاء

وتنصرف المرأتان ويخلو الشيخ الى معلمه و يأخذ في ألعابه واذا صهره القديم قد اقبل فهو ايضاً قد اضطرب منذ رأى زوجه وأسرته ، وسيزداد اضطرابه حين يرى هذا البيت الذي تعود الاختلاف اليه منذ سنين وحين يرى هذه الحجرة التي كان يلاعب فيها حماه . وسيسرف في الاضطراب حين يدخل هذه الحجرة فيدعى الى اللعب فيلعب وقد نسي حياته الجديدة وكأنهُ لم يفارق زوجه وكأنهُ قد استأنف حياتهُ بعد صيف قضاه بعيداً عن باريس . وانظر اليـه وقد انتهى من لعبه وأدخل الى احدى الحجر فاستحمّ ثم خرج فاذا هنريت قائمة تعد له كأساً من الشاي كما كانت تفعل من قبل ، ذلك انها اقبلت تحمل الشاي الى ابيها فأخبرها بمكان زوجها فعرضت ان تقدم اليه كأساً وانتهز الشيخ هذه الفرصة فانصرف لعلهما يخلوان فيتحدثا فيستأنفا حياتهما

وقد تحدثا . ولم يحتاجا الى كثير من الوقت ولا من الحديث ليصلا الى ما يشغلهما من الامر . فما كان اسرع ما وصلا الى تذكر الماضي ، وما كان اسرع ما أخذا في العتاب ، واذا هي تزعم له انها لم تكن تروقه ، واذا هو يردها في عنف ويزعم لها انها كانت تروقه بانهُ كان يحبها حقاً واذا هو

يفتن في وصف جمالها ومحاسنها حتى ينتقل من الذكرى القديمة الى ما هما فيه وهي تتبعه متحفظة ثم تاركة هذا التحفظ شيئاً فشيئاً مسترسلة مع عواطفها ، وهما يمضيان في طريقهما الى الحب وقد أقبل المساء وأظلمت الحجرة او كادت واذا الحب يدفع كلاً منهما الى صاحبه واذا يدها في يده ، واذا هو يجذبها اليه واذا هي تكاد تسمح ولكنها ذكرت آخر الامر تلك المرأة التي رأتها امس فتسأله غير ممتنعة ولا متأبية أمُعْرِض هو عن هذه المرأة ؟ أمعرض هو عن خيانتها فيجيبها بأنهُ لم يخنها آخر مرة الا متورطاً كارهاً ان تتهمهُ تلك المرأة بالغفلة . فاذا سمعت هنريت هذا الجواب ثابت الى نفسها ورجع اليها رشدها وأفاقت وعرفت انها كادت تسقط في الهاوية فتمتنع عليه وتعلن اليه مغضبة مغتاظة انها لن تستأنف حياتها معهُ ابداً ، وكيف تستأنف حياتها مع رجل يخونها مخافة ان يوصف بالغفلة . اما هو فلا يزيده هذا الا اضطراباً ولا يزداد حبه الا ثورة . وانظر اليهما الآن وقد احست هي سلطانها عليه وعرفت انهُ يحبها ويحرص على استئناف حياة الزوجية و يألم من امتناعها عليه ، وهي تجد من ألمه لذة وشفاء . انظر اليه يتركها معلناً اليها أنهُ سيألم وسيألم كثيراً فتجيبهُ : لقد آن لك ان تألم بعد ان حملتني من الالم ما حملتني . فاذا خلت الى نفسها قالت هذه الكلمة التي تبين موقفها حقاً وهي : والآن يجب ان اتزوج الآخر . . . يا لها من بلوى . . .

***

فاذا كان الفصل الرابع فنحن عند خطيبها وقد جلس الى مكتبه ينظر في رسالة وصلت اليه . وهو يقرأ هذه الرسالة دهشاً ولا نكاد نسمعهُ يقرأ حتى نفهم ان هذه الرسالة قد وصلت اليه من تلك المرأة التي رأيناها في الفصل الاول تستشير الفتى في امر طلاقها وتفسد عليه ما كان قد دبر من الصلح مع امرأته . ورأيناها في الفصل الثاني مع الفتى في المطعم ورأيناها تزاحم هذا الرجل فيعتذر اليها فتعذره وهي « استيل » كتبت اليه تطلب منهُ موعداً وتعلن اليه انها ستزوره بعد ساعة لتستشيره في امر يهمها وهو يتردد حيناً ثم يعتزم استقبالها . واذا الخادم يعلن اليه ان « ادوار » قد اقبل فيأذن له فاذا دخل طلب اليه أن يتزوج « هنريت » لانهُ يحبها ولم يسلُها ولن يسلوها . فاذا انكر عليه ذلك ألح في الطلب واندفع حتى يعلن اليه انهُ لن يكون سعيداً مع هنريت ولن يستطيع ان يجعلها سعيدة لانهُ لم يخلق للحب ولا للعواطف الثائرة وانما هو رجل جد ونظام وعمل، وآية ذلك ان حياته اتصلت منتظمة لم تفسدها عليه امرأة ولم ينغصها عليه حب وان ثروته نمت نمواً متصلاً لم يعبث بها الحب وان اسرته خلت عنهُ راضية و به مفاخرة ، لم تنكر عليه عبثاً ولا اضطراباً ولا فساداً ولا مجوناً فهو لم يخلق لارضاء النساء وانما خلق للجد والعمل . فيقع هذا كله من نفس الرجل موقعاً مؤلماً حقاً وتحس انهُ قد أصاب منهُ مقاتله . ولكنهُ مع ذلك يثبت لخصمه و يعلن اليه انه سيمضي في زواجه . فاذا رأى منهُ خصمهُ هذا الاصرار انبأه انهُ سينفق حياته ان تم هذا

لزواج في صرف امرأته عن واجبها الزوجي . ثم ينصرف وقد ترك صاحبهُ مضطرباً فزعاً

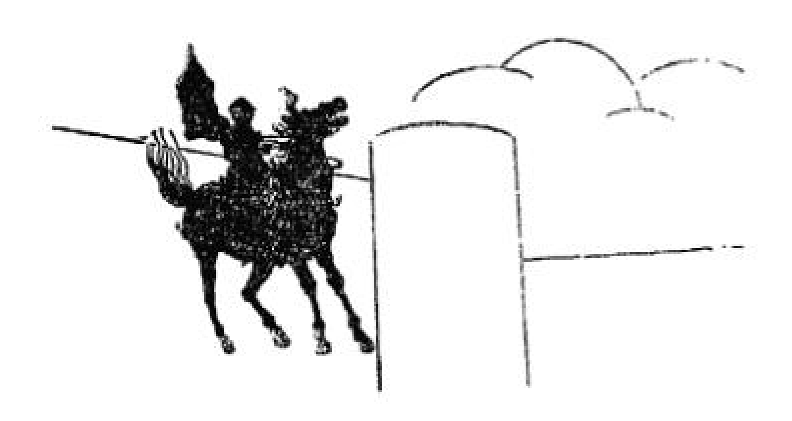
ونقبل هنريت تريد ان تستشير زوجها في بعض ما يجب لاعداد دارهما فسيتم الزواج بعد أسابيع . ولكنه يلقاها ثائراً قد ملكه الحب فهو يريد ان يقنعها بانه رجل قادر حقاً على ان يحب وعلى ان يرضي النساء وهو يدفع عن نفسه أمامها ما وجه اليه خصمهُ من التهم . هو رجل عمل ونظام ولكن هذا لا يمنعه ان يكون محباً عاشقاً ، وهو قد نمى ثروته وأرضى اسرته ولكن هذا لن يمنعه من ان يحب ويرضى الحب . وهي تسمع هذا الكلام دهشة حائرة لانها لم تتعوده من قبل . وهي تعلن اليه انها ان احبته فانما تحبه لانه رجل جد ونظام وهدوء وانها لا تطلب منه غير هذا ، وانها لن تستطيع ان تمنحه حباً ثائراً ولا عواطف مضطربة ولا قلباً متقداً وانما تحمل اليه حياة هادئة وادعة . فلا يرضيه هذا و يعلن اليها ان هذا ليس هو الحب ، و يكاد يفسد ما بينهما . يطلب هو الحب الثائر المضطرب وتعلن هي انها لا تضمر له الا صداقة وادعة هادئة . وقد اقبل ابواها فانصرفا بها الى ما هي فيه من اعداد البيت . وخلا صاحبنا الى نفسه فتدخل عليه « استيل » . ولا تكاد تجلس اليه حتى ترى المصادفة قد جاءت في آخر القصة لتفسد كل شيء كما افسدت كل شيء في اولها : ذلك انها اخذت تتحدث اليه بنفس الطريقة التي تحدثت بها الى الفتى في الفصل الاول فتذكر زواجها وطلاقها وخليلها وان خليلها قد تركها وتسأل الرجل ماذا تستطيع ان تفعل لتعيش وهي تغش هذا الرجل في آخر القصة بنفس الطريقة التي فتنت بها ذلك الفتى في اول القصة : تعلن اليه انها ذهبت لتستشير عرافة تنظر في اليد فأنبأتها بانها ستتزوج رجلاً من رجال القانون وسيكون لها منه ابناء ، ينبىء بذلك هذا الخط . ثم تقدم يدها الى الرجل كما قدمت يدها الى الفتى ليلتمس فيها هذا الخط . فلا يكاد يفعل حتى يضطرب ثم تسرع فتفجؤه بأنها تحبه . ولا يكاد الرجل يسمع لفظ الحب حتى يضطرب له وحسبك برجل لم يسمع قط من امرأة انها تحبه . وقد كان خصمه يزعم له منذ حين انه لم يخلق للحب ، وقد كانت « هنريت » تزعم له منذ حين انها لا تطلب اليه الحب ولا تستطيع ان تحمله اليه وانما تطلب اليه وتحمل اليه صداقة هادئة . وهذه شابة جميلة تعلن اليه انها تحبه . وانظر اليها تقبله وتهم بالانصراف فيمسكها فاذا احست منهُ ذلك اسرعت اليه تقبلهُ ايضاً فيجد في ذلك لذة وشيئاً من الكبرياء وكأنهُ ينتقم من خصمه ومن خطيبته ، وهي تحس منهُ هذا فانظر اليها قد جلست على حجره . ولكنها لم تكد تفعل حتى يفتح الباب وتدخل هنريت . . . فاذا رأت ذلك فاقدر انت دهشتها وحيرتها واضطراب صاحبنا وارتباكه . اما استيل فتنهض وتنساب كما تنساب الافعى وقد نفثت السم

وهذه « هنريت » تحاول ان تفهم فلا تستطيع وهو يحاول ان يعتذر فلا يستطيع . وينتهي الامر بينهما الى الخصام واذا هو يعلن اليها في حدة انهُ كغيره من الناس يستطيع ان يحب

ويستطيع ان يجد لحبه صدى عند النساء . وهما في هذا الخصام واذا ادوار قد عاد فيتركه «لي هوتوا» مع «هنريت» وقد انقطع ما بينهُ وبينها من صلة ويخرج ولكن خصمه همس في اذنه ان «استيل» تنتظرك في عربة امام الدار . ويخلو الفتى الى زوجه فتنبئه بما رأت فيظهر انكار ذلك . فاذا ألحت جثا بين يديها ضارعاً يسألها العفو واستئناف حياتهما القديمة . أما هي فتتردد قليلاً ثم تهوي اليه فتقبله معلنة ان الرجال جميعاً سواء في الاثم والخيانة وان أمها محقة موفقة في مذهبها وانها ستسير منذ اليوم سيرة امها فتغمض عن آثام زوجها وتجهلها او تتجاهلها . ثم يقبل أبواها فاذا رأيا ذلك ابتهج الشيخ ودهشت امها ثم تعلن هنريت الى امها انها مسافرة هذا المساء الى الشمال . ويعلن الفتى انه مسافر الى الشرق . فتجيبهما الشيخة انهما سيلتقيان في محطة ليون . ثم تسأل زوجها : أترى هذا ملائماً للاخلاق ؟ فيجيب : ليس هذا شر ما عملا في حياتهما . أما الشيخة فتترددة تسأل نفسها أملائم هذا للاخلاق أم مخالف هذا للاخلاق؟ ثم تفكر قليلاً ثم تعلن : اما انا فأرى ان ليس عليكما جناح لاني لا اعترف بما كان بينكما من طلاق

طه حسين





لا تنتحر !

قليل من الرياضة يحيي الشرايين

انا لا نعيش الا بمقدار ما تعيش شرايينا فاذا بدأت جدران الشرايين تتصلب وتجمد بدأت الشيخوخة تنتشر في الجسم وأخذ الضعف يشيع في اعضائه . لان الشرايين اذا تصلبت ضاقت فتبطؤ الدورة الدموية ويقل الغـذاء الذي يحمله الدم الى الجسم كما يقل ايضاً حمل السموم وتصريفها الى الكليتين فتتراكم في الجسد . وايضاً تتعرض الشرايين للانفجار لانها تفقد لدونتها القديمة . واذا انفجرت حدثت « النقطة » التي قد تحدث الموت او الشلل . وليست النقطة سوى نقطة دم تخرج من الشريان في المراكز العصبية فتعطلها تعطيلاً وقتياً او ابدياً

ومن اكبر اسباب تصلب الشرايين تراكم السموم فيها ببطء الحركة الدموية لاعتياد الانسان عادات الخمول وقلة الرياضة ، فالناس ينتحرون ببطء بما يجمعونهُ في شرايينهم من المواد التي كان يجب على الدم ان يحملها معهُ في نشاطه وحركته الى الكليتين و يتخلص منها

وقد أخذت جميع الامم المتمدينة تعرف للرياضة قيمتها في حفظ العافية وصارت تحتمها في المدارس وتلقن الصبيان « الوصايا العشر » عن صيانة الجسم وكيفية العناية به

وصايا عشر للصحة

ونحن ننقل هنا للقارىء انموذجاً من هذه الوصايا او التعهدات من مدرسة في انجلترا :

١ ـ اني اترك نوافذ غرفتي مفتوحة ليلاً ونهاراً حتى لا أصاب بالبرد

٢ ـ أعمل جهدي لكي يبقى وجهي و يدي وأظافري نظيفة

٣ ـ أغسل يديَّ على الدوام قبل الطعام

٤ ـ أغسل فمي وأسناني في الصباح بعد النوم وفي المساء قبل النوم

٥ ـ أستحم بالماء الساخن مرة على الاقل كل اسبوع

٦ ـ لا أتنفس الا من أنفي وابقي فمي مقفلاً

٧ ـ لا أسعل ولا أعطس الا في منديلي بعد ان التفت الى الخلف

٨ ـ لا أبصق على الارض

٩ ـ لا آكل الا ببطء وأمضغ طعامي جيداً

١٠ ـ احب واحترم ابويَّ وأعمل كل يوم عملاً صالحاً

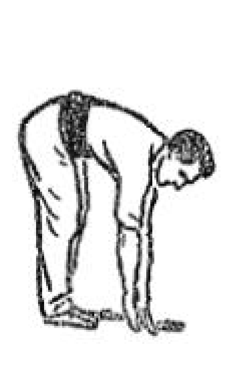
تأمل في هذه التمارين

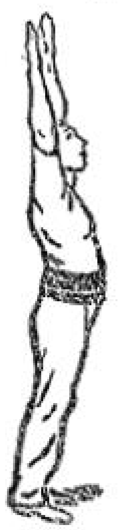
واعزم على عملها كل يوم

خمس دقائق تقضى كل يوم في تمارين الصحة ليست شيئاً عظيماً يجهد الجسم ولا هي مما ينقص يوماً قدره ٢٤ ساعة . فهنا يرى القارىء تمارين ترمي كلها الى تقوية الرئتين وشد عضلات البطن التي تترهل كثيراً وتحدث الاستكراش اذا ألف الانسان الدعة . ثم هي تنشط الدم فيسير بسرعة في الشرايين فيغسلها مما تكون على جدرانها من نفايات الجسم . وهي ايضا تحرك العضلات التي لا تتحرك عادة في اعمالنا العادية فيعم النشاط الجسم كله . ويمكن عمل هذه التمارين في غرفة النوم في الصباح كل يوم . وقد يشق على الانسان بعض هذه الحركات ولكن العادة والمواظبة تسهلانها

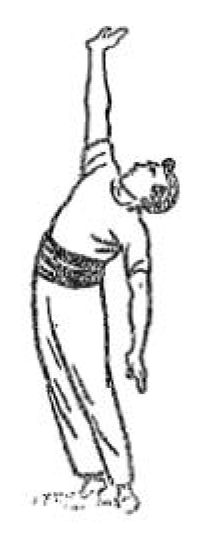


١ ــ يقف المتمرن بهيئة الجندي الاعزل ورأسه على استقامة جسده ثم يضع يديه على خصره ويرد رأسه للوراء قليلا ويتنفس بعمق يملأ صدره بالهواء ثم يطلقه ثلاث مرات والتنفس يجب ان يكون بطيئاً ومن الانف

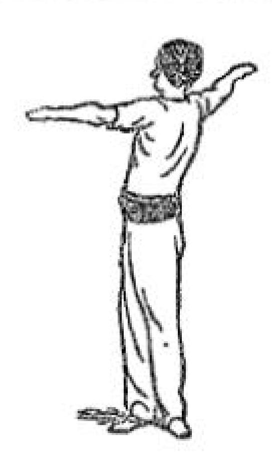




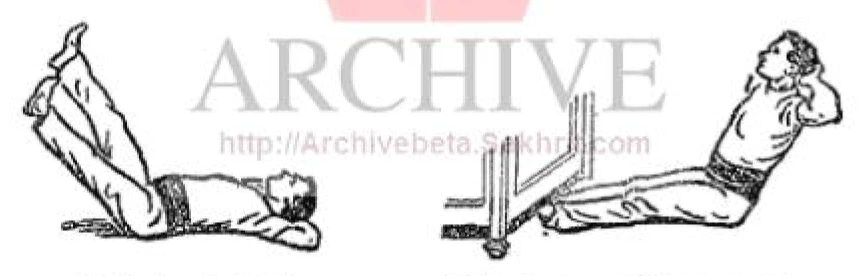
٢ ــ يمد المتمرن ذراعيه الى فوق ثم يحني الجذع الى الامام حتى تبلغ اليدان الارض تقريباً ويكرر هذا الانحناء نحو ثمان مرات



٣ مد الذراعين حتى تكونا صليباً مع الجسم والظهر الى الجنب وكرر ذلك عشر مرات مع التنفس العميق

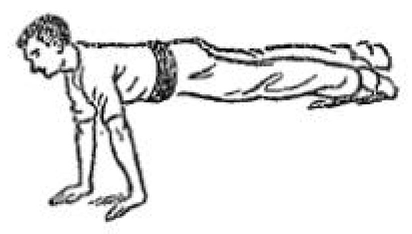


٤ ابسط الذراعين ثم استنشق الهواء . وبعد ذلك يدار الجسم الى اليمين واليسار عشر مرات بحيث يرى المتمرن خلفه كل مرة بدون تحريك الساقين



٥ ــ انسطح على الارض وضع قدميك تحت اي شيء ثم اقعد وانسطح ثانياً ويداك خلف رأسك نحو عشر مرات

٦ ــ انسطح على ظهرك ثم ارسم برجليك دائرة عشر مرات بدون ان تجعلهما تمسان الارض



٧ ــ امش على يديك وعلى اطراف قدميك بدون ان تحني ركبتيك

فمن هذه الوصايا التي يحفظها التلميذ و يعمل بها يرى القارىء مقدار عناية الامم الكبيرة بالصحة . وليس هذا عجباً اذا عرفنا ان الاحصاءات تثبت ان اكبر سبب للبطالة هو المرض وليس كما نتوهم سوء الاحوال الاقتصادية . ومما يستدعي النظر ان أمم شمال اوربا التي اصبح العالم كله الآن يسير بقيادتها هي اكثر الامم عناية بالصحة وحضاً للناس على الرياضة . ومعظم الناس يتركون الرياضة عندما يغادرون المدارس . ولذلك يحسن بكل انسان ان يمارس بعض التمارين الرياضية البسيطة حتي يحتفظ بنشاط دمه ولدونة شرايينه . ونحن هنا ننقل للقارىء رسم بعض التمارين . ومنها يمكن القارىء ان يفهم الحركات الضرورية التي يحتاج اليها للمحافظة على صحته . فهي تسعة تمارين غايتها كلها ان ينفذ الدم الى تلك الاماكن التي لا يبلغها عادة في الاعمال المألوفة الا قليلاً . و يمكن كل انسان ان يعمل هذه التمارين في غرفته مرة في الصباح مثلاً

وصايا عشر أخرى

وقد ذكرنا الوصايا العشر لاحدى المدارس الانجليزية ونحن هنا ذاكرون « وصايا عشراً » أخرى للمدارس الاسوجية . والاسوجيون مغرمون بالالعاب الرياضية :

١ ــ الهواء المتجدد في النهار والليل من ضروريات الصحة وهو احسن ما يصون الجسم من امراض الرئة

٢ ــ الطعام البسيط والشراب البسيط وأولئك الذين يفضلون الماء على الخمر و يتناولون اللبن والفواكه يزيدون قوتهم و كفايتهم على العمل

٣ ــ الحركة هي الحياة . فيجب ان تمارس الرياضة كل يوم في الهواء الطلق

٤ ــ العناية بالجلد . بأن تستنقع كل يوم بالماء المثلج وتستحم كل أسبوع بالماء الساخن و بذلك يخشوشن الجلد و يتحمل الصدمات

٥ ــ يجب ألا تكون الملابس ثقيلة ولا ضاغطة للجسم

٦ ــ يجب ان يعرض المسكن للشمس وان يكون جافاً رحباً نظيفاً مضيئاً حاو ياً لشروط الرفاهية

٧ ــ النظافة الصارمة في كل ما تتناوله وما تعمله في الهواء والماء والطعام والمسكن والاخلاق

٨ ــ المواظبة على العمل النافع خير ما يمنع امراض الجسم والعقل . وهو ايضاً احسن تعزية في الشقاء والسعادة

٩ ــ الانسان لا يجد الراحة في المهرجانات والزينات والليل هو وقت النوم والراحة فلا تسهر

١٠ ــ احسن ما يضمن الصحة الجيدة هو المعيشة المجدية بان تكون عضواً نافعاً في عائلتك وفي الهيئة الاجتماعية

اوربا بين الطريقين : الاتحاد أو الموت

مقال للمسيو جوزف كايو رئيس الوزارة الفرنسية سابقاً

جوزيف كايو ليس من كبار الساسة فقط بل هو « رجل دولة » يسمو على حيل السياسة الصغرى و ينظر لمصالح الدول العظيمة . وهو فرنسي لغة اوربي وطناً وثقافة . وقد كان مدة الحرب معتقلاً لانهُ كان يحب الاتفاق مع المانيا ويخشى بريطانيا . وقد عرف الفرنسيون فضله فصار بعد الحرب وزيراً للمالية ولكن البرلمان لم يتح له الفرصة لاصلاح مالية فرنسا . وقد كتب هذا المقال الذي نلخصه بعد يدعو فيه الى اتحاد اوربا حتى تمتنع الحروب بينها في المستقبل وتزول مشاكلها الاقتصادية والمالية

* * *

وقد افتتح مقاله بقوله ان من يريد ان يخدم الامة ويقودها يجب ان يكون متقدماً عنها . وقد عرف من تجاربه ان الجلادين يقفون على الدوام ينتظرون مثل هذا الخادم المتقدم . ولكن هذا الحظ السيء يجب ألا يمنع احداً من اظهار الناس على اخطائهم وانذارهم بالاخطار التي تهددهم

ان اوربا حين خرجت من القرون الوسطى ودخلت في عصر النهضة كانت لا تبالي بشيء قدر ما تبالي بالحرية والتفكير العالي ولم يكن للثراء والاندفاع نحو تكديس الاموال ما تراه لهما الآن . فان العصر الصناعي دهم اوربا فانتشرت المصانع قبل ان توفق الحكومات الى ايجاد شرائع جديدة لكي يتمشى انتاج الثروة وتوزيعها بالعدل بين الناس . ونشأ من ذلك تراكم الثروة في ناحيـة واشتداد الفقر في ناحية . ورأى الاغنياء واصحاب المصانع انهم يمكنهم زيادة ثرواتهم باقامة اسوار من الحماية الجركية تحمي مصنوعاتهم . وتوفقوا الى تحقيق ذلك لان الحكومات في ايديهم . فنشأ من ذلك حالتان :

١ ـ زيادة الغلاء بين الطبقات المتوسطة والفقيرة لان السلع التي لا يخشى اصحابها مزاحمة الاجنبي لها لوقوف الجرك في وجهها يمكن رفعها الى اقصى حد ممكن من الغلاء

٢ ـ ان اصحاب المصانع لحاجتهم الى بيع سلعهم خارج بلادهم في الاسواق الاجنبية ولحاجتهم ايضاً الى المواد الخام صاروا يتزاحمون على الاستعمار واحتكار المواد الخام بالحصول على امتيازات . ونتج عن ذلك ان الدول الاوربية صار كل منها ينظر الى الاخرى بعين الحسد والتوجس ولبس اصحاب المصانع كل منهم راية بلاده وادعى الوطنيـة دفاعاً عن سلامة وطنه والحقيقة انهُ يدافع عن مصنوعاته

* * *

وكانت هذه الحالة تعم اوربا كلها قبل سنة ١٩١٤ · وكان يمكن القاء الحرب لو كانت حكومات اوربا تحكم الناس حكماً حقيقياً وتراعي جميع المصالح بدلاً من ان تنقاد الى الحرب بقوة اصحاب المصانع

ولما عقد الصلح عادت اوربا الى مثل ما كانت عليه سنة ١٩١٤ وعاد اصحاب المصانع الى سلطتهم السابقة · فلم يكن الصلح حقيقياً اخذ فيه الاتفاق مكان الشقاق بل كان صلحاً على ورق فقط · بل كانت الحالة اسوأ مما كانت سنة ١٩١٤ فان الامم مدة الحرب جعلت تلهب الصدور بنار الوطنية والاحقاد ولم يكن من السهل اطفاء هذه النار بعد شبوبها · فبقيت روح النزاع والخصام قوية بين الامم تمنعها من التآلف والاتحاد · وزاد التنافس الصناعي عما كان عليه قبل الحرب مع ان هذا التنافس كان العلة الاساسية للحرب

وقد رأينا بعد الصلح كيف تدهورت مالية المانيا ثم كيف نهضت نهضة اقتصادية رائعة ثم كيف عادت الى حال عادية من سوء الحال الاقتصادية · وما حدث في المانيا يحدث الآن في اوربا · فانه عندما عقد الصلح هبطت اوراق النقد الالماني لانها لم تكن قائمة على أساس من الذهب واخذ الحلفاء شيئاً كبيراً من مصنوعات المانيا · فأخذت هذه الاوراق تهبط الى أن انتهت بمحو هذه الاوراق وايجاد أساس جديد للتعامل قائم على الذهب · انما يجب ملاحظة ان ألمانيا واوراق النقد تهبط عندها هبوطاً فاحشاً كانت في حال اقتصادية رائعة جميع مصانعها تعمل ليل نهار حتى توهم الحلفاء ان موارد المانيا لا تنفد وانها ستنتصر عليهم قريباً في أسواق العالم · ولكن الواقع ان المانيا كانت تنتفع بهبوط عملتها أمام البدل النقدي فتبيع سلعها بارخص مما يمكن الحلفاء ان يبيعوا فكانت لذلك حالتها المالية سيئة ولكن حالتها الاقتصادية من حيث حركة البيع واشتغال العمال حسنة · ولكن عندما نزل المارك وهو أساس عملتها الى الصفر واضطرت الى ايجاد عملة جديدة عادت أحوالها الاقتصادية الى التراخي والبطء والتواني بحيث لم تعد تختلف عن سائر ما يرى منها في اوربا

وقد انخدع كثيرون بحالة ألمانيا حتى اقترح بعضهم ألا ترفع الامم أسعار نقودها بل تتركها تهبط لان في هبوطها رواج الاعمال · ولكن فات هؤلاء أنه لا بد من نهاية لهذا الهبوط بحيث تصل العملة الى الصفر وحينئذ تحتاج الحكومة الى ايجاد عملة جديدة كما عملت ألمانيا واما ان تتدخل قبل بلوغ هذه الدركة الاخيرة وتمنع الهبوط كما فعلت حكومة بلجيكا حديثاً

وما يحدث الآن في فرنسا من تدرك العملة ورواج الاعمال يقابله في انجلترا كساد الاعمال وارتفاع العملة وكل هذا يطابق ما حدث في ألمانيا ويرجع كل ذلك الى مرض اوربا

* * *

فأوربا الآن مريضة ومرضها يعود الى ثلاثة أسباب :

١ الفوضى في الانتاج

٢ الديون العمومية الباهظة

٣ انتقال الثروة من امة الى اخرى

وهذه الاسباب الثلاثة علاجها كلها واحد وهو ان تتحد اوربا لكي تعمل الدول كلها بما يحفظ مصالحها ويمنع تصادمها · فهي كلها الان مدينة لاميركا فيجب الاتحاد لسد هذا الدين بأخف ما تستطيع الحصول عليه من شروط موافقة من الدولة الدائنة · ثم يجب الكف عن الاستدانة والرجوع الى نقد الذهب أساساً للعملة في جميع اوربا · ثم اذا اريد ان يبقى السلام في اوربا وجب ان ينظم الانتاج والتصدير حتى يمتنع التنافس الذي كان أصل الحرب

واوربا الآن تتجه الى هذه الناحية ولكنها تسير ببطء وبما يشبه التخوف · فمعاهدة لوكارنو خطوة كبيرة نحو السلم اذ تعاقدت الدول على التحكيم · ولكن هذا التعاقد خاص بالسياسة وحدها وانما السلام لا يثبت ما لم توقع تعاقدات اقتصادية تشبه هذا التعاقد السياسي وتنظم حركة الصناعة والتصدير والمواد الخام ونحو ذلك

ان اوربا تسير نحو التفاهم ولكنها لا تستطيع التصريح لان الوطنيات الجامحة تمنعها من ذلك في حين كان يجب ان تنغض هذه الوطنيات وتموت · وحاجتنا الآن الى حكومات تحكم وتجعل اتحاد اوربا غايتها

لقد قال فريرو العالم الايطالي في كتابه «خراب الحضارة القديمة» : «لو كان لاوربا حكومات قوية ولها سلطة يعترف بها لامكن تعمير البلاد بسهولة وسرعة بالوسائل التي تهيئها الآن الحضارة الغربية · ولكن لما كانت اوربا قد خربتها الحرب وأوقعتها في هوة الشقاء وحاطتها بضروب من المصاعب السياسية والاقتصادية والحربية التي خلفتها الحرب وليس لها مع ذلك حكومات تستطيع الحكم فان المرجح ان الفوضى ستبقى مدة طويلة حية في معظم اقطارها»

اجل · اننا في حاجة الى حكومات قوية قادرة على الحكم النير الذي يستضيء بضوء الاتحاد بين جميع الامم الاوربية وبهذا وحده يمكن ان تنجو اوربا من خطر الفوضى والافلاس · وانا في قولي هذا اعرف اني متقدم عن جيلي ولكني اعرف ايضاً اني اخدمه

عصر الصناعة القادم

الكيمائيون يصفون الحياة المقبلة

يسمي علماء الحيوان نوع الانسان الحاضر عندما يريدون تمييزه من أنواع الانسان الاخرى المنقرضة : الانسان العارف . ولكن ليس شك في أن المعرفة ليست من احتكارات الانسان فان بعض الحيوانات الاخرى « تعرف » وتتعلم وتعتمد في مسلكها على ذكائها كالثعلب يميز طُعم الفخ من الطعام الطبيعي . وكالفار لا يقع في شرك رأى فيه أخاه مرة وكالفيل وغيره من الحيوان تتعلم بعض الحيل التي تلهي برؤيتها على المسارح

انما الميزة الحقيقية للانسان على الحيوان هي الصنعة والاسم الذي يليق بالانسان الراهن هو : الانسان الصانع . فليس في العالم حيوان يستطيع ان يصنع شيئاً بذكائه وان كان النمل والنحل يصنع أشياء بغريزته

وتاريخ الانسان القديم هو تاريخ ارتقائه في الصناعة عصراً بعد عصر ولذلك نجد العصر الحجري يليه عصر البرونز يليه عصر الحديد الذي ما زلنا نعيش فيه الآن والذي قد بلغ من الاثر في مجتمعات الانسان ما نرى بعضه في الارتباكات العديدة في اضراب العمال وفي الاستعمار فانها كلها نتيجة تغلب الحديد على انظمتنا الاجتماعية . فان مصانع العالم الكبرى قائمة على الحديد كما ان السكك الحديدية ومناجم الفحم يرجع الفضل في استغلالها الى الحديد . وتزاحم الامم الى الاستعمار يرجع أيضاً الى تزويد هذه المصانع الحديدية بالمواد الخام التي تحتاج اليها . وحروبنا للآن هي حروب الحديد

ولكن اذا كنا الآن نعيش في عصر الحديد الذي يسم صناعاتنا بميسمه فما هي السمة التي ستسم العصر القادم ؟

هي بلا شك سمة الكيمياء فالعصر القادم هو عصر الكيمياء ونحن نرى بوادر هذا العصر الآن في أشياء عديدة كانت تؤخذ في الماضي من الحقول والمناجم فصارت الآن تصنع في المصانع . واليك خلاصة ما يتنبأ به الكيمائيون في هذا الصدد

الوقود

كان الوقود في القرن الماضي كله تقريباً قائماً على الفحم ثم شاع استعمال البترول في الاتوموبيلات وبعض السفن الآن تسير بالبترول . ولكن الفحم والبترول كليهما الى فناء لانهما محدودان بل بعض الناس يعتقد ان بترول العالم لن يكفيه اكثر من ٣٠ سنة . فماذا يفعل الناس في المستقبل ؟

يقول الكيمائيون ان هناك ثلاث طرق معروفة الآن لاستخراج البترول من نشارة الخشب

ومن الفحم . وطرق الاستخراج غالية الآن تتكلف كثيراً من المال ولكن هذا لن يمنع في المستقبل استعمال هـذا البترول في المصانع عندما تتحسن طرق استخراجه وتقل تكاليفها . اما الكؤول الذي يستخرج الآن من نفاية قصب السكر والقش والحطب فهو يستعمل وقوداً في كثير من الاشياء وان يكن وقوداً ضعيفاً . ولكن القوة العظيمة التي ينتظرها الكيماوي ليست في الوقود وانما هي في ذرات المادة . ففي رطل واحد من الراديوم من القوة نحو ١٠٠٠٠٠٠٠ ما في رطل مثله من الفحم . والراديوم نادر الوجود الآن ولكن الاورنيوم القريب منه والذي لا يزيد ثمن الرطل منه عن جنيهين فيه من القوة الذرية في الرطل الواحد ما يربى على ما في ١٦٠ طناً من الفحم . وليس في العالم عالم كيماوي او طبيعي لا يشتغل بفحص القوى الذرية وقد يتحقق في يوم ما رجاؤهم في استغلالها للصناعة . وعندئذ يكفي لاضاءة مدينة كالقاهرة في الليل نحو ربع رطل من الاورنيوم لا يزيد ثمنه عن ٥٠ قرشاً . اما الشمس التي هي أصل جميع القوى التي بالارض من خشب وفحم وبترول فانها ما دامت تشع وما دام الانسان حياً فان استغلالها مباشرة لن يكون محالاً الا اذا استغنينا عنها باستغلال الذرات

الطعام

قبل قرن تنبأ مالتوس القس الانجليزي بان العالم يزداد سكانه بنسبة هندسية هكذا ٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٦ في حين ان الطعام لا يزداد الا بنسبة حسابية هكذا ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ . وعلى ذلك فان السكان اذا لم تفنهم الاوبئة والحروب سيزيدون على غلات الارض وعندئذ يفنيهم القحط . ولا غبار على هذه النظرية بل لا يمكن زعزعتها من حيث انها نظرية فان العالم محدود والسكان غير محدودين . ومن العلماء من يعتقد ان غلة القمح قد قلت في العالم عما كانت منذ سنوات وان اثمانها تطرد لذلك في الزيادة . ولكن الكيماوي يمد يد المعونة الى جميع الخائفين من هذه التنبؤات المرعبة . فهو يقول ان اللبن الصناعي اوشك ان يتم اختراعه فلا حاجة للبقر او الجاموس . وايضاً يمكن الآن استخراج السكر من الخشب . وتستخرج الادهان الآن من البترول بكل سهولة . وقد تمكن عالم انجليزي من استخراج السكر من ثاني اكسيد الكربون والماء كما يستخرجه النبات . وهناك من الكيمائيين من يتنبأ ويحاول تحقيق تنبؤاته في المعامل والمختبرات بصنع اللحم من بذور القطن

وعلى ذلك سيستخرج طعامنا في المستقبل من المصانع لا من الحقول . وقد قال الدكتور بارنارد في ذلك : « ان ٧٥ رجلاً سيصنعون في المصنع في هيئة خميرة مقداراً من الطعام يبلغ مقدار ما يستخرج من ٧٥٠٠٠ فدان بعمل الف من الرجال »

اللباس

ربما كان اللباس أقرب الاشياء تحقيقاً في المصانع . فان كثيرين منا الآن يلبسون الحرير

الصناعي المسمى « الريون » فمعظم جوارب النساء و بباغات الرجال تصنع من الريون · وقد رأى اهل القاهرة حديثاً قماشاً شديد اللمعة رخيص الثمن جداً وهو غاية في النعومة يباع للفقراء · ولولا الزهوة الشديدة التي فيه لاشتراه الاغنياء · فهذا هو الحرير الذي يصنع الان من خشب التوت وحطب القطن · يطبخ الحطب والخشب حتى يستحيلا عجينة ثم تبسط كالورق

ولا يكاد يتصور الانسان كيف يباع القطن او الصوف او الكتان بعد ثلاثين سنة . فان الملابس الصناعيـة تتكاثر وفي انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة مصانع عديدة لها رءوس أموال تبلغ الملايين تعمل الاقمشة الصناعية وتربح ربحاً عظيما · ومصير الاقطار التي تزرع القطن لن يختلف عن مصير الهنود الذين كانوا يزرعون سنة ١٨٩٧ نبات النيلة فلما اخترع الالمان الاصباغ الكيمائية قضي على هؤلاء الهنود وصارت زراعة النيلة مقصورة على أرض صغيرة جداً

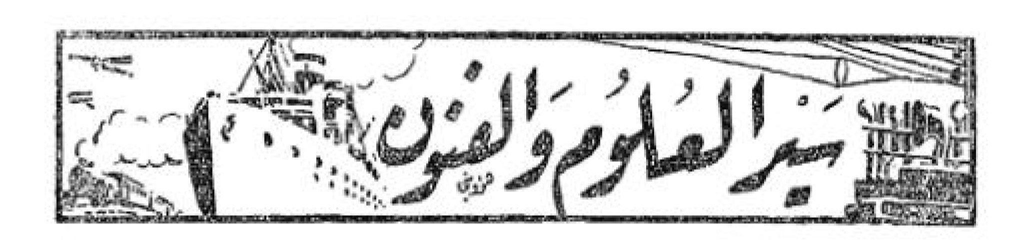
البناء والمعادن

لقد رأينا في القاهرة كيف تأخذ الخرسانة مكان الخشب في تسقيف المنازل كما رأيناها أيضاً تأخذ مكان الآجر في بناء الجدران · فالعالم في تحول لا يهدأ · وتجرب الآن طرق عديدة لكي تطلى الحيطان بميناء الاطباق حتى لا تجد الحشرات مأوى لها في المنازل ويصير البيت من النصاعة والجفاف بحيث يمكن غسله كما يغسل الطبق في المطبخ · ولكن هناك اسرافاً عظيماً في استعمال الحديد قد ينتهي بزوال هذا المعدن في أقل من ٣٠٠ سنة وذلك لان الحديد يصدأ ويضيع من المناجم والمصانع · ومثل هذا يقال في سائر المعادن ولذلك فالكيمائيون يعملون الآن لايجاد مواد ممزوجة من المعادن لا تصدأ · وتصنع الان العلب من الورق المبطن بالميناء استغناء عن القصدير

أما الكوتشوك فانه يستخرج الآن من البترول وان لم يمكن بعد اخراج المصنوع منه بهذه الطريقة الى الاسواق لانه ما زال يتكلف كثيراً

***

وخلاصة ما تقدم ان العالم يسير نحو عصر صناعي قد تهجر فيه الزراعة تمام الهجران فلا تكون الحقول الا غابات يستخرج منها الخشب وقد تستحيل بعد ذلك الى منازه ومتصيدات · ويعيش الناس في المدن يأخذون لباسهم وطعامهم من المصانع · وفي باكورة الحرير الصناعي الذي يباع الآن في كل مكان ما يجب أن ينبه كل امة زراعيـة الى الخطر الذي ينتظرها عند ما يستغني الناس عن القطن والصوف والكتان



تقرير النسل

ان مسأله تقرير الذكورة أو الانوثة في المولودين قد سارت شوطاً بعيداً . فقد أمكن بعض العلماء أن يبدلوا اجناس بعض الحشرات كالبراغيث كما ابدلوا اجناس الحمام والدجاج والسمندل

وقد كان شامبي العالم الفرنسي اول من استطاع أن يحيل سمندلاً ذكراً أنثى وذلك سنة ١٩٢٠ ا فانهُ أخذ هذا الذكر وأجاعهُ مدة طويلة حتى هزل وكاد يموت . والواقع أنهُ مات منهُ واحد آخر في هذه التجربة ٠ اما ذاك الذي لم يمت فانه فقد هيئة الذكورة وبقي كذلك لا هو بالانثى ولا هو بالذكر ٠ ثم غذاه تغذية قوية حتى استعاد جرمه بسرعة ٠٠٠ ولكنهُ لم يعد ذكراً كما كان بل صار أنثى

واستحالة الانثى الى ذكر بين الدجاج مشهورة ٠ وآخر حادثة ثبتت ثبوتاً علمياً وقعت للدكتور كرو من جامعة ادنبرج ٠ فقد كان احد الاهالي اشترى دجاجة خصها للبيض فبقيت تبيض عنده مدة ثم انقطع بيضها وطفقت تصبح كالديكة فاشتراها منهُ الدكتور كرو وأبقاها عنده ٢٢ شهراً وهو يعنى بها فلما كانت نهاية هذه المدة انقلبت ديكاً سوياً له كل صفات الديكة

هذا في الحيوان اما في الانسان فان التوفيق لم يصاحب العلماء الى هذا الحد ٠ وانما توصلوا الى معرفة الجنين هل هو أنثى ام ذكر ٠ وكان الدكتور مانويلوف العالم الروسي أول من تمكن من ذلك ٠ فانه صنع مادة كيمائية يستجيب لها دم الذكر اذا مزج بها فيتغير لونه ويصفار ٠ اما دم الانثى فلا يستجيب ولا يصفار ٠ فاذا كانت المرأة تحمل ذكراً وفحص دمها بهذه المادة رؤيت في الدم صفرة لان دم الجنين الذكر قد اثر في دمها اما اذا كانت تحمل انثى فان الدم يبقى احمر

ويقول هذا العالم الروسي ان ٧٥ في المائة من الفحص جاء صحيحاً ٠ وان هذا الفرق يرجع الى ان دم الجنين الذكر اذا كان هذا الجنين ضعيفاً استجاب للمادة الكيمائية التي يفحصه بها كما يستجيب دم الانثى ٠ وقد استعمل الدكتور سلهيم في المانيا وأطباء عديدون في بلدان أخرى المانية تلك الطريقة فتمكن من الاصابة في ٩٩ في المائة من الحالات

هذا من حيث معرفة الجنين ٠ أما من حيث تقريره في الانسان فان الآمال معلقة بذلك ولكنها لم تتحقق الى الآن ٠٠٠ وهل يرغب احد في تحققها ؟

أعضاء الجسم

تمكن عالمان انجليزيان من نزع عين غير كاملة النمو لاحد أجنة الفراريج ثم وضعا هذه العين في سائل جنيني مغذ في زجاجة فنمت العين واستكملت كل أعضائها ولكنها لم تبلغ جرمها الطبيعي . والقراء يعرفون ان كارل قد استطاع ان يجعل القلب يعيش في زجاجة مدة طويلة مع وفاة صاحبه

وهذه التجارب تدلنا على ان أعضاء جسم الحيوان تعيش عيشة مشتركة في الجسم ولكن كلاً منها يستقل في نموه وتكشفه كأن له نفساً خاصة به لا تبالي بسائر أعضاء الجسم

السكر من الخشب

كان احد العلماء الالمان يقول انه سيأتي يوم قريب نحيل فيه جريدة الصباح بعد ان نقرأها الى طعام فنأكلها وذلك باحالة مادة الخشب التي فيها الى سكر . وقد تمكن الدكتور اورماندي الكيمائي الانجليزي من احالة نشارة الخشب الى سكر يؤكل وذلك بمعالجة النشارة بحمض الهيدروكلوريك .

وهذا اكتشاف يقلل الخوف من القحط الذي ينتظره كل انسان عند ما يزداد السكان ويملئون الارض في حين ان غلات الحبوب لا تزداد

لقاح التدرن

لقح جميع التلاميذ في مدارس فينا بلقاح ضد التدرن كما يلقح الناس بلقاح ضد الجدري : ولم يحدث من هذا التلقيح عوارض سيئة الى الآن ولكن لا يعرف ماذا يخبىء المستقبل . فان نجاح هذا اللقاح لا يمكن القول الفصل فيه الا بعد سنوات

ولو ترك الاطباء يفعلون ما يهوون لعمموا التلقيح في جميع الامراض التي لها لقاح كالتيفوئيد والدوسنطريا وغيرهما . ولكن أي انسان يكون ذلك الذي يحمل في جسمه كل هذه اللقاحات ؟

وفرة الميكروب

يقدر الاستاذ ريشيه ان جو باريس يحمل من الميكروب ما مقداره ٦٠٠٠ ميكروبة في كل متر مكعب . ولما كان كل منا عند ما يزفر يملأ صدره بنحو ١٠ لترات من الهواء فان ما يدخل الرئتين في كل زفرة يبلغ نحو ٢٠٠٠ ميكروبة من كل الانواع . وعلى ذلك يمكننا ان ندرك ان الوقاية من الامراض ليست بقتل الميكروب لان هذا محال وانما هي بتقوية الجسم حتى لا يتغلب عليه الميكروب . فنحن نمرض لا لان احدى الميكروبات دخلت الجسم بل لان الجسم ضعف في وقت ما عن المقاومة اذ ان الميكروب يدخل اليه في كل وقت

هل تذهب اسناننا ؟

كل من يدري شيئاً من تاريخ الطيور الطبيعي يعرف انه كان لها في الازمنة البعيدة اسنان في مكان فكيها الآن . فان الاحافير من الطيور لا تزال في هيئتها كالزواحف المنقرضة لها اسنان عدة . ولكن الطيور استغنت عن اسنانها بقوانصها فان القانصة ليست معدة فقط بل هي ايضاً بما فيها من عضل قوي تهرس الطعام كما تهرسه اسناننا . ويبدو من تاريخ الانسان انه صائر هذا المصير فالانسان القادم سيكون ادرد . والذي يدل على ذلك او بالاحرى يلمع اليه ان احافير الانسان قبل نصف مليون سنة تدل على ان الفك الاسفل كان قوياً بارزاً وكانت اسنانه غاية في المتانة . ولكننا الآن قد ادبرت فكانا الى الوراء وصغرت كما ان الاسنان قد تلازت وفسدت وغاب « ضرس العقل » فهو لا يظهر الا في بعض الناس دون بعضهم وقد لا يحب احد ظهوره لان الفك صار لصغره لا يتسع لجميع اسناننا القديمة

كيف نشيخ ؟

من الامثال الانجليزية قولهم : « شيخوخة المرأة بمقدار ما يرى في وجهها وشيخوخة الرجل بمقدار ما يحس » . ويبدو من المعنى الذي ينطوي عليه هذا المثل ان قائله يريد ان يقول انا نشيخ بمقدار ما نكف عن الاهتمام بانفسنا . فما دامت المرأة مهتمة بالعالم وبنفسها فهي تعنى بملامحها وما دام الرجل يهتم بالعالم ويطمع في النجاح فهو يحس ابداً بالنشاط ولا يداخله الفتور والتعب.

وقد كان الدكتور اوسلر يقول : « يعمر الانسان بمقدار ما تعمر شرايينه » وذلك لانهُ لا يموت انسان في الشيخوخة الا وقد تصلبت شرايينه وتكلست جدرانها

وكان متشنيكوف يقول اننا نموت في الشيخوخة لان المعى الغليظ ينفث في جسمنا السموم التي تتولد من الميكروب الذي يعيش على الاوساخ المتجمعة فيه وكان لذلك ينصح بتناول اللبن الرائب لتطهيره

ولكن يظهر من الابحاث الحديثة ان مسألة الشيخوخة ترجع الى تغير كيمائي في سوائل الجسم لا تعرف عليه . فقد اخذ جزء من نسيج جنين من اجنة الدجاج ووضع في زجاج وغذي بسوائل مستخرجة من الاجنة فنما واستمر في النمو . ولكنه حرم من هذا الغذاء وأعطي بدلاً منه غذاء سائلاً مستخرجاً من دجاج مسن فتوقف عن النمو . فاعيد اليه السائل المستخرج من الاجنة فعاد الى نموه السابق.

فكأن عصارة الجسم نفسها تستحيل في الشيخوخة الى ما كانت عليه في الطفولة . ولكن لم تعرف للآن علة ذلك.

تعقيم البله

حدوث البلاهة في الامة من العقد التي يستعصي حلها · وقد قال بعضهم بوجوب تعقيم الابله حتى لا يتناسل ولا يتكرر حدوث صنفه في الامة · ولكن اذا كانت البلاهة ظاهرة في بعض الناس فهي مضمرة في نحو ٧ في المائة من جميع العقلاء · واذا تزاوج اثنان من هؤلاء السبعة جاء نسلهم بالنسبة التي وجدها مندل في الباقلاء · فيكون واحد من الاولاد أبله صريحاً و واحد عاقلاً واثنان عاقلين في الظاهر مضمرة فيهما البلاهة · وعلى ذلك حسب الاستاذ بلنكت انه اذا أردنا ان تنزل نسبة البلاهة في الامة الى واحد في كل مائة الف من السكان وجب علينا ان نقضي ٨٠٠٠ سنة في تعقيم البله · لان العاقل الذي يضمر البلاهة لا يمكن البتة تمييزه من العاقل الصريح فهو سيتزوج بالطبع وينسل أحياناً نسلاً ابله

غرفة الجراحة

كانت المستشفيات الى وقتنا هذا تجعل غرفة العمليات الجراحية بيضاء ناصعة وكانت ترمي بذلك الى غرضين : زيادة الضوء والمبالغة في النظافة · ولكن تبين من اختبارات الجراحين ان في هذا البياض نقصاً وهو انه يتعب عيني الجراح واعصابه حتى يخطىء في اداء العملية على الوجه المروم · ولذلك شرعت بعض المستشفيات في دهن جدران هذه الغرف بدهان اخضر · لان الخضرة تهدىء الاعصاب اذ هي لون الاشجار والنباتات التي الفها الانسان مدة طويلة · فمتى ألقى الجراح نظرة اليها وهو في حالة عصبية تقتضيها العملية أحياناً ثاب اليه هدؤه ولم تتزعزع يده وقت تناول السكين · ولهذا السبب نفسه ينصح لسائق الاتومبيل ان تكون لوحة الزجاج التي تقيه الريح امامه بلون أخضر يهدىء أعصابه

قيمة العينين في التطور

كتب الاستاذ اليوت سمث مقالاً مسهباً عن العين وقيمتها في تطور الحيوان والانسان فقال ان اول ما يرى من نشوء الدماغ في الحيوان الفقري انما نشأ للاحساس بالمشمومات · ولذلك فالحيوان الفقري اذا كان دائماً اعتمد في مسلكه على ما يشمه لا على ما ينظره · وهذا هو الواقع في الزواحف والاسماك والبرمائيات فانها كلها تقريبا تعتمد في البحث عن الانثى والطعام على ما تؤديه اليها خياشيمها · اما اللبونات وهي أرقى الحيوانات الفقرية فانها تعتمد على العين وباعتمادها على عينها اتسع دماغها · فالذئب او الاسد مثلاً يشم أولا ولكنه اذا اقترب من فريسته تهيأ للهجوم عليها بما تؤديه اليه عيناه من معنى البعد وهيئة الجرم وتقدير الخصم · فالعين هي أصل

الاحساس بهذه الاشياء ولو كان الحيوان يعتمد على خياشيمه فقط لما اتسع دماغه · فنحن نفهم الجمال والاجرام والبعد بما تؤديه الينا أعيننا

فالذكاء الذي تمتاز به اللبونات من سائر أنواع الحيوان الفقري انما يرجع الى العينين · وسلوك الانسان كما يرى من لغـاته في نحو اشتقاقنا « التبصر » و « التعمية » و « ذر الرماد في العيون » ونحو ذلك يدل على مقدار اعتمادنا في مسلكنا على عيوننا

عصبة الامم وصحة العالم

كان في العالم معهدان رسميان لكل منهما صفة أممية وكلاهما يعمل للصحة العامة وذلك قبل انشاء عصبة الامم . وهذان المعهدان هما « المكتب الاممي للصحة العمومية » في باريس و «المكتب الصحي للقارة الاميركية» في أميركا وكان كلاهما يجمع الاحصاءات ويفشي الاخبار عن انتشار الامراض في العالم ونحو ذلك . فلما تألفت عصبة الامم شرعت تبحث الشؤون الصحية في العالم وكان أول عملها تأليف لجنة وقتية لمكافحة التيفوس الذي جاء رديفاً للحرب في شرق أوربا . ثم اتفقت مع المعهد القائم بباريس وألفت لجنة دائمة تجمع الاحصاءات وتشجع انتقال الاطباء من قطر الى آخر لدرس ما يجد في شؤون الصيانة الصحية . وآخر ما فعلته العصبة انها فتحت لها ـ أي للجنتها الصحية ـ مصلحة خاصة في سنغافورة حتى تقف على الحالة الصحية في شرق آسيا · والمعروف ان كل الطواعين الوافدة قد تفشت من آسيا ولذلك لن يأمن العالم شر الامراض الوافدة حتى تصلح الحالة الصحية في آسيا · ومن ذلك أيضاً يتبين للقارىء اتجاه الافكار التي تقتضيها الضرورة نحو ايجاد رقابة عامة للعالم كله تنظر في صحة الامم وفي غير صحتها

أجنحة الانسان

كان الطيران منذ عشر او خمس عشرة سنة جنوناً لانه لم يكن أحد يضمن ان الطيارة اذا حملته ستحطه حياً · ولكن الانسان بدأ يشق بجناحيه الآن وصار الجو كالماء أو كاليابسة مملكة أخرى من ممالك الانسان · فالبريد الآن يحمل على الطيارات ومعظم بلدان اوربا الكبرى متصلة بالطيارات والبلونات وستشرع انجلترا قريباً في تنظيم الخط الجوي بينها وبين الهند · وقد اعلنت الاجرة بين القاهرة ولندن على هذا الخط

ومن الحظ الحسن للطيران انه جاء في وقت يعيش فيه رجل بار مثل فورد لا يبالي بالمال وانما همه الاختراع والابتداع · فان هذا الرجل يصنع طيارة خفيفة يمكن الانسان المتوسط ان يقتنيها وهي لا تحمل غير شخص واحد ولها محرك واحد · ولكنها مضمونة من السقوط لان لها مروحة أفقية فوقها لها أربعة أشعة اذا تلف المحرك وسقطت الطيارة دارت هذه المروحة فتبطؤ سرعة السقوط ولا يحدث التصادم المميت · وهو الآن يتم اختراعه وامله كبير في اتمامه



بواعث الارق

ليس أشق من انسان يعتاد الارق يتقلى على فراشه طول الليل وفي رأسه قطرات من الخواطر يأتي بعضها في اثر بعض حتى اذا جاء الصبح قام من فراشه و به شعور القائم من عمل قد أضناه حتى عمه الكلال والتعب و يبقى طول نهاره وهو مغموم كئيب لا هو بالنائم ولا هو بالمستيقظ ذابل العينين هامد الاعصاب عصبي المزاج يتهيج للشيء التافه الذي يبتسم له غيره . ويمكن ان يقال على وجه الاجمال ان السعادة والارق لا يأتلفان

وربما كان اقوى اسباب الارق الهموم يذهب بها الانسان الى فراشه فتبقى اعصابه متوترة وعقله منتبهاً . وما دامت الاعصاب لا تسترخي فان الجسم لا يسترخي ايضاً ولا يمكن النوم بلا استرخاء . فمها بسطنا ذراعينا وساقينا ومهما كانت هيئة رقادنا انسطاحاً او انبطاحاً فان الجسم يبقى متنبهاً متوتراً ما دامت اعصابه لم تسترخ بعد باسترخاء الدماغ . ولن يحدث الاسترخاء ما دام العقل يفكر في هموم اليوم او الغد . فأول شرط لجلب النوم ان ينسى الانسان همومه وذلك بأن يكبر من شأن نفسه وصحته ويتفاءل في العالم ويصغر قيمة هذه الهموم

وتبقى بعد ذلك اسباب أخرى للأرق :

١ ــ فمنها ضعف الصحة بفقر الدم او ضغطه وهنا تجب المعالجة

٢ ــ وهناك امراض تساعد على الارق كالربو او الاورام المخية التي تحدث من بعض الامراض

٣ ــ التسمم الحادث إما من مرض كالغوطر وإما من تعاطي بعض المخدرات السامة

٤ ــ تناول الكثير من الطعام في العشاء . فان العشاء القليل يجلب النوم ولكن الكثير ينبه الجسم

٥ ــ اذا زاد الاحساس بالتعب العقلي او الجسمي امتنع النوم . لان التعب الخفيف يجلب الاسترخاء فينام الانسان بسرعة ولكنه اذا زاد احدث في الجسم ألماً مصحوباً بتوتر في الاعصاب فيبقى الانسان متنبهاً لا يستطيع النوم

هذه هي اهم الاسباب الثانوية للارق ولكن السبب الاوّلي المهم هو كما ذكرنا تراكم الهموم . والغالب ان من ينجو من الهموم او يتمكن من التسلط عليها يستطيع ان يعالج الاسباب الاخرى . وان كانت هناك امراض كضغط الدم مثلاً ليس من السهل علاجها . ولكن هذه الامراض قليلة

الحدوث والتأثير في النوم اذا قابلناها بالهموم التي تقتل الناس وهم احياء · وقد يظن القارئ الذي لم يختبر همّاً مضنياً ان نفي الهموم سهل ولكن الواقع انهُ من اشق الاعمال يحتاج الى ذكاء وحزم لان صاحب الهم مع كراهته له وخاصة اذا رأى اثره في الارق يتعلق به كأنهُ يحبه ويجتره ويلذ له اجتراره

اولادنا وكيف نربيهم ؟

قال احد كبار المشتغلين بالتربية : إذا اردنا ان ينشأ الجيل الجديد في قوة وجمال وجب علينا ان نراعي هذه القواعد الست في تربية اولادنا

١ — غرس العوائد الحسنة في طباعهم حتى لا تشق عليهم المعيشة الطاهرة النظيفة

٢ — تعليمهم كيف يلعبون حتى تمتلىء قلوبهم مرحاً وبهجة

٣ — تعويدهم العمل حتى يتكون ضميرهم ويعرفوا لهم مهمة في الحياة غايتها تقدم الانسانية

٤ — التشجيع لاننا اذا شجعناهم على العمل الحسن ارتبطوا بنا برباط شريف ونظروا الى العالم نظرة اخاء

٥ — ان نساعدهم على ان يكون لهم غرض في الحياة حتى لا يعثروا قواهم ولا يتعجلوا الاشياء

٦ — ان نعلمهم كيف ينقدون اعمالهم حتى لا يستسلموا للغرور والعجب

الغبار في الهواء

اكبر ما يفسد الهواء وينشر الامراض في مصر هو الغبار الذي يجرح حماليق العين ويهيئها لقبول ميكروب الرمد ويجرح الرئة ويهيئها ايضاً لقبول التدرن · وهو ايضاً يعوق أشعة الشمس عن الوصول الى الاجسام وان كان هذا العامل قليل الاثر في بلادنا · ومما زاد الغبار في مصر حديثًا انشاء عدة سكك زراعية تسير عليها الاتومبيلات والعربات فتثير أرضها غباراً يملأ الفضاء لان هذه السكك غير مغطاة بالاسفلت أو الاحجار ولا تمكن المواظبة على رشها بالماء حتى يثبت التراب بالرطوبة · وهذه السكك اكبر أذى الآن في مصر فانها تجعل النزهة في الريف عذاباً لا يطاق · وقد كانت السكك القديمة الضيقة التي تنبت فيها الاعشاب ولا يمشي عليها سوى الدواب اقل اذى للناس من هذه السكك العريضة لانها كانت في العادة مظللة بالاشجار قليلة الغبار · ولا يمكن ازالة الرمد والتدرن من القطر المصري ما لم تنفق الملايين من الجنيهات على تعبيد الطرق وتغطيتها بمادة جامدة لا يستثار منها غبار

أولاد الريف وأولاد المدن

يقول المستر بورنام من اساتذة جامعة كلارك : ان صحة اولاد الريف على الرغم من معيشتهم في حضن الطبيعة في الشمس والهواء هي دون صحة اولاد المدن · وهذه حقيقة يود الانسان لو ان في المستطاع تكذيبها · ولكن الاستاذ بورنام يدعمها بالاحصاء المأخوذ من فحص التلاميذ في المدن والريف ويعلل هذه الحقيقة بأن اولاد الريف لا يمارسون الرياضة التي تقيم اود الجسم وتكسبه الرشاقة التي ترى في اولاد المدن لما ينشأ فيهم من العضلات · واولاد الريف لا يرتاضون لان آباءهم يجدون في اعمالهم الريفية ما يجعلهم في غنى عن الرياضة · ولكن الواقع ان هذه الاعمال لا تقوم مقام الرياضة · ونحن كثيراً ما نصف الصبي الريفي بأنه ربك خلو من الرشاقة في حين ان صبي المدن ورش خفيف · ويرجع هذا الفرق في رأي الاستاذ بورنام الى ان صحة الريفيين من الاولاد أسوأ من صحة سكان المدن.

كيف تكافح الصلع ؟

اذا كان الصلع في بدء غارته فيمكنك ان تكافحه بمراعاة ما يلي :

١ — اجتنب كل غطاء للرأس يحزق العروق لان العروق تغذي فروة الرأس

٢ — اجتنب الغطاء الثقيل لانه يولد العرق وفي العرق احماض تؤذي الشعر

٣ — لا تغسل شعرك كثيراً بالصابون

٤ — لا تستعمل مشطاً دقيق الاسنان ولا فرشاة خشنة

٥ — افضل ما يدلك به الشعر من وقت لآخر مح بيضة مضروب

٦ — اذا كان الشعر جافاً فيجب دلكه بزيت الخروع

٧ — لا تحلق الشعر اذا رأيته يتساقط لان الشعر القصير يتساقط اكثر من الطويل

الكهربائية في المنازل

أصبحت الكهربائية في المنازل مألوفة لها أدواتها المتعددة التي لا تقل عن أدوات المطبخ وقد رأت احدى المدارس في كليفورنيا ان تعلم تلاميذها وتلميذاتها ، لهذا السبب ، كيفية وضع الاجراس والمصابيح واصلاح التلفون ونحو ذلك اذ ان معرفة هذه الاشياء لا تحتاج الى علم كبير والحاجة اليها الآن شديدة وستشتد اكثر في المستقبل حين لا يستغني منزل عن تلفون او راديو او موقد كهربائي او نحو ذلك



اعجاز القرآن ـ لمصطفى صادق الرافعي

طبع بمطبعة الرحمانية بمصر ، عدد صفحاته ٢٦٥ من القطع الكبير وثمنه ٢٠ قرشا

وضع هذا الكتاب الاستاذ مصطفى صادق الرافعي وموضوعه كما يدل عليه عنوانه بيان ما في القرآن من البلاغة المعجزة . وهو يبحث هذا الموضوع في فصول مختلفة منها : الاحرف السبعة . مفردات القرآن . معارضو القرآن . القراءة وطرق الاداء . عجز المولدين عن السور القصار . الكلمات وحروفها . الجمل وكلماتها . القرآن نفس الوحي الخ

وليس أحد من الكتاب في مصر يجهد جهده كله ويعني أكبر عنايته بالاسلوب الحسن وانتقاء الالفاظ البارعة والعبارات الفخمة الى المعاني الفريدة مثل الاستاذ الرافعي . فالانسان يقرأ الفصل بعد الفصل من الكتاب يستهويه طرب اللفظ وايقاع العبارة وحسن المعنى حتى يكاد ينسى نفسه ومهما اطرينا فلن نبلغ ما كتبه دولة الرئيس سعد زغلول في رسالة أرسلها الى المؤلف قال فيها :

« تحدى القرآن أهل البيان ، في عبارات قارعة محرجة ، ولهجة واخزة مرغمة ، أن يأتوا بمثله او سورة منه فما فعلوا ، ولو قدروا ما تأخروا لشدة حرصهم على تكذيبه ومعارضته بكل ما ملكت أيمانهم واتسع له امكانهم . هذا العجز الوضيع بعد ذاك التحدي الصارخ هو أثر تلك القدرة الفائقة ، وهذا السكوت الذليل بعد ذاك الاستفزاز الشامخ هو أثر ذلك الكلام العزيز . ولكن قوماً أنكروا هذه البداهة وحاولوا سترها ، فجاء كتابكم « اعجاز القرآن » مصدقاً لآياتها ، مكذباً لانكارهم ، وأيد بلاغة القرآن واعجازها بأدلة مشتقة من أسرارها : في بيان مستمد من روحها ، كأنه تنزيل من التنزيل ، او قبس من نور الذكر الحكيم »

وحسب القراء هذه الشهادة التي قلما ينال مثلها مؤلف في مصر من مثل صاحب الدولة سعد باشا . وقد أحسن المؤلف في اتقان الطبع وابراز الكتاب في حلة فاخرة من الورق الجيد والطبع الحسن تمتاز من الطبعة الاولى التي نفدت وكان نفادها برهاناً ساطعاً على حاجة القراء الى هذه الطبعة الثانية

الطليعة ـ لابراهيم الدباغ

الجزء الاول من أشعار ابراهيم الدباغ عدد صفحاته ١١٦ من القطع الكبير

الاستاذ الشيخ ابراهيم الدباغ من أخف الادباء روحاً حسن المؤانسة محدث يأتي باللطيفة ويحط على النكتة الغامضة ليس أحد يعرفه يستثقل ظله او يسأم محادثته · وله شيطان يدفعه من وقت لآخر لحياكة القصائد ولكنه يخدعه أحياناً كما ترى في قوله في الحجاب والسفور :

«هبوا أن الشرائع لم تنوّه … بربات البراقع والخدور
فحسبكمو دليلاً ما سمعنا … صداه في المنازل والقصور
بأن فضائل الدنيا عليها … حجاب والرذائل في سفور
ولو أنصفتم يوم استهنتم … بأمر الدين في الزمن الاخير
لقلتم بالنقاب لذات خدر … وللمفتون ذي الشنب الطرير
وأغلقتم على الخدرين باباً … وشيدتم عليه الف سور
حديث ابن ام مكتوم جحدتم … وقلتم قصة وكتاب زور
فما بال الفرنجة قد تداعوا … لمنع الغانيات من السفور»

والكتاب على هذا النسق · وكل قارئ يعني بمكتبته لا بد أن يزودها بديوان الدباغ فانه يذهب صدأ السأم ويسري عن النفس ما تجد من معاناة الدرس

الرمل والزبد ـ لجبران خليل جبران

كتاب باللغة الانجليزية صفحاته ٨٠ من القطع المتوسط
مجلد بالقماش وناشره الفرد كنوبف في نيويورك

جبران خليل جبران من كتاب العرب الذين يجيدون معرفة الادب الانجليزي ويبتدعون فيه وله الآن اربعة كتب مشهورة في الانجليزية قد نقل بعضها الى العربية · وهو يمتاز من سائر أدبائنا بقوته على الاداء بالريشة والرسم كما يؤدي بالقلم والكتاب · وكتابه هذا «الرمل والزبد» هو مجموعة من الكلمات البارعة والجمل الفاصلة والمقطوعات الشعرية والامثال وقد زينه برسوم وصور رمزية غاية في الابداع

واليك بعضاً من أقواله :

« في كل رجل عظيم شيء صغير · وهذا الشيء الصغير هو الذي منعه من الخمول او الجنون او الانتحار

من الحكمة ألا يكسر الاعرج عكازته على رأس عدوه

انه اعمى ذلك الذي يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك

الكراهية موت · من منكم يرضى ان يكون قبراً ؟

صمت الحاسد حافل بالضوضاء

المتعصب خطيب اصم

السلاحف تعرف الطريق احسن من الارانب

لولا الضيوف لكانت المنازل مقابر

لا نبلغ الفجر الا بطريق الليل »

والكتاب على هذا النسق من البلاغة الرصينة التي هي وضوح المعنى مع ايجاز اللفظ · وعسى أن ينقل قريباً الى العربية حتى يتمتع ابناء العرب بآثار نابغتهم في الغرب

الطب والتحنيط في عهد الفراعنة

تأليف الدكاترة جيار وسمث وريتر وترجمة انطون ذكري

طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة عدد صفحاته ٢٠٧ من القطع الكبير

هذا الكتاب النفيس هو مجموعة من تاليف الدكاترة جيار وسمث وريتر نقله الى العربيـة الاستاذ انطون ذكري أمين مكتبة المتحف المصري · وهو كعنوانه يبحث موضوعي الطب والتحنيط عند قدماء المصريين وفيه فصول عن التشريح والجراحة · الرمد ومعالجتـه · الرضاع والفطام · التدرن · البلهارسيا · داء الفيل وكيفية معالجة قدماء المصريين لهـذه الآفات · ثم فصول مسهبة عن التحنيط وأنواعه والتوابيت عند المصريين وعند سائر الامم التي نقلت التحنيط عن المصريين · وقد قال عن التحنيط عند اليهود :

« أقام اليهود في مصر قروناً كثيرة متمسكين بعوائدهم متباعدين عن اي تقليد للعوائد المصرية البحتة في ذلك العهد · ومع اصرارهم على اجتناب التقليد بغيرهم استعملوا التحنيط بعد نفيهم لرجالهم العظماء

· « وقد ذكر في التوراة ان يوسف حنط جثة ابيـه يعقوب (سفر التكوين الاصحاح ٥٢) « وأمر يوسف عبيده الاطباء ان يحنطوا أباه فحنطه الاطباء ، وكمل له اربعون يوماً لانه هكذا تكمل ايام المحنطين » « و بعد سبعين يوماً من وفاة يعقوب نقله ابنه يوسف الى ارض كنعان في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها ابراهيم لعملها مدفناً له ولزوجته سارة · فصعد يوسف ليدفن أباه وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ ارض مصر ، وصعد معه مركبات وفرسان · ثم مات يوسف نفسه وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطه المصريون ووضع في تابوت في مصر (سفر التكوين ٥٠ ـ ٥١) »

والكتاب موضح برسوم عديدة بلغت ١٩٤ رسماً تسهل على القارىء استيعاب المعنى

العصور القديمة

تأليف برستد وترجمة داود قربان

طبع بالمطبعة الاميركية ببيروت عدد صفحاته ٤٨٧ من القطع الكبير ومجلد بالقماش

هذا الكتاب الذي وضعه الاستاذ برستد العالم في الآثار المصرية وأحد أساتذة جامعة شيكاغو من الكتب الفريدة التي يعد نقلها ربحاً عظيماً للغة العربية . وقد احسنت جامعة بيروت في نقله بقلم الاستاذ داود قربان وهي جديرة لذلك بشكر العالم العربي كله . فمثل هذا الكتاب يعز وجوده وهو يذكرنا بتلك الكتب العظيمة التي كان يضعها الدكتور فانديك في احياء العلوم باللغة العربية . والدكتور فانديك هو احد مؤسسي جامعة بيروت

والكتاب على ضخامته موضوع على الاسلوب المدرسي من حيث الصور والخرائط وتبويب الكتاب . وليس معنى هذا انه لا تلذ قراءته بل انها الى الفائدة اقرب منها الى اللذة وكل الذين اعتادوا أن يجدوا لذتهم في منفعتهم سيقرؤونه بلذة تفوق ما يجد محب القصص في قراءة قصة

وهو يبدأ بفصل في الادوار بين الاقدمين ثم الشرق ثم اليونان ثم الاسكندر وجمهورية رومية ثم الامبراطورية الرومانية . وكل من هذه الابواب مقسم الى فصول . والمؤلف لا يسرد تاريخ الفراعنة او الامبراطرة بل يعمد الى الحضارة فيحللها ويبحث ما فيها من فنون وعلوم وصناعات

ولا نفي الكتاب حقه اذا اقتطعنا منه قطعة على سبيل الانموذج وانما نقنع باقتباس هذه الاسطر الاخيرة :

« واذا نظرنا الى الآثار التي غادرها الانسان في سيره الطويل من قفار الهمجية الى رياض المدنية ، وجدناها كما يأتي : الفؤوس اليدوية الحجرية مطمورة تحت الحصى والرمال في انهار فرنسا . وأثاث قرى البحيرات السويسرية المشيدة على العُمد الخشبية المغروزة في البحيرات . والاهرام الفاخرة والهياكل معلنة بزوغ شمس العمران فوق ضفاف النيل . والتلال المتكونة من بقايا المدن الساكنة المهجورة على الرافدين محفوظاً فيها عدد كبير من ألواح الآجرّ . وقصور كريت شاخصة الى البحر الذي كانت قديماً متسلطة عليه . وهياكل اليونان البديعة ونقوشها الانيقة التي تحدثنا الآن بغير لسان عن عالم الجمال والحرية الجديد الذي اكتشفه اليونان انفسهم . والسكك الرومانية المتقنة والقنوات معلنة تفوّق رومية وما فيهـا من الحكم المنظم . والكنائس المسيحية داعية الى المثال الجديد للاخوّة المسيحية . ولا تزال تلك الآثار المدهشة تدلنا حتى الآن على الطريق التي سار عليها اسلافنا الاولون والتي بتتبعنا لها تمكنا من الحصول على الفصول الاولى من قصة البشر العجيبة التي ندعوها بالتاريخ القديم »

والكتاب على هذا النسق يروي تاريخ الانسان القديم بلغة سهلة واضحة خالية من التحذلق او التفاصح الذي كثيراً ما يزيغ بصر القارىء عن الموضوع

الآراء والمعتقدات

تأليف جوستاف لوبون وترجمة محمد عادل زعيتر

طبع بالمطبعة العصرية بالفجالة بالقاهرة عدد صفحاته ١٩٧ من القطع الكبير

هذا الكتاب هو للدكتور جوستاف لوبون العالم الفرنسي المشهور والعدو الازرق للاشتراكيين. وليس بين العلماء من يستغل المباحث النفسية الاخيرة للبحث في الآراء والعقائد مثل جوستاف لوبون. فهو يبحث في تأثير العقل الباطن في العقل الظاهر أي تأثير الواعية الخفية في العقل الواعي. وقد أحسن الاستاذ محمد عادل زعيتر في نقل هذا الكتاب الى العربية والقراء يعرفون انه سبق ان خدمهم خدمة جليلة بنقل كتاب « روح الاشتراكية » للمؤلف نفسه

والكتاب يبحث في علة العقيدة في الافراد و ينكر ارجاعها الى المعرفة وانما هو يردها الى العقل الباطن والى العواطف ومن هنا يفسر اعتقاد العلماء المجربين في الارواح وفي النقر على الموائد ونحو ذلك

و بالكتاب فصول عن المنطق الديني . فناء روح الفرد في روح الزمرة . الجرائد والكتب . العدوى النفسية كيف تنبت . المعتقدات و كيف تموت الخ . واليك ما يقول عن تأثير الكتب والصحف :

« للجرائد والكتب تأثير كبير في تكوين الآراء وان كان دون تأثير الخطب ، ومع ان تأثير الكتب التي لا تقرؤها الجماعات أقل من تأثير الجرائد فانه ظهر منها ما أدى الى قتل ألوف من الناس ككتب (روسو) التي كانت توراة زعماء دور العهد وكتاب «غرفة العم طوم» الذي أثر كثيراً في نشوب حرب الانفصال الاميركية الدامية ، وتوجد كتب أخرى كرواية (روبنصن كروسو) وروايات (جول فيرن) أثرت في آراء الشباب فكانت سبباً في تعيين كثير من مهنهم ، وقد كان نفوذ الكتب واسعاً عند ما كان لا يقرؤها سوى الاقلين ، فكل يعلم كيف أدت مطالعة التوراة في عهد (كرومو يل) الى ظهور كثير من المتعصبين في انكلترا ، وكل يعلم ان روايات الفروسية أيام تأليف رواية (دون كيشوت) بلغت في افسادها النفوس مبلغاً جعل ملوك الاسبان يمنعون بيعها

« وتأثير الجرائد في الوقت الحاضر أعظم من تأثير الكتب ، فالذين ليس عندهم من الآراء ما في الجرائد لا يحصى عديدهم ، وقد تجلى تلقين الصحف اليومية في جميع الامور حتى في كثير من حوادث الزمن الحالي الجسيمة . فمن المسائل المعروفة هو أن الصحافيين هم الذين أوقدوا نار الحرب بين الولايات المتحدة وأسبانيا »

والكتاب من الكتب المفيدة قائم على أبحاث حديثة بل هي أحدث الابحاث في علم النفس

لماذا أنا مسيحي - لفرانك كرين

عربه بتصرف قليل الارشمندريت انطونيوس بشير
طبع هذا الكتاب ونشره يوسف توما البستاني صاحب
مكتبة العرب بالفجالة بالقاهرة . عدد صفحاته ٣٤٦ من القطع المتوسط

الدكتور فرانك كرين من كتاب اميركا المعدودين يتكالب القراء على مطالعة مقالاته القصيرة التي يجمع فيها المعاني الكبيرة في الالفاظ الصغيرة والعبارات السهلة . وهذا الكتاب يعبر عن ايمان رجل كبير العقل مخلص في اقواله . وقد أجاد المترجم في تأدية افكاره بلغة ناصعة وأسلوب طلي . ولعل ذلك لان الكتاب وفق هوى الناقل

وبالكتاب أبحاث عديدة كلها تنبض بالايمان مثل : « أنا مسيحي لان المسيحية هي القوة الوحيدة في الارض التي تعدنا بوحدة العالم في مملكة واحدة » و « الوهم في السلامة » و « الوهم في ضرورة العقاب » و « الوهم في منفعة القوة » الخ . واليك بعض ما يقوله عن العقاب :

« ان الرأي القائل بأن المنفعة الذاتية هي الينبوع الذي تنفجر منه مياه تصرفنا وسلوكنا في الحياة ، وان جميع الناس هم بطبيعتهم عبيد أرقاء للشر - ولا يمكن حفظهم منه الا عن طريق الحواجز الصناعية - هو رأي يخترق افكار العالم ويسود عليها في جميع فروعها

« ولو كانت لنا بصائر ثاقبة لكنا نرى هذه الحقيقة الناصعة التي تتضح لكل من يعمل على درسها درساً صحيحاً . لان سجون العالم المتمدن لا تصلح أحداً من الناس وقد أتيح لي ان اخبر احوال السجون في الولايات المتحدة وما يجري فيها من الاعمال في مدة ثلاث سنوات قضيتها في ادارة السجون في ولاية ايلينويز . فقد فحصت نحو ثلاثة آلاف دعوى لثلاثة آلاف سجين . وقد طالما تحدثت مع رؤساء السجون والعاملين فيها غير انني لم اسمع قط ان عقوبة السجن قد نزعت الرغبة في الاجرام من صدر سجين واحد قط . بل بالعكس كنت ارى أمامي في كل يوم بينات متعددة على ان السجون تربي الناس على محبة الجريمة والرغبة في المضرة والاذية حتى دعاها احد الثقات في الموضوع ، « بواتق الجرائم »

« أجل ، ان سجون الولايات المتحدة ، عوضاً عن ان تستأصل الجرائم ، تخرج في كل سنة مائة وعشرة آلاف تلميذ قد استكملوا دروسهم في جامعة الجرائم

« فاذا اقترف الانسان جريمة الفحشاء مثلا ، فهو يظهر بذلك انه رجل مريض ، كما لو كان مصاباً بذات الرئة او غيرها من الامراض . فهو والحالة هذه ضعيف القوة الادبية والفكرية ولا تجديه عقوبته اقل فائدة ، بل بالعكس من ذلك تزيد في ضعفه واعتلاله . وافضل طريقة لتقويم اعوجاجه ان يرسل الى مستشفى يعنى بازالة مرضه . . . »

والكتاب على هذا النسق من البحث الطلي والروح العالية والاسلوب السهل



تنبيهات : (١) يكتب السؤال واضحاً مختصراً على حدة ويعنون باسم محرر « الهلال » (٢) لا تنشر الا الاسئلة التي نرى فيها فائدة لجمهور القراء (٣) لا نتعرض لما يمس الدين او السياسة (٤) قد نضطر الى تأجيل الجواب لكثرة الاسئلة لدينا (٥) يهمل السؤال اذا لم تستوف هذه الشروط أو اذا لم نعثر له على جواب

القبلة : منفعة أم ضرر ؟

﴿ قطر . البحرين ﴾ صالح بن سليمان المانع

أيهما أفضل في التحية القبلة أم مصافحة اليد ؟

﴿ الهلال ﴾ ليس ينكر ان الاقتصار على المصافحة باليد أدعى الى النظافة من التقبيل بالشفتين . ولكنها عادة جرت بين الناس للتعبير عن الشوق الحار . وهي اذا اقتصرت على ذلك لم يكن لها ضرر يؤبه به . ولكن عادة التقبيل للاحترام عادة سيئة يجب الاستغناء عنها والاقتصار على المصافحة . وقبلة العشق والشوق شائعة بين جميع الامم البيضاء او التي من أصل أبيض . أما الزنوج والصينيون واليابانيون والامرندبون (سكان أميركا الاصليون) فلا يعرفونها . وهذا يدل على ان القبلة تواضع واصطلاح ليس لها أصل طبيعي

اللغة والاداء

﴿ بغداد . العراق ﴾ ضياء الدين الالوسي

هل يقدر الانسان أن يعبر عن جميع ما يدركه بذهنه اذا كان عالماً بلغته ولماذا لا يمكنه التعبير اذا سيطرت عليه عواطفه ؟

﴿ الهلال ﴾ عقل الانسان في تطور مستمر يتحسس المعاني الجديدة ويطلق عليها الالفاظ القديمة . وعلى ذلك فاللغة ناقصة بطبيعتها مهما كانت راقية لان المعاني تتجدد بارتقاء العقل والالفاظ محدودة . ومن هنا صعوبة التعبير عن الافكار الفلسفية فان معظم الخلافات الفلسفية يرجع الى نقص التعبير . وليست اللغة الانسانية عند التحليل سوى الاصوات الجافية الحيوانية دخلها شيء من النظام لما يكمل

أما عجز الانسان عن التعبير عند سيطرة العواطف فللتازم العصبي الذي تحدثه العاطفة الهائجة عليه . فكما اننا لا نحسن عملاً ما بأيدينا لارتعاشها وقت الغضب كذلك لا نملك لساننا وقت الغضب

الياذة هوميروس

﴿ مكة المكرمة · الحجاز ﴾ محمد سعيد العامودي
قرأنا عن شاعر اليونان القديم هوميروس صاحب الالياذة ولكننا وجدنا طائفة من الكتاب ينكرون وجوده · فما رأيكم في ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ الارجح ان الاشعار المنسوبة الى هوميروس قد كتبت في أزمنة مختلفة لغير شاعر وانما نسبت الى هوميروس لان له النصيب الاوفر فيها · كما ترون في الاشعار والقصص المنسوبة الى عنتر بن شداد العبسي فان معظمها موضوع منسوب اليه لشهرته

النسل أم الحب ؟

﴿ عكا · فلسطين ﴾ نجيب مرزوق احمد
هل يجب على الزوج أن يطلق زوجته لانها لا تنسل ؟

﴿ الهلال ﴾ ليس شك في ان النسل من غايات الزواج · ولكنه ليس الغاية الوحيدة فالانسان يتزوج عادة لانه يحب زوجته وما دام الحب حياً وكل من الزوجين يحمد عشرة الآخر فان الزواج يجب أن يبقى · والرجل الذي يترك زوجته عندما يعرف انها لا تنسل كذلك الذي يهجرها عندما يعرف انها لن تشفى من مرض ما

النحاس : أصله ومناجمه

﴿ بصرة · العراق ﴾ طعمة يعقوب الحمداني
من هو أول من اكتشف النحاس وفي أي الاقطار يكثر وجوده ؟

﴿ الهلال ﴾ لا يعرف من هو أول من اكتشفه لكنه أول المعادن التي استعملها الانسان عرفه قبل معرفته الحديد · وأقدم ما وجد من الآلات منه دبوس جاف يرجع تاريخه الى نحو ١٠٠٠٠ سنة وقد وجد في قبر مصري · و « عصر النحاس » في الارخيولوجية يعني تلك المدة التي قضاها الانسان حين كان لا يعرف من المعادن سوى النحاس يصنع منه أدواته وأسلحته · ومناجم النحاس تبلغ الآن ٢٥٠ منجماً في العالم وهي توجد عادة عند بروز الصخور النارية ودخولها في الصخور الرسوبية · وقد بلغ المستخرج من النحاس ٨٦٣٠٠٠ طن في سنة ١٩١٠ وفي سنة ١٩١٧ بلغ ١٣٨٩٣٠٠ طن · منه ٨٤١٢٧٠ طن من الولايات المتحدة و ١٢٢٠٠٠ من اليابان و ٧٤٠٠٠ من شيلي و ٤٩٠٠٠ من كندا والباقي من بيروه والمانيا واسبانيا وبرتغال وروسيا وافريقيا

العقائد والايمان بها

❊ القاهرة . مصر ❊ محمد السيد كحله

قرأت ان احدهم رأى روح امرأة مقتولة يتراءى له بهيئة عفريت . وقرأت أيضاً ان في روسيا زمردة هي شؤم على كل من يمسها . فكيف تعللون ذلك ؟

❊ الهلال ❊ مرجع العقائد الى العواطف لا الى العقل ومن هنا شدة تعلق الانسان بها ولو نافت أحكام عقله . فنحن مع معرفتنا ان الثعبان ميت لا نجرؤ على مسه لما ورثناه من عواطف الكراهية له والخوف منه . ومعظم العقائد نكتسبها في حياتنا من يوم ان نولد دون أن نشعر بها فتندس في عقلنا الباطن وتنشأ لنا عواطف لا ندري معها لماذا نكره بعض الاشياء أو نحبها ولماذا نخاف شيئاً او نشمئز منه . ومعظم العواطف الوطنية والذوقية ترجع الى العقل الباطن ولا سيطرة للعقل الواعي عليها . فقد تجـدون عالماً له قدم راسخة في الاختراع والاكتشاف ولكنه يؤمن بالارواح أو بشؤم بعض الاشياء وقد تكون هذه العقيدة نبتت في نفسه وهو طفل فنشأ عليها حتى وجدها لعلة ما عاطفة قوية في نفسه لا بد من التسليم بها

البلون ودورة الارض

❊ ... الولايات المتحدة ❊ ع . ر . ن .

يقولون ان الارض تدور مرة كل ٢٤ ساعة حول نفسها . فاذا فرضنا ان انساناً ركب بلوناً وارتفع به فوق سطح الارض ٣٠٠٠٠ قدم فهل يمكنه أن يرى الارض تدور اذا كان بلونه ثابتاً في مكانه ؟

❊ الهلال ❊ مهما بعد البلون عن الارض فانه لا يزال في منطقة جاذبيتها فهو لذلك يدور معها ولو لم ينتقل من مكانه في الهواء . ولا يمكن الانسان أن يرى الارض تدور الا اذا خرج من هذه المنطقة . وهذا الآن محال لانه يحتاج الى أن يبعد عنها ملايين الاميال

السل في الحيوان

❊ الزبير . بصرة . العراق ❊ سائل

ما هي الحيوانات التي تصاب بالسل وهل تنتقل عدواه الى الانسان منها ؟

❊ الهلال ❊ بين الطيور وخاصة العصافير عدد كبير يموت بالسل . ومعظم القردة العليا يمرض بالسل . اذا وضعت في أقفاص أما وهي في الغابات فالاغلب انها لا تصاب به كثيراً والبقر يصاب بالتدرن (السل) كثيراً وتنقل عدواه الى الاطفال بواسطة اللبن اذا لم يغلَ جيداً ويحسن أن يغلى مرتين بين المرة الاولى والثانية نصف ساعة

أقدم الحكومات

❊ مندلي . العراق ❊ ظ . البندنيجي

أيهما أقدم : الحكومة البابلية أم الحكومة المصرية ؟

❊ الهلال ❊ الرأي الجديد الآن يتجه الى أن مصر هي أقدم أقطار الارض عمراناً . وان عمرانها هو أصل عمران سائر الاقطار سواء في العالم القديم أم الجديد . وزعماء هذا الرأي هم رفرز وبري واليوت سمث . وعلى ذلك فحكومة مصر أقدم من حكومة بابل

الخنازيري

❊ بغداد . العراق ❊ مشترك

ما هو الخنازيري وما هي أسبابه وكيف يعالج ؟

❊ الهلال ❊ الخنازيري داء يعتري الجسم يصحبه تضخم في الغدد اللمفاوية في العنق وهو من أنواع التدرن يصيب الاطفال والصبيان عادة وقلما يصيب البالغين . ومن أعراضه الاسهال أما أعراضه الاخرى فتضخم العنق وضعف الجسم . ويعالج كما يعالج التدرن بتقوية الجسم وتنشيطه ويمكن تخفيف التقيح الحادث في الغدد اللمفاوية بفتحها وعصرها

التدرن وعدواه

❊ الزبير . العراق ❊ سائل

هل ينشأ التدرن بطريق غير العدوى أي بطريق الوراثة ؟

❊ الهلال ❊ كلا . لا بد من العدوى . أما اذا كان الابوان او احدهما مصاباً بالتدرن فالابن ينشأ وبه استعداد فقط للتدرن ولكنه اذا حافظ على صحته وراض جسمه وغذاه ولم يعتد عوائد تضر الصحة ولا عاش في أماكن وخمة فانه لا يصاب البتة بالتدرن . وكل ما هنالك أنه يجب عليه أن يعنى بنفسه اكثر من سائر الناس من حيث تجنب البرد والغبار والمسكرات والامراض المنهكة للقوى والانغماس في الشهوات

لون الالماس

❊ مصر ❊ ك . ل .

هل يمكن ان يتغير لون حجر الالماس بطريقة علمية ؟

❊ الهلال ❊ طالعنا اخيراً في احدى المجلات العلمية خبراً مؤداه انهُ يمكن بتسليط أشعة الراديوم على الالماس تغيير لونه فقد غير احدهم الماسة مصفرة وجعلها بيضاء مزرقة . ولكن التجارب لا تزال تجري في هذا الموضوع ولم تتيسر الاستفادة منها تجارياً



الساعة في عين القط

روى احد المرسلين الفرنسيين في الصين انه خرج مرة يتمشى في الحقل واراد ان يعرف الوقت وكانت السماء غائمة . فمر به صبي صيني فسأله المرسل عن الوقت فنظر الصبي الى السماء اولاً ولكنه لما لم يهتد عمد الى كوخ قريب فدخله وعاد منه ومعه قطة وهو يقول للمرسل : انظر الى عيني هذه القطة . اننا لم نصر بعد في الظهر

وظن المرسل ان بالصبي بلهاً فتركه . ولكن الذين قرؤوا روايته عمدوا الى القطط لتحقيق هذا الخبر فالفوه صحيحاً . فان انسان العين في القط يتسع في الظلام و يضيق في الضوء . وهو كلما زاد الضوء ضاق وكلما قل اتسع . فمن المعقول ان يبلغ اقصى ضيقه وقت الظهر كما قال ذلك الصبي الصيني

ألفافة تبغ ام علبة نشوق ؟

يكثرون من انتقاد النساء اللواتي يدخنّ جهاراً ويقولون ان امهاتهنّ وجداتهن كنّ اكثر احتشاماً منهنّ ، ولكن فاتهم ان النساء في صدر القرن الثامن عشر مثلاً لم يكنّ يدخنّ لفائف التبغ ولكنهنّ كنّ يزاولن النشوق سراً وعلانية مجاريات الرجال في تلك العادة ، وفي نسخة من جريدة « سبكتاتور » الانكليزية الصادرة منذ قرنين من الزمان نبذةٌ بعث بها اليها احد مراسليها وهذه خلاصتها :

« انتحلت فيلافيلا عادة بنات طبقتها ، فهي تخرج من جيبها علبة النشوق اثناء الوعظ ولكي تظهر ان لها جرأة المرأة المتأنقة تقدم العلبة للسادة والسيدات الذين الى جانبها . ويوم الاحد حين يجمعون « الفلس » الذي يجود به المؤمنون تلقي فلسها بكل ارتياح ثم تدعو الشخص الذي يجمع « الفلس » الى تناول شيء من النشوق من علبتها »

و يبين للواقف على هذه النبذة ان فلافيلا كانت متطرفة في استعمال الحرية نظير الكثيرات من بنات جنسها في هذه الايام

الكتاب الطيب

عرض « فويل » من اكبر تجار الكتب في لندن مكافأة لمن يروي اصلح مثل قيل عن منفعة الكتب . فنال الجائزة واحد اورد مثلاً عن ملتون الشاعر المشهور وهذا المثل هو : من قتل كتاباً طيباً كمن قتل رجلاً طيباً

قبيلة من الاقزام

من أنباء ملبورن ان رجلاً المانياً اسمهُ ايدلبرغ صعد في نهر صامو ماراً باقاليم مجهولة فعثر في مكان يبعد نحو مائتي كيلومتر عن الاماكن المأهولة بالناس على قرية تأوي اليها قبيلة من الاقزام. ولم تكن قامة الواحد منهم تزيد عن أربع اقدام ونصف قدم ، وهم بيض البشرة ، يعيشون بين الآجام والادغال في اكواخ مصنوعة من الطين والقصب . وهم يقتاتون من الاسماك والحيوانات البرية ، ولا يعرفون من السلاح الا القوس والسهام . وحدث ان الذعر داخلهم عند رؤيتهم أشخاصاً تامي الخلق وتوهموهم جبابرة ولكنهم ما لبثوا ان استأنسوا بهم

طوابع البريد في فرنسا

كانوا قبل الحرب يلصقون على الرسالة في فرنسا طابعاً قيمته عشرة سنتيمات وقد زادوا قيمة ذلك الطابع فيما بعد حتى بلغت اليوم ٥٠ سنتيماً أما الرسالة الى البلدان الاجنبية فيلصق عليها طابع قيمته فرنك ونصف فرنك ، والطوابع البريدية استعملت لاول مرة في فرنسا في أول يناير سنة ١٨٤٩ ، فكانت دار سك النقود تصنع تلك الطوابع في بدء الامر ثم صار بعض الافراد ومصرف فرنسا يصنعون ذلك على سبيل الالتزام . وفي شهر يوليه سنة ١٨٨٠ استقلت ادارة البريد بصنعها في مصانع خاصة بجادة برون (عدد ٧٥ و٧٧) في باريس

شفاء الثآليل

كثيراً ما تظهر ثآليل على الايدي فيعمدون لازالتها الى طرق متعددة ولكن تترك أثراً بعد زوالها ويقولون ان للشفاء منها طريقة جديدة وهي الوهم ، وأول من استعملها هو الدكتور بونجور من لوزان ، وهو يزاولها اما بصورة بسيطة واما بالتنويم المغنطيسي . وقد اذاع جميع حوادث الشفاء التي تمت على يده ، ومن جملتها حادثة جندي كانت الثآليل تغطي يديه فازال قسماً منها بالكي الكهربائي وقال له انهُ في الغد يزيل ما بقي منها ، ولكن لم يبق في الغد أثر لها فقد زالت سواء ما عولج منها وما لم يعالج ، ويكثرون الآن من الكلام عن معالجة السرطان على هذا المنهاج . فما رأي حضرات الاطباء في هذا الامر ؟

قبل فرنكلين

قبل ان يعنى فرنكلين بالبحث عن الصاعقة وطرق توقيها وقبل ان يعرف الناس نظرية الكهربائية كانوا يعملون لدفع مضار الصواعق ، فان عالماً اسمهُ جربرت اقترح في آخر حياته طريقة للوقاية من الصواعق عند حدوث الزوابع فكان يغرز في الارض على مسافات قضباناً طويلة تنتهي بحديدة كرأس الحربة ، وكانت الصاعقة تنقض على تلك القضبان وتتغلغل في الارض ، ولم تكن

الزروع المجاورة للقضبان المذكورة تحفظ من مضار الصاعقة فحسب بل كانت تحفظ أيضا من غوائل البرَد . على ان جربرت هـذا الذي كان من اقليم اوفرنيا لم يهتدِ الى تلك الطريقة بواسطة علمه ومطالعاته بل وفقاً لتقاليد قديمة كانت معروفة عندهم . و بعضهم يزعم انها ترتقي الى عهد شارلمان الكبير

حقوق الرجل

قصت عقيلة شبلان شعرها ايثاراً للتقاليد الحديثة دون أن تستشير زوجها في ذلك فاستشاط هذا غضباً عليها واسمعها من قوارص الكلام ما جعلها تهجره وتولي البيت ظهرها . فرفع الامر الى المحكمة وأقام عنهُ وكيلاً المحامي لاجوجاي دي لاشابل ، فاصدرت المحكمة حكماً بانفصال كل من الزوجين عن الآخر معلنة ان الحق بجانب الزوج

الاعتداء على ملك اسبانيا

ان ملك اسبانيا ميمون الطالع فقد نجا مرات عديدة من المكايد التي نصبها له السفاحون ، ومن جملة تلك المكايد المكيدة التي دبرت له عند زيارته لباريس سنة ١٩٠٥ فانهم وهو مار بشارع روهان القوا عليه قنبلة انفجرت بعيداً عنهُ وتطايرت شظاياها دون ان تمسه وكان جالساً في العربة الى جانب المسيو لوباي رئيس الجمهورية في ذلك العهد فالتفت اليه وقال له هذه : « فرقعة » وقد تعودت سماع مثل هذه « الفرقعات » . واستأنف الموكب سيره

التلاعب في العملة

ان التلاعب في العملة قديم العهد ومما يذكر في هذا الصدد حادثة جرت في عهد فيليب الثاني سليل العاهل شارل الخامس (شارلكان) ، فقد كان فيليب شديد الحسد لانكلترا . سعى لشن الغارة عليها سنة ١٥٨٧ ، واتفق مع مصرف في جنوى على ايجاد المال اللازم لتلك الغزوة الا ان سر ذلك التدبير افتضح بسبب خيانة بعض المقربين من العاهل فاغتنم الماليون الانكليز تلك الفرصة واستخدموا دهاءهم لاحباط مساعي فيليب الثاني ، فقد احرزوا جميع التحاويل المسحوبة على المصرف الجنوي وقدموها دفعة واحدة لتسلم قيمتها ، فاستنفدوا جميع المال الموجود في المصرف ، و بهذه الحيلة نجت انكلترا من تلك الغزوة

ضريبة على المسافرين

تتفنن الحكومات في وضع الضرائب ، فيضيق ذرعاً بها الشعب ويرتفع صوته بالشكوى ، وقد اصدرت مؤخراً حكومة اليونان قراراً يقضي بوضع ضريبة على المسافرين الى البلدان الاجنبية لاجل قضاء فصل الصيف وهذه الضريبة تستوفى من شهر ابريل الى شهر سبتمبر . فالمرأة المسافرة وحدها

تدفع مبلغاً يوازي عشرة جنيهات انكليزية ، والولد حتى الرابعة عشرة من عمره يدفع ما يعادل ثلاثة جنيهات انكليزية ، والعائلة المؤلفة من اكثر من ثلاثة أشخاص لا تدفع اكثر من خمسة عشر جنيهاً . ويستثنى من هذه الضريبة الذين يسافرون انتجاعاً للعافية ورجال الحكومة وطلبة العلم واليونانيون المقيمون في البلدان الاجنبية والمهاجرون الفقراء

قبل امرأتك

مثُل فيرين بوهورنيك أمام القاضي في فينا لاقامة امرأته الدعوى عليه بانهُ لم يقبلها الا مرة واحدة في السنة ، وذلك مدة ست سنوات . ومما هو انكى من ذلك انهُ كلما تخاصمت امرأته مع أمه كان يقبّل هذه الاخيرة لكي يعزيها . الا ان المحكمة برأته بعد ما وعد بانه سيحسن تصرفه مع زوجته في المستقبل

احصاء حاصلات الليمون البرتقال

قرأنا في احدى الجرائد احصاء لحاصلات الليمون البرتقال في العام فكان ٦٥ مليون صندوق يجنى منها من الولايات المتحدة ٣٤ مليوناً ، وتأتي بعدها اسبانيا فانها تغل نحو ٢٣ مليون صندوق . على ان الولايات المتحدة لا تمتاز بوفرة حاصلات هذا الصنف فحسب بل تمتاز ايضاً بمقطوعيته لانهم لا يصدرون منهُ الى الخارج الا مليوني صندوق فقط . اما اسبانيا فانها تصدر منه ٣٠٠ ٠٠٠ ١٢ صندوق . وايطاليا التي لا تغل الا ثمانية ملايين صندوق تصدر منها ٩٠٠ ٠٠٠ ٢ صندوق . والبلدان الاخرى التي يستغل فيها الليمون البرتقال هي اليابان وافريقيا الجنوبية والمكسيك وجامايكا وبورتوريكو واوستراليا وتونس والجزائر واليونان . والبلدان المستهلكة هذا الصنف هي بحسب زيادة المقطوعية في الترتيب انكلترا فكندا فالمانيا فهولاندا فبلجيكا ففرنسا فسويسرا ، وجميعها من البلدان الواقعة في المنطقة الشمالية

الضمان من الطلاق

ان الضمان اصبح في هذا العصر شغلاً شاغلاً لافكار الناس لان الانسان العصري بات مستهدفاً لنبال المتالف في جميع حركاته وسكناته ، ومن ثم قضي عليه بأن يدفع عنه العوادي بجميع ما يتيسر له . ولكن هل خطر لأحد ان يفتكر في الضمان مما يحيط الزواج من المخاطر ؟ نعم ، ولكن اقترح ذلك بشكل محدود لان الطلاق ينفصم عرى زواج لا تقارنهُ الملاءمة ، الا ان هذا الاقتراح غير كاف لبعض الاشخاص البعيدي النظر في العواقب كعقيلة كارين ميكايليس الكاتبة المشهورة الدانمركية فانها ألفت كتباً كثيرة في موضوع الزواج والامومة على ما هو معروف عن هذين الامرين في الازمنة الحديثة . ففي محاضرة ألقتها في برلين تكلمت عن « الضمان من الطلاق » معتبرة اياهُ دواء شافياً من ادواء الزواج والامومة ومن جملة ما قالته

ان الحل الوحيد الممكن لهذه المسألة هو الاجازة للأم بحفظ اولادها دائماً عند حدوث الطلاق · ومع ذلك فانه من الاجحاف بحق الرجل ان يضطر الى دفع معاش ، وعليه فيجب على الرجل والمرأة اللذين يبتغيان الزواج ان يتفقا على ضمانٍ يكفل تذليل المصاعب الناجمة عن الطلاق . وهذا الضمان يجهز للمرأة والاولاد المال اللازم لمعيشتهم عند وقوع الطلاق . وتعنى شركة الضمان بمعاملات الطلاق القانونية

العظة المقتضبة

تعوّد رؤساء الولايات المتحدة ان يلمحوا عن التاريخ المقدس في خطبهم او ان يوجهوا كلامهم الى عواطف السامعين الدينية ، وليس في ذلك شيء من الغرابة في بلاد يبنى التهذيب الأولي فيها على قواعد التوراة · الا ان أولئك الرؤساء حين يستشهدون بالروحيات لتأييد الزمنيات لا ينسون انهم من العلمانيين · فروزفلت في احدى المعارك الانتخابية اقترح عليه ان يخطب فقال : يا اولادي ، سمعتم الناس يتكلمون عن الوصايا العشر فأنا من انصار هذه الوصايا فانها عجيبة !

وحدث ان خلفهُ المستر تافت عاد صباح يوم احد من الكنيسة الى بيته فقالت له زوجته : وماذا كان موضوع العظة؟ فقال الخطيئة · وكانت عقيلة تافت تنتظر ان تسمع منه شيئاً مفصلاً في ذلك الصدد ولما لم يزد شيئاً على ما قاله قالت له بالحاح : وماذا قال القس عن الخطيئة ؟ فأجاب : قال انهُ ضدها

تاريخ استعمال الشوكة في الاكل

لم يكن الناس في القدم حتى ولا في القرون المتوسطة يستعملون الشوكة في تناول الطعام بل كانوا يأكلون بأصابعهم ، واول من استعملها في فرنسا الملك هنري الثالث لانه كان لفرط تأنقهُ يأنف من تناول اللحم بأصابعه ، ويمكن القول ان استعمال الشوكة لم يصبح عاماً في فرنسا الا في أثناء الفتنة الكبرى

الى مشتركينا الكرام في الارجنتين

نرجو من مشتركينا الكرام في جهات الارجنتين اعتماد وكيلنا الخواجا نقولا يونس في بونس ايرس في دفع الاشتراكات · وقيمة الاشتراك تدفع بالعملة الارجنتينية وقدرها ١٧ ريالاً ارجنتينياً في السنة · وقيمة اشتراك المصور أو كل شيء لم ١٢ ريالاً ارجنتينياً في السنة

قناة السويس : مفخرة القرن التاسع عشر

(أنظر المقال صفحة ٢٦٦)

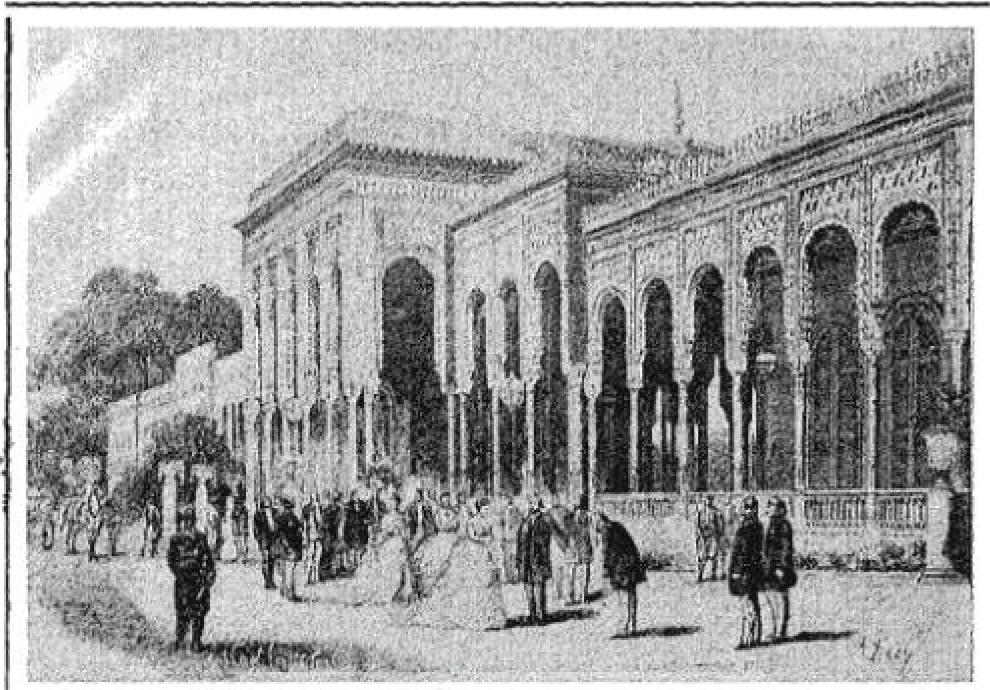
(الصور الفريدة المنشورة فيما يلي أهداها الينا صاحب السعادة احمد شفيق باشا
نقلا عن كتابه حوليات مصر السياسية)



في ٢٥ ابريل من سنة ١٨٥٩ وقف دليسبس وضرب الارض بمعوله ايذاناً بافتتاح الحفر لقناة السويس وشرع الفعلة يحفرون القناة



وفي ١٥ اغسطس من سنة ١٨٦٩ ضرب آخر معول في الجسر الذي كان يحجز ماء البحر الاحمر من دخول البحيرات المرة فتم بذلك الاتصال بين البحر الاحمر والبحر المتوسط



لما افتتح الخديوي اسماعيل باشا قناة السويس دعا الى حفلة الافتتاح الملوك والامراء الى مصر. وهو هنا يستقبلهم في قصر الجزيرة الذي يملكه الآن آل لطف الله



من بذخ اسماعيل هذه الوليمة الفاخرة التي أولمها للامراء والملوك في القاهرة مدة افتتاح قناة السويس



ترى هنا صور بعض الملوك والامراء الذين وفدوا الى مصر مدة افتتاح قناة السويس وهم الى اليمين الامبراطورة اوجيني زوجة نابوليون الثالث امبراطور فرنسا . والى اليسار الاميرة زوجة ولي عهد هولندا





ولي عهد بروسيا



امبراطور النمسا والمجر



ولي عهد هولندا



نزهة اسماعيل وضيوفه بمناسبة افتتاح قناة السويس وهو يرى في عربته وفي عربة أخرى الامبراطورة اوجيني

قناة السويس : مفخرة القرن التاسع عشر

فكرة وصل البحرين * افتتاح القناة الفخم

بقلم صاحب السعادة احمد شفيق باشا

اتجهت الانظار في الشهر المنصرم الى قناة السويس بمناسبة افتتاح مدينة بور فؤاد . وقد تفضل صاحب السعادة البحاثة احمد شفيق باشا الخبير بتاريخ مصر الحديث فأتحف الهلال بهذا الفصل الفريد الذي ضمنه معلومات قيمة جليلة القدر . وفي القسم المصور في أول هذا العدد صور تاريخية جيلة مأخوذة من كتاب « حوليات مصر السياسية » تأليف صاحب هذا المقال وقد تم طبعه وأعد الآن للنشر [المحرر]

لم تكن غايتي ، بما أنشر اليوم على صفحات الهلال الاغر ، التوسع في سرد تاريخ هذه القناة العظيمة من الوجهة السياسية او الفنية . او بحث نتائج مشروعها من الناحية الاقتصادية او التجارية . انما اردت تبيان أمور تتعلق بها لم يقف عليها ثمة الا القليل ممن يعنون عناية خاصة بدقائق الامور

لقناة السويس شهرة عالية تتناسب ، في العظمة ، مع صيت مصر مهد الفراعنة الذي ملأ التاريخ ، قديمه وحديثه ، فخاراً ومهابة . واكسب المصريين قوة ادبية تعتز بها الشعوب

وتعد هذه القناة من الاعمال الانسانية الكبرى التي تشترك الامم في اجتناء ثمراتها . وقد لبثت عصوراً طوالاً تطوف حول انجازها افكار اكابر الرجال الذين رأوا انها قد تكون طريقاً تجارية جليلة الاثر تربط انحاء العالم بعضها ببعض . الامر الذي لم يقدر له ان يكون حقيقة واقعة الا في النصف الاخير من القرن التاسع عشر

و بطل هذا المشروع هو المسيو فرديناند ديلسبس الذي كان في عام ١٨٣١ موظفاً من قبل حكومته في تونس فصدر له الامر بالشخوص الى مصر ليؤدي فيها وظيفة تلميذ قنصل . وكان القنصل الجنرال وقتئذ لفرنسا فيها رجلاً اشتهر بالعلم والادب والمعرفة يدعى المسيو ميمو "Mr. Mimault" وكان مولعاً بقراءة كتاب وضعه المهندس الفرنسي الكبير ليبير "Lepère" عن وصل البحرين الاحمر والابيض المتوسط بواسطة حفر قناة في المكان الذي يضيق فيه برزخ السويس اكثر من سواه اي فيما بين بيلوز (الفرما) على البحر الابيض المتوسط ومدينة السويس على البحر الاحمر . فهيأت الظروف اسباباً اوقعت هذا الكتاب في يد الفتى ديلسبس الذي كان واقفاً قبل ذلك على تواريخ سلسلة المشروعات التي قام بها او فكر فيها الكثيرون من أولي الامر في مصر . والتي كانت ترمي الى ايجاد طريق اتصال بين البحرين منذ عهد سيتي الاول وابنه رعمسيس الثاني الفرعونيين اللذين حكما قبل المسيح بنحو الف وار بعمائة سنة حتى عهد نابوليون

الاول . الا ان كل هذه المشروعات لم تكن لتستهويه لانها كلها كانت ترمي الى وصل البحرين بواسطة النيل اي بحفر قناة من السويس الى النيل ثم استعمال مجراه حتى الاسكندرية . فلما قرأ كتاب المسيو ليبير ثارت في رأسه ثورة . وافتتن « بهذا الامر الخطير » حتى ملك عليه مشاعره ولم يفتر لحظة عن التفكير في المستقبل الباهر للمدنية والعمران اذا قدر لهذا المشروع ان ينجز على يديه

وكان والد ديلسبس الكونت ماتيه ديلسبس قنصلاً قبل ذلك لدولته في الديار المصرية . ولخدمات قدمها لمؤسس الاسرة المحمدية العلوية الكريمة توثقت بينهما اواصر المودة والصداقة . فلما حضر ولده فرديناند الى مصر كما قدمنا قابله محمد علي الكبير احسن مقابلة وعهد اليه بتربية نجله الامير محمد سعيد . فتولدت بين الامير الصغير واستاذه رابطة ولاء واحترام متبادل

قضت الظروف بعد ذلك على فرديناند ديلسبس بالانتقال من مصر الى بلاد اوربا متنقلاً في وظائف سياسية اخرى . ثم اضطرته هذه الظروف بعد ذلك الى القعود عن الاعمال الرسمية والاهتمام بشؤون اسرته وهي على اهميتها لم تنسهِ مشروع القنــاة . الا انه كانت تتمائل لديه عقبات فنية أوردها ليبير في كتابه المذكور حيث سلم فيه بالاعتقاد الذي كان سائداً بأن منسوب البحرين لم يكن متساوياً . وان سطح البحر الاحمر يعلو عن سطح البحر الابيض المتوسط بنحو عشرة امتار . ثم استحالة اقامة فرضة واحواض في مدخل القناة من البحر الابيض المتوسط عند بيلوز لارتفاع قاع البحر هناك ارتفاعاً يعوق سير السفن التجارية ويحول دون حرية تشغيل آلاتها فيها

ولكن بعض المهندسين ذوي الكفاءة اثبتوا بُعد هذا الاعتقاد عن الحقيقة فسرّي عن ديلسبس وفاتح بعض معارفه في الموضوع . وأراد ان يشرع في مخابرة اولي الامر بشأنه ولكن الظروف لم تساعده على ذلك في حينه

حتى اذا استوى صديقه وتلميذه محمد سعيد باشا على عرش مصر بادر بالشخوص اليها ليهنئه بما منّ الله عليه ويتوسل اليه ان يحقق مشروعه الذي يعود على مصر بالفخار والفـائدة العظمى كما انه يطوق العالم والمدنية بقلادة من فضل لا يمحى لها أثر أبد الدهر

فقدم ديلسبس للوالي أول تقرير ابتدائي عن المشروع في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٥٤ وفي ٣٠ منه منحه الامير امتيازاً بحفر الترعة وتأليف شركة عالمية لهذه الغاية . فقام بابحاث في البرزخ ليتعرف طبيعة الارض التي ستحفر فيها القناة . وكان بصحبته المهندسان الفرنسويان اللذان كانا في خدمة الحكومة المصرية اذ ذاك وهما لينان بك وموجيل بك . وفي ٢٠ مارس سنة ١٨٥٥ قدم هؤلاء تقريراً أثبت فيه امكان حفر القناة دون ان تعترضها عقبات تستحق الذكر . فلما قرأ سعيد باشا هذا التقرير قبله مبدئياً ورأى ان يزف هذا النبأ الى مولاه السلطان

نمي خبر هذا الامتياز الى انكلترا فحسبت له الف حساب . وقامت تحاربه بجميع ما لديها من أساليب سياسية بغية احباطه . وكان ذلك لاعتبارات شتى اهمها تخوفها نفوذ فرنسا في مصر التي تكون بعد فتح القناة أقرب طريق توصل بين انكلترا وممتلكاتها ومستعمراتها بآسيا وأميركا والاوقيانوسية . وتوقعها معاكستها لها وعلى الخصوص في الهند . وعلى ذلك قامت العراقيل السياسية في وجه المشروع وظهر كأنه آيل الى الخيبة والاندثار واشتدت وطأة انكلترا على المشروع واستعملت نفوذها في الاستانة حتى لا يوافق الباب العالي على الامتياز . ولكن ديلسبس لم يأبه لهذه العقبة الكؤود وتسلح بالامتياز الممنوح له من الوالي وذهب الى فرنسا ليؤلف هناك شركة عالمية لانجاز العمل الخطير . ولقد شجعه سعيد باشا عند سفره بقوله : « اعلم انه اذا صادفتك صعوبات في سبيل تأليف هذه الشركة فقد وطدت عزمي على انجاز هذا العمل من مالي الخاص ومن أموال بلادي مضافاً اليها اموال من يلبون نداءك »

ومضت الحكومة الانكليزية والصحافة الانكليزية في مناهضة هذا المشروع وأخذت تصف واضعيه والقائمين بأمره بالجنون تارة وبالاحتيال على سلب اموال البسطاء والتدليس تارة اخرى . فأراد ديلسبس ان يتحقق مما اذا كان الرأي العام في المملكة المتحدة البريطانية يشاطر حكومته وصحافته الرأي فرحل اليها في ابريل عام ١٨٥٧ . وهناك تمكن ، بما نشره على صفحات الصحف التي لا تنطق بلسان الحكومة وبواسطة الخطب التي القاها في المدن الصناعية والتجارية ، من اقناع الرأي العام الانكليزي بمبلغ ما لمشروعه من النفع للعالم المتمدين كافة ولانكلترا خاصة التي لها مصالح تجارية وسياسة عظمى في المحيط الهندي وما تلاه

ولما ان اجتذب صاحب المشروع العظيم الرأي العام الانكليزي لناحيته قفل راجعاً الى مصر في ١٦ فبراير عام ١٨٥٩ بعد ان عرج في طريقه على فرنسا ونجح فيها بتأليف شركة عالمية للقيام بحفر القناة اكتتب سعيد باشا فيها بنحو نصف اسهمها باسم مصر

وفي ٢٥ ابريل من العام المذكور وقف المسيو فرديناند ديلسبس في النقطة التي سيبدأ منها العمل من جهة البحر الابيض المتوسط محاطاً بالموظفين والعمال تظلل الجميع الراية المصرية وألقى خطبة شيقة بمناسبة افتتاح الاعمال ثم ضرب بمعوله الارض اول ضربة في قناة السويس (انظر الصورة المتقدمة)

أثارت هذه الضربة ثائرة الحكومة البريطانية واخذت تبذل قصارى جهدها في الاستانة وفي مصر لوقف العمل في القناة . وكان سفيرها في الاستانة من جهة يستعمل تارة لين الحديث وأخرى يظهر حنقه وغضبه . وكان عمال الانكليز من جهة أخرى يؤثرون على سعيد باشا في مصر يتوعدونه بأمور تلقي الرعب في روعه . فأصدر منشوراً في ٩ يونيه سنة ١٨٥٩ وجهه لجميع قناصل الدول أظهر فيه انه وان كان ميالاً لتعضيد هذا المشروع الذي يعود بالفائدة على الجميع ، الا انه ،

على كل حال ، لا يملك تحمل مسئولية العمل فيه الا بعد السماح به والتصديق عليه من الباب العالي . فاحتج ديلسبس على ذلك ملاحظاً ان الحكومة المصرية كانت عالمة يومياً بجميع الاجراءات التي قام بها منذ هبط ارض مصر

وكانت الدسائس السياسية قد نجحت قبل الباب العالي حتى تحدثت الصحف اذ ذاك بعزم السلطان على زيارة مصر في وقت تكون فيه عمارة بحرية حربية انكليزية كبيرة واقفة في ميناء الاسكندرية لتأييده

ولكن أموراً طرأت حملت السلطان والانكليز على العدول عن هذه الخطة . ورووت الصحف الصادرة في ٤ اكتوبر نبأ من الاستانة يفيد قيام كتخداي الوالي الى مصر يحمل كتاباً من السلطان يشير فيه على الامير بأن يمتنع كلية عن التدخل في أمر حفر القناة ببرزخ السويس حيث أصبح أمرها موضع مخابرات ومفاوضات بين الباب العالي والدول العظمى للوصول الى اتفاق بشأنها

استمر ديلسبس في عمله رغم ذلك . ولكنه خشي عاقبة الدسائس السياسية اذ رآها قد اشتدت وطأتها . فذهب الى فرنسا وقابل الامبراطور نابوليون الثالث وقدم له شكوى كتابية من التياث الامر من جراء معارضة الحكومة الانكليزية في تنفيذ مشروعه . فتدخلت الحكومة الفرنسوية ، بأمر الامبراطور ، في الموضوع . وهكذا وضعت السياسة أصبعها في هذا العمل بعد ان كان في بدئه تجاريا محضاً . وأخذت على عاتقها حل المشكلة القائمة بشأنه . فكانت مساعي نابوليون خير مساعد على حلها . ومن ثم عاد ديلسبس الى مصر في يناير عام ١٨٦٠ وعاد المشروع معه الى الانتعاش . وبعد ان اتفق مع الوالي على بعض الامور التي كانت معلقة بينهما تردد بين فرنسا ومصر عدة مرات

كان نحو اثنى عشر الف عامل يشتغلون في الحفر فيما بين القنطرة وبور سعيد التي أقيمت في مدخل القناة في نقطة تبعد عن بيلوز بنحو ٢٨ كيلو متراً الى الغرب . وكان نحو تسعة آلاف عامل أخرين يشتغلون في الاعمال الاخرى كحفر ترعة المياه العذبة التي أجريت من النيل الى القناة

وفي ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ خلف اسماعيل باشا على الاريكة سعيد باشا الذي توفي الى رحمة مولاه فأقر اسماعيل ديلسبس على مشروعه حيث اغتنم فرصة وجوده بين قناصل الدول الذين وفدوا لتهنئته بملكه الجديد وقال له على مسمع من الجميع : « انني ، يا مسيو دليسبس ، لا أرى نفسي غير جدير بالملك اذا لم أكن قنالياً أكثر منك . وانك لو كنت والي مصر ، وانت رئيس شركة القنال ، لما فعلت في مصلحتها بالاستانة أكثر مما فعلت انا »

الا ان اسماعيل لما استوعب شروط الامتياز وجد فيها اجحافاً بحقوق بلاده فأوحى الى الباب العالي أن يعارض في امور ثلاثة : اولها ملكية الشركة للترعة التي تجر الماء العذب من النيل الى

القناة وثانيها تشغيل الاهالي في الاعمال بطريق الجبر · وثالثها ما منحته الحكومة لها من الاراضي على ضفتي القناة · فانتهزت انكلترا هـذه الفرصة وانضمت الى المعارضة وأيدتها . وظلت تقاوم المشروع أشد المقاومة وتبذل قصارى مقدورها في سبيل احباطه

ولم يكن اسماعيل مرتاحاً لتدخل الانكليز في الامر فعمد الى تحكيم نابوليون الثالث شخصياً في هذه الامور المختلف عليها . فحكم الامبراطور بأن يدفع اسماعيل باشا للشركة مبلغ ٨٤ مليون فرنك في نظير تنازلها عن هـذه المنح فقبلت الشركة الحكم بلا تردد لاحتياجها الى المال وقبله اسماعيل كذلك ·. ومنـذ ذلك التحكيم عاد العمل الى سالف سيرته من النشاط وأخذ يسير في سبيل النجاز

وفي شهر مارس سنة ١٨٦٩ حيث كانت الاعمال أوشكت ان تكمل زار الخديو اسماعيل يصحبه ولي عهده توفيق باشا منطقة القناة وشهدا الحفلة التي أقامتها الشركة ابتهاجاً بوصول مياه البحر الابيض المتوسط الى البحيرات المرة في ١٨ من الشهر المذكور · وقد أرسل اسماعيل في ذلك اليوم برقية من سرابيوم الى وزير خارجيته ، نوبار باشا الذي كان اذ ذاك بباريس ، يقول: « زرت القنال وجبت اطرافه · وشهدت دخول مياه البحر الابيض المتوسط الى البحيرات المرة . أنا عائد الى القاهرة مملوءاً اعجاباً بهذا العمل العظيم وثقة بنجازه العاجل »

واستمرت الاعمال بعد ذلك بهمة فائقة حتى ضرب آخر معول في الجسر الذي كان يحجز مياه البحر الاحمر من دخول البحيرات المرة في ١٥ اغسطس من ذلك العام (انظر صورة آخر معول ضرب في القناة في قسم الصور المتقدم)

وهكذا تقابلت مياه البحر الاحمر بمياه البحر الابيض المتوسط في البحيرات المذكورة · واقيمت بهذه المناسبة حفلة زاهرة طير ديلسبس نبأها بالبرقية التالية : « السويس في ١٦ اغسطس سنة ١٨٦٩ ـ اقيمت امس حفلة باهرة حيث تلاقت مياه البحرين الاحمر والابيض المتوسط في البحيرات المرة · واصبح امتلاء البحيرات في حيز اليقين »

ومن ثم اصبحت القناة معدة لمرور المراكب والسفن الكبرى في ذلك الوقت · واكتمل العمل العظيم الذي كان يظن في بدء التفكير فيه انه ضرب من الخيال

وبمرور الزمان باتت هـذه القناة التي كان الانكليز يعرقلون انشاءها ويتشاءمون منها ، اكبر غنم لهم · اذ هم يعتبرونها اليوم الشريان الاعظم لطرق المواصلات البريطانية المتشعبة التي هي من لوازم سيادتهم البحرية · اما نصيب مصر في اسهم الشركة فقد انتقل من حوزتها الى يد هـذه الدولة القوية · والقناة لا تزال باقية كجزء من مصر يحول دون تحقيق امانيها التي ضحت كثيراً في سبيلها

* * *

لما وثق اسماعيل من قرب نجاز المشروع قام برحلة في أوربا يدعو في غضونها الملوك والامراء ورؤساء الحكومات ورجال السياسة والعلم والادب والفن الى ما سواهم لشهود المهرجان العظيم الذي اعتزم اقامته احتفالا بفتح القناة رسمياً في يوم ١٧ نوفمبر من ذلك العام

ولقد أعد لهذا المهرجان معدات تتناسب مع فخامة العمل الذي سيحتفل بافتتاحه وسمو مكانة ضيوفه ومع ما كانت تصبو اليه نفسه من الانتظام في سلك العواهل ذوي الجلال . فأقام مما أقام قصراً فخماً على ضفاف بحيرة التمساح بمدينة الاسماعيلية التي شيدتها الشركة واسمتها باسمه تيمناً به . واقام في القاهرة داراً للتمثيل (دار الاوبرا الملكية) وكلف الموسيقار الروائي الايطالي الشهير ج . ڤردي فوضع رواية غنائية لتمثل امام ضيوفه الفخام فوضع له رواية (عائدة) الخالدة . ومهد طريق الاهرام من الجيزة وجعلها صالحة لسلوك العجلات (العربات) وظللها بالاشجار الباسقة ذلك لان الامبراطورة اوجيني قرينة نابوليون الثالث امبراطور الفرنسيس أظهرت رغبتها في زيارة الاهرام

وما وافى يوم ١٥ نوفمبر حتى توافد الناس من جميع انحاء القطر من اسوان الى الاسكندرية على مدينة بور سعيد غرة القناة ومكان الاحتفال حتى ضاقت بهم أرجاؤها . فانتشروا على طول القناة مختلفي الالوان والهيئات والملبس . فكنت ترى السوداني في كوخه والبدوي في خيمته المصنوعة من الشعر والصعيدي في زريبته والبحيري في بيته الصغير

ولقد ذهب الخديو اسماعيل على يخته (المحروسة) ليتفقد معدات المهرجان ولتحية ضيوفه الملوك بنفسه لدى قدومهم . وكان في معيته وزيراه شريف باشا ونوبار باشا وغيرهما من كبار رجال البلاد

وقد وصل صاحب الجلالة فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا وملك المجر بحاشيته قبل وصول صاحبة الجلالة اوجيني امبراطورة الفرنسيس وحاشيتها بيوم . فكان الاحتفال بمقدمهما يفوق حد الوصف ثم أتى على اثرهما اصحاب السمو الامير فردريك غليوم ولي عهد مملكة بروسيا ثم ولي عهد هولندا والاميرة عقيلته . ولغياب ملكة انكلترا واعضاء اسرتها الملوكية نال شرف النيابة عنهم السير اليوت سفير انكلترا بالاستانة كما ناب الجنرال ايغناتيف سفير روسيا بها مناب مولاه قيصر الروس الكسندر . وغير هؤلاء من الامراء والكبراء (انظر صورتهم في قسم الصور المتقدم)

ولبى الدعوة كل مدعو وارسلت صحافة العالم ممثلين لها في هذا المهرجان وكان كل واحد من الملوك والامراء او ممثلي الدول يصل على ظهر يخت تحرسه عمارة حربية او على ظهر باخرة حربية فاجتمع في ثغر بور سعيد ثمانون سفينة منها خمسون حربية

ولم تشهد ارض ما شهدته تلك البقعة من الاديم التي كانت قبل عشر سنوات صحراء قاحلة جرداء يباباً تخشى وحوش الفلا ان تأوي اليها مخافة الموت ثغباً وظمأً . فعادت بفضل مجهود بني

الانسان جنات نضرة ذات افنان تجري من تحتها الانهار ومدناً عامرة تبدو في أبهى حلة وأجمل زينة كأنها في عرس شامل في ذلك اليوم الاغر الذي جمع فيه عزيز مصر ما لم يذكر التاريخ له مثيلا مما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولا خطر على قلب بشر

وكان برنامج المهرجان يقضي بأن تسبقه في يوم ١٦ نوفمبر حفلة دينية · فأقيمت على شاطىء البحر بثغر بور سعيد ثلاث منصات عالية تظللهـا سماوات كأن الواحدة منها ايوان كسرى · وكانت مزينة بمختلف الزينات تعلوها البنود والاعلام والشارات الملوكية وقد كسيت بالدمقس والديباج والحرير الموشى ونسقت في ارجائها اصص الورد والرياحين وفرشت ارضها بالبسط الثمينة البهية الالوان وصفت فيها الكراسي صفاً صفاً · وقد خصصت احداها للملوك والامراء وكبار المدعوين الرسميين والاثنتان الاخريان اعدت واحدة منهما لعلماء المسلمين والثانية لكبار رجال الاكليروس المسيحي

وماحلت الساعة الثانية بعد الظهر حتى اطلقت المدافع من المدينة تحييها مدافع البوارج والسفن بالميناء ايذاناً بأن الملوك والامراء والمدعوين قد أخذوا مجالسهم · وكان باقي المتفرجين يحيطون بالمنصات كأنهم نطاق متعدد الالوان · وبعد هنيهة قام شيخ الجامع الازهر محاطاً بالعلماء فوق منصتهم وقرأ ما تيسر من الذكر الحكيم ثم دعا الله ان يبارك هذا العمل الخطير وأن يختصه بعنايته ورعايته ثم وقف اسقف مدينة الاسكندرية وأدى صلاة حارة بارك بها القناة وسأل المولى عز وعلا أن يكلأها بروح من عنده · ثم خطب الخطباء مبينين عظم أهمية هذا العمل الخطير وما طاف بتنفيذه من العقبات الجسام ممتدحين المسيو ديلسبس الذي تغلب عليها جميعها بفضل ثباته واقدامه العجيبين مثنين على الخديو اسماعيل الذي شدَّ ازره واعانه على القيام بهذا العمل العظيم حتى انجزه ذاكرين فضل ضيوفه الفخام الذين اثبتوا بحضورهم هذا المهرجان تقديرهم جلائل الاعمال حق قدرها

ولقد كان يوم ١٧ نوفمبر يوماً تاريخياً مشهوداً بل غرة في جبين القرن التاسع عشر وأبهى ايامه جلالاً وفخاراً · وكأن الذي طبعه بطابع خاص من العظمة ان يجتمع فيه على ارض مصر طائفة من الرءوس المتوّجة وأن تظلها سماء مصر وهذه الرءوس العظيمة لم تجتمع قبل ذلك اليوم في صعيد واحد ولم تستظل بسماء واحدة

فما بزغت الغزالة في صبيحة ذلك اليوم ، الذي لن يمحى اثره من الاذهان حتى كانت اليخوت والسفن قد استعدت لاجتياز القناة رسمياً · وكان الخديو قد سبق مدعويه وذهب ليلاً على ظهر يخته الى مدينة الاسماعيلية الفتية في انتظار مقدم ضيوفه الاماجد · فانساب سرب من الجاريات تمخر مياه القناة الساكنة وقد اخذت تلك الجاريات زخرفها وازينت يرفرف فوق سارياتها العلم المصري اعترافاً بفضل البلاد التي احسنت مثوى اربابها · وكان في مقدمتها اليخت الفرنسي ليجل

« L'Aigle » تحف به المهابة والوقار يتهادى على صفحات ذلك الماء الهادىء مجتاباً بسيدته العظيمة اوجيني التي وقفت في مقدمه وبجانبها المسيو دیلسبس والشعب على ضفتي القناة يقابلها بالتهليل والتكبير . وقد امسكت بيد الرجل الجليل بطل ذلك اليوم العظيم كأنها تقول انما الفضل لذلك المقدام . وكانت اليخوت والسفن تأتي على اثره كانها سائرة في ركابه . حتى اذا حلت الساعة الواحدة والربع بعد الظهر كانت السفن تمر تجاه (القنطرة) بين مرتفعين عظيمين من الارض كتب عليهما بأحرف هائلة في اعشاب نضرة وازهار بهجة من الناحية الاسيوية « تحية الى اسماعيل من مدينة القنطرة) ومن الجهة الافريقية : (تحية الى الامبراطورة)

ولما وصلوا الى بحيرة التمساح . وارست السفن بفرضة الاسماعيلية الفوها على قرب عهدها بالتشييد مزينة دورها كلها بالاعلام وقد انبثت في ارجائها اقواس النصر . وكان الليل اوشك ان يوشحها برداء من ظلامه الحالك . فظهرت في حلة من الانوار تزري بالاقمار مزقت ذلك الوشاح الذي كانت الطبيعة تحاول ان تحتويها فيه

فلما أصبح يوم ١٨ امتطت الامبراطورة صهوة جواد جميل وقصدت قصر الخديوي لتؤدي له زيارة فسارت في طرقات المدينة تحفها الجلالة والعظمة . و بالغ اسماعيل في اكرامها مبالغة جعلتها تتخيل انها ليست في يقظة بل في منام لذيذ . وعادت الامبراطورة أدراجها على ظهر هجين كريم فكان لها منظر يخلب الالباب ثم زاره باقي الملوك والامراء فلقوا من اكرامه وحفاوته ما لا يقل عما بذل للامبراطورة العلية الشان

ثم أعد اسماعيل بعد ظهر ذلك اليوم، لضيوفه، نزهة خلوية قضوها على متون العربات الملوكية الفخمة تجرها الخيول المطهمة وكان الخديوي الى جانب الركب في عربة ذات صفت (سبت) يجرها جوادان كريمان يقودهما بنفسه (انظر صورة النزهة الملوكية في قسم الصور المتقدم)

ولدى المساء أقام لهم الخديو مرقصاً نخماً في قصره الجديد تخاصر فيه الملوك والملكات والامراء والاميرات والوزراء وكبار الضباط والنبلاء مع عقيلات السفراء والعظماء وسيدات الشرق فكانت جميع البلدان الاوربية وكل مظاهر المجد والتسؤدد ممثلة في هذه الحفلة الباهرة حقاً التي لم يسمح الدهر بمثلها

وبعد ان انتصف الليل بساعة دعا الخديو ضيوفه الى مائدة اعدها لهم حوت ما لذ وطاب من مأكول ومشروب فدخلوا الى قاعة فسيحة الارجاء في ذلك القصر الفخم مزينة بالاعلام والرياحين وأصص الورود والازهار يفوح شذاها في عرصاتها تنيرها الشموع والثريات المصنوعة من الذهب والفضة (انظر صورة الوليمة الملوكية في قسم الصور المتقدم)

وكانت الامبراطورة اوجيني تستند الى ذراع جلالة الامبراطور فرنسوا جوزيف . وتعتمد مدام اليوت عقيلة سفير انكلترا على ذراع ولي عهد بروسيا . وكانت صاحبة السمو قرينة ولي

عهد هولاندا تلوذ بذراع الخديو ويتلوهم باقي المدعوين فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً

وفي صباح يوم ١٩ اقلعت السفن من الاسماعيلية وفي مقدمتها دائماً اليخت (ليجل) لاتمام الرحلة في القناة فوصلت في نحو الساعة الخامسة مساء الى البحيرات المرة وداهم الليل السفن ففضلت قضاء الليل في وسط تلك البحيرات فأضيئت انوارها حتى كأن كل سفينة ثريا اقيمت على سطح البحيرات ينعكس ضوؤها البهي على صفحات المياه الفضية فتذهب اشعتها في الفضاء . وقد اطلقت الالعاب النارية المختلفة الالوان والاشكال بهجة للناظرين وكانت الموسيقات تشنف الاسماع بأنغامها الشجية . واستبيحت المسرات في ذلك الجو البديع في ضوء القمر الذي اطل من سمائه ينظر بوجه الوضاء الجميل المستدير الى عجيبة ذلك الزمان ومفخرة القرن التاسع عشر

وفي صباح يوم ٢٠ اقلعت السفن باسم الله مجريها وسارت بنظامها السالف حتى اذا وصلت الى مدينة السويس في الساعة الحادية عشرة والنصف اطلقت المدافع تتجاوب من السفن ومن البر ايذاناً بالخروج الى البحر الاحمر . وكان اسماعيل قد سبق مدعويه الى السويس لاستقبالهم وقضى ليلته على يخته (زينة البحرين)

ولما انتهت الحفلة اباح اسماعيل لمن اراد من ضيوفه الاقامة بالديار المصرية على نفقته ما شاء ليتمتعوا بنسيمها و يشهدوا ما حوت من طرف وعجائب . فآثرت الامبراطورة أوجيني والامبراطور فرنسوا جوزيف وسواهما من كبار الضيوف البقاء بمصر بضعة اسابيع لهذه الغاية ونزلت الامبراطورة في ضيافة اسماعيل بقصر الجزيرة فزارت الاهرام وافتتحت بحضورها وحضور الامبراطور والامراء الذين آثروا البقاء بمصر دار الاوبرا الخديوية ومكثت بالقاهرة أسبوعاً زارت فيه أحياءها وآثارها . ثم خصص لها الخديو اليخت النيلي (فيض ظفر) لتجوب به ارض الصعيد لكي تشاهد ما انبث في ارجائه من غرائب الآثار

وأنى لقلم ، مهما تبلغ مقدرته على التعبير ، أن يتصدى لوصف ما قام به عزيز مصر من الحفلات ارضاء لضيوفه الملوك وما حفهم به من دواعي المسرات وموجبات الغبطة والانشراح والتي كان ليس في طوق من شهدها بالعيان أن يستوعب كل ما حوت من ابهة وعظمة وجلال وجمال . تلك الحفلات التي انفق في سبيلها اسماعيل نيفاً وار بعمائة الف ومليون جنيه

ألم تر الامبراطورة أوجيني وقد بهرت بما رأت من استعدادات المهرجان يوم وصولها الى بور سعيد حتى انها ارسلت الى بعلها الامبراطور نابوليون الثالث برقية في يوم ١٦ نوفبر تقول :

« وصلت بور سعيد في صحة جيدة . الاستقبال فخم . لم أر في حياتي ما يماثل ذلك »

احمد شفيق باشا

استفتاء الهلال

«الكتب التي أفادتني»

ردود الكتاب والادباء

ننشر اليوم ثلاثة من الردود التي وردتنا ونعيد نشر الاسئلة التي وجهناها الى حضرات الكتاب وهي :

١ - ما هو الكتاب أو الكتب التي طالعتموها في شبابكم فأفادتكم وكان لها أثر في حياتكم ؟

٢ - هل يكفي المطبوع الآن من الكتب العربية لتثقيف الناشئة أو لا غنى لها عن الالتجاء الى الكتب الغربية

٣ - ما هي الكتب التي تنصحون لشبان اليوم بقراءتها عربية كانت أم غير عربية ؟

٤ - ما هو نوع التأليف الذي يفتقر اليه العالم العربي على الخصوص - والذي تودون ان يطرقه المؤلفون ؟

رد السيد مصطفى صادق الرافعي

(١) في أيام التحصيل كنت أقرأ كل ما أصابته يدي وكنت اكثر الملاحظة وادقق فيها فلا أعرف كتاباً أنا منه اكثر مما أنا من غيره ولكن ان يكن فلعله كتاب في الحديث اسمه الجامع الصغير كنت احضر به درس أبي رحمه الله ثم ما قرأته من بعد للسيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ثم كتاب سر النجاح الذي ترجمه شيخنا الدكتور صروف ثم كتب غوستاف لوبون ثم الكتب كلها . . .

(٢) اذا أردنا حقيقة التثقيف والتقويم فكتب الاديان والآداب كافية في رأيي . أما اذا أردنا ذلك المعنى الوهمي الذي لا يزال ينشأ ولا يكبر . . . فلا بد من الالتجاء أبد الدهر الى الكتب الغربية على ان نضيف اليها كتاباً عربياً واحداً اسمه قانون العقوبات . . . العقل حيث يكون في حاجة الى آثار العقل حيث يكون فلم تغن اوربا عن روح من الشرق ولا يغني الشرق عن فكر من أوربا .

(٣) كتب الآداب الدينية قبل سواها فاذا استوفى الشاب منها قانون ضميره فهو من بعد أبصر بحاجته وليكن عربياً شرقياً ثم ليقرأ ما شاء فالمرض يجعل كل غذاء مرضاً والصحة تجعل كل غذاء صحة

(٤) تهذيب المكتبة العربيـة تهذيباً فلسفياً و بيان أسرار حضارة الشرق في أديانه وفنونه وآدابه ونقل أسمى ما في الادب الاوربي ولو أحياني الله حتى أرى لقومي مجمعة [١] عربية كبرى تبلغ في السعة والوضع وحسن الترتيب وشدة التبين وقوة الاستيعاب ما بلغته المجمعة الفرنسية لكنت سعيداً حق سعيد . فان لم نكن أهل هذا العمل الجليل فلنحرص على ان نساعد أهله بوضع ما يعد من مواده وأجزائه

مصطفى صادق الرافعي

رد الاستاذ منصور جرداق

(١) سر النجاح . الهلال والمقتطف . روايات الهلال . روايات المقتطف وخصوصاً فتاة مصر . وبعض مؤلفات هربرت سبنسر

(٢) لا بد من الالتجاء الى الكتب الغربية ولو قليلاً

(٣) روايات الهلال والمقتطف لاجل الفلسفة التي تحويها وخصوصاً « فتـاة مصر » . سر النجاح . ابن حور . الى أين « Quo Vadis » . مختـارات جرجي زيدان . مؤلفـات هربرت سبنسر

ولكي يدرك القارىء مقدار حبي لمختارات زيدان وتقديري اياها حق قدرها اقول انني اتلو بعضها في اجتماعات الصلاة التي تقيمها صباحاً في منتدى جامعتنا

(٤) ما له علاقة بـ

(١) العلوم الاقتصادية (٢) العلوم العمرانية (٣) العلوم الطبيعية .

(٤) العلوم الرياضية والمنطقية . والتقليل من الروايات والشعر الخيالي المبهم

الجامعة الاميركية بيروت منصور جرداق

رد الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

(١) هما كتابان وجَّهـا نفسي هذا التوجيه . ديوان شيللي الشاعر الانجليزي ، وديوان الشريف الرضي الشاعر العربي . بهما بدأت مطالعاتي الجدية ــ على خلاف العادة ــ وعلى اثرهما

(١) وضعنا هنا ترجمة لكلمة الانسكلوبيديا

استنزفت ايامي في معاناة الادب ، ولا ادري ٠اي شيء آخر غير الادب كنت حقيقاً ان انصرف اليه وأتخلى لطلبه لو لم يقع الي هذان الكتابان ذلك انهما جاءاني هدية ، فأما احدهما فمن صديق لي كان يتعلم في انجلترا ولم يطل عمره حتى ينبئني بالباعث له على هذا الاختيار ، وأما ثانيهما فمن زميل لي بالمدرسة ، وكنت في ذلك الوقت افقر من ان اطمع في شراء كتاب له قيمة ، وكان يحسب اهلي الانفاق على تعليمي ، وقد قرأت قبلهما شيئاً كثيراً من امثال الف ليلة وليلة وسيف ابن ذي يزن ، ولكني لا اعلم ان هذه الطبقة من الكتب كانت تنبسط لها نفسي او ينفسح لها طبعي. فهذا جواب السؤال الاول بالايجاز المطلوب

(٢) ما هو هذا « المطبوع الآن من الكتب العربية » ؟ ؟ ان كنتم تعنون آداب العرب فهي حسنة جميلة ، ولكن الارض شهدت مئات من الامم غير العرب ، وما من امة الا ولها آداب جميلة حسنة بل ان بعضها اجمل واجل واروع ، دع عنك الفنون الاخرى والعلوم والمعارف التي ظهرت في الدنيا ، فكيف يستغني طالب علم او ادب بما خلف العرب ؟؟ وان كنتم تعنون الكتب الحديثة من موضوعة او منقولة فهذه ليست فقط اقل من الكفاية بل هي لا شيء يذكر بالقياس الى ما في دنيانا ، ومن العبث والحماقة ان يقول احد اكتفوا بالموجود او ضاعفوه بالنقل والترجمة والتلخيص فما لهذا آخر يعرف ، واجدى منه واخف مؤونة ، الاقبال على ما عند الغرب باحدى لغاته

(٣) لا أشير بشيء ٠ فما في وسعي ان اتخير كتاباً او كتباً وان اقول للشاب الناشيء « ابدأ بهذا » ـ هذا عسير ، علي على الاقل ـ فليبدأ بما شاء كيف شاء فان الكتاب يهدي الى الكتب ٠ ولست اعرف احداً من ذوي الاطلاع الواسع والاثر المذكور في عالم الادب ـ عندنا او عند سوانا ـ سار على طريقة منظمة من اول الامر ٠ والواجب ان يتناول المرء من هنا وهنا ومن كل ناحية حتى تستقر ميوله وتتجلى نزعاته وينفتح له الطريق الذي يقوى على السير فيه ٠ وعلى انه كيف يتعلم المرء السباحة ؟ انه لا يتعلمها بأن تشده الى عوامة اذا تركها احس انه فقد المعين والسند فخذلته الثقة بنفسه، ولكن بأن تدفع به الى اللجة وتدعه يصارعها وحده وانت مشرف عليه وملاحظ له دون ان يحس او يعول على الامل في نجدتك

(٤) وجواب سؤالكم الرابع هو هذا : العالم الغربي احوج ما يكون الى ذلك الضرب من الكتب الذي يقوى المرء على مكابدة الحياة ويجعله كفئاً لمطالبها وفرائضها وفرصها ومسراتها ومتاعبها ومشقاتها ، لا ذلك الضرب الذي يزيد الاعصاب تفككاً والنفس طراوة ، وليكن بعد ذلك ما شاء : رواية او فلسفة او ٠٠٠ او ٠٠٠

ابراهيم عبد القادر المازني

شعر المرأة

من العصور القديمة الى الآن



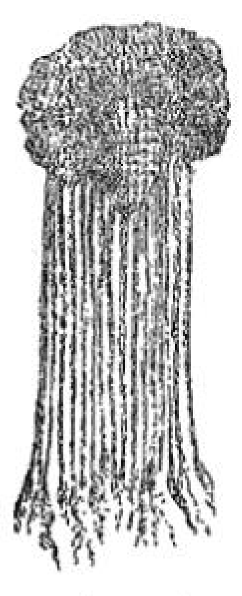
هندسة الشعر عند المصريات

للشعر معنى خاص في المرأة والرجل . فهو زينة المرأة وهو وقار للرجل . وقد كان الملوك القدماء يطيلون لحاهم بالشعر العارية وكان الكهنة ولا يزال بعضهم يرى من وقار الدين ان يرسل لحيته . وذلك بخلاف كهنة المصريين القدماء الذين كانوا يحلقون رءوسهم ولحاهم وشواربهم .

ومما يدل على حرمة الشعر عند العرب ان الاسرى كانت تجز نواصيهم ثم يعفى عنهم فاذا رآهم أحد عرف فيهم ذل الامر السابق . وكان للحية مقام كبير عند العرب يقسمون بها و يمسحونها علامة على عقد الصلح وتناسي العداوة الماضية

وشعر الرأس سواء في الرجل والمرأة بخلاف اللحى والشوارب فانها من ميزات الرجل وحده وهي له بمثابة العرف للديك أو المعرفة للاسد . وكل هذه لا تنبت الا بما تفرزه الخصيتان في دم الذكر بحيث لو ايفت أو قطعت لصار الذكر شبيهاً بالانثى كما نرى في الخصيان

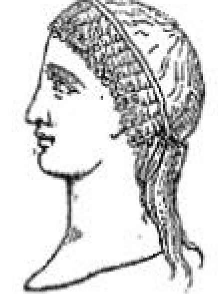
وشعر الرأس ثلاثة أصناف . فمنه المستقيم الذي نراه في رءوس الصينيين والمغول . ومنه المتموج الذي قد يتجعد أحياناً وهذا نراه في رءوس الاوربيين . ومنه المفلفل الذي نراه في رءوس الزنج . وقد يمكن الى حد ما تبين السلالات البشرية بفحص الشعر



شعر مستعار
استعمله قدماء المصريين

ونساء الهمج يعنون بشعورهن عناية تختلف باختلاف الاقليم .

فالزنجيات اذا اهملن شعرهن انتفش فهن لذلك يدهنه بالادهان حتى يتلبد ويتجمع كرة فوق الرأس. وأحياناً يزينه بالريش او الودع · اما نساء الهمج من الامرنديين أي سكان اميركا الاصليين فانهن لاستقامة شعرهن الذي يدل على الاصل المغولي لا يجمعنه بل يرسلنه على الظهر و يتزين بالريش. يفعل ذلك رجالهم ونساؤهم





هندسة الشعر عند الاغريقيات

وشعور المصريين جعدة · والشعر الجعد يضفر بسهولة لان الالتواء الاصلي فيه يساعد على بقاء الضفيرة بخلاف الشعر المستقيم (الصيني مثلاً) فانه يصعب ضفره · ولذلك شاعت الضفائر وطريقة الضفر على العموم بين الامم التي لها شعر متموج أو جعد كالاوربيين والمصريين وبعض العرب · وكان المصريون يرسلون الضفائر الكثيرة على الظهر والعاتقين وكانوا أحياناً يستعملون الشعر العارية كما يستعمل للآن بين العامة

وكان العرب في زمن الجاهلية يجرون مجرى المصريين في عاداتهم وأحوالهم الاجتماعية وينقلون عنهم أشياء كثيرة في الحضارة والثقافة · فكانت المرأة العربية تضفر شعرها كما يدل على ذلك قول الشاعر «غدائره مستشزرات» أي مفتولة مضفورة ·

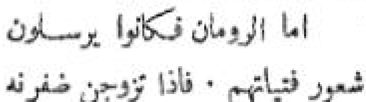
وقال أحد الشعراء في الجاهلية ايضاً:

و يزين فوديها اذا حسرت ضافي الغدائر فاحم جعد

و يؤخذ من تماثيل الاغريق وصورهم انهم كانوا يقصون شعرهم من الامام ويتركون في اطرافه حلقات · واحياناً كانت النساء يضفرنه ولكنهن لا يرسلنه كما كانت تفعل المصريات وانما كن يجمعن الضفائر فوق الرأس فيتركنها عارية او كن يضعن عليها منديلا يربطنه فوق الشعر



هندسة الشعر عند الرومانيات



اما الرومان فكانوا يرسلون شعور فتياتهم · فاذا تزوجن ضفرنه وفرقنه واحياناً كن يكوينه لكي تبقى التجعدات أو الحلقات · واستمرت الطرق الرومانية متبعة في أوربا باختلاف يسير من الضفر والتحليق والتجعيد الى زمن الثورة الفرنسية حين اشتطت النساء في ازيائهن فصرن يقمن الشعر عموداً فوق الرأس · ولكن هذا الزي لما فيه من الشطط لم يعش طويلا

وقد شاع في زمن النهضة الاوربية حوالي أواخر القرن الخامس عشر زي الشعر القصير بين النساء . ولكن المرأة عادت الى ارسال الشعر حتى هذه السنين الاخيرة حين فشت ثانياً عادة قص الشعر . والذي يروج هذه العادة الآن ان المرأة الاوربية تشتغل كالرجل في المصانع والمكاتب وتحتاج إلى ان تغسل رأسها كل يوم حتى تنظفه مما يعلق به من اقذار العمل والشارع . فهي لذلك ترتاح إلى الشعر القصير وتجده اوفق لنظافتها ، ثم انها نزعت هذه الايام نزعة استرجال تلعب العاب الرجال وتعمل اعمالهم فهي لذلك تجد ان زي الرجال اوفق لها . والجمال الى حد ما عادة فاذا كان بعضنا يستقبح الشعر المقصوص الآن فانهُ بعد الفة السنين سيستجمله و يعود يستسمج الطويل ، هذا من حيث الجمال اما من حيث النظافة فليس شك في افضلية الشعر القصير ونظافته



رءوس سيدات من بنات هذا العصر وقد جززن شعورهن الا الوسطى وقد اصبحت بينهن كالغريبة



زي الشعر: مدام دوسيفينيه ولدت سنة ١٦٢٦ وماتت سنة ١٦٩٦



ترتيب الشعر في عهد الملك لويس السادس عشر



صورة كاريكاتورية رسمت في عهد الثورة الفرنسية لتهزىء الزي الشائع لترتيب الشعر



قبل قص الشعر : زي بائد



الفتاة الغلامية تقص شعرها كالغلمان



زي الشعر : مدام دوسيفينيه ولدت سنة ١٦٢٦ وماتت سنة ١٦٩٦





تسوية بين الزي القديم والحديث — بين جز الشعر وارساله

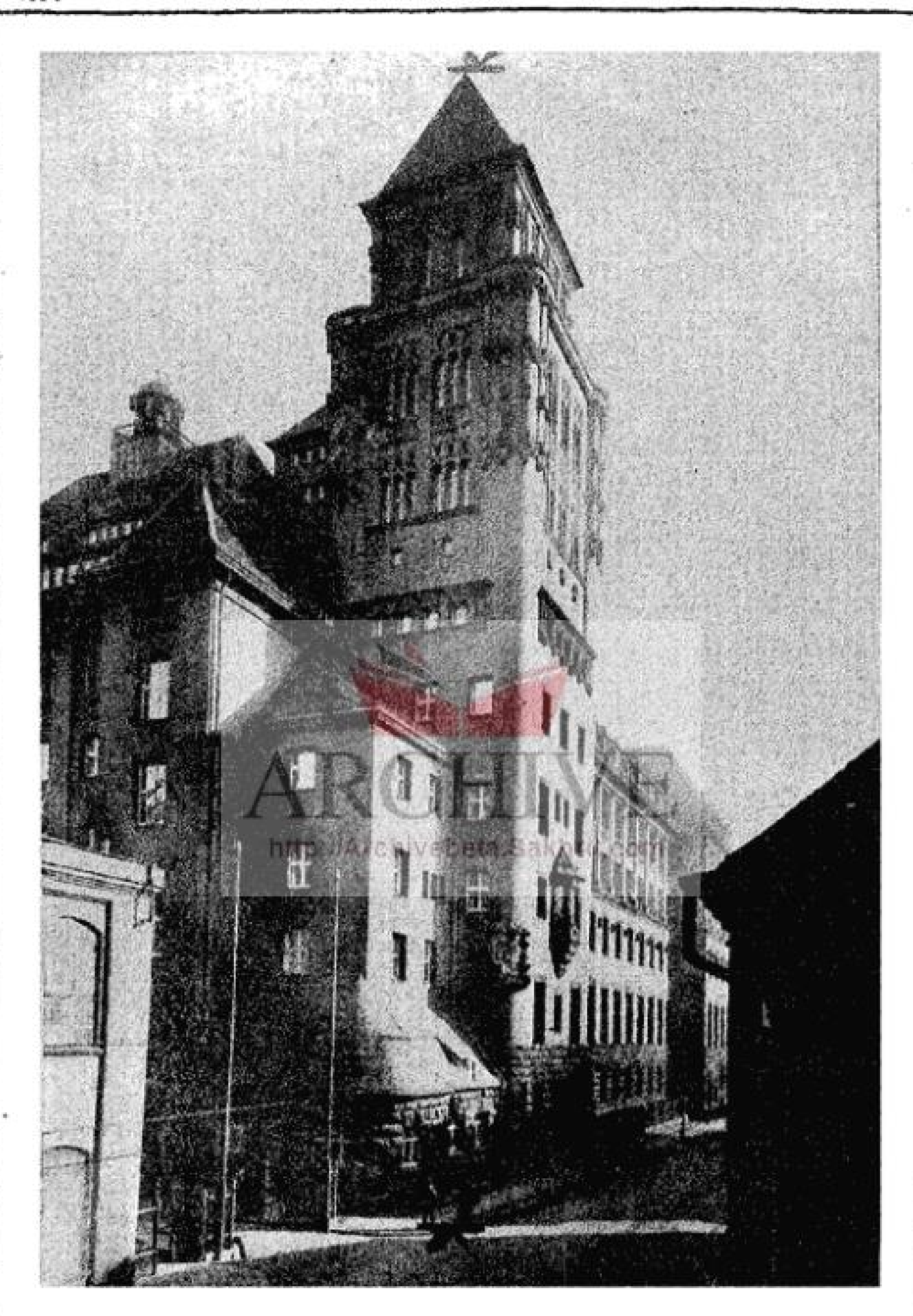
معامل كروب

بمناسبة مرور مائة عام على وفاة مؤسسها

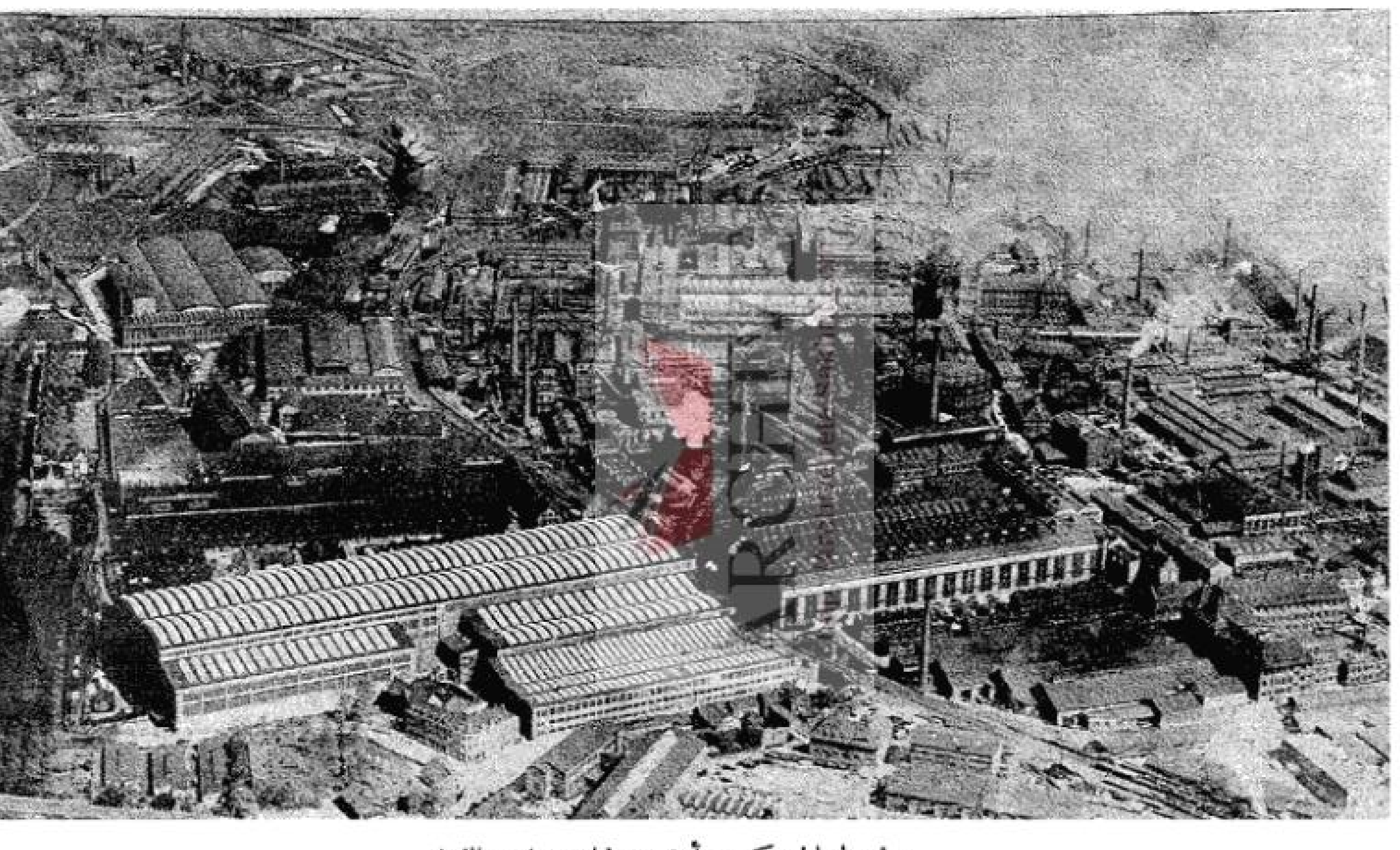


الفرد كروب ابن فردريك كروب مؤسس معامل كروب الشهيرة

مات فردريك كروب سنة ١٨٢٦ أي منذ مائة سنة وهو مؤسس معامل كروب وقد احتفلت معامله الكثيرة بهذا العيد المئوي وهو والد الفرد كروب . وقد تسلم الفرد كروب هذا من والده معملاً به أربعة عمال فقط وتركه وهو اكبر معامل العالم كله في صنع السلاح حتى كانت تعزى قوة ألمانيا الى قوته وتنظيم عمله . ومما يذكر بخصوص أسلحة كروب ان أول صفقة كبيرة عقدتها هذه المعامل كانت مع مصر سنة ١٨٥٦ حين باعتها مقداراً كبيراً من المدافع التي ترى للآن في القلاع القديمة . وحوالي سنة ١٨٩٠ أخذت تصنع صفائح من الفولاذ للبوارج حتى جعلت بوارج الاسطول الالماني تزعج جميع الدول البحرية . ويقال ان هذه المعامل كانت تستنفد من الفحم كل عام نحو مائة الف طن . وكان عدد عمالها ٨٠٠٠٠ وفي مدة الحرب بلغ عدد العمال ١١٠٠٠٠ وكانت تصنع في اليوم ٤٠٠٠٠ قنبلة . ولما انتهت الحرب أخذت المعامل تصنع أدوات السلم كالقاطرات والمراجل والاتومبيلات ونحو ذلك



احدى بنايات معامل كروب في اسن في المانيا



منظر عام لمعامل كروب أخذ من طيارة في اسن بالمانيا

الأيام - ٢

بقلم الدكتور طه حسين

أستاذ الادب بالجامعة المصرية

(٥) ولكنه لا يعرف كيف حفظ القرآن ، ولا يذكر كيف بدأه ولا كيف أعادة وان كان يذكر من حياته في الكتّاب مواقف كثيرة منها ما يضحكه الآن ومنها ما يحزنه ٠ يذكر اوقاتاً كان يذهب فيها الى الكتّاب محمولاً على كتف احد اخويه لان الكتاب كان بعيداً ولانه كان أضعف من أن يقطع ماشياً تلك المسافة ٠ ثم لا يذكر متى بدأ يسعى الى الكتّاب ٠ ويرى نفسه في ضحى يوم جالساً على الارض بين يدي « سيدنا » ومن حوله طائفة من النعال كان يعبث بعضها ، وهو يذكر ما كان قد ألصق بها من الرقع ٠ وكان « سيدنا » جالساً على دكة من الخشب صغيرة ليست بالعالية ولا بالمنخفضة قد وضعت على يمين الداخل من باب الكتّاب بحيث يمر كل داخل « بسيدنا » ٠ وكان « سيدنا » قد تعود متى دخل الكتّاب ان يخلع عباءته او بعبارة ادق دفيته ويلفها لفاً يجعلها في شكل المخدة ويضعها عن يمينه ، ثم يخلع نعله ويتربع على دكته ويشعل سيجارته ويبدأ في نداء الاسماء ٠ وكان « سيدنا » لا يبقي نعليه الا اذا لم يجد من ذلك بداً ، كان يرقعهما من اليمين ومن الشمال ومن فوق ومن تحت ، وكان اذا اخلت به احدى نعليه دعا احد صبيان الكتاب وأخذ النعل بيده وقال له : تذهب الى « الحزّين » وهو هنا قريب فتقول له « يقول لك سيدنا ان هذه النعل في حاجة الى لوزة من الناحية اليمنى » انظر أترى ؟ هنا حيث أضع اصبعي ، فيقول لك « الحزّين » « نعم سأضع هذه اللوزة » فتقول له « يقول لك سيدنا يجب ان تتخير الجلد متيناً غليظاً جديداً وان تحسن الرقع بحيث لا يظهر او بحيث لا يكاد يظهر » فيقول لك « نعم سأفعل هذا » فتقول له « ويقول لك سيدنا انه عميلك منذ زمن طويل فاستوص بالاجر خيراً » ومهما يقل لك فلا تقبل منه اكثر من قرش ثم عد اليّ مسافة ما اغمض عيني ثم افتحها ، وينطلق الصبي ويلهو عنه سيدنا ثم يعود وقد اغمض سيدنا عينه وفتحها مرة ومرة ومرات

على ان الرجل كان يستطيع ان يغمض عينه ويفتحها دون ان يرى او يكاد يرى شيئاً فقد كان ضريراً الا بصيصاً ضئيلاً جداً من النور في احدى عينيه يمثل له الاشباح دون ان يمكنه ان يتميزها ، وكان الرجل سعيداً بهذا البصيص الضئيل ٠٠٠ وكان يخدع نفسه ويظن انه من المبصرين ، ٠٠٠ ولكن ذلك لم يكن يمنعه من ان يعتمد في طريقه الى الكتّاب والى البيت على

اثنين من تلاميذة ، يبسط ذراعة على كتفي كل واحد منهما ويمشي الثلاثة في الطريق هكذا قد اخذوها على المارة حتى انهم ليتنحون لهم عنها

وكان منظر سيدنا عجباً في طريقه الى الكتاب والى البيت صباحاً ومساء . كان ضخماً بادناً وكانت دفيته تزيد في ضخامته ، وكان كما قدمنا يبسط ذراعيه على كتفي رفيقيه وكانوا ثلاثتهم يمشون . وانهم ليضربون الارض باقدامهم ضرباً . وكان سيدنا يتخير من تلاميذه لهذه المهمة انجبهم واحسنهم صوتاً ، ذلك انه كان يحب الغناء وكان يحب ان يعلم تلاميذه الغناء ، وكان يتخير الطريق لهذا الدرس فكان يغني ويأخذ رفيقيه بمصاحبته حيناً والاستماع له حيناً آخر او يأخذ واحداً منهما بالغناء على ان يصاحبه هو والرفيق الآخر . وكان سيدنا لا يغني بصوته ولسانه وحدهما وانما يغني برأسه وبدنه ايضاً ، فكان رأسه يهبط ويصعد وكان رأسه يلتفت يميناً وشمالاً ، وكان سيدنا يغني بيديه ايضاً فكان يوقع الانغام على صدر رفيقيه باصابعه وكان سيدنا يعجبه « الدور » احياناً ويرى ان المشي لا يلائمه فيقف حتى يتمه . وأبدع من هذا كله ان سيدنا كان يرى صوته جميلاً وما يظن صاحبنا ان الله خلق صوتاً أقبح من صوته . وما قرأ صاحبنا قول الله عز وجل : « ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » ألا ذكر سيدنا وهو يوقع ابياتاً من البردة في طريقه الى الجامع منطلقاً لصلاة الظهر او من طريقه الى البيت منصرفاً من الكتاب

يرى صاحبنا نفسه كما قدمنا جالساً على الارض يعبث بالنعال من حوله وسيدنا يقرئه سورة الرحمن ولكنه لا يذكر أكان يقرؤها بادئاً أم معيداً

وكأنه يرى نفسه مرة اخرى جالساً لا على الارض ولا بين النعال بل عن يمين سيدنا على دكة أخرى طويلة ، وسيدنا يقرئه « أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » واكبر ظنه انه كان قد اتم القرآن بدءاً واخذ يعيده وليس غريباً أن ينسى صاحبنا كيف حفظ القرآن فقد أتمّ حفظه ولما يتم التاسعة من عمره ، وهو يذكر في وضوح وجلاء ذلك اليوم الذي ختم فيه القرآن ، ذلك ان سيدنا كان يتحدث اليه قبل هذا اليوم بأيام عن ختم القرآن وعن أن اباه سيبتهج به وكان يضع لذلك شروطاً ويطالب بحقوقه . ألم يكن قد علّم قبل صاحبنا اربعة من اخوته ذهب واحد منهم الى الازهر والآخرون الى المدارس وصاحبنا هو الخامس . . . فكم لسيدنا على الاسرة من حقوق ! وحقوق سيدنا على الاسرة كانت تتمثل دائماً طعاماً وشراباً وثياباً ومالاً فاما الحقوق التي كان يقتضيها اذا ختم صاحبنا القرآن فعشوة دسمة قبل كل شيء ، ثم جبة وقفطان وزوج من الاحذية وطربوش مغربي وطاقية من هذا القماش الذي تتخذ منه العمائم وجنيه احمر لا يرضى بشيء دون ذلك . . . فاذا لم يؤدّ اليه هذا كله فهو لا يعرف الاسرة ولا يقبل منها شيئاً

ولا صلة بينهُ وبينها وهو يقسم على ذلك بمحرجات الايمان . وكان هذا اليوم يوم أربعاء وكان سيدنا قد انبأ في الصباح بان صاحبنا سيختم القرآن في هذا اليوم وأقبلوا في العصر يمشي سيدنا معتمداً على رفيقيه ويمشي صاحبنا من ورائه يقوده يتيم من ايتام القرية حتى اذا بلغوا البيت دفع سيدنا الباب دفعاً وصاح صيحته المعتادة « يا ستّار » واتجه الى المنظرة فاذا فيها الشيخ قد انفلت من صلاة العصر وهو يقرأ شيئاً من الادعية كعادته فاستقبلهم مبتسما مطمئناً وكان صوته هادئاً وكان صوت سيدنا عالياً وكان صاحبنا لايقول شيئاً وكان اليتيم مبتهجاً اجلس الشيخ سيدنا ورفيقيه ووضع في يد اليتيم قطعة من فضة ودعا الخادم وامره بان يأخذ هذا اليتيم الى حيث يصيب شيئاً من الطعام ومسح على رأس ابنه وقال « فتح الله عليك . انصرف الى امك فقل لها ان سيدنا هنا »

وكانت امه قد سمعت صوت سيدنا وكانت قد اعدّت له ما لا بدّ منهُ في مثل هذا الوقت وهو كوز ضخم طويل من السكر المذاب لا شيء عليه . اخرج الى سيدنا هذا الكوز فعبه عباً وشرب رفيقاه كوبين من السكر المذاب ايضاً ثم اخرجت القهوة فشربها سيدنا مع الشيخ . وكان سيدنا يلحّ على الشيخ في ان يمتحن الصبي فيما حفظ من القرآن وكان الشيخ يجيب « دعه يلعب انهُ صغير » ثم نهض سيدنا لينصرف فقال له الشيخ « نصلي المغرب معاً ان شاء الله » وكانت هذه هي الدعوة الى العشاء ، وما احسب ان سيدنا نال شيئاً آخر اجراً على ختم صاحبنا للقرآن فقد كان يعرف الاسرة منذ عشرين سنة وكانت له فيها عادات غير مقطوعة وكانت الكلفة بينه وبينها مرفوعة ، وكان واثقاً ان الحظ ان يخطئه معها هذه المرة فلن يخطئه مرة اخرى

***

(٦) منذ هذا اليوم أصبح صبينا شيخاً وان لم يتجاوز التاسعة لانه حفظ القرآن ، ومن حفظ القرآن فهو شيخ مهما تكن سنه . دعاه أبوه شيخاً ودعته أمه شيخاً وتعود سيدنا أن يدعوه شيخاً أمام أبويه او حين يرضى عنه او حين يريد ان يترضاه لامر من الامور . فاما فيما عدا ذلك فقد كان يدعوه باسمه وربما دعاه « بالواد » . وكان شيخنا الصبي قصيراً نحيفاً شاحباً زري الهيئة على نحو ما ، ليس له من وقار الشيوخ ولا من حسن طلعتهم حظ قليل او كثير ، وكان أبواه يكتفيان من تمجيده وتكبيره بهذا اللفظ الذي أضافاه الى اسمه كبراً منهما وعجباً لا تلطفاً به ولا تحبباً اليه . أما هو فقد أعجبه هذا اللفظ في أول الامر ولكنه كان ينتظر شيئاً آخر من مظاهر المكافأة والتشجيع . كان ينتظر أن يكون شيخاً حقاً فيتخذ العمة ويلبس الجبة والقفطان ، وكان من العسير اقناعه بأنه أصغر من ان يحمل العمة ومن ان يدخل في القفطان ... وكيف السبيل الى اقناعه بذلك وهو شيخ قد حفظ القرآن! وكيف يكون الصغير شيخاً ! وكيف يكون من حفظ القرآن صغيراً!

هو اذن مظلوم ... وأي ظلم أشد من ان يحال بينه وبين حقه في العمة والجبة والقفطان...

وما هي الا أيام حتى سئم لقب الشيخ وكره ان يدعى به وأحس ان الحياة مملوءة بالظلم والكذب وان الانسان يظلمه حتى أبواه وان الابوة والامومة لا تعصم الاب والام من الكذب والعبث والخداع

ثم لم يلبث شعوره هذا أن استحال الى ازدراء للقب الشيخ واحساس بما كان يملأ نفس ابيه وامه من الغرور والعجب

ثم لم يلبث ان نسي هذا كله فيما نسي من الاشياء

على أنهُ في حقيقة الامر لم يكن خليقاً ان يدعى شيخاً وانما كان خليقاً رغم حفظه للقرآن ان يذهب الى الكتاب كما كان يذهب مهمل الهيئة ، على رأسه طاقيته التي تنظف يوماً في الاسبوع وفي رجليه حذاء يجدد مرة في السنة ولا يدعهُ حتى لا يحتمل شيئاً فاذا تركه فليمش حافياً أسبوعا أو أسابيع حتى يأذن الله له بحذاء جديد . كان خليقاً بهذا كله لأن حفظه للقرآن لم يدم طويلاً ... أكان وحده ملوماً في ذلك أم كان اللوم مشتركا بينه و بين سيدنا ؟ الحق ان سيدنا أهمله حيناً وعني بغيره من الذين لم يختموا القرآن . أهمله ليستريح وأهمله لانهُ لم يتقاض اجراً على ختمه للقرآن ، واستراح صاحبنا الى هذا الاهمال وأخذ يذهب الى الكتاب يقضي فيه طوال النهار في راحة مطلقة ولعب متصل ينتظر أن تنقضي السنة و يأتي اخوه الازهري من القاهرة حتى اذا انتهت الاجازة وعاد الى القاهرة اصطحبهُ ليصبح شيخاً حقاً وليجاور في الازهر

ومضى على هذا شهر وشهر وشهر . يذهب صاحبنا الى الكتاب و يعود منه في غير عمل وهو واثق بأنه قد حفظ القرآن وسيدنا مطمئن الى أنه قد حفظ القرآن الى ان كان اليوم المشئوم ...

كان هذا اليوم مشئوماً حقاً ، ذاق فيه صاحبنا لاول مرة مرارة الخزي والذلة والضعة وكره الحياة . عاد من الكتاب عصر ذلك اليوم مطمئناً راضياً ولم يكد يدخل الدار حتى دعاه ابوه بلقب الشيخ فأقبل عليه ومعه صديقان له . فتلقاه ابوه مبتهجاً وأجلسهُ في رفق وسأله أسئلة عادية ثم طلب اليه ان يقرأ « سورة الشعراء » . وما هي الا ان وقع عليه هذا السؤال وقع الصاعقة ، ففكر وقدّر وتحفز واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وسمى الله الرحمن الرحيم ولكنه لم يذكر من سورة الشعراء الا انها احدى سور ثلاث أولها (طسم) فأخذ يردد (طسم) مرة ومرة ومرة دون ان يستطيع الانتقال الى ما بعدها . وفتح عليه ابوه بما يلي هذه الكلمة من سورة الشعراء فلم يستطع ان يتقدم خطوة قال ابوه : فاقرأ سورة النمل . فذكر ان اول سورة النمل كاول سورة الشعراء (طس) وأخذ يردد هذا اللفظ وفتح عليه ابوه فلم يستطع ان يتقدم خطوة أخرى ...

قال ابوه فاقرأ سورة القصص ، فذكر انها الثالثة ، وأخذ يردد (طسم) ولم يفتح عليه ابوه هذه المرة ولكنهُ قال له في هدوء : قم فقد كنت احسب انك حفظت القرآن . . قام خجلاً يتصبب عرقاً واخذ الرجلان يعتذران عنهُ بالخجل وصغر السن ، ولكنه مضى لا يدري أيلوم نفسه لانهُ نسي القرآن أم يلوم سيدنا لانهُ اهمله ام يلوم اباه لانهُ امتحنهُ . . .

ومهما يكن من شيء فقد أمسى هذا اليوم شرَّ مساء : لم يظهر على مائدة العشاء ولم يسأل عنهُ ابوه ودعتهُ أمهُ في اعراض الى ان يتعشى معها فأبى فانصرفت عنهُ ونام

ولكن هذا المساء المنكر كان في جملته خيراً من الغد

ذهب الى الكتاب فاذا سيدنا يدعوه في جفوة : ماذا حصل بالأمس ؟ وكيف عجزت عن ان تقرأ سورة الشعراء ؟ وهل نسيتها حقاً ؟ اتلها عليَّ . فأخذ صاحبنا يردد (طسم) . . . وكانت له مع سيدنا قصة كقصته مع ابيه . قال سيدنا : عوضني الله خيراً فيما أنفقت معك من وقت وما بذلت في تعليمك من جهد ، فقد نسيت القرآن ويجب ان تعيده ، ولكن الذنب ليس عليك ولا عليَّ وانما هو على ابيك ، فلو انه أعطاني اجري يوم ختمت القرآن لبارك الله له في حفظك ولكنه منعني حقي فمحا الله القرآن من صدرك

ثم بدأ يقرئه القرآن من اوله ، شأنه مع من لم يكن شيخاً ولا حافظاً

***

(٧) وليس من شك في انه حفظ القرآن بعد ذلك حفظاً جيداً في مدة قصيرة جداً . فهو يذكر انه عاد من الكتاب ذات يوم مع سيدنا ، وكان سيدنا في هذا اليوم حريصاً على ان يعود معه حتى اذا وصلوا الى الدار عطف عليها سيدنا فدفع الباب فاندفع له ، وصاح صيحته المألوفة : يا ستّار ! وكان الشيخ كعادته في المنظرة قد فرغ من صلاة العصر . فلما استقر سيدنا في مجلسه قال للشيخ : « زعمت ان ابنك قد نسي القرآن ولمتني في ذلك لوماً شديداً ، وأقسمت لك انه لم ينس وانما خجل فكذبتني وعبثت بلحيتي هذه ، وقد جئت اليوم لتمتحن ابنك أمامي ، وأنا أقسم لئن ظهر انه لا يحفظ القرآن لاحلقن لحيتي هذه ولاصبحن معرة الفقهاء في هذا البلد » قال الشيخ : « هون عليك ، ومالك لا تقول انه نسي القرآن ثم اقرأته اياه مرة اخرى » ؟ قال : « أقسم بالله ثلاثاً ما نسيه ولا أقرأته وانما استمعت له القرآن فتلاه عليَّ كالماء الجاري لم يقف ولم يتردد »

وكان صاحبنا يسمع هذا الحوار ، وكان مقتنعاً ان اباه محق وان سيدنا كاذب ولكنه لم يقل شيئاً ولبث منتظراً الامتحان

وكان الامتحان عسيراً شاقاً ولكن صاحبنا كان في هذا اليوم نجيباً بارعاً لم يسأل عن شيء

الا اجاب في غير تردد ، وقرأ في اسراع حتى كان الشيخ يقول له « على مهلك فان الكر[1] في القرآن خطيئة » حتى اذا اتمّ الامتحان قال له ابوه « فتح الله عليك اذهب الى امك فقل لها انك حفظت القرآن حقاً » ذهب الى امه ولكنه لم يقل لها شيئاً ولم تسأله عن شيء . وخرج سيدنا في ذلك اليوم ومعه جبة من الجوخ خلعها عليه الشيخ

* * *

(٨) واقبل سيدنا الى الكتاب من الغد مسروراً مبتهجاً ، فدعا الشيخ الصبي بلقب الشيخ هذه المرة قائلاً : اما اليوم فانت تستحق ان تدعى شيخاً فقد رفعت رأسي وبيضت وجهي وشرفت لحيتي أمس ، واضطر ابوك الى ان يعطيني الجبة ، ولقد كنت تتلو القرآن أمس كسلاسل الذهب وكنتُ على النار مخافة ان تزلّ او تنحرف ، وكنتُ احصنك بالحي القيوم الذي لا ينام حتى انتهى هذا الامتحان ، وأنا أعفيك اليوم من القراءة ولكن أريد ان آخذ عليك عهداً فعدني بأن تكون وفياً . قال الصبي في استحياء : لك عليّ الوفاء . قال سيدنا : فاعطني يدك . واخذ يد الصبي فما راع الصبي الا شيء في يده غريب ما احس مثله قط ، عريض ، يترجرج ، ملؤه شعر تغور فيه الاصابع ، ذلك ان سيدنا قد وضع يد الصبي على لحيته وقال : هذه لحيتي اسلمك اياها وار يد ألا تهينها فقل « والله العظيم » ثلاثاً « وحق القرآن المجيد لا أهينها » . وأقسم الصبي كما أراد سيدنا حتى اذا فرغ من قسمه قال له سيدنا : كم في القرآن من جزء ؟ قال : ثلاثون . قال سيدنا : وكم نشتغل في الكتاب من يوم ؟ قال الصبي : خمسة ايام . قال سيدنا : فاذا اردت ان نقرأ القرآن مرة في كل اسبوع فكم نقرأ من جزء في كل يوم . فكر الصبي قليلاً ثم قال : ستة اجزاء . قال سيدنا فتقسم لتتلونّ على العريف ستة اجزاء من القرآن في كل يوم من ايام العمل ولتكونن هذه التلاوة اول ما تأتي به حين تصل الى الكتاب فاذا فرغت منها فلا جناح عليك ان تلهو وتلعب على ألا تصرف الصبيان عن اعمالهم . اعطى الصبي على نفسه هذا العهد ودعا سيدنا العريف فاخذ عليه عهداً مثله ليسمعنّ للصبي في كل يوم ستة اجزاء من القرآن واودعه شرفه وكرامة لحيته ومكانة الكتاب في البلد . وقبل العريف الوديعة وانتهى هذا المنظر وصبيان الكتاب ينظرون ويعجبون

(لها بقية) طه حسين

---

(١) الكر الاسراع في لغة الفقهاء

لماذا توجد الكنوز

في قبور المصريين القدماء ؟

بقلم الاستاذ محمود طاحون الامين المساعد بالمتحف المصري

قد يكون هذا السؤال أول ما يطرق بال زائر المتحف المصري بعد ما يتم زيارته ويتمتع برؤية الكنوز الحديثة التي اكتشفت في قبر « توت ـ عنخ ـ امون » . وقد يحسب لاول وهلة ان الجواب عليه هو الفكرة الشائعة عن المصريين القدماء بأنهم كانوا يعتقدون في البعث والنشور ولكنه لو فكر قليلاً لعلم ان ذلك ليس من الحقيقة في شيء . فها نحن جميعاً على اختلاف اديانا ومذاهبنا نعتقد في القيامة والبعث ومع ذلك فهذه قبورنا لا نضع فيها مع موتانا أثراً واحداً . ومن الامم القديمة من كانوا كذلك يعتقدون في الحياة الاخرى على أن قبورهم التي عثرنا عليها خاوية لا تحوي شيئاً من متاع الدنيا . واذن فما هو الجواب الصحيح على سؤالنا ؟

يحسن قبل الادلاء به أن نمهد له بذكر حقيقتين مهمتين عن قدماء المصريين لا بد من معرفتهما اذا اردنا تفسير كثير من معضلات التاريخ المصري القديم : ـ

الاولى هي ان عقائد هؤلاء الاسلاف عن الموت والآخرة في عصر « توت ـ عنخ ـ امون » مثلاً (عصر الحضارة والكنوز الفاخرة) لم تكن ناشئة من وحي نبي مرسل او تعاليم واحد من الفلاسفة بل هي محصول تفكير الامة جمعاء في اكثر من عشرين قرناً من الزمان

والثانية ـ وقد لا يُسر منها نفر منا ـ هي ان المصريين القدماء لم يكونوا على شيء من الفلسفة الحقة [1] ولم ينبغ بينهم فرد واحد يقارب سقراط أو افلاطون في قوة التفكير . وانه ليكفي ان نطلع على نقش أو مخطوط ديني واحد كيفما اتفق لنرى كيف يستطيع المصري القديم أن يجمع في آن واحد بين عقيدتين متنافرتين ويؤمن بكلتيهما ولا يجد في ذلك غضاضة ولا يشعر في نفسه بأقل حيرة . وليس هذا من الفلسفة في شيء

---

(١) واذا كان هناك من كتاب الاغريق من أورد عكس ذلك فقالوا في امتداح فلسفة المصريين وأطنبوا في ذكر مناقب حكمائهم وكهنتهم فهم انما خدعوا بدعاية اولئك المصريين المعاصرين لهم ـ وكانت كلها طلاسم وألغازاً ـ فتوهموا ان وراء هذه المعميات حكماً بليغة دقيقة لا يدركها الا الكهنة المصريون وهؤلاء استطاعوا بصمتهم وطقوسهم السرية ان يشجعوا مثل هذه الآراء . ولكننا نحن الآن وقد كشفنا عن آثار القوم منذ نشأتهم ووصل الى ايدينا الكثير من نقوشهم ومخطوطاتهم مما لم يطلع عليه قدماء الاغريق نستطيع ان نصدر حكمنا هذا القوي وان كان قاسياً فهو الحقيقة التي محصها علماء « المصرولوجيا » منذ حلت الرموز الهيروغليفية

والغاية من ذكر هاتين الحقيقتين هي انه ان أردنا معرفة السر في وجود ذلك الاثاث الفاخر والكنوز النفيسة التي اكتشفت في قبر « توت ـ عنخ ـ أمون » فلا بد من أن ندرس أولا كيف نشأت عقائد قدماء المصريين عن الموت والاموات ثم كيف تطورت هذه العقائد أثناء تلك القرون الطويلة وهنا يجب ألا ندهش اذا ما أخذنا البحث الى الحقيقة القاطعة فوجدنا هناك عقائد متناقضة لا يمكن التوفيق بينها

في أعرق القبور المصرية قِدَماً ـ تلك التي نسميها « قبور ما قبل التاريخ » ـ نرى الجثة وبجانبها عدد من الادوات المنزلية والاسلحة التي كان الميت يستعملها في دنياه ومعها ذخيرة من الطعام والشراب . ولا يدل هذا على ان القوم حين ذاك كانوا قد فكروا عميقاً في مصير الميت او بحثوا في مستقبله بعد القبر لان العقل البشري في تلك العصور الغابرة لم يكن نضج بعد . وانما تفسير ذلك ـ بكل سهولة ـ هو ان الانسان في ذلك الحين لما رأى أخاه سكنت حركاته اذ فارقته الحياة لم يفهم ان ذلك هو الموت ولم يستطع ان يتصور ان الحياة الجسدية قد انتهت . وبعبارة اخرى كان المصري قبل التاريخ يعتقد ان اخاه الميت انما ذهب الى القبر ولا تزال فيه حياته الجسدية فوضع معه ما وضع من عدد وآلات وطعام وشراب لاعتقاده ان فقيده العزيز محتاج اليها كحاجته هو نفسه . ومن الغريب ان هذه العقيدة الفطرية بقيت ثابتة في عقول المصريين من مبدأ التاريخ الفرعوني حتى منتهاه وكانت هي الاساس الذي بنيت عليه كل العادات الجنائزية في كل العصور بالرغم من ارتقاء الحضارة وتهذيب العقول، وما من نقش او مخطوط يتحدث عن الموتى الا ونقرأ فيه ان ساكن القبر لم يمت وانما هو حي في قبره يتمتع بما يتمتع به اهل الدنيا . وان كان هناك فرق بين الحياتين ـ حياة الارض وحياة القبر ـ فهو في نظر المصريين مما لا يدرك كنهه وليس من المهم معرفته او البحث فيه ! بل ان قبورهم نفسها ـ سواء اكانت أطواداً كالاهرام او متراصة البنيان كالمصاطب او كهوفاً منحوتة في الصخور كمدافن وادي الملوك بطيبة ـ لتنهض من مناعتها وتحصينها وتنسيق اجزائها حجة قوية على تمكن هذه العقيدة من نفوسهم

تنسيق القبر المصري : المدفن والهيكل

كل قبر مصري كامل يتكوّن في ابسط مظاهره من قسمين أساسيين : ـ حجرة سفلية (تحت الارض) تودع فيها الجثة في نعشها : وهذه هي المدفن ، وحجرة أخرى علوية (فوق الارض) وهي هيكل القرابين [1]

(١) وهذه قاعدة عامة تنطبق حتى على الاهرام التي شيدت لتكون اجداثاً للفراعنة (من الاسرة الثالثة الى الثانية عشرة) وعلى القبور التي نحتت في صخور وادي الملوك . ففي كل هرم كانت حجرة المدفن تنحت عادة في الصخور التي بأسفل قاعدته (ولم تكن تبنى في جوف الهرم نفسه الا نادراً جداً) . وكان هيكل القرابين التابع للهرم

فأما المدفن فكان في نظرهم مسكن الميت يعيش فيه كما يعيشون هم على الارض . وأما هيكل القرابين (سواء أكان فوق المدفن مباشرة او بالقرب منه او بعيداً عنه) فكان معداً لاقارب الميت يأتون اليه حاملين معهم كل ما يحتاج اليه فيقدمهم من طعام وشراب · فاذا لم تأته هذه الذخيرة فانه اما ان يعيش على الاقذار او يموت الميتة الثانية في قبره الى الابد · وكان الميت ـ على اعتقادهم ـ يخرج كل يوم من المدفن فيذهب الى هيكل القرابين ليأخذ ما اودع له فيه من مأكل ومشرب · ولذلك كانوا يبنون في بعض الهياكل (ايام الدولة القديمة) باباً زائفاً منحوتاً في الجدار يقوم فيه تمثال الميت كأنه قد ولجه ليتناول طعامه · وكان الزائرون تبعاً لذلك يحجون الى تلك الهياكل لا ليعبدوا الميت ولكن ليطعموه

وانه لمن حسن حظ علم الآثار المصرية بل من حسن حظ العالم كله أن كان القوم يؤمنون بمثل هذا الايمان الراسخ ان الموتى احياء في قبورهم · فان هذا الايمان وحده هو الذي دفعهم لان يتركوا كل هذه الكنوز في قبورهم · فاستفادت بذلك العلوم أيما فائدة

التحنيط والتدابير التي اتخذت لحماية القبور من اللصوص

ولدينا في التحنيط دليل آخر يثبت صدق ما نقوله فلولا ان المصريين القدماء كانوا يعتقدون ان الراحل الى القبر سيعيش فيه لما عنوا بجسمه وحنطوه . فانهم عرفوا أن خير ضمين لبقاء الحياة في القبر هو جسم سليم تلبسه هذه الحياة . فحاولوا بكل الوسائل الصناعية الممكنة أن يحفظوا الجسم بعد الوفاة كامل الاعضاء آمناً من العطب والبلى · ولكي يطمئنوا على حياة هذا الجسم تمام الاطمئنان كانوا قبل وضعه في القبر يقيمون عليه طقساً دينياً يسمونه « فتح الفم والعينين » و يعتقدون انهم به يعيدون للميت كل مظاهر الحياة الجسدية [1]

فاذا ما فرغ المحنطون والكهنة من طقوسهم لُفّت المومياء في اكفانها وفي طياتها الجواهر والحلى ثم اودعت تابوتها في حجرة المدفن وأحيطت بكل ما لا غنى للميت عنه من أثاث وملابس فسرير للنوم و كراسي للجلوس وعصي واسلحة للصيد وأشياء أخرى كثيرة

ولكن للاسف نجم من وجود هذه الكنوز خطر مريع فان الجواهر والحلى أخذت تغري قوماً من اللصوص الذين لا خلاق لهم فاقتحموا لاجلها هذه القبور وعاثوا فيها فساداً مستهينين

يبنى الى الجانب الشرقي منه : اما قبور وادي الملوك فما هي في الحقيقة الا مدافن فقط فان هياكلها المعدة للقرابين كانت تبنى على مسافة عظيمة من الوادي بالقرب من النيل . وقد اندثر معظمها الآن

(١) قد كان يقوم بهذا الطقس الديني احد الكهنة وذلك بأن يلمس وجه الميت مرتين بفأس صغيرة ومرة واحدة بأزميل ثم بعد ذلك يفتح بيديه الفم والعينين فيستطيع الميت حينئذ ـ على ما يعتقدون ـ ان يتناول طعامه من الضحايا التي نحرها له أقرباؤه

بحرمة الموتى وغير مبالين بتعاليم دينهم . وكانت المومياء اذا ما عُبث بها في سبيل البحث عن الجواهر تلفت وتحللت أجزاؤها أو ـ كما يعبر عن ذلك القدماء ـ ماتت ميتة ثانية لا حياة بعدها. وازاء هذا الخطر تفتقت اذهان المصريين عن وسيلتين اعتقدوا ان فيهما درءه واتقاءه · فاما الاولى فهي صنع تمثال شبيه بالميت جهد الاستطاعة فيوضع في المدفن حتى اذا ما تلفت المومياء قام عوضاً عنها وأدى وظيفتها تماماً اذا ما لبسته الروح · ومن أجل هذه الفكرة وحدها صنع المصريون تسعة اعشار ما صنعوه من التماثيل التي نراها الآن في متاحفنا . وأما الوسيلة الثانية فهي سر مداخل القبور أو اخفاء معالمها بقدر ما يستطاع فاما ان يعجز اللصوص عن العثور عليها واما ان يفشلوا في اقتحامها اذا وجدوها لما أقيم فيها من عراقيل أو دبر فيها من تضليل · ففي الهرم الاكبر مثلاً جُعل مدخل حجرة المدفن منحرفاً قليلاً عن منتصف الضلع الغربي · فلما اراد الخليفة المأمون أن يصل الى جوف الهرم طمعاً في الكنوز لم يستطع أن يجد المدخل الحقيقي وانما شق لنفسه الطريق عنوة بواسطة ثغرة فتحها في صخور البناء نفسه · وكذلك كانت المصاطب[1] المعاصرة للاهرام تحشى مداخلها بصخور ضخمة من الجرانيت كانها صمامات لها لا يمكن انتزاعها · أما مدافن وادي الملوك بطيبة فقد انصرف مجهود الملوك فيها الى التضليل باللصوص فكانت هياكل القرابين لا تبنى فوق المدافن ولا تقرب منها وانما في الارض المستوية بعيداً عن الوادي · وظنوا بهذه الخطة انهم صرفوا انظار اللصوص عن ذلك الوادي المقدس وأمنوا غدرهم وسطوهم ولكن أولئك المجرمين لم يلبثوا أن عرفوا السر فامتدت ايديهم الى كثير من القبور وامتلأت جيوبهم بالنفائس والحلى[2] حتى اضطر أحد فراعنة الاسرة العشرين أن يجمع أجساد أجداده ممن عرف قبورهم وان يدفنهم جميعاً في مخبإ واحد · فبقوا آمنين في مضجعهم هذا قروناً طويلة حتى عثرت بهم أيدي لصوص هذا الزمان من أهل الاقصر · غير ان مصلحة الآثار علمت بذلك فتداركت الامر بأن نقلت جميع الجثث الى المتحف المصري

هـذا وان كان اكتشاف قبر توت ـ عنخ ـ امون في ايامنا هذه سليماً لم يعبث به لينهض برهاناً على ان مجهودات المصريين القدماء في سبيل اخفاء قبورهم عن اعين اللصوص لم تذهب كلها عبثاً بل قد نجحت بعض النجاح

الخاتمة

هكذا كانت عقيدة المصريين في الموت والاموات وهي بلا شك ـ على سذاجتها ـ الحجر

(١) هو اسم يطلق على قبور الدولة القديمة التي تشبه المصاطب شكلا

(٢) من شاء ان يستزيد معرفة بلصوص المقابر في ايام الفراعنة فليقرأ محاضر محاكمهم المدونة في بعض البرديات (حوالي عام ١٠٠٠ ق · م)

الاساسي الذي بنيت عليه جميع العادات الجنائزية عندهم

ولكن هناك عقائد اخرى آمنوا بها كذلك ـ وتنطق بها كتاباتهم ـ وهي متناقضة مع العقيدة السالفة تناقضاً ظاهراً . كأن يعتبروا الميت قد صعد الى السماء وصار نجماً او انه يعبر السماء كل يوم مع الشمس في سفينتها او انه ذهب ليعيش مع الاله اوزريس في الغرب المقدس (١)

وقد ذكرنا في بدء مقالنا هذا ان التوفيق بين هذه العقائد ليس بمستطاع ولا هو ايضاً ضروري . بل هو معضلة من المعضلات الغريبة لا يقف امامها الفكر القديم متردداً ويحار في تفسيرها الفكر الحديث . ولنضرب لك مثلا يقرب الى ذهنك كيف كان اولئك القدماء يتصرفون اذا ما اعترضهم مثل هذه المعضلات : ـ

حوالي عام ٢٠٠٠ ق . م . حينما عظم شأن طيبة واصبحت عاصمة الديار اشتد بذلك أزر « أمون » آلهها المحلي واصبحت له سطوة وخطر . فوقف المصريون ازاء ذلك امام معضلة كبيرة وتساءلوا : لمن من الآلهة تكون السيادة السياسية ؟

« أرع » وهو الإله العتيد ذو المجد التالد والتاريخ الحافل ام « لامون » وهو ـ على حداثة شهرته ـ رب طيبة عاصمة الملك وإله الفراعنة الحاكمين ؟ ولكنهم لم يكلفوا عقولهم عناء كبيراً وباضافة صغيرة بين الاسمين حلت المشكلة فصار الإله الاعظم هو « امون ـ رع » يجمع بين مزايا هذا وذاك بالرغم مما هناك بينهما من تناقض.

وكذلك حين تباينت لديهم العقائد من الموت ومصير الاموات ـ فكان لكل عقيدة مصدر يغاير المصادر الاخرى وتاريخ يختلف عن تواريخ غيرها ـ كفوا انفسهم مؤونة التفكير العميق في اختلاف هذه المصادر والتواريخ وفي أيها احق بالتصديق واكتفوا بأن قبلوا هذه العقائد جميعها وآمنوا بها غير عابئين بما بينها من تنافر واضح

ولكن اقدم هذه العقائد المختلفة ـ كما اوضحنا ـ هي العقيدة في حياة جسدية بحتة تلبس الجسم وهو في قبره . واليها وحدها يرجع الفضل في وجود هذه الكنوز العظيمة ومن بينها كنز « توت ـ عنخ ـ أمون »

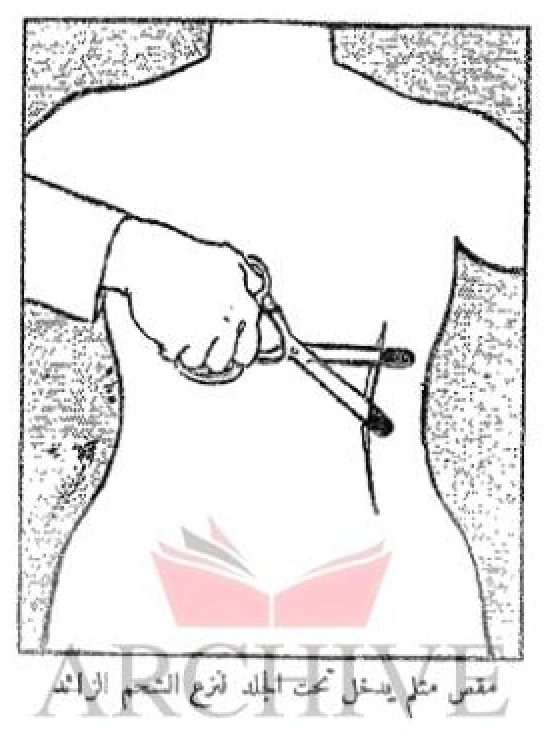
محمود طاحون

الامين المساعد بالمتحف المصري

(١) أسطورة « اوزريس » يضيق المقام عن ذكرها بالتفصيل . وخلاصتها هي ان اوزريس (وهو احد الآلهة التسعة العظام مؤسسي العالم) كان ملكاً عادلاً محباً لرعيته ولكن اخاه « ست » كان يبغضه فحبسه في القرص وقتله ثم القاه في اليم غيران « ايزيس » زوجة «اوزريس» المخلصة استطاعت بتعاويذها ان تعيد الحياة الى جثة زوجها وساعدها احد الآلهة لتحنطه . ومن ثم صار « اوزريس » اله الاموات وقاضيهم وأصبح في نظر الشعب المصري المثل الاعلى لكل من يموت حتى انهم اعتبروا كل ميت « اوزريساً » وأصبحت الموميات توضع في توابيت منحوتة على هيئة أوزريس . اما الغرب المقدس « امنتت » فهو مأوى اوزريس . وكان المصريون يدفنون موتاهم دائماً في جهة الغرب لانهم لاحظوا ان الشمس تحتجب في المغرب ومن هنا صار الغرب لديهم مقدساً

الجراحة والجمال

اعادة الشباب بالمشرط والمقص



مقص مثلم يدخل تحت الجلد لنزع الشحم الزائد

اكسير الحياة والشباب الدائم هما عظيمان من هموم الانسان منذ شرع يتحضر الى الآن وكم أوقعه السعي وراءهما في مهالك وطوّح به في مسالك الخطر التي اودت احياناً بحياته . ولكن هذا السعي على ما فيه من أباطيل قد وفق الانسان الى مكتشفات خطيرة فقد عرف الذهب عن هذا السبيل كما عرف الكيمياء ايضاً . فان المصريين استعملوا الذهب لاول مرة اعتقاداً بأنه يطيل الحياة وهم لم يمارسوا الكيمياء المشتقة من « خيمي » وهي مصر الا بغية التحنيط ولم يكن التحنيط الا بمثابة اطالة الحياة

وفي العالم الطبي الآن طبيبان كلاهما يعمل لاطالة الشباب أو لاستعادته وهما فورنوف وشتيناخ . وكلاهما يعتمد على الخصيتين في ذلك اما بعمل جراحي في الخصية واما بتركيب خصية قرد شاب في مكان خصية رجل مسن . والاخبار متناقضة في قيمة النجاح الذي احرزه كل منهما ولكن هناك نجاحاً ما على اية حال

والمرأة اكثر اهتماماً للجمال والشباب من الرجل بدليل تلك المساحيق والعجائن والطيوب والاصباغ التي تمتلىء بها الصيدليات . فانها كلها تقريباً تباع للنساء قلما يستعمل الرجال شيئاً منها

الا القليل وقت حلاقة اللحية . ولكن هذه العقاقير مهما أتقن وضعها وطلاء الوجه بها قلما تخفي عن العين تلك الاسارير الكريهة التي رسمتها يد الايام على الوجه . وهب انها اخفت ما على الوجه من امارات الشيخوخة او الكهولة فان انبساط الخصر وتراكم الشحم كلاهما يدل عليها و يشير اليها اشارة لا يخطأ فهمها . ففي الشباب نحافة طبيعية تجعل القوام معتدلاً مشدود العضلات حتى تكاد الفتاة تشبه الفتى فاذا تقدمت السن استرخى اللحم وتراكم عليه الشحم . وقد كانت الكورسيه تشد بطن السيدة الكهلة قديماً فتبدو فيها ضامرة البطن . ولكن أبى الشباب القاسي على الكاهلات هذا القناع وزالت من الاسواق هذه الاداة المفيدة . وذلك لان الفتاة وجدت انها يمكنها ان تبدو ضامرة فلا حاجة الى كورسيه ووجدت ايضاً ان ذراع خطيبها الذي يخاصرها تقع منها في موقع طراءة ناعمة لا في موقع الجساوة السابقة التي كانت تتسم بها الكورسيه



بعد ازالة الشحم تزال قطعة من البشرة أيضاً ثم يخاط ما بين الطرفين لايجاد الضمور المطلوب

وعلى ذلك لجأت النساء الى الذرائع الخطرة لرد شبابهن اليهن . واي خطر لا تتقبله المرأة عن بشر وسرور اذا كان فيه استعادة لشبابها ولو في الظاهر؟ ووجدت النساء عندئذ في الجراحين من يأسو في اجسامهن ما فعلت بل ما اجترحت يد الزمان

ولكن اذا كان فورنوف وشتيناخ يقولان برد الشباب فانهما يعنيان شباباً حقيقياً بتجديد الدم وتنبيه العصب وايقاظ الحواس . اما جراحو فرنسا واميركا فانهم يقنعون برد شباب مغشوش

او بالظاهر من الشباب فقط وقد يمكن الانسان ان يقول ان كلا منا يتأثر بالوهم و بالظواهر . فان المرأة الكهلة التي ترى نفسها كل يوم في المرآة وترى كيف تحز سكين الدهر اسارير الشيخوخة في وجهها تبقى على الدوام مغمومة تصبو الى شبابها المفقود وليس لها الا ما للثكلى من حسرات واشجان . ولكنها اذا رأت ان الجرّاح قد نجح في ايهام الناس بانها عادت شابة لدنة ضامرة خفيفة توهمت هي ايضاً في نفسها مثل ما يتوهم الناس فيها فهي تنسى السنين التي انقضت ولن ترجع وترى ما يبدو على وجهها من الصباحة وعلى قوامها من الرشاقة فتبقى زاهية المزاج فرحة القلب ولهذا كله اثر حسن في صحتها

اما الجراح فانه يعالج غضون الوجه بمشرطه يقطع جزءًا من البشرة ثم يخيط ما بين البشرتين فيذهب التغضن الذي هو في الحقيقة انثناء في البشرة لان ما تحتها من اللحم قد نقص فصارت تنثني على فراغ . ولكن براعة الجراح تبدو في ازالة الشحم من البطن لازالة ترهله واسترجاع الخصر الضامر الذي هو زينة الشباب . فهو هنا يدرس هيئة القوام في الفتيات و يتقصى المنحنيات ثم يعمد الى الكهلة فيقطع من البشرة جزءًا و يدخل مشرطه فيستخرج ما تكتل من الشحم تحته وحواليه . و يكرر هذا العمل في انحاء البطن والكفلين والصدر حتى يزيل كل ما زاد عن الحاجة من الشحم ويخيط البشرة بعد ان يقص منها اجزاء كبيرة فيعود الجسم ضامراً علية هيئة الشباب . ومن الجراحين من لا يستعمل الخياطة خشية ما تحدثه من التشويه ولكنهُ يلصق البشرتين بكلابة من الفضة . ويقال ان الممثلة الاميركية ترولي شتك كانت قد سمنت فاستخرج منها الجراح بهذه الطريقة ٦٤ رطلاً من الشحم . وكان قطر خصرها ٥٤ بوصة نزل بعد العملية الجراحية الى ٣٢ بوصة فقط



هيا نعلن استقلالنا !

دستور للحياة العاملة يضعه الدكتور فرانك كرين

تبتدىء حياة الامم العظيمة من بدء اعلانهـا استقلالها

وكذلك الفرد يبدأ حياته النافعة الشريفة من يوم ان يعلن استقلاله لنفسه

ومعظم الناس يسيرون في الحياة سيرة غيرهم لان هذه الخطة اسهل عليهم يطمئنون اليها ويأنسون فيها بمسلك هذا الغير . وهم يعتقدون انه ما دام جميع الناس يسيرون مثل سيرهم فهم لا بد على صواب . اما الانفراد بمسلك خاص مستقل فيحتاج الى استقلال في الرأي والخلق والى انفراد موحش يجزع منه الضعيف

ولكن مسلك جمهور الأمة ليس على الدوام صائباً وليس هو ضماناً لصحة مسلك الفرد . ويجب ان نذكر ان جمهور الامة كان في وقت ما يعتقد بصحة السحر ويعاقب السحرة ويحرقهم . وكان يعتقد بالخرافات والاوهام والحروب وكان يعتقد بالطاعة العمياء للطغاة

فنحن إذاً في حاجة الى ان نستقل ونقرر آراءنا الخاصة بصرف النظر عن آراء جمهور الامة. وكما ان الامم ترسم لنفسها دستورها الذي تسير عليه كذلك ينبغي للفرد ان يرسم لنفسه دستوراً يعلن فيه استقلاله

***

وهأنذا اعلن استقلالي فيما يلي :

١ ـ اعلن استقلالي من الجمهور فلن اتبع عادة يمارسها ما لم اثق بفائدتها لي

٢ ـ اعلن استقلالي من شهواتي . فلن اسمح لها بان تتحكم فيّ . ولست اجهل ان رغباتي وشهواتي هي منبع قوتي ولكني اذا خليتها تسيطر عليّ اتلفتني فاذا انا سيطرت عليها انتفعت بها

٣ ـ سأكون فوق مسراتي وملذاتي فلا اتركها تعوق مبادئي او تعرقل حياتي . ولذلك سأروض نفسي على ان انكر عليها وقت الحاجة ملذات الطعام والشراب والملاهي حتى تعتاد ذلك ولا تكون اسيرة لهذه الملذات . واذا وجدتني مرة شقياً او في حالة تأزم عصبي لاني انكرت على نفسي احدى هذه الملذات فاني اكف عن ممارستها حتى تعود لي حريتي واعرف اني لست اسيراً لها واني متمالك

٤ ـ سأنفي عن نفسي خواطر الخوف . ولن اذكر الله الا بأعتباره صديقاً لي احبه ولا اخشاه

يسعفني ويخلصني من الورطة . ولن اعتقد البتة انه عدو جبار منتقم

٥ ـ لن اعتقد ان المادة اساس كل شيء في هذا العالم لان هذا الاعتقاد ينفي الحب والجمال ويؤكد الشهوة والطمع والقوة واليأس . وما دمت اجهل شيئاً فاني سأحسن الظن به ولن اؤمن بشيء يقتضي الايمان بان هـذا العالم قذر سافل بل اجعل ايماني بحيث اعتقـد ان الحياة جميلة جديرة بان نعيشها

٦ ـ اني انكر ان في العالم شيئاً يدعى الحظ . لان ما اظن انه حظ ليس في الواقع سوى شيء نجهله . ووراء كل شيء حادث نواميس وانظمة ومقاصد سامية قد تخفى علينا . وحياة كل فرد منا هي من ترسيم الله . وانا في كل ما يحدث لي من ضروب الفشل والخيبة والمرض والخطأ اسير في ما رسمه الله لي . ولن اؤمن بان الخداع والغش يؤديان الى السعادة بل اعتقد ان الكون شريف النزعة والقصد تصرح حقيقته بان الشرف والاستقامة يؤديان الى السعادة . وكما ارى ان للمطر والحر والبرد ولاشتعال النـار وتكون العفونة اسباباً طبيعية لا تحدث هـذه الاشياء بدونها فكذلك اعتقد ان للعقل والقلب اسبابهما ونواميسهما فليس شيء يحدث بالصدفة فلن اسير في الحياة سير المقامر بل افكر واضع لكل نتيجة اسبابها

٧ ـ سأرفض تصديق الطيرة والفأل والاحلام والمنجمين واعتمد على عقلي بقدر ما يهديني فأزن كل ما يعرض لي بعقلي ولن اترك نفسي يسودها الخوف والجهل . ومهما خبأت لي الاقدار فاني سأقابلها بصدر منشرح ولا كالحها بهمة الرجال

٨ ـ وايضاً سأطهر نفسي من جميع الخرافات . والخرافة هي الايمان بشيء ليس أساسه العقل أو الترجيح وانما يقوم فقط على التصديق . وجميع الخرافات قاذورات ذهنية احتاج الى ان اكنسها من ذهني . والايمان بالنواميس الروحية وبالفضائل ومبادىء الحق تساعد الفرد فيجب تقويته ولكن الايمان باشياء تخيفنا وتجعلنا جبناء هو ايمان سيء يجب نفيه عنا

٩ ـ ولهذا سأتجنب الخوف بقدر امكاني لان الخوف يورث الخيبة . فلن أخاف نفسي أو غيري . ولن أخاف ما اجهل . وقد يكون هناك أشياء أو أشخاص يؤذونني ولكني سأنظر اليهم نظرة عقل غير مشوبة بالخوف واتقيهم

١٠ ـ قد يكون في الوراثة أشياء كثيرة صحيحة . وقد أرى في أبوي أو في السلالة التي ولدت فيها صنوفاً من الضعف قد ارثها منهم . ولكني لن اخشى ذلك لاني اعرف انه بالرياضة والتمرين اتغلب على ما ورثته من ضعف . وفي العالم مجال لكل مزاج ومهما كان مزاجي فاني سأحسن استعماله واضعه في مجاله

١١ ـ سأعتمد على نفسي دون الاعتماد على الظروف لكي انجح . فلن اعلل فشلي بالظروف السيئة . لان الظروف كالوراثة مادة غشيمة يجب ان استعملها واستخدمها لمصلحتي . فانا اعرف ان العامل الذي ينسب خيبته الى سوء آلاته و يلقي اللوم عليها وحدها هو عامل عاجز . فكذلك انا لن اعتمد على ظروفي وانسب اليها ما أصيب من خيبة أو توفيق . كلا . انما انا سأدخل ميدان الحياة واعمل معتمداً على نفسي فان توفقت فذاك وان اخفقت فسأعاود الجهد وانتفع باخفاقي السابق

١٢ ـ لن آسف ولن اتحسر على نفسي . لان التحسر حمأة تتمرغ فيها النفوس الضعيفة . فاذا انا اخفقت في عمل فسأنظر الى اخفاقي نظرة الفرقة التي تلعب الكرة وتخسر شوطاً وتعود متحمسة الى الشوط الثاني . ولن احزن ولن اكمد

١٣ ـ ساجتهد في اتباع ما يمليه عليّ ضميري ولكني لن اثقل ضميري بواجبات ينوء بها . فلن اتهم نفسي حيث اراني بريئاً . فاذا حدث خطأ لم ارده في نيتي فانا غير مسئول عنه . ولن استبدل بكرامتي تواضعاً خسيساً

١٤ ـ اني اعرف انه يمكنني ان اغير اذواقي . فاذا مالت نفسي الى أشياء سيئة فاني اعرف انه يمكنني ان ازجرها عن ذلك واجعلها تميل الى أشياء حسنة . واعرف ان التثقف يرفع الذوق و يجعله يسمو الى الشرف فانا لذلك سأداوم تثقيف نفسي

١٥ ـ لن اعد العمل نكبة لا بد منها للربح بل اعتقد انه مهمة الانسان في الحياة وفيه خدمة البشر . ولن احتقر عملاً يحتاج اليه الناس و يربح منه صاحبه . واقوى برهان على منفعة العمل ان يربح بمعنى ان الناس لحاجتهم اليه يتقدون صاحبه ثمنه . ولذلك اعرف من ربحي ونجاحي ان العالم محتاج اليّ . ولن اجعل البطالة غايتي وانما اعتبرها فترة احتاج اليها للراحة حتى أعود العمل

١٦ ـ سأملأ قلبي بهجة وسروراً . وكلا الصفتين يمكن غرسها بالعادة والمران . والعالم يكره الغم والكمد ولا يدفع فيهما ثمناً . والناس يقبلون على الوجه الذي يطفح بشراً وسروراً . فالبشر والسرور من دواعي نجاحي ولذلك فاني سالتزمها وساتجنب المتشائمين العابسين حتى لا تنتقل عدواهما اليّ

١٧ ـ بما اني اعرف ان الحب هو اقوى عواطف القلب وان الشهوة الجنسية من الشهوات العنيفة وان كثيرين ذهبت حياتهم هباء لانهم لم يحلوا المسألة الجنسية حلاً حاسماً يوافق حياتهم فاني سأحل هذه المسألة بدرسها و بالتزوج

١٨ ـ لن اقامر · ولن ادخل في عمل الربح فيه متوقف على القمار أو على ما يشبهه وانما اعمل أعمالاً نافعة · ولن اعقد صفقة الا اذا تأكدت ان من يعاملني فيها يربح مثلي لان كل عمل شريف يقتضي الربح للطرفين البائع والشاري

١٩ ـ لن أؤمن بالمراء القائل بان الفرصة تسنح مرة ولا تعود أخرى · بل اعتقد ان تسنح كل يوم · ولست أعتقد انه ما دمت قد بسطت فراشي فيجب ان ارقد عليه ولا احاول تغييره · كلاً · فكل يوم يبدأ حياة جديدة وفرصاً جديدة يجب ان تغتنم

٢٠ ـ في العالم ضربان من النجاح أحدهما وهو الاهم النجاح الداخلي الذي يقوله ضميري الي · والآخر النجاح الخارجي الذي يراه الناس في · وأولهما هو الاحرى بالتحقيق فاذا جاء الثاني عرضاً فذاك والا فانا قانع بالاول

٢١ ـ لست اعترف بسلطة على عقلي · ولذلك ساجعل عقلي حراً طليقاً من التغرضات والخرافات والشهوات والرغبات التي تميل اليها نفسي لكي يكون حكمه نزيهاً · وكذلك لن اتبع رأي أحد حتى يقره عقلي

٢٢ ـ ضميري هو الاعلى ·وما يمليه علي من الاوامر والنواهي اتبعها فلا اعمل عملاً مهما كان فيه من الربح اذا كان ضميري لا يقره

٢٣ ـ سأروض جسمي رياضة موافقة حتى يكون الصحة الثابتة لخدمة عقلي وروحي · ولن أحتقر جسمي أو انغمس في شهوات أو ملاذ تؤذيه بل ابقيه على الدوام في عافية وصحة

٢٤ ـ سأغرس في نفسي الايمان النافع فأومن بالله بار يريد الخير للعالم . وأومن بالحب والشرف والوفاء وفي كل ما يجعل الحياة قوية سليمة

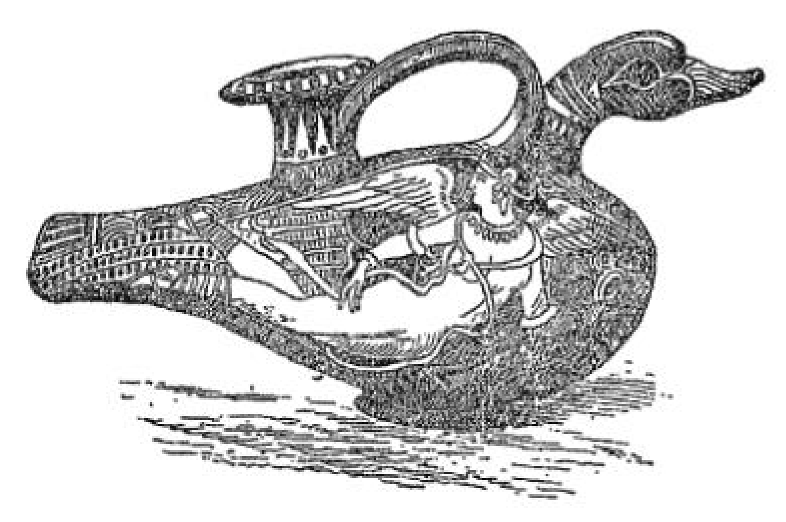
٢٥ ـ وأومن بالحياة بعد الموت . وبان حياتنا على الارض جزء من حياة طويلة سنحياها بعد . واعتقد ان هذا الايمان يرفع الحياة ويشرفها

***

هذا هو اعلان استقلالي ودستور حياتي الذي ساجتهد في ان اسير عليه حتى اعيش عيشة نافعة لنفسي ولغيري . وسواء أنجحت في أعمالي أم أخفقت فاني ساحتفظ بكرامة نفسي حتى اذا طلب مني ان اقدم حسابي قدمته راضياً عن نفسي مرفوع الرأس

(ملخصة) الدكتور فرانك كرين

المصابيح القديمة



مصباح اغريقي في شكل طائر

لما عرف الانسان النار بقي مدة طويلة ينسب اليها نوعاً من حرمة القداسة لعلنا نجد بعضا من اثرها فيما تعتقده العجائز عندنا من حرمة خاصة للفرن . وقد نشأ الدين المجوسي من تقديس النار . ومعظم شعوب المسيح لا يزال للآن يقدس النار طبقاً لشعائر دينية يتلون فيها عزائم يعتقدون منها سبب انقداح النار . وكان للنار فائدتان : الحرارة والضوء . وظاهر من لفظة « نور » انها مشتقة من نار . ولكن ربما كانت اللفظتان مشتقتين من نهار وذلك لان الانسان لاول اهتدائه الى النار حسب انهُ يستطيع ان يجعل الليل نهاراً

ويبدو من الآثار القديمة ان الانسان كان يضيء الليل بالمشاعل اولاً ثم عرف بعد ذلك الزيت فصار يصنع المصابيح . ومما ذكره بلوترك ان القدماء كانوا لا يطفئون مصابيحهم في الليل ولم يعلل هو هذه العادة ، والارجح ان روايتهُ صحيحة وان علة ذلك هي ما كان يعانيه الناس من مشقة قدح النار فكانوا لذلك يؤثرون ترك المصباح طول الليل مشتعلاً على تكلف اشعاله من وقت لآخر . وربما كانوا يتركونهُ مشتعلاً ايضاً طول النهار لكي يقتبسوا منهُ ويشعلوا كوانينهم

ويرى من يتأمل الاساطير الاغريقية القديمة ان قدح النار لم يكن معروفاً عند جميع الافراد وانما كانت تختص به طبقة من الكهنة يقبسون الناس ما شاءوا من النار دون ان يعلموهم كيفية قدحها . وتقول الاساطير ان بروميثيوس أشاع الطريقة التي كان يستعملها هؤلاء الكهنة في القدح

مصابيح مختلفة اغريقية ورومانية



مصباح في شكل ضفدع

مصباح على مائدة

مصباح ذو نورين

مصباح ذو خمسة انوار

فتعلمها الناس وعوقب بروميثيوس على ذلك عقاباً صارماً لان الآلهة قضت عليه بأن يعيش في عطش دائم وهو في الماء · ولا يزال هذا الماء يفيض ويمد الى ان يبلغ شفتيه حتى اذا اوشك ان يجرع منهُ جرعة انحسر عنهُ وغاض



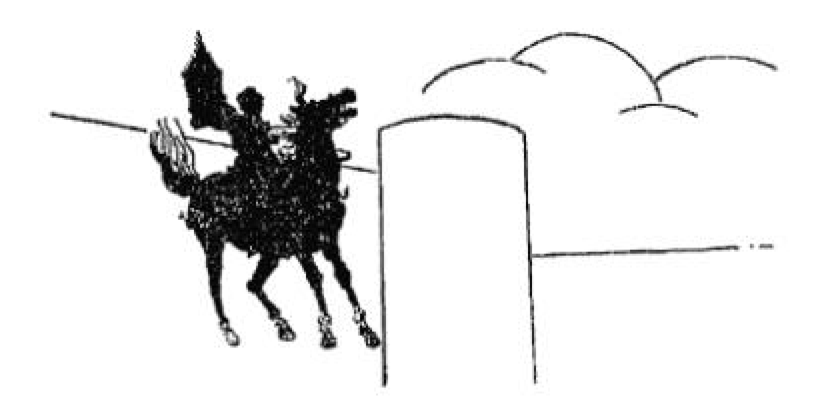
مصباح من قصر الحمراء

مصباح جامع في مصر

وما زلنا في عاداتنا نعرف للنار حرمتها ففي نهاية الاسبوع بعد ولادة طفل في الريف تضع الام ابريقاً او طاساً وحوله الشموع وتخص كل شمعة باسم · فالشمعة الباقية هي التي يقر الرأي على اتخاذ اسمها للطفل · وقد ذكر القديس جان كريستوم هذه العادة وقال ايضاً ان الناس يتبعونها في زمنه · وايضاً ما زال بعض الناس يضع على القبر مصباحاً وكانت هذه العادة متبعة قبل ظهور المسيحية

والمصابيح او المسارج او القناديل كانت الى وقت قريب تستعمل في المساجد والكنائس في القطر المصري قبل ذيوع المصابيح الكهربائية او مصابيح البترول · وكانت تضاء بالزيت وتصنع في الاغلب من البرونز واذا اراد اصحابها التأنق صنعوها من المرمر او الالبستر وهو المرمر الشاف وكان الفقراء يصنعونها من الفخار · ولا يظنن القارىء ان فرصة التأنق كانت صغيرة بهذه المصابيح فقد كان المصباح يصنع رحباً له جملة عيون عشرة او عشرين او اكثر تخرج من كل عين فتيلة مضيئة والزيت يغذو الفتائل من الوسط فكانت تبدو للعين كما تبدو الثريات الكهربائية الآن · وكان المصباح يصنع بهيئة ضفدع او نحو ذلك من الهيئات الغريبة التي كان ينساب فيها خيال الصانع · وكان القنديل اذا كان مما يوضع على الارض مقبض يتفنن الصانع في تزيينه · ولما كان للزيت رائحة قد تفوح وتؤذي الجالسين فان بعض الصناع صنعوا للقنديل غطاء يقي الهواء من التلوث بالزيت

وانها لطفرة كبيرة بين مصباح الزيت وبين المصباح الكهربائي وانما الطفرة من حيث النظافة فقط لا من حيث التأنق والزينة فان القدماء كانوا اكثر تأنقاً في اثاثهم منا



الرسائل الضائعة

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

نبدأ اليوم بنشر هذه الرسائل الممتعة التي أتحفنا بها الاستاذ سامي الجريديني • واننا لنرحب بهذا الاسلوب الجديد بجانب ما ألفناه من ضروب الادب • وسيجد القارىء في هذه الرسائل سلاسة في التعبير ودقة في الملاحظة واصابة في النظر والحكم تزيد قيمتها اضعافاً [المحرر]

ركبت القطار في شهر سبتمبر من هذا العام أقصد من ليون الى اكس لبان وساق لي حسن الحظ أو سوؤه مفتشاً جعلني فريداً وحيداً في عربة من عربات القطار

فكنت اقتل الوقت بين التمتع باجمل ما منحته الطبيعة أرضا من أراضي الكون و بين القراءة من كتاب الى آخر فكأنني قطعت الوقت والمسافة وثباً

وحانت مني التفاتة قبيل بلوغي اكس لبان الى موضع حقيبتي فوجدت الى جانبها ظرفا يكاد يمزقه الاستعمال فتناولته فاذا به ملآن بأوراق محبرة

فهممت ان أطرحها ولكن القطار وقف قبل المحطة لعطل طرأ على قاطرته ـ وهذا أمر أصبح عادياً مزمناً في سكك فرنسا الحديدية ـ فأخذت اقرأ ما في الورق

فاذا أنا برسائل متبادلة بين فتاتين فرنساويتين احداهما تسكن في لندن والاخرى في باريز وكأن الفتاتين قد قطعتا عهداً على ان تبوح الواحدة للاخرى بما يكنه ضميرها وعقلها من شعور وآراء فكانت تكتب الواحدة للاخرى كل ما جال في خاطرها من عاطفة تصدر عن القلب او فكر يصدر عن العقل • كل ذلك بأسلوب فرنسي لطيف يزينه اطلاع لا بأس به وعبث بالحياة لذيذ

فحدثتني نفسي بادىء بدء أن أدفع بالرسائل الى ناظر المحطة خوفاً من العقاب ان وجدها ذووها معي فان القانون يعاقب من التقط شيئاً ضائعاً وحفظه عقاب من يسرق هذا الشيء

ولكن النفس أمارة بالسوء فزينت لي فعلتي فقلت ان الرسائل ملك للفتاتين لا لواحدة منهما فمن أين لهما أن يجتمعا ويسلما امرهما الى الشرطة ـ هذا الى اني راكب البحر عما قليل الى بلدي فمن أين لهما اللحاق بي • ذاك الى ان لا ضرر من أخذي هذه الرسائل يعود على الفتاتين أو على الانسانية بل ان في نشرها شيئاً من التسلية او اللذة دع عنك الفائدة • فأخذت في ترجمة بعضها بغية نشرها

على انه لا بد لي من الاشارة الى انه يفهم من قراءة الرسائل ان الآنسة « جرمين » التي في

لندن تسكن مع عائلة انكليزية لتتعلم هي الانكليزية وليتعلم أفراد العائلة الفرنسوية فهي تساكنهم كأنها واحدة منهم وهذه عادة مألوفة في اوربا

أما «جرمين» التي في باريس فموظفة في وزارة الخارجية الفرنسوية كاتبة على الآلة الكاتبة

رسالة من جرمين في لندن الى جرمين في باريز

أيتها العزيزة الحبيبة

كنت قد قطعت لك عهداً قبل ان نفترق في دينار ان ابعث لك برسائلي مرة في الاسبوع ولكنني نكثت العهد فعذراً جميلاً من العزيزة الجميلة

فقد وطئت ارض لندن غير وجلة ولا متهيبة فما كدت اخترق بعض اسواقها حتى اعتراني شيء من الذهول رغم ما كنت اتوقعه فيها قبل أن أراها

هذه مدينة اتخذت السواد شعاراً لها فالهواء اسود والحجارة سوداء والاشجار سوداء وليس من ابيض الا وجوه بناتها و بنيها فانها كما تعرفينها واعرفها بيضا حمراء . وقد كنت اظن ان سأرى عليها مسحة من السواد تكتسبه مما تكتسيه الاشجار والاحجار فخاب ظني ولا احسب السبب في ذلك الا اسراف هؤلاء القوم في الاغتسال في الليل والنهار فالحمامات في البيوت وفي الشوارع للغني والفقير على السواء . صحيح ان الاغتسال حسن ومفيد ولكنهم لماذا يسرفون فيه هذا الاسراف ؟ ألحب النظافة فحسب ام لانهم قذرون ؟ لا اعلم

على انك لا تنتظرين مني ان اكتب لك عن لندن ما يكتبه « ديكنز » في كتابه فهذا شيء تعرفينه أنت بالسماع وسوف تشاهدينه متى بررت بوعدك واتيت تزورينني في عيد الميلاد المقبل

انما اذكر لك هذا لاجد لي عذراً يشفع في تأخير رسائلي ولأفي بما تعاهدنا عليه ان تكتب الواحدة منا للاخرى كل ما تشعر به وتحسه باطلاً كان ام حقاً

صدقيني يا جرمين اني ابدل بشارع من حينا في باريز كل لندن العظيمة الغنية اعطني طقساً ضاحكاً وقوماً يعبثون بالحياة وجلسة الى قهوة في سان ميشيل وخذي ما في لندن من مصارف وسيارات

على انني لست ممن يسيرون في الاسواق فلاحدثك عن المنزل الذي قبلته سكناً اقضي فيه سنة و بعض سنة من العمر

فقد وافاني رب البيت الى المحطة واحسن استقبالي ثم ركبنا سيارة الى منزله في شارع بالقرب من البرلمان يقطنه في الشتاء والربيع ويهجره في اوائل يونيو فقابلتنا سيدة الدار زوجه على الباب ومن ورائها ابنة لم تتجاوز الثانية عشرة وابن لا ينقص عن اخته طولاً وان نقص عنها ثلاث سنوات عمراً

هـذه هي العائلة التي سأكون احد اعضائها وأنا لا اعرف من الانكليزية الا ما تعلمته في مدرسة ديجون ـ وانت تعلمين مقدار ما نتعلم ـ ولا يعرفون من الفرنسوية الا بعض كلمات ينطق بها رب البيت نطقاً يعيد اليَّ ذكرى حديقة الحيوانات اذ كنا نذهب اليها معاً منذ عشر سنين ونيف نلاعب القردة في اقفاصها ـ ولكنني ما قدمت لنـدن الا لاعلم هؤلاء النـاس النطق الفرنسي فمالي ولانتقادهم على ما لا يعلمون اما ان اتعلم انا الانكليزية فوالله اني لواجفة خائفة وقد آليت ألا اجهد نفسي بتعلمها . فمن اين لي وأنا ابنة الحي اللاتيني ان اقفل فمي وأضغط على اسناني وأخرج من بين شفتي لغة انكليزية ؟ ومن اين لي ان احتمل عيث الاصدقاء ان انا تجرأت ونطقت بها ؟ لا . لا . هذا فوق مقدوري . . .

اما مضيفيَّ فقوم كرام احسنوا مثواي واكرموني ايما اكرام فكأنهم آلوا ان يكونوا لي اهلاً وان اكون في بيتهم كأنني في بيتي . ونظام بيتهم هذا اخذ عليَّ مشاعري فكل شيء محكم الوضع وكل اثاثهم مريح للجسم سواء في ذلك السرير او الكرسي او الحمام ولكننا نحن الفرنسويين نحب الجميل ونحب الفن ونعشق الذوق المتغير فلذا ترينا نصطدم بالراحة الانكليزية اصطداماً ونتبرم بالترتيب المنسق فتحن ارواحنا الى تلك اليد الفرنسوية التي تبعثر الاثاث فتجعله صورة ترتاح اليها العين وان لم يرتح الجسم وتنظم الصور على الحائط فيخيل اليك انك بين قوم يشاهدونك صامتين

ويلوح لي انهم يقضون معظم اوقاتهم في راحة ارجلهم . فان للارجل في هـذه الديار مقاماً عظيماً . اذا جلسوا رفعوها ووضعوها في احسن المواضع فصاحب الدار اذا جلس يقرأ رأيت رجليه على كرسي امامه لا يقل وقاراً ومتانة عن الكرسي الذي تحته واذا ركب القطار مدَّ رجليه الى المقعد المقابل سواء في ذلك أجلس الناس امامه ام كان المقعد خالياً . وهم يكسون اقدامهم بأحسن الاحذية وأغلاها ثمناً ويهتمون بتنظيفها كل صباح اهتمامهم بحلاقة ذقونهم او اكثر

وهي عادة حسنة حبذا لو اخذناها عنهم كما هي ـ اعني عادة تنظيف الذقون والاحذية لاعادة رفع الاقدام في الهواء

لقد اطلت الثرثرة ولي اشياء اقولها لك فيما بعد واشياء فصبراً حتى يصلك هذا الكتاب وصبراً حتى يصلني كتابك

جرمين

طبق الاصل : سامي الجريديني

مستقبل الطب

كان الطب عند الامم القديمة ولا يزال بين المتوحشين خليطاً من السحر والعقاقير • ولا تزال المعاجم العربية تقول ان الطب هو السحر مما يدل على ان أطباء العرب في زمن ما كانوا يمارسون السحر في معالجة الامراض • وليس معنى ذلك انهم كانوا يستسلمون للعقائد السخيفة كل الاستسلام ولا ينجحون في شفاء احد • لانه واضح انهُ لو كان الحال كذلك لتركهم الناس وكانت عندئذ تموت صناعتهم • ولكن الحقيقة انهم كانوا يعرفون أشياء ثمينة في الطب فان المصريين مثلاً كانوا لاضطرارهم الى تحنيط الجسد يفهمون اعضاءه الداخلية وكانت عملية ثقب القحف معروفة عندهم وهي من ادق العمليات واخطرها على المريض • ثم لم يكن سحرهم كله سخفاً فقد كان فيه من استهواء المريض ما يجعله يسلط عقله الباطن على اعضائه الداخلية ويرشد اعصابه نحو طريق الشفاء • ونقول بعبارة اخرى ان الطب القديم كان يعالج المريض باعتباره جسماً وروحاً يستعمل السحر للروح للتأثير في العقل والاعصاب ويستعمل العقاقير للجسم

وجاء الاغريق فازدروا السحر وجعلوا الطب مادياً قائماً على الاختبار ودرسوا التشريح وقرنوا تشريح الانسان بتشريح الحيوان ولكن نهضتهم لم تدم طويلاً • وجاء العرب في أثرهم وكان أطباء العرب وعلماؤهم ينظرون الى اطباء الاغريق وفلاسفتهم نظر التلميذ الى الاستاذ وقلما نبغ طبيب عربي لم يدرس الاغريقية بل منهم من كان ينشد الالياذة عن ظهر قلب • واصطبغ الطب العربي بصبغة مادية بحيث ينظر الطبيب الى العلة ويتذكر ما حفظ لمثلها من الدواء فيصفه • ولكن كان هناك عائق يمنع تقدم الطب العربي وهو تحريم الخلفاء لتشريح جسم الانسان . فأصبح الطب عند العرب رواية وتقليداً ينقل من السلف الى الخلف • ويقول ابن ابي أصيبعة في « طبقات الاطباء » ان احد اطباء العرب اراد ان يدرس جسم الانسان ويعرف اعضاءه الداخلية ولما لم يجد ان الخليفة يسمح بتشريح الموتى صار يشتري القرود ويشرحها ويدرك من تركيبها تركيب الاعضاء في الانسان

ولما جاءت النهضة الحديثة التي كان اساسها الشك في علوم القدماء وكتبهم عمد الاطباء الى التجربة والاختبار وصاروا ينظرون الى الانسان كأنه جسم فقط • وبلغوا بهذه « المادية » شأواً عظيماً في تشريح الجسم ومعرفة اعضائه الداخلية ولكن الطب نفسه اذا اعتبرناه فناً خاصاً بالشفاء لم يتقدم كثيراً بالتشريح • وانما حدث التقدم في العصور الحديثة عندما خرج الطب من ميدانه الى ميدان البيولوجية (أي علم الحياة) وادرك العلماء صلة الانسان بالحيوان وانتشرت نظرية

التطور التي اذاعها داروين على جمهور اوربا سنة ١٨٥٩

فقد كان طالب الطب يحفظ لاول ما يدخل مدرسته قائمة من العقاقير الموصوفة للامراض فصار الآن يدرس تشريح النبات والحيوان . ولما وثق العلماء من الصلة بين الحيوان والانسان صاروا يعمدون الى الحيوان فيختبرون فيه مقدار الاثر الذي يحدثه العلاج أو الغذاء او المرض ويستنتجون من العوارض التي تبدو عليه ما يمكن ان يحدث للانسان في ظروف مماثلة . ومن هنا نشأت عقاقير جديدة لم يكن يعرفها القدماء مثل : ١ ـ الامصال المستخرجة من دماء الحيوان ٢ ـ الغدد المستخرجة ايضاً من الحيوان ٣ ـ الفيتامينات المستخرجة من الحيوان والنبات الطازج

ولكن الطب بقي مع ذلك الى وقتنا الحاضر مادياً في نظرته ينظر الى الجسم كانه كل شيء وان مهمة الطبيب ان يعالج العلة في مكانها لا يبحث فيما وراء العلة من مزاج المريض ونفسه واعصابه.

***

ويبدو من اتجاه الطب في الوقت الحاضر انه سيخرج من المادية الحاضرة وينحو نحواً شبيهاً بالقدماء في نظرهم للمريض . ولسنا نعني ان الاطباء سيؤمنون بالسحر وانما نعني أنهم لن يقتصروا على النظر الى الجسد وانما يوجهون بحثهم الى النفس التي وراء الجسد . وبمعنى آخر نقول انهم سيعنون بالعقل والاعصاب ويبحثون فيهما عن وطن العلة الاصلي . ولسنا نقول انهم سيفعلون ذلك في كل الامراض بل في معظمها . فان الرجل الذي يخطىء ويشرب السم والصبي الذي تنكسر ساقه والنهم الذي يبشم من الطعام وتتلبك معدته كل هؤلاء سيعالجون بالطرق المألوفة الآن . ولكن معظم الامراض يحتاج الى نظر ثاقب من الطبيب بحيث يخترق العلة الى ما وراءها من تلبك في النفس او خلل في الاعصاب

وأول ما نرى البذرة الاولى لهذا الاتجاه الفكري في أواسط القرن التاسع عشر حين شاع استعمال الاستهواء . فقد ثبت عند كثيرين من الاطباء ان للنفس تأثيراً عظيماً في الجسم وان كان دون الدعاوي التي ادعاها زعماء الاستهواء . وحوالي سنة ١٨٩٥ ظهر فرود بنظرية العقل الباطن وصار يعالج المرضى بالهستيرية والنورستينية بكشف العقل الباطن والتنقيب عن ماضيهم وبمعنى آخر نقول انه كان يشرح نفوسهم و يعالجها بدلاً من ان يعالج اجسامهم . والذي هدى فرود الى العقل الباطن هو نظرية الاستهواء القديمة

وهذه المعالجة لا تزال في اطوارها الاولى ولكنها اتت مع ذلك بنتائج فريدة لم يستطع طب العقاقير او الطب القائم على النظر المادي أن يأتي بعشرها . وكان من اثرها انها وجهت نظر الاطباء الى الاعصاب والعقل اكثر من قبل . بل قل انها وجهتهم الى فحص الحياة وكانوا قبلاً ـ ولا يزال اكثرهم ـ يفحصون المرض

ولننظر الآن الى العلامات الحاضرة التي تدل على اتجاه الطب نحو هذه الوجهة التي ذكرناها

فقد تذهب الى طبيب من هذه الطبقة الجديدة تشكو اليه دوسنطاريا مستعصية عالجتها بجملة علاجات فلم تشف فلا يصف لك حقنة جديدة او دواء آخر تتجرعه . بل يسألك عن همومك العائلية او المالية فاذا وجد هماً كامناً في ذهنك اخبرك ان هذا الهم يضعف اعصابك وانك لن تشفي جسمك حتى تشفي نفسك . وان قوتك او طاقتك العصبية محدودة فما انفقت منها في همومك سيقتطع من القوة الخاصة بشفائك . وقد يقف عند هذا الحد . ولكن طبيب المستقبل لن يقف عند هذا الحد لانه طبيب الحياة وليس طبيب المرض . فهو يدرس طبيعة الانسان وفلسفة الكون والحياة ويحلل لك همومك ويجعلك تسيطر عليها وتتخلص منها ويجعل عقلك الواعي يتحد مع عقلك الباطن في تنقية هذه الهموم . وفي سويسرا الآن طبيب عظيم هو الدكتور يونغ احد تلاميذ فرويد الذي ذكرناه آنفاً يتحسس هذه الصناعة الطبية الجديدة ويعمل بها

وقد يذهب أحدهم الى الطبيب يشكو خفقاناً في قلبه فاذا دخل الى سريرة نفسه وجده خائفاً يترقب افلاساً قريباً أو أي اشكال آخر يخشاه ولا يكاد يصرح به لنفسه

وقد فشا الآن الاعتقاد بقوة الاعصاب وارتباطها بالامراض . والطبيب عند ما يشير على المريض بلزوم غرفته وفراشه او بالامتناع عن تناول الاشربة أو الاطعمة الثقيلة انما يفعل ذلك لكي يتلل المجهود العصبي حتى يتوافر لابراء العلة . ومن المعروف المألوف الذي يعرفه الناس ان العلة في العضو تزيد الاحساس العصبي في سائر الجسم . فالرجل الموجوع العين لا يطيق رؤية النور لوجع عينه الظاهر ولكنه أيضاً لا يطيق الكلام أو العمل او المشي او الجدال لان التنبه الشديد الحادث في العين قد نبه الجهاز العصبي كله . وقل مثل ذلك في مسامير القدم التي تحدث من حذاء حازق . فان صدرنا يضيق من أقل حادث يحدث لنا ونحن نشكو من هذه المسامير

وضيق الصدر والسأم السريع ظاهرتان نعرفهما في أنفسنا من العلل الموضعية من الضرس الضارب والعين الموجوعة والبشرة المقشورة ونحو ذلك . ولكن هناك عللاً تخفى علينا تحدث في باطن جسمنا ويكون مرجعها الى مثل هذه العلل الموضعية . فقد تحدث القروح المعدية أو الحصا في الكبد أو الخلل في البنكرياس لان أعصابنا التي تسيطر على هذه الاعضاء قد ضعفت قوتها لعلة موضعية بعيدة في القدم أو الرأس . ثم كما ان الاعصاب تتعب من هذه العلل الموضعية وتجعل الجسم قابلاً لامراض أخرى كذلك يكون تأثير هموم الحياة

فطبيب المستقبل سيسير ويعد في هذه الخطة ينظر أول ما ينظر الى المريض الى أعصابه والى علله الموضعية ثم يفحص حياته ويعالج همومه فيشبه بذلك طبيب القدماء من حيث انه يعني بالنفس ولكن من طريق الفلسفة لا من طريق السحر

حديث مع المستشرق جويدي

استاذ فقه اللغة بالجامعة المصرية

يحسن ان نسميه « جويدي الصغير » او كما يكتب هو عن نفسه « ميكائيل انجلو جويدي » للتفرقة بينه وبين والده العلامة المستشرق المشهور « جويدي » الذي خدم الآداب العربية أجل الخدمات • والاستاذ « جويدي الصغير » ممتلىء الجسم ربع القامة في نحو الاربعين من عمره يشعر المرء وهو يحادثه انه متوقد الذهن دائماً وانه يتحدث بعواطفه وبعقله معاً . وقد استدعته الجامعة المصرية هذا العام ليشغل الكرسي الذي خلا بوفاة المرحوم الاستاذ كازانوفا لتدريس « فقه اللغة » [المحرر]

س — أهنئكم على وصولكم للقاهرة وارجو ان تعجبكم التغيرات التي حدثت بها منذ زيارتكم الاخيرة لها.

ج — اني لا اجد في القاهرة تغيراً فقط بل اجد انقلاباً فقد كانت منذ سبعة عشر عاماً مدينة جميلة اما الآن فهي اجمل كثيراً ولست اجد فرقاً بينها و بين مدن اوربا.

س — اراكم تحسنون اللغة العامية

ج — نعم درستها من الكتب والآن اتمرن عليها في القاهرة بواسطة احد اصدقائي وأتعشم ان اجيدها مثلكم تماماً لاحتياجي اليها في الحديث والمعاملات

س — وهل درستم اللغة العربية ايضاً بهذه الطريقة اي في الكتب ؟

ج — والدي مستشرق كبير واعتقد انكم تعرفونه فهو الشيخ جويدي اول استاذ اوربي كان يدرس في الجامعة المصرية ايام انشائها حينما كان جلالة الملك الحالي اميراً . وقد ظل سنة كاملة القى فيها على الطلبة اربعين محاضرة مطبوعة في ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها باوربا وخصوصاً بايطاليا ـ وقد درست على والدي اللغة العربية ثم قرأت كثيراً من الكتب الاخرى التي ألفها المستشرقون والعرب واجد في نفسي شعوراً داخلياً يدفعني لتعلم اسرار هذه اللغة

س — وهل يوجد في روما الآن طلبة يدرسون اللغة العربية ؟

ج — طلبة واساتذة ايضاً ـ اذكر من زملائي الاساتذة في جامعة روما العالم المشهور Nallino الذي سيحضر الى القاهرة هذا الشتاء بدعوة من جامعة مصر لالقاء بعض محاضرات عن تاريخ العرب قبل الاسلام ثم زميليَّ العالمان الكبيران Santillana و Levi della Vida والاول له مؤلف في تاريخ الشريعة الاسلامية والاستاذ Gabrieli و Di Matteo وكلهم يحسنون

اللغة العربيـة ثم اذكر ايضاً ان في جامعة روما نحو عشرين طالباً يدرسون هـذه اللغة اذكر منهم الطالب الذكي Gabrie'i الذي نبغ فيها ونشر بعض المقالات في مواضيع عربية · ثم اذكر بالاعجاب الشديد الامير الايطالي المشهور في الشرق كله وهو الامير قايتاني Caetani الذي يعد من اكبر المستشرقين وقد نشر بالايطالية تاريخ الاسلام في حداثته في تسعة مجلدات كبيرة · وهـذا التاريخ الذي نشر هو تاريخ اربعين سنة فقط اي من هجرة النبي الى الحرب بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وقد جمع موارد ومصادر كثيرة جداً ويرغب ان يتابع عمله فينشر بقيـة تاريخ الاسلام ولكن بأسلوب عصري

س — وماذا تدرّسون في الجامعة المصرية ؟

ج — ان العالم الكبير الدكتور طه حسين يدرّس ادب اللغة العربية اما انا فأدرّس تاريخ اللغة العربية اي اللسان العربي وكيفية نشوئه وارتباطه باللغات السامية الاخرى واتبع في تعليمي للطلبة الاساليب الجديدة التي احدثها علم اللغات الحديث

س — ارجو ان تتكرموا بتوضيح الخطة او البرنامج الذي ستسيرون عليه في السنوات الثلاث التي تعاقدتم فيها مع الجامعة ؟

ج — في السنة الاولى ـ اي هـذه السنة ـ سألقي نحو خمسين محاضرة والمواضيع هي : (١) تقدم علم اللسان او اللغة ولست اقصد اللغة العربيـة وحدها بل سيتناول بحثي كل لسان ثم (٢) تطبيق هذا الاسلوب في درس تاريخ اللسان العربي ثم (٣) دراسة الدور الاول لهـذا اللسان وكيفية نشوئه ثم (٤) درس الكتابات الاثرية العربية القديمة (الصنعائية والثمودية الخ) وفي السنة الثانية والثالثة سأتوسع في تدريس فقه اللغة العربية عموماً

س — وهل ترون الطلبة المصريين يميلون لمثل هذه الابحاث ؟

ج — كان سروري عظيماً برؤية الطلبة المصريين يقبلون على دروسي باهتمام شديد ولم يدهشني ذلك لانني كنت اعرف فيهم حدة الذكاء والنشاط والاهتمام بالمسائل العلمية

س — اي اللغات القديمة ـ خلاف العربية ـ تعرفون ؟

ج — درست في جامعة روما اللغات اللاتينية واليونانية ثم بعض اللغات الهندية الاوربية Indo European ثم اللغات السامية كلها والقبطية والفارسية والتركية وهـذا لانني اعتقد انه لا سبيل لمعرفة حياة الشرق القديمة الا بمعرفة لغاته

س — هل درستم الثلاث اللهجات القبطية أو لهجة واحدة وهل تعلمتموها على يد استاذ ؟

ج — انا كنت استاذ اللغة القبطية في روما وقد درست الثـلاث اللهجات بدون معلم اي

بواسطة الكتب ايضاً وكان يساعدني والدي في ذلك فكل تعليمي على الاغلب بواسطة الكتب

— س ألا ترى معي ان الاساليب الكتابية العربية القديمة غير ملائمة للنهضة الحديثة وأنه يجب ان نتبع الاساليب الاوربية في كتابتنا لتتحسن اذواقنا ؟

ج — تقابلت عند حضوري للقاهرة مع احد البشوات المشهورين المشار اليهم بالبنان فقال لي مثلكم اننا نرغب ان نغير أسلوب اللغة القديم ونتبع الاسلوب الغربي الحديث في الكتابة ـ وانا رأيي ان اللغة العربية آلة للتعبير عن الافكار وانا لا ارغب ان ينسى الكتاب الحاليون العلاقة بالماضي لان في الماضي العربي مجداً كبيراً وهذه اللغة قد لعبت دوراً خطيراً في التاريخ العالمي. وانا متفق معكم . اني لا احب المبالغات ولا اعتقد أن في الامكان ان نتكلم عن مواضيع جديدة بلسان الحريري مثلاً بل أظن أن هذا يكون من المضحك واني اعتقد ان الاسلوب الذي يكتب به «الهلال» مثلاً اسلوب حسن لانه لا ينسى الماضي وينظر الى المستقبل وهذا فيما أحسبه شرط التقدم ولا بد ان تنهض اللغة لان هنالك دلائل في مصر على نهضة كبيرة تتناول كل الفروع . خذ مثلا الجامعة المصرية فانني أعتقد انه بعد عشرين سنة سيتخرج للشرق عموماً فيها شبان علماء يقبضون على زمامها ويكونون مثقفين باحسن أنواع التعليم والثقافة وسيكون لهذه الطبقة الجديدة تأثير عظيم في تقدم الآداب واللسان

س — اذن انتم تعتقدون ان الجامعة المصرية ستنهض بالبلاد ؟

ج — بلا أدنى شك خصوصاً وان مديرها الحالي رجل كفء عظيم من القلائل الذين أنجبتهم البلاد المصرية واني استبشر ايضاً خيراً بأن عميد كلية الآداب هو الاستاذ الكبير جريجوار المشهور بعلمه وبراعته في صناعة ترتيب الكليات واني اعتقد ان مجموعة الاساتذة بالكلية هي خير مجموعة يمكن الاعتماد عليها في اخراج الشبيبة المصرية

(ي ٠ ١ ٠ ج)



اسباب التعصب

بقلم الاستاذ سلامه موسى

شرعنا في طبع الهدية الثانية من هدايا هذه السنة وهي كتاب « حرية الفكر وابطالها في التاريخ » للاستاذ سلامه موسى . ولكي يدرك قراؤنا الكرام بعض ما تضمنه هذا السفر من الفوائد الجمة والنظرات السديدة ننقل لهم منه هذا الفصل الافتتاحي الوجيز [المحرر]

قد يظن القارىء أن المفكر ما دام يفكر فقط يكون تفكيره حراً لا يمكن أحداً أن يدخل الى ذهنه و يعوقه عن التفكير في أية ناحية يريد . ولكن الواقع أن التفكير لا يكون حراً طليقاً حتى نستطيع البوح والافضاء به الى غيرنا . لان الفكرة طاقة (أي قوة) من قوى الذهن لا تزال منحبسة شأنها شأن جميع القوى المنحبسة تعذب الذهن حتى تنصرف بالعمل . والانسان كالحيوان طبع على ألا يخطر بباله خاطر حتى ينصرف الى عمل وحركة . وجهاز الحيوان العصبي لم يخلق في الاصل الا لخدمة حركات الجسم . وذهن الحيوان عالياً كان أم دانياً في سلم النطق هو جزء من هذا الجهاز . فالخواطر الذهنية هي قوى عصبية اذا حبسناها آلمتنا وعذبتنا وأحياناً تؤدي الى الهوس بل الجنون . وجنون العاشق الذي لا يجد في معشوقته تلبيــة لعواطفه يرجع الى أن خواطر العشق قد انحبست في ذهنه لا تجد منصرفاً

وكل منا يعرف أن في الافضاء والبوح متفرجاً للصدور وأن همومنا تخف اذا شاركنا غيرنا فيها . والخواطر العلمية أو الفلسفية تؤذي صاحبها وتعذبه اذا لم يجد لها منصرفاً بالبوح بها الى الناس . لانها تبقى في نفسه كالهم الرابض لا يستريح منه حتى يفضي به الى غيره . فحرية الفكر تقضي اذن بحرية البوح بالقول

ولكن التاريخ يثبت أن معظم الذين باحوا بما في صدورهم مما اعتقدوه حقيقة علمية أو فلسفية أو دينية نالوا من الاضطهاد بالتعذيب أو بالحبس أو بالقتل الشيء الكثير الذي لم يخل منه قرن . فما علة ذلك ؟

❊ العلة الاولى ❊ ان الناس مطبوعون على الكسل والاستنامة الى ما ألفوه من العادات الفكرية والعملية . فالانسان في أحوال معيشته لا يخترع كل يوم وانما يجري على عادة أمسه فيسهل عليه عمله . فاذا ابتدع أحد بدعة جديدة في اللباس أو الطعام أو الغناء أو الشعائر الدينية أو حتى الاسلوب الكتابي فانه يصدمنا لاول وهلة و يكلفنا تفكيراً أو جهداً كنا في غنى عنهما لولا بدعته

❊ العلة الثانية ❊ ان المصلحة المالية والمعاشية كثيراً ما تكون متعلقة بالعادات المعروفة فتبديلها يضيع على بعض الطبقات هذه المصلحة . فالغني يكره الباشفية لمصلحة واضحة والقاضي الذي

يتناول من المال نحو الف وخمسمائة جنيه كل عام يحكم بالسجن على الخطيب البلشفي و يلذ له النطق بالحكم لانه لا يرى فيه خصماً للعدالة فقط بل خصماً لشخصه أيضاً · فالبلشفية بدعة تصطدم بمصالح الاغنياء · ولذلك ليس الناس أحراراً في البوح بافكارهم عنها الآن في معظم أقطار العالم

و ❊ علة ثالثة ❊ للتعصب واضطهاد الافكار الجديدة هي الجهل · فان الذي يجهل نظرية التطور ويؤمن بان ابا البشر آدم وامهم حواء يكره كل من يقول بتلك النظرية الملعونة · والذي يجهل اللغات الاوربية من شيوخنا يكره كل من لا يقول بان اللغة العربية افصح اللغات واشرفها ولا يمنعه من الاضطهاد الا العجزه

و ❊ علة رابعة ❊ هي الخوف · فان العجوز الخرفة تؤمن بالاولياء والقديسين وتتشفع بهم · ولا يمكن وهي في هذه الحال ان تطالبها بحرية المناقشة فيما يعزى الى هؤلاء الاشخاص من الكرامات لان خوفها يمنعها من ان تطلق لذهنها هذه الحرية · ومن هنا ايضاً تدرك علة تقييد الحرية مدة الحروب لان الخوف من العدو يزيد وساوس رجال الدولة

واحياناً تجد هذه العلل الاربع مجموعة بعضها او كلها في طائفة من الناس · فاذا كان للدولة دين رسمي صار الطعن في الدين او انتقاده داعية الى تألب طوائف عدة للذب عنه · منهم العامة الذين يحثهم خوفهم من الدين على اضطهاد المنتقد · ومنهم الكهنة الذين يخشون على مصالحهم ومنهم جميع افراد الامة تقريباً الذين يرون ان السير على سنن السلف ايسر على قلوبهم من ابتداع البدع · لانه يجب ألا تنسى ان الانسان بحكم بيئته مطبوع على الجمود

ولكن البدع تفوز في النهاية لانها وان كانت تبدأ مع قلة من الامة الا انها لما فيها من ميزات تتغلب على العادات الموروثة · وكل تقدم للانسان مصحوب ببدعة ولولا ذلك لما تم اختراع او اكتشاف · وكلنا يتألم عند اصطناعنا بدعة جديدة لاول مرة ولكن معرفتنا بفائدتها تجعلنا نرضى بهذا الالم الذي يزول بالاعتقاد والرياضة

ونحن الآن في القرن العشرين وقد اوشكت الحرية الفكرية ان تعم العالم المتمدين · ولا يزال بعض الشرقيين يتعصبون ويقتلون الناس من اجل دينهم · ففي كل يوم نسمع عن المسلمين الذين يقتلون الهندوبين والهندوبين الذين يقتلون المسلمين في الهند · ومنذ سنتين قتل الافغان بعض الاحمديين · وحاول بعض الرعاع من الوهابيين في الصيف الماضي ان يقتلوا المصريين في الحجاز ولكن هؤلاء الناس ليسوا متمدينين وعما قريب ستشملهم المدنية ويعرفون للتسامح قيمته في الرقي · لانه لا رقي بلا تسامح

وقد ضمن الدستور المصري حرية الفكر والقول واباح لكل مصري ان يفكر كما شاء فما احرانا بان ننظر في تاريخ هذه الحرية التي أريقت من اجلها دماء مئات من البشر

سلامه موسى

«انتوانيت سابرييه»

(Antoinette Sabrier)

قصة تمثيلية بقلم الكاتب الفرنسي رومان كولوس (Romain Coolus)

تلخيص وتعليق : الدكتور طه حسين

مثلت هذه القصة لاول مرة في اكتوبر سنة ١٩٠٣ وما يزال الممثلون يلعبونها الى الآن . واكبر الظن انهم سيلعبونها زمناً طويلاً ايضاً . ذلك لانها من هذه القصص التي تعجب جمهور النظارة وتأخذ عليهم قلوبهم والبابهم وتثير في نفوسهم من العواطف ما يدفعهم الى تشجيع الممثلين على الاحتفاظ بها واعادة لعبها من حين الى حين

والحق انك لا تكاد تمضي في قراءة هذه القصة حتى تلاحظ امرين مختلفين ولكنهما خليقان بالاعجاب كفيلان بأن يطول بقاؤها في ملاعب التمثيل : احدهما ان الكاتب قد راعى حين وضعها ، لا أقول اصول الفن ، وانما اقول اصول المنطق ونظام التفكير الانساني مراعاة دقيقة جداً . فأنت تنتقل بين مناظرها وفصولها كما تنتقل بين قضايا القياس المنطقي المتقن ، قد وضع كل شيء فيها موضعه لا يستطيع ان يتجاوزه ولا ينبغي له ان يتقدم او يتأخر . وانت لا تفرغ من قراءة منظر حتى تتوقع المنظر الذي يليه . وما تزال كذلك طوال الفصل الاول وطوال الفصل الثاني حتى اذا كدت تفرغ منه فجأتك المصادفة التي لم تكن تنتظر والتي لم يكن منها بد لتنشأ المشكلة التي تدور حولها القصة . فاذا كانت هذه المصادفة فقد نشأت هذه المشكلة وتعقدت وانتهت الى اقصى ما كان يمكن ان تنتهي اليه من العنف والشدة . ولكننا نعود في الوقت نفسه الى هدوء المنطق وتتصل الحوادث امامنا مطردة مستقيمة يتبع بعضها بعضاً وينتج بعضها من بعض حتى تنتهي الى نتيجتها الطبيعية المعقولة ، وهي نتيجة محزنة يألم لها الجمهور ويعجب بها ويحرص على ان تتكرر امامه في الملاعب

هذا احد الامرين . الامر الثاني ان القصة كلها صراع عنيف بين طائفة من العواطف والواجبات قد الفها اوساط الناس واطمأنوا اليها وتعودوا ان يقبلوها كما هي لا يضعونها موضع المناقشة ولا الجدال . فما يعجبهم ان يظهر الكاتب هذه العواطف والواجبات وقد اصطدمت وتنافست ووقف بعضها من بعض موقف الحرب والخصومة القوية . فنحن نرى في القصة صراعاً

بين الحب والصداقة ، وبين الحب والواجب ، وبين الصداقة والواجب ، وبين الحب المشروع والحب الذي لا يبرأ من الاثم والخيانة ، وبين الوفاء الزوجي وهذا الحب الاثيم ، ثم بين الشرف والمنفعة ، ثم بين الشرف والحب والحياة . وكل هذه العواطف والواجبات قدمثلها الكاتب تمثيلاً قويًا صادقًا وتخير لهـا اشخاصًا يتقمصونها تقمصًا (ان راقك هـذا التعبير) ونحن يلذنا ان نرى هؤلاء الاشخاص يختصمون ويجاهد بعضهم بعضًا ويجاهد كل واحد منهما نفسه . ونحن نقف امام النتيجة الاخيرة لهذا كله موقف المطمئن المستسلم الذي يقول مع الشاعر العربي القديم : لا بد مما ليس منه بد ، والذي يستطيع في الوقت نفسه ان يمضي الى ما وراء القصة ويعرف ما يتم بين هؤلاء الاشخاص من توادع وتراض يقومان على الحزن والاستسلام لهذه القوانين الصارمة التي تدمر حياة الانسان

فاذا اضفت الى هاتين الخصلتين خصلة ثالثة هي الاتقان الفني من الناحية الكتابية الصرفة وحسن تخير الالفاظ والمهارة في تدبير الحوار استطعت ان تتبين السر في ان هذه القصة لم تتجاوز شبابها بعد وان كانت قد نيفت على العشرين

ولنبدأ في تحليلها كما تعودنا البدء في تحليل هـذه القصص بعرض اشخاصها عليك في ايجاز لانهم كثيرون

أول هؤلاء الاشخاص وأحقهم بالعناية هي بطلة القصة التي سميت القصة باسمها وهي « انتوانيت سابريه » نعرفها ولما نقرأ من القصة أسطرًا ونعرف في الوقت نفسه انهـا امرأة قوية الشخصية لانهـا بثت الحسد من حولها واطلقت ألسنة النساء بالقول المختلف في سيرتها وحظها ووفائها وما يتصل بذلك . وهي في حقيقة الامر امرأة قوية الشخصية عظيمة الحظ من الارادة قادرة كل القدرة على ان تضبط نفسها وتسير سيرة تلائم الواجب والخلق ومكانتها الاجتماعية الرفيعة وان لم تلائم مثلها الاعلى في الحياة وحاجتها الى ما يطلب النساء من اللذة ونعيم العيش . هي متوسطة السن ليست شابة ولكنها محتفظة بجمال الشباب وروعته وقوته ايضًا ، خفيفة الروح ، جذابة ، راجحة الحلم ، يظهر عليها الهدوء والرزانة والرضا ولكن قلبها جذوة من النار مضطرمة اشد الاضطرام قلما يحس ذلك احد غيرها . وهي كما قدمنا مالكة لهذا القلب قادرة على تصريفه كما تحب وحيث تحب الا ان يعرض لها شخص آخر اشد منها قوة وأبعد منها اثرًا

تزوجت من رجل يشبهها من بعض الوجوه ويخالفها من بعضها الآخر وهو « جرمان سابريه » (Germain Sabrier) قوي الارادة مثلها ، متقد القلب مثلها ، ضابط لنفسه مثلها ايضًا ، ولكنه قد عرف طريقه فمضى فيها أو قل اندفع فيها اندفاعًا . وأذعن له الفوز في كل ما حاول من الامر .

كان ضئيلاً فقيراً يعمل في سوق الاوراق المالية ، فما هي الا ان اندفع في هـذا الطريق حتى اصبح من كبار الماليين في اقل من عشرة اعوام · وهو اليوم زعيم من زعماء المصارف وملك من ملوك البورصة يتقرب اليه الناس و يتهالكون عليه ويحسدونهُ و يتربصون به المكروه · وهو مطمئن الى حظه واثق بالمستقبل لا يشفق ولا يخاف ولا يتردد ولا يحسب اذا اراد أن يقدم على شيء · وهو يحب امرأته حباً قوياً حاداً ولكنهُ غريب فهو لا يظهر لامرأته هذا الحب على النحو المألوف وانما هو مقتنع بأنهُ يرضي امرأته وعواطفها وميولها اذا اغناها وضمن لها حياة مترفة خلابة تبعث الحسد وتغبط النساء · وهو يخيل اليه انه مصيب من حب امرأته ما أراد ، لا يسأل نفسه أراضية هي أم ساخطة ، أقانعة ام محرومة ؟

وبين هذين الزوجين شخص ثالث هو « دوراي » (Doreuil) متقدم في السن بعض التقدم قوي الارادة جداً قادر على ضبط نفسه ، في قلبه جذوة تضطرم من الحب ولكنهُ قد سيطر عليها واستطاع ان يلطفها حتى يجعلها جذوة وفاء ومودة بريئة طاهرة · أحبّ « انتوانيت » وحاول ان يظفر بحبها فلم يوفق ولكنه ظفر منها بالمودة فقنع ورضي من حياته بساعات ينفقها من كل يوم مع هذه المرأة في حديث بريء ونصح ومودة راضية ، يجد ان في هـذا كله لذة لا تشبهها لذة · وانطلقت ألسنة الناس فيهما بألوان القول ولكنهما لا يحفلان بذلك ولا يحفل بذلك الزوج نفسه لانه شديد الثقة بامرأته شديد الثقة بصديقه

ولهذا الصديق اخت شابة هي « ايلين » (Hélène) رائعة الجمال ، خلابة المنظر ، شديدة التسلط ، قوية الارادة ، مضطرمة المزاج ، قد بلغت العشرين من عمرها ، وليس لهـا الا أخوها هذا فهو يقوم منها مقام الاب والام والمربية حتى تظفر بما يليق بها في الزواج · وهي تحب رجلاً ليس اقل من الذين تقدموه قوة ارادة ولا حدة عاطفة ولا اضطرام قلب ، هو « رينـه دانجين » (René Dangenne) غني ، ضخم الثروة ، وسيم الطلعة ، محبب الى النساء بعيد الاثر في نفوسهن ، مفتون بالادب والفن والقراءة ، منصرف عن حياة ابيه الصناعية المالية ، قد اغضب أباه اغضاباً شديداً وانقطع عما يتردد عليه امثاله من الاندية ومجالس اللهو والعمل · تحب الفتـاة هـذا الرجل وهو يظهر لهـا ميلاً شديداً تحسبه الحب وليس هو من الحب في شيء انما هو لون من العطف والمودة والانس اليها

هؤلاء هم اشخاص القصة او قل ابطالها كما تعوّد نقاد التمثيل ان يقولوا · ومن حولهم اشخاص كثيرون قد اختطفهم الكاتب اختطافاً ولمح لك بصورهم النفسية تلميحاً فبلغ في ذلك ما شاء من الاجادة والاتقان · منهم هذه المرأة الباريسية التي نجدها في اول القصة تتحدث الى زوجها ورجل آخر في دعابة ودل باريسيين وهي تطلق لسانها في انتوانيت وزوجها وصديقها وهي تظهر

غيرة على الفضيلة والشرف والعفة والوفاء ، ولكنها لا تكاد تلمح الرجل الذي يعجبها حتى تبتذل هذا كله ابتذالاً وتنزل عنهُ في ابتسامة أقل ما توصف به انها تحمل على الابتسام . ومنهم هــذا الصحفي الذي حملتهُ صناعته على ان يتتبع مثالب الناس و يلم بدخائلهم حتى اصبح صاحب الفتوى من هذا النوع من الغيبة يلجأ اليه المغتابون ليجدوا عنده ما يحتاجون اليه من ألوان الطعن والتشنيع . وهو على هذا كله يحاول ان يكون رجل جد وصدق ووفاء بالمودة ، فاذا سئل عن مثالب انتوانيت أعلن في حزم انه لا يعرف عنها الا خيراً . ولكنه لا يكاد يتبين الاغراء في عين محدثه حتى ينسى الجد والصدق والوفاء ويقع في انتوانيت بما تشاء صاحبته من الطعن والثلب . ومنهم هذه الصديقة الوفية التي تخلص لصديقتها الحب والمودة وتنصح لها جادة رفيقة ولكنها اضعف من ان تنصر الواجب وتمضي في نصرة الى النهاية ، فهي لا تكاد ترى صديقتها مبتهجة سعيدة بهذا الحب الآثم حتى تدعها وما تريد طالبة اليها ألا يصرفها الحب عن مودتها . ومنهم هذا الشخص الاخير الذي نلم به المامة قصيرة لانه شائع بين الناس في جميع اطوارهم وبيئاتهم ، هذا الذي يحبك و يقدم اليك ما تحتاج اليه من معونة وتأييد لان له عندك حاجة ، فاذا لم يظفر منك بما يريد تخلى عنك في سهولة وقسوة لا يحفل من امرك بشيء وربما استحال عدوًّا لك لا يرضيه الا ان تنزل بك النازلة، لا يتأثر في شيء من ذلك بخلق ولا واجب ولا رحمة ولا شيء من هــذه العواطف التي يتأثر بها أخيار الناس

هؤلاء هم اشخاص القصة او هم كثرة هؤلاء الاشخاص واحسبني استطيع بعــد ذلك ان ألخص لك واحسبك تستطيع ان تفهم هذا التلخيص الموجز في غير مشقة

* * *

نحن في ضاحية من ضواحي باريس في قصر فخم قد استأجره الزوجان ليقضيا فيــه الصيف . وهما يحتفلان هذا اليوم بعض هذه الاحتفالات التي يقيمها الاغنياء وقد دعي الى هذا الاحتفال سراة باريس واصحاب المكانة فيها ومعهم النساء الحسان يعتنق الناس بجمالهن ودعابتهن وتنطلق ألسنتهن بما فيه لذة وسحر

ولا يكاد يرفع الستار عن هــذا الفصل حتى نرى هذه المرأة الباريسية بين زوجها وصديقه تتحدث اليهما في امر الزوجين ، فتقع في الرجل بأنه موفق في حيــاته المالية وانها تكره الموفقين وتشبههم باللصوص ، وتقع في المرأة بأنها آثمة تعين زوجها بالاثم على ما يسعى اليه من ثروة . فينكر عليها الرجلان هــذا ويأتي الصحفي فيستفتونه جميعاً في امر انتوانيت فيجيبهم بالخير ، ولكنه لا يكاد ينظر في عين صاحبته حتى يرى الاغراء والاطماع فيتحول عن الوفاء ويقع في انتوانيت ، وبعد ان كان يريد ان ينصرف الى صحيفته لاداء عمله نراه يؤثر البقاء ويكتفي بالتليفون

ونحن نرى المدعوين يترددون في القصر وحديقته يقف كل فريق منهم وقفته على المسرح يتحدثون امام النظارة وقتاً قصيراً ليبينوا فيه بعض ما قدمت لك من نفسية هؤلاء الاشخاص جميعاً

فلنمر بهذا الفصل لا نقف منه الا عند منظرين او ثلاثة لا بد من الوقوف عندها حيناً . نقف عند هذا المنظر الذي يمثل لنا انتوانيت قد اقبلت على صديقها « دوراي » مضطربة كأنها تلتمسه لتشكو اليه بعض الامر فيسألها فتتردد ثم تخبره في استحياء بأن « جاماني » (Jamagne) هذا المالي العظيم الذي لا بد لزوجها من معونته قد ارادها على السوء فامتنعت عليه في رفق فانصرف مغيظاً محنقاً . ونقف عند هذا المنظر الذي يمثل لنا « دوراي » وهو يقدم صديقه « رينه دانجين» الى صاحب القصر ويمثل لنا صاحب القصر وهو يعرض على هذا الرجل الاشتراك معه في بعض الاعمال المالية فيعتذر اليه . ثم نمر مسرعين بهذا المنظر الذي يمثل لنا انتوانيت وقد لقيت هذه المرأة الباريسية التي رأيناها في اول القصة ومعها صاحبها الصحفي قد استسلم لها استسلاماً فيقع بين المرأتين حوار فيه الحسد والتعريض المر وفيه من ناحية انتوانيت الدفاع عن النفس في رشاقة وترفع . ثم تخلو انتوانيت الى صديقتها فتتحدثان فنفهم من هذا الحديث انها لا تحب زوجها ولا تظفر عنده بما تريد ولكنها مع ذلك حريصة على الوفاء له لم تخنه ولن تستطيع ان تخونه وهي تعاشره وتشاطره الحياة ، واذا قدر لها ان تظفر بالحب فلن تذوق لذته حتى تقطع الصلة بينها وبين زوجها . ثم نقف آخر الامر عند هذا المنظر الذي يمثل لنا انتوانيت وقد لقيت « رينه دانجين » فلم يكادا يتحدثان حتى وقع من نفسها ووقعت من نفسه وكان بينهما هذا الحب الفجائي الذي يسميه الفرنسيون « وقع الصاعقة » واذا هما مضطربان أشد الاضطراب يقع بينهما حوار قصير يريدان ان يتناولا به كل شيء فلا يتناولان فيه الا انفسهما وسوء حظهما فيما مضى من حياتهما وينتهيان وقد تواعدا على المودة

* * *

وتمضي ثلاثة اشهر و يرفع الستار عن الفصل الثاني فاذا نحن في القصر نفسه آخر النهار وقد جلست انتوانيت الى منضدة ترتب طائفة من الاوراق ودخلت عليها صديقتها التي رأيناها في الفصل الاول ، فتسأل انتوانيت فيم كتبت اليها تدعوها لزيارتها ، وتجيبها انتوانيت بما كنا نتوقعه في آخر الفصل الاول من انها قد احبت صاحبها حباً لا تجد الى مقاومته سبيلاً وأحبها هو كذلك ، وانتهى بهما هذا الحب الى نتيجته الطبيعية وهي انهما قد اعتزما السفر من فرنسا الى حيث يجدان الحرية . وهي لم تخن زوجها بعد وما ينبغي لها أن تخونه وهي تعاشره وتعيش في بيته ، فاذا ذكرت لها صديقتها ان هذا لا يعفيها من الاثم فهي مدينة لزوجها بالوفاء حتى يطلقها وزوجها يحبها وهو لم يسيء اليها وليس من حقها أن تؤذيه أو تسوءه أجابت بلسان هذا الحب القوي الآثم ان زوجها لن يطلقها ان طلبت

اليه ذلك ، وانما هي لا تحبه وهي تحب هذا الرجل ولها حقها في الحياة ولذاتها فما ينبغي لها أن تضحي بنفسها وصاحبها في سبيل هذا الزوج الذي لا تحبه . وفي الحق ان الحب قد فتن هذه المرأة وانتهى بها الى هذه الأثرة التي ينتهي اليها العشاق عادة فهي تضحي بزوجها وصديقها « دوراي » واخته « ايلين » التي تحب هذا الرجل ، ولا عذر لها في ذلك الا انها تحب وان صاحبها يحبها وانها كانت تنتظر هذا الحب فما ينبغي أن تمتنع عليه وقد أتيح لها . وصديقتها تسمع هذا فلا تقتنع به ولكنها مترددة بين الدفاع عن الواجب والاحتفاظ بمودة صديقتها فتستسلم وتتمنى لصديقتها التوفيق . ولئن ضعفت هذه الصديقة عن ان تقف في وجه الحب الآثم وتحتمل ثقل الدفاع عن الواجب فلن يضعف عن هذا صديقها « دوراي » فقد اقبل ومعه اخته ، فما هي الا أن يخلو الى صاحبته ويتبين ما عزمت عليه حتى ينفجر انفجاراً : يلوم صاحبته لوماً عنيفاً ، لانها تضحي بزوجها ولانها تضحي به هو ولانها تندفع مع الأثرة الى غير هذا وهو يرعد حيناً ويستعطف حيناً آخر ويستسلم مرة الى الغضب ويستسلم مرة أخرى الى البكاء . ولكن الانتصار على هذا الرجل يسير فهو متهم في غضبه للواجب ودفاعه عنه ، هو لا يدافع عن الزوج ولا عن الزواج وانما يدافع عن نفسه لان صاحبته قد انصرفت عنه وستدعه وتنصرف الى حيث تستثمر الحب في دعة وأمن بينما يشقى هو بالوحدة والاسى والحرمان . هو يدافع عن نفسه واذن هو أثر . واذن فليس هو بالصديق حقاً . ولو كان صديقاً حقاً لقبل التضحية في ألم طبعاً ولكن في رضا واذعان وما أسرع ما تنتصر عليه وتلزمه الحجة وقد أقدم اليها وانصرف الزائرون وأقبل حبيبها فاتفقا على ان يفرا بعد حين قصير ينتهزان غيبة زوجها في لندرة ويمضي بهما الاتوموبيل الى حيث يركبان السفينة الى اميركا . ويدعها صاحبها على ان ينتظرها امام القصر ، وهي تدعو خادمتها فتصدر اليها اوامر قصيرة تتصل بهذا السفر وتصرفها . وانظر اليها قد نهضت وتهيأت للخروج الى حيث ينتظرها صاحبها وهي تلقي بنظرة وداع على الحجرة وما فيها ، واذاً فسيظل الواجب مهيضاً وسينتصر عليه الحب الآثم ! وستمضي هذه المرأة مع رفيقها وسيعود الزوج فيرى نفسه في هذا القصر وبين هذا الترف وحيداً . يتقوض من حوله كل شيء ! . . . كلا ! وما الذي يمنع الصادقة ان تدافع عن هذا الواجب ؟ انظر الى صاحبتنا تخطو لتخرج من الحجرة ولكنها تصيح وتتراجع مذعورة لانها رأت رجلاً وهذا الرجل هو زوجها ، وقد اقبل من لندرة قبل ميعاد العودة ولكن انظر اليه : انه مضطرب قد انهدّت قواه وفقد ما كان يمتاز به من شدة وصلابة وثقة بنفسه وبالدهر ، وامرأته تسأله فيم عجل هذه العودة؟ وهو يتردد في اجابتها حتى اذا وجد القوة على الكلام أخبر امرأته بأنه في ضيق مالي منكر لان شركاءه قد اسلموه واجمعوا على خيانته . وكان زعيم هذه الخيانة « جاماني » الذي رأيناه في الفصل الاول يريد التوانيت على السوء وينصرف مخنقاً لانها امتنعت عليه . والرجل لا يتبين سبب هذه الخيانة ، اما نحن فنعرفه حق المعرفة . ومهما يكن من شيء فان صاحبنا مضطر الى نصف مليون من الفرنكات

يجب ان يؤديه بعد ثمانية ايام ، وقد سلك الى هذا المقدار كل سبيل فلم يظفر به · وهو ان لم يؤده مفلس ثم مقبوض عليه ثم ملقى في غيابات السجن . . .

يقص هذا كله على امرأته وهي تسمعة في شيء يشبه الهدوء ولكنه يدل على ثورة عنيفة داخلية · وانظر اليها وقد تغيرت تغيراً تاماً فهي تشجع زوجها وتنصح له بالجلد والمضي في الجهاد وتعلن اليه ان ثمانية ايام ليست بالشيء القليل وانه واجد فيها مخرجاً من هذا الضيق . و يقع هذا الكلام من قلب الرجل موقعاً حسناً ويمنحه قوة وجلداً فيعد باستئناف الجهاد . وانظر اليه وقد نهض قوياً مستعداً للحرب وانصرف الى باريس وترك زوجة في شيء يشبه الذهول ، ينصرف الرجل وتغلق الباب من ورائه واذا صديقها قد اقبل يتعجلها فتعلن اليه انها لن تسافر الآن . ويكون بينهما حوار عنيف نفهم منه ان هذه المرأة كانت تظن انها ستدع زوجها غنياً قوياً يستطيع ان يتعزى عن الحب بالثروة والقوة . فأما الآن وقد اعدم وضعف فلا تستطيع ان تدعه وهي تحب صاحبها ولكنها تطالب الى هذا الحب ان يمهلها حتى يسترد زوجها قوته وثروته ولكن الحب عجل لا يمهل وصاحبها يعلن اليها في عنف انه منصرف عنها الى حيث لن تراه وانها لم تحبه كما يحبها ، وانظر اليه وقد ولى منصرفاً واستولى الجزع على هذه المرأة فهي لعبة بين الحب وشهوته وبين الواجب وامره الذي لا يرد . انها تدعو صاحبها ملحة عليه فاذا اقبل عليها تضرعت اليه في ان يبقى فيأبى ، واذا هي قد غيرت من خطتها فجأة وضحت بالامانة الزوجية في سبيل الحب من ناحية وفي سبيل الوفاء لزوجها والاشفاق عليه من ناحية أخرى واذا هي تلقي بنفسها بين ذراعي صاحبها وقد استسلمت للاثم

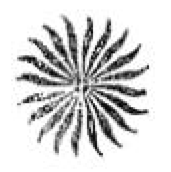
***

وتمضي من الايام الثمانية سبعة ولم يجد الرجل لنفسه مخرجاً من ضيقه ونحن الآن في مصرفه وقد اقبل يائساً مستسلماً مستعداً للافلاس والمحاكمة والسجن · واقبل عليه صديقه « دوراي » ينبئه بأنه قد سعي عند كثير من الماليين فلم يوفق الى شيء ، ولكنه وفق اخيراً الى رجل لا يعمل في المال ولا في البورصة ولكنه مستعد لتقديم هذا المقدار وسيأتي بعد حين ليعرض المال على صديقه · وهذا الرجل هو « رينه دانجين » فاذا سمع صاحبنا اسم هذا الرجل اخذه غضب شديد واعلن انه لن يقبل منه هذه المعونة · فاذا دهش صديقه لذلك اعلن اليه بعد تردد ان هذا الرجل قد اكثر التردد على قصره والتقرب من زوجه وقد عرف الناس ذلك وتحدثوا به فاذا عرف الناس انه قد اعانه فسيتحدثون انه قبل هذه المعونة ثمناً لما بين الحبيبين من صلة · وهنا يغضب « دوراي » ويقف موقفاً بديعاً في الدفاع عن انتوانيت ، فهو مؤمن بطهارتها مؤمن بأنها لم تخن زوجها وما كانت لتخونه حتى تفارقه · وهو يمضي في هذا الدفاع الى أبعد حد ممكن فيعلن الى

صديقه انه ان كان قد وصل الى هذا الحد من الضيق فذلك لان امرأته امتنعت على « جاماني » ويعلن الى صديقه انه هو قد حاول أعواماً ان يصل الى انتوانيت فلم يظفر منها بشيء . وقد كاد يقنع صديقه ببراءة زوجه وطهارتها وكاد يقنعه بأنه يستطيع ان يقبل هذه المعونة ، وقد دعا الخادم وامره ان يتحدث الى زوجه في التليفون يطلب اليها ان تحضر واقبل الرجل يعرض معونته فاذا خلا الى صاحبنا طلب اليه هذا : أتستطيع ان تقسم لي بشرفك اني استطيع ان اقبل هذه المعونة منك دون غضاضة او تعرض للدنية ؟ فيقسم له ويهيء الشيك ويهيء هو صكاً بهذا المقدار

وتقبل انتوانيت ، فينبئها بأنه قد فشل في سعيه كله ولكن هذا الرجل يعرض عليه ما هو في حاجة اليه . فتحاول ان تشكر الرجل مضطربة وقد تم كل شيء ولم يبق الا ان يمضي صاحبنا الصك . ولكنه يتجه الى امرأته وصاحبه قبل ان يمضي ويسألهما في قوة والحاح : ايمضي هذا الصك ؟ فأما الرجل فيجيبه : نعم . واما المرأة فيأخذها الاغماء . واما صاحبنا فقد فهم كل شيء وانظر اليه محنقاً قد القى ما في يده واخذ ينتهر الآثمين في شدة وعنف ، وما زال بالرجل حتى اخرجه وهو الآن امام امرأته وحدها يأمرها ان تنصرف فتستعطف فلا يزيده استعطافها الا سخطاً وحنقاً . ومع ذلك فالرجل في محنة منكرة وقد جاهد اسابيع وضعف عن المقاومة وهو في حاجة الى من يؤيده ويشد ازره ويعينه على هذه الايام المرة التي يستقبلها فانظر اليه وقد عفا او كاد يعفو عن امرأته ولكنه يريد منها ان تنصرف عن هذا الرجل وتنساه وتبقى له هو وحده ويسألها اتستطيع ذلك فلا تجد الى جوابه سبيلا . فاذا ألح عليها في السؤال عرف منها انها لا تستطيع . فانظر اليه ضعيفاً مستسلماً مغضباً مع ذلك شريفاً يطرد زوجته وهي تأبى عليه وتعرض عليه ما تستطيع من ان تعيش معه حليفة معينة ولكن في غير حب لانها لا تملك هذا الحب ولا تستطيع اخضاعه لارادتها . وهو يأبى عليها ويلح في طردها فتنصرف معلنة اليه انها ستنتظره في البيت . فاذا تركته نهض الى ابواب الغرفة فغلقها ثم يعود الى مكتبه ويخرج منه مسدساً ويرتب طائفة من الاوراق ، وقد طرق الباب فكان جوابه طلقة المسدس التي تختم بها مثل هذه القصص

طه حسين



مجانين الشعراء

بقلم الدكتور نقولا فياض

(من كتابه « خواطر في الصحة والادب » الذي يصدر في هذين اليومين)

الشعر الذي كان يسميه الاقدمون لغة الآلهة وهو اليوم عندنا لغة القلب لا يختص بالقوم الفاكرين ولا يستلزم النطق به معرفة قواعده وألحانه والاخذ بروابطه وأوزانه . وقد يتعجب القارىء اذا رأى أن المجانين الذين نبذهم الاجتماع وسلخت عنهم الانسانية صورتها الادبية وقطع البشر معهم كل صلة ورباط لا يخلون من قلوب ذات أوتار وألحان ذات أشجان . بل فيهم شعراء مجيدون تتجلى لهم المعاني كالكواكب في سماء تخيلاتهم وتدعوهم عرائس الشعر الى مناجاتها كما تدعو أعقل العقلاء . ولا أخال هذا العجب من القارىء الا نتيجة اعتقاد راسخ في الاذهان بان الجنون حالة من أحوال العدم أو الموت الادبي وان من يصاب به فهو مجرد من كل شعور بعيد عن القيام بعمل يفيد مع أنه لو تدبرنا أعمال المجانين وأحوالهم لوقفنا على دلائل كثيرة تشير الى أن الجنون مرتبط بالذكاء بحيث لا يمنع على المصاب به أن يكون أحياناً من النافعين وأن يجري الشعر على لسانه والسحر في بيانه

قال لومبروزو وهو أشهر من بحث في هذا الموضوع وآخر من كتب فيه ان في المارستان شعراء مجيدين قلما تجد بينهم من تلقى العلم أو أتم دروسه البيانية قبل الدخول الى المستشفى وا كثرهم لا يقول الشعر الا موحى به أو بالاحرى مدفوعاً اليه بحالة من الجنون . وكثيراً ما يكون النظم في ساعة اشتداد المرض كأنه متعلق به ملازم له فاذا صفا ذهن المريض وسكن هياجه غاب عنه ذلك الوحي ولم يبق له من سبيل الى الالهام

أما تعليل ذلك فمقصور على القول بزيادة تهييج في الدماغ ونبوغ وقتي يكون كوميض البرق قال شارل نوديه ان أشعة الفكر المختل متفرقة متشعبة ولكنها قد تتقارب أحياناً وتتلاحم فتصير جمعاً واحداً كما تفعل العدسية بأشعة الشمس وهذا التجمع يجعل لها تأثيراً كبيراً فتوحي الفصاحة الى المجنون وتكسو كلامه حلة من البهاء لا يفرق بها عن الاصحاء

والصفة الغالبة في اشعار المجانين هي اجتماع الاضداد وتباين العواطف فترى الشاعر سريع الانتقال من موقف الى آخر فهو يمر من الفرح الى الحزن ويتراوح بين السمو والهبوط والهياج والسكون ولا يستقر على حال الا فيما ندر

ولا أقصد بهذه السطور الاحاطة بأطراف هذا الموضوع بل أحببت أن أتحف قرائي ببعض من أشعار هذه الفئة من الناس مما يجمع بين التسلية والافادة ويكون مثالا يعجب به الذوق السليم

ولا يأنف شعراء العصر أن يتمنوا نظيره لانفسهم

فقد ذكر باران في كتابه «العقل والجنون» قصيدة لاحد المجانين بعث بها الى طبيب مستشفاه وهاك ترجمتها:

لسيدي الدكتور س ...

١٣ مايو سنة ٨٧

«ان طبيباً سامياً يدعوني الى النظم وهو شرف لا أنكره ولكن هل للشاعر الحزين سبيل اليه في هذا المكان المظلم الذي لا يتعهده وحي الآلهة ... النظم؟ يا له من عمل متعب

«رب معترض يقول انه فيما مضى كانت أشعة الشمس في غاسقونيا توقظ فكري النائم. أجل ذلك ما لا ريب فيه فقد كان لي في بوردو ساعات طربت بها وعاقرت المدام ولكن منذ ذلك العهد قضي عليَّ أن أغادر شواطىء جيروند الجميلة والغنية بالخمور فانعقد لساني وامتنع عليَّ الانشاد والغناء .... وطوت عروس شعري أجنحتها المبللة بالدموع وولت كأنها ملك معذب مطرود من سماء الازل .... ولم يبق للعصفور السجين صوت يغرد .... وا أسفاه ما أنا بعد الآن بلبل الغاب ولا هزاره

«وانت ايها الطبيب تلقبني شاعراً عن غير استحقاق فما انا غير وزان حقير ولا ادري اذا كانت هذه الابيات تحوز لديك قبولاً. ان رضاك غاية مناي واقصى مشتهاي غير ان جواد الشعر حرون لا يقيد فاذا كنت أيها الطبيب ترغب في ان ترجع لي عهد التصابي فانا لا اقول لك ارجع شبابي ولكن كما اعدت لي الصحة ألا يمكنك ان تعيد لي الحرية؟

«ماذا يطلب الشاعر ليكون شاعراً: هواء مطلقاً ونور الشمس والسرور. فامنحني هذه النعم الثلاث وقلبي المخلص يخرج لك حينئذ من اوتاره نغمات تليق بطبيب وتليق بشاعر»

هذه الابيات تدل على ثبات الفكر وعدم ضياع الذاكرة وقد يأبى القارىء ان يصدق بجنون ناظمها على ان باران يقول ان صاحب هذا الشعر حاول في غضون المدة التي نظمه فيها قتل امه مرة والانتحار مرة اخرى وكان يتهيج تارة وطوراً ينتابه الجمود واحياناً يخال نفسه ذليلاً مهاناً وآونة متهماً مقضياً عليه وفي كل هذه الادوار كان يلقي الذنب على زوجه

وحكى لومبروزو عن شاعر تلياني مشهور اصابه الجنون لافراطه في السكر فكان كلما اشتد العارض عليه يضرب زوجه ويتخيل اناساً يضطهدونه فيصيح شاتماً لاعناً ثم يعود الى نفسه فينظم. وفي جملة ما كتب رواية تمثيلية مؤلفة من ستين دوراً خلط فيها بين ارخميدس وغاريبالدي وفكتور عمانوئيل وحواء وداود وشاوول وفيها اشخاص غير منظورة وكواكب وسيارات كلها من ابطال الرواية ومن غرائب ما حوت سؤال موجه الى ارخميدس وهو:

« أجب أين انت ؟ هل تختبئ تحت صخرة مصبوغة بالدم ؟ وان كنت قد رميت الآلهة بملك ذي اجنحة نارية لجبار السموات لم يتعب بعد . واذا كان الليل يبهجك اكثر من النور فليصبغوا بالظلام كوكبك المرم »

فيجيبه ارخميدس :

« انا هو الاسد سادل الشعر مزمجر »

وكان هذا الشاعر ينظم حيناً بعد حين اشعاراً مطربة ولا يلبث ان ينتقل منها الى المحزن المبكي ومن ابياته المملوءة بالكآبة والناطقة برقة حساسة ما يأتي :

« الى نفسي

« ممن تشكين وممن تلومين ؟ ألوم الكل ولا ألوم احداً . اشكو السماء التي تصطبغ بالقتام والشعر الذي لا يعبر عن الاسف الفاتك بي »

وهذه قصيدة اخرى يصف بها احد اصدقائه :

« ان من يراك لاول مرة يخالك خلواً من الرحمة على انه يخطىء الظن لان الصور التي تظهر الشراسة كثيراً ما تكون حجاباً لنفوس رقيقة مضطرمة بنار الحب . هكذا تنشر الوردة شذاها العطر من خلال الاوراق التي تغطيها وكذا الياسمين وازهار الحب الطاهرة

« وباطلاً يرسل اليك فانوس وباخوس انفاسهما الطيبة فانك عدو الملاهي . . انت كالصخر فعبثاً تلاعبك الامواج لتهزك »

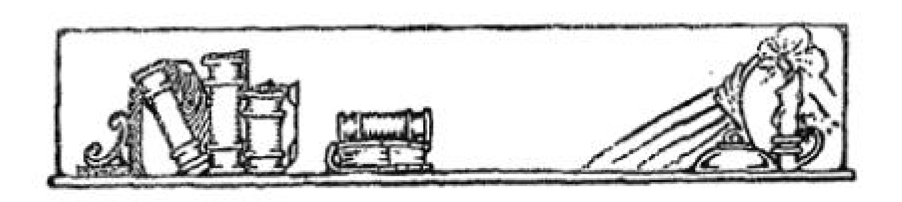
والطف من هذا قوله :

« لعصفور في الحمى

« من عليقة الى صخر ومن صخر الى اكمة ابداً تنتقل في الليل والنهار . ونحن هنا معلقون كما يعلق الدولاب بمساره نتعذب تائهين ولا نعرف الحرية »

وفي هذا اشارة الى وجوده في المارستان حيث كان يكثر من الوقوف مع رفقائه في ظل شجر هناك . وليس لمثل هذا النظم موضوع محدود عند قائليه فهم يتبعون تصورهم الشارد أيان سار بهم

الدكتور نقولا فياض



ما هي «التربية الجديدة»؟

بقلم الاستاذ خليل طوطح

دكتور في الفلسفة من جامعة كولمبيا بنيويورك

ها قد رجعت من زيارة الى أميركا استغرقت سنة وكنت قد غبت عنها ست سنوات . وفي أثناء هذه الرحلة وجدت الولايات المتحدة غير البلاد التي كنت أعهدها لما طرأ عليها من التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري . ولما كانت مقالة واحدة لا تتسع لاستيفاء كل هذه الابحاث حصرت مقالي فيما شاهدت من الانقلاب في التربية ونظرياتها واساليبها . وهي التربية المسماة في الغرب الآن «بالتربية الجديدة»

لا يخفى على من تتبع التطورات الفكرية ان هـذه ليست بأول مرة ظهرت فيها تربية «جديدة» . فقد ظهرت تربية «جديدة» عدة مرات في التاريخ . وكان من أهم التربيات «الجديدة» تلك التي بشر بها السفسطائيون في منتصف القرن الخامس قبل المسيح . ولا بد من القول بان مذهب السفسطة كان يمثل نزعة الاحرار بين معلمي اليونان اذ كانت غايته اعداد الشبيبة لخوض معترك حياة جديدة لم يعرفها آباؤهم . وبالطبع قام رهط من المحافظين ومقت تلك التربية الجديدة واتهمها بالتعطيل وصرف الاحداث عن عبادة الآلهة والضرب بالتقاليد عرض الحائط . وبغض النظر عما في تربية السفسطائيين من حسنات وسيئات فانها كانت نظرة جديدة في الحياة ، غرضها السير مع عصر جديد ومحيط جديد . ولهذا فازت رغم مقاومة المعارضين لها لان العصر كان في حاجة اليها

تلك كانت تربية جديدة في عصرها غير انهُ مع مرور السنين يصبح الجديد قديماً . وفي ابان النهضة العلمية (رنسانس Renaissance) حوالي القرن الرابع عشر بعد المسيح ظهرت تربية جديدة أخرى نسب لزعمائها أيضاً الكفر وتفضيل الثقافة اليونانية الوثنية على الدين المسيحي . وفازت هي أيضاً على الرغم من مقاومة الذين ناصروا القـديم وقبحوا الجديد ، لا لانهم فهموا ميزات القـديم والجديد بل لانهم حبذوا القديم لقدمه ومقتوا الجديد لجدته . نعم فازت تربية «الرنسانس» حتى ان محافظي اليوم متمسكون بتلك التربية التي كانت تحسب جديدة . أما المتمسكون الآن بتلك التربية فهم ارباب بعض المدارس الالمانية (Gymnasium) والفرنسية (Lycée) والانجليزية (The English Public School)

هذان مثلان يظهران حاجة المدارس الى التطور والتكيف وفق المحيط . وأما أفضل مثل فهو التربية الجديدة التي ترفرف على المعاهد العلمية الحديثة في أميركا و بعض مدن أوربا في وقتنا

الحاضر . ويزعم بعضهم ان التربية التي نحن بصددها هي احدى نتائج الحرب العظمى مع انها ليست الا صدى تلك القنبلة الهائلة التي قذفت بها قريحة جان جاك روسو في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر للميلاد . فتربيتنا الحديثة اذاً ما هي الا بنت القرن الثامن عشر لا القرن العشرين . كما ان ديموقراطية اليوم هي أيضاً هبة ذلك القرن . ويعد جون ديوي (John Dewey) أستاذ فلسفة التربية في جامعة كولمبيا زعيم التربية الجديدة مع انه ليس في الحقيقة الا تلميذاً لجان جاك روسو . ولنبدأ الآن بتشريح التربية الجديدة والنظر في فلسفتها وتنظيمها وبرامجها وأساليبها

١ — فلسفتها

تختلف تربية العصور الوسطى عن التربية الحديثة في ان الاولى كانت ترمي الى اعداد الانسان لمحيط الحياة الآخرة . وأما غرض الثانية فاعداده للمعيشة في هذا العالم . وربما كان السبب في اختلاف هاتين الغايتين مرارة حياة العامة في القرون الوسطى لانها لم تملك شيئاً في هذه الدنيا بل انها لم تملك أنفسها اذ كان الناس عبيداً لاسيادهم النبلاء فكان الاستعداد الدائم للآخرة مخدراً للاعصاب . ولما كان التعليم في يد الاكليروس وكان ذا صبغة دينية وضع نصب عينيه الحياة الابدية وحاول ان يعد الشعب لها ، مهملاً حاجات هذه الدار الفانية . فكانت التربية القديمة اذاً دينية وللخاصة . أما اليوم وقد انتشرت مبادىء الديموقراطية في كل اقطار المعمور ، وأصبح الصعاليك أحراراً يملكون انفسهم وبيوتهم وأراضيهم ، وقد رأينا مقدرة الصعاليك والعمال على قلب الوزارات وثلّ العروش ، وأصبحت الارض لاهلها لا لطبقة ارستقراطية فقط ، فيحتاج الناس الى تربية جديدة ومدارس جديدة ومعلمين جدد وفلسفة جديدة تؤهل الاكثرية لحكم نفسها بنفسها والتمتع بملذات الحياة . ناهيك بانتشار الديموقراطية فان اختراعات القرنين التاسع عشر والعشرين اضطرت المدارس ان تستبدل صبغتها الدينية بصبغة مدنية صناعية تجارية . فلا شك ان عصر البخار والكهرباء واللاسلكي والاتوموبيل والطيارات والراديو يحتاج الى تربية غير تربية عصر الاقطاع . ولهذا ترمي فلسفة التربية في اميركا الى اعداد الولد ليكون عضواً عاملاً في الهيئة الاجتماعية . وشعار التربية عندهم هو الواجب المدني (Citizenship) والمسئولية الاجتماعية والاستعداد لتحصيل المعيشة في محيط ديموقراطي . وصفوة القول ان التربية الجديدة ترمي الى تعزيز المبدأ الديموقراطي . ولتطبيق هذه النظرية جعل أولئك القوم مصلحة التربية مصلحة عامة اذ أصبح التعليم اجبارياً بعد ان كان اختيارياً . وصار حكومياً بعد ان كان كنسياً . واصبح ينفق عليه من الاموال العامة بعد ان كانت نفقاته من التبرعات الاحسانية . ومما هو جدير بالذكر اهتمام الاشتراكية الزائد بأمر التربية اذ على التعليم والمدارس يقوم فلاح خطتها . وتأييداً لقولي اذكر كتابين في التربية للروائي الانجليزي الاشتراكي الشهير ولز (H. G. Wells) اسم الاول

جوان و بيتر (Joan and Peter) والثاني ترجمة حياة المعلم سندرسن (Sanderson of Qundle) وزد على ذلك كتاباً آخر لاحد زعماء العمال يطالب الحكومة البريطانية بتوسيع نطاق المدارس الثانوية وفتح أبوابها لاولاد العمال (Tawney : Secondary Education For All) و ظهر أيضاً في هذه السنة كتاب آخر في التربية للاشتراكي الانجليزي الكبير برترند رصل (Bertrand Russell) . وقصارى القول ان فلسفة التربية الجديدة تحلل على الطراز الآتي :

(ا) اثبات مبدأ الديموقراطية الذي يرمي الى ضمان سعادة الاكثرية

(ب) تعليم العامة كي يمكن بقاء الحكم الديموقراطي

(ج) التعليم الاجباري اذ ان الجهل يعود بضرر على المجموع لا على الافراد فقط

(د) التربية العملية التي تؤهل الانسان لتحصيل رزقه والقيام بواجباته المدنية

(ه) التعليم كمصلحة من مصالح الحكومة لا كمصلحة خاصة

فمن مقارنة هذه المبادىء بتلك التي كانت تخدر أعصاب الناس بملذات السماء واقناعهم انهم خلقوا لخدمة أسيادهم النبلاء و بأنهم لا يصلحون لحكم أنفسهم يرى القارىء الفرق العظيم بين وجهتي النظر

٢ ــ مسألة تنظيم المدارس

الاصل في التربية فلسفتها اي هدفها وغرضها الاساسي الذي ترمي اليه . فمتى تقرر هذا تعد الوسائل للوصول الى ذلك الغرض وما التنظيم والبرنامج وأسلوب التعليم الا وسائل لتطبيق النظرية الاصلية في التربية . فاذا درسنا تنظيم مدارس اميركا مثلاً وجدناه منطبقاً كل الانطباق على فلسفة الاميركيين في التربية . فان الاميركان يودون فتح مجال الرقي والتقدم لكل فرد دون نظر الى اصله أو دينه أو مذهبه . فلسفتهم اذاً هي احترام الجميع لا احترام طبقة واحدة فقط . ولهذا نظموا مدارسهم على نظام يسمى بالسلّمي . اي ان مدارسهم تشبه سلماً أدناه روضة الاطفال وأعلاه الجامعة. أضف الى ذلك ان التعليم مجاني واجباري معاً وهذا مما يجعله ديموقراطياً بحتاً اذ يفتح المجال لافقر الناس كي يدخلوا المدارس الابتدائية والثانوية والعليا دون ان يدفعوا الرسوم الباهظة. ولكي يقدر هذا النظام حق قدره تجب مقابلته بمدارس أوربا حيث توجد مدارس مجانيـة منحطة للعامة والعمال ومدارس أخرى غير مجانية راقيـة للاغنياء والاشراف . فاذا ذهبنا الى انجلترا مثلاً وجدنا أولاد الخاصة يرفلون في نعيم « المدارس الانجليزية العمومية » مثل ايتن (Eton) ورجبي (Rugby) ومنها يدخلون اكسفورد و كمبردج . وأما أولاد العامة فيزدحمون في مدارس الحكومة الابتدائية ولا يذهب منهم الى المدارس الثانوية الا الاقلية اذ تمنعهم أولاً الرسوم وثانياً عدم ملاءمة المحيط والدروس لحالتهم . وقس على ذلك التنظيم المدرسي في فرنسا

والمانيا حيث يوجد نظامان متوازيان احدهما للعامة والآخر للخاصة • فشتان بين التنظيم الاوربي والتنظيم الاميركي

أما وقد اخذت الاشتراكية مأخذها في أوربا ورفع العمال رءوسهم فها هم ينفذون مبادىء التربية الجديدة بالتدريج • ولذا ترى الالمان يحاولون تبديل تنظيمهم المدرسي القديم الارستقراطي بشكل جديد ديموقراطي يخدم مصلحة العامة • وأما المدرسة الجديدة التي يطلبها أحرار الالمان فهي ما يسمونها (Einheits schule) وهي نوع جديد يشبه النوع الاميركي في جعل النظام المدرسي سلماً مفتوحاً للجميع • وتشارك فرنسا المانيا في هذه الفكرة اذ يطالب الاشتراكيون هناك الحكومة بتنظيم مدرسة اسمها (École Unique) غرضها ازالة « النظام المتوازي » (Parallel system) الذي يفتح لاولاد الخاصة مجال الدراسة الثانوية والذهاب الى الجامعات ويمنح للفقراء التعليم الابتدائي فقط

فيستنتج اذاً من الملاحظات السابقة ان التربية الجديدة تود قلب النظام القديم وازالة العقبات من طريق الفقراء والعامة وجعل المدرسة الابتدائية سلما للمدرسة الثانوية فالجامعة ، ليس للخاصة فقط بل للجميع • ويظهر بلا شك ان روح هذا النظام الجديد هو روح المساواة والديموقراطية

٣ — البرامج

يرجع اصل معظم البرامج الحالية في الغرب الى عصر النهضة او الرنسانس لان ذلك الهوس العلمي هو الذي دفع الناس الى تأسيس المدارس الثانوية بالاخص وتدريس اللاتينية واليونانية • ومن الغريب ان عدة مدارس في أوربا وأميركا هي اليوم من حيث برنامجها تحت سيطرة الرنسانس • غير أن هذه السيطرة كادت تتلاشى في أميركا وأخذت في الزوال في أوربا • ومما ساعد ذلك البرنامج القديم على الاستمرار مذهب فلسفي يسمى في التربية (Formal Discipline) أو « مذهب التأديب العقلي » • ونقول بالاختصار ان هذا المذهب يجعل غرض التعليم بترويض القوى العقلية كترويض عضلات الجسم • ويقول هذا المذهب ايضاً بأن الفائدة العقلية التي تحصل من اتقان فن تساعد العقل على اتقان فن آخر • فالمهارة العقلية المكتسبة من تعلم الرياضيات مثلاً تساعد المرء اذا زاول السياسة او التجارة • والقوة التي يكتسبها الانسان من اللغة اليونانية تساعده اذا أراد مزاولة الطب • هذا هو مذهب « التأديب العقلي » أما تأثيره على البرنامج فكان شديداً اذ حصره في مواضيع قليلة ، اي ان المربين اكتفوا ببعض الدروس ظانين ان المنفعة من دروس قليلة هي منفعة عامة يمكن استخدامها في كل الاعمال

أما التربية الجديدة فقد أعرضت عن الرنسانس وعصر الاقطاع ورفضت مذهب « التأديب العقلي » فعمدت الى فك البرنامج من قيده وأسرعت الى توسيع نطاقه والزيادة في مواضيعه وجعلها عملية نافعة خادمة لحاجات هذا العصر • وبعد ان كان البرنامج محصوراً في بضعة مواضيع مثل

اليونانية واللاتينية والرياضيات والدين اطلق سبيله وأدخل الى صفوفه علم الاقتصاد والتاريخ والادب وعلم الاجتماع والدروس المدنية (Civics) والموضوعات التجارية مثل الآلة الكاتبة والتلغراف اللاسلكي وما شاكل . وبعد ان كان التلميذ مجبراً على درس بعض الموضوعات أصبح اليوم حراً يدرس ما يحب وما يلائم ذوقه . فتأثير التربية الجديدة في البرنامج هو اذاً ما يأتي :

(ا) اطلاق البرنامج الحديث للنهضة العلمية

(ب) اقترانه بالديموقراطية وعصر الصناعة

(ج) اماتة « مذهب التأديب العقلي »

(د) ازدياد موضوعات الدراسة

(هـ) اطلاق الحرية لانتقاء ما يلذ من الدروس وهو ما يسمى بالـ (Elective system)

٤ ــ الاسلوب

ها قد بينت ما أحدثته التربية الجديدة من التأثير في فلسفة التعليم وتنظيم المدارس وتوسيع نطاق البرنامج . أما الآن فسأبحث فيما طرأ على أسلوب التدريس من الانقلاب مذ ظهور التربية الجديدة

كان يظن أكثر المعلمين ان للتعليم أسلوباً واحداً وطريقة واحدة يعد من لم يتبعها ضالاً عن الصراط المستقيم الى التربية . أما اليوم وقد رجعت أساليب التدريس الى مختبر علماء النفس وبدأت في الاستناد الى التجارب العلمية لا الى الآراء الشخصية فقد تعددت الطرق للتعليم . وربما كان السبب الاكبر في تنوع الاساليب ما ينص عليه علم النفس الحديث عن أهمية التباين الشخصي (Individual differences) . وغير خاف انه اذا تباينت أذواق الطلبة ومقدرتهم العقلية واخلاقهم ترتب على المعلم ان يكون حاذقاً مرناً مخصصاً أسلوباً لكل خلق ومزاج . فالتربية الحديثة ليست ذات أسلوب واحد بل لها عدة أساليب ، ولاجل الايضاح اذكر أهم ما يتبع منها في الوقت الحاضر في الولايات المتحدة واوربا :

١ ــ (Project Method) او الاسلوب المشروعي وهو أسلوب مبدأه تشجيع الطالب على اتباع مشروع ما كتربية الدجاج او بناء جسر صغير او نظم قصيدة او اصلاح ساعة وما شاكل هذا . والغرض هو حث الولد على الانهماك في موضوع تتوق اليه نفسه وتنمو بواسطته قواه وتتطور لذته فيه حتى ينقاد من موضوع الى آخر . هذا ومن الضروري أن يتعلم التلميذ ما يريده هو لا ما يختاره المعلم بطريقة استبدادية لا تعود على الولد بلذة او اكتراث . فلنتأمل اذاً في الفرق بين تلك النظرية التي تجعل المعلم مقرر مصير الولد وبين هذه التي تجعل الولد نفسه مقرر مصيره . ومجمل القول ان القوم استعاضوا عن التعليم بالتعلم

(ب) (The Dalton Plan) ــ او « اسلوب دالطن » . هذه طريقة جديدة تنسب الى

بلدة في ولاية مساشوستس تدعى ضالطن لان الفكرة ولدتها رأس معلمة أميركية كانت تدرس في تلك البلدة وقد انتشر هذا الاسلوب في انجلترا وفي عدد ليس بقليل من مدارس اميركا · أما مبدأ هـذه الطريقة فهو تعليم الاولاد كافراد لا كجماعات او صفوف · ولقد قضى هذا المبدأ على غرف التـدريس لانه استعاض عنها بدار الكتب والمختبر حتى ان هـذا الاسلوب يدعى أحياناً « أسلوب المختبر » (The Laboratory Plan) · وفي عرف هـذا النظام يصبح المعلم مستشاراً يستشيره الولد اذا شاء وحينا شاء ويعطى التلميذ عملاً يستغرق شهراً وهو مسئول عن تتميم العمل في آخر الشهر

(ج) أسلوب مونتسوري وهو ينسب الى سيدة ايطالية بهذا الاسم ويقوم ايضاً على الاعتراف بحق الولد في ان يتبع ميوله في التعلم ويجعل المعلم مرشداً لا سلطاناً · يقول الاستاذ السر جون ادمس (Sir John Adams) انه لقد دق الجرس لجنـازة التدريس الصفي (The Knell of class-teaching) وقيل ان المدام منتسوري هي اول من دق جرس الجنازة

(د) (Free discipline) او « الضبط المرن » او « الضبط اللين » في ادارة وتدبير الطلبة وهي طريقة متبعة في مدارس عدة · وبهذه الواسطة يعطى التلامذة مجالاً واسعاً لحكم انفسهم وتدبير شؤونهم وازدياد مسئوليتهم

(ه) (Integrated instruction) او « الاسلوب الارتبـاطي » وهو ما يسميه الالمان (Sesamtunterricht) · ومن أهم مبادىء هـذا الاسلوب القضاء على لائحة الدروس اليومية والغاء تقسيم الدروس وتعيين أوقات معينة لها كاعطاء الحساب اربعين دقيقة والجغرافية خمساً وثلاثين الخ · فيقول أنصار التربيـة الجديدة والاسلوب الحديث ان لذة الولد في الموضوع هي أهم من الترتيب المنطقي · وعليه فمتى اندفع التلميذ الى درس الحيوان يجب على المدرس تمهيد الطريق وتوفير كل الوسائط للتعلم عن الحيوان · ثم ان الجغرافية مثلاً يجب ان تترك حتى يطلبها الولد من تلقاء نفسه لا بل حتى يضطره محيطه وظروفه الى معرفة الجغرافية · فترتب الدروس اذاً على هوى الولد وطلبه لا على لائحة الدروس · ولا بأس بالقول ان هذه النظرية قد خرجت الى حيز العمل فانني حضرت محاضرة في جامعـة كولمبيا ألقـاها الدكتور دنجلر (Dengler) النمساوي مدير المدارس الثـانوية في فينا قال فيها ان المعلمين خيروا في اتباع هـذه الطريقة او الاستمرار على الاسلوب القديم ففضلت الاكثرية هذا الاسلوب الارتباطي

(و) (Socialized Recitation) او « التسميع المشترك » وهو أسلوب التدريس الذي يشرك الطلبة في ادارة الدرس كطرح الاسئلة والاخذ والرد في البحث وما غيره · هـذا الاسلوب قد هدم عرش المعلم ونصب مكانه جمهورية تدريسية يصبح المدرس فيها عضواً من الاعضاء غير انه يستشار ويثبت وجوده لا بطرق استبدادية بل باظهار علمه ومقدرته ومهارته ·

فالتسميع المشترك يطلب من كل افراد الصف أن يكونوا تلامذة ومعلمين في آن واحد · والمدرس غير مستثنى من هذا النظام

***

وخلاصة المقال هي ان التربية الجديدة ترمي في فلسفتها ونظامها وبرنامجها واسلوبها الى تعليم كل الطبقات من الناس وتأهيلها لحكم نفسها بنفسها لا للخضوع لسلطة فرد او فئة · أي ان التربية الجديدة هي دستور جديد لروح الديموقراطية الحقة · وعلى رأس بروغرام التربية الحديثة عتق التلميذ من كل انواع العبودية لوالديه ولنفسه ولمعلمه وبرنامجه · لا بل تريد التربية الجديدة ان تقلب الحالة من التعليم الى التعلم · وقد قال احد المربين ان من لا يربي نفسه لا يربيه احد · ولا بأس من اعادة القول بأن المدرسة الجديدة هي التي تقدم الوسائل كي يتعلم الولد من تلقاء نفسه بدون ضغط خارجي خلا ارشاد المعلم وتشويقه · أما غرفة التدريس في نظام التربية الجديدة فتتغير صبغتها من سجن او محكمة او ديوان تفتيش الى محل جميل او مختبر او مكتبة او معمل يتوق الولد للاسراع اليها · والطلبة في المدارس الجديدة هم الذين يقررون مادة الدراسة واوقاتها · اذاً لقد قضي على التربية القديمة وعلى استبداد المعلمين الاقدمين وعلى البرامج العقيمة وقد دق جرس جنازة الاسلوب القديم

اما والحالة هذه في الغرب فماذا يجب على الشرق ان يعمل ? لا شك اننا في حاجة الى قلب فلسفتنا ونظمنا وبرامجنا وأسلوبنا · نحن في حاجة شديدة الى تربية جديدة تعدنا للمحيط الجديد الذي أحاط بنا منذ عدة سنين وبالاخص منذ قهر اليابان الروس وأعلن الدستور في تركيا وشبت نار الحرب العظمى واعلنت حرية الشعوب الشرقية · نعم لبلادنا نظرة جديدة في الحياة ولهذا تعوزنا مدارس جديدة · ولا شك اننا قد أضعنا اوقات تدريسنا في الصرف والنحو والاعراب و « قام زيد » و « ضرب زيد عمراً » الخ · أما الآن فيلزمنا المختبر والزراعة والصناعة والعلوم الفنية كي نستغني عن الغرب ولو في امر واحد · واخيراً يتحتم على معلمينا اتخاذ الاساليب الجديدة ولا يمكنهم ذلك الا اذا درسوا مهنتهم كمهنة معينة مثل الطب والهندسة والمحاماة · فالمطلوب اذاً هو التطور والتكيف وفق الحالة الحاضرة . فاننا اذا عشنا في القرن العشرين وتمسكنا بتربية القرون الوسطى هلكنا لا محالة

خليل طوطح .

اقرأ هذا المقال المفيد لك

الصحة بين الرأي والهوى

مقال لطبيب كبير

للناس اهواء في المحافظة على صحتهم تبلغ بهم احياناً حد الهوس يتحمسون لها و يعملون بها . والغالب ان تكون بها بذرة من الصواب ولكن المبالغة في التحمس تخرجها عن اصلها المقصود منها فتنقلب الغاية الى ضدها من الضرر بالصحة . وقد كتب الدكتور سادلر مقالاً في هذا الموضوع آثرنا تلخيصه فيما يلي لكي يقف القارىء على رأي ثقة في الطب في نزعاته الحسنة ونزعاته السيئة معاً . وقد عنون مقاله بعنوان « الهوس الصحي » و بعد ان اشار الى ان في هذا الهوس عادة شيئاً من الصواب قال انه لا يوافق كل الناس . وتتبع ضروب هـذا الهوس واحداً فواحداً منتقداً ومطرئاً . ونحن نتتبع ترتيبه وننقل للقراء آراءه

الرياضة البدنية

الرياضة البدنية حسنة ولكنها لا تنفع كل الناس وخاصة من كان منهم ضعيف البنيـة او عصبي المزاج او قد دخل في طور الكهولة . واحسن ضروب الرياضة هو المشي ميلاً او ميلين في اليوم فاذا كان المرء يؤدي هـذه الرياضة رواحاً وغدواً من بيته الى عمله فيجب ألا يفكر في أية حركة بهلوانيـة يُنصح له باصطناعها . وميل الشبان الى الالعاب الرياضية في زماننا هذا قد افاد على وجه العموم لأن الاعمال الحديثة تضطرنا الى القعود الى المكاتب محنبين عليهـا طول النهار فتبطؤ الدورة الدموية و يسير الجسم نحو الترهل . فالقفز والجري والمشي يعيد الى الجسم نشاطه

ولكن التعلق بالرياضة يبلغ احياناً في بعض النـاس حد الهوس فينغمـسون فيها انغماساً قاتلاً يؤذون به انفسهم . ومن الاوهام الشائعة ان العضلات الضخمة القوية في الذراع او الساق دليل الصحة . والواقع انها في اكثر الحالات تكون كذلك في الشبان ولكنها في حالات أخرى تكون دليل المرض . فان ضعيف القلب لا يتحمل احياناً جهد الالعاب الرياضية وكثيراً ما يموت بضعف القلب . وليس العضل من الاعضاء الحيوية في جسمنا لانه يمكننـا ان نعيش بعضل ضعيف اذا كانت اعضاؤنا الداخلية سليمة . وتضخم العضل عرض وليس غاية من غايات الالعاب الرياضية . لان الغاية الاولى هي تنشيط الدورة الدموية حتى تنشط معها الكليتان والكبد والرئة فيتطهر الدم بالتنفس العميق و ينفي الجسم عن نفسه جميع البقايا الفاضلة عن غذائه وتمثيله

ومما تجب ملاحظته ان الشاب الذي يبرع في الالعاب الرياضية حتى يقوى قلبه و يزداد حجمه اكثر من المعتاد يجب ان يستمر على هذه الرياضة الى ان يموت اي طول عمره لأن انقطاعه عنها قد يؤذيه أذى كبيرًا

ويلحق بالرياضة التمارين الخاصة بالتنفس العميق · فان هذا التنفس اذا لم يصحب بالجري او المشي بحيث يصير طبيعياً يتطلبه الجسم لا ينفع الجسم اية منفعة من حيث اكتساب الاكسجين · لأن الجسم لا يكتسب هذا الغاز ما لم يقم بمجهود يتطلبه · اما الوقوف في الغرفة وملء الصدر بالهواء فكل فائدته انه يقوي الحجاب الحاجز وحده باعتباره عضلة من عضلات الجسم

وخلاصة قولنا انه يكفي الرجل العادي ان يمشي قليلاً كل يوم · فاذا كان عمله لا يقتضي المشي فيمكنه ان يعمد الى الرياضة فيتخذ اسهل التمارين واخفها بحيث لا يجهد نفسه اجهاداً مؤذياً وخاصة اذا كان قد بلغ الاربعين او جازها

النوم والملابس

ليس النوم في العراء مما يفيد كل انسان ومثله ايضاً النوم بالنوافذ المفتوحة · فان الجسم الذي يبرد في النوم يستيقظ وكأنه لم ينتفع براحة النوم · والبرودة التي تقع على البشرة تدفع الدم الى الاعضاء الداخلية فما كان منها ضعيفاً تلبك بالدم · ولذلك يسهل اكثر الناس في الصباح اذا بردوا بالليل لخفة الغطاء او لفتح النوافذ · وربما كان افضل طريقة لتهوية الغرف ان تفتح النوافذ مرة واحدة حتى يحدث بينها مجرى يغير الهواء ثم تقفل

وكما ان خفة الغطاء تجعل البشرة باردة وتطرد الدم الى الاعضاء الداخلية كذلك خفة الملابس اذا كان المرء ضعيفاً · وزي الملابس الحديث بين النساء ينفع المرأة القوية اكثر مما ينفع الفتاة الضعيفة · والبرد في الساقين خاصة يؤذي الجسم لانهما لبعدهما عن القلب لا يتوارد اليهما الدم بمثل ما يتوارد الى الوجه والصدر · فالمرأة لا تتأذى من كشف وجهها او صدرها كما تتأذى من كشف ساقيها او ذراعيها · اما الرجال فالارجح انهم يلبسون من الملابس اكثر مما يحتاجون اليه · وقد قيلت كلمة صائبة في المعطف وهي انه يرهق الجسم في المشي ولا حاجة اليه عندئذ لأن الدورة الدموية تنشط وقت المشي وتدفيء الجسم وانما الحاجة اليه وقت القعود والسكون · وهذا عكس ما نعمله بمعاطفنا الآن

ومن العادات السيئة استعمال الحزام بدلا من الحمالة بين الشبان · فان الحزام يحزق الخصر و يعطل سير الدم

الاستحمام والاستنقاع

كان القدماء يستحمون على الدوام بالمـاء الساخن . ومن هنا اشتقاق لفظتي استحم وحمام فانهما من الحميم . اما الاستنقاع بالماء البارد وخاصة في البحر فانه حديث العهد جداً فشا في القرن الماضي فقط على يد احد الانكليز . وليس معنى ذلك ان الناس لم يكونوا يستنقعون في البحر أو النهر قبل ذلك . وانما نعني أن الاستنقاع لم يفش حتى صار عادة الا في القرن الماضي

والاستنقاع كل يوم في الصباح بشؤبوب من الماء البارد ينبه الجسم ولا يؤذيه اذا لم يكن بارداً جداً . والفائدة مؤكدة اذا كانت الغرفة دافئة واذا شعر المرء بالدم يعود الى جلده متوهجاً دافئاً بعد الاستنقاع . أما اذا شعر بصداع أو بقشعريرة البرد أو أحس كأنه خائر القوى بعد ان ينشف جسده فانه يجب ان يكف عن عادة الاستنقاع

وليس من العقل أن يبقى المرء في البحر مدة طويلة أو ينزل فيه وهو شديد البرودة . والتعرض للشمس يحتاج أيضاً الى الاعتدال . فاذا لوحتنا الشمس تلويحاً معتدلاً فالفائدة محققة للجسم ولكن اذا اشتد التلويح حتى استحال سمرة فان معنى ذلك ان الشمس قد أتلفت جزءاً من أنسجة البشرة . وكثير من الناس يؤمنون بالبلاد المشهورة بالحمامات ولكن الارجح أن الفائدة لا تعود من الاستحمام بهذه الحمامات بالذات وانما ترجع الى أن المستشفي عندما يغادر بلاده يخلف فيها همومه واعماله فتنفعه راحة البال والبطالة من هذه الناحية . ثم ان تغيير المناظر والطعام يريح أعصابه ويقويها

الشراب والطعام

أغلب الناس لا يشربون من الماء كفايتهم فان متوسط ما يجب على كل انسان أن يشربه في الشتاء يتراوح بين ستة اكواب الى ثمانية اكواب وفي الصيف نحو ١٢ كوباً . وذلك لكي تعمل الكليتان عملهما في تقطير فضلات الجسم . وبعض الناس يعتقد الضرر في تناول الماء على الطعام ولكن لا ضرر في ذلك الا حين تكون المعدة قليلة الحموضة او حين تكون الامعاء ضعيفة الهضم . ويحسن باكثر الناس ان يشربوا كوباً واحداً على الريق من الماء البارد

اما من حيث الطعام فان مذاهب الناس فيه تتعدد هذه الايام ولكن يمكن ان يقال على وجه الاجمال اننا لما اصطبغت به حياتنا من العجلة لا نمضغ الطعام مضغاً كافياً بل نكاد نبتلع اللقم ونحن وقوف . فيجب ان نعطي طعامنا حقه من المضغ ونتريث لكل وجبة ولكن يجب ألا نبالغ في المضغ حتى يستحيل طعم اللقمة طعماً آخر او نبلع السائل ونتفل التفل كما قال بعضهم وخاصة المستر فلتشر . لاننا في هذه الحالة نحدث في امعائنا قبضاً اكثر الناس يشكونه الآن فضلا عن

ان الاكل يصبح واجباً ثقيلاً حين يجب ان يكون ملذة يتمتع بها الآكل . والامعاء لا تعمل عملها على الوجه التام ما لم يكن بالطعام تفل لا يهضم حتى تستقيم الطبيعة ويذهب الانسان كل يوم الى المرحاض . وهذا هو علة النصيحة التي يسديها الاطباء الى مرضاهم كثيراً بأن يأكلوا الخبز الاسمر الذي يحتوي على الردة . لان فضلات هذا الخبز التي لا تنهضم كثيرة تخرجها الامعاء كل يوم

ضروب الهوس في الطعام

الطعام هو الهدف الذي يسدد اليه كل انسان نظريته الخاصة في الصحة والمرض . فهناك القائلون بتناول الاطعمة النيئة نباتاً كانت او حيواناً . وليس شك في ان معظم اطعمتنا تكون اسهل للهضم وأنفع للصحة لو انقصنا مدة طبخها وخاصة اذا كانت من الخضراوات . ولكن الخضراوات والفواكه تحتاج في هذه الحالة الى غسل جيد بالصابون لانها تحمل من الحقل بعض الديدان العديدة التي تعيش في امعائنا . اما اللحم فتناوله نيئاً قد يؤدي الى نقل الدودة الوحيدة الى الامعاء وخاصة اذا كان لحم بقر او لحم خنزير . وهناك من يشربون البيض النيء وكل ما اقوله لهؤلاء انه قد تبين ان زلال البيض لا يهضم اذا كان نيئاً وان امعاءنا لا تحيله مستحلباً مهضوماً ما لم يكن مطبوخاً . وهناك من السيدات من يأكلن الجزر حتى تحمر بشرتهن وقد ثبت ان النظرية صحيحة ولكن اللون المكتسب من الجزر يزول بسرعة

وقد شاعت عادة الحمية او الصوم بتاتاً عن الطعام . ولكن يجب ان نتذكر ان الصائم يأكل نفسه ومعنى ذلك انه اذا بقي عشرة ايام مثلاً بلا طعام فانه في منطق الجسم قد قصر طعامه على اللحم مدة عشرة ايام . وخير من الحمية تناول اللبن كوباً او كوبين في اليوم او الاقتصار بضعة ايام على الفواكه . وهناك من يحاول انقاص وزنه بالحمية ولكن ما ينقصه يعود اليه بعد الصوم . وخير من هذه الطريقة انقاص وجبات الطعام كأن نمتنع عن العشاء مثلاً

وهناك من يقصرون طعامهم على الخضراوات ويشيرون اشارة المحق الى نحو ٧٠٠ مليون نفس يعيشون في الهند والصين باقتيات الخضراوات فقط . وهذا حق . فان كل انسان يمكنه ان يقتصر على الخضراوات والفواكه ويستغني عن اللحم الذي يقوم مقامه الجبن والفول والبيض والجوز . انما ما ينسب الى الخضراوات من الفضائل لا أصل له البتة . فان الاكثار من الفول لا يقل ضرره بين النباتيين عن الاكثار من اللحم بين غيرهم



كيف تقاوم البرد

نحن الآن في الشتاء نتفاوت في اصابات البرد التي تصيبنا ففينا المزكوم ومن يشكو بتحرق في حلقه او صداع خفيف في رأسه . وكل هؤلاء لا يالون ما عندهم ولكن نكبة البرد ليست فيه بالذات بل في عقابيله التي تأتي رديفاً له مثل الانفلونزه او النزلة الرئوية او الروماتزم او التهاب الشعب او التهاب الزائدة اذا كان البرد في الامعاء . وكل هذه امراض قد تكون احياناً مميتة ولذلك يجب توقيها بالعناية بالبرد

وخير ما نفعل عندما يصيبنا ادنى علامات البرد كالرشح او الصداع ان ننكفىء الى فراشنا فنبقى فيه يوماً او يومين او ثلاثة حتى تزول اعراض البرد تماماً . ويجب ان تكون الغرفة دافئة والغطاء وثيراً والهواء نقياً ليس فيه غبار يستثار . ولا بأس من تناول الخفيف من الطعام مع قضاء اكثر الوقت تحت الغطاء وملاحظة دفء القدمين خاصة . وليس من السهل ان يعمد الانسان الى فراشه فينام فيه وهو لا يحس الا بصداع خفيف او زكام يرى هوان تسعة اعشار من يلقاهم مزكومين مثله . ولكن خير ما يقي الانسان من امراض البرد الخبيثة هو الفراش والراحة في غرفة نحو يومين او ثلاثة . اما ما يوصف من العقاقير دواء للبرد فلا فائدة منه

الصوم الاسبوعي

تجبر الحيوانات الكبرى من السباع في حدائق الحيوان على الصوم يوماً كل اسبوع . ويقول الموكلون بالعناية بها ان هذا الصوم يحفظ صحتها ويرد عنها الامراض . ويقول الدكتور سانجرادو انه يجب على كل من جاز الاربعين من الناس ان يمارس هذا الصوم وذلك لكي ينفي عن جسمه السموم المتخلفة من الطعام والشراب مدة الاسبوع . وهو ينصح بتناول مسهل في الصباح في هذا اليوم حتى تخلو القناة الهضمية مما فيها وبعد ذلك يشرب الصائم ماء دافئاً يمنع قرص الجوع ويبقى على ذلك الى صباح اليوم التالي حين يفطر ويأكل كالعادة

واذا كان في الناس من لا يتحمل ذلك فليأكل في هذا اليوم كل ما يشتهيه من الفواكه ما عدا الموز والجوز . اما الشبان فليسوا في حاجة الى هذا الصوم

عصير اللحم النيء

الناس او كثير منهم على الرغم من تأنق الطهاة في الطبخ لا يزالون يحبون تناول اللحم نيئاً حرفاً او مضهباً لم ينضج طبخه . فجميع الهمج للآن يأكلون اللحم نيئاً كما تأكله الضواري والاحباش يقطعون اللحم نسائر صغيرة يتوبلونها بالفلفل والملح ويأكلونها والانجليز يغرمون بتناول لحم البقر المشوي الذي يسيل دمه

ويبدو مما يكتبه الاخصائيون في الاغذية ان الناس سوف يقلون من استعمال النار لتهيئة الطعام وذلك لانهُ وجد ان الفيتامينات العديدة التي توجد في اللحم والخضراوات يموت اكثرها وينعدم اذا ألحنا على الطعام بالنار في الطبخ . وكان الناس قبلاً يتوجسون من الفواكه والخضراوات النيئة ولكنهم الآن يأكلونها مطمئنين بعد غسلها بالصابون غسلاً جيداً دون الحاجة الى تعريضها للنار

وهناك أطباء يقولون ان طبخ اللحم يجعله صعب الهضم وان الناس في الازمنة الماضية المتطاولة كانوا يأكلون اللحم نيئاً وهم لم يستعملوا النار الا من وقت قريب . وليس معنى هذا ان نرجع الى عادات السلف من الهمج لانهُ اذا كانت شهوة الطعام لا تمنعنا من ذلك فان آداب المؤاكلة تحول دون الرجوع لعادات السلف

ومن رأي الاستاذ ريشيه الفرنسي ان اللحم النيء يقوي الجسم . وقد عالج بعصير اللحم النيء طائفة من المرضى بالتدرن فتحسنت حالتهم وزاد وزنهم وشهوتهم للطعام حتى ان احدهم زاد وزنهُ ٢٨ رطلاً في شهرين ونصف شهر أما الطائفة التي عالجها باللحم المطبوخ فلم تتحسن حالتها . وهو يستخرج هذا العصير من اللحم ويمزج به سائر الاطعمة ويرى انه يقوم مقام اللحم النيء نفسه لان بعض المرضى يشمئزون من تناول اللحم ما لم يكن مطبوخاً ولكن هناك آخرين يستطيعون ذلك اذا كان مدقوقاً او مفروماً

وعبرة ذلك كله اننا يجب ألا نلح على الطعام بالطبخ ما دام الطبخ ضرورياً لا مندوحة عنه

قيمة اللبن في الطول والوزن

اختبر الدكتور مان تأثير اللبن في ٥٠٠ صبي مدة أربع سنوات . وقد قسم هذا العدد أربعة أقسام فكانت النتيجة ان الصبيان الذين امتازوا بأكبر كمية من اللبن تضاف الى سائر غذائهم سبقوا سائر الصبيان في طول القامة وزيادة الوزن بحيث انهم اذا وقفوا صفاً مع سائر الصبيان امتازوا بهيئتهم لظهورها ووضوحها بلا حاجة الى مقياس أو وزن . ومن هنا يفهم القارىء قيمة العناية باللبن ووجوب مراقبته حتى يدخل البيوت سليماً من الشوائب والجراثيم

الصحة والتعمير

تقول الاحصاءات ان عمر الانسان قد زاد في الخمسين السنة الماضية نحو ١٥ او ٢٠ سنة . وترجع هذه الزيادة الى محو الامراض الوافدة كالطاعون والجدري والكوليرا والتيفوس والتيفوئيد ونحو ذلك . اما الامراض الاخرى البطيئة السير فلا تزال كما هي بل الاغلب انها ازدادت . لانها هي في الواقع امراض خاصة بالشيخوخة والكهولة . ولما كنا نمتاز الآن بالتعمير فان هذه الامراض قد كثرت . ولذلك يصح ان نتساءل بعد ان زدنا سنيناً على حياتنا هل زدنا حياة على سنينا ؟

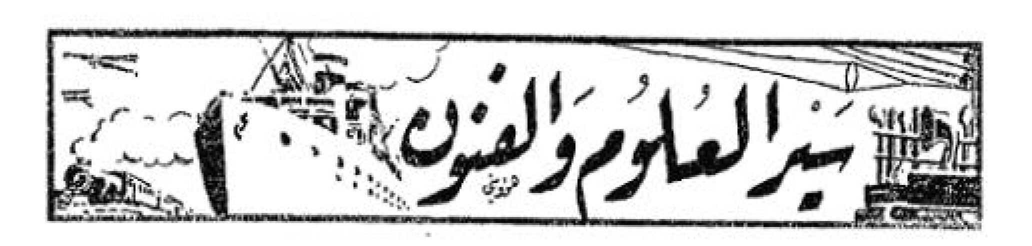
فالحياة هي الصحة ولا خير في حياة تقضى في الامراض المختلفة . واكبر ما يعمل للصحة هو التعرض لضوء الشمس وتناول الاطعمة الطازجة التي لم يلح على طبخها حتى تفقد ما فيها من عناصر الفيتامين . ولو كان جميع الاطفال والصبيان ينالون حظهم من ضوء الشمس لما احتاجوا الى تناول زيت الكبد وهو الحوت المعروف . وكذلك لو كان كل انسان يأخذ كفايته من الاطعمة الطازجة وخاصة من اللبن لانتفت جملة امراض . ومما يذكر عن احد الاطباء قوله انهُ يجب اعطاء الاطفال الذين يبكون بلا علة معروفة كثيراً من القشدة المثلجة او اللبن المثلج . والحكمة في ذلك ان الولد لا يبكي الا لان اعصابه ليست على ما يجب من الصحة . وفي اللبن جملة عناصر مختلفة من الفيتامين فاذا تناول كفايته منها صح جسمه وربما هدأت اعصابه

الاستنقاع في الضوء

سرت في ألمانيا نزعة جديدة كأنها مرض وافد تنتقل عدواها من بلد الى بلد بسرعة عجيبة . ومقتضاها ان يخرج الناس عرايا ليس على جسدهم شيء من الثياب حتى ولا الوزرة البسيطة التي تغطي العورة . وقد قاومت الحكومة هذه النزعة وقصرتها على الجمعيات التي يمارس أعضاؤها الاستنقاع في ضوء الشمس

والايمان بفائدة الضوء يزداد كل يوم . ويقال ان صحة النساء في أوربا وأميركا قد تحسنت عند ما شاع التقلل في اللباس وتقصير الثياب لان ضوء الشمس صار يصيب أبدانهم و يؤثر في الدم فيجيد صحتهن على الرغم مما يقال في تهتك المرأة التي تقلل ملابسها . بل من الاطباء من يقول بوجوب تقليل لباس الرجال كالنساء

ودرس الضوء يتواصل كل يوم في مختبرات أوربا . ويقال ان لكل شعاع من الضوء عند تحليله تأثيراً خاصاً في احد الامراض . وقد وجد ان لضوء القمر تأثيراً خاصاً يجعل اللحم المعرض له يسرع في الانتان



الانتفاع من السينماتوغراف

انعقد في باريس في الشهر الاسبق مؤتمر حضره مندوبون من ثلاثين امة بحثوا موضوع السينماتوغراف من حيث مزاياه ونقائصه • فقرروا الانتفاع منه في تربية الجمهور وتعليمه التاريخ الطبيعي والجغرافيا والتاريخ كما طلبوا أيضاً أن يكون واسطة الحب والتفاهم بين الامم وطلبوا مقاطعة كل ما من شأنه يثير الوطنيات الحادة . والسينماتوغراف الآن هو اللغة الاممية التي تفهمها الجماهير المتعلمة وغير المتعلمة في الامم المختلفة • ففي القاهرة مثلاً صبيان وشباب لم يدخلوا مدرسة في حياتهم ولكن يعرفون عن أميركا وأوربا وآسيا أشياء كثيرة تلقوها من لوحة السينماتوغراف • ولسنا نقول ان هذه « الاشياء الكثيرة » مفيدة لهم ولكننا نقول انهم كما استطاعوا أن يعرفوها عن سبيل السينماتوغراف يمكنهم أن يعرفوا أفضل منها مما هو نافع عن هذا السبيل أيضاً

وقد دعا المؤتمر المؤلفين والادباء الى فهم السينماتوغراف من حيث ميكانيته حتى اذا وضعوا قصة حسبوا لتمثيلها عليه • وقرر المؤتمر في ختام أعماله ايجاد لجنة دائمة تقيم في جنيف تحت اشراف عصبة الامم تنظر في الشؤون السينمائية وتعمل لنشر المفيد ومنع المضر من مناظره

تبرير الحرية

يعرف القراء ان محكمة في تنسي في الولايات المتحدة حكمت منذ عام تقريباً على أحد المعلمين بغرامة لانه القى على تلاميذه دروساً في التطور تنكر قصة آدم وحواء وتقول ان الانسان والقردة من أصل واحد

وغاية المحكمة بالطبع هي منع الاعتقاد بهذه النظرية ولكن النتيجة كانت عكس ذلك فان مئات من الكتب ألفت على أثر هذه المحاكمة لشرح النظرية لان الذين كانوا لا يبالون بقراءة كتاب عنها قد صاروا بعد المحاكمة يبحثون عن كتاب لشرحها

وأغرب ما ذكرته الصحف الاميركية ان أحد العمال قدم للمحاكمة لانه سرق كتاب « أصل الانواع » الذي وضعه داروين في هذه النظرية وفي التحقيق أقر بأنه بعد قضية المعلم في تنسي قد اشتاق الى معرفة نظرية التطور

الحيوان والسباحة

جميع اللبونات من اكبرها كالفيل وأصغرها كالفأر تسبح في الماء بلا تعليم . فالفيل على جثته الضخمة يسبح أميالاً يغوص كله تحت الماء ما عدا خرطومه فانه يرفعه في الهواء للتنفس . والفأر يسبح كالسمكة لا يبالي وقت المطاردة ما امامه من يابس أو ماء . ويقال ان السنجاب في فنلاندة يقطع غصناً صغيراً يركبه في الماء ويستعمل ذنبه في توجيه نفسه كأنه شراع . وقد حدث ان زمرة من الصيادين الانجليز طاردوا وعلاً في انجلترا الى الشاطىء فلما احتوشوه ولم يجد مفراً عمد الى الماء فاندفع فيه وسار يكافح الامواج حتى خرجت الزوارق وحملته الى الشاطىء

والانسان والقردة العليا الاربع تشذ عن جميع اللبونات في عدم قدرتها على السباحة الا بتعليم وربما كان علة ذلك ان أدمغتها كبيرة فهي تخل باتزان الجسم في الماء

الزواحف طويلة الاعمار

لا نعرف للآن علة طول الاعمار في الزواحف . فهي كلها تعيش عمراً طويلاً حتى ولو كانت قليلة الجسم . فالسلحفاة قد تبلغ ١٢٠ سنة واللجاة أي السلحفاة البحرية تعدو الثمانين والتماسيح تفوق المائة . وأقل الزواحف عمراً هي الثعابين فان الحية لا تزيد عن العشرين والبوة يبلغ ٢٥ سنة وكذلك البيثون

والمعروف من استقراء الطبيعة ان أطول النبات والحيوان عمراً أضخمها جسماً وأقلها في العمر أقلها في الجسم . ولكن الزواحف اذا قوبلت بما يقاربها جرماً من أنواع الحيوان الاخرى تتفوق في العمر . ولا يعلم للآن علة ذلك

العرى من الكوتشوك

تصنع الآن عرى الازرار للسيدات من الكوتشوك وذلك حتى ينحبس الزر فيها فلا ترتخي العروة . وقد صنع على حافاتها اهداب وزغب من الحرير يجعلها تتراءى لمن ينظر اليها وهي متضامة حول الزر كأنها زهرة زاهية

ومن الفوائد المهمة للكوتشوك استعماله فرشاً للغرف فان بعض المنازل التي تبنى الآن في أوربا تفرش أرض الغرف التي بها بالخرسانة ثم تغطى بعد ذلك بسائل الكوتشوك فلا يحتاج الساكن الى ان يشتري المشمعات . ويعيش الكوتشوك مدة طويلة جداً فان في جلاسجو ، في بريطانيا العظمى ، مكتبة فرشت جميع غرفها بالكوتشوك منذ ١٥ سنة وهو لا يزال باقياً كأنه جديد

الحرائق وأضرارها

يقال ان الخسائر التي تحدث من الحرائق كل عام في فرنسا لو وزعت على جميع السكان لاصاب كل فرد منها ١٠ فرنكات ٠ اما خسارة الولايات المتحدة فتصيب الفرد من السكان بمقدار ٢١ فرنكاً في العام

وهذا مع وجود أنابيب المياه في كل مكان ٠ وربما كان اكبر ما يعمل على تفشي الحرائق كثرة التأمين فان صاحب المتجر الذي يؤمنه لا يبالي بما يحدث فيه من حرائق فلا يتخذ الاحتياطات التي تمنعها

ولا تخلو بلدة الآن من مصلحة خاصة باطفاء الحرائق ويرجع تاريخ هذه المصالح الى عهد لويس الرابع عشر فانه اول ملك انشأ هذه المصلحة لاطفاء ما يشب من الحرائق في باريس ٠ وقد كان في رومية مدة الإمبراطورية مصلحة لهذا الغرض ايضاً ولكنها انمحت بانمحاء الامبراطورية وجاءت القرون الوسطى فكانت الحرائق تزيل المدن وتمحوها من الوجود وكانت النار تأكل المنازل اكلاً ذريعاً لان اكثرها كان مبنياً من الخشب

ترويج التجارة بالطيارات

في هذا الشهر سينتظم النقل بالطيارات بين انجلترا والهند عن طريق مصر والمدة التي تقضى في هذه المسافة لن تزيد عن ثلاثة ايام بينما كان المسافر يحتاج قبلاً الى ٢١ يوماً تقضى في القطرات والبواخر ٠ وتبحث الآن وزارة الطيران في انجلترا في موضوع النقل بينها و بين الكاب في افريقيا الجنوبية عن طريق مصر ايضاً

ويرى الخبيرون ان الطيران سيروّج التجارة لان معاملات التجار تسهل فيرسل الحساب وتنقل العينات بسرعة ٠ وقد اصبح الطيران آمن وأبعث للثقة من ركوب البواخر ٠ ولا يستغربن القارىء هذا القول فانه ثبت في الصيف الماضي حين اشتدت العواصف واحتدت الانواء حتى وقفت البواخر التي تنقل المسافرين بين انجلترا وفرنسا وبلجيكا ومع ذلك كانت الطيارات ترتفع في الهواء وتسافر ولا تبالي بجنون الريح وسرعتها

واكبر ما يمتاز به الطيران ان الطيارة تطير بسرعة تفوق سرعة البواخر والقطرات ٠ ومما يساعدها على هذه السرعة انها تسير على خط مستقيم بين مصدرها ومو ردها فهي لا تحتاج الى تعيين خط سيرها طبقاً للجبل والسهل والنهر والبحر

وقد لا تمضي سنوات قلائل حتى يشتبك العالم كله بالطيارات وحتى يمكن بلوغ أية بقعة في آسيا أو أفريقيا بالطيارات

انتصارات الصناعة

لو كانت الامم الزراعية تفقه لمصيرها لتراءى لها المستقبل اسود قاتماً . فان الحظ الذي لاقاه الهنود عندما كانوا يعيشون آمنين مطمئنين وهم يزرعون النيلة سيلاقي كل امة زراعية في القريب العاجل . فقد اهتدت اوربا الى صناعة النيلة بالتركيب الكيماوي فبارت الارض في الهند أو رضي المزارعون بزراعة ادون الغلات ربحاً وقنعوا بالفقر . وهذا هو مصير الامم التي تزرع القطن أو تعيش من تربية الغنم ببيع اصوافها . فان في اوربا واميركا الآن جملة مصانع تصنع نسيجاً حريرياً تبيعه للناس بدل القطن والصوف . وهذه المصانع تربح ربحاً عظيماً وهي تتكاثر كل يوم

فالصناعة تنتصر على الزراعة وما كنا نأخذه من الحقول بالتعب والجهد نأخذه الآن سهلاً من المصانع مع الربح الوافر والارتقاء المستمر . وآخر ما ذكرته الصحف ان الاستاذ فيشر الالماني قد استطاع ان يستخرج من الفحم بترولاً جيداً له رائحة طيبة وهو في لون الماء طيار كالكحول

نواس الدخان

كلنا يحب الزراعة والحقول ويتغنى بالزهر والاشجار ولكن الاقطار الزراعية مقضي عليها امام الاقطار الصناعية . لان الصناعة اذا لم تقم مقام الزراعة فانها تستخدمها كما يستخدم السيد عبده . فالامم الصناعية الآن تسود العالم وتستعبد الامم الزراعية . وبعبارة أخرى نقول ان اوربا تستعبد آسيا وافريقيا . وقد لا يبعد الزمن حين نلبس ملابسنا من المصانع بدلاً من صنعها من الصوف والقطن وعندئذ تنزل الامم الزراعية الى حضيض الفقر

ولكن للصناعة مع ذلك عيوبها التي يشكو منها الاوربيون . فقد قدر احدهم ان مداخن المصانع والمنازل في لندن تتجشأ من الدخان ما يبلغ وزن نواسه ٧٦٠٠٠ طن في العام . وهذا النواس هو ذرات الدخان السوداء التي تقع على الاشياء وتصبغها . فأهل لندن يتنفسون هذا النواس فيؤذون بذلك صدورهم وحلوقهم وهو ينتشر ضباباً فوق المدينة فيحجب أشعة الشمس عنها ويضيع على الناس تأثيرها الشافي

ويرى العلماء ان خير علاج لاتقاء هذا النواس منع الناس من استعمال الفحم بتاتاً وانما يستعملون الكهربائية في تدفئة المنازل وتهيئة الطعام وفي المصانع أيضاً . وهم يقولون ان المستنبتات الكهربائية توضع عند مناجم الفحم فلا يحتاج الانسان الى نقل الفحم الى المصنع او المنزل وانما تنقل الكهربائية باسلاكها في المدن والمصانع . ومثل هذا المشروع يحتاج الى أموال طائلة ولكنه ممكن التنفيذ

استعمار القطبين

تهيء حكومة الولايات المتحدة بعثة بقيادة القبطان ولكنز لارتياد القطب الجنوبي بالطيارات وهي لا تبغي من ذلك مجرد الكشف العلمي فقط بل تنوي غرس رايتها في ارض القطب الجنوبي واعلان امتلاكها له باعتبارها اول دولة بلغته · ولن يمضي الزمن حين نرى ان اقتسام القطب الشمالي من موضوعات المفاوضة السياسية بين الدول العظيمة

انجيل القديس بطرس

بعد ميلاد المسيح بنحو مائتي سنة كان المؤرخون يذكرون وجود انجيل للقديس بطرس · ولكن هذا الانجيل ضاع لعلة لا تعرف فلا الكنيسة ذكرته ولا العلماء بحثوا عن أصله أو كيفية ضياعه · ولكن منذ أربعين سنة فقط كان أحد علماء الآثار يبحث في اخميم في الوجه القبلي فوجد جزءًا من كتاب قال انه هو انجيل القديس بطرس · ولم يعثر بعد ذلك على أثر آخر لهذا الكتاب · وقد روت احدى الصحف الانجليزية انه بينما كان الدكتور جيمس ناظر مدرسة ايتون في كنيسة هيرفورد وجد مخطوطاً قديماً كتب في القرن الثاني عشر وفيه جزء كبير من الانجيل الذي وجد باخميم · وهذا المخطوط مربوط بسلسلة كما كانت العادة المتبعة بالمكاتب القديمة حين كانت الكتب غالية الثمن يخشى عليها من السرقة فيذهب الناس للقراءة بالمكتبة والكتاب مربوط لا يمكن نزعه من سلسلته

وقد أخذ الدكتور جيمس في درس هذا الانجيل · وبطرس جدير بكل التفات لانه كان أحب الرسل الى المسيح

نشارة الخشب في الصابون

يستعمل صناع الصابون مادة الطلق لكي يزيد وزن الصابون ولكن ليس للطلق أية فائدة في التنظيف وانما هو يوهم ربة البيت انها تأخذ صابوناً رخيصاً · ولكن يقال ان احد صناع الصابون وجد ان اضافة نحو ٢٠ في المائة من نشارة الخشب الى الصابون يزيد قدرة الصابون على ازالة الوسخ والادهان زيادة على ان يخفف الصابون ويجعله كبير الحجم · ويقال ان سائقي الاتومبيلات يستعملون هذا الصابون الآن لسرعة تنظيفه الزيوت

خير هدية في رأس السنة



سرنديب : بلاد السحر الابدي (Ceylon)

كتاب بالانجليزية نشر في لندن في بيت هتشنسون صفحاته ٣٥٢

في سنة ١٨٨٢ دخل الانجليز مصر منصورين والامة في جزع الهزيمة وقبضوا على زعماء الوطن عرابي وطلبة والبارودي وعبد العال وعلي فهمي وغيرهم ونفوهم الى خارج القطر المصري . وكان من نصيب طلبة أن نفي الى سرنديب أي جزيرة سيلان وهناك رزق بولد يدعى علي فؤاد طلبة هو مؤلف هذا الكتاب . فقد نشأ هناك والتحق بمدرسة انجليزية فتثقف بالآداب الانجليزية حتى صار يكتب اللغة الانجليزية لا نقول كأحسن أبنائها بل كأحسن ادبائها . وعلي فؤاد افندي طلبة موظف الآن بقصر الملك بعابدين ولكنه يحن أحياناً الى مرباه ومنفى أبيه ولذلك ينتهز الفرص من وقت لآخر لكي يزور سرنديب ويجول في ارجائها . وقد وضع هذا الكتاب بالانجليزية في وصف تلك الجزيرة الكبيرة وزينه بـ ٩٢ صورة فتوغرافية و ٤ صور ملونة . وقد أهدى الكتاب الى حسن نشأت باشا . وبالكتاب ٣٩ فصلاً في وصف الجزيرة منها : الشرطة . الحوانيت . الفواكه . حرق الكاهن . العيد . جولة بالاتومبيل في سرنديب . الوداع . عدن . الخ

والكاتب يكتب بروح انجليزية وهذا يدل على الاثر الذي تحدثه الثقافة واللغة في النفس . فقد وضع تحت عنوان كتابه هذه العبارة المأخوذة من كبلنج شاعر الامبراطورية البريطانية .

« انهم لا يعرفون انجلترا اولئك الذين لا يعرفون سوى انجلترا »

وحبذا لو عني بخدمة وطنه وترجم هذا الكتاب الى العربية وزينه بهذه الرسوم البديعة التي تحتوي عليها الطبعة الانجليزية

الكتاب الذهبي ليوبيل المقتطف الخمسيني

طبع بمطبعة المقتطف بالقاهرة صفحاته ٢٤٤

المقتطف ليس عملاً فردياً عظيماً فحسب بل هو مؤسس شرقي اصبح له في قلوب قرائه مكان المدرسة او الجامعة ينتظره قراؤه كل شهر ويتطلعون الى وروده اليهم وهم يعرفون انهم يزدادون ثقافة بقراءته . وقد كان الاحتفال بيوبيله الخمسيني هذا العام فرصة اعرب فيها كل اديب و كل قارئ للمقتطف ومنتفع به سروره بالاشتراك في هذا الاحتفال وتهنئة صاحبيه

وهذا المجلد يحتوي على القصائد والخطب التي قيلت يوم الاحتفال وايضاً على المقالات

والقصائد الاخرى التي ارسلت لتهنئة المقتطف بعيدة الذي يود كل انسان ان يعود عليه مثله ومثله في المستقبل

وقد عاش المقتطف في الخمسين السنة الماضية وهو يسير على خطة لا يكاد يغيرها هي خطة الجد والمنفعة . وربما كان اعظم ما يعزى اليه من فضل انه خلق الميل الى العلوم الحديثة في نفوس القراء . فقد افشى نظرية التطور حتى ما كاد يخلو عدد من اعداده لا يشير اليها بمقال او بخبر . وهذا غير المقالات العلمية المنقولة عن الثقات في انجلترا او امريكا . ومع هذا لم يغفل الابحاث الروحانية فانه اعطاها قسطاً كبيراً من عنايته

ونحن نرجو للمقتطف عمراً مديداً وارتقاء مستمراً وهمة لا تألو مع الايام خدمة للشرقيين

النبي * لجبران خليل جبران

طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر للناشر الاديب يوسف توما البستاني
صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر عدد صفحاته ١٥٧

مؤلف هذا الكتاب هو الاستاذ جبران خليل جبران وضعه بالانجليزية . وقد نقله الاب انطونيوس بشير الى العربية بلغة سلسة واضحة

وموضوع الكتاب خيالي ولكنه من ذلك الخيال الراقي الذي لا يحسنه غير جبران والذي كان سبباً في ان يتورط غيره من الكتاب الذين حاكوه في طريقته ولكن لم يبلغوا شأوه . وقد احسن المترجم في بيانه روح الكتاب بقوله :

« في العقائد والمذاهب المنتشرة في العالم اليوم ، كما في نظمه الاجتماعية ، قشورٌ يابسة ممتلئة من سوس الماضي تكاد تقضي على البقية الباقية من اللباب في هذه العقائد والمذاهب . فهنالك أنصارُ الحرف القاتل الذين يؤلفون الاكثرية الساحقة بين ذوي الشرائع يحاربون الروح المجددة بكل ما لديهم من آلات الحرب والشرّ التي ورثوها عن جدودهم الغير على فريسة الناموس والانبياء . هؤلاء هم أبناء ظلمة الأمس يقضون أعمارهم متمسكين بأهداب الشريعة الصماء . وان كانت الشريعة تقتل أرواحهم وتعمل على قهرهم وجمودهم ومذلتهم . وهنالك أنصار الروح المحيية الذين يؤلفون الاقلية الصغرى في الناس يحاربون جيوش الظلمة و يحسرون القناع عن وجه الحقيقة بكل ما أوتوا من حكمة ومعرفة . هؤلاء هم أبناء نور الغد يحترمون الشريعة بمقدار ما تحترم الشريعة الحياة التي في قلوبهم . و يضربون بها عرض الحائط اذا كانت تغلّ ارادتهم وتثقل كاهلهم بنير الجهل والغباوة »

وقد اودع المؤلف هذا الكتاب آراءه عن الحب والزواج والاولاد والحرية والشرائع والدين باسلوب حلي لا يسأم الانسان قراءته

أصول المنطق

طبع بمطبعة الفجالة بمصر ويطلب من الناشر فريد افندي الجوهري صاحب مكتبة النشر بالفجالة بمصر عدد صفحاته ١٤٠ من القطع المتوسط

هـذا الكتاب من تأليف العالم الانجليزي جيفونس وترجمة الاديب الفاضل يوسف افندي اسكندر جريس . وهو من الكتب الصغيرة الحجم الكبيرة القيمة ويرجع صغر حجمه الى أن المؤلف قصد فيه الى ايجاز العبارة والبعد عن الحشو والاسهاب الذي لا طائل وراءه . وقد أحسن المترجم جد الاحسان بنقله بلغة سهلة واضحة لا تحتاج الى اعنات فكر بل لا تكاد تحتاج الى جهد

والمنطق من العلوم القديمة ورثه العرب عن الاغريق ثم تناولوه بالشرح والتعليق وبسطوا فيه القول حتى صارت الكتب التي يتناولها الطلبة ضخمة تعدو حدود فهمهم بل وقتهم . ولذلك فنقل هذا الكتاب يعتبر خدمة جليلة لكل من هو في حاجة الى درس هذا العلم . والكتاب جيد الطبع والورق

تنوير الاذهان في تاريخ لبنان

طبع بمطبعة القديس جاورجيوس ببيروت عدد صفحاته ٥٩٢ من القطع الكبير

هذا هو المجلد الاول الذي وضعه ابراهيم بك الاسود وهو يبتدىء بوصف لبنان ثم تاريخه من أقدم العصور الى الآن . وهو يبحث أيضاً في آثار لبنان ويصفها وصفاً مسهباً كما يشرح حوادث سنة ١٨٦٠ وغيرها الخ . وابراهيم بك الاسود مؤلف هذا الكتاب من أخبر الناس بشؤون لبنان وبتاريخه وقد تقلب في عدة وظائف خطيرة الشأن كما ان له آثاراً مجيدة في عالم الصحافة . وكل هذا مما يجعله الرجل الجدير حقاً بكتابة تاريخ لبنان

وفي الكتاب أخبار ومعلومات تلذ للقارىء معرفتها في أسلوب سلس قريب المنال . فعسى أن يتم المؤلف كتابه النفيس في فرصة قريبة

قصص البردي

طبع بمطبعة جريدة الصباح بمصر عدد صفحاته ١٤١ من القطع المتوسط

وضع هذا الكتاب الاديب حسن افندي صبحي صاحب مجلة القديم وهو يحتوي على قصص مستخرجة من ادراج البردي المصري . وقد وضع مقدمتـه الاستاذ محمد حسين هيكل . ونقل المؤلف من هـذه القصص نحو ٤ اساطير مصرية قديمة وعلق على كل منها بفصل فيه تحليل واف للقصـة . وكل قارىء مصري يقرأ هذه القصص لا يحتاج الى لفت نظر لكي يرى فيها بعض ما كان يسمعه وهو صغير من احاديث الجدة او المرضعـة مما يدل على ان ثقافة الفراعنة لم ينبت حبلها الى الآن . والكتاب جيد الطبع حلو العبارة طلي الموضوع

الظواهر الجوية في القطر المصري

طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر عدد صفحاته ١٥١ من القطع الكبير

هذا كتاب نافع وضعه محمود افندي حامد المفتش بمصلحة الطبيعيات وهو يبحث في متيورولوجية القطر المصري أي في جو البلاد ومناخها في فصول السنة المختلفة ويشتمل على دراسة العناصر الجوية فيها من رياح وامطار وسحاب وحرارة ورطوبة وتبخر وضغط . وبالكتاب رسوم كثيرة غرافية وغير غرافية تبين الاختلافات الجوية غير رسوم المقاييس التي تسجل الاحوال الجوية . ولغة المؤلف سهلة مفهومة ولكنه احياناً يشق على القارىء بالتجائه الى اسلوب ادبي مزخرف قد يضيع الفائدة المقصودة مثل قوله عن الانخفاضات الجوية انها : « سبب الامطار اذا همت . والعواصف اذا دمرت . والرعود اذا همهمت »

والقارىء يرى ان المؤلف يتكلف هذه التعابير ويتعنى في تأليف جملها اعتقاداً ببلاغتها ولكن الواقع انه هو في بساطة تعبيره حين يرسل نفسه على سجيتها أبلغ وأدق من هذا الكلام المزخرف لان البلاغة الحقيقية هي الاختصار والوضوح ولا سيا في الموضوعات العلمية

والمؤلف جدير بالثناء على همته وجهده في ايجاد مثل هذا الكتاب النفيس في اللغة العربية

الوزارات المصرية

طبع بمطبعة الابتهاج بشارع محمد علي ويطلب من مكتبة الضياء بالفجالة صفحاته ٢٥٨ من القطع الكبير

عني بوضع هذا السفر النفيس المؤرخ الاديب حسن افندي محمد درويش و يشتمل على تاريخ الوزارات المصرية من ابتداء تشكيل اول وزارة مسئولة الى عهد افتتاح البرلمان المصري مع ذكر تاريخ كل منها والمرسوم الصادر بتشكيلها وأعضائها وبرنامجها وكذا الحوادث المهمة ذات الشأن العظيم في تاريخ مصر وأيضاً تاريخ الحكام الذين تربعوا على الاريكة المصرية من الاسرة العلوية الى حكم جلالة الملك فؤاد الاول والفرامانات الشاهانية والمكاتبات الرسمية الخاصة بكل منهم مع نبذة ممتعة عن النهضة الوطنية وذكر من قاموا بها والادوار التي مرت بها بايضاح مستفيض تلذ لكل مشتغل بالشؤون المصرية قراءته وبالجملة فالكتاب من كتب التاريخ القيمة التي يحسن بكل مصري الاطلاع عليها ويحق لكل مؤرخ الاحتفاظ بها وهو مطبوع طبعاً أنيقاً على ورق مصقول

راجايوجا

طبع بمطبعة المقتطف بالقاهرة صفحاته ٩٠ من القطع الكبير

واضع هذا الكتاب هو الاديب المعروف حسن حسنين وهو يبحث في الصوفية الهندية و كيف يمكن الانسان ان يتغلب بذهنه على جسمه فيوجهه نحو الصحة والعافية و كيف يعيش سعيداً ويؤثر

في غيره وكيف يخلص نفسه من أدران الفساد . والمؤلف يذكر اشياء كثيرة عن المتصوفين المسلمين . وقد قال في المقدمة هذه الكلمة عن الشرق والغرب :

« فضل الشرق على الغرب لا ينكره الا أبله مأفون . او مغرض مجنون . ولقد ظهر الغربيون بمدنيتهم ومخترعاتهم واستكشافاتهم فبهروا العيون وحيروا الالباب وكان لهم فضل يذكر في كيان حياتنا الاقتصادية وفي كل مرفق من مرافقنا فنحن لا نزال بحاجة الى الغرب في كل مقومات حياتنا وسبل اعمالنا ولا نزال نعيش عيالاً على الغربيين حتى يقضي الله امراً كان مفعولا »

وبعض فصول الكتاب مختصرة كانت تحتاج الى بسط أوفى حتى تتضح بعض المعاني التي يخل بها الاختصار

مطبوعات جديدة

﴿ الكلمات ﴾ خمسون مقالة صغيرة في النقد والدين والادب بقلم الاستاذ محمود مصطفى تبلغ ١٣٢ صفحة من القطع الكبير . والمؤلف أستاذ في مدرسة التجارة المتوسطة وهو مع ذلك يعتقد ان امريكا « قامت فأبطلت ضلالة وأماتت بدعة كان داروين ... قد ابتدعها » والواقع ان افضل الكتب التي تكتب عن التطور تخرج من امريكا الآن

﴿ فن التمثيل ﴾ رسالة صغيرة بها ٨٠ صفحة لمؤلفها الاستاذ محمود احمد خليل تبحث في التمثيل وكيفية التهيؤ للمسرح وكيف تؤلف القصص المسرحية وما الى ذلك مما يحتاج اليه الراغبون في هذه الصناعة التي هي انهض الصناعات الادبية الآن

﴿ الادب الجديد ﴾ للاستاذ حسن صالح الجداوي تقع في ١٠٥ صفحات ويبحث في الفن والصناعة والتقليد والابداع والشعر الصوفي والشعر الالحادي ونحو ذلك مع نقد ايضاحي لشعر الدكتور زكي ابي شادي . وللاستاذ الجداوي أسلوب طلي وافكار سامية في الادب جديرة بأن يعرفها النشء الجديد

﴿ الكافي في اللغة الفرنسية ﴾ هذا هو الجزء الثاني من هذا الكتاب المفيد الذي وضعه الاستاذ احمد ابو الخضر منسي وهو يحتوي على ١٧٧ صفحة كلها محادثات بعبارات فرنسية يقابلها معناها بالعربية . وقد صار للغة الفرنسية شأن كبير بتوسيع استعمالها بالمدارس وهذا الكتاب يسد حاجة الطالب وثمنه ١٢ قرشاً

﴿ عبده بك ﴾ كنا نود ان نسهب في شرح هذه القصة الشعرية التي عمد فيها المؤلف الناهض الدكتور زكي أبو شادي الى أسلوب جديد هو الاسلوب القصصي الشعري . ولكن تكدس الكتب يمنعنا من ذلك الآن فنحن نقتصر على الاشارة الى هذه القصة ونعتبرها مجهوداً جديراً بأن

يشكر عليه مؤلفه · ومهما كان فيها من النقص فانه يغتفر لان المؤلف يحرث أرضاً بكراً لم تحرث قبله و يعالج موضوعاً غريباً عن روح الادب العربي القديم

﴿الاسلام في أمريكا﴾ ليس هذا الكتاب كما يدل اسمه خاصاً بالاسلام في أمريكا بل هو مجموعة مقالات تبحث في الجهاد والتشبه بالافرنج وفرنسا في سوريا وبيرق النبي · والمؤلف هو نجيب افندي العسراوي وغايته الدفاع عن الاسلام مما يتهمه به بعض المغرضين · وتبلغ صفحات الكتاب ٩٦

﴿الخليقة ونظامها﴾ بقلم الاستاذ أمين الغريب يقع في ١١٩ صفحة من القطع الكبير و يبحث في علائق الجماد والنبات والحيوان وتنوع الافراد · ومن فصوله : كيف تكوّنت الارض · المملكة المعدنية · المملكة النباتية · المملكة الحيوانية · تركيب الجسم الداخلي الخ · وليس شيء مما يكتبه الاستاذ الغريب لا تلذ للقارىء مطالعته فانه يذكر الحقائق الدقيقة بعبارة واضحة تستهوي القارىء الى قراءة الكتاب باجمعه

﴿ديوان الثورة﴾ مجموعة القصائد التي قيلت في الثورة السورية وهي ١٢٤ قصيدة لشعراء مختلفين وقعت في ١٢٧ صفحة كبيرة · ومن الشعراء الذين دوّنت قصائدهم في هذا المجلد الشيخ الكاظمي وشوقي بك والامير شكيب ارسلان وخير الدين الزركلي والدكتور أبو شادي وخليل مردم بك · وهي مجموعة تاريخية جديرة بان يقتنيها كل سوري

﴿التقرير الصحي لحكومة العراق لسنة ١٩٢٦﴾ وضعت حكومة العراق هذا التقرير وضمنته احصاءات مختلفة وشروحاً للاحوال الصحيـة في العراق وما قامت به من الاصلاحات الكثيرة في السنين الاخيرة مما يدل على همتها وجدها في خدمة العراقيين · وهذا التقرير يسر كل قارىء في الشرق العربي اذ يرى حكومة من حكوماته تنتظم بعد الفوضى الطويلة

﴿درر الحكام في شرح مجلة الاحكام﴾ هذا هو الجزء الثاني من هذا الشرح وهو تأليف علي حيدر وزير العدلية في تركيا وترجمة الاستاذ فهمي الحسيني المحامي وهو يبحث عن الاجارة وعلاقة المؤجر بالمستأجر · والكتاب حسن الطبع على ورق فاخر

﴿مشاهد الحياة﴾ ديوان اشعار للفاضل اسكندر الخوري الاديب الفلسطيني يحتوي على ٣٠٤ صفحات وموضوعاته تختلف مثل : ابني وطربوشي · ليلة العرس · الحرب الكبرى · المحامي · قص الشعر ونحو ذلك · وللمؤلف خيال راق واسلوب سلس

﴿سر النبوغ﴾ محاضرة القاها سليمان افندي الموصلي وطبعها بالبصرة فوقعت في ١٣١ صفحة وقد ذكر فيها تراجم بعض الفحول الذين نبغوا في الشرق والغرب وحث الشباب على الاقتداء بهم في خدمة أوطانهم



تنبيهات : (١) يكتب السؤال واضحاً مختصراً على حدة ويعنون باسم محرر « الهلال » (٢) لا ننشر الا الاسئلة التي نرى فيها فائدة لجمهور القراء (٣) لا نتعرض لما يمس الدين أو السياسة (٤) قد نضطر الى تأجيل الجواب لكثرة الاسئلة لدينا (٥) يغفل السؤال اذا لم تستوف هذه الشروط أو اذا لم نعثر له على جواب

تاريخ الصابون

☀ القاهرة . مصر ☀ محمد كامل

متى استعمل الصابون وكيف اهتدى الانسان اليه وماذا كان يستعمل قبل أن يعرفه ؟ وهل كلمة « صابون » عربية الاصل ؟

☀ الهلال ☀ كان الصابون معروفاً في القرن الاول للميلاد ولذلك فالمرجح ان الكلمة ليست عربية وهي في اللغة الانجلوسكسونية « سابه » فأصل اللفظة آري . وقد استعمل الرومانيون الصابون . وكان القدماء يزيلون وضر الشحم بالرماد والماء قبل استعمال الصابون

الغدد وفائدتها

☀ الخرطوم . السودان ☀ توفيق قهواتي

قلتم في مقالكم عن عقوبة الاعدام ان للغدد علاقة بالذكاء والبلاهة والنشاط والخمول . فهل لكم أن تشرحوا لنا ذلك وهل في اللغة العربية كتب في هذا الموضوع ؟

☀ الهلال ☀ في هلال شهر نوفمبر سنة ١٩٢٢ مقال مسهب في هذا الموضوع . والمقصود بالغدد هو الغدد المنقطعة أي التي لا تحمل افرازها قناة خاصة وانما ينطلق سائلها في الدم مباشرة . كالغدة الدرقية في العنق والغدة الصنوبرية في أعلى الدماغ والغدة النكفية في أسفل الدماغ والغدة الادرينالية فويق الكلية . فمثلاً اذا مرضت الغدة الدرقية يصيب البله صاحبها . وليس في العربية كتاب في هذا الموضوع

أعظم النيازك وأشهرها

☀ تبريز . الفرس ☀ م . نخجوني

ما هي أعظم النيازك وأشهرها ؟

☀ الهلال ☀ أشهر النيازك أي الشهب هو الحجر الاسود في الكعبة لكثرة من يحج كل عام لمكة المكرمة و يراه او يذكره أما اعظمها جرماً ففي مكسيكا حيث وقع هناك نيزك يقدرونه بخمسين طناً

نقائص الجسم عند الغربيين والشرقيين

❊ النجف · العراق ❊ عباس الطريحي

ما للفرنجة يقل فيهم العمى والعور وصفات النقص الكلامية ؟

❊ الهلال ❊ سبب ذلك علومهم ومعارفهم وما نشأوا عليه من حضارة تدعو الى النظافة وتحتم بناء البيوت على أمثل النظم الصحية وتفرش الشوارع بمواد لا تجف فتستحيل غباراً . واكبر أسباب الرمد في مصر هو كثرة الغبار ونحن هنا اكثر بلاد العالم عمياناً وعوراً لاننا اكثرها غباراً . والجو في أوربا يحتم النظافة لان اتصال المطر يستدعي العناية بالبناء وبالشوارع . أما صفات النقص الكلامية فلا نظننا اكثر شكوى منهم في ذلك

شم النسيم

❊ سنجه · سودان ❊ عاذر ابو جيمي

ما هو أصل العيد الوطني المصري « شم النسيم » ؟

❊ الهلال ❊ يقع شم النسيم ثاني يوم عيد الفصح على الدوام . فلا بد ان هناك علاقة بين الاثنين . وفي أوربا عادة متبعة في عيد الفصح وهي صبغ البيض . وهذه العادة تمارس في شم النسيم في مصر لا في عيد الفصح . والاغلب ان شم النسيم كان عيداً مصرياً وثنياً فلما دخلت المسيحية مصر أبى الناس أن يتركوه لانه كان من تليد الامة يخرج الناس للنزهة فأبقوه ملحقاً للفصح

في نقد الادب

❊ الموصل · العراق ❊ عبد الاحد حجاوي

هل لكم أن تدلوني على أوثق كتاب في النقد الادبي الحديث ؟

❊ الهلال ❊ الكتب الحديثة في هذا الموضوع قليلة في اللغة العربية . وقد تجدون بعض ما ترغبون فيه في مؤلفات الدكتور طه حسين والدكتور صبري وسلامه موسى والدكتور زكي مبارك والعقاد وميخائيل نعيمة والدكتور هيكل وخليل السكاكيني وأمثالهم . ومؤلفاتهم تباع في المكاتب

مكان الشهد في النحل

❊ كفر مالك · فلسطين ❊ صدقي يس

اين مكان الشهد من النحلة هل هو البطن ام الصدر ؟

❊ الهلال ❊ النحلة تفرز عسلاً وشمعاً . فالشمع ثمانية تجاويف تحت البطن تصنع منه النحلة القرص . اما العسل فانها تلتقط الرحيق من الزهر بشفتيها السفلى فينزل في كيس العسل يعتريه تغير في مادته ثم تخرجه النحلة من فيها فيكون شهداً . وكيس العسل في البطن ايضاً

الشجر وصحة النوم

❋ بغداد · العراق ❋ مشترك

هل النوم في منزل محاط بالاشجار مضر بالصحة ؟

❋ الهلال ❋ لا فرق البتة بين الحيوان والشجر في التنفس فاذا وضعنا شجرة في غرفة تنفست في الليل كما يتنفس اي انسان فيها بمعنى انها تفسد الهواء كما يفسده الانسان بتنفسه · فاذا كانت الاشجار تحيط بالمنزل احاطة اطباق فهي بلا شك مضرة اما اذا كانت لا تطبق عليه بل يأتيه الهواء خالصاً منها فلا ضرر منها

ما معنى المدنية ؟

❋ ··· العراق ❋ ع ٠١

هل المدنية في تأنق الرجل وتبرج المرأة مثلما يتخيل بعض الشبان والشابات ؟

❋ الهلال ❋ التأنق من شروط المدنية · لان التأنق هو التجود · وقد كان العرب في الدولة العباسية وقبلها يتأنقون في اللباس اكثر منا يشترون فرو القاقم والسمور المجلوب من سيبيريا وينعم خلفاؤهم على شعرائهم بالحلل الفاخرة · اما تبرج المرأة فاننا نرى الشرقيات يتبرجن كثيراً في حين ان المرأة الغربية لا تتبرج · فالمرأة في اوربا قد نزعت نزعة استرجال ولا بد ان نساءنا سيقتدين بها قريباً في ذلك · ولا يعيب المرأة ان تتأنق وانما يعيبها ان تتبرج

اطالة القامة

❋ القاهرة · مصر ❋ قارىء

هل هناك دواء يطيل قامة الانسان قبل بلوغه الحادية والعشرين ؟

❋ الهلال ❋ ان علاقة طول القامة ببعض الغدد المنقطعة ثابتة الآن لا يشك فيها ولكن معرفتنا بالغدد لا تزال قاصرة عن تزويدنا بدواء يطيل القامة · وخير ما يعمل هو التمارين الرياضية واحسنها ما كان فيه تعلق بالذراعين من عارضة

تفقيع الاصابع

❋ القاهرة · مصر ❋ ز · ن

يفقع بعض الناس اصابعهم واحياناً اعناقهم فما علة ذلك وهل منه ضرر ؟

❋ الهلال ❋ علته هو الفتور الذي يحدث للجسم من السكون الطويل فهو بمثابة التثاؤب غير ان التثاؤب يحدث بلا ارادة · وليس منه ضرر الا اذا تنطع فيه الانسان واكثر منه · وليس من اللياقة مع ذلك تفقيع أصابعنا أمام الناس

عباس بن فرناس

❊ القدس . فلسطين ❊ عبد المعطي الصالح البرغوثي

هل صحيح ان التاريخ يروي ان عباس بن فرناس قد اخترع طيارة وطار بها ؟ وان كان ذلك صحيحاً فماذا كان نوع الطيارة ؟

❊ الهلال ❊ قال المقري يصف الاندلسيين نقلاً عن ابن غالب : « ومن حكاياتهم في الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها ان أبا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل . وأول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال . واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومدّ له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة . ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه . ولم يدر ان الطائر انما يقع على زمكّه ولم يعمل له ذنبا »

وتوفي ابن فرناس في اوائل القرن العاشر

أين يزرع البن ؟

❊ سان باولو . برازيل ❊ (...)

ما هي الاقطار التي تزرع البن الآن ؟

❊ الهلال ❊ البرازيل وجاوة وسيلان واميركا الجنوبيـة والحبشة . وتبلغ غلة العالم منه مليون طن اربعة اخماسه من البرازيل وحدها

المواد الخام والاجاص

❊ بورتلندمين . امريكا ❊ (...)

ما معنى قولكم « المواد الخام » ولماذا تتقاتل الدول للحصول عليها وما الاصح « اجاص » أم « نجاص » ؟

❊ الهلال ❊ المواد الخام هي مواد الصناعة وهي بعد غشيمة غُفلاً لم تُصنع . فمصر تبيع القطن مادة خاما ولكن انجلترا تبيعه مادة مصنوعة . وتبر الحديد هو المادة الخام للحديد . والامم الصناعية تملك المستعمرات لكي تستخرج منها المواد الخام التي تحتاج اليها مصانعها حتى تعود فتبيعها مصنوعات بعشرة اضعاف اثمانها الاصلية وهي خام . فانجلترا تشتري منا قنطار القطن خاماً بنحو خمسة جنيهات وتبيعه لنا مصنوعاً بنحو ٧٠ أو ٨٠ جنيهاً وهذا هو علة ثراء الامم الصناعية وتأخر الامم الزراعية . والكلمة الصحيحة هي « اجاص »



الشعر القصير

لو ان النساء القصيرات الشعور اجتمعن وألفن جمعية لوجب ان ينتخبن رئيسة لهن اوغسطينا رستيتود توازي المقيمة في اوكسي ليشاتو بمقاطعة السوم. فهذه المرأة ولدت في ٦ يناير سنة ١٨٢٣ فيكون عمرها الآن مائة وثلاث سنين . وقد قصت شعرها مؤخراً وقالت للحلاق : لقد صممت على ذلك لعلمي ان الانسان لا يكون متأخراً في عمله الحسن ولو جاء هـذا العمل في شيخوخته . وهـذه المرأة لا تزال قوية البنية حسنة المعاشرة ولم تتزوج في حياتها . ومن المحتمل ان يكون الداعي الى قص شعرها أملها في الحصول على زوج ...

المصور المعترف بالجميل

كان المصور النروجي كدويغ كارستن الذي توفي منذ عهد قريب مقيماً في الدانمرك ، فحدث ان جريدة من جرائد كوبنهاغن احتفلت بمرور خمسين سنة على نشأتها ، فأقبل مشاهير الرجال على تقريظها وطلب من ذلك المصور ان يضم صوته الى صوتهم فأرسل الى الجريدة المذكورة الكتاب الآتي تعريبه :

«أبادر الى ارسال تهانئي الى جريدتكم لانها أدت لي خدمة لا أنساها ابداً ، فمنذ ردح من الدهر اقمت معرضاً لصوري في مدينتكم فنشرت جريدتكم انتقاداً مملوءاً بالمطاعن الشخصية . فثارت نفسي وصممت على هجر بلادكم وبعت جميع ما كان لديّ من الاسهم في مصارفكم وشركاتكم وهيأت العدة للرحيل . وبعد خمسة عشر يوماً أفلس المصرف الذي كانت لي معه علاقات مالية ، فلولا تحامل جريدتكم عليّ وتصميمي على مغادرة بلادكم لكنت قد فقدت شطراً عظيماً من ثروتي ، ومن ثم فاني امحضكم التهنئة والشكر»

الطرقات في باريس

تبلغ مساحة الطرقات في باريس ٩٠٠ ٤٦٧ ٩ متر مربع منهـا ٤٠٠ ٣٩٤ ٥ متر مرصوفة بالحجارة و ١٠٠ ٤٤٧ ٢ متر معبـدة بالخشب و ٤٠٠ ٠٣٧ ١ متر بالاسفلت و ٠٠٠ ٥٨٩ متر بالحصا . وهم الآن يبحثون عن طريقة جديدة للتعبيد يمتنع بها التزحلق

البارون هوسمان

البارون جورج اوجين هوسمان هو الذي جعل باريس زينة المدن وقد قامت عليه في ذلك الحين قيامة الكثيرين من جراء ما هدمه من المنازل القديمة لتجديد بناء المدينة ويرجحون انهم سيقيمون له تمثالاً عند الفراغ من الاشغال في الجادة المطلق عليها اسمه · وهذا الرجل ألزامي الاصل وقد وُلد سنة ١٨٠٩ في باريس · وجُعل حاكماً لمقاطعة السين من سنة ١٨٥٣ الى سنة ١٨٧٠ ، وفي مدة ولايته بُني في باريس سبعة وسبعون الف منزل ، وقد أنشأ أهم شوارع العاصمة الفرنسية كشوارع تريفو ولافايات والبيريناي وناحية الاوبيرا والجادات الخارجية ، ونظم ساحات الاتوال والعرش وايطاليا وجميع الحدائق الصغيرة وبعض الحدائق الكبيرة كالبوت شومون ومونسو ، وبنى عشرين كنيسة ونظم غاب بولونيا وفنسن وبنى السكة الحديدية المحيطة بباريس وأتم غير ذلك كثيراً من الاعمال المهمة · وأنشأ طرقاً يبلغ عرضها ٢٠ و ٤٠ و ٨٠ متراً · ولما طلبت منه الامبراطورة اوجيني أن يجعل عرض جادة غاب بولونيا اربعين متراً وهي تتوهم انها تبالغ في طلبها جعل عرض تلك الجادة ثلاثة اضعاف ما طلبته الامبراطورة

وكان هوسمان عضواً في مجلس الشيوخ ثم عضواً في مجلس النواب وعضواً في ندوة الفنون الجميلة ، وتوفي سنة ١٨٩١ في حالة لا يمكننا ان نقول عنها انها حالة يسر ، فقد كان يتناول راتباً سنوياً قدره ستة آلاف فرنك

التأمين في العصور الماضية

عثروا منذ عهد قريب على صك تأمين مؤرخ سنة ١٥٨٤ وهو يتعلق بشحن المركب « سان هيلار » المسافر من مرسيليا الى سواحل سوريا وكان رسم التأمين قليلاً في ذلك العهد أي خمسة في المائة · الا ان التأمين البحري كان معمولاً به منذ قرون طويلة فقد كانوا في رودس منذ تسعمائة سنة قبل المسيح « يسوكرون » دائماً البضاعة التي ينقلونها في سفائنهم ، وكانوا في ذلك الحين يضحون بقسم من المشحون لحفظ الباقي · وللتأمين ذكر في خطب ديموستينوس ، وقد جرى الرومانيون من هذه الجهة على منهاج الاغارقة ، وفي القرون المتوسطة عم الايطاليون وهم ، صيرفيو العالم في ذلك العصر ، استعمال التأمين بحيث ظل الانكليز حتى القرن السادس عشر يكتبون صكوك التأمين باللغة الايطالية

من النيابة الى المعمل

في اثناء الحرب الكونية الكبرى اشتهر في فرقة الطيران الفرنسية طيار يدعى هرتو ، وفي شهر نوفمبر سنة ١٩١٩ انتخب عضواً ينوب في مجلس النواب الفرنسي عن مقاطعة السين والواز ولكنه سنة ١٩٢٤ لم يتقدم للانتخاب · وسافر بعد ذلك الى الولايات المتحدة سعياً وراء تحصيل

الرزق ولكن لم يهادنه التوفيق فاضطر الى دخول معمل المستر فورد كعامل بسيط لينال ما يقوم بأوده واود عياله . اجل ان في عمله ما يدل على كرامة نفس كبيرة تسمو عن ذل السؤال عملاً بالآية الكريمة : « بعرق جبينك تأكل خبزك »

رحالة غريب الاطوار

منذ مدة غير بعيدة وصل الى مستعمرة رأس الرجاء الصالح رجل من أغرب الناس اطواراً وهو المستر ادورد سكيريس الامريكي صاحب الملايين العدة وصاحب ثمان وعشرين جريدة . وهذا الرجل ينفر من الضوضاء وهو يتم جميع رحلاته على متن يخت له يجري بالاشرعة ، قليل الكلام حتى ليصدر جميع اوامره بالاشارات . ولما ركب البحر في المرة الاخيرة من نيويورك الى رأس الرجاء الصالح لم يخرج من قمرته قط ، فكان اثنان من كتبته يتناوبان القراءة له

وقد طاف هذا الرجل حول الارض ثماني مرات ولم يكن في اثنا ا يصعد الى البر الا عند الضرورة الماسة

من شعر نابوليون

في ١٩ فبراير الماضي بيعت في لندن علبة صغيرة تحتوي على شعرات من رأس نابوليون ومع تلك العلبة شهادة بتوقيع جون ولسن كروكر وهو رجل سياسي مشهود ولد في لندن سنة ١٧٨٠ وتوفي فيها سنة ١٨٥٧ وقد اتصلت تلك العلبة من تاليران الى اللورد لندندري وهذا دفعها الى جون ولسن كروكر

زواج غريب

في دار بلدية منبلياي بفرنسا عقد لعروسين يبلغ مجموع عمرهما مائة وخمساً وثلاثين سنة فالعروس واسمها عقيلة بوباي عمرها احدى وثمانون سنة والعريس واسمه المسيو كالمت عمره اربع وخمسون سنة . وقد تمنى لهما متولي العقد الهناء والسعادة في حياتهما الجديدة . ومن الممكن ان تتحقق تمنياته اذا عاشا عمراً طويلاً نظير ذلك الفلاح الروسي الذي تصرمت حبال حياته منذ عهد قريب وهو في المائة والثامنة والثلاثين من عمره فهذا الرجل الرومي تزوج ثلاث مرات ، وكان زواجه في المرة الاخيرة عند بلوغه مائة سنة من عمره . وقد خلف ابنة كانت عائشة معه ولها الآن مائة سنة من العمر

عيد مدينة شيكاغو المئوي

في سنة ١٩٣٣ ستحتفل مدينة شيكاغو بمرور مائة سنة على بنائها ، ومنذ مائة سنة كان عدد سكانها ٤١٧٠ نفساً وقد أصبح الآن ٢ ٢٠٠ ٠٠٠ نسمة

روكفلر مهندس بناء

ان كنيسة المعمدانيين في بارك افنيو بمدينة نيويورك التي يعد جون روكفلر ونجله من أهم اعضائها ستنقل الى ضفاف الهدسن . وكان احد المهندسين المكلف بناءها يميل الى تشييدها على الهندسة القوطية الا انه لم يتفق مع روكفلر وابنه لانهما كانا راغبين في بنائها على الطراز الحديث فانتدبت لجنة من المهندسين لذلك الامر فوافقت على رأي روكفلر وسليله . وستكون أكبر كنيسة من نوعها في العالم وسيبلغ ارتفاع قبتها المعدنية ١٢١ متراً وسيوضع فيها الجرس المشهور المقدم من أسرة روكفلر . ولا تقل النفقة المقدرة لهذه الكنيسة عن اربعة ملايين دولار يدفع منها روكفلر وابنه ١٧٥٠٠٠٠ دولار والباقي يؤخذ من ثمن الكنيسة القديمة والارض المحيطة بها وتبرعات اعضاء جمعية المعمدانيين

مرض الشعر

في بلدة كيتاننغ من أعمال الولايات المتحدة انتشر مرض غريب وقف عنده الاطباء حائرين . فبين عشية وضحاها أصبح ثلثمائة شخص صلعاً وكان بينهم كثيرات من النساء اللواتي لم تبق شعرة واحدة في رءوسهن . أما الرجال فلم يصب منهم الا من كان بين التاسعة عشرة والثلاثين من العمر ، وقد تبين بواسطة الفحص بالمجهر أن ذلك المرض ناجم عن مكروب جديد

أعرس أم مأتم ؟

كان في كستلا على مقربة من اليكانت عجوز في الثمانين من العمر ، فلما اشتد المرض عليها وشعرت بدنو أجلها استدعت اليها شبان القرية وطلبت منهم أن يسيروا في جنازتها ومعهم الموسيقى وهم يرقصون على نغماتها الشجية . وكان ما أرادته تلك العجوز الغريبة الاطوار فبعد ما أقام الشبان مرقصاً في الجبانة الى جانب قبرها عادوا الى بيتها حسب وصيتها وشربوا كل ما وجدوه من الخمر في القبو

ميناء لندن .

ينوون القيام باعمال مهمة في ميناء لندن بحيث يجعلون أكبر البواخر قادرة على غشيانه وحينئذ يصبح لعاصمة الدولة البريطانية المركز الذي تستحقه بين الموانىء الانكليزية لكونها قاعدة لخطوط كندا ونيويورك والهند واوستراليا والشرق الاقصى . وتلك الاعمال تقتضي انشاء مدخل جديد لحوض تلبري ، فيضاف اليه مرسى طوله ٢٥٠ متراً . وينشأ على التايمس قبالة غرافسندربتش رصيف طوله ٢٥٠ متراً يبنى على قناطر وينتهي عنده الخط الحديدي ، وهذه

المحطة الجديدة لا تبعد عن قلب المدينة اكثر من ثلاثين كيلومتراً . ومتى تمت هـذه الاعمال تمكنت الباخرة ماجستيك البالغ طولها ٢٧٩ متراً من دخول المرفأ بغير عناء . ويفكرون أيضاً في القيام بأعمال اخرى في المرفأ لاجل توسيع دائرة الحركة فيه ، ولقدر النفقة اللازمة لذلك بمليونين وسبعمائة وخمسين الفاً من الجنيهات ، وستمد الحكومة يدها لمساعدة هذه الاعمال رغبة في ايجاد عمل للعاطلين

الكلب الوارث

كان أحد الاميركيين الاغنياء يقيم في انكلترا منذ عهد بعيد وقبلما حضرتهُ الوفاة نظم وصيته بعدما دفنوه فضوا ختم تلك الوصية فوجدوا انهُ ترك خمسين الف دولار لكلبهِ وانهُ بعد موت هذا الحيوان العزيز يقسم ما يبقى من تلك التركة على ابنة أخيه وشقيقها

وصية اخرى غريبة

سنة ١٩٢٣ توفيت سيدة اميركية تدعى عقيلة اليزا بنغ غودفردي وخلفت تركة تزيد عن ربعمائة الف دولار لنسيب لها يقيم في مدينة همبورغ مشترطة في ذلك ألا يدفع ذلك الارث الى سيبها إلا اذا عاهد على قضاء ستة أشهر كل سنة في القرية التي قضت فيها نحبها ، بحيث اذا أخل بهده انتزع منهُ الميراث ودفع الى نسيب آخر يقيم أيضاً في المانيا ، وهو يرضى أن يقضي كل سنة ستة أشهر في اوربا وستة أشهر في اميركا ، فسبحان موزع العقول

المواليد في باريس

يؤخذ من الاحصاءات التي أجريت فيما مضى في باريس ان عدد الذكور يزيد دائماً على عدد الاناث أمّا في باقي المقاطعات الفرنسوية فالآية تنعكس . واذا كانت باريس معتبرة على رأي يارد كبلنغ « مشتل » الرجال الصغار فليس الامر كذلك في بلنسية ففي الاحصاء الاخير الذي جري في ولاية دروم ظهر انه بين كل احد عشر مولوداً يوجد عشر بنات وغلام واحد

مهم : ايصالات تسديد الاشتراك

نلفت نظر حضرات مشتركينا الكرام في جميع الجهات (ما عدا البرازيل) الى أننا نعتمد الا الايصالات المدمغة والمختومة بختم ادارتنا فالمرجو طلبها من وكلائنا عند تسديد الاشتراكات

حديث مع سمو الامير محمد علي

في شؤون شتى

لسمو الامير محمد علي شخصية محببة الى النفوس لا يلتقي به انسان حتى يحبه ولو لم يعرف صفاته السامية • وجدتني وأنا في قصره البديع في جزيرة الروضة امام رجل سري الطلعة خفيف الروح • فأما عن سرو الطلعة فليس ذلك غريباً والانسان يدخل متأثراً بالتاريخ محوطاً بمشاهد الامارة من خدم وحشم واثاث فخم • واما عن خفة الروح فتلك ترجع الى صراحة اللهجة التي يتسم بها كلام الامير والى ضحكة جهيرة تخرج صافية تدلك على ان الامير لا يقول ما يعتقد فقط بل يعلن ما يعتقد في نشاط وحماسة • فاذا أضفت الى هذه الصراحة رشاقة القد الذي يميل الى النحافة ورقة المزاج الذي ينحو كثيراً نحو الفكاهة عرفت لماذا أنت تأنس بالامير لاول ما تلقاه ولماذا يذهب عنك ما كنت قد تعمدته من ابداء الوقار والتكلف لان أنسة الامير تعديك فتشعر انك تحبه كما تحترمه

وحديث الامير محمد علي تغلب عليه ، كما قلت ، الفكاهة • دخل وأنا أحادثه « باشا » تدل أسارير وجهه على التقدم في السن بينما سواد شاربيه يدل على عنايته بهندامه فرحب به الامير وهو يقول : « أوكلما تقدمت في السن يا باشا يسود شار باك ؟ »

والامير مع انه لم يبلغ الخمسين قد ابيض شعره ولكنه لا يعنى بهندام الشعر فهو لذلك يسطو بالنقد على من يغالط السنين

وقصر الامير في جزيرة الروضة من بدائع القصور له حديقة تبلغ ٣٥ فداناً قد جلب اليها الامير انواع الزهور الغريبة من أسيوية واوربية وامير كية . اما القصر نفسه فيحتوي من فاخر الاثاث على تحف نفيسة شرقية • وللامير منظرة رحبة يستقبل فيها زائريه قد بطنت جدرانها بالخشب وزينت بالفرش الفاخر وبها من الطاقات والنوافذ ما يبهر النظر من صنوف الزجاج الملون

وربما كان الامير محمد علي أشغف الشرقيين بالسفر والرحلة . فقد كان والده المرحوم الخديوي توفيق باشا يحثه هو وشقيقه سمو الخديوي السابق على زيارة الملوك في اوربا . فكان وهو يطلب العلم في سويسرا لا تتاح له فرص الاجازات المدرسية حتى يطير الى احدى العواصم فينزل ضيفاً كريماً في قصور الملوك • وما كان اكثرهم في مدة تلمذته وما اقلهم الآن • فلم يبلغ الثامنة عشرة حتى كان قد زار جميع ملوك أوربا تقريباً • فزار مثلاً وهو في الثالثة عشرة من عمره مملكة اسوج ونروج وكان يتولى العرش عليهما جميعاً اوسكار والد الملك الحالي • ومن هناك

رحل الى اقصى بلدان الشمال وفي سبتز برجن حيث ترى الشمس طالعة في منتصف الليل ٠ ويذكر الامير ثلاثة ملوك بالاسف والاسى لان ايدي الجناية والاثم قد اختتمت حياتهم وهم قيصر روسيا وملك البرتغال والملك امبرتو والد ملك ايطاليا الحالي ٠ فقد عرفهم الثلاثة ونزل ضيفاً كريماً في قصورهم فاذا تكلم عنهم احسست من كلامه بنبرات الاسى

ولما تولى شقيقه سمو الخديوي عباس الثاني عرش مصر كان ينتدبه و يشخصه الى الاحتفالات الملوكية لكي يقوم مقامه ٠ فحضر عنه الاحتفال اليوبيلي للملكة فكتوريا كما حضر مأتمها وسار في مشهدها ٠ والامير يذكر هذا المأتم بانه من الحوادث النادرة في العالم ،وليس هذا غريبا فان هذه الدنيا لن ترى احتفالاً يقام في المستقبل يحوي من الملوك مثل من حضروا مشهد هذه الملكة الامبراطورة ٠ فقد وقف حول جثتها امبراطور و ١١ ملكاً و ١٣ ولي عهد و ٥٤ أميراً . ولا يدخل امراء الهند في عداد هؤلاء

وقد رحل الامير الى اميركا حيث زار ألاسكا أبعد صقع في شمالها كما زار أميركا الجنوبية ٠ وقصد الى سيبريا فركب القطار الذي يقطع ثلوجها وسهولها الى أن بلغ كوريا ٠ ورحل بعد ذلك الى افريقيا الجنوبية وهو يروي اسفاره بلذة السائح المشغوف برؤية الدنيا

قلت : لقد زرتم يا سمو الامير كوريا التي تمتلكها اليابان الآن فماذا تركت من الآثار في ذهنكم؟

قال : رأيت اهل كوريا اضخم اجساماً من اليابانيين وثروة بلادهم الطبيعية اغنى من الثروة الطبيعية في اليابان ولكنهم يستسلمون الى الدعة ويؤمنون بالخرافات ولا يستغلون بلادهم بينما ترى الياباني نشيطاً يقظاً وهو لذلك جدير بان يسود الكوريين ويحكمهم

قلت : لقد زرتم افريقيا الجنوبية واميركا فما هي ملحوظاتكم عنهما ؟

قال : ان اغرب ما وقر في ذهني ان المستعمرين لاميركا الشمالية هم من نوع المستعمرين لافريقيا الجنوبية ٠ ففي كلا الصقعين نجد انجليزاً وهولنديين تشوبهم طائفة من الفرنسيين البروتستانت الذين يسمون «الهوغنوت»

قلت : نسمع من وقت لآخر عن منافسات بين الهولنديين والانجليز في افريقيا الجنوبية فهل شأن هذه المنافسات كبير خطير ؟

قال : لقد امضيت في افريقا الجنوبية ثلاثة اشهر فلم أجد لهذه المنافسات خطورة عظيمة فان الهولنديين والانجليز لا يزيدون عن ٢٠٠ ٠٠٠ ١ بينما الزنوج يبلغون ٠٠٠ ٠٠٠ ١٤ فالبيض يرون من مصلحتهم أن يبقوا على اتفاق ووئام حتى يحكموا هؤلاء الزنوج ويستغلوهم

قلت : لقد شاهدتم المشاهد الطبيعية المختلفة في العالم فماذا تعدون أجملها ؟

وهنا رأيت الامير يتردد ويكاد يقول انه رأى نحو عشرين أو ثلاثين منظراً كلها جميل رائع

ولكني ألحت على الاقرار على واحد · فقال : أفخم المناظر وأروعها هي بالطبع الشلالات الكبرى فان ضخامتها تملك على الانسان نفسه · وا كبر ما رأيته من ذلك شلالات فكتوريا في افريقيا الجنوبية ويقاربها في الجلالة شلالات اجوازو في البرازيل ولكنها لاحتوائها على جزر تنتثر في وسط السيول المندفقة لا تغمر النفس بالعظمة كما هو الحال في شلالات فكتوريا

قلت : ولكن هل جمال الطبيعة قد انحصر في الشلالات وحدها ؟

قال : الجمال الرائع الذي يغمر النفس ويشتمل على الحواس ويملك الذهن جمال الشلالات اما في غيرها فاني اتردد وايضاً لا اعرف هل افضل سان فرنسيسكو ام استانبول · وايضاً لا اعرف هل افضل خليج نابولي ام ريودوجانيرو

قلت : كنتم بالطبع يا سمو الامير تلاحظون الزراعة والتجارة والصناعة فأي الاقطار رأيتم فيها هذه الشؤون على ارقاها ؟

قال : اني انظر بعين مصرية ولذلك تأثرت برؤية اقاليم الجنوب في الولايات المتحدة لان مزروعاتنا تزرع جميعها هناك بطرق اتم واوسع مما تراه عندنا · واني اتعجب من رؤية الطلبة عندنا يقصدون الى مدارس انجلترا او فرنسا او المانيا لتعلم الزراعة · فان لكل مناخ زراعة وزراعات هذه الاقطار لا تتفق ومناخنا انما الذي يتفق معه هو زراعة الجنوب في الولايات المتحدة

قلت : ولكن الصناعة ؟

قال : صناعتنا الاصلية هي الزراعة · ولست انتقص قيمة الصناعة في ذلك بل أحب تشجيعها وقد كنت أحب من الصحف ان تثني على بدراوي عاشور باشا لدخوله في مشروع الغزل والنسيج باكبر مبلغ دخل به أحد من المصريين اكثر مما اثنت

قلت : وهل انتم متفائلون بهذا المشروع ؟

قال : اذا كان القائمون به سيدخلون فيه بنية التجربة فالتجارب عرضة للنجاح والفشل · ولكن في اعتقادي يجب الاعتماد على الاخصائيين · وعندنا رجل مصري هو محمد بك راسم اسس مصانع للغزل والنسج في طرسوس فيمكن القائمين بهذا المشروع أن يستدعوه وينتفعوا بعلمه

قلت : والصناعات الاخرى ؟

قال : اجل يجب تشجيعها ايضاً · لقد زرعت الكتان في ارضي فاغل الفدان ١١ جنيهاً بعد جميع النفقات · والكتان من الحاصلات الشتوية التي يمكن زراعة الذرة بعدها · وقد دعاني الدكتور صروف والدكتور نمر لزيارة مصنع اسساه بنحو ٨٠٠٠٠ جنيه في روض الفرج بالقاهرة لغزل الكتان ونسجه · فهذه حركة يجب تشجيعها وسأزور هذا المصنع قريباً مع فتح الله بركات

باشا ونخله المطيعي باشا . ويجب ان تتذكر ان الكتان كان ينسج في مصر من عهد الفراعنة فلا يمكن ان يتعلل احد بان المناخ لا يوافق نسجه لان احسن الاقمشة الكتانية كانت تخرج في الازمنة القديمة من مصر . وما يقال من ان المناخ لا يوافق غزل القطن ونسجه لان مناخنا جاف ليس بذي خطر لانه يمكن انشاء المصانع في الاسكندرية او دمياط او رشيد حيث الرطوبة عظيمة

ورأيت أن الحديث قد انتقل كما اشتهيت وتناول مسائل وطنية مصرية فقفزت فجأة الى القبعة والطربوش وسألت سمو الامير عن رأيه فيهما

فقال : ان القبعة تفضل بالطبع في البلاد الحارة . ولكن لكل امة هيئة تتلبس بهيبتها . وقد كانت هيبة الاتراك في العمائم الفخمة والطرابيش اروع مما هي الآن . واتذكر اني كنت في احدى المرات في التيرول في بافاريا . والعادة هناك لكثرة الجبال ان الناس يلبسون جوارب دون الركبة وسراويلات فوق الركبة فتبقى الركبة عارية حتى يسهل الصعود والنزول من الجبال . وخطر في بال أحد القسوس ان يلبس سراويلات تغطي الركبة . ومع ان الاهالي شديدو التمسك بالدين فانهم عندما علموا بان هذا القسيس قد لبس سراويلات طويلة عمدوا الى منزله فهددوه بانه ان لم يلبس لبوسهم الوطني فانهم لن يؤمنوا بالمسيحية . وكان هذا برهاناً على ان الناس هناك ينظرون الى هيئة اللباس كأنها متعلقة بهيئة الامة

قلت وأنا أشعر بثقل هذا السؤال التالي الذي أجاب عنه الامير ضمناً في جوابه السابق : وهل توافقون على سفور المرأة ؟

قال : لا أبالي بسفور المرأة فان فيه من الصراحة ما احب ولكن مما يؤلمني جد الالم ان نساءنا يأخذن من عادات الشرق اسوأها ومن عادات الغرب اسوأها ايضاً . فان السفور حسن مع العلم والتربية . ولكن التبرج يجب ان يكره سواء في الشرق او الغرب . ويجب ان نأخذ من الغربيين عاداتهم الحسنة كادخار مبلغ للفتاة من يوم ان تولد الى ان تتزوج وتعليم المرأة كيف تدير بيتها حتى يحبه زوجها ولا يهجره الى القهوات والاندية . ومما يدعو الى تأخر النهضة النسائية ان بعض القائمات بها لسن من الحرمة والكرامة بحيث يكنّ الزعيمات القادرات على توجيه جهود الفتيات الى الاصلاح . ويجب ألا نبالي بتصفيق الاجانب انما نقصر غرضنا على الاصلاح الحقيقي

س . . .

عائشة التيمورية

أول من حملت لواء الادب من النساء في نهضتنا الحديثة

بقلم الاستاذ عبد الفتاح عباده

دفعني الى كتابة هذه الكلمة ما تفضل به صديقي الأديب النابه أحمد بك كمال زاده حفيد التيمورية وقدمه اليَّ من آثار جدته الشاعرة المصرية العظيمة ، وفيها ما هو مخطوط بقلمها مما لم ينشر بعد ، فأثار ما كان كامناً في نفسي من الشغف والولوع بآثارها وتتبع أخبارها (ولا غرو فهو ابن « فرحة بيت الحزن ! ! » كما قالت جدته عن أبيه ، ووارث ما كان لوالده من الفضل في نشر آثار شاعرتنا التيمورية) . وقد تجلت لي في هذه الآثار القيمة تلك الصورة البديعة التي رسمتها أنامل عائشة وصورت بها روحها الحزينة الطروبة وحياتها الحافلة بما فيها من ألوان الآلام والعواطف الملتهبة والافكار السامية التي تجاوزت بها نساء عصرها ، والتي نرى أن لها في اثباتها ونشرها أثرها الطيب في نفوس ناشئاتنا

وكانت رغبة الصديق في أن يزدان صدر هذه الكلمة بنشر صورة جدته الشاعرة لاول مرة في تاريخ الآداب العربية [1] اكبر مشجع لي على التحدث الى قراء الهلال بحديث عائشة عصمت تيمور وتاريخ حياتها الجميل المجيد . وحديث التيمورية يملأ التاريخ إعجاباً وإكباراً ، والنفس إجلالاً واحتراماً لهذه الروح الكبيرة ، ولهذه الشخصية النسائية الغنية التي كانت الشعاع الاول في ظلام الحياة النسوية ، بل هذه الشخصية البارزة التي كانت تفيض النور في عصرها على الحركة الادبية والفكرية من تلك الناحية اللطيفة الحساسة ، من نواحي التفكير في الامة ، التي أسدل الجهل عليها ستاراً كثيفاً لحجب نورها دهراً طويلاً حتى ظهرت عائشة فزحزحت هذا الستار وكانت فاتحة النهضة النسائية الحاضرة ! ولقد أهمل درس حياتها وتاريخها دراسة جدية وكادت تظل مجهولة لدينا لا نقرأ عنها ما يشفي الغلة [2] لو لم تتنبه لهذا الكاتبة الفاضلة الآنسة « مي » فطالعتنا لها باعجاب في السنوات الاخيرة تلك الكلمات الثمينة والمقالات الغنية بأبحاثها العميقة التي حللت فيها تاريخ شاعرتنا : نفسيتها وبيئتها الاجتماعية وتغلغلت في تلك العصور التاريخية ما شاء

---

(١) نعم نسجل هنا أن هذه أول مرة في تاريخ الآداب العربية تنشر فيها صورة شاعرة مسلمة من شواعر التاريخ وأديباته اللاتي احتفى بذكرهن واحتفظ بآثارهن فخلد اسماءهن

(٢) حتى أن المستشرقين الاجلاء نسوا في دائرة معارفهم الاسلامية القيمة ، ذكر ترجمة عائشة التيمورية في كلامهم على سمياتها مع أنهم أحاطوا في هذه الدائرة بأبسط المسائل وتافه الامور ولعلهم يستدركون ذلك في حرف التاء

قلم « مي » الرشيق الساحر من درس عميق وتحليل دقيق ، وفي ظني انها قد تخرجها للناس رسالة قيمة تنير لهم الطريق في دراسة أصول الآداب العربية في العصر الحديث ، وليحذوا حذوها في مثل هذه الابحاث الشاقة العويصة ، وهي إن فعلت ذلك تحسن صنعاً للتاريخ والناس . ولحسن الحظ نكتب هذه الكلمة وهي بين أيدينا في الصف الاول من المآخذ التي نستضيء بها في هذا الموضوع

* * *

بعد مرحلة طويلة قطعتها الآداب العربية في عصور صامتة مظلمة لم تنرها أقمار النابغات ، غير نجوم صغيرة لا تكاد تشرق حتى تغرب ، كان آخرها الشاعرة بحق عائشة الباعونية ، ظهرت التيمورية في تلك الظلمة فملأت عصرها أدباً وكانت نجماً سطع في سماء الأدب العربي في وقت غابت فيه النجوم وفي حين كانت المرأة فيه في ليل دامس راتعة في انقطاعها وجهلها ، فجاءت عائشة في ذلك الظلام بارقاً يبشر بحاضر المرأة المصرية ومستقبلها ، وكان ذلك النور منها رمزاً لنور آخر خطير ، فكانت طليعة اليقظة النسائية في هذه البلاد

حملت عائشة تاج الأدب على رأسها دهراً طويلاً وكانت أول من لبسته من النساء في نهضتنا الحديثة ، فقد ولدت بمدينة القاهرة في سنة ١٢٥٦ هجرية (١٨٤٠ م) اعني قبل وفاة محمد علي الكبير بتسعة أعوام وتوفيت سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) بعد تولية عباس الثاني بعشرة أعوام عن ٦٤ عاماً . أي انها شهدت تطور بلادها على عهد سبعة حكام : أربعة ولاة هم محمد علي وابراهيم وعباس الأول وسعيد ، وثلاثة خديويين هم : اسماعيل وتوفيق وعباس الثاني . لذلك كان عصرها حافلاً بجلائل الاعمال الخطيرة التي هيأت الحياة الجديدة التي تحياها مصر اليوم ، بل ان تاريخ حياتها يعاصر في الحقيقة تاريخ تكوين مصر الحديثة

(١) الدور الاول — أصلها وبيئتها الاجتماعية ، نشأتها وتعليمها

❊ أصلها وبيئتها الاجتماعية ❊ يرجع أصل الشاعرة إلى عنصرين أحدهما كردي ، والآخر تركي . فقد كان بين رجال محمد علي رجلان يختلفان أصلاً وعملاً ، أحدهما « كردي » وهو محمد كاشف تيمور بن اسماعيل بن علي كرد ، وكان ضابطاً في جيش محمد علي ساعد في استئصال دولة المماليك حتى صار من خاصة الوالي الكبير ، فترقى في المناصب من كاشف الى محافظ وتوفي سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٧ م) . والآخر « تركي » الأصل ، وهو عبد الرحمن افندي الذي كان قبلئذٍ كاتباً في الديوان الهمايوني عند السلطان سليم الثالث ، ثم صار ذا مكانة عند محمد علي حتى انه بعد وفاته دفن في القلعة ، وكان لسلالة هذين الرجلين أن تحمل علامة اليمن ، فقد تزوج محمد تيمور بابنة عبد الرحمن افندي فكانا جدّي الشاعرة . أما والدها فهو اسماعيل باشا تيمور ذلك السري الوجيه والموظف الكبير الذي تقلب في المناصب على أيام محمد علي وعباس الاول وسعيد

واسماعيل الى أن كان رئيساً للديوان الخديوي . ووالدتها جركسية الأصل معتوقة والدها اسماعيل باشا تيمور . فهي ترجع في أصلها الى ثلاثة أجناس : أحدها « كردي » والآخران « تركي » و « جركسي » وسنتم الكلام على بيئتها الاجتماعية في الفصل الذي يلي هذه الترجمة

تمكنت عائشة فخر بيت ارتجى
فقضت عادة كل من خاطت

فاتيت صفر الكف من رضوانه
ونصرة بالنجح والصيانة

جودت من قرب الهدى لكمال
تأتي من ان حسنك والمعاني

وتركة نستشفعا بمحمد
وتوسل عطايا من الرحمن

اصبحت من دار طهر داعيا
ضيف الدعا وتلاوة الغفران

لكم البقا اخوان دين فارحموا

تاريخ لعائشة من نظمها مكتوب بخطها
وقد تركت الشطر الثاني من البيت الاخير لينظم بعد مماتها ويضمنه الناظم تاريخها

✻ نشأتها وتعليمها ✻ وُلدت التيمورية ونشأت في تلك المرتبة الرفيعة بين فخامة الصروح وضخامة الالقاب وابهة المظاهر لكنها لم تنشأ كمثيلاتها وفتيات عصرها وبيئتها الاجتماعية بعيدة

عن كل ما يغذي العقل والروح بل شبت من صغرها مائلة الى العلم والادب والشعر وكان لوالدها أجمل اثر يحمد في تعليمها والعناية بتثقيفها في عصر ضنين على النساء بالتعليم والتثقيف . ولتعليمها حكاية نترك لها سردها ، فقد صدمتها الحياة للمرة الاولى في النضال مع والدتها بين الكتاب والقلم والابرة ، وكانت ميولها متجهة نحو الكتابة والقراءة راغبة عن الابرة وعن التطريز تجالس كتاب والدها وتحادثهم بالرغم عن منع والدتها لها . قالت : « فلما تهيأ العقل للترقي ، و بلغ الفهم درجة التلقي ، تقدمت الي ربة الحنان والعفاف ، وذخيرة المعرفة والاتحاف ، والدتي تغمدها الله بالرحمة والغفران بأدوات التطريز والنسيج وصارت تجد في تعليمي ، وتجتهد في تفطيني وتفهيمي ، وأنا لا أستطيع التلقي ، ولا أقبل في حرفة النساء الترقي ، وكنت افر منها فرار الصيد من الشباك ، وأتهافت على حضور محافل الكتاب بدون ارتباك ، فأجد صرير القلم في القرطاس أشهي نغمة ، وأتحقق ان اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمة ، وكنت التمس من شوقي قطع القراطيس وصغار الاقلام وأعتكف منفردة عن الانام ، وأقلد الكتاب في التحرير ، لأبتهج بسماع هذا الصرير ، فتأتي والدتي وتعنفني بالتكدير والتهديد فلم أزد الا نفوراً ، وعن صنعة التطريز قصوراً ، فبادر والدي تغمده الله بالغفران ثراه ، وقال لها دعي لي هذه الطفيلة للقرطاس والقلم [1] » وقالت في مقدمة ديوانها الفارسي التركي : « واحذري أن تكسري قلب هذه الصغيرة وان تثلمي بالعنف طهرها وما دامت ابنتنا ميالة بطبعها الى المحابر والاوراق فلا تقفي في سبيل ميلها ورغبتها ، وتعالي نتقاسم بنتينا ، فخذي « عفت » واعطني « عصمت » واذا كان لي من عصمت كاتبة وشاعرة فسيكون ذلك مجلبة الرحمة لي بعد مماتي » قالت : « ثم أخذ بيدي وخرج بي الى محفل الكتاب ورتب لي استاذين أحدهما لتعليم اللغة الفارسية والثاني لتلقين العلوم العربية ، وصار يسمع كل ما أتلقاه من الدروس كل ليلة بنفسه حتى تفطنت شيئاً فشيئاً فوجدت في نفسي ميلاً الى نظم الشعر فكان أول نطقي فيه باللغة الفارسية » [2] وهكذا نعمت شاعرتنا بأب يجمع بين الادراك والقدرة فسيرها في الاتجاه الذي تطلب ، فرضعت لبان الادب وهي في مهد الطفولة وظلت تأخذ عن استاذيها : ابراهيم افندي مؤنس القرآن الشريف والفقه والخط ، وخليل افندي رجائي علم الصرف واللغة الفارسية حتى نالت من هذه العلوم حظاً وافراً وظهرت قريحتها الشعرية فأخذت في دراسة أمهات كتب التاريخ والادب ولا سيما دواوين الشعر حتى نضجت عندها ملكة التصورات لمعاني التشبيهات وغيرها ، ولما اصبحت قريحتها تجود بمعان مبتكرة لم تسبق اليها رأى والدها أن تأخذ على اساتذة عروضيين من النساء الاديبات ، ولكنها فوجئت بالزواج قبل اتمام ذلك . وهنا ابتدأ الدور الثاني من حياتها ، وكانت في هذا الوقت قد تضلعت في اللغات الثلاث : العربية والفارسية والتركية

(١) نتائج الاحوال في الاقوال والافعال للمترجمة (٢) نتائج الاحوال في الاقوال والافعال للمترجمة

(٢) الدور الثاني — الزواج ، عهد الانقطاع للدرس والنظم

﴿عهد الزواج﴾ لم تفارق عائشة مرتبتها الاجتماعية بزواجها في سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م) من محمد بك توفيق نجل محمود بك سامي الاسلامبولي الذي كان حاكماً في السودان والذي كان والده السيد عبد الرحمن الاسلامبولي كاتباً للديوان الهابوني بالاستانة ، بل ظلت في تلك المرتبة تتمتع بما هيأت لها بيئتها من رغد العيش وترف حياة القصور ، وقد اقتصرت في هذا الدور من حياتها على المطالعة والانشاء دون الدراسة والتلقي ، اذ قد شغلتها مهام الزواج عن ذلك . فالتفتت الى تدبير المنزل وخصوصاً حينما رزقت بالاولاد ، و بقيت على هذا حتى شبت ابنتها « توحيدة » وكانت فطنة الذهن يقظة الفؤاد فألقت اليها بزمام منزلها فحملت على منكبيها الفتيين تبعة ادارته وتنظيمه . وفي تلك الفترة توفي والد الشاعرة في سنة ١٢٨٩ وزوجها في سنة ١٢٩٢ فأصبحت مالكة أمر نفسها

﴿عهد الانقطاع للدرس والنظم﴾ وحينئذ عاد اليها ذلك الشوق القديم والحب الذي ساير عمرها في الحزن والفرح ، حب الدرس والمطالعة فتفرغت لهما وكان اكثر ميلها الى علمي العروض والنحو فأخذت تتلقى الدروس فيهما على سيدتين احداهما تدعى فاطمة الازهرية ، والثانية ستيتة الطبلاوية ، قالت : « وكانت بنتي تلازم دروسنا في تلك المدة فاستطاعت بسبب حداثة سنها وتوقد ذهنها ان تلم بفن العروض اكثر من إلمامي به ! » واستمرت عائشة في الدرس حتى أتقنت العروض والنحو و برعت فيهما و بلغت في الشعر حداً لم يبلغه غيرها من نساء عصرها وصارت ندرة زمانها بين أهل الانشاء والانشاد ، وفي هذا الوقت أخذت تنظم القصائد الرنانة والموشحات والازجال المبتكرة البديعة في اللغات العربية والتركية والفارسية ، ولا يسعنا هنا الا الاعجاب بهذه الموهبة ، موهبة اللغات الثلاث ، التي نالتها امرأة مخدرة سبقت جيلنا بجيلين ! ، بل الاعجاب كل الاعجاب بقلم يعالج الشعر والآداب في لغات ثلاث ! ! وقد جمعت شاعرتنا من منظوماتها هذه ثلاثة دواوين ، وفيما هي تهتم بنشرها فوجئت بوفاة كريمتها « توحيدة » وهي في سن الثامنة عشرة من عمرها ، و بوفاتها ابتدأ الدور الاخير من حياة الشاعرة

(٣) الدور الثالث — « بيت الحزن » . أواخر أيامها . آثارها

قضت توحيدة ، ففجعت فيها الام وأقامت لها مناحة دامت سبع سنين متوالية ضعف فيها نظرها وأصيبت بالرمد . وهكذا صدمتها الحياة أشد صدمة عاشت بعدها تلك الاعوام الطوال في وحدة خدرها وراء الحجب وهي منتحبة ثائرة ، وقد شغلت عن عالم الشعر والادب بالحزن والبكاء وجعلت ديدنها النوح والرثاء . وقد أعطتنا في شعرها ونثرها صوراً مؤثرة لحالتها

ودامت الام الحزينة على النوح والرثاء حتى كثر قول عوازلها من أولادها وصويحباتها في ذلك ، وأخيراً سمعت قول الناصحين وقالت شيئاً فشيئاً من البكاء والنوح حتى شفاها الله من مرض

العيون ، وهذا خبر الشفاء من قولها : « أصبح جسمي الضعيف كأنه فاقد الحياة لكثرة اتعابي وأوصابي ثم انعم الله عليّ بالشفاء واشرقت ظلمات كآبتي بنور وجود ابني محمود فكان « فرحة بيت الحزن ! »

آثارها

وعادت الشاعرة في أواخر أيامها الى نشر آثارها بفضل ما بذله ابنها محمود هذا معها من النصح والرجاء والمؤاساة . ولولاه ما فكرت في شيء من هذا ولا وصل الينا من آثارها بعض ما نشر . وأخيراً نجح في طلبه اليها كتبها وأشعارها العربية والتركية والفارسية ليجمعها ويطبعها قائلاً لها : « لتكون أثراً من آثار براعتك وفصاحتك » فقالت : « في استطاعتي أن انظم الآن شيئاً من الشعر شكراً لله على ما وهبني من النعم ، أما أشعاري الماضية فكنت قد أحرقتها كلها ، ولا أظن أن في مكتبي الا الشيء اليسير منها بالعربية والتركية ، واما أشعاري الفارسية فانها لما كانت في محفظة فقيدتي فقد أحرقتها بمحفظتها كما احترق كبدي » . « ان امك يا بني لم تبق عندها الآن رغبة في قراءة شيء من كتب الادب ، وسأنصرف الى الانكباب على تفسير القرآن ومطالعة الحديث النبوي . واني وهبتك ما عندي من الكتب والاوراق فاصنع بها ما شئت ، واذا رأيت فيها جدارة بالطبع فاطبعها »[1]

وقد بادر هذا الابن البار الى اظهار فضل والدته الشاعرة بجمع من آثارها ما بقي مما تفرق مدة حزنها وطبعه فجاء منه :

(١) ديوان شعرها العربي المسمى : « حلية الطراز » وقد طبع في مصر مراراً
(٢) ديوان شعرها الفارسي والتركي المسمى « شكوفة » وقد طبع في مصر والاستانة
(٣) نتائج الاحوال في الاقوال والافعال » في الأدب . طبع في مصر
(٤) مرآة التأمل في الامور » وهي رسالة صغيرة نشرت في كتب ترجمتها

وقد وضعت التيمورية عدة روايات تمثيلية مثّل بعضها على ما علمت ، وقد بقيت منها رواية مكتوبة بخطها لا تزال في آثارها المخطوطة . ولما ظهرت مؤلفات الشاعرة احدثت ضجة في عالم الأدب وكان لها وقع عظيم في نفوس معاصريها فطار صيتها وانتشرت آثارها انتشاراً دلّ على سمو مكانتها في الشعر والادب . وفي اول القرن الحالي اعني في سنة ١٩٠٢ توفيت الشاعرة عن ٦٤ عاماً

نثرها وشعرها

❊ نثرها ❊ كان من الطبيعي ألا تنتج لنا مثل هذه البيئة المعنوية التي وجدت عائشة فيها ، الا وليدة مقلدة محدودة المعلومات مقطوعة الصلة بالحركة الذهنية في العالم ، بعيدة

(١) اقتبسنا هذه العبارة وعبارات اخرى سبقت في هذه الترجمة عن كلمة الآنسة الفاضلة « مي » التي نوهنا عنها في صدر هذه المقالة

عن التيار الفكري في الحياة الخارجة عنها ، ولكن التيمورية لم تكن كذلك تماماً ، فهي وان كانت لم تسلم من عيوب العصر كالتقليد والتسجيع وأمثاله فانها لم تكن محصورة العقلية محدودة المعلومات لأن سعة اطلاعها وتبحرها في أدبيات اللغات الثلاث ونبوغها في الشعر بهذه اللغات عن سليقة وسجية جعل لها ميزة خاصة قد امتازت بها على ادباء عصرها . فالتيمورية وان كانت شاركتهم في تقليد السلف حتى في الاساليب والصنعة والتقيد باللفظ والتسجيع في النثر ووضع التاريخ في الشعر والتشطير والتخميس وغيره ، وكل هذا كان مستفيضاً في ذلك العصر بل كان من مستلزماته ولكل هذا آثار في كتابتها ، لكنها تمتاز عنهم جميعاً باحكامها وسعة خيالها وقوته ، وحسن ذوقها وصدق عواطفها ونقاء لغتها واحتفائها بالمعنى .وعذوبة اللفظ وتقيدها بهما معاً

كتبت التيمورية نثرها لملء ساعات الفراغ الطويلة في تلك « الغربة » التي تأوي اليها أرواح الخواطر ، فكتبته بلغة المقامات التي وان كانت كلها سجعاً وحذلقة وكناية ، ولكنها كانت في عنايتها بدقائقها تشبه عناية الحسان في صنع الثنايا والشبائك والتخاريم (الدنتلا) ودقتها . بهذه اللغة كتبت عائشة كتابها « نتائج الاحوال في الاقوال والافعال » ولا يتعب القارىء العصري منه الا التزام السجع ، فيعود على كاتبتنا المسجعة باللوم ، مع أن عصرها غير عصره ، ومع انه لو رجع الى ما كتبه بعض كبار الناثرين في عهد الخديويين السابقين لما عثر على ما فيه ذرة من أحكام عائشة وصدق عواطفها . ولعائشة غير هذا رسائل شائقة متناهية في الرقة والمتانة ، طبع منها « رسالة مرآة التأمل في الامور »

﴿ شعرها ﴾ أما الشعر فقد قرضته التيمورية تحدياً لبعض من سبقها من « ذوات الخدر والاحساب » كقولها :

ولقد نظمت الشعر شيمة معشر   قبلي ذوات الخدر والاحساب

أو كما قالت :

ما قلتهُ الا فكاهة ناطق   يهوى بلاغة منطق وكتاب

وكان أول نطقها بالشعر (كما حكت عن نفسها) في اللغة الفارسية ، وهي اللغة « المدرسية » اذ ذاك لطائفة ممتازة من ادباء الشرق الادنى ، كاليونانية واللاتينية للاوربيين ، كما هي لغة الطبقة الراقية في الشرق الاقصى[١] . ثم قالت الشعر بالتركية لغة وطنها الاول ، وبالعربية لغة وطنها الجديد ، ووصلت في مدة وجيزة الى التبريز في الشعر العربي والابداع فيه عن ميل وسجية ، فبلغت حداً لم يبلغه غيرها من نساء عصرها بل والعصور السابقة لما بعد انقضاء الحضارة العربية ، فصارت ندرة زمانها بين أهل الانشاد والانشاء ، وأصبحت بحق هذه الشاعرة المصرية الفذة « شاعرة عصرها »

نظمت التيمورية القصائد في اكثر أبواب الشعر العربي ، واشتهرت في عالم الادب بمتانة

شعرها وجزالته مما يندر في النساء . وتمتاز في شعرها بقوة الاداء وصدق العواطف وانها في مقدمة الصادقين من شعرائنا ، كما يمتاز شعرها بمتانة الاحكام والبعد عن الغموض والتعقيد ، فهو على سهولة مبناه جليل المعنى رقيق بليغ ، لانه شعر أملته عليها عواطفها الحساسة . تجد هذا في شعرها الاخلاقي الذي توجته بتلك القصيدة الخالدة الشهيرة التي مطلعها :

بيد العفاف اصون عزّ حجابي وبعصمتي أسمو على أترابي

تلك القصيدة التي يجب أن تكون على لسان كل فتاة ، فتستظهر منها ناشئاتنا ما يصح أن يكون لسان حالهن بل نشيداً لهن . وتلك القصيدة التي مطلعها : « مرارة الصبر خصّت بالحلاوات » والتي تقول فيها : وما احتجابي عن عيب اتيت به وانما الصون من شأني وغاياتي

وكذلك القول في شعرها الديني . وتتجلى بلاغتها في مراثيها وشعرها الوجداني الذي يرسم نفسها الحزينة ، انظر قصيدتها الفريدة المؤثرة في رثاء ابنتها التي تقول فيها عن لسان فقيدتها :

وارحم شبابي ان والدتي غدت ثكلى يشير لها الجوى وتشير

اماه قد عزّ اللقاء وفي غد سترين نعشي كالعروس يسير

قولي لرب اللحد رفقاً بابنتي جاءت عروساً ساقها التقدير

فهذه القصيدة الطويلة من فاخر الشعر الراقي ، وهو الشعر الحقيقي المتدفق من اعماق النفس بتأثير الانفعال ، ألا يشبه ما فيها من رائع العواطف الملتهبة والمعاني الخلابة بما في تلك القصيدة الشهيرة المسماة La Canadienne التي تعد من مآثر الشاعر العظيم فيكتور هوجو وقد قالها عن لسان امرأة كندية ترثي ابنها ؟ !

فالتيمورية صادقة في شعرها كما هي صادقة في عاطفتها السياسية والوطنية التي تتلخص في مشايعتها للعرش والبيت المالك . فقد كانت عائشة « خديوية » في ميولها ، فظهر شعرها مطبوعاً بهذه الميول ، وقد كثر شعرها فيهم حتى يخيل لقارىء ديوانها انها تكاد تكون الشاعرة الخاصة للخديوي توفيق باشا بل شاعرة العائلة الخديوية جميعها . وقد تطرقت في مشايعتها للعرش في قصائد الثناء الى التعريض بخصومه ، فقد قالت عن رجال الثورة العرابية في قصيدة الترحيب بالخديوي بعد هذه الثورة :

ظلموا نفوسهم بخدعة مكرهم والمكر يصمي أهله ويحيق

فرّقت شمل جموعهم فمكانهم في الابتعاد وفي الوبال سحيق

ولا تتسع هذه الكلمة لايفاء حق التيمورية على الادب وتبيان ما يليق بفضل روحها الكبيرة وشخصيتها العظيمة

عبد الفتاح عبادة

(١) انظر كتاب انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي لكاتب هذا المقال

الايام – ٣

بقلم الدكتور طه حسين

أستاذ الادب بالجامعة المصرية

اطلعنا في المقالين الماضيين على « الايام » الاولى من تلك الحياة التي تسرد في هذه الفصول وها نحن أولاء نطالع الآن على « أيام » تالية لتلك . وان في كل يوم من هذه الايام من صدق الوصف وحلاوة التعبير ودقة التحليل والتشريح ما يجعل لها مقاماً ممتازاً بين منتجات الادب العربي [المحرر]

(٩) من ذلك اليوم انقطعت صلة الصبي التعليمية «بسيدنا» واتصلت بالعريف ولم يكن العريف أقل غرابة من سيدنا . كان شاباً طويلاً نحيفاً اسود فاحماً ، أبوه سوداني وأمه مولدة وكان سيء الحظ ، لم يوفق في حياته الى خير ، جرّب الاعمال كلها فلم يفلح في شيء منها ، أرسله أبوه عند كثير من الصناع ليتعلم صنعة فلم يفلح وحاول ان يجد له في معمل السكر شغل العامل أو الخفير أو البواب أو الخادم فلم يفلح في شيء من هذا ، وكان أبوه ضيق الصدر به ، يمقته و يزدريه و يؤثر عليه اخوته الذين يعملون جميعاً و يكسبون . وكان قد ذهب الى الكتّاب في صباه فتعلم القراءة والكتابة وحفظ سوراً من القرآن لم يلبث ان نسيها ، فلما ضاقت به الحياة وضاق بها أقبل الى سيدنا فشكا اليه أمره . قال له سيدنا : فتعال هنا فكن عريفاً ، عليك ان تعلم الصبيان القراءة والكتابة وتلاحظهم وتمنعهم من العبث وتقوم مقامي متى غبت ، وعلي ان أقرئهم القرآن واحفظهم اياه ، وعليك ان تفتح الكتّاب قبل ان تطلع الشمس وتشرف على تنظيفه قبل ان يحضر الصبيان ، وعليك ان تغلق الكتّاب متى صليت العصر وتأخذ مفتاحه وعليك مع هذا كله ان تكون يدي اليمنى ، ولك ربع ما يأتي به الكتّاب من نقد تقتضي ذلك في كل أسبوع أو في كل شهر

وتم هذا العقد بين الرجلين وقرآ عليه الفاتحة و بدأ العريف عمله

وكان العريف يبغض سيدنا بغضاً شديداً و يزدريه ولكنهُ يصانعهُ

وكان سيدنا يكره العريف كرهاً عنيفاً و يحتقره ولكنهُ يتملقهُ

فأما العريف فكان يكره سيدنا لانه أثر غشاش كذاب يخفي عليه بعض موارد الكتّاب و يستأثر بخير ما يحمل الصبيان معهم من طعام و يزدريه لانهُ كان ضريراً يتكلف الابصار وكان قبيح الصوت يتكلف حسن الصوت

وأما سيدنا فكان يكره العريف لانه مكار داهية ولانهُ يخفي عليه كثيراً مما ينبغي أن يعلمه

ولانهُ سارق يسرق ما يوضع بين يديهما من الطعام وقت الغداء ويختلس أطايبهُ ولانهُ يأتمر مع كبار الصبيان في الكتاب ويعبث معهم على غفلة منهُ فاذا صليت العصر وأغلق الكتاب كان بينهُ وبينهم مواعيد هناك عند شجر التوت أو عند « القنطرة » أو « في معمل السكر »

ومن غريب الامر ان الرجلين كانا صادقين مصيبين وانهما كانا مضطرين الى ان يتعاونا على كره ومضض ، أحدهما محتاج الى ان يعيش والآخر محتاج الى من يدبر له أمور الكتّاب

اتصل صبينا بالعريف وأخذ يتلو القرآن بين يديه ستة أجزاء في كل يوم ولكن ذلك لم يستمر ثلاثة أيام . ضاق الصبي بهذه التلاوة منذ اليوم الاول ، وضاق العريف بها منذ اليوم الثاني ، وتكاشفا بهذا الضيق في اليوم الثالث ، واتفقا منذ اليوم الرابع على ان يتلو الصبي في مره ستة أجزاء بين يدي العريف حتى اذا أحس اضطراباً أو غاب عنهُ لفظ سأل عنهُ العريف . وأخذ الصبي يأتي في كل يوم فيسلم على العريف ويجلس على الارض بين يديه ويحرك شفتيه متمتماً كأنهُ يقرأ القرآن ويسأل العريف من حين الى حين عن كلمة فيجيبه مرة ويتثاقل عنه مرة أخرى ، ويأتي سيدنا في كل يوم قبيل الظهر ، فاذا سلم وجلس كان أول عمل يأتيه ان يدعو الصبي فيسأله : أقرأت ؟ — نعم — من أين الى أين ؟ وكان الصبي يجيب : من البقرة الى « لتجدن » في يوم السبت . ومن « لتجدن » الى « وما أبرىء » في يوم الاحد . . . وكذلك قسم القرآن ستة أقسام اصطلح عليها الفقهاء وخص لكل يوم من الايام الخمسة قسماً من هذه الاقسام يخبر بهِ سيدنا متى سأله

ولكن العريف لم يكن ليكتفي بهذا الاتفاق الذي يريحهُ ويريح الصبي وانما كان يطمع في ان يستفيد من موقف الصبي بين يديه وكان ينذر الصبي من حين الى حين بأنهُ سيخبر سيدنا انهُ قد وجد بعض السور متعتعة عند الصبي « سورة هود » أو « سورة الانبياء » أو « سورة الاحزاب » . واذ كان القرآن كله متعتعاً (سيء الحفظ) عند الصبي لانهُ أهمل قراءته منذ أشهر فقد كان يكره ان يمتحنهُ سيدنا ويشتري صمت العريف بكل شيء . وكم دفع الى العريف ما كان يملأ جيبه من خبز او فطير او تمر . . . وكم دفع اليه هذا القرش الذي كان يعطيه اياه ابوه من حين الى حين والذي كان يريد ان يشتري به اقراص النعناع . وكم احتال على امه ليأخذ منها قطعة ضخمة من السكر حتى اذا وصل الى الكتاب دفعها الى العريف وانهُ ليشتهيها كلها أو بعضها فيأخذها العريف ويدعو بالماء يغمس فيه السكر ثم يمصهُ مصاً شديداً ثم يزدرد السكر وقد ذاب او كاد . . . وكم نزل عن طعامه الذي كان يحمل اليه من البيت ظهر كل يوم وانهُ لشديد الجوع ، ليأكل العريف مكانهُ ولا يخبر سيدنا بأن القرآن عنده متعتع . . .

على أن هذه الصلات المستمرة لم تلبث ان ضمنت له مودة العريف فقد اتخذه العريف صديقاً

وأخذ يصطحبه الى الجامع بعد الغداء ليصلي معه الظهر · ثم اخذ يعتمد عليه و يثق به و يطلب اليه ان يقرىء القرآن بعض الصبيان أو يسمعه من بعض الذين أخذوا يعيدون ويحفظون · وهنا كان صاحبنا يسلك مع تلاميذه مسلك العريف معهُ بالدقة . كان يجلس الصبيان بين يديه ويأخذهم بالتلاوة ثم يتشاغل عنهم بالحديث مع اترابه حتى اذا فرغ من حديثه التفت اليهم فاذا آنس منهم عبثاً او ابطاء أو اضطراباً فالنذير ثم الشتم ثم الضرب ثم إخبار العريف · والحق انهُ لم يكن أحسن حفظاً للقرآن من تلاميذه ، ولكن العريف قد اتخذ معهُ هذه الخطة فيجب ان يكون هو عريفاً حقاً واذا كان العريف لا يشتمهُ ولا يضربهُ ولا يرفع أمره الى سيدنا فذلك لانهُ يدفع ثمن ذلك كله غالياً · وقد فهم الصبيان هذا ، فأخذوا يدفعون له الثمن غالياً ايضاً ، وأخذ هو يسترد بالرشوة ما كان يدفع الى العريف · على ان رشوته كانت متنوعة فلم يكن محروماً في بيته ولم يكن في حاجة الى الخبز ولا الى التمر ولا الى السكر ، ولم يكن يستطيع ان يقبل « الفلوس » ، وماذا يصنع بالفلوس ولا يستطيع ان ينفقها وحده ؟ فهو ان قبلها دلَّ على نفسه وافتضح امره · واذاً فقد كان عسيراً وكان ارضاؤه شاقاً ، وكان الصبيان يتفننون في ارضائه فيشترون له اقراص النعناع و « السكر النبات » واللب و « الفول السوداني » وكان يتفضل بكثير من ذلك على العريف ولكن لوناً من الرشوة خاصاً كان يعجبهُ ويفتنهُ ويشجعهُ على أن يهمل واجبه اشنع اهمال ، وهذا اللون هو القصص والحكايات والكتب · فاذا استطاع الصبي ان يقص عليه احدوثة أو يشتري له كتاباً من هذا الرجل الذي يتنقل بالكتب في قرى الريف أو يتلو عليه فصلاً من قصة « الزير سالم » او « ابي زيد » فهو واثق بما شاء من رضاه ورفقه ومحاباته · وكان امهر تلاميذه في هذه صبية مكفوفة البصر يقال لها نفيسة · أرسلها اهلها الى الكتاب لتحفظ القرآن ، فحفظتهُ وأتقنت حفظه ووكلها سيدنا الى العريف ، ووكلها العريف الى صاحبنا · وأخذ صاحبنا يسلك معها مسلك العريف معهُ · وكان اهل هـذه الفتاة اغنياء ولكنهم من المحدثين ، كان ابوها حماراً ثم أصبح تاجراً مثرياً ، وكان ينفق على اهله من غير حساب و يسبغ عليهم سعة غريبة من العيش ، فلم تكن تنقطع الفلوس من يد نفيسة · وكانت اقدر الصبيان على تخير الرشا · ثم كانت احفظهم للقصص وأقدرهم على الاختراع وأحفظهم لألوان الغناء المفرح والتعديد المبكي وكانت تحسن الغناء والتعديد معاً ، وكانت غريبة الاطوار في عقلها شيء من الاضطراب فكانت تلهي صاحبنا اكثر وقته بحديثها وتعديدها وأقاصيصها وألوان رشوتها · وبينا كان صاحبنا يرشو ويرتشي ويخدع ويُخدع كان القرآن يمحى من صدره آية آية وسورة سورة حتى كان اليوم المحتوم · · · ويا له من يوم ! · · ·

* * *

(١٠) كان يوم الاربعاء ، وكان صاحبنا قد قضاه فرحاً مسروراً . زعم لسيدنا في أول النهار انه قد أتم الختمة ، ثم فرغ بعد ذلك لاستماع القصص والاحاديث وعبث الى آخر النهار

فلما انصرف من الكتاب لم يذهب الى البيت وانما ذهب مع جماعة من أصحابه الى الجامع ليصلي العصر . وكان يحب الذهاب الى الجامع والصعود في المنارة والاشتراك مع المؤذن في التسليم (وهو النداء الذي يلي الآذان الشرعي)

ذهب في ذلك اليوم وصعد في المنارة واشترك في الآذان وصلي وأراد أن يعود الى البيت ولكنه افتقد نعله فلم يجدها . كان قد وضعها الى جانب المنارة ، فلما فرغ من الصلاة ذهب يلتمسها فاذا هي قد سرقت . أحزنه ذلك بعض الشيء ولكنه كان فرحاً مبتهجاً هـذا اليوم فلم يجزع ولم يقدّر للامر عاقبة ، وعاد الى البيت حافياً . وما كان أبعد المسافة بين البيت والجامع ولكن ذلك لم يرُعه فكثيراً ما مشي حافياً

دخل البيت واذا الشيخ في المنظرة كعادته يدعوه : واين نعلاك ؟ فيجيب : نسيتهما في الكتاب . فلا يحفل الشيخ بهذا الجواب ثم يهمل الصبي حيناً ريثما يدخل فيتحدث الى امه واخوته قليلاً ويأكل كسرة من الخبز كان من عادته ان يأكلها متى عاد من الكتاب . ثم يدعوه الشيخ فيسرع الى اجابته . فاذا استقر به مكانه قال له ابوه : ماذا تلوت اليوم من القرآن ؟ فيجيب : ختمته وتلوت الاجزاء الستة الاخيرة . قال الشيخ : وما زلت تحفظه حفظاً جيداً ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فاقرأ لي سورة سبأ . وكان صاحبنا قد نسي سورة سبأ كما نسي غيرها من السور . فلم يفتح الله عليه بحرف . قال الشيخ : فاقرأ سورة فاطر فلم يفتح الله عليه بحرف . قال الشيخ في هدوء وسخرية : وقد زعمت انك ما زلت تحفظ القرآن ! فاقرأ سورة يس . ففتح الله عليه بالآيات الاولى من هذه السورة ولكن لسانه لم يلبث ان انعقد وريقه لم يلبث ان جفّ وأخذته رعدة منكرة تصبب على أثرها في وجهه عرق بارد . قال الشيخ في هدوء : قم واجتهد في أن تنسى نعليك كل يوم فما أرى الا انك أضعتهما كما أضعت القرآن ، ولكن لي مع سيدك شأناً آخر

خرج صاحبنا من المنظرة منكس الرأس مضطرباً يتعثر . ومضى في طريقه حتى وصل الى الكرار . والكرار حجرة في البيت كانت تدخر فيها ألوان من الطعام ، وكان يربى فيها الحمام ، وكانت في زاوية من زواياها القرمة (وهي قطعة ضخمة عريضة من الخشب كأنها جذع شجرة كانت امه تقطع عليها اللحم وكانت تدع على هذه القرمة طائفة من السكاكين منها الطويل ومنها القصير ومنها الثقيل ومنها الخفيف)

مضى صاحبنا حتى وصل الى الكرار وانعطف الى الزاوية التي فيها القرمة وأهوى الى الساطور وهو أغلظ ما كان عليها من سكين وأحدّه وأثقله ، فأخذه بيمناه وأهوى به الى قفاه ضرباً . ثم صاح وسقط الساطور من يده وأسرعت أمه اليه وكانت قريبة منه لم تحفل به حين ما مرّ بها فاذا هو واقف يضطرب والدم يسيل من قفاه والساطور ملق الى جانبه . . . وما اسرع

ما القت أمه نظرة الى الجرح وما اسرع ما عرفت انهُ ليس شيئاً . وما هي الا أن انهالت عليه شتماً ولوماً وتأنيباً ثم جذبتهُ من احدى يديه حتى انتهت به الى زاوية من زوايا المطبخ فألقته فيها القاء وانصرفت الى عملها . ولبث صاحبنا في مكانه لا يتحرك ولا يتكلم ولا يبكي ولا يفكر كأنهُ شيء . واخوته واخواته من حوله يضطربون و يلعبون لا يحفلون به ولا يلتفت اليهم

وقربت المغرب واذا هو يدعى ليجيب أباه فخرج خزيان متعثراً حتى انتهى الى المنظرة فلم يسأله أبوه عن شيء وانما ابتدره سيدنا بهذا السؤال : ألم تقرأ عليَّ اليوم الاجزاء الستة من القرآن ؟ قال : بلى . — ألم تقرأ عليَّ امس سورة سبأ ؟ قال بلى . — فمالك لم تستطع أن تقرأها اليوم ؟ فلم يجب . قال سيدنا : فاقرأ سورة سبأ . فلم يفتح الله عليه منها بحرف . قال ابوه : فاقرأ السجدة . فلم يحسن شيئاً . هنا اشتد غضب الشيخ ولكن على سيدنا لا على الصبي . قال : واذاً فهو يذهب الى الكتاب لا ليقرأ ولا ليحفظ ولا لتُعني به أو تلتفت اليه وانما هو لعب وعبث ! ولقد عاد اليوم حافياً وزعم انه نسي نعليه في الكتاب . . . وما اظن عنايتك بحفظه للقرآن الا كعنايتك بمشيه حافياً او ناعلاً . . . قال سيدنا : اقسم بالله العظيم ثلاثاً ما اهملته يوماً ، ولولا اني خرجت اليوم من الكتاب قبل انصراف الصبيان لما رجع حافياً ، وانه ليقرأ عليَّ القرآن مرة في كل اسبوع ستة أجزاء في كل يوم اسمعها منه متى وصلت في الصباح . قال الشيخ : لا أصدق من هذا شيئاً . قال سيدنا : امرأتي طالق ثلاثاً ما كذبتك قط وما أنا بكاذب الآن واني لاسمع له القرآن مرة في كل أسبوع . قال الشيخ : لا أصدق . قال سيدنا : أفتظن أن ما تدفع اليَّ في كل شهر أحبُّ اليَّ من امرأتي أم تظن أني في سبيل ما تدفع اليَّ استحلُّ الحرام وأعيش مع امرأة طلقتها ثلاثاً بين يديك ؟ قال الشيخ : ذلك شيء لا شأن لي به ولكن هذا الصبي لن يذهب الى الكتاب منذ غد . ثم نهض فانصرف ونهض سيدنا فانصرف كئيباً محزوناً ، وظلَّ صاحبنا في مكانه لا يفكر في القرآن ولا فيما كان وانما يفكر في مقدرة سيدنا على الكذب وفي هذا الطلاق المثلث الذي ألقاه كما يلقي سيجارته متى فرغ من تدخينها

ولم يظهر الصبي في هذه الليلة على المائدة ومكث ثلاثة ايام يتجنب مجلس ابيه و يتجنب المائدة حتى اذا كان اليوم الرابع . دخل ابوه عليه في المطبخ حيث كان يحب ان ينزوي الى جانب الفرن . فما زال يكلمه في دعابة ولطف ورفق حتى انس الصبي اليه وانطلق وجهه بعد عبوسه وأخذه أبوه بيده فأجلسه مكانه من المائدة ، وعني به اثناء الغداء عناية خاصة . حتى اذا فرغ الصبي من طعامه ونهض لينصرف قال له ابوه هذه الجملة في مزاح قاس لم ينسه قط لانه اضحك منه اخوته جميعاً ولانهم حفظوها له وأخذوا يغيظونه بها من حين الى حين ، قال له : أحفظت القرآن ؟

(١١) وانقطع الصبي عن الكتاب ، وانقطع سيدنا عن البيت والتمس الشيخ فقيهاً آخر يختلف الى البيت في كل يوم فيتلو فيه سورة من القرآن مكان سيدنا و يقرىء الصبي ساعة أو ساعتين . وظل الصبي حراً يعبث و يلعب في البيت متى انصرف عنه الفقيه الجديد حتى اذا كان العصر أقبل عليه اصحابه ورفاقه منصرفهم من الكتاب فيقصون عليه ما كان في الكتاب وهو يلهو بذلك ويعبث بهم و بكتابهم وبسيدنا وبالعريف . وكان قد خيل اليه ان الامر قد انبت بينه وبين الكتاب ومن فيه ، فلن يعود اليه ولن يرى الفقيه ولا العريف فاطلق لسانه في الرجلين اطلاقاً شنيعاً ، واخذ يظهر من عيوبهما وسيئاتهما ما كان يخفيه ، واخذ يلعنهما امام الصبيان ويصفهما بالكذب والسرقة والطمع ويتحدث عنهما باشياء منكرة كان يجد في التحدث بها شفاء لنفسه ولذة لهؤلاء الصبيان وما له لا يطلق لسانه في الرجلين وليس بينه وبين السفر الى القاهرة الا شهر واحد ؟ فسيعود أخوه الازهري من القاهرة بعد ايام حتى اذا قضى اجازته اصطحبه الى الازهر حيث يصبح مجاوراً وحيث تنقطع عنه اخبار الفقيه والعريف

الحق انه كان سعيداً في هذه الايام . كان يشعر بشيء من التفوق على رفاقه وأترابه ، فهو لا يذهب الى الكتاب كما يذهبون وانما يسعى اليه الفقيه سعياً ، وسيسافر الى القاهرة حيث الازهر وحيث « سيدنا الحسين » وحيث « السيدة زينب » وغيرهما من الاولياء . وما كانت القاهرة عنده شيئاً آخر ، انما كانت مستقر الازهر ومشاهد الاولياء والصالحين

ولكن هذه السعادة لم تدم الا ريثما يعقبها شقاء شنيع . ذلك أن سيدنا لم يطق صبراً على هذه القطيعة ولم يستطع أن يحتمل انتصار الشيخ عبد الجواد عليه فاخذ يتوسل بفلان وفلان الى الشيخ وما هي الا ان لانت قناة الشيخ وأمر الصبي بالعودة الى الكتاب متى أصبح . عاد كارهاً مقدراً ما سيلقاه من سيدنا وهو يقرئه القرآن للمرة الثالثة ، ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد فقد كان الصبيان ينقلون الى الفقيه والعريف كل ما يسمعون من صاحبهم . ولله أوقات الغداء طوال هذا الاسبوع وما كان سيدنا ينال به الصبي من لوم وما كان العريف يعيد عليه من الفاظه تلك التي كان يطلق بها لسانه مقدراً انه لن يرى الرجلين

في هذا الاسبوع تعلم الصبي الاحتياط في اللفظ وتعلم أن من الخطل والحمق الاطمئنان الى وعيد الرجال وما يأخذون أنفسهم به من عهد ، ألم يكن الشيخ قد أقسم لا يعود الصبي الى الكتاب أبداً ؟ وها هوذا قد عاد . وأي فرق بين الشيخ يقسم ويحنث وبين سيدنا يرسل الطلاق والايمان ارسالاً وهو يعلم انه كاذب ؟ وهؤلاء الصبيان يتحدثون اليه فيشتمون له الفقيه والعريف ويغرونه بشتمهما حتى اذا ظفروا منه بذلك تقربوا به الى الرجلين وابتغوا به اليهما الوسيلة . وهذه امه تضحك منه وتغري به سيدنا حين أقبل يتحدث اليها بما نقل اليه الصبيان . وهؤلاء اخوته يشمتون به و يعيدون

عليه مقالة سيدنا من حين الى حين يغيظونه و يثيرون سخطه • ولكنه كان يحتمل هذا كله في صبر وجلد • وما له لا يصبر ولا يتجلد ولبس بينه وبين فراق هذه البيئة كلها الا شهر أو بعض شهر

***

(١٢) ولكن الشهر مضى ورجع الازهري الى القاهرة وظل صاحبنا حيث هو كما هو لم يسافر الى الازهر ولم يتخذ العمة ولم يدخل في جبة أو قفطان

كان لا يزال صغيراً ولم يكن من اليسير ارساله الى القاهرة ولم يكن أخوه يحب أن يحتمله فاشار بأن يبقى حيث هو سنة اخرى • فبقي ولم يحفل أحد برضاه أو غضبه

على أن حياته تغيرت بعض الشيء فقد اشار اخوه الازهري بان يقضي هذه السنة في الاستعداد للازهر ودفع اليه كتابين يحفظ احدهما جملة ويستظهر من الآخر صحفاً مختلفة

فأما الكتاب الذي لم يكن بد من حفظه كله فألفية ابن مالك • واما الكتاب الآخر فمجموع المتون • وأوصى الازهري قبل سفره بأن يبدأ بحفظ الالفية حتى اذا فرغ منها واتقنها اتقاناً حفظ من الكتاب الآخر أشياء غريبة بعضها يسمى الجوهرة و بعضها يسمى الخريدة و بعضها يسمى السراجية و بعضها يسمى الرحبية و بعضها يسمى لامية الافعال • وكانت هذه الاسماء تقع من نفس الصبي مواقع تيه واعجاب لانهُ لا يفهم لها معنى ولانهُ يقدر انها تدل على العلم ولانهُ يعلم ان أخاه الازهري قد حفظها وفهمها فأصبح عالماً وظفر بهذه المكانة الممتازة في نفس ابويه واخوته واهل القرية جميعاً • ألم يكونوا جميعاً يتحدثون بعودته قبل ان يعود بشهر ؟ حتى اذا جاء اقبلوا اليه فرحين مبتهجين متلطفين ؟ ألم يكن الشيخ يشرب كلامه شرباً و يعيده على الناس في اعجاب وفخار ؟ ألم يكن اهل القرية يتوسلون اليه ان يقرأ لهم درساً في التوحيد أو الفقه ؟ وماذا عسى ان يكون التوحيد ؟ وماذا عسى ان يكون الفقه ؟ ثم ألم يكن الشيخ يتوسل اليه ملحاً مستعطفاً مسرفاً في الوعد باذلا ما استطاع وما لم يستطع من الأماني ليلقي على الناس خطبة الجمعة ؟ ثم هذا اليوم المشهود يوم مولد النبي ، ماذا لقي الازهري من اكرام وحفاوة ومن تجلة واكبار ! كانوا قد اشتروا له قفطاناً جديداً وجبة جديدة وطربوشاً جديداً و«مركوباً» جديداً • وكانوا يتحدثون بهذا اليوم وما سيكون منهُ قبل ان يظلهم بايام حتى اذا اقبل هذا اليوم وانتصف اسرعت الاسرة الى طعامها فلم تصب منهُ الا قليلاً ولبس الفتى الازهري ثيابه الجديدة واتخذ في هذا اليوم عمامة خضراء والقى على كتفيه شالاً من الكشمير وامهُ تدعو وتتلو التعاويذ وابوه يخرج و يدخل جذلان مضطرباً • حتى اذا تم للفتى من زيه وهيئتة ما كان يريد خرج فاذا فرس ينتظره بالباب واذا رجال يحملونهُ فيضعوه على السرج واذا قوم يكتنفونهُ من يمين ومن شمال وآخرون

يسعون بين يديه وآخرون يمشون من خلفه واذا البنادق تطلق في الفضاء واذا النساء يزغردن من كل ناحية واذا الجو يتأرج بعرف البخور واذا الاصوات ترتفع متغنية بمدح النبي ، واذا هذا الحفل كلهُ يتحرك في بطء وكأنما تتحرك معهُ الارض وما عليها من دور ، كل ذلك لان هذا الفتى الازهري قد اتخذ في هذا اليوم خليفة فهو يطاف به في المدينة وما حولها من القرى في هذا المهرجان الباهر وما باله اتخذ خليفة دون غيره من الشبان ؟ لانهُ ازهري قد قرأ العلم وحفظ الالفية والجوهرة والخريدة

فلم لا يبتهج الصبي حين يرى ان سيقرأ من العلم ما قرأ اخوه وأن سيمتاز من رفاقه واترابه بحفظ الالفية والجوهرة والخريدة

وكم كان فرحاً مختالاً حين غدا الى الكتاب يوم السبت وفي يده نسخة من الألفية ! لقد رفعته هذه النسخة درجات وان كانت هذه النسخة ضئيلة قذرة سيئة الجلد ، ولكنها على ضآلتها وقذارتها كانت تعدل عنده خمسين مصحفاً من هذه المصاحف التي كان يحملها اترابه

المصحف ؟ لقد حفظ ما فيه فما افاد من حفظه شيئاً . وكثير من الشبان يحفظونه فلا يحفل بهم احد ولا ينتخبون خلفاء يوم المولد النبوي ...

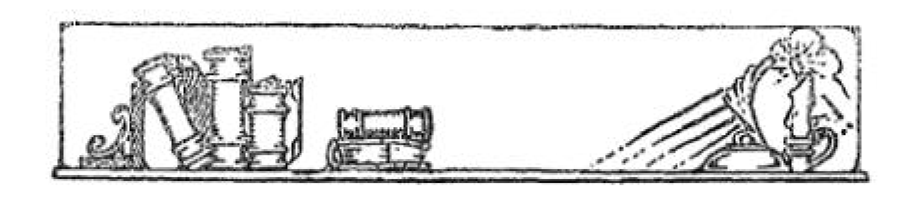
ولكن الألفية .. وما ادراك ما الالفية ؟ وحسبك ان سيدنا لا يحفظ منها حرفاً . وحسبك ان العريف لا يحسن ان يقرأ الابيات الاولى منها . والالفية شعر ، وليس في المصحف شعر

الحق انه ابتهج بهذا البيت

قال محمد هو ابن مالك   احمد ربي الله خير مالك

ابتهاجاً لم يشعر بشيء مثله امام اي سورة من سور القرآن

« لها بقية »   طه حسين



أحلامنا صورة شهواتنا

ومرآة لثقافة أسلافنا

في مقدمة ما يشغل علماء النفس الآن درس الاحلام وتفسيرها تفسيراً علميا . وقد أجاد الاستاذ سلامه موسى في بيان اتجاه البحث الحديث في هذا الشأن ، وفي ايراد الامثلة التي تقرب هذا الموضوع الخطير الى الفهم [المحرر]

ليس شك في أن الذريات القادمة ستضع « فرود » في صف « داروين » فان كلاً منهما فتح باباً لعلم جديد لا يزال الآن عاماً والكتب التي توضع في شرحه تعد بالعشرات . والعلماء في كل مكان يتدارسونه ويكشفون مجاهله . فان «داروين» وضع أساس نظرية التطور ووضع «فرود» أساس نظرية العقل الباطن . والنظريتان على كثرة ما كتب فيهما وعلى قدم الاولى التي ترجع الى سنة ١٨٥٩ وحداثة الثانية التي ترجع الى سنة ١٨٩٢ لا تزالان تثيران البحث وتكشفان من المجاهل ما لا تنتهي من العجب منه . وبين العلمين علاقة بل علاقات ولكن يمكن أن نقول ان نظرية التطور كما فهمها « داروين » ترمي الى البحث عن طبيعة الجسم الانساني وأصله وتطوره . أما نظرية العقل الباطن عند « فرود » فترمي الى البحث عن طبيعة نفس الانسان وتطورها

وكما ان داروين قد أثار عاصفة من العداء والجدل فان «فرود» يثير الآن اعصاراً من البغض والمقت بين بعض الناس . فقد كان اكبر ما أحنق الناس في عصر «داروين» قوله ان الانسان والحيوان من أصل واحد . والآن يقول «فرود» ما هو أسوأ من ذلك : يقول ان الغريزة الجنسية هي اساس خواطرنا واحلامنا وان حبسها هو علة الهستيريا عند النساء والنورستينيا عند الرجال وانها ايضاً العلة الوحيدة لصنوف الهوس التي تصيب بعض الناس . ثم يتدرج من ذلك الى ان الاساطير القديمة ترجع الى هذه الغريزة وان الانسان اهتدى الى اللغة عن سبيلها ايضاً

واكبر ما يعتمد عليه «فرود» في نظريته هو «التحليل النفسي» يحلل الاحلام والخواطر (اي احلام اليقظة) كما يحلل اعراض الامراض الهستيرية والنورستينية . وهو يرى ان الحلم يعبر عن شهوة ما ولكنه في اكثر الحالات يعبر عن شهوة جنسية

ولكن فرود ليس سلطاناً بل رائداً فتح الطريق وجاء بعده تلاميذه فاهتدوا بهديه اولاً ولكنهم استقلوا عنه وشق كل منهم طريقاً لنفسه

ففرود يسود المدرسة النمسوية ويكاد يقول ان الشهوة الجنسية هي كل شيء في العقل الباطن وانا يجب ان نتوهمها في الاحلام والخواطر والامراض النفسية

ويسود في زوريخ الاستاذ «يونج» وهو يخرج على «فرود» من حيث انه يقول ان العامل الاصلي

في العقل الباطن ليس الشهوة الجنسية بل شهوة الحياة والرقي · ويتصوف احياناً فيقول ان للامم والشعوب عقلاً باطناً يتلخص في كل فرد

اما في انجلترا فان الدكتور « رفرز » يسود ويقود طائفة « المحللين للنفس » واهم ما يمتاز به استشفافه العقل الباطن في الاساطير القديمة واثباته ان الحلم قد يكون احياناً محاولة يحاول فيها العقل الباطن ايجاد حل يعاون به العقل الواعي وانه لا يدل في كل الحالات على شهوة كامنة

ومن الانصاف ان نقول ان في هذا العلم الآن بعض الخبط يرجع الى انه في طور البداية · ولكن من الحق ايضاً ان نقول اننا نشعر ونحن نقرأ مؤلفات هؤلاء العلماء انهم يكشفون لنا مجاهل ما كنا ندري بها · نقف امامها حائرين متعجبين لهذا العالم الغريب الذي كنا نجهله

وسيرى القارىء في ما يلي شرحاً لهذه النظرية مع اختبارات قليلة تجرأ كاتب هذه السطور على اثباتها وبحثها هنا

* * *

سرائر النفوس ومنطويات الضمائر تتضح في الاحلام اكثر مما تتضح في أوقات اليقظة . وهي ايضاً تتضح في فلتات اللسان وقت الغفلة أو الاعياء وان كان وضوحها هنا أقل من وضوحها في الحلم لأن الانسان وهو يحلم يفقد وعيه فتنطلق افكاره وتجري خواطره طبق مشتهياته . وذلك لاننا ونحن في يقظتنا نعمل بعقلنا الواعي فتتقيد خواطرنا بالظروف التي تحوطنا حيث نرانا مصطدمين بالحقائق التي لا نستطيع تبديلها . ولكننا ونحن في النوم نحيا حياة غير واعية أي لا نعي ما حولنا فتنطلق خواطرنا لا تقيدها الحقائق ولا تصدمها . فما نكبس في أوقات يقظتنا من الخواطر والشهوات ينطلق في أوقات نومنا وايضاً في أوقات غفلتنا عندما نسهو ويخمد العقل الواعي فيطمو به العقل الباطن ويتغلب عليه ويجري على لساننا كلمة لم نكن لنقولها لو كنا في وعينا التام

والخلاصة اننا في يقظتنا نعمل بالعقل الواعي نعي ما نفعل وما نقول وفي نومنا وغفلتنا نعمل بالعقل الباطن فلا نعي ما نهجس به

واذا نحن نظرنا الى الحيوان ألفيناه يعمل بعقله الباطن اكثر مما يعمل بعقله الواعي · فهو يسير كانه انسان غافل · واقل الحيوان وعياً أبعدها عنا واكثرها وعياً أقربها الينا . فاذا قلنا مثلاً ان البقرة انسان غافل فان السمكة انسان نائم . والدودة وهي صاحية تتحرك تكاد تكون أقل يقظة منا ونحن في نومنا

وليس بين الحيوان ما يماثل الانسان في وعيه · وحسبك دليلاً على ذلك ان للانسان غداً وامساً والقردة العليا نفسها لا يبلغ وعيها بنفسها أن تشعر فوق وجودها الحاضر بالغد والامس

ولكن ليس معنى ذلك اننا في نومنا نحيا حياة الحيوان فقط لاننا وان كنا نفقد وعينا فاننا مع ذلك لنا ذهن انسان تمر بنا في يقظتنا تجارب واختبارات انسانية . فنحن اذا حلمنا رأينا شيئاً من

هذه الاختبارات والتجارب لاننا لا نعرف غيرها أو قل اننا نعرفها اكثر مما نعرف أي شيء آخر.

ولكن هل نعرف شيئاً آخر غير اختباراتنا وتجاربنا ؟ اجل . نعرف اختبارات آبائنا الاقربين قبل الحضارة كما نعرف شيئاً قليلاً وخاصة وقت طفولتنا من اختبارات جدودنا قبل خروجهم من الاشجار واستقرارهم في الكهوف . فالطفل وهو يحلم بانه يقع من الشجرة أو من علٍ يستعيد ذكرى الجدود قبل مليون سنة ويجدد لنا اختباراً قديماً اختبرناه ونحن نمشي على أربع ونعيش على الاشجار ونقع منها . والطفل يمشي على أربع و يقع في حلمه من مكان عال

لكن الشاب البالغ لا يمشي على اربع ولا يحلم انه يتردى من علٍ لانه قد عدا هذا الطور . ولكنه في أحلامه يعيد الينا اختبارات الانسان الاول فهو اذا اغتاظ من خصمه لم يعمد في حلمه الى الحاكم فيشكوه بل يعمد الى طرق العصر الحجري فيتناول فاساً أو مدية و يقتله.

ومعنى ذلك اننا في احلامنا نسلك في تفكيرنا المسالك القديمة التي كان آباؤنا في العصر الحجري يسلكونها . فاحلامنا الحديثة هي ثقافة آبائنا القديمة . ومما يبصر القارىء بذلك اننا قليلاً ما نستعمل اللغة في الاحلام فالحلم هو « الرؤيا » التي نراها . فهو ليس شيئاً نسمعه بل شيئاً نراه وذلك لان اللغة حديثة العهد وكان آباؤنا القدماء أشبه بالخرس منهم بالمعربين . ثم مما يبصرنا ايضاً اننا نستعمل رموزاً في الحلم تشبه الرموز التي يستعملها الاخرس عند الكلام أو التي يستعملها الهمج من الناس عند التعبير اذا اعوزتهم اللغة . والهمج الآن يمثلون اسلافنا القدماء.

ولذلك فان درس الاحلام وما فيها من رموز عديدة سيبسط امام أعيننا ثقافة آبائنا كيف اخترعوا اللغة و كيف انشأوا الاديان والفوا الاساطير.

فالحلم في طريقته يجري على النمط القديمة ولكنه في غايته يعبر عن اغراضنا الراهنة التي تشغل بالنا وقت يقظتنا . فاننا وقت اليقظة نتقيد بالظروف فلا نحقق كل مشتهياتنا ورغباتنا فاذا نمنا انطلقت هذه القوة المحبوسة فنحقق في النوم بالعقل الباطن ما عجزنا عن تحقيقه في اليقظة . ولذلك فان اكثر ما تعبر عنه الاحلام هذه الرغبات والمشتهيات كالصائم يمنعه الطبيب عن الطعام فيحلم بتناول اشهى المأكولات و كالشاب يتأجج شوقاً لحبيبته فيرى طيفها في المنام . ولكن ليست كل الاحلام تعبر على الدوام عن شهواتنا ورغباتنا فان العقل الباطن يحاول احياناً ان يحل المشكلات التي تعرض لنا وقت اليقظة . واحياناً ينير الحلم طريق الهداية لنا في حياتنا

وفي ما يلي سأذكر للقارىء بعض الاحلام التي وقعت لي او لاصدقائي لننظر اليها في ضوء التفسير السابق :

١ — كان عليّ دعوى مدنية قد صرت فيها عرضة لأن اخسر نحو ٢٥٠ جنيهاً وكان عندي مستند ينجيني منها ولكني اضعته . فرأيتني في الحلم وانا واقف امام الخصم ومعي ثلاثة مستندات اتباهى بها امامه وقد طربت بلذة الظفر به . وهذا حلم خلو من الصنعة كما انه خلو من الثقافة وكل

ما فيه انه همجي فقد وقف مني عقلي الباطن موقف الصديق المغفل الذي يقول : فيم الغضب والاسف ؟ اضعت ورقة فهاك ثلاث ورقات · فرؤياي هنا ساذجة تشبه رؤيا الجائع الذي يحلم بالموائد المبسوطة امامه

٢ — صاحب الرؤيا هنا شاب لم يتزوج في نحو الثامنة عشرة · فهو اذن متهم في كل ما يحلمه في غريزته الجنسية · رأى جملة مرار انه في حفلة عرس يأكل سمكاً مزخرفاً مما يرى عادة في الولائم · وتأويل هذا الحلم انهُ يرغب في الزواج ولكن ظروفه تمنعهُ فالسمكة رمز للمرأة واحساس الجوع قريب من الاحساس بالغرام · وعند سؤالي له هل تعرف اغنية بها ذكر السمك اجاب على الفور : «سمك يا بني لعبك في الميه جنني»

وعند ما سئل : هل كان الطعام طيباً ؟ اجاب « لذيذ » فأعدت السؤال بطرق مختلفة فكان الجواب « لذيذ » على الدوام

وهذا الحلم ساذج ايضاً ولكن لغة الاحلام وهي الرموز واضحة في الرمز بالسمكة للمرأة

٣ — ف ··· يتشاجر كثيراً مع زوجته وقد خطر له في يقظته ان ينفصل منها بطلاق ولكنه كره ذلك للعار الذي يلصق بكل مطلق · فهو يرى في حلمه انهُ في زورق صغير يجذف ويخرج به الى البحر كأنهُ يتنزه · وكان قد اخذ هذا الزورق من صاحبه بالاجرة · فبينما هو عائد الى المكان الذي استأجر منهُ الزورق خطر له ان يلقيه الى الشاطىء في نصف الطريق و يتركه ويخرج · وفعل ذلك · وبينما هو خارج وقع في الطين وتلطخ بالوحل · فعاد الى الزورق وقال لنفسه : « لا · يجب ان اذهب به الى صاحبه · ولكن يجب ان اريح الزورق بأن افتح له متنفساً في طرفه » و بينما هو يهم بالتجذيف رأى فتاة تنزل في زورق آخر ومعها عائلتها

وتأويل هذا الحلم ان الزورق هو المرأة اي زوجته وهنا يجب ان نذكر ان العرب اطلقوا لفظ « الجارية » على السفينة وكلنا يعرف ان « الجواري المنشآت » هي السفن · فالحلم يصف حياته الزوجية وانها سارت هوناً على الماء في شبه نزهة · ثم حدث الخلاف فاراد ان يترك زوجته فحسب لعار الطلاق · ورأى انه في تركها يتلطخ بالوحل · والوحل هو العار · ثم حاول عقله الباطن ان يحل هذا المشكل فنصح له ان يستأنف حياته الزوجية و يسير بالزورق بعد ان اشار عليه بالتفريج لزوجته بان يقلل من ضغط عواطفها وعند ذلك رسم له الحياة الزوجية الهنية في فتاة جميلة تسير بين اعضاء عائلتها · ففي الحلم شيء من الثقافة القديمة وهو الرمز للمرأة بالسفينة وشيء من الذكاء ابداه العقل الباطن في نهي صاحبه عن الطلاق

٤ — هذا الحلم الاخير لي ابتعثه في ذهني وانا نائم حادثة حدثت في النهار · فقد وقع في يدي كتاب جديد فتصفحتهُ فألفيتهُ قائماً على الصناعة اللفظية مغرقاً فيها فألقيتهُ باشمئزاز وانا اقول : الفاظ · الفاظ · وفي نومي رأيت اني صبي صغير العب وانا حافي القدمين على جسر مصنوع من

الخشب في الزقازيق ثم نظرت واذا بجنازة عجيبة تسير امامي فقد كان الميت هو الشاعر الجاهلي لبيد الذي يقال انهُ عاش ١٤٥ سنة ولم يكن ميتاً موتاً مألوفاً لانهُ كان قاعداً فوق نعشه وهو في حجم عشرين رجلاً والدم يسيل من انفه كالبحر وهو يقول الشطرة الثانية من هذا البيت :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟

ولكنهُ مع كلامه هذا كان ميتاً يتبع نعشه مشهد فيه رجال عليهم خشوع الجنازة · ونظرت اليه وانا واقف على الجسر فشعرت بالراحة والعَجَب والخوف

وتفسير هذا الحلم اني اكره الصنعة في الكتابة و كثيراً ما اقول في الجدل بشأن اولئك الكتاب الذين يعنون بالالفاظ انهم يحاولون ان يجعلونا نكتب بلغة عرب الجاهلية · وقلت مراراً ان العرب قد انغمسوا في الصنعة ومضى عليهم اكثر من الف عام وهم فيها · فنشأ في عقلي الباطن فكرتان :

١ ـ ان الصنعة تجعل اللغة غريبة عنا حتى لتشبه لغة عرب الجاهلية

٢ ـ ان الكتاب العرب انغمسوا في الصنعة مدة طويلة جداً

فرمز عقلي الباطن الى هاتين الفكرتين بلبيد الشاعر · وذلك لانه : ١ ـ جاهلي ولانه : ٢ ـ عاش عمراً طويلاً · ثم رسمه امامي كما اشتهي انا اي ميتاً لاني احب ان تموت الصنعة · وجعله ضخماً جداً رمزاً لطول عمره · وجعله ينشد امامي هذا البيت لان فيه معنى السأم من طول الحياة وانا ايضاً قد سئمت الصنعة

ولكن بقي شيء آخر وهو اني في منتصف الجسر · وعلى طرفي الجسر طريقان الطريق الذي حملت فيه جنازة لبيد وهو أمامي وطريق آخر ورائي · فما معنى ذلك ؟ معناه ما اعترك في نفسي في السنوات الاخيرة من الولاء لثقافة العرب أو العداء لها وهل اتركهم وأسير في الطريق الآخر الذي وراء الجسر او اقنع بان لبيداً قد مات وان لنا لغة الآن هي غير لغة عرب الجاهلية ؟

وليس ما شعرت به من « الراحة والعجب والخوف » سوى ما يخالج ضميري عند الكلام عن التجديد والشرق والغرب واللغة القديمة والحديثة · والى هنا أنا قانع بهذا التحليل ولكن يمكنني ان ازيد عليه ان عقلي الباطن اختار لبيداً لعلاقة لفظية · فاني مشغول هذه الايام بقراءة بعض الكتب في التحليل النفسي · ولا يخلو منها كتاب من ذكر لفظة « لبيدو » وهي القوة النفسية التي تبتعث الخواطر والاحلام · وكان قد خطر في بالي ان اعرب هذه اللفظة واجعلها في العربية « لبيد » وقلت في نفسي : اني كما اشعت لفظتي ثقافة وطوبي ومصرلوجية وغيرها فاني اشيع هذه اللفظة فهجس بي هاجس عن مقاومة الرجعيين والجامدين فدخلت اللفظة في مادة الحلم

سلامه موسى

العالم بعد مائة سنة : تنبؤات العلماء

مائة سنة فترة قليلة في تاريخ الانسان يضيق مجال التنبؤ فيها على المفكر لان مدى الخيال انما يتسع بمقدار بعده عن الحاضر الراهن وأغلب الظن انه بعد مائة سنة ستبقى أشياء كثيرة نعهدها الآن بيننا سواء أ كانت من المؤسسات الراهنة أو المخترعات أو العادات الفاشية لانه كما نستعمل نحن أشياء كان أسلافنا يستعملونها قبل مائة ومائتي سنة فالارجح ان ذراريا ستبقى كذلك على أشياء كثيرة بيننا الآن · ولكن نسبة البقاء ستقل لان تقدم الانسان يطرد اطراداً يشبه سقوط الحجر من مكان مرتفع كما بعد عن ابتداء سقوطه زادت سرعته · فالناس في المائة السنة القادمة سيرتقون باسرع مما ارتقوا في المائة السنة الماضية · وسنعرض هنا لما يمكن ان يتحقق في هذا المستقبل القريب

التقدم الآلي

المرجح انه لن يجد شيء في الآلات فقد يكثر استعمالها وتعم أشياء كثيرة تعمل بالايدي الآن ولكن لن يخترع شيء جديد لا نعرفه · فقد يشيع استعمال الاتومبيل مثلاً حتى يستغنى به في الاسفار القصيرة عن القطار · وليس شك ان المسافات البعيدة ستقوم الطيارات بقطعها فلا يسافر انسان من قارة الى أخرى أو من قطر الى آخر الا في طيارة وتبقى البواخر والقطرات لنقل البضائع فقط

وستستغل الآلات المعروفة الآن في استغلال الرياح والمياه الساقطة حتى تيارات الانهار لتوليد الكهربائية · وهذه كلها قوى تذهب الآن ضياعاً لا ينتفع بها الانسان الا حيث تنبه المهندسون وحركوا الرأي العام لقبول آرائهم كما حدث في سويسرا وكندا

وهناك من يعتقد ان في الذرة أسراراً قد قاربت ان توضح ويقف منها الانسان على قوى رائعة تغنيه عن استعمال الفحم والبترول وسائر أصناف الوقود · ولكن يجب مع اعترافنا بالرجاء العظيم الذي يبعثه تركيب الذرة في نفوس العلماء ان نقول ان هذا الرجاء بعيد التحقق ولا تكفي مائة سنة لتحقيقه بل قد لا تكفي الف سنة · فان الاغريق عرفوا الكهربائية ولكن مضى على الانسان الفان من السنين قبل ان يتمكن من استعمالها والانتفاع بقوتها وهو مع ذلك لا يدري كنهها للآن · فالآمال المعقودة بالذرات سابقة لاوانها

وخلاصة ما يقال في التقدم الآلي انه لن يجد فيه شيء جديد · وانما الذي يجد هو تعميم استعمالها

تعميم الآلات في الزراعة

اذا قيست الزراعة الى غيرها من الصناعات كانت أضنى الاعمال وأشقها على الانسان . فالفلاح لا يزال يكد الآن في افلاح الارض كما كان يكد أسلافه قبل خمسة آلاف عام . وسيكون القرن الآتي عصر تعميم الآلات في الزراعة بحيث تصبح المزرعة مصنعاً . فزارع القطن مثلاً لن يجنيه لكي يبيعه للتاجر يحلجه وهذا يبيعه للغزال يغزله وهذا للنساج وهلم جراً . وانما الارجح انه ستصنع آلات صغيرة توضع بالدسكرة أو القرية فتحرث وتحصد وتجني ثم يمكن في الوقت نفسه ان تحلج القطن مثلاً وتندفه وتغزله وتنسجه . فالمزارع لا يبيع غلاته خاماً ، رخيص الاثمان وانما يبيعها مصنوعة فيربح ربح الصانع الآن . وقد هجر العمال مزارعهم وآثروا عليها المدن لانهم ينالون من الاجور ضعفي ما ينالونه في المزارع ولكن تعميم الآلات في المزارع سيبقيهم فيها ويغنيهم عن المدن

والمستقبل القريب كفيل بأن تصطبغ القرى والدساكر بالصبغة المدنية فلا يتزاحم الناس على المدن لانهم يجدون في ريفهم جميع الملاهي التي يجدها ساكن المدينة ويحب مدينته من أجلها فانَّ وسائل المواصلات ستزداد سرعة فتجعل القرية جزءاً من المدينة لا يفصلها الا بضع دقائق تقضى في نزهة على الطيارة أو الاتومبيل وجميع ملاهي الراديو ستكون في كل بيت بالقرية . ثم ان القرى نفسها لما قلناه من تعميم الآلات فيها ستكبر وتتسع بانشاء المصانع فيها فلا يهجرها العمال الى المدن كما يفعلون الآن

احتمال فوز الصناعة على الزراعة

ان ما قلناه عن الزراعة انما يصح اذا لم تفز الصناعة الكيمائية عليها . والغريب ان هذا الفوز مرجح . فان الاقمشة تصنع الآن من الاخشاب وتبدو لمستعمليها في نعومة الحرير ومتانته وقلما يخلو بيت الآن في أوربا أو أميركا من بعض الجوارب أو المناديل أو البمباغات المصنوعة من الخشب المطبوخ على النار . والمصانع التي تصنع هذه الاقمشة تربح ارباحاً عظيمة يطرد ازديادها بلا خوف من آية منافسة . فليس من البعيد مثلاً أن تسمع حوالي سنة ١٩٥٠ أو ١٩٧٠ ان مصانع الغزل أو النسيج قد اقفلت أبوابها وباعت آلاتها لان المصانع التي تطبخ الخشب قد تغلبت عليها واقبل الناس على شراء « الريون » لانهم يجدونه أرخص وأجمل من الاقمشة السابقة

وعندئذ تفلس الامم الزراعية التي تعيش بزراعة الكتان أو القطن أو الصوف كما افلس الهنود الذين كانوا يزرعون النيلة عند ما اهتدى الالمان الى ايجاد اصباغ كيمائية

ثم أن جميع الكيمائيين يجهدون أذهانهم الآن في الحصول على طعام من الخشب . وهم ان لم ينجحوا قريباً في تحقيقه فلا أقل من نجاحهم في ايجاد علف للمواشي منه يغني الناس عن المراعي وذلك لأن امعاء الماشية اقوى على تمثيل الخليوز الذي بالخشب من امعاء الانسان

واذا نجح الكيائيون في ايجاد قماش صناعي (وقد نجحوا في ذلك) ثم في ايجاد علف للمواشي من الخشب (وقد اوشكوا ان ينجحوا ايضاً في ذلك) فان القرن التالي سيكون علماً بين القرون لانه سيقضي على الزراعة ويجعل الريف غابات يستغلها الانسان للخشب فقط يستخرج منها ملبسه وطعامه وعلف مواشيه . وتكون هذه الغابات متنزهه ومصطاده لأن الطيور عندئذ تألفها وتملأ غصون أشجارها اوكاراً ووكنات

مستقبل الحكومات

ان اتصال العالم بالوسائل السريعة كالطيارات سيمحو الحدود الفاصلة بين الامم الآن و يزيد ترابطها . وهذا الترابط نفسه سيضطر العالم كله الى أن تكون له حكومة مشرفة تنظر في الاشياء التي لا يمكن دولة واحدة ان تنظر فيها مثل الامراض مثلا . فان الامم لا تستطيع ان تنفرد بمكافحة الامراض اذ هي مجبرة على الاتفاق مع جاراتها على ذلك لأن عدوى الامراض تخترق الحدود . وكذلك المواصلات تحتاج في العالم الى ادارة عامة . ومما يبعث على الرجاء من هذه الناحية ان الامم اشتركت في اتفاقات بريدية وتلغرافية نجحت كلها وهذا ينبيء بامكان النجاح في اتفاق خاص بالمواصلات

وهناك عامل آخر سيحتم الاتفاق بين الامم على ايجاد هيئة مشرفة على ادارتها كلها مثل عصبة الامم او اية هيئة تشبهها . وهذا العامل هو وضع اثمان للبضائع بحيث لا تباع في بكين بأقل مما تباع به في لندن او برلين . والغرض من وضع حد أدنى لاثمان البضائع هو منع استغلال العمال وانقاص اجورهم في قطر ما حتى يزاحموا الصناعة في قطر آخر يتناول عماله اجوراً عالية . لأن هذه المزاحمة غير شريفة وهي من أكبر اسباب الحرب

هذا ما يقال بخصوص حكومة العالم . أما حكومات الامم المختلفة فلن تختلف كثيراً عما هي الآن الا من حيث ان بعضها ستنزع نزعة اشتراكية في بعض الاعمال ولكنها لا تلغي بذلك حق الافراد في امتلاك العقارات . ويجب ان نلاحظ ان الانقلابات الاقتصادية المستقبلة لن يكون العامل فيها الثورات وانما الآلات . فاذا صارت الزراعة صناعية في نزعتها فمن المحتمل ان تتغير اساليب الامتلاك للارض والمصانع عما هي الآن

المسكن والملبس

ان المهندسين هم اصحاب الفضل الآن في تعميم الصحة في المدن بما وُفقوا اليه من الاساليب والوسائل التي تزود المدن بماء نقي وتنقي الطرق من الغبار وتصرف الاقذار عنها وتمدها بالمركبات السريعة لحمل الخضراوات والطعام اليها كل يوم . والناس يعتقدون ان ارتفاع المستوى الصحي بين الناس يرجع الى الاطباء ولكن الواقع ان المهندس هو صاحب الفضل في ذلك لا الطبيب

ويمكن المهندس المعاري ان يبني من المنازل ما هو أصح مما يبنى الآن ولكنهُ لا يقدر لان

الاموال المطلوبة لهذا البناء لا تتيسر لديه والارجح ان حكومات القرن القادم ستحتم بناء المنازل الصحية فيجد المهندس فرصته لتحقيق ما تخيله الآن · فالحيطان ستبقى مزدوجة حتى تمنع تأثير البرد والحر في البيت · والحمام سيكون من الغرف الرئيسية المعرضة للشمس بحيث يجد الانسان فيه ما يستنقع فيه من ماء وهواء وضوء · وسيزود كل بيت بالنور والحرارة من تيار كهربائي يكفي للطبخ والتدفئة · و يصبح الطبخ شيئاً هيناً فتزول طبقة الخدم لان ربة البيت لن تجد اقل عناء في الطهي أو التنظيف · وبعض الغرف الآن تفرش عند بنائها بالكوتشوك فيعيش ما عاش البيت وقد لا يبعد الزمن حين تدهن الحيطان من الداخل بالميناء التي ترى على أطباق الطعام ويمكن عندئذ غسل الغرفة بمضخة تدفع الماء الى كل مكان فيها

أما من حيث الملابس فان الواقع الآن ان كثيرين من الرجال يعيبون على النساء تخففهن في الملابس وكشف الساقين والذراعين وأعلى الصدر والظهر ولكن هؤلاء اللائمين لا يدرون ان الرأي الطبي يقر النساء على هذا الزي لان الاطباء يرون ان ضوء الشمس من اكبر العوامل في حفظ الصحة · ودوام العافية · والمرجح ان النساء لن يرجعن عن زيهن الحاضر بل قد يعمد الرجال الى محاكاتهن فيه فيقللون هم أيضاً من اللباس حتى تبدو الساقان والذراعان · ومما يرجح ايضاً ان لباس الرجل سيكون ابسط وأقل عدداً في قطعه التي يقضي كل منا شطراً من وقته في وضعها ونزعها

العائلة والاولاد

اذا نظرنا الى الحيوان وجدنا ان ما تفرد في معيشة منه كالاسد والببر والنمر والقط له عائلة يعرف زوجته وأولاده · أما ما اجتمع منه كالبقر والشاء والابل فلا يعرف الزوجة أو العائلة وانما هو يتلاقح افراده جزافاً

ولكن الانسان مع انه حيوان اجتماعي ومع ان الذكر يشتهي اكثر من انثى واحدة فانه يحب أن يختص بزوجة وان تكون له عائلة · والواقع ان الانسان يعيش من هذه الوجهة بين عاملين العامل الاجتماعي الحديث الذي يجعله يحب جزافاً ولا يعنى بالعائلة والعامل الفردي القديم حين كان يعيش كالقردة هو وعائلته · وهو أبداً في نزاع بين هذين العاملين كما تثبت ذلك أحكام المحاكم في الطلاق

فنحن انفراديون بطبيعتنا القديمة نحب البيت ننعزل فيه والعائلة نسكن اليها كما اننا اجتماعيون بطبيعتنا الحديثة نستطيب بعض الفوضى في المسائل الجنسية

والارجح ان القرن القادم سيرى بعض التسامح في العلاقات الجنسية · وذلك يرجع على الخصوص الى ان المرأة ستعمل كالرجل وتكسب ما يعولها

والزواج ستكون غايته الاولاد قبل كل شيء ولذلك ستكون العناية بانتقاء الزوج اكبر مما هي الآن والامانة فيه أشد وأدق . أما قبل الزواج فالمرجح هو التسامح

التربية

وهذا يجرنا الى الحديث عن الاولاد وتربيتهم . فالمدارس الآن لا تربي الصبي وانما تعلمه اما التربية فتترك عادة للابوين

ولكن الابوين في المستقبل سيجدان ان التربية الحقة تعدو طاقتهما اولاً لانها ستصبح فناً عالياً له أخصائيون بارعون . وثانياً لانهما قد يشتغلان كلاهما بعمل ما خارج البيت

فالمرجح ان الحكومات في القرن الآتي ستأخذ على عاتقها تربية النشء من وقت الطفولة الى وقت التخرج من الجامعة . وسيكون هذا العمل أهم واخطر ما تقوم به الحكومة . ولن تكون التربية تعلياً يلقن وانما تكون بايجاد خلق خاص في الطالب حتى يبقى طالباً مدى حياته يعلم نفسه . فالاستاذ لا يلقن الطالب المعارف التي يحتاج اليها وانما يهديه الى سبيل الحصول عليها بنفسه حتى يستقل و يستطيع بدون واسطة الاستاذ ان يزيد معارفه

وسيكون التعليم كله تجريبياً بحيث يشعر الطالب ان الدنيا بما فيها من كائنات هي مجال درسه وفحصه وتنقيبه وان الكتاب له قيمة الارشاد فقط . والمرجح ايضاً ان كل حكومة ستعني بان يرى طلبتها معظم انحاء العالم قبلما يشرعون في خدمة بلادهم بالاشتغال بعمل ما . ونحن نرى منذ الآن بذور هذه النزعات كلها في الامم الراقية

العامل والمالك

معظم ما يهز العالم الآن من الاضطرابات يرجع الى سخط العمال من النظم الراهنة . وواضح لكل انسان ان طريقة الأجور الآن لا تضمن العدل للعامل لان هذه الأجور يجب ان تختلف باختلاف علاقة العامل بالآلة

والمرجح ان القرن التالي سيمحو الاجور و يجعل العامل شريكاً للمالك يربح معه ويخسر معه وهذه الشركة تمنع السخط الحاضر وترفع الظلم عن كاهل الاثنين . واذا اضفنا الى هذا النظام الاتفاق الذي اشرنا اليه آنفاً بين الامم حتى يحدد لكل سلعة في العالم ثمن لا يمكن ان يخفض امن العمال في جميع أنحاء العالم افلاس معاملهم واقفالها

***

هذا هو ما ينتظر حدوثه في القرن التالي في رأي الدكتور فورنييه دالب وغيره من المتكهنين الذين يستبصرون بالحاضر في التنبؤ عن المستقبل . ويرى القارىء انه معتدل في أشياء كثيرة لم يشتط فيها وان كان في بعض كلامه ما يستحق النظر والمناقشة . ونقول على كل حال ان تنبؤاته مطمئنة على وجه العموم وان كان الشرقي قد يتشاءم مما ذكرناه عن الزراعة

الرسائل الضائعة

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

هذه دفعة أخرى من تلك الرسائل التي تتبادلها فتاتان احداهما تسكن لندن والاخرى باريس . وقد كان للقسم المنشور في الجزء الماضي وقع جميل لدى الادباء لانه جاء أسلوبا جديداً في الادب العربي [المحرر]

رسالة أخرى من جرمين في لندن الى جرمين في باريس

ما أكملت كل حديثي في كتابي الذي بعثت اليك فقد قطع عليّ الحديث جار لاهل البيت يكثر من التردد عليهم لصداقة بينه وبينهم لم تكن بين اثنين

وهو ضابط في الجيش وقد خدم في فرنسا اثناء الحرب وكانت اقامته ـ على قوله ـ في سان كنتان . فما ذكر لي ذلك حتى حنّت جوانحي اليه وأقبلت بكل قلبي أحدثه . ففي سان كنتان ولدت وفيها شببت ومنها خرجت الى باريس فما رأيتها بعد ذلك الا وقد جعل عاليها سافلها مما لاقت من هول هذه الحرب وكان ذلك بعيد المدنة ثم لم أرها من ذلك الحين

وقد خرجت معه وربة الدار نطلب النزهة في (هايد بارك) . انه ظريف الحديث حلو العشرة لا يفتأ يذكر فرنسا ويتغنى بجمال كل ما فيها فاذا بي وقد زالت عني وحشة الغريب وظننت أني أراني في فرنسا أحدث فرنسيا

وهايد بارك هذه حديقة في بلد أو بلد في حديقة . فهي تارة غابة وتارة طريق معبد وأخرى مضمار تسير فيه الخيل والسيارات اشواطاً واخرى جنينة كأنها قطعة من جنات الخلود

وما استوقف نظري وما راعني الا الاولاد يملئون الحدائق . راعني منهم حسن طلعتهم وبهاء منظرهم وتورد خدودهم وزرقة عيونهم ولمعانها وخفة حركاتهم حتى كأنك لا ترين فيهم عيباً . ولكنك اذا نظرت الى ما حولك من الرجال والنساء ـ والى النساء بالتخصيص ـ ضاع صوابك فلا تدرين أكان هؤلاء الكبار صغاراً أم ان أولئك الصغار لا يكبرون

فهذه الصغيرة اللاعبة باللب فتنة وجمالاً قد طال عرقوبها حتى أربى على شهر الصوم وغار خدها وبرزت عظامه واحمرت عيناها وعلتهما النظارات وجمع شعرها كل ألوان قوس القزح وطالت يداها حتى كادتا تصلان الى الركبتين وامتشقت قامتها فلا صدر ولا بطن يزين كل ذلك مشية ألمانية عسكرية . فكيف تعللين هذا التطور ولم هذا التغير ؟ ألكثرة ما يلعبون أو لكثرة ما يشربون أم هي الطبيعة في هذه الجزر لا ترحم الا فيما ندر ؟

ألا تذكرين الدور الذي يلعبه ممثلنا النابه (برينو) في رواية (زواج فيجارو) وكيف يبدع في تمثيله ؟

أتذكرين اذ يخلو (فيجارو) الى نفسه ويصف في ظلمات الليل أخلاق الانكليز فيجمعها كلها في كلمة (God damn)[1]

هذا كلام نشره (بومارشيه) منذ قرن تقريباً أيام كان الانكليز ذوي خشونة فوصفهم بهذه الكلمة وأصابت لطمته موضع الألم . أما الآن وقد أثروا وحكموا كثيراً من الناس فقد صارت لهم أخلاق الاسياد الكبار ولم يعد وصف بومارشيه منصباً عليهم

هل تريدين مني انا صورة للخلق الانكليزي الآن ؟ لا تفضحي من صديقتك اذ تنحو نحو كتابنا المفكرين

ان خلقهم لسر من الاسرار

فالانكليزي الصميم ، ما هو ، شريفاً كان او عاملاً من العمال ؟

انه شيء كثير من الوسكي وشيء اكثر من الرياضة البدنية مصحوبة بما لا نهاية له من الاكل مع شيء كثير من الميسر – ثم خروج الى التحكم في امور العالم

أليس هذا بغريب ؟

ذكرت لك في الكتاب السابق ابن صاحب الدار وهو صبي يافع ترسل المدرسة التي يذهب اليها تقريراً شهرياً لأبيه عن سيره في دروسه

وقد اطلعت على هذه التقارير اكثر من مرة فوجدت فرقته تتناول من الاساتذة خمس حصص اثنتان منها دروس في كتب والثلاثة الباقية العاب رياضية

فاذا كان هذا الابن من المجلين في ميدان الالعاب طرب أبواه وصفقت اخته ولم يعبأ أحد منهم بموقف الولد من العلوم . فسألت الضابط في ذلك ذات يوم . اتعلمين بماذا أجاب ؟

قال أنا ضابط في الجيش الآن ولم أتعلم شيئاً من العلوم العسكرية الا أثناء الحرب وقد كانت كل نيتي منصرفة قبل ذلك الى التجارة

قلت ولمَ المدارس اذن ؟

قال اننا لا نطمع في أن نلقن أولادنا مبادىء نيتون أو فلسفة باكون ولكننا نطمع في ان نجعل من كل منهم نيتون وباكون وتلسون ومن اليهم . فالحرية مع التربية البيتية هي كل ما عندنا قلت وهي ايضاً كل ما عندنا . فصمت قليلاً ثم قال : انكم شعب عظيم وان أعظم ما فيكم

---

(١) برينو ممثل مشهور في « الكوميدي » فرانسيز في باريز وقد قدم مصر من سنتين ولعب الرواية المشار اليها وهي من تأليف الكاتب الفرنسوي بومارشيه (Beaumarchais) وربما شاهده عدد غير قليل من القراء [المترجم]

هذه الشمائل الحلوة في نسائكم وحوّل عينيه الى عينيّ، نظرة جريئة حادة، فنهضت من مقعدي وغيرت الحديث

وما زلت افكر من ذلك الحين في سر عظمة هؤلاء الانجليز ولست ببالغة الى هذا السر وصولاً فكأن هذه الجزيرة في موقعها الجغرافي وكأن هذا العنصر الذي جمع اكثر من دم واحد في عروقه وكأن هذا الطقس الذي لا يفلت من مخالبه الاكل جبار عنيد ـ كأن كل هذا مع الوسكي والشاي والرفس والجري قد كوّن خلقاً فذاً في رجل جلود قوي الشكيمة راسخ العزم لا يلين عوده ولا يغمز جانبه ـ وكان هذا الرجل انجليزيا

ألا قاتل الله هؤلاء القوم فنحن أسرع منهم الى مواقع الضرب والجلاد وتاريخنا أشرف من تاريخهم وذكاؤنا لا يقاس به ذكاء ولغتنا لا تعادلها لغة . وآدابنا وعلومنا وفنوننا أين هم منها . ولكنهم ما حاربونا فيما مضى الا كانوا في النهاية غالبين ، وما قلدونا في تجارتنا أو في علومنا الا كانوا سابقين

اني أكرههم لان معظم ما لهم من أملاك وراء البحار كان لنا فاذا به الآن لهم ، أكرههم لانهم كانوا ابداً لنا بالمرصاد فنعوا ملوكنا ان يمتلكوا ناصية العالم وحرموا امبراطورنا أن يتوّج رأساً لهذه الكرة الارضية . بل أكرههم لانهم حالفونا في هذه الحرب التي لم تطفأ نارها بعد فكانت لهم يد في النصر جرّت يداً أميركية تجرنا علينا كتابها الدين وما هو شر من الدين ـ المن

ولكنني لا أستطيع أن ابدي هذا القول لمضيفي ولا استطيعه بحضور هذا الضابط الانجليزي جارنا فان في اعمالها وفي اقوالها دليلاً بعد دليل يكذبني في علة كرهي فافحص ضميري فلا اجد للكراهية محلاً . وهل اجد شيئاً آخر ؟ لا ادري ـ فاني قد اضعت كل ما تصفينني به من منطق ورزانة في بلد يوصف اهله بالرزانة

* * *

يندر جداً ان ترى قرينين متساويين في كل الحقوق والواجبات يعرف كل منهما ما له وما عليه. بل قولي ان هذا مستحيل ـ ولكنك ترين قرينين سعيدين مستلذين الدنيا وما فيها رغم استئثار الواحد بالآخر ورغم املائه كلمته عليه . فما هو السر في ذلك ؟ بل ما هو السر في هذه السعادة وهذا الهناء الذي لا ابرح اشاهده في دار مضيفي فانك اذا رأيت الرجل وامرأته حسبتهما عشيقين جديدين لم تخفف الالفة من شغفهما ، هذا على رغم ما في المرأة من جمال مشوه وسذاجة مخجلة وعلى رغم ما في الرجل من غطرسة مع زوجه هذه ـ غطرسة لا تريها منه مع أحد ممن يألفهم الا مع هذه الزوجة المسكينة

اني لم أوفق بعد الى استكشاف هذا السر ولكني في مثل هذه الامور ذات مبدإ عرفته وخبرته ولن اتحول عنه. ذلك ان السر في السعادة البيتية ـ بين زوج وزوجه أو بين حبيب وحبيبه

ليس بالمساواة ولا بتبادل الحب والاكرام بل بتفوق أحدهما على الآخر بشيء من الاشياء معما كان تافها وباعتراف الآخر بهذا التفوق اعترافاً ضمنياً يكاد يخفيه عن نفسه

فاذا وجد زوج من الازواج عيبا في زوجته ـ عيباً في الخلق او في الخُلق كبيراً أو صغيراً ولا يكون هو به مثل هذا العيب وكان حكيماً جريئاً أو وقحاً عاقلاً فانه يعرف كيف يستغل هذا الامر فيقيد قرينه بقيود الحب أو الخضوع أو الاستسلام ابد عقد الزواج . ألا ترين كيف أن مدام ده مونتسبان كانت تشمخ على الملك الشمسي حين كانت كلمته لا ترد في كل اوربا بل كانت تغلظ له في القول وتسرف في القذع أحياناً

اتظنين ذاك كان لفرط جمالها أو لحدة ذهنها وقوة ذكائها ؟ لا . فقد كانت النساء اللائي يفقنها جمالاً في قصر فرسايل كثيرات وكان للملك قبلها وبعدها محظيات عديدات يوزن عليها ذكاء

انما عرفت عيب الملك وعرفت أن تظهر له عيبه بجرأة ما عرفتها المحظيات سواء من جئن بعدها أو من كن قبلها فرأى هذا الطاغية انه ليس بالعظيم في عينيها وابت عليه كبرياؤه ان يغضب فانزوى وسكت وكان لها ما تريد

ذلك انه اصيب بمرض في اسنانه واصيب بقالعي الاضراس فشوهوا فمه وهشموا اضراسه فانتنت وفاحت رائحتها حتى كانت هذه الجميلة المسكينة « مونتسبان » تملأ غرفتها ـ بله سريرها ـ عطراً بل اضطرت ان تكون معطرة طول حياتها من شر ما شمت من اعظم ملوكنا

قالوا ان لويز العظيم اخذ يؤنبها مرة وينعي عليها سوء خلقها وفظاظة طبعها وقسوتها ويهددها بالقصاص فاجابته والازدراء يملأ وجهها اني قد اكون مثقلة بالعيوب التي تشير اليها يا مولاي ولكنها مستترة لا تفوح رائحتها فولاها الملك ظهره وعاد الى مخدعه وظلت هي الحاكمة في القصر

ولقد ذكرت الاسنان فتذكرت اضراسي وما كنت اشكو من آلامها من جراء ما فعله بي هؤلاء الاطباء في فرنسا فهممت ان امتحن اطباء لندن ولكنني ذعرت ولم افعل فاني لم تقع عيناي بعد في هذا البلد على امرأة كاملة اسنانها غير مشوه بالذهب فمها فقلت : لا . ان الاطباء عندنا يؤلمون ويعذبون اما هنا فيقلعون ويستبدلون اسنان الطبيعة باسنان من ذهب فاذا كانوا على صواب مع الانكليزيات يعوضونهن سناً مستقيمة صفراء عن سن بارزة كالسيف المجرد فانهم ليسوا على صواب معنا نحن الفرنسيات فتريني في حيرة لا ادري ما اعمل قاتلهم الله ـ هؤلاء قالعو الاضراس ـ ترى ألم يتقدم هذا الفن او هذا النوع من الطب من ايام لويز الرابع عشر حتى الآن ام هم الاطباء لم يتقدموا ؟

الى اللقاء ايتها الحبيبة . الى لقاء كتابك العزيز القادم فقد مللت الكتابة وتاقت نفسي الى قراءة كتابك ؟ (جرمين)

الترجمة طبق الاصل وعلي تبعتها : سامي الجريديني

مدارس الولايات المتحدة وجامعاتها

عبر نافعة يجب ان نعتبر بها

الولايات المتحدة هي قبلة الامم الآن في أساليب التربية الحديثة وابتكار الطرق النافعة فيها. وليس في العالم أمة تنفق على التعليم مثلما تنفق الولايات المتحدة الآن وقلما يموت احد الاثرياء هناك الا و يوصي بمقدار من ماله يحبسهُ على احد المعاهد العلمية على نحو ما يفعل أغنياؤنا في وقف الاموال على المساجد والكنائس

وفي الولايات المتحدة الآن ٣٠٠٠٠٠ دار للعلم يعمل فيها ٩٣٣ ٨٠٥ معلماً . ومن هذا العدد العظيم ٤١٧ ٦٢٨ من النساء و١٧٧ ٥١٦ من الرجال . ومن هذا العدد العظيم الذي يراه القارىء من المعلمات يدرك علة قاسية من علل التأخر في التعليم عندنا . فان المدارس الابتدائية تحوي في جميع الاقطار اكبر عدد ممكن من التلاميذ فيها . وهؤلاء التلاميذ لا يزالون بعد صبياناً أو أطفالاً يتعلمون الهجاء ومبادىء العلوم والمعارف والمرأة بطبيعتها أم تحب الاطفال وترفق بهم وتصبر على مضاضة لعبهم وترتشهم . ونحن محرومون من المعلمات لحجاب المرأة عندنا. دع عنك ان المرأة تتناول من الاجر أقل مما يتناوله الرجل

وكل ولاية تستقل بنفسها في ادارة تعليمها ولكن هناك مبادىء عامة تجري عليها الولايات جميعها . فالدين مثلاً لا يعلم في مدارس الحكومة والتعليم مجاني واجباري بين الخامسة والثامنة عشرة وهو ابتدائي وثانوي وعال . فالابتدائي يقتضي ثماني سنوات والثانوي أربعاً . أما العالي فهو في الجامعات

والجامعة هيئة مستقلة تكاد تشبه الشركة التجارية من حيث استقلالها في ادارة أعمالها تحصل من الحكومة على امتياز بوجودها و بالترخيص لها في منح الشهادات دون أي تدخل من الحكومة . ولها مجلس ادارة يشرف مع المدير وعمداء الكليات على كل ما يختص بالجامعة . والجامعة مقسمة الى كليات على كل منها عميد . وفي الولايات المتحدة اكثر من خمسمائة جامعة . وكل هذه الجامعات هي كما قلنا حرة في تعليمها . ومن هذا العدد يدرك القارىء مقدار عناية الاميركيين بالتعليم وخاصة اذا قابله بقطرنا حيث لا نجد سوى جامعة واحدة قد استعظمنا ما بدا فيها حديثاً من حرية أحد أساتذتها

ولنضرب مثلاً على هذه الحرية بجامعة كولمبيا فان استاذ التاريخ هناك خطر له ان يلقي خطبة في التاريخ عكساً لا طرداً . وهو يعتقد ان هذه الطريقة أبعث لنشاط الطلبة واذكى لقرائحهم واكمل تصوراً للتاريخ من الطريقة المتبعة في سائر المدارس والجامعات . فهو يبتدىء دروسه

يبحث البولشفية القائمة الآن عند الروس ثم يسير منها للوراء في درس القرن التاسع عشر ثم القرن الثامن عشر وهلم جراً حتى يبلغ الحضارات الاولى في بابل ومصر ويربط كل نتيجة باسبابها . وهذه بدعة عجيبة نعتقد انه سيكون لها شأن في المستقبل

ويستوي الطلبة في الجامعات الاميركية ذكوراً واناثاً الا ثلاثاً أو أربعاً تفصل بينهم . ومما هو جدير بالذكر ان جامعة بيروت الاميركية قد قبلت اشتراك الطلبة ذكوراً واناثاً في تلقي الدروس وبها الآن عدد من الاوانس السوريات يتلقين الطب

وللجامعات الاميركية ثلاث مهمات تقوم بها وهي :

أولاً ـ ادخار المعارف وذلك بشيئين احدهما تزويد الجامعة بمكتبة وافية تحوي ما هو شائع في العالم من الثقافة . وثانيهما بايضاح هذه الثقافة للطلبة بالخطب والدروس العملية

وثانياً ـ البحث لزيادة الثقافة . ففي كل جامعة مختبرات كبيرة مزوَّدة بكل ما يحتاج اليه الاساتذة . وفي هذه المختبرات يجري الاساتذة أبحاثهم التي كثيراً ما تنتفع بها الصناعة والزراعة ، وهذا هو احد الاسباب التي تدعو الاغنياء الى حبس الاوقاف للجامعات . ومعظم الجامعات تمنح أساتذتها اجازة سنة كاملة كل ست سنوات ويقتضي الاستاذ في هذه السنة راتبهُ كاملاً ولكنهُ يمكنهُ ان يقضي السنة بعيداً عن الجامعة واغلب الاساتذة يرحلون الى الاقطار الاجنبية يتزيدون من المعارف او يقضون تلك السنة في الاختبارات العلمية

وثالثاً ـ والمهمة الثالثة للجامعات الاميركية هي النشر فانهُ يجب على الجامعة ان تنشر على عامة الناس من غير طلبتها ابحاث الاساتذة فيها

ولكن للتعليم في اميركا ميزة يمتاز بها على ما يجري في سائر انحاء العالم . وهـذه الميزة هي روح التجربة والاختبار التي تشمل جميع دور التعليم ابتدائية او ثانوية او عالية . فالعلم لا يلقن للطالب تلقيناً وانما يلقي الاستاذ في روع الطالب انهما كليهما ـ الاستاذ والطالب ـ باحثان . فالاستاذ لا يلتفت الى زيادة معارف الطالب بمقدار ما يوجهه الى ان يستزيد هو بنفسه هـذه المعارف ويبحث عنها في مظانها سواء اكانت في الكتب ام في المختبرات

فالمدرس في المدرسة الابتدائية مثلاً اذا علم صبيانه اصول الصحة لا يلقنهم مبادىء تحفظ ويمتحنون فيها . وانما يصف لهم مرضاً من الامراض وكيفية الوقاية منهُ ثم يبعث بهم الى دار قد فشا فيها هذا المرض فيدرسون احوال الدار والعائلة . ويتعاونون بارشاد قليل من المعلم من حيث اختيار الكتاب الخاص بهذا المرض ومن حيث الطريقة التي تتبع في البحث ثم يتناقشون مع المدرس في استنتاجاتهم . فينشأ التلميذ وبه خلق خاص يبعثـه على الاعتبار والدرس وامعان الملاحظة واكتساب المعارف

وكذلك الحال في الجامعة فان استاذ العمران مثلاً لا يلقي على الطلبة مبادىء عامة لهذا العلم

وانما يعرض امامهم مسألة عمرانية كالفقر او البطالة او المرض او المقابلة بين الريف والحضر ويطلب منهم ان يدرسوا هذه المسألة ويقف هو منهم موقف المرشد فيدلهم على الكتاب الذي يجب ان يقرأوا الاحصاء الذي يجب عليهم ان يعرف والاماكن التي يقتضي الدرس زيارتها ونحو ذلك . فكلاهما – الاستاذ والطالب – يتعاونان على البحث ولا يستغرب القارىء ان الاستاذ كثيراً ما ينتفع بآراء الطالب وابحاثه

وخلاصة مقالنا ان الولايات المتحدة تنفق الآن اكثر جداً مما تنفقه اية دولة اخرى على التعليم . وان التعليم الابتدائي يكاد يكون كله في ايدي المعلمات لانهن اعرف بطبيعة الصبيان من الرجال وارخص اجوراً . وان الدين لا يعلم في المدارس . وان روح التجربة والاختبار تشمل التعليم كله

وبهذا وامثاله اصبحت الولايات المتحدة في مقدمة الدول رقياً وحضارة

المريض

[من قصيدة فازت في مسابقة عملها المنتدى الوطني ببيروت]

بات يشكو الضنى ومرّ عذابه ثاويًا في ذبوله واكتئابه
ناحلاً لا يرى المحدّق فيه منهُ الا بقيةً في ثيابه
انشب الداء فيه مخلبهُ الدا مي واهوى مكشراً عن نابه
حلّ في جسمه المهدم ضيفاً لا تلام الكرامُ في إغضابه
وقد امتص لحمهُ الداء حتى لترى الجلد خالياً من لبابه
فترامى على الفراش وحيداً وسلاه الحميم من اترابه
عاجزاً في مكانه يتلوى كتلوي المغلول في اسبابه
يومهُ حسرة على البرء يمضي فيرى البرء ممعناً في اجتنابه
يرقب الليل علّ في الليل رفقاً فيزيد الظلام في اتعابه
عزلة لا مجالَ للفكر فيها اطفأ الداء منه نور صوابه
وحشةٌ تصدع الفؤاد فيهمي دمعةُ المستفيض في تسكابه
نام احبابه وقام وحيداً فبكى تائقاً الى احبابه
ولو استطاع للمنون سبيلاً لمضى غير عابىء بذهابه

بشير بموت

اعترافات مدمن على الكوكايين

قصة شاب مكتوبة بقلمه

هذه قصة واقعية كتبها شاب عرفناه ذكر فيها كيف تعوّد الكوكايين ووصف ما ينتاب المدمن عليه من شعور وألم ووهم وخيال وصف خبير مجرب . وانما أردنا نشر هذه القصة لانها كالوثيقة النفسية أو الخريطة المعنوية فهي من هذا القبيل ذات قيمة علمية كما ان فيها أيضاً لشباننا عبرة وذكرى [المحرر]

يرجع أول عهدي بتعاطي الكوكايين الى عدة سنوات مضت اذ كنت أعالج اسناني وقد رأى الطبيب ان يحقن اللثة بمحلول تلك المادة لتخديرها منعاً للألم أثناء العلاج . ذلك لان الكوكايين مخدر موضعي يستعين به الاطباء على اجراء العمليات الصغيرة في الفم مثلاً أو العين أو الاطراف دون ان يتألم المريض . فالكوكايين من هذه الوجهة نعمة من نعم الطبيعة وحسنة من حسنات العلم .. وفعلاً قد عالج الطبيب أسناني دون ان أشعر بألم بفضل ذلك المخدر

على ان فعل الكوكايين لم يكن مقصوراً على التخدير الموضعي فحسب بل قد شعرت في الوقت نفسه بتأثير غريب عام في كل جسمي : لذة ذهنية لا مثيل لها وراحة جسمانية وانتعاش فكري . وانطلق لساني يعبر للطبيب عما شعرت به وعما تحرك فيّ من العواطف الرقيقة . وليتصوّر القارىء ما يشعر به الانسان على أثر الاستحمام بالماء البارد ، في يوم اشتد فيه الحر وأنهك قواه التعب ، من راحة الجسم وانتعاش النفس . ذلك ما شعرت به واني أسوق هذا التشبيه للقارىء صورة مصغرة يتبين منها الشعور الغريب اللذيذ الذي طرأ عليّ على أثر حقني بمحلول الكوكايين والذي يشعر به متعاطو ذلك « المكيف » في بدء الامر

* * *

مضى على هذا الحادث زمن طويل نسيت فيه ذلك الاثر الذي حدث لي حين عالجت أسناني . الى ان كنت ماراً ذات يوم في احد الشوارع فاستوقفني شخص كنت أعرفه معرفة سطحية ودعاني للجلوس معه في قهوة وقص عليّ أمراً يهمه طالباً اليّ ان أساعده فيه ، وقدم لي أثناء الحديث — من باب اكرامي في نظره — زجاجة صغيرة بها مسحوق أبيض مبلور لامع وعرض علي أن أستنشق منه بعد ان أفهمني انه الكوكايين فتذكرت اذ ذاك ما حدث لي عند طبيب الاسنان وما شعرت به من لذة وانتعاش . ولم اكن الى ذلك الحين قد سمعت باضراره بل كنت أجهل ان الناس يتعاطونه كمكيف لحداثة عهد انتشاره في مصر ولم يكن قد فتك بالعقول والاجسام

بعد . لهذا كله مددت يدي وتناولت قليلا منه واستنشقته فشعرت فعلاً بالشعور السابق نفسه وياليت يدي شلت في تلك اللحظة قبل أن امدها الى ذلك السم وقبل الوقوع في آفته . ولكن هكذا قدّر فكان

تكررت مقابلة ذلك الشخص لي بمناسبة مسألته وكان في كل مرة يقدم لي ذلك المسحوق على سبيل اكرامي لانجاز مهمته . وحدث ان قابلت معه في احدى المرات شخصاً كنت اعرفه معرفة سطحية كمعرفتي بالاول وقد رأيته يستنشق الكوكايين . ومنذ ذلك اليوم أخذ يلازمني ليل نهار و يتردد عليّ في بيتي وفي محل عملي وكان الحامل له على ذلك استعمال الكوكايين وضيق ذات يده رغم مظاهره الخادعة وهو الذي رماني في الواقع في حبائل تلك الآفة التي كادت تقضي على حياتي وعقلي وأوصلتني الى أشد أحوال الشقاء . هذا الشاب ينتمي الى اسرة بعض افرادها من كبار رجال الحربية والادارة العسكرية في مصر يمتاز بتأنق ملبسه وطلاوة حديثه وظهوره بمظهر الرجل الشريف النسب الجميل الشمائل . كانت هذه المميزات سبباً في تحبب الناس اليه . وهذا ما خدعني فيه . قدم لي هذا الشاب قليلاً من الكوكايين في أول يوم من معاشرتنا ولما نفد ما كان لديه منه اغراني على الشراء . ومنه علمت ان ذلك الشخص الاول الذي استوقفني مراراً لمسألته الخاصة انما هو تاجر يبيع الناس هذا السم اللذيذ الفاتك . وقد ادركت فيما بعد انه ما قصد من عرض مسألته عليّ الا نصب شراك لي ترويجاً لبضاعته . كما اني ادركت ان الشاب الثاني الذي أصبح يلازمني انما هو وسيط للاول يتعرف بالناس و يلازمهم حتى يستدر من وراء ذلك ما يرضي شهوته من تعاطي الكوكايين والخمر على حساب الغير . وقد كان ذلك التاجر يكافئه بما يعطيه له من حين الى آخر من كميات الكوكايين بلا ثمن . وكم جنى ذلك الشاب ـ الوسيط ـ على كثير من الناس ولا ابالغ اذا قلت ان اكثر من ربع الذين يتعاطون الكوكايين في القاهرة و بعض الارياف من ضحاياه

فمن ضحاياه رجل انكليزي اصطحبه فاوقعه في شراكه وعلمه تعاطي الكوكايين بما عهد فيه من لباقة وكياسة واغراه على الاسترسال فيه وفي الخمر لينال حظه منهما . الى أن ساءت أمور ذلك الانكليزي وارتبكت ماليته وأحواله بعد ان اهمل اشغاله . ولم يكتف ذلك الشاب بما اساء به الى الرجل بل انشب مخالبه في شرف زوجة ذلك المسكين فاستهواها واتخذها عشيقة له . ولم يقف عند هذا الحد بل دفعها الى هاوية الدعارة ـ وساعده على ذلك اشتداد الفقر عليها وعلى زوجها فاتخذ عرضها متجراً مقاسماً اياها ما تغنمه من وراء تلك المهنة التعسة . وانتهى الحال بذلك الانكليزي وزوجته أن نفتهما حكومتهما من مصر

ومن ضحاياه شاب مصري متزوج بانكليزية جنى عليه كما جنى على السابق بمثل تلك الاساليب

حتى قضى على خلقه وماله وصحته مما كان سبباً لهجرانه بيته وزوجته واولاده في حالة بؤس تهلع لها الافئدة ولما فاضت كأس الشقاء ونضب معين الرزق باعت الزوجة حليها واثاث منزلها قطعة قطعة ثم عصفت بها عواصف الايام وهتك الفقر والجوع حرمة شرفها واخيراً ـ بعد حياة ذاقت فيها ألوان الشقاء ـ وجدت ميتة وطفلها يحاول ان يرضع من ثديها وهي جثة هامدة

ومن ضحايا ذلك الشرير رجل من اسرة كبيرة بالوجه البحري وديع الاخلاق سامي العواطف نقي مستقيم اغراه على تعاطي الكوكايين ولما تسلط عليه ذلك الداء حرضه على الفسق وصور له ان يستأجر ذهبية على النيل كان يقود اليه فيها النساء وكان يقتسم معهن الغنيمة من حلي ونقود . ولكن الله ادرك برحمته هذا الرجل الطيب فأنقذه من تلك الآفة التي اقلع عنها اخيراً وعاد الى الحياة السليمة

* * *

كنت اقول عن الكوكايين في اول عهدي به انه السعادة في زجاجة، لما كان يولده فيَّ من راحة في الجسم وانتعاش في النفس وتحريك للعواطف الطيبة الراقية . شعور لذيذ ما كانت تشوبه شائبة ألم او ضرر . واذكر على الاخص ما كان يبعثه في نفسي من نشاط عقلي مما كان يساعدني على القيام باعمالي والاسترسال فيما كنت ازاوله من تحرير وتأليف واعمال شتى بل كان الكوكايين يدفعني الى ذلك دفعاً بمعنى انه اذا لم يكن لديَّ عمل ازاوله فاني اجد في نفسي دافعاً على الانكباب على مكتبي ثم كنت اخدع نفسي بايجاد شغل من بين طيات العدم حتى اتخذ من ذلك سبيلاً لاخذ ذلك المكيف اثناء العمل كلما اشتهته نفسي

قلت ان الكوكايين يسبب انتعاشاً في الجسم ونشاطاً في الفكر وقد يكون اشد منبه عرف للآن ولعل تسميته بالمخدر انما كانت لانه مخدر موضعي . فهو من اجل هذا يقضي على النوم قضاء مبرماً وكم من ليال قضيتها الى الصباح ولم اذق طعم الكرى

ومن خواصه او بالحري من اضراره انه يلاشي شهية الاكل في الانسان فمن تعاطاه ابى الطعام مهما طال عليه امد الصيام فلا يشعر بشيء من الجوع وكثيراً ما قضيت يومين واحياناً ثلاثة ايام بلياليها دون ان اذوق اي غذاء بل كنت اعاف الطعام وانا تحت سلطان ذلك المكيف الغريب

وللكوكايين بجانب هذه الاضرار منافع ضئيلة هي في الواقع نتيجة فعله المنبه . منها انهُ لما له من التأثير في المخ يقضي على كل صداع واغماء ويأتي على كل ألم في الدماغ . ومنها انه عدو الحميات البسيطة فكأنما تعاطيه يوجد مناعة في الجسم . ومن مزاياه الناتجة من كونه منبهاً للمخ والتي انقلبت ضرراً لسوء استعماله انه يفيق من السكر بل يحول دونه . ولما كان فعله هذا لا يمنع نشوة الخمر بل يزيد لذة الشارب فقد يحمل الكثيرين من المدمنين على الخمر على زيادة

تعاطيه . فمن كان يختبل عقله من جراء عشر كؤوس يشربها مثلاً غدا مع تعاطي الكوكايين يستمر في الشرب الى ما لا نهاية له . على ان امتناع السكر هذا لا يمنع الخمر في الحقيقة من الفتك بالصحة وقتل الجسم سريعاً . كما ان الخمر من جهتها تساعد على التمادي في تعاطي الكوكايين لانها تخفف في الحقيقة بعض اضراره . ذلك لان الكوكايين سم خطر على القلب يضعفه و يؤلمه فيضطرب الانسان وتترا كم عليه الهموم ويحل به خوف وقلق ليس لهما سبب خارجي ـ اللهم الا الوهم ومرض القلب . ولما كانت الخمر من منبهات القلب ومنعشات الجسم فانها لهذا تخفف من تعب القلب و بالتالي من اضرار الكوكايين موقتاً . لهذا نرى ان معظم المدمنين على الخمر يتعاطون الكوكايين كما ان الكوكايين هو السبب في ان جميع الذين يتعاطونه او معظمهم يقبلون على الخمر اقبالا مضاعفاً وما كانوا كذلك من قبل

كانت تلك المزايا واللذة العقلية الراقية حقاً سبباً في استرسالي في تعاطيه والادمان عليه . زد على ذلك بعض أعمال طرأت عليّ في أول عهدي به دعت الى الاكثار منه لزيادة التنبيه ومقاومة الجهد والسهر ليلاً لانجازها فكنت اقضي الليالي والايام أمام مكتبي موضوعاً عليه زجاجة من الكوكايين سعتها خمسة جرامات فكانت تتدفق عليّ الافكار كسرب من الطير تلو بعضها مصوغة في قالب بديع واني لادهش الآن حين مراجعتي لها وتأملي كيف جاد بها ذلك المخ الضعيف ودبجها هذا اليراع الكسير

* * *

على ان هذا النشاط الفكري واللذة العقلية الراقية وذلك النعيم المصطنع لم يدم اكثر من شهرين أو ثلاثة ثم اعقبه جحيم لافح وعذاب أليم . وسقوط الى هاوية خراب ودمار لا عاصم اليوم منها الا الكدح والعمل . فلاحظت بعد ذلك ان جسمي أخذ يعتاد عليه شأن الجسم وكل دواء نافع أو ضار . فاخذت اللذة تقل شيئاً فشيئاً الى أن انعدمت و كنت كلما قلت اللذة اضاعف الكميات التي اتعاطاها على أمل الحصول على اللذة مرة أخرى تلك اللذة التي لا انساها ولن استطيع نسيانها أبداً . وقد اعقبها اضطراب في الجسم واختبال في الاعصاب ظهر تدريجاً مصحوباً بألم في القلب نتيجة تأثير الكوكايين في ذلك العضو الرئيسي الدقيق وأخذ هذا الاضطراب مع مرور الزمن والاسترسال في تعاطي ذلك المكيف تشتد وطأته . وبالرغم من كون الكوكايين منبها شديداً للمخ ، فاني أصبحت لا استطيع العمل نظراً لذلك الاضطراب الذي كان يعتريني وألم القلب الذي كان يطرأ عليّ اثر الاستنشاق به فاذا ما حاولت الكتابة أو القيام بأي شيء أراني مع ما بي من تنبه ونشاط فكري عاجزاً عن الاستمرار في عمل واحد غير مهتد الى فكرة واحدة وذلك لعدم ثبات أفكاري في اتجاه واحد حتى اذا ما أردت تحرير خطاب أو الكتابة في موضوع و بدأت في تسطير الخاطر لا ألبث أن أعدل عنه قبل اتمامه اذ يكون قد طرأ خاطر آخر يحيل

اليّ معه أن الاول غير متقن الوضع أو صحيح المعنى وهكذا تمر عليّ ساعات طويلة اسود فيها الموضوع الواحد عشرات المرات وامزق ما اكتب واعيد الكتابة الى أن يتغلب عليّ التعب فأرمي بقلمي واطوي ورقي وتكون النتيجة اني خرجت من الموضوع بلا شيء

وكنت كلما تعاطيت منه كمية شعرت بكره شديد لمقابلة الناس وضيق في صدري يجعلني لا أحتمل الحديث ولا أستطيع الكلام فقد كان يحبب الى نفسي الانزواء عن الناس فأذهب الى غرفتي واحكم ايصاد الباب خوفاً من أن يدخل عليّ أحد وكنت أرفض مقابلة أي انسان ولو كان أحب النـاس اليّ حتى ولو كان وراء ذلك الزائر نفع كبير . واذكر اني كنت أوصي بأنه غير مسموح لاحد أن يطرق بابي او يناديني ولو أحرق البيت بما فيه . وهناك في هذه الحجرة كان ينفرد بي الكوكايين . اشعر بالاضطراب وألم القلب وقلق النفس وضيق الصدر والاكدار والهموم تتراكم عليّ فأملاً في ازالة هذه الاعراض التي كنت لا اطيقها وأرى شبح الموت وراءها فقد كان يخيل اليّ ان دقات قلبي ستقف من لحظة الى أخرى فأتناول منه كمية ثم اشفعها بأخرى فيسكن الالم فعلاً وتزول موقتاً هذه الحال وأبقى مستريحاً ما يقرب من الساعة . ثم أخذت فترات الراحة هذه في النقصان حتى صرت فيما بعد مضطراً لتعاطيه وأنا في خلوتي كل ربع ساعة على الاكثر .

أستمر في هذه الحالة اعالج نفسي بالذي كان هو الداء طول يومي وكذلك الليل الى الصباح ثم اليوم الثاني ومتى جاءت الليلة الثانية يكون التعب قد خيم عليّ فاستلقي على فراشي متحايلا على النوم فما ألبث حتى أشعر بحالة هي أقرب للموت منها الى النوم . أشعر بما يشبه سقوطاً بطيئاً في هاوية لا غور لها ويسكن جسمي وتتخدر أعصابي قليلا وتتغامض جفوني ثم أبدأ في غيبوبة هادئة اشعر معها براحة تكاد تكون لذيذة . واني موقن ان بدء الموت هكذا هو في الواقع ـ ومع ذلك كله يبقى عقلي منتبهاً شاهداً لكل ما يحدث محللاً ومعللاً تلك الاعراض . فأكون يقظان نائماً . أحلم وأنا نائم الى حد الاحلام اذ كنت احلم بشتى الاحلام المزعج منها والهادىء . كل ذلك وعقلي يقظان عارف بأني احلم . وينتهي بي الامر ان أغط في نومي حتى اذا ما استيقظت في الصباح زالت أعراض الاضطراب وألم القلب غير اني اكون منهوك القوى وليس في عقلي ولا جسمي النشاط المعهود أمشي أجر قدمي كشيخ هرم

وقد كان ادماني على تعاطي ذلك المكيف خصوصاً بعد ان دب الاضطراب في جسمي وسرى الالم الى قلبي بشدة من يوم الى آخر سبباً في ان يتسلط الوهم على عقلي فكان يخيل اليّ وأنا في طريقي سائراً ان جميع الناس ألسنة انتقاد يصبون عليّ من الاستهزاء والامتعاض ما يجعلني أهرب منهم الى حيث الخلوة بغرفتي الا اذا كنت مضطراً لعمل او قضاء مصلحة . وكنت اسمي الجالسين

على القهاوي والبارات بالمحلفين يصدرون احكامهم عليّ وكم كان ذلك الوهم المعتل داعياً لاثارة الشجار مع اناس لا اعرفهم ظناً مني انهم كانوا يتحدثون في شأني ويطرونني بانتقادهم

ومن الاوهام التي تسلطت عليّ وكانت سبباً في شقائي المريع بل جعلتني قريباً جداً من الجنون التام الخوف من الحشرات الدبابة فكنت كلما دخلت غرفتي انفقدها بكل دقة خوفاً من وجود شيء مثل العنكبوت أو أبو شبت أو السحالي أو الخنافس وكنت امرر النار أسفل السرير وفي جوانبه وتحت الكراسي والمقاعد والاثاث لكي احرق ما عساه يكون موجوداً من تلك الحشرات وحدثت احياناً اني أوشكت على احراق المنزل نتيجة تلك التصورات الجنونية

والانكى من ذلك ان تطرق هذا الوهم الى جسمي . الى رأسي على الاخص . فقد كنت اشعر ان شيئاً من صغار الحشرات يدب أحيانا على جسمي . والاكثر هولاً ان رأسي غدا مسرحاً لها ولاجل ان ابيدها كنت في أول الامر استعمل الاستحمام في اليوم الواحد اربع مرات على الاقل واغسل رأسي بالصابون المطهر وكل لحظة من الليل والنهار . ولما لم تنجح هذه الوسيلة عمدت الى حلق شعر الرأس بالموسى

وكان يتكرر ذلك مني كلما نبت الشعر . ولما لم يقف هذا الوهم عند حد بل كان قد تزايد لجأت الى ما هو ادهى حيث كنت ادهن رأسي على أثر الحلاقة بصبغة اليود لكي اقتل تلك الحشرات الوهمية وناهيك بما كنت اشعر به من ألم لا يطاق من جراء ذلك

وقد ترددت في ذلك العهد على كثير من الاطباء فكان جواب كل واحد منهم بعد فحصي بالنظارات المكبرة أن لا أثر مطلقاً لتلك الحشرات وقد قال لي احدهم انه توجد حقيقة حشرات الا انها ليست في الشعر ولا في الرأس ولكنها في المخ

* * *

وبديهي ان تلك الاحوال من ضعف واضطراب ووهم وسهر الليالي وضعف الارادة والذاكرة قضت على صحتي وكادت تقضي على عقلي فكانت سبباً في اهمال اشغالي . ومن الاوهام التي كانت تسطو على عقلي وانا في خلوتي أن يخيل لي أن أرى أشباحا لا حقيقة لوجودها فاذا ما كانت مثلاً بعض ملابس معلقة داخل الحجرة حسبتها رجلاً واقفا يترصدني فأفزع وامعن النظر اليها حتى أتثبت بحقيقة الواقع كذلك اذا حرك الهواء ستارة ظننتها تتحرك هي بفعل فاعل الى ان انفقد الغرفة فيزول ظني

وكنت أسمع همس اصوات في خارج غرفتي تختلف باختلاف الحالة التي اكون عليها فان كنت مضطرباً متكدراً حسبتها اصوات قوم يتحدثون عني بالسوء ويحاولون التطلع اليّ من

ثقوب الابواب والشبابيك ولهذا كنت احكم سدها ورغماً من ذلك كنت أتصوَّر ان بعضهم واقف وراء الباب طول الليل يترصدني ويحاول ان يقف على حالتي ـ وأما اذا كنت هادئاً على اثر الاستنشاق بكمية من الكوكايين أتخيل أني اسمع اصواتاً نسائيـة لذيذة تحرك عواطفي اكثر مما تحرك شهوتي

* * *

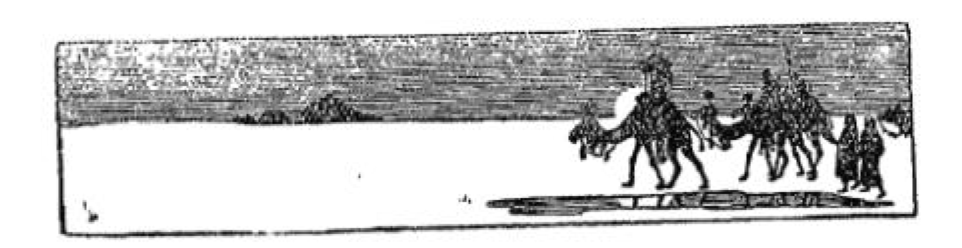
كل هذا قضى على صحتي وكاد يقضي على عقلي · وكان سبباً في اهمال اشغالي ومصالحي وارتباك اموري وحملني على التصرف في البقية الباقية لي من متاع الدنيا أسوأ تصرف اذ وقعت في ايدي قوم هم ذئاب في لباس رجال ابتاعوا مني ما املك بأبخس الاثمان وكانوا يزيدون في ضيقي بما كانوا يحبسونه عني من باقي اقساط الثمن فاضطر مع هـذا للاذعان لهم والتنازل عن الكثير في مقابل القليل الذي اسد به رمقي

ويطول بي المقام في شرح ما لاقيتـه بسبب ذلك السم الفاتك من تعب وآلام وضعف وانحطاط وشقاء في الحياة

* * *

كنت أحاول من حين لآخر ان اقلع عن تعاطي هذا المكيف اللعين ولم يكن في الامر من صعوبة كبرى كما يتوهم البعض وكما اتضح لي فيما بعد · غير ان ارتباك اموري وضيق يدي وعدم تشجيع الناس لي على العمل كل هـذا كان يزيدني يأساً وبالتالي انغماساً في تلك التهلكة رجاء نسيان ما انا عليه من سوء وشقاء مؤملاً ان يسرع ذلك السم في اجلا كي فأستريح من جحيم هذه الحياة · الى ان طرأ عليّ مرض مؤلم ألزمني الفراش مدة شهر تقريباً فكان سبباً في نسياني عادة استعمالي اياه وسلوته والحمد لله

ك · ل ·



الشاب الجميل (Le beau jeune homme)

قصة تمثيلية فكاهية للكاتب الفرنسي الفرد كابو (Alfred Capus)

تلخيص وتعليق : الدكتور طه حسين

هي احدى هذه القصص التي يتقنها كبار الكتاب الفرنسيين والتي تقرأها أو تشهدها فتشعر بشيء كثير من الراحة لقراءتها ، أو رؤيتها ، وتشعر بان الكاتب لم يتكلف جهداً ولا مشقة حين كتبها بل تشعر بان الكاتب قد استراح الى كتابتها ووجد من اللذة في تنسيق فصولها ومناظرها مثل ما تجد أنت في قراءتها أو النظر اليها . بل تشعر بان الكاتب قد ابتسم عندما خطر له موضوعها ونشط للكتابة في هذا الموضوع فاخذ قلمه باسماً ، وظل يكتب باسماً ، وانتهى من الكتابة ولم تفارقه بسمته ، أو قل انتهى من الكتابة وهو يضحك . على انك تشعر فوق هذا كله بان ابتسامة الكاتب وابتسامتك أنت حين تقرأ القصة أو تشهدها ليست ابتسامة حلوة كلها وانما تشوب حلاوتها مرارة ما . ليست ابتسامة عبث ولا ابتسامة سخرية وانما هي احدى هذه الابتسامات التي تمثل الامرين جميعاً : فيها العبث لأن بين الاشخاص وفي أخلاقهم وحركاتهم ما يدعو اليه ، وفيها السخرية لأن في هذه الاخلاق والحركات ما يحمل الرجل المستقيم ذا المزاج المعتدل على أن يهز كتفيه ، وفيها الى هذا العبث وهذه السخرية شيء من الالم المادىء والأمل الذي يخلق بالفيلسوف لأن هذه الاخلاق والحركات — على انها خليقة بشيء من الازدراء وعلى انها شائعة وعلى انها قوام الحياة — ليست خالدة جامدة ولا عسيرة مستعصية على الاصلاح فهي منكرة بعض النكر ولكنها قابلة لأن يعتدل منحرفها و يستقيم بعض ما فيها من العوج

تجد هذا كله حين تقرأ القصة أو تشهدها . وتشعر بشيء من الغبطة والرضا والحاجة الى أن تشكر للكاتب انه قد أرضاك وألهاك دون أن يثير في نفسك هذه الانفعالات الحادة التي تثيرها القصص المحزنة ودون أن يسلط عليك هذا الضحك العنيف الذي تبعثه القصص المضحكة بالمعنى الذي يفهمه الممثلون لهذه الكلمة ، وانما ارضاك وألهاك في هدوء ودعة أو قل انه حقق ما أنت محتاج اليه من هذه الراحة التي يطمع فيها العاملون وقد انفقوا يومهم في الجهد والمشقة

ثم أنت واجد في هذه القصة ناحية من الحياة الفرنسية قلما تجدها فيما ألفت قراءته ورؤيته من القصص التمثيلية ، وهي حياة طائفة من أهل الاقاليم . ولكاتبنا هذا عناية بأهل الاقاليم نعرض عليك منها نموذجاً في هذا التلخيص ونرجو أن نعرض عليك منها نموذجاً آخر في غير هذا الفصل . ثم أنت واجد في هذه القصة ما تجده في قصص هذا الكاتب جميعاً من هذا المذهب الفلسفي الذي يقوم على المصادفة ويضيف اليها الأثر الاكبر فيما يملأ الحياة من عمل وما يعترض الناس من خطوب

ولقد احب أن أسلك في هذه القصة نفس الطريق التي تعودت أن اسلكها في القصص الاخرى فاقدم اليك أشخاصها في شيء من الايجاز ، ولكني أشعر بأن هـذه التقدمة لن تكون قوية ولا خلابة لأن الاشخاص في انفسهم ليسوا أقوياء ولا خلابين · وأشعر أيضاً بشيء من الخوف لاني أحس ان سأتورط في تقصير شديد عن ان أبعث في نفسك مثل ما بعث الكاتب في نفسي من الراحة والرضا والابتهاج · ذلك لان لذة هـذه القصة وأمثالها تأتي من اللفظ في كثير من الاحيان وتأتي من اللفظ لنفسه أي من حيث يصعب ان يترجم وينقل من لغة الى لغة · ولكني على هذا كله مجتهد في تلخيص هذه القصة

واذا لم يكن بد من تقديم هؤلاء الاشخاص فلأبدأ بأشدهم قوة وأعظمهم أثراً فيها وهو « فالنتين بريدو » (Valentin Bridou) شاب في الثامنة والعشرين من عمره وسيم الطلعة حين تقع العين عليه ولكنه ليس بالجميل حقاً اذا احسنت التحديق فيه · قد ظفر بالشهادة الثانوية في الآداب وهو اذا تكلم او كتب خُيّل الى من يسمعه أو يقرأه أنهُ عظيم الحظ من العلم كاتب متحدث منطلق اللسان . فاذا حقق النظر فيه ظهر أنهُ ليس شيئاً أو لا يكاد يكون شيئاً · هو كما يقول الكاتب من هؤلاء الاشخاص الذين يعجبون النساء لان عليهم سمة الجمال ولهم مظهر الذكاء وليسوا بالحسان ولا الاذكياء · وهو مدير لمكتبة المدينة التي يعيش فيها ، يتقاضى مرتباً ضئيلاً ولكنهُ ضخم بالنسبة الى مدن الاقاليم · وهو بطبيعة الحال شديد الاعجاب بنفسه ، شديد الطمع ، شديد الازدراء للناس مقتنع كل الاقتناع بأنهُ يشهد عصر انتقال يفنى فيه جيل و ينهض فيه جيل آخر، فأما هذا الجيل الفاني فقد استنفد قوتهُ وأصبح غير صالح للبقاء ، وأما هـذا الجيل الناهض فهو ممتلىء قوة ونشاطاً ولكن الشيوخ يأخذون عليـه الطريق ولا بد له من ان يقهرهم · وصاحبنا ساخط لا يرضى عن حاله ولا يطمئن الا اذا ظفر في باريس بالمكانة التي تلائمه

وله في مكتبته رفيق يعينه متوسط دميم الخلق ساذج الطبع راض بما قسمهُ الله له حريص على مكانته جاد في طاعة النظم والقوانين منكر على صاحبه طيشه ونزقه وطمعه

ثم شخص آخر هو جونيل (Jounel) في السادسة والاربعين من عمره ، ضخم الثروة معتدل المزاج ولكنهُ لا يخلو من طمع ، يريد أن يكون عضواً في مجلس الشيوخ، وهو مخالف للحكومة القائمة في الرأي على أن ثروته وجمال امرأته يشجعان على الطمع في الانتصار على مرشح الحكومة

ولهذا الرجل امرأتهُ كلوتيلد (Clotilde) شابة جميلة ، معتدلة المزاج ايضاً ، شديدة البغض للسياسة والانتخابات والاعمال العامة ، لا تطمع الا في ان يبقى لها زوجها منقطعاً اليها يلهيها ويمتعها بثروته الضخمة · وهي تبذل ما تملك من جهد لتصرف زوجها عن مجلس الشيوخ ، وهي تنذره بالخيانة ان اصبح شيخاً لان ذلك لا يلائم سنها ولان بين الناس من يتملقها وقد وعدتهُ بالاسماح له يوم يصبح زوجها شيخاً . ولكن زوجها يأبى الا ان يكون شيخاً ولا يأبى على نفسه

التفكير في انهُ قد يصل الى الوزارة · وهو مطمئن الى زوجه لا يحفل بوعيدها ولا يشك في انها وفية له مهما يكن من شيء

وهناك فتاة أخرى مارت أوبري (Marthe Aubry) معلمة في المدينة ، رائعة الجمال طيبة النفس مستقيمة الخلق ادركها اليتم هي وأختها ولما يتمّ تعليمها فمضيتا حتى أنتاه · فأما اختها فآثرت العاجلة وانطلقت مع أول رجل غني عرض عليها الترف والثروة وأما هي فآثرت الاستقامة والحياة الشريفة · وقنعت بمنصب المعلمة في احدى مدن الاقاليم · وهي تحب « فالنتين بريدو » مدير المكتبة هذا الذي قدمتهُ لك منذ حين ، وهي تطمع في ان تقترن به وهي تتردد على المكتبة في كل يوم تزعم انها تريد البحث في دائرة المعارف ولكنها لا تريد في حقيقة الامر الا ان ترى هذا الشاب · وهذا الشاب يحبها ولا يكره ان يقترن بها ولكنهُ يحب قبل كل شيء ان يظفر بمكانة تلائمهُ في باريس

وهل تحب أن أتم هـذه المقدمة فأذكر لك هذا الشخص الاخير الذي سنراه في الفصلين الثالث والرابع وهو بلوش (Bluche) مدير مكتب للتخديم يعرف كل شيء ويسعى في كل شيء ويقدر على كل شيء وان كان في حقيقة الامر لا يعرف شيئاً ولا يكاد يقدر على شيء

هؤلاء هم الاشخاص وهم كما ترى عاديون لا يمتـاز أحدهم بشيء ما . ولا يمكن أن تكون القصة التي تقع بينهم الاعادية هادئة لا أثر فيها للانفعال الحاد ولا للضحك العنيف

***

فأما الفصل الاول من هذه القصة فيقع كما قدمنا في مدينة من مدن الاقاليم . ونحن اذا رفع الستار في المكتبة وأمامنا مساعد المدير كأنه يرتب كتباً · على اننـا لا نلبث أن نشعر أن هذه المكتبة كغيرها من مكاتب المدن فقيرة كل الفقر لا تكاد تشتمل الا على دائرة المعارف وبعض الكتب أو المجلدات السياسـية · وقد دخل خادم مأمور المركز · يطلب مدير المكتبة ليجيب سيده وهو يعلن في ثرثرة ظريفة أن المأمور مغضب لان مدير المكتبة قد كتب في صحيفة المدينة فصلاً سياسياً عضد فيه مرشحاً في مجلس الشيوخ معـادياً للحكومة وذم فيه مرشح الحكومة وهو قريب المأمور · ولا يكاد يخرج الخادم حتى يأتي مدير المكتبة ، فاذا هو كما قدمنا فتى ظاهر الرشاقة واللبـاقة ولكنه في حقيقة الامر ليس شيئاً لولا انه شديد الطمع قوي الارادة · فاذا اخبر بأن المأمور يدعوه وانه مغضب منه لم يحفل بذلك وانما أخذ يحدث صاحبه عن الفصل الذي كتبه في صحيفة « المستقل » وهاجم فيه قريب المـأمور في قوة وعنف ودافع فيه عن خصمه دفاعاً شديداً · فاذا سأله صاحبه : فيم هذا الهجوم أنبأه ، بأن قريب المأمور هذا قد ذكره بسوء فيما بلغه وانه لا يعرف خصمه ولكنه مع ذلك يؤيده ويبذل في ترشيحه ما يملك من قوة · ويكون بين الرجلين حوار تفهم منه ان احدهما وهو المدير يتحرق شوقاً الى باريس لعله يظفر فيها

بما يريد من هـذه المكانة العالية وانه واثق بالوصول الى ما يحب ، فكل شيء يدله على ذلك : انظر الى هـذا الجيل الذي يريد أن ينقضي كيف ضعف واضمحل وكيف عجز وانحل وكيف أخذ الفساد يعمل فيه من كل ناحيـة فلا خلق ولا قوة ولا ارادة ولا مهارة ولا استقامة في الاعمال ، وهذا مأمور المركز : ما قيمته ؟ وماذا عمل وهو يخدم الحكومة منذ خمس عشرة سنة ؟ وهذا المدير : اتظنه وصل الى منصبه لولا انه اصهر الى سكرتير الوزير ؟ والامر كذلك في جميع طبقات هذا الجيل وفي انحاء الحياة الاجتماعية كلها : جيل يفنى وجيل آخر ينهض ، وهذا الجيل الناهض منتصر من غير شك ففيه حب الحيـاة وطموح الى الرقي وفيه قوة على الجهاد وصبر على المكروه وفيه نبوغ واستعداد للنبوغ . انظر الى صاحب الصحيفة التي تصدر في هذه المدينة : لقد عرض على الفتى المدير ١٥٠ فرنكاً في الشهر على أن يكتب لصحيفته فصلاً في كل يوم . فهو اذن يستطيع أن يعيش خارج المكتبة وهو يستطيع ان يغضب المأمور . هـذا كله في الاقاليم ، فكيف به لو ذهب الى باريس !

أما صاحبه فهادىء معتدل قانع فيلسوف ينصح لرئيسه بالهدوء والدعة والرضا بما هو فيه ، وينصح له بنوع خاص بألا يلتمس في الحيـاة الا هذه السعادة الهادئة العادية . وما له لا يفكر في هـذه الفتاة المعلمة التي تحبه وتتردد على المكتبة من أجـله وتتمنى ان تكون له زوجاً ، أليس هو يحبها أيضاً ؟

بلى . هو يحبها ولكنه لا يتعجل هذه السعادة وانما يريد ان يصل الى الثروة والمكانة قبل ان يفكر في الزواج

فأما وقد تحدث الرجلان في الحب فلم يكن بد لصاحبنا المساعد الفيلسوف من ان يذكر حبه ايضاً ، فهو ايضاً يحب ولكنه يحب من غير أمل . يحب امرأة لا يعرفهـا ولا ينتظر ان يعرفها ، رآها مرة في باريس وقد كان يمشي الهوينا في الغابة فاذا هي تنزل من عربتها واذا منديلها يسقط فيلتقطه هو ويدفعه اليها فتأخذه شاكرة . وهذا يكفي ليذكي في قلب صاحبنا للحب جذوة متوقدة . وصاحبنا فيلسوف يحتمل هـذه الجذوة وما لها من لذع ولكنه يعلن انه ان رأى هاتين العينين السوداوين مرة اخرى فلن يستطيع ان يضبط نفسه ولن يكون له على حبه سلطان

وهـذه الفتاة المعلمة قد أقبلت تكلف مساعد المكتبة ان يعد لهـا جزءاً من « لاروس » (Larousse) لتنظر فيه بعد حين . ولكنها رأت المدير فتتحدث اليه و يدعوها هو الى مكتبه ليظهرها على بعض الصحف التي وصلت من باريس فتمتنع عليه فاذا سألها لماذا أجابته : لاني ان تبعتك الى المكتب حاولت ان تقبلني كما حاولت في المرة المـاضية فأمتنع عليك فتتغاضب ، وفيم نتغـاضب ونحن صديقان ، على أني لا اكره ان تقبلني بل قد اجد في ذلك سعادة ولكن قبل ان

اسمح لك بهــذه اللذة ولنفسي بهذه السعادة يجب ان تخطبني و يجب ان اعرف متى نقترن ، ولمَ لا نقترن ؟

فاذا ذكر لها طمعه في الثروة والمكانة دهشت واعلنت اليه انها راضية بمكانتها ومكانته وانها ترى انهما يستطيعان ان يعيشا سعيدين واخذت ترغبه في الزواج وتذكر له اموراً من شأنها ان تشجعه عليه ، ومن هــذه الامور انها تحبه ، ولكنه مصر على الثروة قبل كل شيء فتدعه على ان تعود لتنظر في دائرة المعــارف . وما تكاد تخرج حتى يأتي « جونيل » هذا الرجل الغني الذي يرشح نفسه لمجلس الشيوخ ، يأتي لانه قرأ الفصل الذي نشره الفتى في الصحيفة فجاء شاكراً . وما هي ان يرى الفتى ويتحدث اليه حتى يعجب به فيعرض عليه ان يكون سكرتيره وان يرافقه الى باريس . ولا يحتاج الى الالحاح على الفتى في ذلك فقد قبل الفتى ، وما له لا يقبل وهو سيذهب الى باريس وسيعمل في السياسة وسيكون يد هذا الرجل اليمني حتى يصل الى مجلس الشيوخ ثمَّ الى الوزارة ، ومن يدري ماذا يجني هو في أثناء هذا كله ؟ على ان صاحبنا الشيخ ينبئه بأنه يخوض غمار الانتخابات على كره من زوجه فهي لا تحب السياسة ، ولكنه واثق بالانتصار عليها ، وهو يعلم ان امرأته ستغضب حين تعلم انه قد اتخذ له سكرتيراً ولكن غضبها لن يطول فهو يوصي الفتى بالأناة والرفق . اما الفتى فقد قبل كل شيء وهو يترك صاحبه ليكتب الاستقالة . ولا يكاد يخلو الى نفسه حتى تأتي امرأته ، فاذا هي كما قدمنا ، شديدة السخط على السياسة ، شديدة البغض لاندفاع زوجها فيها ، ولا يكاد زوجها ينبئها بأنه اتخذ له سكرتيراً حتى تثور ، ولكن السكرتير قد اقبل وقد نظرت اليه فتحس انه وقع من قلبها ، وهي تتلقاه متكلفة بعض الفتور وتدعوه الى العشاء متكلفة بعض الفتور ايضاً .

و ينصرف الزوجان وتعود الفتاة المعلمة فلا تكاد تتحدث الى صاحبها وتعلم باستقالته واعتزامه السفر الى باريس حتى يأخذها الحزن والجزع والاضطراب ، وهو يهدئها ويخطبها و يعدها ولكنها لا تحفل بذلك ولا تكاد تصدق منه شيئاً . وهي تدع صاحبها وتنصرف الى الكتاب تريد ان تنظر فيه فلا تستطيع . وانى لها ذلك وقد ملكها الاضطراب ؟ فهي لا ترى الا صاحبها ولا تفكر الا في سفره . وهي في ذلك واذا امرأة تدخل وتسعى في خفة حتى تصل اليها فتقبلها فاذا التفتت رأت اختها « بوليت » (Poulette) وهي لم ترها منذ سنتين ، منذ انقطعت هي الى التعليم ومضت الاخرى مع اول رجل غني لقيها . واختها تنبئها بأنها كانت مسافرة معه الى نيس حتى اذا وصلا الى ديجون ذكرت اختها فقالت له يجب ان نفترق هنا لأرى اختي وسألقاك آخر النهار . فاذا سألت اختها من هو ؟ اجابت : هو ، هو الذي تعرفينه ، هو جوستاف ، على اني سألقاه آخر النهــار ولم اشأ ان اصطحبه حتى لا اعرضك لسوء القالة فاذا سألك عني أحد فقولي اني معلمة في باريس ، وانت تذكرين اني كدت اكون معلمة في باريس . . . لولا ان وصل جوستاف ـ كلا لم يكن

جوستاف وانما كان ادوار . ثم تمضي في هذا الحديث السريع حتى تسأل اختها عن حالها فما اسرع ما تتبين انها محزونة وما اسرع ما تفهم سبب هذا الحزن وما اسرع ما يظهر حبها لاختها وحماستها في الدفاع عنها وبينما اختها تجذبها للخروج من المكتبة اذ يقبل مدير المكتبة ، فما اسرع ما تعرف هذه المرأة انه هو الذي تحبه اختها فتأخذ في لومه وتعنيفه وترغيبه عن باريس

وقد كان ما لم يكن منه بد . فمضى صاحبنا الى باريس وترك المعلمة في الاقليم

***

واذا كان الفصل الثاني فنحن نراه جالساً الى المنضدة وفي يده القلم وصاحبه الشيخ يملي عليه بدء منشور انتخابي ولكن الرجل لا يكاد يقيم الجملة الاولى من المنشور فهو يتردد ويضطرب ويستأنف القول ثم يعيده ثم يستأنفه دون أن يستطيع التقدم . فيعرض عليه كاتبه ان يفعلا كما فعلا في المرة الماضية . فما اسرع ما يقبل مسروراً واذا هو قد جلس الى المنضدة واخذ القلم ونهض الكاتب فاخذ يمشي في الحجرة مملياً ، واذا الكلام متصل مستقيم والجمل يتبع بعضها بعضاً في غير تردد ولا اضطراب ، والشيخ راض مبتهج يعلن في سذاجة انه لا يحسن الكتابة الا اذا جلس هو واخذ القلم ومشى كاتبه واملى

وهما في ذلك واذا امرأتهُ قد اقبلت فاذ رأت ذلك دهشت وأخذها شيء من الضجر لم تحاول قط اخفاءه . ثم تأخذ في لوم زوجها على السياسة ودخوله فيها وتسأله عن حفلة راقصة يريدان إقامتها : أتكون في الرابع عشر أو الخامس عشر من الشهر ؟ فيتردد ثم يذكر ان بينهُ وبين الناخبين موعداً في احد هذين اليومين ولكنهُ لا يعرف أيهما ثم يلتمس كتاب الناخبين اليه فلا يجده فيذهب كاتبهُ لالتماسه . ولا يكاد يخلو الى امرأته حتى تطلب اليه ان يقيل هذا الكاتب فيماتها لانها تلقى هذا الشاب بفتور بعد ان كانت قد لقيتهُ أول الامر في شيء من الظرف واللطف . ولكنها تلح عليه فيأبى ونفهم من حديثهما ومن الحاحها أن بينها وبين هذا الفتى حباً او شيئاً يشبه الحب وهي لا تريد أن تصل الى خيانة زوجها . ولكن الرجل سليم القلب لا يفكر الا في السياسة والانتخاب ومجلس الشيوخ . فاذا ابى عليها ويئست منهُ تركتهُ وجاء الفتى ، وهما باستئناف العمل ولكن معين الفتى في المكتبة قد جاء فتركهما الشيخ على ان يستأنف العمل بعد حين . وما هي الا ان يتحدث الفتى الى مساعده القديم حتى نفهم انهُ قد رأى العينين السوداوين مرة اخرى : رآهما هناك في المكتبة في ذلك اليوم المشهود يوم كانت المعلمة تنظر في الكتاب فجاءت أختها، هو اذاً عاشق لاخت هذه المعلمة ، وقد كان صادقاً حين أعلن انهُ لن يملك نفسهُ ان رأى عينيها مرة اخرى ، وقد رأى عينيها بل جلس معها الى مائدة المعلمة ففقد الرشد او كاد ، واستقال على كل حال وأقبل الى باريس ولن يفارقها ، وهو سيء الحظ . فقد ذهب الى دار هذه الفتاة واستأذن عليها فتركتهُ ينتظر نحو الساعة ثم خرجت ومعها ثلاثة رجال فمرَّت به مسرعة وهي

تقول : اذا لقيت اختي فبلغها تحيتي ، وهو سيء الحظ . فقد التمس العمل فلم يظفر بشيء وذهب الى « بلوش المخدم » وبينهما صلة ، فأبى هذا الرجل ان يلقاه فلما الحّ عليه امره بالعودة الى الاقليم وصاحبه الفتى يأمره بمثل هذا ويضرب له موعداً بعد ساعات ليطعما معاً على ان يسافر هو بعد العشاء . اما هذا الرجل فيقبل الموعد ويقبل العشاء ولكنهُ يرفض السفر . وقد خرج وجاءت امرأة الشيخ فأنبأت الفتى ان زوجها قد خرج يتروض وانها تريد أن تتحدث اليه ، ثم اعلنت اليه في صراحة انها قد طلبت الى زوجها إقالتهُ فرفض . واذاً فهي تطلب اليه ان يقيل نفسهُ لانها تحب زوجها وتكره ان يعاشرهما ثالث . اما هو فيعدها بالاستقالة والسفر ولكنهُ ينتهز هذه الفرصة التي لن يراها بعدها ليعلن اليها في صراحة ايضاً انهُ يحبها ، ويحبها حباً لا حد له ، وانهُ لو شاء لاظهر لها هذا الحب ولكنهُ أراد ان يكون رجلاً شريفاً فكتم حبه ، فأما الآن وسيفارقها فراقاً لا لقاء بعده فلا جناح عليه أن يعلن اليها هذا الحب . فاذا أرادت ان تأخذه بالصمت مضى في الحديث واعلن اليها انها شجعته على هذا الحب . أليست قد اعتمدت على يده مرة في الملعب وبقيت معتمدة عليها ما استمر التمثيل ؟ أليست قد التصقت به التصاقاً مرة في العربة يوم عادا الى البيت منفردين ؟ فلو لم يكن رجلاً شريفاً لانتهز احدى هاتين الفرصتين واعلن اليها حبه . ولكنه لم يفعل وهو يفارقها لا يؤلمه الا انها ليست وفية لزوجها . فاذا اخذت تنكر عليه ذلك اخذ يتهمها بأنها تحب فلاناً وتداعب فلاناً حتى تضيق به ذرعاً فتعلن اليه انها لم تخن زوجها ، ولولا حرصها على الوفاء لزوجها لما طلبت اليه الرحيل ولكنها تحبه وتخشى ان اقام ان تقع في الاثم . فاذا سمع هذا فهو سعيد وهي ايضاً سعيدة وهي لا تتعجله في السفر بل تطلب اليه البقاء ولكنها قلقة ، اما هو فجريء انظر اليه يسرع اليها يريد ان يأخذها بين ذراعيه ، ولكنها تتحرج وتأبى عليه الا حباً بريئاً ولا تسمح له الا بقبلة بعينها يضعها بين شعر رأسها لا يتجاوز هذا الشعر . وانه لفي هذه القبلة اذ يحسان حركة فيفترقان واذا الزوج قد اقبل فتلقاه متبسمة وتعلن اليه انها قرأت بعض منشوراته الانتخابية فرضيت عنه وهو يبتهج حين يراها مسرورة راضية ، ولكنه لم يقبل وحده بل اقبل ومعه احد الناخبين فهو يدعو سكرتيره ليتحدثا مع هذا الناخب . وتخلو المرأة الى نفسها فتجلس مفكرة وفي يدها ورق كأنها تنظر فيه . وبينا هي في ذلك اذ يقبل زوجها دون ان تحسه . فاذا نظر اليها جالسة هكذا راقته فسعى اليها في خفة ورشاقة حتى يضع شفتيه من شعرها حيث كان الآخر قد وضع شفتيه . اما هي فقد احست شفتيه في شعرها فلم تفكر الا في صاحبها واذا هي تقول له : فالنتين ! أنت مجنون ... ان زوجي يستطيع أن يأتي الآن . قدّرانت وقع هذا الكلام في نفس الشيخ حين يسمعه

***

فاذا كان الفصل الثالث فنحن في مكتب المخدم « بلوش » وانا اعفيك من وصف هذا المخدم

واعماله واعوانه . ولكننا نرى في مكتبه مساعد المكتبة الذي رأيناه في اول القصة ، وقد اقبل الآن يلتمس عملاً ، والمخدم يأبى ان يلقاه ، حتى اذا الحَّ دفع اليه بعض النقد وصرفه واخذ في عمله . واذا كلوتيلد زوج الشيخ قد اقبلت تستأذن عليه . فاذا اذن لها انبأته بأنها تلتمس شاباً يقال له « فالنتين بريدو » وقد جاءت تستعين به على ان تلقاه وقد افتقدته منذ شهرين فيعدها خيراً ويطلب اليها صورته الفتوغرافية . فتنصرف لتأتي بها ويأتي مكانها « فالنتين بريدو » نفسه يطلب عملاً . فاذا سأله المخدم عما يحسن قال انه نال البكالوريا ، ولكن البكالوريا لا تفيد شيئاً وان عند هذا المخدم من العمال والاعوان لاشخاصاً نالوا البكالوريا في العلوم والآداب . ولكن باريس قد ضاقت بهم ، وانه ليعرف قوماً معهم الليسانس في الحقوق وهم يقودون عربات النقل ، ثم اخذ يبحث في دفاتره فلم يجد ما يعرضه على هذا الشاب الا عمل خادم عند رجل يحزم الامتعة ، فيأبى الشاب ، ولكنه قد وقع من نفس المخدم واعجبه فاخذ المخدم يعرض عليه العمل عنده ويطلب اليه ان يبدأ فيبحث عن فتى يقال له « فالنتين بريدو » فاذا سمع الفتى اسمه دهش وقال : غداً سآتيك به آخر النهار . وقد ترك المخدم لبعض عمله واقبلت كلوتيلد فالتقيا وتحدثا واطمأن كلاهما الى صاحبه واستوثق كلاهما من حب صاحبه وكان بينهما الميعاد . ثم ينصرفان و يعود المخدم تتبعه بوليت واختها المعلمة . ونفهم أن هذه الفتاة قد ضاقت بحياة الاقاليم ذرعاً بعد ان سافر خطيبها الى باريس فاعتزمت أن تترك التعليم وان تعيش في باريس . واقبلت الى اختها فلقيت عندها الشبان الاغنياء وأخذوا يعرضون عليها حياة اللهو فترفض وهي الآن تلتمس عملاً شريفاً . فاما العلوم التي تحسنها : فالرياضة والتاريخ الطبيعي والرسم والموسيقى ، ولكن هذا كله لا يغني عنها شيئاً وكل ما يستطيع الرجل ان يعرض عليها انما هو العمل في مطعم حقير ، فتتردد ثم تقبل وتهمان بالانصراف ولكن اختها قد القت في اذن المخدم انها لا ترضى بهذه الحياة لاختها وانها تعلم حق العلم انها ما زالت تحب ذلك الفتى الذي عشقته هناك حيث كانت معلمة وان هذا الفتى في باريس وانها تريد منه ان يلتمسه واسمه « فالنتين بريدو » وتخرجان ويأتي جونيل يلتمس عند هذا المخدم سكرتيراً وانهما لفي الحديث اذ يهمس الخادم في اذن سيده ان الفتى الذي استخدمه اليوم قد عاد يريد ان يخبره ببعض الامر . وهنا يتنبه المخدم الى ان هذا الفتى يستطيع ان يكون سكرتيراً لجونيل فيعلن الى جونيل انه قد ظفر له بما يريد ثم يأمر بادخال الفتى فاذا دخل ورآه جونيل اخذته ثورة وغضب وصاح : هذا فالنتين بريدو ! هذا هو السكرتير الذي اقصيته . ثم انصرف لا يلوي على شيء

فاذا كان الفصل الرابع فنحن في فندق حقير او كالحقير حيث يقيم فالنتين بريدو وقد قبل ان يعمل عند حازم الامتعة ليعيش . وقد اتصلت الرسائل بينه وبين كلوتيلد وقد وعدته أن تزوره اليوم فهيأ غرفته وزينها بالزهر ووضع فيها ألواناً من الحلوى وخرج لبعض امره . واقبل جونيل ومعه المخدم يلتمسانه . ونفهم من حديثهما ان جونيل قد ظفر في الانتخاب وأصبح شيخاً .

وهو يشعر بأنه مدين بهذا الفوز لهذا الشاب الذي رشحه وأيده واعانه حتى بلغ ما بلغ من الفوز ، وهو رجل وفي خبير يريد ان يكافيء هــذا الشاب على حسن بلائه عنده ولكن غياب الشاب قد طال فينصرف الشيخ على ان يعود . وقد اقبل الشاب بعد ذلك فيلق مساعده القديم قد ساءت حاله الى حد منكر وقد عاد الى فلسفته الاولى واعتزم العودة الى الاقليم . ولكن صاحبه يشجعه على البقاء في باريس ويرى ان الحياة جهــاد وانه يجد لذة لا تعدلها لذة فيما يلقى من الالم في عمله الجديد وما يستلزمه من حمل الاثقال ... وأي عظماء الرجال لم يشق في اول حيــاته ؟ وهو كذلك اذ تقبل بوليت ، فاذا خلت اليه لامته وأنبأته ان اختها قد تركت التعليم وانها قد اقبلت الى باريس وهي الآن تعمل في معمل حقير وهي واقعة في الاثم لا محالة اذا مضى في قطيعتها . فيذكي هــذا الحديث في نفسه جذوة الحب القديم وكأنه كان نسيه . فأما الآن وقد ذكره فقد ملأ هذا الحب قلبهُ فجأة واذا هو يطلب الى بوليت ان تشجع اختها وتدعوها الى الصبر والاحتمال فمــا زال يحبها وما زال حريصاً على ان يتخذها له زوجاً . أما هي فقد عرفت أنه ما زال محباً واكتفت بذلك وانصرفت

وتقبل كلوتيلد لميعادها . وهي مضطربة مروّعة ، فهي مقبلة على الاثم وخيانة زوجها وهي مقبلة في هذا الفندق الحقير وفي هذا الحي الذي لا عهد لها به . وبينا هي في روعها واضطرابها اذا صاحبها في اضطراب آخر ليس أقل منه ، فقد ذكر المعلمة وحبها البريء وزواجهما وتبين انه لا يحب هذه المرأة وانما هي فتنة عرضت له ثم انجلت غوايتها عنه قبل ان يتورط فيها . هو اذاً على بصيرة من امره والمرأة على بصيرة من امرها أيضاً . وانظر اليهما لا يكادان يبتدئان الحديث حتى تقع بينهما الخصومة : عرّض بزوجها فغضبت له وأخذت تحمده وتذود عنه وتفخر بفوزه في الانتخاب ، وما هي الا ان يحسا جميعاً ان ليس بينهما حب وانما هي فتنة قد خدعتهما . واذاً فليتصالحا وليفترقا صديقين لا شر بينهما ولا اثم ولا ريبة . وهما يفعلان وهي تنصرف واذا المعلمة قد اقبلت مبتهجة ولكنها لم تكد تدخل الغرفة وترى هذه المرأة منصرفة منها حتى عاودها اليأس . كانت اختها قد انبأتها ان الفتى ما زال لها محباً فاسرعت اليه مستعدة للتضحية والجهاد معاً . ولكنها ما كادت تصل حتى رأت امرأة تخرج من عنده ورأت باقات الزهر وألوان الحلوى ... فهي ساخطة ثائرة مزدرية لنفسها تضحك وتبكي في وقت واحد وهو يستعطفها ويترضاها ويبسط لها الامر على جليته فتصدقه أو تكاد تصدقه وهما في هذا الحديث اذ يقبل جونيل فيصافح الفتى و يعلن اليه أنه قد فاز وأنه مدين له بهذا الفوز وأنه قد جاء يعرب له عن حسن بلائه ويدفع اليه ورقة هي كتاب تعيينه مأموراً لاحد المراكز . يقع هذا في سرعة ولكنه لايخلب الفتى ولا يطير بلبه وانما يتقبل الفتى هذا كله هادئاً . يقول لاحدى جاراته : بعدقليل سأكون مديراً ثم عضواً مكانه في مجلس الشيوخ

طه حسين

الاتومبيل

عامل جديد في الحياة الاقتصادية

كثيراً ما يكون الاختراع سبباً لانقلاب عظيم في الامة قد لا تحدثهُ الثورة السياسية . فانتظام الطبقات في أوربا الآن الى عمال ومموّلين تصل بينهما طبقة متوسطة لا يرجع الى الثورات السياسية بمقدار ما يرجع الى اختراع الآلات مدة القرن التاسع عشر . فان هذه الآلات محت المالك الصغير من الوجود وأحالتهُ عاملاً يكترى عمله بأجر يومي وجعلت المالك الكبير أميراً عظيماً ينال من الاجر اكثر جداً مما كان يناله الامراء والملوك القدماء وأنشأت بين هاتين طبقة أخرى من المتوسطين

ولن يكون الاتومبيل أقل أثراً في الهيئة الاجتماعية من هذه الآلات . فانهُ يجب ألا يغيب عن ذهننا ان الطيارات وليدة الاتومبيلات وان الانسان انما ركب السماء عن سبيل الاتومبيل . لانهُ لما أخذ المخترعون يخترعون الاتومبيل كانوا يفكرون على الدوام في ايجاد محرك صغير ولكنهُ مع صغره قوي جداً . فلما اهتدوا اليه تساءلوا : لماذا لا نستعمل هذا المحرك في حمل طيارة ما دام قد بلغ هذه الدرجة من الصغر والقوة ؟

هذه واحدة للاتومبيل . ولكن فورد صاحب الاتومبيلات المعروفة باسمه يعتقد ان للاتومبيل فضلاً آخر سيعرفهُ الناس قريباً عندما يدخل الزراعة فيجعل المزرعة مصنعاً لا يقتصر على الحرث والحصد فقط بل يستعمل في حلج القطن وغزله ونسجه بحيث يبيع المزارع قطنه من مزرعته منسوجاً . وهذا بالطبع أمل في طور الاحلام قد لا يتحقق تماماً للعوائق العديدة التي تنتظره وان كان قد تحقق منهُ شيء كثير . ونحن نقتصر في بحثنا التالي على ما كان للاتومبيل من الاثر في الاحوال الاقتصادية الى وقتنا الراهن

فمن الاقتصاديين من يعزو الرخاء العظيم الذي تتمتع به الولايات المتحدة الآن الى صناعة الاتومبيلات . فان مصانع تلك البلاد تصنع سبعة أثمان ما يصنع في العالم كله من الاتومبيلات . ويقال ان معدل امتلاك الاتومبيلات يقع بنسبة أتومبيل لكل ستة أنفس . ومعنى ذلك ان في الولايات المتحدة الآن ما يقرب من ٢٠ مليون أتومبيل

وأصحاب المصانع يشجعون الاهالي على اقتناء الاتومبيلات فيبيعونها لهم بالتقسيط فاذا كان الثمن مثلاً مائة جنيه امكن العامل البسيط ان يشتري أتومبيلاً يسدد ثمنه على سنة أو سنتين يدفع كل شهر جزءاً من ثمنه . وعندنا في مصر شركة اميركية تجري على هذا المبدأ في بيع آلات

الخياطة فهي تكتب مع الشاري عقد استئجار لمدة سنتين مثلاً بحيث اذا انتهت السنتان ودفعت الاقساط على التمام أصبح المستأجر مالكاً للآلة

وانتشر الاتومبيل بهذه الطريقة بين جميع طبقات السكان وأصبح بين العمال أداة من أدوات الكرامة الانسانية لا من أدوات الترف او الراحة . فكل عامل مجبر على الاقتصاد في معيشته حتى يتوافر له مبلغ يشتري به اتومبيلاً مثلما يفعل جاره او قريبه . ومن الهوان ان يخرج الآن عامل الى مصنعة على غير اتومبيله

وبالنسبة لكثرة الاتومبيلات كثرت أيضاً أمكنة الترميم . فاذا فسد المحرك ذهب صاحبه الى اقرب مصنع فيرم اتومبيله وهو واقف بأقل قيمة ممكنة ويعود به لساعته وكأنهُ لم يتعطل الا مقدار ما يمسح الانسان حذاءه

واذا نظرت الى صادرات الولايات المتحدة الفيت القطن الخام اولها تليه الزيوت ثم الاتومبيلات ولكن الرواج ليس يرجع الى كثرة الصادرات وانما هو يرجع الى اقبال الناس في الولايات نفسها على اقتناء الاتومبيل . لان الرواج انما يجري بنسبة النشاط في الاخذ والعطاء فما دامت حركة البيع والشراء مستمرة راجت الاحوال وازدادت المكاسب فاذا ركدت الحركة كسدت الاعمال . والاتومبيل من اكبر عوامل الرواج في الولايات المتحدة لانهُ كما قلنا اصبح معياراً لكرامة العامل فكل عامل يدخر ويجتهد في عمله ليزيد ربحه حتى يقتنيه ولكنهُ اذا اقتناه يحتاج الى النفقة الدائمة عليه فتروج بسبب ذلك جميع الاعمال المتعلقة بالاتومبيلات . وهذه الاعمال كثيرة جداً ربما كان أهمها اصلاح الطرق وتعبيدها فانهُ ينفق الآن عليها الملايين من الجنيهات كلها تقريباً تدخل جيوب العمال

ومن الآثار الحسنة للاتومبيل انهُ يقترب من جعل الزراعة « صناعة » لان المحرك الذي يسير به يمكن استعماله في المزرعة في أي شيء في الحرث والحصد والحمل والري وغير ذلك . فغدت المزرعة مصنعاً الى حد ما تجري فيها الاعمال بسرعة واستطاع الزارع ان يكون تاجراً ينقل غلتهُ بنفسه الى المدن القريبة ويبيعها كل يوم . وكانت نتيجة دخول الاتومبيلات في المزارع ان ارتفعت اجور العمال فيها الى اكثر من الضعف فأقبل الناس عليها بعد ان كادوا يهجرونها الى مصانع المدن

وقد كانت شركات السكك الحديدية تخشى مزاحمة الاتومبيلات لها وتنظر الى المستقبل بالخوف . ولكن تبين الآن ان هذه المزاحمة لن تضر القطرات الا في المسافات القصيرة لنقل المسافرين أما في المسافات البعيدة وفي حمل البضائع فالقطار يمتاز امتيازاً كبيراً

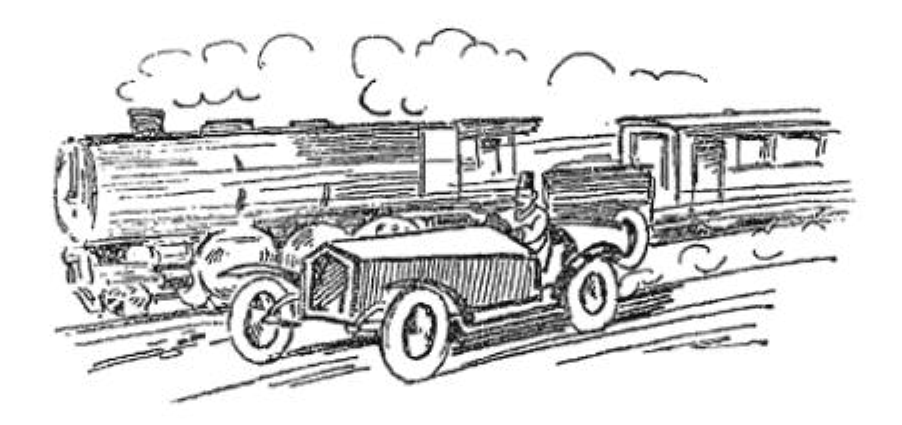
وميزة الاتومبيل على القطار في المسافات القصيرة واضحة . فان المسافر ينزل من منزله الى الاتومبيل ويبقى به حتى ينزل في الفندق أو المنزل الذي يقصد اليه في مدينة أخرى بلا حاجة

الى تحمل ضروب العنت العديدة التي يجدها الانسان في القطار من شراء تذكرة ومماجة حمال والانتقال من القطار الى اتومبيل آخر أو عربة اخرى · وقد شعرت المحطات الصغرى على الخطوط الحديدية في مصر بتفوق الاتومبيل على القطار حتى هجرها المسافرون هجراناً تاماً · وعمدت حكومتنا لذلك الى اثقال كاهل الاتومبيلات بالضرائب - ولكن ليس هذا من الصواب فانهُ لا خطر البتة على سككنا الحديدية من هذه المزاحمة لان رواج الاعمال الذي يحدثهُ انتشار الاتومبيل في الارياف يكون له صدى في نقل البضائع في القطرات · وهذا النقل يعدل بل يزيد في القيمة عما يحصل للسكك الحديدية الآن من أجور المسافرين من المحطات الصغيرة

ومن اكبر الاخطاء الاقتصادية ان يحمي الانسان صناعة ما من مزاحمة صناعة اخرى باثقالها بالضرائب · وقد يكون في هذه الحماية فائدة اذا كانت الصناعة المحمية وطنية والاخرى أجنبية · ومع ذلك ففي هذه الحالة نفسها لا يخلو هذا العمل من ضرر لان الصناعة الوطنية لاعتمادها على الحماية تتراخى وتستنيم الى الربح السهل في حين انها كانت تنشط للمزاحمة لو لم تكن هناك حماية · ثم ان الصناعة المحمية تستطيع ان ترفع أسعارها كما تشاء لانها لا تخشى أية مزاحمة

ومن مصلحة الامة الآن ان ينتشر استعمال الاتومبيلات في مصر حتى يدخل المزارع و يصبغها بالصبغة الصناعية · بل من مصلحة الامة كلها ان تنقلب من الاتجاه للزراعة نحو الصناعة لان الزراعة باتت الآن في أيدي الامم الهمجية في آسيا وأفريقيا وعمالها لا يحصلون الا على أجر ضئيل · أما الاجور العالية فمن نصيب الصناعة أو من نصيب الزراعة الصناعية كما هو الحال في كندا أو الولايات المتحدة · فهناك يزرع العامل وحده نحو أربعين فداناً من القطن أو القمح لانهُ لا يعتمد على الثور في الحرث كما نفعل بل هو يستعمل الاتومبيل للحرث والحصد وخلافهما

وليس لنا فائدة في العمل لسيادة القطار على الاتومبيل فانهما كليهما يصنعان خارج بلادنا فيجب اذن ان نختار أفضلهما



الرق في العصور الوسطى

لمحة من احكامه وأطواره

اشتقت شرعة الرق من عرف الحرب القديم اكثر مما اشتقت من اي مصدر آخر، وهو عرف يقضي بأن الغالب يصبح سيداً مشروعاً للعدو الذي قهره وأبقى على حياته . وقد أعارت حروب الدول البربرية التي اقتسمت ملك رومة هـذا العرف قوة وشدة، فكان الظافر قوطياً كان أو بورجونياً او فرنجياً يتبع ركب اسلابه بصف طويل من الاسرى الذين غدوا بأحكام الحرب رقيقاً وملكاً خالصاً له يتصرف فيه كما يتصرف في أية سلعة، وكان الفتية والفتيات ذوو الحسن والرشاقة يلحقون بالاعمال المنزلية حيث يشغلون مراكز مريبة تعرضهم تباعاً للحظوة أو النقمة أو نزعات الاهواء المتباينة، أما اصحاب الفنون والحرف المختلفة فيزاولون فنهم او حرفتهم لمصلحة سيدهم، بيد ان الامراء البربريين كانوا يشذون في معاملة الرقيق من الرومان فيقضون عليهم، دون مراعاة لمقامهم، بزرع الحقول وتعهد الماشية . وكان للسيد حق الموت والحياة على رقيقه . وكان الرقيق في هذه الدول البربرية يزداد عدده كل يوم بما يغذيه من حروب وموارد جديدة، وكذا يشتد عسف الامراء والسادة بالجماعة المستعبدة، فلما تضاءلت شوكة هـذه الدول وخبا ظمأ الفتح والحرب نوعاً، نقص الرقيق في العدد وخفت وطأة العسف به ايام الدول الفرنجية التي خلفت الدول البربرية في غاليس (جول) ولومبارديا، واستمر هـذا النقص في العدد والتضاؤل في الشدة حتى غدا الرق منذ القرن التاسع اضيق حدوداً وغدا الرقيق احسن احوالاً، وتطور النظام الى صبغة جديدة اندمجت في كل المجتمعات الاقطاعية مدى العصور الوسطى

استمر الاسر في الحرب أظهر شكل للرق خصوصاً اذا كان الاسير ينتمي الى جنس آخر ولكن اعتبار الحيـاة البشرية والحقوق الانسانية ارتفع معياره نوعاً . وقد يرجع ذلك من بعض الوجوه الى أثر التعاليم والتقاليد النصرانية واشتداد أثرها وهيبتها في نفس القادة والامراء والسادة . وملخص احكام الرق في هاتيك العصور هو ان العبد متاع للسيد ايضاً، وعنصر الرق هو ان العبد وان لم يكن يجوز بيعه مستقلا عن الضيعة التي ألحق بها لا يستطيع ان يفارق هذه الضيعة، فهو ملحق بالارض ينتقل معها الى المالك الجديد . على انه لم يكن وقتئذ يعتبر واحداً من قطيع من العبيد يعمل تحت اشراف عريف من عرفاء المالك كما كان يعتبر ايام الفرنج، بل يقطع قطعة معينة من الارض يعيش فيها، ويدفع الى السيد مقابل ذلك ريعاً سنوياً في شكل نسبة كبيرة من محصول ارضه، ويحتفظ هو بملكية ما يبقى . فاذا فر العبد من الضيعة كان للسيد ان يسترجعه بالقوة، واذا لم يوجد عادت ارضه الى المالك . ثم حصل الرقيق شيئاً فشيئاً على حقوق جديدة منها

الميراث من طريق الاب ، والزواج . وكان زواج الرقيق بادىء بدء عملاً غامضاً ليست له احكام معينة ، ولذا كان نسلهم غير معترف به فلا يقر نسب الاولاد الى آبائهم ، ولكن الفضل يرجع الى تدخل الكنيسة ايضاً في ازالة هذا الحيف . ومذ اواسط القرن الثاني عشر اعترف للرقيق بحق الزواج الصحيح واعترف بنسب الاولاد للآباء ، ومن ثم استقر حقهم في ميراث الارض المقطوعة . يد ان احوالاً استثنائية كانت تترتب على زواج الرقيق ، فاذا تزوج عبد مثلاً من جارية سيد آخر تبعته بحكم الزواج الى ضيعته لتعيش معه وبذلك يخسر سيدها خدماتها ، وتكون الخسارة أبلغ اذا لحق بها اطفالها ايضاً وهو الاغلب . وكانت هذه المشكلة وامثالها تحل بحلول كثيرة ، اذ يعوض سيد الجارية مثلاً بثمن نقدي ، او ينتظر حتى يتزوج احد عبيده من احدى جواري سيد الضيعة التي التحقت بها جاريته وبذلك يعوض بمثلها . اما الاولاد فيقسمون بين السيدين طبقاً لشروط معينة . وكان أظهر فارق بين الحر والعبد في الحقوق المدنية في هذه العصور هو قصور العبد عن تولي الخدمة القضائية بمعنى انه لا يمكن ان يعين قاضياً او يقبل امام القضاء كشاهد. وهذا القصور نتيجة لقصوره عن القتال ، ومن عرف العصور الوسطى انه لا يصلح لتفسير ارادة الله كما هي ظاهرة في الاحكام القضائية الا من كان اهلاً لحمل السلاح

***

هذا ، ولعل احكام الرق في الاسلام هي أدق وأمتن قانون وضع لمعالجة هذه الرذيلة الاجتماعية التي قد لا تبررها حتى ظروف العصور التي شرعت فيها ، ولكن الرق كما هو مشهور من ظواهر أعرق المدنيات وأقدمها ، وكان من المتعذر بل من المستحيل ان يتجرد الاسلام في هاتيك العصور لهدم نظام يتغلغل في هيكل المجتمع حتى أعماقه ، وتحتم حالة الحروب وتنازع البقاء الروحي أو المادي ان يكون له نصيب في نظم الدولة والحياة الخاصة ، على ان الرق الذي شرعته المجتمعات الغربية في العصور الوسطى والذي قدمنا لمحة من احكامه لم يكن معروفاً في الاسلام بمعناه الذي تقدم ، فالاسلام لم يعرف من الرقيق سوى نوع واحد هو رقيق الحروب . وملخص أحكام الشريعة الاسلامية في ذلك هو ان من أسر من غير المسلمين نوعان نوع يكون رقيقاً بمجرد السبي أو الاسر ويكون كسائر مفردات الغنائم في القسمة والتصرف وأولئك هم النساء والصبية والعبيد . ونوع لا يعتبر رقيقاً بمجرد السبي وانما يرق بالاختيار وهم الرجال الاحرار ، وهؤلاء يخير في مصيرهم الامام أو امير الجيش فاما القتل او الاسترقاق او المن عليهم بتخلية سبيلهم او افتدائهم بالمال أو بالرجال أعني استبدالهم بأسرى من المسلمين تحت يد العدو ، ويراعى في هذا الاستبدال ظروف الحال ومركز الاشخاص . وان اسلم اسير مكلف لم يقرر الامام او القائد مصيره قبل اسلامه عصم الاسلام دمه وبقي للامام ان يقرر مصيره فيما بقي من الاحكام ، ومن اسلم قبل اسره عصمه الاسلام من كل شيء ، وحقن دمه وصان ماله وحريته وصغاره

هذه هي أحكام الرق في الاسلام ، وهي كما ترى تحصره في أضيق الحدود التي تسمح بها ظروف هاتيك العصور على انك تشعر من مراجعة بعض الاحكام الاسلامية الاخرى أن الرق في ذاته كان شرعة مكروهة ، فالنبي العربي يحض في كثير من أحاديثه على عتق الرقيق (تحريره) و يقع هذا العتق باللفظ دون أي اجراء آخر ، بل لقد شرع عتق الرقيق فدية لكثير من الذنوب كالافطار العمد مثلاً . وكان العتق يعتبر في المجتمع الاسلامي من أعظم الفضائل . هذا الى أن الرقيق في كثير من الدول والمجتمعات الاسلامية لم يذق من عسف السادة شطراً مما عانى في المجتمعات الغربية ، بل كانت الحسنى قاعدة عامة في معاملتهم وفي كثير من أحكام الشريعة التفصيلية تكاليف بالرفق بهم وحض على الاشفاق عليهم ، وكثيراً ما اعتبروا من أفراد الاسرة التي يلحقون بها . هـذا ويجب ألا ننسى الاشارة هنا الى نوع معين من الرقيق كان له في دول الخلفاء وقصورهم شأن يذكر ، ونعني بذلك الصقالبة الذين كانت تغص بهم قصور الخلفاء والامراء منذ القرن الثامن ، وقد كانت كلمة الصقالبة تطلق في الاصل على الاسرى الذين يأسرهم الالمان والبيزنطيون والفرنج من الامم السلافية و يبيعونهم للعرب ، يبد انها غدت تطلق بمضي الزمن على جميع الاجانب الذين يخدمون في القصر وفي الجيش مهما كانت جنسيتهم . وقد نشطت أسواق الرقيق من الصقالبة في المشرق منذ أيام الرشيد أي منذ ان كثرت غزوات الدولة العباسية لاراضي الدولة البيزنطية وبلغ هذا النشاط ذروته أيام المأمون حيث انقلبت حواضر الدولة العباسية وثغورها بالاخص الى أسواق شاسعة تموج بهذه التجارة الممقوتة . بل كانت الارباح الطائلة التي تجنى من ورائها في بعض الاحيان عاملاً من عوامل اثارة الحروب وتوالي الغزوات من جانب حكام النواحي والثغور لاراضي الدولة البيزنطية . كذلك كان لاسترقاق الصقالبة في الاندلس شأن عظيم ، فكانت قصور الامراء تموج بهم ولا سيا منذ عهد عبد الرحمن بن الحكم وكانوا يومئذ يشملون كل الجنسيات الاوربية فقد ذكر ابن حوقل الذي زار الاندلس في القرن العاشر انه كان من بين الصقالبة الذين يخدمون في بلاط الخليفة المان وفرنسيون واسبان ولومبارد وروس . وكان معظم هؤلاء الصقالبة يؤتى بهم أطفالاً بواسطة اليهود الذين كانوا أقطاب تجارة الرقيق في هذه العصور ، أو على يد القرصان العرب الذين يختطفونهم ، ومن ثم كانوا يعتنقون الاسلام و يتعلمون العربية بسهولة . وكان بعضهم يربى تربية راقية حتى لقد نبغ بعضهم في النثر والنظم . وقد فاق عددهم أيام الناصر لدين الله أي عهد آخر فبلغ نحو اربعة عشر الفاً ، وكان لهم نفوذ كبير واملاك شاسعة . وكان الناصر يعهد اليهم باهم الوظائف في الجيش والحكومة ، و يرغم أشراف العرب ورؤساء القبائل على الخضوع لهم . وكان مثل هذه السياسة يتردد من الناحية الاخرى في قصور بغداد . ولا يسمح لنا المقام أن نسهب في تفاصيل هذه السياسة التي كانت خطراً على الاسلام ودوله سواء في بغداد أو في القاهرة أو قرطبة ، يبد أنا نستطيع أن نقول انها كانت من أهم أسباب انحلال

العصبية العربية ، وتدهور سلطة الخلافة ، وتمزيق شاسع أقطارها الى دويلات وحكومات محلية

* * *

لا ندهش بعد ذلك اذا رأينا ثغور البحر الابيض وجزائره تنقلب الى مراكز هائلة لتجارة الرقيق ولا سيما في القرنين التاسع والعاشر ، ففي ذلك الحين استعر لظى الحروب بين الدولتين العباسية والبيزنطية من جهة و بين هذه الدولة وجاراتها من المشرق والشمال ، واستولى العرب على معظم جزائر البحر الابيض ، ومما شأن القرصان العرب ، واتخذوا جزيرة اقريطش محطاً لاقلاعهم ورسوهم ، وغصت ثغور الجزر وثغور مصر والشام بسفن البحارة والقرصان المسافرين الذين يجوبون عباب هذا البحر بحثاً وراء الغنيمة فيغيرون على شواطىء الدول النصرانية وخصوصاً ثغور الجمهوريات الايطالية وثغور الدولة البيزنطية و يعودون الى اوطانهم مثقلين بالغنائم والسبي ، و يبيعون الرقيق آلافاً مؤلفة الى تجار مصر والشام ، و ينفذ هؤلاء بسلعهم الى اقاصي افريقية وآسيا . وكانت اعظم غزوة من هذا النوع غزوة القرصان المسلمين بقيادة ليون الطرابلسي اعظم بحارة عصره لثغر سلانيك في سنة ٩٠٤ م ، حيث يروى ان عدد الاسرى بلغ في تلك الغزوة نيفاً وخمسين الف نسمة . وكان اضطرام لظى الحروب والقرصنة على ذلك النحو في ذاته ، عاملاً في تخفيف و يلات الرق ، اذ كانت المغانم والارباح المادية تحمل الظافرين في فرص كثيرة الى حقن دماء الاسرى ابتغاء بيعهم او افتدائهم على يد القادرين من ذويهم ، هذا الى ان فكرة استبدال الأسرى قويت باشتداد المعارك وتفاقم المصائب المترتبة عليها من السبي والتشريد ، وانتهى الامر بالدولتين البيزنطية والعباسية الى الاتفاق فيما بينهما على تنظيم استبدال الأسرى بشروط مقررة ، و بدىء بتنفيذ هذا الاتفاق ومنذ سنة ٧٦٩ م اعني ايام الرشيد ادمج في الاتفاق شرط يقضي بان يسمح لكلا الفريقين بافتداء الكافة من اسراه نظير مبلغ معين عن كل فرد ، وغدا ثغر طرسوس من ذلك الحين مركزاً من اهم مراكز المبادلة والافتداء بين المسلمين والبيزنطيين. وكان مسلمو اقريطش من اعظم مروّجي هذه السياسة ، إذ كانت جزيرتهم اعظم مركز في البحر الابيض لتجارة الرقيق من جهة ، ولاجراء المبادلة والافتداء من جهة اخرى . وكان يقوم باجراء هذه الرسوم افراد او جماعات من الخاصة يخابرون أسر الاسرى او اصدقاءهم من الاغنياء لدفع الفدية او تقديم البدل . وكان الأسرى من النصارى الذين يفتدون بهذه الواسطة يرغمون على دفع المبالغ الطائلة ، اذ كان الافتداء صفقة خاصة لا يجري طبقاً لمعاهدات رسمية كالافتداء او الاستبدال الذي يتم في طرسوس بين الحكومتين المتعاقدتين

هذه لمحة موجزة عن احكام الرق واطواره في العصور الوسطى ، ومنها ترى ان مصائب الحروب المضطرمة المستمرة كانت تعصف بحريات البشر اشد مما كانت تعصف بارواحهم واموالهم

محمد عبد الله عنان

حقيقة حالة المرأة والزواج في روسيا

محادثة أستاذ أميركي لامرأة لنين

ليس نقد الاخبار ملكة عند معظم الناس . ومن يقرأ ما يرويه ياقوت أو الطبري يعجب من تصديقهما لاشياء لو حكيت لصبي هذه الايام لما صدقها . ويكاد الانسان يكون مطبوعاً على التصديق لا على النقد . واذا كان هناك غرض أو كراهية لشيء ما أو لاحدى الامم فقل ما شئت عنها من أخبار السوء فلا تجد من يكذبك . وقد كنا نقرأ أخبار روسيا في السنين الماضية ونسمع أناساً يذكرون الشيوعية كأنها هي والاباحية شيء واحد فكنا نتعجب من تصديق الناس لاشياء لا يدفعهم الى الايمان بها الا الغرض الذي يسوقهم نحو كراهة روسيا لانها ألغت حقوق الامتلاك الفردية . وقد استغلت انجلترا وفرنسا هذا الغرض واشاعت كل منهما عن روسيا اشاعات مضحكة عن الاباحية في الزواج كان العقلاء يقرأونها وهم يسخرون منها بينما كان يصدقها الجهلاء

ومنذ أشهر رحل الاستاذ ديفز وهو أستاذ بجامعة يايل الاميركية الى روسيا لكي يدرس أحوالها الاجتماعية . وقد لقي من الشيوعيين ترحاباً جديراً برجل لا يقصد الا خدمة العلم وترويج الاصلاح . ولما عاد الى أميركا كتب مقالاً عن الزواج في روسيا قال فيه ما خلاصته بعد

***

ان الشيوعيين يعتقدون ان المرأة في النظام القديم لنظام المموّلين الذي لا يزال قائماً عند الامم الاوربية تحمل ثلاثة أعباء تنوء بها وهي : العمل والمنزل والاولاد . وهم يبغون تحريرها من احد هذه الاعباء بأن يجعلوها تستقل استقلالاً اقتصادياً وتنزل على قدم المساواة مع الرجل . فبعد الزواج يمكن المرأة ان تنضوي الى النقابة التي ينضوي اليها زوجها ولها الحق في ان تحصل على نصف راتبه . و يمكنها اذا شاءت ان تنتظم في احد الاعمال الخارجية . وفي هذه الحالة تحميها الدولة حماية خاصة وذلك بمنحها اجازة شهرين قبل الولادة و بعدها مع اعطائها طول هذه المدة راتبها الذي كانت تحصل عليه وتعطى أيضاً زيادة على ذلك اعانات مختلفة من اللباس والطعام

وبعد ذلك اذا عادت لعملها صار لها الحق في أن تترك طفلها في مكان خاص بالاطفال في المصنع الذي تعمل فيه وتعود اليه كل بضع ساعات وتبقى معه ٣٠ دقيقة بدون أن يقطع هذا الوقت من اجرتها . وهي تعلم تعليماً خاصاً للعناية بطفلها فتعرف ضرر الذباب والغرف المحبوسة الهواء

واللبن الذي لم يغل والخضروات التي لم تنظف وفائدة الشمس والنظافة

وللاطفال الذين يزيد عمرهم عن ثلاث سنوات فاكثر رياض وللصبيان مدارس تعلمهم التجارة والصناعة ملحقة بالمصانع التي يعمل فيها آباؤهم . فالصبي يعمل ٤ ساعات في المصنع و ٤ ساعات في المدرسة . وله كل سنة اجازة شهرين

وهناك نهضة واسعة النطاق يراد بها تعليم البالغين . ففي روسيا ١٥ مجلة خاصة بالنساء توزع عليهن بثمن زهيد وفي كل منها قصص ووصفات للطعام ونماذج للخياطة ونصائح عن الصحة وترتيب الحدائق . وكذلك السينماتوغراف يستعمل في اظهار الوالدات على العناية بالصحة حيث يرين مثلا مقابلة بين سيدة تعمد الى الطبيب فتنتصح بنصيحته العلمية وبين سيدة ريفية تعمد الى الوصفات الخرافية فتؤذي نفسها أو مولودها

وشرعة الزواج من اعظم الانقلابات الحديثة في روسيا . ولكي احصل على احدث ما تم فيها وأصدق ما يروى عنها قصدت الى أرملة لنين . ولهذه السيدة مركز سام في ادارة التعليم الآن . وهي تبلغ من العمر ٥٧ سنة وقد بدأت دعوتها الثورية وهي في سن الحادية والعشرين حينما كانت معلمة ... وحوالي سنة ١٨٩٠ تزوجت لنين وكان من نصيبها من الاضطهادات ٧ اشهر في السجن و٣ سنوات في المنفى و ٩ سنوات في الهجرة . وآثار الكفاح الماضي لا تزال واضحة في وجهها وقد عاونت زوجها معاونة كبيرة قد لا يدريها العالم . وهي مستقلة الرأي وقد قاومت الشيوعيين في ترخيصهم ببيع الفودكا وهو المشروب الكحولي المشهور في روسيا وهي الآن احد اعضاء القلة ولما سألتها عن الزواج قالت لي :

« كان المال اساس الزواج في روسيا الماضية . فكان الاعتبار الاول لثروة الزوج ومركزه الاجتماعي وبائنة الزوجة . فكان الزواج برجل مسن او الاقتران بامرأة دميمة بليدة يجري كل يوم ما دام الزوج المقصود غنياً . وكانت الامهات تدفعن بفتياتهن لكي يتزوجن زواجاً « رشيداً » ولم يكن للحب الا مقام الوجبة الرابعة اذا جاءت عفواً فبها ونعمت والا فلا ضرورة لها . ولما كانت طبقة العمال خالية من المال فكثيراً ما كان يقوم الزواج بين افرادها على الحب .

« وكنا مدة القيصر لا يصير زواج بيننا حتى يقره القس . وكانت الدولة تؤيد الكنيسة ولذلك كانت الكنيسة خادماً مطيعاً للحكومة وجرياً على المثل القائل : من اكلت خبزه فاياه اطيع

« ... ولما قام النظام الشيوعي تبدل كل ذلك لان الشيوعية تعتبر الزواج مسألة شخصية بين فردين من الناس . وكل ما تطلبه هو التسجيل المدني ويمكن ان يسجل الزواج باسم الزوجة او

الزوج او باسم جديد اذا شاءا • ولا تعارض الحكومة في ان يتزوجا زواجاً دينياً لان كل ما تطلبهُ هو التسجيل المدني والزوجان حران بعد ذلك في عقد قرانهما على يد الكاهن • وتطلب الحكومة ألا يقل سن الزوجة عن ١٦ سنة والزوج عن ١٨ سنة • وقد قرر مؤتمر جميع الروس شرعة يوجنية جديدة تمنع الزواج ما لم يصرح الخطيبان انهُ ليس بأحدهما مرض معد • واذا كذب احدهما في تصريحه تعرض للسجن ثلاث سنوات

«ولا يمكن احد الزوجين ان يتزوج باكثر من شخص واحد في وقت واحد ولكن يمكن الطلاق في اي وقت متى شاء أحد الزوجين ذلك • ويمكن كل رجل وكل امرأة ان تتزوج خمس مرات • وفي حالة الطلاق تؤخذ من الزوج نفقة حيث لا يزيد المأخوذ منهُ عن نصف دخله مهما كان عدد الاولاد • وللابن غير الشرعي مثلما للابن الشرعي من النفقة • واذا لم يمكن تقرير شخصية الأب فان النفقة تقسم على جملة من يظن انهم آباء

«وكان يجب في شرائع الزواج الماضية ان تتبع الزوجة زوجها اينما توجه ولكنها الآن حرة يمكنها ان تقطن حيث شاءت • واذا مرض احد الزوجين وأزمن فعلى الشخص السليم ان يعوله

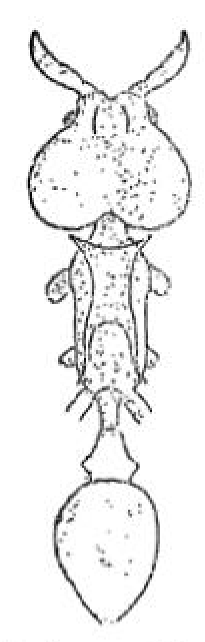
والبغاء ممنوع وعقابه استصفاء الاملاك والسجن عشر سنوات • والقيادة في الشوارع كذلك ممنوعة • وكذلك الرجل الذي يغري امرأة بالمال للزنا يتعرض للسجن»

* * *

هذا هو خلاصة ما كتبهُ الاستاذ ديفز عن الزواج في روسيا ومنهُ يرى القارئ مقدار المفتريات التي تشاع عن روسيا



النمل والانسان



شكل يمثل أعضاء النملة. وتمتاز من الارضة بأن لها خصراً

النمل من الحشرات التي تنتسب الى رتبة الغشائيات وهي الرتبة التي تنتمي اليها الزنابير والنحل . وسميت كذلك لان أجنحتها غشائية مثل أجنحة النحل . وقد يتعجب القارىء لذكر الاجنحة في الكلام عن النمل مع اننا لسنا نرى بين النمل المألوف حشرة واحدة لها أجنحة . ولكن ما نراه من النمل هو العمال وهؤلاء ليس لها أجنحة . أما الملكة والذكور فلها أجنحة . ولا تمكن رؤيتها الا بعد فحص كبير في قرية النمل . و بهذه المناسبة نقول ان لجميع الحشرات أجنحة وهي اما ظاهرة كما في الفراش والنحل واما أثرية كما في البرغوث والبق

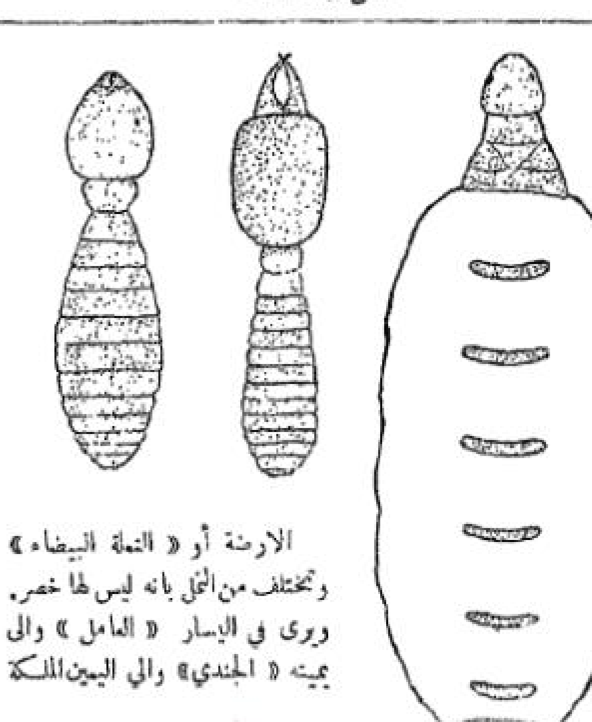
و يقال ان في العالم نحو الفي نوع من النمل تقطن جميع الاقطار ما عدا تلك التي تجاور القطبين حيث يتراكم الثلج مدة طويلة على الارض وهي تسكن البيوت والحقول والجبال والسهول وتأكل كل شيء يؤكل في العالم ولكنها تؤثر الاطعمة الحلوة على كل شيء آخر

والنمل بين الحشرات كالانسان بين اللبونات . فالانسان ارقى اللبونات عقلاً والنمل ارقى الحشرات غريزة حتى النحل على ما في غريزته من اتقان ودقة لا يبلغ مبلغ النمل في كمال غريزته . والفرق بين الغريزة والعقل قد لا يقل عن الفرق بين النبات والحيوان لانهُ فرق جوهري في تقسيم الاحياء من حيث نفسية الحياة

والنمل يعيش اكثر ما يعيش في البلاد الحارة او الدافئة . واذا زار احدنا قرية مصرية في الصيف لم يستغرب الا لكثرة شيئين هما العظاء والنمل . فترى العظاية وهي تتلفت وتتردد واضواء الشمس تلتمع في ظهرها القزحي . كما ترى النمل يتكأكأ حولك اذا ما شم رائحة طعام

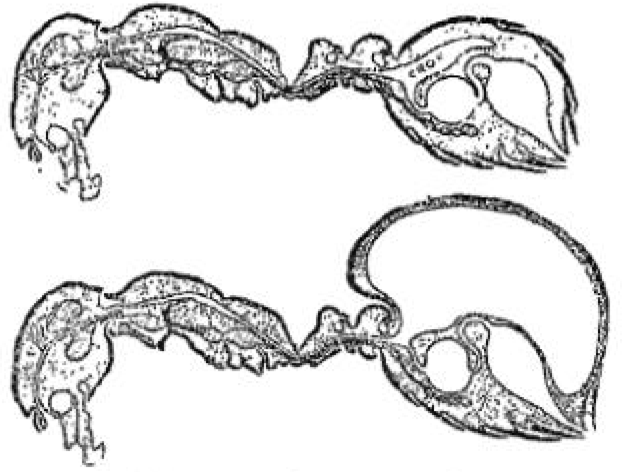
ومما يدلك على اكتمال الغريزة في النمل انك لا تجد نملاً يعيش منفرداً او يتقلب بين الانفراد والاجتماع كما ترى في النحل والزنابير والارض . فان النمل اجتماعي بل قد ارتقت الغريزة الاجتماعية في بعض النمل حتى صار لا يعول نفسه فيحتاج الى من يقيته و يسعى له . ولكننا نجد احياناً زنبوراً يسعى لحسابه أو ارضة تقرض الخشب او القمح ولا تبالي الا بنفسها . وهنا يجب ان ننبه ان الأرضة ليست من النمل وان كان بعضهم يطلق عليها اسم « النمل الابيض »

ولنضرب بعض الامثلة على الغريزة الاجتماعية التي يتسم بها النمل . فقد ذكرنا ان بعضاً



الارضة أو « النملة البيضاء » وتختلف من النمل بانه ليس لها خصر. ونرى في اليسار « العامل » والى يمينه « الجندي » والى اليمين الملكة

من النمل لا يستطيع ان يعول نفسه اذ هو يعيش على خدمة غيره له وعنايته به ٠ وهناك بعض آخر يرتبط النمل في قراه و يجعله بمثابة الدنان يختزن فيها ما يجمعهُ من رحيق الازهار ٠ فكل نملة دن تحمل في بطنها مقداراً كبيراً من العسل ويتضخم البطن حتى لا تستطيع النملة الحركة فاذا احتاج احد النمل الى مقدار من العسل ذهب اليها واستخرجهُ منها ٠ وفي مكسيكا يعمد الاهالي

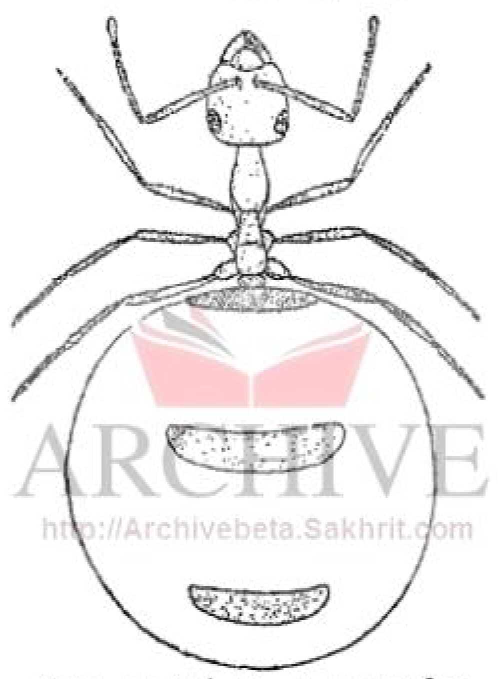


النملة قبل اختزانها العسل (فوق) وبعد اختزانها (تحت) وقد ورم بطنها بالرحيق المجموع من الزهر الذي استحال عسلاً

الى قرى النمل فيستخرجون هذا النمل و يبيعونهُ للاهالي الذين يستطيبون طعمه

والنمل مشهور بنهمه • والعلماء الزولجيون اي الذين يدرسون حياة الحيوان اذا ارادوا ان يجردوا حيواناً من لحمه وضعوا جثته فوق قرية من قرى النمل فلا تمضي ساعات حتى تصير الجثة عمشوشاً نظيفاً من العظم • وهذا النهم تعرفهُ ربات البيوت فاذا اردن التخلص من النمل وضعن قطعة سكر فاذا تكأكأ عليها النمل صببن فوقهُ ماء يغلي فيقتل للحظته

وللعالم المشهور داروين كتاب مشهور عن ديدان الارض وقيمتها في تسميدها • وليس



نملة تختزن العسل في بطنها ولا تستطيع الحركة

النمل اقل نشاطاً من الديدان اذ هو يدأب طول النهار في حمل الاوراق او قصافتها الى باطن الارض فيزيد بذلك خصبها وتخلخلها

ومن غرائب الغريزة الاجتماعية في النمل انهُ يأسر عدداً من المن و يستدر عسله و يشربه • وهذا المن يرى في اوراق القطن وتسمى الاصابة به عند المزارعين « الندوة العسلية » وهو يأسر ايضاً حشرة أُخرى تسمى الكوكسيد لهذه الغاية ايضاً

قد يشك احد في قيمة هذا العمل • وانما المصري الذي يتأمل في حقول مصر لا يمكنهُ ان يتغاضى عن عمل النمل فيها وربما اعتقد بعد التأمل انهُ يعادل ان لم يزد على عمل الديدان



الزكام والرشح

لا يلقى الانسان من عنت الامراض ما يلقى من الزكام والرشح . فان الامراض الاخرى تضطره الى أن يأوي الى فراشه حتى يشفى . أما الزكام فليس من الشدة بهذه الدرجة وكذلك يسير كل منا وهو يحمل زكامه ويعمل عمله وهو في كرب المرض وضيقه . وقد يشتد الزكام فيرشح الانف ويحس الانسان منه بسأم يشبه الالم بل يفوق الالم . ولو كان الزكام أقوى في الاصابة مما هو عادة بحيث يلجيء صاحبه الى فراشه لقلت العدوى منه . لأن الانسان يحمل ميكروبه في أنفه فيعطس ويعدي كل من يجاوره في الطريق او المكتب او القطار

والاعتقاد الفاشي بين الناس أن البرد هو أصل الزكام ولكن الواقع ان البرد لا شأن له في ذلك ما لم تكن العدوى . ومما يدل على ذلك ان عند ما يفشو في قطر كبير مثل الولايات المتحدة به أقاليم حارة وأخرى باردة فانه لا يقتصر على الاماكن الباردة بل يشمل جميع السكان

وقد تحرى الدكتور سميلي في اميركا مسالك العدوى بالرشح بين ٢٤٨٥ أبقاهم تحت المراقبة مدة طويلة فوجد أن جميع المعتقدات التي يعتقدها الناس في اصل الزكام ليس لها حقيقة . فوجد أن الذين يقون انفسهم من التيارات الهوائية و يتعنون في اقفال النوافذ يزكمون مثل غيرهم من الذين لا يبالون بالنوافذ المفتوحة ومجاري الهواء . ووجد أن الذين يلبسون الصوف يصابون اكثر من الذين يلبسون الكتان بزيادة قدرها ١٩ في المائة . ولم يجد قيمة كبرى للاستنقاع في الماء البارد في الصباح . ومما قاله أن العدوى بالزكام تنتشر في اليوم الاول من الاصابة فلو أن كل انسان يصاب به يلجأ الى فراشه ويقضي يوماً واحداً بعيداً عن الناس لاستراح من زكامه بايسر سبيل ومنع عدواه عن الناس . وقد تطوع له ١٩ شاباً قوياً فمسح باطن أنوفهم بسائل من رشح أحد المصابين فأصيبوا كلهم بالعدوى مما يدل على ان اكبر اسباب انتشار الزكام هو العدوى

نظافة المطبخ

كانت دور المياه الى عهد قريب لا تبنى في مصر الا في أظلم بقعة في المنزل . ولا تزال بعض البيوت القديمة يتحسس الانسان طريقه الى دور المياه للظلام المخيم عليها . ولكن المنازل الحديثة تمتاز بالعناية بالمراحيض من كنيف وحمام ففيهما كليهما تشرق الشمس . ومعظم من يذهب من المصريين الى المصايف السورية يتعجب من عدم العناية بالمراحيض والواقع ان بعض

السوريين لا يزال يبني المنزل بالطرق القديمة فلا يعني العناية الكافية بدور المياه كما هو الشأن في مصر الآن . وحال دور المياه في فلسطين لا تختلف عن حالها في سوريا أيضاً

وربما كانت انجلترا أكبر الامم عناية بدور المياه فان الكنيف مثلاً هناك حتى في المنازل المتوسطة مكسو بالخشب وأحياناً توضع سجادة صغيرة فيه ناهيك بالعناية بتصريف الماء . أما الحمامات فان بيوت الفقراء لا تخلو منها

على ان اكبر ما يلام عليه أصحاب المنازل في مصر هو اهمال المطابخ . والعادة ان صاحبة المنزل اذا جاءها ضيوف حملتهم على زيارة كافة الغرف ما عدا المطبخ لان هذه الغرف مزينة كلها بالفرش الجميل أما المطبخ ففي مكان منبوذ من المسكن ليس به زينة بل ليس به نظافة . مع انه اذا كان البيت في حاجة الى ان يمسح وينظف مرة في اليوم فان المطبخ في حاجة الى التنظيف مرتين وثلاثاً . وذلك لانه لكثرة ما فيه من الاطعمة ونفاية الاطعمة يجذب الذباب الذي ينتقل منه الى سائر غرف المنزل . ثم ان ربة البيت المدبرة قد تقضي بالمطبخ معظم ساعات يومها وقد يختلف اليه اولادها فاذا لم يكن نظيفاً ناصعاً فانه يكون مأوى لجراثيم الامراض العديدة

واذ كنا قد عرفنا قيمة دور المياه النظيفة فيجب أن نعرف قيمة المطبخ النظيف . ويجب أن تجعل ربة البيت من مفاخرها أن تزير ضيوفها مطبخها قبل أن تزيرهم أية غرفة اخرى

عادة استعمال العقاقير

ذكرت الصحف الانجليزية أن الوصفات التي أشار بها الاطباء واشتراها أصحابها من الصيدليات بلغت ٤٥٠٠٣٠٠٠ وقد استفظعت هذا العدد واعتبرته دليلاً على الانحطاط . فان من الناس من يشغف بالطبيب و يستسهل شراء دواء على ترتيب معيشته ترتيباً معقولاً من حيث الطعام والراحة والرياضة . وقد أصبح الاطباء أنفسهم لا يعارضون رغبة المريض من حيث شراء دواء لاي وعكة بسيطة . وهي تنصح للناس بالاقلال من استعمال الادوية والاعتماد على الرياضة والاقلال من الطعام

فائدة الحمى

يدل الاختبار على ان هناك من أمراض الانفلونزا والنزلات الشعبية ما ينجو منها الانسان اذا كانت درجة الحرارة عالية فاذا كانت منخفضة فقد تنتهي بالموت . وهناك أيضاً من الاختبار ما يدل على اننا نقع في المرض اذا اصبنا ببرودة فالزكام وما يعقبه من الرشح يكون مسبوقاً ببرودة . وكذلك الروماتزم وغيره من الامراض . فمن هذه الامثلة يتضح ان الحرارة العالية تقوي الجسم على المرض وتجعله يتغلب عليه بينما الحرارة المنخفضة تسهل اليه سبيل المرض وتمكنه منه . ومن هنا فائدة الحمى في الامراض والطبيب لا يحاول تخفيضها الا عند ما يجد لها أثراً سيئاً في الدماغ

اليد الجميلة

ليد المرأة قيمتها في الجمال . وكثيراً ما وصف الشعراء أنامل اليد بأوصاف تدل على تقديرهم لليد الرخصة الجميلة . وقد كان الاغريق القدماء والحديثون يعنون عناية كبيرة بأيديهم . وفي اثينا الآن حوانيت خاصة بالايدي لتقليم الاظافر وتنعيم البشرة . وكذلك الحال في معظم المدن الكبرى

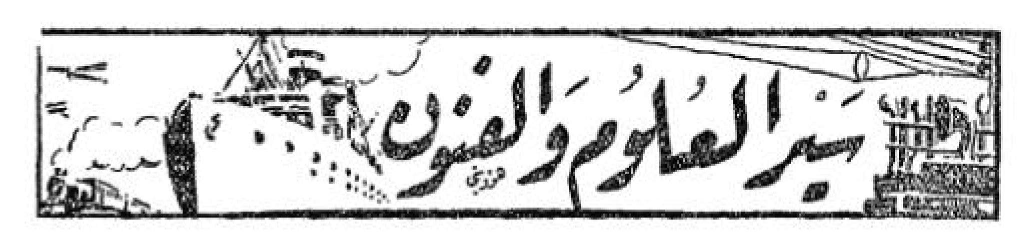
وأحسن ما تعمله السيدة للعناية بيديها أن تغسلهما في الصباح والمساء بماء فاتر اما بصابون جيد واما بلا صابون ثم تمسحهما بليمونة بعد تنشيفهما . وقبل ان تأوي الى فراشها تدهنهما اما بزيت اللوز واما بالفازلين وهنا يجب ألا تنشفهما الا قليلاً ففي الصباح تجدهما في نعومة جميلة . ووقت النوم يجب نزع الخواتيم لانها تحبس الدم أحياناً وقد تؤدي الى ورم الاصابع

الامراض دليل الصحة

ليس هذا العنوان غريباً اذ هو الواقع . فان هناك من الامراض مثل حصا الكليتين أو السرطان او ضعف القلب أو غيرها من امراض الكهولة والشيخوخة ما يدل على ارتفاع مستوى الصحة العام بين الناس وزيادة الاعمار في متوسطها . فان هذه الامراض كثيرة الآن لانها لا تصيب تقريباً غير الكهول الذين جاوزوا الاربعين وذلك لان هؤلاء الكهول قد كثروا الآن بما يحاطون به من وسائل الصحة . فكثرة هذه الامراض على ما تبعث من الاسف تبعث أيضاً نوعاً من الامل بان الطب سيتغلب عليها قريباً كما تغلب على كثرة الوفيات بين الاطفال والشبان حتى كثر الكهول والشيوخ

التدرن والموسيقى

يقال ان المستشفيات التي تعالج التدرن قد وجدت أن استعمال الموسيقى في هذه المستشفيات ينفع المرضى ويخفف اصابتهم و يعجل علاجهم . فان مجيء جوقة موسيقية في ساعة معينة في النهار ينبه أعصاب المرضى فيذهب فتورهم و ينشطون للسماع وهذا النشاط يهيج أعصاب الهضم فتنتبه و يمكنهم بذلك أن يأكلوا و يهضموا أكثر من عادتهم . والادوار التي تختار للاداء هي الادوار المفرحة المبهجة حتى تبعث في النفس سروراً وهزة وانبساطا . وقد الفت « جمعية الصحة » في نيويورك جوقة لكي تؤدي هذه الادوار في مستشفيات التدرن التي تديرها



الضحك وهل هو غريزة وحشية ؟

من الغريب الذي يستدعي التفكير والتأمل ان الحركات التي تصحب الضحك والسرور وخاصة منها ما كان حول الفم هي نفسها التي تصحب الغيظ والحقد . ففي كلتا الحالتين تتقلص الشفتان وتبدو الاسنان . فهل معنى ذلك ان الضحك نشأ من الغيظ ؟

هذا هو ما يدل عليه تقلص الشفتين . فان الحيوان وهو يكشر ويتهيأ للافتراس يشعر بجملة عواطف متضاربة منها عاطفة الخوف والاشفاق على الفريسة ان تهرب ومنها عاطفة القتال ومنها عاطفة السرور لتوقع الظفر . وهذه العاطفة الاخيرة هي التي تتغلب علينا الآن في الضحك . ولكننا ما زلنا نجد جذور العواطف القديمة في السرور الذي يعتري نفوسنا عندما نكايد أحداً ونلحق به أذى طفيفاً لا حيلة له في اتقائه والصبيان اكثر شعوراً بلذة هذا السرور من البالغين لانهم اقرب الى الحالة النفسية الاولى للانسان

والضحك يحتاج الى ذكاء كما تدل على ذلك الحقيقة الواقعة وهو انه لا يضحك بين الحيوان سوى الانسان والقرد . فالقرد كالانسان اذا دغدغ في ابطه ضحك . ولكن للسرور علامات أخرى تشبه الضحك بين الحيوانات العليا مثل الكلب والفرس . فالضحك والسرور كلاهما يحتاج الى ذكاء . فاننا نحن نضحك ونسر بالمقابلة . فاذا اختبرنا اختباراً ساراً ثم انتظرنا تكراره تقبلنا ذلك بالسرور . فاذا لم يكن للحيوان ذاكرة قوية لم يشعر بمثل هذا السرور

ومما يحدث الضحك شعورنا بالامتياز . فاذا رأينا رجلاً سميناً تزلق قدمه ويقع في الوحل فاننا نضحك لشعورنا بأننا ممتازون عليه لم نقع مثله

وخلاصة القول ان الضحك يرجع الى غريزة وحشية قديمة أصلها حب الافتراس للطعام ولذلك لا تزال تتقلص الشفتان في الافتراس وفي الضحك . ولكن الضحك يحتاج الى ذكاء يقتضي المقابلة بين الحوادث الحاضرة وما سبق من نوعها

بقع الشمس والصحة

يقول أحد العلماء ان هناك علاقة بين بقع الشمس وصحة الناس . فان هذه البقع اذا كثرت تكثر الاشعة التي فوق البنفسجية ولهذه الاشعة فائدة محسوسة في الصحة لانها هي التي تصبغ الجلد بالسمرة وتنشط الدم وتقتل ما يتعرض لها من المكروبات

٥٠٠ اختراع للمرأة

سجلت محاكم الولايات المتحدة في العام الماضي أكثر من ٥٠٠ اختراع للنساء · وهذا يدل القارىء على مقدار اشتغال المرأة الاميركية بالعلوم والصناعات واسترجالها استرجالاً حميداً . ومعظم هذه المخترعات خاص بالاشياء المنزلية

ثروة الولايات المتحدة

ينتقل مركز التجارة والصناعة والمال رويداً رويداً من اوربا الى اميركا · فان ٩٨ في المائة من الاتومبيلات التي تستعمل في العالم كله تخرج من الولايات المتحدة · ويخرج منها أيضاً :

٥٥	في المائة من حاصل العالم من تبر الحديد					
٥٥	»	»	»	»	»	زهر الحديد
٦٦	»	»	»	»	»	الفولاذ
٥١	»	»	»	»	»	النحاس
٦٢	»	»	»	»	»	البترول
٤٣	»	»	»	»	»	الفحم
٥٢	»	»	»	»	»	الخشب
٨٠	»	»	»	»	»	الكبريت
٦٣	»	»	»	»	»	الرصاص
٦٤	»	»	»	»	»	الزنك
٦٠	»	»	»	»	»	طلق الصابون
٥٥	»	»	»	»	»	القطن

ومن هذه القائمة الصغيرة يتضح للقارىء مركز الولايات المتحدة في العالم الصناعي والتجاري وهي للآن لم تبلغ قمة ثروتها فانها تبيع العالم أشياء كثيرة من المواد الخام فاذا كثرت مصانعها فانها لن تبيع الا المصنوعات وعندئذ يتضاعف ربحها جملة مرات

الحبر من الحشرات

يستخرج الحبر الاحمر من حشرة تعيش على الككنس (التين الشوكي) في مكسيكا ويستخرج نوع آخر من الحبر من حشرة تعيش على غصون السنديان في آسيا الصغرى . وهذه الحشرة تبيض بيضها ثم تغطيه بمادة هلامية تؤخذ ثم تنقع بالماء فتستحيل حبراً جيداً

النوم سنتين

ذكرت الصحف الفرنسية حادثاً غريباً وهو ان فتاة تدعي مرغريت بونفال نامت سنتين لا تستيقظ ثم استيقظت فماتت بعد عشرين دقيقة · وكان أصل نومها انها كانت مرة في منزلها فدخلت عليها احدى رفيقاتها في العمل وهو كيّ الملابس وزعقت في وجهها قائلة : « مرغريت مرغريت · ستأتي الشرطة للقبض عليك الآن » ولم تكن رفيقتها تنوي من هذا الكلام سوى المزاح بازعاجها · ووقعت مرغريت للحظتها فنامت سنتين وكان الاطباء يحاولون ايقاظها في الاول فلما لم يمكنهم ذلك جعلوا يغذونها · وفي نهاية السنتين تحركت قليلا ففتحت عينيها وحاولت أن تقعد ولكن لم يمض عليها سوى ٢٠ دقيقة وهي في اليقظة ثم اسلمت روحها

والعادة في حالة النوم هذه انه اذا طال فان النائم لا يستيقظ الا للموت · ويقال ان اطول مدة نام فيها أحد واستيقظ سالماً هي سبعة أشهر قضاها فلاح روسي حاول عند يقظته أن ينهض فمنع من ذلك وبقي أسبوعين بفراشه حتى عادت اليه قواه

الكهربائية لاستعجال النمو

يستعجل الالمان نمو مزروعاتهم والخضراوات خاصة بوضع أسلاك مبسوطة تحت الارض على بعد قدم من السطح ولهذه الاسلاك أعمدة قائمة فوق السطح متصلة بهذه الاسلاك لجمع الكهربائية من الجو ويقال انهم نجحوا في ايجاد غلات ممتازة في الحقول التي زرعت بهذه الطريقة

اكتشاف مدينة فينيقية

اكتشف على بعد نحو ١٠٠ كيلو متر من تونس آثار مدينة فينيقية وبها معبد لبعل ومعبد مسيحي ومعبد روماني لعطارد . وقد ثبت أن هذه المدينة أسست في عصر اغسطس قيصر في القرن الاول للميلاد . وبناء معبد بعل شرقي له أرض مفروشة بالفسيفساء والمعقول أن أصحابه كانوا من بقايا الفينيقيين الذين احتل الرومانيون بلادهم على أثر هزيمة هني البال · ومعابد بعل كثيرة في جميع الارض التي احتلها الفينيقيون وتوجد آثارها للآن في بعلبك وصيدا وقرطجنة · وقد كان بعل من أشر الآلهة التي اخترعها الانسان للعبادة · فانه كان يصنع من النحاس وتوقد النيران في جوفه وله فم واسع وكان يضحى له بالاطفال يوضعون في فمه فيحترقون في جوفه . وكان كهنة بعل يضحون له بالنساء ايضاً · انما المظنون أن هذه التضحية كانت لهم خاصة · فقد كانوا كل شهر تقريباً يقدمون لهذا الاله فتاة جميلة يحتفظون بها ما شاءوا ثم يحرقونها للاله · والمظنون أن معنى لفظة « بعلزبول » المذكورة في التوراة « بعل الكاذب » وذلك لكراهة الاسرائيليين لهذا الاله

الجفاف في استراليا

لما سكن الاوربيون استراليا لم يجدوا فيها شيئاً من ماشيتنا ولكنهم مع الزمن استوردوا الجمال والغنم والبقر . وفي استراليا من البراري الواسعة ما يكفي قطعان الماشية طعاماً أخضر . ولكن هذه البراري لا تمرع الا في أوقات الامطار اما اذا وقع الجفاف وانقطع المطر عادت صحراء . وقد كابد أصحاب الغنم خسائر عظيمة هذا العام و بعضهم أفلس لان جميع غنمه ماتت وذلك لان الفصل الماضي كان في غاية الجفاف وليس هناك انهر جارية تشرب منها الماشية . والعادة أن الجمال والبقر اذا أحست الجفاف وأعوزها الماء تأخذ في السير أياما نحو الماء . ولكن الغنم تجبن عن السير وتموت في مكانها بعد أن يخرج لسانها وتبقى تئن من وجع العطش جملة أيام . و يقال ان هذا الانين كان من الضعف والمسكنة بحيث كان يهرب الغنامون لفرط ما كانوا يتألمون من سماعه

الكيمياء سنة ١٩٢٧

يقول الدكتور سلوسن ان هذا العام سيكون عام تحقيق لطائفة كبيرة من احلام الكيمائيين فان مفرزات الغدد المنقطعة التي تؤثر في طول الانسان أو قصره وفي جماله او دمامته وفي ذكائه او بلادته سيتمكن الكيماوي من استخراجها في المعامل كما سبق ان استخرج الاصباغ والعقاقير فلا يحتاج الى الاعتماد على الاجسام الحية لاستخراج هذه المفرزات من غددها . وهو اذا نجح في ذلك فانه سيسبق الطبيعة ويجعل مستخرجاته تفوق مفرزاتها كما حدث حين جعل النيلة الصناعية تفوق النيلة الطبيعية . وقد نجح الكيماويون في صنع البترول من الفحم والهيدروجين ويمكن صنع الشحم والكحول من البترول الآن و بذلك سيقترب الزمن حين يتحرر الانسان من ربقة الطبيعة ولا يحتاج كل الاحتياج الى النبات والحيوان بل يصنع ما يحتاج الية من الهواء والماء والفحم . و يؤمل الدكتور سلوسن ان الكيماويين سيتمكنون من الاهتداء الى ماهية احد الفيتامينات التي ما زلنا للآن نحس بوجودها و بفائدتها ولكننا لا نستطيع فصلها وتمييزها على حدة

الخواء التام

عجز العلماء بعد محاولات كثيرة عن ايجاد حالة الخواء التام . ولكن ما عجز عنه علماء الرجال قد نجحت فيه امرأة نمسوية تدعى مدام شيرمان فقد استفرغت الهواء من زجاجة استفراغاً تاماً حتى يقال ان ما في الزجاجة من الهواء لا يبلغ جزءاً من خمسين من البليون من الرطل على البوصة المربعة

اللباس الصناعي

ذكرنا للقراء جملة مرار ان الحرير الصناعي قد كثرت مصانعه في العالم وانه يسمى « ريون » وان هذه المصانع في أرباح متواصلة متزايدة · والآن نذكر ان الالمان قد صنعوا صوفاً صناعياً يستخرجونه من الخشب وهو يصلح لكل أنواع النسج · وقد جربت من مدة قريبة طريقة لصنع الاديم للاحذية من الخضراوات

ومن ذلك يتضح للقارىء انه لن تمضي عشرون سنة حتى يستغني الناس عن القطن والكتان والصوف والجلود وهي كلها قوام الزراعة الآن . أو قد يحتاجون اليها احتياجاً طفيفاً فتنزل الزراعة الى أحط الدرجات بين الحرف التي يمارسها الناس في العالم

أشعة كانود

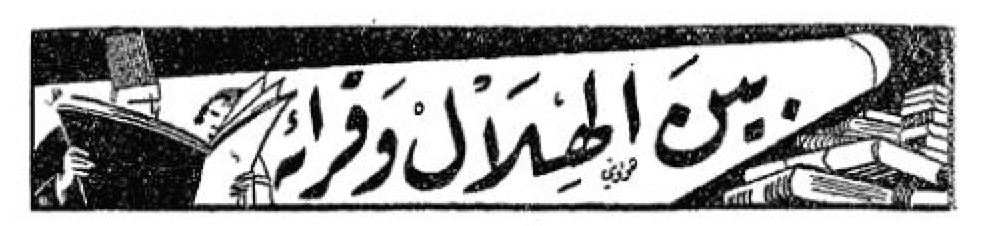
أشعة كانود معروفة منذ زمن · غير أن استعمالها لم يكن معروفا ولكن الدكتور كوليدج الموظف للبحث العلمي بشركة الكهربائية العمومية في اميركا قد صنع أنبوبة خاصة وبها منفذ لتسليط الاشعة · وقد سلط هذه الاشعة على أذن أرنب مدة عشر ثانية فسقط الشعر من الاذن · وحينما تقرفت الجلدة مكان الاحتراق سلط الاشعة ثانياً فنما الشعر ضعفي ما كان ولكنه نما ابيض وكان قبلاً اسمر · وحينما تقع الاشعة على الجراثيم او الذباب تقتلها لحظتها · ولا تزال التجارب ولا تزال العجائب أيضاً مستمرة من عمل هذه الاشعة الغريبة التي كادت تجزي أشعة الراديوم

الفتوغرافية بضغط الزر

اخترع أحد الاميركيين جهازاً ينقل صورتك ويقدمها لك بعد ثمان دقائق · وهذا الجهاز يشبه صندوق التلفون تدخل وتقعد على كرسي ثم تضع نقداً في خرم وتضغط زراً فتسمع هريراً ثم يلمع ضوء شديد و ينفتح باب عدسة الآلة الفتوغرافية فتنقل صورتك . وتخرج فتنتظر ٨ دقائق فيخرج لك شريط عريض من الورق به ٨ صور

مصل من المعز للحصبة

يقال ان الدكتور هيكتوين قد نجح في استخراج مصل واق من الحصبة · وطريقة استخراج هذا المصل انه يأخذ مقداراً من دم الطفل المصاب ثم يلقح به جدياً و بعد أيام يأخذ ما يريد من مصل هذا الجدي فيلقح منه جميع الاطفال المصابين بالحصبة ما دامت اصاباتهم لم يمض عليها اكثر من خمسة أيام و يقال ان ٩٠ في المائة ممن لقحوا بهذا المصل شفوا



تنبيهات : (١) يكتب السؤال واضحاً مختصرا على حدة ويعنون باسم محرر « الهلال » (٢) لا تنشر الا الاسئلة التي نرى فيها فائدة لجمهور القراء (٣) لا نتعرض لما يمس الدين أو السياسة (٤) قد نضطر الى تأجيل الجواب لكثرة الاسئلة لدينا (٥) يغفل السؤال اذا لم تستوف هذه الشروط أو اذا لم نعثر له على جواب

اليهود في العالم

* كفر الزيات . مصر * كوستي ميتسو

كم عدد الاسرائيليين في العالم وفي كل قارة منه ؟

* الهلال * عدد اليهود في العالم حسب آخر احصاء تقريبي وتحقيقي هو ١٤٨١٠٠٠٠ نفس وهم متوزعون كما يلي:

اميركا الشمالية	٣ ٣٧٩ ٦٦٨
اميركا الجنوبية	١١٨ ٦٥٧
اوربا	١٠ ٤٧٧ ٨٩١
آسيا	٤٣٤ ٣٣٢
افريقيا	٣٨٠ ٦٦٨
استراليا	١٩ ٤١٥

واكثر الدول يهوداً هي الولايات المتحدة (٣ ٣٠٠ ٠٠٠) وبولندا (٣ ٠٦٩ ٣٣٠) ورومانيا (١ ٠٠٠ ٠٠٠) واكرانيا (٣ ٣٠٠ ٠٠٠) والمانيا (٥٠٠ ٠٠٠)

المومياءات المصرية وأثرها في الحظ

* غينيا الفرنسية * ملحم مخول

ما رأيكم فيما يقع من الحظوظ السيئة للاشخاص الذين يقتنون المومياءات او ينقبون عنها ؟

* الهلال * ان ما يحدث لهم كان يحدث لو لم ينقبوا عن هذه المومياءات أو يقتنوها . ومثل هذه الحكايات التي تروى في هذا الصدد اذا لم يكن مبالغاً فيها فهي اتفاقات عرضية لا شأن للآثار فيها

قيصر روسيا حي ام ميت ؟

﴿ جنجين • سنغال ﴾ نعمة عازار

قرأنا في احدى الصحف ان قيصر روسيا لا يزال حياً يعيش في مكان بين ايطاليا وفرنسا وقرأنا في صحف اخرى انه قد قتل فأيهما نصدق ؟

﴿ الهلال ﴾ الشيوعيون في روسيا ليسوا في حاجة الى اخفاء قتل القيصر • فهم انفسهم يقولون انهم قتلوه هو وزوجته واولاده ويصفون قتلهم اياهم بانه كان في غاية الانسانية لانهم قتلوهم جميعاً وهم في غفلة يحسبون انهم مسافرون • فلم يعرف احد بمصيره الا قبل موته بثانية او بثانيتين • وهذه هي الرواية الصحيحة الصادقة ولا داعي لتمحل الاخبار عن حياة القيصر

اتقاء السرطان

﴿ البصرة • العراق ﴾ ا • م •

ما هي اسباب السرطان وكيف يمكن اتقاؤه ؟

﴿ الهلال ﴾ ليس في العالم الآن مرض يخبط الاطباء في اصله وعلاجه والوقاية منه مثلما يخبطون في السرطان • فمنهم من يزعم انه مرض مكروبي ومنهم من يزعم انه انما ينشأ من نقص في مفرزات الغدد • ومنهم من يقول ان سببه هو تناول المأكولات المحفوظة بالعلب او الاطعمة القديمة المقددة • وانما المتفق عليه انه يمكن حسمه اذا كان في اول ادواره • أما غير ذلك فرجم بالظنون

امالة الطربوش

﴿ قنا • مصر ﴾ محمد احمد يوسف

انتشرت عادة امالة الطرابيش الى الامام في قنا حتى تبلغ الانف والمقول ان هذه العادة من الازياء الاخيرة في القاهرة فهل هي تستقبح ام تستحسن ؟

﴿ الهلال ﴾ الزي متى شاع وعم لا يمكن استقباحه لان العين والذوق يألفانه ولا نعرف ان امالة الطرابيش زي جديد في القاهرة

معاجم عربية فرنسية

﴿ بورسعيد • مصر ﴾ م • سعد

ما هو احسن معجم للفرنسية والعربية ؟

﴿ الهلال ﴾ نشير باستعمال معجم الاب بيلو اليسوعي المطبوع في بيروت ومعجم النجاري المطبوع بمصر

جزائر الفيليبين

﴿ سان باولو • البرازيل ﴾ الياس ابو جمرة
ما هي جزائر الفيليبين وكم سكانها وسكان عاصمتها مانيلا وما اهم تجاراتها ؟

﴿ الهلال ﴾ تبلغ جزائر الفيليبين ٧٠٠٠ جزيرة ليس بينها سوى ٤٦٦ تزيد مساحة كل منها عن ميل مربع • ويبلغ عدد سكان مانيلا العاصمة ٦١٣ ٢٨٣ • وبالجزر ١٢٠٠ ميل من الخطوط الحديدية • واهم الصادرات هي القنب والسكر والنارجيل والتبغ واهم الواردات هي البضائع القطنية والحديد والفولاذ والاطعمة • و ٩٠ في المائة من الاهالي مسيحيون وهناك طائفة صغيرة من المسلمين وسائر السكان وثنيون

مملكة ابن سعود

﴿ بونس ايرس • ارجنتين ﴾ سعيد يوسف مراد
هل مملكة ابن سعود مستقلة ام لها دولة منتدبة وصية عليها ؟

﴿ الهلال ﴾ مملكة ابن سعود وهي نجد والحجاز دولة مستقلة استقلالاً تاماً وليس عليها أية وصاية من أية دولة

مخصصات رؤساء الدول

﴿ بغداد • العراق ﴾ عبد اللطيف ثنيان
ما هو مرتب رئيس جمهورية فرنسا ورئيس الولايات المتحدة وملك انجلترا ؟

﴿ الهلال ﴾ مرتب رئيس جمهورية فرنسا هو ٢٠٠٠٠٠ ١ فرنك أي ما يقرب من ١٠٠٠٠ جنيه في السنة • ومرتب رئيس الولايات المتحدة ١٥٠٠٠ جنيه يضاف اليها ٥٠٠٠ نفقة أسفاره • ومرتب ملك بريطانيا العظمى ١١٠٠٠٠ جنيه في السنة

اكل لحوم البشر

﴿ منفلوط . مصر ﴾ محمد اسكندر عبد الحليم
هل في العالم قبائل تأكل لحوم البشر الآن ؟

﴿ الهلال ﴾ لم يأكل الانسان قط اللحم البشري باعتباره غذاء وانما أكله لغاية سحرية اعتقاداً بانه يبعث في القلب الشجاعة أو يمنع الجسم من تأثير السلاح • وكان الانسان في الحروب يأكل لحم قتلى العدو على سبيل الانتقام • وقد ذكرت حادثة من هذا النوع في تاريخ المصريين وذكر الطبري حادثة اخرى ليزيد بن المهلب من هذا النوع • والهمج يمارسون اكل لحم البشر الغائبين في افريقيا وأميركا

الانسان همجي بالطبع

❊ طويريج . العراق ❊ محمد رءوف الجوهر

هل ثم نظرية تقول بأن الانسان همجي بالطبع ؟

❊ الهلال ❊ كان الاغريق يقولون ان الانسان مدني بالطبع يعنون بذلك انه يحب الاجتماع والتساند ومن شأنه ايجاد حكومة ونحو ذلك . ولكن العلماء الذين يستضيئون بضوء التطور يقولون ان الانسان همجي بطبعه مدني بتطبعه . فان الانسان نشأ انفرادياً بالطبع اجتماعياً بالتطبع وهو صائر نحو الحالة الاجتماعية الكاملة ولعل هذا التطبع يستحيل طبيعة فيه وعندئذ يصح قول الاغريق

الخل الوفي

❊ حلب . سوريا ❊ منير سعيد

يقول الشاعر :

اني اختبرت بني الزمان فما بهم خل وفيٌّ في النوائب اصطفي
فعلمت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي

فهل يستحيل وجود الخل الوفي حقيقة وهل كان الغول والعنقاء وجود ثم انقرضا ؟

❊ الهلال ❊ اما ان الناس يعدمون صديقاً وفياً فذلك حكم جائر على الانسانية كلها . وفي الانسان من بذور الرفعة والشرف والامانة والصدق ما لا يجعل الخل الوفي مستحيلاً . وانما المعقول أن هذا الشاعر قد قال هذه الكلمة وهو في فورة غضب . وربما كان الغول هو القرد المسمى الغوريلا أما العنقاء فلا ندري أصلها

اللبن في العين

❊ النجف . العراق ❊ عباس الطريحي

نرى أن الام اذا رأت طفلها يشكو عينه تضع فيها قليلا من لبن الثدي . فهل هذا يضره أم ينفعه ؟

❊ الهلال ❊ يضره . لأن السائل الذي بالعين هو سائل ملح يمنع التعفن ويساعد على برء الجرح . اما اللبن فمن أسرع الاغذية الى الفساد فهو يساعد على نمو الفساد في العين



الدولة الاموية في الشام . للاستاذ انيس زكريا نصولي

طبع بمطبعة دار السلام ببغداد صفحاته ٣٦٠

منذ بدأنا ندرس تاريخ العرب اخذ الاعتقاد يثبت في نفسنا بان الدولة الأموية هي دولة الفتح والمجد والقوة . ففي الدولة الأموية كان قتيبة بن مسلم يطرق ابواب الصين وكانت جيوش العرب ترابط على حدود روسيا وتقف على اسوار القسطنطينية وقبائل العرب تطرق ابواب فرنسا من الجنوب . وكانت الدولة مع ذلك عربية تتعصب للعرب . ثم جاء العباسيون فانقلبت الحال وضعفت العصبية العربية . وللخلفاء العباسيين من الخطب ما لا نظن ان احد باباوات رومية تجرأ على ان يلفظ بمثله من لهجة الجبروت والسلطان والافتيات على الناس

لقد جالت برأسنا هذه الخواطر ونحن نتصفح كتاب الاستاذ نصولي الذي وضعه في درس الدولة الاموية . وقد سبق ان امتدحنا مجهوده في درس آثار هذه الدولة في الاندلس . وليس كتابه هذا تاريخياً بل هو اشبه بالنقد منه بالتاريخ . وفصول الكتاب هي : ١ ـ تأسيس الدولة الاموية . ٢ ـ مأساة الحسين . ٣ ـ الحركة الزبيرية . ٤ ـ سياسة الشدة ومظاهرها . ٥ ـ الفتوح الاموية . ٦ ـ العدل والاصلاح . ٧ ـ العمران الاموي . ٨ ـ احوال الاجتماع الاموي . ٩ ـ الادب الاموي . ١٠ ـ اسباب السقوط

والكتاب جدير بالدرس كما انه ايضاً جدير بالمجاراة فان الدول العربية والدول الاسلامية تحتاج كلها الى ان يدرس كل منها على حدة درس استقصاء ونقد كما فعل هذا المؤلف

كتابان عن الزواج . للاستاذ نقولا حداد

طبعا بالمطبعة العصرية بالفجالة بمصر

يقع كتاب « اسرار الحياة الزوجية » في ٣٣١ صفحة وهو تأليف الدكتورة ماري ستوبس نقله الى العربية الاستاذ نقولا الحداد بعبارة مأنوسة الالفاظ سلسة الاسلوب . ولم يكتف الاستاذ الحداد بالنقل بل علق ايضاً على جميع الفصول باختبارات الاختصاصيين في هذا الموضوع فجاء كتاباً تلذ مطالعته وينفع قارئه وخاصة اولئك القراء الذين لا يعرفون من اسرار الحياة

الزوجية شيئاً او احياناً يعرفون ما يجب ألا يعرف . فمثل قراءة هـذا الكتاب تدل الشاب على مواطن السلامة والخطر في الحياة الزوجية

اما كتاب « الحب والزواج » فهو تأليف الاستاذ الحداد وهو مزين بالصور الكثيرة يقع في ٢٩٣ صفحة كبيرة ويبحث في : العشق ودولة الحب والحب غير الجنسي وحب الهمج وزواجهم والحب والجمال عند الحيوانات الخ .

والكتابان جديران بالمطالعة والاقتناء وقد احسن الاستاذ الياس انطون الياس بطبعهما ونشرهما واخراجهما في صورة بديعة من الطبع مثل سائر مطبوعاته

سورية والسوريون . للاستاذ فيليب حتي

طبع بالمطبعة التجارية بنيويورك صفحاته ١٠٧

وضع هـذا المؤلف الصغير النفيس الدكتور حتي أستاذ التاريخ بجامعة بيروت الاميركية سابقاً والاستاذ بجامعة برنستن الآن . والذي حدا بالمؤلف الى وضعه انه كان في نيويورك في العام الاسبق فرغبت اليه النزالة السورية أن يلقي عليها جملة محاضرات في تاريخ سوريا . فألقى هذه المحاضرات الثلاث وهي أصل السوريين واللبنانيين . وماذا استفاد الغرب من الشرق . وسوريا في أعلى قمم مجدها أي في العصر الاموي

وقد أعجبنا تلخيصه لبحثه في أصل السوريين بقوله :

« وعلى الاجمال نقول ان أبناء الشام من سوريين وفلسطينيين ولبنانيين هم من أصل سامي . النصارى منهم يمثلون سكان البلاد الاصليين وهم الاراميون . والمسلمون بعضهم عرب وبعضهم من أصل مسيحي اعتنق الاسلام . أما الشيعة ففرس والدروز فعرب . واليهود أيضاً شعب سامي معروف . ومثل سورية في ذلك مثل مصر فان أقباطها هم بقايا سكانها الاصليين ، ومسلموها عرب وأتراك مع من أسلم من الاقباط . فالسامية هي الجامعة التي تجمع أبناء الشام باعتبار الدم والمخرج المشترك الذي يمكن أن يحولهم كلهم اليه . أما من حيث اللغة والثقافة فالعربية هي الجامع »

وقد تجلت في هـذا الكتاب نزعة الدكتور حتي العلمية وتدقيقه في المباحث التاريخية مع سلاسة في التعبير وطلاوة في الاسلوب

ثلاثة كتب للدكتور زكي أبي شادي

طبعت بالمطبعة السلفية بمصر

هذه الكتب الثلاثة للدكتور الاديب زكي أبي شادي . أولها « مها » وهو قصة تقع في ١٠٠ صفحة رواها المؤلف منظومة وكانت قد نشرتها مجلة المصور للاستاذ جاماتي منثورة . وقد

أجاد الاستاذ أبو شادي غاية الاجادة في تصوير المواقف الغرامية ومساوقة جرس الالفاظ لمعانيها

أما الكتاب الثاني «روح الماسونية» فيقع في ١٠٠ صفحة أيضاً وهو خطبة ألقاها الدكتور أبو شادي عن فضائل الماسونية وقد ضمنها مبادىء الجمعيات الماسونية وما ينبغي أن يوجد بين أعضائها من الترابط والتعاطف والبر . وقد ضرب الامثال الملائمة لذلك

والكتاب الثالث هو كتيب صغير عن «ذكرى شكسبير» وهو مجموعة من الاشعار ألفها في ذكرى هذا الشاعر الانجليزي والكتب الثلاثة يستحق المؤلف عليها كل ثناء . وهي جيدة الطبع والورق

التعاون . للدكتور يحيى الدرديري

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية صفحاته ٢٥٧

قال المؤلف في مقدمته :

« من خير الوسائل لاصلاح حال الجماعات الفقيرة ، التعاون ، وهو مذهب اقتصادي اجتماعي ظهر في منتصف القرن التاسع عشر . وله معنى خاص غير المعنى العادي . وهو يعتبر من الوجهة الديموقراطية - وعلى الخصوص من وجهة العمال - أنه مظهر جديد للجماعة الذين يعملون على استغلال مدخراتهم القليلة بان يتحاشوا الوسيط وذلك بأن يكوّنوا لهم أولاً ملكية مشتركة ليصلوا ثانية الى اقتناء الملكية الفردية بواسطة ما يربحونه من الفوائد المشتركة »

والتعاون الآن قوة من أكبر قوى العمال وهو قوة تعمل للثبات والسلام . وتختلف في ذلك من قوة النقابات التي تعمل احياناً للتزعزع والتقلقل في الهيئة الاجتماعية

وقد أحسن المؤلف تنسيق كتابه فتدرج فيه من التاريخ للوصف لكيفية تأليف شركات التعاون . والكتاب جدير بالاقتناء والدرس وخاصة بين العمال وصغار الموظفين

نهاية الظمآن . للاستاذ جرجس الخوري المقدسي

طبع بالمطبعة الاميركية ببيروت صفحاته ٩٦

الاستاذ المقدسي من أساتذة جامعة بيروت الاميركية انتفع وما زال ينتفع به عدد كبير من شبيبة سوريا ومصر . وضع هذا الكتاب في الخطابة والكتابة والشعر والبيان بأسلوب طلي واضح يفهمه الصبي قبل الشاب . وقد بسط الكلام في موازين الشعر بسطاً تكفي المطالعة البسيطة لفهمه فاورد الستة عشر بحراً واحداً بعد الآخر وضرب لها الامثلة العديدة بحيث اذا كانت القريحة مستعدة للنظم وجد صاحبها من شرح هذه البحور ما يكفيه من القواعد فاذا كان الشعر طبيعة في نفسه فلا عذر له في ألا يكون شاعراً مجيداً . وشرح الاستاذ للبيان يجعل قراءه الذين لم يكونوا من تلاميذه يأسفون على ما نالهم من كد وكدح في تعلم أشياء كان يمكن أن يتعلموها في سهولة

سخرية الناي . للاستاذ محمود طاهر لاشين

طبع بمطبعة الشباب صفحاته ١٨٤

راج الفن القصصي بين طائفة من الكتاب المجددين في مصر · وهـذه القصص للاستاذ لاشين لا تقل براعة عما ظهر من القصص وان لم تبلغ بعد الاتقان المطلوب · وليس احد يطمع الآن في هذا الاتقان والفن بعد في طفولته · وقد نشر معظم هذه القصص في جريدة الفجر في سنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ ، وأسلوب المؤلف طلي سهل العبارة وفرش القصة مصري على الدوام والابطال يتألفون من جميع الطبقات وهو يجيد وصف أفراد الدرجة السفلى من سلم الطبقات · وقد كتب الاستاذ منصور فهمي مقدمة الكتاب · والكتاب يطلب من مكاتب القاهرة

الجغرافية الاقليمية . للاستاذين محمد عوض ابراهيم ومحمد فهيم بك

طبع بمطبعة مصر . جزآن الجزء الثاني ٢٧٥ صفحة والجزء الرابع ٢٢٩ صفحة

مؤلفا هذا الكتاب الثمين من كبار موظفي وزارة المعارف الذين مارسوا التدريس في المدارس الثانوية وقد وضعاه وفق برنامج الوزارة المقرر على المدارس الثانوية · وهو أربعة أجزاء وهذان الجزآن هما الثاني والرابع وكلاهما حسن الطبع جيد الصور والورق · وقد أحسنت الوزارة في تقرير تدريسه بمدارسها ويمكن غير الطالب أن ينتفع بقراءة الكتاب ففيه فصول وافية عن النبات والحيوان وتوزعها في العالم وفصول اخرى عن المناخ والسكان وكل ذلك موضح بالرسوم الناصعة

الكنز . للاستاذ محمد بدر

طبع بالمطبعة التجارية بمصر صفحاته ٢٧٣

وضع هذا الكتاب المفيد في تعلم اللغة العبرية الاستاذ محمد بدر وقد قال في مقدمته :

« أما أنا فقد حداني الى اخراج هذا الكتاب أمران اثنان ـ أما الامر الاول فعلمي بأن اللغة العبرية واللغة العربية صنوان تتصل وترتبط احداهما بالاخرى ـ في الاصل ـ اتصالاً وارتباطاً متينين · وان الاديب والعالم بعلم اللغات ـ وطالب العلم ومدرس آداب اللغة العربية وحتى مدرس التاريخ لا بد لكل واحد من هؤلاء ان يلم بأصل اللغات السامية وتطورها وان يكون على شيء من تفهم قواعد اللغة العبرية وما لها من صلة باللغة العربية

« واما الامر الثاني فعدم وجود كتاب في قواعد اللغة العبرية يشفي العلة وينقع الغلة ـ وهي محتم تدريسها لطلبة دار العلوم وليس في أيديهم من كتاب يرجعون اليه في التحصيل والدرس ـ من أجل ذلك قمت بسد هذا الفراغ خدمة لمواطني »

وقد كتب الاستاذ حسن حسين الكاتب المعروف مقدمة وافية في مقابلة اللغات السامية ألمّ فيها بتاريخ هذه اللغات وأوجه الشبه بين الفاظها وقواعدها . وقد أحسنت وزارة المعارف في تقرير تدريس هذا الكتاب المفيد لطلبة دار العلوم

والكتاب يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

المنهاج القويم في أصول التربية والتعليم . للاستاذ محمد الصاوي

طبع بمطبعة القاهرة بعمارة سوق باب اللوق بمصر صفحاته ١٤٢ من القطع الصغير — الجزء الاول

وضع هذا الكتاب الاستاذ محمد الصاوي وهو يبحث في القواعد العامة في طرق التدريس وعوامل التربية وصفات المعلم وطريقة هربارت وفي الاسئلة والاجوبة والايضاح وكل ما له علاقة بالتعليم وغير ذلك من الابحاث الشائقة التي تنفع المعلمين وقد ينتفع الآباء بمعرفتها لان كل أب معلم ومرب لاولاده الى درجة ما . والكتاب واضح العبارة في قصد وايجاز . ونحن نرجو ألا يتأخر المؤلف في ابراز الجزء الثاني

نقد الشعر الجاهلي . للاستاذ محمد فريد وجدي

صفحاته ١٥٢ وثمنه ١٥ قرشاً ويطلب من مكاتب القاهرة

الشهاب الراصد . للاستاذ محمد لطفي جمعه

طبع بمطبعة المقتطف صفحاته ٣١٤ من القطع الكبير

تحت راية القرآن . للاستاذ مصطفى الرافعي

طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر صفحاته ٤٣٦ من القطع الكبير

موضوع هذه الكتب الثلاثة هو الرد على الدكتور طه حسين بشأن كتابه « في الشعر الجاهلي » . وهذا الكتاب قد جمعته الجامعة المصرية وهو لا يباع الآن ولذلك قد يجد القارىء بعض الصعوبة في تتبع موضوع الجدل في هذه الكتب . والكتابان الاولان كلاهما يبحث من وجهة تاريخية وينتقد الدكتور طه حسين نقداً هادئاً. اما الكتاب الثالث للاستاذ الرافعي فاننا مع اعجابنا ببلاغة اسلوبه كنا نحب ان يتنزه عن اتهام الدكتور طه بتهمة الكفر فان هذه تهمة خطيرة لا تلقى على الناس جزافاً وليس مما يرغب فيه ان تلاك كثيراً بالالسن

والكتب الثلاثة جديرة بالدرس وقد استثار الدكتور طه موضوعاً لم تقل الكلمة الفاصلة فيه للآن فعسى ان يستمر البحث ويأخذ الكتاب في درس الشعر الجاهلي ومقابلة اساليب الشعراء حتى يقف القراء على فترة مجهولة او شبه مجهولة من تاريخ العرب

مطبوعات جديدة

﴿ الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون ﴾ يقع هذا الشرح في ٣٩٨ صفحة كبيرة وقد عني بنشرها الاديب الفاضل ابو بكر محمد عليم . وهذه الرسالة كان قد ارسلها ابن زيدون الكاتب والوزير الاندلسي الى ابن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس وبكل فقرة من فقراتها اشارة ادبية . وهذا الشرح لصلاح الدين الصفدي وقد طبع على ورق جيد طبعاً حسناً

﴿ كيف تصير رجلاً ﴾ تأليف بورسو وترجمة الاب افرام حنين الديراني صفحاته ٣١٤ وهو جدير بان يوضع في ايدي الشباب من الجنسين اذ هو يبحث في كل ما يرفع الشاب ويحثه على المعرفة والعمل والصلاح والعفة وسائر المناقب التي يجب ان يتحلى بها كل شاب . وفيه فصول عن حفظ الصحة واحترام المرأة والاعتقاد والحب وعواقب السيرة السيئة ونحو ذلك . والكتاب حسن الطبع والورق مجلد تجليداً حسناً

﴿ المواعيد في القوانين المصرية ﴾ تأليف الاستاذ محمد حلمي زين الدين يقع في ٣٨٦ صفحة وهو كعنوانه يبحث في المواعيد في القضايا والاجراءات والمرافعات . وجهل المواعيد كما يقول المؤلف قد يؤدي احياناً الى ضياع اموال احد المدعين او اسقاط حق ذي قيمة . وقد عني المؤلف بوضع فهرس ابجدي يسهل على الباحث وجود ضالته في الكتاب و يجب ألا يخلو منه مكتب من مكاتب المحامين او رجال الاعمال

﴿ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ﴾ هذا هو الجزء السابع من معجم الادباء لياقوت الرومي عني بنشره الاستاذ مرجليوث استاذ الآداب العربية في جامعة اكسفورد وقد اتفق على طبعه من وقف « تذكار جيب » وبهذا الجزء يتم كتاب معجم الادباء . وقد ألحق بآخر هذا الجزء فهرس كبير ابجدي يبلغ ٥٢ صفحة . ومعجم الادباء من الكتب التي تعتبر اثاثاً لازماً لكل مكتبة عربية وذخيرة ثمينة لكل اديب فنشكر للدكتور مرجليوث همته

﴿ بدائع الخيال ﴾ وهي عشر قصص لتولستوي ترجمها الى العربية الاديب عبد العزيز امين الخانجي وهي تقع في ١٣٨ صفحة . وتولستوي غني عن التعريف واسلوب المترجم حسن سهل وهذه القصص انموذج جيد لقصص تولستوي التي لا تخلو واحدة منها من مغزى جميل

﴿ ذكرى شهداء الغربة ﴾ تأليف الفاضل فرج افندي سليمان فؤاد صفحاته ١٩١ وهو يروي تلك الفاجعة التي حدثت سنة ١٩٢٠ حين اصطدم قطار كان يحمل الطلبة المصريين في اوربا فقتل منهم عدد كبير . وهذا الكتاب تذكار حسن جمعت فيه القصائد التي قيلت في هذه الفاجعة مع تراجم الطلبة الذين ماتوا فيها

﴿ احاديث وقصص ﴾ مجموعة قصص تقع في ١٤٠ صفحة تأليف الاديب حسين افندي

سعودي وترجمته . وهي كلها جيدة المغزى حسنة الاسلوب تلذ مطالعتها فنشكر للمؤلف هديته ونرجو لكتابه الرواج

﴿ مذكرات فتوة ﴾ قصة ادبية تأليف المعلم يوسف ابو حجاج تقع في ٧٢ صفحة مكتوبة بالعامية المصرية وتبحث في اخلاق « الفتوات » في المدن المصرية وفيها من الفكاهة والنكهة البلدية ما يجذب القراء ويملك البابهم

﴿ ديوان ابي النجاة ﴾ تأليف الشيخ ابي النجاة من خريجي دار العلوم مصدر بصورة المؤلف . عدد صفحاته ١٣٨ وفيه قصائد في مدح النبي (صلعم) وقصائد اخرى في الفخر وفراق الاحبة ونحو ذلك من المواضيع ولغة المؤلف سهلة واضحة المعنى

﴿ منهج الحق والوفاق ﴾ في الزواج والهجر والطلاق للقس اسكندر حداد صفحاته ٢٤٤ . يبحث في شروط الزواج والحب وغايته دينية اخلاقية ومن فصوله : الموافقة في الزواج وهل الزيجة من اسرار الكنيسة والزواج بعد الترمل والزواج المختلط بين المسيحيين وغيرهم ومناظرات في الطلاق ونحو ذلك

﴿ مرشد اهرام الجيزة والمتحف المصري ﴾ لواضعه الاستاذ انطون ذكري صاحب المؤلفات العديدة في المصرولوجية عدد صفحاته ١٢٨ وهو كما يدل عليه عنوانه يرشد زائر الاهرام وزائر المتحف الى كل ما يجب عليه رؤيته والكتاب موضح بالرسوم العديدة الناصعة وملحق بالكتاب حكم فتاه هتوب الحكيم المصري المعروف

﴿ مملكة جهنم ﴾ قصة رمزية لتولستوي ترجمها الاديب الفاضل سليم افندي قبعين صاحب مجلة الاخاء وقد وقعت في ٨٨ صفحة . والقصة من القصص المشهورة لتولستوي طلية المعنى والمغزى وقد نقلت باسلوب سلس وعبارة طلية يستحق عليها الناقل كل ثناء.

﴿ الفاشيزم ﴾ او النهضة الايطالية الحديثة ترجمة محمد محفوظ الكردي صفحاته ١٤٢ يبحث في اصل الحركة الفاشستية في ايطاليا ويعدد اوجه الاصلاح التي ابتدعها زعماؤها مع ترجمة موسوليني الزعيم الاكبر . وجدير بالقراء العرب ان يقفوا على كنه هذه الحركة التي تحارب الاشتراكية والتي يعدها بعضهم ضرباً من الرجعية.

﴿ فن القبالة ﴾ تأليف الدكتور سامي آل شوكت باشا مدرس فن القبالة في مدارس بغداد صفحاته ٣٠٣ وهو يبحث في فسيولوجية الحمل ثم في فن القبالة اي الوضع . والكتاب جدير بأن تقتنيه كل قابلة بل كل ام فان لغته واضحة يمكن اي انسان قراءته والانتفاع منه

﴿ ديوان الثورة ﴾ وهو مجموع ما قيل من الشعر في وقائع الثورة السورية في خلال العام الاول من نشوبها جمع قصائده الاديب محمد يس عرفة وهو يقع في ١٢٥ صفحة وبه قصائد عامرة لشعراء سوريا أمثال الزركلي وخليل مردم ولغير شعراء سوريا مثل الكاظمي وشوقي والرصافي



الاحصاء يتناول كل شيء

نشرت ادارة التجارة الاميركية احصاء يستفاد منه انه انفق سنة ١٩٢٥ في الولايات المتحدة: اكثر من ثلاثين مليون دولار كل يوم لمشترى مسحوق الارز (البودرة) وغير ذلك من المستحضرات المستعملة للتجمل . واذا وزعنا هذا المبلغ على عدد بنات حواء في الولايات المتحدة كان متوسط ما تنفقه المرأة الاميركية على التجمل موازياً لثلاثة اضعاف ما تنفقه على غذائها

العرق دساس

وقفت سيدتان سائق سيارة وطلبتا منه ان يذهب بهما الى احدى مواقف السكة الحديدية في باريس ، فلما بلغ الموقف تذكرت السيدتان انهما نسيتا دراهمهما في البيت فاعتذرتا له فاجابهما لا بأس ما دمتما ستدفعان فيما بعد . فقالت له احداهما شكراً لك على ذلك واعطته عنوانهما

وقالت لها رفيقتها ولكننا نسينا اوراق السفر في البيت ولم يبق لدينا وقت للعودة لاحضارها . فقال لهما السائق : الى اين تقصدان وفي اية درجة تسافران . فقالتا له ان القطار يسافر بعد عشر دقائق ولا يمكننا الرجوع الى البيت لجلب اوراق السفر . فقال اني اتولى الامر بنفسي . وجاءهما بورقتين دفع ثمنهما من جيبه . وحمل حقيبتيهما وحثهما على الاسراع لئلا تتأخرا عن موعد سفر القطار

فقالتا له ما اسمك وعنوانك ؟ فنحن يهمنا ان نعرفه لكي ندفع لك عند رجوعنا ما نحن مدينتان لك به فناولها بطاقة وودعهما وانصرف ، فقرأتا فيها ما يأتي :

الجنرال الكونت ... الملحق باركان الحرب العامة في روسيا اثناء الحرب

على ان الشيء بالشيء يذكر فان الثورة الروسية كانت شديدة الوطأة على نبلاء الروس فمن نجا منهم من القتل اضطر الى المهاجرة والسعي في ديار الغربة لتحصيل رزقه ، ففي باريس وحدها نحو خمسة آلاف روسي يشتغلون سائقي سيارات السواد الاعظم منهم من النبلاء

كهنة الكاثوليك

يؤخذ من احصاء حديث أجري في رومية انه يوجد في العالم ٣١٢٠٠٠ كاهن كاثوليكي. منهم ٢٠٠ ٣٢٤ يقيمون في اوربا فيكون لكل ١٨٠٠ نفس كاهن واحد

من غرائب أطوار الاميركان

منذ أمد غير بعيد كثر تحدث القوم في نيويورك عن حادث غريب جرى عندهم على أثر وجود طفل في المترو أو الصبواي (سكة حديدية تحت الارض) فالتقطه رجال الشحنة وساروا به الى الهيئة المختصة ، ونشرت صورته في جميع الصحف ، ولم تكد تنشر هذه الصورة حتى انتهى اليها كتاب هذا نصه :

« حضرة المدير

ان الطفل الذي وجدتموهُ في المترو هو لي ، ان الذهول قد تولاني ولكن كانت معي رزم عديدة اضطررت الى القاء بعضها على الحضيض لأن ذراعيَّ تخدرتا و كنت مسرعة لادراك القطار فنسيتُ الطفل واؤمل انكم لا تضطروني الى دفع اكثر من خمسة دولارات فقد انفقت كل دراهمي في ابتياعه ، وأحب الحصول عليه في القريب العاجل · فأرجو أن ترسلوهُ اليَّ مع خفير وليس مع شحني إذ انهُ من دواعي الخجل ان يختلط مثل ذلك الطفل برجال الشحنة . واذا لم يتيسر لكم ذلك فاني ارسل اختي الصغيرة لجلبه لاني مصابة بالنزلة الوافدة وستدفع لكم خمسة دولارات في مقابل ما انفقتموهُ عليه ولكن ارجو ألا تطعموه كثيراً لئلا يسمن فلا تقدر اختي الصغيرة على حمله · واؤمل الحصول على طفلي في وقت قريب · اقبلوا فائق احترامي عقيلة مور يال هوسنر »

فارسلوا الى العنوان المرسل اليهم مفتشة ولشد ما كان دهشها عظيماً حين عرفت أن « عقيلة مور يال هوسنر » لم تكن سوى فتاة في العاشرة من عمرها ، وكانت قد ضجرت من الدمى الجامدة فوجدت سبيلاً الى الحصول على تلك الدمية الحية · وذرفت دموعاً سخينة حين علمت انهم يبتغون أن يحرموها طفلها

دخل المترو في باريس

تنشر احصاء لدخل المترو في الشهور الثلاثة الاولى من سنة ١٩٢٦ الحالية وتقابلهُ بمثله من المدة عينها سنة ١٩٢٥ ففي سنة ١٩٢٥ نقل المترو ١٣٥ مليوناً و ٨٢٧٢٢ نفساً وسنة ١٩٢٦ نقل ١٤٠ مليوناً و ٧٨٢٢٦٥ شخصاً . أما الاجور فقد بلغت سنة ١٩٢٥ (الاشهر الثلاثة الاولى) ٥٣ مليوناً و ٧٤٢٣٦٠ فرنكا و ٧٥ سنتيماً · وسنة ١٩٢٦ بلغت ٧٢ مليوناً و ٦٢٥٢٠٣ فرنكات و ٣٥ سنتيماً · وهذه الزيادة في الدخل ناجمة عن رفع قيمة الاجرة

توراة غوتنبرج

ابتاع أحد أغنياء الاميركان بمبلغ مليون ومائة وثلاثة آلاف فرنك ذهباً نسخة من التوراة التي طبعها غوتنبرج مخترع الطباعة ، وهي في ثلاثة مجلدات وقد كانت في دير البندكتيين في

كارنشيا . وفي شهر فبراير الماضي بيعت نسخة اخرى من هذه التوراة لسيدة اميركية بمبلغ ٥٣٠٠٠٠ فرنك ذهباً . ويقال انهُ لا يوجد سوى ثلاث عشرة نسخة من هذه التوراة وتاريخ طبعها يرتقي الى سنة ١٤٥٥ مسيحية

المسيو كليمنسو من النبلاء

قليلون هم الذين يعلمون أن المسيو كليمنسو من النبلاء ، ففي نسخة من صحيفة فرنسوية صادرة في شهر يناير سنة ١٨٩١ اثبات لهذا الامر . فالمسيو كليمنسو يتحدر من اسرة من بواتو السفلى وقد نالت لقب الشرف من الملك لويس الثاني عشر . وتحرير الخبر أن جد الاسرة واسمه جهان كليمنسو جاء الى بلدة موستيلي وأقام فيها لتعاطي الطباعة ، فاقترن سنة ١٤٨٨ بفتاة اسمها ايزابو فواينو ، وكان على جانب عظيم من النشاط والبراعة في مهنته فاستمال اليه الجميع وبنوع خاص السيد دي ساسيرج مطران لوسون وهذا التمس من الملك لويس الثاني عشر لقب شرف لجهان كليمنسو فاجاب الملك التماسهُ . وشمل خليفة ذلك المطران بكر أولاد كليمنسو بعطفه وسعى لاسناد منصب مهم اليه وجعل أخاهُ جاك رئيساً لهُ وتلين في الكنيسة . وعلى شعار اسرة كليمنسو الازرق اللون مفتاحان من الفضة

الرسوم على المتاحف في باريس

سنة ١٩٢٤ بلغت الرسوم المستوفاة من زائري وزائرات متاحف باريس مليوني فرنك وسنة ١٩٢٥ بلغت ثلاثة ملايين ونصف المليون ويقدرون أن هذه السنة ستزيد عن أربعة ملايين

عدد سكان الولايات المتحدة :

سنة ١٩٢٠ أحصي سكان الولايات المتحدة فبلغ عددهم ١٠٥ ٧١٠ ٠٠٠ نسمة ويقدرون ان عددهم في الاحصاء الذي سيجري في شهر يوليو من السنة الحالية سيكون ١١٧ مليوناً

واجب المنصب فوق العاطفة :

لما اصيب والد الرئيس كولدج بالمرض الذي توفي به وكان بعيداً عن ابنه لم يتمكن هذا من ترك مهام الرياسة والذهاب الى حيث كان والده يجود بنفسه . على ان الشيء بالشيء يذكر فقد حدث سنة ١٩٠٤ ان والدة الرئيس لوباي مرضت ذات يوم وكان عمرها ٩٤ سنة فبلغ ولدها ذلك الخبر وكان يحب من صميم فؤاده ان يشاهدها قبل وفاتها الا ان ابتعاده عن العاصمة مدة من الزمان لم يكن مستطاعاً في ذلك الحين بسبب بعض الامور الخطيرة ولذلك لم يتمكن من الذهاب لمشاهدة والدته وهي في حالة المرض الثقيل

حكمة سليمانية

في قرية بضواحي راشلبرغ من أعمال بافاريا دهس راكب دراجة اوزة فعرض على صاحبها ماركين تعويضاً فلم يقبل الرجل بل طلب خمسة ماركات قائلاً ان راكب الدراجات اذا دفع الماركات الخمسة حق له ان يأخذ الاوزة . ولما أبى هذا الاخير دفع المبلغ الذي أراد صاحب الاوزة ان يتقاضاه اياه رفع الامر الى شيخ القرية فبعد ما وقف على جلية الامر قال ان الامر بسيط فليدفع راكب الدراجة ماركين لصاحب الاوزة وانا اضيف الى ذلك ثلاثة ماركات وآخذ الاوزة ، وعلى هذا النمط يكون الفريقان راضيين

حكم خالدة :

الحياء صورة من صور الكرامة الشخصية (برودون)

محبذ الشر شر من مرتكبه (غريم)

يكفي ألا نخاطب قريبنا بكلام عذب بل يجب ان نخلص له دخيلتنا

(القديس فرنسيس ساكس)

اذا كنت تحب الحياة فلا تفسد الزمان وهو نسيجها (بنيامين فرنكلان)

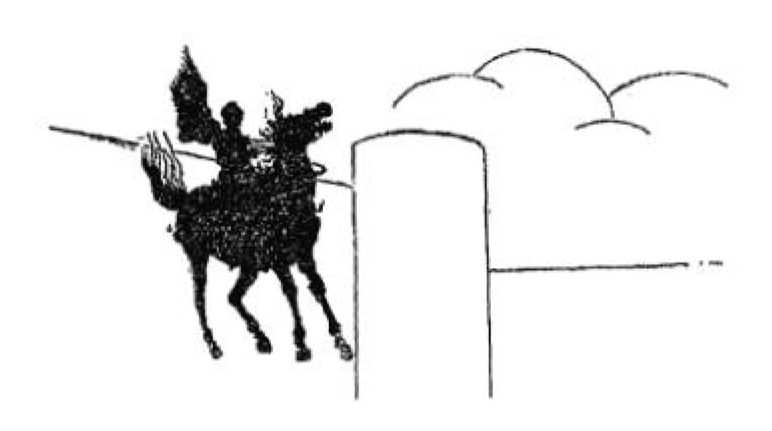
لا يعيش الانسان حياة كاملة الا اذا عاش لغيره (غوابو)

من حسنات المخاطر الكبيرة اظهار الاخاء بين اشخاص يجهل بعضهم البعض الآخر

(فكتور هوغو)

بعد منح الشعب السلطة يجب اعطاؤه الحكمة ، فالتعليم معدل الحرية (تاليران)

لدينا ثلاثة انواع من الجهل : الافتقار الى معرفة ما يجب معرفته ، عدم احسان معرفة ما نعرفه ، معرفة ما لا تجب معرفته (منتسكيو)



حديث مع أحمد زكي باشا

العرب والعربية، آثار الاجداد، الفصحى والعامية، قيمة التفرنج، اليمن واليمنيون

أحمد زكي باشا شابٌ في الستين من عمره يتكلم بحرارة الشبان ونشاطهم · وله من توقد الذكاء في عينيه وتورد وجنتيه ما يضعك في حيرة تتساءل : كيف يتفق هـذا الشعر الابيض مع هذا الوجه الشاب الذي ينبض بالشباب ؟ ولكن حيرتك لن تطول فان حديثه يلهمك الحل لما تظنه لغزاً

فان شبابه ليس في جسمه بمقدار ما هو في نفسه · وهذه النفس شرهة أشد الشره الى الحياة فأنت تعرفه أستاذاً يؤلف الكتب الممتعة و يدرس موضوعات التاريخ الغامضة ولكنه هو يعرف نفسه طالباً وسيبقى طالباً الى ان يبلغ سن الشيخوخة أي بعد نحو أربعين سنة · وهو انما يطلب العلم و يتشوق الى المعرفة و يتكبد الاسفار و يتحنى في نبش الاوراق البالية لفرط ما فيه من حياة طامحة تجري وفق روح التطور تحب التوسع والتطلع والازدياد

لما جلست امامه أغذو عيني بهذه الصحة المشرقة وهذا « التوثب الحيوي » الذي ينسبه برغسون للحياة عامة قلت في نفسي : لابد ان هذا الرجل قد احتفظ بهذه الصحة العجيبة لانه منتظم في معيشته لا يذهب الى افراط أو تفريط فسألته : ماذا تأكل يا باشا ؟

ولكني شعرت بعد برهة اني قد أخطأت القصد في هذا السؤال · فان صحته ليست في جسمه بل هي كما قلت في نفسه أي في ارادته وهمومه الادبية فهو يأكل كل شيء و ينام أحياناً في الساعة الثانية من الصباح و يدخن من سجاير توسكانا التي تعد من الغازات الخانقة لغيره نحو ٧٠ سيجاراً في اليوم · ولكنهُ ـ وهذا هو المهم ـ له من ارادته ما يكفه عن التدخين · وقد انكف عنهُ بالفعل منذ سنتين · فصحتهُ اذن في هذه النفس التي تدفع به الى الجهاد في سبيل الادب العربي والامم العربية وترسم له قصداً يتجه نحوه وتكشف له كل يوم من خبايا الادب ما يحثهُ على ان يعيش تلك « الحياة الوفيرة » التي يذكرها المسيح في الانجيل وان يبسط شخصيته في هذا العالم العربي

وزكي باشا « رجل عمومي » بل هو معهد مصري يقرأ صبيان المدارس الكتب التي ينبشها لهم من المكاتب النائية فاذا دخلوا في طور الشباب وتركوا المدارس زودهم أيضاً بما يغذو عقولهم من أدب الجاحظ أو آثار العرب في آسيا أو أفريقيا أو أوربا أو ··· أو ··· اميركا

وزكي باشا اسكندري المولد والوطن كان أبوه تاجراً ولكن يبدو لي انهُ لم يوفق في تجارته لانه التحق بالجيش ، ومن « الدعاوي » الموروثة في العائلة انهُ ضرب احدى بوارج الاسطول

الانجليزي سنة ١٨٨٢ فأحدث بها عواراً . وقد ربى ابنه المرحوم رشاد بك تربية الصبا فقط وقام رشاد بك مقام الوالد لاخيه زكي باشا . وفي كلا الاخوين تجد تلك الحماسة وتلك الرغبة في الاكتشاف ودرس الآثار العربية . فقد كان رشاد جوابة آفاق بلغ تخوم القطب الشمالي وزار القوقاز وكتب عن الاسلام فيه . وها هوذا شقيقه زكي باشا قد حقق هواه في قول الشاعر «لا بد من صنعا وان طال السفر» فزار اليمن هذا العام وعاد منهُ بنقوش على الحجر من اللغة الحميرية كما عاد أيضاً بأصنام وسيوف وبزة عربية وكتب مخطوطة فيها من عفونة البلى ما يؤثره هو بما نشأ عليه من درس الآثار على عطر الطيب

وقد كتب على زكي باشا التحبير والتحرير من أول نشأتهِ . فما هو ان نال شهادة الحقوق سنة ١٨٨٧ وكان الاول في امتحانها حتى تعين محرراً في الوقائع المصرية . ولكنهُ لم يمكث طويلاً في هذا المنصب الذي سبق ان شغله قبله محمد عبده وسعد زغلول لانهُ انتقل منه الى سكرتيرية مجلس النظار سنة ١٨٩٠ فبقي فيها الى وقت اعتزاله خدمة الحكومة . وفي سنة ١٨٩٢ انتدبته الحكومة للسفر الى لندن ليشهد مؤتمر المستشرقين فأمضى ستة أشهر ونصفاً في زيارة أوربا. وعاد في سنة ١٨٩٤ فانتدب لمؤتمر المستشرقين في جنيف وكان معه تحت رياسته شوقي بك وعمر بك لطفي . وكانت سنة ١٨٩٢ هي السنة التي افتتح بها عهده الحديث أي العهد الذي نعرفهُ فيه رجلاً يتهم للشرق العربي وينشد الابناء عظمة الاجداد وآثارهم فانهُ زار الاندلس في تلك السنة فرأى الدنيا العربية القديمة ممثلة في مدن أسبانيا ينطق بل يصرخ بها الحجر فعاد الينا بعد ذلك وليس له مهواة أو مهواة الا العرب ولغة العرب وحضارة العرب . وهو لا يزال كذلك ونحن لا نزال معهُ لا نسأمهُ لانهُ يخاطبنا بلغة الرجل المهذب المستنير وقد يشطح أحياناً و يتشطط ولكنهُ لا يتنطع ولا يثقل . وذلك لانهُ لا يعبد القدماء عبادة عمياء فانهُ يخطىء عثمان بن عفان لهدمه معبد الزهرة في اليمن ويلعن سلاطين مصر الذين حطموا آثار الفراعنة . فلا عليك بعد ذلك ان تسمع منهُ رأياً قد ند وشطح عن الطيران والعرب أو أميركا والعرب . فان هذه الشطحات تحببهُ اليك لانها تبرزه لك انساناً فيه ضعف الانسان الذي تغمره الحماسة لما يهوى ويدفعهُ الغرام الى ركوب المخاطر

وبيت زكي باشا ملتقى العلماء وغير العلماء من قاصدي علمه أو فضله . كنت هناك فرأيت اثنين من المستشرقين هما الاستاذ نالينو والمستر جب وأيضاً رجلاً آخر من الدروز لا أحب أن أراه وحدي في حوران لمحته وهو يفحص سيفاً جاء به زكي باشا من اليمن يتناوله و يقلبهُ و يلوح به تلويحاً لا يسرني

قلت : يا باشا انك تكثر من ذكر العرب وتلفت أنظارنا على الدوام الى الوراء وتشيد بذكر الحضارة العربية أفلا تخشى أننا نتعلق بهذا الماضي ونكبر من شأن ابطاله ونسير سيرتهم فنتجمد

ونكره ما يبتدع كل يوم من الاصلاحات الاجتماعية ونلزم طرقاً عتيقة قد عفى عليها الزمن ؟

فتأملني الباشا قليلاً ثم قال : اسمع ٠ انت قبطي ٠ هبني رأيتك تأتي عملاً قبيحاً فجئتك أقول : كيف تفعل ذلك وأنت ابن الفراعنة ؟ أما تذكر ما فعله رمسيس ؟ أما تعرف اخناتون ؟ أمثل عملك هذا يتفق وعظمة هؤلاء ؟ لو اني قلت لك هذا أفأنت تظن اني ادعوك الى الجمود أو أحسن لك ان تحكم مصر الآن كما كانت تحكم أيام الفراعنة ٠ ولكنك تعرف اني انما أستثير كبرياءك الوطني لكي تصلح به حالك وترتفع وترقى وتكون جديراً بهؤلاء الآباء ٠ وهذا ما أفعله أنا عندما أتكلم عن العرب اذكر مجدهم استثارة لهمة ابنائهم وورثة ثقافتهم ولست في ذلك أدعوهم الى الجمود أو لزوم خطط الآباء فان العالم يجب ان يتطور ومن لم يتطور يهلك ٠ ويمكننا مع ذلك ان نتطور بدون ان نقطع الصلة التي بيننا و بين هذا السلف

قلت : هذا الماضي الذي تذكره لنا كثيراً فيه أشياء لا نحب ان تشيع بيننا فيه أدب مزخرف الالفاظ تافه المعنى وفيه حكومة أتوقراطية وفيه غير ذلك أشياء يجب ان نصارح شبابنا بأنها سيئة وان الحكمة في تجنبها لا في تقليدها

وهنا يجيب زكي باشا ويحمى في جوابه فترى اليدين تسعف اللسان بالايضاح والشرح فيقول: ان الزخارف اللفظية يتعمدها كتابنا اكثر مما كان يتعمدها كتاب العرب القدماء ٠ فالنثر والشعر في الجاهلية ومدة الدولة الاموية وبعض مدة الدولة العباسية لم يكن فيهما شيء من الزخارف اللفظية ٠ وانما عبد الله بن المعتز هو الذي شرع هذا الطريق فسار عليه الادباء بعده ٠ وأما الحكومة الأتوقراطية فليست من الاسلام في شيء ٠ فانك لا تجهل الامر بالشورى وان محمداً نفسه كان يستشير و ينزل عند رأي من كانوا اخبر منه بأمور الدنيا كما فعل في وقعة بدر

قلت : أراني اعتقد يا باشا عندما أفكر في انقراض العرب من الاندلس والاتراك من أوربا وعندما اقرن ذلك بما شاهدته بنفسي من انحطاط المغاربة في مراكش قبل ١٦ سنة ان الجمود وأعني به الالتفات للماضي كثيراً والعناية به هو سبب هزيمة الشرق العربي امام الغربيين وان صلاحنا لا يكون الا بقطيعة هذا الماضي والانسلاخ من آسيا والالتحاق بأوربا ٠ واني اعتبر ان اسماعيل هو اكبر ثائر في مصر وانه عرف حقيقة مركزنا وعرف ان مصلحتنا تنحصر في الجري على السنن الاوربية

ولكن زكي باشا يستعد هنا للنزال و يتدفق كالسيل فيقول : كل ما تقوله خطأ ٠ واذا كان اسماعيل قد نوى ان يفرنجنا و يلحقنا بأوربا فقد اخطأ هو ايضاً ٠ اما انحطاط الاندلس وانقراض العرب من اسبانيا فيرجع الى تخاذلهم وليس الى لزومهم للتقاليد القديمة ٠ وأما الاتراك فكان مقضياً من الاصل على استعمارهم لانهُ لم يكن قط فتحاً مستقراً بل كان غزواً يراد منهُ الاسلاب والغنائم ٠ والفتح والاستعمار يحتاجان الى توحيد اللغة والنظام ٠ وهذا ما ادركه مصطفى كمال فانهُ

تخلص من جميع الولايات التي لا تتحد مع الاتراك في اللغة والجنس وعمل على ايجاد أمة تركية جديدة متجانسة تتكلم لغة واحدة ولها نظام واحد ولها مشارب واحدة · وهذا الشرق العربي لم يجن عليه سوى سليم الفاتح فانه خرب مصر وفارس وكانت كل منهما دولة قوية غنية · وربما كانت اكبر غلطة للاتراك انهم في مدة غزواتهم لم يقفوا عند حدود طبيعية تحمي بلادهم وهذا هو ما تنبه له مصطفى كمال · اما رغبتكم في ان نلتحق بأوربا فهذا ما لا أوافق عليه البتة · لانهُ اذا كنت أنت تدعو الشرق الى ان يتفرنج فأنا أدعو الغرب الى ان يتعرَّب · فان لنا تقاليدنا وكبرياءنا · ولست في ذلك أعارض في ان نأخذ من أوربا كل ما نتقوَّى به مثل حرية المرأة وفصل الدين عن الدولة واصطناع جميع المخترعات الاوربية

وشعرت هنا اني لا أختلف كثيراً عن زكي باشا الا من حيث التعبير فتماديت وعمدت الى نقط حساسة لأسبر غور الباشا وأرى الى اي حد يبلغ ولاؤه للقديم . فقلت : تعرفون يا باشا ما نلاقيه من المشاق في تعلم العربية وان الادب اذا لم يصوّر حياة الامة التي يقوم بينها لا يكون الا أدباً ميتاً · واللغة العربية التي نكتب بها هي لغة كتب فقط · فهي لا تؤاتينا على ان نصف بها أشجاننا ولهونا وفكاهاتنا وكل ما لامس حياتنا · وأنت تعرف ان التمثيل متأخر عندنا مع انهُ أرقى أنواع الادب وانما يرجع تأخره الى انهُ صورة غير صحيحة لحياتنا اليومية لان أداة التعبير فيه غير الاداة التي نستعملها في هذه الحياة · أفلا تنصح باستعمال العامية ؟

فقال الباشا : لا أعارض في استعمال بعض الالفاظ العامية فان هناك من التعابير في حياتنا اليومية ما لا تقوم اللغة الفصحى بالاداء به · ولكني لا أقول باستعمال العامية الا على سبيل الاستعانة بها حيث لا يمكن الاستغناء عنها · واللغة العربية رابطة بين الاقطار العربية وأنا مصري ولكني أيضاً عربي وأحب ألا تنفصم هذه الرابطة · ولست أقول بامكان اتحاد الامم العربية الآن ولكن ماذا يمنع من ان يكون هذا أملاً قد يتحقق في المستقبل؟ واذكر يا سيدي اني أقول بجامعة عربية ولا اقول بجامعة اسلامية

قلت : لشد ما تحب العرب يا باشا ! تقول ان اللغة رابطة ولكني عند التأمل أجدني لا أبالي بهذه الرابطة الا اذا اقترنت برابطة الثقافة والذوق · فاني أجد ان العربي النجدي أو الحجازي اذا لم تكن لهجته في العربية مثل لهجتي وعاداته مثل عاداتي يأكل كما آكل ويؤمن بالثقافة وحرية الفكر ـ أجد انهُ أجنبي عني · وأنت قد زرت اليمن هذا العام فهل رأيت لهذه الرابطة مظهراً ؟

قال زكي باشا : اجل ، وجدتني أعطف على اليمنيين وهم يعطفون عليَّ · وبانتشار التعليم تعم الثقافة العالم العربي وتتجانس وهي لن تكون كذلك حتى تكون أساسها لغة عامة هي اللغة العربية التي نكتب بها

قلت : والآن هل تتكرم بذكر شيء عن رحلتك الى اليمن ؟

قال : ربما وضعت كتاباً في ذلك ولكن لم يحن وقته بعد . غير اني اخبرك باشياء صغيرة قد تلذ معرفتها لقرائك . فاليمن بلاد عربية قحة وقد تكون حضارتها سابقة لحضارة المصريين . وفيها طوائف من القرامطة ومن اليهود . واليهودي في صنعاء يعمل في الصباغة والصياغة والصيرفة . ولكنه مكلف بنزح الكنف ولا يجوز له حمل السلاح . وقد امضيت ٥٦ يوماً في صنعاء في ضيافة الامام وكانت لي في كل مكان نزلت فيه كرامة خاصة لاني من الاشراف فانا كما تعرف « حسيني » وقد ساعدني هذا الشرف التالد على دخول المساجد والتنقيب في الآثار حتى ولو كانت في محراب الجامع وليس لقصر غمدان الذي هدمه عثمان بن عفان من أثر يدل عليه الآن لانه قد اقيمت في مكانه مساجد ومخازن وانما يعرف مكانه باسم « القصر » ولا بد انه عند التنقيب توجد له آثار وقد وجدت أنا عند الامام حجراً قد كتب عليه بالحميرية اسم « المقه » وهو اسم الزهرة باللغة الحميرية [1] واليمنيون يستعملون النفي المزدوج مثلنا . ومما لفت نظري أن المساجد هناك تبنى من الداخل والخارج على هيئة « الحمراء » التي بالاندلس مما يدل على ان الذين ابتدعوا هذا البناء في الاندلس كانوا يمنيين . والطريق الى صنعاء وعرة يمشي فيها البغل أو الحمار على حافة ضيقة حتى كانه بهلوان وتحته هوات سحيقة لو زلت قدمه وهوى لكان في ذلك حتفه وحتف راكبه . اما صنعاء واليمن على وجه العموم فجبال وربوات عالية ينزل فيهـا المطر وهواؤها بارد بليل . اما تهامة فجحيم . وهي تقع بين اليمن والبحر وهي ارض منخفضة حرها لا يطاق . اما عدن فاذا كنت انت سمعت عن جنتها فانس هذه الذكرى اذا دخلتها واعلم انك في جهنم عدن . والذي آسف له اني لم أر الآثار التي في مأرب حيث السد ولكني سأعيد زيارة اليمن لدرس هذه الآثار خاصة . وهم في الطعام يكثرون استعمال التوابل وعندهم لون من الحلبة يستطيبونه ولكني عند ما لقمت منه لقمة وثبت من الحرقة التي التهبت في فمي . ولا يعرفون من ادوات الاكل سوى ملعقة كبيرة من القرع كنا نأكل بها . اما المرأة هناك فتستتر فلا يبدو من جسمها شيء البتة ولذلك لم أرَ قط امرأة يمنية وجهاً لوجه . ومنظرها الخارجي ليس فيه شيء من موجبات الاغراء والاغواء واما الداخلي فعلمه عند الله وعند الصنعانيين

س . . .

(١) على ما افاده الدكتور احمد فؤاد المصري

الدماغ بين الادب والطب

بقلم الدكتور نقولا فياض

كتب الدكتور فياض قبل اليوم في الدماغ واسراره مقالات اعجب بها قراء الهلال . واسلوب الدكتور فياض يمتاز بكونه يجمع بين الادب والطب جمعاً لا يوفق اليه غيره . وما ذلك الا لانه أديب قبل أن يكون طبيباً [المحرر]

قرأت لفكتور هوجو كلمة أثارت شجوني وهي التي قذفت بالفكر في هاوية هذا المطلب بعد أن ظننت نفسي قد خلصت من ظلماته

أراد هوجو أن يجد لعظمة الدماغ نقيضاً خليقاً بها وهو كما تعلم يحب الاضداد تجرى به القلم الى تسطير صفحة هي طرفة من طرف البيان الفرنسوي ولهذا احببت أن انقلها اليك :

« كان في شارع سان فلورانتن قصرٌ ومجرى للاقذار . وكان القصر منيفاً جميل الهندسة اطلق عليه زمناً طويلاً اسم منزل الفونتانون قبل ان ينقش على بابه الكبير « منزل تليران » . ولم يكن ساكن القصر في الاربعين عاماً التي قضاها فيه قد وقع يوماً بصره على ذلك المجرى

وكان هذا الرجل كبير النفوذ كثير الدهاء يحترمه الناس حتى الخوف . حمل لباس الكهنوت مثل « كوندي » ثم خلعه مثل « فوشه » وكان نبيلاً كميكافل وساحر الحديث كفولتير وأعرج كالشيطان . ويمكن القول ان كل ما فيه كان اعرج مثله . فمن نبالته التي جعلها خادمة للجمهورية الى الكهنوت الذي هتكه في ساحة مارس ثم نبذه قصياً الى زواجه الذي تعاقبت عليه الفضائح الى عقله الذي اذله بالسفالة

ومع ذلك فان هذا الرجل كان عظيماً وقد حمل في برديه سناء الملكية والامبراطورية فكان اميراً في كليهما . ومن اعماق قصره واعماق فكره ادار دفة السياسة الاوربية ثلاثين حولاً . دخل الثورة وخرج منها كما دخل وامتزج برجال عصره كما امتزج بافكار عصره فدنا منها وعرفها وراقبها وتغلغل فيها وحركها وقلبها واستهزأ بها واستثمرها . ومرت عليه دقائق من العمر قبض فيها على الاربعة أو الخمسة الخيوط الهائلة التي كانت تحرك العالم المتمدن فكان صنم الاعيبه نابوليون الاول امبراطور الفرنسيس وملك ايتاليا وحامي اتحاد الرين ووسيط الاتحاد السويسري

وانتهت ثورة يوليو جارفة تحت أنقاضها السلالة القديمة التي كان يمثلها فاذا به واقف على قدميه يقول للشعب ، شعب عام ١٨٣٠ ، اجعلني سفيرك

اعترف اليه ميرابو واتخذه تيارس موضع سره وكان يقول عن نفسه انه شاعر عظيم وانه الف رواية ذات ثلاثة فصول . الفصل الاول ، مملكة بونابارت. الفصل الثاني ، اسرة البوربون . الفصل الثالث ، اسرة اورليان .

كل ذلك قام به في قصره وفي هذا القصر قبض على الناس كما تقبض العنكبوت على الفراش في حبالة خيوطها جاذباً اليه الابطال والمفكرين والعظام والفاتحين والملوك والامبراطرة ، بونابارت وسايس ومدام ستيل وشاتوبريان وبنجامن كونستان واسكندر روسيا وغليوم بروسيا وفرنسيس النمسا ولويس الثامن عشر ولويس فيليب وسائر ذلك الفراش المذهب اللامع المالىء طنينه التاريخ في هذه الاربعين السنة — جميع هذا الموكب الباهر المسحور بنظرات هذا الرجل مر بالتتابع تحت قبة ذلك الباب المظلم المكتوب عليه « منزل تليران »

ففي مساء أول من أمس (١٧ مايو سنة ١٨٣٨) مات الرجل فجاء الاطباء لتحنيط جثته ونزعوا على طريقة المصريين احشاءه من البطن ودماغه من الجمجمة · وبعد ان اتموا عملهم وحولوا البرنس تليران الى مومياء ووضعوا هذه المومياء في تابوت مفروش بالحرير الابيض وسمروه ذهبوا تاركين الدماغ على مائدة التشريح . ذلك الدماغ الذي اخرج كل هذه الافكار وأوحى الى كل هؤلاء الرجال وشيد كل ذلك البناء وقاد ثورتين وخدع عشرين ملكاً وحوى العالم · وبعد ذهاب الاطباء دخل خادم فرأى ما تركوا : عجباً لقد نسوا هذا فماذا انا به صانع ؟

تذكر الخادم أن في الشارع مجرى للاقذار فسار اليه وطرح الدماغ في مجرى الاقذار » اه .

انه وايم الحق لمحزن ان تكون هكذا خاتمة النبوغ وعظمة الفكر ولو لم يطرح دماغ تليران في مجرى الاوساخ لذهب في التراب طعماً للديدان والنتيجة واحدة . فأين تذهب الروح ياترى ؟ أين تذهب تلك القوى الهائلة التي كانت تغلي في هذا الرجل الصغير . ومن يدري أنحن على صواب في جعل الدماغ مقر الروح ومصدر الفكر . فان كل ابحاثنا وآرائنا قائمة علي الافتراض · ان هذه الكتلة الرخوة لا تفرق للنظرة الاولى عن الطحال والكبد والكلية . من أجل هذا لم ينظر اليها الاقدمون غير نظرهم الى تلك وربما اهتموا بقلب الميت فحفظوه في الاجران ولم يفكروا ابداً بحفظ الدماغ . وبما أنه لم تختلف في نظرهم عن غيرها فقد جعلوا الفكر والذكاء والارادة من صفات كائن غير منظور ينزل البدن ثم يغادره كما جاء

وقد البسوا هذا الضيف صوراً مختلفة أهمها صورة الحمامة قال ابن سينا :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

ولما ارتقى فن التشريح لابس الناس شيء من الشك في حقيقة هذه الروح غير المنظورة التي تقود الجسم وتتحمل تبعة اعماله فانقسم الناس الى فئتين فئة لا تعتقد غير ما يقول التشريح وعلم منافع الاعضاء (الفسيولوجيا) وفئة ظلت علي معتقداتها القديمة التي لم يقدر العلم عن زعزعتها

وما الذي جاء به العلم من البرهان حتى يزعزع تلك العقائد ؟

هو العلاقة بين الفكر والدماغ فقد اظهر الاختبار ان الفكر يتبع في تأثيراته حالة الدماغ من صحة ومرض فاذا وقف الدماغ عن العمل خبت نار الفكر وانطفأ سراجه الوهاج · نعم ان

الاكتشافات العلمية ليست حقائق ابدية منزلة غير ان ما اظهرته لنا لا سبيل الى انكاره . ومع هذا فقد بقي عدد غير قليل من عامة وخاصة لا يعترفون بنتائج العلم لرسوخ العقيدة الدينية فيهم

أما الفئة التي مشت في ضوء العلم وآمنت بما أنزل فهي تعتقد أن الفكر افراز الدماغ كما أن الصفراء افراز الكبد فاذا وقف الدم عن السير في عروق الدماغ بطلت حركة الفكر

غير ان اكتشافات جديدة لم تكن في الحسبان كالتلفون والاشعة المجهولة والتلغراف اللاسلكي جاءت فهدمت ما بناه التشريح والفسيولوجيا : مثلنا اليوم مثل الرجل العريق في البداوة الذي يقف للمرة الاولى أمام التلفون يسمع صوته فيظنه هو الناطق واذا انكسر التلفون فبطل الصوت حسب التلفون قد مات . ولا يخطر في باله أبداً ان صاحب الصوت هو انسان واقف الى الجانب الآخر من السلك ولا يزال حياً يتكلم . أو ليست العلاقة بين الفكر والدماغ كالعلاقة بين الصوت والتلفون ؟ هذا ما نراه على كل حال اذا تأملنا في الدماغ نحاول ان نعرف الحقيقة عنه

يسمع هذا البدوي غناء في الفونوغراف فيقف حائراً امام الاسطوانة التي تدور وتتكلم وهو بلا ريب يحسب ان الفونوغراف هو الناطق ولا يتصور ان هذه الآلة هي صورة ناقلة لكلام الغير ولا يمكنه ان يفهم ان الفكر الذي يملي هذا الكلام هو ذات محدودة تختلف عن الفونوغراف كل الاختلاف . من اين له أن يفهم ذلك ؟ فهو مثلنا امام مجهول فلا يكون تعليله مختلفاً عن تعليلنا ، هو يقول انكسر الفونوغراف او التلفون فمن البديهي ان يبطل الصوت والغناء ونحن نقول وقفت حركة الدماغ فمن البديهي ان تقف حركة الفكر

ان الاولى سبقونا لم يعرفوا التموجات غير المنظورة فجعلوا الدماغ قائد اعمالنا ولكن لا يسع رجل اليوم ان يؤمن بسلطة المادة المطلقة على افكاره واعماله

افيوجد اذاً تموجات عقلية يتغذى بها الدماغ وهي التي تساعد على افراز الفكر ؟ وهل الدماغ آلة قابلة وموزعة للتموجات العقلية كالتلفون والفونوغراف وهل هناك ذات عاقلة تصدر عنها هذه التموجات وهي نازلة في الجسم تستخدم الدماغ واسطة لادارة اعمالها ؟

لا ريب ان هذا الافتراض لا يخلو من الجسارة في حالة العلم الحاضرة ولكن قل لي أيها القارىء العزيز اليس افتراض الدماغ مولداً للفكر جسارة ايضاً ؟ ربما جاءنا الغد بما لم ننتظر وكشف لنا المستقبل عن اشياء لم نفهمها فتولد لنا مشاكل جديدة لان الحقائق العلمية في تبدل مستمر والغد هدام الأمس ورب حقيقة من حقائق اليوم ظهرت للجيل الآتي ضلالاً

نحن لا ننكر وجود الفكر ولكننا نجهل القوة المولدة له

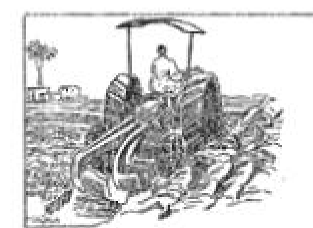
فليكن حكمنا على الاشياء باعتدال وتبصر لان الضلال كالحقيقة مرهون بأوقاته

الدكتور نقولا فياض



زراعتنا في خطر

نظرة الى المستقبل القريب



في العام الماضي تألف وفد من المزارعين في اليابان وشخص الى الولايات المتحدة للقيام بمهمة غاية في الغرابة . فان اليابان تزرع الرز منذ مئات السنين وعليه يعيش معظم سكانها . فهو هناك بمقام الذرة عندنا . وكان اليابانيون يزرعون الرز ويجنون غلته فتفيض عن حاجاتهم فيصدرون الفائض منه الى الاقطار الاجنبية

ولكن منذ نحو ثلاث أو اربع سنوات رأى اليابانيون لفرط دهشتهم أن الاميركيين يجيئون بالرز المحصود في بلادهم الى اليابان فيبيعونه هناك بعد تحمل نفقات النقل بارخص مما يباع به الرز الياباني النابت في اليابان نفسها والذي لم يتكلف شيئاً من نفقات النقل . وعجب اليابانيون واستغربوا كيف يزاحم الرز الاميركي الرز الياباني ويزحمه في السوق مع أن أجرة العامل الياباني لا تزيد عن ستة قروش في اليوم بينا أجرة العامل الاميركي تتراوح بين ٦٠ قرشاً و ٢٠٠ قرش في اليوم

لهذا السبب سافر الوفد الى اميركا وعرف هناك الحقيقة المؤلمة وهي أن الزراعة قد تطورت في القرن العشرين حتى باتت صناعة قوامها الآلات والنار والحديد . فالعامل الياباني يزرع ويحصد بيديه بقوته معا عظمت لا تبلغ ثلث حصان او نصف حصان ولكن العامل الاميركي يركب آلة تسار بالبترول وتجر وراءها محاريث تشق التربة شقاً عميقاً وتخلخلها فيحرث في اليوم مقدار ما يحرثه مائة عامل ياباني . ثم يعمل مثل ذلك في الحصد والدرس . والياباني لا يمكنه أن يزرع أكثر من فدان ولكن الاميركي يزرع بآلاته نحو خمسين فداناً فمع تفاوت الاجور بين العامل الياباني والعامل الاميركي فان الرز الاميركي يباع بأرخص من الرز الياباني في اليابان نفسها لأن تكاليفه في الجملة أقل من تكاليف الرز الياباني . فان الاول يقوم بزرعه الحديد والنار والثاني يتوقف على العضلات الانسانية

وهذه العقدة التي لا بد أن يحاول اليابانيون حلها بنشاطهم المعهود هي نفسها العقدة التي تواجهنا في مصر . فان الذرة الاميركية كانت تباع قبل الحرب في الاسكندرية بعد أن تتكلف نفقات النقل من العالم الجديد الى العالم القديم بنحو أربعين قرشاً للاردب في حين أن الذرة النابتة في بلادنا لم تكن تباع في الحقل المحصودة منه بأقل من سبعين قرشاً . والعلة في ذلك أن الزراعة في اميركا تعتمد على الحديد والنار بينا هي عندنا تعتمد على عضلات الفلاح وقوة الثيران

ولكن ليست هذه هي العقدة الوحيدة التي تواجه الزراعة في مصر وتجعلها عرضة لاخطار جسام فانه يمكن ان نقول أن هناك خطرين :

الاول : هو ما ذكرناه من أن المتمدنين يزرعون أراضي واسعة بالآلات معتمدين على الحديد والنار بحيث أن الفلاح لا يستغل عضلاته بل يقنع باستغلال ذهنه في تسيير الآلات فيزرع نحو خمسين فداناً بينا فلاحنا الذي يستغل عضلاته لا يزرع سوى فدان واحد أو اثنين على الاكثر

الثاني : ان عدداً كبيراً من الهمج الذين كانوا لا يعرفون الزراعة الى وقت قريب قد امتلك بلادهم الاوربيون وعلموهم الزراعة . فصار الرجل من هؤلاء الهمج يزرع مثلما يزرع فلاحنا ولكنه لا يتناول من الاجر سوى نحو جنيهين او ثلاثة في السنة . وهذا الآن هو الحال الواقعة في شرق افريقيا وجنوبها وغربها وفي الجنوب الشرقي من آسيا وفي بعض انحاء الهند . وقد رأينا نحن كيف ان اقواماً عديدة في الجزيرة في السودان كانوا لا يزرعون القطن فلما أشرف الانجليز على بلادهم صاروا يزرعونه الآن وصارت المغازل في انجلترا تشتري قطن السودان دون قطننا . وبديهي ان الفلاح في السودان لا ينال نصف ولا ربع الاجر الذي يناله الفلاح المصري

هذان هما الخطران اللذان يواجهان الزراعة المصرية الآن . فهل من علاج لها ؟

واضح كل الوضوح ان استعمال الآلات لن يعم بلادنا لان الارض المصرية مجزأة اجزاء صغيرة من ربع فدان الى خمسة أفدنة . ومن يملكون أكثر من هذا القدر ليسوا كثيرين ومما يزيد هذه التجزئة خطورة نظام الوقف الذي يقضي أحياناً بأن يملك الانسان جزءاً من الف من الفدان لا يستطيع بيعه ولا الانتفاع منه بأية منفعة . وواضح ايضاً كل الوضوح بأننا لا يمكننا ان نمنع العالم من تمدين الهمج وتعليمهم الزراعة واستغلالهم بأرخص الاجور

وانما لنا سبيل آخر للعلاج وهو أن نجعل زراعتنا صناعية فنية فيها من الاتقان ما لا يمكن الهمجي ان يبلغ اليه . وذلك بأن نزرع الخضراوات والفواكه كما تزرع الآن في فرنسا وأيضاً

نعلم الفلاحين كيف يصنعون الجبن · فاننــا يجب ان نقول والاسف يملأ فؤادنا انا على مستوى واحد مع الهمج في صناعة الجبن وزراعة الفواكه والخضراوات فاذا أردنا ان نمتـاز عليهم وجب علينا ان نعمد الى الفنون التي لا يتعلمها الهمجي الا بمشقة · وبقول آخر يجب ان نستعمل اذهاننا في الزراعة

هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن نرقي الصناعة عندنا فاننا قـد ورثنا من آسيا نظاماً عظامياً يحتقر الصناعة حتى ان الغزالي الامام المعروف كان ينصح قراءه بألا يتخذوا الدباغة أو الحلاقة صناعة لهم · ولكننا نحن يجب أن نبدل هذه الاخلاق ونحض الناس على احترام الصناعة لان كل صناعة ما دام الناس يحتاجون اليها فهي شريفة . فما دمنا نلبس الاحذية فنحن في حاجة الى دباغين وما دمنا نقص شعرنا فنحن في حاجة الى حلاقين · ولو كانت الدباغة غير شريفة لوجب ان نسير حفاة الاقدام · وكذلك لو كان في الحلاقة اي هوان لكان علينا ان نرسل شعرنا · وربما كان من الحسن ان نبدل هذه الاخلاق بأن نمنح المشتغلين بالصناعة الرتب التي ترفعهم في أعين العامة كأن نجعل من الحتم اسداء رتبة بك مثلاً لكل صاحب مصنع عنده ١٠ عمال أو ١٥ عاملاً سواء أكان هؤلاء العمال يعملون في مصبنة ام مطبعة ام مدبغة أم مجبنة او نحو ذلك

وكذلك ايضاً ينبغي تشجيع المصانع بمنحها اعانات مالية بتقدير مبلغ لكل عامل فاذا كان بالمصنع ١٠٠ عامل تناول صاحب المصنع من الحكومة الف جنيه او الفي جنيه على نحو ما تفعل وزارة المعارف الآن فانها تدفع للمدرسة الاهلية مقداراً من المال مناسباً لعدد التلاميذ · وقد كان من الاثر الحسن لهذه الاعانات ان صارت المدارس تقبل عدداً من التلاميذ مجاناً معتمدة في ذلك على ما تناله عليهم من اعانة الوزارة

رؤيا

رأيت غزالاً تعهّد مغمى   عليه جريحاً عسى ان يُفيقا
فظلّ يناجيه ما يشتهي   وظلّ يغنّيـه صوتاً رقيقا
الى أن افاق الجريح قليلاً   فولّى الغزال وجاز العقيقا
تمنّيت لو كنت ذاك الجريح   أُقبّل دهراً ولن أستفيقا

ادوار فارس

الرسائل الضائعة

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

نشر اليوم رسالة أخرى من هذه الرسائل التي تحوي كثيراً من الملاحظات الدقيقة والانتقادات السديدة . وقد حازت الرسائل الماضية اعجاب القراء وتقريظهم [المحرر]

من جرمين في باريز الى صديقتها في لندن

تناولت كتابك الآن فجلست أجيبك عليه . انك لا تكرهين الانكليز أيتها الحبيبة ولا تضمرين لهم شراً ولا عدواناً بل لقد وقع الضابط الانكليزي موقعاً حسناً في قلبك وها قد بدأت تحبينه . ألا اعرفك ؟ ألا اعرف نفسي ؟ ألا نبدأ نحن النساء بأن نذكر النفور من صنف من أصناف الرجال حين نبدأ بالشعور بحب أحدهم ؟ لا لوم عليك ولا تثريب ان كان الرجل أهلاً لك . فهنيئاً مريئاً . بل هنيئاً له فان غادة مثلك لا تثمن بثمن . لا تمكري ولا تكتمي عني شيئاً . سوف اقرأ في كتابك المقبل حديثاً عجيباً تروين فيه قصة وقوعه بين يديك أو وقوعك بين يديه - ولن اكتب لك حرفاً عن هذا الغرام بالانكليزي حتى تبوحي لي بما جرى بينكما وها أنا بالانتظار

***

ولكنني لم اذكر لك شيئاً بعد عن وظيفتي الجديدة . فقد تركت باريز وانا انتظر كتاب الوزارة تدعوني فيه الى تولي عملي فيها بعد أن فزت بالامتحان على كثيرين من الشبان وكثيرات من الشابات الذين تقدموا معي يطلبون هذه الوظيفة ذات المرتب الضئيل في وزارة الخارجية

أما الامتحان فكان صعباً طويلاً تناول كثيراً من الجغرافيا والتاريخ من النواحي الاقتصادية والسياسية حتى خيل الينا انهم يطلبوننا ليكون أحدنا عاملاً على الجزائر أو سفيراً في الصين على ان الامر لا يتجاوز وظيفة كاتب صغير على آلة كاتبة صغيرة

انك تعرفين وزارتنا ولكنك لا تعلمين شعوري عند ما دخلت غرفتي وتبوأت مقعدي فيها أتظنين أني غرقت في بحار الآمال والاماني . لا . فأي مطمع لي سوى كسب قوت يومي - ولكنني دهشت للصعوبة التي نجدها نحن أبناء اليوم - شباناً وشابات - في الحصول على عمل يكفينا كفاف يومنا بعد كل ما نعانيه من درس وتحصيل

بل كنت أظن اننا نحن البنات اكثر نشاطاً وأشد ذكاء من رفقائنا الشبان فاذا بي أعتقد انهم يحسنون صنعاً اذ يتركون لنا هذه الوظائف التافهة لينصرفوا الى ما هو أجدى وانفع في ميدان العمل الحر من صناعة وتجارة

انني كما تعلمين لا أومن بهذا الدين الجديد الذي طلع علينا من الجنس الانجلوسكسوني اعني دين مساواة المرأة بالرجل في كل ما له من حقوق . لا أؤمن به لانه لا شك هادم لسعادتنا مخرب للذتنا في الحياة وان كان منيلنا كل حق سياسي أو اقتصادي أو مدني · اننا في كل هذا كطفل صغير وحيد لابوين لا يملان من مداعبته ولا يتعبان من الجري لحاجته فيطعمانه ويكسيانه ويعلمانه ولكنه يأبى الا التطلع لان يكون رجلاً كبيراً . يكره الطفولة وبمل الصبا ويود أن يقفز قفزاً الى سن الرجولة فاذا ما دخلها وذاق مر الحياة وخبر الجهاد وقسوة الزمان عاد يتمنى أن يعود ادراجه صغيراً · وأنى له ذلك ؟

كذلك نحن النساء ـ النساء الاوربيات على الاقل والفرنسويات على التخصيص ـ لنا من تاريخنا مثل ما لهذا الطفل

رجالنا في خدمتنا · لنا اعتبارهم ولنا حبهم ولنا الدلال عليهم . لهم الذود عنا والتغني بعشقنا بل الحياة في تمجيدنا · فابينا نحن بنات هذا القرن الا أن نضرب بهذه السعادة عرض الحياة فدخلنا ميدان الجهاد والقسوة ولن نلبث طويلا حتى نندم ولات ساعة مندم

ولكننا هل فعلنا ذلك راضيات او مكرهات ؟ تلك هي العقدة

فقد يلوح لنا اننا أقدمنا على ترك ذلك الفردوس حباً بهذه الارض · لا · بل الف لا ، رغم أن جميع المطالبات بحقوق الرجل كن ولا يزلن من النساء . ان الحاجة الاقتصادية في اوربا ـ قولي وفي أميركا ايضاً ـ هي التي اهابت بنا أن نسعى الى المساواة بالرجل · فانه وحده لم يعد قادراً أن يقوم باعباء معاشه ومعاش نسائه فقصر فاضطررنا أن ننزل الى ميدان عمله

وهناك ما يسمونه في الاقتصاد بناموس العرض والطلب · فاذا كثر المعروض قل الطلب

وها نحن قد تفوقنا على الرجال عدداً فكسدت بضاعتنا وكاد يحق علينا الافلاس . ألا ترين بنات جنسنا يتسابقن في هذه الايام لاقتناص رجل فتترحم لنا امهاتنا على أيام كان الخمسة من الرجال يتقاتلون في سبيل واحدة

بل مالي اشرح لك حالة نفسية لا بدَّ انك نظرتها في لندن وما لي وما لهذه الآراء التي لا تلذ ولا تسلي · فاني لم اذكرها الا لاقول لك انني نجحت في الامتحان لان الشبان الذين تعلموا تعلمي

انصرفوا عنه ولم يعبأوا بالوظيفة · وحسناً فعلوا · انهم أذكى منا وابعد نظراً . فقد آن لهم أن يقلبوا الآية فنجري نحن وراءهم وهم يستعصمون

دعيني أعد الى حديث الوزارة .

انه لم تكن لي الا أمنية واحدة ساعة دخولي باب الوزارة هي أن أرى وزيرنا بريان

فقد كان غائباً في جنيف عندما توليت عملي ولم يعد الا امس · أو ليس من الغريب اني وانا بنت باريز لم اشاهد بريان الآ مصوراً في الجرائد بل لم اسمعه يخطب على عظيم شهرته في الخطابة

على اننا نحن البار يزيات لانهتم لرجالنا السياسيين الا على قدر اهتمامهم هم بنا · وهل تعرفين رجلاً يهمه امر النساء اهتمام المسيو ارستيد بريان · فقد نسمع افصح منه خطيباً وأعذب منه صوتاً وقد نشاهد اشد منه ذكاء ولكننا ما رأينا بعد رجلاً جمع الى هذه الصفات حبه الشديد لجنسنا المستقوي الآن والمستضعف بالامس · هذا ما يقولون عنه

فكيف تفسرين رغبتي في رؤيته · أطمعٌ مني ان اقع منه موقع الاستحسان؟ لا · فلست مغرورة هذا الغرور · ولكن ذلك الجاذب الذي يجذبنا نحن النساء الى رجل يصفونه بأنه زير نساء هو الذي يدفعني فكأن الامر يستفز حماستنا فنحب ان نعرف الرجل الذي يسود علينا ونتبين الصفة التي تجعله محبوباً الينا

ثم اسعدني الحظ فرأيته ، رأيته يخطو مسرعاً قادماً من جلسة في مجلس النواب يقصد الى غرفته في الوزارة · فرأيت رجلاً فرنسوياً عادياً بل رجلاً يمثل الجنس الفرنسوي الغالي (١) خَلْقاً ويقول الذين يصفونه انه يمثل هذا الجنس خُلُقاً ومطمعاً وسياسة أيضاً

وكانت أول نظراتي مصوبة الى يديه فهو مشهور بجمالها ولم أرَ الشهرة في غير موضعها فيداه تليقان بسيدة لا برجل وأما فيما سوى ذلك فلم أر فيه شيئاً يستحق الالتفات اللهم الا شعر شاربيه وهذا اكره ما اكره في الرجال · فما هذه الشفة العليا المملوءة شعراً مبعثراً ذات اليمين وذات الشمال وأي حسن في هذا الشعر الذي يتركه الرجل على هذه الشفة وما باله لا يتبع زي اليوم فيقص منه ما أراد أو يحلقه كله أجمع · قلت لك انه يمثل الجنس الغالي وليس في تاريخ هذا الجنس من احتقار للشارب · ولكني خارجة عن جنسي من هذا القبيل فأود لو كان الرجال حليقين · ولذا فاني امر بضابطك الحليق (اليس حليقاً) واغبطك لا أحسدك عليه

(١) نسبة الى الغال — وهي فرنسا القديمة [المترجم]

فاكاد لا افهم المسيو بريان معشوقاً وان فهمته عاشقاً : ولكنهم يقولون ان لصوته رنة تأخذ بمجامع القلوب وانه اذا وقف يخطب أو جلس يغازل اسكر بصوته فريسته وأضاع صوابها بل يبالغون فيقولون ان النساء كانت أصلاً في هـذه الشهرة التي طبقت فرنسا ثم امتدت الى العالم فينسبون الى الامرأة الفرنسوية قوة لا تضاهيها الا قوة آلهة اليونان في القدم

ولكن ما رأيهم رد الله لهم صوابهم في كليمنصو . فهذا يكاد يكون عدواً للنساء ولكنه من رجال فرنسا العظام في كل ما يعد به بريان عظيماً . اني لا ابخس قوة جنسنا حقها ولكنها لا أثر لها في نظام فرنسا الجدي . فمن قال لك ان الصالون يفعل فعل الدهاء فقولي انه يحلم بزمن مضى وانقضى منذ اكثر من قرن

أما الآن فالقوة للعامة بل ماذا أقول انها للاصوات ــ لعدد أصوات العامة من نساء ومن رجال ــ فلا الذكاء ولا الدهاء ولا التفوق العلمي أو الغنى بنافع في كيان سياسي قائم على الاصوات

اني كما تعهدينني عند ما كنا نتجاذب اطراف الحديث معاً في غرفتنا المشتركة في سان ميشيل اتكلم في هذا الامر وابحث في ذلك ولكني أعود الى هذه النظرية التي ملكت مشاعري والتي لم تقع عندك موقع القبول وهي ما ذكرته الآن من ان السلطة اليوم في يد العامة بل يد الغوغاء والدهماء وانها ستكون وبالاً على مدنيتنا

انك كنت تنفرين اذ اسمعك هذا الكلام ولكنني لن أعود عنه حتى اقنعك به . فهل يكون ذلك عند ما نجتمع ثانية في باريز أو في كتاب من هذه الكتب التي ابعث بها اليك . وداعاً أيتها الحبيبة ممن تلهج بذكرك ليلاً ونهاراً

جرمين

الترجمة طبق الاصل وعلي تبعتها : سامي الجريديني



التعليم المدرسي عند قدماء المصريين

« الوظيفة » كانت غاية التعليم ـ كما هي اليوم

بقلم الاستاذ محمود طاحون الامين المساعد بالمتحف المصري

تشكو الامة المصرية في وقتنا الحاضر داء · ظاهره اقتصادي وباطنه اجتماعي · وهو داء حب التوظف · وقد أجمع اهل الخبرة على ان السبب الرئيسي لهذا الداء هو ضعف سياسة التعليم المدرسي في جميع مراحله · وهم لذلك يحاولون علاج الداء بتقويم هذه السياسة المعوجة

وقد وضعت هذا المقال ليرى فيه القارىء ان هذا الداء الوبيل ليس حديث العهد بل هو قديم جداً يرجع عهده الى آلاف السنين وانا ورثناه عن اجدادنا فجرى في دمنا طول هذه القرون العديدة

ولست من المتشائمين على الرغم من ذلك بل اعتقد انه ليس عسيراً على أمتنا الناهضة ان تقضي على ذلك المرض النفسي مهما كان مزمناً · وعما قريب نرى في شبابنا روحاً جديدة طيبة تدفعهم ابداً الى ميدان الجهاد في الاعمال الحرة

الغرض من التعليم عند المصريين القدماء

لقد ملأ المصريون كتبهم بآيات تمجيدهم للعلم والعلماء · ذلك انهم كانوا يعتقدون ان لغتهم تنزيل من عند الآلهة ـ ويسمونها من اجل ذلك « الكلام المقدس » ـ فمن استطاع ان يتعلم كيف يكتب ويقرأ ذلك « الكلام المقدس » فهو ولا شك رجل عظيم مقرب من الآلهة لا سيما الاله « تحوت » اله الكتابة ورب الكتاب (١)

الاله تحوت : الى اليمين في صورة قرد والى اليسار على هيئة انسان له منقار طائر

ونحن اذا استمعنا لأحاديث الأدباء المصريين في برديانهم لسمعنا الآباء يحضون أبناءهم على حب العلم والاساتذة يعددون لتلاميذهم فضائل العلم ويبغضونهم فيما سواه · فمثلاً يقول « دواوف » الحكيم لابنه وقد سافر معهُ كي يدخله مدرسة البلاط : « انني أريدك على ان تحب العلم اكثر مما تحب أمك وأن تجعل جماله دائماً نصب عينيك فهو اعظم من جميع الحرف الاخرى »

---

(١) يظهر الاله « تحوت » على الآثار عادة في هيئة قرد وهو حيوانه المقدس أو في هيئة انسان له منقار الطائر المعروف باسم « أبي منجل »

ولكننا مع ذلك لو حاولنا ان نستشف من وراء هذا الحب والاحترام للعلم مُثلاً عليا ابتغاها أولئك القدماء لكان نصيبنا من ذلك خيبة الامل • فان المصري القديم لم يُقدّر العلم لاثره في النفس وتهذيبه الطباع ولم يقدره لذاته ولما يبعثهُ في النفوس من السرور حينما تطلع على الحقائق • وانما السر في تقدير المصريين للعلم أو - دقةً في التعبير - تقديرهم للكتب يتضح لنا من قول « دواوف » السابق الذكر لابنه بعد ان عدّد له مشاق جميع الصناعات الحرة :

« انظر ! ليس هناك صاحب حرفة الا وله رئيس يحكمه ما عدا الكاتب فانهُ رئيس بنفسه »

اي ان العلم كان في نظرهم الحد الفاصل بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة • فكان المصري ينشد العلم كيما يدخل في طبقة الموظفين المسيطرة على رجال الشعب الآخرين

امتيازات المتعلم

فاذا تعلم التلميذ القراءة والكتابة واصبح بذلك « كاتباً » فقد وضع قدمهُ على اول درجة في

الجزء الاعلى من صحيفة في كراسة مدرسية - الترجمة كما يأتي : « الحصاد - اكلت الدودة نصف المحصول وفرس البحر النصف الآخر وقد كان هناك فيران كثيرة في الحقل . الجراد والحيوانات تأكل والعصافير تسرق فيا لبؤس الفلاحين ! والباقي الموجود في الجرن قد مضى به اللصوص »

ملحوظة : قد صحح الاستاذ كلمتين في هذه السطور (اشير اليهما برقمي ١ و٢) والتاريخ مكتوب في الاعلى الى اليمين

سلم الحياة الاجتماعية • وتنفتح امامهُ جميع الوظائف الحكومية ويعفى من كل اعمال السخرة التي يساق اليها رجال معظم الصناعات الاخرى ويعفى كذلك من جميع الضرائب . وفوق ذلك فانهُ يأخذ طعامهُ وشرابهُ مجاناً من مخازن الحكومة ولا يرد له طلب • وقد يصبح الكاتب المجد اميراً عظيماً او عضواً في مجلس الثلاثين [1] واذا ما أراد الفرعون إيفاد سفير لقطر اجنبي فانهُ يكون في مقدمة المرشحين لهذه المهمة السامية • ولكنهُ اذا بلغ هذه المرتبة العالية فعليه ألا تزل قدمهُ وعليه ألا يسيء استعمال ما لديه من العلم حتى لا تخونهُ آلهة الحظ فيهوي الى الحضيض

(١) يتكون هذا المجلس من ثلاثين عضواً ينتخبون من جميع امراء مديريات القطر . وهو مجلس قضائي أكثر منه اداري

وأما الجاهل المسكين فيبقى خامل الذكر بل هو كما يقولون « كحمار مثقل بالاحمال يسوقه الكاتب الى حيث يشاء » وحسبك هذه الصورة الآتية التي وصف فيها أحد المدرسين حالة الفلاح المسكين :

« يقول المدرس لتلميذه « بلغني انك تهمل الكتابة وانك استسلمت الى الملاهي . انك تميل الى العمل في الحقل وتنبذ « الكلام المقدس » وراء ظهرك . ألم تفكر في حالة الفلاح حينما يحصي محصوله (لجباية الضرائب) ؟ لقد أكلت الدودة نصف الغلال وابتلع جاموس البحر النصف الآخر . وقد كانت الفيران كثيرة العدد في الحقل (وقد سلطت عليه الآفات) فالجراد والحيوانات تأكل (من المحصول) والعصافير تسرق . فيا لبؤس الفلاحين ! وأما ما تبقى (من المحصول) في الجرن فقد مضى به اللصوص . ويحل الكاتب بالبلدة رغبة الاحصاء ومعه البوابون بعصيهم والعبيد يحملون جذوع النخيل فيقولون له « اعطنا القمح » فيقول « لم يبق شيء عندي » فيضربونه على جميع جسمه و يوثقونه ثم يلقونه في القبور . . . وكذلك يوثقون امرأته أمامه و يصفدون أبناءه

« و يتخلى عنه جيرانه ويهربون منه ولا يهتمون الا بقمحهم

« أما الكاتب فهو وحده الذي يشرف على جميع الناس . وليس عليه أن يؤدي أي جزية لأنه موكل بالكتابة والاحصاء فهو معفي من الضرائب . فلاحظ ذلك ! »

المدارس ومراحل التعليم

واضح مما لدينا من تمارين التلاميذ أن التعليم كان على درجتين : اولية وثانوية . ففي المدرسة الاولية (وهي تعادل الكتّاب عندنا الآن) كان التلميذ يبدأ بتعلم الكتابة والادب القديم . وكان تلاميذ هذه المدارس يستعملون في كتاباتهم قطع الخزف المكسورة (الشقافة) والحجارة الطباشيرية لانها أرخص من ورق البردي

وفي عصر الدولة القديمة كانت المدرسة الاولية متصلة بالبلاط الملكي يختلط فيها النبيل بالفقير . أما في الدولة الحديثة فيظهر انه كان لكل ادارة من ادارات الحكومة مدرسة خاصة بها يتدرب فيها التلاميذ على أعمال تلك الادارة . ولدينا لحسن الحظ آثار مدرسة من هذا الطراز في معبد رمسيس الثاني بطيبة الغربية الشهير « بالرامسيوم »

وقد اكتشف العلماء في مكانها وعلى تل صغير بالقرب منها عدداً كبيراً من القطع الخزفية وعليها كتابات التلاميذ . وقد لاحظوا أن كل هذه الكتابات مقتبسة من ثلاثة متون فقط ، كانت ولا شك اشهر القطع الادبية في ذلك الاوان وهي : « تعاليم الملك امنمحعت » و « تعاليم دواوف » ثم « نشيد النيل »

و بانتهاء هذا التعليم الاولي يصبح التلميذ « كاتباً » فيعين في احدى المصالح حيث يتم تعليمه الثانوي تحت ارشاد أحد الموظفين الكبار التابعين لتلك المصلحة وربما كان رئيسه المباشر في المصلحة

هو استاذه فهو والحالة هذه « موظف تحت التمرين » يتلقى علومه كطالب

في هذا الطور الثاني من التعليم يكلف الطالب ايضاً بنقل نماذج من الادب القديم يختارها له الاستاذ وبهذه الوسيلة يتعلم الطالب ـ بارشاد الاستاذ ـ اصول النحو والصرف وكذلك يتدرب على الاساليب الانشائية

وقد كان الاستاذ ينتخب هذه القطع كيفما اتفق لا يعنى كثيراً بما تتضمنه فقد تكون قصصاً خرافية أو شذرات دينية من كتب الديانة أو السحر أو قصائد عصرية أو قديمة . وكانوا في العادة يفضلون القديم من الادبيات لانها كانت اعظم تأثيراً في نفس الطالب . واحياناً كان الاستاذ يختار قطعاً مناسبة يقصد بها تنمية الاخلاق الفاضلة في نفس الطالب كتلك المتون التي تبتدىء دائماً بكلمة « سبايت » أي « تعاليم ـ او نصائح » . وهذه التعاليم تملأ كثيراً من صفحات الادب المصري من مبدئه الى منتهاه وهي على صنفين : ـ (اولا) تعاليم الدولة الوسطى وهي قواعد لحسن الخلق وآداب المعاملة وامثال سائرة ترد على لسان احد حكماء العصور الغابرة « في الدولة القديمة » مثل « بتاح ـ حتب » و « كاجمني » و « دواوف » الخ . (وثانياً) تعاليم « الدولة الحديثة » وهي مراسلات خيالية بين الاستاذ والتلميذ ينطق فيها الاول بالحكم الجامعة في اسلوب جميل هو في نظرهم خير اسلوب للرسائل . وقد كان هناك عدد كبير جداً من هذه الرسائل النموذجية كان المدرسون يعتمدون عليها كل الاعتماد في تثقيف طلبتهم . ولم يكن المدرس يؤلف بنفسه مثل هذه الخطابات الا نادراً ولكنه كان يفضل دائماً أن ينقل بالحرف الواحد بعض تلك النماذج المشهورة وقد يضيف اليها سطراً او اثنين من عنده . هذا ولقد كان يطيب للمدرسين وللطلبة في بعض الاحيان ان يمهروا تلك الخطابات النموذجية بامضاءاتهم الشخصية كأنها لهم وكأنهم هم الذين دبجوها . واغرب من هذا ان بعض الطلبة كانوا يكتبون ملحوظات على اعمالهم فيقول احدهم مثلاً عن نفسه : ان خطه رديء جداً وانه يستحق لذلك مائة جلدة ! !

وكان الطلبة اثناء هذا التعليم الثانوي يكتبون واجباتهم في كراسات من ورق البردى . وقد وصل الينا عدد عظيم من هذه الكراسات المدرسية يفوق نسبياً جميع الآثار الادبية الاخرى . وليس في ذلك ما يدهش . فان لدفن كراسة صغيرة مع الميت (وهي مجهودات صباه) معنى أكبر واسمى من دفن كتاب كبير معه ولا سيما اذا كان الميت شاباً . ذلك فضلاً عن انهم كانوا يرون ان تلك الكراسات لم تكن ذات فائدة كبيرة . واما الكتب الكبيرة فكانت في نظرهم اثمن من ان تدفن فاحتفظوا بها كيما ينتفع بها الاحياء

وليس من الصعب تمييز الكراسة المصرية من غيرها فهي ذات حجم وشكل خاصين وصفحاتها قصيرة فيها بضعة أسطر طويلة . وفي اعلى الصحيفة توجد عادة تصحيحات المدرس وهي اكثر

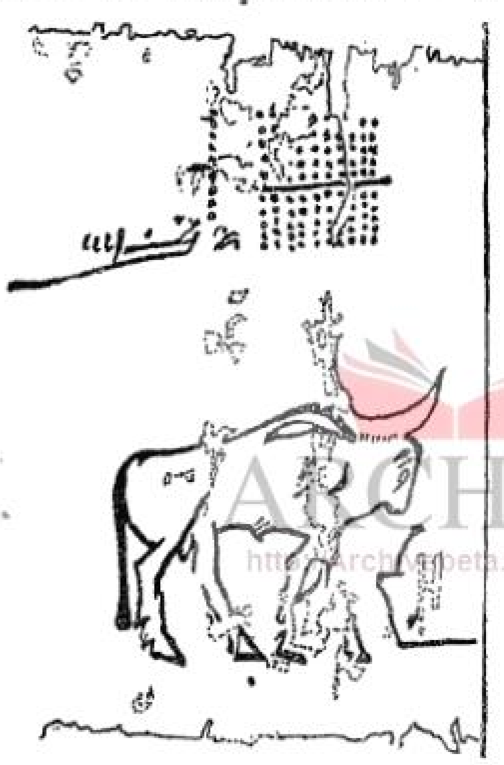
ما تكون موجهة الى الخط وشكل الكلمات واما غلطات المعنى والغلطات النحوية فلم يكن المدرس يعنى كثيراً بتصحيحها

اما الواجب المدرسي في هذه المرحلة فقد كان على الارجح نسخ ثلاث صفحات يومياً وقد عرفنا ذلك من احدى الكراسات البردية فانك لترى على احدى صفحاتها تاريخ ٢٤ ابيب وقبلها بثلاث صفحات ٢٣ ابيب وبعدها بثلاث أخرى ٢٥ ابيب

ولم يكن عمل الطالب قاصراً في يومه على هـذا الواجب المدرسي بل انه كان مكلفاً بالقيام بمهمات عملية للديوان الذي يتمرن فيه ٠

وقد استنبط بعض العلماء هذه الحقيقة مما رأوه من الكتابة والرسوم في الصفحات الخلفية في بعض الكراسات المدرسية ٠ فقدكان الطلبة يكتبون الواجبات المدرسية في باطن الصحيفة البردية ويتركون ظاهرها للمسودات والمذكرات Note-book

وعلماء اللغة المصرية يغتبطون بعثور واحد من مثل هذه المذكرات المدونة على عجل وقد يعتبرونه اكثر فائدة من صفحة كاملة من الواجبات المدرسية المنمقة (ويرى القارىء الى اليسار عملية حسابية ورسم ثور في احدى صفحات التسويد)



من مسودات احدى الكراسات المدرسية
فوق : عملية حسابية . تحت : رسم ثور

وهناك كثير من هذه المسودات نرى فيها صوراً صغيرة لبعض الحيوانات ونماذج مختلفة من الخطوط وعمليات حسابية بشأن القمح واكياسه وكل هذا يبين لنا ان هؤلاء الطلبة كانوا ـ زيادة عن واجباتهم المدرسية ـ يؤدون بعض الخدمات لرؤسائهم وهم بعد لم يتجاوزوا الرابعة عشرة من اعمارهم

هذا وقد كانت الاملاء من اهم الدروس في هذه المرحلة وليس ذلك بغريب فليست هناك من لغة في هذا العالم اصعب في املائها من الهيروغليفية

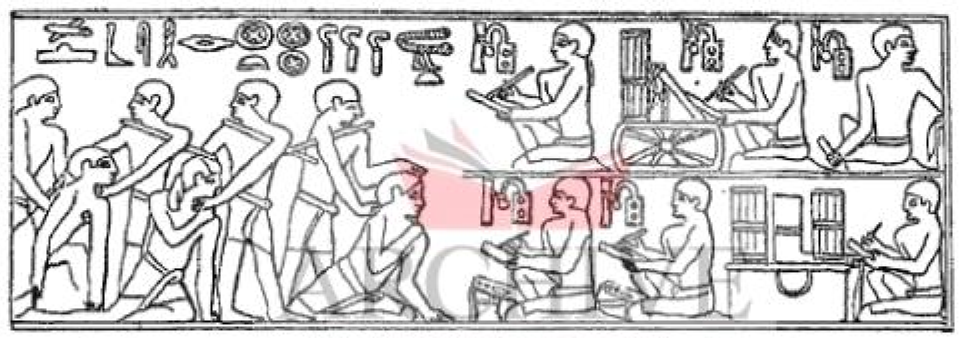
ولدينا لحسن الحظ في هذا الصدد رسالة ألفها احد الكتبة المصريين يضبط فيها رسم كل الكلمات التي يحتاج اليها الكاتب المصري في اعماله ، وقد كانت بالطبع من المتون الكثيرة التداول

في المدارس . ومؤلفها هو « كاتب المكتبة المقدسة في بيت الحياة » (اي المدرسة) « امنوبي بن امنوبي » وهي معنونة بهذه المقدمة الطويلة :

« التعاليم التي تؤدي الى الحكمة وتعلم الجهال كل ما هو موجود اي كل ما خلقهُ بتاح وكتبهُ تحوت : السماء ونجومها . والارض وما عليها . والجبال وما تقذفهُ من بطونها . والبحار وما تخرجهُ من اعماقها . وكل شيء تطلع عليه الشمس . وكل ما ينمو فوق الارض »

تشعرنا هذه المقدمة لاول وهلة اننا بازاء كتاب جامع « كصبح الاعشى » او دائرة معارف طبيعية . فما نكاد نتخطى هذا العنوان الهائل حتى نراه يجر وراءه سلسلة طويلة من الاسماء المألوفة وغير المألوفة في ترتيب مهوش . يجيء اولاً باب السماء وفيه المفردات الآتية :

السماء . الشمس . القمر . النجم . الجوزاء . الدب الاكبر . نجمة القرد الكبير . نجمة فرس البحر . الزوبعة . الرعد . الفجر . الظلام . النور . الظل . اللهيب . أشعة الشمس



هذه الصورة كما تنص الكتابة الهيروغليفية (في الاعلى الى اليسار) تمثل احضار « عمد الارياف » لاجل الحساب امام الكتبة . وقد رسمت أمام كل كاتب الاشارة الهيروغليفية التي معناها « كاتب »

ويتلو ذلك مفردات عن الماء والارض المنزرعة . ثم بعد ذلك اشخاص هـذا العالم حسب ترتيبهم في النظام الاجتماعي هكذا :

(١) إله . الاهة . قديس . قديسة الخ (٢) كبار الموظفين : الكهنة العظماء والعلمـاء (٣) صغار الموظفين والفنانون والعمال (٤) الشعب والجيش (٥) اسماء الامم والبلدان الاجنبية

وعلى الكاتب بعد استظهار ذلك كله أن يحفظ أسماء ٩٦ مدينة مصرية و ٤٢ كلمة تختص بالبناء واجزائه ثم أسماء الاراضي والاطيان . وما يأكله الناس ويشربونه (ويدخل في ذلك ٤٨ صنفاً من الكعك و ٢٤ نوعاً من الشراب ثم ٣٣ صنفاً من السمك) . والله أعلم بما بقي من المفردات في السطور الختامية لتلك البردية وقد تمزقت كثيراً فاستحالت معرفة ما فيها من المفردات على التحقيق اللهم الا اسماء مبعثرة هنا وهناك لبعض الطيور والحيوانات . وربما كانت هناك اسماء أشياء اخرى بعد ذلك !

ترى هل أجهد امنوبي نفسه في سبيل جمع كل هذه المفردات كي يظهر للناس عجائب مخلوقات « بتاح » وبدائع كتابات « تحوت » كما يزعم ؟ كلا ! انه كان ولا شك مدرساً ومهما كان من اخلاصه واحترامه للآلهة فهو انما قام بهذا المجهود الهائل في سبيل تعليم تلاميذه كي يسلموا من الخطأ في رسم كل تلك المفردات اذا أمليت عليهم

وقبل أن نترك موضوع مراحل التعليم وبرامجه الى نقطة اخرى يجدر بنا أن نذكر حقيقة مهمة هي انه كان ميسراً لمعظم الطلبة أن يلتحقوا بوظائف غير تلك التي كانوا يتعلمون لها . فمثلاً يكون التلميذ تابعاً للمدرسة الحربية أو « الاصطبل الملوكي للتعليم » ـ على حد التعبير المصري القديم ـ فاذا لم يأنس في نفسه ميلاً للجيش والاعمال الحربية فله أن يلتحق بالوظائف الدينية على شريطة أن يبدأ بأصغر وظائفها ثم يترقى بعد ذلك . وعلى العموم فما دام التلميذ قد اتقن الكتابة والقراءة وأصبح « كاتباً » كما يقولون فان أبواب الوظائف جميعها تكون مفتوحة أمامه

النظام المدرسي Discipline

كان النظام المدرسي على أشد ما يكون من القسوة وكان المدرس يعتمد كثيراً على العقابات البدنية . شعاره في ذلك هو « أن للولد ظهراً فهو ينشط اذا ضرب عليه »

بل لقد كان المدرس يتحكم في ساعات نوم التلميذ فيذهب اليه مبكراً جداً يوقظه بغلظة و يقول له « ان الكتب في أيدي زملائك الآن . فانهض وارتد ثيابك واطلب حذاءك »

وقد آمن المصريون بهذه القسوة لانهم رأوا أنهم بها يستطيعون تذليل الحيوانات البرية واستئناسها . على انه ما كان يغيب عنهم ان الانسان ـ مهما كان صغيراً ـ ارقى من الحيوانات فكراً ولذلك فكثيراً ما كان الاساتذة يتحاشون العقاب البدني و يكتفون بالتأنيب والانذار . فيخاطب الاستاذ تلميذه هكذا :

« ايها الكاتب لا تكن كسولاً والا فانك ستضطر الى الطاعة حينما تعاقب . لا تقطع وقتك في التمني والا ساءت عاقبتك . دع لسانك يقرأ الكتاب الذي في يدك واتعظ بنصيحة من هم اكثر منك علماً . واعد نفسك لان تكون اميراً حتى تبلغ تلك الوظيفة السامية حينما تتقدم في العمر . ما اسعد الكاتب الذي ينبغ في جميع واجبات وظيفته ! كن قوياً ونشيطاً في عملك اليومي لا تقض يوماً واحداً في البطالة والا فستجلد فان آذان الصبيان مركبة على ظهورهم فلا يسمعون الا اذا جلدوا عليها ـ اصغ بقلبك الى ما اقول فان ذلك سيؤدي بك الى السعادة . كن مجداً في الاستشارة ولا تهملها اذا ما كتبت الى احد واياك ان تحتقرها . اصغ بقلبك الى كلماتي هذه فانك بذلك تبلغ السعادة »

اما ساعات الدراسة فكانت تستغرق النصف الاول من النهار فاذا حان وقت الظهر ترك التلاميذ مدرستهم وهم يصيحون فرحاً

والظاهر ان التلميذ كانت له مؤونة يومية محدودة لم يكن له ان يتجاوزها وهي ثلاثة ارغفة وكأسان من البيرة — وفي نصائح دواوف لابنه :

« كن مقتنعاً بزادك . واذا اكلت ثلاثة ارغفة وشربت كأسين من الجعة ولم يشبع بطنك فجاهد ضده »

الخاتمة

وها نحن نلخص للقارىء الكريم سياسة التعليم المصري القديم في الكلمات الموجزة التالية :

(١) الغاية من التعليم هي الوظيفة والتمتع بالحكم

(٢) البرامج ممتلئة ومحشوة بالنافع والتافه من غير تمييز بينهما

(٣) وسائل التدريس هي النقل والاستظهار

(٤) النظام المدرسي في منتهى القسوة

ومع ذلك فقد كانت هذه السياسة — على ما بها من نقائص — كافية لان تعتمد عليها المدنية الفرعونية حوالى ثلاثين قرناً من الزمان !

محمود حمزه
الامين المساعد بالمتحف المصري



كاتبان من عهد الدولة القديمة

سيادة الغربيين على العالم
وهل تزول ؟

يبسط الانسان خارطة العالم أمامه فيجد أن الغربيين يسيطرون عليه في كل مكان ليس فيه بقعة الا وقد تملكوها أو انتشر فيها نفوذهم حتى صاروا بمثابة المتملكين الا قطرين اثنين في اقصى الشرق هما اليابان والصين

و يرجع تاريخ هذه السيطرة في العصور الحديثة الى العهد الذي اكتشفت فيه اميركا ٠ فمنذ ذلك الوقت وتيار الغرب في مد وتيار الشرق في جزر ٠ فهل هذا التيار سيطرد في مده أم هناك ما يمنعه من تقدم الشرقيين في المستقبل ؟

هذا هو ما يفكر فيه رجال الغرب في أوربا ٠ وهم على وجه العموم متفائلون الا القليل منهم الذين يخشون طغيان الشرق عليهم ٠ والمتفائلون يبنون تفاؤلهم على النظر التاريخي فانه يثبت سيادة الغربيين وايضاً على أن حالة الرقي اذا كان يصحبها على الدوام شيء من الانحطاط فان هذا الانحطاط نفسه يتلبس به الشرق اذا هو ارتقى مثل الغرب فلا خوف عندئذ منه

النظر التاريخي

لقد طغى سيل الغرب على الشرق في عصر الاغريق والرومان كما طغى سيل الشرق على الغرب في عصر الهون والعرب والتتار والاتراك ٠ ولكن هناك فرقا عظيما بين طغيان كل منهما ٠ فان الهون اندغموا في أوربا وصاروا منهم ووطنهم الآن المجر ٠ والعرب بعد أن أقاموا في اسبانيا نحو ٧٠٠ سنة انحسروا عنها وعادت للاسبانيين ٠ أما التتار فقد اندغموا في روسيا وصاروا جزءا منها ٠ وقد بقيت الدول البيزنطية نحو ١٢٠٠ سنة وهي ترد غارات الهون والعرب والتتار والاتراك ولم تسقط الا في سنة ١٤٥٣ وهذا وحده يدل على قوة ثبات الغربيين أمام الشرقيين فاذا كان ثم خوف على أوربا من آسيا فلنذكر ان هذه الدولة البيزنطية الصغيرة استطاعت ان تصد آسيا عنها اكثر من الف عام ٠ وهذه الدولة ليست شيئاً في جانب أوربا اذا اتحدت الآن

ثم ان السلالة الآرية لا تنحصر الآن في أوربا كما كانت قبل ٥٠٠ سنة ٠ فان السلالة الآرية يعد افرادها بالملايين في قارة اميركا وفي استراليا وفي افريقيا الجنوبية وفي شمال آسيا ٠ وكل هؤلاء عند الخطر يتضامون و يتضامنون

ومما هو جدير بالذكر أن الغربيين اذا استعمروا ثبتوا واستقروا واستوطنوا وسادوا وهذا بخلاف الشرقيين . فان العرب قد رحلوا عن اسبانيا وخرجوا منها بقضهم وقضيضهم . وهؤلاء هم الاتراك غادروا مقدونيا وعادوا الى آسيا كانهم لم يدخلوا القارة الاوربية ولم يستوطنوها . اما الهون والتتار فقد اندغموا في السكان وصاروا هم انفسهم أوربيين في العادات واللغات فلا خطر منهم البتة . وقد استعمر الآريون آسيا قديماً وثبت استعمارهم كما ترى في الهنود والفرس فانهما من السلالات الآرية وقد عاشوا في الهند وفارس وتحملوا الغارات فما استطاع احد اجلاءهم عن بلادهم . ومثل هذا يمكن ان يقال عن اميركا وافريقيا الجنوبية واستراليا . بل لقد طال استيطان الهنود والفرس لبلادهم حتى اصبح الناظر للهندي او الفارسي يحسبه شرقياً ويخطيء فيه الملامح الآرية الاصلية

أحد المتشائمين

ولكن هناك متشائمين اظهرهم في الميدان هو القس انج الانجليزي . فانه يخشى من تناقص المواليد في أوربا وزيادة الترف وعظم الاجور التي يتناولها العمال . فهو يقول ان هذه الاجور تثقل كاهل الصناعة الغربية وتؤخرها في ميدان المنافسة مع الشرقيين ثم ان الشرقيين يتناسلون بكثرة هائلة بينما الغرب في ركود او ما يشبه الركود من حيث التناسل وان زيادة الترف بين الغربيين تجعلهم يكرهون الجهد والاحتيال للعيش فتضعف بذلك كفاياتهم . بينما الصناعات ترتقي في الشرق لقلة الاجور . وهذه اليابان مثلاً تزاحم الغربيين وقد طردتهم من جملة اسواق في الشرق الاقصى لانها استطاعت ان تقدم السلع التي يقدمونها بأثمان أقل من الاثمان التي يتقاضاها الغربيون . وليست علة ذلك سوى ان العامل الياباني أقل أجراً من العامل الغربي

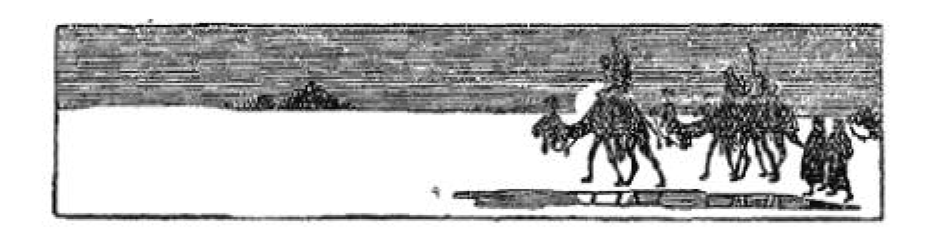
وهناك المسيو موريس موريه وهو فرنسي ينسب سيادة الشرق المنتظرة الى شخصين هما ولسون ولنين . فهو يقول ان الدكتور ولسون عند ما أذاع مبدأه عن تقرير المصير وحق كل أمة في أن تحكم نفسها على ما تهوى قد قدح شرارة تستطير الآن في آسيا وافريقيا وتحث جميع الوطنيين الذين يتولى الغربيون الحكم عليهم الآن على الاستقلال وطرح النير الغربي عنهم . ثم ان الشيوعية التي افشاها لنين في روسيا وأخذ الشيوعيون يعملون على نشرها في الامم الاسيوية قد نبهت اذهان الاسيويين أيضاً الى مكافحة الاستعمار الغربي . والواقع ان دعوة ولسون تأتلف ودعوة لنين بالنسبة للشرق . فان الغربيين انما يستعمرون الشرق ويحرمون الشرقيين من تقرير مصيرهم لاجل استغلال أموالهم والحصول على ارباح كبيرة بالاستفادة من نقص الاجور عند العمال

الشرقيين . فالدعوة الشيوعية التي تنكر على الممولين استخدام العمال لزيادة ارباح الاغنياء تأتلف تمام الائتلاف مع دعوة تقرير المصير التي تدعو الشرقيين الى الاستقلال . لان الغربيين لا يستعمرون الشرق الا من أجل استغلال العامل الشرقي

رد ولز

ولز هو الاديب الانجليزي المعروف والكاتب العمراني المشهور وهو يرى انه لا مجال للتشاؤم البتة . وهو يسلم بان الشرقيين يكثرون من التناسل و يتزايدون في العدد بنسبة لا تبلغها أية أمة أوربية . وان أجور العامل الشرقي منخفضة تسمح له بمزاحمة العامل الغربي وطرده أحياناً من الاسواق . ولكنه يرد على ذلك بان العلم يتقدم في أوربا والمخترعات تزداد . وان هذه المخترعات تقوم في الانتاج الصناعي بما يساوي الفائدة التي يستفيد بها الصانع الشرقي من رخص الاجور التي يتناولها عماله ان لم توف عليها . ولا خوف من ان الشرقيين يكتشفون في العلوم و يخترعون في الصناعة مثل الغربيين لان هذا الاكتشاف أو الاختراع يحتاج الى حالة راقية في الامة من حيث ارتقاء التعليم والصحة والديمقراطية والترف في المعيشة . وكل هذه أشياء ستدعو بطبيعتها الى قلة التناسل وزيادة الاجور . وعندئذ يستوي الشرقي مع الغربي في الصناعة فلا يمتاز عليه بالرخص . فان الاختبار يدلنا على ان قلة التناسل انما هي حركة تفشو فقط بين الاوساط الراقية . فالرقي الذي يستدعي الاختراع والاكتشاف هو نفسه الرقي الذي يعمل لضبط التناسل وزيادة الترف بزيادة الاجور .

والقارىء لكلام ولز يجد أنه حق وان الخوف لا محل له البتة وان قلة التناسل التي ينعي بها بعض الدعاة الغربيين على أممهم انما هي حركة ملازمة للرقي ومن يتأمل في مصر يجد اثرها في الطبقات العليا المترفة . واذا ارتقت آسيا بحيث يخشى خطرها فان عدد سكانها يبتدىء في القلة كما ان أجور عمالها ستزداد



دراويش المسيحية في أميركا

طائفة « المترنحين »



جماعة من « المترنحين » في اثناء احتفال ديني

يعتبر الرقص الآن ضرباً من ضروب الخلاعة يعمد اليه الشبان للذة والطرب . ولكن الراجح ان الرقص يرجع في أصل اختراعه الى الشيوخ والكهول من القبائل القديمة عمدوا اليه تهيؤاً للصيد . ولا يزال الوطنيون الاصليون في افريقيا واستراليا يمثلون في رقصهم صيد بعض الحيوانات . وبتقادم الزمن صار الرقص جزءاً من الشعائر الدينية فان التوراة مثلاً تقول ان داود كان يرقص للرب . و « مزامير » داود فيها معنى الزمر . ولا تزال بعض الامم الآن تمارس رقصاً حربياً تحمل فيه السيوف

فخلاصة ما تقدم ان الرقص لم يقصد منه الى الخلاعة وانما صبغ منذ نشأته بصبغة دينية حربية . ومن غريب ما يرى في تطور الاسلام والمسيحية ، وهو ينساق مع ما قدمناه ، ان طوائف عديدة من المتصوفين في هذين الدينين قد عمدت الى الرقص واعتبرته من شعائر الدين . فالدراويش عند المسلمين يرقصون . وكذلك بين المسيحيين طائفة بانجلترا تسمي « المهتزين » Quakers وقد تفرع منها فرع آخر نسميه طائفة المترنحين Shakers هاجروا الى أميركا وعاشوا اكثر من ١٧٠ سنة . ويقال ان هذه الطائفة الاخيرة توشك أن تنقرض فرأينا لهذه المناسبة أن ننظر في تاريخها نظرة اعتبار لنشوء المذاهب

فطائفة المترنحين يبلغ عددها الآن نحو ٥٠٠ نفس فقط وهي تقيم في دايتون ولبنان في الولايات المتحدة . وأصل هذه الطائفة انه كان في انجلترا سنة ١٧٤٧ فرع من طائفة المهتزين . وقد سميت الطائفة بهذا الاسم لانهم يهتزون وقت الصلاة اهتزازاً قريباً في معناه ان لم يكن في شكله من الرقص . وكان بهذا الفرع سيدة متزوجة برجل يحترف الحدادة اسمها « الام ان لي » وفي احد الايام بينا الاخوة في المعبد يصلون و يتعبدون اذا بهذه السيدة تعلن عليهم في جد وحماسة انها رأت رؤيا وان المسيح قد تقمصها وانه يجب على كل انسان أن يبيع ما يملك و يعيش عيشة شيوعية كما كان يعيش رسل المسيح . وفوق ذلك يجب نهي الناس عن الزواج وفصل الجنسين

ولم يكن أحد من الاخوة المهتزين يستطيع أن ينظر الى المسيحية بهذا الجد الصريح الذي يجرد الغني من ثروته فاضطهدوها وطردوها من طائفتهم . فلما رأت « الام ان لي » انه لا بقاء لها مع المهتزين تركتهم وهاجرت الى اميركا حيث الفت طائفة المترنحين . ونزلت بعد طول التجوال في لبنان في ولاية اوهايو . وكان ذلك سنة ١٧٧٤

ونشبت الحرب الكبرى بين اميركا وانجلترا وهي التي انتهت باستقلال اميركا . وكان الاميركيون يجندون شباب الامة كلهم ولكن المترنحين رفضوا أن يحملوا السلاح طبقاً لاوامر الانجيل . فاضطهدوا من جديد . ولكن عدد المترنحين في ذلك الوقت لم يكن عظيماً فلم يلفتوا اليهم الانظار وانقضت محنة الحرب فعاشوا بسلام الى سنة ١٨١٠ وكانوا قد تكاثروا في مدينة دايتون . و باع كثير من الناس ممتلكاتهم وانضموا اليهم فقويت الطائفة بهم وتنبهت الحكومة فارسلت لهم فرقة من الجيش تطلب تشتيتهم وفض طائفتهم وكان وراء الجنود طائفة أخرى من العوام والهوام ينتظرون الاسلاب والغنائم . ولكن الجنود لذكاء نادر في قائدهم لم يعتدوا عليهم بل انذروهم بأن يتقوضوا و ينفضوا و يتشتتوا بعد شهر . ومضى الشهر وكانت الحماسة قد خبا أوارها و بردت نار التعصب في الصدور فلم يخرج المترنحون من المدينة ولم يطالبهم أحد بذلك

وعاشوا وتكاثروا أيضاً بمن كان ينضم اليهم الى سنة ١٨٦٠ عند ما نشبت الحرب الاهلية بين أهل الشمال وأهل الجنوب بشأن تحرير العبيد . ودعتهم الحكومة الى التجند فرفضوا فاجبروا على حمل السلاح فحملوه مكرهين . ولكنهم عند ما بلغوا حومة الوغى وعرف القائد قصتهم سرحهم فعادوا الى دايتون يترنحون كما يشاءون

وحدث في احدى السنين شقاق بينهم فقام أحد شيوخهم وقرر أن تصب اللعنات على المترنحين في لبنان وتسكب البركات على المترنحين في دايتون . و بعد هذا القرار خرج اثنان من شيوخهم

الى لبنان وعلى رأس كل منهما قبعة كأنها قسطاط فصبا اللعنات في لبنان وسكبا البركات في دايتون . فلم تكن الا ايام حتى هجر معظم المترنحين في لبنان بلدتهم الى دايتون

وكانت طريقتهم في الصلاة يوم الاحد ان يشرعوا فيها في منتصف الساعة العاشرة فيعظ واحد من الشيوخ يليه آخر ثم آخر وبعد ذلك تحمل الكراسي الى جدران المعبد فينفسح المكان ويأخذون عندئذ في الترنم وهم وقوف على اصابع اقدامهم ثم يوقعون انغامهم بأذرعتهم يدفعونها فتدور دورة دولابية

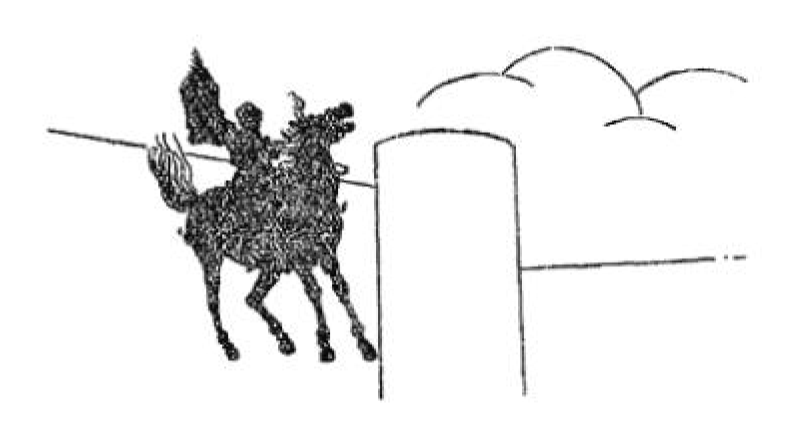
وكانوا كلهم يعيشون عيشة قاسية كل جنس منهم منفصل عن الآخر . وفي تاريخهم وقائع تدل على القسوة مثل :

« جون ستورت وهنري جرمي قد فرا الى العالم »

وأيضاً : « سئلت لوسي لموتز بتلطف ورفق بان ترجع الى العالم فرجعت »

وفي القرن الماضي أرسلت احدى الجمعيات الى واحد من المترنمين تطلب منه ايضاح ايمانه فأرسل اليها قصيدة ننقل منها مايلي :

« لا يربط نفوسنا ايمان او شرائع يؤلفها الناس على الورق . نتجنب سفك الدماء والقتال والحرب . وليس لنا مكان في المحاكم المدنية . ولسنا نلقب أحداً بالقاب فخمة . ولسنا نؤيد كلامنا باليمين أو بالكتاب لاننا لا نحتاج الى القسم اذ لا نقول سوى الحقيقة الساذجة »



الايام ـ ٤

بقلم الدكتور طه حسين ، الاستاذ بالجامعة المصرية

شرع « الصبي » الذي تسرد قصته هنا في حفظ « الالفية » . وفي هذا الفصل وصف لشعوره وقتئذ وما تبع ذلك من حوادث ونوادر [المحرر]

(١٣) وكيف لا يبتهج وقد أحسَّ منذ اليوم الاول انه ارتفع درجات . فأصبح «سيدنا» لا يستطيع ان يشرف على حفظه للالفية ولا أن يقرئه اياها ، بل ضاق الكتّاب كله بالالفية ، وكلف الصبي ان يذهب في كل يوم الى المحكمة الشرعية ليقرأ على القاضي ما يريد ان يحفظه من الالفية . القاضي عالم من علماء الازهر ، اكبر من أخيه الازهري وان كان أبوه لا يؤمن بذلك ولا يرى ان القاضي يكافيء ابنه . هو على كل حال عالم من علماء الازهر ، وهو قاضي الشرع بقاف ضخمة وراء مفخمة ، وهو في المحكمة ... لا في الكتاب ، وهو يجلس على دكة مرتفعة قد وضعت عليها الطنافس والوسائد لا تقاس اليها دكة سيدنا ، وليس حولها نعال مرقعة ، وعلى بابه رجلان يقومان مقام الحاجب ويسميهما الناس هذا الاسم البديع الذي لم يكن يخلو من هيبة « الرُّسُل »

نعم كان يجب على الصبي أن يذهب الى المحكمة في كل صباح فيقرأ على القاضي بابًا من أبواب الالفية . وكم كان القاضي يحسن القراءة ! كم كان يملأ فمه بالقاف والراء ! وكم كان صوته يتهدج بقول ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم وإسم وفعل ثم حرف الكلم
واحده كلمة والقول عمّ وكلمة بها كلام قد يؤم

ولقد استطاع القاضي ان يؤثر في نفس الصبي ويملأه تواضعًا حين قرأ هذه الابيات

وتقتضي رضا بغير سخط فائقة ألفية ابن معطي
وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميلا
والله يقضي بهبات وافرة لي وله في درجات الآخرة

قرأ القاضي هذه الابيات بصوت يحطمه البكاء حطماً ثم قال للصبي : من تواضع لله رفعه ، أتفهم هذه الابيات؟ قال الصبي : لا . قال القاضي : ان المؤلف ، رحمه الله تعالى ، عندما بدأ في

نظم ألفيته اغترَّ واخذه الكبر فقال : فائقة ألفية ابن معطي ، فلما كان الليل رأى فيما يرى النائم أن ابن معطي قد أقبل يعاتبه عتاباً شديداً ، فلما أفاق من نومه أصلح من هذا الغرور وقال : وهو بسبق حائز تفضيلا »

وكم كان الشيخ فرحاً مبتهجاً حين عاد اليه الصبي عصر ذلك اليوم فقص عليه ما سمع من القاضي وقرأ عليه الابيات الاولى من الالفية ! فكان يقطع هذه الابيات بهذه الكلمة التي يعبر بها الناس عن الاستحسان « الله ! الله ! »

على ان لكل شيء حداً . فقد مضى صاحبنا في حفظ الالفيـة فرحاً مبتهجاً حتى انتهى الى باب المبتدا ، ثم فترت همته . وكان أبوه يسأله عصر كل يوم : هل ذهبت الى المحكمة ؟ فيجيب : نعم . فكم حفظت من بيت ؟ فيجيب : عشرين . ـ فاقرأ لي ما حفظت ، فيقرأ له ما حفظ

ولكن الامر ثقل عليه منذ باب المبتدا فأخذ يحفظ ويذهب الى المحكمة متثاقلاً متباطئاً حتى وصل الى باب المفعول المطلق ، ثم لم يستطع ان يتقدم خطوة قصيرة ولا طويلة . ولبث يذهب الى المحكمة في كل يوم ويقرأ على القاضي فصلاً من فصول الالفية حتى اذا عاد الى الكتاب ألقى الالفية في ناحية وانصرف الى عبثه ولعبه والى قراءة القصص والاحاديث

فاذا كان العصر وسأله أبوه : هل ذهبت الى المحكمة ؟ اجاب : نعم . ـ وكم حفظت من بيت؟ اجاب : عشرين . ـ من اي باب ؟ ـ من باب الاضافة او من باب النعت او من باب جمع التكسير ، فاذا قال له اقرأ عليَّ ما حفظت قرأ عليه عشرين بيتاً من المائتين الاوليين : مرة من المعرب والمبني واخرى من النكرة والمعرفة وثالثـة من المبتدا والخبر ، والشيخ لا يفهم شيئاً ولا يلاحظ ان ابنه يخدعه وانما يكتفي بأن يسمع كلاماً منظوماً وهو مطمئن الى القاضي . ومن غريب الامر ان الشيخ لم يفكر مرة واحدة في ان يفتح الالفية ويقابل على الصبي وهو يقرأ . ولو قد فعل يوماً من الايام لكانت للصبي قصة كقصته مع سورة الشعراء او سبأ او فاطر . على ان الصبي تعرض لهذا الخطر مرة ، ولولا ان امه أشفعت فيه لكان له مع ابيه موقف مشهود . كان له أخ يختلف الى المدارس المدنية ، فعاد من القاهرة ليقضي فصل الصيف واتفق انهُ حضر هذا الامتحان اليومي أياماً متصلة . فسمع الشيخ يسأل الصبي : اي باب قرأت ؟ فيجيب الصبي : باب العطف (مثلاً) فاذا طلب اليه ان يعيد ما قرأ اعاد عليه باب العلَم او باب الصلة والموصول . سكت الشاب في اول يوم وفي اليوم الذي يليه . فلما كثر ذلك انتظر حتى انصرف الشيخ وقال للصبي امام امه : انك تخدع اباك وتكذب عليه ، وتلعب في الكتاب ولا تحفظ من الالفية شيئاً ... قال الصبي : انك كاذب ! وما انت وذاك ... وانما الالفية للازهريين لا لابناء المدارس ! وسل القاضي ينبئك

بأني اذهب الى المحكمة في كل يوم . قال الشاب : اي باب حفظت اليوم ، قال الصبي : باب كذا قال الشاب : ولكنك لم تقرأ هذا الباب على ابيك وانما قرأت عليه باب كذا ، وهات نسخة الالفية امتحنك فيها . بهت الصبي وظهر عليه الوجوم وهمّ الشاب ان يقص القصة على الشيخ ، ولكن امه توسلت اليه، وكان الشاب رفيقاً بأمه رءوفاً بأخيه فسكت وظل الشيخ على جهله حتى عاد الازهري

فلما عاد امتحن الصبي وما هي الا ان عرف جلية الامر . فلم يغضب ولم ينذر ولم يخبر الشيخ وانما امر الصبي ان ينقطع عن الكتاب والمحكمة واحفظه الالفية كلها في عشرة ايام

***

(١٤) للعلم في القرى ومدن الاقاليم جلال ليس له مثله في العاصمة ولا في بيئاتها العلمية المختلفة . وليس في هذا شيء من العجب ولا من الغرابة وانما هو قانون العرض والطلب يجري على العلم كما يجري على غيره مما يباع ويشترى . فبينما يروح العلماء ويغدون في القاهرة لا يحفل بهم أحد أو لا يكاد يحفل بهم أحد ، وبينما يقول العلماء فيكثرون في القول ويتصرفون في فنونه دون أن يلتفت اليهم احد غير تلاميذهم في القاهرة ترى علماء الريف وأشياخ القرى ومدن الاقاليم يغدون ويروحون في جلال ومهابة ويقولون فيستمع لهم الناس مع شيء من الاكبار مؤثر جذاب

وكان صاحبنا متأثراً بنفسية الريف يكبر العلماء كما يكبرهم الريفيون ويكاد يؤمن بانهم فطروا من طينة نقية ممتازة غير الطينة التي فطر منها الناس جميعاً. وكان يسمع لهم وهم يتكلمون فيأخذه شيء من الاعجاب والدهش حاول ان يجد مثله في القاهرة أمام كبار العلماء وجلة الشيوخ فلم يوفق

كان علماء المدينة ثلاثة أو اربعة قد تقسموا فيما بينهم اعجاب الناس ومودتهم . فاما أحدهم فكان كاتباً في المحكمة الشرعية . قصيراً ضخماً غليظ الصوت جهوريه يمتلىء شدقه بالالفاظ حين يتكلم فتخرج اليك هذه الالفاظ ضخمة كصاحبها ، غليظة كصاحبها ، وتصدمك معانيها كما تصدمك مقاطعها . وكان هذا الشيخ من الذين لم يفلحوا في الازهر . قضى فيه ما شاء ان يقضي من السنين فلم يوفق الى العالمية ولا الى القضاء فقنع بمنصب الكاتب في المحكمة بينما كان أخوه قاضياً ممتازاً قد جعل اليه قضاء أحد الاقاليم . ولم يكن هذا الشيخ يستطيع أن يجلس في مجلس الا تفخر بأخيه وذم القاضي الذي هو معه . كان حنفي المذهب وكان اتباع أبي حنيفة في المدينة قليلين أو لم يكن لابي حنيفة في المدينة أتباع . فكان ذلك يغيظه ويحنقه على خصومه العلماء الآخرين الذين كانوا يتبعون الشافعي أو مالكا ويجدون في أهل المدينة صدى لعلمهم وطلاباً للفتوى عندهم . فكان لا يدع فرصة الا مجد فيها فقه أبي حنيفة وغض فيها من فقه مالك والشافعي،وأهل الريف

مكرة أذكياء فلم يكن يخفى عليهم أن الشيخ انما يقول ما يقول و يأتي ما يأتي من الامر متأثراً بالحقد والموجدة ، فكانوا يعطفون عليه و يضحكون منه . وكانت المنافسة شديدة عنيفة بين هذا الشيخ و بين الفتى الازهري . كان ينتخب خليفة في كل سنة فغاظه أن ينتخب هذا الفتى خليفة دونه . ولما تحدث الناس أن الفتى سيلقي خطبة الجمعة سمع الشيخ هذا الحديث ولم يقل شيئاً . حتى اذا كان يوم الجمعة وامتلأ المسجد بالناس واقبل الفتى يريد أن يصعد المنبر نهض الشيخ حتى انتهى الى الامام وقال له في صوت سمعه الناس : ان هذا الشاب حديث السن وما ينبغي له أن يصعد المنبر ولا أن يخطب ولا أن يصلي بالناس وفيهم الشيوخ وأصحاب الاسنان . ولئن خليت بينه و بين المنبر والصلاة لانصرفن . ثم التفت الى الناس وقال : ومن كان منكم حريصاً على ألا تبطل صلاته فليتبعني . سمع الناس هذا فاضطربوا وكادت تقع بينهم الفتنة لولا أن نهض الامام فخطبهم وصلى بهم وحيل بين الفتى و بين المنبر هذا العام . ومع ذلك فقد كان الفتى أجهد نفسه في حفظ الخطبة واستعد لهذا الموقف أياماً متصلة وتلا الخطبة على أبيه غير مرة وكان أبوه ينتظر هذه الساعة أشد ما يكون اليها شوقاً ، وأعظم ما يكون بها ابتهاجاً ، وكانت أمه مشفقة تخاف عليه العين ، فما كاد يخرج الى المسجد ذلك اليوم حتى نهضت الى جمر وضعته في اناء وأخذت تلقي فيه ضروباً من البخور وتطوف به البيت حجرة حجرة ، تقف في كل حجرة لحظات وتهمهم بكلمات وظلت كذلك حتى عاد ابنها فاذا هي تتلقاه من وراء الباب مبخرة مهمهمة ، واذا الشيخ مغضب يلعن هذا الرجل الذي أكل الحسد قلبه فحال بين ابنه وبين المنبر والصلاة

وكان في المدينة عالم آخر شافعي . كان إمام المسجد وصاحب الخطبة والصلاة . وكان معروفاً بالتقى والورع ، يذهب الناس في اكباره واجلاله الى حد يشبه التقديس : كانوا يتبركون به و يلتمسون عنده شفاء مرضاهم وقضاء حاجاتهم وكأنه كان يرى في نفسه شيئاً من الولاية . وظل أهل المدينة بعد موته سنين يذكرونه بالخير ويتحدثون مقتنعين بانه عندما انزل في قبره قال بصوت سمعه المشيعون جميعاً : اللهم اجعله منزلاً مباركاً . وكانوا يتحدثون بما رأوا فيما يرى النائم من حظ هذا الرجل عند الله وما اعد له في الجنة من نعيم

وشيخ ثالث كان في المدينة وكان مالكي المذهب . ولم يكن ينقطع للعلم ولا يتخذه حرفة وانما كان يعمل في الارض و يتجر ويختلف الى المسجد فيؤدي الخمس و يجلس الى الناس من حين الى حين فيقرأ لهم الحديث و يفقههم في الدين متواضعاً غير تياه ولا فخور . ولم يكن يحفل به الا الاقلون عدداً

هؤلاء هم العلماء . ولكن علماء آخرين كانوا منبثين في هذه المدينة وقراها وريفها . ولم يكونوا أقل من هؤلاء العلماء الرسميين تأثيراً في دهماء الناس وتسلطاً على عقولهم . منهم هذا الحاج . . .

الخياط الذي كان دكانه يكاد يقابل الكتاب ، والذي كان الناس مجمعين على وصفه بالبخل والشح ، والذي كان متصلاً بشيخ من كبار أهل الطرق ، والذي كان يزدري العلماء جميعاً لأنهم يأخذون علمهم من الكتب لا عن الشيوخ ، والذي كان يرى أن العلم الصحيح انما هو العلم اللدني الذي يهبط على قلبك من عند الله دون أن تحتاج الى كتاب بل دون أن تقرأ أو تكتب

ومنهم هذا الشيخ ٠٠٠ الذي كان في أول أمره حماراً ينقل للناس بضائعهم وأمتعتهم ثم أصبح تاجراً واقتصرت حُمره على نقل تجارته ، والذي كان الناس مجمعين على انه أكل أموال اليتامى وأثرى على حساب الضعفاء ، والذي كان يكثر من ترديد هذه الآية وتفسيرها «ان الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» ، والذي كان يكره الصلاة في المسجد الجامع لأنه كان يكره الامام ومن اليه من العلماء ويؤثر الصلاة في جامع صغير لا قيمة له ولا مكانة

ومنهم هـذا الشيخ ٠٠٠ الذي لم يكن يقرأ ولا يكتب ولا يحسن قراءة الفاتحة ٠ ولكنه كان شاذلياً من أصحاب الطريق ، كان يجمع الناس الى الذكر ويفتيهم في امور دينهم ودنياهم

ثم منهم الفقهاء الذين كانوا يقرأون القرآن ويقرئونه للناس والذين كانوا يميزون انفسهم من العلماء ويتسمون «حملة كتاب الله» ، والذين كانوا يتصلون بدهماء الناس والنساء منهم خاصة . كانت جمهرتهم من المكفوفين ، فكانوا يدخلون البيوت يتلون فيها القرآن وكان النساء يتحدثن اليهم ويستفتينهم في امور الصوم والصلاة وما الى ذلك من امورهن ٠ وكان لهؤلاء الفقهاء علم مخالف كل المخالفة لعلم العلماء الذين يأخذون علمهم من الكتب والذين بينهم وبين الازهر سبب قوي أو ضعيف ٠ وكان علمهم مخالفاً ايضاً لعلم أصحاب الطرق وأهل العلم اللدني ٠ كانوا يأخذون علمهم من القرآن مباشرة ، يفهمونه كما يستطيعون لا كما هو ولا كما ينبغي أن يفهم ، يفهمونه كما كان يفهمه سيدنا (وكان من اذكى الفقهاء واشدهم علماً واقدرهم على التأويل . سأله الصبي ذات يوم : ما معنى قول الله تعالى «وخلقنا كم اطواراً» ؟ فاجاب هادئاً مطمئناً : خلقنا كم كالثيران لا تعقلون شيئاً) او يفهمونه كما يفهمه جدّ هـذا الصبي نفسه وكان من أحفظ الناس للقرآن وأبرعهم في فهمه وتفسيره وتأويله ٠ سأله حفيده ذات يوم عن قول الله تعالى «ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة» ؟ فقال : «على حرف دكة ، على حرف مصطبة ، فان اصابه خير فهو مطمئن في مكانه وان اصابه شر انكفأ على وجهه»

وكان صبينا يختلف بين هؤلاء العلماء جميعاً ويأخذ عنهم جميعاً حتى اجتمع له من ذلك مقدار

من العلم ضخم مختلف مضطرب متناقض ما احسب الا انه عمل عملاً غير قليل في تكوين عقله الذي لم يخل من اضطراب واختلاف وتناقض

***

(١٥) وشيوخ الطريق ، وما شيوخ الطريق ! كانوا كثيرين منبثين في اقطار الارض ، لا تكاد تخلو منهم المدينة اسبوعاً ٠ وكانت مذاهبهم مختلفة وكانوا قد تقسموا الناس فيما بينهم فجعلوهم شيعاً وفرقوا اهواءهم تفريقاً عظيماً ٠ وكانت المنافسة حادة في الاقليم بين اسرتين من اصحاب الطريق ، لاحداهما اعلاه وللاخرى اسفله ٠ واذ كان أهل الاقليم يتنقلون ولا يأبون على انفسهم الهجرة من قرية الى قرية ومن مدينة الى مدينة داخل الاقليم فقد كان يتفق ان ينزل اتباع احدى الاسرتين حيث تتسلط الاسرة الاخرى ، وكان زعماء الاسرتين يتنقلون في الاقليم يزورون اتباعهم وأشياعهم . ولله ما كان يحدث من الخصومات يوم يهبط صاحب العالية الى السافلة أو يصعد صاحب السافلة الى العالية ٠ وكان أبو الصبي من اتباع صاحب العالية ، اخذ عنه العهد، وأخذه عنه ابوه من قبل ٠ وكانت ام الصبي من اتباع صاحب العالية ، ايضاً بل كان ابوها من انصاره وحواريه المقربين اليه . ومات صاحب العالية وخلفه على الطريق ابنه الحاج ٠٠٠ وكان انشط من أبيه وأقدر على الكيد والكيد وانهض للخصومة ، كان أقرب من أبيه الى الدنيا وأبعد من أبيه عن الدين . وكان أبو الصبي قد هبط الى السافلة واستقر فيها فكانت لصاحب العالية عادة أن يزوره مرة في كل سنة . وكان اذا أقبل لم يقبل وحده ولم يقبل في نفر قليل وانما أقبل في جيش ضخم ان لم يبلغ المائة فليس ينحط عنها الا قليلاً ٠ ولم يكن يتخذ قطر السكة الحديدية ولا سفن النيل وانما كان يتخذ الجياد والبغال والحمير يسير ومن حوله أصحابه فيمرون بالقرى والدساكر ينزلون ويرحلون في ابهة وضخامة منتصرين حيث لا سلطان الا لهم ، متحدين حيث لخصومهم شيء من القوة ٠ وكانوا اذا زاروا اسرة الصبي أقبلوا حتى ينزلوا ، فاذا الشارع ممتلىء بهم وبخيلهم وبغالهم وحميرهم ، قد أخذوه من القناة الى اقصاه الجنوبي . واذا الشاء تذبح واذا السمط ممدودة في الشارع واذا هم الى طعامهم في شره لا يعدله شره ، والشيخ جالس في المنظرة ومن حوله اصفياؤه وأولياؤه وبين يديه صاحب البيت وأخصاؤه يأتمرون بامره ٠ فاذا فرغوا من الغداء انصرفوا عنه فنام حيث هو ثم نهض فتوضأ ٠ فانظر الى الناس يستبقون ويختصمون ايهم يصب عليه الماء . فاذا فرغ فانظر اليهم يستبقون ويختصمون ايهم يصيب من وضوء الشيخ جرعة ٠ والشيخ عنهم في شغل يصلي فيطيل الصلاة ويدعو فيطيل الدعاء . حتى اذا فرغ من هذا كله جلس للناس وهم يتقاطرون عليه ، منهم من يقبل يده وينصرف خاشعاً ، ومنهم من يتحدث اليه لحظة أو لحظات ، ومنهم من يسأله حاجة ٠ والشيخ يجيب اولئك وهؤلاء بالفاظ غريبة غامضة يذهبون في فهمها وتأويلها المذاهب .

ادخل عليه الصبي فمسح رأسه وتلا قول الله تعالى « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً » . من ذلك اليوم اقتنع أبو الصبي بان سيكون لابنه شأن . فاذا صليت المغرب مدت الموائد واكل . ثم تصلى العشاء . ثم ينصب المجلس . ونصب المجلس عبارة عن اجتماع الناس الى حلقة الذكر ، يذكرون الله قاعدين ساكنين ثم تتحرك رءوسهم وترتفع أصواتهم قليلاً ، ثم تتحرك انصافهم وترتفع أصواتهم قليلاً ثم تنبث في أجسامهم رعدة فاذا هم جميعاً وقوف قد دفعوا في الهواء كأنما حركهم لولب . وقد انبث في الحلقة شيوخ ينشدون شعر ابن الفارض وما يشبهه من الشعر. وكان لهذا الشيخ خاصة كلف بقصيدة معروفة فيها ذكر الاسراء والمعراج أولها :

من مكة والبيت الامجد   للقدس سرى ليلاً احمد

كان الشيوخ يرتلونها ترتيلاً وكان الذاكرون يحركون أجسامهم على هـذا الترتيل ينحنون ويستقيمون كأنما يرقصهم هؤلاء الشيوخ ترقيصاً

ومهما ينس الصبي فلن ينسى ليلة غلط فيها أحد المنشدين فوضع لفظاً مكان لفظ من القصيدة واذا الشيخ قد ثار وفار وارغى وازبد وصاح بملء صوته : يا بني الكلاب ! لعن الله آباءكم وآباء آبائكم وآباء آباء آبائكم الى آدم ! أتريدون أن تخربوا بيت الرجل !

ومهما ينس الصبي فلن ينسى تأثير هذه الغضبة في نفوس الذاكرين وفي نفوس الناس من حولهم . وكأن الناس اقتنعوا بأن الغلط في هذه القصيدة مصدر شؤم لا يشبهه شؤم . واظهر أبو الصبي تأثراً وفزعاً ثم اطمئناناً وهدوءاً . فلما انصرف الشيخ من الغد وتذاكرت الاسرة ما كان من أمره وما كان من قصته مع الذاكرين والمنشدين ضحك صاحب البيت ضحكة لم يشك الصبي بعدها في أن ايمان أبيه بهذا الشيخ لم يكن خالصاً من الشك والازدراء ... نعم من الشك والازدراء ! فقد كان طمع الشيخ وحرصه اظهر من أن ينخدع بهما من له حظ من اناة وتفكير

وكان من أشد الناس مقتاً للشيخ وسخطاً عليه ام الصبي . كانت تكره زيارته وتستثقل ظله ، وتؤدي ما تؤدي وتعدّ ما تعدّ وهي كارهة ساخطة لا تكاد تمسك لسانها الا في مشقة وعناء . ذلك لأن زيارة الشيخ كانت ثقيلة على هذه الاسرة التي كانت تعيش من سعة ولكنها كانت فقيرة على كل حال

كانت زيارة الشيخ تستهلك كثيراً من القمح والسمن والعسل وما الى ذلك وكانت تكلف صاحب البيت الاقتراض لشراء ما لا بد منه من الضأن والمعز . وكان الشيخ لا يلمّ بهذه الاسرة الا ارتحل من غده وقد أخذ شيئاً راقه وأعجبه . يأخذ في هذه المرة بساطاً ، وفي هذه شالاً من الكشمير ، وعلى هذا النحو

كانت زيارة هذا الشيخ وأصحابه شيئاً ترغب فيه الاسرة رغبة شديدة لانه يمكنها من الفخر ورفع الرأس ومناوأة الاشباه والنظائر ، وتكرهه كرهاً شديداً لانه يكلفها ما يكلفها من المال

والمشقة . كانت شراً لا بد منه جرت به العادة وصادف هوى في الناس ، وكان اتصال الاسرة بهذا البيت من بيوت الطريق قوياً متيناً ترك فيها آثاراً باقية من الاخبار والقصص وأحاديث الكرامات والمعجزات . وكانت ام الصبي وأبوه يجدان لذة في أن يتحدثا الى أبنائهما بهذه الاخبار والاحاديث . ولم تكن ام الصبي تدع فرصة الا قصت فيها هذه القصة « حج ابي ومعه جدتي مع الشيخ خالد مرة ، وكان الشيخ قد حج ثلاث مرات تبعه فيها ابي ، واصطحب امه هذه المرة . فلما فرغوا من الحج وانصرفوا الى المدينة وقعت الشيخة في بعض الطريق من الرحل فانحطم ظهرها انحطاماً وعجزت عن المشي والحركة وأخذ ابنها يحملها و ينقلها من مكان الى مكان ويجد في ذلك من المشقة والعناء ما شكاه الى الشيخ ذات يوم . فقال له الشيخ : ألست تزعم انها شريفة من نسل الحسن بن علي ؟ قال : بلى . قال : فهي ذاهبة الى جدها ، فاذا انتهيت بها الى المسجد النبوي فضعها في ناحية منه وخل بينها وبين جدها يصنع بها ما يشاء . وكذلك فعل الرجل . وضع امه في ناحية من نواحي المسجد وقال لها في لغة الفلاح الجافية التي يملأها مع جفوتها الحب والاشفاق : انت وجدك فليس لي بكما شأن . ثم تركها وتبع شيخه يريد أن يطوف بقبر النبي . قال الرجل فوالله ما خطوت خطوات حتى سمعت امي تناديني فالتفت فاذا هي قائمة تسعى وأبيت أن أعود اليها فاذا هي تعدو من ورائي عدواً واذا هي تسبقني الى الشيخ وتطوف مع الطائفين »

وكان أبو الصبي لا يدع فرصة الا ذكر فيها عن الشيخ هذه القصة ، « ذكر امامه ان الغزالي قال في بعض كتبه أن النبي لا يمكن أن يرى فيما يرى النائم . فغضب الشيخ وقال : والله ما هكذا كان الامل فيك يا غزالي ، لقد رأيته بعيني رأسي هذا راكباً بغلته . وذكر له ذلك مرة أخرى فقال : والله ما هكذا كان الامل فيك ياغزالي ، لقد رأيتهُ بعيني رأسي هذا راكباً ناقته . وكان ابو الصبي يستنتج من ذلك أن الغزالي قد أخطأ وان عامة الناس يستطيعون أن يروا النبي فيما يرى النائم وان الاولياء والصالحين يستطيعون ان يروه وهم أيقاظ . وكان ابو الصبي يثبت هذا بحديث يرويه كلما ذكر هذه القصة وهو : من رآني في المنام فقد رآني حقاً فان الشيطان لا يتمثل بي »

وعلى هذا النحو حفظ الصبي ألواناً من اخبار الكرامات والمعجزات واسرار الصوفية . وكان اذا اراد ان يتحدث بشيء من ذلك الى اترابه ورفاقه في الكتاب قصوا عليه امثاله يضيفونه الى صاحب السافلة ويؤمنون به ايماناً شديداً

كانت لاهل الريف شيوخهم وشبابهم وصبيانهم ونسائهم عقلية خاصة فيها سذاجة وتصوف وغفلة ، وكان اكبر الاثر في تكوين هذه العقلية لاهل الطريق

(لها بقية) طه حسين

الاطوار الاربعة لعقل الانسان

بقلم الاستاذ سلامه موسى

يسير علماء النفس من المدرسة الحديثة سيراً حثيثاً في استكناه العقل الانساني . ونعني بالمدرسة الحديثة اولئك الرواد في هذا الميدان الجديد أمثال فرود ويونج ومكدوجال وبودوين رجال العقل الباطن الذين يدرسون الاحلام والخواطر والجنون ثم يعطفون على الانسان فيدرسون العقل والاساطير ومنشأ اللغات والاديان بما استخلصوه من هذا العلم الجديد

وليس غريباً أن ندرس المرض لكي نفهم الصحة بل يكاد لا يكون طريق آخر نفهم به الصحة الا من طريق المرض . فاذا وقفنا على التيار الذي يسير بعقل المجنون وادركنا بعض غاياته أو اذا درسنا أحوال السكران وهو يتدرج من الغبطة البسيطة الى العربدة ثم الى الخمول واذا درسنا أيضاً خرف الشيخ وقرناه الى مخاوف الطفولة امكننا ان نقف على العقل السليم ما هو وكيف نشأ . وذلك لان حالات الضعف من الغفوة العارضة التي تتوارد فيها الخواطر الى الرأس الى السبات غير العميق حين ينشط العقل الباطن ويجعلنا نحلم ونرى الرؤى الى نشوة الخمر التي تبيح لنا ما نكف انفسنا عنه وقت الصحو - كل هذا يجعلنا نفهم أن لنا غير عقل واحد في رءوسنا بعضه يغفو وبعضهُ ينام وبعضه يصحو في غير اختلاف . بل أحياناً في ائتلاف عظيم . والواقع أن العقل الانساني حي قد اضمر فيه جملة احياء وأقوى هذه الاحياء أقدمها في تطور الانسان واضعفها أحدثها

وهذا الاختلاف في القوة والضعف بين هذه العقول المضمرة في نفوسنا يتضح عندما نمرض أو نشرب الخمر فنلفي أنفسنا عند أول الانتشاء قد زايلتنا قوة الصبر على الدرس وانعام النظر فلا نستطيع أن نقرأ كتاباً في الفلسفة أو العلم ولكننا قد يمكننا أن نقرأ قصة . ثم اذا زدنا شرباً احتشدت برءوسنا أفكار همجية فنضحك ونبكي كالاطفال وقد نرتكب من الجرائم أو الافعال ما هو أشبه بالمتوحشين وانما ذلك لأن العقل الحديث عقل الحضارة والثقافة لم يرسخ في نفوسنا بعد رسوخ العقل القديم عقل الجدود من ناس وحيوان فاذا أصابتنا نشوة الخمر زايلنا هذا العقل وعدنا نستند الى العقل القديم الذي لا يتزعزع بهذه السرعة . وكذلك الحال عندما نغفو أو نمرض أو نحلم فان العقل الباطن ينشط فنرانا نفكر في أشياء نضحك منها ونحن في وعينا ويقظتنا فنتخيل مثلاً اننا ملوك أو أغنياء أو اننا نقتل خصماً لنا نكرهه أو نحو ذلك من خيالات العقل القديم الرابض في رأس كل منا

والحقيقة أن في رأس كل منا نحن أبناء القرن العشرين جملة عقول تتسلط على نفوسنا وتعمل لسعادتنا أو لشقائنا وهي كلها من تراث الآباء مع القليل الذي يجد في نفس كل منا مما هو مضمر في الحياة يسمو بنا نحو الرقي والكمال

١ — عقل الحيوان

وأول هذه العقول عقل الحيوان · فقد عشنا ملايين السنين ونحن حيوانات ولذلك فان تفكيرنا مشرب بعقل الحيوان وهـذا يبدو لكل منا اذا سلم الانسان قياده لخواطره فهناك ينساب هذا العقل فيخيل لنا الاكلة الشهية أو المرأة الجميلة · لأن هاتين الشهوتين هما محور الحياة عند الحيوان فانه لا يعيش الا من أجلهما · وكل منا يعرف أن معظم تفكيره وهو في سن المراهقة انما كان في المرأة · وهذا يتسق مع ما تراه من الحاح هذه الشهوة على الحيوان حين تتقاتل الذكور وتموت من أجلها · وانما تخف هـذه الشهوة عندما يخرج الانسان من طور المراهقة الى الشباب الى الكهولة · وذلك لان الانسان من بدء تكونه جنيناً الى أن يحمل الى القبر يمثل في نفسه تلك الاطوار التي مرت بالاحياء قاطبة من بدء ظهورها في العالم الى الآن · فهو في باطن امه حيوان رابض غائب الذهن أخرس منطرح كالسمك ثم لا هم له بعد أن يولد الا الطعام وهذا هو الشأن في تطور أنواع الحيوان كلها فانها قضت فترة طويلة وهي لا تعرف الحب بل لا يزال بين الاسماك ما يلقي الذكر بذره في الماء كما يطرح النخل لقاحه للريح · ثم يظهر الحب والعائلة فيخرج الصبي من الشغف بالحلوى والنهم للطعام الى احساس الحب للجنس الآخر

ولكن الحاح هذه الشهوة الجنسية يخف بالتقدم في السن وكما أن الشاب يخرج من طور الطفولة من حيث الطعام فلا يجعل للنهم من السلطة عليه مقدار ما للصحة كذلك الكهل يخرج من غرام الشباب والحاح الغريزة الجنسية الى تسليط العقل الحديث ومراعاة المصلحة العائلية

ولكننا في خواطرنا واحلامنا كما في نشوة الخمر نفكر كثيراً بعقل الحيوان يجري خيالنا وراء الاكلة الشهية كما تنتفض اعصابنا عند رؤية المرأة الجميلة

٢ — عقل الهمج

اذا كان عمر الانسان نصف مليون سنة على هذه الارض فقد قضى ٩٩ في المائة من هذه المدة وهو همجي اخرس أو شبيه بالاخرس لا يحمل من الآلات الا اجفاها يعيش منعزلاً لا يعرف الاجتماع ، حظه من الثقافة قد لا يزيد عن حظ طفل عمره ثلاث سنوات يقتل خصمه من أجل جذر من اللفت ويأكل العصفورة او الصرصور وهو حي يقتل زوجته اذا رآها آثرت نفسها عليه في ثمرة فجة او بضعة من لحم ، يخاف طول وقته يخشى الظلام والوحوش وينتفض من تهافت ورقة جافة أو من رؤية ثعبان أو قنفذ

وهذا الانسان هو أبونا الحقيقي ومنهُ ورثنا اكبر تراث ولشد ما نعاني الصعاب حين نريد ان نتخلص مما أورثنا هذا الهمجي القديم · فنحن كلنا نخاف ونعرف مع ذلك انهُ لا فائدة من الخوف في حياتنا الحاضرة وان اكبر ما يعين الطاغية على الطغيان هو عرفانه بهذا الاحساس الكارب الذي ينساب تحت الجلد قشعريرة مجنونة لا نعرف كيف نقفها · ثم هذه الجرائم التي ترتكب كل

يوم ليست في الواقع سوى غريزة هؤلاء الآباء قد طغت على ثقافتنا الحديثة . والغيظ او الحقد كلاهما يعمل في النفس عمل الخمر فتستيقظ كفاياتنا القديمة وتكبت كفاياتنا الجديدة . وكم تمر بنا ساعات تتذكر فيها اهانة لحقتنا من احد الناس فنرى يدنا تنقبض ونحن لا ندري ثم يجري خيالنا بالعصا الغليظة تنزل بها على ام رأسه ضرباً وخبطاً ونحن نصحب هذا الضرب باللعنات الاسمية ونشعر عندئذ بالراحة . والواقع اننا نستريح لاننا نرضي بهذا الخيال هذا الجد الهمجي القديم الذي يضمره كل منا في نفسه والذي نكبتهُ احياناً في يقظتنا فيتغفل عقلنا الواعي ويبدو خواطر لذيذة أو أحلاماً نرى فيها هذا الخصم مقهوراً أو مقتولاً . وقد مضى على الانسان نحو ٧٠٠٠ سنة وهو يعيش مجتمعاً له ثقافة الزراعة ولكنهُ لما يمح هذا العقل الهمجي القديم وليست الشرائع الا محاولات لمحوه أو كبته في نفوسنا

٣ ـ عقل الثقافة الحديثة

وعقل ثالث نطوي عليه نفوسنا هو ثقافة آبائنا منذ ان أخذوا يتحضرون بالزراعة في الآلاف القليلة من السنين الماضية وقبيل هذا التحضر بقليل حين عرفوا الصيد واجتمعوا يحتوشون الوحش وعرفوا شيئاً من البداوة التي وصلت ما بين المعيشة الهمجية الانفرادية والمعيشة الزراعية الراقية . وفي هذه المدة تثقف الانسان بأشياء عدة فعرف اللغة والكتابة والبناء والمحرمات في الزواج والامتلاك وعرف الحرب والصناعة والطبخ والخبز ثم نشأت له أديان ونبتت عليها آداب من شعر وقصص وأساطير . هذا هو عقل الحضارة القديمة ، عقل الادب

واذا قلت عقل الادب فانما اقصد به عقل الخواطر . فان الادب يختلف من العلم بأنه يجري مع الخواطر لانه عند التحليل لا يعدو ان يكون خيالات العقل الباطن تجري بلا تكلف أو عناء في قصيدة أو في قصة . ومن هنا نجد ان الكتب القديمة هي كتب آداب من اشعار وأساطير وليست كتب علوم . لان « هوميروس » صاحب الالياذة يسبق على الدوام « ارخميدس » صاحب المخترعات والآلات . وهذه قاعدة تجري على اطلاقها عند جميع الامم . وماذا نعرف نحن عن عرب الجاهلية سوى الاشعار وماذا نقرأ من مؤلفات المصريين القدماء سوى قصصهم وأساطيرهم

فالادب هو موضوع كتب الحضارات القديمة لانهُ ثمرة الخواطر السائبة التي لا يقفها نقد أو تعوقها مراجعة او يعتورها تحقيق

وكل قارىء لهذا السبب يحب الادب و يقرأه لانه كما أوضحنا آنفاً أقدم في عقل الانسان من العلم فالعقل الادبي يجب لذلك أن يسبق العقل العلمي . وتجارب الفرد هي صورة مصغرة لتجارب الامة . ولكن كما أن الكهل يعدو طور الغرام الملح الذي يغمر نفس الشاب و يشرع ينظر الى الحب نظر المصلحة العائلية كذلك العقل العلمي الذي هو عقل الثقافة الحديثة قد شرع يتغلب على العقل الادبي

ونحن في خواطرنا واحلامنا نؤلف القصص ونحن ايضاً في حبنا للطبيعة للحقول والجبال وللحروب وللوطنية والخطابة وابهة الملوكية ومفاخر المال والسطوة انما نفكر بعقولنا القديمة عقول هذه الحضارة البائدة ولذلك يلذ لنا أن تجري خواطرنا هاملة سائبة في هذه الاشياء كلها

٤ ــ عقل الثقافة الحديثة

عقل الثقافة الحديثة هو العقل الجديد عقل العلم والاختراع والاكتشاف . وانت عندما تريد ان تسكنه روح القرون الوسطى وتحب أن تعرف ماذا كان العقل الغالب في تفكير المفكرين في تلك القرون سواء في الشرق ام الغرب تجد ان هذا العقل انما كان يتهيأ للنهضة العلمية الحديثة ، فقد خرج من الادب الى المجادلات اللفظية التي تبدو لنا الآن عقيمة لا هي بالادب ولا هي بالعلم ولكنها كانت في الواقع تهيؤاً للتحقيق العلمي وخروجاً من الاستسلام لخواطر الثقافة القديمة . لان تلك المجادلات التي تجد بذرتها في ارسطوطاليس والتي تجدها ايضاً في كتب الغزالي وابن رشد وكتب اللاهوتيين من الاوربيين انما كانت شحذاً لهذا العقل الجديد الذي شرع يشرق على العالم يهجر الادب ويطلب العلم . وهذا التحقيق في الالفاظ والتعارف انما كان رياضة ابتدائية للتحقيق في الحقائق ذاتها على نحو تكون رياضة الجندي في ميدان ثكنته تهيؤاً للحرب في المعركة

فالعقل العلمي هو احد عقولنا الاربعة المضمرة في نفس كل منا وهو لذلك اقلها ثباتاً لم تضرب له عروق ولم تبسق له فروع في انفسنا . وكأس واحدة من الخمر تجعله يخمد في رءوسنا فليس منا من يمكنه ان يقرأ كتاباً علمياً في وصف آلة وهو منتش بعض الانتشاء . ولكن كأساً وكأسين لا تمنعاننا من قراءة القصص . اجل ولا من قراءة الشعر . بل لماذا اقول ? أليس عندنا شعراء الشعر وهم سكارى . وفي السكر تجري الخواطر سائبة هاملة فهل بعد ذلك نحتاج الى برهان لكي نقول لان الشعر والادب كله من الخواطر ?

ولكن يجب ان نمضي فنقول ان الانتشاء البسيط الذي لا يمنعنا من تلاوة الشعر وقرضه اذا استحال سكراً ثقيلاً جعلنا نعربد لانهُ يخرجنا من الثقافة القديمة الى همجية الجدود قبل اي ثقافة او حضارة فاذا اشتد السكر فنحن عندئذ لسنا همجاً فحسب بل حيوانات نفكر فيما يفكر فيه الحيوان فقط بل الحيوان الاعجم لان الخمر تقتل لساننا

وهذا كله يتسق وما قلناه آنفاً من ان نفس الانسان تنطوي على اربعة عقول احدثها العقل العلمي الذي يستقرىء ويستنتج ولا يعرف العاطفة ثم يليه عقل الثقافة القديمة عقل العواطف والشعر والادب والاساطير وامجاد الوطنية والحروب ثم يليه ما هو اقدم منه وهو العقل الهمجي وأخيراً نرى ارسخ عقولنا وأقدمها وأثبتها في نفوسنا وهو عقل الحيوان

سلامه موسى

استفتاء الهلال

«الكتب التي أفادتني»

ردود الكتاب والادباء

نكتفي في هذا العدد من الهلال بنشر رد العلامة الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي بدمشق . ونعيد نشر اسئلتنا فيما يلي :

١ ـ ما هو الكتاب أو الكتب التي طالعتموها في شبابكم فأفادتكم وكان لها أثر في حياتكم ؟

٢ ـ هل يكفي المطبوع الآن من الكتب العربية لتثقيف الناشئة أو لا غنى لها عن الالتجاء الى الكتب الغربية ؟

٣ ـ ما هي الكتب التي تنصحون لشبان اليوم بقراءتها غربية كانت أم غير غربية ؟

٤ ـ ما هو نوع التآليف الذي يفتقر اليه العالم العربي على الخصوص ـ والذي تودون ان يطرقه المؤلفون ؟

رد الاستاذ محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي بدمشق

السؤال الاول ـ طالعت ألوفاً من الكتب باللغات العربية والتركية والافرنسية ، فمن الصعب ان أعين الآن الكتاب الذي أثر في نفسي كل التأثير . بيد اني ما زلت كلما تلوت فصلاً من مقدمة تاريخ ابن خلدون أستطيبه ، وتجدني أمام فوائد كأنها لم تمر بي ، واعجب بهذا الابداع في الفكر ، وبكثرة مادة المؤلف واستحضارها عند الحاجة . ومن الكتب الحديثة التي وجهت قواي في الحياة وجهات لم أعرفها من قبل ، كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين لمعربه احمد فتحي زغلول باشا . وكان استاذي الشيخ طاهر الجزائرلي كثيراً ما يقول ، وقوله في الحكم على التآليف والمؤلفين حجة ، ان مقدمة المعرّب تماثل الكتاب الاصلي بمكانتها وربما فاقتها

السؤال الثاني ـ ما برحت أجيب ان اللغة العربية تامة أدواتها بآدابها ، وليس في اللغات ما يماثلها بكثرتها ، ولا سيما في الشريعة واللغة والشعر . واذا قسنا المؤلف والمترجم في العلوم والفنون بما عند امة من امم الحضارة الحديثة تجدنا ، على ما ظهر من ذلك في بلادنا منذ منتصف القرن الماضي فقراء مدقعين . فان بعض الموضوعات التي تعالجها صحفنا ومجلاتنا الكبرى تحتاج أن نفرد بالتأليف

وأن يتوسع فيها ، ومتى صرفت العناية الى ايجاد المفقود وتحسين الموجود لا يأتي ربع قرن حتى تكون خزائن اللغة العربية مليئة كاحدى اللغات الغربية الحية . ولذلك لا يستغني اليوم طالب علم ولا طالب مال ، عن تعلم لغة غربية كثيرة التداول لا سيا الافرنسية أو الانكليزية أو الالمانية ، يأخذ بواسطتها ما ينقصه من ضروب العلم ، وينفسح أمامه أفق البحث والدرس وينتقل الى عالم آخر غير عالمه يستفيد منه ما لا يجده عند قومه

السؤال الثالث ـ يحتاج الجواب عليه الى بسط ليأتي سديداً في الجملة ، وذلك بان يعين الفنّ الذي يراد الرجوع الى كتبه ، ومطالعة أمهاته وتخريج الشبان وتفقيههم فيه ، ومع هذا أرى أن يطالع الطالب اذا أحب علم الاخلاق والشريعة تفسير الكشاف للزمخشري ، والذريعة وتفصيل النشأتين للراغب الاصفهاني ، والجزء الثالث من الاحياء وفيصل التفرقة للغزالي ، ورسائل ابن تيمية واعلام الموقعين والسياسة الشرعية لابن قيم الجوزية ، وتهذيب الاخلاق والفوز الاصغر لابن مسكوية ، والخراج لابي يوسف الى ما ضارع هذا من كتب المجودين . واذا سمت همته الى مطالعة ما كتبه الفلاسفة في الاسلام فليقرأ ما طبع ، وهو قليل جداً ، من رسائل ابن رشد وابن سينا والفارابي والبيروني ويحيي بن علوي وعلي بن هندو . ومن المتصوفة ابن عربي وابن عطاء الله السكندري واحمد زروق وأمثالهم

ومتى أراد الادب فلا احسن مما اوحى به العلماء منذ القديم ، كالبيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وأمالي القالي . وخير ما يجعله المرء سميره وعشيره كتابات الجاحظ وابن المقفع . (راجع الطبعة الثانية من رسائل البلغاء التي نشرتها في مصر سنة ١٩١٣) واذا طلب البلاغة في أتم مظاهرها ، والفصاحة التي لم تشبها عجمة ، فعليك بنهج البلاغة ديوان خطب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ورسائله الى عماله (يرجع الى فصل الانشاء والمنشئين في كتابي القديم والحديث طبع بمصر سنة ١٩٢٥) وشرح استاذي الشيخ محمد عبده عليه واف بالغرض من حيث اللغة والادب ، أما شرح ابن أبي الحديد فلا يسع طالب العلم الا مدارسته على ما يرى استاذي الشيخ سليم البخاري ، فان فيه فصولاً ممتعة في أخبار الصدر الاول وما بعده ، وفي الادب والشعر والخطب لا يستغني عنها باحث مستفيد

ولا غنية عن مطالعة كبار المجودين من المنشئين ممن طبعت رسائلهم ، أمثال أبي اسحق الصابي وأبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني وأبي حيان التوحيدي والثعالبي وقابوس وابن الاثير والوطواط وطبقتهم كما لابد من النظر في بعض ما خطته أنامل المنشئين المحدثين ، أمثال محمد عبده وحفني ناصف واحمد فارس وشكيب ارسلان والمويلحيان (ابراهيم ومحمد) وابراهيم اليازجي وطه حسين والمنفلوطي والعقاد والمازني والزيات واضرابهم ممن ليسوا الآن على خاطري وكلهم ممن عادوا باللغة الى نضرتها الاولى فيما خاضوا عبابه من الموضوعات

واذا طمحت النفس الى تآليف كتبت على النسق الغربي ، وابحاث استمدت من العرب أو من الغرب فأخرجت للناس في قالب عصري ، فليرجع الى ما كتبه قاسم أمين · عبد الرحمن الكواكبي · احمد كمال · احمد زكي · احمد تيمور · يعقوب صروف · طاهر الجزائرلي · سليمان البستاني · بطرس البستاني · احمد لطفي السيد · انستاس الكرملي · فيليب حتي · لويس شيخو · محمود شكري الآلوسي · حسن حسني عبد الوهاب · محمد بن أبي شنب · رضا الشبيبي · علي عبد الرازق · احمد رضا · عيسى اسكندر المعلوف · رفيق العظم · احمد ضيف · محمد حسين هيكل · احمد حافظ عوض · سعيد الشرتوني · عبدالله البستاني · ابراهيم الحوراني · حسين الجسر · يوسف الاسير · عبد الهادي نجا الابياري · خليل ثابت · محمد مسعود · محمد رشيد رضا · عبد العزيز شاويش · داود بركات · محمد الخضري · محمد فريد وجدي · علي يوسف · عمر لطفي حسن توفيق · فرنسيس ميخائيل · جرجي زيدان · اسعاف النشاشيبي · أمين ريحاني · ملك ناصف · ماري زيادة · شبلي شميل · احمد الاسكندري · عبد الوهاب النجار · اسماعيل رأفت علي بهجت · سليم الجندي · احمد عيسى · طلعت حرب · اسعد الحكيم · محجوب ثابت · عارف النكدي · اسماعيل حسنين · نعوم شقير · منصور فهمي · عبد الله العفيفي · محمد لبيب البتانوني · محمد فريد · مصطفى صادق الرافعي · مصطفى عناني · ولي الدين يكن الى عشرات امثالهم ومنهم المكثر ومنهم المقل · ومن خير المؤلفين الاعاجم الذين عدوا بتآليفهم العربية في جملتنا جويدي ونلينو وبوست وفانديك وورتبات وبورتر وجلادرزا و كتبهم للتآليف التآليف الحسنة

أمثال هؤلاء المؤلفين والكتاب على اختلاف في درجات علمهم وكتابتهم وتنوع اخصائهم ، هم المجددون في أصول التأليف والمبدعون في المعاصرين . وقد اشتهر كثير من المجددين في النقل وفي مقدمتهم صالح مجدي . رفاعة الطهطاوي . يعقوب صروف · احمد فتحي زغلول . احمد حسن الزيات . ابراهيم مصوّر . فرح انطون . احمد لطفي السيد . محمد السباعي . نجيب شاهين . اسكندر شاهين . روحي الخالدي . فؤاد صروف . اميل زيدان . نقولا فياض . شفيق جبري . سامي القصيري . طانيوس عبده . خليل مطران . يوسف البستاني . يوسف الخازن . فيليب الخازن . فريد الخازن . سليم سركيس . نقولا رزق الله . احمد عيسى . نقولا حداد . نجيب حداد . امين حداد . عارف النكدي . خليل سعد . خليل سعادة . خليل زينية . اسعد خليل داغر . فارس نمر . محمد لطفي جمعة . سليم قبعين . عز الدين علم الدين . انطون جميل . اديب التقي . اسعد ملكي . رزق حداد . يوسف العيسى . بولس الخولي . توفيق اليازجي . محب الدين الخطيب . امين غريب . سعيد ابو جمرة . عادل جبر . جبران تويني . فوزي الغزي . عبد الرحمن شهبندر . فارس الخوري . شاكر الحنبلي . نزيه المؤيد . فوزي العظم . سلامة موسى . جرجي عطية . عبد الله مخلص . جميل مدوّر . نسيب مشعلاني . نجيب نصار . زكي مغامز . عبد الباسط

فتح الله . شكري العسلي . الى عشرات أمثالهم ممن لم يحظني الحظ بقراءة جميع ما عربوا ونقلوا. ومنهم من نقل عن الافرنسية أو عن الانكليزية ، وآخرون عن التركية وغيرهم من الروسية والالمانية . واذا أحب المولع بالمطالعة أن يروح عن نفسه بالشعر ، و يدخل في الخيال والحقائق ، و يلتمس الحكمة المشرقية ، فليقرأ شعر حافظ ابراهيم ومعروف الرصافي في الاجتماعيات ، فانهما من الاوائل في بابهما . وشعر المرحومين محمود سامي البارودي واسماعيل صبري في علا الطبقة والاجادة المطلقة وشعر احمد شوقي وعبد المحسن الكاظمي الغاية في السلاسة وجمال الخيال بين المعاصرين . وفي الشبان والكهول والشيوخ في مصر والشام والعراق وغيرها طبقة مبرزة في الشعر وحبذ الوئام أحد شعرائنا فاختار من قصائدهم ومقاطيعهم نموذجات صالحة على نحو ما فعل البارودي ونشر المختارات من شعراء عصر المدنية العربية فدل على ذوق بالغ ، وكما فعل في القديم ابو تمام والبحتري في حماستيهما . وقد طبعت دواوين كثير من شعراء الجاهلية والمخضرمين في بلادنا وفي أوربا أمثال دواوين الفرزدق والاخطل والهذليين وعنترة وحاتم والسموأل والنابغة وطرفة وزهير وعلقمة وامرىء القيس وعروة بن الورد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسلامة بن جندل والحادرة ولبيد والشنفرى وحسان وكعب والاعشى وابي محجة والخنساء والخرنق اخت طرفة وجرول بن ادس وكثير عزة وعمر بن ابي ربيعة والحطئي ومجنون ليلى وذي الرمة والنقائض والجمهرة والمفضليات والمعلقات . وليت أحد شعرائنا أيضاً يتوفر على اختيار بعض قصائد هؤلاء الجاهليين والمخضرمين الشرود بين الناس انتشاراً ويقرب على عامة الناس تناولها . ثم يعالج شاعر آخر قصائد الشعراء الذين قاموا بعد الطبقة التي اختار البارودي من شعرها ، فيأخذ من شعرهم الى منتصف القرن الماضي ، ايام طفق الشعر يهب من سباته ولبس حلته الجديدة ، وبذلك تتم مجاميع شعرائنا ، وشعرنا كثير والحاجة منه الى الاطايب

ومن تصدى لاقتناء كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات مما كتبه المتقدمون فليطالع الطبري واليعقوبي والمسعودي والدينوري وابن الاثير والمقدسي وابن جبير والهمذاني والبلاذري و ياقوت وابن خرداذبة والادريسي والقزويني والبكري وابن عذارى والبغدادي وابن قتيبة وابن مسكويه وابا شامة وابن شدادة وقدامة وابن حوقل والاصطخري والصفدي والذهبي والمقريزي . وجميع ما نشر لهؤلاء من السهل الممتنع جمعه الى لطافة الاسلوب والاجادة في التأليف ، وكثرة الفوائد التاريخية والجغرافية والاجتماعية والتي لم تكتب لغيرهم (راجع مصادر كتابي « خطط الشام » المطبوع في دمشق سنة ١٩٢٥ ــ ١٩٢٦)

ولاجل تراجم الرجال يعمد الى المطبوع منها ، مثل سيرة ابن هشام والطبقات الكبير لابن سعد وطبقات الادباء لياقوت ووفيات الاعيان لابن خلكان وذيله للكتبي وأخبار الحكماء للقفطي وطبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة والاحاطة للسان الدين بن الخطيب ونفح الطيب للمقري وقلائد

العقيان وذيله للفتح بن خاقان والانساب للسمعاني واليتيمة للثعالبي ونكت الهميان للصفدي وطبقات الشعراء للجمحي وتاريخ الوزراء لابي هلال الصابي وطبقات الامم لصاعد ٠ وهذه الطبقات للمتقدمين مثال الانشاء الفصيح والمادة المنسية

وتشتد حاجة كل عربي يحب التمكن من نفسه ان يقتني من الامهات كل ما طاب مثل أغاني الاصفهاني ونهاية الارب للنويري وصبح الاعشى للقلقشندي ومسالك الابصار لابن فضل الله العمري ورسائل اخوان الصفا والعقد الفريد لابن عبد ربه ومحاضرات الراغب ونشوار المحاضرة للتنوخي ٠ فان هذه الاسفار لا تستغني عنها خزانة كتب عربية ، كما لا مندوحة للبصر باللغة من إقتناء لسان العرب لابن منظور والمخصص لابن سيده والتاج للزبيدي واساس البلاغة والفائق للزمخشري والاشتقاق لابن دريد وامثالها من الكتب الممتعة في اللغة

السؤال الرابع ـ لا جدال في ان النقص في التآليف العربية ما زال محسوساً من حيث الصناعات والاقتصاديات والاجتماعيات والسياسيات والفلسفيات والفنون الجميلة والعلوم الطبيعية ووصف الامم والممالك ٠ فان بضعة كتب في احد هذه الفروع وبعضها من ضعف التأليف على جانب ، لا تبل صدى المتعطش لاتقانها ٠ ومن اهم ما ينقصنا رسائل بسيطة العبارة معربتها ، تنير افكار عامة العملة من الصناع والفلاحين والباعة ، بعبارات يفهمونها وتنقى بها رؤوسهم من الخرافات ، يتعلمون بها جوهر الدين واساليب المدنية والتربية ويلقنون الاخلاق الصالحة والعادات النافعة ، وحب النظام ومبادىء الصحة والقوانين والاقتصاد وتدبير المنزل والحقل ، وبعض الفوائد المادية التي يمكنهم تطبيقها على ايسر وجه ، يتلون هذه الرسائل كما تتلى صحيفة اخبار او افكوهة ٠ والاولى ان يتولى تأليف هذه الرسائل نخبة من العلماء الذين عانوا التدريس زمناً ممن يعرفون ابلاغ المعارف الى الاذهان ، وتباع باثمان بخسة او توزعها الحكومات مجاناً ، وبذلك تختصر مسافة الخلف المحسوسة الآن بين العامة ومن نسميهم بالخاصة من الدارسين ٠ وهذا المطلب الشريف لا تقوم به فيما ارى غير مصر سيدة النهضة العربية وامها البرة ٠ وينبغي أن تكون لغة هذه الرسائل ابسط من عبارة نزهة القارىء للاسكندري واسرار النجاح لصروف والدروس التهذيبية لفوزي ومسرات الحياة للوبوك وآداب العرب لابراهيم العرب ووسائل النجاح لمسعود ليتفهمها العامي ولا يتبرم بها كل من عرف القراءة البسيطة ويلزم للمجتمع العربي عشرات من الكتب مثلاً توضع في كل مملكة من ممالك الارض كاليابان والصين والهند وبخارى والافغان وبلوجستان وجاوة وجزيرة العرب والعراق والشام ومصر وبلاد المغرب الادنى والاوسط والاقصى وبرقة والسودان والكونغو والترنسفال والحبشة وفرنسا واسبانيا والبرتغال والمانيا وبريطانيا وايرلاندة وايطاليا والنمسا والمجر والتشكوسلوفاكيا واليوغوسلافيا وسويسرا وبلجيكا وفنلندا والدانيمرك والسويد والنرويج وهولاندة ورومانيا واوكرانيا وروسيا واليونان وبلغاريا والولايات المتحدة وكندا وجمهوريات اميركا الجنوبية

ولا سيا ، البرازيل والارجنتين واوستراليا وغيرها من الممالك فان وصف هذه الشعوب ومعايشهم واقتصادياتهم ومسر ترقيتهم وتدليهم ، يدخل الى بلادنا روحاً جديداً ، وقد نستفيد منه علماً ينفعنا في قيام امرنا وتحسين اقتصادياتنا وترويج صناعاتنا (راجع كتابي غرائب الغرب المطبوع في مصر سنة ١٩٢٣ ففيه فصول عن عشر ممالك من ممالك اوربا)

ولا بد لمن يعاني تأليف اسفار في شعوب الارض ان يصرف أشهراً على الاقل في البلد الذي يحاول وصفه . الاولى أن يتعلم لغة أهله لئلا يكون مقلداً في أكثر مما يكتب . لا جرم ان القارىء تلذه مثل هذه الكتب اكثر مما يلتذ بهذه الروايات المترجمة الثقيلة التي كتبت لامة لها غير اخلاقنا وعاداتنا ومجتمعنا وادبنا وعقليتنا . واقرب الطرق للحصول علي هذه الاسفار ان تفرض الجامعة المصرية على كل متخرج في الآداب ، وضع أطروحته في مملكة من هذه الممالك . ولا تقبل الا اذا كانت محودة اجادة الدكتور طه حسين في أطروحته « ذكرى أبي العلاء » ولا يصعب على كل متعلم التعليم العالي أن يعطي من علمه صدقته وجازته ، بل شهادته واجازته المؤذنة بحسن حاله وكفاءته ، ولا يتعذر على كل صاحب صنعة أن يكتب اذا صحت عزيمته صفحات قليلة في موضوعه

ثم ان العرب ما زالوا مقصرين في حلبة القصص التمثيلية لتقصيرهم في وضع القصص والروايات . والواجب ان تكون الا قليلاً من تأليف ابنائنا مثل روايات جرجي زيدان . نجيب حداد . امين حداد . محمد تيمور . شبلي ملاط . محمود تيمور . اسعد الحكيم واضرابهم ممن جمعوا في رواياتهم الى جودة الفكر ادباً جماً . نعم اننا مقصرون في تأليف الروايات التمثيلية اكثر من جميع الامم المتمدينة فيما احسب وحاجتنا شديدة الى قصص اجتماعية اصلاحية تهذيبية منقحة على مثال الغربيين ولكن لا بالكثرة التي صارت اليها عندهم بحيث كادت تنسى كل ما يقال له ادب

وبعد فقد كان احد اساتذتنا يقول « لا يغني كتاب عن كتاب » بمعنى ان لكل سفر ميزته الخاصة ، ويقدر هذا في الاكثر من يعاني التأليف ، والكتاب الواحد قد لا يغني الغناء المطلوب مهما كان . واسعد الايام على الآداب والعلوم يوم تنشر للامة في كل فن ومطلب مَعلمة او دائرة معارف ، توفر للناس وقتهم وتسهل عليهم تناول ما ينير العقول من اقرب الطرق ، فان المطالب في التأليف لتنوع بتنوع الحضارة ، ومطالب الحياة لا تمكن كل انسان من اقتناء الكتب الكثيرة ومدارستها ، ولا انصح لطالب علم ان يجحد على القديم من الكتب ، ولا ان يقتصر على الحديث منها فمن لا قديم له لا جديد له ، والواجب التميز بين مشاهير المؤلفين اكثر من الاغترار باقتناء الكتب من العناوين

محمد كرد علي

كيف تدخر قوتك لعملك

هذه نصائح يجب أن تنقشها في صدرك

قليل من الناس من يعمل فوق طاقته حتى يستنفد قواه ويعجز عن متابعة سيره في عمله . وانما الكثير منهم من يعجز عن العمل لا لانهُ استنفد فيه قوته بل لانهُ لا يباشره على الوجه الملائم والخطة المثلى . فان أعصاب الانسان آلة دقيقة اذا شحذت للعمل ووضعت على الوجه المناسب جرت شوطاً بعيداً جداً في تأدية الاعمال وانجاحها . واذا هي دُفع بها دفعاً عنيفاً بلا رفق فان أخف الاعمال وأهونها يبدو عندئذ شاقاً مؤلماً . وقد كتب الاستاذ فردريك بوك مقالاً نفيساً عن سياسة الاعصاب بحيث تكون وفق ما يريده صاحبها منها من حيث تحقيق النجاح الذي ينشده واستسهال مشقات العمل ، رأينا تلخيصه لقرائنا

وقد وضع عشر قواعد ينبغي مراعاتها ومهد لهـا بأشياء جديرة بالنظر . فقد ضرب مثلاً بصبية كان عمرها عشر سنوات لم تكن تستطيع ان تعقل شيئاً من الحساب او الهجاء . فكان المعلم يشكو عجزها وأمها تؤنبها والصبية في تعس مستمر لا ينقطع . ووجد الاستاذ فردريك بوك ان هذه الصبية قد اعتادت الفشل عادة ووثقت من نفسها بالعجز ثقة عمياء لا تستطيع تبديلها فكانت تعتقد انها غير قادرة على ادراك أبسط الاشياء وهـذا الاعتقاد يحول دون استذكار أي شيء مما تحفظه . وكان السبيل الى علاجها تعويدها عادات النجاح فقد فرض الاستاذ بوك عليها واجبات بسيطة بل غاية في البساطة فلما أدتها توهمت في نفسها القدرة فكانت تجتاز بالواجبات الاخرى بخفة وسهولة عجبت هي نفسها منها حتى ادركت زميلاتها في الفرقة وفاقتهن

وضرب مثلاً بصبي ساءت صحته واعتل وبانت على وجهه أمارات الجهد المضني فلما لام أبويه على اجهادهما هذا الصبي أخبراه بأنهُ لا يعمل شيئاً وكل ما يطلب منهُ ان يحمل دلواً من الماء من جدول غير بعيد . وانهما يكلفانه هذا العمل للرياضة لا للمنفعة . ولكن تبين له ان الصبي يكره حمل هذا الدلو ويقضي فراغهُ في التفكير في تأدية هذا الواجب الثقيل وقد صار هذا التفكير هماً مضنياً يجتره طول النهار ويستنفد قواه . فلما تحقق الاستاذ بوك ذلك منهُ عمد الى اعمال اخرى تتفق ورغبة الصبي فكلفهُ بها فعادت صحته الى التحسن ونشط لها

ومن هذين المثالين يتضح للقارىء مبدءان للنجاح : أولهما اننا يجب ان نتعود النجاح عادة فنبدأ بالاعمال السهلة ونتدرج منها الى الصعبة فتبقى الثقة في نفوسنا تشجعنا وتؤنسنا . والثاني ألا نعمل عملاً نكرهه لاننا عندئذ نقيم في انفسنا صراعاً بين الهوى والواجب . وهذا الصراع يستنفد

مقداراً كبيراً من قوة اعصابنا حتى ان جهد ساعة يقوم مقام جهد اليوم الكامل فنعيا من العمل البسيط بل نمرض منهُ . وذلك لان هذا الصراع يغرس في النفس همّاً دائماً يجعلنا متعبين مجهودين حتى ونحن في فراغنا لا نعمل ولا نجد

على هذين المبدأين وضع الاستاذ بوك عشر قواعد لادخار قوانا وعدم بعثرتها ولتحقيق النجاح الذي ننشده . واليك هذه القواعد بالتفصيل :

١ — يجب ان تعرف حدود طاقتك

ان لكل منا طاقة لا يستطيع ان يعدوها واذا هو فعل أجهد اعصابه فتبلى بسرعة . فقد عملت مثلاً تجارب عن مقدار ما يمكن الانسان ان يبقى بلا نوم . فقدر البعض على ٧٢ ساعة من اليقظة المستمرة وقدر آخرون على ٩٠ ساعة . وكانوا في خلال هذه الساعات يكلفون بأعمال مختلفة فوجد انهم كلما قاربوا نهاية يقظتهم نقصت كفايتهم واحتاجوا الى منبهات قوية لكي لا يشطح ذهنهم عما كلفوا به . وأخيراً ينتهون الى وقت لا تنفع فيه البتة جميع المنبهات . ولكل انسان منا طاقة على العمل فيجب ان يعرف حدودها لا يعدوها . وليس الاحساس بالتعب هو حد هذه الطاقة لانهُ قد يكون تعباً كاذباً فاذاً يجب على كل منا ان يجرب مع نفسه التجارب ليرى حدود طاقته وفي أي وقت ينبغي له ان يكف عن العمل

٢ — تجنب التعب المفرط

يحدث أحياناً أننا اذا حز بنا العمل نجهد انفسنا جهداً مفرطاً حتى نعيا ثم ينشط ذهننا فجأة ونشعر كأن قوانا قد تجددت فنعود نوبة أخرى الى العمل ونؤديه على امثل وجه . وهذا التجدد دليل على أن في اعصابنا قوة تدخر ولكن يجب ان تدخر للازمات لا لتأدية الاعمال العادية . فقد حكى أحد الشرطة الذين خدموا قيصر روسيا ان الثائرين قبضوا عليه وربطوه بقضبان السكة الحديدية ينتظر مجيء القطار ويراه بعينه حتى يقطعه اشلاء . وبقي ساعتين وهو يحاول قطع الحبال التي تربطه فلم يقدر . وأخيراً عند ما اعياه الجهد احس بهدير القطار يقترب منه . فانتفض انتفاضة اليأس وهو يرى القاطرة تطوي الارض نحوه فقطع حباله ونجا . ولكنه بقي بعد ذلك نحو ستة أشهر لا يستطيع مغادرة فراشه مع انه لم يجرح ولم يحدث أي خلل ظاهر في جسمه . وحدث ان المستر فسندن وزير المالية في الولايات المتحدة وقع على ١٢٧٠٠٠ صك في ثلاثة أيام لم ينم فيها ولكنه خرج من هذا العمل ولم يعد اليه فانه بقي طول حياته وهو حطامة انسان لا يستطيع القيام بأي عمل

فمن هذين المثالين نعرف أن في اعصابنا قوى مدخرة ولكن يجب أن نحذر من مساسها الا في الازمات الشديدة · وخير لك ألا تمسها البتة بل تقنع بحدود طاقتك العادية فاذا احسست هذا التنبه الشديد يعقب الاجهاد المفرط فاعلم انه شبيه بسكرات الموت وانك قد كلفت أعصابك فوق طاقتها حتى اوهمتها بخطر عظيم انتفضت له انتفاضة كبيرة كلفتها شيئاً كبيراً من مدخرها

٣ ـ تعود المناوبة بين الراحة والعمل في أوقات قصيرة

خير لك ان تعمل ساعة وتستريح ساعة من ان تعمل يوما كاملا وتستريح في عقبه يوما كاملا فالمدة في كلا الراحتين والعملين واحدة ولكن الراحة في المناوبة الاولى ادعى الى تجديد الذهن والنشاط من المناوبة بالطريقة الثانية · وقد اثبت تايلور ان الحمالين المكلفين بنقل الحديد من المناجم يجيدون الحمل اذا عملوا نحو ٢٠ دقيقة وارتاحوا مثلها فلا يعملون سوى نصف النهار · ويحسن بمن كان عمله ذهنياً في مكتبه مثلا ان يناوب بين العمل والراحة · كأن يقوم كل ساعتين من مكتبه فيقعد على كرسي بعيد عنه ويتناول فنجانا من القهوة ويقرأ في صحيفة مثلا أو يعمل أي عمل آخر يخالف عمله ويبقى كذلك نحو ١٠ دقائق ثم يعود الى عمله · وقد وجدت جميع المصانع فائدة الراحة للعمال فصارت تخصص غرفاً للقراءة والمحادثة وتناول المنبهات وصار بعضها لا يكلف العامل من العمل اكثر من ساعتين يستريح بعدها ١٠ دقائق ثم يعود الى نوبة أخرى من العمل

٤ ـ وقت اعمالك وأدها في وقتها

توقيت الاعمال يجعلها ميكانيكية تجري كما تجري الآلة فلا تكلف الذهن تفكيراً أو تهيؤاً · فكلنا مثلا يستسهل نزع ملابسه ووضعها مع انه لو كان يفكر في هذه الاعمال لاضناه التفكير وانما هي سهلة لانها أصبحت عادة تمارس بلا وعي يؤديها الانسان وهو غائب الذهن · فاذا حددنا توقيتاً لاعمالنا وادينا كل شيء في وقته باتت اعمالنا ميكانيكية لا تكلفنا تهيؤاً مسابقاً وتفكيراً مقدماً وهذا التهيؤ والتفكير كلاهما يقوم في الذهن مقام الهم الذي يضني الاعصاب وأحيانا يدعونا هذا التفكير الى التسويف فيتراكم العمل ويزداد الهم وتتبعثر قوانا فيما لا فائدة منه . فمن الاقتصاد في قوتنا العصبية ان نوقت لكل عمل وقته نؤديه فيه بلا تسويف وبلا تفكير سابق

٥ ـ عين لنفسك غاية

اذا انت خرجت من بيتك بلا غاية معينة رأيت نفسك تعتسف في الطريق وتصطدم بالناس وتقطع في عشر دقائق ما كنت تقطعه في خمس لو كانت لك غاية معينة وقصد تنتهي اليه · وهكذا الحال في عملك · اذا كنت تسير فيه بلا غاية ترمي اليها فانت تتسكع وتسير في هذه

الدنيا كأنك حطامة السيل يحملها التيار الى أية ناحية يتجه • وعلى ذلك يجب أن تكون لك غاية ومرمى ترمي اليه من عملك الراهن • وهذا المرمى يوفر عليك تشتت كفايتك و بعثرتها و يقربك من غايتك • فاذا كانت غايتك الثروة رأيت نفسك تدخر من حيث لا تدري • واذا كانت غايتك وجاهة المظهر أو التبريز في أية حرفة رأيت عقلك الباطن يعمل لهذه الغاية و يوجه جهودك اليها • ومما يزيدك قوة ان تدون غايتك وتدون السبل الموصلة اليها وتشرحها لنفسك فان هذا يعينك على توضيح أفكارك و يجعلك تقف كل عام على مبلغ ما قطعت من الطريق اليها

٦ ــ يجب أن تهتم بعملك

وأول درجات هذا الاهتمام أن تختار عملاً تهواه أو قريباً مما تهواه أو سبيلاً الى ما تهواه • فقد تتخذ المحاماة مثلا حرفة وأنت تكرهها وقد تجد انك لا مندوحة لك عن ممارستها لانك لا تعرف غيرها • وقد تكون غايتك الثراء • فلا باس اذن من أن توضح لنفسك أن غايتك من المحاماة هي الثروة فتنشط فيها لانها السبيل الى هذه الغاية • فقد حدث أن صبياً كان يكره اللغة اللاتينية وكانت كراهته هذه علة تعجزه عن حفظها • فلما عرضت حالته على الاستاذ بوك وجد من مناقشته الصبي أنه يرغب أشد الرغبة في أن يكون طبيباً فكلفه أن يذهب الى صيدلية قريبة و ينقل منها اسماء عشرين عقاراً ثم كلفه بعد ذلك أن يذهب لاحد اصدقائه من الاطباء لكي ينقل من أحد الكتب اسماء عشرين مرضاً • ففعل الصبي ذلك في حماسة ونشاط ولكنه عندما سئل عن أسماء العقاقير والامراض لم يفقه معناها • فاوضح له الاستاذ بوك انه يمكن ان يفهم هذه الاسماء اذا درس اللاتينية • فاقبل الصبي على درس هذه اللغة المكروهة وأحبها وتعلق بها لانها باتت سبيلا الى غايته . وحدث أن احد اصحاب المصانع في شيكاغو اخبر عماله انهم اذا اتموا في خمسة أيام ما يعملون في خمسة ايام ونصف يوم فانه يعطيهم اجرة هذا النصف • فنشط العمال واتموا عملهم على الوجه المطلوب • فعبرة ذلك أن تجد لك سبباً يجعلك تتحمس لعملك وتتهم لنجاحه

٧ ــ اجعل الاتقان عادتك

اذا عملت عملاً فانصب عليه بكليتك ولا ترض لنفسك نصف المكافأة • فانما النجاح من نصيب التدقيق • وكل عمل مهما كان نوعه جدير بالتدقيق فالناجحون في هذه الدنيا لا يخترعون شيئاً وانما يتقنون عملاً لا يتقنه سواهم • وليس شيء يمتاز به جراح شهير ذائع الصيت على جراح عادي سوى الاتقان فانه يدقق في أشياء تحسبها انت عندما تنظر فيها لاول وهلة انها نوع من الهوس قد اصيب به هذا الجراح . فهو مثلا قبل العملية الجراحية يتناول جميع الآلات ويجربها في الهواء واحيانا يمثل العملية تمثيلا تاما كأنه يؤدي امتحاناً • وكل هذا دليل على انه يعرف

للاتقان قيمته لان المريض قد يموت باهمال اهون الاشياء واصغرها قيمة . وقد رأينا دهاناً يدهن الحيطان فكان يصبغ الحائط بنحو خمسة اصباغ الواحد فوق الآخر وفي كل مرة يتأنق في عمله مع انه يعرف انه سيعود و يطلي الحائط طلاء آخر . وانما كان يعرف ان الاتقان يتضح في النهاية

٨ – لا تكتم تعبك وتصبر على المضض

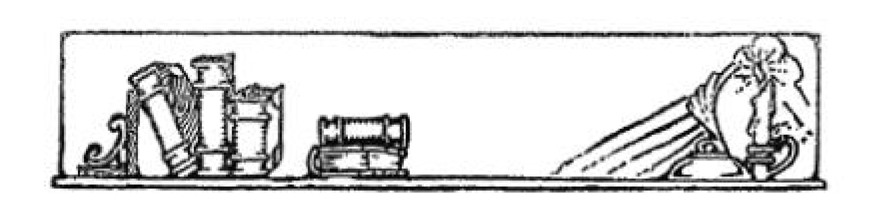
اذا كان نظام عملك يتعبك فلا تكتم ذلك ولا تستمر على مقاساة هذا التعب بل اعمد الى طريقة حاسمة لتخفيف هذا التعب او ازالته . واذا كان في بيتك ضوضاء لا تطيقها فاعمد الى طريقة للتخلص منها . لان مداومتك على مكابدة هذه المتاعب أن يستمر فانك قد تجد نفسك انك قد عجزت فجأة عن متابعة سيرك . ولا تظن انك تروض نفسك على هذه المتاعب فانها لا ترتاض على ما يخالف هواها . وقد كانوا يقولون قديماً ان مخالفة الهوى تأديب للنفس ولكن الواقع ان النجاح والراحة والسعادة كلها في مطاوعة النفس على ما تهوى . وان الارادة انما تقوى بمطاوعة النفس في مشتهياتها العليا لا بمخالفتها

٩ – تعود النجاح

وانما تتعوده اذا بدأت باشياء سهلة تتيسر لك ثم تتدرج منها الى الصعب . ومعروف بين الذين يربون الخيل للسباق أو الكلاب للمصارعة انه يجب عليهم ان يعودوا الحيوان النجاح حتى يمتلىء ثقة بنفسه . فالفرس لا يسابق لاول مرة فرساً أسبق منه لانه لو فعل به ذلك اعتاد الفشل ولا يعود يؤلمه التأخر عن رفيقه . واذا اعتاد الكلب الفرار فلا أمل له بالثبات بعد في أية مصارعة . والانسان كالحيوان في ذلك يجب ان يربى على الثقة بنفسه واعتياد النجاح بالتدرج من العمل السهل الى العمل الصعب

١٠ – رأس النجاح الرغبة

وآخر ما يقال في النجاح انك اذا رغبت في شيء تمام الرغبة ولم يكن هذا الشيء من المستحيلات الطبيعية فانك لابد محقق رغبتك



الفؤاد المقسم Le cœur partagé

قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي لوسيان بيسنار (Lucien Besnard)

تلخيص وتعليق : الدكتور طه حسين

هي قصة جديدة شهدها جمهور الباريسيين في بيت موليير آخر العام الماضي . ولعلها خير ما ظهر للناس في هذا الفصل من فصول التمثيل . وآية ذلك انها ظهرت لاول مرة في بيت موليير (الكوميدي فرنسيز) ولم تحتج الى أن تتخذ اليه الطرق المعوجة او المستقيمة التي تتخذها قصص اخرى فتظهر في ملاعب مختلفة ولا تصل الى بيت موليير حتى يمضي عليها زمن طويل او قصير.

وانت لا تحتاج الى كثير من التفكير بل لا تحتاج الى شيء من التفكير اذا قرأت هذه القصة لتشعر شعوراً قوياً واضحاً بأنها خليقة ببيت موليير ، ففيها كل ما يلائم هذا البيت من شدة الاسر وقوة الفكر وهذا الجد الذي يلذك دون أن يثقل عليك والذي تمتاز به الآثار الفرنسية القيمة . ولعل من الحق ايضاً أن الاحظ اني لم اقرأ في هذه الاعوام الاخيرة قصة حديثة احدثت في نفسي من الاثر ما احدثته هذه القصة ، لا استثني الا ما يكتبه « فرانسوا دي كوريل » من حين الى حين . فلست أقول شيئاً جديداً ان قلت ان النقاد الفرنسيين يلاحظون ان فن التمثيل قد أصابه شيء من الفتور غير قليل في هذه الايام ، فقلما تجد في عشرات القصص التي ينتجها الكتاب في كل عام بل في كل فصل قصة تملك عليك عواطفك وتأخذ عليك طرق الحياة والتفكير وتكرهك على ان تقف عليها وحدها حياتك العقلية والشعورية أثناء قراءتها في مكتبك او مشاهدتها في الملعب ، انما هي قصص سهلة يسيرة فيها عبث ولهو او فيها تفكير غير متقن وحوار خفيف لذيذ يمس الموضوعات في غير اثقال ولا أناة ولا اعتصار لخلاصتها ، فأنت تقرأ او تشهد هذه القصص وانت تجد في هذا شيئاً من اللهو والفكاهة او تحتاج الى شيء من التفكير لا تلبث ان تنصرف عنه متى انصرفت عن القصة ، وانت لا تكاد تنصرف عنها حتى تنسى موضوعها وحوارها وأشخاصها وحتى ليحدثك في امرها محدث بعد أن يمضي على ذلك شهر او بعض شهر فاذا أنت لا تكاد تذكر منها شيئاً . فأما هذه القصص التي نقرأها فاذا انت تحفظ بعض حوارها حفظاً واذا أشخاصها كلهم او بعضهم قد ارتسموا في نفسك ارتساماً ، فأنت تراهم يقظان وانت تتوهمهم نائماً واذا موضوعها قد نصب امام عقلك نصباً وأقسم لا يزول ولا ينتقل حتى تفكر فيه تفكيراً متصلاً وحتى تجد له حلاً يلائم عقلك وهواك . هذه القصص قد بعد العهد بها منذ مات « بول هرفيو » وانصرف كبار الكتاب الى مجدهم يلهون به ويستمتعون بثمراته كما يلهو اله ارستطاليس لانه لا يعلم الا نفسه ولا يعجب الا بنفسه

حتى بعض الكتّاب الذين عرفوا قبل الحرب بالقوة والايد وشدة التأثير في نفوس النظارة والقراء والذين لم ينصرفوا الى مجدهم وانما ظلوا عمالاً لفن التمثيل يجدون فيه بعد الحرب كما كانوا يجدون قبل الحرب واثناءها ، قد اصابهم الضعف وادركهم الفتور ، فأنت تقرأ ما يكتبون الآن فلا تحس ما كنت تحس من قبل ، بل انت تنكر هؤلاء الكتاب انكاراً وان كان النقاد قد مهدوا لقصصهم بالفصول الطوال ملؤها الثناء والتقريظ اللذان لا حدَّ لهما ، ويكفي ان تنظر الى ما يكتبه « برنستين » الآن وما كان يكتبه قبل الحرب لتقتنع بان هذه الظاهرة حقيقة لا بد من ملاحظتها والتماس اسبابها للذين يعنون بهذا الفن من فنون الادب الفرنسي . ولكني لن أضيع وقتك ووقتي في التماس العلل لهذا الفتور الذي طرأ على كتاب التمثيل فان هذا الفتور ليس مقصوراً على التمثيل وحده وانما هو يتناول الادب الفرنسي كله بعد الحرب ويجب ان تلتمس علله في الحرب نفسها وما تركت في نفس هذا الجيل من اثر . انما اردت ان ألاحظ ان هذه القصة التي اعني بها اليوم تمتاز من هذه القصص الكثيرة التي تظهر وتختفي من ملاهي باريس دون ان تترك اثراً قوياً او ضعيفاً . هذه القصة خليقة بالبقاء وستبقى وما ارى الا انها ستعمر طويلاً لانها (كما قلت) قد جمعت هذه الخصال التي تمتاز بها الآثار الادبية الفرنسية القيمة

ولننظر قبل كل شيء الى موضوع القصة فليس هو من هذه الموضوعات الضخمة الفخمة التي تخلبك لما لها من ضخامة وعظم شأن ، وليس هو من هذه الموضوعات النفسية الدقيقة التي تسرف في الدقة حتى لا يلاحظها الا علماء النفس والذين وقفوا أنفسهم على تحليل ما لبعض الناس من الوان العواطف والشعور الخاصة التي تدرس في المستشفيات ، انما هو موضوع عادي في نفسه يراه كل انسان ويحسه ويشعر بآثاره ، لا يحتاج من ذلك الا الى حظ عادي من الذكاء والملاحظة ودقة الحس ، وأي انسان لا يعرف ان كل امرأة ، مهما تكن ، مقسمة النفس بين اسرتها الجديدة واسرتها القديمة ؟ أي الناس لا يعرف ان كل امرأة تتعرض لهذه الازمة ازمة الخصومة بين حياتها الزوجية وحياتها المنزلية الاولى ؟ ثم اي الناس لا يعرف ان كل اسرة تتأسس فهي انما تتأسس على الانقاض وهي انما تقطع شيئاً كان متصلاً لتصل شيئاً كان مقطوعاً ، فالفتاة حين تدخل في اسرتها الجديدة تقطع الصلة بين ابويها قطعاً صريحاً او غير صريح وتنشىء صلة جديدة مع زوجها وهذه الصلة يقويها الحب ان كان هناك حب ، ثم تقويها الحياة اليومية ، ثم يقويها الولد يوم يأتي الولد ، وقد ارادت الطبيعة الانسانية ان يكون الحب والمنفعة المشتركة بين الزوجين ، والولد وضعفه وحاجته الى التربية والتعليم . ثم من الاثرة التي فطرنا عليها عناصر من شأنها أن تقوي الصلة الجديدة وتهوّن على الرجل والمرأة احتمال « عملية البتر » التي يحدثها الزواج بينهما وبين ابويهما . ولكن نفوس الناس جميعاً ليست مستوية الحظ من هذا الاحتمال ، وظروف الناس جميعاً ليست متشابهة ، فقد يوجد الحب ويكون من القوة والشدة بحيث يلهي الزوجين عن قديمهما ويعينهما

في الجديد ، وقد يكون هذا الحب قوياً شديد التأثير ولكنه يصادف مزاجاً قوياً وفياً يستطيع ان يتسع للقديم والجديد وان يزعم الوفاء للاسرة والزوج ، وقد لا يوجد الحب إصلاً فيظل الزوجان متأثرين بقديمهما وتكون الخصومة بين هذا القديم وبين المنفعة الجديدة التي تستتبعها الحياة الزوجية

ونحن لم نفكر الى الآن في الزوجين، فاذا فكرنا في اسرتيهما فسنرى ان هاتين الاسرتين لا تقبلان في رضا واطمئنان هذه القطيعة التي يحدثها الزواج بينهما وبين ابنائهما ، فاما اسرة الزوج فساخطة اشد السخط متألمة اشد الالم ذاكرة ما بذلت من جهد وما احتملت من تضحية في تربية ابنها وتنشيئه حتى اذا استقام له كل شيء لم يجز ابويه الا بالعقوق واذا هو يؤثر عليهما امرأته واذا هو لا يحس او لا يكاد يحس ما بينه وبينهما من صلة وما يعطفهما عليه من عاطفة . واما اسرة الزوجة فساخطة اشد السخط على هذا الزوج نفسه لانه قد اخذ ابنتها من ناحية فقطع الصلة بين الابوين وبين هذه الفتاة التي بذلا في سبيلها ما بذلا من جهد واحتملا في سبيلها ما احتملا من تضحية . ثم هو لا يقطع هذه الصلة فحسب ولكنه لا يزال يحب اسرته ويعطف على امه واذن فهو لا يحب امرأته كما ينبغي ! واذن فهو متصل باسرته القديمة اكثر مما هو متصل باسرته الجديدة !

كل هذه المعاني معروفة شائعة يحسها الناس جميعاً وهي من الآلام الطبيعية التي تقوم عليها حياتنا الاجتماعية مهما تختلف الازمنة والامكنة ، وقد يكون من ألذ المباحث الادبية التماس ما تركت هذه الخصومة بين الاسرة الجديدة والاسرة القديمة من الآثار الادبية شعراً ونثراً في مختلف اللغات

والمعروف ان المرأة أشد اتصالا باسرتها وأكثر وفاء لابويها واحفظ للمودة من الرجل وانها في الوقت نفسه شديدة الغيرة من اسرة زوجها تخاصم امه خصاماً شديداً وما تزال جادة في هذا الخصام حتى تنتهي الى الفوز وتظفر لاسرتها الجديدة بالاستقلال . ولكنها لا تحاول او لا تكاد تحاول تحقيق هذا الاستقلال بالقياس الى اسرتها هي ، فالصلة بينها وبين ابويها قوية والمودة متصلة وهي تظهرهما من امرها على كل شيء وتستشيرهما في كل شيء . وزوجها يرضى حيناً ويسخط حيناً ويظهر الغفلة حيناً وينتهي دائماً الى الاذعان

وقد اختار كاتبنا من كل هذه المعاني ومن كل هؤلاء الاشخاص المنبثين في الارض كلها طائفة ضيقة صغيرة عرضها علينا في قوة ومتانة ودقة تفكير وشيء من التعقيد جديد ما كنا ننتظره نحن ولكنه رفع القصة من مستوى القصص العادية كما يقولون الى مستوى القصص الممتازة بدقة البحث عن عواطف النفس واهوائها . ذلك ان الكاتب محا اسرة الزوج محواً تاماً، فنحن لا نعرف أباه ولا امه وانما نعرفه هو وحده ونعرفه قوياً له من الارادة حظ عظيم جداً شديد السلطان على نفسه راغب في التسلط على غيره موفق في ذلك توفيقاً عظيماً ، وهو في الوقت نفسه هادىء المزاج حاد العاطفة ، هادىء في حياته العادية قلما يظهر عليه الاضطراب او الغضب ولكنه حاد العاطفة

يحب فلا يستطيع ان ينظم حبه ولا أن يضبطه ويريد فلا يستطيع ان يضعف ارادته ويحولها عن وجهها ، وتقع الخصومة بين حبه وارادته فيندفع في الحب الى اقصاه وفي الارادة الى اقصاها ولا يستطيع ان يغلب احدهما على الآخر فيظل موضوع النزاع العنيف بينهما ولو ان تعنى الظروف بانقاذه لذهب ضحية هذا النزاع . وهو الى هذا كله عالم طبيب يعني بطبه عناية العلماء في المعمل منصرف الى تجاربه محاول ان يستكشف من هذا العلم ما يغير وجه البحث عنه وطرق العلاج فيه ، وهو قوي في علمه قوته في حبه وفي ارادته فهو عبد لهذه الاشياء الثلاثة : الحب والعلم والارادة . هذا الزوج هو « بيير ريجو » (Pierre Rigaud)

أما امرأته « فريدريك » (Frédérique) فهي في السادسة والعشرين من عمرها جميلة خلابة ككل نساء القصص ولكنها قوية الارادة ايضاً شديدة الكبرياء اذا همت فليس ما يصرفها عن همها مهما تكن النتائج ، وهي محبة قوية الحب ليست أقل حباً من زوجها كما انها ليست اقل ارادة منه ، ولكن ارادتها فيما يظهر اقوى من حبها فهي تستطيع ان تغلّب الارادة وليس معنى ذلك انها تستطيع ان تسلو بل هي تستطيع ان تألم وتألم في غير جد . ولكن حبها هذا مقسم فهي لا تحب زوجها وحده وانما تحب أباها مع زوجها ، ولنلاحظ انها فقدت امها وهي حديثة السن فعني أبوها بتربيتها عناية مضاعفة . ولنلاحظ أيضاً أن أباها هذا شخص لا كالاشخاص : له حظ من قوة وبأس ، هو طبيب عالم كصهره ولكنه متقدم في السن الى حد ما ، يداني الخمسين ، وهو على ذلك قوي له حظ من شباب ، حلو الحديث ، فتان للنساء مفتون بهن مقرّب اليهن يتهالكن عليه ويتفانين في حبه ، وهو قد عنى بابنته عناية شديدة ، فاحبته ابنته حباً شديداً وأحبها هو كذلك ، ولكن في هذا الحب شيئاً غريباً فهو لا يشبه ما يكون بين الاب وابنته من البر والرحمة وانما يشبه ما يكون بين الزوجين من الحنان والفتنة وآية ذلك انك تبدأ في قراءة القصة وتمضي في الحوار بين الاب وابنته فلا تشك في انه حوار بين زوجين أو بين عاشقين ، و يأخذك الدهش حين تستكشف بعد صحف من القصة انهما أب وابنته

فأنت ترى موضع الخصومة . وأنت تحس منذ الآن ان هذه الخصومة ستكون عنيفة لان المختصمين جميعاً أقوياء ولانهم جميعاً يحبون فيحسنون الحب و يريدون فيحسنون الارادة . وأنت ترى ان الامر لو وقف عند ما نعرف من هؤلاء الاشخاص لما امكن أن تنحل الخصومة بينهم الا بشر وتضحية ، فيجب أن يضحى بالاب في سبيل الزوجين أو بالزوج في سبيل الاب وابنته أو بالقوم جميعاً

ولكني لم اكشف لك من شخصية الاب الا عن وجه واحد . وهناك وجه آخر فيه حياة هؤلاء المختصمين وان كان شراً في نفسه وفي ظاهر الامر بنوع خاص . هذا الرجل أثر مسرف في الاثرة ، يدفعه حبه لنفسه الى الكذب والتضليل واقتراف ما يشبه الاثم ، وهو مضطر الى ذلك

اضطراراً ، فقد رأيت انه يحب ابنته هذا الحب الغريب ، وهو يلهو مع طائفة من النساء ولكنه يحب امرأة أخرى حباً طبيعياً حاداً كما تحب ابنته زوجها وكما يحب هذا الزوج امرأته ، وهذا الحب الطارىء هو الذي ينتهي بالقصة الى أرقى منازل العنف وهو الذي ينحدر بها ولكن في رفق ولين ودعة الى حيث الرضا والطمأنينة واستئناف الحياة الهادئة في لذة وابتسام وشيء مع ذلك من المرارة غير قليل

وفي القصة ، الى هؤلاء الاشخاص ، أشخاص آخرون ، نذكر منهم « جاستون » (Ouston) أخ « فريدريك » طالب مسرف في لهوه وعبثه يلهو ويلهي النظارة بمزاحه وسخريته وجهله

ونذكر منهم « كودريه » (Coudray) جد « فريدريك » لانه شيخ ، رفيق ، سمح ، رزين ، حسن النصح ، قيم المشورة ، محب لحفيدته وزوجها حباً مؤثراً حقاً

ونذكر منهم هذه الدوقة التي نراها في الفصل الاول ، جميلة ، فتانة ، لعوباً ، تعبث بأب فريدريك وتعبث بنفسها أيضاً وتعني بما يمكن وما لا يمكن لانها تحب الاستاذ الطبيب وتريد أن تلهو معه

ثم نذكر آخر الامر « مسز ونتون » (Winton) هذه الاميركية ذات الثروة الضخمة والجمال الرائع والارادة القوية والحب العنيف أيضاً . كان زوجها عالماً مخترعاً وكان قد ضيف « جان لوي مارنييه » (Jean-Louis Marnier) ابن « فريدريك » فاحبته وأحبها ، ثم مات زوجها واقبلت الى باريس تريد أن تتزوج حبيبها فيصطدم حبها بهذه الخصومة بين الاب والزوج والزوجة

فأنت ترى الى هذه القصة كيف اختار الكاتب موضوعها في هذه الموضوعات الشائعة المبتذلة ثم لم يكد يخلق اشخاصها و يبعث فيهم الحياة و ينفخ فيهم من روحه حتى صورهم أقوياء ممتازين لهم من العواطف والاهواء ما للناس جميعاً ولكن مع شيء من الدقة والتعقيد ليس للناس جميعاً . وما هي الا أن يقف هؤلاء الاشخاص بعضهم لبعض حتى ترتفع القصة وتقوى وتحس أنك في بيئة ممتازة من كل ناحية دون أن يمنعك هذا الحس أن تجد نفسك وعواطفك وحياتك ممثلة في هذه القصة من كل الوجوه أو من بعضها

والآن وقد صورت لك هؤلاء الاشخاص تصويراً مقارباً استطيع ان اوجز لك خلاصة هذه القصة . ولكني الفتك منذ الآن الى ان هذا التلخيص لن يغني عنك شيئاً والى انك لن تجد اللذة والمنفعة الا في قراءة القصة نفسها

* * *

نحن في بيت « جان لوي مارنييه » أول الليل ينصرف القوم عن المائدة وقد أخذوا يأتون الى غرفة الاستقبال وكان أول القادمين « كودريه » وحفيده « جاستون » ونحن نرى الشاب

يعنى بالشيخ عناية لا تخلو من غلو يجلسه و يمهد له و يقدم اليه البيبة و يتلطف له في الحديث و يحس الشيخ ان هذه العناية لم يرد بها وجه الله وما هي الا لحظة حتى نفهم ان الشاب في حاجة الى الفرنكات لانه يريد أن يشتري سيارة

ثم يأتي « جان لوي » وقد قدم ذراعه الى ابنته فلا يكادون يتحدثون حتى يضيق الفتى ذرعاً بأبيه الذي أخذ يسأله في الالمانية و بأخته التي أخذت تظهر جهله بهذه اللغة فينتحي بجده الشيخ ناحية ليلعب النرد . و نرى الاب الى ابنته و يتحدثان . ونحن نرى الفتاة تعنى بأبيها ولكنها عناية لا تخلو من دعابة وفكاهة . والرجل يجيب على هذه الدعابة والفكاهة بمثلها ، ثم لا يلبث هذا العبث أن يستحيل الى جد فقد ظهرت غيرة المرأة ووقف الرجل موقف الدفاع عن نفسه ، ذلك ان الخادم قد حمل اليه رسالة تقرأها المرأة فاذا هي من الدوقة التي أشرت اليها آنفاً . وهي تنبيء الاستاذ بأنها ستزوره بعد العشاء لتقص عليه أخباراً مهمة متصلة بانتخابه في المجمع العلمي . فلا تكاد « فر يدر يك » تقرأ هذه الرسالة حتى تثور وتأخذها غيرة حادة وتحصي للرجل سيئاته وآثامه ولهوه وتعلن انها قد صفحت عن هذا كله لانه لم يكن شيئاً يذكر انما كان لهو ساعة أو بعض ساعة وانها لم تخف حقاً الا مرة واحدة حين ذهب الاستاذ الى أحد المؤتمرات في أميركا فأحب « مسز وتنون » امرأة مضيفه ، في هذه المرة خافت حقاً وأحست ان الاستاذ سيفلت من يدها . وهي ثائرة فقد كانت تقدر انها ستنفق مع الاستاذ شطراً من الليل في خلوة لذيذة ينصرفان فيها الى العمل تقرأ هي المسودات و يصحح الاستاذ . وانظر اليها كيف اجلست الاستاذ في مجلس حسن وجلست هي بين يديه في شيء من الظرف والدعابة ، ولكن هذه هي الدوقة تنذر بمقدمها ! ... لن يكون هذا . وهي تأمر الخادم بأن يسرع الى التليفون فينبيء الدوقة بأن الاستاذ مريض لا يستطيع أن يلقى أحداً ، والاستاذ يعارض و يمانع ولكنه مضطر الى الاذعان . على ان الخادم لا يلبث أن يعود و يعلن في أسف ان الدوقة وزوجها الشيخ قد خرجا من قصرهما وهما في الطريق ... فانظر الى ثورة المرأة وحدتها وانظر الى الاستاذ يهدئها و يتوسل اليها في ألا تسيء استقبال الدوقة . وهذه هي الدوقة تقبل مسرعة ومعها زوجها ، فلا تكاد ترى الاستاذ حتى تتحدث معه بلسانين لسان يسمعه الناس جميعاً وفيه أحاديث عادية ، ولسان آخر يسمعه الاستاذ وحده وفيه مودة وتعريض بمواعيد . وفريدريك تتحدث الى الاستاذ بلسانين أيضاً : لسان عادي يسمعه الناس ولسان آخر فيه نذير وتحذير . وانظر الى هاتين المرأتين تتقارضان جملاً ظاهرها فيه الود والتحية و باطنها فيه البغض والعداء . وقد اقبل « بيير ريجو » زوج فريدريك فتنتهز الدوقة هذه الفرصة وتطلب الى الاستاذ أن يرافقها الى البيانو لتلعب هي و يغني هو ، فهي تحب صوته الرخيم ولا سيما حين يغني القطعة الروسية . و يحاول الاستاذ أن يعتذر لان ابنته تلح عليه في الاعتذار من طرف خفي ، ولكنه لا يفلح ، فهو يذهب اذن الى البيانو حيث يسمع

غناؤه من بعد · وفي هذه اللحظة تخلو فريدريك الى زوجها فلا يكادان يتحدثان حتى نحس ان فريدريك مشغولة بأبيها وصاحبته ، وان زوجها يرى ذلك فيغتم له ويثور ولكنه يكظم غمة وثورته ويلح على امرأته في أن تتلطف بالدوقة ولا تظهر هذه الغيرة المنكرة · وامرأته منصرفة عنه ماضية في الاعجاب بصوت أبيها والسخط على هذه المرأة حتى يعود الاستاذ ومعه صاحبته ، فتلتقفه ابنته التقافاً وتمضي الدوقة الى بيير تتحدث اليه وتنظر معه في طائفة من الصور في دعابة وتلطف ، وفريدريك منصرفة الى أبيها تلومه وتداعبه وتلاحظ في الوقت نفسه زوجها والدوقة وتلفت أباها الى هذه المرأة التي تداعب زوجها وتعبث بشعرها في وجهه ، والاستاذ مضطرب بين ابنته وصاحبته ثم تنهض الدوقة للانصراف ويخرج الاستاذ وابنته لتشييعها ويخلو « بيير » الى « كودريه » فنفهم من حديثهما انه ساخط على حميه شديد الغيرة منه وانه سيكون له معه شأن بعد حين · فاذا عاد الاستاذ وابنته تعجل بيير فعرض عليهما موضوع هذا الشأن الذي يريد أن يتحدث فيه وهو انه ضيق الذرع بباريس وبمعاملها ، وقد سنحت له فرصة تمكنه من العمل الجدي المنتج بعيداً عن باريس . ذلك ان غنية أميركية هي « مسز ونتون » قد انشأت في احد الاقاليم مستشفى عظيماً للسل وفيه معامل حسنة النظام غنية الادوات ، وقد عرض عليه أن يعمل في هذا المستشفى فقبل · ونحن نفهم ان صاحبنا انما يريد أن يترك باريس حباً في العلم طبعاً ، ولكن ليستأثر بامرأته بنوع خاص ، فلا يكاد يعرض هذا الامر حتى يثور الاستاذ ثورة عنيفة ويعلن ان ابنته لن تترك باريس ، وتمالئه ابنته في هذا وتسلك لاقناع زوجها طرقاً مختلفة فيها اللين والشدة وفيها الاستعطاف والانذار · فلا تفلح ويوشك الامر أن يفسد بين القوم لولا توسط الشيخ ولولا ان بيير قد نهض للانصراف · فاذا خلا الشيخ الى صهره حاول اقناعه وحمله على أن يدع ابنته تترك باريس فلا يوفق · وهنا حوار بديع بين الشيخ وصهره في الصلة بين الآباء والابناء وما يجب على الآباء من التضحيـة بأنفسهم لانهم لا يملكون أبناءهم ولا ينشئونهم للذة والمتاع وانما ينشئونهم لانفسهم قبل كل شيء·

* * *

فاذا كان الفصل الثاني فقد مضت ساعات قليلة على ما كان في الفصل الاول · ونحن في بيت بيير في غرفة النوم · وقد آوت فريدريك الى سريرها والخادم تحدثها فتنبئها بأن سيدها يعمل في مكتبه وقد امر فأعد له خادمه مضجعاً في المكتب ، فيقع هذا الحديث من نفس فريدريك موقعاً نحس انه مؤلم · وانظر اليها قد صرفت الخادم ولكنها لا تستطيع النوم · فهي قلقة مضطربة تتسمع حركات زوجها في مكتبه ، ولهذه اليقظة المضطربة من هذه الظلمة المدلهمة في نفسها أثر قوي ولكن باباً يفتح ونوراً يغمر الغرفة وقد ظهر الزوج فتتكلف صاحبتنا النوم ، وكأنها قد استيقظت فزعة · ولكن زوجها يعلم أنها لم تنم · وقد اقبل يعتذر اليها ويتلطف بها ويستغفر مما

قدم واطمأنت هي الى ذلك وصفا ما بين الزوجين الحبيبين واطفيء من النور اكثره ولم يبق منه الا شيء ضئيل يلائم نجوى المحبين آخر الليل وما يكون بينهما من عتاب واستعطاف ثم رضا واطمئنان . وهما في ذلك وهو يشكو غيرته من أبيها وهي تدافعه في لطف ورقة ولكن التليفون يدق فيحاول ان يمنعها من النهوض له فلا يوفق وقد نهضت الى التليفون فاذا أبوها قد عاد وهو يسأل عنها و يلح عليها في ألا تسافر مع زوجها وهي تجيبه بحديث متقطع يظهر فيه انها مقسمة بين الرجلين تحب زوجها وتريد ان ترضيه وتحب أباها وتكره ان تفارقه ، حتى اذا فرغ هذا الحديث بعد مشقة عادت الى زوجها تريد ان ترضيه وتصل معه الى اتفاق معقول ولكن لم يبق الى ذلك من سبيل فقد دخل الاب بينهما فافسد كل شيء ، وكيف بهذا الرجل يدخل بين الزوجين حتى آخر الليل وحتى أوقات الصفو والرضا وقد انتهت الثورة بصاحبنا الى الظلم فهو ينكر على امرأته انها تحبه وهو يسرف في ذلك وهي تتلطف حيناً وتشتد حيناً حتى يصل الامر بهما الى اقصاه فهو يعرض عليها السفر وهي تأبى وهو يعلن انه مسافر وحده وهي تنذر وهما في هذا واذا الخادم يطرق الباب يتحدث الى سيده بأنه قد أعد له أمتعته و بأن القطار سيسافر ساعة كذا فاذ سمعت فريدريك هذا الحديث وفهمت ان زوجها كان قد ازمع السفر دون ان يظفر برضاها وقع ذلك في نفسها موقعاً اليما ، فغلت في العناد والاصرار وغلا هو ايضاً في اللجاج وافترقا متغاضبين وانسدل الستار وانا لنسمع زفرات هذه المحبة المعذبة بين حبها و كبريائها ، بين أبيها وزوجها

***

فاذا كان الفصل الثالث فنحن في بيت جان لوي ماريتيه أول النهار . نرى فريدريك جالسة الى مكتب في يدها ورق وقلم كأنها تحصي شيئاً . وقد دخل عليها أخوها الشاب وفهمنا من حديثهما ان هذا اليوم هو يوم الانتخاب في المجمع العلمي وهي تحصي الاصوات التي قد يظفر بها أبوها والاصوات التي قد تخطئه . وهي تلاحظ لاخيها ان الاستاذ قد عاد متأخراً في الليلة الماضية وانه متعب وانها قد أمرت الخادم ألا يوقظه الا اذا تقدم النهار . ولكنها لا تكاد تفرغ من هذا الحديث حتى يدخل الاستاذ كأحسن ما كان قوة ونشاطاً مستعداً للخروج ، فتلقاه ابنته في دعابتها وفكاهتها و يلقاها هو بمثل ذلك ، وانظر اليها تطلب اليه يومه وليلته تريد أن يفرغا من المهنئين بعد الانتخاب وان يقلا الى أحد المطاعم ثم الى أحد الملاعب ، وهو يجيبها في غموض « سنرى ... » ويبدأ فيعلن اليها انه لن يتغدى معها و يتمحل لذلك المعاذير . وهي مغضبة في دعابة . ولكن جدها قد أقبل ، وأقبل من مكان بعيد ليشهد يوم الانتخاب فينفلت الاستاذ و يترك ابنته مع الشيخ . ولا تكاد المرأة تتحدث الى جدها حتى يذكر « بيير » ونرى من الحديث انها تألم ولكنها تكظم ألمها ، وهي غير موفقة في هذا الكتمان : أليست قد أحصت الايام منذ سافر زوجها ! أليست مغضبة لأنه لم يكتب اليها كتاباً واحداً وقد مضى على سفره نيف وثلاثون يوماً!

أليست كانت تنتظر ان تراه في باريس يوم الانتخاب ! هي مغضبة واجدة، وكانت تحب أن ترى زوجها لتتفق معه على الطلاق فليس الى استمرار الزوجية من سبيل وقد أنبأها المحامي أن قضية الطلاق لا تحتاج الى اكثر من شهر الا ان يقاوم زوجها وما تظن انه يقاوم . فاذا أراد الشيخ أن ينبئها بأنها ما زالت تحب زوجها غضبت وزجرت جدها كأنها تشفق من هذا الحديث

ولكن الخادم قد دخل ومعه بطاقة . تنظر فيها فاذا هي بطاقة « مسز ونتون » ويقول الخادم ان هذه السيدة تلح في أن ترى مولاته ، فتأذن لها وتخلو اليها . فتسألها هذه ما بالها لم تجب الى دعوتها وقد طلبت اليها الزيارة غير مرة ؟ فتعلن اليها فريدريك دهشة انها لم تتلق دعوة ولم تعلن بوجودها في باريس ، فتسألها : ألم يخبرك الاستاذ باني في باريس منذ حين، واني أراه كل يوم وكل ليلة ، واني اكلفه دعوتك الى زيارتي ، واني معتزمة أن اسافر معه الى روما ، وان زوجي قد مات ، وان الاستاذ يريد أن يتخذني له زوجاً ، واننا نفكر في أن نصلح بينك وبين زوجك .. وتقع هذه الانباء كلها من فريدريك موقع الصاعقة ويظهر لهاتين المرأتين ان الرجل قد كذبهما وعبث بهما فتتفقان لجأة على مقته والسخط عليه وتنشأ بينهما لجأة مودة قوية مصدرها فيما يظهر تشابههما في الحب والارادة والصراحة واستقامة الخلق . وهما في ذلك اذا الاستاذ قد عاد فاذا رأى صاحبته أخذه الاضطراب ولم يحسن الحديث ، ثم تتركه صاحبته لابنته . فيكون بينهما موقف عنيف مؤلم يظهر فيه مقدار ما لحب النفس من التأثير في حياة الناس : هذا الرجل الذي كان يحب ابنته ويسرف في حبها حتى يضحي بها في سبيل نفسه ، وهذه المرأة التي كانت تحب اباها وتسرف في حبه حتى تضحي بزوجها في سبيل هذا الحب وقد وقفا الآن موقف الخصومة وجهاً لوجه لأن امرأة اخرى قد دخلت بينهم فاستأثرت بقلب هذا الرجل . وهذه ابنته تتهمه بالكذب والقسوة والاثرة والخداع وهو يتهم ابنته بالعقوق والاثم . وهي تعلن اليه انه لن يتزوج من هذه المرأة ، وهو يعلن اليها انها ستعود الى زوجها وسيقترن هو بهذه المرأة . كل ذلك في قوة وعنف مؤثرين حقاً

ويقبل الشيخ فينقطع هذا الحوار العنيف وتنصرف الفتاة ، فاذا خلا الرجلان قال الاستاذ لحميه : يجب أن تسافر وتعود ومعك «بيير» فيجيب الشيخ : ان بيير في باريس وهو في بيته بين هذه الاشياء التي تمثل حبه يألم ويأسى . فيقول الشيخ : اذهب فانبئه ان امرأته تنتظره . فاذا تردد الشيخ ألح عليه الاستاذ واقسم انه لصادق ، فينصرف الشيخ مسروراً متردداً معلناً ان الامر متصل بسعادة حفيدته ، فيقول الاستاذ وكأنه يحدث نفسه : وسعادتي أنا أيضاً ...

* * *

فاذا كان الفصل الرابع فلم يمض على هذا كله الا دقائق . ونحن نرى فريدريك متهيئة للخروج ولكن الخادم ينبئها ان زوجها يستأذن ، فتأذن له في دهش وحيرة تقدرهما أنت قدرهما .

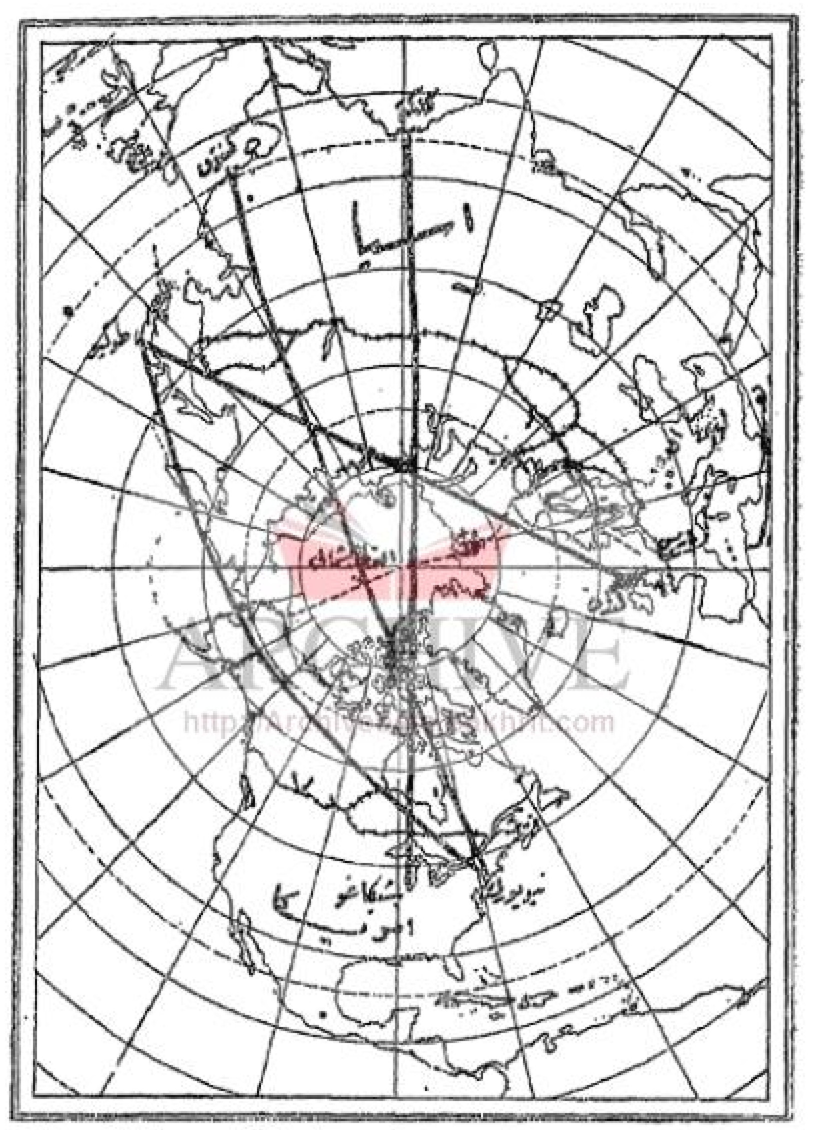
فاذا رأته سألها : أأنت قد دعوتنا ؟ فتجيب في دهش : نعم . ثم تقبل عليه معتذرة مستعطفة متلطفة ، ونحس نحن ان هذا كله يهز الشاب هزاً عنيفاً وانه لو استسلم لعواطفه لقبل ورضي بل لاعتذر واستعطف ، ولكن له ارادته و كبرياءه ، فهو يكظم تأثره و يظهر الشك ، حتى اذا فرغت امرأته أو كادت تفرغ اعلن اليها في صراحة ملؤها الجفوة والحب معاً انها انما تستعطفه لان اباها يريد أن يتزوج ولانها تحس انها ستصبح وحيدة فهي تعود الى زوجها حتى اذا عاد اليها أبوها رجعت اليه . وهو دهش لانها لا تعلم من أمر هذا الزواج شيئاً ولكن دهشه سيزول : فهذا الاستاذ قد اقبل محزوناً منكسر النفس قدظهر عليه الضعف والاستسلام فيخبر بانه هو الذي دعا بيير ثم يخبر بأنه فاز في الانتخاب ولكنهُ على ذلك محزون منكسر النفس . ذلك ان حبيبتهُ قد قطعت ما بينهما من صلة وأعلنت اليه انها تاركة باريس مساء اليوم وابت عليه حتى ان يودعها بل ان يراها مرة أخيرة قبل سفرها ، وهو يلوم ابنته لانها مصدر هذا كله . ثم انظر اليه يستعطف ابنته ويتوسل اليها فهي وحدها تستطيع ان تغير رأي هذه المرأة ، وهي وحدها تستطيع ان تردها اليه فترد اليه الغبطة والسعادة والحياة وهو يعتذر و يلح في الاعتذار ويعترف بانه كان أثراً آثماً مسرفاً في حب نفسه ولكنهُ لم يكن يحس هذا كله ولا يقدره وابنته لا تجيبه الا في قسوة وعنف حتى يرق بيير نفسه و يلومها على ذلك في لطف ؟ وقد انتهى الامر بهؤلاء الناس الى حرج ليس بعده حرج . فأما الاستاذ فمذعن مستسلم بعد ان ظهر له ان ابنته لن تشفع له ، وأما بيير فمستمسك بكبريائه ، لم يقتنع بعد بان امرأته تحبه هذا الحب الذي يمكنها من التضحية بأبيها ، وأما فريدريك فقد أعلنت في حزم وقسم انها تاركة هذا البيت مساء اليوم ولن تعود اليه مهما يكن من شيء سواء أتم الصلح بينها و بين زوجها أو لم يتم . وانظر الى استسلام الشيخ وقد نهض معلناً انه ذاهب الى الدوقة لانها جمعت الى الشاب طائفة من المعجبين به يهنئونه بالفوز في الانتخاب ، وهو يداعب صهره في حزن فيطلب اليه ألا يهزأ بشيوخ المجمع العلمي

وقد اقبل صديقه بيير يتعجله ليسافرا فيتردد قليلاً ثم يجيب بأنه لن يسافر الآن وتقع هذه الجملة من نفس فريدريك الموقع الذي تقدره أنت فقد أحست أن زوجها قد رضي وثاب اليها ، ولكن زوجها يسألها : ألا ترين أن اباك يحب هذه المرأة حباً مبرحاً ؟ فتجيب : بلى ، ولكنه لا يستحق هذه المرأة . فيلح وانظر اليه يستعطفها و يتوسل اليها في أن تشفع لابيها عند حبيبته فتقبل كارهة ولكن على أن يشاركها في هذه الشفاعة لتعلم هذه المرأة أن سعيهما صادق وانهما قد تصافيا حقاً

طه حسين

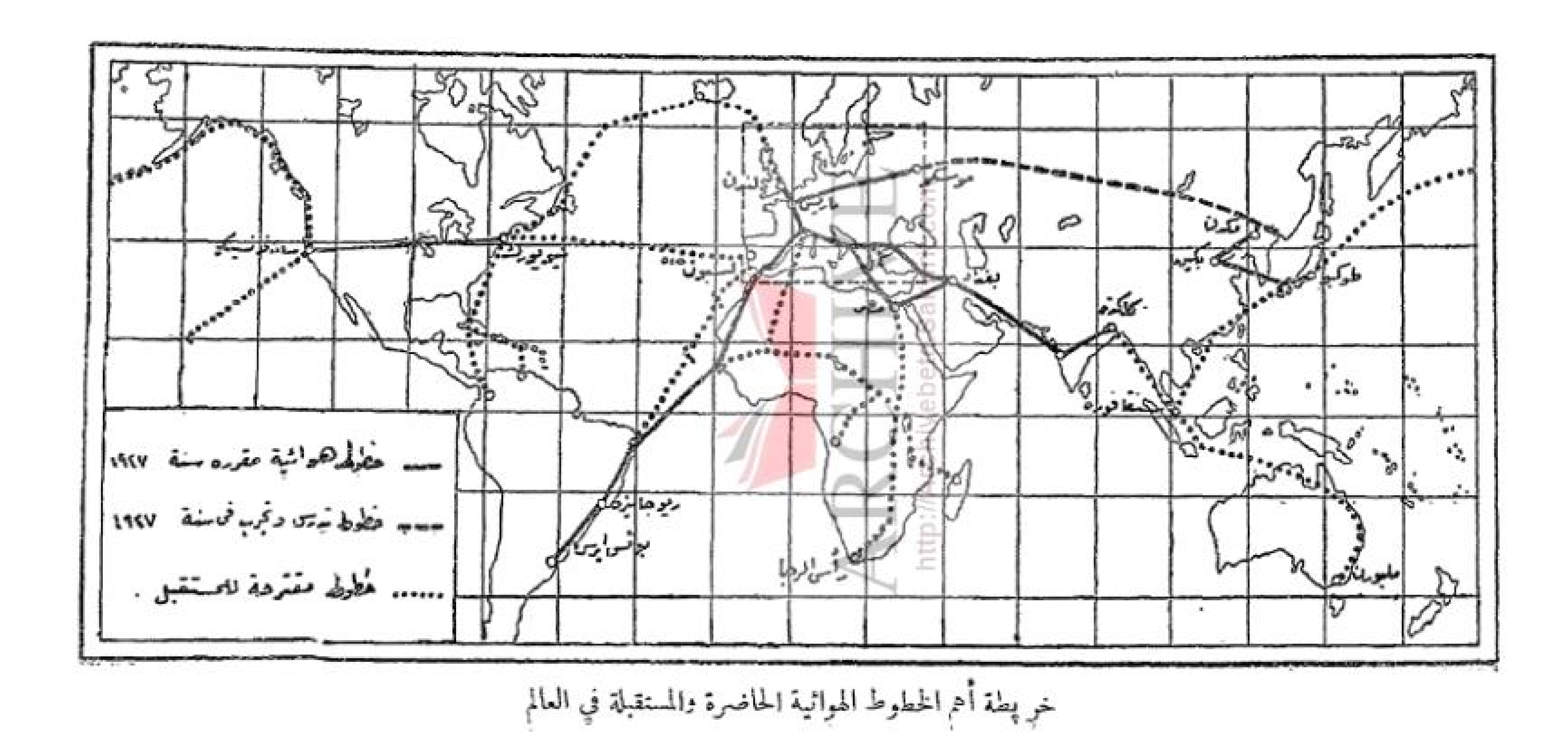
انقلاب اجتماعي بفضل الطيارات

(بمناسبة افتتاح الخط الجوي بين لندن ومصر والهند)



الخطوط الجوية فوق القطب الشمالي تصل اسيا واوربا واميركا وتقرب المسافة بين القارات

بدأ الطيران سنة ١٩٠٩ حين عبر بليريو المضيق الذي يفصل انجلترا من فرنسا على طيارته ، فاختراع الطيارات واستعمالها للركوب والمنفعة لم يمض عليه للآن سوى نحو ثمان عشرة سنة . ومع ذلك فالطيارات تعد الآن بالالوف لا يخلو منها قطر من أقطار العالم



خريطة أهم الخطوط الهوائية الحاضرة والمستقبلة في العالم

وفي الشهر الماضي عبر الجو في مصر وزير الطيران في بريطانيا العظمى قادماً من بلاده بقصد الى الهند • وقد كان بطيارته أحد المصريين جاء من لندن ونزل بالقاهرة موفور الصحة سليم العافية لم يخسر سوى خمسين جنيهاً أجرة السفر على الطيارة

والحكومة المصرية تعد الآن شرعة خاصة بالطيران بعد اذ توضح للجميع ان مصر ستكون مركزاً للطيران بين القارات الثلاث التي حولها • وليست انجلترا بغافلة عن قيمة مصر من هذه الناحية ولكننا نرجو ألا يكون رجال مصر غافلين عن هذه القيمة • فقد عرفت انجلترا قيمة قناة السويس في مواصلاتها الامبراطورية فاحتوت عليها مالياً وعسكرياً وخرجنا نحن منها بعبء الديون التي ما زلنا نرزح بها • والارجح أننا لن ننتفع في المستقبل بقناة السويس حتى عند ما تؤول ملكيتها الينا لان الدول القوية ترفض عندئذ ان تدفع لنا شيئاً اجراً لمرورها ولسنا من القوة بحيث نجبرها • والحق الذي لا ينكر أننا غبناً غبناً عظيماً في قناة السويس مرجعه كله الى عجز سياستنا في ذلك الوقت • فعسى ان يمثل أمام أعيننا هذا الدرس القديم ونحن نشترع شرعة جديدة للطيران في مصر • فان انجلترا اذا كانت قد عنيت بقناة السويس فان عنايتها بالخطوط الجوية في مصر ستكون اكبر وخاصة عند ما نرى ان الطيارات قد باتت من اكبر وسائل الانتقال والدفاع عن الامبراطورية

وقد خرج من مدة قريبة من الولايات المتحدة الى أوربا رجل يشتغل بالطيران وله مجلة بهذا الاسم لكي يفحص حالة الطيران في الأقطار الاوربية • وقد روى أنه قطع ٢١٠٠٠ ميل في نحو أربعة أشهر ودخل ٢٦ قطراً في آسيا وأوربا وافريقيا • وكانت زوجته ترافقه في اكثر رحلاته مما يدل على ان الطرق الجوية باتت مأمونة لا تخشاها النساء • والطيران في أوربا يشمل جميع البلاد فليست هناك بلدة كبيرة لا تحط فيها الطيارات وتطير منها والاجرة تعادل اجرة الدرجة الاولى في السكك الحديدية مع اضافة الطعام والنوم • وهذه الاجرة دون نفقات الطيارات ولكن جميع الحكومات تدفع اعانات غير قليلة لشركات الطيران لكي تجعلها تداوم على انفاذ مشروعاتها ولا تخشى الخسارة • وبدهي ان الطيارات اذا زادت اجرتها عن الدرجة الاولى في القطرات فان المسافرين يكفون عن استعمالها ويقنعون بالقطار

وفي الطيارات الاوربية الآن جميع وسائل الراحة بل الترف أحياناً فيمكن الانسان أن يتناول طعامه فيها وان يسمع الراديو • وقد اعتاد الانسان رؤية المناظر وهو مرفوع الرأس ولكن الطيارات ستعود الناس النظر الى أسفل • والمناظر التي تحيط بها العين من الطيارة تبلغ من

سعة المدى والجمال ما يسحر اللب وخاصة اذا كان الانسان يطير فوق جبل يرى ثلوجه وغاباته وقراه . والعادة أن الطيارات تطير على ارتفاع ميلين في الجو ولذلك فمنظر المدن لا يسر النفس. ويجب أن نتذكر هنا أن الناس قد اعتادوا العناية بواجهات بيوتهم حسباناً بان من ينظر اليها سيفعل ذلك وهو ماش أو راكب في الشارع ولكن في المستقبل عندما يشيع استعمال الطيارات سيعنى الناس بسطوح منازلهم و يفاخرون بجمالها

وتتسابق اقطار العالم كله في تأسيس شركات الطيران . ففي روسيا اربع شركات تعينها الحكومة . وفي اليابان ثلاث شركات ومما هو جدير بالذكر عن هذه الدولة الشرقية انها بلغت من التفرنج أن علمت النساء سياقة الطيارات . فترى المرأة وهي في سراويلات الرياضة مقصوصة الشعر قوية العضلات لا تلمح فيها شيئاً من ملامح النساء سوى ارتفاع صدرها . وفي استراليا عدد كبير من الطيارات يقطع في العام ٣٢٧٠ ميلاً

وفي معظم مدن أوربا تحمل الزهور والخضراوات الطازجة الى المدن على الطيارات فلا تذبل منها ورقة لسرعة نقلها . ولكن معظم استعمال الطيارات الآن في نقل البريد . وقد سبقت فرنسا جميع الاقطار في صناعة الطيارات واستخدامها . وتقدم فرنسا في هذا المضمار قديم فانها هي التي شرعت الطيران الجوي . وقد نظمت الآن خطوط جوية بين فرنسا وجميع انحاء أوربا وأيضاً بينها و بين مستعمراتها الافريقية . وتخرج من فرنسا طيارات تعبر قطر اسبانيا كله ثم تقطع البحر بينها و بين افريقيا وتسير في مراكش على حذاء الشاطىء حتى تبلغ دكار وهي مسافة تبلغ ١٧٨٠ ميلاً . وقد بلغ ما حملته الطيارات الفرنسية من الخطابات سنة ١٩٢٥ نحو ٧٥٠٠٠٠٠ خطاب ومن المسافرين ١٩٠٠٠ و بلغ ما قطعته ٢٩٤٦٠٠٠ ميل

و يقول الخبيرون ان الطيارات ستنتشر قريباً في آسيا باسرع مما انتشرت في أوربا . وعلة ذلك أن المسافر في أوربا يجد الخطوط الحديدية منتشرة كالشبكة تحمله أينما شاء . اما في آسيا فليس هناك وسيلة للتنقل سوى الطيارات لان الخطوط الحديدية قليلة جداً

و يرى القراء من خارطة القطب الشمالي في أول المقال ترسيما لخطوط جوية جديدة يراد انشاؤها حتى يمكن الطيارات أن تعبر المحيط فتصل الى الجهة المقابلة من آسيا او اوربا او اميركا بدون حاجة الى الدوران واللف فتختصر بذلك المسافة والوقت

و يدرس الالمانيون الآن أحوال الجو والطيران بغية تأليف شرائع تعمل بها الامم في علاقاتها الجوية التي ستكثر في المستقبل



حقوق الطفل

١ ـ من حق كل طفل يولد أن يرضع من ثديي امه ما لم تكن مصابة بالتدرن

٢ ـ ومن حقه ان يفقد ١١ في المائة من وزنه بعد الولادة بحيث يستردها قبل أن تبلغ سنه أسبوعين

٣ ـ ومن حقه ان ينام بالنهار وان يصرخ بالليل

٤ ـ ومن حقه ايضاً ان يقيء من وقت لآخر وان يسوء هضمه فيجب ألا ينكر عليه ذلك احد

٥ ـ ومن حقوقه المهمة اذا كان لا يمكنه ان يرضع امه ان يكون لبنه نقياً وان يراه الطبيب مرة كل اسبوع في الشهر الاول ومرة كل اسبوعين في الثلاثة الاشهر التالية ومرة كل شهر في باقي مدة رضاعته

٦ ـ ومن حقه ان يرى الشمس مباشرة اي ليس من خلال زجاج . واذا لم ير الشمس له ان يتناول مقداراً قليلاً كل يوم من زيت كبد الحوت الى ان يبلغ سنتين

٧ ـ وله الحق في ان يلقح بلقاح الجدري في الاشهر الاولى من ولادته وبلقاح الدفتيريا في آخر السنة الاولى من عمره

حقوق الام

١ ـ من حقها ان تحتفظ بمولودها وترضعه

٢ ـ وان تبقى في الفراش وهي نفساء مدة من الزمن وان يزورها الطبيب اذا كان بظهرها وجع

٣ ـ وألا تترك الفراش فجأة للعمل والجهد بل تتدرج في ذلك

٤ ـ وأن تغسل حلمة الثدي بعد الرضاعة

٥ ـ وان تنام قليلاً في النهار لكي تسهر على صراخ مولودها

٦ ـ وان تتعاون على راحة مولودها وقت الحاجة بالمرضعة والطبيب

٧ ـ وان تمنع زوجها من التدخين في غرفتها حيث يكون ولدها

ما هو المهوى

المهوى هو موضوع هوى الانسان وهو ما رأينا ان نترجم به لفظة Hobby الانجليزية . وهو عمل اضافي يعمله الانسان في جانب عمله الذي يعيش منه لا لبغية الكسب وانما لهوى النفس وهو لذلك أشبه باللعب منه بالجد لان الانسان يقبل عليه بارادته ورغبته ويضحي بماله ووقته في سبيله. والامم الانجلوسكسونية تحث أولادها منذ الصغر على أن يكون لكل منهم مهوى و يشجعونهم على الانفاق عليه لانه يخفف من عبء الواجبات الاخرى ويسلي النفس المتعبة ويبعث فيها النشاط . ولذلك قد تجد احد كبار الانجليز ممن يعملون في التجارة العالية او السياسة العالية او الصناعة او التعليم او خلاف ذلك فاذا آوى الى بيته نسي واجباته وعمد الى عمل آخر لا علاقة له بواجباته فيؤديه بغرام وحماسة . وهذا هو مهواه الذي يهواه . وقد يرتقي به هواه حتى يتقنه فاذا بلغ الشيخوخة وترك عمله الذي يتكسب منه وجد في هذا المهوى ما يشغله ويمنع عنه سأم البطالة الذي يقتل الكثيرين من الشيوخ

فمن المهاوي التي يتعلق بها الانجليز بغية التسلية واللهو لا الكسب والعيش غرس البساتين وصيد السمك وقنص الطيور وتحنيطها ودرس النباتات ورسمها وتصويرها وحفظ أوراقها وازهارها. وهناك آلاف من شباب الانجليز يجمعون الحشرات بأنواعها ويعرفون خواص كل منها فاذا دخلت الغرفة الخاصة بهذه الاحياء رأيت عالماً من الحشرات المختلفة لا تدري اسم واحد منها ولكن الهاوي لا يسأم من شرحها لك وبين خواص كل واحدة . وهناك من يجمع الصخور او النقود القديمة والحديثة او طوابع البريد . وقد كثر هواة الطوابع حتى بات هذا المهوى تجارة عظيمة تشتغل بترويجها شركات كبيرة كما يرى القراء في اعلانات الصحف الانجليزية . وهناك من يهوى النحل او تربية الدجاج او الكلاب او نحو ذلك وفي كل ذلك تسلية وعلم

أيهما أكثر زهواً : الرجل أم المرأة ؟

قالت الآنسة زينادير وهي ممثلة انجليزية : أظن ان الرجال اكثر زهواً وغروراً من النساء ويدعوني الى هذا الاعتقاد ما أراه من ملاحظاتي الشخصية من ان الرجال لا يبالون بتحسين هيئتهم و بزتهم مثل النساء . وهم انما يهملون ذلك لانهم يعتقدون ان الجمال الساذج يكفيهم ولا يحتاجون معه الى زينة . ولكن المرأة لا تترك حيلة الا لجأت اليها لكي تحسن وتزين المواهب التي أسبغتها عليها الطبيعة . وأنا لا ادري لماذا يعد عمل المرأة هذا زهواً بدلا من أن يسمى تواضعاً فان الرجل يتنقل في غرف البيت وشعره مشعث ولحيته في حاجة الى الحلاقة ولكني لا اظن ان المرأة يمكنها ان تسير في ارجاء بيتها وشعرها منفوش وعلى وجهها آثار المسحوق وهو مبعثر

هذان مثالان يدلان على ان الرجل اكثر زهواً من المرأة

دخول الحموات في شؤون الدار

العادة ان الزوجين في اول سني زواجهما لا يطيقان نصائح الغريب · والغريب هنا هو أم الزوج بالنسبة لزوجته وام الزوجة بالنسبة لزوجها · وربما كانت اهم اسباب الطلاق واكثرها شيوعاً دخول احدى هاتين في شؤون الدار · والعادة اذا كرهت الحماة زوج ابنتها انها تبقى مدى حياتها تكره ابنتها فيه بملحوظات قد لا تدريها هي نفسها فاذا كان يحب الاقتصاد حثتها على الاسراف واذا كان يحب البيت حثتها على ان تسود عيشه بحضه على النزهة · وكذلك ام الزوج اذا كرهت زوجة ابنها لم يتناولها لسانها الا بكل مكروه وللتكرار اثره العميق في النفس ولو لم يكن له اساس من الصدق فينتهي الكلام بالاعتقاد ويتكاره الزوجان وقد ينتهي التكاره بالانفصال

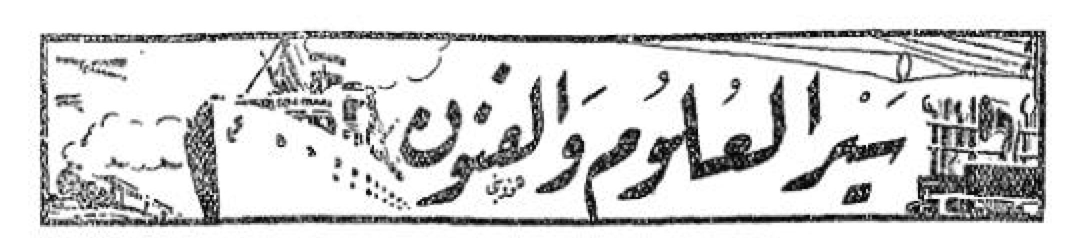
ويجب في معظم الخلافات بين الزوجين ان نفرض وجود الحماة في الوسط · ولذلك يجب على الزوجين الاحتياط من ان تكون الحماة كلمة مسموعة في البيت لانها لا بد ستغضب احدهما ولو بحجة التافهات وحده لان الزوجين هما صاحبا البيت ولهما الحرية التامة في ادارته · ومن مألوف الطبائع ان يتمادى الانسان في خطائه ولذلك يجب الحذر من الحماة فانها اذا تعودت اسداء النصيحة في اول الامر تمادت حتى تصير نصائحها أوامر لا يطيقها الزوج او الزوجة فينشب الخلاف

مستقبل ملابس السيدات

كتب المسيو بواريه وهو رب الازياء في باريس يقول ان المرأة في العاجل ستلبس سراويلات الرجال أو ما يشبهها · وهو يبني نبوءته هذه على ان الزي يتبع الحالة العقلية · وان المرأة قد استرجلت فأصبحت تنظر للاشياء نظر الرجال ولذلك احترفت صناعات الرجال وصارت تمشي بخطى واسعة ثابتة تشبه مشي الرجال. وأصبح ذوقها مثل ذوق الرجال فهي لذلك ستستسمج ملابسها الراهنة وتستجمل ملابس الرجال · ثم ان ضروريات حياتنا المستقبلة ستدفعها نحو هذه الناحية لان ركوب الطيارات والاتومبيلات يحتاج الى ان تكون الساقان خالصتين لا تعوق حركتها الملابس · والسراويلات توافق حرية الساقين ولكن ملابس المرأة الحاضرة لا توافقها

الفراش الوثير

يقول الدكتور ليرد ان النوم ست ساعات فقط على فراش وثير يساوي النوم على فراش غ وثير ثماني ساعات . وذلك لان الفراش الوثير يجعل النوم عميقاً اما اذا تقلب الانسان على فراشه لم يسترح منه الراحة الكافية · وابلغ ما تكون فائدة النوم العميق للذين يعملون بعقولهم لان السبات الخفيف يحدث أحلاماً والحلم نوع من التفكير الذي يجهد الدماغ بعض الجهد واذا كثرت الاحلام في النوم استيقظ الانسان متعباً كانه لم ينم · واذا لم يكن الفراش وثيراً مستوي الوضع لم ينم الانسان عليه نوماً عميقاً فتحدث له الاحلام



حضارة الفراعنة في أميركا

كان العلماء قبل داروين يقولون بان الاحياء مستقلة لم تتصل قط بنسب التسلسل · فالفيل كان فيلاً والاسد أسداً · فلما جاء داروين أخذ القول بالتسلسل يفشو بين العلماء حتى اصبحت نظرية التطور التي تثبت قرابة الاحياء وتسلسلها من اصول قديمة تعم الآن العالم المتمدين كله

وكان علماء الآثار قبل اليوت سمث وبري يقولون باستقلال الحضارات والثقافات . فالهند حضارة نشأت فيها ولا علاقة لها بحضارة المصريين . وللصين حضارة نشأت فيها ولا علاقة لها بحضارة الاغريق · فجاء اليوت سمث وبري وعمل كلاهما في درس الآثار ما عمله داروين في درس الاحياء · فانهما اثبتا ان الحضارات القديمة غير مستقلة وانها كلها ترجع الى مصر

وقد سبق ان لخصنا للقراء هذه النظرية عن كتاب للاستاذ بري · واليوم نقول ان مما يثبت النظرية أن جميع الآثار التي تكتشف كل يوم تؤيدها وتوضحها · فمن ذلك ما ثبت من الالفاظ التي يشترك فيها أهل الجنوب الشرقي من آسيا (أي بولينيزية وغيرها) مع سكان أميركا الجنوبية · فان الفأس يسمى « توكي » في القارة الاميركية وفي الجنوب الشرقي من آسيا · ولا يمكن تعليل هذا الاشتراك الا بالهجرة من آسيا عن طريق بولينيزية الى أميركا · وقد ثبت ان اهالي بولينيزية قد اشتقوا حضارتهم من الهند وان الهند وفارس والعراق قد اشتققن حضاراتهن من مصر

واذا قلنا ان حضارة الفراعنة هي اصل حضارات الاميركيين فلسنا نعني بذلك ان المصريين رحلوا الى اميركا واستعمروها · وانما معناه أن ثقافتهم قد تفشت الى اميركا اما عن ايديهم واما عن ايدي اناس غيرهم ممن اتصلوا بهم

الصمم وعلاجه

اذ مضى على الصمم مدة طويلة فانه قلما ينجع فيه علاج . ولذلك يجب ألا يتوانى أحد عن استشارة الطبيب اذا احس بأقل وقر في اذنه او بمرض ما في انفه او أذنه او حلقه

ولا ينبغي للاصم ان يعتمد كثيراً على الاعلانات والادوات التي تستعمل لتخفيف الصمم بل يجب أن يستشير طبيب الآذان لان هذه الادوات تفيد احياناً بتكبير الصوت لاول استعماله ولكن قد تكون نتيجتها الضرر لا الفائدة

المواليد والوفيات

من وقت لآخر تتصايح الصحف الانجليزية بالخطر الداهم والكارثة العظيمة لان المواليد تقل في انجلترا . وهذه الصيحة تتنادى بها أحياناً صحف أوربا جمعاء عند ما تذكر كثرة المواليد في آسيا وبين الزنوج في افريقيا . ولكن على الرغم من حض الحكومات الافراد على التناسل فان المواليد تقل عاماً بعد عام . والواقع الذي يثبته الاحصاء ان مع قلة المواليد تقل الوفيات أيضاً وان السكان لذلك لا يتناقصون ونحن نثبت فيما يلي جدولاً يبين للقارىء هذه الظاهرة الغريبة للحضارة الراهنة . ويمكن اعتبار هذا الجدول الخاص بانجلترا وويلز مثالاً لما يحدث في سائر الاقطار الاوربية والاميركية

المدة	نسبة المواليد في الالف	نسبة الوفيات في الالف	نسبة وفيات الاطفال (أقل من سنة) في الالف
١٨٥١—١٨٥٥	٣٣٫٩	٢٢٫٧	١٥٦
١٨٧١—١٨٧٥	٣٥٫٥	٢٢	١٥٢
١٨٩١—١٨٩٥	٣٠٫٥	١٨٫٧	١٥١
١٩١١—١٩١٥	٢٣٫٦	١٤٫٣	١١٠
١٩١٩	١٨٫٥	١٤	٨٩
١٩٢٤	٨٫٨	١٢٫٢	٧٥
١٩٢٦	١٧٫٨	١١٫٦	٧٠ .

وعلى ذلك يرى القارىء ان قلة التناسل مصحوبة على الدوام بقلة الوفيات مما يدل على ان الباعث اليها انما هو الاستنارة العامة بين الآباء ورغبتهم في انقاص النسل للتوفر على العناية به وعدم تعريضه لخطر الموت

سائل الاكسجين للطيارين

لا يمكن الطيار أن يرتفع كثيراً في الجو لانه يخشى رقة الهواء وقلة غاز الاكسجين . وقد اخترع أحد العلماء الفرنسيين اناء يحفظ فيه الاكسجين مبرداً بهيئة سائل وبالاناء مصباح كهربائي يحدث شرارة في هذا السائل فيتبخر ويستحيل غازاً يستنشقه الطيار . وعندئذ يمكنه أن يرتفع الى ما شاء ولا يخشى قلة الاكسجين . والطيارون يؤثرون الطيران في المستويات العليا لان كثافة الهواء تعوق الطيارة في المستويات المنخفضة في حين انها تمرق مروق السهام اذا ارتفعت حيث يرق ويلطف الهواء

السحر عند المصريين القدماء

السحر على ما يمارسه الهمج الآن نوعان هما سحر المحاكاة وسحر العدوى . فسحر المحاكاة هو أن يعمل الساحر عملاً يشبه العمل المقصود . فاذا أراد استنزال المطر ملأ اناء من الماء ووقف على ربوة وصبه يعتقد بذلك ان السماء ستفعل فعله . واذا أراد أن يقتل خصماً له رسم صورته على ورق أو مثلها في طين ثم يتلفها يعتقد ان ما يحدث للصورة أو التمثال يحدث للشخص نفسه

وهناك أيضاً سحر العدوى وهو أن يأخذ الساحر أو يكلف أحداً ان يحضر له شيئاً من لباس الشخص المطلوب اذاه فيتلف هذا الشيء فتنتقل عدوى التلف من هذا الشيء الى الشخص نفسه

ويبدو من الآثار ان المصريين كانوا يؤمنون بالسحر من النوع الاول فان بعثة المانية وجدت ٢٩٠ شقفة من الفخار عليها أسماء أعداء مصر في الخارج والداخل ممن كانوا يحاربون الحكومة أو يخرجون عليها . ورجال البعثة يعتقدون ان المقصود من كتابة هذه الاسماء على الفخار هو كسر الفخار وتحطيمه حتى يحدث للاعداء ما يحدث للفخار وهو أن ينهزموا وينكسروا

أما سحر العدوى فان العامة تمارسه للآن في مصر في الرقية فانهم اذا رقوا أحداً من مرض يعتقدون ان العين هي أصله يأخذون « أثراً » من لباس صاحب العين ويحرقونه ويرقون به المصاب فيشفى على زعمهم

زجاج جديد

اذا تعرض الانسان للشمس لفحت بشرته اي احالتها الى لون اسمر . ولكن اذا كان هذا التعرض من خلال الزجاج المألوف الذي نضعه في النوافذ فان الشمس عندئذ لا تلفح . وعلة ذلك ان في ضوء الشمس اشعة تدعى الاشعة الاكتينية وهي التي تكون بعد الاشعة البنفسجية عندما نحلل الضوء بالمنشور في الطيف الشمسي . وهذه الاشعة الاكتينية لا تراها اعيننا وانما تحس بها بشرتنا وهي التي تحدث السمرة عند التعرض للشمس . وهذه السمرة هي دليل استجابة الجسم لتنبيه الشمس له لان الميت لو عرض للشمس لما لفحته . ولكن الزجاج المألوف الذي نستعمله في منازلنا وان كان يجيز الضوء الا انه يعوق هذه الاشعة الاكتينية . ولذلك اخترع بعضهم زجاجاً اساس مادته حجر الكورتز فوجد انه يجيز هذه الاشعة . وقد استعمل هذا الزجاج في حدائق الحيوان فصحت عليه عدة حيوانات كانت مرضى وزرع تحته بعض النباتات فزكت

وهذا الزجاج ينفع الاوربيين حيث الشمس محجوبة في اكثر ايامها بالغيم بحيث يحتاجون الى الانتفاع بالاشعة الاكتينية ولو كانوا في بيوتهم او مكاتبهم . ولكننا نحن هنا عندنا اكثر مما نحتاج اليه من الشمس

حضانة البيض بالكهربائية

لا يزال في مصر محاضن لبيض الدجاج لا تختلف عن المحاضن التي كان المصريون القدماء يستعملونها في « معامل الدجاج » يحرق فيها التبن ويبقى البيض على درجة من الحرارة لا تتفاوت الا بمقدار صغير اكثر من عشرين يوماً · والعامل يقلب البيض بيده كل يوم حتى يتفقأ وتخرج الفراريج

ولكن هذه الطريقة على ما فيها من وسخ التبن ودخانه وجهد العمال في التقليب تتكلف من المال اكثر مما تتكلفه محاضن البيض في اميركا الآن · ففي كليفورنيا محاضن خرج منها في العام الفائت نصف مليون فرخ وهي تحضن البيض بالكهربائية تزوده بالحرارة الطبيعية وتحركه كل يوم حتى ينقلب كما تفعل الدجاجة مع بيضها وأيضاً يدخل الضوء الطبيعي بعد عشرين يوماً لكي يمكن الفراريج الجديدة أن ترى فيخرجها الموكل برعايتها و يغذوها

قوة المياه الساقطة

« الفحم الابيض » هو ما يعبر به عن قوة المياه الساقطة من الجنادل والشلالات وهذه القوة تحال الى كهربائية تستعمل في الاضاءة أو ادارة الآلات · والعبرة في المياه الساقطة هو بارتفاعها لانها تزداد قوة بنسبة هذا الارتفاع · وفيما يلي يرى القارىء أهم الاقطار التي تستغل المياه الساقطة ومقدار ما تستغله منها محسوبا بالاحصنة مقدرة بالمليون

الولايات المتحدة	٢٨	اسبانيا	٥
كندا	٢٦	اسوج	٤½
النمسا	٦	ايطاليا	٤
فرنسا	٥½	سويسرا	٢
نروج	٥½	المانيا	١

فرش المنازل بالورق

تفرش المنازل الآن بالاسمنت وتسقف به وأعظم منفعته انه يقي المنازل بعض الوقاية من الحرائق و يقلل من اخطارها عند حدوثها ولكن له عيباً واحداً وهو انه يحدث صوتاً عالياً عند السير عليه و ينقل الاصوات الخارجية · ولذلك كانت المكاتب تفرش الارض بالكوتشوك حتى تخفت أصوات الحركة · وقد عمد احد المهندسين الى طريقة جديدة لاخفات الاصوات وذلك بخلط الاسمنت بعجينة الورق ونجح في ذلك واستغنى بطريقته عن الفرش بالكوتشوك · ولكن هذه الطريقة لا تنجح بالطبع الا حيث توجد مصانع الورق

لقاح للتدرن

تقول صحف باريس ان الدكتور كالميت، وهو أحد أطباء معهد باستور، قد اهتدى الى لقاح يلقح به الاطفال المعرضون للتدرن كأن تكون عائلاتهم مصابة بهذا المرض . وقد لقح مئات من الاطفال فوجد منفعة اللقاح في حمايتهم منه بحيث لم يقع فريسة المرض ممن لقحوا سوى واحد في المائة . بينما الاطفال الذين لم يلقحوا كانت نسبة الوفيات بينهم ٢٥ في المائة . والاطفال يلقحون في الاسابيع الاولى من ولادتهم

وقد حصل الدكتور كالميت على لقاحه بتجارب عدة أجراها في القردة العليا في غانة الفرنسية في افريقيا. وجرب اللقاح في الاطفال في انجلترا و بلجيكا فايدت التجربة جميع ما كان ينتظر منها من النجاح

اطفاء النار بالثلج

ابتكر الالمان طريقة جديدة لاطفاء الحرائق بنوع من الثلج . وهذا الثلج هو ثاني اكسيد الكربون يبرد الى ما تحت مائة تحت الصفر . وثاني اكسيد الكربون هو الغاز الذي نراه يتفقع في ماء الصودا الذي نشربه احياناً . فانه يقبل التبريد الى غاية بعيدة ومن خواصه انه اذا استحال غازاً يفعل بالنار فعل الرماد فيخمدها . فاذا القي وهو جامد بارد على النار استنفدت برودته شيئاً من قوة النار ثم يرسب هو أيضاً بهيئة غاز يخمدها و يمنع استطارتها

لماذا تطرف العين

كان المظنون ان العين تطرف لكي يمسح الجفن بملاقاته مقلة العين فيرطبها ويغسلها ويكسح ما علق بهـا من الغبار الى المآقي . ولكن الارجح على ما يظنه احد العلماء ان العين تطرف لكي تريح حاسة النظر من الاعياء الذي يصيبها من التحديق في شيء ما . ولذلك تطرف العين اكثر من المعتاد اذا نظرنا الى نور باهر

الطيارات الفاخرة

قبل ختام هذا العام ستقوم طيارات فاخرة للملاحة الجوية بين انجلترا والهند . والحكومة الانجليزية تشرف على صناعتها وتحتفظ أيضاً باسرار الصناعة وسيكون طول الطيارة ٧٨٠ قدماً . وسيكون فيها قمرات للنوم كالتي ترى في السفن تكفي لحمل مائة نفس ومعهم عشرة اطنان من الامتعة وسيكون بالطيارة قاعة فسيحة تسع خمسين نفساً يتناولون طعامهم ويمكن استعمال هـذه القاعة للرقص أيضاً



خواطر في الصحة والادب للدكتور نقولا فياض

طبع بمطبعة الهلال صفحاته ١٨٨ ويطلب من مكاتب القاهرة

الدكتور فياض هو أحد ذلك الرهط الكريم الذي يجمع بين الادب والعلم وهو لذلك ينخرط في سلك مع هؤلاء الاطباء المؤلفين: شميل و زلزل وعبد الحميد وأحمد عيسى ، و يرى ان من حق وطنه عليه ان يؤلف و يعمم العلم بلغة مألوفة وعبارة مأنوسة بين القراء . وربما كان هو أقرب الاطباء الى روح المرحوم شبلي شميل أسلوباً ونزعة وتفكيراً . فهو يدافع هنا مثلاً عن نظرية التطور في فصل خاص بالدكتور شميل و يعقد فصلاً خاصاً للبحث عن بلاغة الافرنج و بلاغة العرب . ولكن سائر فصول الكتاب خاصة بالحقائق الطبية التي يستطيع جمهور القراء فهمها

وهذه الخواطر هي مقالات كتبها الدكتور فياض في العشرين السنة الماضية فمنها : النظافة صحة وأدب ، وبين الجلد والمعدة ، والاشربة المنبهة ، وما هو الموت ، والعلاج بغير علاج ، ونحو ذلك

والدكتور فياض يقول بالامتناع عن كافة المنبهات والمسكرات حتى السيكارة البريئة بعد الطعام لا يوافق عليها ولا يتسامح فيها . وبالكتاب نحو ست مقالات خاصة بجمال البشرة والوجه والبدن و كيفية مراعاة ذلك بالاعتماد على الغذاء الصحيح والعادات الحسنة

وقد نشر الهلال طائفة حسنة من مقالات الدكتور فياض فليس بين قرائنا من لم يتذوق طلاوة اسلوبه وسلاسة معانيه ، وجمعه الموفق بين الادب والطب ، وبين الحقيقة والخيال ، و بين الشعر والنثر

وفي الحقيقة ان هذا الكتاب هو من الكتب القليلة التي تظهر بين سنة وسنة فتثبت أن في أدبنا العصري نهضة راهنة . واننا لنجد من نافلة القول أن نحث قراءنا على اقتنائه

المرأة في التمدن الحديث للاستاذ محمد جميل بيهم

طبع بمطبعة السلام ببيروت صفحاته ٢٨٠

الاستاذ محمد جميل بيهم معروف لدى قراء الهلال بمؤلفاته السابقة في تحرير التاريخ العثماني وفي المرأة ايضاً . وهذا الكتاب خاص بوصف احوال المرأة ورقيها من لدن ختام القرون الوسطى الى الآن . وقد قسم المؤلف كتابه الى ثمانية أجزاء بحث فيها هذه الموضوعات من حيث علاقتها بالمرأة : القرون الوسطى . عصر النهضة . المرأة في القرن السابع عشر . المرأة في القرن

الثامن عشر . القرن التاسع عشر ثم القرن العشرين ثم الجزء السابع في البحث في حقوق المرأة ثم بحث في الاعمال المشتركة التي تقوم بها النساء

والمؤلف يميل الى التقرير اكثر مما يميل الى النقد ولذلك فكتابه مجموعة فريدة من المعارف الخاصة بالمرأة في الخمسمائة السنة الماضية كما ترى مثلاً من كلامه عن المرأة الاسوجية في القرن التاسع عشر وما نالت من حقوق التوظف التي كانت خاصة بالرجل . فقد ذكر السنة ونوع الحق الذي نالته كما يلي :

١٨٤٦ تساوى الجنسان بحق الاتجار ، ١٨٥٩ توسع نطاق حقوق المرأة التجارية ، ١٨٦١ رخص للنساء التوظف بشرطة ادارة الصحة ، ١٨٦١ سمح للنساء بمزاولة طبابة الاسنان ، ١٨٦٣ قبلت المرأة في خدمة البرق والبريد ، ١٨٦٤ ازدادت المرأة حقوقاً في الاعمال التجارية ، ١٨٦٩ توظف الجنس اللطيف في اعمال السكك الحديدية ، ١٨٨٦ توسعت حقوق المرأة بالاستخدام في مصلحة البريد ، ١٨٩١ قبلت المرأة في خدمة مخازن العقاقير والادوية

والكتاب كله على هذا النسق وهو بهذا الاعتبار وثيقة فريدة يجب ألا تخلو منها مكاتب جميع المشتغلين بمسائل النساء . وكل قارىء شرقي ينتفع بقراءة هذا الكتاب لكي يدرك مقدار الرقي الذي ارتقت اليه المرأة الاوربية و يقابل ذلك بحال المرأة الشرقية

علم الطبيعة : نشوؤه ورقيه للاستاذ مصطفى نظيف

طبع بمطبعة مصر صفحاته ٤٢٣ وثمنه ٢٥ قرشاً

قلما يعثر الانسان على كتاب قد انفق عليه من العناية والدرس مثلما انفق على هذا الكتاب فهو لا يبحث في علم الطبيعة من حيث هو علم يُدرس ويُدرَّس بل يبحث عن تطور الافكار في هذا العلم وتتبع الاوهام فيه وهما بعد وهم من عهد مدرسة الاسكندرية الى الآن . وقلما يفتح بصيرة الانسان في العلم مثل هذه الابحاث فان من يقرأ تاريخ التطور الخاص بأي علم يستكنه روح هذا العلم و يتبين فيه الطريق التي تؤدي الى الصواب والطريق التي تؤدي الى الخطأ . ونقول بعبارة اخرى ان قراءة تاريخ أحد العلوم يجعل للانسان غريزة علمية تقوده نحو السداد في فحص النظريات ونبذ الاوهام . واعتقادنا انه لو وضع مثل هذا الكتاب في الانجليزية والالمانية لحق لمؤلفه أن يفتخر به . فان فيه من الدقة والعناية والدأب في تحرير النظريات ما هو جدير بالعالم المحقق الذي يرضى بالجهد والتعب في سبيل العلم

وقد قسم المؤلف كتابه الى سبعة أبواب هي : نشوء علم الطبيعة . تكون علم الميكانيكا . تكون علم الحرارة . تكون علم الضوء . تكون علم المغنطيسية . نشوء النظرية الكهربائية . أحدث الكشوف والنظريات العلمية

ونحن سننقل فيما يلي نبذة مما كتبه المؤلف عن انقضاء الحركة العلمية في الاسكندرية :

« استمرت الحركة العلمية في الاسكندرية مدة طويلة ولكن كادت حركة الابداع في العلم تقف من بعد بطليموس القلوذي · وكادت القدرة على استخراج النظريات وابتكار المخترعات تزول فاقتصر المشتغلون بالعلم على فهم تصانيف أسلافهم ، قانعين بذلك عن البحث والعمل على توسيع دائرة العلم · وربما كان ذلك راجعاً الى الحالة السياسية التي صارت اليها الاسكندرية بعد أن تم للرومان الاستيلاء على مصر · ولم تكن للرومان عناية تذكر بالعلوم الطبيعية ولم يكن قياصرتهم من ناصريها · فلا غرو أن يقف العلم في عصرهم عن التقدم والرقي

« ولما ظهرت النصرانية وصارت الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية انصرفت الاذهان الى تطبيق الفلسفة على الدين ، وابتدأت عندئذ المناقشات والمجادلات الدينية ، وأفضت الى ما تفضي اليه عادة من الاضطهاد ، حتى بلغ الامر ان بدد ما بقي من دار الكتب في الاسكندرية ، بعد أن أحرق منها ما أحرق في عصر « يوليوس قيصر » ، ثم تلا ذلك ما أصاب « ايباشيا » من رعاع الاسكندرية ، وعندها تم القضاء على الحركة العلمية ، واتجهت المباحث بعد ذلك الى غاية واحدة هي الغاية الدينية البحتة »

حوران الدامية للاستاذ حنا ابي راشد

عنيت بنشره (مكتبة زيدان العمومية) بشارع الفجالة نمرة ٦٢ بمصر
صفحاته ٣٤٠ وثمنه ٢٥ قرشاً

هذا كتاب مفيد واف في موضوع الدروز به نحو ٢٦ فصلاً في وصف حوران كما هي الآن وكما كانت ايام الاتراك يلي ذلك وصف العراك بين الدروز وبين الفرنسيين وما تبودل في ذلك من المكاتبات وشرح مستفيض لما اصاب دمشق وغير دمشق من الدمار مدة القتال بين الوطنيين والفرنسيين · ثم بحث في انساب عشائر الدروز وأعيادهم وعوائدهم وأحوال المرأة عندهم

والكتاب مزين وموضح باكثر من مائتي صورة وخريطة

ولهجة المؤلف حماسية يكتب مدافعاً عن الحرية واستقلال السوريين ولكنه مع ذلك لا يغفل تنوير القارئ، وتزويده بالمعارف الوافية عن الموضوع · والكتاب على وجه العموم من أفضل ما كتب عن الدروز وحوران وعلاقة سوريا بفرنسا · وقلما يفتح الانسان جريدة هذه الايام لا يجد فيها ذكراً للدروز ولذلك يجب أن يقتني هـذا الكتاب الفريد كل من يهتم بتتبع أخبار العراك الناشب الآن بين الدروز والفرنسيين

مطبوعات جديدة

﴿ صور المفاوضات بين سلطان نجد وجمعية خدام الحرمين ﴾ في شهري يناير وفبراير من السنة الماضية أوفدت جمعية خدام الحرمين الشريفين الهندية وفداً لمفاوضة جلالة سلطان نجد بشأن الحرمين والمحافظة عليهما والتحقيق في شأن ما ارتكبه النجديون من القسوة في معاملة الحجازيين · وقد وقعت هذه المكاتبات في ٣٧ صفحة وفيها روايات غريبة عن النجديين وأعمالهم · والمعروف ان سلطان نجد طرد الوفد الهندي من الحجاز

﴿ ذكرى علي فهمي كامل بك ﴾ كان المرحوم علي فهمي كامل اليد اليمنى لشقيقه المرحوم مصطفى كامل باشا في ترويج الدعاية الوطنية · فلما مات شقيقه أخلص الولاء لمحمد فريد بك وكان الى وقت وفاته منذ أشهر أول من يحمل راية الحزب الوطني ويذود عنه وعن خططه . وقد جمعت السيدة الفاضلة لبيبة أحمد صاحبة مجلة النهضة النسائية طائفة من الخطب التي القيت في ذكرى هذا الفقيد مع ترجمته في ٧٣ صفحة هي جزء من تاريخ مصر في العشرين السنة الماضية

﴿ السموم وعلاجها ﴾ رسالة صغيرة وضعها الاستاذ محمود أحمد خليل في ستين صفحة تناول فيها الكلام عن بعض السموم الشائعة التي يتعرض لها الصناع أو غيرهم مثل حمض الفنيك والصودا الكاوية وملح البارود والسليماني · وقد مهد لذلك بعشرين صفحة تكلم فيها عن جسم الانسان

﴿ تاريخ مدرسة الفنون الاميركية في صيدا ﴾ أسست هذه المدرسة سنة ١٨٨١ لتعليم الطلبة في صيدا بعض الفنون الصناعية التي يستطيعون التكسب منها وقد بدأت بتعليم أربع صنائع وهي البناء والنجارة والخياطة وصناعة الاحذية غير العلوم والآداب وقد جمعت المدرسة تاريخ نشوئها في كراسة صغيرة تبلغ ٢٢ صفحة تدل على همة القائمين بهذه المدرسة

﴿ مذكرات صانع مصري ﴾ لمؤلفها عثمان افندي عوض وهي كراسة صغيرة تحتوي على تاريخ حياة المؤلف وكيف نشأ ونجح في صناعته حتى ارتقى من درجة العامل الى صاحب العمل وهي جديرة بانعام النظر وخاصة عند أولئك الذين يحسبون ان للصناعة عقبات في مصر لا تمهد

﴿ مذكرات الجيب الهندسية ﴾ جاءتنا ثلاثة أجزاء الاول والثاني والثالث من هذه المذكرات الفريدة التي يضعها المهندس المعروف ابراهيم زكي وكلها خاصة بالري والبناء وكل ما له علاقة بالمهندسين · والمذكرات غاية في اتقان الطبع والتجليد حافلة بالاحصاءات والتقديرات المتقنة فهي لذلك من لوازم المهندسين مهما كان عملهم سواء في العمارات أو الري أو الجسور أو

غير ذلك · والمؤلف مهندس مشهور بوطنيته و براعته في فنه

❊ أديان العرب في الجاهلية ❊ تأليف الشيخ محمد الجارم يقع في ٢١٢ صفحة و يبحث في عقائد العرب قبل الاسلام ومقام الكعبة عندهم وتقاليدهم المتبعة في الدفن والحج وأحوال المجوسية والنصرانية واليهودية في جزيرة العرب . ونحن الآن في عهد قد انتبهت فيه النفوس الى أحوال الجاهلية وهذا الكتاب جدير بالدرس هذه الايام لهذا السبب

❊ جامع التصانيف الحديثة ❊ وهي التي طبعت من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٦ جمعها ورتبها الاديب يوسف اليان سركيس الدمشقي · مع اهمال اسماء الروايات . وقد وقعت هذه القائمة في ١٦٥ صفحة وقد رتبها جامعها بحسب الموضوعات أولاً ثم عاد فوضع قائمة ابجدية بأسماء المؤلفين

❊ الذبائح ❊ للاستاذ انطون يزبك وهي مأساة في اربعة فصول مكتوبة بالعامية المصرية وقد لاقت نجاحاً شاذاً لا تلاقيه أي درامة مؤلفة وقد طبعتها شركة القرطاس طبعاً أنيقاً فجاءت في ٧٦ صفحة . والقصة جديرة بالقراءة والمشاهدة

❊ البناية الحرة ❊ أو خطرات عن الماسونية لمؤلفها الاستاذ الدكتور احمد ابي شادي تقع في ١١٥ صفحة وهي خطبة في شرح الماسونية وفصل آخر في بيان انظمتها ورموزها ويمكن جميع الذين يعتقدون السوء في الماسونية أن يقرأوا هذه الرسالة الواضحة ففيها شفاء لكل راغب في الوقوف على اسرارها ومنافعها · وهي مثل كل ما يكتبه الدكتور طليـة الاسلوب واضحة المعنى شريفة المقصد

❊ الايدي العاملة ❊ قصة اخلاقية تأليف الاديب ميخائيل افندي جرجس تقع في ٩٨ صفحة كبيرة تحوي من العظات والعبر ما تلذ مطالعته . وقد عني الاديب سمعان الحاماتي صاحب مكتبة النسر في توكومان في ارجنتينا بطبعها . وهذه همة تشكر له لاحيائه أدب العرب في بلاد المهجر

❊ كتاب الجبر ❊ للدكتور دافيد سمث نقله الى العربيـة الاستاذ جلال امين زريق لمدارس بغداد وقد قررت وزارة المعارف في العراق تدريسه · وهو يقع في ٢٢٠ صفحة · وحبذا لو التفتت وزارة المعارف بالعراق الى الكتب المطبوعة بمصر في المواد التعليمية فانها قد بلغت هنا غاية بعيدة من الاتقان نود لو ينتفع بها ابناء العراق ونظن ان المعلمين المصريين يحسنون لو بعثوا مؤلفاتهم للعراق

❊ اخبار الحمقى والمغفلين ❊ لابن الجوزي وهو كتاب مشهور وُضع في القرن السادس الهجري وقد أحسنت مطبعة التوفيق في دمشق بطبعه فجاء في ١٧٢ صفحة · وقد أُلحق بالكتاب

خطبة ألقاها الاستاذ عبد القادر المغربي عن ابن الجوزي و كتابه هذا . والكتاب على وجه العموم من الكتب النفيسة الممتعة

﴿ رواية رفائيل خزامي ﴾ قصة أدبية وضعها المطران جرمانوس معقد تقع في مائة وسبع صفحات وغاية المؤلف بث الاخلاق الفاضلة في صورة قصة تغري الشباب بقراءتها وهي تطلب من مطبعة القديس بولس في حريصا في لبنان

﴿ أناشيد الثورة السورية ﴾ لجامعها وناشرها الاديب الفاضل عبد الكريم العطار جمع فيها أناشيد ملحنة لمعروف الرصافي وأرنست نعمة الله بك والشيخ نديم الملاح وغيرهم صفحاتها ٣٢ جيدة الطبع والورق ٠ ومع كل انشودة اللحن الذي يوافقها

﴿ وثائق تاريخية للكرسي الملكي الانطاكي ﴾ لمؤلفها الشماس توما المظلوم وهي كما يدل عليها عنوانها تبحث في حقوق هذا الكرسي وبها ترجمة البطريرك مكسيموس مظلوم الذي هو عم المؤلف ٠ وقد وقعت في ١١٠ صفحات كبيرة ٠ وهي تطلب من مطبعة القديس بولس في حريصا في لبنان

﴿ اللاسلكي للخاص والعام ﴾ كتيب مفيد يقع في ١٥٢ صفحة للفاضل محمد منير رفعت عن الراديو الذي قلما يخلو منه بيت الآن في اوربا وقد شرح المتن بصور واضحة تقرب المعنى للقارئ ٠

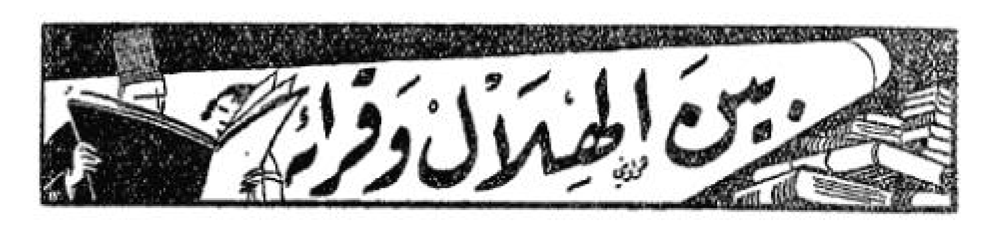
﴿ الجزء الرابع من خطط الشام ﴾ للاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي وقد سبق ان ذكرنا المجهود العظيم الذي ينفقه الاستاذ كرد علي في هذا الكتاب الذي يكاد يكون تاريخاً لسوريا كلها ٠ وهذا الجزء يقع في ٣١٠ صفحات ويكاد يكون مقصوراً على تاريخ الأدب والزراعة والصناعة في سوريا ٠ وهذا الجزء مثل ما سلف من الاجزاء حسن الطبع ناصع الصور

﴿ ابنة المملوك ﴾ قصة مصرية تاريخية تمثل فجر نهضة مصر أيام محمد علي بين سنتي ١٨٠٤ و ١٨٠٧ تأليف الاستاذ محمد فريد ابي حديد تقع في ٤٣٥ صفحة حسنة الاسلوب طلية الحوادث فنرجو لها الانتشار الذي تستحقه

اعتذار

تضطرنا كثرة المواد المعدة للنشر في الهلال الى تأخير طائفة من الرسائل المفيدة . فنلتمس عذراً من اصحابها

كذلك نعتذر الى الذين يرسلون الينا أسئلة لنرد عليها في الهلال فان كثرتها تضطرنا الى تأجيل النظر في جانب منها



صحة التنفس

⁂ القاهرة ⁂ أحد المشتركين

كثيراً ما يتعرض الانسان للعدوى فلا يصاب بها ثم يتعرض في وقت آخر فيصاب فلماذا ؟

⁂ الهلال ⁂ أحياناً تنحط قوى الانسان فيقبل جسمه العدوى ولا تقوى الحويصلات البيضاء في الدم على قتل جراثيم المرض المغير على الجسم . ولذلك فانه اذا وفدت وافدة فان الضعفاء يقعون فيها بنسبة اكبر من وقوع الاقوياء . وان كان ضعفهم قد لا يمكن تبينه في ظاهرهم . وأحياناً توافق الاحوال الجوية بعض الجراثيم فتقوى على الغارة . وهذا علة ظهور الوافدات في اشهر وركودها في أشهر اخرى

وراثة الامراض

⁂ الكويت . البحرين ⁂ أحد القراء

ما دام الانسان هو نتاج امه وابيه فهل هو يرث امراضهما جميعاً أم يرث مرض احدهما ؟

⁂ الهلال ⁂ الامراض لا تورث وانما تنتقل بالعدوى انتقالاً غير وراثي من الام أو الاب لانه ما دام الجنين يتغذى من امه فمعقول انه اذا كانت امه مريضة بمرض ما فان هذا المرض ينتقل اليه عن سبيل الدم . ومع ذلك فان الطبيعة تحمي أحياناً الجنين من عدوى امه كما يحدث في التدرن وانما الذي يورث هو قابلية المولود للامراض التي يقبلها ابوه أو امه . فاذا حوفظ عليه من عدوى هذه الامراض لم يُعدَ بها

النبات في الليل والنهار

⁂ بغداد . العراق ⁂ عبد الكريم بغدادي

هل صحيح ان النبات يتغذى و يتنفس في النهار ولكنه ينقطع عن التغذي في الليل و يقتصر على التنفس ؟ واذا كان هذا صحيحاً فلمَ ذلك ؟

⁂ الهلال ⁂ هو كذلك . والنبات لا يتغذى في الليل لأن اداة تغذيته هي ضوء الشمس فاذا انقطع هـذا الضوء لم تستطع الورقة الخضراء تمثيل الكربون الذي بالهواء . وتنفس النبات لا يختلف البتة من تنفس الحيوان الا من حيث الكمية . فنحن والنبات في عملية التنفس نمتص الاكسجين ونفرز الكربون . ولكن النبات يتغذى (غذاء فقط لا علاقة له بالتنفس) بالكربون في النهار

نكبة كولمبوس

❊ قلعة صالح العراق ❊ غضبان رومي

يقال ان كولمبوس نكب بعد اكتشافه اميركا فهل ذلك صحيح ؟

❊ الهلال ❊ في سنة ١٥٠٠ بينما كان كولمبوس يكتشف القارات لاسبانيا وشى به الاسقف فونسيكا للملك فأحضر مقيداً بالسلاسل من اميركا الى اسبانيا . وأفرج عنه بعد التحقيق ولكن الملك لم يمنحه ما كان وعده به من القاب الشرف لانه وان كان قد وجده بريئاً مما اتهمه به الاسقف فونسيكا فان قلبه لم يطب له وبقي مجفواً الى يوم وفاته . وكان في أواخر ايامه قد املق املاقاً عظيماً . ولكنه عندما مات احتفلت به الحكومة الاسبانية احتفالاً فخماً كانها تعيضه به مما قاساه من جفائها السابق له

لغة التدريس في المدارس العليا

❊ معمورة العزيز . تركيا ❊ احد المشتركين

ما هي لغة التدريس في المدارس العليا في مصر ؟

❊ الهلال ❊ اكثر المواد تدرس بالانجليزية ولكن بعضها يدرس بالعربية ولو وجد العدد الكافي من المعلمين المصريين لكان التدريس كافة بالعربية . والجامعة المصرية تستورد المعلمين من اوربا وهم يلقون محاضراتهم بالفرنسية أو الانجليزية

السوريون والنهضة المصرية

❊ النجف . العراق ❊ يوسف . . .

هل لابناء سوريا ضلع في النهضة المصرية الحديثة ؟

❊ الهلال ❊ لقد أيدت الصحف والمجلات التي أسسها أو أنشأها سوريون هذه النهضة . تأييداً كبيراً فان أصحابها في الواقع يعدون أنفسهم مصريين . وكانت ايضاً صحفهم ومجلاتهم هذه احد اسباب النهضة بما كانت تبثه في النفوس من اخبار الرقي العالمي فتستثير بذلك غيرة قرائها وتطلعهم الى التقدم

اطالة القامة

❊ بيروت . سوريا ❊ هادي احمد

هل ثم دواء يمكن تناوله لاطالة القامة ؟

❊ الهلال ❊ اذا كانت الغدد الدرقية التي بالعنق مريضة وصاحبها قصير فقد يمكن أن يرجع قصره الى هذه الغدد . فاذا عولجت وشفي أدرك حدود قامته الطبيعية . أما اذا كان القصر طبيعياً فلا علاج له . وانما هناك تمارين تساعد الجسم على الامتداد والنمو اذا مورست في سن

الصبا والشباب • وأهم هذه التمارين هي التعلق واللعب على العارضة التي تسمى « العقلة » وجميع التمارين الجمازية تساعد العظم على النمو

أمريكا أو أميركا

❋ كنجستون • جاميكا ❋ فريد حنا

أرى بعضهم يكتب أميركا وغيره يكتب أمريكا فأيهما أصح ؟

❋ الهلال ❋ اذا اعتبرنا اصل الاسم كانت لفظة أميركا أصح الالفاظ واذا اعتبرنا القياس مع افريقا وجب ان نكتبها أمريقا

مجلات تشبه الهلال

❋ القاهرة • مصر ❋ حسن صبري

ما هي أشهر المجلات التي تصدر باللغة الانجليزية وتشبه مجلة الهلال في أبحاثها التاريخية والاجتماعية ؟

❋ الهلال ❋ ربما تجدون مطلوبكم في هذه المجلات :

Current History, The World Today, Review of Reviews

البواسير

❋ بغداد • العراق ❋ م • ب

كيف تنشأ البواسير وما علاجها ؟

❋ الهلال ❋ البواسير هي تمدد في الاوردة التي بالمستقيم وانفجارها • وأهم أسبابها المعيشة التي تستدعي القعود كثيراً والامساك المتوالي او المتواتر • وجميع الامراض التي تحدث بطئاً في الدورة الدموية مثل اختلال الكبد او الادمان على المسكرات • وعلاجها تجنب كل ما من شأنه ان يحدث امساكاً مع تجنب الاسهال ايضاً • وقد اصيب بالبواسير كثيرون وشفوا منها بالوسائل الصحية البسيطة • اما اذا ساءت الحالة جداً فيمكن اجراء عملية لقطعها

تصوير الانسان نفسه

❋ قليوب • مصر ❋ عبد الشكور محمد حسن جاد

كيف يمكن رساماً أن يرسم نفسه وكيف يمكن مصوراً أن يصور نفسه بنفسه تصويراً فتوغرافيا؟

❋ الهلال ❋ يمكن الرسام أن يفعل ذلك عن سبيل المرآة وقد رسم رمبرانت نفسه بهذه الطريقة رسماً بديعاً • ويمكن المصور الفتوغرافي أن يفعل ذلك بنفسه أيضاً عن سبيل المرآة ولكن الصورة لا تكون متقنة كما لو صوره غيره مباشرة

الالفاظ الانجليزية

﴿ القاهرة . مصر ﴾ قيصر دانا

هل من طريقة لتسهيل الهجاء الانجليزي وهل تعرفون كتاباً يحتوي على قواعد لصحة الاملاء الانجليزي حتى يميز الانسان بين الالفاظ المشتركة في النطق المختلفة في الهجاء ؟

﴿ الهلال ﴾ بالانجليزية كتب كثيرة في هـذا الموضوع . ولكن قد دلنا اختبارنا على ان القـاعدة لا تنفع صاحبها اذا لم يكن قد رأى الكلمة بالذات وحفظ هجاءها على حدة . وقد يأتي هذا الحفظ من الالفة التي يكتسبها القارئ بالقراءة

العلم واصله

﴿ القاهرة . مصر ﴾ محمد محمد العطار

متى استعمل العلَم لاول مرة وفي أي الاقطار كان ؟

﴿ الهلال ﴾ كان العلم معروفاً عنـد الفرس والرومان . وقد استعمله العرب في حروبهم ولكنه لم تكن له سكة واحدة لا تختلف . بل كان كل قائد يضع علمه كما يهوى . وكان الحال كذلك في القرون الوسطى في اوربا حتى كان لكل أمير علم سكته هي شارة الامير او رتبته . فلما نهضت الدول الحديثة قررت السكك التي تطبع على اعلامها

زراعة البن

﴿ الاسكندرية . مصر ﴾ ك . ا

هل تنفع زراعة البن في مصر وهل الحب الذي يباع في الحوانيت يمكن زرعه وما هي الاقطار التي تزرعه الآن ؟

﴿ الهلال ﴾ الغالب ان مناخ مصر لا تكفي حرارته و رطوبته لزراعة البن . وقد رأينا شجيرة البن مزروعة تحت الزجاج في الصعيد وذلك لتوفير الحرارة والرطوبة لها . أما الحب الذي يباع في الحوانيت فلا ينفع للزراعة لانه مقشور . والاقطار التي تزرع البن هي : برازيل التي تقدم للعـالم أربعة أخماس غلة البن . ثم سيلان ثم الحبشة وليبريا واليمن و بعض الدويلات المجاورة لبرازيل

باشلس التدرن

﴿ بغداد . العراق ﴾ أحد المشتركين

هل ثم خطر على رجل قوي البنية من التدرن اذا كان الباشلس يوجد في لعابه وهل تؤثر حرارة الشمس في الباشلس وتميته وما الطريقة لتنقية اللبن والجبن من الباشلس اذا كانت البقرة المحلوب منها اللبن مريضة بالتدرن ؟

﴿ الهلال ﴾ يوجد باشلس التدرن أحياناً في لعاب الاصحاء ولكن تجب العناية مع ذلك بمن يكونون كذلك ومراقبتهم وحرارة الشمس لا تؤثر في الباشلس وانما هو ضوءها الذي يقتله · و يجب ان يكون هذا الضوء خالصاً الى الباشلس أي يسلط عليه عن غير سبيل الزجاج · واغلاء اللبن يقتل الباشلس منه وعندئذ يمكن شربه أو عمل الجبن منه ولكن خير من ذلك تناول اللبن من بقر سليم

العقد الاجتماعي

﴿ أسيوط · مصر ﴾ سائل

هل العقد الاجتماعي الذي ألفه جان جاك روسو مترجم الى العربية ؟

﴿ الهلال ﴾ لم ينقل هذا الكتاب الى العربية فيما نعلم · وبالمكاتب كتاب يدعى العقد الاجتماعي لاحمد حسنين القرني ليس هو كتاب روسو

صوت الفنوغراف

﴿ كاكا · سودان ﴾ سيدين

كيف ينقل صوت الانسان الى اسطوانة الفنوغراف ثم كيف نسمع نحن هذا الصوت ثانية منها ؟

﴿ الهلال ﴾ اذا قعدتم على مقعد غير محشو وقعد الى جانبكم آخر وزعق شعرتم بزعيقه اهتزازات تبلغ جسمكم من خلف المقعد اذا لم يكن محشواً · فالصوت يحدث اهتزازات · فاذا عمدنا الى آلة دقيقة كالابرة فسلطناها على جسم لين كجسم اسطوانة الفنوغراف وطلبنا من احد ان يتكلم او يغني وجعلنا هذه الابرة تسير على سطح الاسطوانة انطبعت اهتزازات الصوت على الاسطوانة · ويمكننا عندئذ ان نعيد هذه الاصوات بواسطة نفير لتكبير الصوت بحيث اذا مرت الابرة في منعرجاتها سمعنا الصوت ثانية

اصل الكهربائية

﴿ شطرة · العراق ﴾ احمد الحاج حسن زويلف

ما هي الكهربائية ومن الذي اخترعها ؟

﴿ الهلال ﴾ كان الاغريق يعرفون وجود الكهربائية وقد اطلقوا عليها هذا الاسم لانهم وجدوا انها هي خاصة موجودة في الكهرباء · والكهرباء هو اللثي الذي تسميه العامة الكهرمان · ولكن الاغريق لم يعرفوا ماهيتها ولا استعملوها لمصالحهم · ونحن وان كنا نستعملها لمصالحنا فاننا ما زلنا نجهل ماهيتها وقد شرع العلماء يدرسون الكهربائية من القرن السادس عشر فان جلبرث وهو عالم انجليزي وضع كتاباً سنة ١٦٠٠ عن المغناطيس والاجسام الممغنطة فعالج فيه الكهربائية واستمر الاكتشاف ثم الاختراع الى وقتنا هذا



هل ينشأ ابنك على التدخين ؟

اذا كنت لا ترغب في أن يدخن ابنك عند ما يكبر فخير ما تفعله الا تدخن أنت . فهذا على الاقل هو ما توصل اليه الاستاذ ايرب في كلية انطاكية في الولايات المتحدة . فقد أحصى طائفة كبيرة من المدخنين واستقصى أحوال آبائهم فوجد :

ان ٥٧،١ في المائة من ابناء المدخنين يدخنون

وان ٤١،٢ « « غير المدخنين يدخنون

ومعنى هذا ان القدوة خير معلم

كيف تعرف الحب ؟

كيف تعرف الفتاة انها تحب خطيبها وانها اذا تزوجته ستكون سعيدة به ؟

تعرف ذلك اذا كانت تستطيع أن تقضي معه يوماً كاملاً تحادثه وهي لا تتثاءب ولا تسأم وترغب في زيادة حديثه

وتعرف ذلك أيضاً اذا كانت تشعر انها تستطيع أن تبذل نفسها له وانها تؤثره أحياناً على نفسها

وتعرف ذلك اذا كانت لا تستثقل حديثه اذا لم يكن خاصاً بمدحها والاشادة بجمالها . فكلنا يحب التمليق والمدح ولو كان في غير موضعها ولكننا نسأم غير ذلك الا ممن نحبهم

وعلامة الحب في الفتاة الراغبة في الزواج ان تشعر انها تكون سعيدة مع زوجها ولو نالهما الفقر والحرمان

الذقن المدبرة

من المألوف عند من يزعمون صحة الفراسة ان الذقن البارزة تدل على قوة الارادة وان الذقن المدبرة دليل الوهن في الارادة وضعف العزيمة . ولكن أحد العلماء ينكر هذا الرأي الآن ويقول انه ليس ثم أية علاقة بين الذقن والارادة . وان كثيرين ممن لا يكاد تكون لهم ذقون من أقوى الناس ارادة . وهو يقول ان ادبار الذقن قد يرجع الى علة الكساح في الطفولة فاذا عولج الطفل من الكساح لم تدبر ذقنه

المعز فوق الاشجار

يقول الدكتور فيرتشيلد وهو مندوب زراعي للولايات المتحدة يطوف حول العالم لاكتشاف البذور والفسائل الغريبة لارسالها الى بلاده انه رأى في جنوب مراكش ان أصحاب المعز يرسلون هذه الحيوانات فوق الاشجار لترعى · فان هناك غابات شجراء قد التفت أشجارها وتواشجت عروقها وفروعها حتى اظلت الارض تحتها فاجدبت وصار من فروعها معترش كبير تمشي عليه الجديان واناثها وتأكل أوراق الشجر وتعود الى حظائرها للمبيت فكأن الاشجار مرعى خصيب لها

ممنوع التدخين الا ...

عمدت الطالبات في كلية ولسلي بأمريكا الى التدخين فصرن يدخن علانية · ورأى مجلس الكلية ان هذه العادة تشين الكلية فاجتمع وكان من اعضائه المعلمون والطالبات فقرر منع التدخين علانية واجازه سراً اي انه يجوز للفتاة ان تدخن في غرفتها ولكنها تمتنع امام الناس

وليس غريباً ان تمنع الفتاة من التدخين الا في السر والستر في بلاد تمنع الخمر عن الفتى الا في السر والستر ايضاً

الشعر لتحقيق الشخصية

يستعمل الشعر الآن مثل طابع الابهام لتحقيق شخصية المجرمين فكما ان كل انسان يختلف طابع ابهامه عن طابع ابهام أي انسان آخر كذلك يختلف شعر كل انسان عن شعر أي انسان آخر · فان في كل شعرة حراشف صغيرة تشبه حراشف السمكة وهي لا تتفق عند اثنين من الناس · ناهيك باللون والنسيج فانهما يدلان دلالة اضافية زيادة على هذه الحراشف

واجب الشك

كتب الاستاذ هولدين مقالاً بهذا العنوان قال فيه ان ما يجب أن يشكو منه الناس ليس كثرة الشك بل قلته · فان العلوم لم تتقدم الا بالشك وانه عند ما يزول الشك بين العلماء ويجمعون على نظرية في فرع ما من الابحاث يقف التقدم في هذا الفرع حتى يظهر مرتاب جديد يشك في النظرية · وان العالم الراسخ انما يقبل النظرية كائنة ما كانت باعتبارها فرضاً وقتياً يمكن العمل به ولكن يجب الاستغناء عنه اذا وجد فرض أصلح منه · وان هذه الطريقة أي اعتبار الشك واجباً على كل انسان قد آن الاوان لادخالها في السياسة والادب والدين والاخلاق

العقرب لا تنتحر

كان البعض يزعم ان العقرب اذا احيطت بسياج من نار حاولت الخروج فاذا وجدت طريق الهرب مسدوداً غرزت حمتها في ظهرها وسمت نفسها وماتت · ولكن التجارب اثبتت ان العقرب

لا تنتحر وانما هي تتاوت فاذا حملت ووضعت في مكان بارد دبت فيها الحياة فتسعى الى مكان تختبىء فيه . ثم ان سم العقرب لا يفعل فيها فعله في الحيوانات الاخرى . والعقرب تقبض على فريستها بكلاليبها ثم تسمها حتى يتخدر جسمها ولا تقدر على الحركة وتشرع عندئذ في مص ما فيها من سوائل لأن العقرب لا تأكل وانما تشرب فان فمها صغير جداً لا يزيد في السعة عن عين الابرة . واحياناً تقبض على عقرب اخرى صغيرة أو ضعيفة وتمص ما فيها من سوائل بعد ان تخدرها ايضاً بسمها . وسم العقرب كما قلنا لا يقتلها ولكنه يؤثر اثراً يشبه التخدير في العقارب الضعيفة أو الصغيرة

والعقرب من اقدم الحيوانات على الارض فقد رؤيت متحجراتها أي أحافيرها في الفحم وهي لا تختلف عن العقارب الراهنة الا اختلافاً بسيطاً

الفولاذ عند قدماء المصريين

من أغرب ما وجد في مدفن توتنخ أمون خنجر من الفولاذ . فان المصرلوجيين كانوا يعتقدون الى وقت قريب ان المصريين لم يعرفوا الحديد ولم يستعملوه وقد كشف عن عدة مدافن فلم يعثر فيها على حديد . ولكن هذا الخنجر لا يدل على انهم عرفوا الحديد فقط بل أيضاً عرفوا الفولاذ . وبقي بعد ذلك أن نتساءل هل كانوا يستنبطونه في بلادهم أو كانوا يجلبونه من الخارج ؟

وعلى كل حال فان الذي يمكن الاستقرار عليه ان الحديد كان معروفاً ومستعملاً قبل سنة ١٣٠٠ ق ٠ م ٠

كيف نعمر طويلا ؟

اذا كان من ينصح لك في معيشتك طبيباً وبلغ السنة المائة من عمره فقد حق عليك أن تسمع لنصيحته . وهذا الطبيب هو الدكتور جون فيلد سئل عن السر في بلوغه هذه السن فقال: « لا أعرف شيئاً سوى الاكل القليل والحياة البسيطة فمعظم الناس يموتون من كثرة الاكل . ومما يساعد على التعمير أن يكون للانسان أفكار شريفة ومثل أعلى يرمي اليه من حياته وأن يغذو نفسه بالافكار السامية التي هي نتاج المفكرين العظام . أما من حيث الطعام فخيره الفواكه والخضراوات والبيض والزبدة واللبن والخبز ويجب توقي جميع الاطعمة الفاسدة ثم يجب الاستحمام كل يوم وفرك الجلد جيداً »

في سبيل التوفير في بلجيكا

لجأت الحكومة البلجيكية الى اتخاذ تدابير عنيفة في سبيل تحسين نقدها ، وكان في مقدمة العاملين لانهاض قيمة الفرنك البلجيكي الملك البير وقرينته الملكة فانهما ابتدآ بأكل الخبز المقرر صنعه ممزوجاً ببعض اصناف الحبوب والمعمم استعماله في جميع البلاد عند الاغنياء والفقراء على

السواء ويقدرون ان التوفير الممكن احرازه من وراء صنع الخبز على الطريقة المار بيانها يبلغ عشرة ملايين فرنك في السنة . وبعد الفراغ من الحصاد يزيد مبلغ التوفير الشهري بحيث يكون اربعين مليوناً من الفرنكات . وصدر امر ملكي يقضي باقفال جميع المحلات العامة الساعة الاولى بعد نصف الليل وقد استثنيت الاماكن التي يؤمها القوم للاصطياف ولكنها من تاريخ اول اكتوبر القادم تمتثل للامر الآنف الذكر

وقد حددت مقادير الفحم الممكن تصديرها وحددت ايضاً اسعاره . وفي المطاعم لا يجوز تقديم الطعام الساخن بين الساعة ١٤ والدقيقة ٣٠ والساعة ١٨ والدقيقة ٣٠ وذلك لاجل توفير الوقود. وافتتحت كما افتتحت في فرنسا اكتتابات اختيارية لانهاض قيمة الفرنك ، فأقبل الناس من جميع الطبقات على الاشتراك في تلك الاكتتابات

الذهب في الرين

في نهر الرين ذهب وقد كانوا يستخرجونه منه في ستراسبور ، واطلق على احد شوارع تلك المدينة اسم « شارع الذهب » وهو على مقربة من رصيف القديس نقولا . وقد خطر لاحد الاساتذة في جامعة فرنكفور ان يحسب الذهب الممكن استخراجه من النهر فقال ان في كل متر مكعب من مياهه ثلاثة اجزاء من الالف من المليغرام ذهباً و ٦ مليغرامات من الفضة فيكون ما يمكن استخراجه منه في السنة ٢٠٠ كيلوغرام من الذهب مما يعادل ٣٣٥٠٠٠٠ فرنك بحسب سعر الفرنك الحالي اي نحو ١٤٠ فرنكاً للجنيه الانكليزي

الزنجي والجمال

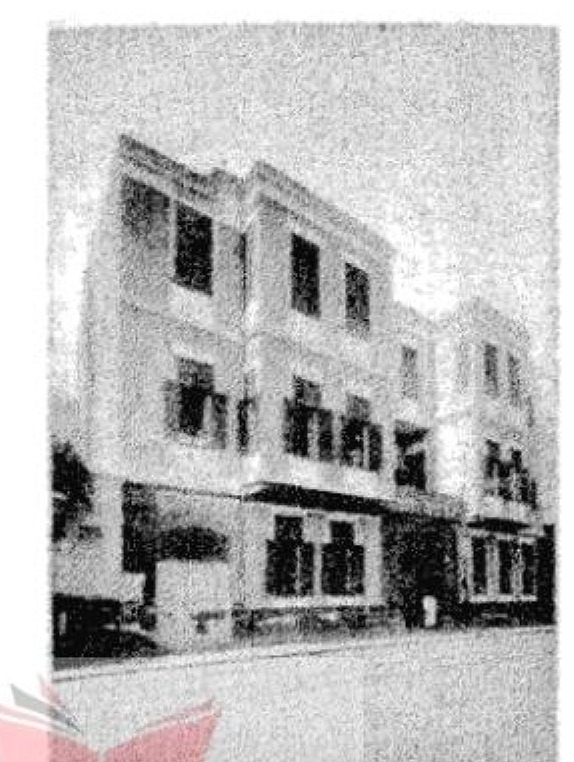
كنا ذكرنا في أحد أعداد الهلال الماضية ان كفلي الزنجية يضخمان لان ذوق الزنجي يتطلب ذلك . وقد جاءنا من الاديب نوهرا المعلوف في سنغال هذه الكلمة عن هذا الموضوع :

لا شك في أن الزنجي ينتخب الانثى ذات الكفلين الضخمين البارزين ولكنا لا نرى للوراثة أثراً من ذلك الانتخاب في الاولاد الذكور ، فضخامة الكفلين وبروزهما لهما عندي تعليل غير الانتخاب قد يرجع الى التربية وذلك أن الانثى الزنجية لا تكاد تبلغ السادسة من سنيها حتى تأخذ أمها طفلها وتشده بأقماط الى ظهر ابنتها هذه فوق الكفل وحيث يثقل الابنة هذا الحمل يبرز صدرها وكفلها ويبقى الطفل على ظهرها طول النهار . ثم لا يزال هذا عملها حتى يكبر الطفل فتهتم عندئذ بأشغال بيتها وتحصيل معاشها فتحمل طبقاً على رأسها تضع فيه مواد تجارتها وتذهب بها الى الساحة العمومية لبيعها . وفي حملها هذا الطبق يكون رأسها مستقيماً وصدرها وكفلها بارزين اضطراراً لتثبيت الطبق على رأسها وغالباً يكون الطفل أيضاً على ظهرها وهكذا ينمو صدرها وكفلها بارزين أما الذكر فلا يكون كذلك لان تربيته غير تربية الانثى



السيدة هدى شعراوي

السيدة هدى شعراوي من اكبر الزعيمات المصريات وقد كانت لها جولات في السياسة الوطنية أبلت فيها البلاء الحسن ورفعت بها شأن مصر عامة والمرأة المصرية خاصة وقد سعت المساعي الحميدة لتحرير المرأة وتعليمها وانشاء الاندية والمدارس وكللت اعمالها بالنجاح الذي كان يطمع في مثله المرحوم قاسم امين . ونحن ننشر صورتها هنا لمناسبة ما تفضلت به من الحديث مع مندوب الهلال عن الشؤون الوطنية المختلفة



مبرة محمد علي

من الاعمال العظيمة التي قامت بها السيدة هدى شعراوي هذه المبرة التي كانت هي اكبر عامل في انجاحها حتى صارت الآن من المؤسسات الخيرية الكبرى للامة . ويرى القارىء الى اليسار صورة مستوصف هذه المبرة وفي أسفل صورة المرضى وقت العيادة

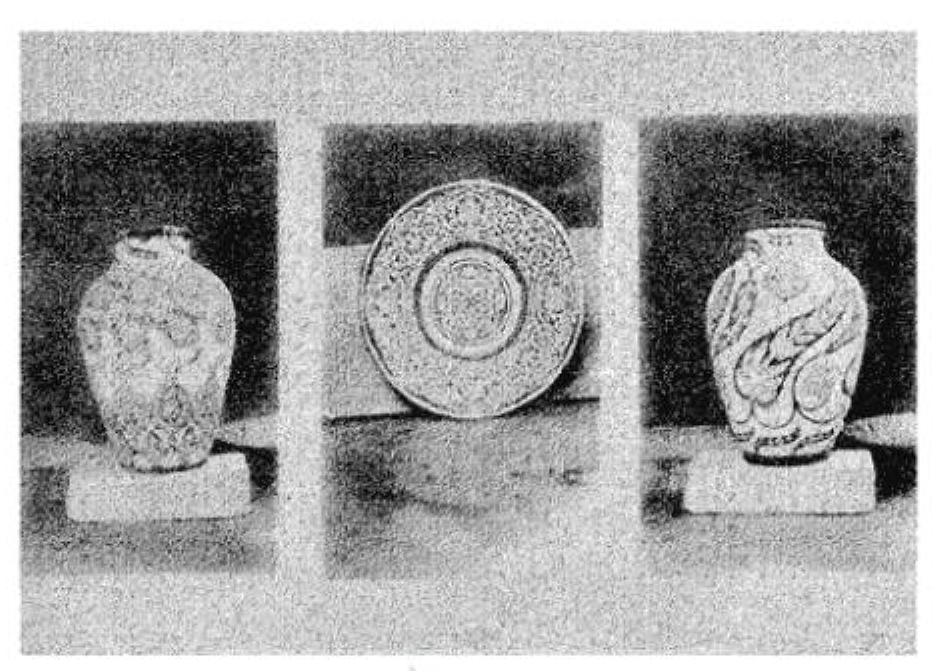




من الاعمال الخيرية الناجحة التي مدت اليها السيدة هدى شعراوي يد المعونة والبر وخدمتها بمالها وجهدها وجاهها هذه الدار التي تدعى « دار الاتحاد النسائي » ويرى هنا منها قسم الخياطة حيث تعلم الفتيات فناً ينفعهن في حياتهن



قسم آخر من أقسام « دار الاتحاد النسائي » حيث تعلم الفتيات صناعة السجاد المصري



دفعت الغيرة الوطنية السيدة هدى شعراوي الى احياء صناعة وطنية راقية هي صناعة الخزف فأسست مصنعاً في روض الفرج بالقاهرة وجلبت له العمال الوطنيين الذين ترى مصنوعاتهم هنا



تصنع الاطباق والزهريات في مصنع روض الفرج على انماط عربية قديمة او على انماط مصرية وتزين باللوطس رمز المصريين القدماء او بالخط الكوفي الذي كان معروفاً ايام الخلفاء

حديث مع السيدة هدى شعراوي

المرأة منذ ٣٠ سنة ـ السفور ـ الجمعيات النسائية ـ وطنية المصريات ـ مطالب المرأة ـ مصنع الخزف

سيجد المؤرخ في المستقبل مادة دسمة لتاريخه في الشهر الماضي . فاني أظن انه من البديهيات أن مؤرخي المستقبل لن يقصروا همهم على الحروب والملوك ونحو ذلك بل هم سيسجلون للامم حوادث تطورها ورقيها الاجتماعي والعمراني ويروون ثوراتها الصامتة والناطقة ولن يقتصروا على الرواية بل يعللون و يستنتجون . ففي الشهر الماضي حدث شيئان عظيمان بل ثورتان صامتتان يحتاج المؤرخ في المستقبل الى أن يبحث تاريخنا في الالف السنة الماضية لكي يقف على كنههما و يعرف مبلغ أثرهما . وهذان الحادثان هما :

١ ـ ان الحكومة الفت لجنة لاصلاح الزواج والطلاق في مصر وقررت هذه اللجنة منع تعدد الزوجات الا باذن من القاضي ومنع الطلاق الا في حدود تحول دون الاكثار منه

٢ ـ اجتمعت لاول مرة في تاريخ الاسلام في مصر نساء مسلمات في سوق خيرية اقامتها جمعية الاتحاد النسائي التي ترأسها السيدة هدى شعراوي وكن في اجتماعهن مختلطات بالرجال ومع ذلك سافرات

فكلتا هاتين الحادثتين ثورة صامتة سيكون لها آثارها البعيدة في تطور الامة المصرية وسيجد فيهما المؤرخ مادة صالحة يغذو بها تاريخه . ولكن هذا المؤرخ نفسه سيتساءل و يتعجب عندما يعرف أن قاسم أمين وضع كتابين جليلين في تحرير المرأة قبل ثلاثين سنة ومع ذلك لم يلاق من الناس الا اللوم والتقريع بل التشنيع حتى اذا مات وطويت سيرته وبلي كتاباه وتنوسي اسمه اذا بالناس يعملون بقوله في السفور والزواج والطلاق

وها أنا ذا اسعف هذا المؤرخ بما يحتاج اليه من التفسير . فاقول ان الامة المصرية عندما انهزمت أمام الانجليز سنة ١٨٨٢ كانت هزيمتها معنوية أكثر مما كانت حسية . فقد رأت الخديو الذي هو محور استقلال البلاد ينضم الى الانجليز و يطلب حمايتهم ورأت عرابي رمز حريتها يسجن و ينفى . فانكسر قلب الامة وجرحت كرامتها . وعندما نهض الشاب مصطفى كامل يطلب الاستقلال لم يجد في الامة نفسها قوة تسنده فجعل يستند الى الاتراك و يقول بحق الاتراك في امتلاك البلاد . ورأى قادة الامة بعد أن خابوا وفشلوا في اعتمادهم على أنفسهم انه لا حق لهم في هذا الاعتماد فسكتوا عن المطالبة بالاستقلال وعن اصلاح شئونهم الاجتماعية . وبقيت

مصر فترة طويلة هي فترة الارتداد بعد نهضة عرابي لا تعمل لاصلاح ولا تريده . حتى قيضت الاقدار لها قاسم أمين فتى تربى في اوربا وعاد الى وطنه جديداً في نفسه وذهنه فجاءنا يقول بحرية المرأة والعمل لتأسيس « عائلة » مصرية . ولكن نفس مصر كانت لا تزال مهزومة والذكرى سنة ١٨٨٢ ندوب لم تبرأ فقوبلت دعوته لاول وهلة بالفتور اكثر منها بالمعارضة . ولكن الشاب مصطفى كامل كان يستند في مقاومته للانجليز الى السلطان عبد الحميد والى الخديوي عباس . وكلاهما كان يغذوه بماله وجاهه وكلاهما كان جامداً رجعياً لا يبغي من الدنيا سوى زيادة سلطانه الشخصي ولا يبالي برقي الامة التي قضت الاقدار بان يتولى عليها . واوعز له الخديوي بان يعارض آراء قاسم فاخذ مصطفى كامل في الحملة على قاسم يخصه كل يوم بمقالة افتتاحية . وقضى في ذلك اشهراً حتى نجح في تهزئة كل من يقول بالسفور وفي حض الامة على لزوم الحجاب

فهذا المؤرخ الذي فرضنا وجوده في المستقبل لن يحار اذن في تعليل فترة النوم الطويلة التي اعقبت تأليف قاسم امين لكتابيه لانه سيعرف انها ترجع :

١ ـ الى الهزيمة النفسية التي أصابت مصر عقب احتلال الانجليز حتى صار الناس لا يؤمنون بأية نهضة أو بالاعتماد على أنفسهم في أي شيء .

٢ ـ والى معارضة الخديو والشاب الوطني مصطفى كامل للسفور

واحتاجت الامة بعد ذلك الى الحرب الكبرى لكي تنظر الى قلبها وتعرف نفسها الحقيقية وتثق بالقوة على النهوض فهبت في سنة ١٩١٩ تطالب بالاستقلال وهب النساء يطلبن حقهن في الوجود ورؤيتهن العالم وجهاً لوجه ، لا عن سبيل الحجاب كاللصوص يختلسن النظرة بعد النظرة من وراء ستار . وكانت السيدة هدى شعراوي تحمل لواء هذه الدعوة وهي لا تزال كذلك في المقدمة وفي الميدان لا تتقهقر بل لا تقف . لهذا رأيت أن أروي للقراء تاريخ النهضة الحديثة للنساء المصريات عن لسان عميدتهن في هذه النهضة فقصدت الى قصر السيدة هدى شعراوي . وهناك بغرفة الانتظار أخذت اتأمل الاثاث فوقع في نفسي من تنسيقه ذلك الذوق السامي الذي يعرف للصورة الجميلة قيمتها وللصيني الفاخر سحر صنعته وشعرت بذلك الترف الذي يرى على اقصاه في المنازل الانجليزية والذي يشعر منه الغريب الزائر للندن ان الانجليز اكثر الناس حضارة في العالم . وبعد برهة دخلت السيدة فرأيتها ربعة لها وجه صبوح مشرق وفي خلقها من السماحة والوقار ما يشعرك بأنك بازاء سيدة قد نشأت على الرفعة في بيت كريم ولو لم تعرف قبلاً ان والدها هو سلطان باشا وان زوجها هو شعراوي باشا

والسيدة هدى لم تدخل قط مدرسة لسبب بسيط لا يتعارض ومنطق الاغنياء وهو ان المدرسة انتقلت الى قصر أبيها فكان عندها في صباها معلمون ومعلمات مصريون واتراك وفرنسيون . وتزوجت وهي في منتصف الرابعة عشرة من عمرها فلم تنقطع عنها في هذا السن تربية المعلمين

ولكنها شرعت أيضاً في اكتساب تلك التربية الاجتماعية العالية التي تنال بالاختلاط بين الطبقات الراقية في مصر

قلت : انك الآن يا سيدتي في طليعة النهضة النسائية فهل لك أن تعودي بالذاكرة الى حوالي سنة ١٩٠٠ وتصفي لنا حال المرأة في ذلك الوقت لكي نقدر الآن مدى التقدم ؟

قالت: هذا تاريخ قديم فقد كنا كلنا محجبات قبل سنة ١٩٠٠ وكان لايجوز لواحدة منا ان تذهب الى مخزن تجاري لكي تشتري ملابسها بنفسها ٠واذكر اني حوالي تلك السنة تجرأت وتمردت وذهبت بنفسي الى مخزن تجاري في الاسكندرية يحف بي الخدم والاغوات من امام ومن خلف واشتريت بنفسي بعض الملابس وانا ارى الموظفين يتهامسون ويتعجبون لجرأتي في الذهاب بنفسي لشراء حاجاتي لان العادة المتبعة في ذلك الوقت كانت تقضي بأن نبقى ببيوتنا ونبعث في طلب ما نريد شراءه فيأتينا الى البيت واما نحن فلا نخرج الى الحوانيت

قلت : هذا عجيب فانا نرى الحوانيت الآن غاصة بالنساء والفتيات . ولكن ألم يكن لكن جمعية ولو بمنزل احداكن تتذاكرن فيها وتتلهين ؟

قالت : كلا. وانما اذكر انه حوالي سنة ١٨٩٨ دعتني زوجة محمود رياض باشا كما دعت غيري واقترحت علينا ان تنشىء في منزلها ميداناً للعب التنس وان نؤلف منا جمعية يشترك اعضاؤها فوافقناها . وقامت هي الى قطعة من حديقة قصرها فهيأتها ميداناً جميلاً للعب ثم لكي لا تجرح عواطفنا عمدت الى سياج عال من الخيام فأقامته حول الميدان حتى لا يرانا احد اذا لعبنا . وكتبت الدعوة الى عدد كبير من السيدات لحضرنا جميعاً وخطبتنا هي واوضحت لنا الغرض من اجتماعنا ثم دعتنا الى القيام للميدان لكي نتعلم اللعبة فلم نتحرك واحدة منا. فأعادت الحث والحض والتحريض بلا فائدة . وأخيراً خرجت بناتها فلعبن بالميدان اما نحن فقنعنا بشرب القهوة ثم خرجت كل واحدة الى منزلها . وفي تلك الاثناء عرفت زوجة رشدي باشا وكانت امرأة فرنسية سامية المقاصد عالية التربية وكانت قد أوعزت الى طائفة من السيدات ان يؤلفن ملجأ لرعاية الاطفال . فتألفت اللجنة الاولى لهذا الملجأ ولكن الذين كتبوا شروط العضوية ادخلوا فيها ألفاظاً تصدم حياء المرأة وكبرياءها فلم تنضم السيدات اليها ٠ وحدثت حادثة دنشواي سنة ١٩٠٦ وكان لليدي كروس مستوصف رائج الحال متوافر المال يتبرع له المصريون بسخاء فكف المصريون عن التبرع وساءت حاله ٠ فدعت الاميرة عين الحياة زوجة الامير حسين كامل طائفة من السيدات لتأسيس «مبرة محمد علي» لكي تقوم بعمل شبيه بما يعمله مستوصف الليدي كروس ٠ ونجحت هذه المبرة وهي لا تزال ناجحة وهي اول عمل قامت به النساء بنجاح ٠وعلى ذكر هذه المبرة يجب ألا ننسى فضل الآنسة كليمان الفرنسية والمدام باكوس فكلتاهما خدمت واخلصت في الخدمة ٠ وقد انتخبت انا

رئيسة للجنة الادارية للمبرة وحاولنا ان نؤسس للمبرة مدرسة ولكننا لم ننجح في ذلك فاقتصرنا على المستوصف

قلت : انها لبداية حسنة نستبشر بها ونتفاءل اذ بدأت نساء مصر أعمالهن في الحياة العمومية بالاهتمام بالاطفال والمرضى ٠ ولكن ألم تفكرن في ذلك الوقت في السفور ؟

قالت : كلا ٠ وانما جاء السفور بعد سنة ١٩١٩ فانه لما هبت الامة هبتها في تلك السنة واعمل الانجليز سيوفهم وبنادقهم ومدافعهم في شباب مصر رأيت ان الواجب يقضي عليّ بعمل ما ٠ فكتبت الى الليدي برونيات اناشد فيها الحرية التي ينادي بها الحلفاء واطلب منها ان تعمل لكف ابناء وطنها عن تقتيل شبابنا في الشوارع ٠ فلم ترد على خطابي ٠ ثم رأينا نداءات من الطلبة يدعوننا الى المظاهرة والمطالبة بحقوق مصر ٠ فتخاطبنا بالتلفون واتفقنا واستأذنا السلطة البريطانية لكي نقوم بمظاهرة فلم تأذن لنا الا اذا كنا على العربات لا نسير على أقدامنا ٠ فرفضنا ٠ وأخيراً اذيع خطأ انها اذنت لنا فخرجنا ونحن محجبات ليس فينا سافرة واحدة وأتذكر ان زوجي حاول ان يمنعني فقلت له : « اذا كنتم أنتم الرجال تعملون للوطن وترون ذلك واجباً عليكم فكيف تحرّمون هذا الواجب علينا » وخرجت وسرت في المظاهرة وانا احمل علمها ٠ وسرنا ونحن سكوت بين بنادق الانجليز وتصفيق الوطنيين الى أن بلغنا دار سعد باشا

قلت : ولكن متى كان السفور ؟

قالت : في سنة ١٩٢٠ سافرت الى رومية لمؤتمر الاتحاد النسائي وكانت معي الآنسة سيزاه نبراوي والآنسة نبوية موسى ٠ واشتركنا في هذا المؤتمر ورفعنا رأس مصر التي كان يظن اكثر الاعضاء انها قطعة من افريقيا معنى ومبنى . فلما عدت من رومية في تلك السنة نزعت البرقع وكان ذلك آخر عهدي به ٠ وانت ترى من السوق الخيرية التي اقمناها هذا الشهر ان طائفة كبيرة من النساء قد اقتفين اثري ونزعن النقاب ٠ وكلنا الآن تعرف حكمة قاسم امين والضرر الذي ألحقه بنساء مصر معارضو آرائه

قلت : ولكن ما تزعمينه من الضرر يزعمه غيرك منفعة ويقول ان الاسلام يحتمه

قالت : كلا ٠ لا يعقل ان الاسلام الذي منح المرأة من حقوق الامتلاك ورعاية اموالها بنفسها ما لم تبلغه المرأة الكاثوليكية والذي تقول المذاهب الاربعة فيه انه يجوز للمرأة ابداء الوجه والكفين ـ اقول لا يعقل ان الاسلام وهذا شأنه يقول بهذا الحجاب الذي يؤخر رقي المرأة المصرية

قلت : لقد كان لكنّ شأن في السياسة فهل لك ان تقولي ماذا كان عملكن فيها

قالت : اجل ٠ لقد الفنا لجنة سياسية لخدمة البلاد ولم يكن من الممكن ان تعقد الاجتماعات النسائية في المساجد كما يفعل الرجال فعقدناها في كنيستكم في الدرب الواسع فكان من ذلك تعارف وتآلف بين السيدات المسلمات والقبطيات ٠ والفنا « لجنة الوفد النسائية » ولكني انسحبت منها

قلت : لقد تكرمت يا سيدتي باخباري عن البدايات : بداية السفور وبداية انشاء الجمعيات النسائية فهل لك ان تخبريني عما تم من اعمالكن بعد ذلك ؟

قالت : قبل الحرب حاولت انا والآنسة كليمان ان نؤسس « جمعية الرقي الادبي » وننشىء ناديًا يجتمع فيه النساء وتلقى عليهن فيه المحاضرات ولكن نشبت الحرب وصارت السلطة تعارض في اي اجتماع فمات المشروع في مهده . وبقينا طول مدة الحرب لا يؤذن لنا بأي عمل اجتماعي . ففي سنة ١٩٢٠ أسست بعض المعلمات « جمعية المرأة الجديدة » وانتخبت انا رئيسة لها واشترينا لها الانوال لحياكة السجاجيد وانشأنا بذلك مدرسة للبنات لتعليمهن

قلت : وهذا المشروع قد تبرعت له السيدة هدى بالف جنيه اشترت بها انوالاً لهذه المدرسة وعدت الى اسئلتي فقلت : وما هو تاريخ نادي الاتحاد النسائي الذي ترأسينه ؟

فقالت : اسسناه في سنة ١٩٢٤ وهو ناد ومدرسة ومشغل واعماله كلها ناجحة . وكانت السوق التي اقامتها رائجة وكانت النساء سافرات اوكان اكثرهن كذلك لا يرين حرجًا في الاختلاط بالرجال . وقد قدمنا مطلبين للحكومة لتحد سن أدنى للزواج وللمساواة بين الذكور والاناث في التعليم ثم اربعة مطالب اخرى للحكومة ولقينا نجاحًا كبيرًا ونؤمل تحقيقها وهي :

١ ــ منع تعدد الزوجات بدون مبرر ٢ ــ منع الاسراع في الطلاق بدون سبب جوهري

٣ ــ منع الظلم الذي يقع بالمرأة في اجبارها على الذهاب الى دار زوجها

٤ ــ منع الزوج من أخذ أولادها وهم بعد في السن التي يحتاجون فيها الى عناية أمهم

* * *

هذا ما تكرمت به السيدة هدى شعراوي من الحديث لقراء الهلال ومنه يرى القارىء انها تعمل اكثر مما تقول وتقصد الى منفعة الوطن لا الى اطراء الناس . وقد ذكرت الف جنيه تبرعت بها لجمعية المرأة الجديدة لم تخبرني هي عنها ولها آلاف أخرى من الجنيهات تبرعت بها ايضًا في البر . ثم هي تنفق على مجلة فرنسية تحررها لتذيع فضل مصر ورقيها أمام الاوربيين الذين لا يزالون يحسبوننا افريقيين . وقد أحيت صناعة مصرية قديمة هي صناعة الخزف فأنشأت مصنعًا في روض الفرج ولكنها قبل أن تنشئه بعثت بأحد الشبان المصريين الى سيفر في فرنسا لكي يتعلم الخزافة وأنفقت عليه الى أن عاد . وخرجت من عندها وأنا أقول في نفسي ان السفور بعيد عما يزعمه اعداؤه من التبرج واللهو لاني رأيت في السيدة هدى امرأة سافرة ولكنها تقرن الى سفورها جداً ووقاراً وخدمة للوطن وعملاً للبر ــ اجل وانشاء صناعات جديدة للمصريين . ومثل هذه السيدة يتشرف كل مصري بأن يراها في مركز الزعامة لنساء الوطن

س . . .

أدب وفكاهة

« سعادة اليوم » (Le bonheur-du-jour)

قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي ادموند جيرو (Edmond Guiraud)

تلخيص وتعليق الدكتور طه حسين

وليس ينبغي ان يخدعك هذا العنوان فتقدر انك ستقرأ تحليل قصة خلقية اجتماعية تعرض للسعادة وتصور الناس لها في هذا العصر ، فليس بين القصة التي نلخصها في هذا الفصل و بين هذا الموضوع صلة ما . وانما « سعادة اليوم » اسم اداة من هذه الادوات التي تتخذ في الدور نستطيع ان نطلق عليها هـذا الاسم العامي المبتذل « المكتب » وتريد به هذه المائدة التي تتخذ للكتابة وفيها ادراج كثيرة تحفظ فيها السيدات اوراقهن وما لهن من هذه الادوات الدقيقة المتنوعة . « فسعادة اليوم » في هذه القصة ليست شيئاً غير هـذا . هو لفظ أطلق في عصر من العصور الفرنسية وفي طبقة من الطبقات الفرنسية على هذه الاداة الشائعة . وقد اعطت هذه الاداة الشائعة اسمها لهذه القصة لانها كانت تحتوي سراً من اسرار اسرة فاستكشف هذا السر وكان استكشافه مصدر طائفة من الاحداث والانفعالات عبثت بطائفة من القلوب والنفوس عبثاً عرضه علينا الكاتب في قوة ودقة ومهارة خليقة بالاعجاب

ولعلك لم تنسَ بعد هـذه القصة البديعة التي حدثتك عنهـا في الشهر الماضي ، قصة الفؤاد المقسم . ولعلك لم تنسَ بعد هذه العواطف المختلفة التي تتنازع القلوب وتعبث بالنفوس فيما رأيت من قوة وعنف . فقصتنا في هـذه المرة تشبه تلك القصة من هذه الناحية فهي قصة جهاد عنيف بين عواطف قوية حادة تتنازع قلباً كريماً بريئاً من الشر والاثم ولكنه في الوقت نفسه متأثر اشد التأثر بالحياة الاجتماعية وما توارث الناس من عادة ورأي وحكم وما تواضعوا عليه من خُلق ونظام . هي قصة نفسية لانها تعرض عليك نفساً انسانية في ظرف من هذه الظروف الحرجة العسيرة التي تكشف عن دخائل الانسان وتجرده او تكاد تجرده من كل هذه اللفائف التي تلفه بها الحياة الاجتماعية . وهي قصة اجتماعية لان هذه النفس التي يعرضها عليك الكاتب انما تألم وتحس ما تحس من عذاب وتخضع لما تخضع له من حرب وجهاد بحكم الاوضاع الاجتماعية المتناقضة و بحكم الاحداث الاجتماعية التي تحدث في حياة الناس من حين الى حين فتكوّنهم كما تحب لا كما يحبون وتصورهم كما تريد لا كما يريدون . وهي قصة خلقية ايضاً لان هـذه النفس حين تألم وتشعر

بالعذاب مضطرة الى ان تظهر شيئاً من الجلد والقوة على المقاومة ، وهي لا تقاوم عبثاً وانما تقاوم فراراً من شر وحرصاً على خير ونفوراً من الاذى ورغبة في البر

وهي بعد هذا كله قصة لم تنسَ المثل الاعلى الذي يضعه الافراد والجماعات امامهم حين يحبون وحين يختلفون في أمورهم المتباينة

هي هذا كله وهي الى هذا كله نموذج من نماذج اللفظ المختار المنتقى والحوار الدقيق اللطيف والمعاني الجيدة التي فكر فيها صاحبها فأحسن التفكير ونسقها فأجاد التنسيق . وقد يستطيع هذا الفصل من فصول التمثيل الفرنسي ان يغتبط بعض الاغتباط فهو غني بهاتين القصتين وهو خير من فصول أخرى سبقته ولم يظهر فيها كما رأيت في الشهر الماضي الا لون من هذا القصص التمثيلي الفاتر الذي لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء

ولأعرض عليك أشخاص هذه القصة كما تعودت ان افعل بازاء القصص الاخرى . فقد يكون هذا العرض أيسر سبيل الى فهمها وتذوقها . ولكني حائر لا أدري بأي هؤلاء الاشخاص ابدأ ، فالظاهر ان لهذه القصة بطلاً ممتازاً تدور حوله ولكن اشخاصها جميعاً ابطال ممتازون ، وما أرى في حقيقة الامر الا أن لكل واحد منهم حياته القوية المؤثرة الممتازة . أأبدأ بهذا الشاب الذي تدور القصة كلها حوله والذي يظهر انه البطل الممتاز فيها والذي يظهر في الوقت نفسه انه ضحية ابيه وامه وعصره ؟ ولمَ لا ؟ فلا بد من ان نبدأ بواحد من هؤلاء الابطال . فليكن هذا الشاب

***

جان بليسيه (Jean Plessiers) شاب قد ناهز من عمره الثلاثين جميل المنظر قوي عذب الخلق حلو الحديث رقيق القلب . ولكنه في الوقت نفسه بطل من ابطال الحرب الكبرى ، ادركته ولما يكد يدع المدرسة فدخلها جندياً ولكنه ابلى فأحسن البلاء ، وتقلب في مراتب هذه الخدمة العسكرية العاملة وذاق آلامها ولذاتها جميعاً حتى انتهى به الامر الى ان اصبح ذا مرتبة عالية في فرقة الطيران . وقد أحسن البلاء في هذا اللون من ألوان الحرب وجرَّ عليه ذلك خطوباً والواناً من الشرف فرأى الموت وصافحه او كاد واضطر الى المستشفى وتحلى صدره بالاوسمة المختلفة ثم انجلت عنه غمرة الحرب فاذا هو يعود الى حيث يقيم ابواه في احد الاقاليم الفرنسية ويعيشان عيشة ثروة ونعمة وعمل وهدوء . يعيشان في قصر فخم من قصور العصور الوسطى اشترته الاسرة حين اثرت ، ولكن هذا القصر وما حوله من الارض الواسعة مهملان او كالمهملين لان رئيس الاسرة منصرف عنهما الى مهنة الطب التي يحبها ويكلف بها . فاذا عاد الشاب الى اسرته اسرعت ففكرت في ان تكل اليه تدبير هذه الثروة على ان يكون ذلك عمله في حياته ، واسرعت فاختارت له فتاة حسناء لتكون زوجه ، وظهر اطمئنان الفتى الى هذا النوع من الحياة فعني بالقصر والارض وشغف بالفتاة وشغفت به الفتاة ايضاً واخذا يستقبلان الحياة في ابتسام

وبهجة لولا « سعادة اليوم » التي حدثتك عنها في اول الفصل والتي ستظهر لهذا الفتى ان نشاطه وسروره وابتهاجه للعمل في هـذه الحياة السلمية ليست طبيعية وانما هي علة يتعلل بها كارهاً وانما حيـاته الحقيقية في الحرب · وهذا الشاب من ابوين مختلفين أشد الاختلاف في الطبقة والتربية فأمه من اسرة شريفة بعيدة في الشرف تحفظ نسبها في القرون الوسطى وتذكر ما كان لاجدادها من بلاء في تاريخ فرنسا ومن مكانة في قصور ملوكها · وأم هذا الفتى قد ورثت عن اسرتها الشريفة هذه كل خلالها فهي مترفة مهذبة رقيقة ممتازة ، وقد اورثت هذه الخلال كلها ابنها الشاب

اما ابوه فمن طبقة اخرى · من هذه الطبقة التي كانت مهضومة مظلومة قبل الثورة والتي اكتسبت الحرية بعـد الثورة ، وجدّت فأضافت الى الحرية ثروة وقوة واستئثاراً بالحكم · وفيها خلالها فهي نشيطة عاملة صريحة شريفـة الخلق · وفيها عيوبها ايضاً فهي غليظة خشنة قليلة الحظ من التهذيب والرقة والامتياز لا تتنزه عن صغائر تعافها الارستوقراطية · كان جد هذا الفتى يعمل في البريد ولكنه جدّ حتى اثرى واحسن تربية ابنه حتى اصبح ابنه وزيراً في الامبراطورية الثالثة وترك هذا الوزير ابناً احسن تربيته فهو طبيب وهو ابو هذا الشاب

وهذا الشاب متأثر (كما قلنا) بما ورث عن امه نافر أشد النفور من أخلاق أبيه فهو لا يكاد يحتمل أباه منذ رجع من الحرب وهو يألم لهذا ولكنه لا يجد الى اتقائه سبيلاً · وأبوه يألم له أيضاً ولكنه يروض نفسه على هذا الألم وقد علمته الحياة ان يروض نفسه على الألم · فقد نشأ كما رأيت ابناً لهذا الوزير وادركته حرب السبعين وما تبعها من الهزيمة فتركت في نفسه ما تركت في نفس الفرنسيين جميعاً من هذه الآثار المؤلمة التي يمثلها ضعف العزيمة والاستسلام ثم الطمع والشك · وكان ابوه ضخم الثروة فزوجه من امرأته الشريفة الفقيرة · وجدّ هذا الرجل في مهنة الطب حتى احبها علماً وعملاً واتخذها سبيلاً الى البر بالفقراء والاحسان الى البائسين · وهو شديد الاعجاب باسرته وجدّها ونشاطها لا يكره مع ذلك ان يزدري الاشراف وخمولهم وكبرياءهم · ولكن الحياة كانت تدخر له ألماً هو الذي جعله بطلاً كما انه اسبغ البطولة على امرأته ايضاً · وليس من الخير ان تتعجل فنكشف لك عن هذا الألم فهو قوام الشطر الاول من القصة

فلندع هـذه الاسرة ولنذكر الشخص الرابع من اشخاص القصة وهو جرمين داجوزون (Germaine D'Aguzon) خطيبة جان · فهي فتاة جميلة فتانة ولكنها فقيرة · هي من اسرة نبيلة ولكن اباها كان سيء السيرة والخلق وامها كانت تعسة سيئة الحال · فاما ابوها فقد مات · واما امها فقد بقي لها من هـذه الحياة السيئة ضرب من الاضطراب العقلي والخلقي يمثله الغرور والشره والتكلف وما الى هـذه الاخلاق مما يجعل الانسان موضع السخرية والاشفاق في وقت واحد · ولكن الفتاة لم تتأثر بشيء من هـذا وانما نشأت نبيلة ذكية القلب جلدة قوية الارادة قادرة على

المقاومة ولكنها رقيقة محبة ايضاً . ولم تكد تعرف هـذا الفتى حتى احبته حباً قوياً عنيفاً ولكنه شريف ممتاز يشبه حب الفتى لها

هؤلاء هم الاشخاص لم اعرض عليك من امرهم الا ما يمكن ان يعرف قبل ان تحدث حوادث القصة فتكشف من نفسياتهم عما كان مخبوءاً؟

* * *

فاذا كان الفصل الاول فنحن في اعلى القصر في هذه الغرف التي تتخذ ملقى للادوات العتيقة بعد ان يستغنى عنها و يزهد فيها فتترك في هذه الغرف مهملة وديعة في ايدي الزمان يفنيها قليلاً قليلاً وتهمل معها هذه الغرف قد اغلقت أبوابها من دون هذا المتاع كما تغلق المقابر دون ما تودع من اجسام الموتى . وقد صعد جان الى احدى هذه الغرف ففتح ابوابها ونوافذها للهواء والضوء واخذ يتفقد ما فيها من متاع في اعجاب وشغف وما هي الا ان اخذ ينسق من هذه الغرفة وما فيها مكاناً يستقبل فيه خطيبته وامها وابويه لتناول الشاي . وكانت هـذه الفكرة قد خطرت لخطيبته حين علمت بأن في اعلى القصر ادوات قديمة من متاع القرون الوسطى فأقبل الفتى يهيىء لها هذه الغرفة وهو يحاور في ذلك خادمه حواراً لذيذاً خفيفاً . فهو كلف بهذا المتاع القديم لانه يمثل حياة آبائه ولكن خادمه منصرف عن هذا المتاع لانه عتيق قد عمل فيه الفناء ولانه يؤثر الجديد الذي لم ينله البلى . وانظر الى الغرفة قد نسقت تنسيقاً حسناً والى طاقات الزهر قد وضعت في هـذه الآنية القـديمة ثم انظر الى الفتاة قد اقبلت فما تكاد تنظر الى هـذه الاشياء حتى تفتن بهـا وتمضي في الاعجاب والثناء . وما كان اخلقها ان تمضي في ذلك الى غير حد لولا انها تحب صاحبها ، وصاحبها يحبها ، وخلوتهما ضيقة محدودة فلا بد من ان يتحدثا في الحب ولا بد من ان يتبادلا هذه القبل التي يفتن الخطيبان في انتهاز الفرص لها

وهما يتحدثان في حبهما في خفة ورشاقة وجد أيضاً . ونحن نحس اننا لسنا أمام حب فاتر او نزق وانما هو الحب القوي الحاد الذي لا يكاد يدخل القلب حتى يملأه ويستأثر به ويندفع منه الى جميع الملكات والعواطف والحواس فيخضعها لسلطانها . هـذا الحب الذي كله ثقة وامل ورغبة واحترام وطمأنينة . وهما في هـذا الحديث وفي هذا الحب واذا الاسرة قد اقبلت فلا ألخص لك ما يدور من حوار حول المتاع ثم حول الشاي فقد تستطيع ان تستغني عن هذا كله وانما ألاحظ ان الاب قد اقبل فرحاً مبتهجاً فتغنى مع الفتاة بعض اغاني الاقاليم وكانت الفتاة بهذا مبتهجة وامها كذلك وامرأته ايضاً الا الفتى فقد غاظه ذلك وضاق به ذرعاً ولم يستطع ان يخفي ضيقه بل عرّض باللوم لابيه وقبل الشيخ هـذا اللوم في ألم وغيظ وحزن وسخرية . وانقضى الشاي بين الضحك والحزن تتقيه ام الفتى ما استطاعت

ثم يعلن الشيخ الى الفتاة ان في القصر غرفاً كهذه الغرف فيهـا متاع أقدم من هـذا المتاع

واجمل . فترغب الفتاة في ان ترى . ويقبل الشيخ على ان يظهرها على هذا المتاع وينصرفون جميعاً الا الخطيبين يتخلفا فيما يظهر ليختلسا كلمة او قبلة . والفتاة تدعو صاحبها الى ان يتبعها الى حيث ترى المتاع وهو يأبى ويتعلل وما هي الا ان تفهم من تعلله انه لا يريد ان يرافق اباه وانه ضيق الذرع بأبيه وطبقة ابيه وما لهذه الطبقة من عادة وما فيها من عيب ، وانه شديد الاعجاب بأمه وطبقة امه وما فيها من ترف ولين ورقة وانظر اليه وقد استكشف هذا المتاع القديم الذي كان يسمى « سعادة اليوم » فهو يظهر الفتاة على محاسنه وما فيه من رشاقة فنية وهو يقارن لها بين هذه الاداة الرشيقة التي تمثل ذوق امه واسرتها الشريفة ، وبين تلك الادوات الغليظة التي يمتلىء بها القصر والتي تمثل ذوق هذه الطبقة الوسطى التي سادت بعد الثورة

وقد تركته الفتاة فعمد الى هذا المتاع واخذ ينظر في ادراجه و يستنشق رائحتها في شغف وفتنة لان هذا المتاع قد كانت أمه تستخدمه في شبابها . فهو انما يتنسم شباب أمه . وقد جذب اليه درجاً فتنسمه ثم حاول ان يرده فيستعصي عليه كأن شيئاً يعترض دونه فينظر فاذا حزمة من الورق فيسرع اليها متلهفاً و يتردد ثم يفضها فاذا رسائل تنتثر فيسرع الى هذه الرسائل يجمعها ويخفيها في جيبه ولكنه يسمع صوتاً فيبالغ في السرعة ثم ينهض فينصرف وقد أقبل أبوه فرآه مولياً ونظر فاذا رسالتان على الارض قد اخطأهما الفتى فيسرع اليهما فيدسهما في جيبه

***

فاذا كان الفصل الثاني فقد مضت ايام على ما قدمت لك والقوم يجتمعون في غرفة المائدة بعد العشاء ومعهم الخدم جميعاً كأنهم في حفل منزلي والشيخ قائم امام نار الموقد المتأججة يشتوي فيها بنفسه الشاه بلوط (او الكاستنيا كما يسمونه الآن) . وهو يقص على الفتاة وأمها من عادات الاقليم وأحاديثه ما يضحكهما و يلذهما . وهم جميعاً مبتهجون الا الشاب فقد تنحى وانصرف الى كتاب كأنه ينظر فيه ، والا أم الفتى فهي قلقة لما تشاهد من ضيق ابنها وسوء الحال بينه و بين أبيه . وقد انتهى عبث الجماعة الى آخره وأعلن الشيخ ان ستجمع طائفة من هذا الشاه بلوط الذي يشتوي تخرج من الجمر ثم يوضع عليها غطاء ما ثم تجلس عليها اصغر الحاضرين سناً . وقد قبلت الفتاة والخدم مبتهجون وامها مترددة متكلفة ولكن الفتى يترك كتابه و ينهي خطيبته عن هذا العبث فتأبى ، فيلح فتزداد اباء ، فيبالغ في الالحاح فتغضب و يفسد الامر بينهما بعض الشيء وتنصرف غير حافلة بأمها ونذيرها وقد أعلنت ان خطيبها يجب أن يعرفها حق المعرفة وأن يعلم قبل أن يتخذها له زوجاً ان لها ارادة وانها قد تغلو في هذه الارادة احياناً . وقد فسد الحفل وانقلب السرور شيئاً يشبه الحزن

ومضى كل الى مضجعه و يظل المسرح خالياً حيناً ثم اذا الشاب قد أقبل الى المكتبة يلتمس فيها شيئاً فيستخرج مجمعاً للصور و ينظر فيه كأنه يبحث عن صورة بعينها حتى اذا انتهى اليها

اختلسها ودسها في جيبه . وما يكاد يفرغ من هذا حتى يحس صوتاً فيرد مجمع الصور و يظهر انه يأخذ كتاباً . وقد أقبل أبوه فيسأله ماذا يصنع فيجيب الفتى انه قد امتنع عليه النوم فأقبل يلتمس كتاباً يستعين به على الارق . يجيب الشيخ : وهذه حالي ، فلنتحدث قليلاً

وما يكادان يبتدئان الحديث حتى يصل الشيخ الى ما كان يريد فهو يريد ان يتعرف من شأن ابنه مصدر هذا الضيق الذي ظهر عليه منذ أيام والذي أقلق أمه ونغص عليها الحياة ، أو قل ان الشيخ يعرف مصدر هذا الضيق ولكنه يريد أن يتحدث فيه الى الفتى . أما الفتى فيتكلف الجواب ويحتال في اتقاء الشيخ و يعلن اليه انه ضيق الذرع بهذه الحياة التي يحياها بعد الحرب والتي لا عمل فيها وانه يريد ان يعمل وان يكسب وألا يكون مديناً بحياته لاحد . اما الشيخ فلا تخدعه هذه المحاولة . وما هي الا ان يصل الى غرضه في صراحة فيعلن الى الفتى انه قد عثر بطائفة من الرسائل ولكنه نسي منها اثنتين ويدفعهما اليه ، وانه قد قرأ هذه الرسائل وعرف ما عرف من امرها وان هذه الرسائل هي التي تنغص عليه حياته ، فاذا اظهر الفتى شيئاً من الدهش أنبأه الشيخ في هدوء وألم مبتسم بأنه يعرف ما في هذه الرسائل منذ ثلاثين سنة . ثم يقص على الفتى القصص

فليس الفتى ابنه وان كان ابنه امام القانون وامام الناس وامامه هو ايضاً ، ذلك انه قد كان تزوج من امرأته دون ان يحبه كما يتزوج اصحاب الثروة من الفقيرات في غير حب ولا كلف . فلما لم يجد من امرأته حباً ولا حناناً ولا هياماً زهد فيها وانصرف عنها الى اللهو والعبث وفرحت هي بهذا الزهد والانصراف . وفي ذات ليلة لقي صديقاً له كان رفيقه في المدرسة وكان من الاشراف ، وكان قد احب امرأته وكانت قد احبته ، وكانا يريدان الزواج ولكن الفقر حال بينهما وبينه . فلامر ما حرص صاحبنا على ان يستأنف الصلة بينه وبين صديقه القديم . وانظر اليه يتهم نفسه اشنع التهم في لطف ورقة وكرم ايضاً . انظر اليه يحدث الفتى بأنه اجتهد في ان يتردد صديقه على بيته وتتجدد الصلة بينه وبين حبيبته القديمة لامر لا يكاد يتبينه وربما كان منه انه احب ان يثير في نفس امرأته حبها القديم لهذا الرجل لعلها تتورط في شيء من الاثم فيتخذ ذلك حجة عليها وعذراً لنفسه من آثامه الكثيرة . ومهما يكن من شيء فقد كان ما لم يكن منه بد واثمت المرأة وكان الفتى نتيجة هذا الاثم . فأما ابوه فقد ندم والح عليه الندم حتى التحق بجيش من جيوش المستعمرات الافريقية وجاهد حتى اشترى خطيئته بالموت . واما امه فقد لقيت في الحمل آلاماً ثقالا وتعرضت في الوضع لخطر الموت ، ووقف زوجها بين الامانة لمهنته كطبيب يجب ان ينقذ المريضة والانتقام لنفسه كزوج يريد ان يقتل الخائنة . فوفى لمهنته وانقذ المريضة حتى اذا تم لها الشفاء لم يجد في نفسه القدرة على استئناف الانتقام فصفح وعفا وندمت زوجه

وتابت وكانت بينهما مودة استحالت حباً قوياً شريفاً استفاد منه الطفل فنشأ بين قلبين يحبانه ويعطفان عليه

وقد سمع الفتى هذا القصص، ولكنه بطل من ابطال الحرب قد تعود الهول وتجشمه وتعود المكروه وصبر نفسه عليه فهو يألم ولكنه يكظم ألمه وهو بين امرين يتنازعان قلبه ونفسه: السخط على امه وابيه لانهما وضعاه في هذه المنزلة الكريهة والبر بهذه الام التي لقيت في سبيله ما لقيت من ألم وتعرضت في سبيله لما تعرضت له من خطر. وهذا الشيخ الذي كان يظنه اباه والذي كان ينكره ويضيق به والذي ظهر الآن انه ليس منه في شيء: ايحبه لانه نشأه ورباه كما ينشيء الاب ابنه في مودة وحنان وحب ام يبغضه لانه ليس منه في شيء ولانه هو الذي عرَّض امه للاثم والخطيئة وهو الذي اضطر امه الى ان تلده في غير رضا الاخلاق والقانون. وابوه؟ أيحبه لأنه أبوه ام يبغضه لانه ورَّط امه في الاثم وجنى عليه هذا الوجود المنكر؟ وخطيبته! ماذا يصنع بها؟ أيمضي في حبها ويكتم عليها ما عرف من امره فهو اذن يغشها ويدلس عليها؟ ام يظهرها على كل شيء واذن فالى أي حال ينتهي حبه وكبرياؤه وكرامته؟

وهذه الثروة الضخمة التي يكلها اليه الشيخ أيقبلها وليست له أم يردها واذن ماذا يصنع؟ فانت ترى الى هذا الموقف المعقد والى ما فيه من حرج

وموقف الشيخ! أتظنه يخلو من الحرج؟ كلا فقد عفى عن امرأته وقد استطاعت امرأته أن تمحو ما في نفسه من موجدة، وهو يحب امرأته ويريد أن يحميها من كل مكروه وقد كان هذا يسيراً ما خفيت القصة على الفتى، ولكن الفتى قد عرف القصة ووقف الشيخ منه في صراحة موقف الغريب فماذا يصنع؟ وكيف يعصم امرأته من احتقار ابنها وسخطه؟ وهو كان أحب الفتى واتخذه ابناً حقاً وقد ظهرت خبيئة الأمر فمن له بشيء هذا الفتى؟ ومع ذلك فلم يأثم الرجل ولم يقترف خطيئة وانما تكلف اتهام نفسه ليخفف عن امرأته وليعطف الشاب على امه. ما خانها ولا تعمد اغواءها وتوريطها في الاثم. ومهما يكن من شيء فهو لا يطلب الآن الا أن تجهل امرأته ان ابنها قد ظهر على جلية الامر. وهو يائس أو كاليائس من حب هذا الفتى. وقد ضحى بنفسه مرة فلم لا يضحي مرة اخرى؟ على انه قد لقي من حب امرأته ما عزاه عن تضحيته الاولى فلعله يلقى من احسانه الى الناس ومن حب الفتاة ما يعزيه عن التضحية الثانية

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فقد مضى اسبوعان على ما كان في الفصل الثاني. ونحن نرى الشيخ في عيادته يستقبل المرضى ويطب لهم. ولكنه متعب قد ظهر عليه السأم والضيق. حتى اذا انصرف آخر مرضاه دعا الخادم فيأمرها بأن تذهب الى الصيدلي وتطلب اليه ان يحتال في الا تدفع اليه احدى مرضاه ثمن الدواء فهو كثير وهي فقيرة ولكنها عزيزة النفس لا تقبل الصدقة، فليخدعها

الصيدلي اذن وليخيل اليها أن الدواء رخيص وليضف قيمته الحقيقية الى حساب الطبيب

وانظر الى امرأة الطبيب قد اقبلت محزونة تشكو الى زوجها ضيق ابنها وانصرافه عنها وعن خطيبته وتلتمس لذلك العلل والاسباب وتخبر زوجها بان الرسائل متصلة منذ أيام بين ابنها وبين وزارة الحرب • وهي مشفقة من ذلك والشيخ يغريها في مودة وحب ، ولكنه لا يظفر من تغريتها بشيء • وهي تطلب اليه ان يتحدث الى الفتى و يعظه لعله يكشف من امره شيئاً ولعله يرده الى حب امه وخطيبته والرفق بهما • فيتردد ثم يذعن وتنصرف امرأته وترسل اليه الفتى

وما هي الا ان يتحدثا حتى نعلم ان الفتى قد طلب الى وزارة الحرب عملاً فعرضت عليه بعثة في الصين حيث الحرب قائمة فقبل • ومهما يفعل الشيخ ومهما يحتل ومهما يتلطف للفتى فلن يغير رأيه ولا عزمه • والموقف هنا بديع مؤثر حقاً • اللين حيناً والاستعطاف ، والعنف حيناً والتذير ، والفتى ثابت لا يتزحزح عن موقفه قيد شعرة • ولم يتزحزح عن موقفه وهو ابن الحرب قد كونته كما أرادت لا كما أراد ؟ لقد أنفق من عمره اربع سنين في قتل وتدمير ، يقتل النساء والاطفال والشيوخ والشبان ، لا رأي له في ذلك ولا ارادة ، و يواجه الموت يتقيه مرة و يرسله على الناس مرة أخرى فكيف تريده على أن يكون كغيره من ابناء السلم ؟ انه يعلم حق العلم انه يمزق قلب أمه وخطيبته وقلب الشيخ ايضاً ولكن ماذا يعنيه من هـذا كله أليس ابن الحرب قد صورته في هذه الصورة ؟ فليكن مصدر ألم وليكن مصدر موت • فكذلك ارادت الجماعة أن يكون وقد أيس منه الشيخ وأقبلت أمه يائسة ايضاً تسأله : أحق ما أنبأتني به خطيبتك من انك مرتحل الى الصين ؟ يجيبها : نعم . . . ، فما اشد تأثير هذا الموقف بين الفتى وأمه : تستبقيه ضارعة فلا يحفل ، تحاول ان تعرف السر الذي يضطره الى هـذا العزم فلا تفلح • وهي تفترض الفروض وتتوسل الى الفتى بخطيبته ، ثم يخيل اليهـا انه لا يحب هذه الفتاة فتجتهد في صرفه عنها ، و يكون بينهما حوار بديع مؤلم نتمثل فيه نحن الى أي حد نسيت هذه المرأة اثمها وانصرفت عن خطيئتها والى أي حد أثر هذا الاثم في نفس الشاب وافسد عليه امره

و ينصرف الشاب وقد أيأس الشيخين من نفسه • ولكن أمه قد عرفت الآن انه قد ظهر على جلية الامر • • • فانظر اليها منتحبة بين ذراعي زوجها وهو يعزيها و يفبئها بأنه قد اتهم نفسه ما استطاع ليخفف عنها الوزر أمام ابنها • فاذا رآها تسرف في البكاء خيل اليـه انها تبكي ندماً لما تذكر من اساءتها اليـه ، ولكنهُ لا يلبث أن يتبين انها انما تبكي على ابنها لا عليـه • فليضح بنفسه مرة ثالثة ! أليس يحب هذه المرأة ؟ أليس يحب هذا الفتى ؟ فليعز هذه وليجتهد في امساك ذاك • ولكن ليس الى امساك الفتى من سبيل

* * *

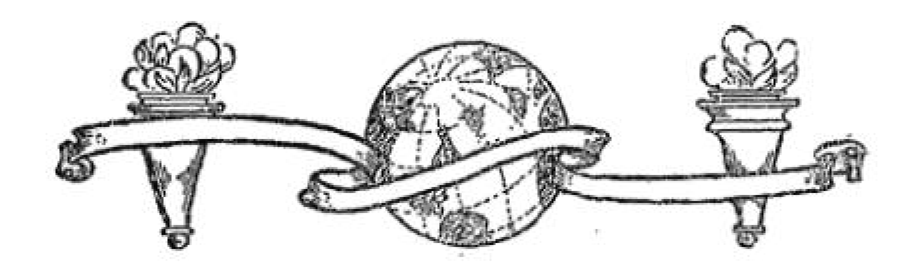
فنحن في الفصل الرابع وقد فشل الشيخ وامرأته والفتاة في صرف الفتى عن عزيمته • ونحن

في طولون ثغر فرنسا الحربي حيث يأخذ الفتى سفينته الحربية الى الصين . وقد أقبل الجماعة كلهم يودعونه . ونحن في أحد المطاعم المطلة على البحر حيث السفينة وحيث يستطيع المودعون ان يروا السفينة حين تقلع و يتبعوها بابصارهم حتى تغيب . وانا اعفيك من هذا الحوار اللذيذ الطويل بين الشيخ وصاحب المطعم وانتهى مسرعاً الى هذا الموقف البديع بين العاشقين . فقد التقيا وتعاهدا على الحب والامانة والوفاء واعلن كل منهما الى صاحبه خبيئة نفسه ولكن انظر الى الفتاة تطلب الى صاحبها أن يرفق بامه فقد أثمت كارهة . ومن ذا الذي يستطيع ان يزعم لنفسه العصمة من الاثم ؟ وان يحب الشيخ ولو قليلاً فقد كان زوجاً براً وابا رحيماً . وما ذنبه في كل ما كان ؟

فاذا سأل الفتى صاحبته كيف عرفت سره اجابته لقد اخبرتني به امك واتخذتني سبيلاً الى استعطافك وحملك على الرفق . وانظر الى الفتى وقد تأثر بهذا كله : بمكان امه من نفسه ومكان هذا الشيخ الخير البريء ومكان هذه الفتاة الطاهرة المحبة تستعطفه على هذين البائسين . وقد اقبل الشيخان فالفتى رفيق بهما ما استطاع يظهر لامه من العطف والمودة ما يملأها رضاً ويقبل الشيخ ولكن دون ان يقول له شيئاً . والشيخ يرضى بهذه القبلة وهو واجم لانه كان ينتظر كلمة مودة لم يظفر بها

وقد اقبل ضابط من السفينة يتعجل الفتى ، فيودع القوم جميعاً ولكنه لا يقول للشيخ هذه الكلمة التي كان ينتظرها ، وقد مضى نحو السفينة وهم جميعاً يتبعونه بابصارهم الا الشيخ فهو على كرسيه واجم محزون . ولكن القوم يسمعون من الفتى صوتاً لا يتبينونه ، ثم لا يلبثون ان تبينوا فاذا الفتى يدعو اباه واذا هم جميعاً يدفعون الشيخ دفعاً الى النافذة حيث يرى الفتى ويسمعه يدعوه بهذه الكلمة التي كان ينتظرها « الى اللقاء يا ابي ! »

طه حسين



فوق قمة الجبل الابيض

حديث مع الاستاذ محمد حافظ بك رمضان

[وهو أول شرقي صعد الى قمة ذلك الجبل الشامخ]

الجبل الابيض . ! . او « المونبلان » كما يسمونه في لغتهم . ! .

اذا ما سمع الانسان هذه الكلمة ، خيل اليه انه يسمع معها قصف الرعد ودوي الريح ، وانه يرى أمامه مناظر الثلوج المتراكمة ورءوس الجبال تناطح السحاب ...

ذلك لان « المونبلان » ، او الجبل الابيض ، هو أعلى قمة في اوربا ، ولان هواة الالعاب الرياضية ومحبي الانفعالات الشاذة والمناظر الرائعة ، يتسابقون الى تسلق تلك القمة المرتفعة وتدوين اسمائهم في السجل الرسمي ، الموضوع هناك ، والذي يحتوي على توقيعات جميع الذين فازوا ببغيتهم ووصلوا الى قمة الجبل الابيض منذ ١٤٠ سنة !

ولم يكن بين تلك الاسماء ، في ذلك السجل الضخم ، اسم شرقي واحد . ولكن هذا الاسم دوّن في السجل ، في السنة الماضية ، وهو اسم مصري كريم ، يعرفه الجميع ...

وربما لم يتبادر الى ذهن احد ان الاستاذ محمد حافظ بك رمضان ، رئيس الحزب الوطني المصري ، الذي عرفناه زعيماً كبيراً ، وسياسياً محنكاً ، ومحامياً قديراً ، وخطيباً بليغاً ، يضيف ايضاً الى اعماله المجيدة في سبيل مصر والمحاماة صفحة اخرى ... ويدوّن اسمه في ذلك السجل كأول شرقي صعد الى قمة « المونبلان ! »

ذهبت اليه ذات مساء وقلت :

— ان العمل الذي قمت به يا استاذ لعمل جليل . فهل تتكرم وتقص عليّ كيف خطرت لك الفكرة وكيف فعلت لصعود ذلك الجبل ؟

فكان جوابه :

— سأقص عليك ذلك بكل ارتياح ، ولكنك جئتني كصحفي ومندوب مجلة . وفي هذا ما يدعوني الى التردد اذ لا بد لي من جمع افكاري وسرد الحوادث بترتيب ونظام ...

— لا لا . لا تهتم بذلك . بل دع الحديث يسير كأنه ليس أمامك الا رجل حملته الرغبة في الاطلاع ـ او اذا شئت فقل التطفل ـ على معرفة كل شيء يتعلق بذلك العمل

— اذا كان الامر كذلك فيمكننا ان نبدأ حالاً بالكلام

« كانت الاعمال الكثيرة قد انهكت قواي فشعرت بحاجة الى الراحة وتغيير الهواء ، فسافرت الى اوربا حيث فحصني الاطباء هنـاك وقالوا لي انني لست مريضاً وانني لست في حاجة الا الى قليل من الطواف والرياضة . فاذعنت لنصائحهم وجعلت اطوف البلاد واتسلق الجبـال حتى شعرت حقيقة بفائدة عظيمة . ثم ما لبثت ان فكرت في القيـام بعمل رياضي كبير وقلت في نفسي : « لماذا لا اصعد أنا ايضاً الى قمة المونبلان ؟ »

« ظننت في بدء الامر ان المسألة سهلة وان الصعود الى قمة ذلك الجبل كالصعود الى قمـة الجبال الاخرى الشاهقة ، التي رأيتها وتسلقتها في فرنسا وسويسرا . ولكن تبين لي بعد ذلك ان المسألة صعبة وان هناك صعوبات كثيرة لا بد من التغلب عليها »

— وهل كل انسان حر في تسلق ذلك الجبل ؟

— طبعاً ولكن لا بد من احتياطات كثيرة ومن استعداد كبير للوصول الى القمة وسأشرح لك المسألة بتفاصيلها

« ذهبت قبل كل شيء الى احدى الجمعيات الرياضية في مدينـة شامونيكس وهناك طلبت دليلاً مطلعاً على البـلاد واسرارها وجعلت اتمرن معه على الصعود والنزول ، والوقوف على حافة الوديان العميقة . والنظر الى هوة سحيقة ، وكل ذلك لكي اتعود على المخاطر والدوار وغير ذلك . ومن حسن حظي ان ذلك الدليل الذي اتفقت معه على تمريني يدعى « بالما » وهو حفيد بالما الكبير ، اول من تسلق الجبل الابيض ووصل الى قمته

« تمرنت مع ذلك الرجل مدة اسبوعين كاملين وكنت دائماً آخذ شهادات من جميع المحلات التي اقوم فيها بعمل ما . وبعد انقضاء هـذه المدة قلت في نفسي : « انا الآن حائز على الكفاءة والبكالوريا ، فلماذا لا احصل على دبلوم العلوم العالية ... وأصعد الى قمة المونبلان ؟ »

— وهل كنت تفعل ذلك مدفوعاً برغبة حقيقية في الصعود الى تلك القمة ؟

— طبعاً . فأنا من هواة الرياضة البدنية الشتوية ، ولما كان الاطباء قد وصفوها لي في تلك الظروف اردت ان أسير في طريقي الى النهاية وان اقوم بأقصى ما يمكن القيـام به من الالعاب الرياضية

« وقد زادت رغبتي في الصعود الى تلك القمة عنـد ما علمت ان في السجل الذهبي الذي دونت فيه اسماء الذين صعدوا اليهـا لا يوجد اسم شرقي واحد ... فأردت ان ادون بيـدي ذلك الاسم

— وكم من الناس تمكنوا من الصعود ؟

— اول من وصل الى تلك القمة هو – كما قلت لك – الدليل بالما ، جد الدليل الذي كنت اتمرن معه ، وذلك منـذ ١٤٠ سنة . وقد تمكن من الصعود بعده خمسة آلاف شخص تقريباً ، دوّنوا جميعهم اسماءهم في ذلك السجل

— وما هي الاحتياطات والتدابير التي اتخذتها قبل القيام بعملك ؟

— بدأت في مراجعة الهندسة الكروية ، ودرست ما يتعلق بميزان الجو ، وباشعة الشمس وهي تخترق الاثير وتأثيرها في المناطق المرتفعة والمنخفضة ، وبعد ما اطلعت على كل ما يجب الاطلاع عليه ، صممت أن أصعد الى قمة المونبلان !

— وهل كان يصحبك أحد من المصريين ؟

— كان معي في الفندق الذي نزلت فيه معالي مصطفى ماهر باشا ، وزير المعارف سابقاً ، والاستاذ حسن بك صبري المحامي . وقد حاولا أن يحملاني على العدول عن قراري ، لانهما كانا قد طالعا في الجرائد أخبار الحوادث والمخاطر نخافا أن يصيبني مكروه في مجازفتي . فرسمت الخطة التي يجب عليّ أن أسير عليها ، وطلبت دليلاً آخر مع الدليل الاول . . . وتوكلت على الله . . .

— وماذا ارتديت من الملابس ؟

— بنطلوناً من نوع « سبور » من الصوف ، وقبعة مخصوصة للوقاية من الشمس ، لأن الشمس شديدة الوطأة في الجبال العالية ، وقفازاً ، وجورباً من الصوف ، وصديري من الصوف أيضاً . ووضعت في قدمي نوعاً من الاحذية الخاصة ، لها مسامير كبيرة ، وفوق الحذاء قبقاب خاص أيضاً فيه مسامير كبيرة تغرس في الثلج لتثبيت القدم فيه . ووضعت على عينيّ نظارة سوداء لحمايتهما من وهج الشمس . وأخذت بيدي عصا لها اسنان خاصة لاتكىء عليها في السير ، ونوعاً من البلط لجرف الثلج من أمامي وفتح الطريق لوضع القدم

— والآن . . . لنبدأ السير من الفندق . . .

— خرجنا من الفندق في الساعة السادسة صباحاً . فسرنا ساعة في طريق ليس فيها مخاطر ومتاعب . وفي الساعة السابعة وصلنا الى سفح الجبل الحقيقي وبدأ الصعود بشكل حلزوني . وهناك وجدت بناية صغيرة على الطراز السويسري يعرف باسم محل الاهرام – شاليه دي بيراميد – فواصلنا السير ووصلنا الى قمة تدعى جبل الغراب . ومن المدهش أن تلك القمة في شكل رأس غراب تماماً وهي واقعة في ملتقى مثلجتين : مثلجة تا كوماز من جهة ، ومثلجة بوسان من جهة اخرى

— يقولون ان هذه المثالج – أو الجلاسيه – كما يسميها الافرنج ، تتحرك وتمشي ببطء فهل هذا صحيح ؟

— نعم . فان هذه القطع الهائلة من الثلج تزحف نحو أسفل الجبل ببطء وتقطع هكذا ٢٠ سنتيا في مدة ٢٤ ساعة . وهي خطرة جداً ، كثيراً ما تنهار منها قطع كبيرة تجرف كل ما يعترضها في طريقها وتعرض للخطر كل من يكون في ذلك الوقت على سفح الجبل

— وبعد الوصول الى جبل الغراب ؟

— هناك ربطنا أنفسنا بالحبل

— وما الفائدة من الربط بالحبل ؟

— الفائدة عظيمة وهذا الاحتياط ضروري جداً ، واليك البيان : كان معي دليلان وحمال واحد . فربطنا أنفسنا بالحبال ، كل من وسطه ، فكنا نحن الاربعة مربوطين الواحد الى الآخر . فيمشي الواحد منا ويتبعه الآخرون . واذا حدث ان سقط الاول في حفرة ، كنا نحن من ورائه مربوطين به فننشله من حفرته . واذا مرّ هو وسقط واحد من الذين في الوسط ، انتشله الآخرون فالربط بالحبال يمنع اذن سقوط الانسان في حفرة دون ان يتمكن من الخروج منها . وفي جبل الثلج شيء يسمونه هناك « جسر الثلج » أي أن الثلج يتراكم فوق حفرة أو هوّة أو واد ، فيغطي سطح الارض ولكن الحفرة تظل تحته خالية ، وكثيراً ما يظن الانسان أنه يمشي فوق ثلج متراكم ، بينا هو يمشي فوق جسر صغير ينهار تحت قدميه

— اذن ... لنسر . ربطتم انفسكم بالحبال ... وبعد ؟

— وكنا قد تناولنا طعام الظهر ، لاننا وصلنا الى جبل الغراب عند الظهر تماماً ، وشربنا قليلاً من الشاي وضعنا فيه ليموناً ، وواصلنا الصعود

« ومن هنا بدأت الصعوبات تبدو لي ، اذ أن الصعود اصبح خطراً ، وارتفاع الجبل عمودياً . ولما وصلنا الى المكان المعروف باسم « جران موليه » (البغال الكبيرة) وجدنا هناك السجل الذهبي الذي دونت فيه اسمي ! وبعد ذلك ارسلت الى اصدقائي في الفندق بطاقة تنبئهم بوصولي الى هناك

— وهل يوجد احد في ذلك المكان ؟

— نعم . فان هنـاك بعض الملاجيء الخشبية يصعد اليها الكثيرون من السياح والادلاء . والذين يصعدون الى قمة الجبل يقضون ايضاً ليلهم في تلك الملاجيء لكي يواصلوا السير في اليوم التالي

— ولماذا لا يواصلون السير في اليوم نفسه ؟

— لكي يتمكنوا من الصعود الى القمة والعودة منهـا في يوم واحد ، اذ انه خطر جداً أن يقضي الانسان ليلته فوق القمة والبرد هناك يبلغ الدرجة الثلاثين والاربعين تحت الصفر . فمن ينام هناك يعرض نفسه للموت

— ألم يقض احد ليلته فوق تلك القمة ؟

— رجل واحد هو « بالما » ، اول من صعد الى فوق وقضى ليلته هناك ٠ وقد كتب في ذلك مجلداً ضخماً شرح فيه ما كان يشعر به وما قاساه من ألم وعذاب وقد كاديموت من البرد

— قضيتم اذن ليلتكم في جران موليه ؟

— نعم ٠ وفي الساعة الثانية صباحاً ايقظني الدليل وقال ان لا بد لنا من مواصلة السير من الآن لكي لا نضيع وقتنا ٠ فقمنا وواصلنا الصعود

« وكانت ليلة مقمرة ٠ ولا يسعني ان أصور لك بالكلام المنظر البديع الذي كنت اشاهده في تلك الساعة ٠ كان القمر يرسل أشعته على تلك الثلوج فيخيل للانسان انه صاعد اليه على قمة الجبال ٠ وكنا نسير حينذاك في طريق ضيق ، طوله ١٥٠ متراً ، ومن كل ناحية هوة سحيقة مخيفة ٠ شعرت بضيق في الصدر من ضغط الجو ، واصبح التنفس صعباً جداً ٠ واجتياز تلك المسافة الباقيـة هو اشق ما في الامر ٠ وبينما كنت اسير باحتراس على ذلك الطريق الضيق ، كنت ألقي نظري الى اليمين والى اليسار ، فأرى من جهة ارض فرنسا ، ومن جهة اخرى ارض ايطاليا ٠٠٠ مررنا ٠٠ وجاهدنا ٠٠٠ وأخيراً وصلنا الى اعلى القمة حيث وجدت علماً أميركياً وضعه هناك رجل اميركي صعد الى القمة من مدة غير بعيدة

— وهناك ؟ ٠٠٠

— كنت احمل معي علماً مصرياً فنصبته بجانب العلم الاميركي !

— واصبحت قمة الجبل الابيض من ضمن الملحقات ٠ !

— وكان الظهر تماماً ٠٠٠ ثم عدنا على أعقابنا فوصلنا الى جران موليه الساعة الثالثة بعد الظهر

— بهذه السرعة ؟

— نعم ٠ لان النزول طبعاً أهون من الصعود

— اذن ، صعدتم من جران موليه الى أعلى القمة في ٠٠٠

— في عشر ساعات ونزلنا في اربع ساعات

— والآن ، اسمح لي يا استاذ أن ألقي عليك بعض الاسئلة التكميلية ٠ عندما ربطتم أنفسكم بالحبال ، كم كانت المسافة بين الواحد والآخر ؟

— خمسة امتار

— وما هي المناظر التي تمتاز بها مناطق الثلوج من غيرها ؟

— ان تراكم الثلوج وحده يعد منظراً مختلفاً عن بقية المناظر ٠ فان الانسان لا يرى الا

مسافات شاسعة ناصعة البياض ، يزداد منظرها جمالاً وروعة عندما ترسل عليها الشمس أشعتها الوهاجة ، او عندما يشرق عليها القمر بنوره الضعيف . وقد رأيت هناك كومة من الثلج ظننتها من بعيد شجرة ، و يدعوها القوم بلغتهم « صراك » . وهـذه القطع من الثلج خطرة جداً اذ انها تنهار فجأة وتجرف في طريقها كل ما يحول دونها . ومن الصدف ان « شجرة » كهذه سقطت أمامنا ونحن نصعد فشهدنا منظراً رهيباً مخيفاً ، وكان لسقوطها دوي هائل يشبه دوي المدافع

— وهل تظن أن الصعود بلا دليل ممكن ؟

— كلا . بل هو مجازفة خطرة جداً . ولا بد من الدليل في مثل هذه الرحلة

— وهل شعرت بدوار ؟

— قليلاً . ان من يصعد الى مثل هذا العلو يشعر بدوار هو أشبه شيء بالدوار الذي يشعر به المسافر في البحر . ولو قيل لي ذلك لما صدقته .. ولكنني شعرت به هناك فتأكدت منه

— وهل تظن أن كل انسان في استطاعته ان يفعل ما فعلت وأن يصعد الى أعلى الموتبلان

— نعم . ولكن على شرط ان تتوفر فيه بعض المزايا والصفات الضرورية لمثل هذا العمل . فلا بد أن يتمرن لكي يكون في مأمن من الدوار . وكل انسان ، اذا لم يكن يشعر بدوار وبضيق صدر ، يمكنه ان يفعل ما فعلت اذا تذرع بالصبر والجلد والشجاعة

— وهل لمثل هذا العمل فائدة للانسان ؟

— نعم . ان التمرين والصعود وما يلزم للقيام بمثل ما قمت به مفيد جداً للانسان . فان هذه الرياضة تؤثر في الخلق كثيراً وتجعل الانسان يعمل بثبات ولا يمل من العمل الطويل

— وهل أخذت شهادة بعد عودتك ؟

— نعم . فقد دونت اسمي في السجل الذهبي - وهنا اشير الى دهشة القوم عندما رأوني اكتب اسمي من اليمين الى اليسار - واخذت شهادة نمرتها ٥٠٠١ - اي انني الاول بعد الآلاف الخمسة الذين صعدوا الى اعلى القمة . ومن غرائب الصدف ان الشهادة التي أخذتها كانت الاخيرة الموجودة تحت الطلب . وقد اضطروا بعد ذلك الى طبع غيرها

فشكرت الاستاذ على هذا الحديث الذي تكرم به عليّ وغادرته معجباً باقدامه ، مثنياً على همته التي بفضلها دوّن اسم الشرقي الاول الذي صعد الى قمة الجبل الابيض

وليس هذا بالامر اليسير

ج . ش

ناطحات السحاب في اميركا

أما للارتفاع من حد ؟

ناطحات السحاب اختراع اميركي لم يخرج من اميركا للآن . ولكن يقال ان الدوق موسوليني في نهضته الايطالية الحاضرة ينوي ان يدعو الى تأليف شركة ايطالية لكي تنطح السحاب ببناء شاهق مشمخر حتى لا يقال ان الولايات المتحدة تنفرد بنطح السحاب فان رومية الخالدة يجب ان تنافسها في الصعود نحو السماء ايضا

ومن ينظر الى ناطحات السحاب الاميركية او يرى صورها يظن لاول وهلة انها انما شيدت بهذا الارتفاع لكي تكون اعجوبة او شيئاً يجذب الساكن بشذوذه وسموه على سبيل الاعلان مثلا . ولكن الواقع ان المهندسين انما عمدوا الى هذه الابنية الشامخة للمنفعة المالية فقط . فان الارض في المدن الاميركية الكبيرة وخاصة في اوساطها التجارية غالية الثمن جداً بحيث ان من يبني بيتاً يحتاج الى ان يزيد في علوه حتى يحصل من توالي الطبقات وكثرتها على ريع يقوم بالربح اللائق لرأس المال المؤثل في الارض والبناء

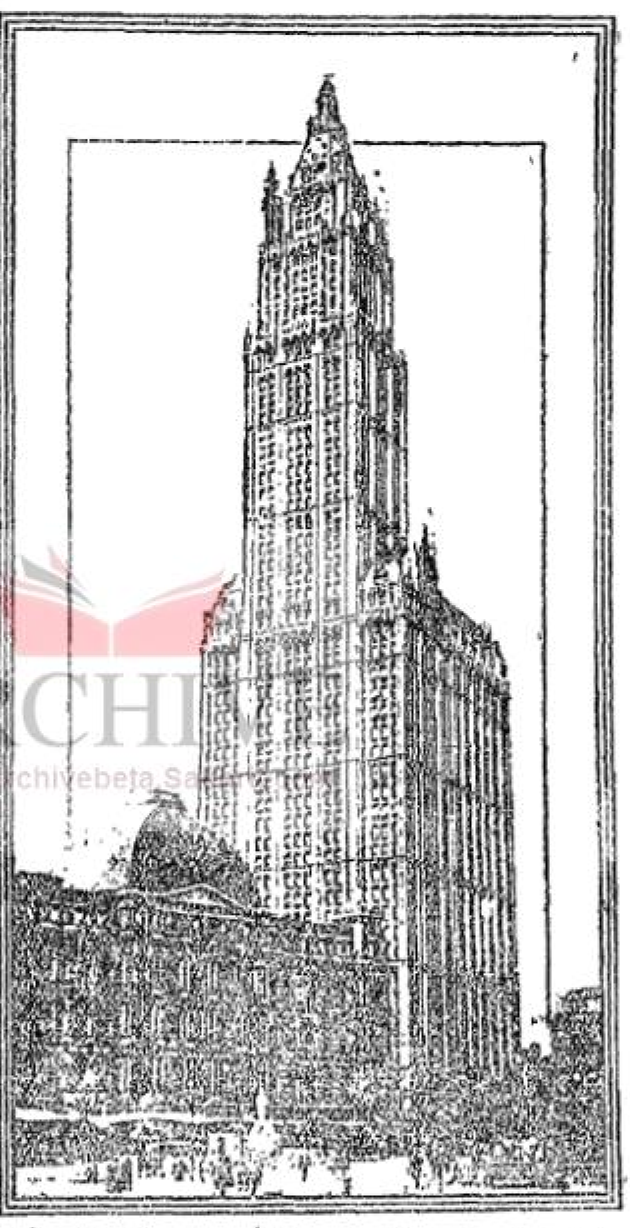
فغلاء الارض هو الاصل لناطحات السحاب . ولكن هذا الارتفاع العظيم لم يكن ميسوراً لولا التقدم الذي حدث في البناء بالحديد . فانه واضح للقارىء ان مثل هـذه الابنية لم تكن ممكنة لو كان البناء بالطوب المألوف

وقد ذكرت الصحف الاميركية انه

الناطحة الجديدة المزمع بناؤها سيكون بها ١٠٨ طوابق وسيكون سمكها ١٢٠٨ اقدام

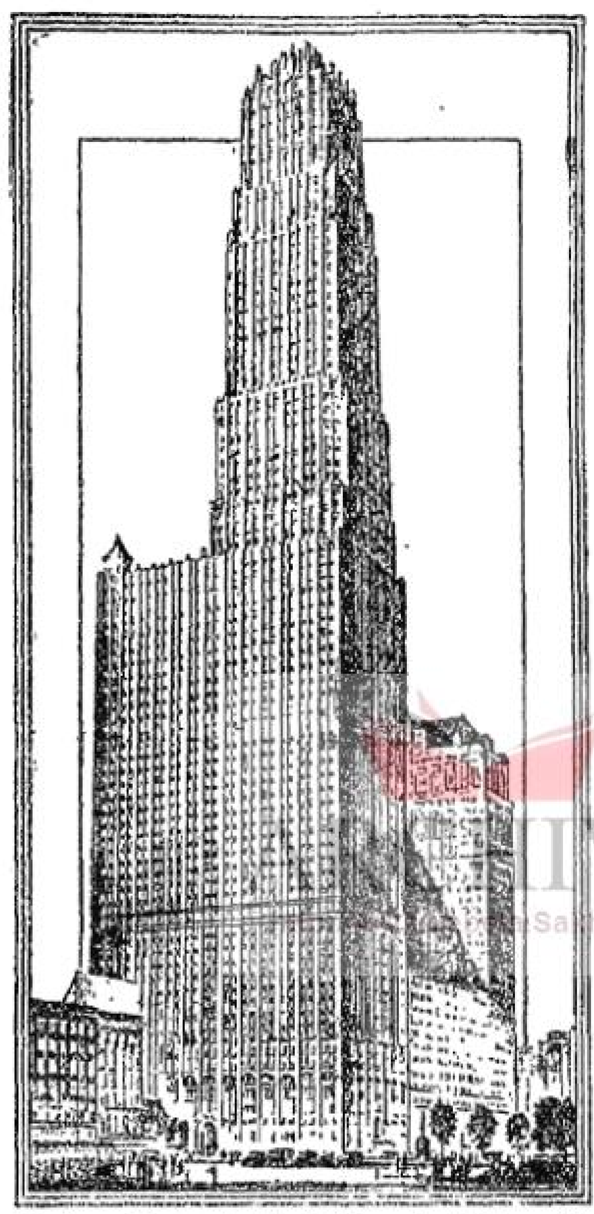
قد تألفت شركة كبيرة لتشييد بناية شامخة ستحتوي على مائة طابق وثمانية وسيكون ارتفاعها ١٢٠٨ اقدام فوق مستوى الشارع ٠ ومعنى هذا ان ارتفاعها من اصل الاساس الى قمة البرج سيبلغ ربع ميل ٠ وتقدر النفقات منذ الآن بمبلغ اربعة ملايين ونصف مليون جنيه

ولا يظن القارئ ٠ ان الاميركيين يحبون كلهم هذه الابنية السامقة فان منهم فريقاً يبغي وضع شرعة خاصة بالبناء يحرم فيها على المهندسين ان يرتفعوا بابنيتهم هذا الارتفاع الفاحش وذلك لان هذه الابنية تبنى كما قلنا في الاوساط المزدحمة فهي لذلك تحجب النور عما حولها من المنازل والمخازن وتقف مشمخرة يغشى ظلها جزءاً عظيماً مما حولها من الارض ٠ ولكن الضرورة هي التي تلجئ المهندسين الى بنائها ٠ فان الازدحام يجعل للارض اثماناً فاحشة والتجار يزدحمون في الاوساط التجارية الكبرى وتسخو نفوسهم بالاجرة الكبيرة ما داموا في الصقع الذي يتوقعون منه رواج اعمالهم



ناطحة ولووورث باميركا بها ٥١ طابقاً وارتفاعها ٧٩٢ قدماً

وهذه الابنية على ارتفاعها الهائل هذا مأمونة لا يخشى تداعيها او تزعزعها من الزلازل او العواصف ٠ فانها كما قلنا مشيدة بالحديد ولذلك فانها اذا ضربتها العاصفة التي تهدم ما حولها من المنازل فانها لا تقوى الا على ان تلويها او تحرفها تحريفاً بسيطاً دون ان تكسرها ٠ وهذا ما حدث بالفعل في احدى العواصف الاخيرة ٠ ثم ان هذه الناطحات للسحاب تبنى بهيئة البرج فكلما ارتفع البناء ضاقت مساحته حتى ينتهي الى القمة فهو كالمخروط تتسع قاعدته ثم



« برج الكتاب » من ناطحات السحاب في ديترويت باميركا
بها ٨٥ طابقاً وسمكها ٨٧٣ قدماً

تنخرط مستدقة الى ان تبلغ القمة

وفي هذا الانخراط نفسه حد طبيعي يمنع المهندس من الارتفاع اكثر من اللازم ٠ ثم ان اللفت اي المصعد الذي يحمل الناس الى الطوابق العليا لا يمكنه ان يرتفع الى اعلى من الطابق الثمانين لان الامراس الحديدية التي يتعلق بها قد تتقصف اذا زاد طولها عن ذلك٠ وسيضع المهندسون ٦٠ لفتاً للصعود الى الطوابق الثمانين الاولى ٠ اما الثمانية والعشرون طابقاً الاخرى فستصنع لها مصاعد اخرى

ولن يكون بالبناء قطعة من الخشب خشية الحرائق فانه سيبنى اولاً هيكل من الفولاذ ثم يلبس بالطوب بحيث لا تبلغ ثخانة الحائط بوصة او بوصتين وسيحفر للاساس ٤٨ قدماً تحت سطح الشارع

وهذه الابنية الضخمة لا تستعمل للسكنى لانها لما كانت في وسط المدينة فان اجورها فاحشة٠ وانما هي تستعمل مكاتب للاطباء والمحامين والسماسرة والمصورين ونحو هؤلاء الناس

«الكتب التي أفادتني»

ردود الكتاب والادباء

ننشر اليوم ردين نفيسين احدهما للاستاذ العلامة جبر ضومط والآخر للاستاذ البحاثة محمد أمين واصف بك . وها نحن أولاء نعيد نشر اسئلتنا فيما يلي :

١ - ما هو الكتاب أو الكتب التي طالعتموها في شبابكم فأفادتكم وكان لها أثر في حياتكم ؟
٢ - هل يكفي المطبوع الآن من الكتب العربية لتثقيف الناشئة أو لا غنى لها عن الالتجاء الى الكتب الغربية ؟
٣ - ما هي الكتب التي تنصحون لشبان اليوم بقراءتها غربيــة كانت أم غير غربية ؟
٤ - ما هو نوع التأليف الذي يفتقر اليه العالم العربي على الخصوص - والذي تودون ان يطرقه المؤلفون ؟

رد الاستاذ جبر ضومط

(١) لم يكن لي ما اقرأه بين السادسة والثانية عشرة الا الكتاب المقدس وكتاب سياحة المسيحي . وقد استظهرت عظة ربنا يسوع المسيح على الجبل كلها ولا ازال احفظ معظمها الى الآن . واما سياحة المسيحي فأثر فيَّ تأثيراً شديداً حتى كنت أعين لكل حادثة من حوادثه مكاناً خاصاً في القرية التي ولدت فيها او في ضواحيها ولا أزال الى اليوم ايضاً اذكر كثيراً من الابيات الشعرية المودعة فيه

وكنت استطيع ان اجيب عن كل ما يستطيع معلم من معلميَّ ان يسألني عنــه من حوادث سفر التكوين وسفر الخروج وسفر العدد بل كدت احفظ كل ما ذكر عن وظائف اللاويين والثياب التي يلبسها هرون او رئيس الكهنة . بل كنت استطيع ان اجيب عن رحلات الاسرائيليين في التيه وما لاقوه فيه مدة الاربعين سنة قبل ان عبروا الاردن عند اريحا تحت قيادة يشوع . وبالاختصار كنت اعرف تاريخ الاسرائيليين ادق معرفة من يوم دعا الله ابراهيم واختصه بعنايته الى ايام دانيال وما بعد ذلك الى ايام عزرا ونحميا واعدد الملوك الذين قاموا ملكاً ملكاً باسمائهم من شاول الى صدقيا. ولم تكن معرفتي بالقضاة واخبارهم دون معرفتي بالملوك واخبارهم . وانا اليوم اشعر بعظم الفائدة التي استفدتها واعد نفسي (على عكس ما كنت ازعم مرة) اني كنت موفقاً

لانه لم يكن عندي ما اقرأه ولا قرأت غير الكتب التي اشرت اليها

وأما بعد الثانية عشرة فلم اقرأ الا الكتب المدرسية وبعض الروايات ولكن الروايات زالت الآن من ذاكرتي الا خيالات متقطعة ولا اشعر اني استفدت منها الا رواية ابن حور فاني قرأتها منذ خمس واربعين سنة ونيف ولا ازال اذكر كثيراً من حوادثها على ما نظمها مؤلف الرواية

منذ سنة ١٨٧٧ وما بعد استفدت جداً من المقتطف بالذات وبالواسطة فان ما كان يكتب فيه من المسائل العمرانية والادبية والانثروبولوجية دعاني الى الزيادة منها والوقوف عليها في كتب اهلها من ذوي الشهرة ولعلي لولا المقتطف ما فطنت ولا دفعتني همتي الى مطالعة قسم مهم من مؤلفات هربرت سبنسر ومكس مولر وتسلسل الانسان لداروين وكتاب فيزيوغرافي لهكسلي وآخر في الانثروبولوجي لبعضهم، نسيت من هو الآن

(٢) الالتجاء الى الكتب الغربية من اهم ما يكون لنا جميعاً ناشئة كنا او كهولاً وشيوخاً وسواء كان عندنا من المؤلفات في لغتنا ضعفا الموجود منها بين ايدينا بل ثلاثة بل اربعة اضعافه او لم يكن عندنا الا ما هو في مكاتبنا الشامية

(٣) الاذواق مختلفة والنوع المفيد هو ما يميل اليه أولو الاستعداد والاذواق على شرط ان يبلغوا درجة الثقات في الموضوع الذي يميلون اليه ويضعون مؤلفاتهم وضعاً لا ترجمة وكلما استغنوا عن مراجعة كتب الثقات من الغربيين كان اولى وكان في ذلك حياة لعقولنا ولغتنا

ولا اوجب بتفضيلي التأليف على الترجمة ان نمتنع عن الترجمة جانباً بل قد نحتاج اليها كثيراً ولا بأس بها ولا اعتراض ابداً على مترجم أهل للترجمة في المسائل التاريخية وكثير من المسائل الاجتماعية والادبية المنشطة الهمم والباعثة على مكارم الاخلاق وطهارة السيرة واعطاء كل ذي حق حقه

سوق الغرب — جبر ضومط

رد الاستاذ محمد أمين واصف بك

(١) أتممت عهد الدراسة والتحصيل وخرجت الى معترك الحياة . وما لديَّ من مؤهلات الجهاد غير ما هو مسطور في مناهج مدارس الحقوق . وما لبثت ان تحققت ان المدرسة تعلم الطالب كيف يفهم في الكتب ليس الا كما يقول الانكليز في امثالهم . وان زمن التعليم لا يتسع لجميع المعلومات التي ينبغي للانسان ان يتجهز بها حين الدخول في هذا المعترك العظيم

تأملت في معلوماتي المدرسية وهي علوم الحقوق المجردة فوجدتها نقصاً وعيباً . وان من اقتصر عليها استوى هو ومن يفتح القانون ليتفهم مواده مادة فمادة . وتبين لي وجه الحاجة الى درس الفلسفة لان اساس التشريع وعلم الحقوق هو علوم النفس والاخلاق والاجتماع والاقتصاد السياسي .

ثم طالعت طائفـة صالحة من مؤلفات العلامة الفيلسوف (جوستاف لوبون) مبتدئاً بكتابه (الانسان والجماعات)

كذلك يجب على كل حقوقي او طبيب او مهندس أو تاجر ان يعتقد تمام الاعتقاد ان ما جمعه وحصله في معـاهد التعليم إن هو الا مبادئ علمية قلما تكفيه للقيام بواجبه نحو مهنته او خدمة وطنه . وان هنـاك معلومات اخرى تتصل بمهنته وليست هي بمعلومات مدرسية لارتفاع منسوبها عن مستوى مدارك الطلاب فهي اذاً متروكة للمطالعات العـامة لمن يشأ الاستزادة والتـأهب للدرجات العلمية الرفيعة

(٢) لقد نشرت في الثلاثين عاماً الماضية كتب أدبية وعلمية قيمة معربة عن الفرنسوية أو الانكليزية او غيرهما وهي في جملتها صالحة لمطالعة الناشئين . الا الروايات سواء أكانت قصصية ام تمثيلية فان غالبها سقيم العبارة ضعيف التركيب تكاد تكون لغتها عامية

وواضع الروايات او معربها اذا لم يكن كاتباً بليغاً حسن الصياغة متفنناً لا يستطيع ان يخرج للناس رواية تلذ قراءتها أو يجد القارئ من ورائها فائدة تعادل ما أضاع من وقته

يجب على من يتعرض لتعريب الروايات ان يكون كثير الاطلاع والتأمل في كتب المتقدمين أمثال ابن المقفع والحريري والهمذاني وأبي عثمان الجاحظ ليتشرب أساليب اللغة الفصحى التي لا ينقصها الا الافكار الحديثة كي يستطيع ان يعبر عن آراء امثالهم من كتاب الافرنج و يبرز للقارئين روح المؤلف الحقيقية بنفس الطلاوة التي تجذب القراء وتحبب اليهم دوام المطالعة فاني اعرف من قرأ مؤلفات فكتور هوجو غير مرة لانه يجد لذة جديدة كلما اعاد قراءتها

الفكرة بنت البيان الانيق ، وللمعاني اشراق لا يكون بغير السائغ العذب من الالفاظ والاسلوب

(٣) مطالعة سير وتراجم العظماء وكتب التـاريخ الحديث وما تيسر من القصص الادبيـة التـاريخية كمؤلفات دوماس وشاتوبريان ولامرتين وسكوت ودكنز وكرلايل وماكولي وموسيه وبلزاك ومن نحا نحوهم من جماعة (الرومانتسم) في القرن التاسع عشر لان هذه المصنفات انما وضعت للأدب وللتاريخ ولتنمية التخيل والشعور بعيدة عن تهتك القصص العصرية الاباحية التي لا تتفق والذوق الشرقي ولا الآداب الشرقية . وهنـاك نوع من الكتب لا أجده لدى أحد منـا ولا الذين تعلموا في اوربا وأعني به الكتب المعروفة عنـد القوم باسم (Savoir Vivre) وهي لادب المحاضرة وسلامة الذوق . لان مجتمعاتنا الخاصة والعامة كلها عيوب حتى الذين امضوا ردحاً من الزمن في البيئات الاوربية فانهم يعودون الى اوطانهم ولمـا ينطبع الذوق الأوربي الصحيح في نفوسهم ولم تصطبغ احوالهم بصبغة القوم الزاهية

(٤) نحتاج لكل علم ولكل فن وأفضل التعريب على التأليف والوضع الآن حتى يتكون ذوق التصنيف العصري عند اهل اللغة والمشتغلين بالعلوم والآداب

محمد الهيري واصف

نظرة متشائم في المرأة والرجل

لودوفتشي كاتب انجليزي معروف يرجع الى اصل ايطالي ولكنه لا يكتب بالايطالية . وليس هو الوحيد من هذا النوع فان طائفة غير قليلة من كتاب الانجليز ينتمون الى نسب غير انجليزي وانما يجذبهم الى الادب الانجليزي رواجه واستبحار اللغة الانجليزية - وهذه حال شبيهة بحال اللغة العربية في أيام مجدها حين كان أدبها يجذب اليه النبطي والفارسي والسوري والتركي والقبطي فيكتبون بها كأنها لغتهم ولغة آبائهم

ويمتاز لودوفتشي بجملة نزعات تعد غريبة في زماننا . فهو يؤمن مثلاً بالعظامية اي ان يكون نظام الحكم في أيدي النبلاء وهو يكافح لذلك نظام الديمقراطية . وهذه نزعة اكتسبها من نيتشه الفيلسوف الالماني المعروف - وقد كان لودوفتشي اول من وقف الجمهور الانجليزي على افكار هذا الفيلسوف . ويتسق مع هذه النزعة العظامية نزعة أخرى هي كراهته لدخول المرأة في ميدان الاعمال ونزولها على قدم المساواة مع الرجل . فان الانظمة الديمقراطية الآن تقول بمساواة الجنسين ولكنه هو لا يجد هذه الانظمة وفق مراميه الاجتماعية فهو لذلك يرى من الانحطاط ان تستقل المرأة عن الرجل وتحصل عيشها بنفسها . وقد قلنا انه اول من هدى الانجليز الى نيتشه . ونيتشه هو فيلسوف القوة والسيادة والعظمة ولذلك فان لودوفتشي يرى انه مما يتسق ونزعاته التي ذكرناها ان يكافح التعاليم المسيحية لانها في الواقع ديمقراطية ويحن حنيناً متوالياً الى فلسفة الاغريق

وبعد هذه المقدمة التي تقف القارىء على مرامي هذا الكاتب نشرع الآن في شرح آرائه عن مستقبل الرجل والمرأة والحضارة الراهنة والمستقبلة :

المعايير الاخلاقية الحاضرة

ان المعايير الاخلاقية الحاضرة تكبر من شأن المال والترف وتصغر من شأن الجمال والصحة . فهي لذلك على نقيض المعايير الاخلاقية عند قدماء الاغريق . فمحور الجمال عندهم كان جسم الانسان بينما نحن لا نبالي الا بجمال الوسط الذي نعيش فيه فلذلك نرى جهودنا منصرفة الى تجميل المدن والاستكثار من الآلات التي تخفف عنا جهد العمل . ولو كان في هذا التخفيف ما يضر الجسم نفسه لانه لا يجهده الجهد الكافي لبقاء صحته وعافيته

ولقد مضينا في الاعجاب بالصناعة واحتقار الجسم شوطاً بعيداً حتى صرنا لا نستقبح انساناً يأكل بأسنان صناعية او يلبس على عينيه النظارات او لا يستطيع ان يفك اعتقال طبيعته الا

بالمسهلات وصرنا نرى معظم الناس وفي رؤوسهم علامات تدل على ان الطبيب قد استخرجهم وقت الولادة بالآلات وان أمهاتهم لم تلدهم ولادة طبيعية

وهذه حال سيئة لا نفقه مبلغ سوئها لاعتيادنا اياها . ولكن يمكن القارىء إن يدرك بعض ذلك اذا هو تصور حيواناً جميلاً يرعاه و يتحظاه كالكلب مثلاً . فهو جميل ما دام يسلك سلوكاً طبيعياً وما دامت اعضاؤه سليمة ولكن كيف يكون هذا الكلب اذا هو ضعف بصره حتى يحتاج الى نظارة او اذا تحاتت اسنانه فوضعنا له اسناناً صناعية او كان لا يتبرز في الصباح الا اذا أسقيناه مسهلاً او لو كانت أمه لا تلده الا بمعونة الطبيب يجذبه بكلاليب من حديد . فليس شك في ان الكلب عندئذ يستحيل جماله الى دمامة شنيعة لان لب الجمال هو الصحة

ولكننا نحن قد اصطنعنا من المعايير الاخلاقية ما يجعلنا نتسامح في وجود المرض والضعف والقبح لان حضارتنا قد وجهت جهودنا الى تحسين الوسط بدلاً من تحسين الانسان نفسه . فالعلوم والصناعات تتقدم ولكن الانسان ينحط . والحال الاجتماعية التي يعيش فيها الناس في اي وقت هي نتيجة المعايير الاجتماعية السائدة . فليس من الحكمة أن نقول ان تقدم الصناعة او العلوم هو علة الانحطاط فانما هذا الانحطاط يرجع الى هذه المعايير التي لا تجعل جمال الجسم وقوته في اول الاعتبارات الاخلاقية . فاذا نحن عدلنا معاييرنا سارت الصناعة والعلوم وفق هذه المعايير

نحن لا نتمتع بالحياة

ان الضعف الذي سرى في الاجسام والنظر المادي الذي تلبس به كل فرد منا قد انتقص من متع الحياة التي كان يجب ان نتمتع بها حتى لقد صار كثير منا لا يؤمنون بالحب وانه اكبر متعة يتمتع بها الانسان في هذه الدنيا واصبحت الحياة عبثاً على طائفة كبيرة من الناس ليس لها غرض سوى تحصيل المادة وانفاق العمر في جمع الاموال . وهذا الاعتقاد السيء في الحب قد انتهى كما هو المعقول باعتقاد سيء آخر في الزواج بل في الحياة ايضاً فصار كثير من النساء والرجال يأبون الزواج ويؤثرون حياة العزوبة عليه . وهذه الحركة النسائية التي يمجدها اكثر الناس انما هي علامة واضحة على أن الناس لما سرى في اجسامهم من الضعف الذي هو ايضاً علة الدمامة قد زال ايمانهم بالحب والزواج . لأن غريزة الحب تحتاج الى قوة وصحة وجمال وهذه أشياء قد صرنا لا نأبه لها لان كل عنايتنا منصرفة الى تحسين الوسط والاستكثار من الآلات والتزيد من الترف ولو كنا نعنى بالقوة والجمال لما فشا بيننا استعمال النظارات والاسنان الصناعية والمسهلات وأدوات الولادة ونحو ذلك

فالمعايير الاخلاقية التي جعلتنا نكبر من شأن الترف والآلات قد جعلتنا نصغر قيمة الجمال والصحة حتى بتنا نشك في الحب وفي الحياة . وهجر النساء المنازل الى المصانع والمتجرات لانهن لم

يعدن يجدن في الرجل فتنة القوة والجمال التي كان يتسم بها آباؤنا · والفتاة تعذر اذا لم تستطع أن تحب رجلاً ضعيف النظر يستعين بالزجاج لرؤية الاشياء فاسد الفم لتحات اسنانه ولعله ايضاً ابخر النفس لذلك

ففي انجلترا مثلاً ٧٦١١٧ امرأة يعملن في وظائف الحكومة و ٢٠٠٠ طبيبة و ٩٣٩٨٧ معلمة و ٢٢ محامية وكل هؤلاء يعملن هذه الاعمال التي كانت من اختصاصات الرجال لانهن لا يؤمن بالحب ولا يرين في الزواج والعائلة اللذة السامية التي تجدها الام في تربية اولادها

المرأة المتزوجة

وليست حال المرأة المتزوجة الآن مما يغري الفتيات بالزواج · فانها تجد ان الزوج منصرف عن زوجته الى اعماله مكب عليها مجهد لقوته حتى ذهب جماله وصحته وبات لا يبالي بشيء في العالم سوى تحصيل الاموال · ثم ان طعامنا قد استحال طعاماً صناعياً كثير اللحم ناضج الطبخ حتى اضر باجسامنا وباتت المرأة لا تستطيع الولادة الا بمعونة الادوات الجراحية · فصارت لذلك تكره الولادة وتتوقى الحمل وصارت مثالاً سيئاً للفتيات يصدهن عن الزواج

وكل من عاين منا حيواناً سليم الجسم صحيح الغذاء يعرف أن الولادة ليست عنده من المشقة بالمقدار الذي تعانيه المرأة · بل نقول ان الام بين الحيوان يبدو عليها في ولادتها انها تلتذ الولادة ولا تتألم منها · وهذا هو المعقول من ترتيبات الطبيعة التي تجعل اللذة شرطاً لتأدية الوظيفة · فاذا كانت الاعضاء سليمة والصحة جيدة عند المرأة وجب ألا تشعر باقل ألم في ولادتها · وقد روي كثير من السياحين انهم رأوا نساء الهمج بلدن وهن في رحلتهم لا يتأخرن الا برهة وجيزة عن القافلة ينهضن بعدها و يدركن القافلة وما بهن من بأس

فالام الولادة عندنا ترجع الى سوء معيشتنا وغذائنا · فنحن مثلاً نأكل كثيراً فتسمن المرأة مدة الحمل وخاصة لانها لا ترتاض الرياضة المطلوبة من كل حيوان يعيش في هذه الدنيا · ثم هي تكثر من تناول الاطعمة النتروجينية كاللحم والقطاني فيكبر الجنين و يجمد عظمه · وهي لو انقصت مقدار اللحم والقطاني (أي العدس والفول والبازلاء) لقل جرم الجنين فلا يتجاوز وزنه ٦ أرطال و يولد عندئذ بلا أدنى مشقة

ولكن الترف الذي يجعل الام تأكل كثيراً والذي يصدها عن الرياضة و يجعلها تعاني المشاق في الولادة يجعلها أيضاً تتجنب ارضاع ابنها فينشأ الطفل قميئاً معتلاً بل ربما نشأ ناقص العقل · فقد ذكر كثير من العلماء ان لبن المرأة أغذى لدماغ الطفل من أي لبن آخر يجلب من الحيوان

وخلاصة قولنا اننا لا نبالي بالصحة والجمال والقوة وانما نبالي بالمال والترف والاستكثار من

قادة البشر العشرة في تاريخ العالم

من هم وماذا استفاد منهم الناس ؟

المستر دورانت كاتب أميركي مشهور له مؤلفات في الفلسفة يجيد الابحاث الحديثة بأسلوب طلي وقد رأينا تلخيص مقال له نفيس نشر في مجلة « أميركان » لما فيه من اللذة والفائدة [المحرر]

في عالم الفكر رأيان بشأن العظيم هل عظمته ثمرة الوسط لا فضل له فيها او هي ترجع الى نفسه وذاته ولا أثر للوسط فيه . واكبر من قال بالرأي الاول هو سبنسر الفيلسوف الانجليزي وماركس زعيم الاشتراكية . فكلاهما يكبر من شأن الوسط حتى ان ماركس يزعم انه يمكن تفسير جميع ما يعتور الامم من رقي او انحطاط بالحالة الاقتصادية التي تسود فيها

أما القائلون بالرأي الثاني فأظهرهم نيتشه وكارليل وكلاهما من عبدة الابطال يقول بأن تاريخ الشعوب هو في الواقع تاريخ ابطالها الذين يقودون هذه الشعوب في الفتوح الحربية والسلمية

ومن يتأمل الرأيين يجد ان الحق ليس كله في احدهما بل هو في الاثنين معاً . فمثلاً لا يمكننا أن ننكر ان كثيراً من المخترعات قد اخترعها غير واحد في وقت واحد وهذا يدلنا على انه اذا حان حين الاختراع ظهر المخترع . ومعنى ذلك ان للوسط تأثيراً عظيماً في ظهور النابغة . فلولا ظهور عدة الاتومبيل لما ظهرت عدة الطيارة لان عدة الاتومبيل هيأت أذهان المخترعين لكي يفكروا في عدة صغيرة قوية تستطيع بقوتها أن تتغلب على وزنها وتطير . ولكن المخترع له مع ذلك فضل الذهن الذي يعدو الحدود المعتادة للاذهان البشرية بحيث يلتفت الى أشياء لا يلتفت لها سائر الناس . فلسنا نستطيع أن نقول مثلاً ان نابليون كان صنيعة الوسط وانه لو لم يولد لظهر شخص آخر يعمل أعماله لان الثورة الفرنسية هيأت الظروف لقبوله . ولسنا نستطيع أن نقول من جهة اخرى ان نابليون لو عاش ومات قبل الثورة كان يمكنه ان يتفشى في اوربا هذا التفشي الذي أتاحته له الثورة . ولكن الحقيقة هي بين هذين الرأيين وهي ان نابليون قد تمكن من فتوحاته وانتصاراته بقوة الثورة وبقوة شخصه الذي كان يعدو الحدود المعتادة للاشخاص

والآن يجب أن نحدد معنى العظيم ونتساءل هل هو الرجل الذي يقوم بالاعمال العظام كالحروب والفتوحات او هو الرجل الذي ينشر عقيدة بين الناس تعيش بعده آلاف السنين ؟

وجوابنا اننا لا نقصد هذا ولا ذاك . فان العقيدة تنتشر بين الناس بعوامل تكاد تكون خارجة

عن سلطة صاحب العقيدة الاصلي وقيمته الذهنية . أما الحروب فزائلة الأثر ضعيفة القيمة . وانما نعني هنا بالعظيم ذلك الذي يكتشف حقيقة يرتقي بها الناس ويرجع الفضل فيها الى ذهنه . وقد تكون هذه الحقيقة علمية او فلسفية او اخلاقية

فاذا نحن رضينا هذا التحديد أمكننا أن نشرع في بحثنا فنقول ان أول العظماء في العالم هو « كنفوشيوس » الصيني . فان هذا الرجل لم يكن نبياً كما يتوهم الذين يسمعون بأن الصينيين يؤمنون به فانه كان لا يؤمن بعالم آخر يجزى فيه الناس على سيئاتهم وحسناتهم وانما كان يحث على ممارسة الفضيلة ابتغاء المكافأة في ممارستها فقط . وقد وُلد سنة ٥٥٢ قبل الميلاد وأصبح لكتبه نوع من الحرمة الدينية . فما يروى عنه انه سئل احدى المرات : هل نجازي السيئة بالحسنة ؟ فأجاب كنفوشيوس : هبك فعلت ذلك فكيف تجازي الحسنة ؟ كلا . انما يجب أن نجازي الاحسان بالاحسان والاساءة بالعدل

وقال عن الذكاء : ان ما يفضل به الانسان الحيوان شيء قليل وهذا القليل يطرحه الناس بلا عناية

وثاني العظماء هو « افلاطون » . وانما نذكر افلاطون ونهمل سقراط لان هذا الاخير يكاد يكون اسطورة فلا نعرف الا ما يرويه الناس عنه وخاصة ما يرويه افلاطون نفسه الذي ربما اخترعه اختراعاً لكي ينسب اليه آراءه . وفضل افلاطون يرجع الى شيئين وهما انه أول من حاول أن يفسر الكون تفسيراً فلسفياً لا علاقة للآلهة به وأيضاً لانه حاول أن يصلح العالم والامم اصلاحاً علمانياً لا علاقة أيضاً للآلهة به . فان معظم ما يشغلنا من الاصلاح الاجتماعي الآن كان يشغل باله في القرن الرابع قبل الميلاد . فقد كان يتكلم عن الزواج والشيوعية والعائلة وحرية المرأة واليوجنية . وكان لكتابه « الجمهورية » الذي حاول أن يدون فيه طوبى انسانية أثر كبير في عالم الفكر الانساني منذ وفاته الى الآن حتى قال فيه أمرسون « احرقوا جميع الكتب لان قيمتها في هذا الكتاب » ويجب ألا ننسى انه أول من أسس جامعة للتعليم وقد عاشت بعده نحو ستة قرون حين ألغاها الامبراطور قسطنطين

ويلي افلاطون في الاثر والفائدة « أرسطوطاليس » الذي تخرج عليه وكان افلاطون نفسه يعجب به ويسميه « العقل » ويمتاز التلميذ من استاذه بنزعته العلمية فهو مفكر هادىء كامد لا بريق فيه في حين ان افلاطون أديب مشرق يحب الحديث الطلي الفكه . ولكن عظمة

أرسطوطاليس تتضح لكل من يقرأ الفلسفة او المنطق اذ يجد ان الحدود التي وضعها أرسطوطاليس لا تزال مستعملة في أيامنا . وقد بلغ من اثره في القرون الوسطى ان كان يسمى « الفيلسوف » بلا حاجة الى ذكر اسمه وكان الطالب الذي يخطىء في ذكر آرائه يعاقب كانه أخطأ في قواعد الدين . وقد وضع أرسطوطاليس علوماً جديدة منها التاريخ الطبيعي والمنطق وهو أول من شرّح حيواناً للفائدة العلمية وكتب في كل شيء ما عدا الطب والفلك

يلي هؤلاء رجل لا يعرفه الناس الآن ولكنه كان كبير الاثر جداً في القرون الوسطى نعني به « توماس اكويناس » . وبين اكويناس وأرسطوطاليس اكثر من ١٥٠٠ سنة عاش فيها العالم في ظلام القرون الوسطى فلا ابتكار ولا اكتشاف ولا اختراع . فقد ولد اكويناس سنة ١٢٢٧ ومات سنة ١٢٧٤ وهو ايطالي المولد والنسب ويرجع اثره الى انه احدث نهضة جديدة في الابحاث الدينية . فقد كتب عن « الديانة الطبيعية » وعلق على أرسطوطاليس وابتدع الدرس والثقافة والجرأة على الجدل في وسط ديني لم يكن يجيز للناس أي بحث خارج عن الحدود الدينية

ويلي اكويناس في التأثير والفائدة ذلك الراهب البولندي « كوبرنيكس » الذي مات سنة ١٥٤٣ فقد اختط طريقاً جديداً للفكر الانساني بكتابه « افلاك الاجرام السماوية » اذ قال ان الارض ليست مركز الكون وان الارض تدور حول الشمس فاستن بذلك سنة جديدة بين العلماء وهي أن يعتمدوا على عقولهم لا على ما ينقلون من القدماء . وانفتحت عندئذ أبواب السماء فصار العالم يرى في الكون عوالم اكبر من الارض وامتد نظره الى الفضاء حتى تبدلت النجوم واضحت شموساً لها عوالمها التي تدور حولها كما تدور الارض حول الشمس . وقد كان القرن الذي أعقب وفاة كوبرنيكس قرن الحرية الفكرية التي وضع أساسها هذا الراهب البولندي

اما بعد كوبرنيكس فيجب ان نذكر « فرانسيس بيكون » الانجليزي فانه واضع الخطط العلمية للعصر الحاضر وهو اصل هذه النزعة العلمية التي احدثت المخترعات واوجدت الصناعات العديدة . فهو اول من حث الناس على الاعتماد على التجربة والاختبار واهمال ما يقوله القدماء وقال بانشاء المعاهد العلمية ونزع نزعة افلاطونية في تأليف طوبى جديدة تخيل فيها امثل الانظمة لرقي النوع البشري

ويلي بيكون رجل انجليزي آخر هو « نيوطن » . فانه باهتدائه الى نظرية الجاذبية نقل الاجرام السماوية من الفوضى الى النظام وجعلنا نفهم حركاتها ونتصورها تصوراً معقولا علمانياً لا نحتاج

فيه الى فرض المعجزات لكي ندركه . وحسب نيوطن من الفضل ما قاله فيه فولتير حين ذكره بقوله : « منذ مدة غير بعيدة كان جماعة من الممتازين يبحثون تلك المسألة التافهة السخيفة وهي من هو أعظم الناس : قيصر أو الاسكندر أو تيمورلنك أو كرومويل فقال بعضهم ان أعظم الناس هو بلا شك اسحق نيوطن · ولعمري ان هذا هو الحق لانه يجب علينا أن نحترم ذاك الذي يسود عقولنا بالحقائق لا ذلك الآخر الذي يستعبدنا بالعنف » ومن هنا نعرف ان عظمة نيوطن كانت معروفة حتى في حياته

ثم يليه « فولتير » نفسه لا لان له نظرية خاصة بل لانه وقف في أوربا كالمصباح يضيء ما حوله ويحث الناس على الحرية ويفضح المستبدين والجهلة ووضع ٩٩ كتاباً كلها نور وأدب وسمو وهدم للبالي ودعاية للعلم والثقافة · وحسب القارىء أن يعرف مكانة فولتير في عالم الادب اذا علم ان نيتشه اهدى اليه احد كتبه اعترافاً بفضله · ومما يحكى عن أثره في هدم الظلم ان لويس السادس عشر عند ما كان مسجوناً ينتظر المقصلة رأى في السجن كتاباً لفولتير وآخر لروسو فقال : « لقد دمر هذان الرجلان فرنسا » يعني بذلك استبداده

ثم بعد ذلك يجب أن نذكر « كانط » الفيلسوف الالماني الذي عاد بعلماء القرن التاسع عشر الى ما كان يقوله افلاطون من اننا لا نعرف حقيقة الاشياء وانما نعرف صورتها فقط في أذهاننا · فكان كانط بذلك اكبر قوة لهدم المادية التي اخذت ولا تزال تتفشى · فهو يزري بالعقل ويستنقص كفايته لفهم حقائق هذا الكون وهو الآن حجة الالبيين · ومما يدل على أثره البعيد في الثقافة الحاضرة ان رجلاً مثل شوبنهور قد آمن بنظريته وان برجسون يؤمن به أيضاً

أما آخر من نذكرهم من العشرة العظام فهو « داروين » الذي أوضح نظرية التطور واحدث بذلك علماً جديداً بل جملة علوم جديدة · وفتح بنظرياته باباً جديداً للامل برقي الانسان لانه أوضح طريق رقيه في الماضي فالمع بذلك الى طريق رقيه في المستقبل · وقد قاومته الكنائس البروتستانتية في أول ظهور النظرية ولكنها عادت فقبلتها كلها وقنعت من التوراة بالتفسير الرمزي لانها وجدت ان التفسير الحرفي لا يتفق وما تقول به نظريات داروين · وقد أصبحت النظرية نزعة سائدة في جميع العلوم

رخاء أميركا وسببه

غلاء المعيشة عند الرواج

ربما كانت الولايات المتحدة اكبر خصم للنزعات الاشتراكية أو الشيوعية التي تنتاب العالم القديم الآن . وهي مع ذلك لا تعارض هذه النزعات بالقول وقرع الحجة بالحجة بل تقنع بالعمل وتبدي نتائج هذا العمل في الرواج العظيم في تجارتها والرخاء الرائع الذي يتمتع به سكانها

فالولايات المتحدة أمة بعيدة كل البعد عن النزعات الاشتراكية تؤمن بحق الامتلاك الفردي للعقارات مهما كان مقدارها . ففيها مثلاً من يملك اكثر من مائتي مليون جنيه بحيث لو أراد شراء مديرية الغربية أو ما هو أكبر منها مثلاً لما تعذر ذلك عليه . ومع ذلك ففيها من الرخاء والرواج ما يخجل أي اشتراكي يقول بمساوىء أنظمة الامتلاك الحاضرة . فان عدد العائلات التي يملك كل منها أتومبيلاً يبلغ عشرين مليون عائلة وسكان الولايات المتحدة كلهم لا يزيدون عن ١١٥ مليون نفس . فهذا المثال وحده يدل على الرواج والرخاء اللذين تتسم بهما الاعمال في تلك البلاد التي بلغت فيها حقوق الامتلاك أقصاها ومع ذلك لا تخشى الثورات الاشتراكية التي تخشاها سائر الامم في أوربا . فما هو السبب في ذلك ؟

اذا اردنا أن نعرف هذا السبب يجب أن نتذكر حالة مرت بنا في تاريخنا تشبه حالة الرواج والرخاء المنتشرين الآن في أميركا . فليس شك في اننا نحن هنا في مصر قد شعرنا بهذه الحالة في سنتي ١٩١٨و١٩١٩ . وحالتنا في ذلك الوقت كانت تتسم بشيئين : الاول : غلاء أجور العمال في مصر غلاء فاحشاً حتى اضطرت الحكومة الى زيادة مرتبات الموظفين زيادة فاحشة . الثاني : غلاء الحاجات من طعام ولباس ومسكن

ولكن مع غلاء هذه الحاجات غلاء فاحشاً حتى ان اردب الذرة الذي يباع الآن بجنيه كان يباع بأربعة جنيهات كنا في رخاء لان زيادة الاجور والمرتبات والارباح كانت تلهينا عن زيادة الاثمان في الحاجات

فهذه الحال التي كانت عندنا في سنتي ١٩١٨ و١٩١٩ أي زيادة الاجور والمرتبات والارباح من جهة وزيادة أثمان الحاجات من جهة اخرى هي حال مستقرة دائمة في الولايات المتحدة فهل معنى ذلك ان الغلاء في الضروريات يحدث رخاء وارتفاعاً في الاجور ؟

اجل . هو كذلك . واليك البرهان :

ان الحال الاقتصادية في الامة هي كالماء يستقر في المنخفضات . فكما ان الوهاد والسهول هي التي تقرر مستوى السطح للماء دون الربوات والجبال كذلك الطبقات السفلى في الامة كالعمال

والفقراء تقرر حال الامة الاقتصادية والاجتماعية دون الاغنياء والعظماء منها

ولماذا ؟ لان الطبقات السفلى تتألف منها جمهرة الامة وكثرتها فاذا كانت مصر ١٥ مليون نفس فمنها بلا شك ١٤ مليونًا من الفقراء الذين لا يملكون شيئًا بل يعملون اجراء أو يملكون شيئًا قليلاً لا يخرجهم من طبقة الاجراء الا في الشكل ومليون واحد من الاغنياء

فاذا كانت الطبقات السفلى في الامة متيسرة تستطيع ان تسكن منازل نظيفة وتتأنق في شراء الملابس والاطعمة راجت أحوال البلاد بيعًا وشراءً وزال الركود والكساد من الاسواق وتقلب المال في أيدي التجار فيزداد ثراء الامة . ولكن كيف تتيسر حال الطبقة السفلى في الامة ؟

لا يمكن الطبقات السفلى التي تؤلف كثرة الامة وهي طبقة الاجراء الفقراء ان يتيسروا بعض التيسر في المال الا اذا كانت الضروريات غالية الثمن . وأهم هذه الضروريات هو الطعام

وعلة ذلك ان أجور العامل لا ترتفع الا بنسبة غلاء الطعام الذي يتناوله لانهُ مهما كان عالي النفس وله نقابات تمنع مزاحمته فان أجرتهُ تنزل الى الحد الادنى لشراء ما يكفيه من الطعام . ولا يمكن ان تنزل اكثر من ذلك لانه في هذه الحالة يموت اذا كان لا يجد ما يكفي لقوته . وقد كان بكل المؤرخ الانجليزي المشهور يعزو انحطاط مصر والهند الى وفرة الذرة ورخص ثمنها كما عزا انحطاط ارلندا الى وفرة البطاطس

وذلك لانهُ اذا ارتفعت أثمان الضروريات ارتفعت الاجور بنسبتها وعندئذ يمكن عائلات العمال ان ترصد قليلاً من أرباحها لشراء أدوات الترف وتتأنق بعض التأنق في اللباس والمسكن . وذلك لان التأنق والترف لا يحتاجان الى نفقة يومية يواظب عليها كالنفقة على الطعام فاذا توافر لدى الفقير من أجورة الشهر بعد الشهر مبلغ صغير اشترى به ما يزين به بيته أو نفسه فترتفع كرامته ويتنافس العمال عندئذ في شراء الكماليات فتروج التجارة ويرتفع معيار المعيشة والترف . وقد كان العمال الانجليز مدة الحرب يشترون الاقوات بأغلى ثمن عرفته انجلترا في تاريخها وكانوا مع ذلك يتناولون أعلى الاجور حتى استطاع كثير منهم أن يقتني الاثاث الفاخر وآلات الموسيقى الغالية كالبيانو وغيره . فغلاء الضروريات هو أصل الرواج والرخاء . وهذا الاصل يتضح أكثر اذا كانت الاقوات التي تستنفدها الامة ينتجها عمالها . فمثلاً استنفدنا نحن ما قيمته ٨ ملايين جنيه من الاطعمة والفواكه المجلوبة من الامم الاجنبية الى قطرنا في العام الماضي . فمغزى ذلك :

اولاً — اننا ربحنا هذه الاطعمة والفواكه وتمتعنا بأكلها ولكن القطر المصري مع ذلك خسر ٨ ملايين جنيه . وثانياً — انه لو كان جلب الاطعمة والفواكه الى مصر من الخارج ممنوعًا لأكلنا ما يساوي مقدار هذه الاطعمة من غلات بلادنا لانه لا يعقل اننا كنا نستغني عنها . ولكن كانت مصر مع ذلك تربح ٨ ملايين جنيه . وهذا المبلغ الكبير كان يدخل في جيوب الفلاحين ملاكاً وعمالاً فيرفع مستوى المعيشة بينهم فيأكلون من الاطعمة اجود مما يأكلون ويلبسون

أجود مما يلبسون ويتأنقون في بناء منازلهم وتأثيث بيوتهم . وتكون نتيجة ذلك احداث الرواج والرخاء في البلاد

وعلى ذلك نقول ان غلاء الاقوات يحدث في الامة رواجاً ورخاء . وهذان يرفعان مستوى المعيشة بين طبقة العمال فتروج الاعمال ويستمر الرخاء كما هو حادث الآن في اميركا

ونقول بعبارة اخرى انه اذا رخصت الاطعمة نزلت أجور العمال الى ادنى حد يقيم صلب العامل . فحيث تكثر الذرة مثلاً وتنزل اثمانها تنزل اجور العامل الى مستواها . وهذا المستوى لانحطاطه يمنع العامل من القدرة على شراء أي شيء آخر . فاذا غلت الذرة وزاد ثمن الاردب من جنيه الى اربعة او ارتفع ثمن القمح من ٣ جنيهات الى ٦ للاردب الواحد أمكن العامل ان يدخر من ثمن الطعام جزءاً يستطيع ان يشتري به أدوات الترف . وهذا ما وجده الاميركيون في الولايات المتحدة . فانهم عرفوا أن أكبر ما يساعد على رواج الاعمال هو زيادة اجور العمال . فصاحب المصنع الآن لا ينقص اجور عماله قرشاً واحداً مهما انتابه من الازمات لانه يعرف أن الازمات تزداد شدة وحرجاً اذا نقصت قدرة العامل على الشراء بانقاص اجرته . ونحن في مصر يمكننا ان نرقي الحالة الاجتماعية في بلادنا برفع اثمان الاقوات . وذلك بان نمنع استيراد الاطعمة بجميع اصنافها من لحم ودقيق وفاكهة من الخارج . فمن الجهة الواحدة يربح الفلاح والعامل المصري على وجه العموم ثمن ما يجلب من الخارج الآن وهو ٨ ملايين جنيه في السنة . ومن الجهة الثانية نجعل له شبه احتكار في الاقوات فيستطيع ان يرفع اثمانها ويزيد دخله بذلك فترتفع حالته الاجتماعية لانه ينفق ما يتوافر له عندئذ على مسكنه وملبسه فتروج بذلك الاعمال الداخلية . فاذا اضفنا الى ذلك ايضاً زيادة الضرائب الجمركية على المصنوعات الاجنبية اوجدنا للصانع المصري الفرصة في انشاء صناعات جديدة

وخلاصة مقالنا ان الغلاء هو اصل الرواج . والرواج اصل الرخاء وقد رأينا مثالاً من ذلك في سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩ ونراه الآن في اميركا . ويجب الا يخشى احد هذا الغلاء لانه مصحوب على الدوام بزيادة الاجور والمرتبات . وهذه الزيادة ترفع الامة الى مستوى اعلى من مستواها السابق في الحضارة والرقي . ومثال ذلك ايضاً هو اميركا . فالمعيشة هناك تبلغ نفقاتها على الفقير نحو اربعة اضعاف ما تبلغه في مصر ولكن متوسط ما يتناوله العامل من الاجور يتراوح بين ٢٥ و ٤٥ جنيها في الشهر حتى انتشر استعمال الاتومبيل بين السكان وبات ٢٠ مليون عائلة تملك كل منها اتومبيلا . ورخص الحاجات وانحطاط اثمانها يوهم الرخاء ولكنه مخدر يقضي على الامة في النهاية لانه ينزل اجور العمال الى احط مستوى . وما دام جمهور كل أمة هم عمالها فان نزول اجورهم يقضي على الامة كلها بالفاقة . وهذا مثال الهند فالعامل هناك يعيش بنحو ثلاثة جنيهات في السنة ولكنه لا يملك من اللباس او المسكن الا القليل الذي لا يحفظ للانسان كرامة الانسانية

نهضة تركيا الحاضرة

اعظم انقلاب حدث فى قطر شرقى

كتب هذا المقال في احدى المجلات الاميركية رستم بك سفير تركيا السابق في الولايات المتحدة وقد رأينا أن تنقل للقراء خلاصته حتى يقفوا منه على الحال الراهنة في تركيا
[المحرر]

كانت تركيا امبراطورية كبيرة قبل الحرب وكان يطلق عليها اسم ضخم هو اسم « الدولة العثمانية » ولكنها الآن دولة صغيرة تعرف بين دول العالم باسم « جمهورية تركيا » وهي في حدودها الصغيرة الحاضرة أصح جسماً وأسلم أعضاء مما كانت وهي امبراطورية مترامية الاطراف فقد كانت مدة الامبراطورية كثيرة الشعوب التي تختلف لغة ودماً ونزعة وكثيرة الثورات أيضاً لهذا الاختلاف نفسه وكانت هذه الثورات ذريعة لدخول الدول الكبرى في شؤونها واقتطاعها القطر بعد القطر من أملاكها حتى صدق عليها قول اسكندر الاول قيصر روسيا حين نبزها بعبارة « رجل أوربا المريض » أما الآن فانها صغيرة ولكنها متجانسة في الدين والدم واللغة لا ترى فيها تلك الثورات والفتن التي كانت تنغر في جسمها وتعمل لهدمها مدة السلاطين

وقد رأى الاتراك انه لا يضمن بقاءهم في العالم أمة قوية متمتعة بحقوقها ما لم ينالوا رضا هذا العالم نفسه أو رضا الدول الكبرى فيه . والدول الكبرى في هذا العالم هي دول الغرب . ورأوا أيضاً انه لا قيمة للمعاهدات ما لم يؤيدها الرأي العام في هذه الدول . ولما انتهت الحرب نظر الاتراك حولهم فالفوا عيون الدول تتطلع اليهم بعضها في السر وبعضها مثل ايطاليا في الجهر وكلها تبغي امتلاكها أو تقسيمها . ولم يجد الاتراك فائدة من المحالفات لان المحالفة لا تنفع الا الشريك الاقوى فعمدوا الى رفع أنفسهم الى مستوى الامم الغربية الراقية باصطناع حضارة هذه الامم لانهم رأوا ان اليابان لا يطمع فيها طامع ولا الرأي العام في الغرب يؤيد احدى الدول في محاربتها لانها رفعت نفسها الى مصاف هذه الامم وتحضرت بحضارتها

ورأى مصطفى كمال ان الوقت لا يتسع للتطور البطيء والتدرج الوئيد نحو الحضارة الاوربية لانه يخشى قبل أن يبلغ ما يريد من هذه الحضارة أن تكون ايطاليا او غيرها قد اغارت على تركيا وانتهت منها وضمتها الى أملاكها . فهو لذلك عمد الى الثورة واحداث الانقلابات السريعة حتى ادخل تركيا في زمرة الامم العظيمة الغربية التي في يدها مصير العالم الآن

وكان الاساس الذي بنى عليه مصطفى كمال برنامجه هو الديمقراطية والعلمانية · فالغى الخلافة التي عاشت بين الاتراك نحو ٦٠٠ سنة وأقام مكانها الجمهورية ثم عمد الى الدين ففصله عن الدولة· والتفت بعد ذلك الى الحالة الاجتماعية فالغى الضرار وهو أن يتزوج الرجل اكثر من امرأة وحتم على النساء نزع البراقع ثم انتهى بالغاء الطربوش وجعل الاتراك يصطنعون القبعة التي هي شارة الحضارة الغربية

وقد استجاب الاتراك لهذه الاصلاحات جميعها لانهم في الواقع كانوا قد تهيأوا لها · ففي السنة الماضية كانت الحضارة الغربية قد غمرت الطبقة العالية وانتشرت بينهم اللغة الفرنسية ثم جاءت الحرب الكبرى فاثبتت للاتراك خطر الفناء الذي ينتظرهم اذا لم ينسلخوا من الشرق وعوائده و ينضموا الى الغرب و يصطنعوا حضارته و يقتبسوا علومه وآدابه و يتخلقوا بأخلاق أهله· وقد يتوهم الذين سمعوا عن ثورة الاكراد وعن المؤامرة التي كان يقصد منها اغتيال مصطفى كمال ان الاتراك لم يؤيدوا انقلابهم الاخير كل التأييد · ولكن الواقع ان الفتنة الكردية لم تكن سوى حركة وطنية خاصة بزعامة الرؤساء ولم يكن الدين سوى دريئة يحتمون وراءها · أما المؤامرة فان أعضاءها كانوا كلهم من حزب الاتحاد والترقي القديم ولم يكن غرضهم سوى قلب الحكومة لكي تقع مقاليدها في أيديهم · وقد قضي على فتنة الاتراك وعلى هذه المؤامرة قضاء صارماً فلا خوف على الجمهورية التركية الآن من التداعي

والآن قد يتساءل القارىء : هل يمكن الاتراك تمثيل الحضارة الاوربية بحيث تكون لهم جمهورية ديمقراطية بالمعنى الحقيقي ؟

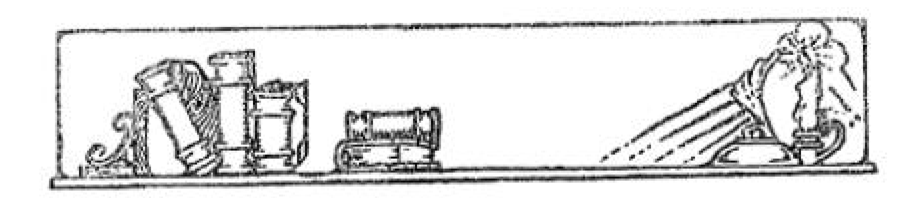
فالجواب على ذلك ان الجمهورية موجودة بالشكل والاسم فقط وان مصطفى كمال طاغية يشير على البرلمان فيسمع البرلمان لاشارته و ينفذها · ولكن الحال الحاضرة تبرر ذلك لان الامة التركية جديدة في هذا النظام وليس عليها من بأس ان تسير فيه كما يسير التلميذ في المدرسة لتعلم منه الاوضاع الدستورية · ثم ان الخطر الذي تجتاز به الدولة الآن بالنسبة للانقلاب العظيم الذي أحدثهُ مصطفى كمال في كيانها الاجتماعي يحتاج الى طاغية ليسهر عليه · ويجب ان نذكر ان الامم العريقة في الدستور مثل اميركا وانجلترا وفرنسا لم تعارض رؤساءها فيما اتخذوه لانفسهم من السلطة الواسعة مدة الحرب الكبرى · وزيادة ذلك فان كفاية مصطفى كمال في الحرب وطرده الجيش اليوناني بعدما اكتسح جزءاً عظيماً من الاناضول قد جعل له من المكانة في قلوب الاتراك ما يجعلهم يولونهُ ثقتهم و يعتقدون نياته الحسنة واخلاصه للوطن · والاتراك خارجون

الآن من قرون الاستبداد التي مضت عليهم مدة السلاطين فهم لا يأنسون من انفسهم القوة على الحكم الذاتي ويحتاجون لذلك الى فترة من التمرين والتعليم فهم لا ينظرون لذلك بعين الاستياء الى ديكتاتورية الغازي مصطفى كمال

وكل الدلائل تدل على ان الاتراك يتفرنجون بسرعة مدهشة . فان التركي ذكي بطبعه متى أدرك الفائدة من عمل ما اقبل عليه . وقد ظهر ذكاؤه هـذا عندما أجلى اليونان عن الاستانة و بعض البلاد الاخرى فقد كان كثير من المتشائمين يعتقدون ان الحركة التجارية ستركد بخروجهم و يغشى الكساد جميع الاسواق لانهم كانوا العنصر النشيط في التجارة . ولكن الاتراك هبوا بمعاونة الارمن الى مل‌ء هذا الفراغ حتى انهُ لم يشعر به أحد

وقلنا ان مصطفى كمال عمد الى الطفرة لا الى التطور في نشر الحضارة الغربية في تركيا ولكن لهذه الطفرة حدودها فان الادارة التركيـة لا يزال بها من الفساد الموروث من السلاطين شيء كثير ولا يمكن اصلاحه إلا بالتدرج . ولكن التعليم والقضاء والجيش كلها تجري على احدث النظم وادقها

ثم ان انتصار الاتراك الاخير على اليونان وفوزهم بمعاهدة لوزان والغـاء معاهدة سيفر قـد جعلهم من الغرور والزهو بحيث يغفلون احياناً عن التفطن لجهلهم بالاشياء التي لم يمارسوها . فهم مثلاً يبالغون في كفايتهم حتى انهم يتناولون من الاعمال الفنية ما لا يستطيعون ان يقوموا به . فيضيع المجهود والمال والوقت و يعودون الى جلب الخبراء الاجانب للقيام بما افسدوه . وعلى ذلك نرى ان تركيا ستظل مدة طويلة بحاجة الى خبرة الاجانب المتعلمين حتى يقوم من ابنائها من تكون له الخبرة والمعرفة بهذه الاعمال



تفاوت الامم في الذكاء

حقيقة أم وهم ؟

في العـالم الآن مدرستان من مدارس الفكر احداهما تقول بتساوي الشعوب الانسانية في الذكاء والكفايات العـامة والاخرى تقول بتفاوتها . وقبل أن نفحص حجج كل فريق يجب أن نقول ان للبيئة أثرها في كل منهم . فعلماء أميركا يقولون على وجه العموم بالتساوي وانه لا تمتاز أمة من اخرى . وهم جديرون بهـذا الاعتقاد لان الولايات المتحدة خليط من جميع الامم التي تعيش على وجه الارض تقريباً فهم اذا قالوا بانحطاط الايطاليين عن الالمان او ارتقاء الانجليز عن الفرنسيين عاد عليهم هذا القول بعواقبه السيئة اذ هم انفسهم خليط من الايطاليين والفرنسيين والالمان والانجليز . أما المدرسة الاخرى التي تقول بالتفاوت فهي اوربيـة تؤمن بالاستعمار ولا تفتأ تذكر الشرقيين بالانحطاط والضعة . ومنهم من يبالغ فيقول بتفوق الالمـان على سائر أهل اوربا ومنهم من ينسب حضارات العـالم القديمة والحديثة الى اهل الشمال الذين كانوا ينزحون من وقت لآخر الى الجنوب فيؤسسون حضارات المصريين والاغريق والرومان

فأنت ترى من ذلك ان للغرض وللتربية قسمتهما . فالاميركي ينشأ على رؤية الشعوب المختلفة ممثلة في أمته فهو لذلك يحترمها ويقول بالتـساوي . والاوربي ينشأ على قراءة تاريخ الصراع بين الشرق والغرب وتاريخ الاستعمار فيبرر لنفسه هذا الاستعمار بالقول بتفاوت الشعوب

وأول من قال بالتفاوت من رجال اوربا هو جوبينو وهو عالم فرنسي كتب عن التفاوت بين الامم وبين طبقات الامة . وأشهر من كتبوا حديثاً في هذا الموضوع هو تشمبرلن وهو رجل انجليزي متألمن غاية في سعة الثقافة والذكاء فوضع كتاباً قال فيه بأن الاختراع والاكتشاف وتقدم العـالم كل هذا يعزى الى الذهن الجرماني . وهو لا يقصد بالجرمان سكان ألمانيا وحدهم بل هو يطلق هذا الاسم على اهل الشمال من اوربا الذين لهم رءوس مستطيلة . وقد كان لكتابه هذا اثر كبير وانتشار واسع حتى ان امبراطور الالمـان المخلوع اشترى منه ألفي نسخة وزعها بين قادة الجيش والرؤساء من الموظفين . ونظرية تشمبرلن هـذا ان العالم تتنازعه سلالتان من الناس تختلف ملامح ولوناً وقامة ولكن أهم ما يفصلهما هو شكل الرأس . فالرجل الاوربي او الجرماني ، كما يسميه ، مستطيل الرأس والرجل الاسيوي مستديره كما نرى في الصيني والتركي . وفي اوربا رءوس مستديرة كثيرة

وخاصة في فرنسا وهي بذلك تعتبر شرقية أسيوية ويعزو اليها تشمبرلن الانحطاط لهذا السبب · ومن هذا المثال الاخير يمكن القارىء أن يفطن الى عين الغرض في النظرية : فألمانيا مملوءة بالرءوس المستطيلة من الجرمان الذين هم خميرة العالم في الاختراع والاكتشاف وفرنسا منحطة لان بها رءوساً مستديرة · وعلى ذلك فامبراطور الالمان يشتري ألفي نسخة من الكتاب ويوزعها بين الموظفين

ولكنك عند ما تناقش احد هؤلاء القائلين بالتفاوت تراه يجيبك على الفور بما تراه من الاختلاف في افراد الامة الواحدة والتفاوت في درجات الذكاء والكفاية · وايضاً بما تراه من التفاوت في سلالات الكلاب المنتشرة في العالم ويسألك في النهاية : لم تعترف بهذا التفاوت وتنكره بين مختلف الامم ؟ ثم كيف ترى الهمج في آسيا وافريقيا الذين ما زالوا للآن يعيشون عيشة البداوة الفطرية وتقرنهم الى الاوربيين الذين يملكون العالم الآن بذكائهم وكفاياتهم ؟

هذا هو رأي المدرسة القائلة بالتفاوت · اما القائلون بالتساوي فيردون على هذه الدعاوي بقولهم انه ليس في العالم الآن امة خالصة الدم من سلالة بعينها · فان اختلاط الشعوب في الماضي قد جعل الامم متشابهة الاصل فان كان للسلالة قيمة فان هذه القيمة تزول بهذا الاختلاط حتى لا يمكن شعباً أن يمتاز على شعب آخر · ولنضرب مثلاً على ذلك اسبانيا · فقد كان يقطنها قبل الفينيقيين والرومان شعب من الايبيريين ثم امتزج هذا بالرومان · ثم أغار القوط عليهم فامتزجوا بهم ايضاً ثم جاء العرب والبربر من شمال افريقيا · ثم عاد الاسبانيون فاحتلوا البلاد · فالاسباني الآن مزيج من الايبيريين والفينيقيين والرومان والقوط والعرب

وكذلك الحال عند سائر أمم العالم تقريباً فليس هناك سلالة خالصة النسب يمكن ان نقول ان لها مزايا خاصة لا نراها في غيرها ونحن نرى الهون الذين دخلوا اوربا في القرن الرابع للميلاد واستوطنوا هنغاريا وأصبحوا يتسمون باسم المجر قد اصبحوا أوربيين يتخلقون بالخلق الاوربي وينزعون نزعاته وقد غمرتهم حضارة أوربا وثقافتها وان كانت لغتهم لا تزال اسيوية وسحنتهم كذلك ولهم بعد رءوس مستديرة

والقائلون بالتساوي لا ينكرون ان للسلالات البشرية خواص ولكنهم يميزون بين هذه الخواص ويقولون ان أمم العالم قد اختلطت بالغزو والفتح حتى صرنا لا نجد أمة بعينها يمكن ان نقول انها من سلالة خاصة · فكل أمة هي نتاج جملة سلالات بشرية · ثم هم ينسبون الاختلاف بين الامم في سحنها وكفاياتها الى تأثير الوسط

والوسط كلمة تنطوي فيها طائفة كبيرة من المعاني أولها المناخ بما فيه من برودة او حرارة وارتفاع او هبوط ورطوبة أو جفاف ثم التربية البيتية والمدرسية والاجتماعية وحالة العمران الفاشي وما فيه من مأثور الثقافة والحضارة وما فيها من مؤثرات . فكل هذه تعمل في تكوين العقل والجسم وتكسب الخلق نشاطاً أو خمولا ونزعة للرقي أو الركود . وحسبك مثالاً على ما للوسط من الاثر أن الزنوج في اميركا قد ارتقوا حتى صار نحو ٨٠ في المائة منهم يقرأون و يكتبون في حين ان اخوانهم في افريقيا لا يزال بعضهم يعيش في الغابات

ولو كانت الامم تتفاوت بقوة ما فيها من تراث الدم والسلالة لكان يجب ان يكون الاسبانيون في اوربا ارقى من الزنوج في اميركا ، والحال الواقعة الآن تخالف ذلك لاننا اذا اعتبرنا انتشار التعليم مقياساً للرقي لوجدنا ان الامية تنتشر في اسبانيا بمقدار ٧٠ في المائة بينما هي بين الزنوج لا تزيد عن ٢٠ في المائة من عدد السكان . فالذي يؤخر الاسباني هو التراث العمراني من دين وآداب واخلاق وتعليم وتربية بيتية ينضاف الى ذلك المناخ الجوي والذي يرقي الزنجي هو هذه الاشياء ايضاً في اميركا

ويمكن ان نوضح للقارىء كيف يتغلب تأثير الوسط على الوراثة الطبيعية بمثال بسيط . فكلنا يولد مختلف الفم واللسان والحنجرة عن غيره من ابناء قريته او مدينته . ومع ذلك فكلنا يتكلم لغة الامة التي ينتسب اليها باللهجة الفاشية في المدينة او القرية التي يقطنها ومعنى ذلك ان وسط القرية او المدينة يتغلب على الفروق الطبيعية التي في اللسان او الحنجرة او الفم

ومثل ذلك يمكن ان يقال في اختلاف السحنة وجرم الدماغ فان قيمها ضعيفة امام الوسط الذي يطبع كل فرد من افراد الامة بطابعي الحضارة والثقافة الفاشيتين



اليد واللسان

أصل الرقي في الانسان

كلما تأملنا احوال الرقي في الانسان الحاضر والغابر زدنا بصيرة في معنى هذا الرقي وادواته . فهو يرجع الى اللسان واليد اكثر مما يرجع الى العقل

فاننا نتباهى على الحيوان بكبر ادمغتنا وهي في الواقع كبيرة ليس في العالم حيوان يدانينا في جرمها وان كان احد القردة في اميركا الجنوبية يقاربنا فيها اذا اعتبرنا نسبة دماغه الى جسمه . ولكن كبر الدماغ وحده ليس العامل المهم في الرقي بدليل ان هذا القرد الذي ذكرناه لا يبدي من الذكاء اكثر مما تبديه سائر القردة العالية بل الواقع انه دونها في الذكاء

وانما العامل في هذا الرقي العظيم الذي بلغه الانسان وتفوق به على سائر الحيوان يرجع الى يده ولسانه . وقد كان يجب علينا أن نلحظ ذلك من قبل اذ ان ثقافة الانسان وما له من لغة راقية ومعارف مدونة او مروية ومأثور في الادب او العلم ينقله الخلف عن السلف ومكاتب عامة ترجع كلها الى لسانه . ثم ان حضارته وما فيها من فنون في البناء والصناعة والترف ترجع الى يده

وقد يعترض القارىء بأن اليد واللسان لا قيمة لهما بدون هذا العقل الذي هو ثمرة الدماغ الكبير . فالجواب على هذا الاعتراض ان نصف هذا العقل يكفي لايجاد حضارة وثقافة تنقلان من السلف الى الخلف . فانا نرى من اختباراتنا ان معايشنا لا تحتاج الى استعمال كل عقولنا فاننا نعيش ونحصل على القوت والاثنى والمسكن بقليل جداً من استعمال عقولنا وكثير جداً من استعمال يدنا في الصناعة وألسنتنا في التفاهم . ولكي نزيد قولنا ايضاحاً يمكن ان نفرض فرضاً سخيفاً فنقول اننا لو اخذنا مائة ابله جرم الرأس في كل منهم لا يزيد عن ثلثي الرأس العادي ووضعناهم في جزيرة منفردة لامكنهم ان يعيشوا ويحدثوا لانفسهم نظاماً انسانياً فيه ثقافة وحضارة بشرط واحد وهو ان يكونوا قد تعلموهما قبلاً في وسط انساني عادي . ولكننا لو اخذنا مائة فيلسوف وقطعنا ألسنتهم وايديهم ووضعناهم في مثل هذه الجزيرة المنفردة لما استطاعوا ان يعيشوا الا عيشة بهيمية سرعان ما تقضي على حياتهم

فاليد هي أداة الحضارة واللسان هو أداة الثقافة وهما كفيلان بالرقي الانساني اذا صحبا بقليل من الذكاء . وربما كانت اكبر نكبة نكبت بها القردة فحالت دون رقيها هو فقدان ابهام اليد او الجزء الاخير منها حتى باتت ايديها لا تحسن التناول فلا تحسن لذلك اية صناعة . وهي انما فقدت ابهامها لاقتصارها على السكنى في الاشجار واحتياجها للوثوب من غصن الى غصن . وهذا الوثوب يقتضي ألا تعوق الابهام سائر الاصابع في التعلق

ولكن الانسان لم يقصر نفسه على الشجر او الارض وانما سكنهما جميعاً فانتفع بالارض لبقاء ابهامه وانتفع بالشجر لتحرير قواه العصبية وضبط أعمال اليد . ولسنا نشك في المعيشة القديمة على الشجر او على الاقل في استعمال الاشجار وسيلة للفرار من العدو بدليل ان المزاولة البسيطة القصيرة تجعل البهلوان من الانسان الآن يسلك مسلك القردة في الانقلاب والوثوب والتعلق ولو لم تكن اعضاؤنا مهيأة لهذه الالعاب لما استطاع انسان ان يؤديها . ومعيشة اليابسة وحدها ليس من شأنها ان تهيء الانسان لهذه الاعمال . وهذه الالفة بالاشجار قد حررت اعصابنا وجعلتنا نقدر لكل مجهود مقداره من القوة العصبية لانه من السهل على القارىء أن يرى ان الحيوان في الماء او على اليابسة لا يميز بين المجهود كبيره وصغيره وانما هو يفر من اي خطر تافه او عظيم بمجهود عصبي واحد وهو يغضب للسبب الحقير او الخطير بمجهود عصبي واحد لا بتدرج . ولكنما الانسان لالفته الغصون صار يحتاج الى تقدير قفزاته لانه لو كانت كل قفزاته متساوية كما هي قفزات حيوان اليابسة وقت الخطر لوقع وهلك لان الغصون غير متساوية في البعد

فالالفة بغصون الاشجار جعلتنا نحرر اعصابنا ونجيد تقدير الابعاد ولا ننفق من قوانا العصبية الا بمقدار ما نحتاج اليه فقط . والالفة باليابسة جعلتنا نحتفظ بابهامنا . وتمت لنا بذلك ميزة على القردة التي هي ارقى الحيوانات بعدنا لاننا نستطيع ان نزاول الصناعة بأيدينا وهي لا تستطيعها

ومهمة اليد في رقي الانسان لا تختلف عن مهمة اللسان . فكلاهما يعمل للايضاح والتقييد فان من طبيعة العقل الانساني انه لا يدرك معنى من المعاني الا اذا وضع له اسماً او رمزاً ولا خيالاً من خيالاته الا اذا جسمه بجسم ما . وليس الفرق بين سبنسر الفيلسوف الانجليزي وبين الممجي الذي يعيش للآن في الغابات في افريقيا هو فرق بين الجرم في دماغيهما فانهما يستويان في ذلك . ولكنما هو فرق بين لغة كل منهما . فسبنسر يعرف نحو ربع مليون كلمة هي ربع مليون معنى خاص بالحضارة والثقافة وهذا الممجي اقصى ما يعرفه نحو مائة كلمة فالمعاني التي يتناولها دماغه لا تزيد عن هذا العدد

فاللسان يقيد المعاني ويجعل للفرد مأثوراً من الثقافة . فنحن مثلاً في مصر ليس عندنا تلك الثقافة الخاصة بالطيران والطب والهندسة والفلك لانه ليس في لغتنا ألفاظ لمعانيها . وما عندنا من منطق وذكاء وفهم يرجع معظمه الى ان عندنا معاني واضحة لان الالفاظ قيدتها في حدود معلومة . ولذلك فمن السداد ألا تتعدد المعاني للفظ الواحد ولا الالفاظ للمعنى الواحد

وقامت اليد في الحضارة مقام اللسان في الثقافة وهي انها جسمت الخيال الذي يتخيله الانسان في جسم ما . ومهمة الجسم تشبه عندئذ مهمة الاسم في ايضاح المعنى . فالمخترع الذي يخترع لايفهم اختراعه ويدرك ما فيه من محاسن او مساوىء ما لم يقبض بيده على المواد يجسم بها خياله . ويده وهي تطاوعه تفتح له المعنى بعد الآخر وتزيده فهماً ويزيدها هو صنعة . فتتبادل اليد

والدماغ هذه المعرفة الجديدة ويتم الاختراع وتزداد ثروة الحضارة شيئاً جديداً . فاليد كاللسان أداة تعبير وايضاح . وفنون الحضارة كلها من كتابة الى تصوير الى عمارة الى هندسة الى طب قائمة على براعة اليد التي يضع اللسان اسماء مفصلة لاجزائها حتى تصبح مأثوراً ينقله الخلف بلا عناء عن السلف

وخلاصة ما تقدم ان أكبر عامل لرقي الانسان هو لسانه ويده . فهذان العضوان عندنا من ادق الاعضاء عند جميع الحيوانات . ففينا من يمكنه ان يحاكي بمزاولة قصيرة اي طائر في شدوه واي حيوان آخر في صوته . ويمكننا ببراعة ايدينا ان نلعب كالبهلوان جميع العاب القردة

فأما براعة اللسان فلا نعرف اصلها . واما براعة اليد فترجع الى الفتنا الاشجار التي اكتسبنا منها ميزة اخرى وهي ضبط اعصابنا وتقدير الابعاد في حركة اعضائنا . ومن براعة اليد واللسان نشأت حضارتنا وثقافتنا . وذلك لان اليد صورت لنا الاشياء في صور مجسمة يمكن محاكاتها واعادة صنعها بدون الحاجة الى تكرار الاختراع . واللسان احدث الاسماء التي هي قيود المعاني

س . م .

حول حديث سمو الامير محمد علي

المنشور في الجزء الماضي من الهلال

حضرة الفاضل رئيس تحرير مجلة الهلال

تحية واحتراماً وبعد فقد اطلع حضرة صاحب السمو الامير محمد علي على الحديث الذي دار بينه و بين أحد محرري مجلتكم الغراء وأمرني أن أبعث لحضرتكم بهذا الكتاب مظهراً أسفه على عبارة وردت في آخر الحديث يفهم منها أن بعض القائمات بالنهضة النسائية لا يعتبرن من الزعيمات القادرات على الاصلاح

وبما أن البعض قد فكر في تأويل رأي سموه في هذه النقطة تأويلاً لا يطابق الواقع فارجو أن تتكرموا بالاشارة الى ذلك في مجلتكم خصوصاً وان سمو الامير أول من يقدر مجهود الزعيمات المصريات حق قدره ولهن في نفس سموه من الاحترام ما يعتبر أعظم مشجع لهن في طريق التقدم القويم

وتفضلوا بقبول فايق الاحترام

سكرتير سمو الامير محمد علي
احمد مختار

الايام – ٦

بقلم الدكتور طه حسين

الاستاذ بالجامعة المصرية

(١٦) على ان صبينا لم يلبث ان اضاف الى هذه الالوان من العلم لوناً آخر جديداً وهو علم السحر والطلاسم . فقد كان باعة الكتب يتنقلون في القرى والمدن بخليط من الاسفار لعله اصدق مثل لعقلية الريف في ذلك العهد . كانوا يحملون في حقائبهم مناقب الصالحين وأخبار الفتوح والغزوات وقصة القط والفار وحوار السلك والوابور وشمس المعارف الكبرى في السحر وكتاباً آخر لست ادري كيف كان يسمى ولكنهُ كان يعرف بكتاب الدياربي ، ثم اوراداً مختلفة ، ثم قصص المولد النبوي ، ثم مجموعات من الشعر الصوفي ، ثم كتباً في الوعظ والارشاد وأُخرى في المحاضرات وعجائب الاخبار ، ثم قصص الابطال من الهلاليين والزناتيين وعنتر والظاهر بيبارس وسيف بن ذي يزن ، ثم القرآن الكريم مع هذا كله . وكان الناس يشترون هذه الكتب كلها و يلتهمون ما فيها التهاماً وكانت عقليتهم لتكوّن من خلاصته كما تكون أجسامهم من خلاصة ما كانوا يأكلون و يشربون

وقد قرىء لصاحبنا من هذا كله فحفظ منهُ الشيء الكثير ، ولكنهُ عني بشيئين عناية خاصة : عني بالسحر ، وعني بالتصوف . ولم يكن في الجمع بين هذين اللونين من العلم شيء من الغرابة ولا من العسر فان التناقض الذي يظهر بينهما ليس الا صورياً في حقيقة الامر . أليس الصوفي يزعم لنفسه وللناس انهُ يخترق حجب الغيب و ينبيء بما كان وما سيكون كما انهُ يتعدى حدود القوانين الطبيعية و يأتي بضروب الخوارق والكرامات ، والساحر ماذا يصنع ؟ أليس يزعم لنفسه القدرة على الاخبار بالغيب وتجاوز حدود القوانين الطبيعية ايضاً ؟ والاتصال بعالم الارواح ؟ بلى . كل ما يوجد من الفرق بين الساحر والصوفي هو ان هذا يتصل بالملائكة وذاك يتصل بالشياطين ولكن يجب ان نقرأ ابن خلدون وأمثاله لنصل الى تحقيق مثل هذا الفرق ونرتب عليه نتائجه الطبيعية من تحريم السحر والترغيب عنهُ وتحبيب التصوف والترغيب فيه

وما كان ابعد صبينا وأترابه عن ابن خلدون وأمثال ابن خلدون . انما كانت تقع في ايديهم كتب السحر ومناقب الصالحين وكرامات الاولياء فيقرأُون و يتأثرون ثم لا يلبثون ان يتجاوزوا القراءة والاعجاب الى الاقتداء والتجربة . واذا هم يسلكون مناهج الصوفية و يأتون ما يأتيه

السحرة من ضروب الفن ، وكثيراً ما يختلط في عقولهم السحر والتصوف فيصبح كلاهما شيئاً واحداً غايته تيسير الحياة والتقرب الى الله

وكذلك كان الامر في نفس صاحبنا فقد كان يتصوف و يتكلف السحر وهو واثق بأنهُ سيرضي الله و يظفر من الحياة بأحب لذاتها اليه

وكان من القصص التي تكثر في ايدي الصبيان يحملها اليهم باعة الكتب قصة اقتطعت من « الف ليلة وليلة » وتعرف بقصة « حسن البصري » · في هذه القصة اخبار ذلك المجوسي الذي كان يحول النحاس ذهباً وأخبار ذلك القصر الذي كان يقوم من وراء الجبل على عمد شاهقة في الهواء، وتقيم فيه بنات سبع من بنات الجن والذي آوى اليه حسن البصري ، ثم اخبار حسن هذا وما كان من رحلته الطويلة الشاقة الى دور الجن · و بين هذه الاخبار خبر ملأ الصبي اعجاباً وهو ان قضيباً أهدي الى حسن هذا في بعض رحلته وكان من خواص هذا القضيب ان تضرب به الارض فتنشق و يخرج منها تسعة نفر يأتمرون بأمر صاحب القضيب ، وهم بالطبع من الجن أقوياء خفاف يطيرون و يعدون ويحملون الاثقال و يقتلعون الجبال و يأتون من عجيب الامر ما لا حد له · فتن الصبي بهذه العصا ورغب في ان يظفر بها رغبة شديدة قوية أرّقت ليله ونغصت يومه · فأخذ يقرأ كتب السحر والتصوف يلتمس عند السحرة والمتصوفين وسيلة تمكنهُ من هذه العصا

وكان له قريب صبي مثله يرافقه الى الكتاب ، فكان اشد منه كلفاً بهذه العصا · وما هي الا ان جد الصبيان في البحث حتى انتهيا الى وسيلة يسيرة تمكنهما مما يريدان · وجداها في كتاب الديار بي · وهي ان يخلو الفتى الى نفسه وقد تطهر ووضع بين يديه ناراً ومقداراً من الطيب ثم يأخذ في ترديد هذا الاسم من اسماء الله « يا لطيف ! يا لطيف ! » ملقياً في النار شيئاً من الطيب من حين الى حين ، فيمضي في ترديد هذه الكلمة وتحريق هذا الطيب حتى تدور به الارض و ينشق امامه الحائط ويمثل أمامه خادم من الجن موكل بهذا الاسم من اسماء الله فيطلب اليه ما يريده والحاجة مقضية من غير شك · ظفر الصبيان بهذه الوسيلة فاعتزما ان يستخدماها · وما هي الا ان اشتريا ضروباً من الطيب وخلا صبينا الى نفسه في المنظرة ، اغلق بابها من دونه ووضع بين يديه قطعاً من النار واخذ يلقي فيها الطيب ويردد « يا لطيف ! يا لطيف ! » ، وطال به هذا وهو ينتظر ان تدور به الارض وينشق له الحائط ويمثل الخادم بين يديه ولكن شيئاً من ذلك لم يكن · وهنا تحول صبينا الساحر المتصوف الى نصّاب

خرج من المنظرة مضطرباً يمسك رأسه بيديه ولا يكاد لسانه ينطلق بحرف واحد ، فتلقاه صاحبه الصبي يسأله هل لقي الخادم وهل طلب اليه العصا ؟ وصاحبنا لا يجيب الا مضطرباً مرتجفاً تصطك اسنانه اصطكاكاً حتى روّع صاحبه الصبي · وبعد لأي اخذ صاحبنا يهدأ ويجيب في

ألفاظ منقطعة وبصوت متهدج : « لقد دارت بي الارض حتى كدت اسقط ، وانشق الحائط ، وسمعت صوتاً ملأ الحجرة من جميع نواحيها ثم اغمي علي ثم أفقت فخرجت مسرعاً » سمع الصبي هذا فامتلأ فرحاً واعجاباً بصاحبه وقال له « هون عليك فقد اصابك الرعب وملك الخوف عليك امرك فلنبحثن في الكتاب عن شيء يؤمنك ويشجعك على ان تثبت للخادم وتطلب منه ما تشاء. واستأنفا البحث في الكتاب · وانتهى بهما البحث الى ان صاحب الخلوة يجب ان يصلي ركعتين قبل ان يجلس الى النار ويأخذ في ترديد هذا الامر · وكذلك فعل الصبي من غده واخذ يلقي الطيب في النار ويردد دعاء « اللطيف » ينتظر ان تدور به الارض وينشق له الحائط ويمثل الخادم بين يديه · ولكن شيئاً من ذلك لم يكن · وخرج الصبي الى صاحبه هادئاً مطمئناً فأخبره ان قد دارت الارض وانشق الحائط ومثل الخادم بين يديه وسمع منه حاجته ولكنه لم يشأ ان يجيبه اليها حتى يمرن على هذه الخلوة ويكثر من الصلاة واطلاق البخور وذكر الله وضرب له موعداً لقضاء هذه الحاجة شهراً كاملاً يأتي فيه هذا الامر في نظام ، فان فسد هذا النظام فلا بد من استئناف الامر شهراً كاملاً · وصدق الصبي صاحبه واخذ يلح عليه في كل يوم ان يخلو الى النار ويردد الدعاء · واخذ الصبي يستغل من صاحبه هذا الضعف ويكلفه ما شاء من مشقة وعناء فان ابى او اظهر الاباء اعلن اليه صاحبنا انه لن يخلو الى النار ولن يدعو « اللطيف » ولن يلتمس العصا ، فيذعن اذعاناً سريعاً

على ان صاحبنا لم يكن يميل وحده الى السحر والتصوف وانما كان يدفع الى ذلك دفعاً، يدفعه اليه ابوه · ذلك ان الشيخ كان كثير الحاجات عند الله : كان له ابناء كثيرون · وكان يحرص على تعليمهم وتهذيبهم ، وكان فقيراً لا يستطيع ان يؤدي نفقات ذلك التعليم ، وكان يستدين من حين الى حين ويثقل عليه اداء الدين ، وكان يطمع في ان يزاد مرتبه من حين الى حين وكان يطمع في ان يتقدم درجة وينتقل من عمل الى عمل · وكان يلتمس هذا كله عند الله بالصلاة والدعاء والاستخارة · وكان احب وسائل الالتماس اليه عدية يس · وكان يطلب عدية يس هذه الى ابنه الصبي لانه صبي ولانه مكفوف وهو بهاتين المزيتين اثير عند الله رفيع المكانة عنده وهل يرضى الله ان يرد صبياً مكفوفاً حين يطلب اليه امراً من الامور متوسلاً بقراءة القرآن ؟

وكانت عدية يس مراتب اولاها ان يخلو الانسان الى نفسه فيقرأ هذه السورة من سور القرآن اربع مرات ، ثم يطلب ما يشاء وينصرف · والثانية ان يخلو الى نفسه فيتلو هذه السورة سبع مرات ثم يطلب ما يشاء وينصرف · والثالثة ان يخلو الى نفسه فيتلو هذه السورة احدى واربعين مرة لا يفرغ من قراءتها مرة حتى يتبعها بدعاء يس ، « يا عصبة الخير بخير الملل » فاذا أتم

القراءة طلب ما شاء وانصرف ، والبخور محتوم في هذه المرتبة الثالثة . وكان الشيخ يكلف ابنه العدّية الصغرى في صغار الامور والوسطى في الامور الهامة والكبرى في الامور التي تمس حياة الاسرة كلها . فاذا سعي في ان يدخل احد ابنائه في المدرسة مجاناً فالعدية الصغرى . واذا التمس الى الله اداء دين ثقيل فالعدية الوسطى . واذا رغب في ان ينتقل من عمل الى عمل وان يزاد مرتبه جنيهاً او بعض الجنيه فالعدية الكبرى . وكان لكل عدّية اجر : فاما العدية الصغرى فاجرها قطعة من السكر او الحلوى ، واما العدية الوسطى فاجرها خمسة مليمات ، واما العدية الكبرى فاجرها عشرة . وكثيراً ما خلا الصبي الى نفسه وقرأ سورة يس اربعاً او سبعاً او احدى واربعين . ومن عجيب الامر ان الحاجات كانت تقضى دائماً وما هي الا ان تم اقتناع الشيخ بان ابنه مبارك وبأنه أثير عند الله

ولم يكن امر السحر والتصوف مقصوراً على قضاء الحاجات والتنبؤ بما سينجلي عنه الغيب ، وانما كان يتجاوز هذا كله الى دفع المكروه واتقاء النكبات . وقد نسي الصبي اشياء كثيرة ، ولكنه لم ينس هذا الرعب الذي ملأ قلوب الناس جميعاً في المدينة وما حولها من القرى حين وصلت اليهم الاخبار من القاهرة بان نجماً ذا ذنب سيظهر في السماء بعد ايام ، حتى اذا كانت الساعة الثانية بعد الظهر مسّ الارض بطرف من ذنبه فاذا هي هشيم تذروه الرياح . فاما النساء وعامة الناس فلم يحفلوا بهذا او لم يكادوا يحفلون به وانما كانوا يشعرون بشيء من الرعب كما تحدثوا بهذه النازلة او سمعوا الحديث عنها . ثم لا يلبثون ان ينصرفوا الى ما هم فيه من حياة عملية . واما المتفقهون في الدين وحملة القرآن واصحاب الطرق وتلاميذهم فكانوا هلعين حقاً مروّعين لا تكاد تستقر قلوبهم بين جنوبهم وكانوا يتحاورون في ذلك حواراً متصلاً ، فمنهم من يزعم ان هذه الكارثة لن تقع لانها مخالفة لما عرف من اشراط الساعة ، وما كان للارض ان تفنى قبل ان تظهر الدابة والنار والدجّال وقبل ان يهبط المسيح الى الارض فيملأها عدلاً بعد ان ملئت جوراً . ومنهم من كان يظن ان هذه الكارثة من اشراط الساعة ومنهم من كان يتحدث بان هذه الكارثة قد تقع فتصيب الارض بشيء من التدمير دون ان تأتي عليها جميعاً . كانوا يتحاورون طول النهار حتى اذا اقبل الليل وصليت المغرب اجتمعوا حلقاً في المسجد وامام الدور واخذوا يرددون هذه الكلمة « ازفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة » حتى تصلى العشاء . وانقضت الايام وجاءت الساعة المحتومة ولم يظهر في السماء نجم ذو ذنب ولم يصب الارض دمار قليل ولا كثير فانقسم المتفقهون في الدين وحملة القرآن واصحاب الطرق : فاما اهل العلم الذين يستمدون علمهم من الكتب وينتمون الى الازهر فانتصروا وقالوا « ألم نقل لكم ان هذه الكارثة لا يمكن ان تقع قبل ان تظهر اشراط الساعة ؟ ألم ندعكم الى تكذيب المنجمين ؟ » واما حملة القرآن فقالوا : « كلا لقد كادت تقع الكارثة لولا ان

لطف الله بالرضع والحوامل والبهائم وسمع لدعاء الداعين وتضرع المتضرعين » . واما اهل التصوف والعلم اللدني فقالوا « كلا لقد كادت تقع الكارثة لولا ان توسط القطب المتولي بين الناس والله فصرف عن الناس هذا البلاء واحتمل عنهم اوزارهم »

وأنت تستطيع أن تقول ان هذا الدافع الذي كان يدفع الناس الى التحصن من الخمسين كان سحراً أو تصوفاً . أما أنا فلا أستطيع الا أن احدثك بما يذكر الصبي من أن الايام التي كانت تسبق أيام شم النسيم كانت أياماً غريبة يخالط فيها قلوب النساء والصبيان وحملة القرآن شيء من الفرح والخوف . كانوا اذا أظلهم يوم الجمعة أسرفوا في الاكل وفي ألوان خاصة من الطعام ، حتى اذا كان يوم السبت أسرفوا في أكل البيض الملوّن . وكان الفقهاء قد استعدوا لهذا اليوم استعداداً خاصاً فاشتروا ورقاً أبيض صقيلاً وقطعوه قطعاً صغاراً دقاقاً وكتبوا على كل قطعة « ا ل م ص » ثم يطوون هذه القطع ويملأون بها جيوبهم حتى اذا كان يوم السبت ألمّوا بالدور التي كانوا يتصلون بها ففرقوا هذه القطع من الورق على أهلها وطلبوا الى كل واحد أن يبتلع منها أربعاً قبل أن يلم بطعام أو شراب . وكانوا يزعمون للناس أن ابتلاع هذه القطع من الورق يصرف عنهم ما تأتي به الخمسون من المكروه ويصرف عنهم الرمد بنوع خاص . وكان الناس يصدقونهم ويبتلعون هذا الورق ويؤدون الى الفقهاء ثمنه بيضاً احمر واصفر . وليس يدري الصبي ماذا كان يصنع سيدنا بما كان يجتمع له من البيض في يوم سبت النور . فقد كان كثيراً يتجاوز المئات . على ان استعداد الفقهاء لهذا اليوم لم يكن يقف عند اعداد هذه القطع من الورق وانما كان يتجاوز ذلك الى شيء آخر ، كانوا يشترون الورق الابيض الصقيل ويقطعونه قطعاً طويلة عريضة بعض العرض ويكتبون عليها مخلفات النبي :

مخلّف طه سبحتان ومصحف ومكحلة سجادتان رحى عصا

حتى اذا فرغوا من هذه المخلفات اضافوا اليها دعاء آخر يبتدىء بهذه الكلمات التي كان الفقهاء يقولون انها سريانية « دَنْبدَ دَنبي ، كري كَرَنْدي ، مري مَرَنْدي ، سَبَر سَبَر بتوفا ، احبسوا البعيد عنا لا يأتينا والقريب منا لا يؤذينا ... الخ » ثم يطوون هذه الاوراق على انها حجب وتمائم يفرقونها في البيوت على النساء والصبيان ويتقاضون اثمانها دراهم وخبزاً وفطيراً وضروباً من الحلوى ، ويزعمون للناس ان اتخاذ هذه التمائم والحجب يدفع عنهم أذى هذه الشياطين التي تحملها رياح الخمسين . وكان النساء يتلقين هذه الحجب مطمئنات اليها ولكن ذلك لم يكن يمنعهن من اتقاء العفاريت يوم شم النسيم بشق البصل وتعليقه على ابواب الدور واكل الفول النابت دون غيره من ألوان الطعام في هذا اليوم

(لها بقية) طه حسين

الحاج شلبي

قصة مصرية * بقلم الاستاذ محمود تيمور

خرج الحاج شلبي من القهوة التي يتردد عليها عصر كل يوم ، قاصداً الى منزل «ام الخير» الكائن بجهة المناصرة . والمسافة طويلة ما بين القهوة ومنزل ام الخير . ولكنهُ اعتاد ان يقطعها بلا تذمر ولا تعب وأن يستبدل ركوب الكهرباء وسيارات الامنيبوس او سوارس التي تجرها البغال ، بركوب قدميه الشديدتين داخل بلغته الصفراء القديمة

خرج الحاج شلبي من القهوة ، بقامته الطويلة وجثمانه الضخم ووجهه العريض ذي الشارب الغزير ، يحملق فيمن حوله بعينيه الواسعتين المظللتين تحت هدبيه الغليظين . فكان الناس جميعاً ينظرون اليه بحذر نظرات التمليق والمداهنة ، متجنبين أذاه خاشين شره وقسوته . وكيف لا يخشون شره وأذاه والكل يعلمون انهُ خريج «الليمان» تركه منذ بضع سنين بعد ان امضى فيه المدة المقررة . كان متهماً مع زميل له بتهمة قتل فظيعة لم تثبت عليه ثبوتاً تاماً وان ثبتت على شريكه . لم يهذب «الليمان» من أخلاقه الجافة ولم يغير من طبعه القديم ولم يخفض شوكة قسوته بل زاده عتواً وجبروتاً وميلاً الى التخريب والهدم وحباً لسفك الدماء . خرج من معتقله كما يخرج الليث المغضوب من قفصه وقد برّح به الحرمان وهو أشد شهوة الى الفتك والتهام الفرائس . وهل ينسى زبائنُ هذه القهوة وسكان جهة «السيوفية» ظهور الحاج شلبي بينهم في موكب كبير على اثر خروجه من «الليمان» . لقد كان معتلياً هو وجمع من «الفتوات» الاشرار زملاءه سطح عربة من عربات «الكارّ» يضجون بالاغاني البلدية وصياحهم الضخم العريض تردده الآفاق . وبين فترة وأُخرى يقوم الحاج شلبي واقفاً بين اصحابه الجالسين يطلب الرقص فيوسعون له مكاناً على سطح العربة فيخلع شال عمامته ويحزّم به خاصرته ويرفع نبوتهُ الى اعلى ويبدأ يرقص بسكون وهو مسبل الاجفان يلتوي بنشوة ذات اليمين وذات الشمال ويقرع الارض بتمهل باحدى قدميه ، تنمّ ملامح وجهه على شعور باللذة عميق يشبه شعور مدخن الحشيش او الافيون وهو في غيبوبة الاحلام . والكل حوله يصفقون بشدة على ضرب واحد ، يرددون بصوت أجش كريه : «عطشان يا صبايا دلوني على الطريق» . ولفيف كبير من «اولاد البلد» العاطلين وصبيان الازقة وأطفالها يحيطون بالعربة من كل جانب يشاركون «الفتوات» غناءهم وتصفيقهم بضجة كبيرة

لقد كان الحاج شلبي في هذا اليوم اكثر الناس جذلاً وسروراً . بعدَ خروجه من الليمان انتصاراً عظيماً احرزه في ميدان جهاده . تنم كل اشارة من اشاراته وكل كلمة تخرج من فيه انهُ

بطل هذا العصر لا يدانيه في جبروته وشدة بأسه أحد · ولا ينسى الناس بعد ذلك ما أتاه هذا الرجل من ضروب القسوة والظلم ، وخروجه فائزاً بعد كل مشاجرة او مقاتلة ، لا تمتد عليه يد القانون ولا يقتص منه سيف العدالة

ليس الحاج شلبي متقدماً في السن إذ لم يتخطَّ بعد ربيعه الثامن والثلاثين · ولا هو بالرجل الورع الطاهر النفس شأن الذين يزورون الاماكن المقدسة ، يغسلون فيها آثامهم وخطاياهم ثم يعودون الى بلادهم حاملين لقبها الطاهر · هو مسلم على طريقة أهل فئته « الفتوات » يدين بالاسلام و يفخر بانتسابه إليه · و يعتقد أن كل ما يأتيه من المحرَّمات والمنكرات سيغفره الله له في الآخرة بشفاعة النبي (صلعم) إذ المسلم ـ مهما أتى في دنياه من موبقات وآثام ـ له الجنة مفتوحة الأبواب يلجها بطمأنينة وسلام في يوم القيامة ، بعد عذاب يسير · لذلك استهان بأوامر الدين ونواهيه وانتهك حرماته جهاراً وبلا حساب · إذا غضب لم يمسك لسانه عن سب « الدين » غير هياب ولا وجل · لم يقم بفرض الصلاة الا في صباه عملاً بارادة والده الذي كان يرهبه ويخشى أذاه · ولم يصم يوماً واحداً في رمضان منذ أن وجب عليه الصيام · هو مستهتر جدَّ الاستهتار · يأتي المنكرات جهاراً غير مبال بشيء · ومن نوادره أنه إذا وقف على قبر ولي من أولياء الله يناشده أن يجيب له سؤله ثم اذا أخفق بعد ذلك في أمره اتهم الوليَّ باهمال مسألته وانهال عليه شتماً ، يبصق بوقاحة على «مقامه» ويحرض الناس اضطراراً على مقاطعته ثم يستولي على صندوق النذور غنيمة باردة ويخص به نفسه دون سواه

و بالاجمال كان الحاج شلبي هـذا خارجاً على « الدين » رغم انتسابه اليه ، يتبرأ « الدين » منه وممن هم على شاكلته · · · · فمن أين جاءه إذن هذا اللقب الصالح وكيف دعوة الناس بالحاج

كان ذلك قبل اعتقاله في « الليمان » ببضع سنوات ، إذ سافر في ركب المحمل الى الأقطار الحجازية بصفة حلاق لركاب الدرجة الثالثة · فلما عاد الركب رجع معه الاسطى شلبي وقد نال غير مكسبه من مال وبضاعة هذا اللقب الصالح الذي لصقته به هـذه « الحجة » إلصاقاً شرعياً لم يفارقه ولن يفارقه حياً ولا ميتاً

كان في ذلك الوقت في شرخ صباه ، يبلغ من العمر العشرين · ولكنه لم يكن قد ضخم واستطال كما هو الآن · كان حلاقاً في جهة « السيوفية » ورث حانوته وصنعته وزبائنه عن أبيه بعد وفاته · وسار في صناعته في بادىء الامر سيراً يبشر بالنجاح · فازدحم محله بالزبائن وانهال عليه الربح الوفير · ولكن طبعه غلب تطبعه · فلم يستفد من الحج ولا من مؤازرة زبائنه له · وبدأ حياة ضالة مرذولة أتت على مكسبه ثم التهمت حانوته من بعد واتخذ اللصوصية مهنة خفية يكسب بها عيشه في الحياة متظاهراً امام الناس بحياة البطالة والكسل · ولكن أمره شاع بين الجميع فنفر

منه صحابه الاولون وتجنبه الآخرون . والتف عليه جماعة من « الفتوات » المرتزقة يعيشون معه كالطفيليات على خير غيرهم

وهكذا يعيش الاسطى شلبي «الحلاق» سابقاً ، والحاج شلبي « والفتوة » الآن ، عيشة لا يجد فيها غضاضة ولا ألماً بل بالعكس يجد فيها شهوة غريزية وهبتها له الطبيعة والقدر

خرج الحاج شلبي من القهوة يهز عصاته الغليظة في يده هزات الاحتقار . يُسمع لوقع قدميه على ارض الحارة صوت قوي منفر للآذان . سار ميمماً جهة « المناصرة » حيث يحظى بمقابلة « ام الخير ـ الخاطبة » في امر يخص زواجه الجديد . وكان الحاج شلبي اذا قصد منزل ام الخير ـ وكثيراً ما يقصده لهذا الغرض ـ ينتقي أبهى جلابيبه البلدية فيرتديها . و يتعمم على « طاقيته » بشال نظيف يلفه بعناية على رأسه ، على طريقة الفتوات . و يفتل شاربه الغزير فتلاً محكماً . و يعطر وجهه و يديه ومنديله العريض الذي يحشو به « عبه » بماء العطر البلدي . يفعل ذلك لاعتقاده أنه اصبح عريساً يستحق من فتيات ونساء ام الخير كل عناية والتفات . واخيراً وصل ووقف امام المنزل يتأمله ليتحقق من انه المنزل المرغوب . فوجده كما عهده منزلاً محاصراً من كل جهة بدور قديمة ، يتساند بعضها على بعض خشية السقوط ، كائناً في نهاية الحارة « السد » ، يشمخ ببابه الكبير المتآكل المعلق على حافته تمساح محنط ، ويزهو على اخوته بواجهته العريضة البالية ذات الاربع النوافذ ، القديمة الطراز

ودق الحاج شلبي الباب بعصاه عدة دقات وهو يتنحنح و يكح معلناً قدومه لسكان المنزل . وفتح الباب نصف فتحة واطل من خلفه رأس الصبية « بدور » التي تبلغ الثانية عشرة ، تغطي نصف وجهها الاسفل بطرحة رأسها السوداء . فعرفها الحاج شلبي وسألها قائلاً :

— أمك هنا يا عروسة ؟

— هنا يا سيدي ، تفضل

وفتحت الصبية « بدور » الباب على آخره فسمع له صرير خشن أجش يفضح الداخل والخارج . وما كاد يتخطى الحاج شلبي العتبة حتى سمع خبطة شديدة رنت خلفه فاذا بالصبية تقفل الباب . ودخل صحن الدار وكان معتماً لا ينيره الا بصيص من كوة ضيقة في احدى جوانبه . وقادته الصبية لمنظرة الضيوف فاذا هي اكثر ضوءاً من صحن الدار . فاستطاع ان يرى محتو ياتها . ولكن الحاج شلبي لم يكن غريباً عن هذه الحجرة فقد دخلها كثيراً وامضى اوقاتاً فيها يفاوض ام الخير في امر زيجاته الاولى . كانت منظرة ضيقة ، ارضها من البلاط المتكسر يكسوه الحصير البالي وقطعة منحولة ذاهبة اللون من السجاد . فوضع الحاج شلبي عصاته في زاوية الباب وقصد المتكأ الطويل الذي لا يوجد مقعد سواه يليق بمقامه في الغرفة . وجلس عليه بكبرياء وهو يفتل شاربه الغزير و يصلح شال عمامته . وكان اثاث الحجرة مشوش الترتيب ، لا يفوق السجادة

البالية جدة ولا نظافة . فبعض المقاعد العادية منثورة هنا وهناك ووسادة عريضة للارض ملقاة بإهمال خلف الباب. وصينية نحاسية صغيرة عليها بضعة اطباق من الصاج متروكة في وسط الحجرة عرضة لان يتعثر فيها الداخلون . و بعد حين رنت في صحن الدار خلاخل ام الخير واساورها ، وعلت ضحكتها النسائية المعروفة . والذي لم يرَ أم الخير من قبل وسمع في هذه اللحظة رنين خلاخلها وأساورها ونغمة ضحكتها الطويلة المثناة الملتوية ذات الحرير الجميل ، وحظي بشيء من كلامها الرقيق خلف الباب ، ظنها فتاة من فتيات الثامنة عشرة ، خلابة المحاسن ساحرة الصوت ذات دلال فاتن . فاذا هلّت عليه بقوامها « البوصي » الرفيع الخالي من مميزات الانوثة ، وشاهد وجهها « العظمي » المزيف تحت طلاء المساحيق استعاذ بالله من هذه الشيطانة الكريهة . لها عينان صغيرتان منتوفتا الرموش قليلتا شعر الاهداب تصلح نقصهما بالكحل السميك وبالخطوط العريض . وخدان اصفران بشدقين غائرين . ورأس تخفي شعره الاشيب القليل بشعر مستعار غزير لونه أصفر كالذهب . ملابسها كلها ذات ألوان زاهية تنتقيها من الانواع ذات اللمعة . تلف جبهتها بمنديل مثني من المناديل ذات الهدّاب على طريقة « بنات البلد » الخليعات . وترسل من تحت هذا المنديل ذؤابتين منفوشتين من شعرها تغطي بهما أذنيها وجزءاً من صدغيها . وتحتذي في قدميها الاعجفين العاريين المخضبين بالحناء قبقاباً بجلدة حمراء ونقوش مختلفة اللون

ولأم الخير ثروة يحسدها عليها اترابها . فهي تمتلك هذه الدار ذات التمساح المحنط ، تشغل طابقها الاسفل ، وتؤجر طابقها الاعلى لعائلتين من السكان . ولها بضعة حوانيت في نفس الجهة . ويشاع عنها انها تختزن كمية لا يستهان بها من الجنيهات الذهب تخفيها تحت بلاطة من بلاط طابقها . ولديها غير هذا حلي عديدة من اقراط وأساور وخواتم وعقود وخلاخل معظمها من الذهب . تتباهى دائماً بلبسها أمام الناس خصوصاً أمام الزوار . واذا علمنا ان أم الخير لم تكن في عهد صباها غير فتاة خليعة من بنات الهوى ، حريصة على المال لا تصرف منه الا بتقتير ، استطعنا ان نعرف مصدر ثروتها الحالية ، والسبب الذي يدعوها دائماً الى التجمل والزينة رغم تقدمها في السن . ولهذه المرأة قلب نشط حي جريء ذو ارادة صلبة ، وان كان مثقلاً بالخطيئة والاثم . فلما رأت ما لحق تجارتها الاولى من البوار فكرت في عمل تشتغل به وتكتسب منه ، كأنها لا تريد ان تكون عاطلة في الحياة . واختارت لنفسها حرفة « الخاطبة » . فأصبحت خاطبة بالمعنى الصحيح تعمل في سبيل الزواج الطاهر ، وهي التي احترفت في زمنها الاول حرفة التحريض على الفساد وقتل الشرف والطهر . وكأنها من حيث لا تشعر تكفر اليوم عن خطاياها الاولى بعد ان ملت حياة الضلال والانحطاط

وقد فكر الحاج شلبي غير مرة في الهجوم على منزلها وسلبها ما عندها من كنوز غالية . وان اقتضى الامر ان يفتك بها ، فعل بلا تردد . ولكنه لم يستطع تنفيذ رغبته اذ كان يشعر شعوراً

داخلياً بضعف نفسيته امام نفسيتها وتضاؤل شخصيته في حضرتها . فأم الخير وان كانت تماثل « عرائس الاراجوز » في ملامحها وقوامها وملابسها ، فان لها قوة معنوية تنبعث من داخل نفسها تسيطر بها على من يجالسها . وقد هتف برأس الحاج شلبي هاتف غريب كان يحذره من الاساءة لهذه المرأة والا اوقعه الله في محظور لن ينجو منه . وتسلط عليه هـذا الشعور تسلطاً اضطره ان يقلع من رأسه فكرة الاساءة لأم الخير وان يقدم لها حمايته راضياً مختاراً .

ودخلت ام الخير الحجرة باسمة وهي تهز يديهـا المحملتين بمختلف الاساور ، تضرب ارض الغرفة بقبقابها الملون ضربات موزونة كأنها ضرب « الصاجات » . وتقدمت نحو الحاج شلبي مسلمة ولكنها لم تكد تنتصف الحجرة حتى كادت تنبطح على وجهها متعثرة في الصينية والاطباق . وصرخت مستنجدة بالحاج شلبي فأسرع اليها وحال بينها وبين السقوط . وبعد أن حمدت الله وأثنت عليه تفلت عدة مرات في صدرها

ثم أخذت تصرخ منادية على ابنتها « بدور » بصوت رنّ في جميع انحاء المنزل رنيناً مفزعاً . وجاءت الصبية مسرعة نحو مصدر الصوت فاذا قبقاب أمها مرسل كالقذيفة على رأسها واذا بالسباب والشتائم واللعنات من كل لون وصنف تحاصرها من كل ناحية ، تقصف حول اذنيهـا كالرعد وتنصب عليها انصباب المطر المنهمل . ولما كانت الابنة قد تعودت ان تقف مثل هذا الموقف مع أمها غير مرة لم تفزع ولم تترك المكان هاربة بل ظلت خاشعة تستقبل العـاصفة بصبر وانتظار . وانقشعت الغمامة رويداً فاذا بأم الخير تلتفت نحو ضيفها مرحبة به مسلمة عليه معتذرة له عن هـذه الضجة . واشتبك الحديث الودي بين الضيف ومضيفته فاذا بها تقول :

— ما هـذه الغيبة يا حاج شلبي ... وهل يصح ان تهجرنا كل هذه المدة الطويلة . ألا تسأل عن صديقتك ام الخير التي تعبت لك كثيراً فتعلم عنها إذا كانت بخير او بشر

— أخبارك دائماً تصلني . واعلم عنك ، ولله الحمد ، كل خير ونجاح . اني مستعد لكل خدمة

— والله سلامات يا حاج شلبي . ألفين سلامات . كيف حالك وحال فتواتك الجدعان

— « الحال معدن » والامور ميسرة . وكل شيء على ما يرام

والتفتت أم الخير الى ابنتها « بدور » ورمقتها بنظرة قاسية وقالت لها بلهجة خشنة :

— احملي الصينية والاطبـاق خارجاً . ولا تنسي ان تجمعي صحون « العـاشورة » من تحت المقاعد

وانحنت الصبية « بدور » تجمع الصحون من تحت المقاعد فأخرجت أربعة اطباق بهـا آثار « العاشورة » ، وضعتها كلها في الصينية وحملتها على رأسها وخرجت . وتكلمت أم الخير لتفسر لضيفها سبب وجود الصينية وأطباق العاشورة ، وان كان هذا من الامور العادية الكثيرة الوقوع في هذه الاوساط . قالت :

— عندي ضيوف من السيدات · وقد تناولنا جميعنا طعام الفطار هنا ·

وكان من عادة أم الخير اذا تكلمت ان تكثر من تلعيب حاجبيها وتحريك يديها بما يناسب المقام · فلما ذكرت جملتها عن ضيوفها السيدات غمزت بعينها اليمنى غمزة ظاهرة وصحبتها بابتسامة كبيرة فهم معناها الحاج شلبي المتمرن على مثل هذه التلميحات · فانحنى عليها وكلمها بصوت منخفض قائلاً :

— بينهن عروسة تصلح للزواج ؟ اذا كان الامر كذلك فأنا لها في هذا اليوم

فرنت ضحكة أم الخير ذات الثنايا والمنعطفات والذيل الطويل الرفيع واجابته :

— والله نيتك سليمة يا حاج شلبي

— وهل هي جميلة ؟ — كالبدر

— فتية ؟ — لم تتخطَّ الخامسة عشرة

— الا يمكن أن أراها ؟ — على عينك يا تاجر

— بارك الله فيكِ يا ام الخير · حقاً اسم على مسماه · كلنا نستمد منك الخير والبركة

— اتريد الحق · انك رجل طماع · أليس على ذمتك جليلة وزكية !

— ولكنهما غير موجودتين — وكيف ذلك ؟

— جليلة « مرضعة » بمنزل فكري بك · وزكية رحلت الى حال سبيلها . انها عاقر لم تلد لي ابناً ولا ابنة ولقد امهلتها بضعة أشهر فلما تحققت من فشلها طردتها من بيتي كما أطرد الكلاب · هل يعقل ان اطعم زوجة عاقراً وأبقيها في منزلي بلا فائدة؟

وقد صدق الحاج شلبي في قوله · فلم يكن من عادته أن يطعم ويأوي زوجة عاقراً · وهو الذي يتخذ الزواج سلماً للربح لا للخسارة · وللرجل نظرية جديدة في النساء · فهو يتخذ المرأة كسلعة تأتي له بربح وفير . فاذا قصرت في عملها أو انتهت مهمتها طردها بلا امهال · وكثيراً ما يجمع بين عدة زوجات يستغلهن لفائدته على طريقته الجديدة . فقد رأى بثاقب فكره بعد تجارب عدة ان المرأة التي تتخذ الرضاعة مهنة لها في بيوت الاغنياء تربح ربحاً جزيلاً ، لا تربحه من أية مهنة اخرى . فقاد زوجاته الى دور الاغنياء يعرض البانهن عليهم ليتخذوهن مراضع لاطفالهم . ونجح في تجارته هذه نجاحاً أرضاه كل الرضا . وأوجد له طريقاً للربح غير طريق اللصوصية المعروف · كان يستولي دائماً على مرتب زوجته المرضع بأكمله كما يستولي على البقاشيش والهدايا التي يغمرها بها عادة والدا الطفل

والمرضع دائماً كما نعلم موضع العناية والكرم عند الوالدين · لا تلقى إبان رضاعتها الا كل عطف ورعاية واذا ما أتمت مهمتها خرجت محملة الجيب مرعية الخاطر . ويتغالى الحاج شلبي في مطالبه دائماً · فيطرق المنزل ـ الذي تشتغل فيه زوجته ـ في أي وقت شاء . يدخله كأنه صاحبه

لا يراعي في ذلك لاحد حرمة ولا كرامة . و يبدأ يصيح مهدداً بسحب زوجته إن لم يجيبوا مطالبه . والحاج شلبي كما نعلم هيئة المجرمين : قامة طويلة عريضة بوجه مخيف وبنية قوية وصوت خشن كله جرأة واستخفاف بالناس . فهو يفاجيء أصحاب المنزل بهذا المظهر اللصوصي . و يطالبهم جهراً بقاشيش اجبارية أو زيادة في مرتب زوجته أو نفقة اضافية لطعام ابنه الرضيع الذي سلبوه امه ! وما شابه ذلك من المطالب غير المشروعة . ولا يعود أدراجه الا بعد أن يحصل على بغيته . وربما تكررت هذه الزيارة الثقيلة لوالدي الطفل عدة مرات في العام الواحد . فكانا يحتملانها على مضض لاحتياجهما للمرضع ، وهما يلعنان الساعة التي عرفا فيها هذا الجلاد وزوجته

أما أطفال الحاج شلبي الصغار تلك المخلوقات الضعيفة التي خرجت بدون ارادتها من ظلمات العدم الى نور الحياة فكان محكوماً عليها بعيشة شاقة مؤلمة بضعة أسابيع أو أشهر يعقبها موت محتم يعود بها الى عالم الظلمات والعدم

والحاج شلبي يعد زوجاته دائماً بان يعتني بأمر أطفاله و يسهر على راحتهم بنفسه ، يجلب لهم المراضع أو يشتري لهم الالبان . ولكنه لا يفي بشيء من وعوده . فقلبه لم يشعر في حياته بعاطفة حنان نحو أطفاله . وكان اذا انفرد بهم ، يضيق بصراخهم وعويلهم فيسب و يشتم بعنف وجنون . و يضرب بقسوة وفظاعة . ولم يكن يدور بخلده أن تلك المخلوقات الصغيرة لا تعي من أمر أعمالها شيئاً تستحق عليه كل هذا التأديب . ولم تكن قد طلبت منه أن يجيء بها الى هذا العالم ليعذبها بالحرمان من غذائها الطبيعي وحنان امهاتها . ولعله نسي أو تناسى أن هذه المخلوقات الضعيفة المهملة هي التي مهدت له طريق تجارته الجديدة والتي تبعث عليه ربحاً وفيراً يحصل عليه من غير جهد أو تعب

كان الحاج شلبي يلقي باطفاله في يد فتاة من فتيات الازقة الفقيرات لتقوم بخدمتهم واطعامهم . ويجلب لهم كميات ضئيلة من اللبن المخلوط بالماء وبعض المأكولات الاخرى ، تستولي الفتاة الخادمة على جزء كبير منها ، فغذاء ضئيل واهمال ذريع وقسوة فظيعة ، هذا ما كان يحيط هؤلاء الاطفال في حياتهم المتعبة القصيرة

* * *

واعتدلت ام الخير في جلستها بعد ان شخللت بخلاخيلها وأساورها ثم مالت على الحاج شلبي بشيء من الدلال وقالت له :

— أتريد أن ترى العروسة الآن ؟

— وهل ترضى أن تظهر أمامي ؟

— كلا . بل تراها وهي خارجة . كن مختبئاً خلف باب هذه الحجرة وراقبها عند خروجها

— لا بأس . هذا يكفيني

ثم بدأت المساومة بينهما على المهر وعلى أجر الخاطبة وعلى أشياء اخرى مختصة بالفرح . وسرعان ما اتفقا على هـذه الامور اذ كان الحاج شلبي يحترم آراء ام الخير و يعمل بمقتضاها وكانت هي تعرف نفسيته ورغائبه فلا تقترح عليه الا ما يرتاح اليه ويرضاه

وخرجت العروسة فمرت أمام منظرة الضيوف . فشاهدها الحاج شلبي واعجب بها . وامتدح ذوق الخاطبة . ودفع لها ما طلبته من بقشيش

* * *

لم يمض شهران على هذه الحادثة حتى تزوج الحاج شلبي بعروسته (فرَح) وكان كعادته يطمع في استغلالها كباقي زوجاته . فصبر على معاشرتها وهو يطعمها و يأويها و يصرف عليها من حر ماله حتى ولدت له طفلة سماها (فريدة) . ولم يجد الحاج شلبي مشقة في اقناع « فرح » بالذهاب الى بيت من بيوت الاغنياء كمرضع وتترك له فريدة ليعتني بها . وكانت صفقة رابحة للزوج فانه عثر على بيت مصري من السراة الباشاوات رضي ان يمنح « فرَح » مرتباً لا يستهان به . اذ وجدها قد توفرت فيها شروط الصحة وكثرة اللبن . وكان كلما طرق الحاج شلبي منزل الباشا ليطلب مطالبهُ ، ألجمهُ الباشا بالعطاء فوق ما يريد فيخرج مغتبطاً فرحاً وهو يعد هذا المنزل غنيمة باردة يجب ان يحتفظ بها

وكانت « فرَح » تحب طفلتها « فريدة » ولم تتركها الا جرياً وراء مكسب وهمي وخوفاً من اثارة غضب زوجها وقد عرفته غضوباً قاسياً لا يرحمها لأقل هفوة. ولكنها استأذنت سيدتها التي تشتغل عندها بأن تسمح لها بالذهاب لرؤية طفلتها مرة كل شهر . فرضيت السيدة بذلك. وذهبت « فرَح » بعد انقضاء الشهر الاول الى منزلها وشاهدت طفلتها . فرأتها قد تغيرت تغيراً محسوساً فأشفقت عليها . وسرعان ما أرضعتها واعتنت بها . وكان بودها ألا تتركها . ولفتت نظر زوجها الى ضعف الطفلة وتغيرها ونبهتهُ الى ان يزيد لها كمية اللبن أو يأتي لها بمرضع رخيصة. فانتهرها الحاج شلبي وأمرها ان تعود من حيث اتت . فعادت طائعة وقلبها يتمزق أسى على فراق طفلتها

وانقضى الشهر الثاني فذهبت « فرَح » الى منزلها لتعود صغيرتها « فريدة » فوجدتها هذه المرة في حالة أسوأ من الاولى . فخفق قلبها جزعاً وعزمت أن تبقى بجانبها ترضعها و تعتني بأمرها . وعلم الحاج شلبي بذلك فهاج ثائره وانتزع الطفلة من صدرها ورماها جانباً . وأمرها بلهجة جافة كلها شراسة وعناد ان تعود حالاً الى منزل الباشا وتترك الطفلة وشأنها . فطلبت منهُ ان يمهلها بضعة ايام تعتني فيها بأمر طفلتها . فما كان منه الا ان جذبها من شعر رأسها جذبة أطارت صوابها . ثم هوى عليها ضرباً بهراوته الغليظة حتى اسكتها . وقامت المرأة من تحت العصا تئن كالكلب الذليل وعادت من فورها الى منزل الباشا

وفي الشهر الثالث جاءت مهرولة تبحث بخوف وذعر عن طفلتها تخشى ان يكون قد اصابها مكروه . فلما رأتها احتضنتها بحنان كبير . ولكنها لم تكن تحتضن الا طفلة محتضرة في آخر درجة من درجات الهزال والمرض ! . . فارتاعت وأخذت تصرخ باكية ، مستنجدة تارة وتارة لاعنة . وجاء الحاج شلبي فوقف امام الام وابنتها وقفة المتكبر العنيد . وهزّ رأسه استخفافاً بهذا المشهد . فلما رأته هبت اليه وقد أعماها الغضب وصاحت في وجهه قائلة :

— لقد قتلت ابنتي !

فشمخ الرجل برأسه كبراً وعقد ساعديه على صدره وأجاب بأنفة قائلاً :

— ابنتك انت فقط ! أو ليست ابنتي أنا ؟

— ولكنك قتلتها يا قاسي !

— ليس لك أن تتدخلي في أمر لا يعنيك . ان امر هـذه الطفلة في يدي . افعل بها ما أشاء ! ثم رفع يده الغليظة وهوى بها على صدغها فترنحت كالثملة ثم سقطت على الارض بطفلتها تبكي بذلة واستكانة . وطردها الحاج شلبي في الحال فخرجت عائدة الى منزل الباشا وقلبها تأكله نيران الحزن على ابنتها

وفي فجر اليوم التالي جاءت « فرّح » لتزور طفلتها في الخفاء . ولم يكن الحاج شلبي قد عاد الى المنزل بعد . وبحثت كثيراً فلم تجدها . فذهبت تسأل عنها الجيران فلم تحظَ منهم بجواب مرض . ولما اعيتها الحيل خرجت وجلست على عتبة الباب الخارجي تنتظر رجوع زوجها . وكان انتظاراً طويلاً مؤلماً . وأخيراً جاء الزوج في جمع من اصحابه يغنون اغاني بلدية و يصفقون . ولمح الرجل زوجته من بعيد فغضب لعودتها واستعد لمعاقبتها ولحته هي فأقبلت عليـه مسرعة تسأله بلهفة عن طفلتها وقد ساورتها شكوك عديدة فوقف امامها وقفة الجبار ينظر اليها بعينين تلمعان بالشرور وسألها قائلاً :

— لمَ جئت يا امرأة ؟ ألم آمرك أمس ان تذهبي الى منزل مخدومك ولا تعودي

فأجابت بصوت مبحوح باك فيه استعطاف وذل وألم :

— جئت لارى طفلتي . اين هي ؟ ألا تعرف مكانها ؟

فلم يجبها الحاج شلبي . والتفت الى اصحابه وقال لهم :

— ما رأيكم في هذه المرأة الوقحة التي تريد ان تعكر مزاجي في مثل هذا الوقت ؟

فنظر الجميع الى المرأة بسخرية ولم يتكلم احد . واقتربت « فرّح » بجرأة نحو زوجها وقد اضلها الغضب وقرعت صدره بكلتي يديها وهي تقول له :

— اين ابنتي يا رجل ؟ رد اليّ ابنتي

فثار الحاج شلبي غاضباً ولف ساعده على خصرها واخذ يقرع بها الحائط تارة والارض طوراً وهو يقول لها :

— لقد اختطف عزرائيل ابنتك في الليلة الماضية وهو مستعد ان يختطفك انت ايضاً من يدي في هذه اللحظة ، يا وقحة يا شريرة

وكان الاصحاب يتفرجون عليهما بدون ان يفكر احد منهم في ان يتدخل في الامر · وأخيراً كف الحاج شلبي عن عمله ورمى بزوجته جانباً فخرت على الارض مغمى عليها

* * *

وفي عصر اليوم نفسه رجعت « فرَح » الى منزل الباشا مصحوبة بزوجها وقد استسلمت للمقادير استسلاماً تاماً

* * *

ومضى أسبوع على هذه الحادثة · وكان الحاج شلبي في حجرته متمدداً على فراشه وقد بدأ النوم يداعب جفنيه · كانت الساعة الثانية بعد الظهر وكان في احتياج الى الراحة بعد ليلة امضاها في تعب ونصب · وقرع باب الطابق الذي يسكنه · فلم يأبه له في بادىء الامر ولكن القرع تكرر · فقام برأسه وصرخ صرخة الغاضب :

— من هنا ؟ فأجابه صوت ضعيف : — أنا

— أنت من ؟ — أنا ٠٠٠ انا فرح

— فرح ٠ ٠ ٠ فرح ٠٠ !

وقام من فوره غاضباً · وهو يكرّر هذا الاسم باندهاش وعجب ·وفتح الباب · وقبل ان يأذن لزوجته بالدخول سألها بصوت فيه قسوة وغيظ :

— انتِ التي اراها امامي !! إني لا اصدق عينيّ · لا ادري كيف تجاسرت على ترك منزل الباشا مع تشديدي عليك بالبقاء فيه !

فطأطأت المرأة بضعف ولم تجب · فكرر الحاج شلبي سؤاله مهدداً · فأجابت المرأة :

— لم يبق لي محل هناك فانهم قد اخرجوني

فصرخ الحاج شلبي في وجهها مستفهما : — كيف اخرجوكِ · ولماذا ؟

— لان لبني جف

— جف ، جف ٠ ٠ ما شاء الله · هـذا ما كنت اخشاه وما حذّرتك من وقوعه · لقد اخبرتك مراراً ان حزنك السخيف على طفلتك سيؤثر في لبنك فلم تسمعي كلامي

— ان الامر ليس بيدي ؟

— بل لانك امرأة عنيدة سيئة التصرف · شؤم ·· وبعد كل هذا تتجاسرين ان تظهري أمامي · ألا تعلمي أنك بخروجك من هذا المنزل قد قطعت عني رزقاً كبيراً ؟

— وهل الامر بيدي ؟

واقترب منها الحاج شلبي وقد جحظت عيناه من شدة الغيظ والغضب وأمسك بشعرها فجذبه وانهال عليها بالضرب المبرح وهو يقول :

— انت تسببين لي هذه الخسارة التي لا تعوض ! ؟ ·· انت تفعلين هذا الفعل المنكر ! ؟ اذن نالي ما تستحقينه من عقاب

وكان يضربها وهي تئن أنيناً موجعاً · وأخيراً تركها بعد أن اجهده الضرب وانتحى ناحية من الحجرة وجلس يجفف عرقه بكم جلبابه وهو يزمجر بكلمات غير مفهومة

وبعد أن استراح قليلاً هب واقفاً وصاح بها :

— اما زلت هنا ؟ اتظنين اني سابقيك بعد الذي عملته ·· اخرجي ·· اذهبي من وجهي والا استدعيت عزرائيل ليقبض على روحك في الحال · انت تعرفينني اذا قلت قولاً قرنته بالفعل اخرجي يا امرأة · اخرجي حالاً وبلا امهال

وخرجت « فرح » تجر قدميها جراً من شدة التعب والضعف والألم

***

وفي اليوم التالي قصد الحاج شلبي مشربه المعتاد واجتمع بصحابه فشرب معهم القهوة ودخن « الجوزة » وكان لابساً جلباباً بلدياً جديداً ومتعمماً على طاقيته بشال غباني لم يستعمله الا قليلاً . وقد ضمخ شاربه بالدهون وعطر وجهه ويديه ورأسه بعطر الورد البلدي · وبعد ان انتهى من لعب دورة في النرد قام وسلم على الاصحاب يريد الخروج · فالتفت اليه احدهم وقال له مداعباً بابتسام :

— الى اين يا لعين ؟

فغمز الحاج شلبي بعينه وقال باسماً :

— الى صاحبتك ام الخير · ألا تعرفها ··· ؟

— اذن سنبارك لك عن قريب

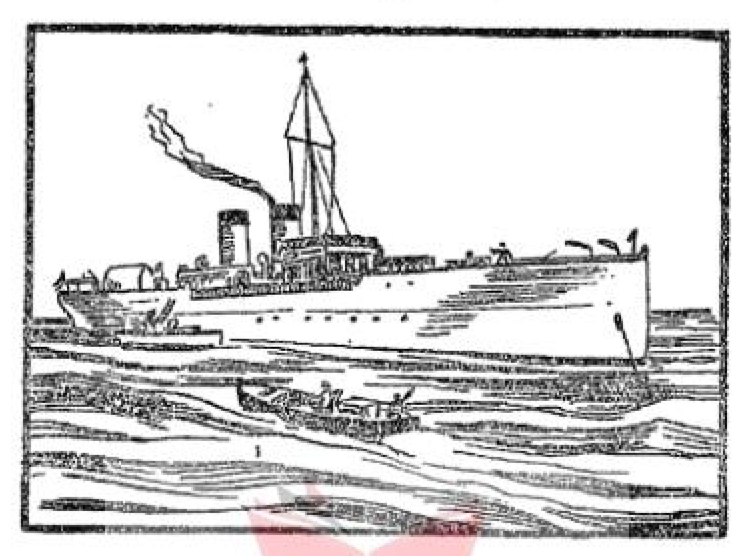
— إن شاء الله

وخرج الحاج شلبي من القهوة وهو يقرع الارض ببلغته الصفراء اللامعة · ووجهته منزل « ام الخير » ليحظى منها بعروسة جديدة ···

محمود تيمور

حيل المهربين

غرائب تهريب الخمور في أميركا



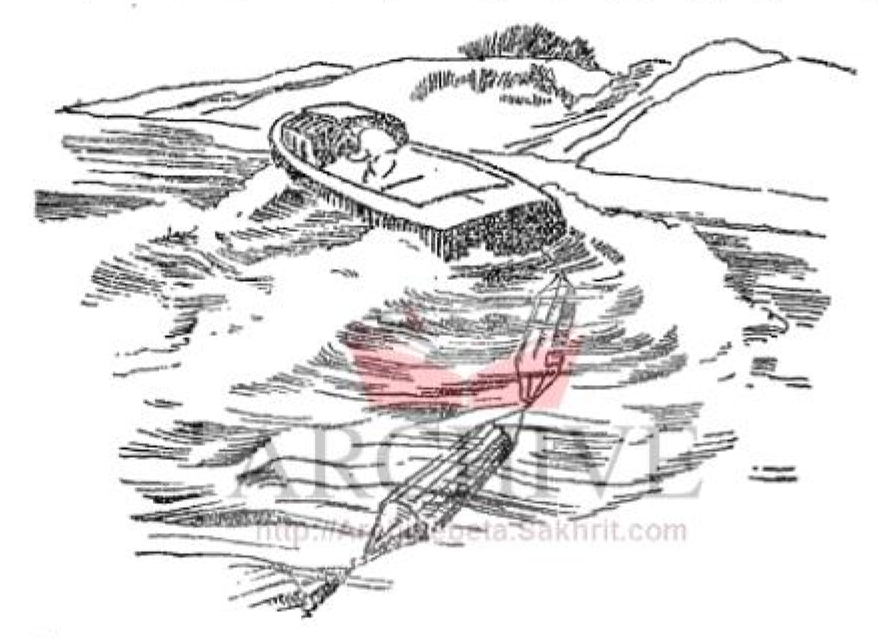
من حيل المهربين في اميركا انهم احياناً يستخدمون مداخن البواخر كخابيه للخمور المهربة . فهذه السفينة ذات مدخنتين الاولى منها مدخنة حقيقية والثانية مستودع للخمرة

تهريب البضائع من الجمارك من الاعمال المألوفة عند جميع الامم وانما تختلف من حيث الكثرة تبعاً ليقظة الشرطة وشرفهم او تغاضيهم وارتشائهم . وقد وجدت الامم الحية مثل اليابان ان القتل أنفى للقتل فعمدت الى قمع تهريب الافيون الى بلادها بقتل المهربين . والافيون كثير الاستعمال في الصين وكوريا والهند وهو احدى علل التأخر في تلك الاقطار

والحشيش والكوكايين يهربان الى بلادنا بوسائل لا تفكر فيها غير الشياطين من الناس . فمنذ اقل من عام رأى شرطي من حرس الجمارك في سواد الليل والبرد يكاد يجمد الدم في العروق رجلاً يسبح في البحر قريباً من الاسكندرية فانتظره حتى بلغ الشاطىء . ولم تمض عليه دقائق حتى مات من الجهد والبرد . وتبين بعد موته انه خرج لالتقاط كمية من الحشيش تركتها له سفينة قادمة الى الاسكندرية كانت قد اتفقت معه على مكان تلقي فيه هذه المهربات . فكان يخرج سابحاً اليها ويعود بها سابحاً ايضاً يجرها وراءه بحبل . ومنذ أشهر عثر خفراء السواحل على مغارة في غرب الاسكندرية تودع بها المهربات . وهي تقع على لسان يذهب اليه المهربون

بزوارقهم كأنهم يصيدون فيودعونها ما عندهم ثم يأتي شركاؤهم في غفلة الخفراء ويحملونه الى داخل القطر

وربما كان أنجع دواء للتهريب معاقبة من يستعمل الاشياء المهربة لانه هو نفسه وسيلة الربح للمهربين. ثم يسهل القبض عليه ومعاقبته وهو نفسه يخشى العقاب اكثر من المهربين انفسهم. وقد وجد اهالي القاهرة انه عندما عوقب مستعملو الكوكايين قلَّ الاتجار بهذا السم ويوشك ان ينعدم اذا استمرت الحكومة في معاقبتهم. ولو ان الذين يستعملون الحشيش يعاقبون ايضاً بمثل هذه العقابات لما تعنى المهربون في ابتكار الطرق والالتجاء الى الوسائل الخفية للتهريب



براميل تشبه الطربيد تهرب فيها الخمور ويترك بكل منها فراغ لكي يظل سابحاً وتأتي زوارق المهربين في الليل لتقطرها.

والخمور الآن من المهربات في الولايات المتحدة. ويقول الاميركيون انها ستعود شراباً سائغاً للاهالي في زمن قريب لشيئين:

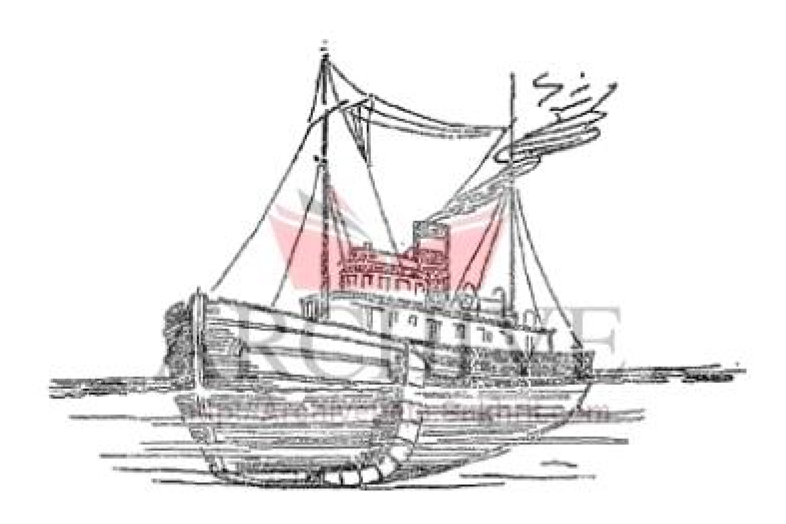
أولاً — كثرة تهريبها ووفرة الوسائل التي تهرب بها حتى ان في اميركا الآن مدارس يتعلم فيها الفتيان والفتيات كيف يحملون الخمر ويخفونها عن اعين الشرطة

وثانياً — لان منع الخمور حمل الناس على البحث عن مخدرات اخرى كالكوكايين والحشيش والمورفين وهذه المخدرات اضر بالصحة والعقل من الخمر

ومعظم الاطباء على ان الخمر اذا كانت خفيفة الكحول لم يكن بها ضرر يذكر. وهذه فرنسا يتناول فيها جميع الناس الخمر من جميع الاصناف من السنة الاولى من عمرهم الى ان يموتوا في

الشيخوخة . ولكنهم يتناولون خمراً خفيفة هي النبيذ . وقد كنا ونحن في فرنسا نسير في بعض القرى فنعطش فنطلب جرعة ماء فيعطى لنا كوب من النبيذ لاعتياد الناس ذلك . وماء القرى في فرنسا لا يساغ لهذا السبب وذلك لان الناس لا يشربونه قراحاً وانما يمزجونه بالنبيذ . ولكن من الخمور ما يكثر كحوله مثل الكونياك والوسكي والعرقي وهذه كلها يجب في اعتقادنا ألا يسمح بشربها الا كما يسمح بتناول العقاقير

وقد حدث في اسوج ان استفتت الحكومة الناس في المشروبات الخفيفة فرجح رأي القائلين بتناولها . وهذا هو ما يرجح أن يصل اليه أهالي الولايات المتحدة فانهم في الاغلب سيمنعون الخمور الكثيرة الكحول و يجيزون شرب الخمور الخفيفة مثل الجعة وغيرها



سفينة ذات جدارين بينهما فراغ يسع أوعية الخمور المهربة

والخمور تدخل الولايات المتحدة الآن من الاقطار المجاورة ومن اوربا . وللمهربين طرق عديدة عرفها حراس السواحل ولكنها تتجدد كل يوم . فمن ذلك أن السفينة تدخل الى الميناء وليس في مخازنها زجاجة خمر . ولكنها في الوقت نفسه تكون قد خبأت كمية كبيرة من الخمر في احدى مدخنتيها

ومن الطرق المألوفة أن توضع الخمر في براميل تشبه الطوربيد بها تجويفات من خلف وامام لكي تبقى طافية على وجه الماء . فاذا دخلت منطقة البحر التي تسيطر عليها الدولة القت هذه البراميل فتأتي الزوارق خلسة في الليل وتلتقطها . وهذه البراميل تربط الواحد بالآخر فلا تضل الزوارق في العثور عليها

وقد صنعت بواخر خاصة للتهريب لها حائطان لجوف الباخرة عادي ولكن بين جداره والجدار الخارجي تجويف آخر يحمل كمية كبيرة من الخمر . وقلما يتنبه الحرس لهذه الحيلة ولكنهم اذا انتبهوا اليها مرة فانهم لا يقعون في شركها مرة اخرى

وأحياناً تخرج بواخر الصيد الكبيرة تحمل شباكها وصياديها وتصيد السمك بالفعل ولكنها انما تعمي بذلك لان غايتها في الحقيقة صيد زجاجات الخمر المربوطة بعضها الى بعض والتي لها طواف تحملها على وجه الماء

وقد يحدث أن يتحول التهريب الى قرصنة حيث يقف المهربون موقف الحرب يحاربون الحرس ويحاولون قتلهم . فقد استولى المهربون على جملة بواخر كبيرة سريعة فاذا وجدوا أن الحراس يناوئونهم ويطلبونهم في البحر عمدوا الى القتال وعندئذ تنشب معركة بين الحراس والمهربين لا يعرف من يفوز فيها

ومع أن القرصنة يعاقب عليها بالاعدام في الولايات المتحدة فان المحلفين الذين يبرئون أو يؤثمون المتهمين يرفضون على الدوام تعريض هؤلاء القرصان لعقوبة الاعدام لانهم يجدون أن الغاية محصورة في تهريب الخمور . وهذه في نظرهم اذا صحت أن تكون جريمة فهي جريمة بسيطة . ومن ذلك نستنتج انه لا فائدة من القوانين اذا لم توافق الامة عليها وترضى بها . فما دام الاميركيون يشربون الخمر ولا يستحيون من ذلك فان الخمر ستبقى مهما نهتهم عنها القوانين



عوامات توثق بها زجاجات الخمر وتترك سابحة في الماء ثم تلتقط



طعام الغداء

كانت وزارة المعارف في اول هذه السنة المكتبية قد شكلت لجنة للنظر في البرامج والمناهج وكانت قد طلبت من اللجنة ان تنظر في موضوع الغداء للتلاميذ هل يجب أن يكون وجبة كاملة مثل العشاء ام يجب الاقلال من الطعام فيه حتى لا يثقل العمل على الطالب بعد الظهر

ولم يعرف للآن جواب اللجنة . ولكن يبدو من اختبار الام النشيطة ان الطعام الخفيف في الغداء أوفق للنشاط . فالانجليز والاميركيون لا يتناولون الا مقداراً قليلاً في وجبة الظهر وهم لذلك لا يحتاجون الى النوم بعد الظهر كما نفعل . وليس شك في ان الغداء الخفيف أوفق لنا مما هو للانجليز فان الحر عندنا يرهق النفس ويدعو الى التراخي والفتور فاذا زاد عليه ثقل الطعام لم تقو الاعصاب على المقاومة فيضطر الانسان الى الاستلقاء ثم النوم

فيحسن بكل من يحتاجون الى العمل طول النهار ان يتناولوا فطوراً دسماً مشبعاً ويقنعوا بكسرة صغيرة في الغداء ، والفطور المشبع يكسر حدة الجوع فلا يجد الانسان مشقة في الاقلال من طعام الغداء

المرأة وسأم الحياة المنزلية

في اميركا جمعية لنساء المناصب والاعمال بها اكثر من ٥٠٠٠ عضو يحترفن الطب والمحاماة ولهن المخازن الكبرى او المصانع العظيمة يدرنها للربح ويستغللن منها دخلاً كبيراً . وتنوي هذه الجمعية بناء ناد للنساء سيكون به ٢٦ طابقاً

وبهذه المناسبة سألت احدى الصحف بعض النساء فيما دفعهن الى هجرة المنزل والدخول في ميدان اعمال الرجال . فكانت اجابات الكثيرة ان في معيشة المنزل من السأم والخمول ما يدعو المرأة النشيطة الى ايثار الاعمال الخارجية . وقالت احداهن انها لم تعرف الجوع ولذة الطعام الا بعد ما خرجت من المنزل وكدت نفسها في العمل وكذلك النوم لم تكن تشعر بلذته وقت ان كانت بالمنزل تعيش عيشة الترف والراحة ولكنها الآن وهي تعود مجهودة من عملها تستغرق في نوم هادىء الى الصباح

المستشفى والمنزل

كان للمستشفيات الى عهد قريب سمعة سيئة وكان الناس ينظرون اليها كما ينظرون الى السجون . وقد كان لهم الحق في ذلك لان تحقيق العدوى وطرق التعقيم لم تكن قد عرفت بعد فكان المريض الذي يعزل و ينقل الى المستشفى ينتشر مرضه بين سائر المرضى اكثر مما لو كان في منزله

ولكن المستشفيات أصبحت الآن مثالاً للنظافة العلمية الدقيقة وزادت ثقة الناس حتى صارت الوالدات يلدن فيها و يؤثرنها على منازلهن لانهن يبقين مدة النفاس وهن تحت نظر الطبيب ومراقبته وكذلك لم يعد أحد يرضى بأن تجرى له عملية جراحية في منزله لان المنزل مهما كانت نظافته لا يستوي هو والمستشفى ثم ان للمستشفيات ميزة أخرى وهي وجود عدد كبير من الاطباء يعملون فيه جميعاً و يعقدون اللجان للبت في الحالات الصعبة

امراض الجلد والسكر

الرأي الشائع بين أكثر الناس ان ما يحدث في الجلد من البثور والدماميل التي لا يعرف لها أصل انما تنتج من فساد الدم . وهذا « الفساد » كلمة غامضة ولكنها عامة تشمل أمراضاً لا يعرف كنهها أو عللاً مجهولة . وقد ايد الاطباء هذا الرأي فانهم وجدوا ان السكر اذا كثر في الدم يحدث الاكزيما والبثور وغير ذلك من ادواء الجلد . وقد كان معروفاً قبل ذلك ان المرضى بالديبيطس (أي البول السكري) يتأخر ابلالهم من جروح الجلد ويخشى عليهم من دمل أو قرحة اكثر مما يخشى على غيرهم . وعلة ذلك وجود السكر في دمهم وعدم قدرة الجسم على تمثيله . فالذين يتناولون مقداراً كبيراً من السكر يفسدون دمهم حتى يكادوا يجعلونه يشبه دم المرضى بالديبيطس فيضعف الجلد وتحدث فيه الامراض التي تستعصي أحياناً

وعلى ذلك يجب على من يشكو من مرض جلدي لا يعرف سببه ان يمتنع عن تناول السكر

كيف نعرف التدرن ؟

للتدرن علامات ابتدائية اذا تنبه اليها من تبدو على جسمه او اذا نبهه اليها أحد أمكنه أن يتعالج منها لان المرض لا يكون قد رسخ بعد . وهذه العلامات ست وهي :

١ً ـ التحول او الهزال المستمر وخاصة في الصبيان والشبان

٢ً ـ الاعياء من المجهود البسيط او المشي القليل

٣ً ـ السعال اذا مضى عليه نحو شهر او اكثر

٤ً ـ بصاق الدم مهما كان مقداره

٥ً ـ معاودة الحمى والبرد

٦ً ـ السعال الضعيف المستمر

الكلس في الطعام

الكلس كالفصفور واليودين من المواد التي تنبني منها اجسام الاحياء وهو ، اي الكلس ، يؤلف نحو ٢ في المائة من جسم الانسان ففي كل شخص بالغ نحو ٣ ارطال من الكلس معظمه في العظام والاسنان ولكن منه جزءاً غير قليل ايضاً في الدم وسائر الانسجة الحية

وقد كتب الدكتور مكومبر يقول ان الاوقات المهمة التي ينبغي ملاحظتها وتقديم ما يكفي فيها من الكلس للمحافظة على الصحة هي ثلاثة وهي :

١ ـ مدة النمو في الاطفال والصبيان حين يكون الجسم في حاجة الى كمية كبيرة من الكلس لتغذية العظام ونباتها

٢ ـ مدة الحمل حتى تتكون عظام الجنين

٣ ـ مدة الرضاعة حتى يحتوي اللبن على ما يكفي من الكلس لتكوّن عظام الطفل

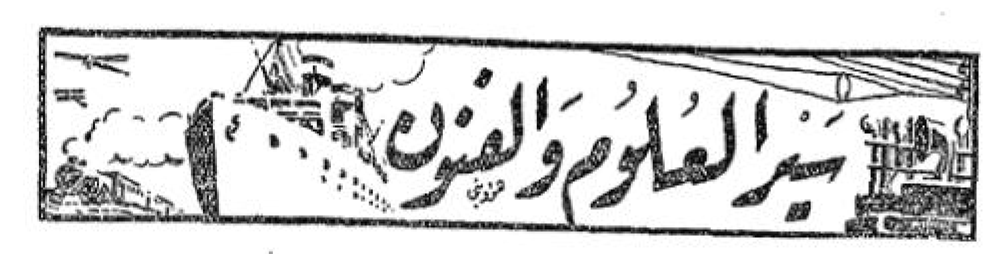
وقد جربت جملة تجارب مع الجرذان فوجد انه اذا حرم غذاء الام الحامل من الكلس ماتت بعض الاجنة او ولدت وهي دون الجرم الطبيعي ومات معظمها في الرضاعة

وأفضل الاطعمة الحاوية للكلس هي اللبن ولذلك يجب على كل ام ان تتناول منه كمية غير قليلة مدة الحمل

المرأة والرجل

علقت احدى الصحف النسائية على الفوز الذي احرزته جملة نساء في سباحة المانش بقولها ان النساء لسن دون الرجال في التبريز في الرياضة البدنية • وقد تناول احد الاطباء المعروفين هذا الموضوع فأنكر المساواة بين الرجل والمرأة في قوة الجسم وفي التبريز في الرياضة • ومما قال ان طول قامة الرجل تجعله اصلح للرياضة من المرأة • ثم ان رئتي المرأة لا تبلغ سوى اربعة اخماس رئتي الرجل وعروقها مع ذلك اضعف فامتصاص الاكسجين لهذا السبب اضعف عندها مما هو عند الرجل ويحل بها الاعياء بأسرع مما يحل بالرجل

أما عن القوة الذهنية فان الرأي لم يتفق بعد بين القائلين بالمساواة والقائلين بالتفاوت • فقد قال الدكتور كامبل : بينما نجد ان العبقريين بين الرجال اكثر منهم بين النساء فاننا نجد البله ايضاً بين الرجال اكثر منهم بين النساء



احصاء سكان القطر المصري

احصي السكان في القطر المصري يوم ١٨ فبراير الماضي فبلغوا ١٤ ١٦٨ ٧٥٦ نفساً . وبهذه المناسبة نذكر فيما يلي عدد السكان في السنين التي حدث فيها الاحصاء وهي :

٢ ٤٦٠ ٢٠٠ في سنة ١٨٠٠ و ٢ ٥٣٦ ٤٠٠ في سنة ١٨٢١ و ٤ ٤٧٦ ٤٤٠ في سنة ١٨٤٦ و ٦ ٨٣١ ١٣١ في سنة ١٨٨٢ و ٩ ٧٣٤ ٤٠٥ في سنة ١٨٩٧ و ١١ ٢٨٧ ٣٥٩ في سنة ١٩٠٧ و ١٢ ٧٥٠ ٩١٨ في سنة ١٩١٧

ومما يلاحظ أن عدد سكان القاهرة بلغ في احصاء هذا العام ١ ٠٥٩ ٨٢٤ وسكان الاسكندرية ٥٧٠٣١٤ واكبر المديريات سكاناً هي الغربية التي بلغت ١ ٧٨٦ ٨٩٦ وأصغر المديريات هي اسوان التي بلغ سكانها ٢٦٦٥٤٢ . ومما يلاحظ أيضاً عن احصاء الجنسين أن الذكور دون الاناث في التعداد الاخير بـ ٦٠ ٦٩٨ نفساً وكان الذكور اكثر من الاناث في احصاء سنة ١٩١٧ بـ ٢٠ ٤٧٩

الدبابات بالجيش الانجليزي

لما رأى الالمان تقدم جيوش الحلفاء نحو صفوفهم فيما يسمى بمعركة السوم كان اكبر ما بعث الدهشة والرعب في قلوبهم تلك الدبابات التي تسير سيراً بطيئاً ولكنه مع ذلك سير اكيد لا تردها عقبة من اسلاك او خنادق تتجشأ الموت من افواهها ولا تعمل فيها خراطيش البنادق او قنابل المدافع الرشاشة

وكان ذلك سنة ١٩١٦ اما الآن فان الدبابات قد اصبحت من ادوات الجيوش الكبرى في فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة . وهي تسلح الآن بمدافع قوية تتدفق منها القنابل التي تزن كل منها ٣ ارطال . وقد استطاع الانجليز أن يضعوا دبابة تسع رجلاً واحداً وهذه الدبابات الصغيرة ستقضي على الفرسان اذ هي يمكنها ان تخرج للاستطلاع ويمكنها أيضاً أن تقوم مقام المشاة كالسور يصد الغارة عن سائر الجيش . ولن تحارب هذه الدبابات بالمدافع وانما المعقول ان سبيل مكافحتها سيكون باقامة العراقيل لها من شباك الاسلاك وتسليط الغازات السامة على جنودها

جريدة يومية للعلوم

في أميركا الآن جريدة يومية للعلوم ولكنها ليست لتعميم العلوم بين الجمهور · وفي جميع الاقطار الغربية مجلات اسبوعية غايتها نشر العلوم بلغة سهلة واضحة يفهمها الكافة ولا ينتقدها الخاصة · وقد كتبت مجلة نيتشر مقالاً افتتاحياً دعت فيه الانجليز الى تأسيس جريدة يومية تختص بنشر العلوم بين الكافة

ومجلة نيتشر مجلة علمية اسبوعية ولكنها للخاصة اكثر مما هي للعامة وهي تعتقد أن العلم لا يرقى الا اذا اهتمت الامة كلها به فيصبح كالسياسة يتنافس الناس في التبريز فيه وتكون بذلك البيئة التي تعمل لرقيه من كثرة القراء الى كثرة المشتغلين الى حفز اطماع المنافسة الى الشباب به لنيل جوائزه المعنوية والحسية

أسرع السفن

تصنع ايطاليا الآن سفينتين لا يعرف هل تكونان باخرتين تسيران بالبخار ام تسيران بالبترول · وانما الذي يذاع عنهما انهما ستمخران البحر بسرعة ٤٠ ميلاً في الساعة وهذه سرعة لم تسر بها قط احدى السفن الكبيرة · وليس ذلك لاستحالة بناء مثل هذه السفن بل لكثرة ما تستنفد من الوقود · فالسفينة « ماجستك » التي تبلغ حمولتها ٥٦٥٥١ طناً تسير بسرعة ٢٣ ميلاً في الساعة ومع ذلك تستنفد اليوم الف طن من البترول · وستكون حمولة كل من السفينتين الايطاليتين نحو ٤٠٠٠٠ طن · ويقول السنيور موسوليني الذي اوعز ببنائهما اشادة لذكر ايطاليا انهما ستقطعان المسافة بين ايطاليا ونيويورك في خمسة أيام

القمح منذ ٥٤٠٠ سنة

ذكرت الصحف انه قد عثر في العراق في بيت قديم يرجع الى عهد السومريين على قدر بها حب من القمح يرجع تاريخ وضعه الى سنة ٣٥٠٠ ق · م · وهذا القمح يختلف من القمح المصري ولكنه يشبه حبوب القمح الحديثة · وقد وجد هذا القمح في « جمدة نصر »

أشرطة السينماتوغراف

يصنع الفلم، اي شريط السينما ، من الخليود (السلولويد) الذي يسميه عامتنا باسم الباغة · وهذا الخليود مصنوع من القطن وهو لذلك شديد الالتهاب يخشى كثيراً من انفجاره واحداث الحرائق بدور السينما · ولكن يقال ان احدى الشركات الانجليزية قد توصلت الى صنع الخليود من مواد غير ملتهبة

مزاج الانسان وغدده

الاستاذ جوليان هكسلي هو زعيم المادية الآن في انجلترا فروح الانسان في نظره هي جسمه ليس غير · فهو على نقيض برغسون الذي يقول بان الحياة عنصر معنوي يستعمل المادة لغاية معينة كما يستعمل الانسان احدى الادوات · وقد خطب الاستاذ هكسلي خطبة حديثاً قال فيها: ان مزاج الانسان انما هو ثمرة المفرزات التي تفرزها غدده · وان كثيرين ممن كانوا يمارسون عادات الكسل والخمول قبل الحرب عادوا بعد الحرب وهم يشعرون بنشاط وهمة غريبين · وعلة ذلك أن مجهود القتال قد نشط فيهما الغدتين الادرينالتين واستمر نشاطهما بعد الحرب · وهاتان الغدتان تقعان فوق الكليتين · وهو يعتقد أن درس الفسيولوجية سيقف العلماء على ماهية أمزجة الناس ولعلهم يستطيعون بذلك أن يعالجوا الناس بحيث ينشطون بمفرزات الغدد وقت العمل ويخمدون وقت الراحة اذا تعاطوا هذه المفرزات بكميات معينة

ضرر العصفور وفائدته

قام بعض الانجليز بجملة تجارب للبحث عن العصفور العادي ما منفعته وما ضرره · فوجدوا انه عاش في الحقول التي تزرع فيها الحبوب وصارت نسبة الحبوب في طعامه ٧٥ في المائة من مجموع ما يأكله · أما اذا لم يجد حقولا تزرع فيها الحبوب فان ٨٨ في المائة من طعامه يكون من الحشرات · ووجدوا أن البومة تأكل من الفئران والجرذان كمية كبيرة حتى أن ٨٢ من طعامها كان من هذه الحيوانات · ولذلك فالبومة من انفع الحيوانات التي تساعد الفلاح على تطهير حقوله من الجرذان

الطعام والسرطان

ليس في العالم مرض تتضارب فيه الآراء مثل السرطان . فهناك من ينسب كثرة تفشيه الى قلة وفيات الاطفال يعنون بذلك أن الاطفال كانوا يموتون قبلا اكثر مما يموتون الآن لوفرة الوسائل الصحية في عصرنا · ولكن هؤلاء الاطفال الذين نجوا بهذه الوسائل يعيشون بحيوية ضعيفة تقبل مرض السرطان اذا بلغوا الاربعين أو جاوزوها . وهناك من يقول أن معيشة الترف والاكثار من تناول اللحم داعية الى تفشي هذا المرض · وقد قامت حديثاً وزارة الصحة الانجليزية ببحث أحوال الرهبان ومقدار تفشي هذا المرض بينهم في الاديار المختلفة · فان الراهب يعيش عيشة القشف ومعظم طعامه ان لم يكن كله من النباتات . فوجدت أن السرطان يتفشى في الاديار حيث التقشف كما يتفشى في المدن كأن اختلاف المعيشة لا يؤثر البتة في كثرته أو قلته

ازدواج اللغات في الامبراطورية البريطانية

اصبحت اللغة « الافريقانية » لغة رسمية في الولايات المتحدة بافريقيا الجنوبية · وهذه اللغة هي هولندية اللهجة ولكنها تختلف مع ذلك عن الهولندية . ويتكلم بها نحو مليون نفس من البوير وهناك جامعة لا تدرس بغير هذه اللغة · أما سائر الاهالي فيتكلمون الانجليزية . واللغتان الآن رسميتان في جنوب افريقيا

وفي ارلندا لغتان رسميتان أخريان هما الانجليزية والارلندية القديمة · فان الارلنديين قد عادوا الى لغة آبائهم يحفظونها كما يفعل اليهود في فلسطين بتعلمهم العبرانية

وفي كندا لغتان رسميتان أيضاً هما الانجليزية والفرنسية · ويتكلم هذه اللغة الثانية عدد كبير من الفرنسيين البروتستانت الذين فروا من بلادهم أيام كان الكاثوليك يضطهدونهم

جائزة الطيران

في سنة ١٩١٢ اسس جاك شنيدر جائزة كأس الفوز في الطيران · وقد اشترط ان يعطي للامة التي تفوز في مباريات الطيران ثلاث مرات في ظرف خمس سنوات وعندئذ يصير الكأس ملكاً لها · وللآن لم تحصل امة على هذا الكأس · وقد كان أول مباراة بين الامم في الطيران سنة ١٩١٣ ففاز الطيار الفرنسي بروفولانه طار بسرعة ٤٤٫٧ ميلا في الساعة . ومنذ أشهر طار رجل ايطالي بسرعة ٢٤٦٫٤ ميلا في الساعة ودار حول نفسه في هذه الساعة ٢١ مرة ومن الفرق بين السرعتين يدرك القارىء مقدار تقدم الطيران

طول العمر وقيمته المالية

المعروف أن متوسط أعمار الناس قد زاد عما كان أيام آبائهم وجدودهم لانتشار الوسائل الصحية في المسكن والمطعم وخاصة لأن المدن صارت الآن تفضل المندنة الآلية تستقي من مياه طاهرة من الجراثيم وكذلك تنصرف أوساخها دون أن تتراكم في انابيب لا تتلوث بها المنازل . اما الشوارع فان الغبار قد نقص فيها نقصاناً واضحاً · وقد خطر لبعض الاميركيين أن يعرف القيمة المالية لهذه الزيادة في الاعمار فقدرها في الولايات المتحدة بمبلغ ٧٠٠ مليون دولار تزيد كل عام في دخل الامة

وهم لا يعنون بزيادة الاعمار ان الناس صاروا يعمرون الى الثمانين أو التسعين وكانوا قبلاً لا يبلغون الستين وانما يعنون أن الوفيات في الاطفال والشبان والكهول قد نقصت فزادت بذلك نسبة العمر في الامة كلها . وواضح أن للشاب او الصبي الذي يموت خسارة مالية تتحملها الامة في تربيتهما دون الانتفاع بهما

وقاية الخشب من الرطوبة

كان المتبع الى الآن في وقاية الخشب من الرطوبة دهنه بزيت الكتان أو بالشمع ، ولكن الرطوبة لا تمنع منعاً باتاً بهاتين الطريقتين . وقد وجد حديثاً أن أفضل ما يقي الخشب هو أن يمزج دهان الخشب بمسحوق الالومينية

الغبار والضوء في المدن

الصيحة العالية في الطب الآن هي القول بفائدة الضوء سواء أكان هذا الضوء طبيعياً من الشمس او صناعياً . والمبدأ الفعال في الضوءين واحد وهو الاشعة التي تقع بعد الاشعة البنفسجية عند تحليل الضوء بالمنشور البلوري . وهذه الاشعة لا تراها اعيننا وان كان جسمنا يحس بها حتى ان البشرة تغشاها سمرة

ولكن مما يلاحظ اننا نرى هذه السمرة تصبغ بشرتنا اذا كنا نصطاف قريباً من البحر او كنا على قمم الجبال وتعرضنا للشمس . أما اذا تعرضنا للشمس في المدن فاننا لا نرى هذه السمرة . وتعليل ذلك ان في المدن غباراً يقطع هذه الاشعة التي بعد البنفسجية فلا تبلغ اجسامنا وكذلك زجاج النوافذ يقطع وصولها الينا

فالانتفاع بالشمس يجب ان يكون في الاماكن التي يصفو جوها حتى تنفذ اشعة الشمس فيه وذلك في الحقول وعلى شواطىء البحار وقمم الجبال . ولا يعرف كيف تؤثر هذه الاشعة في اجسامنا وانما نحن نرى نتائجها في النشاط وزيادة الحيوية والتغلب على بعض الامراض . والمعقول انها تنفذ من البشرة الى الدم واللحم وتؤثر فيهما . فان الضوء حركة موجية . فاذا ضربت امواج هذه الاشعة سطح الجسم حركت ما تحته من الذرات التي تكسبها قوة جديدة تسير بها في انحاء الجسم فتنشط جميع اعضائه

مصل الجدي للحصبة

كان المعروف منذ زمن انه اذا حقن طفل او صبيّ بالمصل المستخرج من دم صبي آخر قد نقه من الحصبة فان الصبي المحقون لا يصاب بالحصبة . وذلك لانه يحدث في الدم وقت النقه عناصر تقاوم الحصبة فاذا نقل قليل من هذا الدم الى جسم صبي آخر فان عدوى الحصبة لا تؤثر فيه

وقد وجد الدكتور تنكلف انه اذا حقن جدي بسائل يحتوي على جراثيم الحصبة ثم استخرج من دمه مصل فان هذا المصل يقي الاطفال والصبيان من عدوى الحصبة



حوليات مصر السياسية لاحمد شفيق باشا

طبع بمطبعة المؤلف بالقاهرة صفحاته ٨٧٢

جمع شفيق باشا في هذا الكتاب الضخم جملة الحوادث التي حدثت بمصر منذ سنة ١٩١٩ الى انشقاق الوفد وذكر الوثائق التاريخية ومهد لذلك بنحو ٦٠ صفحة في ايراد تاريخ مصر في المائة السنة الماضية

وهذه الحوادث والوثائق موصوفة ومذكورة في كتب متفرقة ولكن اهميتها وخطورتها بالنسبة لتاريخ مصر تستدعيان جمعها في مجلد واحد على طريقة البسط والشرح . ولذلك فشفيق باشا جدير بكل ثناء لهذه الخدمة الفريدة التي يخدم بها التاريخ المصري وشباب المستقبل الذين لم يروا هذه الحوادث . وقد قال في المقدمة :

« تطلعت الى الاشتغال بتاريخ بلادي أتتبع الحوادث وأرصد الاخبار وأقيد الروايات وأستجمع الوثائق . وساعدني على ذلك اني تقلبت في وظائف سهلت علي الوصول الى تحقيق الغرض منذ درجت في معية المرحوم توفيق باشا خديوي مصر في سنة ١٨٨٠ . ومكنتني من مخالطة أولياء الامر من الكبراء والوزراء الذين كانت تجري الحوادث على أيديهم . فتيسرت لي موازنتهم وتقدير ما في أعمالهم من خطأ أو صواب

« ولما آن أوان التدوين بدأت بمذكراتي فنشرت جزءاً منها وسأتبعه بالبقية إن شاء الله . وأنا اليوم آتي بالحوليات . وهي وضع حديث في الشرق . لم يطرقه طارق فيه قبل اليوم . اقتبسته من أهل الغرب لأن التاريخ ، في الشرق ، لا يزال مقصوراً على سرد حوادث الازمان الغابرة . دون الحوادث الجارية التي لا يدونها غير الجرائد . فلا تلبث أن تزول تلك الحوادث من الاذهان بمجرد إلقاء الجرائد من الأيدي . فجعل الغربيون هذه الحوليات كأنها جريدة الجرائد . تحوي حوادث العام في مجلد واحد يسهل اقتناؤه وحمله . فيغني عن تلك المجموعات الضخام . ويرجع اليه للتفكير والتذكر . ونعم المأخذ هو لأصول التاريخ »

وهذا المجلد هو الجزء الاول وسيتبعه المؤلف بمجلدات اخرى يدون فيها ذكرياته . والكتاب لهذا جليل الفائدة للمؤرخ والقارىء العام . وبه ٤ خرائط وطائفة فريدة من الصور

عشرة أيام في السودان للدكتور محمد حسين هيكل

طبع بالمطبعة العصرية بالفجالة بالقاهرة عدد صفحاته ٢١٨

الدكتور هيكل أديب بالطبع سياسي بالتطبع ولذلك فهو يلوذ الى الادب ويغتنم الفرص من وقت لآخر لكي ينحرف عن طريق السياسة ويجول جولة أو جولات أدبية . وهو في هذا الكتاب يصف تأثراته في زيارته للسودان بقلم أديب لا يتصنع ولا يكذب في احساسه فتراه يحدثك بلغة مأنوسة ويصف لك ما رأى وما سمع وما أحس دون تكلف أو ادعاء . وقد كان الدكتور هيكل زار السودان في حفلة الافتتاح لخزان سنار ولكنه لم يكتب عن هذه الحفلة سوى فصل واحد أما سائر الفصول فعن : الخرطوم للنظرة الاولى . ويوم في جبل الاولياء . ويوم بأم درمان . ومصر والسودان الخ

ويقول المؤلف في هذا الفصل الاخير باتحاد القطرين المصري والسوداني على نحو الاتحاد الموجود بين الولايات المتحدة أو بين الولايات السويسرية أي انه لا يقول بادماج مصر والسودان قطراً واحداً ويبرر قوله هذا بما يلي :

«وثمة اعتبار آخر يجعلنا نفضل نظام الاتحاد بين مصر والسودان على نظام الاندماج ذلك أن مصر متهمة في سياستها بازاء السودان بأنها سياسة استعمار لا سياسة تحرير . وهذه التهمة تروجها ألسنة السوء كما روجت من قبل تهمة حرص مصر على الاستئثار بمياه النيل . ولا تكتفي هذه الالسن باتهام المصريين بالميل للاستعمار بل تذكر السودانيين بأيام قديمة كان نواب حاكم مصر في السودان يسلكون مسلك العسف والاستبداد ويضربون هذا المسلك نظاماً لحكم المصريين ومع بطلان هذه التهمة أمام التاريخ والحق لأن هؤلاء الولاة الذين كانوا يوفدون الى السودان لم يكونوا مصريين وانما كانوا من جنس الحكام الذين يحكمون مصر نفسها ، فانا نعتقد أن المصريين أحرص من أن يتهموا بالميل للاستعمار وانهم يريدون للسودان التقدم الحقيقي نحو الحرية . وذلك يتحقق تماماً تحت نظام الاتحاد . فيومئذ يكون المصريون الذين يذهبون للخدمة في السودان إنما يذهبون بدافع محبة السودان والحرص على رقيه لا بدافع استعماره وحكمه . ويومئذ يجد السودانيون الوسيلة للرقي ولتحقيق كل معاني العزة القومية »

والكتاب على هذا النسق وهو جيد الطبع والورق مزين بالرسوم الكثيرة

فلسفة ابن سينا للاستاذ جميل صليبة

كتاب بالفرنسية طبع بالمطابع الجامعية بباريس صفحاته ٢١٠

وضع هذا الكتاب بالفرنسية الدكتور صليبة في البحث في فلسفة ابن سينا وخاصة اعتقاده في « ما وراء الطبيعة » كما يمكن ان يفهم ذلك من كتاب الشفاء ومن كتبه الاخرى

وابن سينا من الفلاسفة المعروفين في أوربا كان صنو ابن رشد تدرس فلسفته وتناقش في الجامعات الاوربية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وقد مات ابن سينا سنة ١٠٣٦ ميلادية واشتغل في حياته بالطب والفلسفة فبلغ فيهما غاية بعيدة

وقد بحث الدكتور صليبه في عقائد ابن سينا أو آرائه ومهد لذلك بشرح الفلسفة العربية وغاياتها ثم مذاهب المتكلمين ثم غاية الفلاسفة من « ما وراء الطبيعة » وحقيقة الوجود والممكن والضروري ونظرية الفيض وعلاقة الفرد بالكون ونظرية ابن سينا عن النفس

وليس شك في ان مقام الامم العربية يرتفع في نظر الغربيين بمثل هذه الكتب التي توضح لهم مكانة الفكر العربي القديم وجهوده في الفلسفة والعلوم

التعليم عند العرب للدكتور خليل طوطح

كتاب بالانجليزية طبع بدار النشر لجامعة كولمبيا بنيويورك صفحاته ١٠٥

هذا كتاب نفيس يبحث في التعليم عند العرب وهو يحتوي على ثمانية فصول : المدارس . المعلمون والطلبة . البرنامج . المنهج وآداب الدرس . كتب التعليم في العربية . المرأة العربية والتعليم . فلسفة التعليم عند العرب . ثم الخاتمة

ولخص المؤلف في الفصل الختامي ما استفادته أوربا أو العالم الحديث من العرب في سبعة أشياء من الوجهة التعليمية وهي :

١ ـ ان أوربا في القرن الثاني عشر نقلت الكتب العربية الى اللاتينية وكانت هذه الكتب تبحث في الاكثر عن العلوم الرياضية والفلك والتنجيم خاصة وكانت تنزع نزعة عملية تجريبية

٢ ـ ان العرب نقلوا الى اوربا الارقام الهندية فاستعملت بدلاً من الارقام الرومانية الثقيلة

٣ ـ ان العرب أحدثوا الكتب المدرسية كالقانون لابن سينا وكانت الجامعات الاوربية تعتمد على كتب العرب مدة القرنين الثاني عشر والثالث عشر

٤ ـ انهم كانوا عاملا من عوامل النهضة بما ابتعثوه في أذواق الناس من حب الاغريق بكتبهم المترجمة عن الاغريق

٥ ـ ان العرب انقذوا الثقافة الاغريقية من الفناء عند ما اخذ البيزنطيون يضطهدون العلماء الذين يدرسون فلسفة الاغريق ويتهمونهم بالوثنية

٦ ـ كان عند العرب مئات من المدارس فكانت القدوة للاوربيين عندما بدأوا يخرجون من ظلمات القرون الوسطى حتى أنا نجد بعض العادات الشائعة في المدارس الاوربية تشبه ما كان شائعاً في المدارس العربية كرحلة الطالب مثلاً في طلب العلم

٧ ـ ادخل العرب أدوات الترف والصناعة والتأنق الى اوربا فحفزوا بذلك الامم على التعلم

والكتاب على هذا النسق المفيد · والدكتور طوطح جدير بثناء كل عربي لاشادته بذكرهم عند الغربيين ووقفهم على فضلهم السابق في تشييد الحضارة الراهنة

ارض كليوباتره تأليف اني فيفانتي وترجمة طه فوزي

طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة صفحاته ١٧٦

طه افندي فوزي أديب يمتاز بمعرفته الايطالية وهي لغة قلّ من يعرفها من ادبائنا . والمؤلفة اني فيفانتي أديبة إيطالية معروفة زارت مصر الى اسوان وكتبت هذا الكتاب تروي فيه ما رأت من الآثار لمصر الحديثة ومصر القديمة · فبينا هي تصف لك الصباح في القاهرة وزيارتها لزغلول باشا اذا بها تنتقل الى ذكر وادي الملوك والاهرام

والكتاب مكتوب بلهجة العطف على الاماني المصرية ولغة المترجم سهلة واضحة تسارق القارىء حلاوتها يتلو فصلاً بعد فصل وهو في طرب الخواطر التي يمليها على المؤلفة ذهنها الخصب وروحها العالية

دائرة المعارف الموسيقية

تأليف روانيت وترجمة وتصحيح الاستاذ اسكندر شلفون

الجزء الاول طبع بمطبعة رمسيس بالقاهرة صفحاته ١٦٠

هذه موسوعة كبرى نرجو ان يوفق الاستاذ شلفون الى اتمامها · فان تاريخ الموسيقى العربية وهو موضوع هذه الموسوعة لم يبحث للآن وقد اعتور هذا الفن من الانحطاط ما جعل الموسيقيين أنفسهم لا يبالون بتدوين تاريخهم والاغلب انهم لو أرادوا لما قدروا · وهذا من غرائب الادب العربي الحديث اذا تذكرنا ان اهم الكتب العربية الذي يعتبر رأس مال للادب هو الاغاني لابي الفرج الاصبهاني · والمستشرقون انفسهم لم يكتبوا شيئاً يذكر عن الموسيقى العربية مع اهتمامهم بدرس العمارة الاسلامية وسائر الفنون الجميلة عند الامم العربية

ولذلك نحن نرحب بهذه الموسوعة الجديدة ونرجو لها الانتشار ولمؤلفها التوفيق في اتمامها · وهذا الجزء يحتوي على فصول في الموسيقى قبل الاسلام والطنبور البغدادي وترجمة اسحق الموصلي وابن جامع وغيرهما من المشهورين

وقد اعتمد الاستاذ شلفون على رسالة فرنسية للمستشرق روانيت ولكنه قد علق عليها من الحواشي العديدة وأضاف اليها من المعلومات والفوائد الكثيرة ما أتمّ عمل المؤلف الاصلي وأكمله على أحسن وجه



فسطاط وجحمرش

✽ طور بون . مكسيكا ✽ كامل خليفة

ما معنى هاتين اللفظتين . فسطاط وجحمرش . ومن هو الذي اخترع الخط الهيروغليفي ؟

✽ الهلال ✽ الفسطاط هو الخيمة . والجحمرش هي العجوز . والذي اخترع الخط الهيروغليفي هم قدماء المصريين وهو خط الكهنة ولا يستعمل الآن

التهاب الزائدة

✽ صحار مسقط عمان ✽ ح . ف . الفاتح

كيف يحدث مرض الزائدة الدودية وما علاجه ؟

✽ الهلال ✽ اكبر اسباب هذا المرض اختيار وفساد يحدثان في الطعام . وكان يظن قبلاً ان التهاباتها تحدث من بلع بزور الفواكه او اشياء اخرى جامدة كالبزور لا تهضم . ولكن الثابت الآن ان سببها الحقيقي هو الفساد في محتويات الامعاء . وعلى ذلك فالوقاية تكون بالاعتدال في الطعام . اما اذا التهبت فلا بد من قطعها بسكين الجراح

لغة مصر قبل العرب

✽ القاهرة . مصر ✽ مصطفى احمد مراد

ما هي لغة مصر التي كان يتكلمها المصريون عند دخول العرب ؟

✽ الهلال ✽ الارجح انهم كانوا يتكلمون المصرية القديمة لغة الفراعنة ولكنهم كانوا يكتبونها بالخط الاغريقي على نحو ما نرى الآن في كنائس الاقباط حيث اللغة مصرية قديمة يشوبها شيء من الالفاظ الاغريقية ولكنها تكتب بالخط الاغريقي . وأيضاً يجب ألا ننسى ان المصريين كانوا يعرفون الفاظاً كثيرة عربية او شبيهة بالعربية اكتسبها اهالي الوجه البحري من إقامة الهكسوس بينهم نحو ٥٠٠ سنة كما اكتسبوا ايضاً عدة الفاظ اغريقية

قصيدة اليتيمة

✽ ابو حمص . مصر ✽ عبد العزيز مخيون

عثرت بهذين البيتين بين اوراق قديمة :

هل بالطلول لسائل ردُّ   أم هل لها بتكلم عهد ؟

درس الجديد جديد معهدها فكأنما هي ربطة جردُ

حسبتهما مطلع قصيدة فبحثت عنها فلم أجدها فأرجو افادتي عن صاحبها وشيء من تاريخها

﴿الهلال﴾ ذلك مطلع قصيدة تبلغ ابياتها نحو الستين بيتاً وتلقب باليتيمة لان صاحبها مجهول وقد كثرت بشأنها أقوال الرواة فمن ذلك قولهم ان فتاة عربية بارعة الحسن اشترطت ألا تتزوج الا من شاعر يروقها شعره فوفد اليها الشعراء من كل جانب يسمعونها قصائدهم فكانت لا تروقها فيرتدون عنها آسفين . فنظم شاعر تلك القصيدة وسافر بها ليتلوها عليها و بينا هو في الطريق التقى بآخر يقصد قصده فاسمعهُ قصيدته فأيقن ذاك انهُ ظافر بالفتاة فسولت له نفسه قتله فقتله وانتحل قصيدته فلما وصل الى حيث الفتاة ألقى القصيدة في جمع من الناس فصاحت الفتاة : « اقتلوه انه قاتل زوجي » فلما سئلت : كيف عرفت ذلك ؟ قالت : أما سمعتموه يقول :

ان تتهمي فتهامة وطني او تنجدي ان الهوى نجد

فأين لهجته من لهجة تهامة ؟ وأقرّ الرجل بفعلته فقتل

امرأة تلد أربعة أولاد

﴿اتوساينيكو . ارجنتينا﴾ حسين محمود التقي

أرسل لكم قصاصة من صحيفة تصدر هنا وبها صورة أم ولدت أربعة أطفال في يوم واحد . وقد ماتت الام ومات طفلان وبقي طفلان ذكر وأنثى . فكيف تعللون ذلك ؟

﴿الهلال﴾ الحادثة غريبة ونادرة ومما يدل على ندرتها ان الام لم تتحمل هذا المجهود . وقد رأينا أماً ولدت ثلاثة وقامت من النفاس وما بها من باس . وكثير من الامهات وخاصة القصيرات يلدن التوائم . والاغلب ان حدوث هذه الولادات ردّة في النوع البشري لان المرجح ان الام الانسانية كانت في القديم البعيد تلد اكثر من مولود واحد . بدليل انه يحدث أحياناً ان يظهر في صدرها أربع أو ست أو ثمان حلمات

كلمة جاموس

﴿مونتريال . كندا﴾ م . خ .

هل ثم علاقة بين كلمة جاموس وكلمة موس التي تطلق على الحيوان المعروف في براري كندا ؟

﴿الهلال﴾ كلا . فان كلمة جاموس فارسية مشتقة من كاو أي بقرة وموش أي سوداء أما كلمة موس من ألفاظ قبيلة الكونجين وهي احدى قبائل الامرنديين في أميركا الشمالية . والجاموس من البقر أما الموس فمن الغزال

أركان الادب الانجليزي

﴿رام الله . فلسطين﴾ صدقي يسين

من هم أركان الادب الانجليزي الخمسة الآن ؟

﴿ الهلال ﴾ لو قلتم « أشهر الكتاب » لكان الجواب أسهل علينا . وهم في اعتقادنا : كبلنج وهو شاعر الامبراطورية والاستعمار . وارنولد بنت وهو كاتب الطبقة المتوسطة . وجالزورثي وهو خاص بالدرامة والقصة ويجيد وصف البؤس والشقاء . وولز وهو يميل الى الفلسفة العالمية والاصلاح العمراني . وشو وهو عالم أديب فيلسوف

رابع المستحيلات

﴿ تيفوان . سنغال ﴾ بشاره واكيم

ماذا يعنون بقولهم : رابع المستحيلات ؟

﴿ الهلال ﴾ العرب يقولون ان المستحيل ثلاثة : الغول والعنقاء والخل الوفي . فاذا قيل رابع المستحيلات كان القصد من ذلك انه يشبه هذه الاشياء الثلاثة في الاستحالة

أحوال نجد

﴿ سانتاتكلا . سلفادور ﴾ حبيب زبلح

كم هم سكان نجد وما هي الصناعات التي يعيشون منها ؟

﴿ الهلال ﴾ نجد هضبة في صحراء العرب بها واحات عدة ووديان خصبة ولا يزيد سكان نجد عن ربع مليون نفس يعيشون بالزراعة ورعاية الابل والاغنام وتربية الخيول

أوسع اللغات

﴿ ونطنموا . كوبا ﴾ الياس الخوري

ما هي أوسع اللغات في العالم وكم عدد ألفاظ اللغة العربية ؟

﴿ الهلال ﴾ الاغلب ان اللغة الانجليزية أوسع اللغات فان الفاظها تبلغ ربع مليون كلمة ويبلغ ما يطبع فيها من الكتب كل يوم في العالم الانجليزي كله اكثر من مائتي كتاب جديد . أما الفاظ اللغة العربية فالمظنون انها تبلغ ٨٠٠٠٠

المسيح والهند

﴿ ايتاجوبي . برازيل ﴾ فارس بطرس

قرأت في احدى الصحف ان أحد الاثريين الانجليز قد عثر في تبت على ما يثبت ان يسوع المسيح قد زار الهند . فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ لقد قرأنا هذا الخبر ولكننا لم نجد ما يؤيده ويبدو لنا انه غير صحيح فان العلماء لم يهتموا به ولم تناقش الخبر صحيفة علمية يوثق بها

النورستينيا

❊ الزيتون · مصر ❊ محمود حلمي

كيف تعالج النورستينيا ؟ وهل ثم فائدة من الاقتصار على النباتات والفواكه والرياضة البدنية ونحوها للعلاج ؟

❊ الهلال ❊ ليست النورستينيا مرضاً يتحيز في عضو حتى يمكن علاجه بما يؤثر فيه من طعام أو شراب · وانما هو مرض في الوظيفة وليس في العضو · وعلاجه الآن في أوربا بالتحليل النفسي أي بدرس تاريخ المريض واستنباط العلة الاولى التي أحدثت النورستينيا واكبر ما يساعد على ذلك درس أحلام المريض وخواطره

تاريخ دمشق

❊ انجلود · الولايات المتحدة ❊ ليون علية

ما هو مختصر تاريخ دمشق ووصفها ؟

❊ الهلال ❊ تقع دمشق في الجنوب الشرقي من بيروت وعلى بعد ٧٠ ميلاً منها وتحيط بها التلال من كل جانب ما عدا الجهة الشرقية ومعظم السكان مسلمون ولكن في شرقها حي للنصارى وفي الجنوب حي لليهود و بالمدينة ٣٠٠ مسجد اهمها الجامع الاموي . اما تاريخها فقد تعاقب عليها الفرس والاغريق والرومان والعرب ثم الاتراك الذين دخلوها سنة ١٥١٦ · وكانت دمشق عاصمة الدولة الاموية نحو مائة سنة · ويبلغ عدد السكان الآن [illegible] نفس

تاريخ لبنان

❊ بوزوداس . اميركا ❊ بطرس توما

ما هو مختصر تاريخ لبنان ؟

❊ الهلال ❊ ذكر لبنان في التوراة نحو ٦٠ مرة وكان سليمان ملك اليهود قد ارسل الى حيرام ملك صور يطلب منه خشب الارز فكلف هذا رجاله بقطعه من الجبل وارساله الى سليمان لبناء الهيكل · ولا يعرف من كان يسكنه قبل الفينيقيين الذين تغلب عليهم الاغريق ثم الرومان ثم العرب ثم الاتراك . وكانت كثرة السكان فيه من النصارى ولا تزال كذلك . وفي سنة ١٧٣٦ اعتنق المارونيون الكثلكة وصاروا تابعين لكنيسة رومية . وفي سنة ١٨٦٠ حدثت مذابح النصارى الذين أغار عليهم الدروز فتدخلت الدول وأجبرت تركيا على منح اللبنانيين استقلالاً داخلياً ولكن تركيا الغت هذه الامتيازات سنة ١٩١٦ · ولبنان الآن تحت الانتداب الفرنسي منذ سبتمبر سنة ١٩٢٠

الحرير الصناعي

❊ جوهنسبرج · ترنسفال ❊ انطونيوس يوسف

قد بلغنا ان الانجليز والاميركيين قد اخترعوا حريراً صناعياً لا علاقة له بالدودة فكيف يصنع هذا الحرير ؟

❊ الهلال ❊ هذا الحرير يسمى الآن في اميركا الريبون وقد كثرت صناعته في فرنسا وانجلترا وأميركا · وهو متخذ من عجينة القطن وخشب التوت وحطب القطن وصناعته قريبة من صناعة الخليود الذي يسمى « الباغة » ولكن لكل مصنع اسراره والامل كبير جداً في انتشار الحرير الصناعي والاستغناء به عن القطن

في التعاون

❊ دمياط · مصر ❊ فؤاد غريب

ما هي أصلح الكتب العربية والانجليزية في التعاون وخاصة منه التعاون الزراعي ؟

❊ الهلال ❊ اقرأوا في ذلك مؤلفات الدكتور يحيي الدرديري وصادق حنين بك وابراهيم رمزي بك · أما في الانجليزية فاقرأوا Cooperation at Home and Abroad, by C. R. Ray

حب الوطن

❊ باتوست · غامبيا ❊ محمد زوف الحر

ما الغاية من حب الوطن وما الوطنية ؟

❊ الهلال ❊ العالم كله وطن الانسان ولكن يجب على كل منا ان يخدم وطنه لانه يستطيع خدمته اكثر مما يخدم العالم . وذلك لان الانسان اعرف بوطنه منه بالعالم فاذا خدمه كانت خدمته له عن معرفة واختبار فهو اذاً يحسن الخدمة للوطن اكثر مما يحسنها لغيره

استدراك

ذكرنا سهواً في عدد ماض ان « الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون » هو للصفدي والحقيقة انه من تأليف الاديب ابو بكر محمد عليم



كثرة الطلاق في انجلترا

حدث في العام الماضي أن الجمهور ضج بالشكوى في انجلترا لأن الصحف تنشر على الناس تفصيل المناقشات التي تدور في المحاكم بشأن الطلاق . فالزوج يتهم الزوجة وهذه تتهمه بأقوال تنقلها الصحف وتفاكه بها قراءها الذين يستملحونها . ولكن في هذه الاقوال ما يفضح الزوجين ويجعلها مدى حياتهما مضغة يتنادر الناس عنهما . وسمع البرلمان الانجليزي لشكوى الجمهور فاشترع شرعة تمنع على الصحف نقل المناقشات في دعاوي الطلاق والانفصال بين الزوجين

ولكن كان لهذه الشرعة نتيجة لم يكن أحد يتوقعها . فان قضايا الطلاق كثرت حتى ازدحمت بها المحاكم وذلك لأن الازواج الذين كانوا يخشون افتضاح امرهم باذاعة ما يقال عنهم في المحكمة صاروا لا يخشون ذلك فتجرأوا على مقاضاة أزواجهم لا يبالون ما يقال عنهم

تاريخ الحرب الكبرى

لما وقعت معاهدة فرساي أخذ « وقف كارنجي للسلام الاممي » يهيىء المواد لكتابة تاريخ الحرب الكبرى . وغايته من ذلك اظهار الامم على العوامل التي احدثت هذه الحرب وكيف جاءت النتائج طبق المنتظر او خلافه مع درس الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في كل امة اشتبكت في هذه الحرب . وقد رأس الاستاذ شتويل هذا العمل ويعاونه فيه عشرات من الكتاب في جميع انحاء العالم . وتقدر المجلدات التي سيتألف منها الكتاب بـ ١٧٥ مجلداً

وسيطبع الكتاب طبعتين . فالاولى سيطبع فيها كاملاً بمجلداته كلها باللغة الانجليزية والثانية سيطبع فيها كل مجلد خاص بأمة ما بلغتها حتى تتاح اوسع فرصة للانتفاع به

معاقبة الاعزب

ايطاليا تضج بكثرة السكان والعالم كله يضج بكثرة سكانه ولكن الدوق موسوليني يريد أن يملأ العالم بالايطاليين ولذلك جعل البرلمان يشترع شرعة جديدة لفرض الضرائب على الاعزب بين سن الخامسة والعشرين والخامسة والستين . وقد اصيبت رومية بالعزوبة في أيام يوليوس قيصر واغسطوس قيصر . وقد حرم الاعزب مدة اولهما من امتلاك الارض التي يستولى عليها في الحروب . وحرم أيضاً في مدة الثاني من الميراث ما دام دون الستين . ولكن العزوبة نالت اكبر

عقاب لها على أيدي الاسبرطيين فقد كانوا يحكمون على العزب بان يسيروا وهم متجردون من لباسهم فيقاسون البرد والخجل

تقدم المرأة الهندية

تنتشر التربية الغربية بين المرأة الهندية انتشاراً مطرداً وقد اذن لها أن تدخل في الكليات وحصل عدد كبير من الاوانس الهنديات على اجازات في الآداب والطب والعلوم من انجلترا وأميركا والهند . وقد انشئت حديثاً كلية للطب خاصة بالطالبات في دلهي . وانشئت جامعة خاصة بالطالبات ايضاً في بونه . ويقال ان في الهند الآن أكثر من ٥٠٠٠٠ آنسة هندية تربت تربية انجليزية . وقد أجازت المجالس البلدية في مدراس وبمباي وغيرها من المدن الكبيرة حق التصويت والانتخاب للمرأة لهذه المجالس

موسوليني والنساء

من أخبار رومية الكثيرة العديدة هذه الايام أن موسوليني قد منع النساء من التدريس في المدارس الثانوية وقصرهن على التدريس في المدارس الابتدائية فقط . وهو يبرر عمله هذا بان شباب ايطاليا في حاجة الى أن يتلقن الرجولة من المعلمين لا من المعلمات وان المعلمة التي لا تستطيع بطبعها أو قدوتها غرس هذه الرجولة في الشبان لا يصح أن تكون مدرسة في المدارس الثانوية أما المدارس الابتدائية حيث التلاميذ لا يزالون اطفالاً وصبياناً فان الحكومة الايطالية تسمح للمرأة بالتدريس فيها

أقوال العظماء

جميع الصفات تحرز بالتمرن (سقراط)

يجب ألا تحاكي المعرفة التي اصبناها حانوتاً كبيراً مفتقراً الى الترتيب ، فلا بد لنا من أن نعرف ما نمتلكه وان نستطيع استعماله عند مسيس الحاجة (ليبنتز)

ليس التعليم الحقيقي ما ينقل بعض المبادىء المقررة ولكن ما يجعل الانسان قادراً على انشاء مبادىء جديدة بنفسه (جيراندو)

الفكر كالجسم يحتاج الى تغذية دائمة (لاموط لافاياي)

العاقلون لا يجمعون المعارف بعضها الى بعض ولكن يختارون منها افضلها (عقيلة دي لمبير)

الكتاب الجيد والخطاب المحكم السبك تنجم عنهما فائدة الا ان القدوة الصالحة أجدى فائدة للقلب (كنفوشيوس)

الانتقال من الابهام والتعقيد الى الصراحة والبساطة ناموس ثابت لتقدمنا ونجاحنا

(جول سيمون)

بين الكتب اصدقاء كذبة فيحسن بنا ان نعرف التفريق بينها لكي نتحفظ منها (داميرون)

متحف لنين

جمع الشيوعيون في موسكو جميع آثار لنين في بناء نخم اطلق عليه اسم « معهد لنين » وهو عبارة عن متحف يحتوي على جميع مخطوطات لنين ومؤلفاته ومكاتباته والتعليقات المكتوبة بقلمه على الكتب الاخرى وقاعة للمحاضرات ستختص بالقاء المحاضرات الخاصة بآراء لنين وتاريخه وتاريخ النهضة الروسية التي كان هو محورها · وقد وضعت آثار لنين في برج من الزجاج يحتوي على ١٤ طبقة · وبهذا البناء قاعة خاصة للمطالعة قد جمعت فيها الكتب الخاصة بلنين يمكن القراء استشارتها او درسها · وبهذا البناء مركز للمخابرة التلغرافية مع جميع المعاهد الشيوعية

القراءة بصوت عال

هـذا ما يقوله فرانك كرين الكاتب الاميركي المعروف عن اضجار الاصـدقاء بقراءة ما نكتبه او نحبه لهم :

تضطرني الحال الى اعتبار القراءة بصوت عال في مقدمة الامور المضجرة

فالضجر ينشأ عن سماع قراءة صفحة مخطوطة او مطبوعة حين تخرج من فم القارىء

وسماع الواعظ يقرأ عظة يشبه خلاصة الخشخاش المقطرة ، وحين يخلو بك صديق في احد المخادع وتضطر انت من باب الآداب الى سماعه يتلو عليك صفحات طويلة املاها عليه التحمس تشعر نفسك بأنها تشبه جرذاً في مصيدة يبحث عن ثقب لينجو به

وقد ارتكبت هذه الهفوة غير مرة ، ولكنني كنت ألاحظ ان السامع يسرح نظره من النافذة وقد تولاه الضجر ، وحدث ايضاً ان هذا الامر جرى لي مع امرأتي ، فعند فراغي سمعتها تقول : ما اجمل ذلك ··· ولكن ··· أين وضعت قفازي ؟

وعليه فلا ينبغي ان يرخص بتلاوة ادنى شيء بصوت عال ، ويجب ان يحظر ذلك الشرائع المدنية والشرائع الدينية ما عدا تلاوة مذكرات الاحصاء والاحكام بالموت واعلامات الحرم ،

فليس في المسهبات من الكتب والتواريخ والنبذ ما يستوجب الاهتمام الا بضعة اسطر متفرقة فيهـا ، وليس شيء حسن فيما يكون مسهباً · واذا قضي عليك بأن تقرأ بصوت عال فاقرأ ذلك لنفسك ثم اختر منه ما يحلو · فاذا قرأت بصوت عال كتاباً ذا شأن فاسرع في القراءة ليتمكن السامع من تتبع المعنى

كلمة لموسوليني

« لم تسقط رومية لغـارات البربر عليها وانما سقطت لشرورها وآثامها ومفاسدها الداخلية ·

فقد مضى عليها ردح من الزمن لم يكن نبلاؤها يرون الحياة فيها سوى شراب ولذة ومطاوعة للشهوات الفاسدة

« ولم تتبوأ قط أمة عظيمة عرش العظمة الا بانصرافها الى العمل والجد • وكل أمة كانت عظيمة ثم سقطت انما يرجع سقوطها الى احجامها عن العمل وميلها الى الكسل والملاهي

« اني أنا اخصص ساعة واحدة كل يوم للهو والتنزه و ٧ ساعات للنوم و ١٦ ساعة للعمل • وهذه القهوات والحانات وأندية الرقص والقصف لا تأتلف وفلسفتي في الحياة لانها تتطلب كثيراً من اللهو وقليلاً من العمل »

تشارلي يتكلم ولا يمزح

حدث ان المستر بط الممثل الانجليزي المعروف ذهب الى لوس انجلس مدينة السينما في اميركا وبينما هو قاعد جاءه شاب فحياه كأنه يعرفهُ من زمن بعيد • فرد المستر بط التحية وهو يتأمل في وجهه ويحاول ان يتذكره

فقال الشاب : أما تذكرني يا مستر بط ? لقد مثلنا معاً سنوات على مسرح واحد

فقال المستر بط وهو يداري نسيانه : وماذا تعمل هنا ?

فقال الشاب : أمثل في المهازل

فقال المستر بط : كأنك تريد ان تنافس تشارلي تشابلن

فقال الشاب : انا تشارلي تشابلن

الآباء قدوة الابناء

قصت الآنسة كتي ريدي الممثلة الاسترالية قصة طريفة عن طفل نجيب لاحدى صديقاتها فقالت ان الطفل رفض في احد الايام ان يذهب الى الفراش • فقال له ابوه : ما دام عمرك ست سنوات يجب ان تذهب الى الفراش في الساعة السادسة وفي السنة الثانية يكون عمرك ٧ سنوات فتذهب في الساعة السابعة وبعد ذلك يصير عمرك ٨ سنوات فتذهب في الساعة الثامنة • فصمت الطفل وأخذ يتأمل هذه العملية الحسابية التي راقته وقال : فاذا كبرت وصرت مثلك لا أنام ابداً كما تفعل ?

وهكذا يتعلم الابناء من الآباء بالقدوة

استدراج الحب

هل يمكن احد الزوجين ان يستدرج الحب في الآخر لنفسه والى اي حد يمكن ذلك ?

والجواب على هذا السؤال الوعر ان الحب يمكن استنباته واستدراجه بين الزوجين ولكنه أسهل في المرأة مما هو في الرجل • فالرجل الذي يتزوج وهو لا يحب زوجته قد يبقى كذلك

مدة زواجه لان ظروف الزواج تجعله يبتعد عن زوجته ويجد في الاندية والاصدقاء والعمل سلوى يسلو بها عن الحب . اما الزوجة التي تتزوج بلا حب فان القليل من عناية الزوج يجعلها تحبه لان ظروفها تجعلها تنظر الى البيت كأنه دولتها والى الزوج كأنه ملك هذه الدولة فلا تزال تهتم بشؤون بيتها وثروة زوجها التي تعرف انها آيلة الى اولادها حتى يتحيز لزوجها مكان في قلبها

الجاسوسة العظيمة

اذا كانت الجاسوسية قبيحة تضطر صاحبها الى ان يعيش حياة مزدوجة فانها مع ذلك ضرورية مدة الحرب للدفاع عن الوطن الذي يهدد كيانه بالفناء . وممن تذكر الصحف الآن اخبارهم بالاعجاب بعد ان ابيحت قراءة التقارير السرية امرأة فرنسية تدعى ماتلدة لوبران . فقد كانت هذه المرأة تعيش في فردان . فلما وقعت هذه المدينة الشقية بين النارين مدة القتال قبض الفرنسيون عليها لانها تعرف الالمانية وتجيدها فكانت معرفتها لهذه اللغة سبباً لان يجعل مسلكها ظنيناً امام الفرنسيين . فأخذت تبرىء نفسها ولكن بلا جدوى . واخيراً خطر للقائد الفرنسي ان يكل اليها الجاسوسية لمصلحة فرنسا ما دامت تعرف الالمانية . وكان قصده من ذلك ان يحقن دمها اذا كانت المانية بالفعل لانها في هذه الحالة تذهب الى الخط الالماني ولا تعود

وأجابت ماتلدة لوبران على هذا الطلب بالقبول وذهبت الى الخط الالماني وتطوعت للتجسس لمصلحة الالمان فصدقها الالمان وجعلوا يفتحون لها الطريق بين الخطين فكانت تذهب الى الخط الفرنسي وهناك تنقل معلومات تضر بمصلحة الالمان بعد ان توهمهم بالمنفعة . وقد حدث انها رأت الراقصة الشهيرة ماتاهيري في الخط الالماني تعمل عملها ولكن لمصلحة الالمان مع ان الفرنسيين كانوا يأتمنونها فأبلغت امرها الى الفرنسيين فقبض عليها وحكم عليها بالموت . ولكن ماتاهيري تمكنت قبل ان تعدم من ابلاغ الالمان بشأن ماتلدة لوبران فقبضوا هم ايضاً عليها . وتمكنت بعد ذلك من بلوغ الخط الفرنسي بعد جهود كبيرة وانقطعت عن الجاسوسية بعد ان افتضح امرها عند الالمان

العارية لا ترد

السير روبرت بوردن هو احد رؤساء الوزارة السابقين في كندا . وهو مشغوف بجمع الكتب الثمينة ولكنهُ أيضاً يكره اعارتها لاحد وله مكتبة فاخرة يدخل اليها الزائر فيعجب بما فيها المع الماعاً خفيفاً بشأن اقتراضه كتاباً يفجؤه السير بوردن بقصة رمزية صغيرة فيقول :

منذ مدة كان لرجل مكتبة يحبها وجاءه في أحد الايام ضيف فطلب من رب البيت أن يعيره كتابا من هذه المكتبة . ولكن رب البيت أبى . فقال الضيف : ولكن لم لا تعيرني كتابا ؟

فقال رب البيت : لان الكتاب المعار لا يرد . فقال الضيف : وكيف ذلك ؟

فقال رب البيت : لاني استعرت هذه الكتب كلها ولم اردها

مشروع دائرة المعارف

ثلاثة أحاديث مع ثلاثة من عظماء مصر

قد وفقنا الى جمع هذه الاحاديث الثلاثة في اخطر مشروع واحبه الى قلوب الشباب في مصر بل في العالم العربي كله وهو مشروع دائرة المعارف . على اننا لا نرى بدأ من الاشارة هنا الى أن هذه الاحاديث قد دارت قبل استقالة الوزارة العدلية . أما الآن وقد أصبح حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيساً لمجلس الوزراء فقد زادت ثقتنا بقرب تحقق هذا المشروع الجليل الذي مابرح منذ نشأته موضع عناية دولته

١ ـ حديث مع صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا

كان صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا قد فكر في عهد وزارته سنة ١٩٢٢ في تحضير مشروع يقضي بانشاء دائرة معارف عربية ، بل ان دولته ، في اليوم الذي فكر فيه في تأليف لجنة لوضع الدستور ، رأى انه يحسن بجانب تلك البذرة السياسية ان تلق بذرة علمية هي انشاء دائرة معارف تنفق ونهضة البلاد . فكاشف وزير المعارف وهو يومئذ صاحب المعالي مصطفى ماهر باشا بضرورة المبادرة الى اخراج هذه الفكرة الى حيز التنفيذ . وقد أثارت الصحف أخيراً هذه المسألة وأعادت دراستها وقلبتها على جميع وجوهها . ولاعتقادنا بخطورة هذا الموضوع واقتناعنا بافتقار البلاد الى دائرة معارف يهتدي بها الباحثون ويرجع اليها الدارسون ، رأينا ان نستقصي ما كان من تاريخ هذا المشروع وما تقلب عليه من الاطوار وما يرجى له من تحقق . فكان واجباً علينا ان نبدأ بمقابلة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا

ففي الميعاد المحدد للمقابلة ـ منتصف الساعة الرابعة بعد الظهر ـ كنا عند مدخل دار دولته في الجيزة . فبُلّغنا ان دولته قد تحدث بالتلفون منبئاً بقدومنا ومشيراً بأن ننتظره قليلاً ، لان مجلس الوزراء في ذلك اليوم كان قد تأخر انعقاده

فانتظرنا دولته هنيهة في حديقة داره . وقد قضيت هذه الفترة وانا اتأمل في امرين :

الاول ـ عناية دولته بأن تحدث بالتلفون لتأخره عن الموعد المضروب . فانه يندر ان تجد بين رجالنا العموميين من يحفل بمثل ذلك . فليست الساعة والساعتان بل والساعات بذات بال في نظر سوادهم . ولذا أكبرت عناية دولته اذ لم يفته اثناء انصرافه الى مهام الدولة ومشاغل السياسة ان يذكر أمراً طفيفاً كهذا . وانك ـ في الواقع ـ لتعرف الرجل العظيم حقاً بما يبدو من

حفله بطفيف الامر وهينه . وقد أدركت من هذا الحادث الصغير كيف يتعلق بحب دولته كل من عمل معه واختلط به

والامر الثاني الذي جال في خاطري هو ان حياة الوزراء ليست مما يغبط به المرء . فها هوذا احد كبار وزرائنا قد اضطرته اعماله الى التأخر حتى الساعة الرابعة وهو لم يتناول طعاماً . وكثيراً ما يقنع الوزراء بتناول بعض المأكولات الجافة اذ تضطرهم اعمالهم الى التأخر . ولم يكد ثروت باشا يحضر حتى تناول على عجل قليلاً من الطعام وما ان جلسنا اليه وحدثناه فيما جئنا من اجله حتى كان قد أزف موعد اجتماعه بأحد السفراء . وهكذا تنقضي حياة وزرائنا اليوم - ولم يكن هذا شأنهم من قبل - بين تبعات عظيمة ومهام خطيرة واجتماعات ومقابلات ومشاغل وهموم . . .

ولكن يظهر ان مهنة السياسة جذابة برغم ما يكتنفها من ذلك كله . وقد روى المسيو برتو احد وزراء فرنسا ان رجلاً من رجال السياسة عاد يوماً الى منزله مهموماً مكتئباً لما اصابه من فشل واضطهاد بل وخيانة من اصدقائه السياسيين . فألحت عليه زوجته في ان يستقيل وهو ليس في حاجة الى مرتبه فأجابها : لا استطيع ذلك ، فالسياسة هي كالخليلة التي يحبها الانسان ويمقتها في آن واحد ولا يجد سبيلاً الى الخلاص منها

***

وليس هذا مقام الافاضة في ترجمة ثروت باشا ولكن يحسن بنا ان نذكر لمحة من ذلك : بعد ان فرغ ثروت باشا من دراسته - وقد كان في جميع ادوارها الاول بين اقرانه - عين رئيساً في احد اقسام قلم قضايا الدائرة السنية ثم تقلب بعد ذلك في عدة وظائف قضائية الى ان عين مستشاراً في محكمة الاستئناف سنة ١٩٠٧ . ثم عين مديراً لاسيوط ثم نائباً عمومياً الى سنة ١٩١٤ اذ اختاره رشدي باشا وزيراً للحقانية وظل كذلك مدى سني الحرب حتى استقال هو وسائر زملائه في سنة ١٩١٩

ولما شكل الوزارة عدلي باشا سنة ١٩٢١ كان ثروت باشا على رأس وزارة الداخلية ثم سافر عدلي باشا على رأس الوفد الرسمي لمفاوضة الحكومة الانجليزية فقام مقامه حتى جاء واستقال استقالته المعروفة . ثم عاد ثروت باشا فقبل ان يكون على رأس الوزارة في سنة ١٩٢٢ بعد ان ظلت الحكومة بلا وزارة ثلاثة أشهر كاملة كان دولته في أثنائها يفاوض اللورد اللنبي بما أوحى به اخلاصه لمصلحة مصر والمصريين . حتى تكللت هذه المفاوضات باكبر نجاح سياسي في تاريخ البلاد اذ صدر على أثرها تصريح ٢٨ فبراير كما هو معلوم وكانت من أولى نتائجه اعلان استقلال البلاد ومنحها دستوراً تحقق به سلطة الامة

***

وقد اجمع العارفون على ان ثروت باشا سياسي بالفطرة بعيد النظر سديد الحكم ، قليل الكلام كثير العمل ، دقيق لا تفوته صغيرة ولا كبيرة . فهو يحسب لكل شيء حسابه ويستعين بكل القوى والعناصر التي من شأنها البلوغ به الى غرضه . أضف الى ذلك انه طويل الأناة واسع الصدر يعرف اغتنام الفرص كما يعرف الانكماش والسكون حين هبوب العاصفة

قال احد الذين وصفوه « انه أحذر من ابي الهول وأحرص على دخيلة نفسه . . . ولو ان انساناً حدثك بأن لسان ثروت لم يسقط بكلمة واحدة لا يريد هو ان يطلقها بكل معناها وما تنصرف اليه من وجوه المغازي لما كان في قوله متزيداً ولا غالياً » . ولكن ، أليس هذا محك الرجل العظيم ، ورجل السياسة بالتخصيص ، الذي قد ينجم عن الفرق الطفيف بين كلمة يستعملها بدل اخرى ـ كما قال موسيه ـ ما هو أشد هولاً من قصف المدفع ؟

***

والآن وقد أحاط القارىء بلمحة من شخصية ثروت باشا فليدخل معنا الى غرفة استقباله :

ان اول اثر تتركه في النفس مقابلة ثروت باشا انه حسن الملتقى جم الادب . وما ان تحادثه قليلاً حتى تدرك ايضاً انه واسع الاطلاع متضلع من الادبين العربي والغربي . أنه « أديب » بقدر ما هو « سياسي »

سألنا دولته عن الاسباب التي حدت به الى العناية بمشروع دائرة المعارف واعداد المعدات لتحققه . فقال : لتسمح لي قبل اجابتك الى سؤالك هـذا ان أهنىء « الهلال » لنجاحه في مشروعاته وما أصدر من مجلات نافعة تعمل على نشر الثقافة في البلاد

فشكرنا لدولته جميل تشجيعه . ثم استطرد دولته الحديث فقال : ان النهضة الحالية وهي التي قد اصابت شتى النواحي في هذه البلاد من سياسية واجتماعية واقتصادية وتعليمية لتستلزم طبعاً الى جانب الجامعة المصرية ودور التعليم العالي انشاء دائرة معارف عربية على احدث طراز ـ كدائرة المعارف البريطانية او الفرنسية الكبرى ـ ليرجع اليها المشتغلون بالعلم والراغبون في البحث والتنقيب . وان البلد الذي في مثل حالتنا لأشد ما يحتاج الى ذيوع المعارف العامة بين طبقات المتعلمين الى جانب التخصص العلمي الراقي الذي هو وليد التعليم الجامعي . ولذلك تحدثت مع زميلي مصطفى ماهر باشا وزير المعارف في وزارتي سنة ١٩٢٢ بشأن المبادرة الى اعداد اللازم لانشاء دائرة معارف عربية . وقد أخذنا في العمل على تحقيق هذه الامنية الى ان استقالت الوزارة . على ان من الظروف المتيحة لتحقيق هذا العمل الجليل في هذه الايام ان على رأس وزارة المعارف وزيراً خريج جامعة مشهوداً له بنزعته العلمية الراقية وبذكاوته وحصافة رأيه وهو زميلي علي الشمسي باشا ، وعلى رأس الجامعة المصرية عالماً جليلاً وكاتباً كبيراً تقدرونه انتم معاشر الصحفيين مثلنا لسابقة عهده بالصحافة وهو الاستاذ احمد لطفي السيد بك . فأظن ان الدعوة

الحارة التي قامت بها الصحف أخيراً ستلقى كل عناية وتشجيع منهما ومن الاوساط العلمية بل من الجميع

فقلنا : ولكن المشروع يا صاحب الدولة يحتاج الى مال والى رجال والى وقت طويل فكيف السبيل الى النهوض به ؟

فقال دولته : بالارادة والعزيمة الصادقة والكد والمثابرة يتحقق كل شيء · وان هذا العمل الخطير قد قام المرحوم البستاني بقسم عظيم منه . واذكر كذلك جهداً مشكوراً في هذا السبيل للاستاذ فريد وجدي بك · وكم في بطون التاريخ من ذكرى رجال كانوا مثالاً للمثابرة النافعة والانتاج المثمر المفيد فأخرجوا من المؤلفات لامتهم ما يعجز عن أدائه عدة افراد مجتمعين · وان نظرة واحدة الى اعمال امثال حنين بن اسحق وابن الاثير والطبري والاصفهاني وعبد اللطيف البغدادي الذي ألف ما ينيف عن المائة والستين مجلداً وجلال الدين السيوطي الذي يقال انه ألف اربعمائة مصنف وابن الجوزي الذي يقول عنه ابن خلكان انه لو جمعت الكراريس التي كتبها وقسمت على مدة عمره لاصاب كل يوم تسع كراريس الى آخر من تعلمون من ابطال العمل والمثابرة يجعلنا نتفاءل بتحقيق هذا المشروع في أمد غير بعيد . وقد اجتمعت لدينا اليوم وسائل الدرس والبحث وفيرة . فنجاح المشروع يتوقف على همة الافراد القائمين به · وأرجح ان الحكومة ـ اذا ألفت له لجنة تنظيمية عامة تقوم بتوزيع العمل على لجان فرعية من رجال العمل للتأليف والترجمة ، مع اعتمادها كل ما يحتاج اليه هذا المشروع من المال ـ توفق لا محالة الى انجازه في زمن قصير · فالمراجع العلمية متوفرة في مختلف اللغات ومعظم المواد قد هيأها لنا العلماء والباحثون من اهل الغرب · وأما فيما يختص بتاريخ الشرق والأدب العربي فعندنا دائرة المعارف الاسلامية ومباحث المستشرقين الجامعة والى جانب ذلك عندنا طائفة حسنة من كتبنا القيمة التي تحتاج الى تنظيم وترتيب · وعندنا فيما يتعلق بالعلوم الفقهية والقانونية ثروة يعتد بها · وان خير زمن مواتٍ لمشروع دائرة المعارف لهو هذا الزمن الذي تحركت فيه الهمم واستيقظت العزائم واتجهت الى النافع المفيد

قلنا : هل لدولة الباشا ان يرسم لنا خطة تنفيذ العمل ؟

فقال دولته : ليس لي أن أتوسع في موضوع يجب ان يترك القول الفصل فيه لغيري وأرجح انك تصيب نفعاً كثيراً اذا ما تحدثت في شأنه وكيفية تنظيم العمل وتحقيقه مع كل من وزير المعارف ومدير الجامعة · فلكل منهما مكانته العلمية من ناحية ولكل اختصاص قريب بهذا المشروع من ناحية اخرى

ولما هممنا باستئذان دولة الباشا بالانصراف قال لنا دولته : ان حديثكم معي في هذا المشروع

الخطير قد أعاد الى خاطري الآن فكرة طالما اختلجت في نفسي فأنا أحدثكم بها عساكم ترون فيها ما أراه من جليل فائدتها فتعملون على نشرها واذاعتها . وليست هذه الفكرة من مبتكراتي ولكنها وليدة بحث طويل واختبار علمي كبير في البيئات العلمية في فرنسا وانجلترا . وهي أن تؤلف سلسلة كتب سهلة التناول لنشر الثقافة العامة . يؤلفها كل خصيص في مادته . والى جانب هذه الفكرة القيمة ذات الاثر المحمود في نشر الثقافة العامة فانكم تعلمون ان القسم الادبي العلمي في جميع الامم يتولى في نهاية كل سنة نشر بيان بما يقع عليه اختياره من أحسن المؤلفات التي تعمل على نشر الثقافة العلمية في العالم . فياحبذا لو تنقل مثل هذه المؤلفات القيمة الى لغة البلاد ويا حبذا لو ينهض المؤلفون هنا للتأليف على منوالها

وعلى ذلك انصرفنا معجبين بوسيع اطلاع دولته شاكرين له جميل عنايته بالعلم ونشره ، ذاكرين له في نفسنا ما قام به من خالد الخدمات لامته

٢ – حديث مع صاحب المعالي علي الشمسي باشا

عمدنا كما أشار علينا صاحب الدولة ثروت باشا الى وزير المعارف علي الشمسي باشا فوافيناه في مكتبه والوفود تتزاحم لتهنئته برتبة الباشوية التي أنعم بها عليه صاحب الجلالة الملك . وهناك في وسط الوجوه المشرقة بالتهاني، والبركات المتوالية على الوزير الشاب حيّانا معاليه ونحن نضمر في نفسنا بعض الامتعاض . فاننا نحن طبقة الافندية كنا نتشرف ونزهى عندما نشعر ان واحداً منا افندياً بسيطاً يرأس احب الوزارات الى قلوبنا وهي وزارة المعارف . وكان هذا الشعور يرفعنا في انفسنا ويجعل لنا ما يشبه ان يكون اشتراكاً في الحكم . اما الآن فيجب ان نقول بشيء من الامتعاض انهُ ليس من طبقتنا واحد بين الوزراء فانهم كلهم الآن باشاوات

وعلي الشمسي باشا شاب يتوقد الذكاء في عينيه ويبدو النشاط في حركاته له آراء عصرية في التربية والتعليم . وقد دخل وزارة المعارف وهي في اعظم اوقات ارتباكها للبرامج الجديدة التي فوجئت بها وهي في غير استعداد لها فكانت الفصول اضيق من ان تسع الطلبة وكان التذمر يتعالى من المعلمين والطلبة لعدم استعدادهم لهذه البرامج فعالج الوزير الجديد هذه الحالة بجد واهتمام بحيث ابقى ما في هذه البرامج من الفائدة مع التيسير على الطلبة بانشاء الفصول الجديدة حين تعذر انشاء المدارس الجديدة لضيق الوقت

ولقد امضى هذا الوزير الشاب نحو خمس سنوات مدة الحرب الكبرى وهو مبعد عن مصر وقد قضى معظم هذه السنوات في سويسرا تلك الاتحادية العظمى التي تنظر الى الحرية كأنها من

التقاليد السويسرية الخاصة فأشرب هو هذه النزعة السامية في نفسه . وما هو ان عاد الى وطنه حتى كان في طليعة الذين ينشدون الحرية ويجاهدون من اجل تحقيقها . ويجب ألا ننسى انه من بيت عريق في خدمة مصر والولاء لها فقد كان ابوه المرحوم امين الشمسي باشا زعيم العرابيين في مديرية الشرقية يدعو الامة الى مطالبة الخديوي توفيق بالدستور

والوزير الشاب يزين غرفته بتمثال فاخر من تماثيل مختار ، تنظر الى التمثال فتعتقد ان ليس في مصر غرفة أليق به من هذه الغرفة التي تمثل نهضة مصر وثقافتها

قلنا : لقد تكرم ثروت باشا بمحادثتنا عن موضوع انشاء « دائرة معارف » وذكر لنا ان مصطفى ماهر باشا وزير المعارف في سنة ١٩٢٢ كان قد أخذ في تحقيق هذه الامنية . فهل لمعاليكم ان تخبرونا عما تم في هذا الموضوع وهل في النية ان تتموا ما بدأ به ماهر باشا ؟

فقال : اننا ندرس هذا الموضوع وقد عينا لجنة لبحثه وعندما تنتهي من تحضير المشروع سنطلب من البرلمان المال اللازم لانفاذه

قلنا : اذن فالمشروع قد درس في عهد وزارتكم كما درس قبلاً في وزارة ماهر باشا ولم يبق غير تنفيذه فهو الآن ليس امنية يرجى تحققها بل مشروع يوشك ان يخرج من حيز الفكر الى حيز العمل . فهل لكم اذن يا معالي الوزير ان تخبرونا عن بعض تفاصيله من حيث المال المقدر لاتمامه وعدد المجلدات التي ستتألف منها هذه الموسوعة الكبرى وهل تكون العمدة فيها على التأليف ام على الترجمة ؟

فقال الوزير : هذه كلها تفاصيل لا ادخل فيها لانها خاصة باللجنة التي كلفت بوضع المشروع وكل ما عليّ ان اخبركم به ان الوزارة موافقة على العمل ماضية فيه وستطلب المال اللازم لانفاذه

قلنا : ولكن شيئاً من التفاصيل يا باشا ؟

فقال : كلا كلا . ان التفاصيل ستذاع عند طلب الاعتماد المالي

والحق يقال اننا وجدنا انفسنا ايضاً في غير الظرف الملائم للسؤال والجواب . فان الوزير كان مشغولاً بهذه الوفود تروح وتغدو مهنئة مستنزلة البركات داعية بطول العمر وزيادة الجاه

وخرجنا ونحن نكرر للوزير التهاني، مغتبطين مع ذلك بأنهُ سيكون للثقافة العالمية كتاب جامع يقرأه شباب مصر ويبحث فيه علماؤه فيجدون فيه خزانة ثمينة تضم المتشتت من المعارف والعلوم والآداب وتلك الالفاظ التي تتداولها اقلام الكتاب فتمنع بذلك فوضى اللغة وترفع كرامة مصر العلمية بين جاراتها العربية التي تنظر اليها الآن نظرة الجندي الى القائد في كل ما هو خاص بالنزعات الفكرية الجديدة

٣ ـ حديث مع الاستاذ لطفي السيد بك

لقد اشار صاحب الدولة ثروت باشا الى الاستاذ لطفي السيد بك مدير الجامعة لكي نستشيره في موضوع دائرة المعارف . وهو لو لم يشر علينا بذلك لكان اول قصدنا اليه فهو بما له الآن من مثابة الاشراف على الثقافة التي يلقنها الشباب المصري في الجامعة جدير بان يستشار في مثل هذا الموضوع . ولمعظم الجامعات في اوربا واميركا الآن مطابع ودور للنشر . لانه كما ان اساتذة الجامعة يقومون بفرض التدريس للطلبة كذلك عليهم فرض آخر هو اذاعة ابحاثهم للجمهور . وهـذا الفرض الاخير لا يقل نفعه لهؤلاء الاساتذة انفسهم ولطلبتهم عن نفعه للجمهور لان الابحاث العلمية لا ترتقي بل الجامعة نفسها لا تعيش وتنمو ما لم يكن حولها رأي عام راض عنها راغب في رقيها متتبع لابحاث اساتذتها . والصلة بين هذا الجمهور وهؤلاء الاساتذة ليست شيئاً آخر سوى صلة المؤلفات التي يخرجها هؤلاء الاساتذة فيتثقف بها الجمهور ويتابع الجامعة في رقيها ويرضى عما تطلبه من نفقات وتوسع في الابحاث

لقد كنت افكر في ذلك وانا ذاهب الى الجامعة واتساءل : لمَ لا تقوم الجامعة بهذه المهمة او لمَ لا تشكل لجنة يرأسها مدير الجامعة للقيام بهذا العمل اذ من اولى من مدير الجامعة واساتذتها بهذا العمل ؟

قلت بعد ان حييت الاستاذ وهنأته بابلاله من مرضه الذي الزمه الفراش مدة غير قليلة : لقد قررت وزارة المعارف تأليف « موسوعة » او « دائرة معارف » واني اتذكر انكم في سنة ١٩١٥ الفتم « المجمع اللغوي » بغية وضع معجم للمصطلحات العلمية الحديثة فهل تتكرمون بكلمة عما تم في امر هذا المعجم وهذا المجمع للعلاقة بين هذا المعجم وهذه « الموسوعة » المراد تأليفها ؟

فقال : لم يكن قصدنا تأليف « دائرة معارف » وانما فقط وضع معجم للمصطلحات العلمية على الخصوص واللغة المتداولة على العموم . وكان المجمع تحت رياسة شيخ الجامع الازهر وكانت النية ان يختص كل عضو بايجاد الالفاظ الخاصة بالفن او العلم الذي يشتغل به ثم تجمع هـذه الالفاظ . وبقينا نحو سنة ونحن في مناقشات بشأن الخطة التي يتبعها الاعضاء هل يعربون اللفظة الاوربية او يضعون لفظة عربية جديدة واخيراً اتفقنا على الجمع بين الطريقتين مع تغليب التعريب على وضع الالفاظ . وكان اساتذة المدارس والمشايخ من القائلين بالوضع اما انا فكنت من القائلين بالتعريب لاني افضل ان اقول « الفتوغراف » على ان اقول « الحاكي » . ولما انتهت الحرب تركت المجمع لاشتغالي بالوفد وعمد شيخ الجامع الازهر الى حل المجمع ووأده وهو بعد في مهده

قلت : حبذا الرأي رأيكم في التعريب فانه هو الرأي الذي جرت عليه فطرة صناعنا فان جميع الفاظهم التي يستعملونها في مصانعهم هي الفاظ اوربية معربة

فقال لطفي بك : ان « الموسوعة » او « دائرة معارف » المرجوة ستكون للشعب ولهؤلاء الصناع وللباحثين فيجب ان تكتب لفائدتهم بلغتهم وما زلت على رأيي القديم من ان اللغة العامية تفضل اي لغة اخرى في التعبير ففيها من العبارات الدقيقة ما لا نجده في الفصحى القديمة . ولكن لغتنا العامية مريضة ضعيفة فيجب ان نتناولها بالتصحيح والتسديد والتحرير فاذا كان الضعف من جهة الاعراب اصلحناه واذا كان من جهة القلب رددناه الى اصله بحيث يمكن العامي ان يفهم ما تكتب دون اي عناء ودون الحاجة الى الرجوع الى الاساليب القديمة الميتة فان في ألفاظنا العامية من الحياة والقوة ما لا نجده البتة في الاساليب والالفاظ القديمة

قلت : من مدة كنت احادث بعض الاساتذة فوجدت فيهم ميلاً الى انشاء موسوعة خاصة بعلوم العرب والاسلام وثقافتهما فهل تظنون مثل هذه الموسوعة انفع لنا الآن ام خير لنا ان تكون عامة ؟

فقال بلهجة البت : نحن في أشد الحاجة الى موسوعة عامة للثقافة الحديثة والقديمة وسائر المعلومات البشرية تحتوي على المصطلحات العلمية التي يمكن ان يرجع اليها العالم والباحث

قلت : وهل نعتمد على التأليف ام الترجمة ؟

قال بل الترجمة لانها آمن واسلم واسهل اذ ليس عندنا من المؤلفين من يمكننا ان نعتمد على معارفهم بل العلوم العربية الاسلامية نفسها نجدها في الكتب الاوربية اوضح وابين وادق مما هي في الكتب العربية حيث نراها مشتتة . بل حتى البحث في اصول اللغة العربية ذاتها نحتاج فيه الى المراجع الاوربية واني اتذكر اني اردت من اكثر من عشرين سنة ان ادرس المعري فرجعت الى ما كتب عنه في الكتب العربية فما وجدت غير الشتائم فاحتجت لدرسه الى المراجع الانجليزية والفرنسية وخاصة الى ما كتبه عنه رجل فارسي يدعى خسرو علوي زار المعرة في أيامه وكتب ترجمته . وقد ترجمت مدرسة اللغات الشرقية في باريس كتاب خسرو هذا . فنحن مضطرون الى الترجمة والاعتماد على الكتاب الاوربيين حتى في لغتنا وتاريخنا

قلت لمَ لا تقوم الجامعة بمثل هذا العمل ؟

فقال : اننا لا نزال في البداية ولم نستطع بعد ان نقوم بواجباتنا الاولى فلا استعداد في البناء ولا السنون الدراسية قد كملت ومع ذلك فاني لا أرى صعوبة في أن يكون للجامعة دخل في مثل هذا المشروع والعمل على انجاحه

قلت : وكيف يكون العمل للقيام بهذه الموسوعة ؟

قال : تعين اولا لجنة لا يزيد اعضاؤها عن ثلاثة او اربعة حتى لا تتشتت الاغراض وهذه اللجنة تكلف المترجمين بالترجمة كلا في فنه وهي تقدر له قيمة التعويض بعد اعتبار عمله . اما اذا كلف الموظفون بالترجمة فانهُ تنقضي السنون الطوال قبل ان يتم المشروع

الرسائل الضائعة

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

ننشر اليوم رسالة أخرى من هذه الرسائل « الضائعة » التي أعجب قرّاؤها بما تضمنته من ملاحظات سديدة وانتقادات فكهة بأسلوب طلي وطريقة مبتكرة . ويعلم القراء ان هذه الرسائل تتبادلها فتاتان احداهما في باريس والاخرى في لندن والرسالة التالية قد أرسلتها جرمين في باريس الى صديقتها في لندن [المحرر

من جرمين في باريس الى صديقتها في لندن

أتذكرين أيتها العزيزة يوم افترقنا اذ آتيتك موثقاً من الله لأبوحنّ لكِ بكل ما أفعل وما يكنه ضميري واذ قطعت انتِ لي العهد أن تبعثي لي برسائلك مفشية فيها أعماق نفسك ٠ ذلك حتى نكون وبيننا بحر المانش كأننا كما عشنا في الماضي جسدان في نفس واحدة

فهل برزنا بالوعد انا وانتِ ؟ وهل نستطيع نحن النساء ان نبوح لاول وهلة بما يخالج قلوبنا رغم ما يصفوننا به من الغرام بالافشاء

ان في قلب الواحدة منا لسرّاً لا تطلع عليه الصق الناس بها لا حبّ التكتم بل لذة في الاخفاء لا يدركها الا من عثر على شيء ثمين يظل يخفيه عن أعين الناظرين الى أن يطمئن اليه و يثق من تملكه حق التملك فيظهره العالمين

ولا أكتب لك هذه الفلسفة النسائية لأتهمك بانك أخفيت أو تخفين عني أشياء بل لأستغفر لذنبي فاني انا قد أخفيت عنك أشياء

لا يضطرب فؤادك ولا يجزع قلبس في ما أخفيه أمر عظيم وليس ما اخفيت بالشيء الذي تكتمه امرأة عن صاحبتها ولكنني أخفيته فنكثت بالميثاق . وقد يكون عذري خجلي من نفسي واستحيائي منك لا للامر من حيث هو بل من حيث علاقته بالرجل موضع الكتمان

لو كانت صداقتي لروبير قد طغت وجاوزت الحد لما استأهل الامر ان يُقصّ عليكِ

فروبير رفيق صبانا وعشير سمونا وجاري في منزلي ولكن الرجل الذي انقل اليكِ حديثه ليس فرنسوياً بل ليس اوربياً ـ لا تجزعي فليس زنجياً أيضاً ولكنه من أهل مصر

فهل تعرفين شيئاً عن مصر انت التي تحملين اجازة العلوم الادبية والتاريخية وهل اعرف انا عنها شيئاً الا انها في شمال افريقية وفيها الاهرام وابو الهول واليها ذهب نابليون فاتحاً ومنها عاد ليفتح اوربا ٠ وانهم في هذا الزمن الاخير قد بعثوا من قبره فرعوناً عتيقاً ملأت جرائد البلد التي انت الآن فيه الدنيـا اعلاناً عنه وعن كنوزه وعن مدنيته المنقرضة ٠ فقد شاهدت صورة له في

احدى الجرائد المصورة فما رأيت الا صنماً يمد يديه الى ركبته او يضمهما الى صدره لا أثر للفن الذي نعرفه في وجهه او في شكله . نعم صنم قد يكون قدّ من ذهب ولكن الصانع اساء الصنعة فلم يخلق له روحاً تتجلى في عينيه وفي مجموع وجهه

تقول نحن الفرنسويات ما لنا والتعرف الى هذه البلاد المتباعدة الاطراف ، ألا يكفينا مجيء الاجانب الينا من كل صقع من اصقاع المسكونة فيخيل الينا ونحن في باريز اننا في معرض جمع مختلف الاجناس والالوان

لا . هذه عقلية يجب ان تتغير . فما دمنا نطمع ان نبقى دولة عظيمة ذات شأن فلا بد لنا من معرفة البلاد الاجنبية واهلها معرفة حقة والا ضاع علينا مركزنا وفقدنا علم نفسية الشعوب

هذا كلام سمعته مرة من نائب في جلسة من جلسات البرلمان فأنا انقله كما هو وليس علينا فهمه

كيف عرفت هذا المصري ؟ ومن هو ؟ وما هي حقيقة علاقتي به ؟

فلنبدأ بالاولى : تركت باريز كما تعلمين بعيد سفرك وقصدت الى اكس ليبان — لا للاستشفاء بمياهها العجيبة بل لازور اختي وزوجها المقيمين هناك

واكس ليبان هذه بلدة واقعة في داخل الحدود الفرنسوية الا في شهري يوليو واغسطس فالفرنسوي فيها غريب والمحتلون انجلو سكسونيون . فالفنادق كلها تغص بالبريطانيين حتى الشرف والحمامات يشغل حجراتها رجال منهم ونساء — هذا ليذيب ما رسب من الحامض البولي في مفاصله لكثرة ما يلتهم من اللحوم وما يحتسي من الوسكي وهذه لترقع شيخوختها بتدليك يذهب عنها النقرس . فلا تسمعين الا الانكليزية ولا يؤبه لك اذا لم ترطني رطانتهم

فهل تصدقين ان اختي وزوجها كانا قد اجرا منزلها هذا العام وقصدا الى فندق يطلبان غرفة فرفض صاحبه ايواءهما لانهما فرنسويان . هذه قصة لا شك فيها

فرنسويان لا يجدان غرفة في فندق فرنسوي في بلد فرنسوي لانهما فرنسويان

ألا قاتل الله الجنيه الانجليزي كم اذل من اعناق وكم رفع من صعاليك . ولا قاتل الفرنك . فما ذنب الفرنك ؟

الالمان لا يدفعون ما هم مدينون لنا به على حكم معاهدة فرسايل . وحلفاؤنا الاميركان والانجليز يطالبوننا مطالبة « شيلوك » وحكومتنا ترهقنا بالضرائب فيقذف ذوو رءوس الاموال منا بأموالهم الى الخارج . فلجأت خزائننا الى ورق النقد تطبع منه في الليل اكثر مما تطبع في النهار حتى كاد يحق علينا القول فندمر تدميراً لولا بقية عزم واباء في هذا الشعب الذي الفخر بأن يكون دمي من دمه تجعله يصبر على الشدائد ويعرف ان يضحي عند الملمات

على ان النعرة الوطنية خففت من غضبي على حادث اختي وزوجها فان ما يعود على بلدة الحمامات هذه من الربح من هؤلاء الاجانب ليس مما يستهان به وقد تعلمنا نحن كلنا ان نفهم بأن ما يكسبه

الجمع الفرنسوي يستفيد منه الفرد الفرنسوي

فان هؤلاء الاجانب يدفعون اغلى الاثمان في الفنادق وفي الاسواق فتزين حوانيت اكس تكاد تشرق بأبشع الازياء من قبعات وثياب تباع للانكليزيات وللاميركيات على انها آخر ما صنع الحاذقون في باريز وهي لو عرضت على واحدة منا مجاناً ما التفتت اليها

على انني قد ضللت السبيل . فلنعد الى اتمام القصة

ركبت ذات يوم فلكاً بخارياً صغيراً في بحيرة بورجه ـ بل بحيرة لامارتين ـ لامتع النفس بجمالها وجمال ما يحيط بها من جبال وآكام في هذا الطقس الجميل الذي لم نعتده في مثل هذه الايام . وكنا في الفلك عشرين او ما دون ذلك نفراً . وكان في هذا الجمع اثنان منعزلان لا رفيق لهما ـ انا وهذا الرجل الذي احدثك عنه

أما انا فوجهي الى الجبال المطلة على الماء انقل طرفي من جبل الى آخر الى دير هناك يدعى « دير هوتكومب » حيث مدفن الامراء من آل سافوي آباء ملك ايطاليا . واما الرجل الغريب فعيناه مصوبتان اليّ لا ينفك يحدق بي حتى اذا ما وقعت عيناي على عينيه محض اتفاق حول وجهه كأنه لا يراني

ما هذا الرجل وما هذه الطريقة الغريبة في النظر الى النساء ؟

اني افهم فيما افهم من اخلاق رجالنا انهم اذا وقعت لديهم امرأة موقع القبول ينظرون فاذا ما التقى الناظران ابتسم الرجل أو سلّ الماً أو انحنى الميلاً بغية التوصل الى حديث واما أن يحدق ويحدق كأن عينيه تحاولان أن تبتلعا فاذا ما نظر اليه تجاهل الامر وتعامى فشيء لم أستطع تعليله

هذا رجل من هؤلاء الاجانب الذين لا تخلو منهم بقعة من فرنسا . أاميركي من الجنوب أم اسباني ام ايطالي ؟ لا اعلم . فان في لون بشرته وفي عينيه ما يحملني انسبه الى هذه البلدان ولكنني ما اهتممت بامره كثيراً ولم اكن لاعيره ادنى اهتمام لولا تحديقه الشديد فكأن الامر حرك كبريائي والبس كرامتي ثوباً من الثناء ازهو به

فالشخص ـ ذكراً كان او انثى ـ الذي ينفر من الثناء ويعرض عن التملق لم تلده النساء بعد . وأي ثناء يحبب الناس الينا نحن النساء مثل الثناء على جمالنا . وان في الثناء الصامت الذي نستشفه من خلال النظرات لبلاغة لا نرينها في اعذب احاديث المباسطة من افصح المتكلمين . فالكلام الذي تسمعه المرأة من افواه الرجال تعرفه كله او معظمه قبل ان ينطقوا به . فطريق الثناء والمداهنة والمجاملة طريق معبّد وليس في اكثر ما يقال لنا شيء مما يوحيه القلب او الوجدان . اما الاعجاب الساكت والاكبار يبدو أثره في العيون والشهوة تتدفق من ملامح الوجه فهذه نعرفها جد المعرفة بلا حديث ولا كلام . وهذا هو الثناء الحق علينا

وطاف بنا الفلك البحيرة حتى أتى الى مرفأ نزلنا منه الى شبه حانة في الخلاء اعدت للشاربين

فانتبذت من الجمع مكاناً قصياً وجلست اقرأ في جريدة من جرائد الصباح البارزية وحانت مني التفاتة فاذا انا بهذا الغريب جالس تجاهي يحدق بي على عادته فلما نظرت اليه تظاهر بالقراءة في جريدة في يده . فضحكت مرغمة ، ضحكت لغرابة امر الرجل وضحكت لغباوته وكأن الامر أثار شجاعته فتبسم ولم يزد

وعدنا الى الفلك فعاد بنا الى مرفأ الرجوع فنزل الركب كل الى سبيله وصديقنا ورائي

ولكني لا أطيل الحديث فقد جمع كل شجاعته وتقدم الي مسلماً متلعثماً فكلمته وسرنا حتى أوصلني الى فندقي وعاد أدراجه مستأذناً في ميعاد نجتمع به في الغد . واجتمعنا وجلسنا معاً مراراً واكلنا مراراً فصار بيننا شيء من الصداقة لا بأس به

الحق الحق أقول لكم . ليس في هؤلاء الشرقيين مجال للانتقاد اذا صح لي أن احكم على الكثير من معرفة واحد معرفة تكاد لا تتجاوز الاسبوع زمناً . وقد يكون الرجل من هؤلاء المتعلمين في مدارسنا الآخذين بأسباب حضارتنا ولكنه اول أنموذج عرفت من البضاعة الشرقية . فهم مهذبون كرماء يظهرون لنا كل احترام على خلاف ما نسمع من احتقار الشرقي للمرأة . ولعل استقلال المرأة لم يصل بعد الى ديارهم فبقيت لها عندهم منزلتها . أما شباننا بورك فيهم فأصبحوا يتوقعون أن نجري ونجد في طلابهم ، جود الناس من الايدي وجودهم من اللسان ــ ماذا أقول ؟ بل لقد أضاعوا جود اللسان وأصبحت المرأة عندهم شيئاً يستعمل للتسلية أحياناً ولاعمال الرجال أحياناً أخرى . وتحون لا يخفون لنا عيباً ولا يرحمون منا ضعفاً . أما هؤلاء الشرقيون ــ انموذجي على الاقل ــ فمتساعون حييون الا اذا خلوا بنا خلوة صحيحة

وازف موعد الرحيل عن اكس فأخذني معه الى باريز قبل انتهاء أجازتي بثلاثة أيام وقبيل سفره الى بلاده فأراني في قلب باريز أشياء لم أرها من قبل . على أن ما غاظني منه الا هذه الجلسات في «الكافيه ده لابيه» اذ يقعد كل يوم ساعات الى زمرة من مواطنيه جعلوا هذه الحانة محلاً لاقامتهم فيجتمعون ويرطنون بلسان أعجمي غير مبين فاذا ما سألت عن موضوع الكلام اذا به السياسة . وللسياسة عندهم اسمى مقام فانهم يعلمون عن سياسة أوربا ورجال السياسة في أوربا ما لا نعرفه نحن . ولكنني ارثي لهؤلاء القوم الطيبين واتمنى لهم كل الخير . فانهم حديثو عهد بالحياة البرلمانية الحديثة وبها مستبشرون ولكنهم متى خبروها وتمرسوا بها تمرسنا نحن الفرنسويين صاروا مثلنا فكفروا بها وتبرموا بهذا الشكل من الحكومة

فأي خير جنينا نحن من نظامنا البرلماني الحالي . اقول النظام البرلماني ولا اقول نظمنا الادارية والقضائية التي آلت الينا ميراثاً عن آباء واجداد كرام . فهذه لنا . اما البرلمانية فثوب خاطه اصحابه الانجليز فلبسناه كما فصلوا فاذا به فضفاض يوماً وضيق يوماً آخر

كانت الحكومة بأيد معدودة فاذا بها في متناول جمع لا يعد . وكانت تبعة الحكم على

عاتق رجل او بضعة رجال فاذا بها وليس من يحملها . فان من غرائب الحكم البرلماني ان التبعة ضائعة فيه فهو ينقض الامور ويصرفها ويقلب الوزارات ويقيمها ولكنه هو نفسه اين تبعته ؟

يجيبونك انه مسئول للامة . وما هي الامة ؟ أليست هؤلاء الناخبين الذين ينسون اليوم ما فعلوه بالامس والذين لا يدرك معظمهم ما يفعل ؟ بل راجعي ميزانيات حكوماتنا منذ اخذنا بالنظام البرلماني تري الزيادة في الانفاق مطردة والتفنن في الضرائب متبع . ونحن قوم عمليون بدأنا نشعر ان هذا الشكل من الحكومة نفقته اكبر من ان تطاق فحقت عليه التصفية

بل هذه مشاكل ما بعد الحرب الاقتصادية منها والاجتماعية . هل عالجها برلمان في اوربا فحلها وهل عرضت على نواب امة فأظهروا في بحثها دراية ليست عند عامة الناس او حكمة لا يعرفها كل عابر سبيل . فالمرء لا يحتاج الى كثير من الذكاء ليرى ان الشعوب الاوربية اخذت تنظر بعين الريبة الى النظام البرلماني وكان من اثر هذا الاستياء ان ظهرت سلطة الطغاة في ايطاليا واسبانيا . ومن اثره ان سلمت مقاليد الحكم بأجمعه مدة من الزمن لملك البلجيك برضاء البرلمان كما ان برلمانا محى نفسه وسلمها الى بوانكره الى الرجل الذي كان فوز هذا البرلمان في الانتخابات العامة سبباً في اقصائه عن مجلس الوزراء وفي اقصاء زميله مليران عن رياسة الجمهورية وذلك عند اشتداد الازمة الاقتصادية في فرنسا وفي البلجيك وليست قيامة العمال في انجلترا واعتصاب الفحامين منهم الا مظهراً من مظاهر عجز البرلمان عن حل الامور الاقتصادية حلاً صحيحاً

وانتبه المفكرون الى هذا النظام فقالوا انا غيرنا فيما مضى حكم الملوك الاستبدادي ونقلنا سلطانهم الى نواب منتخبين جربناهم فرأيناهم يكثرون من سن القوانين ويكثرون من الانفاق ويبهظون الجمهور بالضرائب . ورأيناهم اذا اجتمعوا خطبوا وهاجوا وماجوا ثم قرروا امراً بعد جدال دام سنة كان الملك يقرره في مجلس وزرائه في يومين

فما الغاية التي تعود علينا نحن الاهالي من الابقاء على هؤلاء النواب تنفق عليهم على غير جدوى ؟

انك تعلمين ان هذه النظم البرلمانية نشأت من استبداد الملوك السابقين استبداداً كان شره ابتزاز الشعب ماله . ولكن العالم اليوم ـ الملوك والشعوب ـ ليس كما كان منذ نيف ومائة عام او مائتي عام . فيما نحن اولاء نرى الملوك وقد علمتهم الحوادث ونرى الشعوب وقد رباهم مبدأ القوميات ، نرى كل هؤلاء قد ادركوا أن التضامن فيما بينهم كفيل ببقائهم وأن وظيفة الملك لم تعد كما كانت في الماضي أن يعمل على مشيئته بل على ما فيه خير وطنه . ولم يعد هم الشعوب منصرفاً الى التخلص من استبداد الملوك بل الى انماء رفاهية الوطن وسعادته المادية والادبية

ذلك أن الملك أصبح الآن جزءاً لا يتجزأ من كيان قومية الامة التي هو فيها وليس كما كان عضواً في عائلة ملكية مبعثرة في كل اوربا تعتقد انها في ناحية والشعب في ناحية اخرى . فلم يعد المهم في التشريع قائماً على حد سلطة الملك بل على العمل معه على اعلاء شأن القومية التي يمثلها هو

مع الشعب . حتى ادى الامر الى حال مناقضة للحال القديمة اذ زادت هيبة الملوك وعلا نفوذه وصاروا يستعان بهم حيث تعجز مجالس النواب

اذن فالفكرة العتيقة ان مصلحة الشعب في ناحية ومصلحة الملك في ناحية اخرى قد زالت وبادت واخنى عليها الدهر بل صار من الظلم البين ان تدعى امة انها ذات قومية وتأبى على ملكها أن يكون احد مقومات هذه القومية . فالدهر علم الفريقين فعلما أن تضامنهما خير من تخاذلها . وهل أضرب لك الامثال بملك الانجليز وملك التليان ومن اليهما من العواهل ؟

ذلك بان فكرة « السلطة » يجب أن تزول من قاموس الحكومة

فسلطة الملك وانها سماوية وان حقه مقدس خرافة يضحك منها الاطفال اليوم وقد كانت انجيل رجال السياسة مئات من السنين

كذلك خرافة سلطة الامة التي بشر بها جان جاك روسو وزملاؤه أصحاب الانسكلو بيذيا ومشى عليها كتاب الثورة وقادتها ها هي تزعزعت وتقلقلت وليست باقل من سابقتها بعداً عن المنطق

نحن محل كل ذلك فكرة الخدمة العامة . فكل حكومة نيابية كانت او فردية يجب ان يكون رائدها خدمة الجمهور ليس الا

واما السلطة وأين مقرها ومن ابن تجيء فبحث كلامي لا قيمة له كبحثك عن الوقت وما هو والفضاء وما هو وما شابه من المباحث الكلامية الفلسفية . اما نظامنا البرلماني فبعيد عن خدمتنا نحن الجمهور . انه نقل السلطة من يد وجعلها في يد اخرى . ان الضغط كان من فوق فصار الآن من تحت

اما الاكثرية الساحقة من الجمهور فيضحك من ذقنها بانتخابات تقلبها تشفي غليلها فلا تجد فيها الا قيام افاقي السياسة من الحكم . أولئك الذين يعيشون على ظهور الغير

لقد أطلت عليك الكلام كثيراً ولكن دائي يعاودني فاني مجنونة في بغض كل هيئة تبغي التحكم في الناس مقتنعة الاقتناع كله ان الخير كل الخير في حل هذه الآلة الحكومية المعقدة وجعلها على ابسط بسائط علم الاجتماع

فهل يتأتى لنا ذلك متى تم لنا نحن النساء الحق السياسي ؟ — لا

اني لا أريد هذا الحق ولا أطلبه . ولكنه ستحتمه علينا الحاجة الاقتصادية تحتياً فنفقد انوثتنا ونصبح شيئاً لم يعهد بالامس ولا يعلم ماذا سيكون في الغد ؟

عذراً والف عذر . فقد انستني هذه الثرثرة سؤالك عن الضابط العشيق . ترى هل اتخذ عدته لمهاجمة الحصون شأن ضباطنا ام يكتفي بالحصار كما يفعل زملاؤه الانجليز ؟

قولي ولا تطولي عليّ الانتظار

(جرمين)

الترجمة طبق الاصل وعلى تبعتها : سامي الجريديني

الموسيقى والغناء في عصر الفراعنة

ونماذج من الاغاني المصرية القديمة

بقلم المرحوم محمود طاحون الامين المساعد بالمتحف المصري

يحز نفسنا ان نصدر هذه المقالة بالترحم على كاتبها فقد اختطفته المنية وهو جاد دارس منقب، وهذا البحث هو آخر مقال خطته يده للهلال فلم يكد يتمه حتى قضى مبكياً على شبابه وذكائه رحمه الله وألهم آله الصبر [المحرر]

عهدُنا بقدماء المصريين قومٌ شيمتهم الجد والرزانة . يهمهم دينهم اكثر من دنياهم ، وقبورهم اكثر من مساكنهم ، وأعمالهم الشاقة اكثر من نفوسهم . طُبعت هذه الصورة في أذهاننا لكثرة ما نراه من آثارهم الجنازية وبروجهم المشيدة وأطوادهم الشامخة

غير أن هذا المقال سيظهر المصري القديم في صورة تباين كل المباينة تلك الصورة السالفة . فنراه فيها ميالاً الى اللهو والسرور ، يحب أن يمتع نفسه بكل ما تشتهيه من قبل أن تدركه المنية ولا يدع فرصة تفلت من بين يديه يكون له من ورائها راحة او طرب

وهاتان الصورتان وان كان بينهما تناقض الا أن كلاً منهما تكمل الاخرى فتتكون منهما صورة مركبة ترينا الشعب المصري القديم كسائر شعوب العالم يجدّ عند الجد ويلهو عند اللهو

***

شغف المصريون منذ اقدم عصورهم بالرقص والموسيقى ولم يروا في ممارستهما غضاضة . فكان النبلاء يدعون الراقصات والموسيقيين الى حفلاتهم ليطربوا ضيوفهم ويدخلوا السرور الى قلوبهم . وامام هذه الصفحة صورة تمثل احدى هذه الحفلات الموسيقية ترى فيها راقصتين بالقرب من جرار النبيذ المزدانة بطاقات الزهور وليس عليهما من الثياب مايسترهما سوى حزام صغير حول الوسط . وهما اثناء رقصهما تصفقان لاجل التوقيت . وقد جلست بالقرب منهما امرأة تشنف الاسماع بزمار مزدوج وبجانبها نسوة ثلاث يصفقن بأيديهن تبعاً للنغات الموسيقية وينشدن هذه الاغنية ثناء على فصل الفيضان الخصيب :

« ان اله الارض يجعل جماله ينمو في قلب كل مخلوق
هذا هو ما صنعته أيدي (بتاح) كي يكون بلسماً لفؤاده
حينما تفيض الترع بالمياه العذبة
وتمتليء الارض بحبه »

وكان المصريون يقيمون مثل هذه الحفلات في كل فرصة تواتيهم وكانت الموسيقى والغناء

دائماً من أهم بنود البرنامج فيها : يحتسي المدعوون الكؤوس ويدور عليهم الخدم بالزهور والعطور ، ثم تبدأ الموسيقى بألحانها الشجية وينشد المغنون من القصائد ما يناسب المقام ، نقتبس لك منها كنموذج ما يلي :

« احتفل يوم الطرب واستنشق الطيب والروائح الجميلة
وضع زهور اللوتس فوق جسمك وكذلك على صدر حبيبتك[1] التي تسكن فؤادك
وهي جالسة بجانبك وتمتع بالالحان والغناء
وانبذ الهموم ولا تفكر الا في السرور حتى يجيء ذلك اليوم الذي يقودنا
الى تلك الارض النائية التي من دأبها السكون الرهيب »

* * *



قانون من عهد رمسيس الثالث — قانون آخر

وقد كان القصر الملكي يضم عدداً كبيراً من رجال الموسيقى وعلى رأسهم موظف رسمي تابع للحكومة . وكان لهذا الموظف الكبير حظوة لدى الفرعون وكثيراً ما كان يحمل ألقاباً سامية لانه هو الذي «يدخل السرور الى قلب الملك بالاغاني الجميلة وينشد كلما يطلب اليه الملك ان ينشده»

* * *

في أيام الدولة القديمة (من الاسرة الرابعة الى السادسة) كانت المغنيات من النساء ينشدن أغانيهن بدون حاجة الى موسيقى تصحب اصواتهن · أما الرجال فكان لا بد لهم عند الغناء من موسيقيين يعاونونهم بآلاتهم · وذلك ثابت من جميع الصور الموسيقية في ذلك العهد بلا استثناء · على انه ليس فيه ما يدهش فلقد كانت أصوات النساء وما تزال محبوبة اذا سمعت وحدها · أما

(١) الترجمة الحرفية « أختك » والمصريون القدماء كانوا يتجاوزون كثيراً في استعمال لفظ « أخ » و « أخت » وكانوا دائماً يسمون الحبيبة أختاً ولا يدل هذا على ان حبيبته كانت أخته فعلا لان عادة التزوج من الاخوات لم تنتشر الا في عصر البطالسة

أصوات الرجال فالناس يفضلون سماعها اذا كانت مصحوبة بالموسيقى

ومع ذلك فقد كان الرجال وحدهم هم الفنانون مبتدعو الالحان . أما النساء فكن يغنين مساعدة للراقصات وكان على هؤلاء المغنيات أن يصفقن بأيديهن أثناء الغناء تشجيعاً للراقصات وكذلك للتوقيت . وقد استمرت عادة التوقيت بالتصفيق الى ايام الدولة الحديثة (الاسرة ١٨)

ويظهر ان استعمال الآلات الموسيقية في عهد الدولة القديمة كان مقصوراً على الرجال وكانت الفرقة الموسيقية حين ذاك تتكون عادة من قانونين ومزمار كبير وآخر صغير وكان بجانب كل موسيقي مغنٍ من واجباته أن يصفق اثناء الغناء للتوقيت . أما في الدولة الحديثة فقد اختلط رجال الموسيقي بنسائها وأبيح العزف والغناء لكل من الجنسين . وكانت الفرقة في هذا العصر تؤلف في الغالب من قانون كبير وعود وقيثارة ومزمار مزدوج

العود

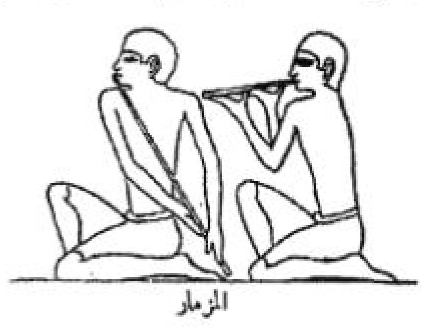
***

والآن نذكر لك في كلمات موجزة اشهر الآلات الموسيقية التي تداولتها أيدي المصريين القدماء :

القانون : كان في كل العصور مفضلاً على سواه . وقد استعملوا منه صنفين احدهما ذو حجم وسط له ستة او سبعة أوتار والآخر حجمه كبير وقد يبلغ عدد اوتاره عشرين . وكانوا يضربون على الصغير وهم جلوس وعلى الكبير وهم وقوف . وقد ظهر في أيام الدولة الحديثة قانون صغير يضرب عليه وهو مستند الى الكتف

العود : وكان العود أيضاً من الآلات المحبوبة في انحاء البلاد . وصورته هي اشارة هيروغليفية كثيرة الاستعمال تدل على الحسن والجمال وتنطق « نفر » . وكانوا يضربون على اوتاره بالريشة . ويظهر ان العود عريق في التاريخ فقد وجدت نماذج منه بوتر واحد ثم تطور بعد هذا وسار في سبيل الرقي

القيثارة : تمت الى اصل اجنبي · وليس على الآثار المصرية الا نموذج واحد لها قبل الاسرة الثامنة عشرة . وبعد ذلك نراها في ايدي البدو يعزفون عليها وقد عم استعمالها بعد أن كثر اختلاط المصريين بالساميين وقد عذبت ألحانها في آذان المصريين وصارت هي الآلة (المودة) أثناء الدولة الحديثة · ويتراوح عدد اوتار القيثارة ما بين خمسة وثمانية عشر · وقد يبلغ طولها أحياناً ست اقدام فيضطر العازف عليها الى الوقوف



المزمار

المزمار : كان المزمار هو الآلة الموسيقية الوحيدة التي تحتاج الى الهواء (النفس) . وكان هناك صنفان منه في أيام الدولة القديمة : المزمار الطويل وكان الزامر يميله الى الاسفل بمحاذاة جسمه حين ينفخ فيه · والمزمار القصير وهذا يحمل أفقياً في العادة · وفي عهد الدولة الحديثة كاد ينقرض هذان النوعان اذ أخذ الناس في استعمال المزامير المزدوجة (الارغول)

السنسترمه : في العادة من البرونز وقد تغطى بالذهب وهي على نوعين : احدهما اطاره على شكل الناووس والآخر اطاره في شكل الانشوطة . وكلاهما لا يستعمل الا في المعابد أثناء الطقوس الدينية ولها اتصال وثيق بالآلهة حاثور (التي ترمز أحياناً الى الطرب والحب)



آلة مصرية قديمة

ومما هو جدير بالذكر ان هذه الآلة لا تزال مستعملة في كنائس بلاد الحبشة

الصنوج : حديثة جداً في العهد القبطي وهي كالصنوج التي تستعملها الراقصات في الارياف الآن تماماً

الطبل : عرف الطبل الكبير الانبوي الشكل في الاسرة الثانية عشرة فهو فرعوني صميم وهو يشبه الطبل الذي يستعمله «المسحراتية» والذي يضربونه في الارياف في الافراح والجنازات

الرق : عرف في الاسرة الثامنة عشرة ولكن لم يكن له حلق اكتفاء بضرب الايدي وكان على شكلين : مستدير ومنحرف الاضلاع

الاغاني

أغاني الحب : انه وان لم يكن قد وصل الينا شيء من الاغاني الغرامية في الدولة القديمة الا أن نصيبنا منها في الدولة الحديثة لا يقل عن خمس مجموعات طويلة

تحتوي هذه المجموعات على اغنيات قصيرة ليست مقيدة بقافية ، وفيها كذلك أحاديث طلية يتبادلها المحب والمحبوب. وبين كل اغنية واخرى مسافة تسمح بأن يعزف الموسيقيون أثناءها على آلاتهم . ولذلك فكثيراً ما يحدث الا تكون هناك صلة ما بين قطعة موسيقية واخرى سابقة لها مباشرة

وليست هذه الاغاني قاصرة على وصف الحب والمحبين بل ان فيها قسطاً وافراً للطبيعة والتغني بجمالها وبديع ازهارها واشجارها ورائق مياهها . وفيها زيادة على ذلك معان اخرى في مقاصد شتى كلها تؤنس القلوب

وكثيراً ما كانوا يستعملون التورية في ألفاظ غنائهم كي يزيدوا في سرور السامعين (ولا يزال بعض المغنين العصريين يعمدون الى هذه الطريقة) . ولكن علماء اللغة المصرية يجدون صعوبة كبرى في سبيل تفهم مثل هذه الكلمات ثم هي من جهة اخرى لا بد ان تفقد معانيها المزدوجة اذا ما ترجمت الى اللغات الاجنبية ومنها لغتنا العربية . وها نحن نورد بضعة امثلة من اغانيهم المختلفة

من أغنية غرامية

الفتى : انني سأرقد في فراشي وألزم غرفتي
لانني مريض حقاً مما جشمت نفسي ظلماً وعدواناً (من الحب)
ويجيء الجيران يعودونني
ولكن لو أتيح لاختي ان تجيء معهم
لجعلت اطبائي يشعرون بالخجل
فهي وحدها تعرف سر سقمي

الفتاة : يا حبيبي الجميل ان مناي أن اعيش معك زوجة لك
حتى تضع ذراعك فوق ذراعي
ولك أن تتربص كيف تشاء
ولي أنا ان ابث قلبي الذي سلبته اماني
ان لم يعد حبيبي المعظم في هذه الليلة
فأنا ومن في القبور سواء
أفلست انت لي الصحة والحياة
وانت من يبعث السرور الى قلبي الذي ينشدك دائماً

* * *

الفتاة : آه فلأطل برأسي من الباب الخارجي

فها هو أخي مقبل نحوي

ان عيني مثبتتان على الطريق

وأذنيّ تصغيان الى وقع الاقدام فوق الثرى

فلقد جعلت حب اخي املي الوحيد

ولا يقف قلبي عن الخفقان حينما افكر فيه

ها هو يرسل لي رسولاً على الاقدام

وهو سريع في دخوله وخروجه

بعثه لكي يقول « انني مظلوم »

الا ان الأولى ان تقول انك وجدت اخرى

وماذا تعني بسحق قلب فتاة اخرى ? وأنا

اللقاء

الفتاة :

ان قلبي لسعيد بما تكنه لي من الحب

حتى لقد سقط النصف الامامي من شعري

وأنا ذاهبة اعدو نحوك كيما ألقاك

وليس يهمني ترتيب شعري ما دمت أنت بجانبي تحبني

وسأرتدي ثيابي المطرزة كيما اكون مستعدة امامك في كل حين

من أغنية راع لاغنامه (من الاسرة الخامسة)

وهي تدوس الحبوب في الحقول المروية

ان راعيك (أيتها الاغنام) في الماء مع الاسماك

وهو يتحدث الى البطي ويحيي القراميط

من الغرب ! ان راعيك قد جاء من الغرب

من أغنية فلاح لثيران وهي تدرس الغلال (من الاسرة الثامنة عشرة)

أما الحبوب فلاسيادك

لا تجعلي لنفسك سبيلاً الى الراحة

فاليوم طقسه جميل

ادرس الغلال لنفسك ادرس لنفسك

أيتها الثيران ادرسي لنفسك

ادرسي التبن كي يكون طعاماً لك

من اغنيات دينية

من نشيد للنيل

حمداً لك ايها النيل يا من اتيت من الارض

واليها تعود كيما تغذي ارض مصر

يا من تروي جميع الاراضي رياً

خلقك رع كيما تسقي جميع الحيوانات

يا من تروي القفار النائية عن المياه

فذلك الغيث الذي يهمي عليها ان هو الا منك

سيد الاسماك ومرتع الطيور المائية

خالق الشعير والقمح كيما يجعل المعابد تزهو ايام الاعياد

واذا حدث وكان مهملا (اي طغت مياهه قليلا)

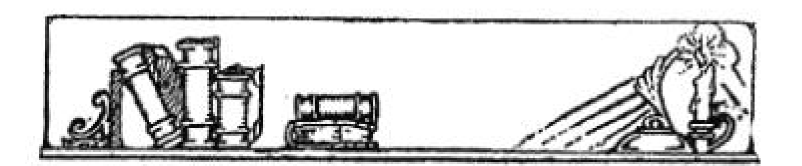
فهيهات ان يجد الناس انفاسهم في صدورهم

ويفتقر جميع الانام . و يقل طعام الآلهة
ويذهب ملايين البشر ضحية هذا الغرق
واذا كان مقتراً فالقوم في رعب شديد
صغيرهم و كبيرهم يصيحون جزعاً
فاذا ما انطلق فالبلاد في عيد وكل فرد في هناء
هاهم أولاء القوم قد بدأوا يعزفون لك على القانون
ويصفقون لك بالايدي
وشبابك وأطفالك كلهم فرحون من اجلك وهم
جميعاً يحيونك اجمل تحية

من اغاني الولائم

ها هي شجرة الجميز الصغيرة
التي غرستها بيديها
تبدأ بالحديث
وكلماتها اشهى من العسل
جمالها رائع وظلها وارف
وهي انضر من البردى
وقد حملت فاكهة
أكثر حمرة من الياقوت
ولون اوراقها كالزجاج
وجذعها في صفاء البلور
وفي ظلها يتبرد الانسان
وهي ترسل خطابها مع الفتاة الصغيرة
ابنة البستاني الذي يتعهدها
وتوصيها ان تسرع الى حبيبتها
« تعالي وتريضي قليلاً في الحديقة
وسيجيئك الحشم التابعون لك
بألوان الغذاء
ها هم يحضرون اصنافاً شتى من الجعة
وانواعاً متعددة من الخبز
وازهار الامس وازهار اليوم
وجميع اصناف الفاكهة المنعشة
تعالي واقضي هذا العيد
وغداً وبعد غد
متفيئة في خلالي
وحبيبك يجلس الى يمينك
تخبي اليه الشراب
ثم اطيعيه في كل ما يقول
فانا من دأبي الصمت
ولا اتحدث ابداً بما ارى
ولا أثرثر »

محمود طاهر



الايام — ٧

بقلم الدكتور طه حسين

أستاذ الادب بالجامعة المصرية

(١٧) وأراد الله أن يشقى سيدنا بتلميذه شقاء غير قليل . فلم تكفه تلك الحوادث التي كانت تحدث من حين الى حين عندما كان الشيخ يمتحن الصبي · ولم تكفه هذه النكبات المتصلة التي نشأت عن عناية الصبي بحفظ الألفية وغيرها من المتون وجعلت الصبي ثقيلاً سمجاً يتعالى على أترابه وعلى سيده ويرى لنفسه مكانة العلماء ، ويعصي اوامر العريف · لم يكفه هذا كله ، بل كانت نكبة أخرى لم يكن الرجل ينتظرها حقاً وكانت أشد عليه من كل النكبات الاخرى لانها مسّته في صناعته · ذلك ان رجلاً من اهل القاهرة هبط الى المدينة في يوم من الايام على انهُ مفتش للطريق الزراعية · وكان هذا الرجل في متوسط عمره · وكان مطربشاً يتكلم الفرنسية وكان يقول انهُ تخرج من مدرسة الفنون والصنائع · وكان خفيف الظل جذاباً · فما لبث أن أحبهُ الناس ودعوه الى دورهم ومجالسهم . وما لبث ان اتصلت المودة بينه وبين اب الصبي · وكان قد رتب سيدنا في بيته يقرأ له سورة من القرآن في كل يوم وجعل له عشرة قروش في كل شهر وهو الاجر المرتفع الذي كان يدفعه وجوه الناس فكان سيدنا محباً لهذا الرجل مثنياً عليه · ولكن رمضان أقبل وكان الناس يجتمعون في ليالي رمضان عند رجل من اهل المدينة وجيه يعمل في التجارة وكان سيدنا يقرأ القرآن عند هذا الرجل طوال الشهر · وكان الصبي يرافق سيدنا ويريحه من حين الى حين بقراءة سورة او جزء مكانهُ · فقرأ ذات ليلة وسمعه هذا المفتش فقال لابيه : ان ابنك لشديد الحاجة الى تجويد القرآن · قال الشيخ : سيجوده متى ذهب الى القاهرة على شيخ من شيوخ الازهر · قال المفتش : فأنا أستطيع ان اجود له القرآن على قراءة حفص حتى اذا ذهب الى الازهر كان قد ألمّ باصول التجويد وسهل عليه ان يفرغ للقراءات السبع او العشر او الاربع عشرة · قال الشيخ : وهل انت من حملة القرآن ؟ قال المفتش : ومن المجودين ، ولولا اني مشغول لاستطعت ان اقرىء ابنك القرآن على الروايات جميعاً ولكني احب ان اخصص له ساعة في كل يوم فأقرئه رواية حفص وأدرس له أصول الفن واعده بذلك للازهر اعداداً صحيحاً · قال القوم : وكيف لمطربش يتكلم الفرنسية بحفظ القرآن ورواية القراءات ؟ قال المفتش : أنا ازهري تقدمت في دراسة العلوم الدينية الى مدى بعيد ثم انصرفت عنها الى المدارس فتخرجت من مدرسة الفنون والصنائع · قالوا : فاقرأ لنا شيئاً · فنزع الرجل نعليه وتربع ورتل لهم سورة

هود ترتيلاً ما سمعوا مثله . فلا تسل عن اعجابهم به واكبارهم اياه ولا تسل عما اصاب سيدنا من الحزن والغيظ فقد قضى الرجل ليلته وكأنهُ مصعوق

وأصبح الشيخ فأمر ابنهُ بأن يختلف الى بيت المفتش في كل يوم . وفرح الصبي بهذا فرحاً شديداً فأعاده على اترابه في الكتاب وتحدث به الصبيان . ولا تسل عن مقدار ما كان يترك هذا الحديث في نفس سيدنا من الحزن فقد نهر الصبي وأمر ألا يذكر اسم المفتش مرة في الكتاب

وذهب الصبي الى بيت المفتش واتصل ذهابه الى هذا البيت ، وأقرأه المفتش تحفة الاطفال وشرح له أصول التجويد ، علمه المد والغن والاخفاء والادغام وما يتصل بهذا كله . وكان الصبي معجباً بهذا العلم ، وكان يتحدث به الى اترابه في الكتاب وكان يبين لهم ان سيدنا لا يحسن المد ولا يتقن الغن ولا يعرف الفرق بين المد الكلمي والحرفي ولا بين المد المثقل والمخفف . وكانت اصداء هذا كله تصل الى سيدنا فتغمهُ وتحزنهُ وتخرجهُ احيانًا عن طوره

واخذ الصبي يقرأ القرآن على المفتش من أوله . واخذ المفتش يعلمه مواضع الوقف والوصل ، واخذ الصبي يقلد المفتش في ترتيله ويحاكي نغمه . واخذ يقرأ القرآن على هذا النحو في الكتاب . وجعل ابوه يمتحنه فاذا سمعه يقرأ على هذا النحو الجديد أعجب وطرب واثنى على المفتش . وما كان شيء يغيظ سيدنا مثل ما كان يغيظه هذا الثناء

وقضى الصبي سنة كاملة يتردد على هـذا البيت ويقرأ القرآن على المفتش حتى اتقن التجويد برواية حفص وكاد يبدأ في رواية ورش لولا ان حدثت حوادث وسافر الصبي الى القاهرة

أكان الصبي يحب الاختلاف الى هذا البيت لانه كان يعجب بالمفتش ولانهُ كان يحرص على اتقان القرآن وتجويده وعلى أن يغيظ سيدنا ويظهر التفوق على اترابه ؟ نعم في الشهرين الاولين من هذه السنة . فأما بعد هـذين الشهرين فقد كان يجذبهُ الى بيت المفتش ويحببه فيه شيء آخر . كان المفتش متوسط العمر قد بلغ الاربعين ان لم يكن قد جاوزها . وكان قد تزوج من فتاة لم تبلغ السادسة عشرة . ولم يكن له ولد . ولم يكن يعمر بيته الكبير الا هذه الفتاة وجدة لها قد جاوزت الخمسين . فأما حين بدأ الصبي يختلف الى هـذه الدار فقد كان يذهب ويعود دون ان يلتفت اليه احد غير المفتش . وما هي الا ان كثر تردد الصبي حتى اخذت الفتاة تتحدث اليه وتسأله عن نفسه وعن أمه وعن اخوته وعن داره واخذ الصبي يجيبها مستحيياً ثم متبسطاً ثم مطمئناً واتصلت بين هذه الفتاة وهذا الصبي مودة ساذجة كانت حلوة في نفس الصبي لذيذة الموقع في قلبه . وكانت ثقيلة على نفس هذه الشيخة وكان المفتش يجهلها جهلاً تاماً . واخذ الصبي يذهب الى دار المفتش قبل الميعاد ليظفر بساعة او بعض ساعة يتحدث فيها الى هذه الفتاة . وأخذت الفتاة تنتظره حتى اذا اقبل اخذتهُ الى غرفتها فجلست واجلسته وتحدثا . وما هي الا ان استحال الحديث الى لعب ، الى لعب كلعب الصبيان لا اكثر ولا اقل ولكنه كان لعباً لذيذاً . وقص

الصبي هذا كله على امه فضحكت ورثت للفتاة قائلة لاخت الصبي : طفلة زوجت من هذا الشيخ لا تعرف احداً ولا يعرفها احد فهي ضيقة الصدر في حاجة الى اللهو والعبث

ومن ذلك اليوم سعت ام الصبي في التعرف الى هذه الفتاة ودعتها الى البيت والى ان تكثر التردد عليها

* * *

(١٨) وكذلك اتصلت أيام الصبي : بين البيت والكتاب والمحكمة والمسجد وبيت المفتش ومجالس علماء وحلقات الذكر ، لا هي بالحلوة ولا هي بالمرة ولكنها تحلو حيناً وتمر حيناً آخر وتمضي فيما بين ذلك فاترة سخيفة . حتى كان يوم من الايام ذاق الصبي فيه الالم حقاً وعرف منذ ذلك اليوم ان تلك الآلام التي كان يشقى بها ويكره من اجلها الحياة لم تكن شيئاً وان الدهر قادر على ان يؤلم الناس ويؤذيهم ويحبب اليهم الحياة ويهون من امرها على نفوسهم في وقت واحد . كانت للصبي اخت هي صغرى ابناء الاسرة ، كانت في الرابعة من عمرها ، كانت خفيفة الروح طلقة الوجه فصيحة اللسان عذبة الحديث قوية الخيال ، كانت لهو الاسرة كلها ، كانت تخلو الى نفسها ساعات طوالاً في لهو وعبث ، تجلس الى الحائط فتتحدث اليه كما تتحدث أمها الى زائرتها وتبعث في كل اللعب التي كانت بين يديها روحاً قوياً وتسبغ عليها شخصية فهذه اللعبة امرأة وهذه اللعبة رجل وهذه اللعبة فتى وهذه اللعبة فتاة ، والطفلة بين هؤلاء الاشخاص جميعاً تذهب وتجيء وتصل بينها الاحاديث مرة في لهو وعبث واخرى في غيظ وغضب ومرة ثالثة في هدوء واطمئنان ، وكانت الاسرة كلها تجد لذة قوية في الاستماع الى هذه الاحاديث والنظر الى هذه الالوان من اللعب دون ان ترى الطفلة او تسمع او تحس ان احداً يرقبها

فما هي الا ان اقبلت بوادر عيد الاضحى في سنة من السنين واخذت ام الصبي تستعد لهذا العيد تهيىء له الدار وتعد له الخبز وألوان الفطير ، واخذ اخوة الصبي يستعدون لهذا العيد : يختلف كبارهم الى الخياط حيناً والى الحذاء حيناً آخر ، ويلهو صغارهم بهذه الحركة الطارئة على الدار فينظر صبينا الى اولئك وهؤلاء في شيء من الفلسفة كان قد تعوده . فلم يكن في حاجة الى ان يختلف الى خياط او الى حذاء ، وما كان ميالاً الى اللهو بمثل هذه الحركات الطارئة ، وانما كان يخلو الى نفسه ويعيش في عالم من الخيال يستمده من هذه القصص والكتب المختلفة التي كان يقرؤها فيسرف في قراءتها

أقبلت بوادر هذا العيد وأصبحت الطفلة ذات يوم في شيء من الفتور والهمود لم يكد يلتفت اليه أحد . والاطفال في القرى ومدن الاقاليم معرضون لهذا النوع من الاهمال ولا سيما اذا كانت الاسرة كثيرة العدد وربة البيت كثيرة العمل . ولنساء القرى ومدن الاقاليم فلسفة آثمة وعلم ليس اقل منها اثماً . يشكو الطفل وقلما تعنى به امه . . . وأي طفل لا يشكو ؟ انما هو يوم وليلة

ثم يفيق ويبل ، فان عنيت به امه فهي تزدري الطبيب او تجهله . وهي تعتمد على هذا العلم الآثم علم النساء وأشباه النساء . وعلى هذا النحو فقد صبينا عينيه : اصابه الرمد فأهمل اياماً ثم دعي الحلاق فعالجه علاجاً ذهب بعينيه . وعلى هذا النحو فقدت هذه الطفلة الحياة . ظلت فاترة هامدة محمومة يوماً و يوماً و يوماً . وهي ملقاة على فراشها في ناحية من نواحي الدار تعنى بها أمها او اختها من حين الى حين تدفع اليها شيئاً من الغذاء الله يعلم أكان جيداً ام رديئاً . والحركة متصلة في البيت : يهيأ الخبز والفطير في ناحية ، وتنظف المنظرة وحجرة الاستقبال في ناحية أخرى ، والصبيان في لهوهم وعبثهم والشبان في ثيابهم وأحذيتهم والشيخ يغدو ويروح ويجلس الى اصحابه آخر النهار وأول الليل

حتى اذا كان عصر اليوم الرابع وقف هذا كله فجأة . وقف وعرفت ام الصبي ان شبحاً مخيفاً يحلق على هذه الدار . ولم يكن الموت قد دخل هذه الدار من قبل ، ولم تكن هذه الام الحنون قد ذاقت لذع الألم الصحيح . نعم . كانت في عملها واذا الطفلة تصيح صياحاً منكراً ، فتدع أمها كل شيء وتسرع اليها . والصياح يتصل و يزداد ، فتدع أخوات الطفلة كل شيء و يسرعن اليها . والصياح يتصل و يشتد ، والطفلة تتلوى وتضطرب بين ذراعي أمها ، فيدع الشيخ أصحابه و يسرع اليها . والصياح يتصل و يشتد والطفلة ترتعد ارتعاداً منكراً و ينقبض وجهها و يتصبب العرق عليه فينصرف الصبيان والشبان عما هم فيه من لهو وحديث و يسرعون اليها . ولكن الصياح لا يزداد الا شدة . واذا هذه الاسرة كلها واجمة مبهوتة محيطة بالطفلة لا تدري ماذا تصنع . و يتصل ذلك ساعة وساعة . فأما الشيخ فقد أخذه الضعف الذي يأخذ الرجال في مثل هذه الحال فينصرف مهمهماً بصلوات وآيات من القرآن يتوسل بها الى الله . وأما الشبان والصبيان فيتسلون في شيء من الوجوم لا يكادون ينسون ما كانوا فيه من لهو وحديث ولا يكادون يستأنفونه ، ثم كذلك حيارى في الدار ، وأمهم جالسة واجمة تحدق في ابنتها وتسقيها ألواناً من الدواء لا أعرف ما هي . والصياح متصل مشتد والاضطراب مستمر متزايد

ما كنت أحسب ان في الاطفال ولما يتجاوزوا الرابعة قوة تعدل هذه القوة . وتأتي ساعة العشاء وقد مدت المائدة . مدتها كبرى اخوات الصبي وأقبل الشيخ و بنوه فجلسوا اليها ولكن صياح الطفلة متصل فلا تمد يد الى طعام وانما يتفرقون جميعاً وترفع المائدة كما مدت . والطفلة تصيح وتضطرب . وأمها تحدق فيها حيناً وتبسط يدها الى السماء حيناً آخر وقد كشفت عن رأسها وما كان من عادتها ان تفعل . ولكن أبواب السماء كانت قد غلقت في ذلك اليوم فقد سبق القضاء بما لا بد منه . فيستطيع الشيخ ان يتلو القرآن وتستطيع هذه الام ان تتضرع . ومن غريب الامر ان احداً من هؤلاء الناس جميعاً لم يفكر في الطبيب . وتقدم الليل وأخذ صياح الفتاة يهدأ وأخذ صوتها يخفت وأخذ اضطرابها يخف . وخيل الى هذه الام التعسة ان قد سمع الله لها

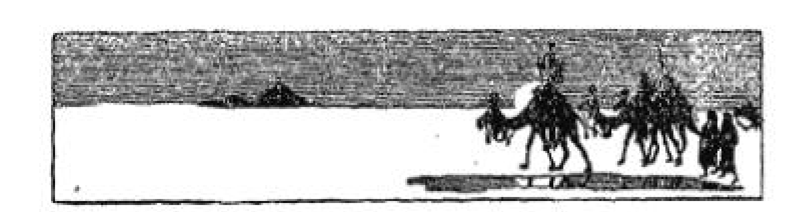
وزوجها وأن قد اخذت الازمة تنحل · وفي الحق ان الازمة كانت قد أخذت تنحل وان الله كان قد رأف بهذه الطفلة وان خفوت الصوت وهدوء هذا الاضطراب كانا آيتي هـذه الرأفة · تنظر الام الى ابنتها فيخيل اليها انها ستنام ، ثم تنظر فاذا هدوء متصل لا صوت ولا حركة وانما هو نفس خفيف شديد الخفة يتردد بين شفتين مفتحتين قليلاً ثم ينقطع هـذا النفس واذا الطفلة قد فارقت الحياة

ماذا كانت علتها ؟ – كيف ذهبت بحياتها هذه العلة ؟ الله وحده يعلم هذا

وهنا يرتفع صياح آخر و يتصل و يشتد . وهنا يظهر اضطراب آخر و يتصل و يشتد · ولكنه ليس صياح الطفلة ولا اضطرابها · وانما هو صياح هذه الام وقد رأت الموت ، واضطرابها وقد أحست الثكل · واذا الشبان والصبيان قد فزعوا الى أمهم وسبقهم اليها الشيخ واذا هي في جزع وهلع ينطلق لسانها بألفاظ لا صلة بينها و يقطع الدمع صوتها تقطيعاً ، واذا هي تلطم خديها في عنف متصل وزوجها ماثل أمامها لا ينطلق لسانه بحرف وانما تنهمر دموعه انهماراً ، واذا الجارات والجيران قد سمعوا هذا الصياح فأقبلوا مسرعين · فأما الشيخ فينصرف الى الرجال يتقبل عزاءهم في قوة وجلد وأما الشبان والصبيان فيتفرقون في الدار ، قد قست قلوب بعضهم فنام ورقت قلوب بعضهم فسهر · وأما الام ففيما هي فيه من جزع وهلع امامها ابنتها هامدة جامدة ، وهي تولول وتخمش وجهها وتصك صدرها ، ومن حولها بناتها وجاراتها يصنعن صنيعها يولولن ويخمشن الوجوه ويصككن الصدور حتى ينقضي الليل كله

وما اشد نكر هذه الساعة التي اقبل فيها بعض الناس واحتملوا الطفلة ومضوا بها الى حيث لا تعود · كان ذلك اليوم يوم الأضحى · وكانت الدار قد هيئت للعيد · وكانت الضحايا قد أعدت · فيا له من يوم ويا لها من ضحايا ! ويا نكرها من ساعة حين عاد الشيخ الى داره مع الظهر وقد وارى ابنته في التراب !

لها بقية — طه حسين



الدين والعلم

بقلم الاستاذ سلامه موسى

كان القرن التاسع عشر قرن الصراع بين العلم والدين . ولكن هذا الصراع عندما تنظر اليه بالنظر الحديث نجد انهُ كان قائماً على اشياء تافهة لا يبالي بها الآن رجل الدين ولا رجل العلم . فقد كان النزاع بين الاثنين في القرن التاسع عشر قائماً على التناقض بين ما ترويه الكتب الدينية عن خلق العالم ونظام الكواكب وصحة الروايات التاريخية ونحو ذلك . فكان العلم يقول قولاً ويقول الدين قولاً آخر

هذا النزاع القديم ليس فينا الآن من يبالي به . فان صحة القصة المروية عن يوسف ابن يعقوب مثلاً أو عدم صحتها لا تزعزع ايمان احد في اليهودية أو المسيحية . لان الدين لم ينحصر في هذين الدينين وانما هو يعم العالم ويتنوع عقائد وأفكاراً كما ترى في البوذية والاسلام والبرهمية وغيرها . فصحة الدين تقتضي النظر في روح هذه الاديان كلها واستخلاص لبابها والبحث بعد ذلك عما يتناقض في هذا اللباب مع العلم

ويبدو لنا ان الناس او بالاحرى العلماء يتجهون الآن نحو الدين وانهُ قد صار للنظر الديني حرمة عندهم لم يكن يشعر بها علماء القرن التاسع عشر . ونحن نعزو هذا الانقلاب الى رجلين اثنين هما كانط الالماني وبرجسون الفرنسي

فقد شرع كانط في ختام القرن الاسبق ينتقد الذهن الانساني ويقول انهُ لا يمكنهُ ان يقف على كنه الحقائق لانهُ لا يعرف الحقائق بالذات وانما يعرف صورها فقط كما تظهر له . فنحن نعرف الظواهر لا الحقائق . اي اننا لا نعرف الاشياء التي نراها في هذا العالم وانما نعرف الافكار التي تؤلفها اذهاننا عنها . فنحن بازاء العالم او الكون كالرجل في غرفته يتطلع من النافذة الى الشارع ويرى السابلة . فالنافذة هي واسطة التعارف بينهُ وبين هؤلاء السابلة . وكذلك حالنا نحن ايضاً في ادراك حقائق هذا الكون ننظر اليها عن سبيل اذهاننا ولا نتصل بها مباشرة فلا نعرف عنها الا ما ترتئيه هذه الاذهان عنها وما تكونهُ من الافكار . وبايضاح اكثر يمكن ان نقول : انني لا اعرف هذه الورقة ولا اقف على كنه حقيقتها وانما أعرف فقط فكرتي عن هذه الورقة

وقد كان من اثر كانط ان تزعزعت المادية في القرن التاسع عشر . وجاءت نظرية التطور في منتصفه . ومن ينظر اليها يعتقد لاول وهلة انها زعزعت الاديان لانها انكرت روايتها للخلق وهذا حق . ولكن يجب من جهة أخرى ان نذكر ان هذه النظرية قد اضعفت الثقة بالذهن الانساني لانها جعلته ناقصاً يتطور ويسير نحو الكمال . وما دامت الافكار هي عبارة عن العلاقة بين المادة

والذهن فان هذه الافكار تتطور ايضاً بتطور الذهن . فما نظنهُ حقائق انما هو افكار دائمة التطور . فصحتها هي على الدوام صحة نسبية غير مطلقة

وجاء برجسون في عصرنا الحديث فتناول من جهة اخرى هذا الموضوع اي استنقاص الذهن البشري وعدم كفايته لان يدرك حقائق الكون . و برجسون متفوع في نظرية التطور يسير فيها على هداية ولا يخبط . فهو يقول ان حياة الحيوان كما نستقريها الآن مقسومة الى قسمين من حيث اتصالها بالمادة أو من حيث الادراك وهذان القسمان هما :

١ حياة الحشرات التي تعتمد في الادراك على الغريزة بلا حاجة الى معرفة مكتسبة

٢ وحياة الانسان والحيوانات الراقية التي تعتمد على العقل المحتاج الى معرفة مكتسبة

وليس يشك احد في اختلاف الغريزة من العقل وانهما سبيلان مختلفان جد الاختلاف للاتصال بحقائق هذا الكون . ولكن لما كانت الاحياء كلها من اصل واحد قد نبعت وتفرعت منهُ فاننا نجد في جميعها بذرة الغريزة والعقل . ففي النملة او النحلة شيء طفيف من العقل كما ان في الانسان جراثيم الغريزة

والغريزة والعقل نشأ كلاهما لقضاء ضرورات الاحياء من طعام وتناسل ودفاع . ولكن العقل في الانسان قد عدا هذه الغاية من تزويد الانسان بحاجاته المعيشية الى البحث الفلسفي واستحال ذهناً صافياً يبحث عن حقائق الكون بغية المعرفة . وكذلك الغريزة يمكن ان تستحيل الى بصيرة وتكون عندئذ أصدق نظراً في استكناه الحقائق من الذهن

فالعقل المنزه عن الاغراض المعيشية قد استحال ذهناً

وكذلك الغريزة المنزهة عن الاغراض المعيشية تستحيل بصيرة

فبرجسون يقول ان اذهاننا لا يمكنها ان تقف على حقائق الاشياء لانها انما نشأت من العقل . وهذا العقل نشأ لكي يتناول المادة و يصبها في القالب الذي يهواه لمصالحه المعيشية . فهو اذا تنزه عن هذه الاغراض المعيشية صار ذهناً ولكن خصلتهُ الاولى تبقى فيه وهي تناول المادة وصياغتها فيصير ذهناً مخترعاً ولكنهُ لا يمكنهُ مهما ارتقى ان يبلغ سر الحياة . ولكن الغريزة تختلف منهُ في ذلك . فان الزنبور الذي يذهب الى يرقة احدى الحشرات و يلسعها بحيث تكفي اللسعة للتخدير دون الموت ثم يبيض فيها بيضه حتى اذا تفقأ البيض خرجت اولاد الزنبور وأكلت جسم اليرقة واغتذت منها هو اقرب الى سر الحياة بغريزته منا نحن بأذهاننا . فانه بلا معرفة مكتسبة يغرز حمتهُ في جسم اليرقة فلا يقتلها وانما يتصل بأعصابها بحيث يخدرها فقط . فكأنهُ على اتصال بهذه اليرقة وعلى معرفة لدنية بأعصابها يشبه اتصال اعصاب الانسان بامعائه . فهذه الاعصاب في الانسان تسيطر على الامعاء وتجعلها تهضم وتمثل بدون معرفة مكتسبة ولكن هذه السيطرة لا تقوم بالطبع الا بتآلف وتفاهم بين الاثنين . ولكن هذا التفاهم غريب عن اذهاننا لانهُ من نوع آخر . وكذلك التفاهم بين الزنبور

والبرقة او بين النحلة والمن الذي يحلبه فانهُ غريب ايضاً عن اذهاننا ولكنه يبين لنا ان هناك طريقة اخرى للمعرفة هي اخصر جداً من طريقة الذهن وهذه الطريقة هي طريقة البصيرة

ونحن نعيش ونخترع بذهننا ولكن في كل منا بذرة الغريزة لاننا استقينا من معين الحياة الذي استقت منه الحشرات · وان كانت الغريزة لم تقو فينا قوتها في الحشرات . فاذا اردنا ان نقف على كنه الحياة وسرها يجب ان نستخلص من غريزتنا « بصيرة » تتصل بها بالاحياء ونقف منها موقف الزنبور من البرقة او موقف النحلة من المن كما استخلصنا من العقل « ذهناً » نخترع به

فأداة الاختراع هي الذهن ولكن أداة الفلسفة هي البصيرة · لان الذهن هو العقل المنزه وغايته الاصلية معالجة المادة واكتساب المعرفة · ولكن البصيرة هي الغريزة المنزهة وغايتها الاصلية الادراك اللدني للاحياء بحيث يعرف الزنبور اعصاب البرقة كأن البرقة نفسها قطعة من جسمه هو نفسه وليست فرداً منفصلاً بعيداً عنه

ولكن كيف نستحدث هذه البصيرة في انفسنا ؟

يقول برجسون ان ذلك ممكن كما استحدثنا السباحة بعد ان نسيناها اي بالرياضة والمران و يقول ان الصوفية ليست في الواقع سوى النظر الى الكون بالبصيرة دون العقل

وأظن الى هنا اني اوضحت رأي برجسون · اما نجاح كل منا في ان يستخلص لنفسه هذه البصيرة الخارقة لاسرار الكون فهذا ما يجب ان يفحص كل قارىء نفسه فيه · انما اقول هنا ان سر الحياة عند برجسون هو الله نفسه وهو سر الكون كله

والى ان اهتدي الى هذه البصيرة البرجسونية اراني قانعاً بشيء آخر وهو ان انظر الى الدين كما انظر الى الادب مع التمييز بينهما و بين العلم · فالعلم يبحث في الكميات والمقادير والمقاييس والظواهر ولكن الادب يعالج الكيفيات والصفات و يستكنه الروح ويرمي الى غاية جمالية

العلم يرسم تخطيط القاهرة وشوارعها و يصف مناخها وعدد سكانها ولكن الادب (اذا كان الاديب رساماً) يصف لنا شروق الشمس في القاهرة · او هو يصف (اذا كان الاديب كاتباً) الامل الذي يعمر قلوب السكان وآلام نفوسهم و يأسهم ورجاءهم

فغاية العلم تخطيط وتقدير · وغاية الادب الجمال والاستكناه

والدين كالادب انما غايته الاخلاق · لان وسيلة الدين هي وسيلة الادب نفسه دون وسيلة العلم · فالعلم يقيس و يجرب ولكن الادب والدين كلاهما يعتمد على البصيرة · ولذلك فالعلم يقرر معتمداً على الذهن ولكن الادب والدين كلاهما يقترح و يتردد

وقد تكون هذه البصيرة التي نبصر بها الادب هي نفسها التي يقصد اليها برجسون و يقول انها خلاصة الغريزة المنزهة فاذا كانت كذلك فالاديب اذا عالج الاخلاق صار له الحق ان يعد نفسه من رجال الدين

سلامه موسى

قصة غرامية ابطالها ثلاثة :

الفرد دي موسيه . جورج ساند . الطبيب باجلو

بقلم الدكتور نقولا فياض

ان قصة الفرد دو موسيه الشاعر المشهور وجورج ساند الاديبة الفذة من اشهر القصص الغرامية الواقعية. وقد كان لها شأن في تاريخ الادب الفرنسي ودارت حولها مناقشات كثيرة . وفي هذا الفصل بيان لما اسفر عنه البحث في هذا الشأن [المحرر]

للدكتور كابانيس مباحث طلية يحاول فيها ازاحة الستار عن ماضي أصحاب الشهرة من أبطال وملوك وعلماء وغيرهم مستنداً في ذلك الى الكتب والجرائد والرسائل الخصوصية ما نشر منها وما لم ينشر مجتهداً ان يجعل من هذه الادلة ما يكون كالاعراض التي يبحث عنها الطبيب للوصول الى تشخيص الداء • فيقيم منها بناء محكماً لاخلاق الجيل وعاداته وحجة للتاريخ مدعومة ببراهين العلم وشواهد الاختبار

ومن هذه المباحث ما كتبه عن جورج ساند وحياتها الحبية أثناء اقامتها في ايطاليا مما بقي موضع الاختلاف ومثار الشك والظنون زمناً طويلاً كما سترى في سياق هذا الحديث

في عام ١٨٥٩ نشرت مجلة العالمين مقالة كان لها في أندية الادب صدى عظيم وهي حكاية غرام قصها احد أبطالها بعد موت ممثل الدور الاول فيها • أما الحكاية فهي كتاب « هي وهو » وأما المؤلف فهو جورج ساند

وقد أدرك الناس يومئذ أن القصة ليست خيالية وتلك الاسماء المستعارة تخفي أسماء معروفة فلم تكن تريز تريز ولم يكن لوران مصوراً بل شاعراً • وان سفرة ايطاليا غير مختلقة وقد أضاعت فيها تريز مالها وراحتها ولوران صحته وأحلامه • أما بطل الرواية الثالث « بالمر » فقد بقي مجهولاً وظن الكثيرون انه مصطنع لا أثر له في عالم الوجود

ولم يمض غير القليل على ظهور هذا الكتاب حتى نشر بول موسيه شقيق الشاعر الراحل كتاب « هو وهي » فجاء رداً قارصاً قاسياً حاول فيه أن يبرىء أخاه مما وصمته به جورج ساند وأن يلقي كل التبعة عليها

ومن يقرأ الكتابين يرى الغرض الاعمى متجلياً فيهما و يشعر أن الحقيقة ضائعة بين هذا وذاك وانه لابد للوصول اليها من وثائق جديدة غير التي ذكراها وهي الرسائل الخصوصية التي تبادلها العاشقان

على انه اذا كانت الغاية من كل هـذا الوقوف على أخلاقها واخلاقه فقد اتيح لنا ذلك فيما نشراه من نفثات أقلامهما فكلاهما شاعر ثائر قد أجرى في مداده الدمع والدم وكان كما قال مطران:

نشدا للغرام لم يشدُ الا كان انشاده نواحاً شجياً

ولم أر مثلهما عاشقين أباحا هيكل الاسرار وخلعا عن حبهما ثوب الحياء والتكتم وحاولا بكل وسيلة أن يكشفا للابصار جراح القلب الدامي كأنهما يستشهدان العالم على ما في نفسيهما من أحلام وآلام كانت ولم تزل ولن تزال طبيعة الانسان في كل مكان

ولكن العالم الأدبي مدين لهما أو بالاحرى لهذا الغرام الذي كان مصدر وحي والهام فافرغا به في قالب المنثور والمنظوم تلك الحياة القصيرة المملوءة: حباً وجمالاً والطافحة باللذة والألم. فجاءت كتبهما من أنفس ما جاد به خيال وابلغ ما خطه يراع

* * *

تعرّف موسيه الى ساند في وليمة عشاء أعدتها مجلة العالمين في أحد مطاعم باريس وقد قضى الاتفاق أن يكون جارها على المائدة فتجاذبا أطراف الحديث اثناء الاكل وبعده ثم افترقا على أمل اللقاء القريب ، ومن ذلك الحين أخذت أسباب الصداقة تستحكم بينهما وتعددت الزيارات و كثرت مواعيد الاجتماع · وقد خيل يومئذ للواقفين على تلك العلائق انها ستكون متينة العرى طويلة الاجل وان حباً كهذا لا سبيل للشقاء ان يخيم عليه ولا للكدر ان يصل اليه ولم يتبين احد ما في العاشقين من تنافر في الاخلاق والمشرب والعادات فضلاً عن اختلافهما في العمر · فقد كانت جورج في الثلاثين والفرد لم يتجاوز الربيع الثالث والعشرين عندما عقدا النية على السفر الى ايطاليا

هنا يبتدىء دور البطل الثالث لهذه الرواية في منتصف فبراير سنة ١٨٣٤ اصيب موسيه بحمى دماغية وهو في البندقية في نزل دانيلي فدُعي لمعالجته الطبيب الاقرب وهو شيخ بالغ من العمر عتياً فاراد ان يفصده فلم تطاوعه يداه المرتجفتان · وكانت ساند قبل ذلك بايام قد منيت بالدوسنطاريا فتذكرت الطبيب الشاب الذي عالجها وارسلت اليه هذه الكلمة :

عزيزي الدكتور باجلو

ارجوك الاسراع الينا مع طبيب آخر للنظر في حالة العليل الفرنسوي · ولا اكتمك اني اخاف على عقله اكثر مما اخاف على حياته فهو كالطفل يبكي ويتألم ويشكو ويحن الى بلده ويكثر من ذكر الموت والجنون · على انه كان قبل المرض رجلاً نادراً واسع التصور وهو شاعر معروف في فرنسا غير ان الاجهاد والخمر واللهو والنساء قد تركت اعصابه في حالة التهيج الشديد يتأثر ويغضب لغير ما سبب .

« ورجائي ان تعاملنا بالصداقة التي يستحقها الغريب مع المعذرة لضعفي في اللغة الايطالية »

فلم يتأخر باجلو عن المجيء وتولى معالجة الشاعر مستعملاً له المبردات من الخارج والمسكنات في الباطن وكان يعوده ليلاً ونهاراً فذات مساء بينما كان ساهراً على مربضه جلست ساند الى منضدتها وبقيت تكتب نحو الساعة ثم نهضت وقدمت الى الطبيب ما كتبت بعد أن وضعته في غلاف بلا عنوان فلم يفهم هذا لمن الرسالة او تظاهر بعدم الفهم فانتزعتها منه وكتبت عليها « الى البليد باجلو »

وكانت تلك الرسالة فاتحة الصداقة او بالاحري الحب الذي قضى على البقية الباقية في فؤادها نحو موسيه واضرم تلك المناظرة القلمية التي أشرت اليها في صدر هذه المقالة

وهأنذا ألقي الى القارىء هذه الرسالة الفريدة محافظاً في ترجمتها ، ما أمكن ، على فكرة المؤلف مع التصرف في بعض طرق التعبير تبعاً لمقتضيات التعريب :

« لا أدري وقد ولدت تحت سماء غير سمائك فاختلف فينا الفكر واللسان أيتشابه منا القلبان

« ان في نفسي شيئاً من الجو القاتم الفاتر الذي تركته ورائي فما تكون العواطف التي بين جنبيك وقد جادت عليك الشمس بأشعتها الحارة ؟ انا اعرف أن أحب وأتألم فكيف تحب أنت يا ترى ؟

« ان ضمة ذراعيك وحدة نظراتك واضطرام شهواتك تجذبني اليك وتقصيني عنك . فلا أعرف ان اكافح حبك ولا أن أشاطرك اياه . مثل هذا الحب لا نعرفه في بلادي . أنا لديك كتمثال ضئيل أنظر اليك بشوق وحيرة وجزع

« لا أعلم أتحبني حقاً ولن اعلم ابداً . فانك لا تكاد تلفظ كلمة من لغة قومي وأنا لا افهم حق الفهم لسانك . ربما كان من المستحيل ان اعرب عن عواطفي حتى ولو ملكت ناصية لغتك كما تملكها أنت

« ان التربية التي نشأنا عليها في بلاد مختلفة العادات والاخلاق توسع مسافة الخلف بيننا في الفكر والعواطف والحاجات . فطبيعتي الضعيفة ومزاجك الناري لا يلتقيان ، واني على يقين انك تجهل او تحتقر الآلام التي أقاسيها وربما أضحكك ما يبكيني

« وربما كنت لا تعرف الدموع

« اتكون لي سيداً أم سنداً ؟ أتواسيني في آلامي وتنسيني ما عانيته في آخر ايامي ؟ أتعرف الرحمة والصبر والصداقة ؟ قد تكون نشأت على اعتقاد ان النساء لا روح لهن ، أفتعلم ان لهن روحاً ؟

« قد لا تكون مسيحياً ولا مسلماً ولا بدوياً ولا حضرياً أفتكون رجلاً ؟

« ترى ما وراء نظرات الاسد التي ترسلها وماذا يخفي هذا الجبين السامي ؟ أهناك فكرة شريفة طاهرة ، عاطفة تقوى واخاء ؟ اتحلم وأنت نائم انك طائر الى السماء واذا دبت اليك عقارب الناس بالاذى أتؤمن بالله ؟

« أأكون رفيقة لك أم عبدة ؟ اتشتهيني ام تحبني ؟ اتعرف أن تؤدي لي الحمد اذا اجبتك الى ما تريد وعند ما أجعلك سعيداً ان تقول لي انك سعيد ؟

« أتعلم من انا او لا يهمك ان تعلم ؟ انا في نظرك مجهول يوحي اليك التفكر و يدفع الى البحث ام مرأة كغيري من اللاء يملأن دور الحريم ؟ وما تقول لي عيناك وهما يرسلان نوراً سماويا ؟ افلا تعربان الا عن رغبة شبيهة بتلك التي تصطفيها النساء ؟

« أتدرك ما هي رغبة النفس التي لا تعرف الملل ، واذا نامت الحبيبة بين ذراعيك أتبقى مستيقظا تنظر اليها وتصلي لله وتبكي ؟

« هل تنغمس بك ملذات الهوى الى النوم والغطيط ام تفتح امامك ابواب الاحلام الالهية ؟ اتعيش روحك بعد جثمانك عند ما تشبع من الحب ؟

كلما نظرت اليك ورأيت هذا الهدوء لا ادري أخلوّ الفكر ام انشغاله ، ولا استطيع ان ادرك ما وراء هذا الذبول في اجفانك ، أحنو ام تعب ؟

« لا اعلم شيئاً عن ماضيك وآراء الناس فيك . ربما كنت فيهم الاول او الآخر . احبك دون ان اعرف مبلغ احترامي لك . احبك لاعجابي وقد اكون مضطرة الى ان ابغضك يوماً

« لو كنت من وطني لسألتك وفهمتني . ولعلي اكون حينئذ اكثر شقاء لانك قد تخدعني اما الآن فلا سبيل الى الخداع ولن تعدني وعوداً باطلة ولن تقسم أيماناً كاذبة . ستحبني كما تعرف وتستطيع . نعم لا اجد فيك ما انشدته في سواك على غير طائل الا اني استطيع ان افتكر انك حاصل عليه . ان نظرات الحب وعناقه قد خدعتني من قبل فدعني أفسرها فيك كما اشتهي ولا تضف اليها الكلام الخادع . دعني اشرح سكوتك واحلامك كما يتراءى لي فاذا نظرت اليّ بحنو اقول هي نجوى النعس الى النعس واذا رفعت بصرك نحو السماء احسب افكارك تصعد الى وطنها الاول

« لنبق اذاً كما نحن . لا تعلم لغتي وانا لا اريد ان ابحث في لسانك عن الكلمات التي تعبر لك عن مخاوفي وشكوكي . اريد ان أجهل كيف تقضي ايامك وما هو الدور الذي تمثله بين الناس اريد ألا اعرف اسمك . احجب عني نفسك فاستطيع ان اؤمن ابداً بجمالها »

هـذه الانشودة السماوية كتبت في اقل من ساعة في حضرة الطبيب والشاعر بينما كان الاول سهران والثاني ينتفض من الحمى

بعد الاطلاع على هذه الرسالة الملتهبة الصادرة عن ذهن محموم لا يسع القارىء الا ان يزداد شوقاً الى معرفة الرجل الذي اوحى هذه المعاني السامية وهذا ما حدا بالدكتور كبانيس ان يرحل الى ايطاليا ليتثبت من صحة الرواية و يقابل ذلك الطبيب و يستقي منه ما ينقصه من الاخبار عن حقيقة تلك الصلات على ان خطته لم تكن خالية من العقبات لان الرجل كان جاهلا الفرنسوية ومصابا بالصمم بعد ان بلغ التسعين فضلا عن انه لم يكن يرضى الدخول في هذا الموضوع وقد ختم عليه بخاتم الصمت خمسين عاما . وكان الحديث كتابة والترجمان بينهما ابن باجلو الشاب وهوطبيب مثل ابيه واليك ما افضى به آخر الامر :

« لقد قيل انني نصحت موسيه بالرجوع الى فرنسا ليخلو لي الجو مع ساند وهذا محض افتراء فان موسيه اراد ان يسافر على الرغم من الحاحي عليه بالبقاء ، ولا سيما لانه لم يكن قد استرد قواه بعد ولا تم له الشفاء من الداء الذي كاد يودي به . وليس بصحيح انهُ كان مصاباً بالصرع ولكن ادمانه الخمر مهد السبيل لتلك النوب التي كانت تأخذه وساعدها عليه حدة مزاجه العصبي والاجهاد المستمر الذي استسلم اليه

« اما حياتي مع ساند بعد سفره فان ملخصها : تركنا نزل دانيلي واتخذنا مسكناً في احد احياء المدينة وكان اخي الصغير يقيم معنا وهو لا يفهم معنى تعلقي بساند لانها لم تكن في نظره فتانة الى هذا الحد . وما اكتمك أنها لذلك العهد كانت هزيلة الجسم جداً

ولما عرف ابي ما بيننا منع اخي من الاقامة معنا على ان حياتنا لم تكن وقفاً على اللهو والملذات . فان جورج ساند كانت تنفق جل وقتها في العمل ولا تبيح لنفسها من التسلية الا التدخين . وكانت مغرمة بالدخان الشرقي وتحب ان تلف السيكارة بيدها لها ولي . ولعلها كانت تستمد منها الوحي لانهُ كثيراً ما كانت تنقطع عن الكتابة وتنظر الى ذلك النقاب الشفاف المتموج الصاعد من فمها وهي ذاهبة في عالم الاحلام

« هناك وعلى هذه المائدة التي انا مستند اليها الآن كتبت « رسائل مسافر » وقصة « جاك » ولم اساعدها الا في بعض فوائد تاريخية عن البندقية واخلاق اهلها . وكانت ملمة باللغة التليانية ولكن لا الى درجة تمكنها من الكتابة في مجلاتنا على انهُ لم يكن لها متسع من الوقت لذلك وهي مضطرة الى مكاتبة مجلة العالمين

« وكانت تكتب من ٦ ساعات الى ٨ ساعات في اليوم وطالما جمح بها القلم فطال سهرها الى ما بعد منتصف الليل . ومن عاداتها ان تمضي في التأليف بلا توقف وتكتب من غير ان تمحو كلمة

« اما اخلاقها فالغالب عليها الصبر والتؤدة واللطف والعذوبة ، عذوبة لا حد لها فهي لا تعرف الغضب ولا الكدر وتراها راضية ابداً بما قسم لها

« وكانت لا تجهل اسرار الطبخ فتعد بيديها ما يلزم من الغذاء كلما قعد بنا الكسل عن الخروج الى المدينة وكانت تحب اكل السمك وتكثر من شرب الشاي

« ومن مزاياها انها كانت رسامة بارعة فقد لا ترى الانسان الا مرة واحدة حتى يكفيها ذلك لتصوره لك بجرة قلم

« ولما تركنا البندقية ذهبنا الى فيرونا وبحيرة كاروا فميلانو فجنيف فباريس حيث افترقنا ولم اقبل ضيافتها بوجه من الوجوه

« وقد زرت موسيه في باريس مراراً وكان استقباله لي حسناً كالعادة

« وكنت اقضي معظم اوقاتي في المستشفيات متتبعاً دروس لشفران وبروسه

« وقلما اجتمعت بساند اثناء اقامتي في باريس وقد ارسلت تدعوني مع مربي اولادها لقضاء زمن في « نوهان » فابيت وآثرت الرجوع الى بلادي

« ومنذ رجوعي انقطعت اخبارها عني الا بعض ما كنت اقرأه في الجرائد عن نجاحها . وما عرفت بموتها الا اتفاقاً »

* * *

الى هنا انتهى حديث الطبيب الشيخ وقد عرف كابانس من ابنه الشاب ان هـذا الهيكل المتداعي كان في صباه طويل القامة عريض الاكتاف جميل الوجه مشرق الذكاء وان افتتانه بساند كان لنبوغها ودماثة اخلاقها على انه افتتان عارض ما لبث ان تلاشى واصبح نسياً بعد عودته الى ايطاليا . وعرف منه ايضاً ان اباه كان اول من نشر في بلاده عملية لشفران لتكسير الحصاة في المثانة وانه جراح مشهور لم يترك المهنة الا منذ ثمان سنوات . وله المام بعلم طبقات الارض والاحافير وقد قرض الشعر في صباه وهو حتى الساعة لا يزال يتتبع حركة العلم والادب ويطالع الجرائد بسهولة على الرغم من كبر سنه اما رسائل جورج ساند فقد اكد انه حرقها ما خلا ثلاثاً لا يسمح بنشرها في حياته

لقد اطلع الناس على ما كتبه موسيه وساند ولم يبق صامتاً الا باجلو فكان احرص الثلاثة على كتمان السر واكثرهم اعتدالاً . ويمكن القول انه الوحيد الذي خرج من هذه الواقعة الغرامية دون ان تمس له كرامة

الدكتور نقولا فياض

الحروب القادمة

حاول الناس منذ زمن بعيد ان يسود السلم وتلغى الحروب . فألفوا « المحالفة المقدسة » ومحكمة الهاي وعصبة الامم . ولكن كل هذه المحاولات لم تعد تجدي ولا يمكن أمة ان تتعلق الآن بعصبة الامم وتعتمد عليها وتكف عن التأهب للحرب . فان الطبائع البشرية لا تزال بعد دون الكمال وهي ما دامت كذلك فان الحروب ستبقى

وحسب الانسان ان يعمل لحصر الحرب زماناً ومكاناً فلا تحدث الا قليلاً ولا يعم ضررها بحيث تصبح خطراً عظيماً قد يقضي على الحضارة . ويرى العارفون بالحرب المشتغلون بأسبابها ونتائجها ان الحروب تقل وان الامم تتوقاها اكثر اذا هي زادت فتكاً وكان فتكها سريعاً . ومن هؤلاء المفكرين المستر هارت وهو الذي يرى القارىء فيما يلي آراءه في هذا الموضوع الخطير

فهو يقول أولا باستحالة الغاء الحروب ما لم تتبدل الطبائع البشرية غيرها . واذا نحن سلمنا بذلك وجب ان نبحث عن طريقة نخفف بها ويلات الحروب . وأنجع طريقة لذلك انما تكون بجعل الحرب غاية في الفتك والسرعة حتى لا يكون القتال سجالاً بين المتحاربين فلا يتبين الظافر من المهزوم ويتمادى القتال . فان مثل هذا القتال الذي لا ينتهي بالمعركة الحاسمة يجرىء المتقاتلين على التمادي ويزيد بذلك عدد القتلى والجرحى وينشر الخراب المتواصل

فزيادة الآلات الفاتكة والمخترعات الحربية المختلفة ستقلل الحروب من ناحيتين :

أولاً بتخويف الامم من الحرب فلا تقدم عليها الا بعد تفكير طويل . وثانياً لانها لسرعة فتكها ستقرر النصر لاحد المتحاربين فلا تكون الخسارة بذلك فادحة لا في الارواح ولا في الاموال فتسلم الحضارة بذلك من التدمير المتواصل الذي تتمادى به السنون

ولذلك فالمنتظر في الحروب القادمة شيئان :

١ً ان الحروب لن تكون قتالا بين جيش وجيش او بين اسطول واسطول بل بين أمة وأمة

٢ً ان كل سلاح مهما كان نوعه سيكون مشروعاً

وذلك لان غاية الحرب الاولى ستكون ايهان عزيمة الامة ومتى وهنت عزيمة السكان في عصرنا الديمقراطي هذا فانهم يضطرون حكومتهم الى التسليم بشروط الفريق المنتصر . ولكن

ايهان عزيمة الامة يحتاج الى استعمال كل سلاح · ولبيان ذلك نقول

غاية الحرب : ايهان عزيمة الامة

اذا نحن استقرينا تاريخ الحروب الفاصلة الكبرى التي تقرر فيها مصير الدول وجدنا ان النصر كان على الدوام حليف القائد الذي يرمي الى هزيمة الامة وكسر قلبها وايهان عزيمتها لا الى هزيمة الجيش · وذلك لان ارادة الحرب قد تبقى في الامة مع فناء جيشها أو هزيمته اما اذا انهزمت هذه الارادة فان الجيش تزول قيمته وتكف الامة عن تموينه

ولننظر في مثالين عظيمين من التاريخ يؤيدان نظريتنا : فالمثال الاول هو هني بال القائد الفينيقي الذي خرج من قرطاجنة لقتال الرومانيين وبلغ ايطاليا وهزم الرومانيين عدة هزائم متوالية ولكن عزيمة الرومانيين لم تهن لأن رومية عاصمتهم بقيت لم تحتفظ بحكومتهم وتلم شعثهم وتقوي قلوبهم · ثم عمد شيبيو الى هزيمة القرطاجنيين فترك هني بال وقصد الى قرطاجنة نفسها ودمرها فتشتت الفينيقيون ورجع هني بال عن ايطاليا يبغي مدافعة العدو عن بلاده ولكن فاتته الفرصة ومات طريداً في آسيا الصغرى · فمن ذلك نرى أن جميع انتصارات هني بال في ايطاليا لم تنفعه شيئاً عندما وهنت عزيمة القرطاجنيين بتدمير عاصمتهم

ثم هذا مثال نابليون أيضاً فانه احرز من الانتصارات ما لم يحرزه قائد غيره في العالم ومع ذلك فان كل هذه الانتصارات لم تجده شيئاً في سنة ١٨١٤ عندما استولى العدو على باريس فوهنت بذلك عزيمة الفرنسيين واضطر نابليون الى أن يخرج من الحكم وينفي نفسه الى جزيرة البا

فهذان المثالان يدلان على أن الهزيمة الفاصلة هي هزيمة الامة وليست هزيمة الجيش · ولو أن الالمان استطاعوا في أول الحرب الاستيلاء على باريس لكان النصر معقوداً لهم

كل سلاح مشروع

الناس مفطورون على كراهة البدع · وابن الحرفة اكثر الناس كراهية للطرق الجديدة في حرفته لانها تنافي ما الف · فاكثر الناس شكا في قيمة الدواء الجديد هم الاطباء واكثر الناس توجساً من آلات الفتك الجديدة في الحروب هم القواد والضباط · وعندما ظهرت البنادق واستعملت في الجيش كان بيار القائد الفرنسي يعاقب الاسرى الذين يحملون البنادق ويتهمهم بقلة المروءة وضعف النجدة لانهم لا يستعملون القوس والنشاب والحراب · فكان ينظر الى هؤلاء الجنود كما ينظر الآن الانجليز الى ضباط الغواصات او الى الجنود الذين يقاتلون عدوهم بالغازات

ولكن البنادق استعملت على الرغم من تحريم يار لها وجعلت مدة القتال اقصر مما كانت ايام القوس والنشاب . وكذلك على الرغم من تحريم الغواصات فان الغواصات ستبقى وستقاتل الامم بعضها بعضاً بها وبالغازات والطيارات وبكل ما يعتقد القواد الآن انه يجب تحريمه . وذلك لانه ما دامت الغاية هزيمة قلب الامة فلا بد من استعمال اي سلاح لبلوغ هذه الهزيمة باسرع وقت واقل نفقة في المال والارواح

فالامم الآن لا يقاتل بعضها بعضاً لكي تمحو احداها الاخرى لان المحو فضلاً عن انه لا يقره الرأي العام المتمدين فانه لا ينفع الامة المنتصرة لاشتباك مصالح الامم كلها بحيث ان الظافر يجب ان يراعي مصالح المهزوم

الجيوش والاساطيل لا فائدة منها

اذا تقرر ان الغاية من الحرب هي هزيمة الامة وجب ان يتقرر ايضاً عدم فائدة الجيوش والاساطيل الحاضرة . فقد رأينا في الحرب الكبرى ان جيوش الحلفاء وقفت امام جيوش الالمان وحلفائهم وابتنى كل منهما حواجز من الخنادق امتنع بها النصر لأي فريق . وانما جاء النصر في النهاية عندما وهنت عزيمة الامة الالمانية بالحصار الذي اجاعها واشعر الجنود بسوء التموين

والاسطول اعجز من الجيش في تقرير النصر لانه لا يمكنه مهاجمة قوى الدفاع في البر

ولكن الجيش بمشاته وفرسانه سيتطور قريباً الى جيش مؤلف من الدبابات وهذه سيقضى عليها بعد ذلك بالغازات والطيارات. اما الاسطول فانه سيتطور قريباً ايضاً الى عمارات صغيرة من الغواصات للحصار ومنع التموين عن الامة المحاربة . ولكن فائدتها ستكون مع ذلك محدودة لان الطيارات يمكنها أن تقوم بهذا العمل نفسه بأقل كلفة

حرب المستقبل : غازات وطيارات

ان الجيوش يتوقف تنظيمها على كثرة مواصلاتها فاذا عمدت الطيارات الى هذه المواصلات فاتلفتها فان الفوضى تنتشر باسرع وقت في الجيش . واذا فرضنا ان هذا الجيش مؤلف من دبابات فان الغازات الخانقة تضطر من فيها الى تركها والفرار من الميدان . وواضح ان المحرك الذي تسير به الدبابة يحتاج الى الهواء فالغازات تنفذ الى جوفه حيث الضابط المحارب أو المهندس الذي يديره . واذا فرضنا ان من فيه من الجند يحرسون أنفسهم في غرفة محبوكة يتنفسون من انابيب الاكسجين و يتقنعون مما يتسرب اليهم من غازات سامة فان الطيارات من فوق تستطيع تدمير

أقوى دبابة ثم انه يمكن عرقلة سير الدبابات بطرق شتى · دع عنك ان التحفظ من غاز بعينه لا يعني التحفظ من سائر الغازات

فالطيارات والغازات ستستعمل في الحروب القادمة بكثرة عظيمة · فالطيارات تغير على المدن في الليل فتروع السكان وتوهن عزائمهم والغازات تطلق على السكان ايضاً اما لايلامهم او لقتلهم · ويجب ان نتذكروا ان سلاح الغازات من اقوى الاسلحة التي ابتكرها الانسان · فالسيف يجرح او يقتل وقت ان يتناوله المقاتل و يقاتل به · ولكنهُ متى اغمده بطل عمله والقنبلة او الخرطوشة تخرج من المدفع او البندقية فتقتل او تجرح او تدمر اذا اصابت انساناً أو بناء · ولكن اذا ترك المدفع او البندقية فان أذاهما للعدو يبطل · أما الغازات فانها على خلاف ذلك : فهي تشبه الجسم الحي من حيث بقاء فعلها بعد اطلاقها بمدة لانها تتسرب الى كل مكان وتربض فيه بمالها من كثافة تزيد على كثافة الهواء فتدخل المنازل وتتسرب الى الزوايا والخزائن وتؤذي كل من يقترب منها وقد يبقى فعلها هذا اياماً بل اشهراً لا يزول الا اذا أطارتها الريح من مكانها او طهرت المنازل منها غرفة غرفة بالمراوح القوية

وقد تخترع غازات تكون خفيفة الاذى ولكنها تكون مع ذلك شديدة الالم بحيث لا يمكن الانسان ان يطيقها فتحتاج الامة الى طلب الصلح

اما الطيارات فقد رأينا من ترويعها السكان مدة الحرب شيئاً كثيراً وكذلك عاينا من الخسائر الفادحة التي احدثتها في غاراتها على لندن مثلا ما يمكننا ان نتصور معه الحالة المريعة القادمة للحروب عندما تكثر هذه الطيارات وتغير على المدن بالآلاف · ففي مدة الحرب اغار الالمان على لندن بـ ١٣ بلوناً و ١٢٨ طيارة والقت كلها من القنابل ما لا يزيد وزنه على ٣٠٠ طن فكانت النتيجة ان شب ٢٢٤ حريقاً ودمر ١٧٤ عمارة تدميراً كاملاً ودمر بعض التدمير ٦١٩ عمارة أخرى · وبلغ مجموع الخسائر من هذه الغارات مليوني جنيه

وخلاصة القول ان الحرب في المستقبل ستكون في أيدي العلماء والمهندسين وانها ستعتمد على شيئين هما الغازات والطيارات ولن تكون الحروب بين الجيوش بل بين الامم لان الغاية من الحرب ايهان عزيمة الامة حتى تطلب الصلح بأي ثمن

اعترافات مدمن على الـكوكايين

صفحة أخرى

نشرنا في العدد الرابع من الهلال فصلاً من هذه الاعترافات الحقيقية مكتوباً بقلم شاب عرفناه ذكر فيه كيف تعود الكوكايين وما جرته اليه هذه الآفة من مساوىء واضرار . ولما ناله ذلك الفصل من الاقبال والعناية من القراء طلبنا الى كاتبه أن يتحفنا بفصل آخر [المحرر]

أوقعني عشراء السوء في شراكهم وعلموني استعمال الكوكايين فشعرت بما يشعر به الكثيرون في أول عهدهم به من لذة عقلية ونشاط فكري وانتعاش جسماني ساعدني على القيام بأعمالي خير قيام وبخاصة الاشغال العقلية فاندفعت في تياره وأنا أجهل مضاره وما سيؤول اليه مصيري وما سيحل بي من شقاء وخراب لأن ذلك كان في أول عهد انتشاره بمصر

قلت اني كنت أشعر في أول عهدي به بما يشعر به الكثيرون ابان تعاطيهم اياه ، ذلك لأن تأثيره يختلف باختلاف الناس وتباين أمزجتهم

فنهم ـ وهم القليلون ـ لا يؤثر فيهم الكوكايين تأثيراً ما فاذا ما تناولوه ـ ولو بكثرة ـ فكأنهم لم يتناولوا شيئاً

ومنهم من يشعرون عقب تناوله بتأثيره السيء من هموم واكدار واضطراب في الاعصاب وألم في القلب وقلق في الفكر وأوهام وتصورات وما الى ذلك

فهؤلاء وهؤلاء ممن يغبطون على انهم خلقوا هكذا لا يتأثرون بالكوكايين التأثير المنعش الذي يقتاد الى الخراب والشقاء وانحطاط القوى العقلية واضمحلال الصحة . فهؤلاء الذين خصتهم الطبيعة بهذه الميزة لايندفعون في تعاطيه لانهم سلموا من مغرياته اذ لا يشعرون بلذة تدفعهم الى الاسترسال فيه وادمان تعاطيه

ولكن الويل كل الويل لمن يشعرون عند أول استعماله بتلك (اللذة) التي كنت أشعر بها فهي لذة سحرية غريبة لا مثيل لها ولا يستطيع أن يسلوها كل من تذوق حلاوتها ولو مرة واحدة في حياته ، تلك الحلاوة التي جعلتني أقول عن الكوكايين أولا (انه السعادة في زجاجة)

ومن الغريب انها في حد ذاتها لذة بريئة راقية عقلية اخلاقية توقد الفكر وتحرك في الانسان أرق العواطف وأشرفها . يتحول الشرير بقوة سلطانها الى وديع كريم الشيم وتدفع بالانسان الى العمل والتفانه دون أن يتطرق الملل الى النفس أو الجسم

و يعلو الكوكايين احياناً بخيال متعاطيه الى خلق المشروعات الكبيرة في حين انه يقعد بالهمة و يضعف الارادة فتبقى تلك المشروعات مستقرة في عالم الخيال

* * *

تدوم تلك اللذة شهرين أو ثلاثة على الاكثر ثم يأخذ الجسم في التعود على الكوكايين شأنه مع كل دواء نافع او ضار فيضطر متعاطيه الى الاكثار من كمياته ابتغاء اللذة ولكنه لن يشعر بشيء منها مهما ضاعف كميات ما يتناوله منه . و يعقب هذا الدور الاول ـ دور اللذة والانتعاش ـ ظهور انحطاط في الجسم وتأخر في الصحة وألم في القلب واضطراب في الاعصاب وقلق في النفس وهموم تتراكم هذا الى ضعف الذاكرة والارادة بل تلاشيهما

واشد من هذا كله تطرق الضعف الى القوى العقلية نفسها فيهمل الانسان أشغاله فتسوء أحواله وترتبك اموره ويهوي الى آخر درجات البؤس والشقاء

ولم يكن هذا الشر معروفاً للناس في مصر قبل الحرب العالمية ولم يكن منتشراً في انحاء العالم قبلها انتشاره الآن

انه أخذ ينتشر بمصر في الوقت الذي كانت السلطة العسكرية تضيق على الناس شرب الخمور وتقلل من مواعيد بيعها في الحانات راحة للجنود ومنعاً لوسائل الانحطاط عن الجيش ومحافظة على الامن

فهل هناك علاقة بين هذين الامرين : تقييد شرب الخمر وانتشار الكوكايين وغيره من المكيفات مثل المورفين والهورين ؟ هذا ما اترك تحقيقه الى علماء الاجتماع ولكن الذي يرجح عندي ارتباط هذين الامرين هو انتشار المخدرات والمكيفات في الولايات المتحدة الاميركية عقب تحريم بيع الخمور وتعاطيها . و يظهر أن النوع الانساني صار لا يستطيع ـ وهذا من دواعي الاسف ـ أن يعيش بلا مكيفات . ولهذا ترى المكيفات البسيطة مثل القهوة والشاي والدخان والخمر منتشرة في جميع أنحاء العالم و بين جميع الشعوب و يدل التاريخ على انها كانت كذلك منذ اول نشأة الانسان وتمييزه من بقية الحيوانات . واذا ألقينا نظرة الى المكيفات من الوجهة الكيماوية نجد انها جميعها من مورفين و كوكايين وهورين وحشيش وكافيين (أي خلاصة القهوة) وتيين (اي خلاصة الشاي) ونيكوتين (أي خلاصة الدخان) وغيرها قريبة التركيب وكلها من فصيلة واحدة ذات وظيفة كيماوية واحدة تسمى « Alcaloïde »

فهل لحضرات الكيماويين البيولوجيين ان يلقوا بعض النور على هذه النقطة الغامضة من العلم ؟

* * *

نرجع الى الكوكايين فنقول انه بلغ من شغف سكان اميركا الوسطى الاصليين وهي التي تنبت

فيها شجرة (الكوكا) انهم كانوا يقدسون هذه الشجرة و يعبدونها وهم يمضغون ورقها فيستحلبون منه مادة الكوكا التي استخرج منها الكيماويون في عصرنا هـذا خلاصتها وسموها الكوكايين ـ أي خلاصة الكوكا ـ وما زال سكان هـذه البلاد يستعملون ورق شجرة الكوكا على تلك الصورة فيحصلون بذلك على بعض خواص الكوكايين مخففة من انتعاش خفيف في النفس وراحة في البدن واحتمال الجوع والجلد على المتاعب والقيام بالصعب من الاعمال . ولهذه المناسبة نقول ان احد شعراء الانكليز نظم قصيدة مدح فيها الكوكا وكان قد زار تلك البلاد ويمكن الاطلاع على هذه القصيدة في دائرة المعارف البريطانية عند الكلام على الكوكا . والكوكا هذه التي مدحها الشاعر الانكليزي لا تذكر مضارها بجانب مضار الكوكايين الذي هو خلاصتها . ومهما تكن اسباب انتشار الكوكايين والمخدرات بين الناس فانه كان قبل القانون الجديد منتشراً في البلاد المصرية والقاهرة على الخصوص انتشاراً مريعاً فقد كان يباع علناً في معظم متاجر الدخان بالازبكية والسيدة وبولاق وغيرها من أحياء العاصمة وكان اكثر باعة السجاير المتجولين يحملون هذه المادة و يعرضونها على كل من يتوسمون فيه تعاطي هذا المكيف بل كادوا يعلنون عنه بصوت جهوري (كوكايين مورفين من كل صنف عال العال)

وكان اكثر ما يباع في أول الحرب مما كان مخزوناً منه في البلاد من الصنف الالماني وعلى الاخص الوارد من معمل (مرك) ولما ان ضيق الحلفاء الحصر البحري على المانيا كثر ورود بعض أصناف فرنسية وانكليزية على الاخص . وكانت تصب على البلاد كميات هائلة من صنف انكليزي من معمل اسكوتلاندي يدعى (ماكفولن) ولما انتهت الحرب وعادت المعاملات مع المانيا عاد معها الصنف الالماني المتقدم الذكر الذي يعده المدمنون اجود صنف من اصنافه لانه اسرع اهلاكا للجسم والعقل

والسبب في ان الصنف الالماني ارقى من غيره في نظر هواته هو انه أنقى الاصناف الاخرى فان ما تصنعه المعامل الفرنسية والانكليزية مثلاً تستخرجه من الكوكا رأساً فتبقى مخلوطة به بعض عناصر ومواد نباتيـة . ولكن الالمان نظراً لتقدم الكيمياء عندهم توصلوا الى تركيبه من مواد كيماوية أخرى فيكون نقياً جداً و بالتالي اكثر فتكاً

* * *

ولما أنذر صاحب السعادة حكمدار القاهرة الناس في ندائه بالخطر الذي يتهدد البلاد من جراء تعاطي أبنائها الكوكايين وقامت الحكومة فسنت ذلك القانون الذي نقل جريمة بيع المواد المخدرة من درجة المخالفات البسيطة الى مرتبة الجنح وشدد العقاب عليها بدأت الحال تتغير وتحسنت فعلا فقد ضبطت ألوف ممن كانوا يتعاطون او يتجرون بالمواد المخدرة واحيلوا الى

المحاكم حتى أصبحت جلسات محاكم الجنح نصف قضاياها الاسبوعية يتعلق باحراز المواد المخدرة والاتجار بها

على أن السبب في تخفيف وطأة هذه السموم لم يكن القانون الجديد وصرامة العقوبة فحسب بل هو ما كان يأتيه رجال البوليس من كيفية تنفيذ هذا القانون . فانهم كانوا ينفذونه في الواقع بطريقة مخالفة للقانون العام والدستور بل ومعاقب عليها وذلك بأن كان المخبرون السريون المنبثون في الشوارع يفتشون المارة وعلى الاخص من كانت تقع عليهم نظرات اشتباههم . ومن كانوا يعثرون على شيء من هذه المواد في جيوبه يقودونه الى حيث ينفذ فيه القانون

كانت هذه الوسائل سبباً في أن قللت من انتشار هذا الوباء وقضت على جزء كبير من تجارته

* * *

واتقاء لهذا الخطر الداهم كان التجار ومستهلكو هذه المواد يعملون على ابتكار حيل غريبة لاخفاء هذه المواد عن أعين البوليس وأول ما استخدموه من الحيل الامتيازات الاجنبية لان القانون الجديد لا يسري على الاجانب فالتجأ التجار الى أجانب يحتمون وراءهم ليدفعوا بهم عن أنفسهم غائلة البوليس فضلاً عن التجار الاجانب الحقيقيين الذين اتخذوا من الاتجار بهذه المواد سبيلاً الى تسميم النشء . ومن الحيل التي لجأ اليها المستهلكون انهم كانوا يجوفون عصيهم ويضعون فيها ما يستحوزون عليه ذخيرة من تلك المواد وبعضهم كان يضع ما يشتريه في طيات ثيابه الداخلية او تحت جلدة طربوشه او في حذائه او بين طيات ربطة رقبته (كرافته) . وبعضهم كان يشتري قطعة من الصابون الرطب ويجوفها ويضع داخلها الزجاجة ثم يسدها . او يضع ما يملكه منها داخل ورقة في غلاف ويكتب عليه من الخارج عنواناً ولزيادة تضليل البوليس ومنعاً لكل شبهة كان يضع طابع بريد على الغلاف . وهاتان الحيلتان مما كنت ألجأ اليهما عادة على أني لما اشتدت وطأة مراقبة البوليس كنت أدفع الى التاجر ثمن ما أرغب شراءه وأشترط عليه ان يسلمني ما اشتريته منه في محل سكني فيرسل الي رسولاً يكون أجنبياً في الغالب للقيام بهذه المهمة بحيث كنت لا أمر في الشوارع حاملاً شيئاً من الكوكايين الا نادراً

جملة القول ان هذا القانون أفاد فائدة تذكر وان لم تكن كل الفائدة المرجوة . ذلك لان اكثر من ضبطوا من مدمني المخدرات سجنوا ولا يظن القارىء أن السجن هو العلاج الانجع لاصلاح ضحايا المكيفات فانهم وان كانوا حقيقة ينسونها مدة اقامتهم في السجن الا ان السجن يسيء اليهم أدبياً ويسد في معظم الاحوال أبواب الارتزاق الشريف في وجوههم لانهم يصبحون من ذوي السوابق الذين لا يرغب الناس في استخدامهم

ويمكن القول اجمالياً ان استعمال المكيفات وخصوصاً الكوكايين قل كثيراً بين الطبقة الدنيا

وانحصر الآن في طائفة من الطبقتين الوسطى والعليا وهؤلاء ليسوا بالمدمنين غالباً بل يلجأون اليه أحياناً عند شربهم الخمر ذلك لان الكوكايين يخفف كثيراً من تأثيرها و يبقي من السكر دون أن يمنع لذته

اما تأثير القانون الجديد في التجار فانه كان أقل من تأثيره في المدمنين . فقد ظهر أن القبض عليهم كان اقل من القبض على المدمنين لان التاجر ينفق عن سعة في سبيل التستر على تجارته الاثيمة

اما المدمنون فنظراً للونهم الشاحب وملابسهم الرثة وسحنتهم الخاصة بهم يسهل على رجال البوليس أن يتصيدوهم بسهولة . وفوق ذلك فان الربح العظيم الذي يعود على التاجر من هذه التجارة الممقوتة يجعله لا يبالي بالسجن فبمجرد خروجه من السجن يعود غالباً الى ما كان فيه

وقد حكم على بعضهم ثلاث مرات ومع ذلك تراهم لا يزالون يبيعون الناس هذه السموم (اللذيذة) فتعديل القانون المقترح الآن وتشديد العقوبة يجب أن يكون خاصاً بالتجار دون المدمنين المستهلكين . على أن تشديد العقوبة ومراقبة البائعين لا يكفيان لاستئصال هذا الداء بل يجب على الحكومة المصرية ان تراقب الموانىء والحدود أشد مراقبة وتفتش القادمين والبضائع الواردة أدق تفتيش وعلى الاخص بحارة السفن وضباطها حتى الحربية منها ولو كانوا ينزلون الى البر لمجرد النزهة وزيارة الثغور التي ترسو مراكبهم عليها

* * *

والاهم من هذا كله بل الاوجب هو أن تتحد الحكومات على محاربة المخدرات وهي في مصادرها وأعني بذلك أنه يجب عليها مراقبة المعامل الكيماوية التي تصنع هذه المواد وسن قوانين دولية شديدة لحصر صنع هذه المواد في دائرة الضروري منها للطب

وعلى ذكر جمعية الامم أذكر أني قرأت في الجرائد الاوربية في العام الماضي أنه بينا كان مجلس جمعية الامم منعقداً في جنيف يبحث عن الوسائل الفعالة التي يجب اتخاذها لمكافحة انتشار المخدرات وبينا أعضاء الجمعية منهمكون في وضع تشريع دولي لوضع حد لهذه الآفات داهم رجال بوليس تلك المدينة (أي جنيف) ذات ليلة أحد الاماكن فوجد فيه قوماً يتناولون الكوكايين وبينهم احد اعضاء تلك الجمعية ومعه كية وافرة من هذا المكيف . ولعله كان يستنشقه للوقوف على تأثيره واضراره !!

* * *

تسعة أعوام هي خير سني حياتي قضيتها مصاباً بهذا الداء اللعين لم أشعر خلالها بلذة وهناء الا نحو ثلاثة أشهر ثم اعقبها ما اعقبها من آلام وعذاب ويؤس وشقاء وضياع مركزي الادبي والاجتماعي وانحطاط صحتي وضعف قواي العقلية وتراكم الهموم عليّ وأوهام تسلطت على فكري

حتى كادت تزج بي في مستشفى المجاذيب . وأذكر على الاخص الخوف المريع من الحشرات والزحافات وما كان يخيل اليَّ من أن جسمي وعلى الاخص رأسي غدا مسرحاً تمرح فيه وكيف كنت اقضي أيامي ولياليَّ في حلق شعري بالموسى او حرقه بالنار وغسل الجلد بصبغة اليود وما كان يتخلل ذلك أحياناً من تصورات فيها شيء بسيط من المسرة كسماع همس اصوات وتأوهات نسائية في الغرف المجاورة لي ليلاً كانت تحرك عواطفي ، الى ان مَنَّ الله عليَّ بعلة تحتاج الى عملية لم أرَ بداً من دخول أحد المستشفيات وبقيت فيه نحو الشهر فخرجت سليم الجسم والعقل لاني نسيت هذا المكيف القاتل واقلعت عن استعماله أثناء وجودي بالمستشفى وكان يخيل اليَّ قبل ذلك كما يخيل لجميع مدمني الكوكايين أن من الصعب جداً الاقلاع عنه ولكن اتضح لي ان الامر على عكس ذلك . فقد قضيت الاسبوع الاول تقريباً متألماً بآثار العملية منهوك القوى من نتائج البنج فلم افكر في الكوكايين

وفي الاسبوع الثاني وان كانت وطأة الالم من العملية والبنج خفت الا أن ذلك كان بالتدريج بحيث اني ظللت لا افكر في ذلك المكيف . وانتهى بي الحال الى نسيانه كلية

ومما لا يفوتني ذكره من باب تقرير الحقيقة أني ظللت منذ اقلاعي عن تعاطيه أحلم أحياناً بأني أستعمله واشعر في الحلم بما كان يحتوربي من كدر وألم في القلب واضطراب في الاعصاب من جراء استعماله فأستيقظ مذعوراً ولكني أحمد الله ان كان الامر حلماً لا حقيقة

غير أني أصارح القراء بأني كنت اضعف واجبن امام الكوكايين حينما كنت أراه ـ بعد اقلاعي عنه ـ وحدث للاسف اني تعاطيته نحو ثلاث مرات تحت ضغط اخوان السوء

ك . ك .



حول سيناء

جهود عالم سويسري اقام فيها نحو نصف قرن

هو المسيو الفرد كايزر Alfred Kaiser من مدينة اربون Arbon بسويسرا وُلد في ١٢ أغسطس سنة ١٨٦٢ فهو اليوم يبلغ من السن الخامسة والستين ـ قضى أغلبها في خدمة العلم والاستكشاف في بلاد الشرق لا سيما شبه جزيرة سيناء فقد منحها من عنايته أوفر نصيب ٠ ومع انه قد وصل الى هـذه السن فلا يزال له عزم الشباب وارادة الفتوة يزينه وقار ظاهر ووداعة متناهية ٠ ولكي يلتصق بالشرق و يصطبغ بصبغته فقد صحف اسمه الى « فريد قيصر » ٠ وله اسوة في هذا الباب بمواطن له مشهور ترك آثاراً قيمة في خدمة الشرق نعني المستشرق لويس بوركهارت

* * *

ولقد كان لويس بوركهارت Johann-Ludwig Burckhardt من مدينة بال Bâle أول سويسري صرف اغلب عمره في الشرق فقد جاء الى مصر في ٤ سبتمبر سنة ١٨١٢ ورحل الى سيناء في ربيع ١٨١٦ لاول مرة وزارها ثاني مرة سـنة ١٨٢٢ وكان يكتب بالانكليزية وتطبع مذكراته « جمعية ترقية استكشاف مداخل افريقيا » على نفقتها ٠ وكأنه كان في خدمتها اذ ترجمت رحلته الى سيناء والنوبة وبلاد العرب من الانجليزية الى الالمانية ٠ وليس هنا مجال التوسع في ترجمة حياته انما نقول انه اسلم في آخر امره وسمي الشيخ ابراهيم وظل مقيماً الى ان توفي بالقاهرة ودفن على بعد ٥٠ متراً خارج باب النصر . وتجد له باللغة الفرنسية ترجمة وافية في « مجلة مصر » Revue d'Egypte بقلم المسيو شارل بجليار دو بلك صاحبها في سنة ١٨٩٤ مع صورة للشيخ ابراهيم هـذا تمثله بملابسه العربية وعمامته البيضاء وردائه الابيض الملتف به وقد أرخى لحيته الطويلة نقلاً عن صورة رسمها مستر هنري سولت H. Salt بالقاهرة في فبراير سنة ١٨١٧ (وقد نقلنا هذه الصورة فيما تقدم)

وقد كان من مآثر رحلاته (١) رحلة في بلاد النوبة طبعت بلندن سنة ١٨١٩ وأعيد طبعها سنة ١٨٢٢ بالانكليزية (٢) رحلة في سوريا و بيت المقدس طبعت سنة ١٨٢٢ (٣) رحلته في بلاد العرب والحجاز في جزءين طبعا سنة ١٨٢٩ . وقد نقلت رحلاته في النوبة وبلاد العرب الى الالمانية وطبعت في مدينة ينا Jena سنة ١٨٢٠ (٤) ملاحظاته عن البدو والوهابيين اثناء تجواله في الشرق طبعت في جزءين بلندن سنة ١٨٣١ (٥) الامثال العربية بالعبارات الدارجة طبعت بلندن سنة ١٨٣٠ وأعيدت سنة ١٨٧٥ وقد كان القصد من جمعها وترجمتها الى الانكليزية

كما يقول الدلالة على عادات المصريين الحاليين واخلاقهم التي تكون ظاهرة بيّنة في الامثال . ولا ننسى ان يوسف افندي خانكي كان استعارها و يظهر انهُ استعان بهـا في جمع أمثال مصرية حديثة مع ترجمتها الى الانكليزية طبعت بالقاهرة سنة ١٨٩٧ مع مقدمة للمرحوم ماجور براون بوزارة الاشغال العمومية

واذا كان يور كهارت أول رحالة سويسري هبط مصر فقد اقتدى به آخر من مواطنيه اسمه روتماير Rutemeyer من مدينة بال ايضاً وكانت له كسلفه مآثر اخرى كما يقول زميلهما الثالث مسيو كايزر الذي نكتب عنه هذه الكلمة بمناسبة رجوعه من رحلة حديثة في طور سيناء . وقد اجتمعنا به وطلبنا اليه أن يقصّ علينا طرفة من اخباره ومشاهداته فقال :

بعد ان أتممت دراستي الاولى نشأت مولعاً بحب الاستطلاع والاستكشاف متنقلاً من رحلة الى أخرى مذ كان عمري ١٨ سنة وتعرفت بالاستاذ شو ينفورت الالماني المشهور

وكان في هذه الاثناء قد هبط مصر سويسري آخر اسمه ماير ايمار Mayer-Eymar وتعرف بشو ينفورث وأقام مدة قليلة ولما رجع الى زوريخ بقيت بمصر مساعداً لشو ينفورث مغتبطاً مستفيداً من أبحاثه العميقة في الباليونتولوجيا (علم الحيوانات والاشجار القديمة) وقدمت بأبحاثي سفراً رأيت من واجبي العلمي واعترافاً بفضل شو ينفورث عليّ ان اهديه اليه فأعجبهُ وحرضني من ثم على السير الى شبه جزيرة سيناء وكتب عن ذلك في مجلة المانية فعوّلت على الاصغاء الى نصيحته الثمينة اذ صادفت هوى في نفسي

وكانت الحكومة المصرية قد دعتني الى خدمتها سنة ١٨٨٥ فلبيت دعوتها واشتغلت بفحص المعادن ومعرفة انواع الحيوانات . على ان خدمتي لم تطل إذ أُقفل المعمل الكيماوي وسافرت لاول مرة في صيف سنة ١٨٨٦ الى طور سيناء واصبت هناك بالملاريا فرجعت سريعاً . وكانت الفرصة قد حانت فلم أدعها تفلت لان الاستاذ والتر الالماني Walther حضر لمصر بنية السفر الى سيناء فأوصاه شو ينفورث بي خيراً فاستصحبني وسرنا عابرين السويس الى وادي العربة بين الجلالة البحرية والجلالة القبلية حيث يوجد ديرا القديسين انطونيوس وبولا في صحراء البحر الاحمر وهناك التقينا بالدكتور شو ينفورث آتياً من بني سويف . على أن شو ينفورث لم يرحل الى سيناء

ولما انتهى عملنا بعد ان التقى شو ينفورث بوالتر رجعت الى الجلالة البحرية ومنها الى السويس فالقاهرة ومما يجب عليّ التنويه به مفتخراً قيامي بعمل خريطة لم يعمل قبلها تخطيط جغرافي عن طريق الجلالة البحرية ثم جمعي بعض اعشاب ونباتات وأحجار وأعلنت عن ذلك في مجلات ألمانية

ومنها وقف العالم الاوربي على كثير مما كان يجهله عن حالة تلك الجهات ورجعت الى بلادي كما قلت سنة ١٨٨٦

وفي ربيع ١٨٨٧ رجعت مع والدتي وفريتي التي كنت اقترنت بها وسافرت ثاني يوم زواجنا وأقمت في بلدة كروم التي تبعد نصف ساعة عن الطور - وقد أزالتها فيما بعد مصلحة الكورنتينات - فنقلت الى بيت بنيته بيدي مع زوجي بوادي بدر وكان الجير يأتينا من الطور . ومن ثم جعلت مركز الاقامة هناك وكانت رحلاتي الى بلدان أخرى لارجع لوطني الثاني في مصر وفي مدينة الطور وأقمنا حتى سنة ١٨٩٨ ولم نبرحها سوى فترات للرجوع الى بلادي

وفي اثناء اقامتي بالطور كنت اترك العائلة مختلساً الاوقات منتهزاً الفرص للتجوال في بلاد الحبشة فقصدتها في شتاء سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥ وأوغندا سنة ١٨٩٦ والترنسفال سنة ١٨٩٧ ثم رجعت مغتبطاً بنتائج ابحاثي الى الطور وهي التي ضممتها الى جميع مجموعاتي السابقة وكانت المراسلات لم تنقطع بيني و بين العلماء وعلى الاخص الدكتور شو ينفورث الذي كنت قد لقيتهُ ثانية في سنة ١٨٩٤ وتصاحبنا في مستعمرة الاريتريا وذلك قبيل وقوع الحرب بين الايطاليين والاحباش و بعدئذ استعجل مقدمي فسافرت على هجين من الشط بالسويس فبلغت الطور في اربع وعشرين ساعة مواصلاً السفر ليل نهار . وهذه المسافة الشاسعة يقطعها هجانة البريد عادة في ثلاثة ايام

هناك اجتمعنا ثلاثة أنا وشو ينفورث وعالم آخر الماني اسمهُ شولر Schoeller وأقمنا ثلاثة اشهر في جهات الحبشة وكانت تنشر أخبار بعثتنا العلمية تباعاً في مجلة المانية (بسان جالن St. Gallen) . على ان نتائج ابحاثي لم تطبع بعد ولن تنشر الا بعد الركون الى مواطن التحقق اذ أريد اظهارها مع ابحاث أخرى جمعتها فيما بعد الى اليوم . ولعمري ان ذلك يتطلب جهوداً كثيرة وأموالاً عظيمة وفي يقيني ان ما جمعت ليكفي ان يكون منهُ عمل مفيد على الاخص فيما يتعلق بشبه جزيرة سيناء التي افنيت فيها عمري وليس لي من مطمع غير ان يكون عملي شبه دائرة معارف عن تلك الجزيرة الغنية بكل شيء

* * *

فلعل مصر التي خدمها هذا البحاثة و يريد ان يقدم لها مجاناً كل مجموعاته ومعلوماته لا تضن بأخذها اظهاراً للعالم على نتائج تلك المجهودات التي تملأ نحو الخمسين كراسة غير الرسوم والمناظر التي أخذها بنفسه وقد استعرنا منها بعضها ونشرناها فيما تقدم . وفي الحق ان بطلاً مثله لجدير بالاكرام

توفيق اسكاروس

استفتاء الهلال

«الكتب التي أفادتني»

ردود الكتاب والادباء

ننشر اليوم ردين آخرين احدهما للدكتور سعيد أبو جمرة صاحب «الافكار» البرازيلية والآخر للاستاذ سلامه موسى . وها نحن أولاء نعيد نشر أسئلتنا فيما يلي :

١ ـ ما هو الكتاب أو الكتب التي طالعتموها في شبابكم فأفادتكم وكان لها أثر في حياتكم ؟

٢ ـ هل يكفي المطبوع الآن من الكتب العربية لتثقيف الناشئة أو لا غنى لها عن الالتجاء الى الكتب الغربية ؟

٣ ـ ما هي الكتب التي تنصحون لشبان اليوم بقراءتها غربيـة كانت أم غير غربية ؟

٤ ـ ما هو نوع التأليف الذي يفتقر اليـه العالم العربي على الخصوص ـ والذي تودون ان يطرقه المؤلفون ؟

رد الدكتور سعيد أبو جمرة ، صاحب « الافكار » البرازيلية

اجابة على اسئلتكم الاربعة أقول :

أولاً ـ ان الكتب التي طالعتها في شبابي وكان لها أثر في حياتي هي ثلاثة : سر النجاح . وطبائع الاستبداد . وكتاب انجليزي اسمه (The Fashionable Christian) موضوعهُ الدين الاصطلاحي الشائع اليوم . ومؤلفه فنسنت برون (Vincent Brown) طبع بلندن سنة ١٩٠٧ رغبت في مطالعته بعد ان قرأت عنهُ مقالة بديعة بقلم المرحوم وليم ستد منشىء مجلة المجلات الانجليزية

ثانياً ـ ان المطبوع من الكتب العربية لا يغني عن التجاء النشء الجديد الى الكتب الغربية

ثالثاً ـ ان الكتب التي أنصح لشبان اليوم بقراءتها في العربية هي التي من نوع المرأة الجديدة لقاسم امين . وطبائع الاستبداد الآنف الذكر للكواكبي . وآثار محمـد عبده وجمال الدين الافغاني العلمية

ومن الافرنجية هي التي من نوع سر تقدم الانجليز (وهذا معرب) وبقية الكتب التي وضعها صموئيل صميلز مؤلف كتاب سر النجاح وأفضلها ثلاثة (وحبذا تعريبها) وهي : (١) الواجبات (٢) الاخلاق (٣) الاقتصاد . يليها ما كتب عن الحرب الاستقلالية الاميركية . وعن الثورة

الفرنسوية وخصوصاً ما سبقها من التآليف التي أعدت الافكار لها كتآليف فولتير وجان جاك روسو ومن نسج على منوالها

رابعاً — الجواب على هذا السؤال يحتاج الى شيء من التفصيل لانهُ وان كان الاخير في الموضع لكنهُ الاول في الاهمية

من المعلوم ان الكتب هي من أهم الاغذية المعنوية . وان وصف نوع الغذاء ولا سيما عند حدوث المرض يستلزم معرفة ماهيته وحالة المصاب به

فالعالم العربي اليوم مريض . والواجب يدعو الطبيب (المؤلف) ان يكون حراً وصريحاً وعالماً . فيذكر العلة للمصاب والا فلذويه من دون ابهام او تردد حتى لا يتهم بالتدجيل او الشعوذة او الجهل . ويصف اخيراً العلاج الناجع ولو كان مر المذاق . واما اذا كتم العلة عن العليل او اهله . خوفاً او خجلاً او مراعاة لمصلحة ، او اذا ما اكتفى بالمخدرات والمنعشات فانهُ يبقي المريض سقيماً لا يصلح للجهاد في تنازع « البقاء »

فأخطر الامراض المعنوية المتأصلة اليوم في العالم العربي هي دينية واخلاقية . والتآليف او الاطعمة المعنوية التي تفتقر اليها هي اذاً ما يفيد في مثل هذه الامراض . وتكون الفائدة أتم وأعم وأبقى اذا كان المنشئون منزهين عن المراعاة . والمداراة . والمحاباة . والمداجاة — اذا كان الغذاء الذي يصفونهُ مراً فقد يكون من المغذيات والمقويات التي تساعد على العودة الى العافية والنشاط والنمو . أي الى الحياة

فمن ينكر ان الاديان في العالم العربي على ما هي عليه الآن تعد حجر عثرة في سبيل تقدمه ؟ ومن يجهل ان الامم بأخلاقها ، وأخلاقنا اليوم معتلة من جراء الحكم الاستبدادي الذي بلينا به أجيالاً كثيرة

فهل لنا بتآليف تشرح بمزيد الصراحة والشجاعة اضرار النعرات الطائفية . ومفاسد التظريات والاوهام والتقاليد التي هدت اركان وحدتنا القومية فقضت على مصلحتنا الوطنية المشتركة ؟

هل لنا بتآليف يخبر العالم العربي ان عصرنا الحالي هو عصر قوميات لا عصر طوائف . عصر مصالح عمومية لا عصر مذاهب دينية — هو عصر عمل وحقائق لا عصر خيال ونظريات ؟

هل لنا بطبيب جراح يأتي بالمبضع لا بالمراهم فيستأصل الداء كي يشفى العليل ولو أحس أولاً بشيء من الالم ؟

فنوع التآليف الذي نفتقر اليه اليوم هو اذن ما يعين على بلوغ هذا الغرض . والمكاتب الغربية ملأى بها فلماذا نبقى نحن محرومين منها ونحن أحوج من الغرب اليها ؟

يليه في الافتقار نوع آخر من التآليف يعالج الاخلاق . وذلك أيضاً بالشجاعة الادبية اللازمة . ولقد ذكر هذا المرحوم موسى الهلال مراراً في مقالاته الاجتماعية الخالدة . مخصصاً الكذب والحسد والمداجاة بانها « آفة الشرق » . ومنها الوشاية . والتزلف . والتبذير . وحب التقليد . وحب الظهور . وطلب المجد والفخفخة الفارغة ـ الى غير هذه من المعايب الاخلاقية المتفشية في عالمنا العربي تفشيها في سائر الشعوب المحكومة الضعيفة مثلنا . تلك الشعوب التي أراها تستمرىء المرق لانها لم تذق طعم اللحم . تلك التي ما تلذذت قط بالجوهر وباللباب فاكتفت بالعرض وبالقشور

هذا اذا أراد المنشئون مواجهة النوع الاخير من التآليف مباشرة أي معالجته بطريقة ايجابية اما اذا رأوا أن الطريقة السلبية انجع فلا بأس باتخاذ صموئيل صميلز مثالاً لهم لان مؤلفاته ـ وقد سبق ذكرها ـ تحث على الثبات . والاقتصاد . وحب العمل . والحزم . والاعتماد على الذات . والاجتهاد ومعرفة الحق الواجب . الى نحو ذلك من الفضائل الشخصية المؤدية الى الاستقلال الفردي الذي بدونه لا تستقل الامم لانها مجموعات أفراد

ان النشء الجديد في العالم العربي متعطش الى مثل هذه الكتب فليأتنا بها المؤلفون الجريئون من ذوي الكفاءة وانا الكفيل لهم بالاقبال ـ وبا كليل الغار ان لم يكن عاجلاً فآجلاً . وأمامهم الكواكبي والافغاني ومحمد عبده وقاسم أمين وغيرهم ممن خلدوا ذكرهم في التاريخ العربي

هذا ما أملاه عليَّ الوجدان والواجب القومي ارسله اليكم مع ما به من حدة « فمن أحبك نهاك ومن أبغضك اغراك » . والله وراء المقاصد

سان باولو

سعيد أبو جمرة

رد الاستاذ سلامه موسى

يجب على الناشىء أن يتبع غريزته في انتقاء الكتب اكثر مما يجب عليه أن يسمع لنصائح غيره . والكتاب الاخير الذي قرأه يرشده الى الكتاب الذي يجب عليه أن يقرأه بعده فبهذا التحفظ يمكنني أن أجيب على استفتائكم فيما يلي :

١ ـ ان الكتب التي قرأتها واثرت فيَّ كثيرة قد لا أذكر بعضها لانها في الاغلب قد رسبت من عقلي الظاهر الى عقلي الباطن واثرت في مزاجي الادبي والعلمي . ولكني أحب هذه الكتب الآتية

علم الحياة لسبنسر ، نشوء فكرة الله لجرانت الين ، الغصن الذهبي لفريزر ، تاريخ العالم لولز ، اسس القرن التاسع عشر لتشمبرلن ، كتب اليوت سمث عن الآثار المصرية ، علم النفس لفرود

و يونغ ومكدرجال و بودوان ، القصص الروسية ، قصص ولز ودارامات شو وابسن ، مقدمة بكل

٢ ــ المطبوع من الكتب العربية لا يكفي بتاتاً لتثقيف النشء ولا بد من معرفة لغة اوربية الا اذا فرضنا أن الكتاب سيقبلون على ترجمة الكتب الاوربية المهمة قريباً

٣ ــ مع التحفظ الذي ذكرته في بداية هذه الكلمة أقول اني انصح للشباب بقراءة كتب قاسم أمين وطه حسين وشبلي شميل وفرح انطون وفتحي زغلول وبعض كتبي . أما في غير العربية فيجب قراءة مؤلفات اناطول فرانس بل ادمان قراءتها ودرس الكتب الخاصة بالعمران وعلم النفس والتاريخ الطبيعي لان هذه الكتب لا وجود لها اصلا في اللغة العربية مع انها أساس الثقافة الحاضرة

٤ ــ المؤلفات التي يفتقر اليها العالم العربي هي تلك التي تنزع عن شبابه غشاوة الخرافات القديمة وتجعله ينظر للمستقبل اكثر مما ينظر للماضي . لأن النظر للماضي يملأ النفس اثرة وضيعة وغروراً سخيفاً بالآباء وقناعة بالحاضر . والنظر للمستقبل يملأ النفس ايثاراً وحباً للعالم ورغبة في الاصلاح. وعلى وجه العموم أقول أود أن يطرق المؤلفون كل جديد في الثقافة مثل علوم النفس والحياة والعمران والاشتراكية واليوجنية وتاريخ الخرافات وأود ان يميلوا الى الابحاث العلمية دون الابحاث الادبية فاننا نعيش في عصر العلم والصناعة وقد أوشك عصر الادب والزراعة ان يزول من العالم المتمدين وعند بعض الامم الآن جرائد علمية يومية .ولكن يجب الدرس قبل التأليف لان سوق الادب العربي متخمة بكتب غاية في الرداءة تدل على ان كتابها لم يرتووا بدرس ما يتكلمون فيه ومما يؤخر نهضتنا توهم المؤلفين انه يجب ان يلتزموا أساليب العرب القديمة فيقضون وقتهم في حفظ عبارات مضحكة تثبطهم عن التأليف وتصد جمهور القراء عن القراءة

سلامه موسى



زوجا ليونتين (Les Maris de Léontine)

قصة تمثيلية فكاهية بقلم الكاتب الفرنسي ألفرد كابو (Alfred Capus)

تلخيص وتعليق الاستاذ الدكتور طه حسين

نعم هي قصة فكاهية ولكنها لا تخلو من الجدّ او قل هي قصة فكاهية ولكن كلها جدّ . فلن تخطيء اذا قلت هذا ولن تخطيء اذا قلت ان الفكاهة في هذه القصة مع انها روح القصة وغايتها لم تتخذ في حقيقة الامر الا وسيلة الى الجد ، وسيلة الى هذا الجد الذي يحسن ألا يقصد مباشرة ولا يعمد اليه الكاتب في غير احتيال وتكلف للطرق المعوجة . اما لان الكلام قد كثر فيه حتى اصبح حديثاً معاداً مملولاً فلا بد من عرضه في صور جديدة لم يألفها الناس ، واما لانهُ من هذا الجد الذي تأبى الاخلاق العامة والاوضاع الاجتماعية ان يهجم عليه الكاتب في غير احتياط ولا تلطف بالنظارة والقرّاء فهو مضطر الى ان يحتال ويفتن في الحيلة ليسمعك ما يريك دون أن يروعك او يسوءك او يشق عليك

والجد الذي يقصد اليه كاتبنا في هذه القصة ويتخذ الفكاهة وسيلة الى ادخاله في نفس القراء والنظارة لا يخلو من هذين الامرين جميعاً فقد كثر الكلام فيه حتى سئمه الناس او كادوا يسأمونهُ وهو مع ذلك دقيق لا يخلو مما من شأنه ان ينفر الحريصين على الاخلاق والمألوف من الاوضاع الاجتماعية . ولكنه على كثرة الكلام فيه حتى مُلّ وعلى دقته ومخالفته لما ألف الناس من خلق وعادة خليق بالعناية حري بالتفكير لم يصل فيه الناس بعد الى رأي قاطع مقبول . وانت تعلم حق العلم ان القصاص سواء منهم الممثل وغير الممثل قد عالجوا امر هذه المرأة اللعوب التي تخون زوجها فتسرف في خيانته حتى تتمثل كأنها الرذيلة مجسمة ولكن لها من دون ذلك العبث والفجور طبيعة خيرة قابلة للصلاح والطهر . وانت تعلم ايضاً ان هذه المرأة على كثرة ما دافع عنها القصاص والادباء والفلاسفة لا تزال بغيضة الى سواد الناس ممقوتة امام ما اتفق الناس على انهُ الاخلاق والعادات الموروثة . واحب ان تطمئن فما اريد ان ادافع عن هذه المرأة وما اريد ان اغير في الاخلاق ولا ان امس هذه العادات بخير ولا بشر فلست أنا من هذا كله في شيء وما أنا بالذي يفكر في نقد النظام الاجتماعي وتغييره قليلاً او كثيراً . انما هي قصة أعجبتني واظن انها ستعجبك بل اتمنى ان تعجبك ، ولهذا ألخصها لك واعرضها عليك في غير حكم ولا تأييد

في هذه القصة خفة ورشاقة وفيها مجون ودعابة ، ولكن من الذي حظر على الناس ان يعمدوا الى القصصي الخفيف الرشيق الذي تزيده الدعابة خفة ويزيده المجون رشاقة فيقرأوه ويشهدوه ؟ ومن الذي يستطيع ان يزعم ان الادب لا يكون أدباً الا اذا كان جداً كله ؟ ومن الذي يستطيع ان يزعم

ان الدعابة والفكاهة قد تبلغان من التأثير في النفس ومن اذاعة الخير وتحبيبه الى النفوس ما لا يبلغه أشد الجد حموضة وعبوساً ؟ على ان قصتنا ليست من هذه الدعابة الممقوتة ولا من هذه الفكاهة التي تضيق بها نفس الرجل الخير المتشدد في حب الخير ، فهي تقارب العبث وتدنو منه فتسرف في الدنو حتى يخيل اليك انها ستتورط فيه ، ولكن الكاتب ماهر حريص على الخلق حريص قبل كل شيء على حس الجمهور وعلى حسه من ناحية الخير فهو لا يريد ان يؤذيه ، فهو يدنيك من هذا العبث حتى تكاد تلمسه ثم ما هي الا حركة يدفع بها قلمه فاذا انت بعيد من الاثم كل البعد واذا انت لم تشهد منه الا هذه الناحية التي تضحكك من الشر وترغبك عنه

وهي فوق هذا كله تعرض لطائفة من الموضوعات الاجتماعية القيمة التي لن يوفق الناس الى ان يتخذوا لهم فيها رأياً قاطعاً ، تعرض لموضوع الطلاق مثلاً ، فما لا شك فيه ان الناس سيظلون مختلفين في الطلاق يراه بعضهم خيراً لانه يرفه على الناس و يفصل بين الزوجين اللذين لا سبيل الى ان يعيشا مؤتلفين ويمكنهم بذلك من حماية كرامتهم وشرفهم وآدابهم . و يراه بعضهم شراً لانهُ يفصم عروة قد احكمها الدين كما يقول المسيحيون ، ولانه ابغض الحلال الى الله كما يقول المسلمون . وسيظل اولئك وهؤلاء في خلاف وجدال ما احتاج الناس الى ان يكون بينهم الزواج والطلاق . ولكن هناك وجهاً من وجوه الطلاق لا يفكر فيه الناس كثيراً ور بما لم يفكروا فيه بوجه من الوجوه وهم مع ذلك يحسونه ويجدون فيه اللذة حيناً والالم حيناً آخر ، ذلك ان الطلاق في حقيقة الامر وسيلة قانونية للفصل بين شخصين لا يستطيعان الحياة مؤتلفين كما ان الزواج وسيلة قانونية للجمع بين شخصين يحبان ان يعيشا مجتمعين . ولكن المسألة هي ان نعرف أيستطيع الطلاق بعد ان يحقق هذا الفصل القانوني ان يحقق فرقة اخرى صحيحة فيقطع الصلة قطعاً باتاً بين الزوجين كأن لم يعرف أحدهما الآخر . كما ان هذه المسألة نفسها تعرض بالقياس الى الزواج ، فالزواج يجمع الزوجين جمعاً قانونياً ولكنه قد يعجز في كثير من الاحيان عن ان يؤلف بينهما تأليفاً صحيحاً قوياً . ولعلك تذكر اني قد حدثتك في هذا المكان من الهلال منذ حين عن قصة لهذا الكاتب نفسه عرض فيها للطلاق وعجزه عن ان يفرق بين الزوجين اذا جمع بينهما الحب الصحيح ، وهذه القصة هي قصة المذهبين التي رأيت فيها رجلاً خان امرأته فأسرف في خيانتها حتى طلبت الطلاق وظفرت به وهمت ان تتخذ لها زوجاً آخر ومضى زوجها الاول في اثمه وعبثه ثم التقيا فظهر ان الطلاق لم يفرق بين قلبيهما وان فرق بين جسميهما وظهر انهما مضطران الى ان يستأنفا حياتهما الاولى

وكاتبنا في هذه القصة التي نحن بصددها يعرض للطلاق من هذه الناحية وان كان لا ينتهي الى مثل النتيجة التي انتهى اليها في القصة الاخرى بل الى نتيجة مناقضة من وجه ما لتلك النتيجة ، فسترى زوجين لم يستطيعا ان يعيشا مؤتلفين لان المرأة خانت زوجها فأسرفت في الخيانة حتى

طلب الزوج الطلاق فظفر به . ولكن هذا الرجل طيب القلب خير الطبع فهو يعطف على زوجه بعد الطلاق و يمدها بما تحتاج اليه من معونة وهو ينالها بالبر والمودة اكثر مما كان يفعل قبل الطلاق ، وهو يحس ان هذا العطف وهذه المودة يناقضان اشد المناقضة ما ألف الناس من عادة وقانون ، فهو مضطرب بين إرضاء طبعه وعاطفته و إرضاء العرف ، وهو يذعن في كثير من الاحيان للطبع والعاطفة ولكنه يذعن مرة للعرف فيفر من امرأته المطلقة و يخيل اليه انه بهذا الفرار سيريح نفسه من هذا الجهاد العنيف . ولكنك تعلم ان ألفرد كابو (Alfred Capus) صديق للمصادفة فهو يرى ان لها اعظم الاثر في تدبير حياة الافراد والجماعات وقد بينت لك هذا في كل ما حللت من قصصه . وهو هنا يعرف للمصادفة هذا السلطان ويسخرها في قصته ، واذاً فيستطيع صاحبنا ان يفر من زوجه المطلقة فالمصادفة كفيلة بأن تكرههما على اللقاء، واذاً فسيظل الجهاد متصلاً بين هذه العاطفة التي تعطف الرجل على زوجه بعد الطلاق وهذا العرف الذي ينكر ذلك ويراه اثماً او شيئاً يشبه الاثم ولا بد من تدخل المصادفة لوقف هذا الجهاد عند حد ما

فانت ترى أن هذا الوجه من وجوه الطلاق خليق في نفسه بالعناية والدرس وان الكاتب مهما يصطنع من الفكاهة والمجون لدرس هذا الموضوع وتقريبه الى الناس ليس مسرفاً ولا غالياً في العبث . ذلك الى أن الامر في نفسه حقيقة من الحقائق الاجتماعية التي لا تقبل الشك فكلنا يعلم أن الطلاق كثيراً ما يعقب الندم والحسرة ، وكلنا يعلم ان قد كان لهذا أثره في آداب الامم المختلفة في آدابنا العربية وفي الآداب الاجنبية على كثرتها واختلافها ، واذن فهي حقيقة من الحقائق الاجتماعية يجب أن تدرس وان يتخذ الادباء اليها الوسائل المختلفة قصصاً حيناً وتمثيلاً حيناً آخر ، جداً مرة وفكاهة مرة اخرى ، ذلك الى أن هنالك اشخاصاً من حق الاديب أو من الحق على الاديب أن يصورهم للناس فقد يكون في تصويرهم الى جانب النفع الفني نفع خلقي واجتماعي ، قد يكون هؤلاء الاشخاص أخياراً ففي تصويرهم ما يدعو الى القدوة أو أشراراً ففي تصويرهم ما ينفر منهم

والحق ان الاشخاص الذين صورهم الكاتب فاحسن تصويرهم في هذه القصة قليلون . هم أربعة ليس غير ومن حولهم اشخاص آخرون لا يمتازون بشيء . وهؤلاء الاشخاص الاربعة قد أحسن الكاتب تصويرهم حتى أصبح من اليسير جداً أن ننقل اليك صورهم في غير اطناب ولا اطالة

فاما أولهم فهو ادولف ديبوا (Adolph Dubois) رجل من أوساط الناس له ثروة ولكنها ضئيلة ، يعمل في ديوان من دواوين الحكومة ، خيّر الطبع ، رضي النفس ، مستقيم الخلق ، ضعيف الارادة ، يكره الشر ولكنه لا يستطيع مقاومته في يسر ، ويحب الخير ولكنه يحب نفسه ايضاً فهو لا يستطيع أن يعتمد على نفسه في شيء ، وانما هو محتاج الى من يعينه ويرشده ويوجهه الى سبل الخير . وهذا الرجل هو الزوج الاول

وأما الشخص الثاني فهو البارون ادوار دي لاجامبيير (le baron Edouard de la Jambière)

شاب من الاشراف ضخم الثروة ولكنه كصاحبه خيّر ضعيف الارادة لا يستطيع المقاومة ولا يقوى على الجهاد الا في ناحية واحدة وهي الناحية المضـادة لميول الاشراف وما توارثوا من عادة وسنّة فهو يكره عادات الاشراف ولا يحرص على تقاليدهم ولا يحفل بها

والشخص الثالث هي ليونتين (Léontine) امرأة جميلة فتانة ولكنها كصاحبيها ضعيفة الارادة خيرة غير انها لا تستطيع مقاومة الشر أو قل لا تكاد تميز بين الخير والشر ، سلطان الغريزة عليها أقوى من سلطان العقل محبة للفكاهة مندفعة فيها أو هي ترى الحياة كلها فكاهة حتى تعلمها المصادفة ان هذه الفكاهة قد تستحيل الى جد فتستفيد من هـذا الدرس واذن هي صاحبة جد ولكنه جد باسم لا يكاد يخلو من الفكاهة

والشخص الرابع هي الماركيزة دي بريساك (la marquise de Brissac) شيخة من الاشراف ، هي عمة البارون دي لا جامبيير ، محافظة ، مسرفة في المحافظة ، سيئة الخلق طويلة اللسان ميالة مع هذا الى الخير

هؤلاء هم الاشخاص الذين تقع بينهم القصة وهناك أشخاص آخرون كثيرون تأتي بهم المصادفة ليتم تدبير ما سيقع من الحوادث دون أن يكون لهم في أنفسهم خطر

* * *

فاذا كان الفصل الاول فنحن عند ادولف في بيته في باريس نشهد شاباً قد اقبل يطالب بقسط من الاقساط المالية فتعلن الخادم انه يطالب بالقسط المستحق من ثمن البيانو الذي اشتراه سيدها فتدفع اليه خمسين فرنكاً فيضحك ويطلب الفين ، فاذا سمعت الخادم هـذا الرقم جزعت وفزعت الى سيدها فيقبل و يعد الشاب بالاداء بعد دقائق ، وما هي الا ان يصل صديق له عضو في مجلس النواب اسمه بلانتين (Plantin) يحمل اليه هذا المقدار فيأخذه و يدفعه الى الشاب ، والخادم ساخطة تلوم سيدها لوماً عنيفاً ، فهي تعلم أين يذهب هذا المال : هو يذهب في حاجات زوجه المطلقة ، ومع ذلك فقد أضاعت هذه المرأة على زوجها اكثر ثروته ثم خانته فاسرفت حتى اذا طلقها اتخذت صناعة الموسات ، وهي مع ذلك لا تستحي ان تلجأ الى زوجها القديم كلما مسها الضيق وزوجها القديم لا يستحي ان يعينها كلما لجأت اليه ، ثم تنصرف الخادم مغضبة ويأخذ النائب في النصح لصديقه ألا يفعل وصديقه يرى رأيه و يقبل نصحه ، ولكن الخادم تعود فتعلن الى سيدها ان زوجه مقبلة فيضيق الرجل ذرعاً ولكنه يستقبلها . فاذا دخلت رأيت امرأة خفيفة الروح حلوة الحديث مستخفة بكل شيء قد أقبلت على زوجها القديم مطمئنة واثقة تتحدث اليه في غير تكلف ، وزوجها يخشى أن تكون قد اقبلت تطلب بعض المال فهو يدافعها عن ماله . ولكنها لم تقبل لشيء من هذا انما أقبلت لشيء آخر ، ذلك انها غضبت على صاحبها فطردته أو غضب عليها صاحبها فانصرف عنها ، وكانت قد استدانت فعجزت عن اداء الدين وباع الدائنون متاعها وأصبحت

وليس لها مأوى ، وهي تبحث عن بيت ولكنها تريد مأوى حتى تجد هذا البيت وتهيئه للسكنى، وقد فكرت في صديقاتها ولكنها استحت منهن ؟ فلم تجد الا زوجها ، فيدافعها الرجل عن بيته ويشجعه صاحبه على هذا الدفاع وتقبل المرأة رفض زوجها راضية غير مكترثة في ظاهر الامر حتى اذا انصرف النائب عنهما أقبلت الى البيانو فاخذت تعزف لاعبة باكية في وقت واحد. وعجز صاحبنا عن المقاومة فاذن لها أن تبقى عنده

وهو يفكر في تدبير الامر فسينزل لها عن غرفته وسينام في غرفة الاستقبال ، اما هي فلا تريد ان يفسد النظام في غرفة الاستقبال بهذا السرير الذي سيضاف اليها وهي لا ترى بأساً بأن تقاسم زوجها غرفته ، ولكن الزوج يرى في ذلك البأس كل البأس فتقبل منه ذلك ضاحكة غير حافلة ، وهل تحفل بشيء ؟ . . . وانظر اليها قد نهضت فنظرت في غرفة الاستقبال فلم يعجبها تنسيق المتاع فهي تقترح تغيير النظام تريد ان تنقل هذا المتاع من مكانه وتضع مكانه متاعاً آخر ، وزوجها يرى رأيها وكأنه قد نسي الطلاق وخيل اليه انهما في حياتهما الاولى ، وانظر اليها بعد هذا تطلب الى زوجها شيئاً من النقود وتكلف الخادم ان تشتري شيئاً من الزهر تزين به هذا البيت . ثم انظر اليها تداعب زوجها وهو يقاوم اول الامر ثم تضعف مقاومته حتى يوشك ان يزل لولا . . . زيارة تفصل بينهما . فقد اقبلت صديقتان لزيارة ليونتين وكانت قد انبأتهما انها ستلجأ الى عمها فتقيم عنده حتى يجعل الله لها من ضيقها مخرجاً ، فتقبلان وتقدم اليهما ليونتين ادولف على انه عمها

فاذا خلا النساء الى انفسهن قالت احدى الصديقتين لليونتين ان الله قد هيأ لها مخرجاً من هذا الضيق فان البارون ادوار دي لاجامبير الذي رآها منذ سنة مفتون بها وهو يلتمسها ويريد ان يتخذها خليلة له ، وهو مقبل لزيارتها بعد حين . تقولان ذلك وتنصرفان . ويأتي الزوج وهو مضطرب في دخيلة نفسه واثق بالزلل ان اقام مع امرأته عاجز عن ان يرى لنفسه مخرجاً من هذه الازمة . ولكن صديقه النائب قد عاد يخبره بأنهُ مسافر فيطلب اليه ان يصطحبه ليخرج من هذه الازمة ويقبل النائب ، وانظر اليه يعلن الى زوجه انهُ مسافر الآن لامر طرأ وان سفره قد يطول وانها مطلقة التصرف في البيت ما لم تسيء السيرة وان خادمهُ متصلة بشخصها وانهُ تارك لها مقداراً من المال يقترضهُ من صاحبه ، وهو يهيء حقيبتهُ وينصرف

وما هي الا ان يقبل البارون ومعهُ صديق له استاذ في مدرسة من مدارس الزراعة في الاقاليم فاذا استأذنا وأُذن لها انتظرا لحظة تراهما فيها وحدهما فتعرف ان البارون على ذكائه ومهارته في تصريف الحديث مفحم امام النساء ولا سيما حين يعجبنهُ ويفعن من نفسه

وما هي الا ان تدخل ليونتين حتى يظهر اضطرابهُ وعجزه وحتى تسخرمنه في نفسها ويظهر في الوقت نفسه لَسن هذا الصديق الاستاذ وفصاحته واذا ليونتين مفتونة بهذا الاستاذ . ولست اطيل

عليك بتلخيص ما يقع بينهم من حديث ولكن الامر ينتهي بدعوة الى العشاء وقبول لهذه الدعوة وخروج الثلاثة الى حيث يطعمون

***

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في مدينة من مدن الاقاليم في دار الاستاذ الذي رأيناه في الفصل الاول وقد اقبلت لزيارته واستشارته المركيزة دي بريساك ومعها ابنة أخ لها جميلة يقال لها اورتنس (Hortense) • وأورتنس هذه تنبئ عمتها انها كادت تفقد الحياة لولا ان رجلاً انقذها ورد عنها فرساً جامحاً كاد يطؤها ، وعمتها تسخر منها ومن صاحبها الذي انقذها كما تسخر في غضب وسخط من ابن اخيها البارون دي لاجامبير الذي تزوج امرأة مطلقة من باريس خارجاً بذلك على تقاليد الاشراف وأصول الدين • وهذه الشيخة مغضبة محنقة على كل شيء ترى ان النظام الجمهوري مسئول عن كل الشرور حتى التي لا عمل للناس فيها ! أليست الجمهورية هي التي استحدثت هذه العلل التي تصيب الكروم فتفسدها والتي أقبلت هذه المرأة تستشير استاذنا الزراعي في احدها • ولكن الاستاذ قد ابطأ فتنصرفان على ان تعودا بعد حين

ويقبل الاستاذ ويقبل البارون ويتحدثان • فنفهم من حديثهما ان البارون لم يكد يرى ليونتين حتى فتن بها واعتزم ان يتخذها له زوجاً ، تردد في ذلك اياماً ثم صحت عزيمته فتزوجها ، لم يحفل بأحد ولم يدع احداً وهو سعيد بهذا الزواج منذ ثلاثة اشهر وامرأته سعيدة ايضاً وهو يلتمس لها العذر فيما اقترفت من اثم قبل ان يتزوجها فذنب ذلك على زوجها الاول ذلك الرجل المجرم الذي كان يشرب حتى اذا سكر عاد الى بيته فأذاق امرأته ألوان العذاب ، وآية ذلك ان المحكمة حكمت عليه بالطلاق لا على زوجه • هو اذاً راض عن حظه مغتبط به وصاحبه الاستاذ يهنئه ويغبطه وهو يعلم زوجه اصطناع البسكليت ، وهو معجب بجمالها فيما تتخذ لهذا الغرض من زي ، معجب بذكائها وسرعة اتقانها لهذا الفن

ثم نفهم من حديثهما انهُ ساع لصديقه الاستاذ في ان ينال احد الأوسمة وانهُ لا بد لذلك من عريضة يوقعها اعيان الاقليم • والاستاذ قد هيأ هذه العريضة وسيمضيها البارون ويحمل عمته على امضائها فسيكون لذلك أثره وان كانت عمته ساخطة عليه مغاضبة له • وقد اقبلت ليونتين في زي البسكليت جميلة خلابة مبتسمة للحياة راضية عن كل شيء حلوة الحديث لذيذة الفكاهة ، فتتحدث حيناً ونفهم من الحديث ان زوجها مضطر الى ان يغيب عنها ساعات تقضيها هي في درس البسكليت ، ثم ينصرف الزوج حيناً ، فاذا بين الاستاذ وبين ليونتين اثم قديم العهد لانها أحبته منذ رأته وأحبها هو ايضاً ، ولكنه خائف اما هي فلا يعرف الخوف الى نفسها سبيلاً وانظر اليها قد اخذت تداعبه وهو يجيبها كارهاً ثم تدنو منه وما تزال تدنو حتى تكون بين ذراعيه وهو يقبلها وهي تقبله وهي تكرههُ على ان يضرب لها موعداً اذا انصرف زوجها وهو يتأبى ولكنها تكرهه وتلح

عليه وتقول له في قبلة « الى اللقاء بعد حين » وفي اثناء ذلك يفتح الباب وتظهر الشيخة فاذا رأت هذا المنظر انصرفت مغضبة وافترق العاشقان ولم يحسا شيئاً

ثم يعود البارون وتنصرف امرأته الى البسكليت ، وبينا هو في حديث الاستاذ اذ تستأذن الشيخة فتدخل في جد وحشمة وتطلب الى الاستاذ ان يزور زراعتها غداً او بعد غد وتهم بالانصراف . ولكن ابن اخيها يستوقفها ويريد ان يتقرب اليها فيتركهما الاستاذ حيناً فيتحدثان. ونفهم من حديثهما انها لا تعترف بزواجه وانما ترى انه اتخذ له خليلة وليس في ذلك بأس . غير ان الشاب يطلب اليها توقيع العريضة فتأبى في غضب لانها تزدري هذا الاستاذ وكيف لا تزدريه وقد رأت بين ذراعيه منذ حين امرأة جميلة في زي البسكليت ما ترى الا انها من مومسات باريس ، يدهش الشاب لانهُ كان يرى صديقهُ الاستاذ ابعد الناس عن العبث واللهو ، فاذا ألح في هذا الدهش وألحت عمته في الوصف والتفصيل تطرق الشك اليه فيستوصف عمتهُ فتفصل الوصف فيستحيل الشك يقيناً واذا هو مصعوق واذا عمته تقول في سخرية : اخشى ان أكون قد اسأت اليك عن غير عمد . ولكن صاحبنا يريد ان ينتقم وهو يريد البينة قبل الانتقام وقد اخبرتهُ عمتهُ ان العاشقين تواعدا على ان يلتقيا بعد حين ، فيخرج وتخرج معهُ عمتهُ للاستعانة بصاحب الشرطة وقد عاد الاستاذ الى غرفته وهو يحدث نفسه كارهاً لهذا الموعد معلناً ان الدرس والمرأة لا يجتمعان ، ولكن المرأة قد اقبلت فتداعب وتعبث حتى تصرف الرجل عن درسه ، ثم تنسل في لطف الى غرفة النوم وقد تجردت من ثيابها وهي تدعو اليها صاحبها في دعابة ورشاقة وصاحبها يقبل عليها كارهاً . ولكنهُ يسمع وقع اقدام ثم يحس طرق الباب ثم يستيقن انه الزوج قد اقبل ومعهُ صاحب الشرطة فيضطرب ويشتد اضطرابه ويحاول ان يحمل صاحبتهُ على الفرار ولكن كيف تفر وهي عريانة ... أما هي فهادئة مطمئنة تأمر صاحبها ان يفتح الباب ، وقد فتح الباب ودخل الزوج ودخل صاحب الشرطة ومعهُ كاتبهُ ولكننا لا نكاد نرى صاحب الشرطة حتى يأخذنا الدهش ثم الاغراق في الضحك ، ذلك ان صاحب الشرطة هو ادولف ديبوا الزوج الاول لليونتين ، ارادت المصادفة ان يكون مدير الشرطة في هذه المدينة منذ ايام

يأخذ صاحب الشرطة في كتابة المحضر مستعيناً بكاتبه حتى اذا اراد ان يرى المرأة الخائنة انبيء انها لا تستطيع ان تظهر له فيسجل ذلك في المحضر . وبعد حين يفتح باب الغرفة وتخرج ليونتين ... فقدّر دهشها وقدّر بنوع خاص دهش صاحب الشرطة وقد رأى امرأته في هذا الموقف . ولكنهما يجتهدان في اخفاء هذا الدهش ويحاول الرجل ان يمضي في عمله فيأخذ في سؤال ليونتين فتطلب اليه ليونتين ان يأذن لها في توجيه الكلام لحظة الى هذين الرجلين زوجها وعاشقها . فتسأل الزوج ماذا يريد ؟ يجيبها الطلاق في أسرع وقت ، وتسأل الاستاذ ماذا يريد ان يصنع فيجيب انه لا يريد شيئاً فهو رجل درس وكل ما يعنيه ان ينصرف الى علمه ، هو اذن

متخل عنها ... هو اذن رجل لا شرف له ولا مروءة وقد كانت احبته لانها كانت ترى فيه جداً واستقامة . اما زوجها فيسألها ماذا تريد ان تصنع هي ؟ تجيبه وما يعنيك من هذا ؟ فيقول : انك ستظلين زوجي حتى يفرق الطلاق بيننا فمن الحق ان اعرف إلامَ تصيرين . عجيب سأذهب الى حيث كنت ، الى بيت عمي فهو خير كريم ولا يكاد صاحب الشرطة يسمع هذا حتى يملكه غضب لا حد له فهو يحس ان ليونتين ستعود اليه وهو انما ترك باريس فراراً من ليونتين وهو يريد ان ينفيها ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، وانظر اليه يأبى ان يمضي في كتابة المحضر على وجهه ويعلن انه لم يرَ اثماً وانما رأى سيدة محتشمة عند الاستاذ . فلا تسل عن سخط الزوج وحنقه ولكن صاحب الشرطة ملح ، ثم ينتهي الامر بأن يطلب صاحب الشرطة الى الزوج ان يتحدثا لحظة على خلوة فيتفرق عنهما الناس ويأخذ ادولف في النصح لهذا الشاب بأن يعدل عن الطلاق وما يزال به يبغض اليه الطلاق ويحبب اليه العفو والمغفرة حتى يبلغ منه ما اراد . وقد عادت المرأة فيتركهما لحظة يتم فيها الوفاق بينهما ويعود وقد استقام له الامر كما كان يحب . فلن يكون طلاق ولا خصومة ولن تلجأ اليه ليونتين . ولكن الزوجين قد احباه لانه اصلح بينهما واحبهُ الزوج بنوع خاص فهو يدعوه الى العشاء وامرأته تلح في الدعوة واذن فقد كان يريد ان يفلت من ليونتين فأصبح مكرهاً على عشوة ليونتين

***

فاذا كان الفصل الثالث فقد مضت ايام على هذه الحادثة ونحن في قصر البارون ترى ليونتين تؤنب خدمها في رفق وفكاهة وقد اقبل ادولف مدعواً الى الغداء ، فتلقاه ليونتين مبتهجة بلقائه وهو ضيق الصدر بهذه المودة ، ضيق الصدر خاصة بمكانه من البارون الذي يجهل كل شيء مما كان بين ادولف وليونتين وهو ينبيء ليونتين بانه قد غير اسمه الخاص عندما سأله عنه البارون وبأنه يلتمس طريقاً للانتقال من هذه المدينة حتى لا يضطر الى معاشرة الزوجين ، ولكن ليونتين لا تريد ان يفارقهما وهي لا ترى في شيء مما كان بأساً . ونحن نحس في كل احاديثها ان قد تغيرت حقاً منذ تلك الحادثة التي رأيتها في الفصل الثاني ، تغيرت فاصبحت خيرة طيبة النفس طاهرة الطبع شديدة البغض للاثم والخيانة محبة لزوجها شديدة الحرص على الوفاء له عافية عن الآثمين متجاوزة عن آثامهم وقد اقبل الزوج فاذا هو اشد من امرأته حباً لادولف ووفاء له واعترافاً بجميله ، والرجل مضطرب ضيق الصدر بين هذين الزوجين ولكن حب البارون لادولف لا حد له فهو يريد أن يلتمس له زوجاً ويضن به على هذه الحياة التي تنغصها الوحدة ، وامرأته تشاركه في هذا الرأي ، وما هي الا لحظة حتى يهتدي الزوجان الى القرينة الملائمة ، وما الذي يمنع ادولف من ان يتزوج ابنة عم البارون اورتنس فهي جميلة غنية خيرة ؟ اما ادولف فلا يرى في هذا الا نوعاً من المزاح ولكن اورتنس قد اقبلت فلا تكاد ترى ادولف حتى تدهش فهو الذي انقذها من الموت

وما يكاد ابن عمها يخلو اليها ويحدثها في هذا الزواج حتى تظهر الرضا والاطمئنان ، فالقوم جميعاً سعداء ولا سيما بعد أن أقبل النائب بلانتين يزور البارون فيلقى صديقه ادولف وصاحبته ليونتين ويكون في هـذا كله اضطراب غريب مصدره حرص ادولف على ألا يظهر اسمه الحقيقي وحرصه ايضاً على ألا تظهر المعرفة بين النائب وليونتين . وتكلف هؤلاء القوم جميعاً الحيلة في اخفاء الامر على البارون . هم ينجحون في هذا التكلف وهم كما قلت لك سعداء ينتظرون الدعوة الى المائدة . ولكن المصادفة لم تفرغ بعد من عملها فقد اقبلت عمة البارون الشيخة نخلت الى ابن اخيها لحظة تسأله عن امر الطلاق فلا يستطيع ان يخبرها بأن قد تم الصلح بينه و بين امرأته فيزعم لها ان القضية تجري مجراها . ولكن الشيخة قلقة لان ابنة اخيها أورتنس مشغوفة بحب هذا الرجل الشرطي الذي انقذها من الموت وهي تخشى ان ينتهي هذا الحب الى الزواج فاذا سألها ابن اخيها وأي بأس في ذلك ؟ اجابت انها الفضيحة فان هـذا الرجل قد طلق امرأته فيدهش الشاب لانهُ كان يقدر ان صاحبه لم يتزوج فتؤكد له عمته ذلك وتخرج له وثيقة استخلصتها من المحكمة في باريس وفيها ان هـذا الرجل واسمه أدولف ديبوا قد كان سكيراً يضرب امرأته ، فطلقت امرأته عليه ثم اثبتت لابن اخيها ان هـذا الرجل هو بعينه الذي عين منذ ايام مديراً للشرطة . فقدّر انت دهش الشاب واضطرابه حين يعلم ان صاحب الشرطة هو الزوج الاول لامرأته واسمع لعمته تقول له الآن كما قالت له في الفصل الثاني : اخشى ان اكون قد أسأت اليك عن غير عمد يا ابن اخي . وقد انصرفت عنه وتركته في هياج واضطراب . فانظر اليه وقد دخل عليه ادولف ومعه ليونتين كيف يستقبل صاحبهُ مضطرباً ساخطاً صاخباً يعلن اليه اسمهُ وصناعتهُ الاولى في باريس وقضيته مع امرأته ... والرجل يعترف بكل شيء في وجوم ودهش حتى اذا فرغ من هذا اعلنت ليونتين ان ادولف لم يكن في يوم من ايام حياته سكيراً ولا شريراً ، لم يضربها ولم يسيء اليها وانما هي التي خانته فأراد الطلاق وكره ان يكون الحكم عليها فقبل ان يتهم نفسه وان يقع الطلاق عليه هو ، ثم تتبع امرأتهُ بعد الطلاق بالبر والعطف حتى كان هذا الحادث الاخير . وانظر اليها ترفق بزوجها وتترضاه في خفة ودعابة وطهر حتى تأخذ يده فتضعها في يد زوجها الاول . وتدخل اورتنس ومعها النائب يستعجلان الغداء . فيضع البارون ذراع ادولف في ذراع اورتنس وقد سماه باسمه هذه المرة . فاذا سمع النائب ذلك اظهر الدهش فينبئه صاحبه ان قد عرف الرجل كل شيء وهم يتقدمون الى المائدة والخادم مقبلة وفي يدها زهر تقدمه الى سيدتها كأنما تهدي هذا الزهر الى هذين الخطيبين

طه حسين

جيوش الدول العظمى الآن

وأين تصطدم غداً ؟

لما عقد الصلح وحدد السلاح عند دولتي الوسط وحلفائهما وانشئت عصبة الامم اعتقد الناس أو معظمهم أن عصر الحروب قد انقضى وأن السلام سيعم العالم حيث يقوم بتحكيم العصبة مقام تحكيم السلاح . ولم تكن هذه الامنية بعيدة التحقق لو أن أميركا دخلت العصبة . فان من غرائب الاقدار أن تكون أميركا هي التي اقترحت العصبة وانشأتها ومع ذلك امتنعت عن الدخول فيها . وأميركا الآن باعتبارها أقوى دولة في العالم كان يكون لها من الاثر الفعال في سلام العالم ما يمنع الدول الاوربية من التمادي في اطماعها . ولكن شاءت الاقدار أن تتهكم بالآمال الانسانية وتخلت العصبة من هذا العضو الذي يزن في القوة جميع الاعضاء الآخرين

ونتيجة ذلك أن الدول العظمى بعد ان كانت تتكلم عن الحرب الكبرى كأنها آخر الحروب باتت الآن تدرس هذه الحرب للانتفاع بما فيها من عبر يمكن تطبيقها على الحرب القادمة . فكل دولة الآن تهيىء جيشها باحدث الآلات والانظمة وتبعث بجواسيسها للبحث عما يجد من آلات الفتك أو خطط التحصين أو نحو ذلك . وقد بعث الاستعداد للحرب روح التوجس والوساوس في قلوب الامم حتى المسالمة منها فشرعت هي أيضاً تنافس جاراتها في وضع الانظمة للجيوش وشراء الآلات للقتال

ونحن فيما يلي نذكر شيئاً عن استعداد الدول العظمى ثم نعقب عليه بذكر أماكن الخطر التي قد تكون مسرحاً لحرب قريبة

المانيا

أكبر مكان للخطر هو المانيا التي لا تزال جاراتها تخشاها كما تخشاهن هي أيضاً وقد قضت عليها معاهدة فرساي بتعيين عدد جيشها كما فعل نابليون قبلاً . ولكن المانيا مدة نابليون استطاعت أن تفلت من هذا القيد بان كانت تدرب الجنود والضباط مدداً قصيرة ثم تدعو غيرهم فكانت بذلك تدرب جميع الشبان في الامة بدون أن يزيد عدد جيشها عما شرطه عليها نابليون . وقد فطن الحلفاء في معاهدة فرساي الى لعبة المانيا هذه فقررت أن يبقى الجيش ١٢ سنة لا يبدل جنوده أو ضباطه . ومنعت أيضاً من ايجاد جيش احتياطي . ولكن الالمان عمدوا الى التملص من هذه

القيود بان الفوا جماعات باسماء مختلفة تتدرب تدرباً عسكرياً . وقد وقف الناس على قوة هذه الجماعات في سنة ١٩٢٠ عندما عصفت بالبلاد فتنتان احداهما شيوعية والاخرى ملوكية وكلتاهما كانت تحاول هدم الجمهورية . فتطوعت هذه الجماعات واخمدت هاتين الفتنتين . والمظنون انه يمكن المانيا في أي وقت أن تجند نحو ٣ ملايين جندي

وقد قضت معاهدة فرساي أيضاً بتحديد الذخائر التي تصنع لالمانيا واجبرتها على تحويل مصانعها الحربية الى مصانع تصنع أدوات السلم . ولكن يجب أن نلاحظ هنا أن الحرب الكبرى قد علمتنا بانه من السهل جداً أن تحول المصانع السلمية الى مصانع حربية ثم ان الطيارات التي تستعمل في النقل مدة السلم يمكن أن تتخذ للحرب بدون أي تنقيح فيها . ثم ان المصانع التي في الاقطار المجاورة لالمانيا بمثل هولندا أو الاقطار الاسكندناوية لا تتردد في خدمة المانيا مدة الحرب . فيمكن بذلك أن نقول ان الجيش الالماني الذي قررت معاهدة فرساي ألا يزيد عن ١٠٩٠٠٠ جندي قد أصبح مدرسة حربية كبرى مؤلفة من اختصاصيين يعملون للحرب بكفاية نادرة ويعلمون أيضاً غيرهم

فرنسا

كانت فرنسا مدة عقد الصلح تجاهر وتصرح بانها لا تؤمن بان السلام سيعم العالم ، وانها لذلك ستحتفظ بحريتها في تأليف الجيش وصنع الاسلحة . وهي لا تزال على هذا الرأي الى الآن . والذي يدعوها الى ذلك اعتقادها بأن المانيا لن تسكت في المستقبل عن التوسع ما دام سكانها يزدادون كل سنة نحو مليون نفس بينما هي لا تزيد . وقد زاد قلقها هذه الايام بنهوض ايطاليا نهضة حربية رجعية ورغبتها في الاستيلاء على تونس دون فرنسا

ولفرنسا جيشان : احدهما الجيش المتروبولي والتجنيد له اجباري من فرنسا وتونس والجزائر والخدمة فيه تبتدىء من سن العشرين وهي ١٨ شهراً ثم يحال الجندي بعدها الى الجيش الاحتياطي . ويدعي من وقت لآخر للتمرين فاذا بلغ الاربعين جاز للدولة استخدامه في الصفوف الخلفية فقط الا اذا استدعى الحال أن يحمل السلاح للدفاع لقتل من يكونون أمامه في الصفوف الاولى

والجيش الثاني يسمى الجيش الاستعماري وجنوده اما متطوعون واما ملزمون بالخدمة وعليهم ضباط فرنسيون . وهم كما يدل على ذلك اسمه يجندون من المستعمرات في افريقيا وآسيا . ولما كانت جيوش فرنسا متوزعة على ثلاث قارات بهذه الصفة وكان جيشها الفرنسي الاصلي قليل العدد فانها

لذلك عارضت في منع الحرب بالغواصات لانها لا يمكنها مثلاً أن تنقل جنودها من افريقيا الى فرنسا اذا كان الاسطول البريطاني يمنعها . فالغاية الاصلية من الغواصات هي تهديد الاسطول البريطاني حتى يترك الطريق مأمونة بين فرنسا ومستعمراتها الافريقية

ولفرنسا عدة حلفاء هم بلجيكا وتشكوسلوفاكيا ورومانيا وبولندا ولكل من هذه الدول جيوش يتراوح عددها بين ٩٠٠٠٠ و ١٥٠٠٠٠ الا بولندا التي يبلغ جيشها ٢٥٠٠٠٠ ومن هذه المحالفات يدرك القارىء نية فرنسا في احاطة المانيا بكتلة حربية متحالفة

ايطاليا

ايطاليا في نهضة حربية رجعية لا يفتأ الفاشستيون يذكرون الدولة الرومانية ومجدها وينظرون بعين الطمع الى شمال افريقيا وغرب آسيا . ولايطاليا جيشان : أحدهما جيش الدولة وهو اجباري الخدمة يبدأ الجندي فيه من سن العشرين ويقضي بالجيش ١٨ شهراً ثم يبقى في الاحتياطي الى أن يبلغ الاربعين . وللفاشستيين جيش متطوع آخر يبلغ عدده ٣٠٠٠٠٠ جندي مدرب . وايطاليا خطر قائم لفرنسا وليوغوسلافيا وهذا الخطر يزداد قوة بما يرسله موسوليني من الالفاظ الرنانة التي تشبه ما كان ينقل عن امبراطور المانيا

روسيا

لما فاز الثائرون سنة ١٩١٧ في هدم دولة القيصر انحل الجيش ثم تغلب الشيوعيون وشرعوا ينفذون حلم الشيوعية وكانوا يؤملون أن ينشروا الشيوعية في العالم بقوة الجيش . فلما حدثت الثورة الشيوعية في المانيا سنة ١٩٢٠ اغار الروس على بولندا يريدون اجتيازها الى المانيا لمعاونة اخوانهم . ولكن بولندا صدتهم . ومن ذلك الوقت اقتصد الروس في أسلحتهم

والخدمة في الجيش الروسي الآن اجبارية من التاسعة عشرة الى الاربعين . ولكن الجيش النظامي لا يتألف بالطبع من جميع الشباب اذ هو يبلغ ٦٥٠٠٠٠ جندي يخدمون مدة عامين أو ثلاثة وهناك ايضاً الجيش الارضي الذي يبلغ عدده ٤١٠٠٠٠ جندي . ويقال ان روسيا تعتمد على ثلاثة أشياء للحرب وهي الخيل والطيارات والغازات

بريطانيا

الجيش البريطاني لا يزيد عن ٢٠٠٠٠٠ جندي منهم ٦٠٠٠٠ في الهند . وجل اعتماد البريطانيين على أساطيلهم . وقد خرجوا من الحرب الكبرى وقوتهم البحرية دون قوة الولايات

المتحدة ولكنهم لم يهدأوا حتى استعادت أساطيلهم السيادة على أساطيل الولايات المتحدة . وحكومة بريطانيا تدرس الآن الآلات الحربية التي يمكن أن يستغنى بها عن كثرة عدد الجنود . وقد كان أهم ما استلفت الانظار في العرض الاخير وفرة الدبابات والطيارات

نظرة عامة في أماكن الخطر

ويمكننا الآن أن نلقي نظرة على أماكن الخطر في العالم

فأولها هو المانيا التي يطيف بها الاعداء من كل جانب تقريباً وخاصة بولندا التي شطرت بروسيا وهي أكبر الدول التي يتألف منها الاتحاد الالماني شطرين وقطعت عنها مستعمراتها . فاذا عرفنا ان المانيا أمة صناعية وانها تزداد نحو مليون نفس كل عام وان الحروب تقوم الآن على الصناعة والرجال امكننا الآن أن نتصور الخطر المنتظر من مركز المانيا الراهن في أوربا

ويلي هذا الخطر خطر آخر يتجسم في ايطاليا التي لا تفتأ ترنو بعين الطمع الى البانيا وتونس . وهذه خطة لا يمكن فرنسا الاغضاء عنها فانها تحمي تونس وهي أيضاً محالفة ليوغوسلافيا التي لا تخفي اطماعها لابتلاع البانيا

أما روسيا فيبدو من خططها الاخيرة انها قد أشاحت بوجهها عن أوربا واقبلت على آسيا تدس دسائسها لبريطانيا في الصين وافغانستان . والصين الآن في بوتقة الحرب . أما افغانستان فقد تحركت لها بريطانيا وحشدت جميع جيوشها في الهند على التخوم القائمة بينها و بين الهند

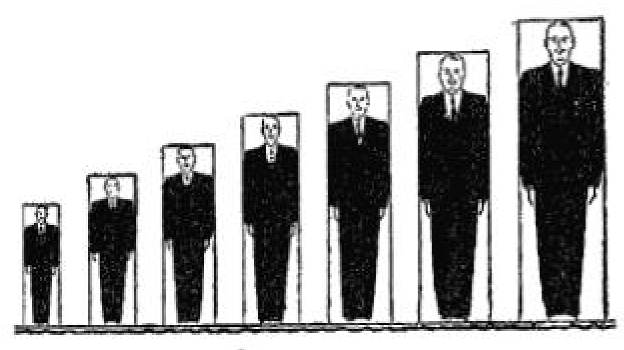
ومن أماكن الخطر أيضاً طنجة في مراكش فانها « عظمة الخلاف » بين فرنسا واسبانيا كل منهما تريد السيطرة عليها ولهذا يتحدثون بمحالفة يزعمون عقدها بين ايطاليا واسبانيا لمناوأة فرنسا قد يكون لبها امتلاك ايطاليا لتونس واسبانيا لطنجة

والآن يحسن بنا أن نختم هذا البحث بهذا الجدول الذي يبين عدد الجيوش والسكان والثروة

الدولة	الثروة بالجنيه	الجيوش	السكان بالمليون بدون المستعمرات
الولايات المتحدة	١٦٠٤٠ ٢٠٠ ٠٠٠	٤٠٥ ٥٤٠ جندي نظامي واحتياطي	١١٨
الامبراطورية البريطانية	٥٥٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٥٩٥ ٣٥٤ « « «	٤٥
فرنسا	٣٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٥ ١١٧ ٦٦٦ « « «	٤٠
ايطاليا	١٥٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٤ ٢٢١ ٧١٤ « « «	٤٢
اليابان	٢٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١ ٨٧٣ ٠٠٠ « « «	٦١

الانتصار على الامراض

هل هو للطب أم للهندسة ؟



معدل عمر الانسان يزداد طولاً سنة بعد سنة
(كما يظهر ذلك في الرسم المتقدم فأوله الى اليسار يشير الى عمر الانسان قبل
التقدم العلمي الحديث ثم يبين تدرجه بعد ذلك حتى بلغ حجمه في اليمين)

تتغلب الحياة على الموت وتزداد تحكماً فيه في أيامنا هذه . فالاطفال الذين كانوا يموتون بالذباب قد أصبح لا يموت منهم الا عدد قليل والجوائح الوافدة كالطاعون والكوليرة والجدري قد زال بعضها أو انحصر فعله في الاوساط الفقيرة القذرة . ثم مع ذلك زاد متوسط عمر الانسان ونقصت الوفيات من الامراض الاخرى وحوصرت الامراض المعدية فلا تكاد تنشأ حتى تخمد . وهذا التحسن أو هذه الانتصارات المتوالية التي تنالها الحياة من الموت والامراض ستطرد في المستقبل فيزداد عمر الانسان وتقل الامراض أو تزول وتستحيل الشيخوخة الهامدة نشاطاً وشباباً

فما هو العامل الاصلي في هذا الرقي ؟

قد يظن الانسان لاول وهلة أن تقدم الطب هو علة هذا الرقي فاننا عندما نمرض نذهب الى الطبيب ونستعمل العقاقير التي ينصح لنا بشرائها بل نحن نذهب اليه عندما يموت أحدنا فنطلب منه الشهادة بالوفاة . فنتوهم من ذلك أنه يتحكم في الحياة والموت . ولكن الواقع أن التحسن الصحي وزيادة العافية بين الناس يرجعان الى الهندسة بمقدار ما يرجعان الى الطب بل قد تكون الهندسة الصناعية أكبر عامل في التغلب على الامراض وتأخير الموت الى أجل بعيد . فان الطب الحديث لم يتقدم ويخطو الخطوة الحاسمة نحو الاكتشاف والاختراع الا في عهد قريب جداً وذلك منذ أن اكتشف باستور جراثيم الامراض ودعا لستر الى وجوب التعقيم لقتل هذه الجراثيم . ولكن الحالة الصحية في مدن اوربا سبقت باستور ولستر بالتحسن واعتاد الناس عوائد تطيل الحياة وتهزم الامراض

والحقيقة أن التقدم الصحي يعزى الى ثلاثة أشياء يمكن أن توضع على الترتيب التالي :

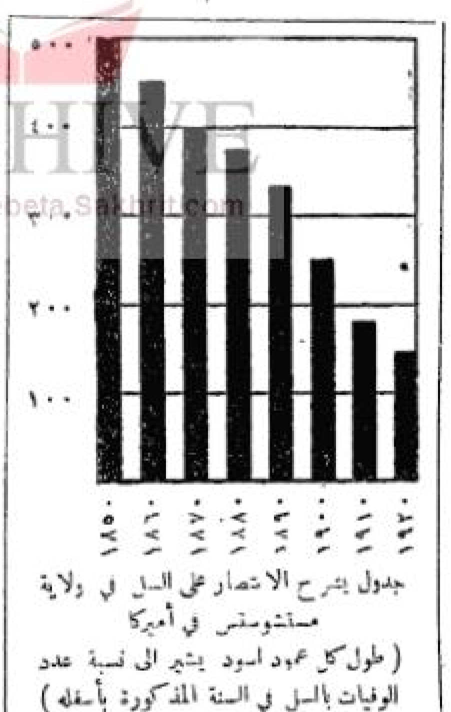
١ ــ تقدم الحضارة وزيادة أدوات الرفاهية في المعيشة

٢ ــ تقدم الهندسة الصناعية في بناء المنازل وتخطيط المدن

٣ ــ تقدم الطب في اهتدائه الى فكرة الجراثيم والتعقيم والتلقيح

تقدم الحضارة

قد تكون الحضارة داعية الى الترف والانغماس في الخمر وقضاء الليالي الساهرة والنهم في الطعام ونحو ذلك كما هو دأب بعض الاغنياء في المدن الكبرى · ولكن هـذه حضارة زائفة لا يعيش فيها الا اثنان أو ثلاثة في المائة من سكان المدن · وأما الحضارة الحقيقية التي تزيد العمر وتقلل الوفيات فاننا نجدها في عموم أدوات الرفاهية والنظافة · فالرجل المتمدن يعيش عيشة نظيفة من حيث الاستحمام والاغتسال والتأنق في الملبس يفرش بيته بالمشمعات ويستضيء بالضوء الكهربائي لا تأوي الى منزله الحشرات ولا يعكف الذباب على طعامه · فهو يعيش عيشة صحية من حيث لا يدري اذ ليس هناك طبيب ينصح له بالنظافة وانما هو الرأي الشائع بين المتحضرين أن يكونوا نظافاً وأن تكون لهم منازل رحبة الغرف نظيفة الاثاث وأن تكون المدن معبدة الشوارع لا طوعاً لنصيحة الطب بل جرياً على مقتضيات حركة النقل والتجارة · واذا كنا لا ننكر الضرر الذي يحدث للمتحضرين من الترف فاننا أيضاً لا يمكننا أن ننكر فضل الرفاهية · وان كانت الرفاهية تبدو لاول ظهورها ضرباً من الترف · فقد كانت المنازل تبنى قديماً بحيث ينتشر الدخان في أرجاء المنزل حتى يخرج من النوافذ فاخترع أحدهم أنابيب يتسرب الدخان فيها الى سطح المنزل · وعد هـذا العمل غاية الترف ولكنه عمَّ الآن حتى صار الكوخ الحقير لا يخلو من انبوبة في المطبخ ترفع الدخان بعيداً عن السكان · واذا نحن تأملنا جميع ضروب الترف الفيناها في الاول غاليـة الثمن نادرة الوجود ثم تكثر فتعم · وهذا الاتومبيل مثلاً دليل على ذلك



جدول يشرح الانتصار على السل في ولاية مستشوستس في أميركا

(طول كل عمود اسود يشير الى نسبة عدد الوفيات بالسل في السنة المذكورة بأسفله)



هبوط حوادث التيفوئيد في الولايات المتحدة (طول كل عمود اسود يشير الى نسبة عدد الوفيات في السنة المذكورة بأسفله)

تقدم الهندسة

اذا نحن حققنا النظر في تقدم الحضارة وخاصة تقدمها المادي شعرنا بفضل الهندسة الآلية . فنحن الآن نعيش في مدن نظيفة لا تقوى الامراض على الكمون في أوساخها لا لان الطب كان يتطلب ذلك بل لان الهندسة الآلية قد تقدمت وكان ذوق الاهلين قد ارتفع في ادراك النظافة فأمكن بذلك تطبيق المخترعات الهندسية على بناء المنازل وتخطيط الشوارع

فمعظم مالنا من صحة يعزى الآن الى الماء النظيف الذي نشربه ويحمل الى منازلنا في أنابيب نقية بعد ان يطهر في الصهاريج . والماء من اكبر الوسائل لنقل العدوى . ثم ان الماء النظيف بما له من حلاوة في النفس وانعاش للفؤاد يمنع الناس من الميل الى تناول الخمر . وقد لاحظ أحدهم ان أهالي لندن لا ينغمسون في الشراب وبعضهم بل اكثرهم لا يذوقه لان الماء في لندن نقي اللون عذب الطعم

وكذلك الحال في تصريف اوساخ المنازل . فقد كانت قبلاً تدوس في الارض تحت المنزل فيكون مكانها مباءة أمراض دائمة . فلما صنعت الانابيب لحمل هذه الاوساخ تطهرت المنازل من عامل كبير كان يعمل ابداً لتفشي الامراض

وقل مثل ذلك أيضاً في الشوارع من حيث توسيعها وتعبيدها حتى ان بعض المهندسين يفكرون الآن في تغطية الشوارع بالكوتشوك مبالغة في النظافة ومنعاً للضوضاء . وقد كانت حركة النقل قائمة في المدن سابقاً على الحيوان ولكنها الآن تقوم على الاتومبيلات فزال بذلك روث البهائم من المدن الكبرى وكان هذا الروث طعاماً لجراثيم الامراض تنتشر منه الى عيون الاطفال على أجنحة الذباب فتعميهم وتلصق بأفواههم فتنتقل اليها عدوى الامراض التي تقتلهم . وقد صدق أحد المهندسين حين عزا قلة الامراض في الاطفال الى استعمال الاتومبيل بدلاً من العربات التي تجرها الخيول . وقد كانت الشوارع في الازمنة القديمة مثل المنازل مأوى لجراثيم الامراض كما يراها الانسان الآن في الاحياء الفقيرة . فكانت وقت الامطار تستحيل وحلاً ممزوجاً بفتات النبات والحيوان فاذا ضربته الشمس حمي وتخمر فتتفشى فيه الجراثيم . فاذا جف استحال غباراً فيكون وسيلة أخرى لتفشي الامراض وخاصة أمراض العيون

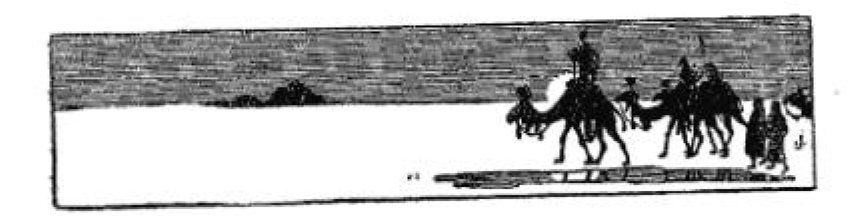
تقدم الطب

تقدم الحضارة وتقدم الهندسة هما اكبر عامل في زيادة اعمار الناس وانتفاء كثير من الامراض او قلتها. ولكن الطب زاد بصيرة المهندسين والناس جميعاً في معنى النظافة وانتقال الامراض. وكان اكبر فتح من فتوح الطب في العصر الحديث اهتداء باستور الى فكرة الجراثيم واهتداء لستر الى فكرة التعقيم . فانك لا تكاد تجد اكتشافاً أو اختراعاً في الطب بعد لستر و باستور الا وهو قائم على نظريتهما . والمسنّون في مصر يعرفون من لفظة « القشلة » ما كان يلابس التمريض من خواطر الخوف و يجعل المستشفى صنفاً آخر من السجن ينتهي عادة بالموت . أما الآن فالمستشفى من المبرات التي يتنافس الخيرون في اقامتها أو تأثيثها وصار بعض الحوامل يذهبن عن طيبة خاطر اليها للولادة فيها . ولا يرجع هذا الاطمئنان الا الى فكرة التعقيم التي أذاعها لستر في المستشفيات حتى صارت العمليات الجراحية شيئاً مألوفاً لا تخشى نتيجته

وكانت فكرة الجراثيم أساساً لعلم جديد في الطب نشأ عنها التلقيح والتطعيم حتى أننا أحياناً نظن أن الاطباء بالغوا فيها هذه الايام . فلا يكاد أحدهم يسمع عن عدوى التيفوئيد حتى يهرع الى المدارس لتطعيم التلاميذ . وهذه مبالغة نظن ان الاطباء سيكفون عنها اذا توافرت أسباب النظافة في الطعام والشراب

وهناك من الامراض كالملاريا مثلاً ما يرجع الفضل الاول فيه الى الطبيب لا الى المهندس. فان جراثيم هذا المرض تعيش في نوع من البعوض يأوي الى البرك والبطائح . فاذا لسع هذا البعوض الانسان أعداه بالمرض كما يفعل الذباب في نقل التيفوئيد أو الرمد او نحو ذلك من الامراض الاخرى . فاهتداء باستور الى فكرة الجراثيم هي أصل النجاح الباهر الذي تمكن به الاطباء من مكافحة هذه الامراض . ومن الغريب أن باستور لم يكن مع ذلك طبيباً

وخلاصة ما تقدم ان ارتقاء الحضارة ثم تقدم الصناعة والهندسة وأيضاً تقدم الطب قد زادت كلها في عمر الانسان وضبط الامراض





النوم

اذا عرف الانسان انهُ يقضي نحو نصف حياته في النوم أي انه اذا عاش ثمانين سنة نام منها اربعين أدرك لاول وهلة السبب الذي من أجله يبحث الباحثون عن أهمية النوم وهل في المقدور الاستغناء عنه

والنوم ينقسم الى اربعة اقسام :

(١) النوم الطبيعي

(٢) النوم الاستهوائي (المغناطيسي) وهو يتميز من سواه بأن تكون عينا النائم مفتوحتين

(٣) النوم تحت تأثير مخدرما وهو يشبه النوم الاستهوائي من حيث انه أعمق من النوم الطبيعي

(٤) نوم خاص بالحيوانات وهو شبيه بالاستهوائي اذ ينام الحيوان مدة الفصل الذي لا يوافقه العيش فيه · فمن الحيوانات ما ينام في فصل الشتاء هرباً من برده القارس ومنها ما ينام في فصل الصيف هرباً من الحر الشديد · وقد مارس هذا النوع من النوم على صعوبته سكان الهند الشرقية ولعل أهم ما ساعدهم عليه الفكرة الدينية وفي اثنائه يطوى اللسان داخل الفم ويتصلب الجسم مدة أسابيع تضعف فيها ضربات القلب ويقل افراز العرق وهم لا يطعمون الاغذية في حالة نومهم هذا كما يحدث في المرض المسمى مرض النوم حيث يغذى المريض بحقن تحت الجلد · اذ الغرض الذي يرمي اليه الهندي هو التقشف والعبادة ومن الغريب انه يصحو دون ان يلحقه ضرر

ومن العلماء من يرجع السبب في النوم الى تراكم بعض السموم المختلفة من عمل اعضاء الجسم وتأثير هذه السموم في المخ اذ يصبح غير قادر على مواصلة التفكير فيعمد الجسم الى الانطراح على الفراش ومن ثم يحصل النوم

وهناك طائفة ترى ان المخ يطرأ عليه من التعب ما يطرأ على بقية أعضاء الجسم لان وظيفة الاول هي تلقي التأثيرات الخارجية بواسطة الاعصاب الناقلة (الانسية) واعطاء الاوامر للاعصاب المختصة بالحركة (الوحشية) وفي مواصلة ذلك من التعب ما يجعله يطلب الراحة بالنوم

غير ان الاستاذ هوجو جرنسباك يذهب مذهباً آخر في تعليل سبب النوم فهو يقول ان النوم عادة او بعبارة أصح غريزة تأصلت في الاحياء قبل بدء التاريخ اذ كان الاسلاف لم يتخطوا بعد

دور الوحشية فكانت تبطل حركتهم عقب غروب الشمس مباشرة اذ يدخلهم الخوف من هجوم الظلام كما هو شأن معظم الحيوانات الآن . وكان من الخطر التجوال في الظلمة حتى كان الواحد منهم يبحث عن كهف يقضي فيه الليل . ولما لم يكن هناك نور يقلل من وحشة هذا الظلام كان الانسان لا يستفيد من بقاء عينيه مفتوحتين فباغلاقهما كان ينفصل عن العالم الخارجي ويبدأ نومه . حتى اذا ظهرت الشمس في الافق في اليوم التالي وبددت باشعتها ظلام الليل هب من نومه ليعمل ما عمله في اليوم السابق

وهناك علاقة بين النوم وبين أعصاب العين اذ لا يتم الاول والعينان مفتوحتان الا في النوم الاستهوائي كما مر . وعلى ذلك فالاسماك التي لا تغلق عيونها لا تنام وبعض السمك يستمر عائماً بلا انقطاع دون أن يشعر بحاجة الى النوم

ونحن عندما نستلقي على الفراش ولا تكون عندنا الرغبة في النوم نجد أن أحسن الطرق لدفعه عدم اطباق الجفون

ويرى الاستاذ المتقدم ذكره ان النوم ليس ضرورياً بشرط ألا نجهد أنفسنا فوق الطاقة وسيستغنى عنه في المستقبل الى حد ما على الاقل

ومما نلاحظه وقت النوم أن الذي ينام من العقل هو القسم الذي نعمل به أعمالنا ونحن في اليقظة (العقل الظاهر) أما العقل الباطن فانه ينتهز فرصة هذا النوم ويقوم ليتمم ما يراه ناقصاً في حياته الحقيقية بشكل حلم (في النوم)

ويقول هذا الاستاذ ان النوم العادي نوع من الايحائي او الاستهوائي اي انه لكي تنام يلزم ان تكون عندك الرغبة في النوم سواء أكان ذلك بوعي منك أم بغير وعي

ويمكن ابعاد النوم بمجهود عقلي كما هو معروف وبذلك يمكن تأخير النوم ساعات طويلة وقد عرف الاطباء هذا . فهم ينصحون لمن عنده أرق أن يبتعد عن التفكير وقت الذهاب للنوم ويكلفونه سرد الاعداد الحسابية وهي لا تتطلب مجهوداً عقلياً كبيراً يحول دون النوم

ومما يبرهن أن النوم العادي يشبه الايحائي انه اذا أردت أن تصحو في ساعة معينة كالخامسة صباحاً وكررت ذلك مراراً قبل النوم أو فكرت كثيراً في الصحو عند الساعة المذكورة قبل الذهاب الى الفراش فانك تصحو في الميعاد نفسه وان لم تأخذ كفايتك من النوم

انما الفرق في هذه الحالة بين النوم العادي والنوم الاستهوائي هو انك كنت الموحي والوسيط في وقت واحد في الاول بينما يقوم غيرك بوظيفة الموحي في النوع الثاني

وقد يمكننا أن نحول دون النوم حتى ولو كنا خائري القوى . على أن ذلك من الصعوبة

بمكان عظيم اذ أن التعب يؤثر ولو من غير وعي في عقولنا التي تحتال في طلب النوم

ومما يعزز الفكرة القائلة بامكان الاستغناء عن النوم اننا قد نلبث يومين أو ثلاثة وأحياناً عدة أيام من غير نوم في أوقات اضطرارية

وقد نتغلب عليه ببعض المنبهات التي تنبه المخ وتجعله يزاول أعماله كالمعتاد . على انه لا يبعد أن يستعيض عنها انسان المستقبل بجرعات من أدوية خاصة يعوضه تعاطيها ما يعوضه النوم

ح . ١٠

العجلة بعد الطعام

اذا امتلأت المعدة بالطعام احتاج الجسم الى راحة نسبية إما بالقعود وإما بالسير المتئد . والعادة اننا بعد الغداء أو العشاء نستريح قليلاً بل منا من يضطجع بعد الغداء قليلاً أو ينام مباشرة بعد العشاء . ولكن اذا كان النوم مباشرة بعد تناول الطعام مضراً فان الجهد بعد الافطار مضر أيضاً

وذلك لأن الطعام اذا بدأت المعدة في الهضم يحتاج الى مقدار كبير من الدم يجلب الى المعدة من سائر أعضاء الجسم . فاذا أجهدنا رؤوسنا بعمل عقلي بعد الطعام كان اجهادنا لها حملاً عليها لانها لا تجد الدم الكافي الذي يغذي الدماغ وقت التفكير . واذا أجهدنا أنفسنا بعد الافطار كما هي العادة لكي ندرك القطار أو الترام عاد هذا الاجهاد على المعدة بالضرر الكبير لانه يحرمها من الدم الوارد اليها للهضم ويوزعه في عضلات المشي

والعادة أن من يتأخر في الاستيقاظ في الصباح يلتهم طعامه بسرعة فلا يجيد مضغه ثم يبادر الى مكتبه معجلاً حتى لا يفوته الميعاد . وهذا التعجل يؤخر الهضم وقد يجعل عادة الامساك تتأصل في الامعاء

الصداع وعلاجه

للصداع أسباب كثيرة ولكنه في أغلب الحالات يرجع الى كثرة الزلال في الطعام ولذلك ينصح بعض الاطباء بمعالجته بالكف كفاً تاماً نحو ثلاثة أشهر عن الاطعمة الزلالية مثل اللحم الاحمر والسمك وخاصة البيض والاقتصار على تناول الخضراوات واللبن . وبعد مضي هذه الاشهر الثلاث يأخذ المريض في تناول اللحم الابيض شيئاً فشيئاً مثل الارانب والدجاج



امن الطيران

يطرد التقدم في فن الطيران من جميع الوجوه . فالطيارون يزدادون ممارسة وجرأة على الرياح والطيارة نفسها تزداد متانة في العدد والآلات . وافضل ما يدل على هذا التقدم هو هذا الاحصاء التالي المأخوذ من طيارات البريد في الولايات المتحدة . ففي سنة ١٩١٩ انشأت حكومة هذه الولايات مصلحة لنقل البريد بالطيارات ولا تزال هذه المصلحة قائمة تؤدي عملها بنجاح باهر . وهذا الاحصاء صحيح المقادير لان المسافات التي تقطعها الطيارات معروفة لا تتغير والطرق لا تختلف يوماً عن يوم الا قليلاً . وهذا هو الاحصاء :

السنة	القتلى	المسافات التي قطعتها الطيارات بالاميال	عدد الأميال لكل قتيل
١٩١٩	٣	١٩٤ ٩٨٦	٦٤ ٩٩٥
١٩٢٠	٩	٦٤٨ ٤٠٠	٧٢ ٠٤٤
١٩٢١	١٧	١ ٧٧٠ ٦٥٨	١٠٤ ١٥٦
١٩٢٢	١	١ ٧٢٧ ٢٦٥	١ ٧٢٧ ٢٦٥
١٩٢٣	٤	١ ٨٠٩ ٠٢٨	٤٥٢ ٢٥٧
١٩٢٤	٤	١ ٨٥٣ ٢٥١	٤٦٣ ٥١٢
١٩٢٥	٢	٢ ٥٠١ ٥٥١	١ ٢٥٠ ٧٧٧
١٩٢٦	٢	٢ ٢٥٦ ٠٠٠	١ ١٢٨ ٠٠٠

العصر الحجري في جزيرة العرب

كان الاستاذ لنجدون يبحث في شمال جزيرة العرب وفي العراق أيضاً عن آثار الانسان الاولي في العصر الحجري . فلم يجد في العراق بين النهرين أي أثر حجري . وانما وجد في شمال جزيرة العرب بين فلسطين والعراق في قرية نصر وعند آبار رتبة وفي حرة في شرق عمان أدوات حجرية يرجع تاريخها الى نحو ٢٠٠٠٠ سنة . ويظن الاستاذ لنجدون أن تلك البقاع الصحراوية كانت رطبة في تلك الازمنة كثيرة الامطار والمراعي وكان حيوان الصيد كثيراً فيها فكان الانسان يصنع أدواته من الحجر ويهاجم هذا الحيوان بها ويقتله ويأكله

النهضة الصينية وأسرارها

ترجع النهضة الصينية الحاضرة الى اثنين من ابنائها هما صن يات صن الذي الغى الامبراطورية وأسس الجمهورية منذ اكثر من ١٥ سنة والى ين الذي الغى نحو اللغة الصينية واختصر الابجدية الى طائفة قليلة من الحروف يمكن العامل أن يتعلمها ويفهمها · وقد تعلم كلاهما في أميركا واعتنقا المسيحية وعادا الى الصين فتبين لكل منهما أن المبالغة في احترام التقاليد يقيد الامة ويمنع رقيها · فعمد الاول الى الادارة فالغى منها عامل الجمود وهو الاسرة الامبراطورية واسس في البلاد ادارات حديثة وغرس الفكرة الجمهورية في آذهان الناس · ومعظم الصين الآن في فوضى ولكن السكان مشربون بروح الجمهورية لا يبغي أحدهم رجوع الاسرة المالكة

أما ين فيرجع تاريخ حركته التعليمية الى ١٩١٦ حين كان بأميركا . فقد دعي الى فرنسا لقيادة فرق العمال الصينيين الذين جلبهم لخدمة جيوش الحلفاء · ولم يكن بفرنسا أحد ممن يعلمون الصينية وكاد يحدث قتال بين ضباط الحلفاء وهؤلاء العمال · فلما جاء ين أخذ يتفاهم معهم ووجد أن الفرصة سانحة لكي يعلمهم القراءة والكتابة · ولكن اللغة الصينية المكتوبة تختلف من لغة العوام اختلافاً كبيراً جداً يزيد عن الاختلاف بين لغتنا العامية وبين العربية في الجاهلية أو في الصدر الاول للاسلام · وكان « العالم » الصيني يقضي عشرات السنين في درسها حتى اذا أتقنها لم يفهمه أحد سوى العلماء أمثاله

فعمد ين الى اللغة واختصر أبجديتها في حروف قليلة وصار يعلمها العمال في فرنسا فالقى نجاحاً عظيماً لهذه الخطة · فلما عاد الى الصين اتخذ جماعة الشبان المسيحيين وسيلة لنشر الابجدية الجديدة وناشد الاعضاء والطلبة والصحافيين أن يكونوا رسل هذه اللغة بين الامة الصينية ووضع كتباً لتعلمها يقال انه وزع منها الى الآن أكثر من ثلاثة ملايين نسخة · وقد جعل درس اللغة الصينية بطريقته المختصرة لا يقتضي من الوقت سوى ٩٦ ساعة مع ان « علماء » الصين كانوا يقضون نحو ٣٠ سنة في درسها · وتحمس الطلبة لهذه الطريقة الجديدة التي رأوا فيها خلاصاً جديداً للامة من ربقة التقاليد فكانوا يسيرون في المدن يحملون الرايات الكبيرة وعليها هذه العبارات : « الرجل الامي أعمى » و « هل ابنك أعمى » و « الصين الامية تتألم » واستثاروا بذلك حمية الامة فاقبل العمال والفلاحون على تعلم الابجدية الجديدة وانشئت الصحف الجديدة لتزويد هؤلاء القراء بالاخبار والآراء ووضع أحد الدعاة لهذه اللغة ديواناً جديداً بهذه اللغة قال في مقدمته : « لا يمكن اللغة الميتة أن تنتج آداباً حية . فاذا رغبت الصين في آداب حية وجب عليها أن تعبر عنها بلغة حية »

وهكذا استيقظت الصين وكانت يقظتها عائدة الى شبابها الناهض المجدد الثائر لا الى « علمائها » الذين كانوا يقضون عشرات السنين في درس نحو اللغة القديمة وآدابها

مصر والعصر الحجري

يقول الاستاذ اليوت سمث ان مصر هي التي اخرجت العالم من العصر الحجري وافشت فيه صناعة التعدين وذلك لانها اول امة عرفت النحاس فصنعت الآلات التي كانت تصنع من الحجر قبلاً من النحاس . وان معرفتها بالنحاس والذهب هي التي اقتضت هجرة ابنائها الى الشرق والغرب للبحث عن مناجم هذين المعدنين وكانوا يحملون معهم ثقافة مصر وينشرونها في العالم حيث كان الناس لا يزالون يعيشون في بداوة الغابات والصحارى ولا يستعملون من الآلات سوى ما كان مصنوعاً من الاحجار . فمن المصريين تعلموا الزراعة وعرفوا الحضارة

وهو يقول ان مصر كانت حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد متصلة بجنوب اوربا بل بانجلترا من حيث وحدة الاصل بين الشعوب القاطنة في هذه الاقطار . فالشعب الانجليزي كان في ذلك الوقت لا يختلف من الشعب المصري وكذلك الحال في اوربا الجنوبية ولذلك نقلت شعوب اوربا ثقافة مصر وحضارتها بدون ان تتوجس منها كما هو الشأن في كل امة تنقل عوائد غيرها . ومما يدل على هذا النقل انه حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد اختلفت طريقة دفن الموتى في مصر لشيوع دين جديد فيها فاختلفت ايضاً طريقة الدفن في ايطاليا بحيث اشبهت الطريقة الجديدة المصرية . ولا يمكن تعليل هـذا الاتفاق بين القطرين بالصدفة بل المعقول ان الامم التي كانت تعيش في العصر الحجري كانت تنقل من مصر كل ما يجد فيها من العادات وتتعلم منها و يقول الاستاذ اليوت سمث ايضاً ان الانجليز في العصر الحجري الاخير صاروا يصنعون ادواتهم الحجرية الجافية على طريقة مصر في صناعة الادوات النحاسية مما يدل على هذا الاتصال الذي ذكرناه

والقول بان مصر اصل حضارة العالم كله قد اصبح يجد له من المشايعين طائفة كبيرة من العلماء في جميع اقطار العالم المتمدينة

زيادة عمر الانسان

متوسط عمر الانسان الآن في الاقطار المتمدينة الاوربية والاميركية نحو ٥٨ سنة . وقد حسب الاستاذ فشي مقدار التقدم في هذه الزيادة في الخمسين السنة الماضية . وقدر ان هذه الزيادة ستطرد بهذه النسبة في السنين القادمة فوجد أن متوسط العمر سيبلغ ٦١ في سنة ١٩٣٠ و٦٥ في ١٩٤٠ و ٦٩ في ١٩٦٠ و ٧٥ في ١٩٧٠ و ٨٠ في ١٩٩٠ و٨٢ في سنة ٢٠٠٠

و يقول الاستاذ وودرف ان الخلايا المركب منها الجسم خالدة أي أن موتها غير طبيعي فان الدكتور كاريل مثلاً قد تمكن من أن يجعل قلب الفروج يعيش ١٥ سنة في سائل مغذ . وهو يعتقد انه ليس بعيداً أن يعمر الانسان في المستقبل جملة مئات من السنين

الخوف في الحيوان

يبدو من مسلك الحيوانات التي تعيش في أمن بعيدة عن الانسان والسباع انها لا تعرف الخوف . ففي المحيط الهادي تقع بعد ٦٠٠ ميل غرب أميركا الجنوبية جزر غالاباغوس على خط الاستواء وهناك تعيش طائفة من الطيور والزواحف والفقم أي الحيوانات البحرية اللبون وكلها لا تخشى الانسان . وقد زار هذه الجزر المستر هكس حديثاً وكتب مقالاً عن زيارته فذكر ان سبع البحر وهو فقمة معروفة يخرج من الماء و يقعد الى جانبه ولا يخافه . وانه كان عند ما يريد أن يأخذ بيض الطيور يضطر الى رفع الام بيده لانها لا تخشاه . وحدث انه أراد أن يصيد طيراً فلما سدد اليه البندقية وأراد اطلاق الخرطوشة جاء الطير بنفسه وحط على أنبوبة البندقية فتناوله بيده

ومما ذكره عن عقلية الفقمة انها تحسب الانسان فقمة مثلها فقد جرب المستر هكس معها جملة تجارب تثبت ذلك فانه انطرح على الارض بهيئتها ثم حرك أعضاءه عضواً بعد عضو فكانت الفقمة تحاكيه في كل حركة حتى انه عند ما رفع يده الى ظهره رفعت الفقمة زعنفتها الى ظهرها مع صعوبة ذلك عليها

ومن أغرب الحيوانات التي وجدها هناك زاحفة تدعى الاجوانة وهي من سلالة قديمة بطيئة التطور وتمتاز بعين ثالثة فوق رأسها . وهذه العين هي التي يظن انها كانت بالانسان قديماً في مكان اليافوخ الطري الذي نراه في أطفالنا عقب ولادتهم . وفي العالم زاحفة أخرى لها عين ثالثة في يافوخها وهي تعيش في زيلاندة الجديدة واسمها الاسفنودون

ثقافة النار

وضع الدكتور هوج من أساتذة الجامعات في الولايات المتحدة كتاباً عن تاريخ النار وما أحدثته معالجتها من الثقافة للانسان . فذكر المجوسية عند الفرس . ومما قاله ان الاهتداء الى البترول في القرن الماضي كان من أكبر الاسباب لبقاء القياطس لان الناس استغنوا عن دهن القيطس للاضاءة بالاستصباح بالبترول الذي لولاه لانقرضت القياطس من البحار . ومن وسائل الاضاءة عند سكان جزائر أوركيني انهم يضعون طيراً بحرياً على رأس عامود ويشعلونه ولما كان هذا الطير كثير الدهن فانه يبقى مشتعلاً مدة طويلة كأنه مصباح . ولما سادت رومية على أقطار البحر المتوسط عم استعمال زيت الزيتون للاسراج لان الرومانيين نشروا غرس أشجار الزيتون في جميع أنحاء الامبراطورية . وكان الرومانيون يدفئون منازلهم بأنابيب تحمل الى الغرف الهواء الساخن من فرن خاص . و يقرر المؤلف ان أول من استعمل الفحم وقوداً هم الامرنديون في أريزونا بأميركا

الصيد الرفيق

تقول احدى المجلات ان ضابطاً بحديقة الحيوان في شيكاغو قد اخترع خرطوشة تطلق على الحيوان المراد صيده فلا تقتله لان قصاراها أن تجرحه جرحاً خفيفاً ولكنها في الوقت نفسه تطلق في جسمه مخدراً قوياً يسري في عروقه فيخدره · وعندئذ يحمل الى القفص حيث لا تمضي مدة طويلة حتى يفيق من التخدير فينقل في قفصه الى حدائق الحيوان وهو سليم معافى

مخدر جديد

المخدرات التي تغيب الاحساس كثيرة الآن تستعمل في العمليات الجراحية الكبيرة والصغيرة أشهرها هو الكلوروفورم الذي يستنشقه المريض فيغيب عن وعيه في مدة تتراوح بين ٤ و ٨ دقائق · ولكن يحدث أحياناً ان المريض يموت منه وخاصة اذا تعجله الطبيب المكلف بتخديره فنشقه نشقات كبيرة متداركة منه . والمخدر الثاني هو الاستوفين وهو يحقن في داخل العمود الفقري فيخدر كل جزء من الجسم تحت مكان الحقن في العمود الفقري ولذلك فهو لا ينفع اذا كانت العملية في الصدر أو العنق أو الرأس وهناك مخدر ثالث يسمى الاثير لا يستعمل كثيراً الآن

وقد ذكرت المجلات انه قد اكتشف مخدر جديد في مصانع الاصباغ في المانيا وقد اطلقوا عليه اسم ١٠٧ وهو يحقن في الشرج فيسير في الامعاء ويحدث للمريض تخديراً جميلاً يشبه النوم العميق وقد فحص الدم وقت التخدير فلم يوجد به أي أثر لزيادة الضغط وكذلك النبض لم يزدد وقد جرب أولاً في الحيوانات ثم جربه الاستاذ بوبجر في نحو ٣٠٠ مريض فوجد انه يفضل الكلوروفورم والاستوفين من حيث عواقبه . فان المريض يستيقظ منه وكأنه قد أفاق من نوم فلا يشعر بذلك التهوع الذي يعقب الكلوروفورم ولا بتلك الازمة العصبية التي تعقب الاستوفين

أقصى سرعة للاتومبيل

فاز الانجليز في الشهر الاسبق فوزاً لم يكونوا ينتظرونه في بلاد الاتومبيلات نعني اميركا · فقد اقيم سباق في فلوريدا من الولايات المتحدة فكان الفائز فيه ضابط انجليزي يدعى سيجريف وكان اتومبيله انجليزياً من مصانع شركة سنبيم · فقد قطع في الساعة ٢٠٤ أميال وهي أقصى سرعة بلغها أتومبيل منذ اختراعه الى الآن . وبهذا الاتومبيل محركان تبلغ قوة كل منهما ٥٠٠ حصان وهما يعملان مشتركين · وتقول شركة سنبيم ان هذا الاتومبيل كلفها ١٤٠٠٠ جنيه · ويمكن القارىء تصور هذه السرعة العظيمة اذا عرف ان هذا الاتومبيل يمكنه أن يقطع المسافة بين القاهرة والاسكندرية في نحو نصف ساعة



« حرية الفكر وابطالها في التاريخ » للاستاذ سلامه موسى

طبع بمطبعة الهلال بمصر

تفضل احد كتابنا الضليعين في الادب الواسعي الاطلاع على منتجات الذهن الشرقي والغربي بهذا الكلمة عن كتاب « حرية الفكر وابطالها في التاريخ » الذي قدمناه هدية الى مشتركي الهلال — ننشره في هذا المكان لانه خير درس لقيمة الكتاب وفضل صاحبه [المحرر]

أريد ان أشكر للهلال ذلك الاثر الباقي الذي تفضل باهدائه الى قرائه ، وهو كتاب المفكر الاستاذ سلامه موسى . لانه من ذلك النوع النادر في الثروة العقلية والمعاني السلسة الرائقة والاسلوب المصري العصري . ولانه مما يصدق عليه بلا مبالغة ولا تهويل تلك العبارة التي كتبتها مجلة اكسفورد عن مؤلفات الاستاذ ج . ف . ستوت عضو الاكاديمية البريطانية : « ان طلاب الفلسفة والمتقدمين في معرفتها يحسنون إلى أنفسهم صنعاً إذا طالعوا تلك المؤلفات ، وعلموها بالحواشي ، وذاكروها ودرسوها وهضموا معانيها » . واننا لا نعدو ما هو حق وواقع إذا قلنا عن كتاب « حرية الفكر » الذي نحن بصدده والذي هو كتاب الشهر بل كتاب السنة ، وكتاب الشباب الوثاب ، وكتاب النهضة العلمية ، وكتاب التحرير العقلي ، انه كتاب خليق بالدراسة والتفهم ، وهو خير مثل للاقتصاد اللفظي ، والغنى العقلي ، وانه بلا ريب نتيجة اطلاعات واسعة المدى متنوعة الفنون والمناحي . وانه اذا كان السير جون سنكلر قد قيل عنه حقاً انه قد اطلع قبل مؤلفه الاقتصادي المالي عن اسكتلندا على ما نيف على عشرين الف رسالة في موضوعه قضى في درسها واستيعابها ثماني سنوات — فان كتاب « حرية الفكر » هو في الواقع نتيجة مطالعات شاقة ودراسات طويلة

على ان مما يروقني كثيراً أن الاستاذ حينما أخرج للناس مؤلفه الرشيد بلا صخب ولا ضوضاء كان متواضعاً وجريئاً ومبشراً

كان متواضعاً في كل حرف سطره ، ويكفي أن تلم المامة بسيطة بالصفحة الاولى من الكتاب حينما تكلم عن مراجعه في مؤلفه فذكر حوالي العشرة . . . العشرة فقط . . . فان كنت في خلال ما تقرأ وتلتذ بهذه الثروة العقلية التي تواتيك سهلة معبّدة بلا كلفة ولا تمنع

ولا غلو ثمن من كد قريحة في المعنى ، وكشف أحجية في اللفظ تذكر مؤلف فورد عن « أرازمس » أو ترجمة هزلت عن « لوثر » أو محاضرات التربية والحياة التي القيت في تورنتو وجمعها وال ، أو تلمح طرقاً تحليلية على آخر طراز في التعليم المنطقي فتذكر جون ستوارت ميـل وسبنسر في مؤلفاتهما ثم تذكر بنجامين كد في كتابيه « مبادىء المدنية الغربية » و « التطور الاجتماعي » . وتلمس في كل ناحية التنظيم العقلي المطرد الذي يلقي في خلدك أن صاحب المؤلف قد « هضم » وهضم تماماً آخر المؤلفات الجامعية التي دعا اليها أمثال تليارد و « سيرجون أدامس » و بلسبري وجد وجونس مما الف في سنة ١٩٢٦ و « منرد » وكلباترك ممن الفوا في سنة ١٩٢٥ وصفوة القول تجد أمامك العالم العصري الطراز ـ المتواضع حقاً والذي لم يتعب رأسك بذكر مئات المراجع مما قرأ ودرس « وهضم »

ثم هو جريء . . . . وجريء حقاً . . . .

أذكر اني في سنة ١٩١٣ كتبت كلمة تذكرني بها كلمة اليوم . كتبتها في « الجريدة » تحت عنوان « الشجاعة الادبية » لمناسبة ما كتبه الدكتور منصور فهمي . . . وكتبت أخرى عن كاتب آخر جريء هو الدكتور طه حسين والآن أقيد تهاني واجلالي لتلك الظاهرة الاخلاقية النادرة للمرة الثالثة : فأقول للاستاذ سلامه موسى : انك جريء وجريء حقاً

وأما انه مبشر فذلك ما لا سبيل الى دفعـه أو جحوده ، فهو مبشر في دعوته إلى تحرير العقول من عقالها ، واطلاق الافكار من جمودها وإحياء النفوس من ركدتها ومواتها . وهو مبشر في أسلوبه الذي طالما انتظرنا وانتظرنا طويلاً نتيجة الدعوة الى تمصير اللغـة . . . ولست أدري ما لذة أولئك الذين يقولون « انه جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » بدلاً من قولهم : رجل مختبر جبـار العقل . وما لذتهم في قولهم فلان « صل اصلال وإد آداد » وفي مقدورهم أن يقولوا . . . انه داه أو دهي أو داهية على حسب ما يقوله الزمخشري في أساس بلاغته . . ولماذا يقولون « سؤبان ثراء وترعيـة مال » من أمالي القالي بدلاً من « مقصد » . . . إلى آخر تلك البلاغة القديمة العهـد التي يصح أن ينظر اليها كما ينظر الغربيون جميعاً إلى تراث اللاتيني واليوناني القديم

لست أريد أن اكتب مبحثاً منظماً عن هـذا الكتاب المنظم في طريقته ومنحاه ولفظه ومعناه ـ وانما قصاراي أن أقول « إذا كان كتاب فورد عن تاريخ حياته . وكتابا كليف بهام عن تاريخ ساسة انجلترا قد اعتبرت خير ما اخرج للناس عن تاريخ الابطال في العصر الاخير ـ فان كتاب سـلامه موسى خليق أن يكون في صفها . وخليق بان يوصي به جماعة الدكتور اليوت ليكون ضمن مقرراتها ومقروءاتها »

(باحث)

مصر والنظم التأديبية للدكتور علي حلمي بك

طبع بمطبعة مصر بالقاهرة صفحاته ٢٣٥ من القطع الكبير

الدكتور علي حلمي بك هو الطبيب الاول لمصلحة السجون في مصر . وقد بحث في هذا الكتاب في كل ما يختص بالسجون ومعاملة المسجون سواء أكان قاصراً ام امرأة أم رجلاً أم مجرماً سياسياً وذكر في جملة فصول مفيدة كيف يعاملون عند الامم الغربية . وهذا الكتاب مع انهُ يبحث في موضوع فني يجب على كل من له أية علاقة بالسجون أن يدرسه يمكن القارىء العادي أن يقرأه وينتفع منه لكي يرى مدى التطور الذي بلغهُ نظام السجون في أوربا واختلاف نظر الناس للمجرم . ومثل هذه الكتب الفنية ثروة كبيرة للغة العربية التي تحيا بمثل هذه المؤلفات لا بالصيحات المتكررة بأنها أفضل لغات البشر وان شعراءها وعلماءها « كانوا » أرقى من عاصرهم . لخدمة اللغة لا تكون الا بجعلها لغة الفنيين في جميع الشؤون الخاصة بمصالح الناس

المنجد : معجم مدرسي للغة العربية للاب لويس معلوف اليسوعي

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت صفحاته ١٠٩٣

من كان يظن أن كتاباً يوضع في اللغة العربية تزيد صفحاته عن الف صفحة يطبع خمس مرات في أقل من عشرين سنة ؟

ان هذه معجزة ولكنها تمت مع ذلك على يد الاب لويس معلوف اليسوعي . وكل من يرى هذا المعجم لا يعجب بعد ذلك من نجاح اليسوعية وانتشارها في العالم فانها تبني بيتها على أساس من الصخر تعني به العلم . وخدمات اليسوعيين للغة العربية مشهورة معروفة حاضرة في ذهن كل مطلع على تاريخ النهضة الحديثة

والمنجد بعد ذلك جدير بهذا النجاح الذي أحرزه . فقل فيه ما شئت من دقة في ترتيب الالفاظ واستيعاب للمعاني الضرورية مع الايضاح أحياناً بالصور . وهو خير ما يوضع في يد الطالب حتى يغنيه عن عناء البحث في المطولات والمختصرات القديمة . ونود من المؤلف في الطبعة السادسة التي نظن انها قريبة ان يضيف الى اسماء الحيوان والنبات اسماءها الفرنسية أو الانجليزية حتى يمكن الباحث أن يتوسع في البحث عنها

الاخلاق والواجبات للشيخ عبد القادر المغربي

البينات . الجزء الثاني للشيخ عبد القادر المغربي

طبعا بالمطبعة السلفية بالقاهرة . الاول ٢٣٠ صفحة والثاني ٣١٨ صفحة كبيرة

الشيخ عبد القادر المغربي كاتب رصين العبارة نزيه القصد يحترمه خصومه في الرأي لانهُ يتكلم

عن اخلاص واعتقاد . وقد طبع منذ سنوات الجزء الاول من البينات فجمع فيه طائفة صالحة من مقالاته التي نشرت قديماً في المؤيد · وهذا الجزء الثاني يجري على نسق الجزء الاول فهو مجموعة مقالات كتبت قبل ١٥ سنة وكتب اكثرها في مصر فهي لذلك مصبوغة بصبغة الحياة الذهنية في مصر قبل عشرين سنة . والشيخ المغربي شرقي يحب العامة و يدافع عن الشرق ولكنك تتنسم من لهجته ريح الخوف من الحضارة الاوربية والشك في قدرة الشرقي على الوقوف أمام سيلها المتدفق

أما الاخلاق والواجبات فقد وضعهُ الاستاذ المغربي حديثاً واكثر موضوعاته مباحث في القرآن والحديث والاخلاق والايمان والواجبات الشخصية والعائلية ثم نحو ستين آية وحديثاً اختار الكلام عنها . وهذا الكتاب خير ما ينبغي لمسلم أن يقرأه عن أدب الاسلام · وقد أحسنت حكومة العراق في تقريرها هذا الكتاب لكي يقرأ في مدارسها

وكلا الكتابين مطبوع باتقان وعناية على ورق جيد

النشوء والارتقاء تأليف كلاطش وترجمة عصام الدين حفني ناصف

طبع بمطبعة الشباب بالقاهرة يحتوي على ١٩٥ صفحة من القطع المتوسط

كلاطش عالم الماني مشهور مات قبل أوانه وقبل أن يجني العلم ثمرة أبحاثه · فقد قضى أحسن سني حياته في استراليا يعاين أخلاق الانسان الاسترالي القديم و يستنتج منها أحوال الانسان قبل الحضارة · وهو أول من قال ان المغول ينتمون الى القرد الاسيوي الاورانج اوتان وان الاوربي ينتمي الى الشمبانزي القرد الافريقي · وكتابه في التطور من أشهر الكتب الاوربية الآن · وقد نقل الاستاذ عصام الدين حفني ناصف الفصل الاول من هذا الكتاب في كتيب يدل على المنحى الذي نحاه المؤلف · ونحن نرجو ألا ينثني الناقل عن نقل سائر هذا الكتاب الثمين

نبية لبنان بقلم نقولا الحداد

طبعت بمجلة السيدات والرجال صفحاتها ١٠٥ من القطع الكبير

مؤلف هذه القصة هو الكاتب المعروف الاستاذ نقولا الحداد · وقد وقعت حوادث القصة في لبنان في سني الثورات بين ١٨٤٠ و ١٨٦٠ وبطلاها فتى مسيحي وفتاة درزية وقد ادمج المؤلف في غضون القصة تلك الحوادث المشئومة التي وقعت في تلك السنين بين الدروز والمسيحيين. والاستاذ الحداد يجيد الوصف والاستنباط بحيث يأخذ بلب القارىء الذي تستهويه القصة فصلاً بعد فصل وتنساق أمامه الحوادث كأنه يراها رأي العين فيرى كيف يقود التعصب الاعمى صاحبه الى أفظع الجنايات وكيف يرفع الحب الطاهر صاحبه الى أسمى التضحيات

علم النبات تأليف حسن فهمي

طبع بمطبعة الاخلاص بدمنهور صفحاته ٨٥ من القطع الكبير

في مصر الآن بين معلمي المدارس نهضة خاصة بالتأليف في التاريخ الطبيعي وهي جديرة بالمدح والمؤلفون جديرون بكل ثناء . غير اننا نحب أن يذكر هؤلاء المؤلفون ان في العراق وسوريا مدارس تضع في هذه الموضوعات مؤلفات اخرى فنرجو من جميع المدرسين في مصر وسوريا والعراق أن يستنير كل منهم بالآخر حتى تتوحد التعابير والاسماء العلمية

وهذا الكتاب في النبات خاص بمقرر السنة الاولى الثانوية وهو جيد الطبع موضح بالرسوم العديدة

ملوك الشعر في الدولة العباسية تأليف عثمان شاكر

طبع بمطبعة النهضة بالقاهرة صفحاته ٢٠٠ من القطع المتوسط

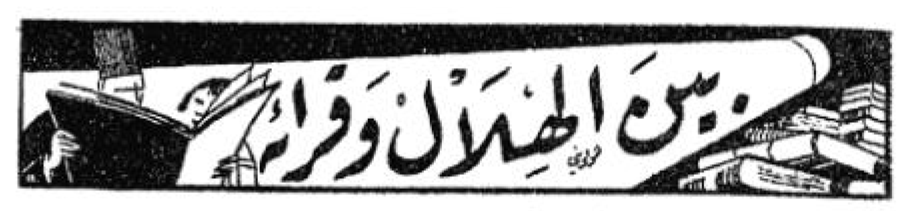
يحتوي هذا الكتاب على ١٣ شاعراً جمع لهم المؤلف طائفة كبيرة من أشعارهم ولكنه لم يقدم لمختاراته من قصائدهم ترجمة وافية أو نقداً مختصراً لبعض الاشعار وفيها أحياناً الغث والبذيء وما لا نحب أن تلوكه ألسنة الشباب في مصر كبعض ما نقله عن ابن الرومي مثلاً . ولكن المجموعة مع ذلك وافية فيها أحسن ما ألفه الشعراء في الدولة العباسية وقد افتتحه بعشرين صفحة من مختار شعر المتنبي توقى فيها قصائد المديح التي تغلب على هذا الشاعر . ثم جاء بعد ذلك من ابن هانيء الاندلسي ولا ندري كيف يوضع ابن هانيء في شعراء الدولة العباسية

ولكن الكتاب مع ذلك مجموعة صالحة من مشهور الشعر العربي

الحياة في لبنان تأليف توفيق حسن الشرتوني

طبع بالمطبعة الادبية ببيروت صفحاته ٢٣٢ من القطع الكبير

مؤلف هذا الكتاب شاب لبناني نصراني على الرغم من أن اسمه « حسن » وهو اسم مقصور على المسلمين في مصر . وقد رحل في صباه الى أميركا حيث اشتغل بالتجارة ولكنه هوى الادب ووضع هذا الكتاب يصف فيه لبنان وصف الرجل الذي رأى غير بلاده فهو يقابل ويفاضل . فابتدأ بوصف جبل لبنان اولا بما فيه من مدن كبيرة وصغيرة ثم عقب على ذلك بوصف الاحوال الاجتماعية للاهالي من عوائد وتعاليم وأخلاق . وفي الصفحات العشرين الاخيرة وصف رحلته الى فلسطين . والمؤلف جيد العبارة دقيق الملاحظة كثير التشوق الى الرقي ينظر الى بلاده نظر الغربي الذي يستعجله في طريق المدنية



(١) يكتب السؤال واضحاً مختصراً على حدة ويعنون باسم « محرر الهلال » (٢) لا تنشر الا الاسئلة التي نرى فيها فائدة لجمهور القراء (٣) لا نتعرض لما يمس الدين أو السياسة (٤) قد نضطر الى تأجيل الجواب لكثرة الاسئلة لدينا (٥) يغفل السؤال اذا لم تستوف هذه الشروط أو اذا لم نعثر له على جواب

اختراع الخمر

❊ قرطبة . ارجنتين ❊ عروس غزالة

من هو أول من اخترع الخمور وسائر الاشربة الكحولية ؟

❊ الهلال ❊ الخمر كما ترون من لفظها تعني الشيء المختمر . والاغلب ان الانسان في عصوره القديمة عرف الخمر اتفاقاً اذ وجد ان بعض الاثمار والحبوب تختمر وتكون منها للشارب نشوة . هذا في الخمور المخمرة التي لا تحتاج الى النار . أما الخمور المستقطرة التي تحتاج الى النار فالاغلب انها حديثة . والمظنون ان الاستقطار عرف في الاسكندرية في القرن الاول للميلاد وقد مارسه العرب كثيراً كما تدل على ذلك لفظة الامبيق التي تستعمل في اللغات الاوربية . والعرقي يصنع على مبدأ الامبيق

التوأم وكفايته العقلية

❊ الموصل . العراق ❊ العدوي

هل ينقص التوأمان عن غيرهما من سائر الناس من حيث كفايتهما العقلية او الجسمية ؟

❊ الهلال ❊ ليس هناك ما يدل على ان في التوائم أي نقص عقلي او جسمي ولكن الشائع بينهم الا تكون لهم بسطة في الجسم فهم أنحف قليلاً من غيرهم وأدق بنية . وهذا يرجع الى ان الام أو الاب الذي يعقب التوائم يكون عادة قليل الجسم

فورد وروكفلر

❊ رتشموند . جامیکا ❊ مخائيل ابراهيم

أيهما أكثر ثروة فورد ام روكفلر ؟

❊ الهلال ❊ تقدر ثروة فورد بنحو مائتي مليون جنيه اما ثروة روكفلر فلا تزيد الآن عن نحو ٢٠ مليون جنيه فقط . ويجب ان تذكروا ان روكفلر وهب للبر ١٥٠ مليون جنيه وتنزل عن جزء عظيم من ثروته لابنه

هل السرطان وراثي ؟

✻ ٠٠٠٠ العراق ✻ أحد المشتركين

قرأنا في احدى المجلات أن السرطان ليس وراثياً . فكيف اذاً يعلل انتقاله الى نسل المصابين به ؟

✻ الهلال ✻ الامراض الطارئة على الناس لا يمكن ان تكون وراثية . وانما الوراثي فيها هو الاستعداد لها فقط . كما ان بعض الامراض تنتقل عدواها من الاب أو الام الى الجنين وهذا الانتقال ليس وراثياً بل هو عدوى قائمة على ان الجنين يتغذى من دم أمه فما فيها من امراض ينتقل اليه بحكم هذا الاتصال في الدم . والسرطان لا يحدث عادة الا حوالي سن الاربعين أو بعدها . واذا اتفق أن نجد أحد الناس مصاباً به وان أحد والديه كان كذلك فليس هذا لانه ورث هذا الداء من والده بل لانهُ وُلد و به هذا الاستعداد لقبول هذا المرض أو لانهُ كان يعيش العيشة التي عاشها أحد أبويه وكانت هي العلة الاصلية لهذا المرض

وللوراثة نواميس يمكن تحقيقها مثل ناموس مندل وهو يجري بنسبة معروفة لا تختلف ولم يوجد للآن مرض يسري في احدى الاسر بهذه النسبة مثلاً في حين اننا نرى ان البلاهة أو الطول أو القصر أو لون العين كلها تجري على ناموس مندل لانها وراثية

شؤون الحكومة المصرية

✻ سرابايه . جاوة ✻ احمد بن سالم باحلوان

الامة المصرية مستقلة الآن تبعث بوكلائها وقناصلها للدول الاجنبية . ولكننا نتساءل : لماذا لا ترسل لها قنصلاً الى جاوة ولماذا لا تزال تكتب عناوينها بالعربية والافرنجية مع ان كل أمة مستقلة تقتصر على لغتها ؟

✻ الهلال ✻ في مصر نحو ربع مليون اجنبي وكانت المصالح الحكومية غاصة بالموظفين الاجانب الى وقت قريب ولا يزال منهم عدد غير قليل بها . فالحكومة ترى من واجبها ومن تقاليدها أن تكتب عناوينها بالعربية والافرنجية لهذا السبب . أما من حيث ارسال الوكلاء أو القناصل فالحكومة المصرية ترسلهم الى الاقطار التي تكون لها بها صلة سياسية أو تجارية فقط

أكثر الجرائد انتشاراً

✻ كونكري . غينيا الفرنسية ✻ ملحم مخول

ما هي أكثر الجرائد انتشاراً في العالم ؟

✻ الهلال ✻ أكثر الجرائد انتشاراً في العالم كله جريدة انجليزية تسمى نيوز اوف ذي ورلد أي أخبار العالم وهي اسبوعية يطبع منها كل اسبوع أكثر من ٣ ملايين نسخة

الحجاب والسفور

❊ زحلة . لبنان ❊ سالم كباره

هل السفور يؤثر في عفاف المرأة المحجبة ؟

❊ الهلال ❊ اذا كانت المرأة قد قضت نحو ٣٠ سنة وهي محجبة لا ترى قريباتها وصواحبها الا محجبات فان الحجاب يطبعها بطابع خاص بحيث اذا فوجئت بالسفور أخطأت معناه والغاية منه . ولذلك فالسفور يجب ان يطبق على الفتيات يعودنه من الصغر حتى يشببن عليه . أما السفور في ذاته فلا ينقص عفة المرأة ولا يزيدها والارجح انه يزيدها لانه يجعلها تنزع نزعة استرجال وجد.

استحضار الارواح

❊ حلب . سوريا ❊ علي رضا القدسي

هل استحضار الارواح حقيقة وهل في لغتنا كتب في هذا الموضوع ؟

❊ الهلال ❊ لم تثبت للآن هذه الحقيقة على الرغم من ان كثيرين من العظماء والمفكرين يعتقدون صحتها . ونريد بثبوتها انها لم تنزل بعد منزلة التجربة التي يمكن القيام بها في أي وقت وأي مكان مع أي انسان . والذين يقولون باستحضار الارواح لا يقولون بامكان التجربة بل يروون لنا اختبارات حدثت لهم في حياتهم وهناك فرق كبير بين الاختبار الذي يرويه انسان عن نفسه وقد يكون واهماً فيه وبين التجربة التي يتحدى بها أي انسان غيره للقيام بها . وليس في العربية كتاب واف في هذا الموضوع

جمعية الاسعاف

❊ اسكندرية . مصر ❊ السيد أحمد أبو ريده

متى أسست جمعية الاسعاف ومن هم الذين أسسوها وكيف تعيش الآن ؟

❊ الهلال ❊ أسست هذه الجمعية في ١٣ مايو سنة ١٩٠٧ بواسطة الاهالي للمساعدة الطبية في الظروف المستعجلة . وينفق على الجمعية من الاشتراكات التي يدفعها المشتركون ومن هبات المتصدقين ومن أوراق يانصيب

الافوكاتو

❊ الابراهيمية . مصر ❊ عثمان حسن الرتويني

هل صحيح ان لفظة أفوكاتو مشتقة من الافك أي الكذب ؟

❊ الهلال ❊ أفوكاتو ترجع الى أصل لاتيني ومعناها المنادي أو المساعد لانه يساعد المتهم في الحصول على البراءة

الحجاب قبل الاسلام

﴿ يافا . فلسطين ﴾ يوسف هيكل

هل كان الحجاب موجوداً عند العرب قبل الاسلام ؟

﴿ الهلال ﴾ الحجاب نتيجة اجتماعية للسكنى في البلاد الحارة . ولذلك فانه نشأ في الهند بين الهندوبين كما نشأ في جزيرة العرب . والاصل فيه أن الفتاة تبلغ سن المراهقة في نحو الحادية عشرة من عمرها ولما يكتمل نمو عقلها فهي في هذه الحالة تحتاج الى نوع من الوصاية الخارجية لتمنعها من الاختلاط حتى يكمل عقلها . وهذه الوصاية تتخذ هيئة الحجاب . ولكن الحجاب يستمر بحكم العادة الى ما بعد سن المراهقة . ولذلك ترون أن الامم التي تعيش في المناخ البارد مثل تركيا قد استغنت عن الحجاب

غرامة المانيا

﴿ العمارة . العراق ﴾ نعمة الشيخ كاظم

ما هو مقدار الغرامة التي فرضها الحلفاء على المانيا ؟

﴿ الهلال ﴾ تعهدت المانيا في معاهدة فرساي سنة ١٩١٨ أن تدفع غرامة كبيرة للحلفاء وفي يناير سنة ١٩٢١ انعقد مؤتمر للحلفاء بباريس طلب فيه الحلفاء من المانيا مبلغ ١١٣٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه تدفع على ٤٢ سنة وأيضاً ضريبة ١٢ في المائة من قيمة الصادرات الالمانية . ولكن عاد الحلفاء فخففوا هذه الشروط

دبيب الخنفساء

﴿ أسيوط . مصر ﴾ عيسى التززي

ان الخنفساء لا تلدغ ولا تلسع ومع ذلك يشعر الانسان بقشعريرة تسري في جسمه اذا أحس بدبيبها على جلده فلمَ ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ نحن نكره الزواحف والحشرات بغرائزنا . وما زلنا للآن نقشعر اذا حملنا بيدنا ثعباناً ميتاً أو حياً قد نزعت عنه غدته السامة . ولسنا نرتاح الى تناول سام أبرص أو العظاية باليد مع انهما لا يؤذيان . وعلة ذلك أن الزواحف القديمة كانت تلدغ الانسان وتأكل أطفاله كما لا تزال الافاعي تفعل مع أطفال القردة في الغابات . فنحن نكره الزواحف بغرائزنا وكذلك كراهتنا للحشرات فان خوفنا من المؤذي منها ومن العقارب والعناكب يجعلنا نخاف من غير المؤذي منها . وقد كان الانسان يعيش في الازمنة القديمة وهو عاري القدمين والجسم ولذلك فان القشعريرة من دبيب الحشرات نذير له للاحتماء منها . ومع أن كف القدم غليظ الجلد فانه شديد الاحساس كما ترون ذلك في الدغدغة التي هي في حقيقتها محاكاة لدبيب الحشرات على الجلد . فكراهتنا

لدبيب الخنفساء لا يختلف من كراهتنا لتناول سام أبرص باليد . فكلاهما غير مؤذ لنا ولكنهما ينتسبان الى حيوانات مؤذية

معنى العاهل

﴿ كاهواس . أميركا ﴾ موسى هوارة

نرى في الصحف لفظة عاهل ولا ندري أهو سلطان أو ملك فما معنى هذه اللفظة ؟

﴿ الهلال ﴾ العاهل في اللغة هو الملك المعظم . وهي لفظة غير مألوفة استخرجها الكتّاب من المعاجم وأطلقوها مدة الحرب على امبراطور الالمان

زيادة العمر والخلود

﴿ بيروت . سوريا ﴾ فؤاد ميخائيل

ذكرتم في الجزء التاسع من هلال السنة الماضية انه سيجيء وقت يخلد فيه الانسان أو يعمر حتى يصير عمره في الطول أشبه شيء بالخلود . فماذا تعنون بالخلود وهل خلود الانسان يتفق والايمان بالله ؟

﴿ الهلال ﴾ لم نقصد من الخلود الا المجاز لا الحقيقة على نحو ما يقول الفرنسيون عن ادبائهم أعضاء المجمع الادبي الاربعين انهم مخلدون أي ان الانسان سيعيش عمراً طويلاً حتى كأنه مخلد . وليس لهذا القول أية علاقة بالايمان بالله أو بعدمه . الا اذا كان قصدكم أن الخلود التام ينفي البعث وهذا معقول لانه ما دام الانسان لا يموت فهو لا يبعث . ولكن ما من أحد فكر قط أو اعتقد بان الانسان لا يموت

الدعاء على المنابر

﴿ جنوي . ريو نيجرو ﴾ محمود الرملي

لمن يُدعى على المنابر الآن في المساجد ما دام ليس هناك خليفة ؟

﴿ الهلال ﴾ يقتصر في الدعاء الآن على حاكم البلاد التي بها المسجد المقامة به الصلاة

التعامل بالذهب

﴿ بيروت . سوريا ﴾ عبد القادر اياس

من هم أول من استعملوا الذهب نقداً ولمَ آثروه على غيره من المعادن ؟

﴿ الهلال ﴾ المظنون أن الاسكندر هو أول من سك نقوداً من الذهب باسمه وصورته . ولا تزال توجد نقود من الذهب عليها رسم الاسكندر المقدوني وله قرن في رأسه وهذا هو الذي دعا العرب الى اطلاق اسم « ذي القرنين » عليه . ولكن المرجح انها كانت تعرف قبله . والذهب يفضل على غيره من المعادن لخفته وجماله وقلة الموجود منه بحيث يصير ثميناً بين المعادن



مكتب العمال الاممي

لمعاهدة الصلح التي عقدت في سنة ١٩١٩ وليدان : احدهما عصبة الامم والآخر مكتب العمال الاممي . وكلاهما بجنيف في سويسرا

ولعصبة الامم آثار عظيمة في سياسة الامم الآن يعرفها القراء مما يرد في الصحف من قراراتها . ولكن مكتب العمال الاممي لا يقل عنها فائدة وان كان أقل ظهوراً منها . وهو مستقل عن العصبة وان كانت هي التي تقرر كل سنة مقدار نفقاته . وهذه النفقات تزيد على نصف ما تنفقه العصبة نفسها . فقد بلغت نفقات المكتب نحو ٣ ملايين جنيه في العام الماضي

ومهمة المكتب انه يعقد المؤتمرات السنوية . وما تقرره هذه المؤتمرات يجب على المكتب انفاذه في العالم كله عند جميع الامم المشتركة بالمكتب أي التي لها أعضاء فيه . ثما قرره المكتب منذ انشائه الى الآن تحديد ساعات العمل للعمال الى ثمان والزام الحكومة بايجاد نظام لتأمين العامل من البطالة وحماية النساء من العمل بالليل او وقت النفاس ومنع الصبيان من العمل ما داموا دون الرابعة عشرة

وأحياناً يخشى الاعضاء أن ينتقدوا حكوماتهم المخالفة لقرارات المؤتمرات التي يعقدها هذا المكتب فيعمد الاعضاء الآخرون الى النقد وهكذا تنفضح المظالم التي تنزلها الحكومات بالعمال . فمن ذلك مثلاً ان المؤتمر رفض قبول مندوب ايطاليا لانها فاشستية تجور على العمال . ومن ذلك أيضاً ان مندوبي الهند حملوا على اليابان لانها لا تمنع عمل النساء في الليل ولا تحدد ساعات العمل

احصاء اللغات في العالم

يؤخذ من احصاء أجري مؤخراً ان في العالم ٢٧٩٦ لغة حية تستحق ان تنعت بهذا النعت ، ومنها ٨٦٠ لغة مهمة تتوزع على الوجه الآتي : في اوربا ٤٨ وفي آسيا ١٥٣ وفي افريقيا ١١٨ وفي أميركا الشمالية والجنوبية ٤٢٤ وفي اوقيانيا ١١٧

قطع المسافة بين باريس ومرسيليا

في أقل من ثلاثة قرون هبط معدل الوقت اللازم لقطع المسافة بين باريس ومرسيليا من ٣٥ الى ١ ففي سنة ١٦٥٠ كانت تلك المسافة تقطع في ١٦ يوماً ونصف يوم وسنة ١٧٨٠ صاروا

يجتازونها في تسعة أيام ونصف يوم وسنة ١٨٤٨ كانوا يقطعونها في ثلاثة أيام ونصف يوم وسنة ١٩٠٧ في احدى عشرة ساعة وسنة ١٩٢٦ في ثلاث عشرة ساعة

ولا بد من القول ان سرعة القطارات في فرنسا زادت في مدة سبعين سنة على نسبة ١ الى ٤ فسنة ١٨٣٥ كان متوسط سرعة القطار في الساعة ٢٥ كيلومتراً وسنة ١٨٥٠ صارت ٤٠ كيلومتراً وسنة ١٨٩٣ بلغت ٥٨ كيلومتراً وسنة ١٩٠٥ انتهت الى ١٠٣ كيلومترات

حفظ الاسنان

كان القوم في بلاد انام يلجأون الى طريقة غريبة لحفظ أسنانهم سليمة فانهم كانوا يغشونها بطبقة من صمغ اللك ، وهذه العادة آخذة في الزوال شيئاً فشيئاً من بين ظهرانيهم بسبب دخول العادات الاوربية عليهم

وطريقة العمل عندهم هي أن تدلك السن بفرشاة مدة ثلاثة أيام متوالية دلكاً عنيفاً بحيث لا تستطيع ميناء السن المقاومة وحينئذ يغشونها بطبقة من الصمغ المذكور وهو يستخرج من نوع من الشمع يلقونه في بعض قرى النمل ببلاد التونكين العليا . فبعد ما يسحقون الصمغ يمزجونه بعصير الليمون الحامض ويصنعوا منه معجوناً يغشون به الضرس أربع مرات او خمساً وبعد بضعة ايام من وضع المعجون لآخر مرة يصنعون معجوناً آخر من بذور نوع من اليقطين الممزوجة بالشب المضاف اليه مادة ملونة وشيء من قشر الرمان . وعند النوم يوضع هذا المعجون على الضرس مدة خمسة عشر يوماً ثم يلجون ذلك نهائياً بصمغ الكوكو (جوز الهند) ويجتنب تناول الاطعمة الجامدة الغليظة في أثناء المعالجة

وحينما تنتهي العملية لا يبقى من خوف من تسوس الضرس فيظل سليماً مدة خمس عشرة سنة على الاقل .

لقد بسطنا بوجه اجمالي طريقة معالجة الضرس عند الانامبين على سبيل التفكهة واذا كان هذا الامر يهمك ، وأردت أن تجرب ذلك فما عليك الا ان تسعى وراء الحصول على بعض ايضاحات لا مندوحة لك عنها . بقي علينا أن نلفت نظرك الى أمر مهم وهو ان الاسنان بعد تغشيتها بالطبقة الاولى الآنفة البيان تحمر وبعد معالجتها بالمعجون الثاني تسود وهذا اللون الاسود يعتبر عندهم من علامات جمال الاسنان . أما نحن فعندنا البياض في الاسنان أفضل من جميع الالوان .

عدد الآلات الكاتبة

يندر ان يجري احصاء دقيق فهو غالباً يكون تقريبياً وقد خطر لادارة « جريدة المكتب » أن تجري احصاء الآلات الكاتبة التي يستعملونها الآن في العالم فعمدت الى طلب جدول من ادارات المكوس في العالم يذكر فيه عدد الآلات الكاتبة المستوردة اليها والمصدرة منها

وأسقط من هذه الاحصاء تلك الآلات التي بطل استعمالها فكانت نتيجة ذلك الاحصاء ان عدد الآلات التي نحن بصدد الكلام عنها يبلغ ٤٩ مليوناً في جميع بلدان المعمورة منها ٤٥ مليوناً في أميركا وأربعة ملايين في اوربا

وهذا العدد يدعو الى التفكير فانه يبين سرعة انتشار هذه الآلة التي لم تكن معروفة منذ ثلاثين سنة

لمنع الماء من اختراق الحذاء

ذوّب ٣٠ غراماً من شحم الغنم و ٢٥ غراماً من الشمع الاصفر و ١٥ غراماً من صمغ الصنوبر وحرك هذا المزيج جيداً ثم اضف اليه نصف لتر من زيت الكتان وارفع الوعاء عن النار وداوم التحريك حتى يبرد المزيج ثم ضعه في مكان لا يصل اليه الهواء ثم ادهن به الحذاء بواسطة فرشاة

حقوق البابا

من التقاليد المرعية ان البابا يتناول الطعام وحده ولم يكن هذا الامر ليسر البابا بيوس العاشر فأمر ذات يوم بان يضعوا الى مائدته كرسياً ثانياً لسكرتيره وصديقه المنسنيور برسان

فاحدث هذا قيلاً وقالاً في الفاتيكان وبعد التردد رفع خادم البابا الخاص لمقام قداسته ما يتقولونهُ في دوائر الفاتيكان فالتفت اليه وقال له مبتسماً : وهل انت متحقق ان القديس بطرس كان يأكل وحده ؟

ـ لا استطيع ان احقق لقداستك ذلك وكل ما يمكنني ان اقوله في هذا الصدد ان ثمة تقليداً كان اسلافك يرعون حرمته

ـ وماذا كانوا يفعلون في عهد يوليوس الثاني ولاون العاشر ؟

ـ اؤكد لقداستك ان الاحبار الاعظمين في ذلك العهد كانوا يقيمون المآدب الشائقة

ـ ولكن الى عهد اي بابا يرتقي التقليد الذي تكلمني عنه ؟

ـ الى عهد البابا اوربانوس الثامن

وبعد ما صمت البابا هنيهة من الزمان قال : ان اوربانوس الثامن الذي كان بابا نظيرنا اصدر امراً بان البابا يتناول الطعام وحده وكان له الحق في اصدار هذا الامر اما انا فاني بالاستناد الى هذا الحق اقرر اليوم الغاء ذلك التقليد الذي كان معمولاً به

من اين تستخرج الكينا ؟

سنة ١٢٣٨ كانت زوجة وكيل الملك في بيرو مصابة بالحمى فارسل اليها طبيب من خط الاستواء رزمة تحتوي مسحوق قشرة من قشور الاشجار . وكانت هذه القشرة مأخوذة من شجرة يسميها

الوطنيون « كينا كينا » · وسنة ١٦٤٠ جلب هذه القشرة الى اوربا المرسلون اليسوعيون في البرازيل فسموها باسم قشرة اليسوعيين وكانت جزيلة الفائدة في حوادث الحمى المتقطعة · وكان بعد ذلك ان اذاع الكردينال لوغو الذي جلبوها اليه استعمالها في جميع اوربا وحينئذٍ أُبدل اسمها باسم قشرة الكردينال . وسنة ١٨٢٠ عالج عالمان فرنسيان يدعيان بلتياي وكافنتو القشرة المذكورة واستخلصا منها المادة المضادة للحمى ودعوها كينا

انتقاد غير منتظر

لما كان السير جون لافري المصوّر الانكليزي الشهير يصوّر سقوط آدم وحواء في الفردوس الارضي وكاد ينجز صورته كان بستانيه يظهر اهتماماً شديداً بتلك الصورة ، فسر بروٴيته البستاني على تلك الحال وذات مرة بينا جاك البستاني يتأمل صورة سيده قال له هذا : يا جاك هل اعجبتك هذه الصورة ؟ فتردد جاك في الجواب ثم قال انها جميلة ولكني انكر فيها شيئاً يشغل خاطري

ـ وما هو هذا الشيء ؟

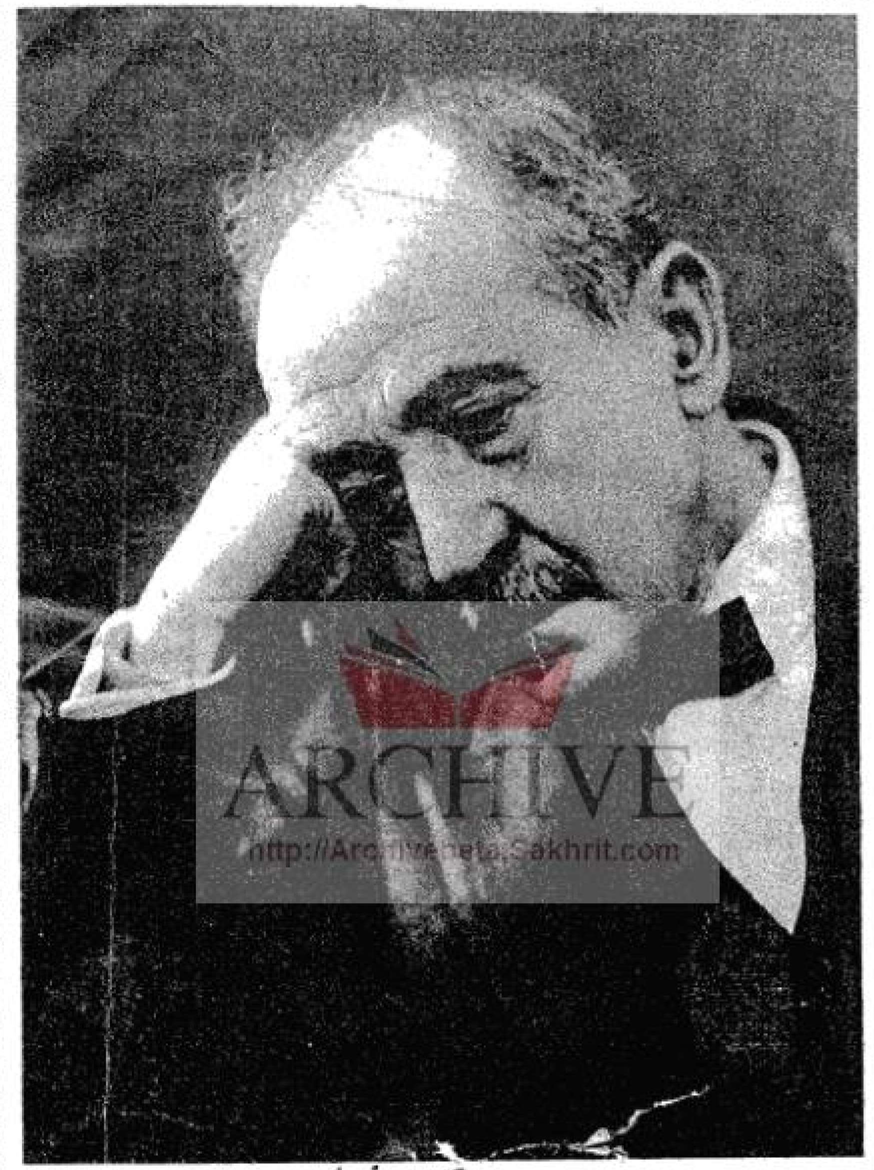
ـ ثمة الى اليمين شجرة تفاح تتهدل ثمارها وهذه الثمار المرسومة في الصورة هي من تفاح حديث العهد لا يرتقي الى اكثر من عشرين سنة وقد حصلوا عليه بواسطة التلقيح . فكيف علمت ان هذا النوع من التفاح كان في الفردوس الارضي ؟

فانتبه السير جون لافري الى هذه الفكرة وبادر الى تغيير صورة التفاح

من الادارة

✵ الى مشتركي الارجنتين ✵ نرجو من مشتركينا الكرام في جهات الارجنتين اعتماد وكيلنا الخواجا نقولا يونس في بونس ايرس في دفع الاشتراكات · وقيمة الاشتراك تدفع بالعملة الارجنتينية وقدرها ١٧ ريالاً ارجنتينياً في السنة · وقيمة اشتراك المصور أو كل شيء ١٢ ½ ريالاً ارجنتينياً في السنة

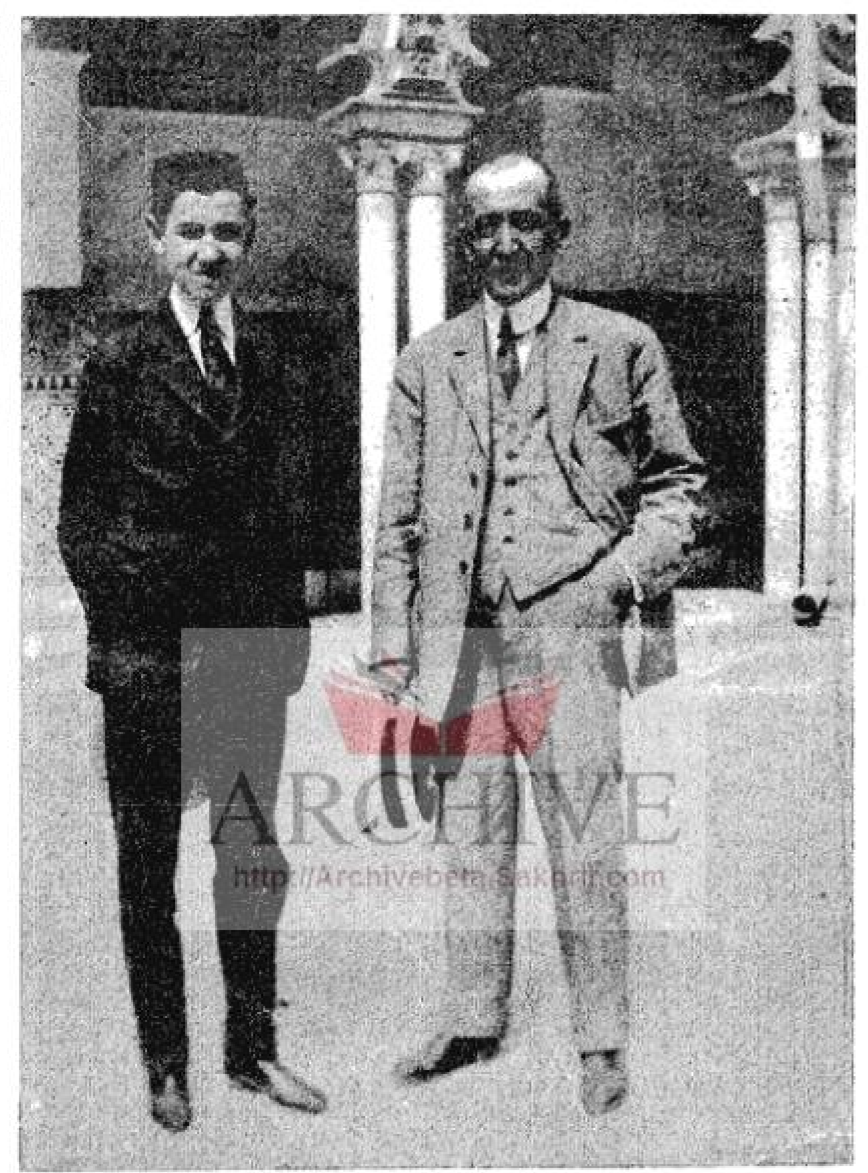
✵ عدد فبراير ✵ ادارة الهلال في حاجة الى العدد الرابع من الهلال للسنة الحالية أي عدد شهر فبراير سنة ١٩٢٧ فمن كان في غنى عنه فيمكنه ارساله الى الادارة وهي ترسل له عدداً خلافه من الاعداد القادمة



امير الشعراء احمد شوقي بك

وفد الى القاهرة في الشهر الماضي وفود العالم العربي لتحية الشاعر العظيم شوقي بك الذي يحمل الآن لواء الشعر في العالم العربي . وقد أمضى المحتفلون به نحو عشرة أيام في سرور يتنقلون من اجتماع تنشد فيه القصائد الى آخر تسمع فيه الموسيقى الى نزهة في النيل الى ملذات الطعام والشراب

وقد تكرم شوقي بك على الهلال بحديث شيق نشرناه في هذا الجزء



شوقي بك وابنه حسين بك

لما أعلنت الحرب الكبرى وضع أمير الشعراء قصيدة كان فيها من الابيات ما تأوله بعضهم وخرجه الى معنى الولاء للخديوي فعمدت السلطة الانجليزية اليه فأبعدته هو وعائلته الى اسبانيا وهناك قضى الشاعر خمس سنوات وهو يعاني آلام الغربة حتى بعث الى مصر بأبيات يناجي بها شعراءها ويتشوق الى جرعة من ماء النيل . وهو يرى هنا بين أعمدة الحمراء بالاندلس



مندوبو الاقطار العربية في الاحتفال بشوقي بك

كان من برنامج الاحتفال بشوقي بك القيام بنزهة على النيل ويرى بعض المحتفلين من الاقطار العربية هنا في هذه النزهة . وهم من اليمين الى اليسار بالصف الاول : شبلي بك الملاط ، فخري بك النشاشيبي ، الاستاذ محمد كرد علي ، شوقي بك ، الاستاذ امين الحسيني مفتي القدس ، اسعاف بك النشاشيبي ، الاستاذ محمد علي الطاهر . وقد وقف وراءهم بعض مندوبين آخرين وبعض أعضاء لجنة التكريم



شوقي بك يحيط به كبار الشعراء

كان الاحتفال بل الاحتفالات بشوقي بك جامعة لانواع السرور الذي خامر قلوب المحتفلين . وترى في هذه الصورة كبار الشعراء حول شوقي بك في أثناء النزهة على النيل وهم من اليسار الى اليمين : شبلي الملاط بك ، حافظ ابراهيم بك ، احمد شوقي بك ، خليل مطران بك

حديث مع امير الشعراء

حبذا الامارة تكون للشعر · وحبذا العظامية تكون للذهن والعبقرية لا للجاه ولا للمال بمثل هـذا الشعور خف ادباء العالم العربي كله يحبون شوقي ويرون فيه عبـدهم الذي يرفع قدرهم · واحس كل منهم ان اكبار شـوقي هو اكبار لنفسه وللادب الذي يزاوله · والاحتفال بالعبقرية الشعرية قديم · فقديماً توج باكليل الغار فرجيل وبترارك · بل بلغ من احتفاء الايطاليين بترارك ان روبرت ملك نابولي ألبسه حلته الملوكية وتوّجه شيوخ روميه بالغار وحملوه في مواكب ومحافل اشتركت فيها العامة مع العلية في اكرام الشاعر

وجدير بأدباء العالم العربي ان يحتفلوا بشوقي لانه ليس شاعر مصر وحدها وانما هو شاعر العالم العربي كله · فهو مصري المولد عربي العاطفة يعيش في القرن العشرين ولكن القرن الاول والثاني للهجرة ينالان حظاً من قلبه قد لا يقل عمـا تناله منه مصر · فهذه قصيدته عن دمشق ليس لها اخت عن القاهرة · وقصيدته في تاريخ النبي تدل على ولائه للعرب وايمـانه وتعلقه بالاسلام دين العالم العربي

وقد كان الاحتفال بشوقي في الشهر الماضي أبلغ شاهد على مكانة الشاعر في قلوب قرائه · فهناك كنت ترى الوجوه مشرقة وتحس منها بمـا يختلج القلوب من نشوة الفرح والابتهاج برؤية هؤلاء الشعراء الذين وفدوا من سوريا وفلسطين يهنئون الشاعر ويعربون له عن حبهم واكرامهم له · وكان حافظ ابراهيم يمثل شعراء مصر في تحية الشاعر · والحافظ هيئة جافية تنطق بالاخلاص وتنأى أشد ما تنأى عن التصنع · ولذلك ما كاد حافظ يقول :

أميرَ القوافي قد أتيتُ مبايعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

حتى ضج السامعون بالتصفيق · وهتف شوقي بحافظ فقبله وما فض يده من المبايعة حتى كان حافظ يمسح دموعه · · ·

* * *

وأنت اذا جلست الى شوقي لم تلبث ان ترى الحديث بينك و بينه يستحيل مؤانسة · فترى رجلاً سمحاً كريم الخلق والسجايا تدرك [redacted] لماذا يطبق الناس على حبه بل لماذا نعتوه بالامارة منذ اكثر من عشرين سنة وتعرف [redacted] انه ليس اميراً في شعره فحسب بل اميراً في خلقه · ولكن شوقي يجمع الى سماحته متانة في الخلق بل صلابة بدت لنا أماراتها عند استمساكه بولائه للخديوي سنة ١٩١٥ حين ألف قصيدته المشهورة وخاطب السلطان حسين بقوله :

رؤيا عليّ يا حسين تأولت ما أصدق الاحلام والتأويلا

وقال في ختامها :

واتقض ملعبه وشاهده على ان الرواية لم تتم فصولا

وكان في هذين البيتين مجال للتأويل والتخريج . فان الحسين بن علي قد قتله الامويون . ثم ان الانجليز كانوا يحسبون ان الرواية قد تمت وهذا الشاعر يقول انها لم تتم . فلم يكن باعجل من ان حملوه الى اسبانيا وهناك أمضى سنوات الحرب وذاق مرارة النفي . وكانت وساوس الانجليز كثيرة عنه فكانوا يضيقون عليه ويحددون المبالغ التي ترسل اليه من مصر حتى احتاج وهو في غربته ان يقاسي الى آلام الغربة آلام الحاجة ويقترض من المال ما يتبلغ به من سفير بريطانيا في اسبانيا

وهناك في اسبانيا قضى الشاعر سنوات الحرب . واسبانيا الآن هي الاندلس القديمة . ومن منا لا يقشعر بدنه كلما ذكر الاندلس تلك البلاد التي قضى فيها العرب ٧٠٠ سنة ثم خرجوا منها كأنهم كانوا قصة خيالية وضعها كاتب يكتب عن طسم وجديس من العرب البائدة ؟

ترى هل معايبرنا الاخلاقية والادبية زائفة لا تصلح للعالم وهل هي تعمل الآن لابادتنا كما عملت في الاندلس ام لبقائنا ؟

ولكن دعنا الآن من هذه الكآبة وهلم نبتهج ساعة بمحادثة بل بمؤانسة شوقي

* * *

قلنا : كيف بدأت النظم ؟

فقال : نظمت الشعر وانا طفل وكنت يومئذ أخطىء وأهذي وأتعثر ككل صاحب خيال طفل ولكني لم ألبث ان تلقت العربية على استاذ نابغة هو المرحوم المرصفي صاحب « الوسيلة » حتى استقام لي ميزان الشعر بين العشرين والخامسة والعشرين وعرفني الناس به في هذه السن لحفظوا لي فيه وغنوا :

مضنى وليس به حراك لكن يخف اذا رآك

و يا حسنه بين الحسان في شكله ان قيل بان

والابيات السائرة :

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

والابيات التي أقول منها :

صوني جمالك عنا انا بشر من التراب وهذا الحسن نوراني

قلنا : هل يمكنك ان تصف لقرائنا كيف تشرع في تأليف القصيدة وكيف تحس بالوحي ؟

قال : اول ما يخطر لي حينما افكر في قرض الشعر ان اجمع النقط الهامة التي أرمي اليها في القصيدة . فاذا انتظم لي هيكلها من هذه الناحية . اخترت لكل قصيدة رويها وبحرها اللذين توحي الي اذني ونفسي انهما ينهضان بالموضوع . واعظم ما اكون ارتياحاً الى قول الشعر

منتصف الليل إذ يجد الخيال مسرحاً متسعاً في هدوء الليل وسكونه . لكن ذلك لا يمنعني ان أقول الشعر إذا جاش به صدري في كل وقت وكل مكان ، لا يشغلني عنه شاغل حتى في المجالس والمحافل

قلنا : انك تقرأ الشعر الفرنسي والعربي فكيف تفاضل بينهما ؟

قال : المعاني السامية في الشعر كله واحدة لا يمكن التمييز بينها ، واجد للشعر العربي في اذني موسيقى لا توجد في الشعر الفرنسي الذي لم اتذوق غيره ، اما من حيث غرض الشعر فيجب ان نذكر ان للحضارة عملها في كلا الادبين . ففي عصر الحضارة العباسية والاموية في الشرق والغرب اتسعت اغراض الشعر العربي وتناولت كل ما كان يسمو اليه الفكر يومئذ . وابن خفاجة الاندلسي مثل خالد لما لهذه الحضارة من اثر في تهذيب شعره . على هذا الاساس معقول جداً أن يكون الشعر الفرنسي أشد اتساعاً من الشعر العربي من حيث تعدد الاغراض

قلنا : من هو احب الشعراء اليك ؟

قال : احب شعراء العربية اليّ المتنبي وانا اعده أستاذي الاول ، ثم يلي المتنبي ابن الرومي والبحتري . واحب شعراء الغرب اليّ فكتور هوجو ودي موسيه الذي لا امل القراءة فيه . أما لماذا أحببت هؤلاء جميعاً فلأن شعرهم صادف في نفسي هوى لم يتح للكثير من سواهم أن يبعثوه

قلنا : ماذا تقول في شعرائنا الجدد وفي وجهة الشعر العربي هل هو يتجه اتجاهاً سديداً أم لا . وما تقول في أولئك المجددين الذين يريدون أدباً مصرياً لا يستوحي من الادب العربي القديم ؟

قال : ليس بين الشعراء قديم ولا جديد ، وما دام الشاعر يروي في كل عصر فهو ابن الماضي والحاضر والمستقبل . الشعر وحي يهبط على نفوس الشعراء ، وليس اختلاف هؤلاء الا صورة لاختلاف نفوسهم في الحس والاهواء والنزعات ، وأولئك شعراء الشباب اليوم لا ترى بينهم فرقاً الا ان يكون بعضهم أحرص على اختيار أسلوبه ومعانيه من بعض ، ويبشر شعرهم بمستقبل صالح لتغذية الادب العربي . اما وجهة الشعر اليوم فستظل حيث هي حتى تتبدل هذه الحضارة المترجمة التي نرى آثارها الآن بحضارة قومية خالصة وأولئك الذين يطلبون أدباً مصرياً غير شائع في العالم العربي ولا يستوحي الادب العربي القديم ، أما ان يخلقوا لمصر لغة اخرى يسخرونها ويعبثون بها كما يشاءون ، واما ان يستوحوا للادب المصري المزعوم لغة من لغات الغرب ، ولن يكون هذ الادب يومئذ الا علماً مزيفاً على مسمى لا فضل لهم فيه الا فضل الترجمة عن قوم يتكلمون بغير لساننا ، ويعيشون في غير جونا ، ويظلهم من النظم والعادات والاخلاق ما لا يظلنا ، واما ان يعفوا عن استيحاء الماضي العربي والحاضر الغربي ، ويكون مثلهم حينئذ كمثل فاقد الذاكرة حيل بينه

وبين الماضي ، والماضي اطول من الحاضر واحفل ، وهو افسح مجالاً لخيال الادباء والشعراء ، ومن بين آداب العالم كلها لم أسمع بأدب تنكر حاضره لماضيه واستطاع ان ينهض على ساق . ان الادب المصري والأدب البغدادي والادب الاندلسي والادب الاموي والادب العباسي ليست كلها الا نعوتاً لزمان الشاعر العربي او مكانه . يمدها الوحي العربي كلها ولا يختلف بعضها عن بعض الا في ظروف العصر والمكان . ولقد تسمع بالادب السويسري مثلاً فتظنه ادباً جديداً مستقلاً فاذا عدت اليه لم تجده الا ادباً فرنسياً أو المانياً اختلف عليه المكان والاسم والشعراء

قلنا : ما رأيك في المواويل المصرية ألا تظن انها جديرة بالتهذيب حتى تصير أغاني ريفية . وهل نحتاج عندئذ الى استعمال العامية فيها ام لا ؟

قال : رأيي في المواويل المصرية ان في بعضها قطعاً شعرية جميلة الا ان تهذيبها اليوم مجهود ضائع اولى ان يبذل في غير هذا السبيل من سبل النهضة بالاغاني المصرية . ذلك اننا ان هذبناها عربية صحيحة فأخشى ان اقول اننا لن نجد في الريف من يصبر على التغني بها طويلاً ، وان هذبناها عامية كما هي فنكون قد جنينا على الادب العربي جناية قد نسأل عنها يوم ينتشر التعليم في الريف ، و يوم يصبح الريفي على مضي الزمن عربي اللسان . وذلك أمر لا بد منه فان الحضارة كلما مدت ظلها قربت العامية من الفصحى في اية لغة وفي اي مكان

قلنا : لقد امضيت عدة سنوات في ربوع الاندلس فما راعك فيها وما رأيت من آثارها في اسبانيا الحديثة ؟

قال : راعني من القديم العربي في الاندلس جامعها الاموي في قرطبة . وراعني من حديثها الاسباني روح ديموقراطية كريمة هي بقية من بقايا الشمائل العربية في هذه البلاد . ومن أظهر مظاهر هذه الروح اكرام النزيل والحفاوة به حفاوة لا تراها في غير الاندلس من أنحاء أوربا . ولا تختص بهذه الروح طبقة هناك دون أخرى ، ولكنها روح تنتظم جميع الامم والطبقات على السواء . على ان الاندلس قد راعني فيها شعور آخر ، شعور رجل عربي يقف الى أطلال دولة عربية كانت مسرح حضارة خالدة ومرتع أدب فياض

قلنا : اننا نشكركم على هذا الحديث والآن هل لكم ان تزودوا الاديب المصري الناشىء بكلمة نصيحة مما اختبرتموه من حياتكم الادبية الماضية ؟

قال : يجب ان يلم الاديب بالعلوم العربية وطرف من العلوم الكونية ، وان يدمن القراءة في الكتب العربية ذات الاساليب الصريحة وانصح له ألا يكثر من الحفظ ، وان يتقن لغة اجنبية تكون صلة بينه و بين الادب فيها ، لا لينقل منها فهذه وظيفة المترجم ، ولكن ليستأنس بروح شعرائها وادبائها واساليبهم في الكتابة والتفكير .

مستقبل الشعر

اذا كان الشعر لغة العواطف والنثر لغة العقل فليس شك في أن الشعر سبق النثر كما أن العواطف تسبق العقل في تاريخ الانسان وفي نموه . وهذا هو ما يدلنا عليه الاستقراء فاننا مثلاً نعرف من جاهلية العرب أشعاراً ولا نعرف نثراً . وكذلك الحال عند الاغريق فاننا لا نعرف شيئاً من النثر سبق الالياذة

وقد كان الشعر في الاصل أغاني تغنى . وهو لا يزال كذلك عند الامم التي لم تخرج بعد من طور الهمجية . والشعر الهندستاني لا يزال الآن اغاني أيضاً . وقد كان كتّاب العرب يقولون ان الشعر مشتق من الشعور ولكن الرأي الآن على انه مشتق من « شير » العبرية ومعناها الغناء

فالناس أول ما بدأوا بصناعة الشعر انما كان قصدهم تأليف الاغاني . وهم انما ألفوا الاغاني ومارسوها انسياقاً للعاطفة كما مارسوا الرقص . وهنا يجب أن نقف قليلاً لنعرف علاقة العاطفة بالنظم سواء أكان هذا النظم شعراً أم رقصاً أم موسيقى . ففي هذه الاشياء الثلاثة نجد ايقاعاً . وليس لهذا الايقاع من غاية سوى استثارة العاطفة . واذا نحن نظرنا الى مواضع العاطفة من أعمالنا وجدناها كلها تقريباً ملبسة بالايقاع وذلك ما لم نحبس هذه العاطفة بقوة العقل . ففي الحزن العميق يزداد هذا الحزن قوة بايقاع المرأة النادبة أو بايقاع الموسيقى . وفي سير الجيوش تستثار عاطفة الشجاعة بين الجنود بالموسيقى . وفي أيام الشباب عند احتداد عاطفة الحب تلذ لنا رؤية الرقص أو ممارسته ـ فكل هذا يدل على أن الايقاع هو لغة العواطف وان الامم انما مارست الشعر للغناء . وقد كانت الياذة هوميروس تغنى عند الاغريق . وعندما بدأت النهضة الحديثة في اوربا كان اكبر ما دفعها من ناحية الشعر أولئك المغنون الذين نشأوا في فرنسا يقصون على الناس سير النبلاء والمحبين في الاشعار . وهنا أيضاً يجب أن نذكر أن الحداء هو في الاغلب أول ما عرفه العرب من الاشعار . والحداء هو ذلك الغناء الذي يغنى وراء الجمال وقت السفر

تغلب العقل

ولكننا نعرف أيضاً انه جاء زمن على الشعر خرج فيه من طور الغناء وصار يلقى على الناس بلا غناء . وانما جرى به هذا القدر لتغلب العقل على العواطف فصارت الغاية الاولى من الشعر المعنى وصار هذا المعنى مقدماً على الايقاع . ولكن مع ذلك نرى أن قراءة الشعر لا تلذ لنا الا بصوت عال وذلك لكي نسر العاطفة بالايقاع كما نسر العقل بالمعنى

ومنذ أن بدأ الشعر يقرأ ولا يغنى أخذ التعمل أو تكلف البلاغة يدب فيه حتى أصبح

صناعة لفظية تقوم على قواعد من تشبيه أو استعارة أو مجاز تسر العقل ولكنها تترك العواطف جامدة حتى لقد الف بعضهم قصائد يمكن قراءتها مع الصمت لانها تناولت من المواضيع ما يناسب التفكير لا العاطفة · وهذا خروج عن مهمة الشعر الاصلية · فان الشعر هو كما قلنا لغة العواطف بل حماسة العواطف · ونذكر بهذه المناسبة انه عند ما أراد أبو تمام أن يختار أجود أشعار العرب و يضمها في كتاب اطلق على هذا الكتاب اسم « الحماسة »

والحماسة في لغة العرب هي الاحتداد والشدة والحرارة · والعقل بطبيعته بارد لا يتحمس. فالحماسة هي احدى خواص العواطف · ولذلك فاننا نقرأ شعر المتنبي وننشده انشاداً حماسياً لانه كله يعالج من الموضوعات ما يستثير العواطف ويلذ لنا أن نسمع أنفسنا ونحن نقرؤه · ولكن شعر المعري جامد بالنسبة اليه لانه تناول موضوعات فلسفية خاصة بالعقل فيمكننا لذلك أن نقرأه ونحن صموت وتلذ لنا عندئذ معانيه كما لو كانت مكتوبة بالنثر · ولكن معاني المتنبي تحتاج الى ذلك الايقاع الذي يستثير العواطف لانه انما يخاطب عواطفنا بخلاف أبي العلاء الذي يخاطب عقولنا

شعر المستقبل

اذا كان صواباً ما قلناه آنفاً من أن الشعر لغة العواطف دون العقل وانه كان في مبدإه يُغنى طوع العواطف وعنوها ثم عاد يُقرأ حين تغلب العقل بانتشار الثقافة حتى قامت معاني البلاغة مقام الايقاع فاننا لا يمكن أن نفر من السير بهذا المنطق الى آخره فنقول ان حال الشعر في المستقبل ستكون دون حاله في الماضي · فان العقل يتغلب والعلوم تأخذ لذلك مكان الآداب حتى القصص أصبحت دروساً في علم النفس

وقد يمكن أن يقال ان الشعر قد يسترد مكانته الاولى و يعود غناء كالقصص الاوبرية التي تمثل بالغناء على المسارح · ولكن هذا الرأي مردود بالاختبار وبالاستقراء · فان رجال الذهن يحاولون أن يجعلوا للقصص الاوبرية مكانة في الاداب ولكنهم للآن لم يفلحوا في ذلك مع اعتمادهم في أحيان كثيرة على معونة الحكومة . ثم ان التاريخ يدلنا على أن الناس قد صاروا يقرأون الشعر ولا يسمعونه · والقراءة وخاصة اذا كانت في صمت تزيل ميزة الشعر الاصلية وهي الايقاع فيمكن عندئذ أن يقوم النثر بجميع المعاني التي يقوم بها الشعر · ولعل هذا هو السبب لانتشار « النظم الحر » الذي لا يتقيد بالقوافي وان كان فيه شيء قليل من ايقاع المقاطع

وقد بالغ كثيرون في التشاؤم حتى قالوا ان الشعر كالاساطير سيزول في عصرنا لان مزاجنا أصبح مزاجاً علمياً وانه ما دمنا لا يمكننا أن نضع نظرية اينشتين في قصيدة ونقرأها فاننا لن نجد سوى النثر اداة للتعبير · وذلك لان الموضوعات التي نعبر عنها هي موضوعات علمية يعالجها الذهن ولا تستثير منا أية عاطفة · ولكننا نعتقد ان هذا تشاؤم يعدو حدود الممكن · لان العواطف لن تمحى ما دام الانسان انساناً · وما دمنا يلذ لنا سماع الموسيقى فانه سيلذ لنا أيضاً سماع الغناء ·

ولسنا نقول ان الشعر سيعود غناء فاننا قد عدونا هذا الطور ولكننا نقول ان عواطف الانسان كما يبدو منها الآن ثابتة لا تتزعزع فما دمنا نحب ونغضب ونبتهج ونحزن فانه ستدوم للشعر مكانته وان كانت هذه المكانة ستنحط قليلاً عن اصلها لتغلب العقل والمزاج العلمي ولانتشار القراءة التي تقلل من قيمة الايقاع لاننا ما دمنا نقرأ فاننا لا نسمع ولا قيمة للايقاع بدون السماع

ولكن ما هي وجهة الشعر في المستقبل ؟ الجواب على ذلك ان لكل نهضة معينين تستقي منهما هما التاريخ الماضي والطبيعة ومنهما يستوحي الشاعر شعره

ففي أوربا مثلاً بدأت النهضة الحديثة بدراسة قدماء الاغريق ولم يخرج الادباء و ينطلقوا من قيود هذه الدراسة الا حديثاً حين نظروا في الطبيعة وشرعوا يبتكرون . وما زلنا نحن في مصر للآن نستقي من المعين الاول وشعراؤنا لا يزالون يجرون على انماط الشعر التي كانت شائعة في الجاهلية وصدر الاسلام . ولكن التأفف من التزام هذه الطرق قد أخذ ينتشر بين المجددين في مصر وسوريا

أما المعين الثاني وهو الطبيعة فهو بلا شك موضوع الشعر في المستقبل . وقد يدخل فيه التاريخ فيمكن الشاعر مثلاً ان يرجع بخياله الى حوادث الماضي في تطور الانسان وفتحه للطبيعة وانتصاره على قواها واختراعه المخترعات ونحو ذلك . ولكن الشاعر سيحتاج لعدم اعتماده على القدماء الى ابتكار المعاني الجديدة . وسينصرف ذهنه على الدوام الى المعنى دون الايقاع وقد يجره هذا الى الاسراف في معاني البلاغة

الخلاصة

و يمكن أن نلخص ما قلناه فيما يأتي :

١ – ان الشعر القديم كان غناء

٢ – انه لانتشار القراءة زالت قيمة الايقاع فعمد الشاعر الى المعنى لكي يعيض القارىء منه ما فقده من الغناء

٣ – انه لتغلب العقل على العواطف والعلم على الادب انحطت قيمة الشعر

٤ – ان الشعر لا يمكنه أن يكون لغة الادب ولا يمكنه لذلك أن يخاطب العقل فمصيره الى الانحطاط

٥ – ليس من المنتظر ان يستعيد الشعر مكانته بالغناء لتفشي القراءة والنظر العلمي

٦ – ولكن لما كان الشعر لغة العواطف . وهذه العواطف ثابتة فانهُ لن يموت وان كانت مكانتهُ ستقل

هذه بعض ملحوظات عنت لنا ونحن نقرأ كتيباً عن الشعر ومستقبله لكاتب انجليزي يدعى تريفليان

بعد الف عام

وهي نوع من الشعر المرسل الذي استحدثه السيد جميل صدقي الزهاوي

افتتحنا هذا الجزء من الهلال بحديث لامير الشعراء احمد شوقي بك تناول فيه موضوعات تتعلق بالشعر واتجاهه في الوقت الحاضر . وجئنا بعد ذلك بمقال عن مستقبل الشعر وهو يحوي بحثاً فلسفياً اجتماعياً في الشعر ومكانته عند القدماء وتطوره مع الزمن وما ينتظر أن يكون عليه في مستقبل الايام . وها نحن أولاء نقدم لقراء الهلال قصيدة لشاعر العراق الكبير السيد جميل صدقي الزهاوي ضمنها نبوات عن مستقبل العلم والبشرية وهي من نوع الشعر المرسل الذي استحدثه في العربية . وقد أردنا من ايراد هذه المقالات الثلاث متتابعة أن نضع أمام القارىء نظرات مختلفة للشعر تحيط به من مختلف جهاته — والشعر كان موضوع الشهر الماضي على الخصوص لانصراف ادبائنا الى تكريم شوقي [المحرر]

حضرة محرر الهلال

أرسل الى « الهلال » قصيدة « بعد الف عام » رجاء نشرها فيه وهي من الشعر المرسل الذي استحدثته في الشعر العربي مطلقاً اياه من قيد القوافي ذلك القيد الثقيل الذي تبرم به الشاعر وحببته الالفة الى السمع

وما أرى لالتزامه من مبرر غير انه تراث الماضي الذي بقي دهراً يشل الشعر في مجموعه فلا يمنحه حرية لايراد القصص وبث الآراء والوصف كما ينبغي . ولا يد له في الموسيقى التي تجعل الشعر شعراً ألا وهي الوزن وحسبك دليلاً ان البيت الواحد يتمثل به الكاتب فيلذه القارىء عارفاً انه شعر من غير أن يسأل عن موافقته لرديفه في القافية

ما أغنى أرجل غواني الشعر عن خلاخيل القافية وأغنى السامع عن سماع وسوستها التي تشوش عليه موسيقى الوزن . ومن نكد الشعر العربي أن قيد القافية فيه أثقل منه في الشعر الغربي لضرورة مراعاة الاعراب ومقدار الحركات قبله وتماثلها فوق التزام الروي مما جعل الشعر العربي يعاني التطور بحسب الحاجات العصرية التي لا يتسع لها ذلك القديم الضيق

واني لا أريد اليوم رفع القافية من كل أقسام الشعر فذلك عسير على الاذواق التي ألفتها منذ عصور طويلة وأحقاب بعيدة ولكن أي بأس في أن يوجد نوع من الشعر مرسل كما يوجد المقيد وأن يكون هذا النوع خاصاً بالقصص والوصف والجدل والحكم حيث ينبغي أن يسير على صوت موسيقى الوزن حراً طليقاً في مجال واسع ولا يرسف في قيوده متثقلاً

وقد نشرت لي المؤيد في مصر قبل اكثر من عشرين سنة قصيدة بعنوان « الشعر المرسل » ونشرت لي جريدة في العراق قصيدة أخرى قبل سنتين تقريباً فقامت حول هذه قيامة المحافظين على القديم وكان لي يومئذ أنصار كما كان لي خاذلون وقد رددت على نقد الناقدين يومئذ بسلسلة مقالات أثبت فيها انهم كانوا على باطل

ويرى القارىء اني في قصيدتي هذه المرسلة اليكم قد اتيت بما ينافي ما قرره علماء العصر كوضع الدفع موضع الجذب في تعليل الحوادث الطبيعية والفلكية والقول بصيرورة السيارات في المستقبل شموساً بعد نموها وكون الاثير يجري الى الاجسام وهو الذي ينميها على بطء ويدفع المادة الى المادة الى غير ذلك من الآراء التي أجملت بعضها في رسالتي « المجمل مما أرى » . وما ذلك الا لكوني مخالفاً لرأي الجمهور في هذه المسائل أعتقد ان المستقبل سوف يؤيد ما أقول به ولو كره الاكثرون

بغداد جميل صدقي الزهاوي

كأني من قبري انبعثت وقد مضى علي من الاعوام في جوفه الف
فألفيت ان الارض قد حال وجهها بصنع الألى كانوا عليها يعيشونا
وان عليها البر قد ضاق عرضه بهم فبنوا فوق البحار المساكنا
ولكنما الشمس المنيرة لم تزل تضيء نهاراً ثم تغرب في الليل
وكانت بعيني السماء كعهدها منمقة في الليل بالانجم الزهر
وألفيت أن الناس فيها تغيروا فما أحد منهم كمن كنت القاه
رؤوس كما يهوى الرقي كبيرة ترى يعبون للذكاء بها وقد
ولم تك أجساد الذين شهدتهم سوى عضلات قد عبلن[1] وأعصاب
لكل امرىء منهم جناح كطوله فينشره إما أراد ويطويه
تحركه فيما اذا شاء قوة قد ادخروها من حطام الجواهر
يطير به كالنسر في الجو حائماً وينقض منه بعد ذلك كالنسر
وفي الجو قد قامت قصور جميلة وفي الارض جنات وحور وغلمان

هم القوم اما نفسهم فكبيرة تجد واما علمهم فهو أكبر
لهم من جمال الوجه ما لا يفوته جمال ومن غر السجايا مواهب
وانك لو أبصرت يوماً نساءهم وقفت كمن لا يملك الرشد حيرانا
عيون بها السحر المبين وأوجه صباح يهيها ماء الشبيبة فياض
يشاركن في الكد الرجال نواشطاً فيتقن ما يأتين مقتدرات
ويجلسن للابرام والنقض مثلهم ويبدين اراء قليلاً عوارها
ومنهن حكام ومنهن قادة ومنهن أجناد ومنهن عمال
وليس زواج القوم إلا تعاقداً يقوم به الزوجان ما بقي الحب
وتربية الأطفال راجعة الى حكومتهم في شرعهم فهي الأم
ولا شيخ بين القوم يشكو سعاله ويمشي على العكاز محدودب الظهر
لقد دأبوا يبغون اصلاح نسلهم وان يحصلوا منه على المثل الاعلى
ولم أر في الاحكام للقوم شدة ولا انهم يجزون ذا الشر بالشر
بل المرء إما جاء ما هو منكر يعامله الافراد منهم باعراض
وقد ملكوا في كل شيء تساوياً سوى العقل فهو الواحد المتفاوت
وقد قسموا الارزاق بالعدل بينهم كما قسموا الاعمال جمعاء بالعدل

---

(١) ضخمن

قد اقتسموها بانتظام ودقة ... كما اقتسمتها في الجسوم خلاياها
لهم حقهم في الزاد لا يبخسونه ... كما للخلايا الحق في قسمة الدم
وما من طعام غير ما ركبوه من ... جماد وعلم الكيمياء هو المادي
وما أحد يبقي هنالك ثروة ... ولا أحد يشكو هنالك من فقر

وقد غيروا شكل الكتابة عندهم ... فلم تك فوق الطرس غير رموز
وللقوم شيء كالفنغراف عندنا ... يدوّن فيه كل قول ويُسمع
وما لغة فيها التفاهم بينهم ... سوى جمل ليست بذات فضول
ولا أمر يأتيه الفتى قبل درسه ... فيخشى لدى الاتيان عاقبة الامر
ولا موت حتف الانف للمرء بينهم ... ولا مرض يرجو الفتى منه ابلالا
قد استمسكوا في كل أمر بعقلهم ... وما فكروا في الكفر يوماً وفي الدين
وقد عرفوا كيف السعادة تقتنى ... وكيف يُنال العز في عصمة العلم
ومن كان ذا عقل كبير فانه ... اذا شاء يجني الخير حتى من الشر

حكومتهم شبه اشتراكية فما ... تنعّم أفراد وتشقى جماهير
يعيشون أحراراً فليس مسيطراً ... عليهم سوى العقل المكال بالعلم
أحاطوا بأسرار الطبيعة خبرة ... فلم يبق عنهم من نواميسها خافي
وقد عرفوا عفو الغريزة كل ما ... له نحن كنا بالروية نعرف
اذا ما أرادوا السير فالجو واسع ... وإما أرادوا المكث فالارض ميثاء (١)
يرى بعضهم بعضاً ويسمع صوته ... وبينهما الارض القصية تفصل
ويقرأ كل منهم فكر غيره ... قديراً فلا تخفى عليه السرائر
وقاسوا على بعد بهندسة لهم ... من النجم أقطاراً تدق وأقواسا
وقد رصدوا بعض الشعاع بآلة ... لهم فأرتهم في النجوم الخوافيا
هنالك علوم قد جهلنا أصولها ... وعلم بناء الكون أرفعها شأنا
وقد عرفوا الشيء الكثير من الذي ... بأعماقها عنا السماء له تخفي
وما كان من تلك الكواكب آهلا ... وما لم يكن منهن بعد بذي أهل
وقد خابروا منها الذي هو آهل ... فما كان منه في الاجابة إبطاء
وقد وسعوا علم الحياة فزادهم ... وقوفاً على الاسرار من لغز الكون
وأسهل شيء عندهم ان يحوّلوا ... الى أحد الجنسين من كان راغبا

---

(١) سهلة

وأن يجعلوا بعض الاناث ذكورة (١) وأن يجعلوا بعض الذكور اناثا
وقد علموا ما كان في الكون قبلهم وقد علموا ما فيه سوف يكون
وأبدوا من اللاحي حيًّا بخلقهم فعاش وأبقى في الحياة له نسلا
وأعطوا حياة للجماد بشعة (٢) قد اكتشفوها في ضياء الكواكب

قد انصرفت أنظارهم في حياتهم الى غير ما كنا له نتصوّر
فقد فكروا في أن تشف جسومهم فيخفوا اذا شاءوا الخفاء عن العين
وفي أن يحوزوا قدرة أن يحوّلوا متى رغبوا الاجساد منهم الى قوى
فتمضي بهم أنى ارادوا بسرعة وترجع أجساداً كما هي قد كانت
وهمّ بعزم ان يهاجر بعضهم الى كرة المريخ عند اقترابها

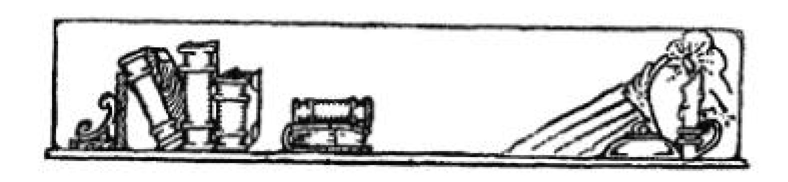
وأصوب ما للقوم في الارض رأيهم وأكبر منها رأيهم في السماوات
رأوا ان اصل الارض كان حجارة تطوف بدفع للاثير على الشمس
فأنمت (٣) بما تمتصه من لبانة وصارت الى سيارة فوقها نحيا
وما هي ان قايستها بعوالم ضخمن سوى دوّامة (٤) تتحرك
وقالوا بأن الارض سوف تكون من نموّ لها شمساً تضيء وتسطع
فترسل نوراً في الفضاء بنفسها وتجعل ليل التابعات نهارا
ومن رأيهم ان الشموس جميعها خلايا كما ان المجرة حيوان
وان جميع الكون في الدهر دائر وان نهايات الامور بدايات
وان الذي قد كان من كل ما مضى يكون اذا ما الدهر دار كما كانا
وان سقوط الساقطات مسبَّب لجري حثيث في الاثير الى الجرم
وقالوا بدفع لا بجذب وعللوا به ما بهذا الكون من حركات

وللقوم اعداء اشداء مثلهم يقيمون خلف البحر في عدد وفر
من الصفر أما في الجلاد عديدهم فجمّ وأما حقدهم فكبير
وقد نجمت بين الفريقين فتنة تكاد بها الارض الفضاء تضيق
وغى ما رأت عين امرىء مثلها وغى ذكت نارها في الجو والبحر والبر
وقفت بعيداً عنهما فوق مشرف اراقب ما جاءت به الحرب تمخض
فأبصرت اسطولاً من الجو مقبلاً يقلّ جنوداً تحمل الموت اسودا
فتمطر فوق البيض منه صواعقاً تهدّ الحصون الدارعات وتنسف

(١) جمع ذكر (٢) واحدة من الشعاع (٣) بمعنى نمت (٤) آلة صغيرة يديرها الاطفال

فطارت على فور اليه عصابة ... من البيض خواضون في النار والموت
وقد لبسوا شبه الدروع تصونهم ... من النار إما شبّت النار تلذع
علوا غير هيّابين ما قد يصيبهم ... كأنهم في واسع الجو عقبان
وطافوا به يصلونه حرّ نارهم ... فكنت ارى الاشلاء دامية تهوي
الى ان قضوا في حربهم بعد ساعة ... عليه بنار لا تضارعها نار
فقد نسفوه واحداً بعد واحد ... كما تنسف الاشجار في الغاب نكباء
فلم ار الا أرؤساً قد تطايرت ... شظايا واجساداً هناك تمزّق
وبعدئذ هبت من البحر زعزع ... تهد فلاقاها من البر أعصار
فكنت ارى النيران في ملتقاهما ... قد اندلعت حمراء تأكل ما تلقى
وقد طلب الصفر النجاة بنفسهم ... فلفهم الاعصار من كل جانب
وأرسلت البيض الدهاة أشعة ... تذيب اساطيل العداة على البحر
وفي ضوئها انقضوا عليهم بشدة ... من الجو امثال النسور القشاعم
وكان يشير القائد الفذ آمراً ... فتجتمع الاسراب او تتفرق
وكانت بأيديه القوية آلة ... يصرفها في الحرب ما شاء تصريفا
اذا شدّ كان الليل ابيض ناصعاً ... وان رد كان الليل اسود غربيبا
فلما ابادوهم تنادوا فاحرزوا ... بأمر الذي قد قادهم جثث القتلى
وآبوا الى ابراجهم وقصورهم ... يغنون بعد النصر أنشودة النصر
أولئك في رأيي هم البرمان قد ... علوا فاستقلوا بالحكومة في الارض
ومن بعد ما شاهدت في صلتي بهم ... عجائب راعتني رجعت الى قبري
وماذا حياتي بين قوم تطوروا ... فكانوا أولي عقل يحار به عقلي

جميل صدقي الزهاوي



الصين في محنة الانقلاب

اكبر أمة شرقية تتنصل من الشرق

الصيني ـ ومن يخطىء الصيني اذا رآه ؟ ـ رجل قصير القامة بارز الوجنتين منحرف العينين صغير اليدين والقدمين اسود شعر الرأس مستقيمه قليل شعر اللحية له شعرات عند ذقنه هي كل لحيته او هي اعتذاره عن لحيته . هادىء المزاج يحب السلام ويكره الشجار اذا تكلم عقد شفتيه فيبرزان كالمخروط فتظنه عندئذ يهمس بصوت عال . واذا رأيته يصنع شيئاً ألفيته يتنوق ويتجود حتى ليأتي بالعجب . وحسبك ان ادق الصناعات وهي صناعة الاطباق والزهريات تنسب اليهم فتسمى « الصيني » وتحمل الى المنازل لتزدان بها القاعات ومناظر الضيوف

وفي اقصى الشرق في آسيا يعيش ٤٠٠ مليون صيني كلهم بهذا الشكل يستوون في تقاسيم الوجه والجسم كما يستوون ايضاً في تقاسيم النفس والعقل . فليس بينهم من تباين النفوس ما يحدث تبايناً في النظر السياسي او الاخلاقي وهم لذلك على كثرتهم أمة واحدة تعيش مجتمعة القلوب على غاية واحدة في الحياة

ولكن ما هي هذه الغاية ؟

ان هذه الغاية تنحرف الآن عن مجراها الاصلي الذي سارت فيه ٥٠٠٠ سنة وهذا هو علة المحنة القاسية التي يجتازها الصينيون الآن . فهم بمثابة الرجل يعيش نحو ٧٠ سنة وهو يظن انه يجري طبق الفضيلة ويرمي في حياته الى غاية شريفة ثم يبدو له خطأه فجأة فيتحول عن طريقه ويعمد الى طريق آخر . ولكنه يرى هذه الشيخوخة التي تغير عليه فيريد ان يسبقها حتى لا تفوته غايته فهو لذلك يسرع ويتعجل في اتخاذ الطريق الجديد لكي يبلغ غاية جديدة

وهذا هو كما قلنا محنة الصين الآن . فهذه البلاد قد عاشت نحو ٥٠٠٠ سنة وهي تجري على اساليب في الحياة اذا لم تكن تعمل للسعادة فهي على الاقل لم تكن تعمل للشقاء . ويمكن تلخيص هذه الاساليب بأنها كانت تقضي على الصيني باحترام الآباء والاسلاف والجري على ما ألفوه من عوائد ومعايش . وكانت تغرس في ذهن الصيني انه لا عبرة بالشخصية وان العائلة هي الاساس دون الفرد وان التزاحم والتكالب لاجل المال رذيلة وليس فضيلة

وكانت هذه الاخلاق سائدة في تاريخ الصين الماضي . فكان الفتى الصيني لا يتزوج الا كما يرسمه له ابواه اللذان يختاران له عروسه دون ان يراها . وكانت الزوجة تخدم حماتها وتعيش معها أمة تبتذل نفسها لتهيئة اسباب راحتها . وكان للقدماء حرمة عظيمة لا تقل عن الحرمة الالهية

عندنا . والعجب انه ليس عند الصينيين للآن اله او دين بالمعنى الذي نفهمه · وانما عندهم حكماء مثل كنفوشيوس لكلمتهم حرمة كبيرة جداً

ولما كانت عبادة الاسلاف واحترامهم من العوائد المرعية فان مخالفة كنفوشيوس او مناقضته تعد جرماً كبيراً . وكانت الاخلاق القديمة تقتضي عدم الاعتداد بالشخص حتى كان اذا ارادت الحكومة احصاء السكان لم تحص الافراد بل كانت تحصي العائلات . وهذا النظر للحياة الانسانية قد ادى الى رذيلتين هما :

١ — ان الاحترام الكبير الذي يطلب من الصيني لآبائه واسلافه قد دعاه في النهاية الى احترام لغة هؤلاء الاسلاف فصار للكتب لغة غير لغة الناس · واصبح ٩٩ في المائة من السكان لا يقرؤون لانهم ليس عندهم الوقت الكافي لكي يتعلموا لغة قديمة هي غير لغتهم التي يتخاطبون بها كما منعتهم ايضاً من ابتداع البدع · وليس في العالم ارتقاء بلا ابتداع

٢ — ان وضع العائلة فوق الفرد ووضع السلف فوق الخلف قد جعل الصيني يقنع بأهون المعايش ويرضى بالتواكل ويكف عن المزاحمة

ولم يكن الصينيون اشقياء بهذا النظام · فأن الجهل الذي قضى به هذا النظام على جمهور الامة لم يشقهم · او يمكن ان نقول ان شقاءهم لجهلهم كان غير محسوس فكانوا لا يدرون به لان الشقي يحتاج الى نظار من السعادة لكي يقيس شقاءه

ولكن حوالي سنة ١٨٤٠ رأى الصينيون منظراً عجيباً · رأوا البوارج الانجليزية تضرب بلادهم وتقتل ابناءهم وتنتصر عليهم ثم تأخذ منهم هنغ كنغ وغرامة حربية قدرها أربعة ملايين ونصف مليون جنيه · ثم رأوا بعد ذلك ان الامم الاوربية تغير عليهم وتسومهم ارادتها وتنال منهم الامتيازات تلو الامتيازات التي تهين كرامتهم وتحكم عليهم بعدم كفايتهم للحكم في بلادهم فتأتيهم بالقضاة الاوربيين يفصلون فيما ينشأ بينهم وبين الاجانب في الموانئ من نزاع

وللصيني حياء وله اعتزاز بقوميته فلما رأى هذا الهوان تساءل عن العلة فوجدها في نفسه · اذ رأى ان هؤلاء الغربيين يجرون على أساليب في هذه الدنيا تخالف أساليبه . فعمد الى طائفة من شباب الامة وارسلهم الى اوربا واميركا لكي يفهموا هذه الاساليب الجديدة · وخاصة عندما رأى ان اليابان الصغيرة المحتقرة في نظره قد استطاعت حين تفرنجت ان تغلب الصين وتذلها

وعاد شباب الصين من اوربا واميركا بآراء جديدة وكلهم كافر بالعادات الصينية · ونحن نذكر من هؤلاء رجلين اثنين :

اولهما : صن يات صن فانه اعتنق المسيحية وتعلم العلوم الغربية فما هو أن عاد الى بلاده حتى نظر حوله فوجد أن البيت الامبراطوري هو محور الجمود واحترام الاسلاف فهدم هذا البيت وأنشأ الجمهورية سنة ١٩١١

والثاني : هو شي فانه تعلم في اميركا فلما عاد الى الصين وجد ان من المحال تعميم اللغة المكتوبة لان الفاظها قديمة غير مألوفة وانه لا يعرفها من الصينيين غير النادرة وهم الشيوخ الذين يقضون العمر في تحفظها ثم بعد ذلك لا ينتفع بهم احد · فعمد الى لغة العامة تلك اللغة الحية التي تسمع في الشوارع والاسواق والحوانيت فكتبها وألف لها ابجدية سهلة وألف بها الكتب والصحف فأقبل الصينيون على تعلمها · وكان هو نفسه ملحداً ينكر الاديان فأذاع بين الناس الكفر بهذا السلف الذي يقيد الخلف ويحول دون تطوره

فالصين الآن في محنة كبيرة ترجو أن تخرج منها سالمة . فهي تحارب من جهة هذه الدول الغربية التي نالت منها تلك الامتيازات المهينة المجحفة · وتحارب من جهة اخرى ذلك السلف القديم الذي كان يجبرها على تعلم لغة غير لغتها و يضطرها الى المعيشة في جهل دائم لعدم لياقة هذه اللغة للقيام بشؤون الناس الراهنة

وقد رأى الصينيون في نهضتهم الحاضرة في الدولة الروسية مؤيداً لرغائبهم · فان روسيا شيوعية فهي لذلك تكره الاستعمار وقد كانت أول دولة نزلت عن حقوق الامتياز التي لها في الصين. ثم هي دولة تحارب الاديان وتطعن في حكمة السلف وترفع من شأن الجماهير فهي لذلك توافق النزعة الصينية الجديدة · ثم هي جمهورية تكره الملوك والامبراطرة ومن اليهم فهي لذلك ايضاً توافق النزعة الجمهورية في الصين

والآن ماذا يرجى للصين من نزعة التفرنج السائدة عليها ؟

الجواب على ذلك أنه يبدو من مسلك الدول الغربية انها مصممة على الاحتفاظ بامتيازاتها · ولكن يبدو من جهة اخرى ان الصينيين ثابتون لن يرجعوا عن تحقيق غرضهم · وهذا الثبات ينفع قادتهم الذين ينوون تجديد الصين وفرنجتها وهدم ما للقديم والسلف من حرمة لانه يظهرهم أمام مواطنيهم بمظهر الوطنيين فيساعدهم على الهدم · وليس يعقل ان امة تبلغ ٤٠٠ مليون نفس يمكن الانجليز او حتى الاوربيين المتحدين ان يهزموها · وقصاراهم ان يستولوا على السواحل اذ لا يمكنهم التوغل في داخل البلاد · ولكن روسيا تعاون الوطنيين على المقاومة وتدس الخلاف بين الدول الاوربية وتزود الجنود الصينية بالذخائر فالمعقول ان الدول الاوربية لن تنال مآربها من الوطنيين وان الامتيازات اذا لم تنته بالالغاء التام فانها على الاقل ستعدل وفقاً لمصالح الصينيين

والخلاصة ان النهضة الصينية تتجه نحو الحضارة الغربية والتنصل من الشرق . ولن يكون في ذلك خوف على العالم كما كان يتنبأ أولئك القائلون بالخطر الاصفر · لأن الصين اذا اتخذت الحضارة الغربية صارت عضواً مفيداً في العالم لا يخشى خطره بل ينتظر نفعه · أما زيادة السكان فالمنتظر انهم لن يزيدوا حتى مع وجود حركة صناعية قوية في البلاد لان اختبار الامم كلها يدل على أن زيادة الرفاهية تصطحب على الدوام بنقص المواليد

تجربة الشيوعية في عشر سنوات

وما أسفرت عنه

ما اكثر ما كتب عن الشيوعية وما اكثر ما افسده من غرض ودعاية! على ان «الهلال» انما ينشد الوقوف على حقيقة الحالة في روسيا فهو لذلك يعتمد على المصادر التي يعتقد انها صادقة كما انه لا يتأخر عن نشر الروايات المختلفة بشرط ان تكون نزيهة القصد. ولعل هذا المقال يعين على فهم ما جرى حتى اليوم في تلك البلاد الشاسعة التي خبرت انقلاباً لم يذكر التاريخ مثله [المحرر]

مضى الآن على نظام الشيوعية في روسيا ما يقرب من عشر سنوات ألغيت فيها الاملاك من ارضين ومصانع ومنازل وساد حكم الشيوعيين الذين كانوا احراراً في انفاذ نظرياتهم الشيوعية، وان كانت حريتهم قد حددت بعض التحديد بالحرب التي وقعوا فيها بعد خروجهم من زمرة الحلفاء و بالقحط الذي عانته روسيا مدة غير قليلة. ولكن مرّ على روسيا بعد الحرب والقحط اكثر من ست سنوات والشيوعيون احرار يفعلون ما يشاءون

فماذا أتموا الى الآن وهل أثبتوا نجاح الشيوعية؟

***

ان نظرة عاجلة في روسيا الراهنة تدل على جملة أشياء:

١ – ان الشيوعيين قد نجحوا الى حد كبير في تعليم الامة الروسية واخراجها من ظلمات الجهل التي كانت غارقة فيها مدة حكم القيصر

٢ – ان الفلاحين قد استحوذوا على الارض وصاروا أغنى قليلاً مما كانوا مدة حكم القيصر

٣ – ان الاملاك لم تلغ كلها. فلا يزال في روسيا منازل يملكها اصحابها. وقد فشل الشيوعيون الى حد كبير في تنشئة الصناعة على مبادئهم فأذنوا للافراد بانشاء المصانع واستئجار العمال فيها

٤ – ان حالة العامل في روسيا صانعاً كان او مزارعاً هي دون حالة زميله في أوربا. وهذا يدل على ان الشيوعية لا تعود بالربح الجزيل على العمال كما يتوهم الشيوعيون

٥ – ان طبقة الاغنياء التي حاول الشيوعيون الغاءها باستصفاء املاكهم لم تزل من روسيا فقد اعتيض منها طبقة الموظفين الذين يعيشون الآن في ترف و بذخ يزيدان عما كان يرى في

طبقة الاغنياء مدة حكم القيصر . وان كان هذا لا يمنعنا من أن نقول ان حالة العمال أحسن قليلاً مما كانت سابقاً

هذا هو ملخص الحالة في روسيا الآن كما تراها جريدة التيمس وهي زعيمة الاحزاب المحافظة في أوربا بل في العالم كله . والآن يجب أن نقرأ وصف الحالة كما يراها الاستاذ كارلجرن وهو اسوجي يعمل في جامعة كوبنهاجن وقد كان منذ نشوب الثورة الروسية يدعو الى محايدة روسيا وتركها تنمو في نظامها الجديد بدون عرقلتها في تطورها . وقد زار روسيا في العام الماضي ووضع كتاباً عن أحوالها . وقد كان لهذا الكتاب من الاعتبار والرواج ما دعا الى ترجمته الى عدة لغات

* * *

افتتح الاستاذ كارلجرن كتابه بالبحث عن مبلغ ما في يد العمال في روسيا من السلطة ومقابلة ذلك بما كان لهم ايام القيصر . فان الشيوعية تقول بدكتاتورية العمال أي ان جميع السلطة تكون في أيديهم ولكن الواقع الآن في روسيا يخالف ذلك فالعمال الآن هناك ليس لهم من هذه السلطة أزيد مما كان لهم مدة القيصر . فان مقاليد الحكم في أيدي قلة صغيرة من السكان هي طائفة الموظفين واعضاء المجالس . وهذه المجالس ينتخب اعضاؤها باشارة الحزب الشيوعي . واشارته امر لا يستطيع احد الاهالي مخالفته حتى ان احد الفلاحين ذكر للمؤلف انه لو خطر للحزب الشيوعي أن يأمرنا بانتخاب حصان لما تجرأنا على مخالفته . واعضاء هذا الحزب لا ينتخبون الا بالحذر الشديد فالمناقشة فيه صورية فقط لا يكاد يعرض أي رغبة حتى يوافق الاعضاء عليها وعندئذ يرى المجلس (السوفيت) انفاذ هذه الرغبة

وفروع الحزب الشيوعي منتشرة في جميع انحاء روسيا . واعضاء هذا الحزب يؤدون مهمتين الاولى هي التجسس على جميع السكان والثانية هي بث الدعاية الشيوعية وتنشيط العمال لتأدية الاعمال المختلفة الخاصة بهذه الدعاية . وقد كان لهذه الاعمال شيء من الطرافة المقبولة في اولها اما الآن فهي تنغص على العمال عيشهم لانهـا تتطلب مجهوداً غير قليل في حضور اللجان وكتابة القرارات وما الى ذلك . واعضاء الحزب الشيوعي الذين في الصف الاول منه هم بمثابة اشراف روسيا الآن لهم الكلمة العليا ويخشى بأسهم وبطشهم . والغريب الذي يدخل روسيا لاول مرة لا يكاد يصدق عينيه لانه كان قد هيأ ذهنه لان يرى جميع الناس مستوين في المزايا الاجتماعية وفي الثروة . ولكنه اذا ركب القطار او احدى بواخر النهر وجد في الدرجة الاولى غاية البذخ

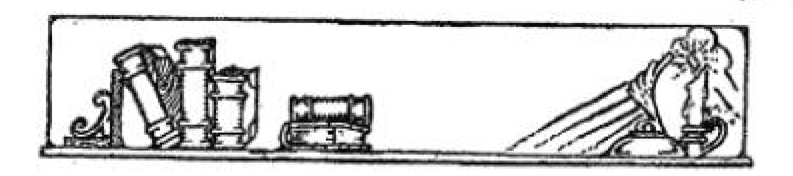
والترف وفي الدرجة الثانية والثالثة أصنافاً من الآدميين غاية في القذارة والفاقة لا يجد مثلهم في أوربا معها بلغ بهم الشقاء . وأولئك الذين في الدرجة الاولى هم أعضاء الحزب الشيوعي والموظفون . فالشيوعي من أفراد الطبقة العليا ...

وسكان روسيا يبلغون الآن ١٣٠ مليون نفس منهم ١٥ مليوناً من الصناع ونحو ١٠٠ مليون من المزارعين . أما الحزب الشيوعي فيبلغ أعضاؤه مليون نفس فقط ليس منهم من المزارعين سوى ٥٠٠٠٠ فقط ومن الصناع ٣٠٢٠٠٠ ولذلك لحظ المزارعين من الشيوعية ليس مما يحسدون عليه

والموظفون في روسيا يؤدون أعمالهم تحت اشراف المجالس (السوفيت) وهم من الكثرة بحيث قد أحس سكان المدن الكبيرة مثل موسكو وغيرها قلة المساكن التي ملأوها بمكاتبهم . ومع ان عقاب الرشوة هو الاعدام فان كثيرين من الموظفين يرتشون وفداحة العقاب تمنع التحقيق وتكاد تجعله مستحيلاً . وكثرة هؤلاء الموظفين تؤخر الاعمال . فقد قص أحد الثقات الشيوعيين ان كل مزارع يتأخر في دفع الضريبة المفروضة عليه يحتاج الى ١٩ ورقة تمر على ١٥ موظفاً وتقضي في هذا المرور ١٨٠ ميلاً . ويحكى عن امرأة رافعت رجلاً تطالبه بخمسة وعشرين قرشاً و بعد لأي حكم لها بهذا المبلغ فلما طلبت تنفيذ الحكم قيل لها انها يجب أن تدفع نحو ثلاثة جنيهات

ومتوسط أجرة العامل الآن في روسيا ٢٨ شلناً أي نحو ١٣٥ قرشاً في الاسبوع . وقد ازدحم الاهالي على المساكن حتى ان المستشفى المخصص لثلاثة آلاف مريض يكلف ايواء ١٤٠٠٠ مريض . والسكان يتزاحمون على المساكن حتى ان متوسط المساحة التي يشغلها الساكن تقل عن أربعة أمتار . وكل ذلك لان الشيوعيين لم يبنوا من المساكن الجديدة ما يسع الاهالي

وحالة الصناع بالنسبة للعدد الكبير الذي لهم من الاعضاء في الحزب الشيوعي أحسن قليلاً من حالة المزارعين . فان هؤلاء يتميزون غيظاً من فداحة الضرائب المفروضة عليهم ومن ان الحكومة تصادرهم في غلاتهم . والجهل فاش بينهم لان معظم المدارس التي انشأها الشيوعيون كانت في أوساط صناعية . والمزارعون يكرهون الشيوعيين الآن كما يكرهون الموظفين الذين يوجد بينهم عدد غير قليل من اليهود . واليهودي كان ولا يزال مكروهاً في روسيا كما هي حالته أيضاً في جميع شرق أوربا



عبرة تاريخية

الحركة الاستقلالية في بروسيا

بقلم الاستاذ الدكتور محمد صبري

أستاذ التاريخ بدار العلوم

لا ريب ان الحركة البروسية والحركة الايطالية هما أجل حركتين وطنيتين ظهرتا في التاريخ الحديث . ولنا أبناء الشرق في درسهما عبر عظيمة القدر . وقد عني الاستاذ البحاثة كاتب هذا المقال ببحث هذا الموضوع وما اليه بحثاً دقيقا على الاسلوب الحديث وسيصدر ذلك قريباً في كتاب قيم في تاريخ « القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية ونابليون » ، وانه ليسرنا ان نستطيع نشر هذا الفصل المفيد اليوم [المحرر]

كان انتصار نابوليون في يانا وأورستاد (١٤ اكتوبر سنة ١٨٠٦) ، واندحار جيشها ومعاهدة تلست ، إيذانا بضياع استقلال بروسيا الفعلي وهيمنة نابوليون على المانيا ، ولما كانت بروسيا اكبر ولاية ألمانية مستقلة ، ولو اسماً ، صارت قبلة الاحرار والبروتستانت في المانيا كما كانت النمسا قبلة الكاثوليك فيها فأمها الكثيرون منهم والتفوا حول لوائها لانهم أيقنوا ان عظمة المانيا متوقفة على تحرير بروسيا وتوطيد سلطانها

كان أغلب زعماء الحزب الوطني في بروسيا من الالمان الذين نزحوا اليها فاستوطنوا فيها : وفد هاردنبرج وشارنهورست من هانوفر ، وستاين من ناسو ، وجنايزناو من سكسونيا ... فكانت بروسيا محور العظمة الالمانية منذ فردريك الثاني واليها اتجهت آمال الالمان منذ انكشفت نيات نابوليون بعد تلست

النهضة ومميزاتها — كانت بروسيا تفهم جيداً أنها مهما أعدت من قوة لا يمكنها وحدها أن تتغلب على نابوليون ولكنها كانت تعلم جيداً أن تغير الحالة العامة في أوربا لا مناص منه فكان يجب عليها ان تأخذ أهبتها حتى تستفيد من الظروف الطارئة

كان هذا رأي الوطنيين وهم الحزب الغالب الذي يعمل على النهوض ببروسيا ونشر الاصلاحات فيها تمهيداً للثورة ضد الغاصب ، وكانت الملكة لويز تشجع هذه الحركة الاصلاحية بينما كان الملك كثير التردد والتأثر بآراء الرجعيين من الاشراف الذين كانوا يخشون عواقب الاصلاحات والثورة على امتيازاتهم وكان من رأيهم الخضوع للحكم الفرنسي والاندماج في « محالفة الرين »

كان رؤساء الاصلاح بعد يانا ستاين وشارنهورست وجنايزناو ، وقد كان الاول وزير مالية قبل يانا ولكن خطته لم ترق أولي الامر فأقصي عن حكومة الدولة حتى أشار نابوليون على فردريك غليوم بارجاعه ، وفي الوقت نفسه دعي الضابط شارنهورست لتنظيم الجيش البروسي وكان جنايزناو من أكبر أعوانه

كان ستاين رئيس وزارة الثورة وكان هو وأعوانه يفهمون انه يجب ان يمهد للثورة بالاصلاحات العملية في الجيش والادارة ، وان الاصلاحات العسكرية التي ترمي الى تأليف جيش وطني يحرر البلاد لا بد أن تستند الى اصلاحات اجتماعية عامة

كان الجيش البروسي قبل تدحوره في يانا يتألف نصفه من الجنود المرتزقة وكان نظام الجندية قاسياً للغاية ، وكان الاشراف مستأثرين بجميع وظائف الجيش الرئيسية ، ولهم عدا ذلك حقوق وامتيازات كثيرة ، منها ملكية الاراضي والمعافاة من الخدمة العسكرية واستخدام الفلاحين في السخرة وأعمالهم الشخصية ، وبالجملة كانت مساوىء النظام الاقطاعي في بروسيا تعوق كل تقدم حقيقي في البلاد

وقد استمد المصلحون وحيهم الأول من الثورة الفرنسية لان الثورة اثبتت لاول مرة قوة « الامة المسلحة » او فعل القوى الادبية في الانتصارات العسكرية ، فكان ستاين يفكر في إعداد الجماهير او الشعب للثورة والحرب ضدّ الغاصب ويرى ضرورة اشتراك جميع طبقات الامة في إدارة الشؤون العامة وتكوين روح الجماعة فيها وبث الافكار الثورية حتى يتعلم كل فرد كيف تنظم وتساس الحركات القومية

وكان فون درجولتز يقول : « إن استعمال جميع القوى الأدبية والمادية في أمة كفيل بعظمتها وإنهاضها إذا اصابها ضعف أو خور »

وكان شارنهورست يعمل على تدبير ثورة وطنية ضد الحكم الفرنسي ، كتب في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٠٧ : « يجب ان يغرس في الامة الشعور باستقلالها ، وان تكسر النظم القديمة الضيقة وان يترك عمل النهضة حرّاً في نموه وتطوره »

وكان جنايزناو في سنة ١٨٠٧ يقول : « ان السبب في بلوغ فرنسا هذه الدرجة من المنعة والسلطان هو ان الثورة نبهت جميع القوى الاجتماعية ، وما أكثر القوى الكامنة في حياة الامم ! وكم في نفوس آلاف الرجال من عبقرية ومواهب تخمدها الظروف الخارجية وتمنعها من الظهور ! وقد حركت الثورة الفرنسية عند الشعب الفرنسي القوّة القومية بحذافيرها . . . فيجب ان نسير على مثالها وأن نوجه القوة الوطنية في تمامها ضدّ القوى الاجنبية الغاصبة »

كان جميع أولئك الزعماء متفقين في الخطة والغاية يعملون في الخفاء ولا يترددون ، عند الضرورة ، في سبيل تحقيق اغراضهم الوطنية ، في التظاهر بخدمة المحتل وقبول شروطه حتى اليوم

الذي يتمكنون فيه من خيانته وإظهار العدة الكبرى التي أعدت في صمت لليوم المشهود

كانت بروسيا في القرن الثامن عشر من دول الطبقة الأولى ولكنها فقدت في سنة ١٨٠٧ ولاياتها البولندية والوستفالية وصارت من دول الطبقة الثانية يحتلها نابليون بجيوشه ويبتز منها المال بكل الوسائل ولم يعين مقدار دينها الفادح إلا في اتفاقية باريس (٨ سبتمبر ١٨٠٨) وتقرر بقاء الاحتلال حتى ينتهي سداد الدين وألا يزيد عدد الجيش البروسي على ٤٢٠٠٠ رجل ، وقد ظل في الواقع الاحتلال الاجنبي في بروسيا لغاية سنة ١٨١٣ وكان نابليون يفاخر بانه ابتز منها مليارا فقاسى أهلها أشد أنواع البؤس والضنك وعانوا غطرسة الجنود الاجنبية وتدخل السلطات الفرنسية في حكومة البلاد وادارتها ، وكان لا يمكن للبروسيين أن يسلوا بان وطن فردريك الثاني والفيلسوف كانت والشاعرين جوت وشيلر يعيش في ذل الاحتلال الاجنبي

الاصلاح الاجتماعي — كانت الوطنية الالمانية في عصرها الاول تتمثل في ستاين وحركته التي كانت خيالية اكثر منها عملية ، ولقد كان ذلك الوزير بعيد الهمة شديد الجرأة والاقدام يظن في مقدوره إحداث ثورة عاجلة في البلاد ناسيا ان الوطني المستنير لا يمكن تكوينه في عام أو عامين وانه لا بد أن يحسب حساب للحقائق الراهنة ، والتقاليد القديمة ، والقوى الرجعية المتمثلة في الاشراف وأصحاب الامتيازات فانها كلها كانت تحول دون اجراء أي اصلاح شامل بعيد الاثر في حياة البلاد الاجتماعية والادارية

كان ستاين يريد تعويد البلاد الحكم الذاتي واشراك السواد الاعظم من الشعب في الحياة العامة لان الشعب سنار كل حركة قوية فعمل على ترقيته وتحرير الفلاحين من استبداد الاشراف الاجتماعي والسياسي ، ونشر المساواة ، وتقرير حق ملكية الاراضي للفلاحين الذين كانوا عبيداً للاشراف أو مؤجرين لاملاكا حتى يتمكن من ازالة جميع العوامل التي تعرقل حركة النماء والرفاهية وتقضي على الروح العامة

في ٩ اكتوبر سنة ١٨٠٧ أصدر الملك مرسوماً بالغاء علاقة التبعية الوراثية التي كانت بين الفلاحين والاشراف وتحرير الملكية العقارية من جميع القيود القانونية التي كانت تحرم ملتزميها من حرية التصرف فيها فصارت ٤٧٠٠٠ أسرة في أراضي الحكومة تتمتع بالملكية ، أما باقي الاسر في البلاد فقد منعها الاشراف بذرائع مختلفة من التمتع بحقها

وفي ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٠٨ صدر قانون الادارة المركزية الذي لا يزال قاعدة نظام الحكومة البروسية الى اليوم ، وحسب هذا القانون انه وطد وحدة المملكة بانشاء وزارة تحل محل الحكومة الشخصية في ادارة البلاد و بالغاء الوزراء في المقاطعات ، والقضاء على امتيازات المقاطعات المختلفة ، وتبسيط التقسيم الاداري القديم واصلاحه . وكان ستاين يفكر في انشاء مجالس مديريات وجمعية عمومية ولكن هذه الفكرة لم تتحقق الا بعد خمسين عاماً بسبب معارضة الملكية في الاصلاح النيابي

كان ستاين وأعوانه من المصلحين الذين على مذهب « كانت » ، من رأيهم استغلال جميع القوى المادية بتحطيم القيود الاقطاعية التي كانت تختنق فيها وجميع القوى الفكرية بانشاء جامعة ونشر التعليم ، وكانت غايتهم من قانون ٩ أكتوبر سنة ١٨٠٧ الخاص « بحرية التصرف في الملكية » تحرير القوى الفردية التي تدفع الانسان الى السعي وراء الرفاهية والعيشة الراضية

وقد رأس ستاين الوزارة في سنة ١٨٠٨ وعهد إلى شارنهورست باصلاح الجيش وكان انتصار الاسبان في ذلك الوقت على نابليون يدفعه إلى التفكير في الانتقاض عليه ولكن البوليس السري الفرنسي تمكن من الوقوف على خطته فحتم نابليون في الحال اخراجه من الوزارة (٢٤ نوفمبر) والقاء القبض عليه فهرب في النمسا فروسيا ، وقد ظل النظام الاداري والسياسي والعسكري الذي اوجده ينمو في الخفاء بعده

الاصلاح العسكري ـ كان شارنهورست في مقدمة المصلحين العسكريين الذين فهموا سر انتصارات فرنسا في الثورة فكان يرى ضرورة تكوين الجيش البروسي على نمط جديد و بث روح معنوية فيه تدفعه إلى الاتيان بعظائم الامور وتحرير البلاد خصوصاً بعد ما ثبت فساد النظام الآلي الذي يستند إلى الرهبة والجبروت والقواعد العتيقة

كان يريد ان يكون الجيش والأمة سواء وذلك بتعميم الخدمة الاجبارية ، وتنوير الشعب ، وإلغاء الامتيازات التي تضعف القوى المعنوية وتقضي على روح الالفة والاخاء بين الطبقات والافراد ، ولذلك كان شارنهورست من اكبر انصار ستاين وقد شاركه في مجهوده السياسي والاجتماعي لانه كان يعلم ان الوطنية الحقة نتيجة التحرر الاجتماعي وانها العامل الاول في انتصار جيوش الثورة

وقد عوّل شارنهورست على تحقيق خطته الاصلاحية بعد رحيل ستاين ، وكان هاردنبرج خلف ستاين من المعتدلين الذين يعملون على تجنب كل المظاهر التي من شأنها إثارة الفرنسيين والنداءات إلى الامة التي كان ستاين يقترح على الملك إصدارها . ولكن في عهده اشتدّ ساعد الحزب الرجعي وكان شارنهورست ممثل الحزب الوطني في الوزارة يشكو من اعتراض الملك على الكثير من اصلاحاته النافعة كالخدمة الاجبارية التي وضع مشروعها في سنة ١٨٠٨ ، وكان يتحمل في سبيل نجاح خطته بعض الاهانات والمحل مع خصومه الذين يعينهم الملك

كانت الجندية بغيضة إلى الجميع ، اقرب الى المهنة منها إلى الواجب الوطني يقوم نظامها على احكام قاسية ، ولم يكن في بروسيا بعد تيلست خيول ولا مدافع ولا بنادق فكانت خطة شارنهورست تسليح الرجال بالحراب في حالة حرب عاجلة والاشتغال في الوقت نفسه باحداث اصلاحات عسكرية اجتماعية واسعة تثمر بعد زمن

وقد عمل في ساعات اليأس (١٨٠٩ و ١٨١٠) عملاً خارقاً في وزارة الحربية فأنشأ مدرسة حربية لتعليم الفنون العسكرية الراقية وتخريج الضباط ، وجعل تعيين الضباط يتوقف على امتحان مسابقة يدخله الجميع من أي طبقة كانوا ، وخفف من قسوة النظام العسكري وألغى نظام الجنود المرتزقة

ولكن عمله الذي يدل على الوطنية العالية التي تعمل في الخفاء لطرد المحتل وتخليص البلاد من جوره واهاناته وتصرفه في البلاد تصرف المالك المستبد هو الاحتيال في تكوين جيش ضخم رغماً من معارضة الملك وحزبه في الخدمة الاجبارية ورغماً من مراقبة المحتلين وعيونهم المبثوثة في كل مكان

نصت اتفاقية سبتمبر التي عقدت بين بروسيا ونابليون في باريس (سنة ١٨٠٨) على جلاء الجنود الفرنسية عن بعض ولايات بروسيا ولكنها حتمت عليها ألا يزيد عدد جيشها على ٤٢٠٠٠ جندي

قرر شارنهورست بقاء العدد المعين لكل فرقة من الجيش كما هو ولكنهُ جعل يدمج في كل فرقة تحت السلاح نفراً معيناً من الاقليم التابعة له يتعلمون أهم التمرينات العسكرية في مدة شهر ثم يحل محلهم غيرهم ، وبهذه الطريقة كانت الفرقة التي لا يزيد عددها عن ٥٥٠ تحت السلاح يمكنها أن تضم اليها بعد مضي ثلاث سنوات ٢٥٠٠ جندي جديد تلقوا فيها مبادىء التعليم العسكري

وكان هذا العدد الاضافي المستتر هو الذي مكن بروسيا في بداية سنة ١٨١٣ من مفاجأة نابليون بجيش لا يقل عن ٢٥٠٠٠٠

جامعة برلين — لا يزال البروسيون الى اليوم يفاخرون بانهم فهموا في ساعة المحنة والاضمحلال الصلة التي تربط مصير الامة السياسي برقيها الادبي والاجتماعي ، وقد حلت محل فلسفة القرن الثامن عشر الخيالية فلسفة عملية تقرن الفكرة بالعمل وتجعل منهما وحدة لا تتجزأ

روى أرنست لاڤيس في كتابه عن بروسيا أن الدكتور شمالتز الاستاذ بجامعة هال التي ألغاها نابليون بعد يانا قصد ملك بروسيا وكان كلاهما طريداً فعرض عليه نقل جامعة هال الى برلين ولكن مدينة هال كانت ضمت مع دوقية مجد بورج الى مملكة وستفاليا التي كان يحكمها جيروم بونابرت فوعد فردريك غليوم محدثه بانشاء جامعة جديدة في برلين « لان الدولة ، في رأيه ، يجب أن تجد في القوى الادبية عوضاً عما فقدتهُ من القوى المادية »

وكان الكثيرون من الالمان بعد يانا يرون أن انشاء جامعة وطنية من عوامل انهاض بروسيا بعد تجزئتها واذلالها حتى تزيد التربية من قوة المقاومة في النفوس الالمانية ضد الظلم الاجنبي ، وكان الفلاسفة الالمان يعتبرون الهزيمة والاحتلال عارضاً من العوارض لان هناك قوة لا يصل

اليها نابليون : تلك قوة الايمان والعلم التي يجب تعهدها بنشر التربية والآداب القوميـة بين طبقات الشعب

وكان ستاين يقول في سنة ١٨٠٨ : « يجب أن نعوّل قبل كل شيء على تربية النشء وتهذيبه ، فان اليوم الذي نكون قد تمكنا فيه من ترقية القوى الادبيـة بطريقة مبنية على طبيعة الرجل الباطنة ونشرنا المبادىء التي تتزن بها الحياة ، وتعهدنا بعناية واهتمام حب الله ، وحب الملك ، وحب الوطن ، فذلك هو اليوم الذي يبدء فيه جيل جديد يعتز بقوته العقلية والبدنيـة ويلوح المستقبل المأمول »

أنشئت الجامعة بين ١٨٠٨ و ١٨١٠ وقد عين فيهـا في بدايتها أربعة أسـاتذة كان بينهم الفيلسوف فيشت أول مدير لها ، بدأ فيشت محاضراته « بخطبه الشهيرة الى الامة الالمانية » وازن فيها بين العبقرية الالمـانية والروح اللاتينية وأثنى على جهود الشعب الالماني وقدرته على العمل وما أداه للانسانية من خدمات بانقاذ المسيحية من الاغلال الكاثوليكية وتذكير العـالم بحرية الفكر الفلسفية التي نسيها منذ القدم ، وأعلن فيشت أن الطريقة الوحيدة لاسترداد عظمة الشعب الالماني هي التربية أو « فن تكوين الارادة عند الرجل وتحصينها » ، وبينما كان فيشت يخطب كان يسمع قرع الطبول الفرنسية في الشوارع

على أن الجامعة لم يتم بناء نظامها ولم يوجد بها العدد الكافي من الاساتذة الا في سنة ١٨١٠ بفضل مجهودات الفيلسوف هامبولدت تلميذ كانت وصديق جوت وشيلر ووزير المعارف العمومية في سنتي ١٨٠٩ و ١٨١٠ وقد سعى ذلك الوزير العامل في اختيار العلماء القادرين من الالمـان واجتذابهم بكل الوسائل وكان كثيراً ما يختار للمادة الواحدة أساتذة مختلفين في المذهب والرأي حتى « لا يستغل كل واحد منهم العلم في هدوء كما تستغل المهنة »

وقد لعبت الجامعة دوراً كبيراً في حركة سنة ١٨١٣ القومية بفضل الروح الوطنية التي كان يبثها العلمـاء في دروسهم وأبحاثهم ، فما كادت الجنود الفرنسية تلقى الهزيمة في مجاهل روسيا حتى انقض عليهم البروسيون ، وكان الطلبة أول من لبى داعي الوطنية ، كتب أحدهم الى زميل له : « ضع ثقتك في الله واعلم أن فداء الفرد يتوقف عليه بقاء المجموع ٠٠٠ اننا نريد أن نموت فداء الوطن » وقد صارت برلين منذ ذلك الوقت حاضرة الالمان العلمية وكانت تعاليم هيجل بعد تعاليم كانت من أكبر عوامل النهضة الالمانية في القرن التاسع عشر

محمد صبري

كتب الصين الاربعة

حكمة كونفوشيوس وفلسفة تلاميذه





منسيوس
تلميذ كونفوشيوس

الى اليمين : كونفوشيوس

كان كونفوشيوس حكيماً من حكماء الصين مات سنة ٤٧٨ قبل الميلاد المسيحي . ولكن له الآن مقاماً دينياً عند الصينيين فهم يتلون نصائحه وحكمه وأماثيله كما نقرأ نحن القرآن او الانجيل وله في قلوبهم تلك الحرمة التي تكون للانبياء عند الامم الاخرى . ومن ينظر في الخلق الصيني يراه مطبوعاً بطابع كونفوشيوس حتى ليحار الانسان ويتساءل : هل يرجع ذلك الى ان الصينيين قد تأثروا بكونفوشيوس حتى مزجت آدابه بدمائهم ام هل هذه الآداب اصيلة في الصين وان كونفوشيوس بمثابة كونه عبقرياً صينياً قد تمثلت فيه هذه الآداب فأحسن التعبير عنها واداها للامة على أمثل صورة واوضحها ؟

ولعل الصواب في الاعتبارين لان العبقري يمثل من جهة طائفة من خصال الامة التي هو احدى ثمراتها تمثيلاً بالغاً والامة نفسها لا تقبل القالب الذي يصوغه لها من الاخلاق ما لم تكن مستعدة لذلك

وفي الصين اربعة كتب مشهورة ثلاثة منها تنسب الى كونفوشيوس نفسه او اقاصيص وأحاديث عنه وواحد ينسب الى منسيوس وهو من تلاميذه وقد ولد بعده بـ ١٠٦ سنوات وسنذكر

للقارىء طرفاً من حكم هذه الكتب التي تكشف عن الروح الصينية في ارقى احوالها وابلغ ما تمثله من المثل العليا

الكتاب الاول : مختارات كونفوشيوس

تنسب هذه المختارات الى كونفوشيوس نفسه والى بعض تلاميذه الذين نقلوها عنه وفيها يقول:

لست أبالي بمن يضع شرائع الناس اذا كنت انا اضع اغانيهم

يجب على الصبي ان يكون مطيعاً في منزله متواضعاً خارج منزله منتبهاً اميناً باراً ينفق اوقات فراغه في الشعر والموسيقى وحسن الهيئة والمشية.

لما كنت في الخامسة عشرة كنت احصر مجهودي كله في الدرس . وفي الثلاثين استطعت ان اعتمد على نفسي وفي الاربعين انتهت شكوكي الفلسفية وفي الخمسين عرفت شرائع السماء وفي الستين استجابت شهواتي لغرائزي العليا وفي السبعين سيطرت عليّ احسن طبائعي

الدرس بلا فكر عبث والفكر بلا درس خطر

قلما ترافق الالفاظ المعسولة والهيئة الجذابة المسلك الحسن

اذا كان الانسان يستذكر معارفه القديمة ويضيف اليها معارف جديدة فانه يكون عندئذ جديراً بأن يكون معلماً للآخرين

يجب ان يتوجه عقل الطالب الى بحث الحقيقة ويجب لذلك ألا يخجل من الملابس الزرية او الطعام البسيط او القليل

ينظر الرجل الطيب فيما هو اصلح وينظر الرجل السيء فيما هو اربح

قلما يخطىء من يحكم نفسه ويضبط شهواته

الرجل الطيب يميل الى التأني في الكلام والنشاط في العمل

الفضيلة لا تنفرد لان من طبعها ان تجذب اليها جارات

لاول ما عاملت الناس كنت اسمع كلامهم واحكم به على مسلكهم . ولكن علمني الاختبار ان اسمع لكلامهم واراقب مسلكهم.

الطبيعة بلا فن تورث الخشونة . والفن بلا طبيعة يورث الزهو . وانما الرجل الأمثل هو من يجمع بينهما

كان المعلم يلتفت الى ثلاثة أشياء هي العبادة والسلام والصحة

سئل المعلم : من هو الرجل الفاضل ؟ فأجاب : ذلك الذي لا يشغل باله هم او خوف لانه لا يجد في قلبه شراً

لما سأل المعلم احد تلاميذه : ما هي القواعد التي يقوم عليها فن الحكومة ؟ اجاب : الطعا.

الكافي والجيوش والامة الموالية . فسأله التلميذ : هبنا استغنينا عن واحد من هذه الثلاثة فما يكون ؟ فأجاب : الجيوش . فسأله التلميذ ايضاً : وهبنا اردنا الاستغناء عن احد الاثنين الباقيين فما يكون ؟ فأجاب الطعام

ثلاثة اشياء على الرجل الفاضل ان يجانبها : الشهوة مدة الشباب والمزاحمة مدة الرجولة والجشع مدة الشيخوخة

أحسن طبقات الناس من ولدوا عقلاء يليهم من صاروا عقلاء بالدرس وفي الطبقة الثالثة من درسوا كثيراً بدون ان تكون لهم كفاية طبيعية . واحط طبقات الناس هم أولئك الذين ليس لهم كفاية طبيعية ولا آداب

اثنان لا يتغيران وايهما : اعقل الناس واسخفهم

الكتاب الثاني : تعاليم البالغين

ينسب معظم هذا الكتاب الى كونفوشيوس نفسه والى واحد من تلاميذه الذين رووا عنه . وهذه بعض حكمه :

من ابن السماء (الامبراطور) الى سواد الامة كان اصلاح الخلق الشخصي معدوداً اصلاً لكل اصلاح . وكانوا لذلك يسمونهُ « الاصل » وكانوا يرون فيه اكتمالاً للمعارف

يحكى عن احد الحكماء انهُ نقش على حمامه هذه الجملة : جدد نفسك كل يوم . اجل . كل يوم جدد نفسك

يجب ان تحكم العائلة قبل ان تحكم الدولة لانهُ اذا كنا لا ننجح في تعليم عائلتنا الطاعة والولاء لرئيسها فكيف نربي الامة على ان تتحد وتطيع وتوالي الحكومة

جاء في كتاب الشعر : ان الآباء جديرون بالتهانيء . والملك الذي يحب ما تحبه الامة ويكره ما تكرهه انما هو والد الامة . ومن المحازت له الامة ربح الدولة . ولذلك فأول ما ينبغي ان يهتم له الوالي انما هو استقامته لانهُ بها يمكنهُ ان يكسب ولاء الامة

تعد البلاد غنية اذا كانت تستنفد اقل مما تنتج ويعد الرجل غنياً اذا فاض دخله على نفقته

الكتاب الثالث : الاعتدال

الاعتدال أو التوسط أو بعبارة أتم التوازن والتوافق هو موضوع هذا الكتاب وهو اهم ما يدل على الخلق الصيني من حيث كراهة الغلو وهو ينسب الى كونفوشيوس . واليك بعض ما جاء فيه :

تتجسم في الرجل الفاضل أحوال التوازن والتوافق ولكن الرجل الدنيء لا يعرفها . ولا يبلغ هذه الحال الكاملة من الناس الا القليلون . ذلك لان من يعدون أنفسهم عقلاء يحتقرون هاتين الصفتين و يرمون الى أغراض أثمن في نظر الناس منهما ... والرجل الفاضل لا يطمع في اعمال تدهش العالم وتكسبه الذكر وانما هو يطمع في أن يعيش عيشة متوسطة متوافقة ومع ذلك فانه

كثيراً ما يفشل دون بلوغ هـذه الغاية لقلة التمييز . ولكن هذا الطريق الوسط ليس مع ذلك خافياً على أهل الطهارة والاخلاص وقد يعرفه عامة الناس مع خفائه على أعقلهم . واعظم الناس وأحكمهم وأحسنهم يحسون في قلوبهم المثل العليا التي لم تتحقق . وكل من يجتهد منهم في تحقيق هذه المثل يسير ، وان فشل ، على طريق الهداية والسداد



عروسان صينيان يبتهلان الى لوحات الاسلاف المقدسة

قال المعلم : والرجل الفاضل يواجه ثلاث مشاق لم اتغلب انا نفسي عليها وهي (١) ان اخدم أبي كما أود أن يخدمني ابني . و (٢) ان اخدم السلطان كما اود ان يخدمني لو كنت انا السلطان و (٣) ان اخدم اخي الأكبر كما أود ان يخدمني لو كان هو اخي الاصغر و (٤) ان اعمل لصديقي ما اود ان يعمله لي لو تبدل مركز كل منا

الكتاب الرابع : كتاب منسيوس

عاش منسيوس بعد كونفوشيوس بـ ١٠٦ سنوات لانه ولد سنة ٣٨٢ قبل الميلاد فكان بذلك معاصراً لافلاطون وارسطوطاليس وابيقور وهو لم يكن دونهم في قوة التفكير ونزاهته . والصينيون يحترمون كتابه ولا يؤثرون عليه أحداً سوى معلمه . وقد تعين في منصب الوزارة عند بعض الامراء ولكنه آثر الرحلة والفلسفة . وهاك شيئاً من كتابه :

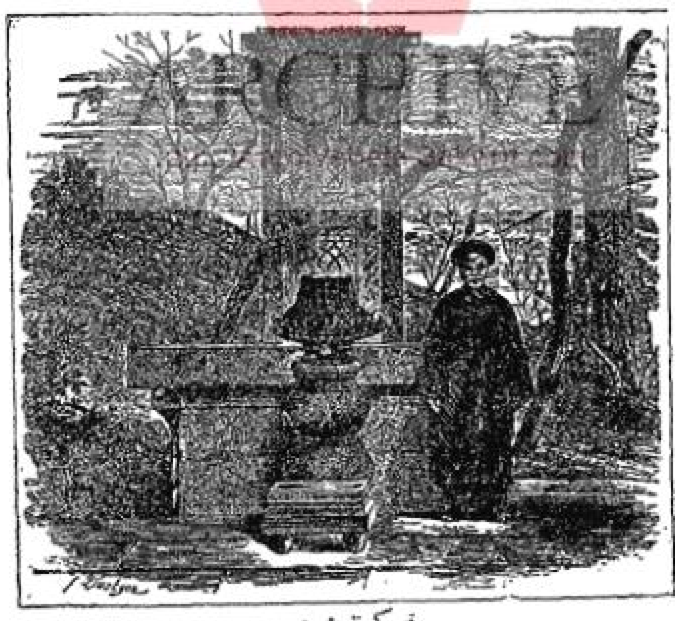
زار منسيوس أحد الملوك فسأله هذا نصيحة تربح بها امته . فاجابه الحكيم : لم تسأل عن

الربح ؟ فاني انما انصح بالاستقامة والنية الحسنة · واذا كان الملك يبحث عن الربح الذي يعود على بلاده فان امراءه يبحثون أيضاً عن الربح الذي يعود على عائلاتهم و يفعل هذا الفعل سائر الناس كلا · انما غاية الملك والشعب يجب أن تكون الفضيلة والبر

وسأله الملك : هل حقيقي ان « وو » قتل الامبراطور الظالم « كاوهسين » وذبحه ؟ فاجاب : اجل انه صحيح لأن السلطان اذا سلك مسلك « كاوهسين » صار عدو بلاده ولم يعد سلطاناً وهل يمكن التخلص عندئذ منه باحسن من قتله ؟

وقال أحدهم لمنسيوس : تشبه الطبيعة البشرية الماء السائل يسير يميناً أو يساراً كما وجد منفذاً . وكذلك الطبيعة البشرية تستوي في الميل الى الحسن والسيء · فقال منسيوس : صحيح ان الماء يسيل في أية جهة يميناً أو يساراً · ولكنه لا يمكنه الصعود وانما هو ينحدر على الدوام · وطبيعة البشر تنحو نحو الخير كما أن طبيعة الماء تنحو نحو الانحدار · و يمكن أن ندفع الماء الى فوق ولكننا نكلفه عندئذ غير طبعه · وكذلك عندما يميل الانسان الى الشر انما يفعل ذلك لانحراف طبيعته عن ميلها الاصلي

وقال منسيوس أيضاً : الناس في المقام الاول من الاهمية يليهم الآلهة ثم اقلهم وآخرهم أهمية هم الملوك



قبر كونفوشيوس

الايام — ٨

بقلم الدكتور طه حسين

أستاذ الادب بالجامعة المصرية

... منذ ذلك اليوم اتصلت الاواصر بين الحزن وبين هذه الاسرة . فما هي الا اشهر حتى فقد الشيخ اباه الهرم . وما هي الا اشهر أخرى حتى فقدت أم الصبي أمها الفانية . وانما هو حداد متصل وألم يقفو بعضه بعضاً ، منه اللاذع ومنه الهادىء . حتى كان هذا اليوم المنكر الذي لم تعرف الاسرة يوماً مثله ، والذي طبع حياتها بطابع من الحزن لم يفارقها ، والذي ابيض له شعر الابوين جميعاً ، والذي قضى على هذه الام ان تلبس السواد الى آخر ايامها ، والا تذوق للفرح طعماً ، ولا تضحك الا بكت اثر ضحكها ، ولا تنام حتى تريق بعض الدموع ، ولا تفيق من نومها حتى تريق دموعاً أخرى ، ولا تطعم فاكهة حتى تطعم منها الفقراء والصبيان ، ولا تبتسم لعيد ، ولا تستقبل يوم سرور الا وهي كارهة راغمة

كان هذا اليوم يوم ٢١ اغسطس من سنة ١٩٠٢ . وكان الصيف منكراً في هذه السنة . وكان وباء الكوليرا قد هبط الى مصر ففتك بأهلها فتكاً ذريعاً : دمر مدناً وقرى ومحا أسراً كاملة . وكان سيدنا قد اكثر من الحجب وكتابة الخلفات وكانت المدارس والكتاتيب قد أقفلت وكان الاطباء ورسل مصلحة الصحة قد انبثوا في الارض ومعهم ادواتهم وخيامهم يحجزون فيها المرضى ، وكان الهلع قد ملأ النفوس واستأثر بالقلوب وكانت الحياة قد هانت على الناس . وكانت كل اسرة تتحدث بما اصاب الاسر الاخرى وتنتظر حظها من المصيبة . وكانت ام الصبي في هلع مستمر . وكانت تسأل نفسها الف مرة في كل يوم بمن تنزل النازلة من ابنائها وبناتها . وكان لها ابن في الثامنة عشرة جميل المنظر رائع الطلعة نجيب ذكي القلب . كان انجب الاسرة واذكاها ، وارقها قلباً ، واصفاها طبعاً ، وابرّها بأمه ، وأرأفها بابيه ، وارفقها بصغار اخوته واخواته. كان مبتهجاً ابداً . وكان قد ظفر بشهادة البكالوريا وانتسب الى مدرسة الطب واخذ ينتظر آخر الصيف ليذهب الى القاهرة . فلما كان هذا الوباء اتصل بطبيب المدينة واخذ يرافقه و يقول انه يتمرن على صناعته حتى كان يوم ٢٠ اغسطس

اقبل الشاب آخر هذا اليوم كعادته باسماً فلاطف أمه وداعبها وهدأ من روعها وقال : لم تصب المدينة اليوم باكثر من عشرين اصابة وقد اخذت وطأة الوباء تخف ، ولكنه مع ذلك شكا من بعض الغثيان وخرج الى ابيه فجلس اليه وحدثه كعادته ، ثم ذهب الى اصحابه فرافقهم الى حيث كان يذهب معهم في كل يوم عند شاطىء الابراهيمية . فلما كان اول الليل عاد وقضى ساعة في

ضحك وعبث مع اخوته . وفي هذه الليلة زعم لاهل البيت جميعاً ان في اكل الثوم وقاية من الكوليرا ، واكل الثوم . واخذ كبار اخوته وصغارهم بالاكل منه . وحاول ان يقنع ابويه بذلك فلم يوفق

وكانت الدار هادئة مغرقة في النوم كبارها وصغارها وحيوانها عندما انتصف الليل ولكن صيحة غريبة ملأت هذا الجو الهادئ . فهب لها القوم جميعاً . فاما الشيخ وزوجه فكانا في هذا الدهليز المنبسط الذي تظله السماء يدعوان ابنهما باسمه ، واما الشبان من اهل الدار فكانوا يثبون من فراشهم مسرعين الى حيث الصوت ، واما الصبيان فكانوا يجلسون يحكون اعينهم بأيديهم يحاولون ان يتبينوا في شيء من الهلع من أين يأتي الصوت وماذا كانت هذه الحركة الغريبة

وكان مصدر هذا كله صوت هذا الفتى وهو يعالج القيء . وكان الفتى قد قضى ساعة او ساعتين يخرج من الحجرة على اطراف قدميه ويمضي الى الخلاء ليقيء مجتهداً ألا يوقظ احداً . حتى اذا بلغت العلة منه اقصاها لم يملك نفسه ولم يستطع ان يقيء في لطف فسمع ابواه هذه الحشرجة ففزعا لها وفزع معهما اهل الدار جميعاً

اذاً فقد اصيب الشاب ووجد الوباء طريقه الى الدار وعرفت ام الفتى بأي ابنائها نزلت النازلة . لقد كان الشيخ في تلك الليلة خليقاً بالاعجاب حقاً . كان هادئاً رزيناً مروعاً مع ذلك ، ولكنه يملك نفسه . وكان في صوته شيء يدل على ان قلبه مفطور وعلى انه مع ذلك جلد مستعد لاحتمال النازلة . آوى ابنه الى حجرته وامر بالفصل بينه وبين بقية اخوته وخرج مسرعاً فدعا جارين من جيرانه . وما هي الا ساعة حتى عاد ومعه الطبيب

وفي اثناء ذلك كانت ام الفتى مروعة جلدة مؤمنة تعنى بابنها حتى اذا امهله القيء خرجت الى هذا الدهليز فرفعت يدها ووجهها الى السماء وفنيت في الدعاء والصلاة حتى تسمع حشرجة القيء فتسرع الى ابنها تسنده الى صدرها وتأخذ رأسه بين يديها . ولسانها مع ذلك لا يكف عن الدعاء والابتهال

ولم تستطع أن تحول بين الصبيان والشبان وبين المريض ، فملأوا عليه الحجرة وأحاطوا به واجمين ، وهو يداعب امه كلما أمهله القيء ويعبث مع صغار اخوته حتى اذا جاء الطبيب فوصف ما وصف وأمر بما أمر وانصرف على أن يعود مع الصبح . لزمت ام الفتى حجرة ابنها وجلس الشيخ قريباً من هذه الحجرة واجماً لا يدعو ولا يصلي ولا يجيب أحداً من الذين كانوا يتحدثون اليه

وأقبل الصبح بعد لأي وأخذ الفتى يشكو ألماً في ساقيه . وأقبلت اليه اخواته يدلكن له ساقيه وهو يشكو صائحاً مرة كاتماً ألمه مرة اخرى والقيء يجهده ويخلع في الوقت نفسه قلب أبويه وقضت الاسرة كلها صباحاً لم تقض مثله قط . صباحاً واجماً مظلماً فيه شيء مفزع مروع . فاما خارج الدار فكان يزدحم بالناس ، أقبلوا الى الشيخ يواسونه . وأما داخل الدار فكان يزدحم

بالنساء أقبلن يواسين ام الفتى ٠ وكان الشيخ وزوجه عن اولئك وهؤلاء في شغل . وكان الطبيب يتردد بين ساعة وساعة ٠ وكان الفتى قد طلب أن يبرق الى أخيه الازهري في القاهرة والى عمه في أعلى الاقليم ٠ وكان يطلب الساعة من حين الى حين ينظر فيها كأنه يتعجل الوقت وكأنه يشفق أن يموت دون ان يرى أخاه الشاب وعمه الشيخ ٠ يا لها من ساعة منكرة ، هذه الساعة الثالثة من يوم الخميس ٢١ أغسطس سنة ١٩٠٢

انصرف الطبيب من الحجرة يائساً وكأنه قد اسرَّ الى رجلين من أقرب أصحاب الشيخ اليه بان الفتى يحتضر ٠ فاقبل الرجلان حتى دخلا الحجرة على الفتى ومعه امه ٠ ظهرت في هذا اليوم لاول مرة في حياتها أمام الرجال

والفتى في سرير يتضور : يقف ثم يلقي بنفسه ثم يجلس ثم يطلب الساعة ثم يعالج القيء ، وامه واجمة والرجلان يواسيانه وهو يجيبهما : لست خيراً من النبي ٠ أليس النبي قد مات ! ويدعو أباه يريد أن يواسيه فلا يجيبه الشيخ ٠ وهو يقوم ويقعد ويلقي نفسه في السرير مرة ومن دون السرير مرة اخرى ٠ وصبينا منزوٍ في ناحية من هذه الحجرة واجم كئيب دهش يمزق الحزن قلبه تمزيقاً

ثم ألقى الفتى نفسه على السرير وعجز عن الحركة وأخذ يئن أنيناً يخفت من حين الى حين وكان صوت هذا الانين يبعد شيئاً فشيئاً ٠ وان الصبي لينسى كل شيء قبل أن ينسى هذه الانّة الاخيرة التي أرسلها الفتى نحيلة ضئيلة طويلة ، ثم سكت ٠ في هذه اللحظة نهضت ام الفتى وقد انتهى صبرها ووهى جلدها فلم تكد تقف حتى هوت أو كادت ، وأسندها الرجلان فتمالكت نفسها وخرجت من الحجرة مطرقة ساعية في هدوء حتى اذا جاوزتها انبعثت من صدرها شكاة لا يذكرها الصبي الا انخلع لها قلبه انخلاعاً ٠ واضطرب الفتى قليلاً ومرت في جسمه رعدة تبعها سكون الموت ٠ وأقبل الرجلان اليه فهيآه وعصباه والقيا على وجهه لثاماً وخرجا الى الشيخ ٠ ثم ذكرا أن الصبي منزوٍ في ناحية من نواح الحجرة فعاد أحدهما اليه فجذبه جذباً وهو ذاهل حتى انتهى به الى مكان بين الناس فوضعه فيه كما يوضع الشيء

وما هي الا ساعة أو بعض ساعة حتى هيىء الفتى للدفن وخرج به الرجال على أعناقهم

فيا للقضاء ! ما كادوا يبلغون به باب الدار حتى كان أول من لقي النعش هذا العم الشيخ الذي كان الفتى يتمهل الموت دقائق ليراه

من ذلك اليوم استقر الحزن العميق في هذه الدار وأصبح اظهار الابتهاج أو السرور بأي حادث من الحوادث شيئاً ينبغي أن يتجنبه الشبان والاطفال جميعاً

من ذلك اليوم تعود الشيخ ألا يجلس الى غدائه ولا الى عشائه حتى يذكر ابنه ويبكيه ساعة أو بعض ساعة وأمامه امرأته تعينه على البكاء ومن حوله أبناؤه وبناته يحاولون تعزية هذين الابوين فلا يبلغون منهما شيئاً فيجهشون جميعاً بالبكاء

من ذلك اليوم تعودت هذه الاسرة أن تعبر النيل الى مقر الموتى من حين الى حين ، وكانت من قبل ذلك تعيب الذين يزورون الموتى

ومن ذلك اليوم تغيرت نفسية صبينا تغيراً تاماً . عرف الله حقاً وحرص على أن يتقرب اليه بكل ألوان التقرب بالصدقة حيناً وبالصلاة حيناً آخر وبتلاوة القرآن مرة ثالثة . ولقد شهد الله ما كان يدفعه الى ذلك خوف ولا اشفاق ولا ايثار للحياة ولكنه كان يعلم أن أخاه الشاب كان من أبناء المدارس وكان يقصر في أداء واجباته الدينية . فكان الصبي يأتي ما يأتي من ضروب العبادة يريد أن يحط عن أخيه بعض السيئات . كان أخوه في الثامنة عشرة من عمره وكان الصبي قد سمع من الشيوخ أن الصلاة والصوم فرض على الانسان متى بلغ الخامسة عشرة . فقدّر الصبي في نفسه أن أخاه مدين لله بالصوم والصلاة ثلاثة أعوام كاملة وفرض الصبي على نفسه ليصلين الخمس في كل يوم مرتين مرة لنفسه ومرة لاخيه ، وليصومن من السنة شهرين شهراً لنفسه وشهراً لاخيه وليكتمن ذلك عن أهله جميعاً وليجعلن ذلك عهداً بينه وبين الله خاصة وليطعمن فقيراً أو يتيماً مما تصل اليه يده من طعام أو فاكهة قبل أن يأخذ بحظه منه . وشهد الله لقد وفى الصبي بهذا العهد أشهراً وما غير سيرته هذه الا حين ذهب الى الازهر

من ذلك اليوم عرف الصبي أرق الليل فكم انفق سواد الليل كاملاً يفكر في أخيه أو يقرأ سورة الاخلاص آلاف المرات ثم يهب ذلك كله لاخيه ، أو ينظم شعراً على نحو هذا الشعر الذي كان يقرأه في كتب القصص يذكر فيه حزنه وألمه لفقد أخيه معنياً بالا يفرغ من قصيدة حتى يصلي في آخرها على النبي واهباً ثواب هذه الصلاة لأخيه

نعم . ومن ذلك اليوم عرف الصبي الاحلام المروّعة . فقد كانت علة أخيه تتمثل له في كل ليلة . واستمرت الحال كذلك أعواماً . ثم تقدمت به السن وعمل فيه الازهر عمله فاخذت علة أخيه تتمثل له من حين الى حين وأصبح فتى ورجلاً . وتقلبت به أطوار الحياة وانه لعلى ما هو عليه من وفاء لهذا الاخ يذكره ويراه فيما يرى النائم مرة في الاسبوع على أقل تقدير

ولقد تعزى عن هذا الفتى اخوته واخواته ونسيه من نسيه من اصحابه واترابه . واخذت ذكراه لا تزور أباه الشيخ الا لماماً . ولكن اثنين يذكرانه ابداً وسيذكرانه أبداً أول الليل من كل يوم هما : امه وهذا الصبي

(لها بقية) طه حسين

برجسون واستنقاصه للذهن البشري

بقلم الاستاذ سلامه موسى

ان اسم « برجسون » هو أرفع الاسماء في عالم الفلسفة الحديثة . وقد كان له تأثير عظيم في توجيه مجرى الفكر في العصور المتأخرة بفضل مؤلفاته ومحاضراته ولا سيما كتاب « التطور الخالق » . وقد أراد الاستاذ سلامه موسى أن يشرح للقارىء خلاصة آرائه في هذا المقال الموجز الممتع [المحرر]

ان الذهن البشري لا يمكنه وحده أن يدرك الحياة

هـذا بأوجز عبارة ما يقوله برجسون ويدافع عنه ويحـاول أن يثبته في كتابه العظيم « التطور الخالق »

فهو يقول ان الحياة كما نستقريها الآن ثلاثة فروع كبرى وهي :

١ً ـ فرع النبات وطبيعته السبات وهو خلو من الوعي أي الدراية لانه لا يتحرك . وما دام لا يتحرك فهو لا يتردد . والتردد أصل الوعي

٢ً ـ فرع الحيوانات الدنيا التي تنتهي بالحشرات وطبيعتها الغريزة وبها وعي ضعيف لانها تتردد أحياناً في حركاتها وهذا التردد يجعلها تعي أي تدري بما تفعل

٣ً ـ فرع الحيوانات العليا التي تنتهي بالانسان وطبيعتها العقل الذي يتردد ويعي

والحياة تشتمل على هذه الفروع الثلاثة . فاذا أردنا أن نفهم الحياة على الوجه الكامل وجب أن يكون فينا عقل الانسان وغريزة الحشرة وسبات الشجرة . لاننا نحن فرع من الحيـاة ولذلك فاننا اذا حاولنا أن نفهم الحياة بأذهاننا وحدها كان موقفنا بمثابة الجزء يحاول أن يفهم الكل

ولكننا نحن والحشرات والنبات من أصل واحد . وهذا الاصل هو الحياة الشاملة لنا جميعاً . ولذلك ففي الحشرات جرثومة العقل وفي الانسان جرثومة الغريزة . وفينا نحن والحشرات طبيعة النبات أي هذا السبات الذي يشملنا أحياناً فلا نحب أن نتحرك أو نعي أو نجهد أي جهد

ويمكننا أن نستغني عن النبات من حيث ادراك طبيعته لانهُ لما كان لا يعي ، أي لا يدري فان أهميته بالنسبة لنا في صدد موضوعنا هذا تسقط . لان الفهم وعي وما دام النبات لا يعي فهو لا يساعدنا في فهم الحياة

يبقى بعد ذلك حيوان الغريزة وارقاه النمل أو النحل وحيوان العقل وارقاه الانسان والعقل والغريزة كلاهما نشأ لقضاء حاجات الحيوان من تحصيل الطعام والتناسل ونحوهمـا .

ولكن ثم بينهما فرقاً . فالغريزة لا تحتاج الى تعليم أو تجربة . فان الحشرة تقف من سائر الاشياء والحيوان موقف البصيرة الكاشفة التي تتجلى لها الحقيقة فيما يخص طعامها أو أولادها دون أدنى اختبار سابق أو معرفة مكتسبة . ولكن العقل يختبر ويتعلم ويجرب وهو يجهل ما لم يكتسب معرفته بهذه الطرق

فكأن للحياة أداتين للمعرفة : أداة الغريزة وهي تعرف كنه الاشياء ببصيرة ثاقبة لا تحتاج الى تعليم أو اختبار . واداة العقل وهي تعرف بالتجربة والاختبار . ولكن معرفة الغريزة محدودة لانهـا مقصورة على ما ينفع الحشرة من طعـام وشراب وسائر ما تسلكه لمصلحتها المعيشية وتجهل ما سوى ذلك . ولكن الحيوان العالي الذي يعتمد على العقل يتوسع في تحصيل معاشه ويكتسب المعارف . فمداه في المعرفة أوسع من مدى الغريزة

ولكن للغريزة ميزة على العقل وهي انها ألصق بالحياة منهُ . فالنملة التي تحلب المنة بدون أن تتعلم ذلك تقف من المنـة موقف الكشف تعرف طبيعتها وبين الاثنين على انفصالها علاقة تشبه ما بين رأس الانسان ويده من العلاقة

ولكن الغريزة كما قلنا ضيقة المدى محصورة المعرفة لانها مقصورة على مصالح الحشرة . ونحن لا نزال في نفوسنا جراثيم هذه الغريزة لاننا نحن والحشرات قد استقينا من معين واحد هو الحياة

وقد استنبطنا من العقل الذي لم ينشأ في الاصل الا لتحصيل الطعام ذهناً يفلسف ويدرس النجوم والكواكب . فاذا أردنا ان ندرك كنه الحياة وجب أن نستنبط من نفوسنا تلك الغريزة ونستخلص منها بصيرة تستكنهُ الحياة

فالعقل اذا نزه عن غرض العيش استحال ذهناً

والغريزة اذا نزهت عن غرض العيش استحالت بصيرة

والبصيرة ألصق بالحيـاة واكثر ادراكاً لها من الذهن . لان الذهن يتعلم ويختـبر ويزيد معارفه . ولكن البصيرة تكشف لنا وتقفنا من سر الحياة والجماد موقف التجلي والمعرفة اللدنية .

فكما ان عند النملة معرفة لدنية بفائدة المنة حتى انها لتربيها وتحابيها وتعنى بصغارها بلا سابق تعلم كأنهـا هي والمنة جسم واحد منفصل المادة متصل الروح كذلك نتصل نحن ببصائرنا بالاحيـاء والاشياء بسبيل المعرفة اللدنية التي هي من جنس معرفة النملة بالمنة وان كان مداها أوسع كما ان مدى الذهن أوسع من مدى العقل

والخلاصة ان برجسون يقول ان الاحيـاء التي على الارض من حيث علاقتها بالمعين الاصلي

للحياة أي بطبيعة الحياة وكنهها وقصدها ثلاثة أصناف . يمثلها النبات والحشرة والانسان . والوعي أي الدراية مقصورة على الحشرة والانسان ولكن سبيل الاولى الغريزة وسبيل الثاني العقل . فالانسان جزء غير متجانس مع هذه الاجزاء الثلاثة فلا يمكنهُ أن يدرك كنه الحياة بعقلهِ وحده . ولكن به مع ذلك جرثومة الغريزة التي هي ألصق بالحياة من العقل فسبيل الانسان لكي يفهم الحياة انما يكون بالبصيرة التي هي من الغريزة بمقام الذهن من العقل . لان علم البصيرة لدني أما علم الذهن فمكتسب

* * *

ولكننا لم نقل بعد كل ما يقوله برجسون بل ولا عشر ما يقوله . فان كتابهُ يفيض بالنظريات التي ان لم تقنعك فهي تلقيك في حيرة تحثك على التفكير ومراجعة نفسك وآرائك

فهو يقول ان الحياة في كفاح مستمر مع المادة . تريد الحياة ان ترقى وتحقق أغراضها فتنحط بها المادة لجمودها . ولكن الفوز محقق في النهاية للحياة بدليل التطور الماضي الذي أوصلنا الى حالنا الحاضرة

ولكن هل للحياة أغراض تسير نحوها وتحاول أن تصوغ المادة في القوالب التي تبلغها هذه الاغراض أم هل هي تيار آلي أي كالآلة ليس لها غرض تسير في العالم كما يسير الماء على الارض فهذا حجر يعوقه وهذا عائق يحرّفهُ عن استقامته وهذه وهدة ينحط اليها وهلم جرا ؟

كلا . فان الحياة في رأي برجسون ترمي الى غرض وتتجه نحو قصد وهي لا تكف عن الاختراع لكي تبلغ هذا القصد

ولنضرب لذلك أمثالاً :

١ – فهذا العقل الانساني نعرف كلنا انه يتحيز في الجهاز العصبي الذي يحتوي على الدماغ . وهذه الاعصاب تسيطر على أجسامنا وهي وسيلة التفكير . فالجهاز العصبي من حيث التطور ومن حيث محاولة الحياة التسلط على المادة ومن حيث انه أصل الذهن غرض من أغراض الحياة . ولذلك فان الحياة تحافظ على هذا الجهاز ابلغ محافظة وتحوطه بأكبر ضرب من العناية . فان الحيوان اذا قطع عنه الطعام فانه يأكل نفسه فتضمر جميع أعضائه ويهزل . فالكبد ينزل الى نصف أو ثلث وزنه والعضلات تنزل الى ربع أو خمس ما كانت الا الاعصاب فانها تبقى كاملة لا تمس حتى الموت فكأن مادة الجسم كلها تخدم الجهاز العصبي وكأنه لا معنى لوجودها الا لهذه الخدمة وكأنها تضحي بنفسها لاجل الاعصاب

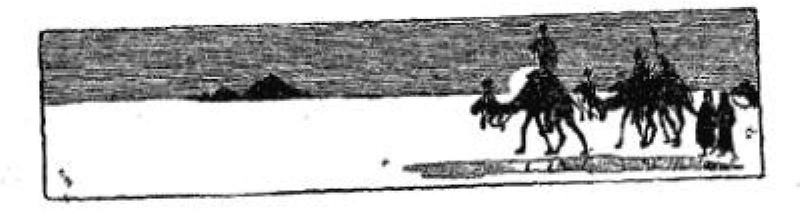
٢ ـ ان الحياة تقصد الى غاية جمالية قد تكون نافعة للحيوان ولكن ليس بها أدنى منفعة للنبات نعني بها اتساق الجسم وتوازنه بحيث يمينه يقابل يساره · وقد سارت بنحو هـذه الغاية في النخل فنظرت فيه الى الاتساق والتوازن مع اننا لا نرى الفائدة للنخل من ذلك · ولكننا يمكننا أن ندرك بالنخل أن فكرة الاتساق والتوازن موجودة قديمة في معين الحياة الاصلي وانها تسير نحوه في النبات كما سارت في الحيوان مهما اختلفت البيئة التي ينشأ فيها النبات أو الحيوان · ومعنى ذلك أن الحياة ليست شيئاً آلياً كالماء يسيل و يستقيم وينحرف طبقاً لظروف المكان · بل هي لها غاية رمت اليها في الحيوان والنبات وحققتها

٣ ـ نعرف ان الحياة قسمت أجسام الحيوان الى جسمين هما الذكر والانثى · وهذا بالطبع اختراع مفيد للحيوانات ولكنها سارت هذه السيرة نفسها في النبات مع عدم فائدة ذلك النبات ونحن انفسنا نثبت عدم الفائدة باننا لا نزرع بزر العنب أو بزر الموز وانما نعمد الى الغصون أو الفسائل فنزرعها · ومعنى هذا ان الحياة رمت الى غرض وهو تقسيم الحي الى ذكر وانثى وابتدأت بذلك في الحيوان ثم عادت تحققه في النبات مع عدم فائدته له

فهذه أمثلة ثلاثة تثبت ان الحياة ترمي الى غرض وتسير نحو غاية · فهي تعنى اكبر العناية بالذهن الانساني لانه وسيلة تحريرها من المادة ولعله يوماً ما يستطيع أن يتسلط على المادة تماماً حتى يصوغها كما يشاء ويخلق منها ما يشاء · ثم هي ترمي الى هيئة الاتساق والتوازن وقد حققت هذه الهيئة في الحيوان منذ زمن بعيد جداً · وعادت تحققه في أحدث النباتات وهو النخل · ثم ازدواج الجنسين غاية أخرى حققتها الحياة في الحيوان ثم عادت تحققتها في النبات بلا أدنى فائدة للنبات من ذلك

فالحياة اذن ليست آلية يتسلط عليها الوسط كما يتسلط سطح اليابسة على الماء الذي يسيل عليه · بل هي عنصر مدرك يرمي الى غرض و يسير نحوه · والمادة تعوقه في سيره ولكنه يتخطى العوائق أو يروغ منها حتى يبلغ غايته

سلامه موسى



هوى العقيق

بقلم الاستاذ عبد الفتاح عباده

※ المقدمة ※ جرت حوادث هذه الرواية في المدينة و بغداد أيام ان كانت الحضارة العربية فيهما بالغة مداها على عهد العباسيين الاول ، أعني في القرن الثاني للهجرة في عصر الرشيد ، زينة هذه الدولة ، وهو أزهر عصورها وأزهاها . فهي تصف لنا الحياة الاجتماعية عندهم وترفهم في العيش لتكاثر الاموال في ايديهم ، وافتتان اهل بغداد والعواصم في مرافق الحياة ، فتصور لنا ميولهم ورغبتهم في الغناء و كيف كان هواهم (رجالاً ونساء) ، والتفاهم بين الرجال والنساء بالشعر ، وكثيراً ما رأينا هذا في الادب العربي في الشعر والموسيقى وغيرهما من الفنون الجميلة والآداب الرفيعة (على حد تعبيرهم) ، ثم منزلة المغنين و كيف كانوا هم اهل الحظوة عند الخلفاء والمقربين من الوزراء ورجال الدولة

ثم تبين لنا انه مع اخذ الناس بأسباب الحضارة كان القوم في المدينة وغيرها لا يزالون يحافظون على تقاليدهم المجيدة الموروثة ولا سيما ما كان خاصاً منها بالعرض وناموس الشرف : فآداب فتيان العرب وفتياتهم في مجالسهم ومتنزهاتهم كانت بالغة حد الكمال تسودها العفة لانها غالبة على طباعهم ، ومن يقرأ وصف « العقيق » هنا ويتخيل « الجزيرة » وغيرها من متنزهاتنا يرى الفرق بين اخلاقهم التي كانت سر تقدمهم واخلاقنا التي هي سر تأخرنا . وقد كانت المرأة العربية في ذلك العصر والذي تقدمه (قبل ابتداء الحجر عليها) تجالس الرجال وتخاطبهم وتذاكرهم والعرب لا يرون ذلك منكراً ولا تخامرهم ريبة الا اذا زادت العلائق عن الحد المألوف في عرفهم فلاكتها الالسنة وتحدث بها الناس فيمتنع اذ ذاك اهل الفتاة عن تزويجها بمن شاع في الناس قولهم عنه وذلك لفرط غيرتهم على الاعراض ولانهم لا يريدون ان يحققوا بالزواج كلام الناس واشاعاتهم : وهنا كانت تحصل المأساة تلو المأساة ، فكم من غصن ذوى من الظمأ فرقته حرارة الشباب وحده ، وكم من شهيد ذهب صريع حبه ، ولم يرحموا شبابه محافظة على هذه العادة العربية التي كم هبطت بغادة حسناء الى القبر ، والتي لم يعرف ان المحبين من العرب قد تخلصوا من قيودها المميتة الا في احوال نادرة تداخل فيها الخلفاء واصحاب السلطان والنفوذ او الجاه رحمة بأهل الحب الشريف ، كما حصل في هذه الرواية . فهي من هذا القبيل طرفة في وصف محافظة العرب على هذه العادة التي طالما فتكت بشبابهم وهم فيها راغبون لانهم قساة في الغيرة على الاعراض

و بالاجمال هي صورة صادقة لاخلاق الامة العربية في ذلك العصر تمثل الحب الشريف ، والنخوة والكرم . ففيها العفة والميول الشريفة ، وفيها المروءة والعواطف الرقيقة . وكما هي حكاية حب ووفاء فهي من اولها الى آخرها حكاية صوت من الغناء ، عني بها اعلام المحققين ومؤلفو أمهات كتب الادب العربي واوثق مصادره كالاغاني ونهاية الارب وغيرهما . أما راويها فهو معبد اليقطيني وكان من مهرة المغنين في عصر الرشيد وقد خدمه ولم يخدم غيره من الخلفاء ، وكان اكثر انقطاعه الى البرامكة . قال :

الطارق

كنت منقطعاً الى البرامكة ألازمهم وأسكن في جوارهم ، وكانت لي دار لطيفة تشرف على جناتهم وقصورهم الشامخة ، فبينا أنا ذات يوم في منزلي في منظرة مشرفة على الطريق وقد جاءتني احدى جواري بصبوحي من اللبن ، اذ رأيت آت يقصد داري واذا بابي يدق ، فخرج غلامي ثم رجع الي فقال لي : على الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك،فأذنت له . فدخل شاب ما رأيت أحسن وجهاً منه ولا أنظف ثوباً ولا أجمل زياً منه من رجل دنف عليه آثار السقم ظاهرة . فحياني وقال لي : اني أحاول لقاءك منذ مدة ولا أجد الى ذلك سبيلاً ، وان لي حاجة ، فقلت : وماهي؟

اللحن الموسيقي

فصعّد بصره في وصوّبه وهو يتردد ثم أخرج من خريطة معه ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي فقال : أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنيني به ، فقلت : هاتهما ، فأنشدني :

والله يا طرفي الجاني على بدني لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
أو لأ بوحن حتى يحجبوا سكني فلا أراه وقد أدرجت في كفني

فقلت له : ذلك لك ، ولكن أخلو لنفسي قليلاً حتى أصنع لك اللحن . فسر وشكرني على اجابة طلبة

تأثير الغناء . الطروب !

فأخذت الشعر وصنعت فيه لحناً ثم جئته فغنيته اياه ، وما كدت أفرغ من الغناء حتى سقط مغشياً عليه وظننته قد مات ، فوجمت لذلك واكتأبت ، وقلت : أين كنت وهذه الفجيعة! وعملت على أن تثوب اليه نفسه فلما أفاق ، قال : أعد ، فديتك ! قلت : أما هذا فلا ، أما كفاني ما شاهدته من الفزع والهول في صعقتك ! ناشدتك الله يا أخي في نفسك فانني أخشى أن تموت . فقال : هيهات ! أنا أشقى من ذلك ! وما زال يخضع لي ويتضرع حتى رحمته وأعدت له الغناء ، فأغمي عليه وصعق صعقة أشد من الاولى ظننت ان نفسه قد فاضت معها هذه المرة ، فاسترجعت وداخلني أمر عظيم لما عراه وارتاع خدمي ، فنضحت على وجهه الماء ، فبعد لأي ما ثابت اليه نفسه ، فلما أفاق رددت عليه الدنانير فوضعتها بين يديه ، وقلت : الله الله في دمي ! يا هذا ،

خذ دنانيرك وانصرف عني قد قضيت حاجتك وبلغت وطراً مما أردته ، ولست أحب ان اشرك في دمك . فقال : يا سيدي لا حاجة لي في الدنانير ، وهذه مثلها ، ثم أخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي ، وقال : أعد الصوت عليّ مرة اخرى وحل لك دمي !

الشروط

تعجبت لامره وشرحت نفسي في الدنانير ، فقلت : لا والله ولا بعشرة أضعافها الا على ثلاث شرائط : فقال : وما هي ؟ قلت : اولاهن ان تقيم عندي بقية يومك وتتحرم بطعامي . والثانية أن تشرب أقداحاً من النبيذ تشد قلبك وتطيبه وتسكن ما بك حتى لا تصعق ، والثالثة أن تحدثني بخبرك وقصتك فاني عجبت لحالك . ففكر هنيهة ثم قال : افعل ما تريد . فأخذت الدنانير ودعوت بطعام فأصاب منه اصابة معذّر ، ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحاً وغنيته بشعر غيره في معناه وهو يشرب ويبكي ، ثم قال : الشرط أعزك الله ! فغنيته صوته فجعل يبكي احرّ بكاء وينشج اشد نشيج وينتحب ، فلما رأيت ما به قد خف عما كان يلحقه ورأيت النبيذ قد شد قلبه ، طابت نفسي وكررت عليه صوته مراراً ، ثم قلت له : هلا حدثتني حديثك وسر امرك فقد تاقت نفسي الى سماعه

السر . في العقيق (متنزه المدينة)

قال : نعم . انا شاب من اهل المدينة خرجت يوماً من ايام الربيع في فتية من اخواني واقراني للنزهة ، وقد اتفقنا على ان نركب جميعاً احسن ما نقدر عليه من الدواب وان نلبس احسن ما يكون من الثياب فنسير حتى نأتي العقيق ، وهو متنزه أهل المدينة في ايام الربيع والمطر[1] فلما أتيناه وقد سال وقفنا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مد الفرات[2] وجعلنا نتصفح ونرى بعض ما نشتهي والمكان مملوء بالناس من رجال واشراف وموالي ووصائف ونساء بارزات وحرم الوجوه ومعهن الجواري والغلمان ، وبينا نحن نمتع أبصارنا اذ بصرت بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له ، فجلسن حجرة منا ، و بصرت منهن بفتاة كأنها قضيب قد طله الندى ، تنظر بعينين ما ارتد طرفها الا بنفس من يلاحظهما ، فاطلنا وأطلن حتى تفرق الناس ، وانصرفن وانصرفنا وقد ابقت بقلبي جرحاً بطيئاً اندماله ، فعدت الى منزلي وأنا وقيذ ، وخرجت من الغد الى العقيق فلم أر لها ولا لصواحباتها أثراً ، ثم جعلت اتتبعها في طرق المدينة وأسواقها ، والعقيق واطرافه ، وكأن الارض اضمرتها فلم احس لها بعين ولا أثر ، وسقمت حتى أيس مني أهلي ، ومضى علي ما يقرب من السنة وانا على هذه الحالة

(١) و (٢) الاغاني ص ١٤٣ ج ١ و ١٧٢ ج ٢ كان العقيق متنزه الطبقة الراقية من العرب بالمدينة في أجل فصول السنة عندهم وأحبها لديهم وهي أيام الربيع والمطر ، فكان مجتمع الشعراء والمغنين وأهل الظرف والرقة ، وملتقى أهل السر والهوى وكانت به قصور أغنياء الاشراف وأبناء كبار الصحابة والتابعين يقضون فيها فصل الربيع فاذا جاء الصيف انتقلوا الى الطائف ، مصيف العرب

الحيلة

ودخلت عليّ يوماً ظئري (١) وقد هالها ما صرت اليه من النحول والسقم ، فخلت بي واستعلمتني حالي ، فترددت في اخبارها حقيقة امري خشية ان يفتضح سري بين اهلي وعمومتي وكانوا يودون لي فتاة من اقاربي ونفسي تعافها ، فلما شددت عليّ وضمنت لي الكتمان والسعي فيما احبه اخبرتها بقصتي، فقالت : لا بأس عليك ، هذه ايام الربيع ، وهي سنة خصب وانواء وليس يبعد عنك المطر ، ثم هذا العقيق فتخرج حينئذ واخرج معك فان النسوة سيجئن ، فاذا فمان ورأيتها اتبعها حتى اعرف موضعها ثم اصل بينك و بينها واسعى لك في تزويجها ، فكأن نفسي اطمأنت الى ذلك ووثقت به وسكنت اليه ، فقويت وتراجعت اليّ نفسي ، وجاء مطر يعقب ذلك فأسال وادي العقيق

التفاهم بالشعر

وخرج الناس وخرجت مع اخواني وأنا مشرد العقل حتى قدمنا العقيق ، فجلسنا مجلسنا الاول بعينه ، فما كنا والفتيات الا كفرسي رهان ، فخفق قلبي وأومأت الى ظئري ، ففهمت ما أريد وجلست حجرة منا ومنهن ، واقبلت على اخواني فقلت لقد احسن القائل حيث يقول :

رمتني بسهم أقصدَ القلبَ وانثنت وقد غادرت جرُحاً به ونُدُوبا

فأومأت الى جارية لها وأسرت اليها شيئاً ، فأقبلت هذه على صواحباتها وقالت : احسن والله القائل واحسن من أجابه حيث يقول :

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريبا

فأمسكت عن الجواب خوفاً من ان يظهر مني ما يفضحني وإياها ، وقد عرفت ما ارادت

التعارف

ثم تفرق الناس وانصرفنا ، وتبعتها ظئري حتى عرفت منزلها ولم تزل تتلطف حتى وصلت اليها ، ثم صارت اليّ ومضينا اليها وأنا لا اكاد اصدق . فتلاقينا وتشاكينا وتحادثنا اعف شكوى واكرم حديث وقد زادت محبتها في نفسي لعلمها وفضلها وتزاورنا على حال مخالسة ومراقبة وعلى احسن ما يكون من الطهر وتعاهدنا على الزواج . الا انه لا أدري كيف شاع حديثي وحديثها وظهر ما بيني و بينها . فحجبها اهلها وسدّوا ابوابها وتشدد عليها ابوها فما زلت اجتهد في لقائها فلا أقدر عليه

الخطبة . عادة العرب

ولشدة ما نالني شكوت ذلك الى ابي وسألته خِطبَتها لي ، فسرّ على غير ما كنت اتوهم ، ومضى ووجوه أهلي الى ابيها فخطبوها . فقال : لو كان بدأ بهذا قبل ان يفضحها و يشهرها لاسعفته بما التمس ، ولكنه قد فضحها فلم أكن لأحقق قول الناس بتزويجه اياها ، وأنتم أعلم بما لحقني من

(١) الظئر : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له

الاذى في سمعتي وعرضي · فقالوا : اننا لا نرى في ذلك أذى لعرضك ولا منكراً تنكره على سمعتك ، والفتيات يحادثن الفتيان ولا نرى في ذلك بأساً ولا تخامرنا ريبة في عفة فتاتك وولدنا ، فأنت واهم وكلام الناس كثير ، وترضوه حتى تبينت الرضا في وجهه · فأطرق ثم قال : ان التي تخطبونها قد كنت جعلت لها الشورى في نفسها ، ولكني الآن اكرهها على ما احب بعد ان شهرها وتحدث الناس بأمرها وشاع في ذلك قولهم ، ولو رضيت انا ما قبلت صاحبة هذا الستر ، واشار الى ستر مضروب داخل حرمه فيه زوجته · فدفعت أهلي الى أن يستشفعوا بها و يطلبوا حكمها ورجوت منها الخير ، وكانت ظنّي قد هيأت لي عندها ما يسرني و يسر ابنتها ، فما كاد يتم كلامه حتى خاطبتنا بأشد مما تكلم به زوجها ، واذا هي أصلب منه عوداً وأشد حنقاً · فأبت كما أبى زوجها وانصرفنا وأنا على يأس منها ومن نفسي

اليأس والوداع : متى أنت راجع ؟

وبلغت حالتي اسوءها ، ورغب والدي ان يزوجني حتى أسلوها وانا أكره ذلك اشد الكره فحدثتني نفسي بالهجرة من المدينة لابتعد عن مغاضبة ابي ، ولأبعد عن نفسي التلف عليها ، وألتمس الفرج والسلوان حتى يسكن حديث الناس فأعود اليها ، ولكني اشتقت لرؤيتها وتوديعها فتحايلت فلم افلح ، وساءت صحتها فنقلها اهلها الى اقارب لهم بالبادية يسكنون اطراف المدينة ، فلم ازل اتلطف حتى اوصلت اليها خبر سفري وبقائي على عهدها وشوقي الى رؤيتها ، فروعها هذا الخبر . فلما كانت صبيحة السفر مرت بنا القافلة على اخبية القوم التي تنزل عندهم فرأيتها ... وبكى ثم قال :

تبدت لنا مذعورة من خبائها وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع !
اشارت بأطراف البنان وودعت وأومت بعينيها : متى انت راجع؟

المروءة !

وما كاد الفتى يأتي على هذا الموضع من حديثه حتى احسست ان نفسه قد فاضت ، فقد علا محاسنه الاصفرار وبكى احر بكاء وانشجاء حتى بكيت رحمة له ورثيت لحالة ، ثم لاطفته وسألته ان ينزل بجواري · فقبل وسكن داراً لا ينزلها الا اهل اليسار وصارت بيننا عشرة ومودة حملتني على النظر في مسألته ولم ازل افكر في تفريج كربته حتى خطر لي خاطر فرحت به ، ورجوت له منه الخير

في مجلس الوزير جعفر

ففي اول يوم جلس جعفر بن يحيى للشراب والمنادمة اتيته ، فلما اخذنا في الغناء كان اول صوت غنيته صوتي في شعر الفتى ، فشرب وطرب عليه طرباً شديداً ، وقال ويحك ! ان لهذا الصوت حديثاً فما هو ؟ فسررت لتحقيق فكرتي وحدثته بحديث الفتى فتأثر وامر باحضاره

فأحضر من وقته ، واستعاده الحديث فأعاده ، فرق له جعفر وقال : هي في ذمتي حتى ازوجك اياها ! ! فكاد الفتى لا يصدق كلامه من الفرح ، وطابت نفسه واقام معنا ليلتنا حتى اصبح

في دار الخلافة : كرم الرشيد

وغدا جعفر الى الرشيد فحدثه الحديث فعجب منه وامر باحضارنا جميعاً فأحضرنا ، وامر ان اغنيه الصوت فغنيته اياه ، فطرب ، وسمع حديث الفتى فرثى لحاله وامر من وقته بكتاب الى عامل الحجاز باشخاص الرجل وابنته وجميع اهله الى حضرته . وخرجنا من دار الخلافة وصاحبي يكاد يطير من الفرح ويقول لي : ايمكن ذلك ؟ او يقبل ؟ وشاع صوتي في شعر الفتى وخبره في بغداد كلها ولما وصل امر الخليفة الى المدينة تزايد حديث الناس بشأنهما ولم تمض الا مسافة الطريق حتى احضر الرجل واهله . فأمر الرشيد باحضار ابي الجارية اليه فأحضر وقد اخذ الخوف منه كل مأخذ ، فخطب اليه الجارية للفتى واقسم عليه ألا يخالف أمره بعد ان طيب خاطره ، فاجابه وزوجها اياه وحمل الرشيد اليه الف دينار لجهازها ومثلها لنفقة طريقه ، وأمر للفتى ولي بألفي دينار وأمر لنا جعفر بمثلها

اللقاء في بغداد

وتلاقيا بعد أن طال فراقهما وبلاؤهما وما كانا يصدقان بعد الذي كان ، ولم يقبل المدني بعد زواجه أن يفارق بغداد وكان بعد ذلك من ندماء جعفر

* * *

ان تعجب بما تمثله هذه القصة الشيقة من الاخلاق المتينة الفاضلة التي كانت سر تقدم العرب وما حوته من الميول الراقية والعواطف الرقيقة ، والحب الصادق الشريف الذي كله عفة ووفاء ، وما كان بين الناس في ذلك العهد من صلة حاكتها المروءة ونسجتها النخوة المطبوعة في نفوسهم والتي ظهرت في تفريج معبد كربة صاحبه وأريحية جعفر والرشيد ، فاستوى المغني والعظيم في نبل الاخلاق والعطف على المحبين

ان تعجب بهذا فلا تعجب بعناية الرشيد الصادرة عن علو نفس وكرم شيمة ، فقد بلغت عناية الخلفاء برعيتهم وتفقدهم أحوالها والعمل على رفاهيتها واسعادها ان كانوا يخاطبون خاصة مجلسهم بقولهم : « يا هؤلاء ! انما سميتم أشرافاً لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ، فارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا [1] ! ! » ولم يعرف في التاريخ اسمح منهم ببذل المال في هذا السبيل : هذا هو المثل الاعلى للحكم في ذلك العهد الزاهر للحضارة العربية

ع . عباده

(١) المسعودي ج ٢ ص ٥١

« الكتب التي أفادتني »

نقتصر في هذا العدد على نشر رد الاستاذ خليل السكاكيني أديب فلسطين المشهور ولم يبق للنشر الا ردان يظهران في العدد القادم [المحرر]

رد الاستاذ خليل السكاكيني

سيدي محرر الهلال المحترم

تسألني عما طالعته في شبابي من الكتب ، فأفادتني وكان لها اثر في حياتي ، وهل يكفي المطبوع الآن من الكتب العربية لتثقيف الناشئة أم لا . وما هي الكتب التي أنصح لشبان اليوم بقراءتها الى آخره ، فاشكر لك همتك العالية ولكن قبل الجواب لا بد من العتاب

من يسمع كلامك هذا يا سيدي لا يشك اني شيخ انضجته السنون ، على حين قد تشيخ انت وقراؤك وأولادك وأولادهم وأنا لا أزال شاباً بل في غلواء شبابي : وخير لي ، على احترامي الشيخوخة ، أن أكون شاباً يحتاج الى رأي الشيوخ من ان اكون شيخاً يحتاج الى رأيه الشبان ! على أن الرأي قد يوجد في الشبان والشيب

أما الآن فأجيب على سؤالك الاول : اني طالعت كثيراً واستفدت ولكن لا أستطيع أن أرد كل فائدة الى كتاب بعينه ، فقد تكون مما استفدتهُ من كتاب او كتابين او اكثر ، كما قد تكون مما استفدتهُ من مقال أو بيت من الشعر أو مثل او قول مأثور ، صبرة واحدة او شيئاً من هنا وشيئاً مما هناك . لذلك أراني مضطراً ان أشير الى فوائد قليلة ولكنها جليلة عندي وان أذكر المصادر الاولى التي استقيتها منها غير منكر في الوقت نفسه فضل المصادر الاخرى من كتب وحوادث وأشخاص

* * *

أول كتاب وقع في يدي لاول عهدي بالقراءة ، وليس ذلك العهد ببعيد ! فاستفدت منه وكان له أثر في حياتي هو كتاب « صحة المتزوج والعزَب » للمرحوم شاكر الخوري ، ولعله أول كتاب من نوعه في العربية ، وقد طالعت بعده كتباً كثيرة في العربية والانكليزية في الموضوع نفسه ولكن الفضل الاكبر فيما أنا فيه من العناية بصحتي وشبابي يرجع الى الكتاب الاول

* * *

أولعت وأنا دون العاشرة بالصيد ، فمرت بي ثلاث سنوات وأنا لا أكاد أفارق بندقيتي ، قبل ذهابي الى المدرسة في الصباح وبعد رجوعي منها في المساء ومن الصباح الى المساء في ايام العطلة ،

وكنت اذا لم أجد ما أصيده أصيد حمام الجيران ، بل كدت مرة أصيد أخي ، الى ان وقع في يدي كتاب او مقال يرقق القلب على الطيور والحيوانات ويقبح الصيد ويعده اثراً من آثار الوحشية ، فهجرت من فوري بندقيتي : ولا يؤلمني شيء الآن مثل أن أرى الناس يتلهون بصيد الطيور والحيوانات

* * *

استحكمت فيّ لاول عهدي بالحياة فلسفة سوداء أحسست معها وأنا لا أزال فتى دبيب الهرم في نفسي وجسمي وعدت لا أنبسط الى أمل ولا أنشط الى عمل ، بل غاليت فأهملت الرياضة وكل شرائط الصحة وأعرضت عن كل اسباب السرور وانقبضت عن الاستفادة مما كان يعرض لي من فرص النجاح ، بل أوثر ، والعياذ بالله ، أن أحرم كل شيء حتى شبابي وصحتي ، ولا بد انه كان لي شركاء في هذه الفلسفة السوداء لانها كانت زي ذلك الزمان . الى ان طالعت فلسفة « نيتشه » فيلسوف القوة والحياة في هذا العصر مترجمة الى العربية بقلم صاحب الجامعة المرحوم فرح انطون ، وما كدت اقرأها حتى انتفضت فزال القبر والكفن وعدت الى الحياة فالحمد لله اولاً ولنيتشه ولفرح انطون ثانياً

وهنا لست أنسى فضل شاعرنا الاكبر أبي الطيب المتنبي نيتشه العرب فقد استمددت ولا أزال استمد من شعره القوة والحياة ، لا يعتريني وهن أو تعترضني شبهة يأس الا رجعت اليه فثاب اليّ نشاطي وتجددت آمالي .

بين الشرق والغرب فروق كثيرة . الشرق قانع يرضى بالقليل واذا نزع فالى اقرب المطالب وأسهلها وأما الغرب فطامع لا يرضيه الكثير واذا نزع فالى أبعد المطالب وأصعبها . الشرق لا يعرف الشباب بل ينتقل من الحداثة الى شيخوخة ثقيلة وأما الغرب فلا يعرف الشيخوخة بل هو في شباب دائم ، الشرق اتكالي وأما الغرب فاستقلالي ، الى غير ذلك مما نشأ عنه ان الشرق لا يزداد مع الايام إلا ضعفاً وأما الغرب فلا يزداد مع الايام إلا قوة

لذلك أسباب عديدة أهمها نوع الادب الذي يتغذى به الشرق ونوع الادب الذي يتغذى به الغرب ، وللادب تأثير كبير في حياة الامم ، خذ أمة ضعيفة متدلية في أخلاقها متطامنة في نفوسها فبث فيها أدباً قوياً فانك لا تلبث أن تراها وقد تجدد شبابها وكبرت نفوسها واتسعت آمالها وأقبلت على الحياة كأنك طعمتها بدم جديد . والامة القوية المملوءة حياة اذا أهملت أدبها الراقي فانها لا تلبث ان تصير الى الانحلال فالفناء

اذا كان في أدبنا ما يخدر النفوس ، وليس شيء أضرّ بالامة العربية من هذا النوع من الادب وقد كان معول مدارسنا عليه الى الزمن الاخير ، فان في أدبنا ما لا يقل عن الادب الغربي قوة

وحياة اذا لم يزد عليه . واذا أردت نموذجاً لادبنا هذا نأخذ المتنبي . أي المطامع أوسع من مطامع

من يقول : اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

ومن يقول : فمالي وللدنيا ؟ طلابي نجومها ومسعاي منها في شدوق الاراقم

ومن يقول : دعيني أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل

ومن يقول : وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلباً بين جنبيَّ ماله مدى ينتهي بي في مراد أحده

ومن يقول : ليس التعلل بالآمال من أربي ولا القناعة بالاقلال من شيمي

بل من أبعد همة واصعب مراماً ممن يقول وهو محموم :

قليل عائدي . سقم فؤادي كثير حاسدي «صعب مرامي»
فان امرض فما مرض اصطباري وان أحمم فما حم اعتزامي

ومن أطول شباباً ممن يقول :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه ولو أن ما في الوجه منه حراب
لها ظفر ان كل ظفر أعده وناب اذا لم يبق في الفم ناب
يغير مني الدهر ما شاء غيرها وابلغ أقصى العمر وهي كعاب

ومن أعز وا كبر نفساً ممن يقول :

تغرب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً الا لخالقه حكما
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

فاذا أردنا ان ننهض فيجب ان نحسن اختيار الادب الذي نلقنه للناشئة والا كنا كمن يتجرع السم بيده . هذا موضوع يحتمل كلاماً طويلاً اجتزىء منه في هذه العجالة بهذا القدر

***

نشأت في جو خرافي لا اسمع الا خرافات ولا القى الا خرافيين . ولعله كان من مصلحة الحكومات والرياسات الدينية لذلك العهد ان يكون العلم خرافات وان يكون الناس خرافيين . نعم كان هناك علماء أعلام حاولوا ان يعيدوا الفلسفة الى الشرق بعد ان هجرته دهراً طويلاً . ولكنهم كانوا يتملقون العامة وأصحاب العقول السخيفة من غير العامة . فكانوا اذا كتبوا شيئاً في العلم أو الفلسفة يعقبون عليه بما ينقضه من آيات أحد الكتب المنزلة . او يتكلفون الرد عليه بكلام ضعيف سخيف فكانوا يبنون ثم يهدمون . وكانت حجتهم في ذلك أن في هذه الخرافات عزاء للبشر فلنتركها لهم . ومنهم من كان يقول ان الشرق لم يألف هذه الآراء الجديدة الحرة فاذا صارحناه بها نفر منها فلا بد اذن أن نحتال في ادخالها عليه احتيالاً وحسبنا ان نبسط له هذه المذاهب العلمية أو

الفلسفية ولو في معرض النقد . جرى العلماء على هـذه الطريقة زماناً طويلاً ثم صاروا الى دور ثانٍ كانوا فيه لا يثبتون ولا ينفون . فكانوا يتركون قراءهم وتلاميذهم في حيرة ، وان كانوا في صُنعهم هذا اقرب الى الاثبات منهم الى النفي

بينا نحن نعيش على خرافاتنا في دورنا الاول وفي حيرة في دورنا الثاني اذ طلعت علينا مجموعة الدكتور « شبلي شميل » الاولى فالثانية فاذا هناك لاول مرة صراحة بلا لبس ولا غمغمة ، وذلك أسلوب لم يألفه الشرق ، وما قرأت المجموعتين إلا أحسست اني اقابل الحقائق وجهاً لوجه وأما خرافاتي ، وما كان اكثرها ، فلم يبق لها من أثر فيَّ من ذلك الحين . ولقد قرأت كتباً ورسائل كثيرة في الرد على الدكتور شميل أهمها على ما اتذكر للاستاذ ابراهيم الحوراني وللأب فرج صفير ولكنها لم تقنعني . ثم ظهر الاستاذ سلامة موسى فكان علماً آخر من أعلام التفكير الحر . واما اليوم فما اكثر هـذه الاعلام في الشرق عامة وفي مصر خاصة مثل الدكتور منصور فهمي والدكتور طه حسين والاستاذ محمود عزمي وغيرهم . ومن يتدبر اكثر ما يكتب في هـذا العصر يرَ عليه الصبغة الفلسفية ، وليس يطربني شيء مثل ان اقرأ هؤلاء الاعلام ، ولكن الفضل في تحرري من خرافاتي يرجع الى الدكتور شميل

***

جاوزت غير قليل من العمر وانا لا أفهم الحياة . لا أعرف خيرها من شرها

اذا عرفت أيها القارىء الكريم ان المدارس لذلك العهد لم تكن تُعنى بالحياة بل كان الغرض منها ان تهيء تلاميذها للآخرة . فكانت تشربهم ان الخير كل الخير في اعتزال الحياة وان الشر كل الشر في الميل اليها والتمرس بها . واذا عرفت أنها كانت تعتمد على الذاكرة فكانت تكتفي من تلاميذها بأن يحفظوا دروسهم لا ان يفهموها . فكانوا يخرجون منها وعلى أبصارهم وقلوبهم غشاوة

ثم اذا عرفت أن الكتب التي كانت بين أيدينا في المدرسة والتي وصلت الينا بعدها لم تكن منتزعة من الحياة . اذا عرفت كل ذلك فلا اخالك تستغرب اني جاوزت غير قليل من العمر وانا لا أفهم الحياة وأول كتاب وقع في يدي حاول مؤلفه ان ينتزع مواضيعه من حياته ، على خلاف عادة الكتاب في ذلك العصر ، ففهمت منه جانباً من الحياة على قدر ما استطعت أن افهم ، هو كتاب « الفارياق » لاحمد فارس الشدياق ، ويسوؤني ان أقول ان ذلك الجانب الذي فهمته من الحياة من ذلك الكتاب لم يكن لامعاً . وعلى قِدم عهد ذلك الكتاب لا يزال اسلوبه جديداً الى اليوم . . .

القدس خليل السكاكيني

أكبر دار للصحافة في أوربا

دار « أولشتاين »

عند زيارتنا الاخيرة لالمانيا – وكانت منذ سنتين – أيقنا لما عرفناه في الالمان من القوى المطبعة الكامنة انهم لن يلبثوا – اذا ما انتظمت معاملاتهم ورفع عنهم الضغط الذي ظلوا يرزحون تحته سنوات بعد الحرب – ان يستردوا مكانتهم السالفة و يستعيدوا مقامهم الرفيع بين الامم . فقد خرجوا من الحرب وثروتهم الطبيعية على حالها تقريباً لم تمس بأذى والصفات الشخصية التي احلتهم لتبوىء مركزهم الرفيع هي هي بل ان مصائب الحرب ورزاياها زادتهم ثقة بعظمتهم وشعوراً بضرورة تماسكهم . فكما ان المصائب التي تنزل بالشاب وهو يستقبل الحياة تكون اعظم مكوّن لشخصيته كذلك تكون المحن التي تحل بالامم الحية اقوى عامل على تنمية قواها وتغذية وطنيتها

برلين اليوم تختلف كل الاختلاف عن برلين التي عرفناها منذ بضع سنوات . فان مظاهر النشاط والقوة بادية في كل مظهر من مظاهر الحياة من ادبية وصناعية وتجارية . هذا امر لا يلبث أن يشعر به كل من يلقي نظرة سطحية على تلك المدينة. فان ما يراه من حركة في الشوارع وازدحام في المخازن واقبال على الملاهي و بذخ في الملابس كل هذا ينبئه بأن هناك حالة جديدة هي في الواقع فاتحة عهد جديد من الرفاهية يقبل عليه الشعب الالماني بعزم وطيد وأمل ثابت . وحبذا لو كان في الامكان ان أحدث القارىء في هذه العجالة عن كل ما شاهدته فانه جدير بالحديث ولكني أحدثه اليوم عن اكبر دار للصحافة في المانيا ، بل في أوربا ، أتيحت لي زيارتها

* * *

في المانيا دور ثلاث للصحافة تتقاسم السيطرة على الرأي العام وهي دور اولشتاين Ullstein وموسي Mosse وشيرل Scherle وأولاها اعظمها سطوة ونفوذاً . وللصحف الالمانية هيئة خاصة تمتاز بها : فالجريدة صغيرة الحجم بالنسبة لجرائدنا تزيد قليلاً في الحجم عن الصحف الاسبوعية وهذا مما يجعلها سهلة التداول والقراءة . ومعظم جرائد المانيا وربما كانت كلها حزبية فلا تجد هنا جريدة مستقلة لا تنتمي الى حزب من الاحزاب على غير ما يرى في فرنسا وانجلترا . فهناك جرائد وطنية حرة تجري على سياسة مستقلة يقبل عليها سواد الشعب ويزيد ما يطبع منها على مليون ونصف مليون وأحياناً يبلغ المليونين في حين يندر ان يزيد المطبوع من اكثر الجرائد

الالمانية انتشاراً عن نصف مليون . اما المجلات الاسبوعية فكثيرة العدد كثيرة الانتشار والجمهور يقبل عليها بلهف و يطالعها بلذة

بلغني ان اخوان « اولشتاين » بنوا داراً جديدة في ضواحي برلين لتأوي مطبعتهم العظيمة فاهتممت للامر وطلبت زيارتها فأذن لي . وهذه الدار فريدة في نوعها بما تضم من انواع الطباعة الراقية وأرجح انها اكبر دار للصحافة ليس فقط في اوربا بل في اميركا ايضاً . أصحاب هذه الدار اخوة اربعة ترك لهم والدهم مركزاً صحافياً جيداً عرفوا كيف يستثمرونه بما فطر عليه الالمان من الاجتهاد وحب النظام والاتقان فقسموا العمل بينهم فتولى أحدهم ادارة التحرير والآخر ادارة القسم الفني والثالث ادارة القسم الاداري والرابع ادارة الشؤون القضائية التي تعرض لادارتهم وظلوا يعملون متكاتفين مثابرين الى ان ادركوا ذلك التقدم الباهر . ولقد سمعت كثيراً عن ولع الالمان بالترتيب والنظام واهتمامهم بالاتقان والنظافة لكنني ما تخيلت من كل ما سمعت انهم قد بلغوا الى هذه الدرجة من الكمال فانك اذا دخلت هذه الدار وهي التي أعدت لان يحتشد فيها آلاف العمال للعمل خيل اليك انك في قصر فخم انيق جميل شيد على ابدع نظام لا يقع فيه نظرك في اي جانب منه على اثر للحبر او شبه قذارة وكأن اولئك العمال كتبة من أرقى الطبقات . ظللت أكثر من ساعتين وأنا أدور في هذه الدار من طابق الى طابق ومن جناح الى جناح الى ان تعبت فاعتذرت للدليل الذي كان يرافقني مستأذناً في العودة مرة اخرى . وخير ما يمكنني ذكره للقارىء ليعرف شيئاً عن هذه الدار وأهمية الصحف التي تصدر عنها هو ايراد المعلومات والارقام التالية :

(١) تبلغ مساحة ما تشغله دور اولشتاين في برلين وضواحيها ٧٠٠٠٠ متر مربع

(٢) يشتغل في محلات اولشتاين ٨٢٥٣ نفساً منهم ٢٠١٢ كاتباً ومحرراً ورساماً و ٢٤٤٣ فنياً وعاملاً في المطابع و ٣٧٩٨ كلهم باعة ووكلاء في العاصمة والاريان

(٣) لدار اولشتاين ٢٢٠ مراسلاً خاصاً منهم ١٨٦ في المانيا نفسها و٣٤ موزعون بين عواصم الدول في جميع أقطار العالم

(٤) يمكن التكلم والكتابة في دار اولشتاين بـ ١٨ لغة متنوعة

(٥) يدفع اولشتاين شهرياً لمصلحة البريد اجراً لمراسلاته ٥ آلاف جنيه

(٦) يتصل محل اولشتاين بالمدينة بواسطة ٩٢ نمرة تلفونية رئيسية و ٥٤١ فرعاً داخلياً

(٧) بلغ مقدار ما استهلك من الورق في السنة الاخيرة نيفاً وثلاثة ملايين من الجنيهات ومن الحبر ما زنته ٦٢٥ طناً

(٨) في مطبعة اولشتاين ٧١ مكنة روتانيف لطبع جرائد و ٦١ روتاتيف لطبع مجلات مصورة و ٥٨ مكنة طباعة مسطحة و ١١ مكنة طباعة عن الزنك و ٤ مكنات كبيرة روتوغرافير و ٦٦ منضدة لجمع الاحرف

(٩) يمكن دار اولشتاين أن تخرج في الساعة الواحدة بواسطة مكناتها ٣٦٠٠٠٠ نسخة من جريدة يومية

(١٠) يملك اخوان اولشتاين ١٠٣ سيارات نقل كبيرة ومركبين بخاريين و ٣ طيارات لنقل جرائدهم ومراسلاتهم المستعجلة

* * *

واليك أسماء الصحف التي تصدر عن هذه الدار مع بيان ما تطبع منها ونكتفي بذلك تاركين القارىء مجال التأمل والمقارنة بين تقدمهم وتأخرنا :

جرائد يومية	ما يطبع منها	مجلات اسبوعية	ما يطبع منها
فوسيش زيتونغ	٥٤٢٨٠	برلينر اللوستر برتي زايتونغ	١٧١٣٢٠٠
ملحق يوم الاحد من زيتونغ	٦١٥٦٠	دي دامي (مجلة للسيدات)	٤٥٠٥٠
زايت بيلدر	٩٢٢٣٠	مودنفلت (للمودة)	٧٢١٦٠
برلينر مورجن بوست	٥٦٤٠٢٠	بلات در هاوسفراو (تدبير المنزل)	١٤٦٤٠٠
ملحق الاحد من مورجن بوست	٦٢٦٧٢٠	مجلات شهرية	
برلينر مونتاج بوست	١٢٩٧٢٠	اوهو	١٦٨١٧٠
«جريدة الظهر»	١٧٨٧٠٠	دي كورالي	٤٢٩٣٠
برلينر الجماين زيتونغ	٥٥٥٧٠	در كوير شنيت	١٣٠٠٠
دي بوست اوس دوتشلاند	٥٨٣٠	تركير تكنيك	٢٦٤٠
تونتج تادش اتزايجر	٥٧١٠	باوفلت	١٢٤٠٠

وفي النية اصدار جرائد ومجلات اخرى !..

(برلين) شكري زيدان

ساعة مع ياقوت الرومي

مقتطفات طريفة وتعليقات موجزة

ياقوت رجل رومي أسره المسلمون وابتاعه تاجر في بغداد وجعله كاتباً لضبط تجارته . ثم نزع الى الادب فاشتغل بالتأليف وله كتابان مشهوران هما معجم الادباء ومعجم البلدان . وقد مات سنة ٦٢٦ هـ الموافقه لسنة ١٢٢٩ ميلادية . وكان كثير الاسفار يتردد الى كيش وعمان ودمشق وحلب . وزار في أسفاره مصر وخراسان واستوطن مرو . فلما أغار التتار فرّ منهم الى الغرب وارتحل الى حلب حيث مات بعد أن ذاع اسمه في التأليف . وقد انتفع بأسفاره في تحقيق ما عرض له من اسماء البلدان وتحرير اوصافها في كتاب « معجم البلدان »

ونحن فيما يلي ننقل بعض ما استوقف انظارنا ونحن نقرأ هذا المعجم من نكتة غريبة او لمحة طريفة تدل على احوال العالم العربي في القرن الثالث عشر ومقدار الثقافة الفاشية فيه

أسيوط في القرن الثالث عشر

قال ياقوت عند ذكره هذه المدينة انها « مدينة جليلة كبيرة · حدثني بعض النصارى من أهلها أن فيها ٧٥ كنيسة وهم بها كثير · وقال الحسن بن ابراهيم المصري : أسيوط من عمل مصر وبها مناسج الارمني والدبيقي المثلث وسائر أنواع السكر لا يخلو منه بلد اسلامي ولا جاهلي . وبها السفرجل يزيد في كثرته على كل بلد . وبها يعمل الافيون يعتصر من ورق الخشخاش الاسود والخس ويحمل الى سائر الدنيا

قال : « وصورت الدنيا للرشيد فلم يستحسن الا كورة أسيوط . وبها ثلاثون الف فدان في استواء من الارض لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت في جميعها لا يظمأ فيها شبر . وكانت احدى متنزهات أبي الجيش خمارويه بن احمد بن طولون ... »

ويلاحظ القارىء ان عدد الكنائس كبير جداً . وهو اذا صح لاستلزم ألا يقل السكان عن نصف مليون نفس من الاقباط دون المسلمين . والواقع ان اسيوط كانت ولا تزال اكبر مدينة في عدد الاقباط

وقد ذكر ان الافيون يستخرج من الخشخاش والخس . ولا ندري ما علاقة الافيون بالخس . ولعل تجاره كانوا يصنعون منه عجينة يخلطونها بزيت الخس الذي يستخرج من بذره . وزيت الخس معروف مشهور للآن في جميع أنحاء الصعيد

رأى العرب فى البرابى المصرية

البرابي هي الاطلال الباقية من آثار المصريين القدماء وهي قوام المصرلوجية الآن . وهذه المصرلوجية لم تصر علماً يدرس ويبحث الا منذ قرن فقط . اما قبل ذلك فكان الناس يظنونها طلاسم أقامها القدماء لاغراض شتى . وهذا هو ما ظنه ياقوت فانه عدها نوعاً من السحر يدعى الآن سحر المحاكاة غايته تحقيق غرض ما بمحاكاة هذا الغرض . فاذا أراد الناس مثلاً استمطار الغيم حملوا اناء به ماء ثم وقفوا على رابية وصبوه بعد الرقى والتعاويذ . فما يحدث للاناء يحدث في زعمهم للسماء

وهذا ما يقوله ياقوت عن البرابي المصرية : « لما فرغت دلوكة ملكة مصر بعد فرعون من بناء حائطها كانت بمصر عجوز يقال لها تدورة ساحرة . وكان السحرة يقدمونها في العلم والسحر فبعث اليها دلوكة الملكة وقالت : انا قد احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك في شيء تصنعينه يكون حرزاً لبلدنا ممن يرومه من الملوك اذ كنا بغير رجال . فأجابتها الى ما أرادت وصنعت البربا بنته بحجارة في وسط مدينة منف وجعلت له أربعة أبواب الى اربع جهات وصورت فيه الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت : قد عملت شيئاً يهلك به كل من أراد البلاد بسوء وهو يغنيكم عن الحصون والسلاح ويقطع عنكم مؤونة من أتاكم من أي جهة كان . فانهم ان كانوا من البر راكبين خيلاً او بغالاً او حميراً او ابلاً او كانوا رجالة او كانوا في السفن تحركت الصور التي تشاكلهم وأومأت الى الجهة التي يجيئون منها . فما فعلتم بالصور أصابهم مثل ذلك في انفسهم على ما تفعلونه بالصور . . . »

قال ياقوت : « وبيوت هذه البرابي في عدة مواضع من صعيد مصر في اخميم وانصنا وغيرهما باقية الى الآن والصور الثابتة في الحجارة موجودة . وهذه القصة المذكورة (آنفاً) قل أن يخلو منها كتاب في أخبار مصر فلذلك ذكرت وان كانت بالخرافة أشبه »

التجارة بين العرب والزنوج

كان العرب في القرن الثالث عشر يخرجون من شمال افريقيا فيقطعون الصحراء الى ان يبلغوا بلاد الزنج حيث نيجيريا وليبيريا وسيراليون فيقايضون الزنوج على بضائعهم ولكن كيف كانوا يقطعون هذه الصحراء ؟

هاك ما يقوله ياقوت في كلامه عن التبر : « بلاد من بلاد السودان تعرف ببلاد التبر واليها ينسب الذهب الخالص وهي في جنوب المغرب (أي مراكش) تسافر التجار من سلجماسة الى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة وجهازهم الملح . . . وخرز الزجاج الازرق واسورة النحاس

الاحمر وحلق وخواتم من النحاس . و يحملون منها الجمال الوافرة القوية ... ويسيرون فيرون المياه فاسدة مهلكة ليس لها من صفات الماء الا التميع ... حتى يصلوا الى غانة بعد مشاق عظيمة فينزلون فيها و يتطيبون . ثم يستصحبون الادلاء و يستكثرون من حمل المياه و يأخذون معهم جهابذة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم و بين أرباب التبر فيمرون بطريق على صحارى فيها رياح السموم تنشف المياه داخل الاسقية فيتحيلون بحمل الماء فيها ليرمقوا به - وذلك أنهم يستصحبون جمالاً خالية لا اوقار عليها يعطشونها قبل ورودهم على الماء نهاراً وليلاً ثم يسقونها نهلاً وعللاً الى ان تمتلىء أجوافها . ثم تسوقها الحداة فاذا نشف ما في أسقيتهم واحتاجوا الى الماء نحروا جملاً وترمقوا بما في بطنه واسرعوا السير حتى يردوا مياهاً اخر فملأوا منها أسقيتهم وساروا مجدين بعناء شديد حتى يقدموا الموضع الذي بينهم و بين أصحاب التبر . فاذا وصلوا ضربوا طبولاً معهم عظيمة تسمع من الافق الذي يسامت هذا الصنف من السودان ... فاذا علم التجار أنهم قد سمعوا الطبل اخرجوا ما صحبهم من البضائع المذكورة فوضع كل تاجر ما يخصه من ذلك كل صنف على جهة و يذهبون عن الموضع مرحلة فيأتي السودان ومعهم التبر فيضعون الى جانب كل صنف منها مقداراً من التبر وانصرفوا . ثم يأتي التجار بعدهم فيأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبر ويتركون البضائع و ينصرفون بعد أن يضربوا طبولهم »

نقول وهذه الطريقة في التجارة كانت الى عهد قريب معمولاً بها في انحاء كثيرة من السودان الفرنسي والقابلة منها كما يرى القارىء خشية الزنوج من أن يخطفهم التجار و يبيعوهم رقيقاً

أما استعمال كروش الجمال روايا واسقية فطريقة عربية قديمة استعملها خالد بن الوليد عندما قطع الصحراء التي بين العراق وفلسطين حين ذهب لنجدة العرب

بلاد التبت والمسك

يبدو من وصف ياقوت لبلاد التبت ان المسلمين كانوا يعرفونها جيد المعرفة . وقد وصف غزال المسك وصفاً علمياً دقيقاً قال فيه : « والمسك حال ينقص خاصيته فلذلك يتفاضل بعضه على بعض . وذلك انه لا فرق بين غزلاننا و بين غزلان المسك في الصورة أو الشكل أو اللون أو القرون وانما الفارق بينهما بانياب لها كانياب الفيلة . فان لكل ظبي نابين خارجين من الفكين منتصبين نحو الشبر او أقل او أكثر فينصب لها في بلاد الصين وتبت الحبائل والشرك والشباك فيصطادونها وربما رموها بالسهام فيصرعونها ثم يقطعون عنها نوافجها والدم في سررها خام لم يبلغ الانضاج فيكون لرائحته زهومة تبقى زماناً حتى تزول . وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا قطعت قبل النضج فانها تكون ناقصة الطعم والرائحة . واجود المسك وأخلصه ما القاه الغزال من تلقاء نفسه »

العرب والصين

دخل الاسلام الصين منذ القرون الاولى للاسلام ولكن بقي جمهور المسلمين يجهل تلك البلاد ولا يعرف عنها الا نتفاً يسيرة مما ينقله التجار · ويبدو من بعض الالفاظ الصينية التي دخلت العربية ان العرب كانوا على اتصال بالصين · فمثلاً لفظة « بد » التي تعني الصنم هي نفسها لفظة بوذا أخذها العرب عن الصين · ولفظة « أمة » التي تعني الجارية صينية أيضاً لان معظم الجواري كن يجلبن الى بغداد من الصين · وفي الصين الآن نحو ١٢ مليون مسلم مزجوا اسلامهم بالبوذية والكنفوشيوسية وغيرهما من عقائد الصينيين

قال ياقوت ينقل عن رجل يدعى أبا دلف سافر من خراسان الى الصين ثم عاد · والسبب لسفره ان سلطان خراسان جاءه وفد من ملك الصين يخطب اليه ابنته فرفض · ولكنه قبل ان يتزوج هو ابنة ملك الصين · وسافر أبو دلف هذا مع هذا الوفد الى ملك الصين وعاد بابنته · ونحن هنا نتبع أبا دلف في رحلته من بدء دخوله تبت حيث يقول :

« ثم سرنا الى قبيلة تعرف بتبت فسرنا فيهم اربعين يوماً في امن وسعة يتغذون بالبر والشعير ··· وبها قوم من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والهند ··· ولا يملكهم أحد الا بالقرعة ولهم محبس جرائم ··· ثم سرنا الى قبيلة تعرف بالكيماك بيوتهم من جلود ··· ثم انتهينا الى قبيلة يقال لهم الغزاغز يأكلون المذكى وغير المذكى ··· ثم انتهينا الى قبيلة يقال لهم الخرخيز يأكلون الدخن والارز ولحوم البقر والضأن والمعز وسائر اللحوم الا الجمال ··· ويعظمون زحل والزهرة ··· ثم انتهينا الى قبيلة يقال لها الخرلخ ··· ولا يأكلون اللحم الا مغموساً بالملح ··· ولهم بيت عبادة في حيطانه صورة متقدمي ملوكهم ··· ثم انتهينا الى قبيلة يقال لهم الخطلخ وهم يأكلون البر وحده ويأكلون سائر اللحوم غير مذكاة ولم أر في جميع قبائل الترك أشد شوكة منهم ··· ثم انتهينا الى مقام الباب وهو بلد في الرمل تكون فيه حجبة الملك وهو ملك الصين ومنه يستأذن لمن يريد دخول بلد الصين من قبائل الترك وغيرهم ··· فسرنا فيه ثلاثة أيام في ضيافة الملك يغير لنا عند رأس كل فرسخ مركوب ··· فأشرفنا على مدينة سندابل وهي قصبة الصين وبها دار المملكة »

ويبدو من هذه الرحلة أنها مزيفة وان الحقيقة ان ابا دلف سمع عن هذه البلدان فتوهم رحلة خيالية واخطأ في ترتيب البلدان فقد ابتدأ بتبت ثم ذكر بعد ذلك القبائل التركية التي تقطن القسم الشمالي الشرقي من فارس · وكان أولى به ان يعكس الترتيب · ولكنها تدل على مقدار المعلومات الفاشية عن الصين عند العرب في القرن الثالث عشر

جزيرة سينا في القرن الثالث عشر

يسمي ياقوت أرض سيناء الساحلية باسم الجفار قال: «وهي مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشبي متصلة برمال تيه بني اسرائيل وهي كلها رمال سائلة بيض. وسميت الجفار لكثرة الجفار بأرضها (أي الآبار القريبة القعر) رأيتها مراراً و يزعمون أنها كانت كورة جليلة في أيام الفراعنة الى المائة الرابعة من الهجرة فيها قرى ومزارع. فأما الآن ففيها نخل كثير ورطب طيب جيد وهو ملك لقوم متفرقين في قرى مصر يأتونه أيام لقاحه فيلقحونه وايام ادراكه فيجتنونه و ينزلون بينه بأهاليهم في بيوت من سعف النخل والحلفاء. وفي الجادة السابلة الى مصر عدة مواضع عامرة يسكنها قوم من السوقة للمعيشة على القوافل وهي رفح والقس والزعقا والعريش والواردة وقطية في كل موضع من هذه المواضع عدة دكاكين يشتري منها كل ما يحتاج المسافر اليه. قال أبو الحسن: «والنخل في جميع الجفار كثير وكذلك الكروم وشجر الرمان وأهلها بادية محتضرون ولجميعهم في ظواهر مدنهم اجنة واملاك واخصاص فيها كثير منهم و يزرعون في الرمل زرعاً ضعيفاً يؤدون فيه العشر وكذلك يؤخذ من ثمارهم. و يقطع في وقت من السنة الى بلادهم من بحر الروم طير من السلوى يسمونه المرغ يصيدون منه ما شاء الله يأكلونه طرياً ويقشونه مملوحاً و يقطع اليهم من بلد الروم على البحر في وقت من السنة جارح كثير فيصيدون منه الشواهين والصقور والبواشق... وليس يحتاجون لكثرة اجنتهم (أي البساتين) الى الحراس لانه لا يقدر أحد منهم يعدو على أحد لان الرجل منهم اذا انكر شيئاً من حال جنانه نظر الى الوطء في الرجل ثم قفا ذلك الى مسيرة يوم و يومين حتى يلحق من سرقه»

«منقب»

استدراكان

(١) ذكرنا خطأً في صفحة ٩٢٤ من هذا العدد ان عمر ولي عهد انكلترا أربعون سنة والصواب أن عمره ٣٣ سنة

(٢) نشرنا في الجزء الماضي من الهلال صورة لبوركهارت الرحالة المشهور وبجانبها صورة قبره. وقد فاتنا ان نذكر أن الصورتين منقولتان عن «مجلة مصر» الفرنسية التي كان يصدرها العلامة شارل جلياردو بك

الملهى (Jazz)

قصة تمثيلية بقلم الكاتب الفرنسي مارسل بانيول (Marcel Pagnol)

تلخيص وتعليق الدكتور طه حسين

ليس هذا العنوان ترجمة دقيقة للعنوان الفرنسي وربما لم يكن ترجمة مقاربة ، فالعنوان الفرنسي يشير الى نوع خاص من اللهو هو هذا الضجيج الاميركي الذي شاع في الحانات والملاهي والذي يسمونه الجاز باند (Jazz-band) . واذا كنت لم أعنَ بالترجمة الدقيقة لهذا العنوان فذلك لان هذا العنوان نفسه لا يدل على القصة ولا يختصرها ولا يدل على جزء مهم من اجزائها انما يدل على شيء اضافي مرّ في القصة عرضاً . ومن حقنا ان نتساءل لمَ اتخذ الكاتب لقصته هـذا العنوان وما باله لم يلتمس لهـا عنواناً يلائم موضوعها او اشخاصها ملاءمة صحيحة ؟ على ان هذه الخصلة ليست وحدها الخصلة الغريبة في هـذه القصة ، فالقصة كلها غريبة في حقيقة الامر : غريبة في تصورها ، غريبة في عرضها ، غريبة في نتيجتها ، ولكنها على ذلك قيّمة لذيذة او قل انها لذلك نفسه قيمة لذيذة . والحق انك في حاجة الى ان تقرأ هذه القصة مرتين ، وربما احتجت الى ان تقرأها اكثر من مرتين لا لتفهمها ففهمها سهل يسير ولا لتشعر بقيمتها الفنية فأنت شاعر بهذه القيمة متى بدأت في القراءة ، ولكن لتتبين الغرض الذي اليه قصد الكاتب حين وضع قصته ، ولست ادري أمن اليسير بعـد القراءة مرة او مرتين او ثلاثاً ان تقطع بالغرض الذي قصد اليه الكاتب . ومن يدري . . . لعله لم يقصد الى غرض بعينه ولم يفكر الا في ان يعرض عليك قصته كما تصورها تاركاً لك ان تستنبط منها ما تشاء .

ومهما يكن من شيء فأنت مضطر الى ان تلاحظ في هذه القصة امرين احدهما نعي شديد على العلمـاء الذين يقفون حياتهم على العلم وحده وعلى العـلوم التي تمس الآداب بنوع خاص ، فموضوع القصة رجل من هؤلاء العلماء وقف حياته على اللغة اليونانية . والكاتب لا يعرض علينا امر هـذا العالم وحده ولكنه يعرض علينا من قريب او بعيد امر قوم آخرين يعملون في كلية من كليات الآداب منهم الاستاذ ومنهم الطالب . والثاني صراع عنيف بين الحياة العلمية الجافة والحياة العملية التي لا تخلو من لذة ودعة ولين . فهل قصد الكاتب الى ان يبغّض الى الناس هذه الحياة العلمية الخشنة التي يسرف فيهـا بعض العلماء حتى يجعلوها أشبه برهبانية الرهبان ونسك الناسكين مزدرين في سبيلها عواطف النفس واهواءها وحاجات الجسم وما تستتبعه هذه الحاجات من لذة وألم ؟ ام هل قصد الكاتب الى ان يسخر من هـذا اللون من ألوان البحث العلمي ويبين انه اذا كان هناك نوع من العلم خليق بأن يقف الانسان عليه حياته فليس هو هذا النوع الذي

يفرغ له الباحثون عن اللغات وعن اللغات القديمة بنوع خاص ؟ ام هل قصد الى ان يسخر من الجامعة واصحابها طلاباً وأساتذة ؟ ام هل قصد الى ان يسخر من البحث العلمي بوجه عام ؟ اخشى ان يكون قصد الى هذا كله في وقت واحد ، اخشى ان يكون قد قصد الى ما يقصد اليه الشبان في هذا العصر الحديث ولا سيما بعد انتهاء الحرب الكبرى من تمجيد الحياة العملية والاعراض عن هذه الحياة العلمية الخالصة بحجة ان هذه الحياة العملية هي وحدها المنتجة وهي وحدها الملائمة لطبيعة الاشياء وحاجات الناس ومذهب المنفعة بعبارة موجزة

ومهما يكن الغرض الذي قصد اليه الكاتب فان قصته لا تخلو من لذة قوية ونفع كثير ولو لم يكن للكاتب الا هؤلاء الاشخاص الذين قد صوّرهم فأحسن تصويرهم لكانت قصته خليقة بالعناية فكيف وقد وفق فوق هذا الى طائفة اخرى من المعاني تبشر بأن سيكون له في فن التمثيل مستقبل لا بأس به

على اني لا احب ان ابدأ في تحليل القصة وعرض اشخاصها عليك قبل ان ألاحظ ان الفصل الثاني من هذه القصة خليق ان يمحى فليست اليه حاجة فنية وربما كان من الاتقان الفني ان يترك الكاتب للقارىء او النظارة تقدير ما جاء فيه . على ان هذا الفصل نفسه لا يخلو من فكاهة رائقة وتفكير عميق ولعل هذا هو الذي حمل الكاتب على ان يضحي بالفن التمثيلي في سبيل الفن الادبي الخالص

***

الاشخاص الذين يستحقون ان يعرضوا في هذه القصة بعد اولهم جان بليز (Jean Blaise) وهو رجل في السابعة والخمسين من عمره انفق حياته كلها في درس اللغة اليونانية ووفق في هذا الدرس الى حظ من الفوز فتن به الناس جميعاً فنال اوسمة الشرف كلها من حكومته الفرنسية وهو يوشك أن ينتخب عضواً في المجمع العلمي وأن يختار أستاذاً لليونانية في السوربون . وهو في سبيل هذا المجد العلمي قد أخذ نفسه بألوان من الشدة في حياته فرفض الحب رفضاً قاطعاً وانصرف عن النساء وعن لذات الحياة كلها . ثم لم يكتف بهذا بل خيل اليه انه من هذه الطائفة المختارة التي خلقت لتقود الانسانية وترقيها . وهو مطمئن الى هذه المكانة مقتنع بأنه قد أصبح من الخالدين ، وهو يزدري الحياة العملية والذين يضطربون فيها لا يؤمن لهم الا بأنهم خدم يهيئون للعلماء حاجاتهم فيعينونهم على تأدية ما يؤدونه من نفع هذا النوع الانساني . وهو بهذا كله مؤمن مقتنع بايمانه لا يقبل فيه جدالاً ولا نزاعاً . ولكن نفسه على شدة اقتناعها بهذا كله لم تستطع ان تقهر حسه ولا أن تقل حسه ولا ان تلطف من حدة شعوره فهو في جهاد متصل بين العلم والهوى . واكبر الظن انه انما امعن في العناية بالعلم ووقف حياته عليه حين أحس الفشل في الحب واشفق ألا يعجب آ.ة ذلك ان هذا الجهاد قد بلغ من العنف ان آذاه واضناه وظهرت آثار هذا الاذى في

مجموعته العصبية التي تشعر منذ الفصل الاول بأنها قد اخذت تضعف وتضطرب حتى اشفقت عليه خادمه ان يكون قد اصيب بأحد امراض المعدة . وقد وفق الكاتب توفيقاً غريباً الى ان يعرض علينا شخصية هذا الرجل عرضاً قوياً فقد ألف هـذا الرجل من شخصين مختلفين احدهما هو هذا العالم الذي عرضته عليـك ، والآخر شاب يمثل هذا الرجل حين كان طالباً وحين كانت نفسه تنازعه الى الحب والنساء وجعل الصراع بين هذين الشخصين مادياً خارجياً يرى بالعين

الشخص الثاني عميد كلية الآداب وهو رجل متقدم السن عالم ولكن فيـه عيوب امثاله من العلماء الذين يشغلون المناصب ويحرصون على ان يرضى عنهم الجمهور والرؤساء ، فهو حسود مسرف في الحسد ، وهو منافق غال في النفاق ، وهو الى ذلك جبان عظيم الحظ من الجبن وهو يتقن العلم و يظهر الايمان به ولكنهُ في حقيقة الامر يزدريه و يشك فيه

الشخص الثالث فتاة في ريعان الشباب هي سسيل بواسييه (Cécile Boissier) طالبة في الجامعة تدرس اللاتينية واليونانية ، جميلة ولكنها فقيرة ، تعنى بأن تعيش ولا تكاد تفكر فيما يفكر فيه الفتيات من حب او لهو ، مستعدة كل الاستعداد للتضحية . ولكنها لا تكاد تحس الحب حتى تظهر فيها الأثرة و يظهر عجزها عن التضحية

الشخص الرابع فتى صربي هو ستيپانوفيتش (Ctépanovitch) كان من جنود الحرب الكبرى ،ابلى فيها بلاء الابطال ، فلما انتهت عاد الى مهنة التعليم التي كان يعيش منها ، ثم بدا له فجاء الى فرنسا يتم درس اليونانية ، وهو كبير النفس صبور محتمل للمكروه في سبيل العلم لا يتردد في ان يتخذ صناعة الحمال في محطة السكة الحديدية ليتمكن من الدرس ، وهو رقيق النفس قوي العاطفة يحب ولكنه يعرف كيف يكتم حبه ، فاذا ظهر له انه يستطيع ان يعلن هذا الحب دون ان يتجاوز الحق والعدل مضى في ذلك غير مشفق ولا متردد ولا محجم عن أشنع انواع القسوة

هؤلاء هم أشخاص القصة فلننظر كيف يضطربون فيها

* * *

نحن في مدينة جامعية من مدن الاقاليم في دار جان بليز آخر النهار ، وقد ذهب الاستاذ الى الجامعة ليلقي درسه ، فاذا رفع الستار رأينا خادمه تتحدث الى صديق اقبل ليزوره ومعها عميد كلية الآداب قد جاء وكأنه يحمل نذير سوء . ثم ينصرف هذا العميد منذراً بعودته . فاذا خلت الخادم الى صديق سيدها اخبرته بأن سيدها متعب مضطرب الاعصاب قد يتحدث الى نفسه اذا جنه الليل وعللت ذلك باضطراب في المعدة وعلل الصديق ذلك بالوحدة

ثم يأتي الاستاذ فاذا كانت بينه و بين صديقه التحية المألوفة وجلسا يتحدثان فهمنا ان هذا الاستاذ قد ذهب مرة الى مصر فوجد في بعض اديرتها نسخة قديمة كتب عليها الانجيل باللغة اللاتينية ثم تبين انه قد كان مكتوباً قبل الانجيل شيء باللغة اليونانية فمحا الانجيل واخضع نسخته

لعمل كيميائي مكنه من استكشاف الاصل لهذا النص اليوناني فاذا هو كتاب من كتب افلاطون يقال له فايتون (Phaëton) ولكن هذا الاصل كان مضطرباً قد عبث به الزمان فلم تبق منه الا كلمات وجمل منها التام ومنها المبتور فجدّ في ذلك حتى أصلحه واتمه . وقد انفق في هذا العمل أعواماً طوالاً ثم نشره فاضطرب له العلماء في أقطار الارض وكادوا يجمعون على ان هذا الاستاذ قد أخرج للناس اقوم أثر من آثار افلاطون من الوجهة اللغوية والادبية والفلسفية . وعرفت الحكومة الفرنسية لهذا الاستاذ حقه فكافأته بالاوسمة وهي تريد ان تنقله الى السوربون وهو يوشك ان يكون عضواً في المجمع العلمي . وهو يحدث بهذا كله صديقه الذي لا يكاد يفهم منه شيئاً لانه يعمل في التجارة ، فاذ ظهر منه عجزه عن الفهم كانت بينه و بين صاحبه مناقشة رأينا منها كبرياء الاستاذ بعلمه وازدراءه لغيره من الحياة والاحياء

وبينا هما كذلك اذ تقبل سبيل بواسيبه احدى تلاميذ الاستاذ تريد أن تستعير من استاذها كتاباً فيعيرها اياه ولكنهما لا يكادان يتحدثان حتى نحس من الاستاذ ميلاً خاصاً الى هذه الفتاة وعطفاً عليها ومن الفتاة اعجاباً بالاستاذ . والفتاة لم تأت في حقيقة الامر لتستعير الكتاب انما جاءت لتعرض على استاذها أن رفيقاً لها من الطلبة هو ستيبانوفيتش قد ضاقت به سبل الحياة فهو مضطر الى أن يعود الى وطنه وقد تعاون رفاقه فيما بينهم فجمعوا له مقداراً من المال ولكنهم لا يعرفون كيف يدفعونه اليه لانه شديد الكبرياء فهم يتوسلون بالاستاذ ليؤدي اليه هـذا المقدار . فاذا سمع الاستاذ هذا رد المقدار الى الفتاة ووعدها بان يصلح من امر الفتى ثم أخذ يلومها لانها لم تحسن كتابة الموضوع الذي طلب اليها كتابته باليونانية . وتنصرف الفتاة ويأتي الفتى الصربي مودعاً الاستاذ ، فلا يمكنه الاستاذ من ان يتكلم بل يفجأه بأن يعلن اليه انه سيطبع كتاباً من كتب كزينوفون وقد اعد لهذا الكتاب شرحاً وتعليقاً ولكن اوراقه في حاجة الى الترتيب والنسخ فهو يكلفه هذا العمل و يأجره عليه و يدفع اليه بعض هـذا الاجر مقدماً . والفتى مغتبط بهذا لانه يمكنه من اتمام الدرس وتأدية الامتحان دون ان يؤذي كبرياءه

فاذا خرج الفتى وهمَّ الاستاذ أن يستأنف حديثه مع صديقه اقبل عميد الكلية فيتلقاه الاستاذ عابساً منقبضاً و يسرع العميد فينبئه بأنه جاء يحمل اليه نبأ سيئاً و يأخذ في تعزيته وتشجيعه . فاذا الحَّ عليه ليعرف هذا النبأ اعلن اليه أن العالم الانجليزي كولسون (Colson) قد ذهب الى مصر واستكشف فيها نسخة من كتابه فايتون (Phaëton) وكانت نسخة صحيحة واضحة لا عيب فيها ، وظهر من قراءة هذه النسخة أولاً أن الكتاب ليس لأفلاطون وانما هو لنحوي من أهل الاسكندرية كان يقلد افلاطون في القرن الاول للمسيح أي بعد افلاطون باربعة قرون . ثانياً ان كل ما اقترحه الاستاذ لاصلاح النص وتكميل جمله والفاظه وتصحيحها خطأ . وهذا العالم الانجليزي ينشر نسخه التي استكشفها ولكنه يرسل منها مسودة ليقرأها الاستاذ قبل ان تظهر

للناس . ثم يدفع العميد هذه المسودة الى الاستاذ و يأخذ هـذا في قراءتها والاضطراب يملكه شيئاً فشيئاً وقد ظهر ذلك عليه فنهض صديقه وخرج العميد ليترك الرجل منفرداً الى مسودته

وفي اثناء ذلك يظهر فتى كانما انشق عنه الحائط وهو رث شاحب فيقف خلف الاستاذ وينظر محزوناً كأنه يقرأ المسودة معه

* * *

فاذا كان الفصل الثاني فقد مضت ايام على هذه القصة وظهر أمرها للناس وافتضح الاستاذ فضيحة منكرة وانقسم فيه العلماء الذين كانوا يعجبون به فمنهم من يتهمه بالجهل المنكر ومنهم من يتهمه بالتدليس القبيح . وقد كانت هذه الفضيحة صدمة للرجل حالت بينه و بين الذهاب الى الجامعة اياماً . وكأنه قد استرد قوته فعزم ان يستأنف دروسه وأقبل الطلبة مضطربين يريدون أن يروه وأن يسمعوه وهم في أمره مختلفون اختلاف العلماء والجمهور . ولكن العميد يحاول ان يؤخر استئناف هذا الدرس فيغري احد الخدم بأن يصد الطلبة عن قاعة الدرس و يعلن اليهم ان الاستاذ قد أجّل درسه ، ولكن بعض الطلبة يأبون الا ان يقتحموا غرفة الدرس وهم جلوس وقد رأى العميد ان لا بد من استئناف الدرس فأقبل يخطب الطلبة يعيب استاذهم وكأنه يرثي له و يغريهم به وكأنه يعطفهم عليه

و يأتي الاستاذ فيتخذ ثوبه الرسمي و يجلس الى مائدته واذا الفتى الذي رأيناه في آخر الفصل الاول قد ظهر ووقف في آخر الغرفة تجاه الاستاذ وبدأ الاستاذ يتكلم فاذا هو يعترف بأنه قد أخطأ في كل شيء فليس الكتاب لافلاطون وليس تصحيحه لهذا الكتاب حقاً ولا مقارباً وانما يشتمل على اكثر من ثمانمائة غلطة . ولكن هذا الكتاب المزوّر المملوء بالخطأ قد خدع الذين يعنون باليونانية جميعاً سواء منهم اللغويون والادباء والفلاسفة ، كلهم قبله وكلهم أظهر الاعجاب به .

و ينتقل الاستاذ من هذا الى ان العلم ليس شيئاً وانما هو وهم في وهم وضلال في ضلال وان العالم أشبه الناس بالرجل الذي اهتدى الى كنز في مكان مظلم فاتخذ المصباح ليصل اليه ولكنه شغل بالمصباح عن الكنز فأخذ يرفع ذبالته حيناً و يخفضها حيناً آخر . وليس العقل الانساني الا هذا المصباح الذي يشغل العلماء عن الحياة وما فيها من لذة ومتاع ، واذا الاستاذ يحث تلاميذه على الاعراض عن العلم والاستمتاع بلذات الحياة و يمضي في ذم العلم ومدح اللهو الى حيث يوشك ان يكون متصوفاً ثم ينهض فيلقي عنه ثوب الاستاذية و يعلن الى تلاميذه انه مستقيل

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن في بيت الاستاذ مساء هذا اليوم وقد تغيرت غرفته فخلت من الكتب خلواً تاماً . وهو جالس الى مكتبه ينظر في اوراق ثم يمزقهـا وقد جاء العميد يسأله عن كلمات زعموا انه قالهـا في درسه وهي لا تليق بالعالم ولا بالاستاذ ، فلا ينكرها بل يزيد عليها

ويرفع الى العميد استقالته من الاستاذية • ويلح العميد عليه مخلصاً في ان يسترد هذه الاستقالة فيأبى وهنا تنكشف لنا نفس العميد ، فهو يتخذ العلم ورياسة كلية الآداب صناعة لا اكثر ولا اقل وهو لا يؤمن بعلم ولا يؤمن بجامعة وانما يؤمن بالحياة : بامرأته وولده ولذته ، وهو يشبه العلماء حين يظفرون بالحق فيفرحون او يردون عنه فيحزنون بالاطفال الذين يتحاربون لاعبين فيخيل اليهم انهم يجدون واذا هم يطلبون الفوز ويفرحون به حقاً ويكرهون الهزيمة ويحزنون لها حقاً . ولكن الاستاذ مصر على استقالته فينصرف عنه العميد ويخلو الرجل الى نفسه حيناً واذا الشاب الذي رأيناه في الفصلين الماضيين قد مثل امامه فيكون بينه وبين الاستاذ حوار بديع مؤثر حقاً فليس هذا الشاب في حقيقة الامر الا الاستاذ حين كان طالباً وحين كان يكره نفسه على العلم ويصرفها عن الحب واللهو • وقد تمثل هذا الشباب القوي الفتي المحروم في شخص هذا الفتى واقبل يعرض على الشيخ ذكرى هذا الحرمان والشيخ يدافعه ثم لا يلبث ان يمضي معه في الذكرى ، فانظر اليه حين كان يستيقظ قبل آخر الليل فيقبل على اليونانية يقرأ ويكتب ويستظهر ، وانظر اليه كيف كان يغدو مع الصبح فيسلك الى الجامعة ابعد الطرق عن الفتنة منصرفاً عن ضوء الشمس وجمال الربيع وابتهاج المدينة وانظر اليه كيف كان يلوي وجهه عن هذه الفتاة الحسناء تمر الى جانبه • وانظر اليه كيف أحب وعبث الحب بقلبه ولكنه مع ذلك أبى ان يعلن حبه واخذ يخادع نفسه عن هذا الحب واخذ يتجاهل ميل صاحبته اليه فلا يحييها ولا يظهر الميل اليها • وانظر اليه مع ذلك كيف اهوى مرة الى زهرة ألقتها هذه الفتاة فاحتفظ بها منذ عشرين سنة فهي الآن جافة ذابلة ولكنه لا يكاد يلمسها حتى تتفتح وتسترد نضرتها • ثم انظر اليه كيف يعتذر الى شبابه فيزعم انه لم يكن جميلا ولا وسيما ولا جذاباً للنساء ، ولكن حركة يأتيها الفتى فاذا هو جميل وسيم حسن الطلعة مقتنع بأنه كان يستطيع ان يظفر بحب النساء • يعرض الفتى على الشيخ شبابه وما ضيع فيه من لذة وما اهمل فيه من فرصة ، والشيخ يضطرب شيئاً فشيئاً حتى يدنو من الجنون واذا هو يستغيث فتقبل الخادم فلا ترى احداً ويستخذى الشيخ

ولكن هذه سسيل قد اقبلت تعلن الى الاستاذ باسمها وباسم رفاقها دهشهم مما سمعوا ، فيؤكد الاستاذ انه لم يكن مازحاً ولا عابثاً ويعلن اليها انه مستقيل فتلح عليه في ان يسترد استقالته فيأبى ويكون بينهما حوار تفهم منه انه يحب الفتاة ويود ان يجد لحبه صدى في نفسه ، وهو يتلمس هذا الصدى فلا يجده فهو يضطرب بين اللين والشدة حتى اذا استيأس ترك الفتاة تنصرف • ولا يكاد يخلو الى نفسه حتى يعود اليه الفتى فيلومه لوماً عنيفاً لانه يحب هذه الفتاة وقد تركها تنصرف وقد كان يستطيع ان يعلن اليها حبه فينكر هذا الحب ثم يعترف به ثم يعتذر عن اصحابه بأنه متقدم السن وقد ظهرت عليه آفات الكبر ولكن الفتى يقنعه بأنه ما زال محتفظاً بقوته قادراً على ان يستمتع بالحياة ، والفتاة عائدة بعد حين لانها نسيت حقيبتها وهي انما نسيتها لانها تحب الشيخ .

فاذا عادت فليعلن اليها حبه وليكن بها رفيقاً ولها ملاطفاً وفي حديثه اليها لبقاً . وقد عادت الفتاة تلتمس حقيبتها فيدعوها الى البقاء حيناً . وما هي الا ان يتخذ طريقه الى الحب فيعلنه الى الفتاة فتدهش ويطلب اليها الزواج فتضطرب ثم تتردد ويكاد يستيئس منها فيعلن اليها هذا اليأس وانه سيقتل نفسه فتشفق وتلين وتضعف فيدنو منها يريد أن يقبلها فتأبى وتفزع وتتراجع فاذا رأى الفتى هذا قام مقامه في هذه المداعبة والملاينة فظفر من الفتاة باللثمة التي يرجوها . واذا الفتاة مستأنسة مطمئنة قد جلست الى جانب الشيخ واسندت رأسها الى كتفه وهي تنسم تلك الزهرة التي كانت جافة فعادت نضرة

فاذا كان الفصل الرابع فقد مضت ايام على هذا وتم الاتفاق بين الشيخ والفتاة على ان تكون له زوجاً وعلى ان تقيم عنده اياماً ثم يسافران الى حيث يقيم وصيها فيكون الزواج وسيسافران اليوم مع الظهر . ونحن نرى الشيخ قوياً وسيماً حسن الزي مطمئناً الى الحياة مبتسماً لها يمشي في غرفته مشية المطمئن الراضي . ولكن العميد قد اقبل يعلن اليه ان الناس يتحدثون بمقام الفتاة عنده وينكرون ذلك ، وقد كتبت فيه صحف السوء واتهمت كلية الآداب كلها بالعبث والمجون وذلك شر يرغب الناس عن الكلية واساتذتها وقد اصبحت الكلية حديث الناس وشك فيها الجمهور حتى ان امرأته قد اعلنت اليه انها لن تدعه يذهب وحده الى الكلية . ولكن الشيخ لا يحفل بكلام العميد ولا بكتابة الصحف ولا بسخط الجمهور ، فهو سعيد وهو يريد أن يتخذ الفتاة له زوجاً وهو سيبرح هذه المدينة وجامعتها وجمهورها

فاذا انصرف العميد واقبلت الخادم رأيناها ليست اقل من العميد سخطاً على الاستاذ . وكيف لا تسخط وهو شيخ يريد ان يقترن من فتاة وهو يحتجز الفتاة عنده وليست زوجاً ولا خطيبة ، والناس يتحدثون : أليست بائعة الفاكهة قد تحدثت اليها في ذلك ساخرة ساخطة . . . ولكن الشيخ لا يحفل بها ولا ببائعة الفاكهة

وانظر الى الفتى قد اقبل ويسأله الشيخ فيم جاء فيأخذ الفتى في لومه وتأنيبه : أليس يحب هذه الفتاة ؟ أليست هذه الفتاة تحبه ؟ فما باله لا يظفر منها بما يطمع فيه المحبون ؟ وما باله يدعها تقضي الليل وحيدة في غرفتها وهو في غرفته مسهد يضنيه الحب وتعذبه الشهوة . والفتى يغريه والشيخ يدافعه . ولكن انظر اليه كيف اثر فيه الاغراء فملكت الشهوة عليه امره ودنا من غرفة الفتاة تدفعه اليها الرغبة ، وكاد يدخل لولا بقية من شرف ووفاء ردته عن ذلك فينهر الفتى ويكبح شهوته ويؤثر انتظار الزواج

وهذه الفتاة قد اقبلت فيلقاها باسماً وترد تحيته في دعة واطمئنان وتعرض عليه ان يكون الزواج في هذه المدينة وأن يكون الفتى الصربي من شهود هذا الزواج . ثم تأخذ في الثناء على

الصربي وذكر بلائه في الحرب فيحس ان في نفسها من هذا الفتى شيئاً ، وقد خرج الاستاذ لبعض شأنه على ان يعود بعد حين

وأقبل الفتى الصربي يريد ان يرد الى الاستاذ كتابه وماله لانه مسافر ولا يكاد يتحدث الى الفتاة حتى تفهم انه لا يسافر زهداً في العلم ولا عجزاً عن الاقامة وانما يسافر يأساً وقنوطاً فهو يحب الفتاة ولكنه لم يعلن اليها حبه وقد مضى الوقت وجاء هذا الاعلان متأخراً . والفتاة تدافعه وتعتذر عن نفسها بضعف الشيخ ويأسه وانها لا تعرف الحب ولم تحسه وقد اخذت نفسها بأن تعيش مع هذا الرجل كما تعيش الممرضة مع المريض . ويهم الفتى ان ينصرف فتمسكه ويمضيا في الحوار حتى اذا استيقن ان لم يكن بينها وبين الشيخ الا التمس الحب عندها فوجده في قلبها تستحي له الفتاة وتتراجع

وهذا الاستاذ قد عاد فيرد الفتى اليه كتابه وماله . ثم يعلن اليه في لين لا يخلو من القسوة انه لا يستطيع ان يتزوج من هذه الفتاة وقد تركتهما الفتاة فيكون بينهما حوار عنيف فيه غيرة وحقد ، فيه غيرة الشاب الطامع في الحياة يريد ان يستقبلها في امل ولذة ، وفيه غيرة الشيخ اليائس يريد ان يظفر من الحياة بنصيب . وقد اتفقا على ان يحكما الفتاة نفسها فتدعى ويرد عليها الشيخ حريتها ويسألها ان تختار بينهما . فتسأله : والى اي حال تصير وحدك؟ . . . ويفهم الشيخ . فانظر اليه بائساً قد صعقه اليأس وانصرف عنه الحبان

وانظر الى الفتى قد ظهر يزجره وينهره ، وهو الآن لم يأت ناصحاً ولا رفيقاً وانما جاءنا ثائراً محنقاً يريد ان ينتقم لشبابه المضيع . وقد تغير المسرح بعض الشيء ، وأخذنا نسمع ونرى ضجيج الرقص وحركته واصحاب اللهو يسرفون في لهوهم والمومسات يتهالكن على الناس فتنة واغراء والفتى يدفع الشيخ الى هذا اللهو ، والمومسات يدعنه اليهن . وقد كاد الشيخ يقبل لولا بقية من شرفه وكرامته . فهو يأبى ويتراجع والفتى يدفعه منتهراً زاجراً منذراً معلناً اليه ان قد افسد عليه شبابه فليفسدن عليه شيخوخته . ولكن الشيخ يأبى . وانظر اليه قد اعتصم آخر الامر بكتب بقيت له فهو يلتمس عند العلم العزاء بعد ان يئس من الحب . وكذلك فعل شاباً ولكن الفتى ينازعه ويكون بينهما جهاد يصرع له الشيخ وتسمع الخادم فتسرع الى سيدها فاذا هو طريح فاذا أقبلت اليه لتسعفه نهض متثاقلاً وامرها ان تلتمس الطبيب فتخرج ويعمد الشيخ الى مسدسه فيخرجه وهو يعتصم بالمسدس حيناً وبالكتاب حيناً آخر . ولكن الفتى قد اقبل مرة أخرى وظهرت الحانة والرقص والفتى يدعو الشيخ اليهما فيأبى ويطلق مسدسه على الفتى فلا يصيب منه شيئاً وانظر الى الفتى فهو الذي يتناول المسدس وهو الذي يطلقه على الشيخ وانظر الى هذا الشباب المضيع وقد انتقم لنفسه من هذا الشيخ فهو يسقط صريعاً

طه حسين

الحبشة ومطامع الدول

بقلم الاستاذ فوزي الغزي

أستاذ حقوق الدول في معهد الحقوق بدمشق

هذا بحث جليل لعالم قانوني ضليع ننشره على صفحات الهلال شاكرين لكاتبه الفضال عنايته . ونلفت النظر على الخصوص الى أهمية ما فيه من البيانات والمعلومات التي تهم مصر والمصريين بل الشرق والشرقيين [المحرر]

١ - كلمة في ماضي الحبشة وحاضرها

الحبشة ، بلاد من شرقي افريقية يحدها من الشمال النوبة والبحر الاحمر ، ومن الشرق بلاد الدناقيل والصومال ، ومن الجنوب بلاد الغالة ، ومن الغرب السودان المصري . مساحتها نحو ٦٠٠ الف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها تختلف الاقوال في تقديره بين سبعة ملايين وعشرة ملايين والاصح الرقم الاخير كما جاء في قاموس لاروس المطبوع سنة ١٩٢٠ وفيهم الاحباش على اختلاف أصولهم ، والغالة ، والصومال ، والزنوج ، واليهود وكثير من الهنود والعرب واليونان والارمن وبعض الاوربيين ، ومنهم ما يقدر بأربعة الى خمسة ملايين نصارى على مذهب الكنيسة القبطية . والمظنون ان المسلمين قد ازدادوا كثيراً في الحبشة بعد ان توسعت حدودها الى جهات هرر ، والصومال ، والغالة حتى اصبحوا يفوقون عدد المسيحيين فيها

وكانت مملكة الحبشة قديماً تشمل بلاد السودان والنوبة ، وكانت تسمى مملكة اثيوبيا . وهي بلاد جبلية مرتفعة ، وفيها جبال يبلغ علوها نحو ٤٦٠٠ متر هواؤها حار في القسم الادنى الذي هو دون ارتفاع ١٥٠٠ متر ، ومعتدل في الاماكن التي يقع ارتفاعها بين ١٥٠٠ متر و ٢٧٠٠ متر ، وبارد فيما هو أعلى من ذلك . وفي جنوبي الحبشة بحيرة تسانا التي يخرج منها البحر الازرق ، والى الشمال من هناك يخرج نهر العطبرة الذي مصبه في النيل

وبلاد الحبشة ثلاثة اقسام : ففي الشمال بلاد التيغري ومدنها عدوة واكسوم . وفي الوسط آلامبارة وعاصمتها غندار . وفي الجنوب الشوا ومدينتها انكوبر . وقد اضيفت الى مقاطعة شوا هذه بلاد هرر التي اخذها الاحباش من امرائها المسلمين سنة ١٨٨٧ . وقاعدة هرر مدينة مسماة باسمها ، يزيد عدد نفوسها على الخمسين الفاً وهي مركز تجاري عظيم في شرق افريقية

وعاصمة الحبشة مدينة اديس آبابا ، ونفوسها تربو على السبعين الفاً وتجارتها جسيمة . وفي بلاد الحبشة كثير من المدن ولكنها صغيرة وقليلة السكان . يقع عدد نفوس المدينة الواحدة بين الف وخمسة آلاف فقط

والحبشة قديمة جداً عاصرت الفراعنة في اقدم دولهم . وكانت سلطتها منحصرة يومئذ في أعالي النيل فيما هو الآن بلاد النوبة وهي التي تسمى اثيوبيا . فلما ذهبت دولة الفراعنة انتقلت السلطة الى قسمها الشرقي الجنوبي حيث هي الآن . فتاريخ الحبشة ينقسم اذاً الى طورين : طور الاثيوبي ، وطور الحبش

« ا » – طور الاثيوبي

يبدأ هذا الطور قبل زمن التاريخ ، ويمتد الى اواخر دولة الفراعنة . وكانت عاصمة الاثيوبيين في أعالي النيل قرب مروى . وقد تعاصر الاثيوبيون والفراعنة المصريون عدة عصور ، وتخاصموا ، وتحاربوا مرات عديدة ، فكتب النصر مرة للاثيوبيين فحكموا مصر نحو نصف قرن من سنة ٧١٥ الى سنة ٦٦٥ ق . م . وكان اول من سطا على مصر منهم « سباقون » الذي اكتسحها سنة ٧١٥ ق . م . فأحسن ادارتها ، وأنشأ فيها الجسور ، واحتفر الترع . ولكنه طمع في توسيع سلطانه وتغلب عليه حب الفتح والبسطة ، فحارب جيوش الاشوريين في رفح ليهيمن على فلسطين وسوريا فتقهقر ، ثم ثار عليه سكان الوجه البحري ، فانهزم الى الصعيد . وأراد ابنه من بعده ان ينتهز فرصة الانشقاق الذي حصل في الوجه البحري بعد فرار أبيه منه فلم يفلح . وبقيت مصر يتناوبها الاشوريون والاثيوبيون حتى انتهى الامر بصرف نظر الاشوريين عن تملكها فدخلت في سلطة « نوارة مياءون » ملك اثيوبيا بدون تعب وعناء

« ب » – طور الحبش

ويبدأ هذا الطور عندهم بسليمان الحكيم ، ويقولون ان ملوك الحبشة متسلسلون من هذا الرجل الكبير وتعرف اسرة ملوكهم بالاسرة السليمانية نسبة اليه

وقد دخلت النصرانية بلاد الحبشة على يد رجل من صور اسمه فريمنتوس ، وأخ له يسمى أديسوس وذلك سنة ٣٤١ م . ونصب فريمنتوس هذا اسقفاً على أكسوم من قبل بطريرك الاستانة أثناسيوس . وساعده على بث النصرانية في الحبشة ملكها ايرحة . وهو أول اسقف ترأس الطائفة النصرانية . وما زال الاساقفة يأتون الحبشة من الاسكندرية

وهاجر الى الحبشة طائفة من الصحابة قبيل الهجرة الى المدينة أي في سنة ٦١٥ م وكان ذلك في عهد ملك يسمى الرماخ . وكان بين المهاجرين اليها عثمان بن عفان وزوجته رقية ، والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف . فأرسلت قريش في طلبهم عبدالله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ومعهما هدية للنجاشي فوصلا ، وطلبا اليه أن يسلمهما المهاجرين فأبى فقال له عمرو بن العاص « سلهم عما يقولون في عيسى » فسألهم فقالوا « انه كلمة الله القاها الى مريم العذراء » فجاء ذلك منطبقاً على اعتقاد النجاشي فسر منهم ، وازداد حرصاً على حمايتهم ، وعاد وفد القرشيين بخفي حنين . وقد كان لهذا العمل أحسن وقع في نفوس المسلمين . فلما قوي سلطانهم واشتد ساعدهم لم يعتدوا

على النجاشي . انما نزل الحبشة بعض أمرائهم في العصور الاولى للاسلام ، وانشأوا فيها امارات اسلامية فانتشر بذلك الدين الاسلامي في طول البلاد وعرضها

وتاريخ الحبشة الحديث مملوء بحروب ومنازعات دائمة منها ما هو بين الاحباش النصارى والمسلمين ، ومنها ما هو بين رءوس الاحباش أنفسهم . وأشهر من تولى العرش في الحبشة فجمع كلمتها ، ووحد صفوفها ، ثم حاز لقب ملك الملوك هو القائد « كاسا » الذي توّج امبراطوراً سنة ١٨٥٥ باسم تيوذوروس الثالث الا انه قد اختلف مع انكلترا ، فساقت عليه حملة قهرته سنة ١٨٦٨ ففضل الانتحار على التسليم ، حينما بقي وحده في القلعة محاطاً بالجيوش الانكليزية ، وقد أصبحت الحبشة فوضى بعد موته ، وجرت فيها حروب بين ملوك المقاطعات ، كان الفوز فيها حليف الملك التيغري واسمه كاسا أيضاً ، ومن أخلافه يوحنا وهو الذي تغلب على جنود الخديوي اسماعيل باشا فكف عنه . وفي عهده تحرشت ايطاليا بمملكته فصادمها بقوة وعزم . ولكنه قتل في احدى المعارك ، وترك الملك من بعده الى منليك ملك شوا فصالح هذا الطليان ، وامتد هؤلاء في الاريترية وأطراف التيغري ، لولا أن دب الخلاف بينهم سنة ١٨٩٥ فانتهى بوقعة « عدوه » التي انهزم فيها الطليان شر هزيمة كفوا بعدها عن مهاجمة الحبشة بالجيوش ، وجنحوا الى طرق أخرى متراها مبسوطة لديك في ابحاثنا التالية

ولم يكن لمنليك الثاني هذا أولاد ذكور ، وقد زوج ابنته الثانية « شوارقاد » من أمير مسلم كان تغلب عليه ، ثم تنصر على يديه . ويسمى الرأس ميكائيل ، وولد له من ابنته هذه ولد اسمه « ليج ياسو » فجعله ولي عهده ، فلم يرق ذلك للامبراطورة « تايتو » ولا للاهلين ، ولكن توّج برغم ذلك امبراطوراً سنة ١٩١٤ وعين أبوه الرأس ميكائيل ملكاً على ولو والتيغري ، ونائباً عاماً للمملكة . وقد ظهرت من الامبراطور الجديد أمور أغضبت الشعب ، ورجال المملكة واشتد الغضب والسخط عند ما ظهرت منه بوادر تدل على رجوعه لدين آبائه . فعقد الاساقفة والامراء وعظماء البلاد مجمعاً خلعوا فيه ياسو و بايعوا « زاوديتو » ابنة منليك الكبرى امبراطورة ، وجعلوا الرأس تفاري كافلاً للمملكة وولياً للعهد في ٢٧ سبتمبر ١٩١٦ . وقد أراد ياسو استرداد عرشه ، وقاتل في سبيل الملك كثيراً ولكنه غلب على أمره أخيراً ، وأسر ثم سجن في احدى القلاع

وسعت الحبشة عقب انتهاء الحرب للانضواء تحت لواء جمعية الامم ، لتتقي شر المستعمرين وتدفع عن بلادها بلاء الاوربيين ومطامعهم فتم لها ما أرادت وأصبحت عضواً في هذه الندوة السياسية العليا ، لها ما لسائر الاعضاء من الحقوق ، وعليها ما عليهم من الواجبات والفروض

والاحباش اشداء وأهل بطش وقوة . ولكن عدد جيشهم لا يزيد عن مائة وخمسين الفاً على الاكثر وأغلبه مسلح بالبنادق القديمة ، محروم من التهذيب العسكري الحديث . أما عدده الحربية فهي قليلة جداً ولا تعد شيئاً مذكوراً بالقياس الى عدد الاوربيين وعتادهم الحربي الجديد

٢ - مطامع أوربا في الحبشة

وطد الاوربيون العزيمة في القرنين الماضيين على مهاجمة الشرق ، ان لم يكن بالجيوش والاساطيل ، فبالشركات ورءوس الاموال . فأعدوا للامر عدته ، واستخدموا كل ما عرفوه من ضروب الحيل ، وأساليب الخداع والدسائس ، فما هي عشية أو ضحاها حتى كتب الظفر لجنودهم الزاحفة ، وعقدت رايات النصر بألوية شركاتهم الضاربة في طول البلاد وعرضها . وكان لهذا النجاح الباهر عوامل ساعدت عليه أعظمها خمول الشرقيين وتخاذلهم ، وخور عزائمهم عن اقتحام الصعوبات في سبيل الحياة والارتقاء ، وعجزهم عن تقدير قيمة الحرية والاستقلال

لقد اقتسم الاوربيون الشرق اقتسام الارزاق ، وباعوا أهله بيع السلع فما انتهوا من بلد شرقي الا وتمسكوا بتلابيب أخيه ، وما تم لهم الفوز في بقعة قديمة ، الا وبدأوا باستعمار بقعة جديدة ، وما زالوا كذلك حتى أتوا على آخر بلاد الشرق ، ولم يفلت منهم الا من رحم ربك ، فحينئذ دب دبيب الخلاف بينهم ، وتنازعوا على تقسيم ما بقي في الشرق من مرافىء تجارية ، وبلاد خصبة شهية

وكانت بريطانيا وفرنسا في طليعة المتنافسين ، فما اقدمت واحدة منهما على اقتناء مستعمرة جديدة الا وامطرتها الثانية بوابل من الاحتجاجات ، وطالبتها بأمور لا قبل لها بها . وقد بلغ التنافس أشده بين الدولتين في أواخر القرن الماضي . بيد ان الموسيو دلكاسه وزير خارجية فرنسا الذي يعد من دهاقين السياسة في هذا العصر ، قد ادرك خطر هذا التنافس والتباعد عن بريطانيا ، وما يؤول اليه من اضعاف حكومته ، وشد عزائم عدوتها المانيا ، فحال دونه بدهاء وحنكة

لقد أيقن الوزير بالخطر فلم يتأخر عن توجيه ابرة سياسته نحو الشمال ، وخوض عباب بحر المانش ، ليحيي عاهل الانكليز ادوارد السابع

وكان ادوارد السابع ينظر يومئذ بعين القلق الى رقي المانيا الاقتصادي ، وتقدمها الصناعي السريع ، وتزايد بوارجها الحربية ، وتكاثر سفنها التجارية ، ويتحين الفرص لانقاذ بلاده من منافسة اقتصادية ومزاحمة صناعية لا يعلم نتائجها الا الله . فلما رأى دلكاسه يحييه بشّ في وجهه ، ورد عليه تحيته بتحية مثلها بل أحسن منها . ووقع معه على المعاهدة الودية المنعقدة بين الحكومتين سنة ١٩٠٤ ، فحسما بها كل المسائل المعلقة بينهما وفي جملتها قضية مصر ، ومسألة مراكش

وكان سبق لبريطانيا العظمى - التي احتلت بلاد السودان مع الجيش المصري ، وعقدت مع خديوي مصر اتفاقيتها بشأنه سنة ١٨٩٩ - أن تبادلت سنة ١٩٠٢ مع المنليك امبراطور الحبشة المذكرات بشأن انشاء مشروعات للري على بحيرة تسانا لحجز مياه النيل الازرق . فأثار ذلك الجشع في نفوس الطليان والفرنسويين . فالطليان ، المحرومون من مستعمرات تدر عليهم السمن والعسل ،

السابقون جميع حكومات أوربا الى التحرش بالحبشة والاستقرار على مقربة منها ، والمغامرون بجيوشهم في صحاريها المحرقة وجبالها الباردة العاتية ، لا يمكن أن يرضوا عن توسع بريطانيا السلمي في بلاد يريدونها لانفسهم وكذلك الفرنسويون الطامحون في زيادة ملكهم سعة ، والعاملون جهدهم للاستعاضة من افريقية القريبة منهم ، عما فقدوه في الهند وشمالي أميركا ، لا يعقل أن يرتاحوا لعمل بريطانيا التي تقف دوماً عقبة في سبيل أغراضهم ومراميهم الاستعمارية . ولكن لما تم الاتفاق بين الحكومتين سنة ١٩٠٤ ، انقلب التطاحن الى تفاهم ، والمزاحمة الى مقاسمة ، وبدأت المفاوضة على هذا الاساس بين الحكومات الثلاث المذكورة بشأن الحبشة فأدى ذلك الى عقد اتفاق سري معروف بمعاهدة ١٩٠٦ قضى به على استقلال هذه الدولة المستقلة الوحيدة في افريقية كلها

وقبيل دخول ايطاليا في الحرب العالمية الى جانب الحلفاء عقدت معاهدة مع فرنسا وبريطانيا، نالت بها حق تصحيح حدود مستعمراتها ، واكتساب بعض المنافع في البلاد الافريقية ، اذا تم النصر للحلفاء . ولما انتهت الحرب طالبت حليفاتها بانجاز الوعود ومن جملتها ، أن يكون لها وحدها حق النفوذ الاقتصادي في غربي الحبشة . ولكن وزارة لويد جورج لم توافقها على هذا الطلب وذلك سنة ١٩١٩ لان معاهدة ١٩٠٦ كانت تقتصر على الاعتراف لها بنفوذ اقتصادي بتلك المنطقة دون أن يكون النفوذ خاصاً بهـا . بيد ان ايطاليا لم تقتنع بجواب بريطانيا ، ولم تتنازل عن مطالبها ، وظلت مترقبة الفرص الى أن تولى رياسة الوزارة فيها الديكتاتور موسوليني الذي عرف بحب التوسع والبسطة ، ووقعت بريطانيا في مأزق حرج مع الاتراك المتعنتين في مسألة الموصل احتاجت فيه الى قوة طائشة تهددهم بها . فزار حينئذ اوستن تشمبرلين وزير خارجية بريطانيا ربالو، وافهم السنيور موسوليني قبول بريطانيا الصيغة الايطالية بشأن الحبشة ، مقابل رضا ايطاليا عن المشروعات المراد انشاؤها على بحيرة تسانا فتم لايطاليا ما كانت تصبو اليه ، ثم هاجمت الصحف الطليانية حكومة تركيا ،وهددتها باحتلال جزء من صميم بلادها ، فخشي الاتراك عواقب الامر ورضوا بقرار جمعية الامم بشأن الموصل ، فنالت بريطانيا ما كانت تبتغيه

وبعد أن تم ذلك كله في اجتماع ربالو تبادل الفريقان المذكرات التي ما زال القارئ يذكرها لحداثة عهدها وقرب انتشارها في الصحف الاوربية والمصرية . ثم أرسل وزير بريطانيا المفوض في اديس ابابا في ٩ يونيو بلاغاً الى حكومة الحبشة أرفق به نسخة من المذكرات المذكورة ، قال فيه : انهُ على استعداد تام لكل ايضاح يزيل ما عسى ان يعلق بنفس الرأس تفاري من شك وريبة في معنى احدى فقرات المعاهدة ، وان المعاهدة لا تمس حقوق الحبشة ولا سيادتها بشيء . وحذا حذوه وزير ايطاليا المفوض في اديس ابابا فأرسل مذكرة مثل هذه ، في اليوم نفسه ، الى الرأس تفاري

وقد احتجت الحبشة لدى جمعية الامم على هذه المذكرات . وأرسلت احتجاجها الى السكرتير العام للجمعية في ١٩ يونيو سنة ١٩٢٦ . وتلقت منه جواباً مؤرخاً في ٢٢ يونيو ، ذكر فيه : انهُ قد ارسل احتجاجها الى الحكومتين البريطانية والايطالية فعند ورود الجواب منهما يبعث به اليها، ثم سألها عما اذا كانت تريد وضع هذه القضية في برنامج أعمال مجلس جمعية الامم الذي سيجتمع في ٢ سبتمبر ام لا ؟

وفي ٣ اغسطس ١٩٢٦ بعثت حكومة بريطانيا الى السكرتير العام لجمعية الامم رداً على مذكرته يبرر فيه موقفها اتجاه الحبشة ، وقبل يوم واحد من ذلك التاريخ وقف اوستن تشمبرلن في مجلس النواب البريطاني وأدلى بتصريحات ابان فيها ان ليس لاتفاق رمالو ادنى مغزى سياسي ، ولا معنى سوى ان الدولتين الايطالية والانجليزية تتعهدان بألا تزاحم احداهما الاخرى في شأن الامتيازات التي تحصل عليها كل منهما ، الى غير ذلك من الاقوال التي تغنينا مطالعة الصحف اليومية عن تكرارها

وقد انتهى الامر بأن ارسل الرأس تفاري مذكرة قبيل انفضاض جمعية الامم في شهر سبتمبر ١٩٢٦ الى السكرتير العام لجمعية الامم قال فيها « ان حكومة الحبشة تسجل التفسير الذي فسرت فيه الحكومتان البريطانية والايطالية المعاهدة وارسلته الى جمعية الامم ، وتحتفظ لنفسها الحق في الرجوع اليه ، اذا لم تجيء اعمال الدولتين منطبقة على اقوالها في المستقبل » ه

※ الفوائد التي جنتها بريطانيا وايطاليا من اتفاق رمالو ※ يلوح من فحوى المذكرات ان بريطانيا ستنال في بلاد الحبشة بمساعدة ايطاليا الامتيازات الآتية :

١ً — انشاء خزان في بحيرة تسانا داخل منطقة النفوذ الايطالي

٢ً — انشاء طريق للسيارات بين بحيرة تسانا والسودان

وان ايطاليا ستحصل من الحبشة بمؤازرة بريطانيا على الامور التالية :

١ً — انشاء سكة حديدية من حدود الاريترية الى حدود الصومال الايطالي واستثمارها

٢ً — بسط النفوذ الاقتصادي على غربي الحبشة ، وفي كل البلاد التي تجتازها السكة الحديدية المذكورة والحصول على جميع المطالب المتعلقة بامتيازات اقتصادية في هذه المنطقة الايطالية

[في الجزء القادم تتمة هذا البحث] فوزي الغزي



مكافحة الحر

ليس كل انسان قادراً على تخفيف الحر بالمراوح الكهربائية . ولكن ربات البيوت يتلافين حر الصيف في المساكن بفتح النوافذ في الصباح من الساعة السادسة الى الثامنة مثلاً ثم اقفالها حتى الساعة الرابعة أو الخامسة بعد الظهر . ولكن اذا كان المسكن ضيقاً صغير الغرف معرضاً للجهة الجنوبية أو الغربية فان هذه الطريقة لا تنفع كثيراً لأن تسلط الاشعة على النوافذ يؤثر في حرارة المسكن . ويحسن عندئذ أن نتبع الطريقة اليابانيـة وهي أن تكون الالواح الزجاجية للنوافذ مزدوجة حتى لا تنتقل الحرارة الخارجية الى المنزل

هذا ما يجب على الانسان أن يعمله بمنزله أما ما يجب عليه أن يعمله مع نفسه فهو تخفيف الافطار في الصباح وفي الغداء ولا بأس من أن يقيل بعد الظهر اما استلقاء واما نوماً مع عدم الافراط حتى لا يسمن . ولكن راحة القيلولة ضرورية في الصيف لانها تمنع كثيراً من الامراض العصبية

واذا شعر الانسان بالحر فهو يمكنه أن يخفف تأثيره بأن يبل ساعديه بأن يضعهما تحت الماء المصبوب مدة ما . ولرؤية الماء البارد ولو كان في كوب قريب به قطعة من الثلج تأثير ذهني يلطف الاحساس بالحر . وكذلك لمسح الوجه من وقت لآخر بالكحول المعطر تعطيراً خفيفاً تأثير منعش يكسر شرة الحر

ومن الضرر الكبير أن يجهد الانسان نفسه و يقسرها على العمل المضني اذا كان يجد الحر شديداً مرهقاً . وانما الواجب في هذه الحالة التوقف عن العمل أو السير فيه بهوادة . واذا لم يكن بالغرفة مروحة والعرق يتصبب وجب فتح النوافذ مهما كان الحر شديداً لأن الحر في هذه الحالة يكون في الخارج أخف مما هو في الغرفة لأن الهواء الخارجي أجف وهو لذلك يبخر العرق و يلطف حرارة الجسم

العمر الطويل والغذاء

قبل خمسين سنة لم يكن احد يبلغ المائة من العمر . واذا بلغها كان اعجوبة زمانه يتحدث عنه النـاس . اما الآن فكثير من الناس يبلغ التسعين والمائة واحياناً يفوقها . والسبب في ذلك ان الناس يعيشون الآن معيشة انظف واعقل مما كانوا يعيشون قبل نصف قرن . فالبيوت الآن

انظف مما كانت حين كان الطبخ بالفحم والاضاءة بالبترول والماء يستقى من بئر أو يشترى بالقربة · واعتاد الناس الاعتدال في الطعام والشراب فلا تجد احداً يدمن الشراب الآن وكذلك لا تجد النهم الذي كان يدعو الى الاستكراش والسمن · وأدى تقدم الحضارة الى نظافة المدن فقلت الامراض او زالت · ومما تفتخر به مدينة لندن ان الحدأ التي تلتقط فضلات البيوت قد انقرضت منها من مائتي سنة وانقراضها لا يدل على عناية الحكومة وحدها بنظافة المدينة بل يدل ايضاً على عناية الاهالي

واذا نحن صرفنا النظر عن قيمة النظافة في اطالة العمر بين جميع السكان بقي عامل آخر هو احد الاسباب في طول بقاء المعمرين وهو قلة الطعام · فان كثيراً من المعمرين وخاصة اذا كانوا من النساء اللواتي لا يجهدن انفسهن يعمرون كثيراً ويكون غذاؤهم قليلاً · والمظنون ان قلة الجهد مع قلة الغذاء هي أضمن طريق للتعمير اذا كان الانسان قد جاز الستين او السبعين · ويجب ألا ننسى ان السلحفاة وهي حيوان يعمر الى نحو ١٥٠ سنة لا تغتذي الا بالقليل من الغذاء ولكنها ايضاً بطيئة الحركة لا تجهد نفسها · وعلى ذلك نقول انه اذا كانت قلة الغذاء تجعل الكهل او الشيخ يعمر فانها قد تؤذي الشاب

الالوان والصحة

منذ ان شرع الانسان يتحضر بل قبل ان يتحضر كان يصبغ نفسه بالاصباغ المختلفة على سبيل التجمل والزينة · فلما شاع اللباس اخذ يصبغ ملابسه يجلب الاصباغ من ابعد الاماكن ويتكلف في سبيلها التكاليف الكبيرة لكي يرى الالوان الزاهية · فكان يجمع صدف المحار الملوّن ويسحقه ويستخرج منه بعض الاصباغ · وكان يجمع بعض الحشرات ويستخرج منها ألوانها كما انه كان يستعمل الاصباغ المعدنية مثل المغرة وغيرها · وكان يستخرج من الاخطبوط حبره وكان الفينيقيون في صور مشهورين باستخراج الصبغة الارجوانية من حلزون بحري · وكان الارجوان لون الثياب الامبراطورية في الدولة الرومانية

ولما شاع استعمال النيل الصناعي وأمكن استخراج الاصباغ المختلفة من قطران الفحم كف الناس عن الطرق الشاقة القديمة في استخراج الاصباغ من الحيوانات · ولم يكن غرام الناس بالاصباغ الا لما لها من الاثر المنشط او المبهج · ولذلك اخذ الاطباء والعلماء يدرسون هذا الاثر ويستعملونه في شفاء المرضى وخاصة العصبيين منهم · فاللون الاخضر يهدىء الاعصاب ويجلب النوم ولذلك يحسن استعماله في غرف النوم · اما اللون الاحمر فمثير للاعصاب · والاصفر والبرتقالي كلاهما منشط · اما الازرق والارجواني والاسود فانها كلها تكرب النفس

وفيات الاطفال في مصر

قد يتوهم الناس ان المعيشة في المدن أصح من المعيشة في الريف لما فيها من وسائل الصيانة الصحية المديدة · ولكن يبدو من الاحصاءات ان هذا وهم لا حقيقة له وانه اذا صح على طائفة قليلة من الاغنياء الذين يعيشون في ترف المدن ورفاهيتها فانه لا يصح عن معظم السكان الفقراء وذلك لان ازدحامهم في مساكن ضيقة قد لا تنفذ اليها أشعة الشمس المطهرة يزيد عدد الوفيات بينهم · فان وفيات الاطفال تبلغ في الاسكندرية ٢٢٣ في الالف من المواليد بينما هي في الوجه القبلي ١٥١ وفي الوجه البحري ١١٧ · ثم ان مجموع الوفيات يبلغ في الاسكندرية ٣١ في الالف بينما هو في الوجه القبلي ٢٥ وفي الوجه البحري ٢٤

ولكن العناية بالمدن وخاصة بمنازل العمال وانشاء المتنزهات في احيائهم تقلل هذه الوفيات كما هو ظاهر من احصاءات الوفيات في انجلترا اذ هي تبلغ في الاطفال ٧٥ في الالف من المواليد وتبلغ مجموع الوفيات ١٢ في الالف

ومما يسرنا ذكره ان مدينة الاسكندرية غير غافلة عن الحالة الصحية فيها وانها لذلك تنوي بناء منازل للعمال تستوفي فيها الشروط الصحية

البترول في المنزل

ألزم المواد للمنازل في الصيف هو البترول · فاذا مسحت به كل يوم غرفة من غرف المنزل اثاثها وارضها كان ذلك اضمن ما يمكن عمله للنظافة ولمنع الذباب وايضاً لتنصيع الاثاث · فهو مادة معقمة مطهرة سهلة الاستعمال رخيصة الثمن · ولكن أهم ما ينبغي تنظيفه بالمنزل هو المطبخ · وربة المنزل الذكية لا تفتأ تنظفه وتنصعه طول النهار مرة ومرتين وثلاثاً · ولو نظف بالبترول لكان ذلك أضمن لنظافته ولكن يخشى من شبوب النار فيه · ولذلك يجب اخراج الطباخ منه واقفاله مدة ما بعد تنظيفه بالبترول · وليس شيء يدل على نظافة ربة البيت وذكائها مثل نظافة المطبخ لان كل الغرف الاخرى يمكن التسامح في نظافتها الا المطبخ فان اقل تهاون فيه قد يحدث وفاة احد افراد البيت لان الطعام يتلوث فيه او يتعفن فينتقل الى متناوليه طائفة من الامراض الخطيرة



نقل العين

روت احدى الصحف العلمية ان الاستاذ جوبو قد استطاع نقل عين السمندل اي انه فقأ عين سمندل ثم نقل الى مكانها عين سمندل آخر فأمكنه ان ينظر بها

وأجرى الدكتور بلاط جملة تجارب في نقل عيون السمك والارانب والدجاج . فنجح في ١٩ سمكة من ٣٤٠ ونجح في ارنبين ولكنه لم ينجح في الدجاج . ومع ذلك كان نجاحه في كل هذه الحالات مقصوراً على بقاء العين حية تغتذي بدم الحيوان الذي نقلت اليه ولكنها فقدت قوة الابصار حتى في السمك . وعلى ذلك يمكن ان يقال ان العملية لم تنجح تماماً الا في السمندل

هل من حواس جديدة للانسان ؟

حواس الانسان ومعظم الحيوان خمس تختلف قوة وضعفاً باختلاف الحيوان . فالانسان مع استثناءات قليلة يكاد يكون أقوى الاحياء في حاسة البصر . ولكن الكلب يفوقه في الشم . وبينما الانسان يفوق معظم الحيوان في دقة اللمس والذوق فان كثيراً من الحيوان يفوقه في السمع

ولكن هل هنالك حاسة سادسة او هل ينتظر ان تنشأ في الانسان حواس جديدة سادسة وسابعة وهلم جراً ؟

ان استقراء احوال الحشرات يدل على ان في بعضها حاسة سادسة لا وجود لها في الانسان . مثال ذلك انك اذا اتيت بفراشة انثى ووضعتها في زجاجة واحكمت اقفالها بالغراء والمواد المختلفة الرائحة ثم وضعت الزجاجة داخل زجاجة اخرى صفيقة لا تشف واحكمت ايضاً اقفالها وكررت هذا العمل بأن تضعها داخل زجاجة اخرى ، فبعد كل ذلك وبعد ان تمنع احتمال الشك في تسرب الرائحة تجد انك اذا وضعت هذه الفراشة في وسط تجول فيه ذكرانها تتكأكأ هذه الذكران حولها وتحاول الدخول اليها . وعلماء الحشرات يعتقدون ان في الفراش حاسة سادسة تميز الاهتزازات التي تحدثها الفراشة بأجنحتها

ومن المعروف اننا نميز الاصوات والمرئيات بالاهتزازات لان الضوء والصوت كلاهما اهتزاز يحدث في الفضاء ويبلغ اعيننا او آذاننا . ولكن ليس لنا مثل الفراشة حاسة تشعر باهتزاز اجنحتها

وهناك من الاشياء ما يشق علينا التفكير فيه مثل مسألة الازل او الابدية فانه لا يناقش احدنا الآخر فيها حتى يرتبك الاثنان . فلعل هذا الارتباك يرجع الى اننا ليس عندنا مركز عصبي

خاص يدرك الابدية فلن ندركها تماماً حتى تكون لنا حاسة سادسة . وهناك مسألة البعد الرابع الذي يقول به اينشتين فانه يشق على كثيرين . ولعل ذلك لان المركز العصبي الذي يدركه لم يتكون بعد في معظم الناس

وما دامت الحواس تتفاوت وبعضها لا وجود له عند بعض الحيوان فانه من الممكن بل الارجح ان تنشأ حواس جديدة في الانسان تتطلبها الظروف الراهنة او المستقبلة

السرطان والديبيطس

مما لوحظ في السرطان وانتشاره انه يلازم بعض المنازل او البقع فيكثر فيها دون غيرها . فقد حدث مثلاً ان كثرت الاصابة في منزل يقع فوق مخبز حتى علل الاطباء ذلك بأن صراصير المخبز هي التي تنقل العدوى به . والصراصير تكثر عادة في المخابز

والآن يقول الدكتور لوفيل الفرنسي ان الديبيطس او البول السكري تكثر الاصابة به في بعض البقع اكثر من غيرها . وان هذه البقع التي يكثر فيها الديبيطس هي نفسها التي يكثر فيها السرطان

فاذا صح ذلك فان عقدة جديدة تزداد على مسألة السرطان التي لا يزيدها الزمن غير تعقيد فان هذا المرض الذي لم يكن يصيب سوى الكهول اصبح يصيب الآن من هم دونهم في السن حتى صارت الاصابات به اكثر من الاصابات بالتدرن في بعض الامم

السينماتوغراف والكلب

قام الدكتور مندل بتجربة تدل على عقل الحيوان وما يستثير عواطفه . فان من المعروف أن الكلب ينبح الكلاب الغريبة لاول رؤيتها و يحاول أن يشتبك معها في قتال. ولذلك جاء الدكتور مندل بجملة كلاب ووضعها بحيث ترى كلاباً تعدو وتنبح على لوحة السينماتوغراف. ولكن الكلاب لم تتحرك البتة ولم يثر عواطفها مرأى كلاب السينما . فاستنتج من ذلك أن الكلب يعتمد في اتصاله بالحقائق على الانف لا على العين

أما القطط فقد استثيرت برؤية الكلاب والقطط على لوحة السينما . وليس هذا غريباً فان القط نشأ على الاشجار فكان يستعمل عينيه اكثر مما يستعمل أنفه أما الكلب فقد نشأ على اليابسة يتشمم الطريق ليعرف روائح الحيوان

تسميم الكحول في أميركا

يستخرج الكحول من الحبوب مثل الشعير وغيره . وهذا الكحول يشرب به الناس خمراً قليلة الضرر . ولكنه يستخرج ايضاً من الخشب وهو في هذه الحالة سام قد يصيب من يشربه بالعمى

لاول جرعة يتناولها منه · وقد لا يبرأ المصاب بهذا العمى مدى حياته

ولكن الكحول المستخرج من الحبوب يباع بالصيدليات باذن الطبيب · وقد وجدت حكومة الولايات المتحدة ان كثيرين من الاطباء والصيادلة يسلمون هذا الكحول لمن يطلبونه بأوهى الاسباب حتى قامت الصيدلية مقام الحانة · فعمدت الى كحول الخشب السام ومزجت به جميع الكحول الذي يباع بالصيدليات وكانت نتيجة ذلك ان مات كثيرون ممن لا يزالون يشربون الخمر او اصيبوا بالعمى

وقد هاج الرأي العام في اميركا على الحكومة حتى قال الدكتور بطلر مدير جامعة كولمبيا ان عمل الحكومة هو بمثابة القتل العمد · فاننا اذا سلمنا ان الرجل الذي يسكر يخطىء فان خطأه يجب ألا يكون عقابه القتل او العمى

وقد اضافت الحكومة الى الكحول كمية من البترول لتجعله ماسخ الطعم كريه الرائحة ولكن الشريب المدمن لا يعاف الخمر لرائحتها او طعمها · ولا تزال الحكومة تبحث عن مادة اخرى تجعل الخمر التي تبيعها الصيدليات باسم الكحول غير سائغة

الشبان والتعليم العالي

يقول الدكتور فونس مدير جامعة براون في اميركا ان اقبال الناس على تعليم اولادهم بالجامعات ليس مما يمدح على الدوام · فان نصفهم او ثلثيهم لا يليق للتعليم العالي بالجامعات اذ ان كثيرين منهم يفشلون ويخرجون في منتصف الطريق وهم يعتقدون انهم دون سائر الشباب فيؤثر فيهم هذا الاعتقاد مدى حياتهم · ثم ان اولئك الذين يحصلون على درجات الجامعة ليس لهم من الكفايات الاصلية ما يحملهم على الدرس مدى حياتهم

ويقول الاستاذ مكدوجال ان نصف المتخرجين من كليات الطب لا يستوعبون المعارف الطبية · ويقول غيره ان كثيرين من الشبان والفتيات يؤثر في صحتهم المجهود اللازم للدرس بالجامعات فهم لا يجوزون الامتحانات الا بعد خسران صحتهم

وخلاصة القول ان التعليم العالي يجب ان يقصر على ذوي الكفايات الكبيرة من الشبان وألا يغتر الآباء بأبنائهم فيرسلوهم للجامعات وان لم يكونوا اهلاً لها

الخليوز من التبن

التبن هو أقل انواع العلف قيمة · وكثيراً ما يلقيه الفلاح على التراب لكي يجعله سماداً كما يلقي الاقذار · ولكن كيماوياً مجرياً يدعى دورنر قد اهتدى الى طريقة يمكن بها استخراج الخليوز منه · والخليوز هو المادة التي يصنع منها الآن اشياء كثيرة مثل الباغة والحرير الصناعي وأشرطة

السيناتوغراف والورق · وقد كان هذا الخليوز يستخرج الى الآن بطرق شاقة من رُب الخشب ولكن هـذا الكيماوي المجري اثبت ان خليوز التبن يفضل خليوز الخشب · وعلى ذلك سيجد الفلاحون فائدة جديدة للتبن

الرصاص والسرطان

كتبت الصحيفة الطبية الانجليزية مقالاً عن معالجة السرطان بالرصاص قالت فيه ان في السنوات الخمس الماضية عولج ٢٢٧ اصابة في لفربول بالرصاص · فكانت النتيجة ان وقف سير المرض في ١٠ اصابات وان الشفاء تم في ٣١ اصابة · ومات ١٠٨ من المصابين منهم ١٠٢ من السرطان نفسه و ٦ من الرصاص

اليهود في رومانيا

لم يكن الناس قبل الحرب الكبرى يسمعون عن الاضطهادات الا في تركيا حيث كان الارمن يقتلون من وقت لآخر أو في روسيا حيث الروس ينفون اليهود و يقتلونهم . ولكن الارمن في تركيا الجمهورية يعيشون الآن في امن وطمأنينة وكذلك اليهود في روسيا يعدون من اخلص الناس للشيوعية

ولكن رومانيا تأبى الا ان تعيش في القرون الوسطى فان اضطهاد اليهود لا يزال قائماً فيها · والعجب في أخبار هذه الاضطهادات ان الحكومة والجامعات تروجها · فان الحكومات الرومانية على ما يقال الآن تبعد اليهود من بلادهم وتحدد حقوقهم · اما في الجامعات فان الطلبة اليهود يقاسون مرارة الذل فقد قتل احد الطلبة ولم يحكم على قاتله بشيء · وفي كلية الطب في بوخارست أغار الطلبة المسيحيون بمساعدة رؤسائهم على الطلبة اليهود وضربوهم وأنزلوا بهم ضروباً من الهوان

الذهب في العالم

يقدر الذهب في العالم بأقل من الفي مليون جنيه وقد بدلت الحرب الكبرى توزعه على أقطار العالم وكانت أميركا هي الرابحة بذلك · وهاك مقدار المدخر من الذهب عند الامم الكبرى بالجنيه الانجليزي :

٥٨٠	مليوناً بالولايات المتحدة	٨٢	بارجنتينا
١٣٢	« بفرنسا	٥٨	بالمانيا
١٢٠	« بانجلترا	٤٤	بايطاليا
١١٧	« باليابان	٤٠،٥	بكندا
٨٨	« باسبانيا	١٨	بهولندا

علاج المصل للروماتيزم

روت احدى المجلات العلمية ان الدكتور سمول قد اهتدى الى العثور على ميكروب خاص بالروماتيزم (اي وجع المفاصل) وانه يعمل الآن في تحضير مصل يعالج المصابين به منه

أقوى عضلة

أقوى عضلة هي القلب فانه يمكن قلب الانسان ان يدق في الدقيقة بين ٤٥ و ١٨٠ دقة . ومتوسط ما يدقه في اليوم ١٠٠٠٠٠ دقة . ويمر منه في الساعة نحو ٥٤٠ رطلاً من الدم

ومتوسط وزن القلب في الرجل نحو ١٠ أو ١٢ أوقية وفي المرأة يتراوح الوزن بين ٨ و ١٠ أوقيات

نشاط وزارة المعارف المصرية

يؤخذ من تقرير لوزارة المعارف المصرية انه سيفتتح في العام المدرسي القادم ٣٥٨ فصلاً جديداً يقدر عدد طلبتها من بنين وبنات بـ ١٣٦١٥ نسمة وهذه الفصول في جملة مدارس جديدة أو زيادات على مدارس قديمة . فمن المدارس الجديدة التي ستفتتح ٣ ثانوية و ٦ فنية ومدرسة ابتدائية للبنات و ١٧٠ مدرسة أولية الزامية و ١٠ أقسام ليلية للعمال و ٥ مدارس لابناء الموظفين بمصلحة السكك الحديدية المصرية

فلسطين وسكانها

يبلغ عدد سكان فلسطين حسب الاحصاء الاخير ٨٨٧٠٠٠ منهم ٦٤١٠٠٠ مسلم و ١٥٨٠٠٠ يهودي و ٧٨٠٠٠ مسيحي . وعلى هذا يكون اليهود قد تضاعفوا منذ سنة ١٩٢٢ وهذا يدل على قوة الحركة الصهيونية

تربية الدواجن

يعمل قسم المباحث في جامعة ادنبرج في ايجاد سلالة أو سلالات من الخراف ذوات صفات يرغب فيها . وقد توصل الى استنتاج سلالة غزيرة الصوف لا تلد الا التوائم . واستنتج سلالتين من البقر والجداء كثيرة اللبن



أدب وتاريخ . تأليف الدكتور محمد صبري

طبع الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة وهو ٣٤٠ صفحة متوسطة

الدكتور محمد صبري كاتب معروف يجيد النقد ويعاير الادب العربي بمعايير حديثة . وله فضل لا ينكر في اظهار القراء على شخصيتين عظيمتين في الشعر المصري هما محمود باشا سامي البارودي واسماعيل باشا صبري ٠ وقد أبدع في نقدهما وتصويرهما

وقد جمع طائفة من مقالاته وأبحاثه في هذا المجلد الانيق . فكتب عن الشاعرين المذكورين ١٥٦ صفحة ٠ ثم كتب عن الحركة الاستقلالية في ايطاليا نحو ٩٠ صفحة ٠ أما سائر الكتاب فمقالات قصيرة مما نشر سابقاً في الصحف

ونحن ننقل القطعة التالية من مقال « القديم والجديد » :

« على أن الاديب الناقد يرى في كل شاعر عظيم صورة من صور الجمال ان لم تمل نفسه اليها فليس أقل من أن يوفيها حقها إجلالاً ، وقد أخطأ من قال « هل غادر الشعراء من متردم » فان الذكاء البشري لا ينفد وان تباينت أشكاله بتباين الازمنة والافراد والجماعات . ولو أمكن طائفة من الناس أو امة من الأمم الاستئثار بالذكاء والتفرد بالنبوغ في جميع أطوار حياتها لاختل نظام هذا العالم ، وما أصدق البحتري الذي يقول :

لولا التباين في الطبائع لم يقم بنيان هـذا العالم المجبول

« فلكل فرد ، ولكل امة ، ولكل جيل شخصية يجب أن تظهر في أعماله وآثاره ٠ ولكل فرد ولكل امة ، ولكل جيل مثل أعلى في الحياة ٠ وقد تتجلى الشخصية في التجديد الحر الذي يتلاءم مع الذوق السليم . ويحسن بكل أديب منا في حياته الاولى أن يدرس الأدب العربي القديم والادب الغربي الحديث درساً وافياً يهذب ذوقه ويهيئه للابتكار والتجديد ٠ وقد قطع بعض المعاصرين من أئمة البيان شوطاً بعيداً في هـذه السبيل ولكننا ما زلنا بعيدين من الغاية ٠ فلنجدد فان في ذكائنا ، وفي لغتنا وآدابنا ، وفي أرضنا كنوزاً دفينة لم تهتد العبقرية اليها فتخرجها لنا سبائك من الذهب المصفى . ولنجدد فان في التجديد مظهراً من مظاهر الشخصية القوية ومعنى من معاني الحياة »

والكتاب مجموعة ثمينة من الافكار الشائقة في اسلوب انيق

الاعلام . تأليف خير الدين الزركلي

طبع بالمطبعة العربية بمصر . والجزء الاول ٤٠٠ صفحة كبيرة

الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر . وهذا المجلد ينتهي الى حرف السين . وفي كل صفحة نهران يذكر اسم العلم ثم يليه تاريخ ولادته ووفاته بالسنة الهجرية والميلادية ثم مختصر ترجمته . وقد قال في المقدمة :

« وتعمدت الايجاز ما استطعت . ولم أتعرض للأحياء من المعاصرين مخافة الوقوع في ما لا أحمد ، والانسان قد يتغير . واثبتُ تراجم طائفة من المتأخرين قد أكون أهملت كثيراً من طبقتهم من المتقدمين ، ثقةً بأن كتب المؤرخين مفعمة بأخبار هؤلاء ، وحرصاً على استبقاء ما لم يدوَّن من سير أولئك

وجعلت ميزان الاختيار أن يكون لصاحب الترجمة علم تشهد به تصانيفه ، أو خلافة أو مُلك أو إمارة ، أو منصب رفيع – كوزارة أو قضاء – كان له فيه أثر يحمد ، أو رياسة مذهب ، أو فن تميز به ، او أثر في العمران يذكر له ، أو شعر ، أو مكانة يتردد بها اسمه ، أو رواية كثيرة ، أو أن يكون أصل نسب ، أو مضرب مثل . وضابط ذلك كله : أن يكون ممن يتردد ذكرهم ويُسأل عنهم »

ونحن نرجو للمؤلف الفاضل أن يتوفق الى اتمام هذا العمل النافع ونعتقد أن كتابه يجب ألا تخلو منه مكتبة عربية

مبادىء علم المالية العامة . للاستاذ محمد عبد الله العربي

طبع بمطبعة التقدم بالقاهرة صفحاته ١٦٤ من القطع الكبير مجلد بالقماش

هذا المجلد هو الجزء الاول من هذا الكتاب النفيس يبحث في نفقات الدولة وترتيب المرافق التي تنفق فيها الدولة واسباب الازدياد المستمر في النفقات العامة ونحو ذلك مما هو خاص بدرس ميزانية الدولة

وهذا الكتاب جديد في لغتنا يتناول موضوعاً نحن الآن في أشد الحاجة الى درسه وخاصة في النظام البرلماني الراهن حين يطلب من كل نائب بل من كل ناخب ان يعرف كيف تجمع ايرادات الدولة وكيف تنفق

والكتاب مبوب احسن تبويب يسهل على القارىء بحثه ودرسه . ونحن نرجو ألا تخلو مكتبة واحد من المشتغلين بالسياسة او الشؤون العامة من هذا السفر النفيس كما اننا نرجو أن يوفق المؤلف الى اتمام سائر الاجزاء

الجديد في البول السكري وعلاجه . للدكتور حسين الهراوي

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة صفحاته ١٤٠ من القطع المتوسط

البول السكري أو الديبيطس من الامراض المعضلة الفاشية بين الكهول والشيوخ والاقوال فيه كثيرة والعلاجات والادوية التي تذكر تعد ولا تعدد . ولكن يحسن بالمرضى به أن يقرأوا هـذا الكتاب الذي وضعه الدكتور الهراوي فقد أتى فيه على شرح واف للمرض وأعراضه ومضاعفاته وطرق علاجه وخاصة في ما جد من هذه الطرق وأنواع الاغذية التي يجب على المصاب تناولها . وهو حسن الطبع سهل العبارة يمكن القارىء العادي أن يفهمه

المعتمد . معجم تأليف جرجس شاهين عطية

طبع بمطبعة مكتبة صادر ببيروت صفحاته ١٠١٨ من القطع المتوسط

هذا معجم مختصر فيما يحتاج اليـه المتأدبون والمنشئون من متن اللغة العربية . يجري على الطريقة الابجدية وفي كل صفحة نهران تميز فيه مادة الكلمة الاصلية بقوسين واضحين ثم تتلوها الكلمات المشتقة كل منهما في سطر بين قوسين صغيرين . وهو موضح بالصور . ومجلد بالقماش

وقد جاء في المقدمة : «وعُنيت بالتنبيه الى الالفاظ المولدة والدخيلة مشيراً في المعرّب منها الى اللغة التي هو منقول عنها حيث أمكن ذلك . وأدمجت من الالفاظ الدالة على المخترعات الحديثة والمصطلحات العلمية ما تم عليه اتفاق علماء العصر وكتابه وتداولوه في كتاباتهم ومؤلفاتهم . وأهملت كثيراً من الالفاظ الحوشية التي لا ترد في الاستعمال . وحذفت كثيراً من الالفاظ البذيئة ...»

ولا شك ان الاستاذ عطية جدير بكل ثناء لهذا المجهود النافع

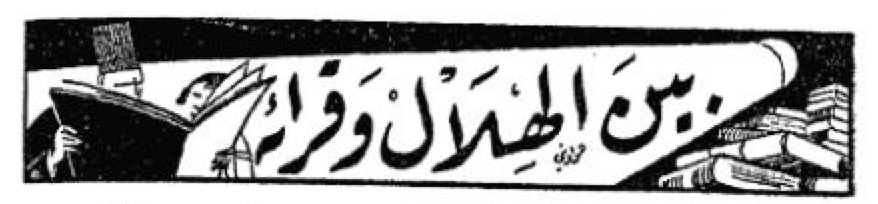
ما تراه العيون . للمرحوم محمد تيمور

طبع الطبعة الثانية بالمطبعة السلفية بمصر صفحاته ١٥٦ من القطع المتوسط

لقد أحسن الاستاذ محمود تيمور في اعادة طبع هـذه القصص والصور التي نشرها المرحوم شقيقه محمد تيمور في حياته القصيرة . وقد وضحت هذه الطبعة برسوم مختلفة تزيد قيمة الكتاب

وقد توفي المرحوم محمد تيمور سنة ١٩٢١ وهو في التاسعة والعشرين من عمره وكان قد نزع نزعة جديدة طرح فيها بذرة القصة أو الاقصوصة المصرية . وهي بذرة ميمونة قد نبتت الآن وأثمرت وصار عندنا كتاب يدرسون الوسط المصري ويؤلفون في وصفه ونقده . وشقيقه محمود تيمور هو خير من سار على نهجه حتى تطورت القصة على يديه وخرجت من الوصف «الكروكي» الى التحليل المتقن

وفي هذا الكتاب ١٨ قصة وخاطرة ووصف وكلها تدل على ملاحظات دقيقة تأخذ بلب القارىء



تنبيهات : (١) يكتب السؤال واضحاً مختصراً على حدة ويعنون باسم محرر « الهلال » (٢) لا ننشر الا الاسئلة التي نرى فيها فائدة لجمهور القراء (٣) لا نتعرض لما يمس الدين او السياسة (٤) قد نضطر الى تأجيل الجواب لكثرة الاسئلة لدينا (٥) يغفل السؤال اذا لم تستوف هذه الشروط أو اذا لم نعثر له على جواب

القنبلة الى القمر

❋ اسكندرية · مصر ❋ م · عبد الرحيم العلايلي

لنفرض اننا أرسلنا قنبلة الى القمر فكيف ندري بوصولها وكيف يرجع من فيها ؟

❋ الهلال ❋ ان كل ما يكتب في هذا الموضوع فروض وتخمينات وقد لا يتيسر تحقيق هذه التخمينات قبل آلاف السنين وقد لا يتيسر البتة · ولو كان الانتقال من عالم الى آخر بالسهولة التي يتوهمها الكاتبون في هذا الموضوع لكان الارجح أن الاحياء الراقية في العوالم قد غزت أرضنا · لانه يرجح اننا لسنا أرقى الاحياء في الكون كله وان أحياء العوالم التي تعد بالملايين لا يسكنها من الاحياء العاقلة التي تتكلم عن غزو العوالم الاخرى سواها

الوظائف والاعمال الحرة

❋ المحلة الكبرى · مصر ❋ محمد محمد شرف

ما هي علة تزاحم المصريين على مناصب الحكومة ورغبتهم عن الاستقلال في الاعمال الحرة ؟

❋ الهلال ❋ لما جاء سليم سلطان الاتراك الى مصر سنة ١٥١٧ حمل معه جميع الصناع المصريين الى الاستانة وكانوا يعدون بالآلاف · فماتت الصناعة في مصر · وكانت مصر قبل دخول الاتراك واسطة التجارة بين آسيا وأوربا فكان المصريون يشتغلون بالتجارة · ولكن هذه التجارة ماتت أيضاً لاكتشاف طريق رأس الرجاء حول افريقيا ولحروب الاتراك مع اوربا · ولم يبق أمام المصريين سوي الزراعة والوظائف · والعادة ان الانسان ينشأ مثل أهله · والشاب المصري لا يرى حوله من أعمامه أو أخواله من يشتغل بالتجارة أو الصناعة فهو لذلك يعمل عملهم ويشتغل بالزراعة أو يبحث عن وظيفة · وعلى ذلك فالاعمال الحرة لن ترقى وتنتشر الا بالتدريج وهي تحتاج الى مساعدة الحكومة وحماية الجمرك واحترام الرأي العام لها

لفظة جنتلمان

﴿ صور . سوريا ﴾ ر . خ .

كيف تترجمون الى العربية لفظة (Gentleman) الانجليزية ؟

﴿ الهلال ﴾ تختص بعض اللغات بألفاظ ومعان لا وجود لها في اللغات الاخرى كهذه اللفظة التي ذكرتموها فانها خصيصة بالانجليزية . وأقرب ما نترجمها به ترجمة عرفية غير لغوية لفظة السيد . ولا يمكننا أن نترجم الى الانجليزية مثلاً لفظة الشهامة . ولا العذول بالمعنى الذي يذكر به في الغزل العربي

علم الاخلاق في العربية

﴿ القاهرة . مصر ﴾ احمد مندور

ما هي أشهر الكتب الموضوعة في علم الاخلاق في العربية ؟

﴿ الهلال ﴾ أشهرها كتاب الاخلاق لارسطوطاليس وترجمه لطفي السيد بك . أما الكتب العربية القديمة فكثيرة مثل أدب الدنيا والدين وهو يعتمد على الرواية لا على التحليل . ولابن سينا وابن حزم والغزالي كتب في الاخلاق

المصرلوجية والبوجنية

﴿ بيروت . سوريا ﴾ ابراهيم غزالي

ما هي المصرلوجية وما هي البوجنية ؟

﴿ الهلال ﴾ هاتان لفظتان شاعتا حديثاً . ومعنى الاولى دراسة الآثار المصرية ومعنى الثانية دراسة الاحوال التي ترقي نسل الانسان وبعضهم قد زاد على ذلك لفظة نفسلوجية بمعنى علم النفس . ولوجوس لفظة يونانية تضاف الى أصول الكلمات لاستخراج معنى العلم

مدنية العراق

﴿ قليوب . مصر ﴾ عبد الشكور محمد

أي الممالك تضارع الآن مدنيتها مدنية العراق في العصور الماضية ؟

﴿ الهلال ﴾ لم يكن للعراق مدنيـة واحدة في العصور الماضية بل كانت له مدنيات . فهناك ظهرت مدنية بابل في الجنوب ومدنية آشور في الشمال . وهناك ظهرت مدنية الفرس . ثم مدنية العرب مدة الاسلام . وكل هذه المدنيات لا تضارع المدنية الحديثة وليس ذلك غريباً اذا عرفتم ان المدنية الحديثة تسبق العصر العباسي في العراق بأكثر من ١٢٠٠ سنة

أول من تكلم بالعربية

☙ يعقوبه . العراق ☙ عبد الغني عبد الرحيم

من أول من تكلم باللغة العربية ؟

☙ الهلال ☙ اذا كانت اللغات قد خلقت خلقاً فجائياً فقد يعقل أن هنـاك واحداً كان «أول» من نطق بهـا . ولكن الرأي الشائع الآن ان اللغات قد نشأت أصواتاً حيوانية غير واضحة ثم تطورت وارتقت ومنها ما بعد ارتقاؤه مثل الانجليزية حتى صارت كلماتها ربع مليون كلمة . ومنهـا ما لا تزيد كلماتها عن ٣٠٠ لفظة كما هي لغيات بعض الزنوج في افريقيا والمتوحشين في أستراليا أو أميركا الجنوبية . فاذا صدقتم نظرية التطور في اللغات لم يعد هنـاك مجال للقول بأن هناك واحداً من الناس كان أول من تكلم باللغة العربية

العواطف والتاريخ

☙ بغداد . العراق ☙ محمود حسن الدرة

هل يجب التجرد من العاطفة القومية والدينية عند كتابة التاريخ ؟

☙ الهلال ☙ اذا كان التاريخ فناً يراد منه ذكر حوادث الامة لاستثارة نخوتها الدينية او الوطنية فانه عندئذ يحتاج الى أن يكتبه رجل قد أشبعت عواطفه من الدين أو الوطنية . أما اذا كان التاريخ علماً ـ وهو في اعتقادنا يجب أن يكون كذلك ـ فانه يجب أن يتجرد المؤلف فيه من أغراضه ونزعاته أي من عواطفه على قدر امكانه

سكرتير في العربية

☙ منبج . سوريا ☙ أحمد عبد الواحد

ما معنى كلمة سكرتير بالعربية وما مهمته ؟

☙ الهلال ☙ كلمة ناموس تؤدي هذا المعنى في لغتنا . ومعنى اللفظتين كاتم السر . ولكن لفظة سكرتير أشيع من لفظة ناموس . ويشتق منها لفظة سكرتيرية ويصعب هذا الاشتقاق من لفظة ناموس

سكان القمر

☙ بيروت . سوريا ☙ م . م .

هل بالقمر سكان وما الدليل على ذلك ؟ وماذا يحدث لهم حينما يصغر القمر ويصير هلالاً ؟

☙ الهلال ☙ ليس هنـاك دليل على أن بالقمر سكاناً حتى ان بعضهم يقول انه ليس به هواء . ولو كان به سكان لمـا أثر فيهم كون القمر هلالاً . لانه لا يصغر وهو هلال . فانه

يحتفظ بجرمه كما هو وانما لا تصيب منه الشمس سوى الجزء الذي نراه بهيئة الهلال فاذا أصابته كله صار بدراً

تاريخ جرش

❊ الكرك · شرقي الاردن ❊ فواد طوقان

روت الصحف ان النقابين اكتشفوا تمثالاً للسيد المسيح في جرش يرجع الى القرن الثاني وكشفوا عن شارع يبلغ ثلاثة كيلومترات فما تاريخ جرش وأين نراه مفصلاً ؟

❊ الهلال ❊ عقدت المسز أرسين فصلاً في كتابها « مدن العرب الزائلة » عن جرش · وقالت انها كانت اغريقية ثم صارت رومانية ووصفت آثارها الرومانية · وقالت ان شارع الاعمدة يخرج من ميدان الفورم ويسير نصف ميل ويقطع هذا الشارع شارعان آخران تقوم على جوانبهما الاعمدة · وبشارع الاعمـدة ٧٥ عموداً لا تزال قائمة · وقد ذكرها ياقوت الحموي فقال انهـا كانت خراباً في عصره · قال : « حدثني من شاهدها وذكر لي انهـا خراب وبها آبار عادية تدل على عظم ··· قال : وفي وسطها نهر جار يدير عدة رحى عامرة الى هـذه الغاية وهي في شرق جبل السواد من أرض البلقاء وحوران »

وقد تبين الآن ان التمثال الذي قيل انه للسيد المسيح هو في الحقيقة لزفس الرب اليوناني

أصل الالبان

❊ ناصرية المنتفك · العراق ❊ عبد القادر علي

ما هو أصل الالبان ؟ وهل كانوا أمة مستقلة ؟

❊ الهلال ❊ أصل الالبان غامض ولكنهم دخلوا في الدولة الرومانيـة فكان الجزء الشمالي يتبع ولاية اليريا والجنوبي يتبع ولاية أبيروس من الدولة الرومانية · وفي سنة ١٤٧٨ ضم الاتراك البانيا الى أملاكهم · وقد استقلت مرة او مرتين في ثوراتها على الاتراك ولكن لم يعلن استقلالها الداخلي الا سنة ١٩١٣ حين انتخب لها أمير أوربي لكي يتولى عرشها

أصل جائزة نوبل

❊ منبج · حلب · سوريا ❊ أحمد عبد الواحد

ما هي جائزة نوبل ومن وضعها ولمن خصصت ؟

❊ الهلال ❊ كان نوبل رجلاً أسوجياً ولد سنة ١٨٣٣ ومات سـنة ١٨٩٦ وكانت له مصانع لصنع المتفجرات وقد أثرى منها اثراء فاحشاً · وقبل أن يموت حبس ١٧٠٠٠٠٠ جنيه ينفق ريعها على خمس جوائز كل جائزة نحو ٧٦٠٠ جنيه · وهـذه الجوائز تعطى لمن يتفوق في الكيمياء أو الطبيعة أو الطب أو الادب أو الدعاية للسلام بصرف النظر عن الدولة التي يتبعها ·

ويشرف على هـذا الوقف لجنة مؤلفة من خمسة أعضاء يعين رئيسهم ملك أسوج · وقد نالت هـذه الجوائز علماء الامم المختلفة وأدباؤها من العـالم كله حتى الهند

حصن الاكراد

﴿ تكساس · الولايات المتحدة ﴾ يعقوب سلطان

ما هو حصن الاكراد وهل هو من آثار الصليبيين ؟

﴿ الهلال ﴾ قال ياقوت الحموي : « حصن الاكراد حصن منيع حصين على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان وهو بين بعلبك وحمص وكان بعض أمراء الشام قد بنى في موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الاكراد طليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم أرزاقاً فتديروها بأهاليهم · ثم خافوا على أنفسهم في غارة فجعلوا يحصنونه الى أن صار قلعة حصينة منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم فنـازلوه فباعه الاكراد منهم ورجعوا الى بلادهم وملكه الفرنج · وهو في أيديهم الى هذه الغاية ··· »

الجن حقيقة أم خيال

﴿ صفيتا · بيت ناعسة · سوريا ﴾ عبد الرحمن ابراهيم

هل الجن حقيقة ام خيال ؟

﴿ الهلال ﴾ ان الذين يقولون انهم رأوا الجن مثل الذين يقولون انهم رأوا الارواح · فهم يروون اختباراً شخصياً قد نصدقهم فيه أو نكذبهم بنسبة اعتقادنا في مقدار ذكائهم واخلاقهم · ولكن الحقائق العلمية لا تقوم على الاعتقاد بل على المعرفة · ولا تقوم على الاختبار بل على التجربة · فلا يكفي أن نعتقد بل يجب أن نعرف بالتجربة المكررة التي نستطيع أن نقوم بها بأنفسنا

الصوت : فطرة أم تعليم

﴿ حلب · سوريا ﴾ س · ١٠

هل الصوت الحسن فطرة أم تعليم ؟

﴿ الهلال ﴾ هو كلاهما · فمن الناس من يولدون بأصوات رخيمة كما يولد العبقري أو كما تولد الفتاة الجميلة · ولكن المغني المفطور يحتاج الى تنشئة صوته بالتعليم والتدريب · وعلى كل حال فالفطرة في الغناء أهم جداً من التدريب



أكنان النبات

الاكنان جمع كن وهو بيت من الزجاج يصنع خصيصاً لوقاية النبات في فصل الشتاء من نوافح القر ، واول ما صنعت هذه الاكنان في بلجيكا فقبل سنة ١٥٥٠ كانوا في هولاندا يصونون النباتات في الاقاليم المعتدلة بوضعهم إياها في فصل الشتاء في بيوت مدفأة ومعرضة الى الجهة الجنوبية • وبعد مائة سنة ابتدأ الهولانديون يبنون بيوتاً خاصة من الزجاج تدخلها الشمس إذ انه من المعروف ان حاجة النبات الى نور الشمس لا تقل عن حاجته الى الحرارة لئلا يذوى فييبس • ومن هولاندا انتقلت صناعة بناء الاكنان الى المانيا ففرنسا ثم الى انكلترا • وسنة ١٦٤٦ كانت مدينة غنت في بلجيكا تفاخر بأكنانها حيث كان كثير من النباتات الغريبة ينمو فيها • وسنة ١٥٧٦ كتب ماتياس لوبل النباتي الفلمنكي المشهور ان بلجيكا تفضل سواها في العناية بعلم النبات

وفي ذلك العهد لم تكن حدائق النبات يتجاوز عددها ثلاثاً في جنوبي أوربا وهي في بادو وبولونيا وبيزا وذلك من سنة ١٥٤٠ الى سنة ١٥٤٧ • ولم تنشأ حدائق النبات في فرنسا الا سنة ١٥٩٧ وسنة ١٥٩٨ فقد أنشئت حديقتان على التوالي لمدرستي الطب في باريس ومنبلييه • ولم تنشأ في انكلترا حديقة للنبات الا سنة ١٦٨٣ على انه لم يكن في جميع تلك الحدائق اكنان تماثل الاكنان في هولاندا وبلجيكا •

وسنة ١٦٣٦ أنشئت حديقة النبات في باريس في عهد الملك لويس الثالث عشر بناء على التماس غي دي لابروس طبيب الملك ، ولكنه لم يكن فيها اكنان في بدء الامر

والآن في باريس محل خاص للاكنان عند باب اوتويل فثمة نحو تسعين كناً تعني بها طائفة من المهندسين الزراعيين والعملة الاخصائيين ، ومدينة باريس تنفق عليها مبالغ طائلة من المال ، وهم يربون فيها النباتات التي تزين حدائق باريس ما عدا حديقتي التويلري واللكسمبور فان لها أكناناً خاصة • وفي الاسبوع الاول من شهر مايو كل سنة تفتح ابواب الحديقة التي فيها تلك الاكنان في وجه جميع الناس فيتقاطر اليها القوم زرافات زرافات ليمتعوا انظارهم برؤية تلك المناظر البديعة الفتانة وكان الدخول اليها مجانياً الا انهم وضعوا هذه السنة رسماً للدخول

شرب القهوة

ان هولاندا في مقدمة جميع البلدان من حيث شرب القهوة ففيها يبلغ متوسط ما يصيب الفرد

من سكانها ٧ كيلوغرامات في السنة وفي الدانمرك ٥ كيلوغرامات و ٦٠٠ غرام وفي اسوج ٥ كيلوغرامات و ٥٠٠ غرام وفي نروج ٥ كيلوغرامات ومائة غرام وفي بلجيكا ٤ كيلوغرامات و ٩٠٠ غرام وفي الولايات المتحدة ٤ كيلوغرامات و ٤٠٠ غرام وفي فنلاندا ٤ كيلوغرامات وفي سويسرا ٣ كيلوغرامات و ١٥٠ غراماً وفي فرنسا كيلوغرامان و ٩٠٠ غرام وفي المانيا كيلوغرامان و ٥٠٠ غرام وفي النمسا كيلوغرام ومائة غرام وفي ايطاليا ٨٠٠ غرام . وانجلترا هي اقل الامم تناولاً للقهوة

وفاة الشمس

رفع السير أوليفر لودج العالم الانكليزي المشهور تقريراً الى مؤتمر جامعة اكسفورد ضمنهُ خلاصة ابحاثه في مسألة يعالجها منذ عهد بعيد فانهُ قضى عدة سنين لمعرفة مقدار ما تفقده الشمس من القوة والمادة بسبب تشععها فأثبت له البحث ان الشمس تفقد في الثانية اربعة ملايين طن او ٦٠٠ ٣٤٥ مليون طن في اليوم

وقد استنتج ذلك العلامة مما تقدم بيانه ان الكوكب الذي يرسل علينا اشعته سيعبث به الفناء بعد ردح من الزمان

ولما سئل السير أوليفر لودج عن الميعاد الذي يتم فيه هذا الفناء أجاب ان الحسابات الفلكية تدل ان الشمس لا يلم بها الفناء قبل ثلاثة ملايين قرن أي لا يكون ذلك قبل ثلثمائة مليون سنة فلينعم بالاً احفادنا وأحفاد أحفادنا فان مثل هذه البلية العظمى لا تتم في ايامهم

لقب جلالة

لم يبتدىء القوم في فرنسا باطلاق لقب جلالة على الملك إلا في عهد لويس الحادي عشر (١٤٢٣ ـ ١٤٨٣) مع ان هذا الملك لم يكن عظيم الجلالة كما يتبين لكل من يطلع على تاريخه وكانوا قبل ذلك يطلقون على ملوكهم لقب « سمو »

مسألة صعبة

كان في ضواحي استوكهلم ببلاد أسوج قرية فيها مدرسة فذات يوم لم يحضر اليها تلميذ اسمه جان ولكن انتهت الى المعلم رسالة منمقة من والدة الفتى تبين فيها سبب تخلفه عن الذهاب الى المدرسة وهذا نص تلك الرسالة :

« يا حضرة المعلم ، ارجو ان تعذر ولدي جان في تخلفه اليوم عن الذهاب الى المدرسة لاضطراره الى القيام مقام والده الذي يشتغل كما لا يخفى عليك بواباً في دار احد السادة ، فأمس أعطيت تلامذتك مسألة حسابية كثيرة التعقيد وهي : حقل مساحته اربعة كيلومترات مربعة فكم

يلزم من الوقت لرجل لكي يدور حول هذا الحقل مرتين ونصف مرة اذا كان يقطع ثلاثة أرباع الكيلومتر في الساعة ؟

« ان جان لم يبلغ سن الرجال ولذلك اضطررنا الى ارسال والده بدلاً منهُ فذهب في هذا الصباح مبكراً وهو يأمل ان يعود هذا المساء مع ان هذا الامر ليس سهلاً

« وأؤمل انك في المرة الثانية تختار مسألة أخرى تستطيع المرأة اتمامها اذ انه لا يمكننا أن نستغني عن رجل في البيت . فاقبل فائق احترامي » عقيلة هائزن

سكان الولايات المتحدة

جاء في احصاء أخير لسكان الولايات المتحدة ان في تلك البلاد ٥١ مليوناً و ٦٨٠ ٧٤٧ من أصل انكليزي وارلندي شمالي و ٦٨٠ ٠٦٣ ٥ من جنوبي ارلندة و ٢٦١ ٣٣ استراليو الاصل و ٩٧١٤ اصلهم من زيلاندة الجديدة و ٣٧٤ ١٧٣ ١٢ ألمانيو الاصل و ٣٩٩ ٠٨٢ ١ من اصل فرنساوي و ٠٩٣ ٣١٦ ١ من اصل نمساوي و ٤٣٧ ٤٧٢ ٣ من اصل ايطالي و ٤٦٣ ٦٧٨ ١ من اصل بولوني و ٦٩٥ ٢٦٠ ١ من اصل نروجي و ٦٦٩ ٤٣٤ ٢ من اصل روسي و ٥٣٢ ٨٦٧ ١ من أصل اسوجي

الاسر النبيلة في فرنسا

لا يخفى ما كان من امر الثورة الفرنساوية الكبرى وإيقاعها بالنبلاء على انه كان في فرنسا قبل تلك الثورة نحو اربعة آلاف أسرة عريقة في الشرف ونحو تسعين الف اسرة من ذوات المجد الحديث وكانوا يعدلون بمجموع افراد تلك الاسر من الفئتين بنحو اربعمائة الف . وكان الفرق بين تينك الفئتين ان أفراد الفئة الاولى يتحدرون من اجداد مجدهم تالد وأفراد الفئة الثانية ينتمون الى آباء مجدهم طريف

ولما جاء نابوليون الاول أعاد القاب الشرف على شكل جديد وحذا حذوه الملوك الذين جاءوا بعده وابن أخيه نابوليون الثالث . وبعد إعادة الجمهورية الثالثة لم يبق من سبيل لمنح تلك الالقاب

معاقبة المخالفين لشريعة الصيام

كانت في الازمنة الخالية شريعة الصوم مرعية والفضل في ذلك لمساعدة الحكومة للكنيسة على احترامها فسنة ٨٧٩ اصدر العاهل شارلمان امراً يقضي بالموت على كل شخص يخالف بغير عذر مشروع شريعة الصوم فكان من المقضي على الانسان ان ينال من الاسقف رخصة بالافطار بحيث يكون إفطاره سراً . ولما جاء الملك هنري الرابع امر بوضع شريعة سنة ٧٨٩ موضع الاجراء وكانت قد ابتدأت تسقط شيئاً فشيئاً في عهد اسلافه ففي ٧ فبراير سنة ١٥٩٥ اصدر امراً علق في

الشوارع ينهى فيه عن اكل اللحم وينذر المخالف بوقوعه تحت طائلة العقاب الشديد و يقضي باتوت على كل جزار يبيع لحماً

وفي القرن السابع عشر أعيد نشر مثل تلك الاوامر الملكية ٠ ففي صيام سنة ١٧٤٦ عرف رجال الشحنة ان لدى مركيزة بوفرموا مقداراً كبيراً من اللحوم على اختلاف انواعها فضبطوها لان البرلمان كان ينكر على النبلاء أن يأكلوا هم لحماً و يضطروا خدامهم الى الامتناع عن اكله. ولم ينزلوا بتلك المركيزة العقوبة المنصوص عنها في القانون تفضلاً ومحاباة

وكان في اثناء معالجة طبخ اللحم يطبخون السمك بغية إخفاء رائحة اللحم

رأي بوفون في الحيوان

كان بوفون من أشهر الكتبة الذين عقدوا الفصول وألفوا الكتب في علم الحيوان ومن جملة ما كتبه في هذا الصدد ما يلي :

« معاذ الله ان أعري الحيوانات من كل شيء فاني أعتقد انها حاصلة على كل شيء ما عدا الفكر والتأمل ، فلها شعور يفوق شعورنا ، وهي تشعر بوجودها الحاضر ولكنها لا تشعر بوجودها الماضي ، اجل ان لها شعوراً لكنها تعوزها الخاصة لمقابلتها اعني تلك القوة التي ينشأ عنها التصور فما التصور سوى شعور يقابل بغيره وبعبارة اخرى هو اشتراك عدة أنواع من الشعور »

المواليد والوفيات في بعض البلدان

جاء في احصاء اخير ان عقود الزواج في بعض البلدان تتم على النمط الآتي بيانه : في بلجيكا ١٠ في المائة من عدد السكان وفي تشيكوسلوفاكيا ٩٫٦ وفي فرنسا ٩ وفي رومانيا ٩ وفي المجر ٨٫٨ وفي اليابان ٨٫٧ وفي ايطاليا والنمسا ٨ وفي اسبانيا وهولاندا ٧٫٤ وفي المانيا ٧٫٢

أما المواليد ففي رومانيا ٣٦٫٧ في الالف وفي اليابان ٣٣٫٨ وفي ايطاليا واسبانيا ٢٩٫٤ وفي المجر ٢٧٫٧ وفي هولاندا ٢٤٫٣ وفي النمسا ٢١٫٦ وفي المانيا ٢٠٫٥ وفي فرنسا وبلجيكا ١٩٫٦ وفي بريطانيا العظمى ما عدا ارلنده ١٨٫٦ وفي تشيكوسلوفاكيا ١٥٫٤

أما الوفيات ففي تشيكوسلوفاكيا ٢٦٫١ في الالف وفي رومانيا ٢٣٫٣ وفي اليابان ٢١٫٢ وفي اسبانيا ١٩٫٧ وفي فرنسا ١٨٫١ وفي ايطاليا ١٧٫٢ وفي بلجيكا ١٢٫٧ وفي بريطانيا العظمى ١٢٫٣ وفي المانيا ١١٫٨ وفي هولاندا ٩٫٨

أما عدد السكان في بعض هذه البلدان فهو ٦٣ مليوناً في المانيا و ٠٠٠ ٧٩١ ٣ في انكلترا و ٠٠٠ ٥٢٠ ٣٩ في فرنسا ولكن زيادة المواليد على الوفيات قد بلغت سنة ١٩٢٥ في المانيا ٤٢٦ ٥٤٦ وفي بريطانيا العظمى ٦٠٩ ٢٧٦ وفي فرنسا ٠٦٤ ٦٠

ومن أهم الشروط في البلاد لتكثير عدد السكان وتقليل عدد الوفيات المحافظة على القواعد

الصحية وقبول من يطلبون الدخول في جنسيتها بحيث يحسن اختيارهم

الزواج عند الكفرة

عند بعض أجيال من الناس عادات غريبة لعقد الزواج ولا شيء أشد غرابة أو توحشاً منها عند الكفرة فاذا شاء أحدهم اتخاذ زوجة له كمن في طرف غاب منتظراً مرور فتاة في تلك الجهة حتى اذا ما مرت فاجأها وضربها بهراوة على رأسها وحملها الى مثواه فاذا ماتت الفتاة من تأثير الضربة القاها في الماء ليأكلها السمك لانهم يحاذرون أن يتركوا شيئاً يذهب سدى ثم عاد لانتظار فتاة اخرى

واذ لم تمت الفتاة من تلك الضربة وهذا ما يحدث غالباً تزوجها الرجل ولبثت قعيدة عنده كل حياتها لا تخالف له امراً

شعر اليابانيات

في اليابان تسهل معرفة المرأة المتزوجة من غير المتزوجة وذلك من النظر الى شعر رأسها ، فالآنسة يظل شعرها مصففاً على رأسها على شكل قبة عالية حتى يوم زواجها ولكنها حين تتزوج تصفف شعرها على شكل خاص بالنساء المتزوجات . واذا مات بعلها تقطع المرأة شعرها وتصففه غديرة تربطها الى قفا رأسها

المترنحون

جاءنا من الاستاذ النجيب قسطنطين حداد صاحب جريدة الرائد البرازيلية تعليق على ما نشرناه عن هذه الطائفة الغريبة قال :

« ... قرأت في هلال مارس الماضي مقالاً عن طائفة « المترنحين » Shakers وقلتم انهم يقيمون في لبنان من ولاية اوهايو بالولايات المتحدة والحقيقة هي اني زرت هذه الطائفة من المترنحين وهي تقيم في لبنان الجديد (New Labanon) في ولاية نيويورك وليس في ولاية اوهايو ، وقد قدمتني اليهم اللايدي تلدن قرينة المستر صموئيل تلدن أحد رجال أميركا الذين رشحهم الحزب الديمقراطي لنيابة رياسة الجمهورية ولم يفلحوا ، وذهابي لزيارتهم كان في أواخر سنة ١٩٠٩ وقد استقبلوني استقبالاً حسناً وتفقدت أديرتهم وهي ثلاثة ، دير للرجال وبقربه دير للنساء ، ودير للاعمال اليدوية التي يتقنونها جيداً وهم لا يتزاوجون ولهم كتب صلاة خصوصية خطية ، و يقولون لو أراد ربك نسلاً لاوجده من الحجارة . لذلك هم يرفضون الزواج . و يوجد قسم منهم في ولاية ماستشوسس وهم لا يزيدون عن الخمسمائة نفس ولم يزيدوا عن الف وخمسمائة منذ نشأتهم ، يلقبون بعضهم بعضاً بالاخ والاخت وهم متقشفون صوفيون ، يلبسون الملابس البسيطة وقلما يخرجون من أديرتهم ، يقصدهم الناس للتفرج ومشترى ما يصنعونه بأيديهم »

الفنون الجميلة في مصر

حديث مع المسيو سانتس

أستاذ التصوير بمدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة

في سنة ١٩٠٨ أسس الامير يوسف كمال مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة · فنشأت كالنبت الغريب في مناخ لم يألفه . فقد كانت الشبيبة المصرية الى ذلك العهد لا تعرف من فنون الآداب الرفيعة سوى النثر والشعر يجري الكاتب في كليهما على نماذج العرب القدماء دون اي تمصير · أما سائر الفنون مثل التصوير او المثالة (اي صنع التماثيل) او العمارة فكانت مجهولة لا يدرسها الاديب المصري بل لا يعتقد انها جديرة بالدرس ·

وهذا الجهل ليس غريباً اذا اعتبرنا ان الثقافة الفاشية في الالف السنة الماضية في مصر لم تكن تؤاتي الاديب المصري على درس هذه الفنون بل كان تعليق الصور في المنازل او تزيين الغرف بالتماثيل من النوادر التي لا ترى الا في بيوت العظماء المتصلين بأوربا · وليس معنى كلامنا انهُ لم يكن في مصر شيء البتة من الفنون الجميلة · فان العمارة الاسلامية كانت معروفة وهي لا تزال تمارس الى حد ما في مصر وكذلك النقش كان معروفاً · ولكن الفرق بين النهضة الجديدة والتقاليد القديمة اننا الآن نقصد من الفن الى تصوير الطبيعة فنرسم الاجسام والوجوه او نجسمها في تماثيل ولم يكن الفن قبلاً سوى زخارف هندسية متقابلة كما يشاهد للآن في الآثار العربية كالمساجد وفي الخشب المنقوش

ولذلك لما أسس الامير يوسف كمال مدرسة الفنون الجميلة لايجاد نهضة فنية مصرية لم يجد الاساتذة الذين جلبهم من اوربا لتعليم النشء المصري أساساً يبنون عليه التعليم الفني سوى هذا الفن العربي القائم على الزخارف الهندسية المتقابلة · ولم يكن من المستطاع ان تعمد الى نقاش او معمار مصري قد نشأ على فن الزخارف المتقابلة فتطلب منه ان يصور وجه انسان او حيوان او يمثله في تمثال · ولذلك ابتدأ الاساتذة من البداية وفرضوا ان عقل الناشيء المصري تربة بكر يمكنهم ان يغرسوا فيها ما يشاؤون من الفنون الجميلة كما يفهمها الغربي · وسيرى القارىء انهم اخطأوا في ذلك · وكان يجب ان يتذكروا ان الزخارف الهندسية مهما كانت قيمتها قد تأصلت في نفوسنا كما اننا باقامة الرومان والاغريق بيننا نحو الف سنة قد انغرس في اذواقنا شيء من فنونهم كما ان البذرة الاصلية للفن المصري القديم لا تزال حية في عناصرنا كامنة يمكن استثارتها حتى تتكشف

كانت هذه الافكار تخامرني وأنا أحادث الاستاذ سانتس المدرس بمدرسة الفنون الجميلة ·

أحادثه عن استعداد الشباب المصري للفنون وما تحقق الآن منها في مصر ومستقبلها على وجه العموم ونحو ذلك من الشؤون التي تهم كل وطني مصري

والاستاذ سانتس رجل اسباني تعلم في بلنسية فلما تخرج قصد الى مصر يتنزه فوجد « مدرسة الفنون الجميلة » في طور التكون فدعي لان يكون استاذاً بها فقبل . وبقي يدرس بها الى الآن وللاستاذ سانتس صفتان او كفايتان من حيث الفن . فهو مصور بارع عميق الفكرة اذا حادثته وراودته على الفلسفة فلسف وتعمق وافصح لك عن الاغراض العليا للفن . وهذه صفة لا يراها الجمهور منه ونحن فيما يلي سنحاول ايضاحها . أما الصفة الاخرى فان الجمهور يعرفها ويرى آثارها كل أسبوع في أربع صور كاريكاتورية في مجلة الكشكول . وهذه العبقرية الخبيثة التي تتجلى في كل أسبوع في ألوان زاهية زاعقة فاضحة وفي ملامح يرسمها هو على الورق فترتسم في ذهنك الى الابد تبدو لك أيضاً في فكاهة تعبر وسط الحديث معه اذا تعمق في البحث وفلسف . ومما لذَّ لي ان ألحظه في هذا الاسباني المثقف انهُ لعلاقته بالصحف المصرية والحوادث التي وقعت ببلادنا في العشرين السنة الماضية قد أصبح وطني العاطفة التي تثب به أحياناً عن كرسيه فيتنفض واقفاً للدفاع عنا . واذا كنا نذكره بالشكر لخدمته الفن في مدرسة الفنون الجميلة فاننا نحن الصحافيين يجب ان نشكره أيضاً لادخاله الفن الكاريكاتوري في الصحف المصرية بل ربما كانت بدعته هذه هي الاصل في انشاء الصحف المصورة . ويجب ألا ننسى ان الصورة قد تؤدي من المعنى وتترك من الاثر اكثر مما تؤديه المقالة الطويلة

قلت للاستاذ سانتس بعد ان حييته تحية مصرية : أنت يا أستاذ بمدرسة الفنون الجميلة منذ انشائها فهل لك ان تخبرنا عما افادتنا هذه المدرسة وخاصة في هذا الوقت الذي يقال فيه ان الامير يوسف كمال يريد إلغاءها لانه لا يعتقد في فائدتها ؟

فقال : لقد درَّست في هذه المدرسة منذ انشائها . وقد ابتدأنا فيها بقسم نهاري وقسم ليلي وكانت البلاد خالية من اي نوع من التعليم النظامي للفنون فكان الطلبة بيننا خليطاً من الافندية والعمال . واندمجت المدرسة مدة في الجامعة المصرية ولكنها عادت فاستقلت ثم دخلت في تفتيش وزارة المعارف . أما نفقاتها السنوية فتبلغ ٤٠٠٠ جنيه تدفعها دائرة الامير يوسف كمال من وقف خاص بالمدرسة . ومتوسط عدد الطلبة فيها منذ سنوات حوالي ١٥٠ طالباً والآن تسألني عن فائدتها فاسمع :

ان المثال مختار قد نبغ من هذه المدرسة وأرسله الامير يوسف كمال على نفقته الى أوربا وقد تخرج منها ايضاً الاستاذ محمد حسن وكيل مدرسة الفنون والصنائع بالجزاوي . وفي ايطاليا وفرنسا بعثتان منها تتعلمان الحفر والتصوير . ثم في المدارس الاميرية والاهلية نحو ١٠٠ أستاذ للرسم قد تخرجوا منها ولم يكن بهذه المدارس أساتذة رسم يؤبه بهم قبل هؤلاء . وعند الحكومة

معارون تخرجوا منها ايضاً وفي الاعمال الحرة عدد كبير من الفنانين المختصين بالزخرفة يعيشون من الحرفة التي تعلموها بهذه المدرسة وقد أنشأت السيدة هدى شعراوي مصنع الخزف الذي بروض الفرج بعمال من هذه المدرسة

قلت : هذه نتيجة حسنة تكفل للمدرسة حق الحياة فهل لك أن تشرح لي ما رأيته من كفاية الطالب المصري للفنون الجميلة وعن امثل الطرق لتعليمه ؟

قال : ان عند المصري غريزة الفن · ولكن يجب ألا يصدم او يفاجأ بالفن الاوربي لان ذوق المصري قد انطبعت فيه الفنون العربية القائمة على الشكل الهندسي المتوازي · فالمصري نشأ على فن الزخرفة ولم ينشأ على رسم الوجوه والاجسام والطبيعة الحية · فيجب أن نبدأ معه على ما نشأ وانطبع في نفسه ونتدرج معه من رسم الزخارف التي تنقل عن أجسام لا عن ورق الى رسم الانسان والحيوان والنبات · ثم يجب ان نطلق الحرية للطالب المصري حتى يرسم الطبيعة عفو نفسه ووفق غريزته دون ان نقهره على ان يطبع نفسه بالطابع الاوربي حتى يستطيع ان يبتكر لنفسه فناً مصرياً موسوماً بالسمة المصرية اذا رأيناه لم نخطئه · فكما اننا لا نخطىء الصور اليابانية أو الصينية أو الفارسية كذلك نريد فناً مصرياً اذا رأينا احدى صوره أو احد تماثيله قلنا لاول وهلة : هذا مصري · أما الآن فان المعارض التي تعرض فيها صور الفنانين المصريين ليس بينها صورة يمكن البت فيها بأنها من صنع احد المصريين · وذلك لان طلبة الفنون المصريين يتبعون القواعد الاوربية للفن ولكن صلاح الفن المصري لا يأتي الا من المصري الذي ينظر بعين مصرية ويبصر ببصيرة مصرية

قلت : ماذا تعني بكل ذلك ؟ هب انك كلفت تعليم طالب مصري التصوير فماذا تفعل ؟

قال : أعلمه قواعد الرسم وأبدأ معه بالزخرفة كما هي تقاليده ثم أترك له الفن · فأضع أمامه امرأة مصرية او منظراً ريفياً او سوقاً مصرية ثم أتركه يحكم بنفسه المصرية عما يجب عليه أن ينقله للصورة ولا أقحم عليه ذوقي الافرنجي · فأنا نشأت بين آثار رومانية وقوطية وآثار من النهضة الحديثة الاوربية ولي نفس اسبانية ترى الاشياء بغير العين التي تراها بها العين المصرية · ولذلك فأنا اقول بترك أقصى الحرية للطالب المصري واقصر تعليمي على القواعد · أما الروح والغاية والمرمى فله وحده · وبهذا وحده يمكن أن ينشأ فن مصري

قلت : أظنك يا أستاذ تعرف الآن البيت المصري والمدينة المصرية بعد أن قضيت عشرين سنة بيننا فهل ترى فيهما شيئاً من الفن ؟

قال : كلا · اني أرى محاكاة للفنون الاوربية لا توافق المناخ المصري · وأصل الفنون الجميلة كلها هو العمارة · فالصورة والتمثال كلاهما شيء اضافي للعمارة فهذا على رأس عمود مثلاً وتلك منقوشة في حائط · والعمارة المصرية الراهنة هي عمارة اوربية لم تنشأ لهذا المناخ الحار المشمس الذي

نعيش فيه . وقد كانت العمارة العربية أوفق لمناخنا من العمارة التجارية الراهنة . فكان الصحن يتوسط البيت وتقوم في الوسط فسقية تنشر الهواء الطري في أرجاء الغرف المحيطة . وكان المصريون يقيمون الاعمدة حول البيت للاستظلال . وربما كان البيت الفني الوحيد في القاهرة هو دار الوكالة الفرنسية . ولست اقول بأننا يجب ان نتبع الطريقة العربية وانما اريد فناً مصرياً للعمارة يوافق المناخ المصري

قلت : ما هي المناحي الجديدة التي تتجه اليها الفنون الحديثة ؟

قال : ان لي آراء خاصة في هـذا الموضوع . فالفنون في كل زمن تبع للحضارة والثقافة والنزعات الجديدة . فان الفنان العربي عندما وجد انهُ منهي عن رسم الوجوه والاجسام عمد الى الشكل الهندسي المتوازي وقنع به . فجعل الفنون ذهنية غير حسية . وكان المصري القديم لتغلب العاطفة الدينية عليه يجعل صوره وتماثيله الهية المعنى حادثة هدوء الآلهة . ونحن الآن في زمن يستدعي البساطة في كل شيء . ففي لباس المرأة الحديثة بساطة متناهية . وكذلك الحال في أثاثنا . فليس منا الآن من يرضى بوضع الاثاث المذهب الثقيل الذي يعزى الى زمن لويس الخامس عشر . ولسنا نرى النساء يضعن على أجسامهن تلك الملابس الثقيلة المكلفة بالحواشي والمطرزات . ولذلك فان فنوننا ستقصد أيضاً الى البساطة . ثم اننا نعيش في زمن يتطلب منا مجهوداً عصبياً كبيراً فنحن في حاجة الى ما يهدئ اعصابنا . ولذلك فان فنوننا المستقبلة زيادة على اتجاهها ناحية البساطة ستنتحي ايضاً ناحية اخرى وهي ذلك الهدوء الالهي الذي نراه في التماثيل المصرية القديمة . واذكر اني أعتقد ان الفن المصري القديم هو أسمى الفنون القديمة والحديثة

قلت : انك تدهشنا باطرائك للفن المصري القديم لان الاعتقاد السائد انهُ فن ابتدائي كثير الاغلاط

قال : ان دعواي بتفوق الفن المصري القديم يحتاج الى ايضاح . بل الى ايضاح فلسفي . فقد قلت لك ان العرب جعلوا الفنون ذهنية بعد ان كانت حسية اي ان الذهن يرسم الاشكال التي يخترعها بدلاً من أن تقوم العين في نسخ ما تراه . فالعرب نقلوا الفن من الحاسة الى الذهن والمصريون تساموا به من الانسانية الى الالوهية فهم لا يمثلون التمثال بهيئة انسان بل بهيئة إله فيه معنى الاتزان والهدوء الالهيين . ومن قال ان في التماثيل المصرية اغلاطاً ؟ اني لا اعرف بها غلطة واحدة تشريحية . واذا كانت الفنون ترسم للناس المثل العليا واذا كانت الالهة هي المثل العليا للامة فالمصريون يطبعهم التماثيل بطابع الآلهة قد سموا بالفن وقدسوه وألهوه

وبهذا الاطراء العظيم للجدود القدماء شكرت للاستاذ سانتس تفضله بهـذا الحديث الممتع وودعته

س . . .

الرسائل الضائعة

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

٥ – من جربيين في لندن الى جربين في باريز

دونك ايتها الحبيبة حديثاً يأكل الاحاديث · فقد تقاعست عن الكتابة واخرت جواب رسالتك من «أكس ليه بان» لا كسلاً او نسياناً بل انهماكاً في امور الدنيا وتوغلاً في متاع الحياة

لا تستعجلي الامر فسأقص عليك حكايتي كما وقعت · فقد كنت على حق اذ حزرت غرام الضابط بي – وما لي لا ادعوه الآن باسمه تشارلي – وميلي اليه

اما غرامه هو فلا اعلم له سبباً · اقول هذا في غير ما تواضع او جهل بما بي من المميزات النسائية · ولكنني اجنبية عنه وبنات جنسه كثيرات يقتحمن ود رجالهن اقتحاماً وقد تتفوقن عليّ حسناً ودلالاً فما الذي ابعده عنهن وجذبه اليّ · لا اعلم · وسوف اسأله جلية الامر في احدى الخلوات فأعرف كنه هذا السر

اما انا فما الذي حببه اليّ · اتودده لي واهتمامه بي وتهتكه في حبي حتى كاد حصاره يضيق عليّ مسالكي ام انقطاعي بعيدة عن بلادي وبني جنسي ولغتي الى سكن غريب وعزلة يبرز فيها الميل الجنسي في ابن آدم فيطيع صاغراً وصايا امه الطبيعة

ان غصت اعماق نفسي قلت ان الامرين معاً اخضعاني لسلطان الهوى

* * *

لم يكن تشارلي يألو جهداً في ارضائي وتسليتي فكنا نخرج كل يوم الى الخلاء نستنشق الهواء العليل في ضواحي لندن وكان – اشهد الله – مثالاً حسناً للرجل الرزين المالك قياد نفسه رغم ما كنت ألمح فيه من تحفز الى الخروج عن الحد يردعه عن هذا تربية وطبع هما خير ما يتحلى به الرجال

وكان في بعض الاحايين يشير من طرف خفي الى غرامه بي فاخرج عن لا ونعم بالصمت لا اشجعه ولا اؤنبه · حتى كان يوم في شهر يونيو خرجنا من منزلي بعد الغداء نسير الهوينا في شوارع هذا البلد الجبار ومررنا في طريقنا بالمتحف البريطاني والحّ عليّ بالدخول لمشاهدة اعظم المتاحف في العالم واضخمها · وانت تعلمين مقدار كرهي لهذه المتاحف – بل كرهنا كلنا نحن الباريزيات ان ندخل للتجول في هذه المقابر الجميلة – ولكنني جاملته فدخلت

ومررنا مروراً من غرفة الى اخرى ومن دور الى دور حتى انتهى بنا المطاف الى القسم الخاص بالآثار المصرية فوقفت هنيهة وضحكت

ضحكت اذ ذكرت حكايتك المصرية فسألني تشارلي عما يضحكني فكذبت وقلت : هذه المومياء وهذا السر الذي يحدو بابن آدم ليسعى الى تخليد جسمه ورسمه وذكره الى الابد ان استطاع الى ذلك سبيلاً

على انني اشاركك رأيك في هذه الصور الفرعونية فلست واجدة فيها جمالاً فنياً مهما قال المصرلوجيون فيها فما كنت يوماً من عشاق القديم والعصر المترامية الذكر الى ما قبل الطوفان او بعده وما اعتقدت يوماً ان لهذه العصور الخالية مدنية جديرة بضجة من هذه الضجات التي يثيرها علينا الاخصائيون

فالاخصائي من هو ؟ رجل مريض لا يرى الا من ثقب واحد وفي متجه واحد فكأن انصرافه عن كل شيء ما عدا الامر الذي اختص به قد اضعف من قواه العقلية العامة وحدّد ذهنه في موضوعه فشطّ وتطرّف وما هكذا يكون العلماء . هذا يعشق المومياء المصرية فينسب اليها الجمال والسحر والكيمياء والفلك وكل ما استنبط الناس في ايامنا هذه . وذاك يهوى آثار بابل او اصنام فينيقيا فلا ينفك يحدثك عما تدل عليه هذه البقايا من ادب وفن واختراع ما ادركه تمدننا الحالي بعد ولن يدرك له شأواً

والواقع ان معظم ما يدعونه لا يعدو ان يكون نبت خيالهم ووليد تخصصهم مع شيء غير قليل من كرامة لهم على انفسهم لا يستطيعون معها ان ينكروا ما تخصصوا به ولاجله

فكيف يريد هؤلاء العلماء ـ علماء الآثار القديمة والعاديات ـ ان نصدق تاريخاً يستنبطونه مرة من كتابة مبتورة على حائط مهدم واخرى من تمثال في هيكل محطم وها نحن اولاء نرى الحوادث تقع تحت سمعنا وبصرنا ونقرأها في كتبنا وجرائدنا فلا ندري اكانت ابصارنا واسماعنا تخدعنا ام هي هذه المطبوعات تشوه الواقع

وكيف نصدق خطاً مدفوناً يروي حديثاً عظيماً عن ملك عظيم عاش في القرون البالية يأخذه العالم الاخصائي فيصوغ منه قلادة مدح لعدل ذلك الملك او لسعة حيلته وحلمه ولما كان عليه يومه من مدنية لا يشق لها غبار ـ ومن دوننا اخبار نقرأها كل يوم عن اناس نعرفهم ماتوا فاذا بآبائهم كرام وبحياتهم مملوءة من الفضل والنبل وهم لو انصفهم زمنهم لعاشوا في غيابات السجون

هذا الى اننا في عصر حرية القول والفكر وما كان اولئك الا في عصور الظلم . فهل اكلّف ان أصدق ما لا طاقة لي به ؟

لا . لا . دعني من هذا الماضي . يكفيني منه ما اورثنيه من جسد وروح وهات لي الحاضر وما في يومه من أمل في مستقبل باهر لا تكشفه الا حضارتنا نحن ابناء الغرب

خذ ما رأيت ودع شيئاً سمعتَ به   في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل [1]

---

(١) ليس هذا البيت في الاصل الفرنساوي — المترجم

فاني لست بمتزحزحة عن الرأي الذي يزعم أن جمال الفن كله في ما صنع اليونانيون فاقتبسه عنهم الرومانيون ثم بقية شعوب اوربا

فقد تكون الحضارة المصرية وما جاورها من الحضارات الاسيوية قد حاولت معالجة الفن ولكنها لم تزد عن ان اتقنت عملاً يدوياً يستغرق زمناً طويلاً او بناء هيكل ضخم استعمل عليه الالوف المؤلفة من العبيد في مئات من السنين . وكل ذلك قد يأتي بشيء متقن من ناحية الدقة في الصنعة اليدوية ولكنه ليس بشيء من وحي الفن وابتكاره

وان أعجب لشيء فهو لاجداد صديقك المصري ونبوغهم في العبادة فما تركوا حيواناً الا عبدوه ولا حشرة الا صوروها وسجدوا لها هذا الى ما لا حد له من عبادات للشمس والقمر والهواء وما دون ذلك . فاني أفهم الناس في جاهليتهم يعبدون ما لا طاقة لهم به كالشمس مثلاً واما ان يفتشوا على حيوان البر والبحر يتخذونها أرباباً فيما لا استطيع ادراكه ولعله اغراق في العبودية أيما اغراق

أما انا فلو تخيرت نوعاً من أنواع الآلهة ما رأيت أفضل مما وضعه الاغريق

فهؤلاء قربوا الآلهة الى الناس فجعلوها منهم واليهم . فكانت تحب وتغضب وتنتقم وتعاشر البشر وتحاربهم وتخالطهم مخالطة جنسية

ونوعوها فجعلوا هذه للجمال وهذه للحكمة وهذه للقوة وما رمزوا الى ذلك بحيوان قط الى آخر ما تعلمين من أسماء آلهتهم فكأنهم وضعوا بذلك أساس الديموقراطية الحالية التي نهضت بالانسان فجعلته ذا همة تناطح السماء بل مهدت السبيل الى حضارة لا تخاف الآلهة بل تتصورها رسل حب وإخاء مما فك قيود العقل الانساني وجعله يتعشق الحرية و يتغلب بها على الكائنات

هذا ميراث تركته لنا أثينا فاحسنا استغلال التركة

ولقد ذكرت الاغريق وذكرت أثينا فهل تذكرين أولئك الطلبة اليونانيين الذين كانوا معنا في المدرسة والذين لا نزال نشاهد من أمثالهم في الحي اللاتيني ؟ وهل تذكرين ما كانوا عليه من الدعوى العريضة الفارغة ومن الغرور الاعمى ؟ . فما كنا نسمع الا اسماء تسموا بها هم وآباؤهم . فهذا سقراط وهذا بقراط وهذا ديموستينس وهذا بركليس . وأما الجوهر فبعيد كل البعد عما توحيه الينا هذه الاسماء القديمة حتى صح فيهم قول شكسبير « اننا ورثنا الاسماء من الاجداد وأما العقول فمن الامهات »

بلى لقد ورثوا شيئاً آخر هو هذا التفرد بنكران جميل من يحسنون اليهم من أبناء جنسهم ابتداء من بركليس حتى فنزيلوس

ولكنني ما لي أنحو نحوك فينشط بي القلم وادخل في أبواب فلسفية ان استطعت أنت الخروج منها فلا أستطيعه أنا ؟ . لنرجع الى ما انقطع من حديث تشارلي

لم يطل بنا المقام في المتحف فاننا كنا كلما دخلنا غرفة على أمل ان ينفرد بي تشارلي زحمنا

النظارة فاذا ما تجنبهم الى مخابىء يعرفها وقف لنا الحراس كالاصنام لا يحركون من أجسامهم الا أيديا ضخمة ترتفع بالاشارة مرة في الساعة او في الساعتين فهرولنا خارجين قافلين الى البيت لقرب موعد تناول الشاي . فدخل البيت معي غير مدعو وجلسنا في غرفة القراءة ننتظر ان يقرع لنا الجرس . وكأنني بمزاجه العصبي قد بدأ يتغلب عليه فدنا مني وجذبني اليه بتؤدة ورقة وقبلني لم انطق ببنت شفة . لم اعترض ولم اشاركه القبلة . ولكنني انتفضت كالعصفور بلله القطر فجلس الي واخذ يبثني حديثاً ملؤه الهيام ويقسم بالله جهد ايمانه انه ما احب الا ساعة رآني وانه لا تطيب له الحياة الا معي . أما انا فلا اعلم حتى الساعة ـ وقد مضى على الامر بضعة عشر يوماً ـ ما السر في سكوتي

أرضاءً بحبه ؟ قد يكون الامر ذلك ولكنه امر لا يمنعنا نحن نساء هذا العصر من الكلام اما استدراراً لحديث الغرام او استدراجاً الى ما هو اوقع في النفس . ام كان سكوتي ميلاً جنسياً اخذ علي مشاعري فمنعني الكلام وتركني في لذة حقيقية توحيها الطبيعة لابنائها من ادنى درجات الحيوان الى اعلاها

الحق اقول انني عندما اخص اعماق نفسي لا اجد الا هذا السبب مبرراً للسكوت فهو افصح لسان اعطته الانثى للذكر

وادرك تشاركي الامر وانتهزها فرصة سانحة فازداد اقتراباً مني وانحنى علي يقبلني ولقد هم بي وهممت به لولا ان سمعنا وقع أقدام ربة الدار مهرولة الى غرفتنا كأنما استأخرتنا فصرف الله عنا السوء والفحشاء وجلسنا محتشمين . ثم ما عتم ان باح بسرنا امام الجمع ونحن جلوس نتناول الشاي واعلن غير متردد ولا آبه لرأيي ان عقد زواجنا سيتم بعد غد في كنيسة بالقرب منا

وهكذا أصبحت منذ اسبوعين « مسز هارت » بلا زيادة وبلا نقصان

* * *

هذه قصتي ايتها الحبيبة فماذا تقولين ؟ هأنا حليلة رجل انجليزي دمه غير دمي وماضيه غير ماضي وعاداته غير عاداتي ولغته غير لغتي . فما هي الواسطة التي شدت وثاقي الى وثاقه ؟

هل أحسنت الصنع وهل انا على طريقي الى السعادة والهناء ؟ وهل اقدمت على الزواج عن خفة وقلة روية ام دفعني الحب ؟

وما هو الحب حتى اقول قد احببت ؟ وهل كنت احب زوجي هذا لو انني ما زلت في باريز وعرفته فيها ؟ أكنت اوثر وانا فرنساوية مقيمة في فرنسا رجلاً انجليزياً على آخر فرنساوي ؟

والله لا ادري . أليس الحب ـ اذا فكرت واحسنت التفكير ـ ميلاً جنسياً بين ذكر وانثى تهذبه العادات والتقاليد مرة وتصقله قراءات بعض كبار المفكرين الذين تغلبوا بعض الغلبة على الجسد مرة اخرى فصوروا لنا الحب شيئاً لا اثر له في الطبيعة مما يجعلنا نيأس من الحياة ويستولي

علينا الجزع اذا اصطدمت حقيقة الواقع بوهم ما صوروا

نعم راجعي جان جاك روسو تري تعريفه للحب اصدق ما عرفه الناس حتى الساعة ولكن قشور المدنية واصباغها قد تحوله عن حقيقته في عيون كثيرين مما لا يحسنون النظر . اما الزواج فشيء آخر . هذا امر شديد الاثر في الحياة وذو اهمية كبرى بل ذو تبعة ونتائج سواء فيه أبني على الحب ام على اعتبار آخر

فكيف أقدمت عليه هذا الاقدام ؟

اني انزع عني عواطفي وانا في ابان ايام العسل واحكم عقلي فلا استطيع الاجابة

أخشى أمراً واحداً لا أخشى سواه . ذلك ان يخطر لزوجي ان يعود بي لسكنى فرنسا

اني اخشى هذا الذي يسمونه «ناموس الرجعة»[1] . اعني هذا الحنين الى الاصل والاحتكام بميولنا وعواطفنا الى ميراث قديم من عادة ودم وتقليد ونزعة تختلف في الامم باختلاف جنسياتها

فمهما نعم على العالم اختلاف الدين او اختلاف الجنس وانه وهمٌ يجب ان يزول فالحقيقة في الحياة تكذبنا : ان في اعماق نفس كل منا لنزعة الى ميراث الآباء والاجداد لا يعلم متى تبرز متعطشة الى الظهور . فقد تهذب حضارتنا من اخلاقنا فلا نعبأ باختلاف الدين ولا نهتم لتباين الجنس ولكن الامر ليس امر دين وجنس بل امر ميراث عريق من ميول خفية لا تلبث ان تظهر مهما يطل عليها الاخفاء

وليس كالزواج محكاً لهذا الظهور . فهو يقضي برفع الكلفة وهو يقضي بأن يستكشف الزوجان عورات لا تكتمها الا الكلفة فمن اختلاف على أبسط الامور ككيفية الاكل او النوم او اللبس الى اختلاف في الذوق الفني الى اختلاف في النظر الى الامور السياسية الى اختلاف على تربية الاولاد الى اختيار جنسيتهم — كل هذا قد ينفجر يوماً فيرى الزوج هوة سحيقة بينه وبين زوجه

انا — أنا وانت — على اتفاق بأن هذا العصر سيرى تغيراً مدهشاً في علاقة الزوجين الواحد بالآخر تغيراً يدعو اليه الضغط الاقتصادي اولاً وما نالته المرأة من مساواة مع الرجل ثانياً

على ان المجال ليس مجال بحث اجتماعي في شيء نحن غير مختلفتين عليه

اني ذاهبة مع تشارلي عما قليل الى شاطىء البحر في «بريتون» . فهل لك في قدمة تقدمينها الى هذه البلاد فأنال بقربي منك ما قد ينقصني من سعادة وهناء

(جرمين)

الترجمة طبق الاصل وعلى تبعتها : سامي الجريديني

---

(١) هذه ترجمة Atavism ولعلي أحسنت التعبير — المترجم

كيف يعيش المرء هنيئاً في هذه الحياة .

الردّان اللذان نالا الجائزة في مسابقة الهلال

يعلم القراء – مما نشر في الجزء الماضي من الهلال ان لجنة التحكيم المؤلفة من أصحاب السعادة والعزة الاساتذة احمد شفيق باشا وخليل مطران ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمي وسامي الجريديني وسلامه موسى قررت قسمة الجائزة بين اثنين هما : السيدة كلثوم عودة فاسيليفيا (من لنينغراد بروسيا) ومحمد توفيق يونس افندي (من مصر) . وقد ذكرنا ان المحكمين استحسنوا ردوداً أخرى ولكنهم اعتمدوا في حكمهم على شرح المسابقة المنشور في الهلال ومنه يظهر جلياً أن المطلوب ايراد اختبارات شخصية ومشاهدات واقعية وليس مجرد البحث النظري . وفيما يلي الردان اللذان منحا الجائزة وسننشر ردوداً أخرى مستحسنة في العدد القادم [المحرر]

١ – رد السيدة كلثوم عودة فاسيليفيا (لنينغراد)

لم أجسر على خوض هذا الموضوع مع علمي بقصوري في اصول اللغة وفن الكتابة الا لاني كثيراً ما اسمع ممن يحيطون بي : هنيئاً لكِ ما اسعدك ! وحياتي عبارة عن سلسلة قصص لو اردت سردها لضاق بها المقام . فقد نشأت في فلسطين ثم هربت من البيت واقترنت بطبيب روسي وبعد العناء سامحني المرحوم والدي الذي لم يرد هذا الزواج قط ثم سافرت مع زوجي الى روسيا وقد ابتدأت الحرب ونحن في مياه البسفور وبعد مدة اتممت دروسي وأديت الامتحان المطلوب للحصول على رتبة ممرضة وسافرت الى الصرب ومنها الى الجبل الاسود وبعد تقهقر الجنود رحلت عن طريق البانيا الى فرنسا ومنهــا رجعت الى روسيا عن طريق انجلترا واسوج ونروج وفنلندا . ثم كنت في اوكرانيا وقت ان شبت الحروب الاهلية وهأناذا الآن في بطرسبرج وقد توفي زوجي وقت وباء التيفوس عن ثلاث بنات عمر كبراهن خمس سنوات ولصغراهن شهران من العمر . أذكر هــذا كله ليرى القارىء تلك التقلبات التي عرضت لي في حياتي . وفي كل حالة كنت سعيدة

* * *

لقد استقبل ظهوري في هذا العالم بالدموع وكل يعلم كيف تستقبل ولادة البنت عندنا نحن العرب وخصوصاً اذا كانت هذه التعسة خامسة اخواتها وفي عائلة لم يرزقها الله صبياً . وهذه الكراهة رافقتني منذ صغري فلم اذكر ان والديّ عطفا يوماً عليّ . وزاد في كراهة والدتي لي زعمها أني قبيحة الصورة فنشأت قليلة الكلام كتوماً اتجنب الناس ولا همّ لي سوى التعلم . ولم اذكر ان احداً في بيتنا دعاني في صغري سوى « يا ستي سكوت » او « يا سلوقة » . وانكبابي على التعلم في بادىء الامر نشأ من كثرة ما كنت اسمعه من والدتي :

« مين ياخذك يا سوده . بتبقي كل عمرك عند امرأة اخوك خدامة »

وكان ثمة شبح مهول لهذا التهديد اذ ان عمتي لم تتزوج وكانت عندنا في البيت بمثابة خادم . فبال عقلي الصغير هذا الامر وصرت افكر كيف اتخلص من هذا المستقبل التعس

لم أرَ بابًا للفرج الا بالعلم ولم يكن سوى مهنة التعليم في ذلك الوقت تباح للمرأة . وقد كانت العادة قبل الحرب ان من يكون أول تلميذ في المدارس الروسية الابتدائية يتعلم في القسم الداخلي مجانًا وبعدها يحصل على رتبة معلم فعكفت على العمل وبلغت مرادي . والفضل في هذا لوالدي اذ ان والدتي المرحومة قاومت بكل ما لديها من الوسائل دخولي المدرسة.

فهل كنت سعيدة في حياتي ؟ نعم اني وجدت في نفسي خصلتين هما من اهم العوامل في هناء عيشي : الاقدام على العمل مع الثبات فيه ، والمحبة ، محبة كل شيء الناس والطبيعة والعمل وكل شيء بلامسني ، هذه الخصلة الثانية هي التي تساعدني دائمًا في احرج مواقف حياتي

ان تذليل المصاعب لبلوغ المراد هو من اكبر عوامل السعادة فاذا اقترنت هـذه بسعادة من يحيط بنا ايضًا فهناك هناء العيش حقًا . قضيت خمس سنوات بين تلك البنات اللواتي كنت اعلمهن وقد احببتهن حبًا ساعدني على ان اعيش مع كل واحدة منهن بعيشتها الصغيرة وان اساعدهن على قدر طاقتي

وقد قابلنني بالمثل فكنت دائمًا ارى وجوهًا باسمة ضاحكة وكن يرافقنني في كثير من تنزهاتي . واذكر اني زرت مرة احدى صديقاتي وكانت ابنتها تتعلم عندي ولها ١٢ سنة من العمر . فوجدت صديقتي في الفراش فأخبرتني في اثناء الحديث بأنها غضبت أمس على ابنتها اذ قالت لابيها : اذا ماتت امي فتزوج بمعلمتي فهي تكون لي اما . . . شعرت بسعادة لم اشعر بمثلها من قبل ملأت قلبي اذ أن تلك الصغار يحببنني كما احبهن . وفي وقت فراغي كنت أزور اطراف المدينة حيث يعيش الفلاحون وانفقد اطفالهم الصغار المهملين وقت الحصاد وكان قلبي يتقطع ألمًا عندما ارى تلك العيون الملتهبة بالرمد فأغسلها بمحلول حامض البوريك وبعد تنظيفها انقط محلول الزنك عليها . اظن ان بعض الاطبـاء الذين لم يجعلهم الزمن آلة بل ظلوا بشرًا يدركون تلك السعادة التي كنت اشعر بهـا عندما كنت ارى بعد ايام تلك العيون سليمة صافيـة وتلك الايدي الصغيرة تطوق عنقي . هـذا الشعور كثيرًا ما كان ينسيني تعبي عنـدما كنت في ساحة الحرب في البلقان وفي روسيا . ألم اكن سعيدة لتعافي كل جندي او لتخفيف آلامه ؟ ألم يرقص قلبي طربًا عند ما كنت ازور المريض واراه متجهًا الى الصحة وارى عائلته سعيدة لشفائه ؟ نعم اني كنت احب الجميع فأتألم لآلام كل فرد وافرح لفرحه ولهذا لم تشعر نفسي اني غريبة مع ان لي ثلاث عشرة سنة في الغربة

والامر الثاني وأهميته لا تقل عن الاول هو حسباني كل عمل شريفًا فلست أخجل من أي

عمل كان ما دام غير ماس بشرفي ولا بشرف غيري · اشتدت الازمة المالية وقت الحرب الاهلية في روسيا فصرنا نشتغل بلا أجر · نعم ان الفلاحين كثيراً ما كانوا يكافئوننا عند شفائهم ولكن لا أظن شيئاً أثقل من هذه المكافأة وقد كنت دائماً اردد « مصائب قوم عند قوم فوائد » . وحدث ان توفي زوجي فأخذت أربعة أفدنة لازرعها وكان الفلاحون يساعدونني على زرعها · نعم اننا سكان المدن لا نشعر بتلك اللذة التي يشعر بها القروي · نحن لا نفيق الا الضحى ولا ننام الا الفجر فلا نرى كيف تستقبل كل حشرة وكل عشبة وكل نسمة أشعة الشمس الاولى وتطرب لها ولا كيف يتلاشى الندى امام حرارتها ولا كيف ترفرف العصافير فرحة للدفء. نعم اني كنت سعيدة بهذه المناظر وأظن اني كنت أسعد لشعوري باني قادرة على كل عمل . ولما كنت امشي وراء الحصاد وأضم لفائف القمح كنت لا أشعر بالتعب مع اني لم اعتد هذا العمل . ولا تسأل عن ضحك الفلاحين عندما كنت أجلس للراحة أو للاكل معهم كواحدة منهم · أو كيف كان يجتمع القرويون حولي عندما كنت أضع الوقود في آلة الدراس البخارية وهذا يعد عندهم مهنة الكسالى · نعم اني في بادىء الامر عانيت تعباً شديداً اذ كانوا يوقدون بالقش والتبن وهذا يجعل الموقد في حركة دائمة تتعب الظهر . ولكني مع ذلك كنت احسب عيشي هنيئاً اذ اني لم احس الجوع أو العوز أنا وأولادي مهما ضاقت الاحوال · لم أضع وقتي بين الفلاحين سدى بل كنت أدرس أخلاقهم وعوائدهم ولغتهم وكنت لهم عند الحاجة اكبر معين . وفي وقت الفراغ من العمل في الشتاء كنت التي عليهم محاضرات في نظافة المنزل وبعض الامراض الوبائية والجلدية . كنت أقرأ لهم عن أمراض الدواب فنتباحث ملياً في هذا الموضوع وكثيراً ما أخذت عنهم اموراً لم أجدها في كتاب · ولكن اكبر همي كان مساعدة القروية التي لم تختلف حالتها اذ ذاك كثيراً عن حالة نسائنا . والفضل الكبير في تقدمها عائد للعناية الجديدة في تعليم المرأة في روسيا · ففي كل مشيخة توجد امرأة تؤلف عصابات من النساء في كل قرية فتعلمهن القراءة والكتابة وكيفية تدبير المنزل وتربية الاطفال وزرع الخضراوات الى آخره · وقد كان تأليف هذه العصابات في بادىء الامر من الامور الصعبة لعدم ثقة القرويين بتلك المرأة المرسلة من المدينة لتعليمهن · الا أن ثقتهن بي كانت والحمد لله كبيرة فكنت كل يوم أحد أجمع نساء القرية التي أسكنها واحدثهن في الموضوعات المتقدمة وكنت اسر جداً وافرح لفرح كل منهن عندما تقدر أن تكتب اسمها . وكان بين تلك النساء من جاوزن الاربعين ولكنهن كن يتعلمن بخفة الفتيات · نعم بين تلك القرويات وجدت نفسي وما كان يكدر عيشي الا تذكري ان هناك في وطني العزيز لا يقوم أحد بمثل هذا العمل ليس في القرى وحدها بل ولا في المدن · ان كل مظلوم يحن الى مثله وأنا وجدت القرويات مظلومات في البشرية مثل نساء العرب وانا احداهن فأخذت بيدهن وكنت اشتغل بينهن بكل محبة ورغبة · فلم تكن عندي أوقات ضائعة للملل أو الضجر ولم أعرف في حياتي ما هو الاحتياج

المادي أو النفساني حتى ولا في تلك المجاعة الهائلة وتلك الحروب الاهلية الفظيعة

لما مات زوجي قالت احدى المعلمات السائرات في الجنازة : « ما أتعس هذه المرأة ! لم يبق لها سوى أن تحمل الكشكول وتطرق الابواب . فهي غريبة ولا مساعد لها ولا معين وصغر بناتها يمنعها من العمل » ولم اقم في هذه الضيعة قبل هذا سوى ثلاثة أيام وانا لم أشتغل على عهد زوجي ولهذا لم يكن يعرفني احد سوى انني « امرأة زوجي » ولكن لم يمض نصف سنة حتى قالت لي تلك المعلمة : سعيدة انت ما اهناك ! فضحكت . وقلت لها : عندنا يقولون : « حتى على الموت لا أخلو من الحسد » ... وكنت اذ ذاك سعيدة حقاً لاني كنت محسودة ولست بالحاسدة ولا شيء ينغص العيش اكثر من الحسد

لا أذكر من قال من الروسيين : ينبوع الحياة في داخلنا . فيا لها من حكمة بالغة . نعم ان ينبوع الحياة فينا فاذا قدرنا أن نروي جميع مظاهر حياتنا به صارت حياتنا وردة زاهرة تتغلب برائحتها العطرة وجمالها على الاشواك التي هي كثيرة جداً في طريقنا . فلا تؤلمنا هذه الاشواك كما لو كانت وحدها . ومن لا يرتوي بينبوعه لا بد له من أن يقف كالعطشان فتجف حياته وتصير صحراء والسعادة والهناء كالسراب فيها يركض وراءه فلا يصل اليه ولن يصل ولو كانت لديه الملايين

تعلمت أن اجد الجمال في كل ما يحيط بي طبيعياً كان أو من صنع أيدي البشر . فجمال الطبيعة كان دائماً يسكن اضطراب نفسي لانه رمز الخلود وأما صنع البشر فكان جماله يجدد قواي ويكسبني اعجاباً بعقل الانسان فانكب على العمل كالنحلة . فانا ولا مبالغة كنت في جميع أطوار حياتي سعيدة اشتغل راغبة لا ملزمة ولا أجد الراحة الا عند تذليل المصاعب متمتعة بحريتي الشخصية التي هي من اعظم اسباب السعادة . وفي مواقف كثيرة برهنت للاوربيين على اننا نحن نساء العرب لا ننقص عن نسائهم اذا وُجدنا نحن وهن في وسط واحد . وخاتمة هناء عيشي هو وجودي الآن وعملي تحت مراقبة المستشرق الروسي العلامة كرتشكوفسكي أتعلم واعلم اللغة العربية . بقرب هذا الرجل الكبير الذي يحب العرب وقد كاد يضحي بحياته لدرس لغتهم ، الكبير ليس بعلمه فقط — بل باخلاقه النادرة ، اشعر بالسعادة الكبرى لانه افهمني اشياء كثيرة جميلة عن شعبي لم اكن اعرفها من قبل فزاد حبي لوطني وزادت سعادتي اذ اني صرت آملة بانه لا بد لنا نحن العرب من مستقبل لا يقل مجداً عن الماضي

٢ — رد محمد توفيق يونس افندي (مصر)

ليست السعادة بعيدة المنال ، صعبة الحصول كما يتوهم الكثيرون . ولكنهم يخطئون السبيل اليها — وهكذا يظلون السنين الطوال يعملون لنيلها فلا يجنون الا الهم والنصب — في حين انها قريبة منهم على قيد ذراعهم — في الحب بمعناه الاعم

أقول ذلك بحق ويقين . وطبيعي ألا يكون المرء واثقاً من صحة شيء وثوقه من صحة حكم يصدره بناء على مشاهدات شخصية ، واختبارات طويلة . كان هذا الموضوع مثار اهتمامي ، وموضع تفكيري ، ومحل بحثي مدة ليست بالقصيرة . وقد ساعدتني الظروف فوقفت الى جانبي تمدني بمختلف الحالات والاشخاص حتى اطمأننت الى حكم نفسي ، ووثقت بصحة رأيي

فلأ بدأ بنفسي اولا . هأنذا ارجع بذاكرتي الى الماضي واستعيد في مخيلتي ذكرياته لارى اي الآثار تركتها كل حادثة من حوادث الحياة السارة في نفسي ثم التخير من بينها اشدها قوة ، واطولها دواماً ، واغزرها ينبوعاً يفيض على نفسي الهادئة المطمئنة شعور الرضا والغبطة

ما الذي اسعدني في حياتي ؟ أهو التصفيق الذي كثيراً ما يصم اذني استحساناً لخطاب ألقيه ؟ أهو الساعة الذهبية الثمينة التي اشتريتها يوماً ما ؟ أهو ايام الاعياد وحفلات اللهو ؟

كل هـذا له سعادة ولكنها سعادة وقتية لا تدوم طويلاً فسرعان ما تذهب بذهاب هذه الاشياء او انسا نعتادها اذا ما بقيت . فان الهزة ، هزة الفرح التي تحدثها امثال هذه الاشياء الجميلة المرغوبة ، تذهب في النهاية . اما ما سأذكر فسعادته باقية متجددة

ان اسعد ساعات حياتي هي الساعات التي قضيتها في تجفيف الدموع ، واسعاد القلوب ، وتضميد الجروح . ولا انس اليوم الذي استطعت فيه ان امنع شاباً من الانتحار و كان على وشك ان يلقي بنفسه في اليم لرسوبه في امتحان فقد اظلمت الدنيا في وجهه ، وملأ اليأس القاتل قلبه ، واعتزم اعتزاماً باتاً على ألا يصل خبر رسوبه في الامتحان الى اهله الا مع نعيه . امسكت بيده ، وظللت معه طوال اليوم ، وعمدت الى ذهني استوحيه واستحثه ، واستعملت كل ما املك من طلاقة لسان وقوة حجة وسعة حيلة لازالة ما في قلبه من يأس ، وما في نفسه من هم . وكم كانت سعادتي عظيمة حين تبدل يأسه املاً ، وظلام نفسه نوراً . ومرة اخرى استطعت ان اجد عملاً لرب اسرة عاطل . وكانت سعادتي بنجاحي في هذه المهمة لا تقل عن سعادته ان لم تزد

وفي احدى الليالي وانا عائد الى البيت وجدت غلاماً صغيراً يبكي . اثر في بكاؤه ووقفت اسأله عن السبب . اجابني بأنه خرج مع اخته الكبرى وانه لم يلبث ان افتقدها وهو لا يعرف طريق العودة الى البيت . فأخذت بيده وما زلت به حتى ارجعته الى اهله . وفي ذات مرة بت الليل احمل طفلاً مريضاً بينما كانت والدته المسكينة تنام وقد انهكها التعب ، وأضناها السهر

هذه بعض أشياء ، اقتصر عليها خوف الاطالة . وهي وان كانت تبدو للبعض تافهة بسيطة الا انني كنت اجد في القيام بها سعادة لا تعدلها سعادة

ما الدافع الذي يعثني على القيام بمثل هـذه الاشياء ؟ هو حب الانسانية الذي يملأ قلبي ، ويملي علي ارادته فأسير اعمالي وفقاً لهذه الارادة السامية

اذن فمرجع السعادة في رأيي هو الحب بمعناه الاعم فلو انه عمر كل قلب ، وهيمن على كل

نفس ، ونظم علائق الأفراد بعضهم مع بعض لوجدت السعادة شاملة ، والحياة كاملة

اعرف موظفاً غنياً ليس في حاجة الى مرتبه الذي يتناوله من الحكومة . وكان مقرراً للقسم الذي هو فيه علاوة استثنائية يستحقها هو وآخر ذو اسرة كبيرة وليس له وسيلة للعيش الا مرتبه. وقد وقع عليه الاختيار فحقد الاول عليه حقداً نغص حياته الى حد انه مرض ولزم الفراش اياماً ، فلو ان هذا جعل الحب يقوده في اعمال الحياة لوجد في هذا الامر الذي أيأسه واشقاه مدة ما سعادة كبيرة لا تقدر - رجل يرى ان غيره احوج منه الى مكافأة فيتنحي جانباً و يفسح له الطريق لينالها . أليس في اسعاد هذا المخلوق البائس واسعاد اسرته المسكينة سعادة للمسبب

اعرف اسرة تسكن الريف . زرتها ذات مرة فرأيت الجناح المعد للضيوف من البيت فخم البناء ، ثمين الرياش ، والجناح المعد لسكنى الاسرة حقير الاثاث لا يصلح لسكنى حيوان فضلاً عن انسان . لم يدفع الرجل الى بناء بيته وتأثيثه دافع الحب وانما دافع العظمة والكبرياء حتى يتحدث عنه وعن داره الناس . ودليل ذلك العناية الشديدة الفائقة بالجناح المعد لاقامة الزائرين واهمال الجناح المعد لسكنى الاسرة هذا الاهمال الفاضح المعيب مع انه أحق بالعناية والتنظيم . هذا الرجل لا يشعر نحو اسرته بعاطفة حب قوية ولذلك تجد الاسرة مفككة ، والصلة بين اعضائها تكاد تكون معدومة فالاب لا يعرف شيئاً عن اولاده ولا يهتم الا بنفسه ، والاثرة شديدة بين الاولاد ينفس احدهم على الآخر ما هو فيه من خير ويستكثر عليه ما اوتي من نعمة فالخلاف بينهم مستحكم ، وبغض بعضهم لبعض شديد اذا نظرت اليهم وجدت عيوناً غائرة ، ووجوهاً شاحبة ، وجسوماً ينقصها النور والحرارة . والاب في مثل هذه الحالة لا يكون بالطبع هادئاً ولا سعيداً

وجملة القول ان الحب في رأيي هو أمثل طريقة للحياة الهنيئة السعيدة . فاذا أردت ان تكون سعيداً فدع الحب يملي عليك ارادته واتبع هذه الارادة في اعمالك

هذا هو أثر الحب في حياة المرء وسعادته . ومن تمام السعادة أن يصحب الحب التفاؤل فانه يجعل الحياة فرحة مرحة فيجد المرء في كل شدة فرجا ، وفي كل ضيق مخرجاً . فلو ان ذلك الفتى الراسب الذي حلت بينه وبين الانتحار نزع المنظار الاسود من على عينيه فرأى ما في الحياة من جمال ، وما في المستقبل من أمل لما ترك لليأس سبيلاً الى نفسه

غير اني أرى أن الانقباض وغيره من موانع السعادة كالاسراف واهمال عقولنا وأجسامنا والوقوع في حبائل العادات السيئة تمتنع بوجود الحب ففي انقباض النفس مثلاً تكدير لصفاء من حولنا وسخط على النفس مصحوب برذيلة الحسد وهذا ما لا يرضاه محبو الانسانية فهم يرون من أول واجباتهم أن يزيدوا سعادة الناس وغبطتهم . كما أن في الاسراف ، واهمال الانسان عقله وجسمه ، ووقوعه في حبائل العادات السيئة ما يمنع المرء من القيام بالواجبات التي يمليها عليه الحب

عقيدة التنفس

بقلم الدكتور نقولا فياض

لا يأخذك العجب أيها القارىء لهذا العنوان الغريب فليس المراد به إشراك الدين في وظائف الاعضاء ولا حصر التنفس في المؤمن دون الكافر ومع ذلك فالتنفس عقيدة كما سيمر بك

لا ريب ان وظيفة التنفس هي أهم عمل في جسم الانسان الحي بل لها السيطرة على سائر الاعمال حتى ان ادنى خلل يتطرق اليها يؤدي الى خلل الوظائف الاخرى جمعاء

واذا رأيت جسماً عليه كل ظواهر الصحة وكان ضعيف التنفس فاعلم انه مستعد لكثير من الامراض ، مزمنة كالسلال أو حادة كذات الرئة

ذلك لان من جراثيم الامراض ما ينزل في حال الصحة على الانسان ضيفاً هادئاً فيتحمله الجسم دون ان يتألم منه او يشعر به ومن هذه الجراثيم ميكروب ذات الرئة فانه يبقى مسالماً بعيداً عن الأذى ما دام التنفس سليماً وبخلاف ذلك اذا اختل عمل هذه الوظيفة لان اختلالها يفضي الى نقصان في التبادل الدائم بين او كسيجين الهواء وغاز الفحم الناتج عن الاحتراق الباطني . وعاقبة هذا النقصان تقصير الكبد في أداء مهمتها وضعفها في محاربة السموم التي يفرزها الجسم ثم يتناول هذا الضعف خط الدفاع الحيوي كله فتخف المقاومة ويستفحل امر الميكروب لأدنى عارض يطرأ على الانسان كالبرد مثلاً

تلك هي تعاليم باستور الذي اثبت بالبرهان فعل الاستعداد والتربة في ظهور الامراض . وقد شغل الناس عنها بانصرافهم الى الميكروب واهتمامهم الشديد به

وهي تدلنا على ان سلامة التربة قائمة بسلامة التنفس وهذا المبدأ الصحي ليس وليد العصر الحاضر بل تجده في عقائد العامة منذ الزمان القديم

ما هي الحياة ؟ أول سؤال جرى على لسان الناس منذ اخذوا يفكرون ولا يزال الى اليوم يجري على لسان الفلاسفة . وقد كان جواب الانسان الاول عليه كجواب من جاء بعده فالحياة في نظر السابق واللاحق هي تلك النسمة التي تدخل البدن من الانف وتخرج من بين الشفتين في شكل ضباب او بخار . هذا الاعتقاد القديم لا يزال اثره في كل لسان وكل حضارة

وما يرويه لنا كتاب التكوين من ان الله جبل الانسان من التراب ونفخ فيه نسمة الحياة فكرة قديمة تلبست صوراً مختلفة من خلال العصور دون ان تتغير في الجوهر فهي هي في جميع الاديان من الشمال الى الجنوب ومن سماء آسيا المشرقة الى آفاق سكندنافيا المظلمة

ذلك لان السلائل البشرية على اختلافها قد ادركت بإلهام الفطرة قيمة التنفس فأحاطته بالاحترام الفائق وقدسته تقديس الآلهة

وترى هذا التقديس بأجلى مظاهره في تعاليم الهندوس التي جعلت التنفس في مرتبة براهمه أي معرفة « الكائن الاسمى »

والتنفس والنفس من اشتقاق واحد وتجمعهما في لسان الهندوس كلمة واحدة هي « أتمان »

وقد دفعهم هذا الاحترام الخاص بالتنفس الى نوع من التقوى والايمان فجعلوا طريقة تنفسهم ككتاب صلاة . وهذا الكتاب يذكر لنا النزاع الذي قام بين التنفس والوظائف الاخر ويترنم بانتصاره عليها :

« ذهبت الحواس مرة الى الاب « براجاباتي » وقالت : ايها القدوس من منا الافضل في عينيك؟

« فأجاب الاب براجاباتي : أفضلكم عندي الحاسة التي لا يستغني الجسم عنها ولا يحتمل فراقها

« فغادر الصوت الجسم وغاب عاماً كاملاً ثم عاد وسأل الجسم كيف أمكنك ان تعيش بدوني ؟

— عشت كما يعيش الابكم لا اتكلم ولكني اتنفس وأرى بالعين وأسمع بالاذن وأفهم بالفكر

« فدخل الصوت الى مقره وخرج البصر وبعد سنة رجع وسأل الجسم كالاول كيف قدرت ان تعيش بدوني ؟

— كالاعمى لا أرى ولكن اسمع وأتنفس وأتكلم وأفكر

« فدخل البصر الى مقره وغاب السمع والفكر ثم رجعا وعرفا ان للجسم سبيلاً الى الاستغناء عنهما

« حينئذ جاءت ساعة التنفس فلما عزم على السفر كان كالجواد الذي يريد الانطلاق فيقتلع في سبيله كل الحواجز وهكذا اقتلع معه كل الحواس

« فخافت الحواس وقالت له : انت بلا ريب افضلنا فلا تذهب »

هكذا كان النفس او التنفس محور الحياة في الفلسفة الهندية فرفعوه الى المقام الاسمى فوق كل مقام

ونشيد « الاثرواويدا » يترنم بنسمة الحياة كأنها السيد المطاع وعليها المعوّل في كل شيء :

« كما ان للاذن والعين في السموات تكافؤ في القمر والشمس كذلك للتنفس تكافؤ في الريح

« فالنار والقمر والشمس تمشي مشياً متقطعاً وأما الريح فلا تعرف السكون

« وبالريح تعوم الموتى لتصل الى السماء

« ان الذي يدرك افضلية التنفس ويشترك فيه لان جوهره هي المعرفة فهذا يذهب مع الريح ويصير أثيراً فيصل الى العالم العلوي حيث الآلهة الخالدة »

وعلى مثل هذه المبادىء التي هي مزيج من علم النفس والدين أقام الصينيون قبل المسيح

بألفين وستمائة سنة نظماً وقواعد لرياضة التنفس لا تتعجب منها بقدر ما تتعجب من صبر الذين كانوا يخضعون لها و يعملون بها . ومن هذه القواعد ان ينهض الانسان في الساعة الرابعة صباحاً من اول كل شهر و يستنشق هواء الشمس سبع مرات ثم يستنشق في الساعة الثامنة مساء هواء القمر سبع مرات مع الاهتمام بفرك الجسم والتمسيد والاقامة في دير منقطع يستريح فيه الانسان من ضوضاء العالم ، وتقسم هذه المعالجة الى ثلاثة أقسام مدة كل منها مئة يوم

والحق يقال ان مرضى تلك الايام كانوا على جانب عظيم من الحلم والاناة والايمان بالطبيب

نحن اليوم على اتفاق تام مع الحكيم الهندي من حيث الفائدة التي تنجم عن الرياضة التنفسية ولكن علمنا يقف عند عتبة الفسيولوجيا وأما هو فيذهب الى أبعد من ذلك لان التنفس في نظره عقيدة بل فن ديني يصل به الى جمع قوى الروح والتغلب على الارادة والفوز بالسعادة

واذا كنا لا نتلمس في الهواء غير الاوكسجين فهو يرى فيه عنصراً آخر أهم و يسميه « البرانا » أي القوة المطلقة مبعث العزيمة والنشاط . هذه البرانا موجودة في الهواء وحيث لا يصل الهواء . والفقير الهندي يعرف ان يستخرج منه قدراً عظيماً و يخزنه كما تُخزن الكهربائية وذلك بالتنفس المحكم المنظم

هكذا يقول « براماشاراكا » :

« كل شيء هو اهتزاز وأجسامنا خاضعة لشرعة الاهتزاز كالسيار في دورته حول الشمس

« فاذا اخذ الانسان الاهتزاز أمكنه الاستيلاء على مقدار عظيم من البرانا وتصريفه كما يشاء فتشتد اعضاؤه و يقوى دماغه وتنمو القوى الكامنة فيه و يصير له سلطان روحي كالشفاء المغناطيسي ونقل الافكار وإقامة حاجز يحميه من نفوذ الآخرين »

هذه هي عقيدة التنفس وأظنها لم توضع الا لتهدي الى مبادىء الصحة شعوباً عطشى الى الصور والى الايمان

على كل حال فللهندوس فضل في إظهارهم نتائج التنفس العميق المنتظم لانه يجلب الهدوء والراحة و يتغلب على الغضب و يعطي الانسان ولو الى حين سلطة على طبعه ومزاجه

والقارىء الذي لا يضطره جهاد الحياة الى إجهاد البدن يستطيع المحافظة على صحته واجتناب كثير من الامراض بتنبيه الدورة الدموية وطرد الفضلات وتجديد الخلايا وذلك برياضة يومية لاعضاء التنفس

هذا ما أبقاه لنا الهندوس في علومهم فيجب ألا ننظر اليهم من قمة حضارتنا نظرة ازدراء . نعم ان البرانا لا يحلل بالكيمياء وليس عندنا من الادوات ما نستطيع به الوصول اليه أو وزنه وقياسه ولكن من يدري ما يأتي به الغد فقد يفتح لنا من مغلق الاسرار ما نكتشف به شيئاً انكرناه اليوم وعندئذ نقدمه الى العالم باسم جديد لحقيقة عظيمة

الدكتور نقولا فياض

اسباب الفشل في الحياة

ماذا نتقي لكي ننجح ؟

منذ سنوات وضع احد اطبائنا المشهورين كتاباً عن « اغلاط الجراحين » روى فيها طائفة من الاغلاط التي وقع فيها الجراحون حتى يستنير باغلاطهم المبتدئون في الجراحة ويعتبرون بها

وللنجاح في هذه الدنيا طريقان : الطريق الايجابي وهو اصطناع العادات الحسنة والطريق السلبي وهو تجنب العادات السيئة . فكتاب « اغلاط الجراحين » مثلاً يهدي الطبيب الى النجاح بايضاح طريق الفشل

والناس يختلفون في النجاح . فمنهم من يرغب في المال او العلم او الشهرة . ومنهم من يحاول اتقان صناعة والتبريز فيها يقنع باقل المال اذا هو حقق غرضه في اتقانها او الاهتداء الى وجه من وجوه التفوق فيها . ولكن الناجح يحتاج الى جملة صفات تؤدي باجتماعها الى الغاية المطلوبة فهو لا يحتاج فقط الى الدأب في العمل بل ايضاً الى صحة الجسم والهناء العائلي . فان الرجل المتقلب الذي لا يثابر لا ينجح ولكن المريض ايضاً لا يستطيع تحقيق اي غرض من اغراضه . اما من كان مشتت الذهن في خلاف متصل مع اهله فلا امل له البتة في النجاح ما لم يستقر على حال

واذا كانت سير العظماء والاغنياء والعلماء تهدينا الى معرفة الاسرار التي قام عليها نجاحهم فان في سير المخفقين ما نستنير به ايضاً عن علة اخفاقهم حتى نتوقاها . وقد تكون هذه العلة او العلل غير واضحة ولذلك يحتاج الشباب الى تراجم المخفقين باستيفاء واسهاب كما يحتاجون الى قراءة تراجم الناجحين الموفقين

وفي ميدان هذه الحياة ينشأ الناس وهم مستوون او يكادون في سن الشباب من حيث الفرص المتاحة لهم لكي يتفوقوا . ولكنك تجد احدهم قد اهمل مواصلة الدرس في المدارس العليا فيتخلف عن اقرانه . وتجد آخر قد اعتاد الشراب فتهن صحته ولا يقوى على النشاط . وتجد آخر قد قنع بدخل متوسط وهو في سن الثلاثين فلا يطمع في اكثر منه وتنقطع احلامه وامانيه وهي غذاء نجاحه . ثم تجد آخر قد اكب على القمار حتى ارتبكت احواله المالية والمعيشية . وهناك ايضاً آخر قد اساء اختيار زوجته فهو منغص في بيته مشتت الفكر في عمله لا يستطيع النجاح بل هو لا يبالي به لانه يرى انه قد سُقط في يده في هذه الدنيا . فالنجاح لا يحتاج الى براعة واجتهاد بل ايضاً الى

حكمة في المعيشة والنظر في الغاية . ولهذا يقل عدد الناجحين بتوالي السنين حتى اذا كانت سن السبعين لم نجد في المائة سوى عدد قليل قد بذوا اخوانهم ممن ابتدأوا معهم على قدم المساواة في سن الشباب

وقد وضع احد المؤلفين الاميركيين وهو رجل اخصائي في العمران يدعى ستانلي كتاباً استقصى فيه سير مائة رجل ابتدأوا في شبابهم على مستوى واحد من حيث الفرصة . ولم يكن لهم ما يعولهم سوى عملهم . وكانت سن كل منهم ٢٥ سنة . فلما مضت عشر سنوات مات منهم خمسة واثرى عشرة وايسرت حال عشرة أيضاً وكان لاربعين منهم مناصب حسنة و بقي خمسة وثلاثون كما ابتدأوا منذ عشر سنوات

و بعد عشرين سنة مات ستة عشر . واثرى ثلاثة . وكان خمسة وستون يعولون عائلاتهم وكان خمسة عشر منهم يعتمدون على مساعدة أقاربهم

و بعد ثلاثين سنة مات عشرون واثرى واحد اثراء فاحشاً وكان ثلاثة في أحوال مالية حسنة وكان ستة واربعون يعولون عائلاتهم بكدهم و بقي ثلاثون يعتمدون على مساعدة عائلاتهم

و بعد اربعين سنة مات ستة وثلاثون . ومن الباقين واحد غني جداً وثلاثة متيسرون وستة يعولون عائلاتهم بكدهم وثلاثة وخمسون يعيشون على الهيئة الاجتماعية

وبعد خمسين سنة مات ثلاثة وستون منهم ستون ماتوا بدون أن يخلفوا تركة يؤبه بها . و بقي واحد غني أما الباقون فكانوا يعيشون عالة على الهيئة الاجتماعية

هذه هي خلاصة الكتاب الذي وضعه المستر ستانلي وهو يدرس مع ذلك عائلات اميركية في بلاد مشهورة بالغنى واتساع الفرص للاثراء . وقد درس الظروف التي أدت الى التوفيق عند واحد والفشل عند آخر فوجدها عديدة متنوعة . وقد يلاحظ القارىء ان الفشل أنواع حتى الموت قبل الخمسين او الستين قد يكون نوعاً من الفشل كان يمكن توقيه بالحكمة في المعيشة والاعتدال في الراحة والعمل ومجانبة الانغماس . وذلك لان الذي يموت قبل سن الاربعين أو الخمسين قد يخلف من الاولاد عدداً لا تكفيهم الثروة المتروكة لهم فيعيشون في فاقة مدى حياتهم ولكنه قد يكون حكيماً فيعرف مرضه فلا يتزوج واذا تزوج لم ينسل

ومنذ أشهر أوفدت احدى الصحف الاميركية مكاتباً لها لكي يستقرىء حياة خمسة من المعدمين الذين تعولهم الحكومة لعجزهم عن الكسب . فأخذ يسألهم واحداً بعد آخر . فوجد ان الاول اهمل

في ادخار شيء مدة شبابه وكان ربحه عظيماً يبلغ نحو ثمانية جنيهات كل اسبوع وظن ان الحال لن يحول وان هذا الربح سيدوم ولكنهُ أُصيب بكسر فلم يقدر بعد ذلك على الربح العظيم وارتبكت أحواله وعاد لا يجد عملاً يعيش به

اما الثاني فكان يربح ربحاً متوسطاً فتزوج . وبعد الزواج وجد ان دخله لا يكفيه فأجر بعض الغرف من منزله . وفي احد الايام وجد زوجته في احدى هذه الغرف فاتهمها وانتابته نوبة الغيرة فضربها حتى آذاها . وانتهى هذا العمل بحبسه خمس سنوات خرج بعدها موصوماً كلما عرف احد بحبسه تجنبه فلم يجد لذلك عملاً يتوفق فيه الى النجاح او حتى الى العيش الضنين

اما الثالث ففشله سهل التشخيص والتعليل لانه يرجع الى انغماسه في الخمر . وقد حاول المسكين ان يصلح نفسه وانتظم في الجيش البري والبحري مدة ١٢ سنة ولكنه عاد الى الشراب

اما الرابع فكان على وشك النجاح . ولكنه كان قانعاً عاش ٢٥ سنة في مهنة الطباعة يربح منها ربحاً غير قليل فلا يحاول ان يرتقي منها الى ما هو ارفع . وكذلك لم يكن يدخر شيئاً فلما اصابه المرض عاد الى الفاقة التي لم يخرج منها بعد

أما الاخير فيعزو فشله الى المرض في قلبه ويمني نفسه بالشفاء والعودة الى العمل

والآن ماذا يجب على الشاب أن يتجنب لكي لا يفشل أو ما هي قواعد الفشل التي تودي بالناس :

١ — هي قبل كل شيء الاستهانة بالصحة . والشاب يشعر بقوته وهو في العقد الثالث فلا يكاد يفكر في مرض يقعده أو حادثة تعجزه عن العمل . فهو يسهر ويسكر وينغمس في الطعام وقد يهمل الرياضة . فاذا بلغ الاربعين أو الخمسين عرف خطأه حين لا تنفع المعرفة

٢ — وكما يجب على الشاب أن يدخر صحته لكهولته او شيخوخته كذلك يجب عليه ان يدخر بعض ماله لهذه السن . وشركات التأمين من انفع وسائل الادخار

٣ — والزوجة السيئة من اكبر اسباب الفشل . وهنا يحتاج الشاب الى حكمة في الاختيار والمعاملة

٤ — اما العادات السيئة مثل الخمر او القمار فقاضية بلا شك على اي نجاح مهما كانت الظروف مؤاتية

٥ — وكذلك يحتاج الشاب الى براعته ودأبه في العمل الى ان يكون طموحاً يطمع الى احسن مما هو فيه . فانه اذا لم ينل ما يطمع اليه كان امله هذا باعثاً له على النشاط والهمة

نحن والاغريق

مقابلة ومعارضة للاخلاق والآداب

الاغريق القدماء مضرب المثل في الرقي الادبي اذا اعتبرنا الادب من حيث فنونه جميعها . فهم في الدرامة والشعر والمثالة في المقام الاول يحتذى على مثالهم وتُعاير الآداب الجديدة بمعاييرهم . ومع ان دولة الاغريق قد دالت منذ اكثر من الفي سنة فان أدبهم لا يزال حياً . فنحن في القاهرة ما زلنا نرى مأساة أوديب الملك ونعجب بها . والياذة هوميروس ترجمت الى لغتنا في القرن العشرين . وقلما ندخل متحفاً أوربياً الا ونجد فيه طائفة من تماثيل الاغريق

فهل الاغريق جديرون بهذه الذكرى وهذا التقدير ؟

اننا نحتاج للمقابلة بيننا وبين الاغريق الى معيار نعاير به ما عندنا وعندهم من أخلاق وآداب . ولكن هذا المعيار المشترك ليس موجوداً ولن نجده . ولايضاح ذلك نقول :

ان وجوه المفاضلة بين الناس تختلف باختلاف العصور . فهي مثلاً كانت في القرن الاول للاسلام تنحصر في الفروسية والتقوى او في احداهما . فعمر وخالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب كلهم فارس او تقي او يجمع بين الصفتين . وقد كانت الحال كذلك في القرون الوسطى في اوربا فقد كان للفروسية شأن عظيم لا يقل عن شأن القداسة . وقد نشأت في رودس طائفة من الرهبان الفرسان تدعى الداوية جمعت بين الصفتين . وكان وجه المفاضلة عند الرومانيين القدماء الشجاعة وتدبير الحروب . وهو الآن عند الامم الحديثة شيء بعيد عن هذه الصفات بحيث اذا اردنا ان نصف احد الناس بأنه أسعد من غيره لم نقل انه اشجع او اتقى من غيره بل انما نقتصر على انه اغنى منه ثم تلحق بالغنى صفات الصحة والهناء العائلي ونحو ذلك

فنحن نفاضل بين الناس بغناهم فأفضلهم من كان اكثر ثروة وهو ايضاً اسعدهم اذ يكاد يكون من المحال الآن ان نعتقد ان رجلاً يعوزه المال يستطيع ان يكون سعيداً . ولا يخطر في بالنا ان السعادة تنتج عن التقوى او الشجاعة واذا نحن قابلنا بين اثنين فانما تحور هذه المقابلة في النهاية على قدرة كل منهما نعني تلك القدرة التي يجلبها المال الى صاحبها . فلبريطانيا واميركا المقام الاول بين الدول لانهما اغناهما واقدرهما على الصناعة . وليست الحركة الصناعية والتجارية التي تثار من أجلها الحروب الآن سوى منافسة مالية وهذا النشاط الذي يتسم به الاميركي او الاوربي يرمي في الواقع الى جلب المال

لحضارتنا الراهنة تماير الاقدار والقيم فيها بالمال وهي مسودة بما يسميه علماء النفس « باعث المال » وكلنا يفاضل بين الاشياء والناس بمقدار القيمة المالية . كما كانت المفاضلة في القرن الاول للاسلام وفي القرون الوسطى بالشجاعة والتقوى

ولكن الاغريق القدماء كانوا يعايرون الاشياء والناس بشيء آخر لا هو بالتقوى ولا هو بالمال ولا هو بالشجاعة . وانما هو الجمال . وليس الجمال غريباً عنا كل الغرابة فهو يدخل في تقديرنا ومفاضلتنا ولكنه يدخل دخولاً ضعيفاً كأنه شيء ينضاف الى الاصل الذي هو المال كما كان المال نفسه او الشجاعة يدخلان في تقدير الاغريقي . فاذا كان الباعث للنشاط الآن هو المال فان الباعث للنشاط عند الاغريقي القديم كان « الجمال » فانك قلما تقرأ لاحد كتاب الاغريق شيئاً عن السعادة الا وتراه في مطاوي ذهنه يرمي الى غاية الجمال على غير وعي منه لان هذا الباعث قد استبطن عقله الباطن بتأثير النشأة و التربية والوسط . ولنذكر بعضاً من كتاب الاغريق وما يقولونه في الجمال :

الاغريق والجمال

كان سقراط يقول ان الرجل الفاضل لا يكون كذلك الا اذا كان جميلاً ومن كان جميلا فهو فاضل بطبعه . فاذا حزبه الحوار ولزه المجادلون بالواقع من حيث ان الدميم من الرجال قد يكون ايضاً فاضلاً قال : انما هذا شذوذ . ولم يكن سقراط يعتبر بالظواهر فانه كان يقصد الى جمال النفس يشف عنه الوجه وكان في الاصل مثالاً يصنع التماثيل ولذلك كان يقول انه ينبغي للمثال ان يجعل تمثاله يؤدي الى الناظر اليه ما يجري في عقله وما يشغل باله من الافكار . ووجه سقراط نفسه يوهم لاول وهلة الدمامة ولكنه عند التأمل يبدو جميلاً

وكان تيوجنس شاعراً مفكراً فمن أقواله : « ان الجميل محبب الى النفس . وما ليس جميلاً فلن يحب . وهذا قول قد فاهت به شفاه خالدة »

وقالت صافو : « اذا نحن تأملنا الشخص الجميل الفيناه فاضلاً واذا نحن تأملنا الرجل الفاضل الفيناه جميلاً »

وكان سيمونيدس اذا صلى دعا ربه أن يهبه الصحة والجمال

ولكن دعوى الجمال عند الاغريق لم تكن قائمة على كلمات تجري على ألسنة الكتاب والفلاسفة فان الامة نفسها كانت مشبعة بروح الجمال اذ هو همها الاكبر الذي يبتعث نشاطها وغايتها العظمى التي يرمي اليها كل فرد . فقد كان عند الاغريق مسابقات للجمال وكانوا يجمعون طائفة من

الشبان المصطفين من الطراز الاول في الجمال يمشون أمام الناس عراة يؤدون صنوفاً من الرياضة التي تبرز للجمهور ميزاتهم في القوام والوجه يركبون الخيل والعربات يقفزون منها و يعدون والجمهور الواقف يغذو عينه بتقاسيم وجوههم وأجسامهم

ولكن « باعث الجمال » الذي كانوا يرضعونه من امهاتهم وهم اطفال و يشبون عليه الى الرجولة لم يكن مقصوراً على جمال الجسم الانساني وان كانوا قد بلغوا في ذلك أعظم ما بلغته امة حديثة أو قديمة في إدراك المثل الاعلى للجمال الانساني حتى ان تماثيلهم يقاس عليها ولا تقاس هي الى غيرها وانما تعدوا هم ذلك الى جمال المدينة والمنزل والثياب والادوات . فنحن مثلاً نعتقد اننا ننتهي من موضوع الجمال في الوسط اذا نحن قصرنا اهتمامنا على جمال المنزل الذي نسكنه . ولكن الاغريقي كان يحسب لجمال الشارع والمدينة . فقد كانت اثينا مثلاً تحتوي على مائة الف ساكن وكان بها مع ذلك مائة الف تمثال تزين شوارعها ومعابدها . ويمكن القارىء ان يمثل لنفسه هذا المعنى بأن يفرض ان احد الشوارع الكبرى للقاهرة قد قام على جانبيه نحو عشرين الف تمثال من المرمر بعضها يمثل الآلهة و بعضها يمثل الناس كل منها لا يبعد عن الآخر بنحو عشر خطوات

وأيضاً لم يكن الاغريقي القديم يرضى باستعمال أدوات المنزل اذا كانت صناعتها جافية أو تنافي الجمال . ولذلك فان الزهريات والاطباق الاغريقية التي كانت ربة البيت في اثينا تستعملها لحاجة اولادها وزوجها نرى نحن فيها من الجمال ما يجعلنا نغالي في سومها ونضعها على جدراننا زينة . والآن يمكنك ايها القارىء ان تعرف الفرق بيننا و بين الاغريق اذا سألت نفسك كم من اطباقنا وأدوات منازلنا يستحق بعد الفي سنة ان يزين بها الناس منازلهم ؟

الاعتدال وحرية البحث

قلما نقرأ كتاباً عن الاغريق القدماء الا ونرى فيه اشارة الى هذا الاعتدال أو التوسط الذي يتسم به المزاج الاغريقي . وهو في حقيقته صورة أخرى من صور الجمال لان الشطط والغلو ينافيان الجمال . وقد كان منقوشاً على معبد دلفي وهو اكبر معابد الاغريق جملتان احداهما : جانب الشطط . والاخرى : اعرف نفسك

فالاغريقي لم يصنع قط معبداً يشبه معبد الكرنك في ضخامته . ولم تكن مدينته تزيد عادة عن ٥٠٠٠٠ نفس . ولم يكن يصوم عن الخمر ولكنه كان ايضاً لا يغلو فيسكر . ولم تكن في ديانته رهبانية او نسك كما لم يكن يعرف تلك العادات التي مارسها ملوك الشرق في الزواج الكثير والنهم للطعام

وكان للاعتدال معنى آخر عند الاغريقي إذ كان يقصد منه كمال الشخصية فهو اذا فكر في تربية نفسه لم يقصد الى ترقية ذهنه وحده لان تربية العواطف بالموسيقى والرقص والغناء كان يشغل باله مثلما تشغله الفلسفة . فهو لا يبالغ في إجهاد ذهنه حتى يجد لعواطفه الوقت والقوة لتنشئتها . وهو لا يبالغ في جمع الثروة بل يتوسط و يعتدل حتى يلتفت الى الشؤون الاخرى للحياة

فهاتان الميزتان للاغريقي القديم هما الجمال والاعتدال . ولكن ثم ميزة ثالثة للاغريق وهي تبرز بروزاً واضحاً اذا قابلناهم بالامم القديمة التي عاصرتهم او حتى ببعض الامم الحديثة نريد بها ميزة الحرية الفكرية . فالاغريق اول أمة حددت سلطة الآلهة ومنعتها من الدخول في البحث الادبي أو العلمي . وحكم عليها ارسطوطاليس بأنها على قدرتها لا تقدر ان تبدل نواميس العالم اي انها لا تستطيع المعجزات . وهذا هو السبب في ان دراسة الاغريق كانت مبعث النهضة الحديثة فانهم بعثوا في النفوس حرية البحث في الادب والعلم والدين . وهذا ايضاً هو السبب في الصدمة التي يشعر بها رجل مثقف بثقافة شرقية عندما يقرأ ما يقوله افلاطون في طوباه عن الشيوعية . وقد ذكرنا تيوجنس آنفاً في كلامه عن الجمال ونحن نذكره هنا ايضاً للاستشهاد به عن حرية البحث . فان من اقواله ان الفرس حيوان عتيق اما الانسان فحيوان هجين لان الاول لا يتناسل الا برأي وتدبير ولا يخصص للفحلة منه الا العتاق من الذكور أما بين الانسان فالزواج مباح للجميع . فهذا نظر موضوعي للانسان والحيوان لا نرى ما يشبهه الا في القرن العشرين . وربما كان أهم ما أحدثته نصيحة دلفي « اعرف نفسك » من حرية البحث والنقد تلك الثروة الضخمة التي ألفها الادباء في الدرامة الاغريقية . فان بعضهم يقدر الدرامات التي ألفت للمسارح الاغريقية في القرن الذي عاش فيه بركليس بنحو ٤٠٠٠ درامة تنقد الحياة كان لسوفكليس وحده منها نحو ١٣٠ درامة . وليس شيء أدعى الى ان تعرف به نفسك مثل الدرامة

ثم يجب ألا ننسى ان الاغريق أول من عرفوا الحكومة الذاتية فكانوا يحكمون انفسهم بأنفسهم ليس عليهم امير أو ملك . وهم انما بلغوا ذلك بما تملك نفوسهم من ملكة النقد

وخلاصة القول ان الاغريق يمتازون منا ومن الامم القديمة بشيئين مهمين : أولهما تقديرهما للجمال واعتباره معيار السعادة . وهذا الجمال هو اصل الاعتدال الذي يتسمون به . والثاني هو حرية البحث الذي هو أصل هذا الادب الحي الذي خلفوه لنا وكان من نتائجه عندهم تلك الدرامة العظيمة التي كانت أداة النقد للحياة العامة ثم هذه الفلسفة الجريئة التي ما زال بعضنا في سنة ١٩٢٧ يخشاها وهذه الحكومة الذاتية التي لا تعرف اميراً أو ملكاً

س . . .

الفروسية (La Chevalerie)

تاريخها، ومبادئها، ورسومها

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

اذا كان الاقطاع[1] أساساً جوهرياً لصرح النظم الاجتماعية والسياسية في العصور الوسطى، فان الفروسية أهم حجر في هيكل الاقطاع، بل تكاد تكون قاعدة جوهرية للاقطاع ووحدة لبنائه تربط أطرافه المتباينة، وتصل طبقاته الرفيعة منها بالوضيعة. وقد كانت أهم ظاهرة للتفريق بين البشر في بدء العصور الوسطى قبل أن تنتظم الفروسية وتزدهر، الحرية والرق، فكان من الناس أحرار وأرقاء. فلما اضمحل نظام الرق، وسما شأن الفروسية، كانت أهم ظاهرة للتفريق بين البشر، النبل والمنبت العام، فكان من الناس فرسان او نبلاء او سادة وكافة او عامة. هذه الفروسية التي لبثت قروناً زهرة المجتمعات النصرانية والتي لعبت دوراً كبيراً في الحروب الصليبية ترجع مبادئها ورسومها وتقاليدها الى نحو القرن التاسع والى نظم الاقطاع في عهد النورمان. والظاهر انها ترجع في الاصل الى رسوم القبائل الجرمانية لان المؤرخ تاسيتوس يذكرها ويصف رسومها في حديثه عن أحوال هذه القبائل. وعلى أي حال فان نظام الفروسية لم يترعرع ويستكمل أسباب الاستقرار والنمو الا في القرن الحادي عشر اذ غدا نظاماً سياسياً اجتماعياً يرجع الى أصول وقوانين متعارفة أدمجت فيه الحقوق والواجبات جنباً الى جنب.

والنبل كما رأيت قاعدة الفروسية وميزتها الاولى. وقد كان التفريق بين النبلاء والعامة في مراحل الاقطاع الاولى غامضاً في الغالب، ولكنه تقدم مذ أصبحت وراثة الضياع المقطوعة حقاً مقرراً، ثم غدا في النهاية محوراً لاجتماع الناس الى طوائف قوية سريعة هي أظهر عنصر في مجتمع العصور الوسطى. والنبل يتكون من عنصرين متمايزين: الاول وراثة الضيعة بما تحمل من تعهدات في أداء الواجبات الكبرى، والثاني أهلية القتال على ظهور الجواد او بعبارة اخرى الفروسية Chevalerie. والصفة الثانية تحمل في ثنيتها فكرة الملك أيضاً، فهي تتضمن القدرة على اقتناء العدد الغالية اللازمة لاداء واجبات الفارس. وقد كان امتزاج هذه الفكرة بفكرة الملكية العقارية

---

(١) الاقطاع هو نظام سياسي اجتماعي حربي كان سائداً في القرون الوسطى. وظهر في القرن التاسع حينما ضعفت الحكومات المركزية عن أن تسيطر على جميع الاقاليم التابعة لها. وملخص هذا النظام هو ان الارض تعتبر ملكاً للعرش وللعرش أن يقطع منها للامراء والسادة، ولهؤلاء بدورهم أن يقطعوها للكافة ولكل من هؤلاء حقوق وعليهم واجبات سياسية وحربية ومالية. وقد ساد هذا النظام في غرب اوربا حتى القرن الثالث عشر، وكان الفرنج أول من طبقه ووضع له أصولاً ثابتة.

وفكرة المنبت الحسن ، تمد الامير الاقطاعي بخدمات نخبة من المقاتلة . وطبيعي أن تكون هذه النخبة وامراتها أرق طبقات الارستوقراطية وأقوى الطوائف في مجتمع متبربر كمجتمع العصور الوسطى

وقد افضى شرف المنبت الى تحول هذه الارستوقراطية الى طبقة بكل معاني الكلمة قلما يمكن اقتحام حدودها من جانب الكافة والاندماج في سلكها دون مصاعب ورسوم جمة . وكان من وسائل هذا الالتحاق أن يشتري الفرد العادي ضيعة تلحق بها صفة النبل (Terra Nobilis) او يسبغ الملك او احد كبار النبلاء عليه صفة النبل هبة منه لخدمات أداها او كفايات معينة برز فيها ، فتلحق عندئذ صفة النبل هذه بالارض التي يملكها وتنتقل الى عقبه بالارث . وواضح ان خلق النبلاء على هذا النحو كان وسيلة حسنة لاحاطة العرش بأشخاص يؤيدونه ويرعون مصالحه . وهذا العصر هو في الواقع فاتحة لنهوض الملكية وبروزها من أغلال الاقطاع ، وتبوء نظمها مركز الغلبة والسيادة على ما عداها من نظم السلطان و الحكم . وكانت وراثة النبل تنحصر بادىء بدء في صف الذكور ، ولكن ميل العروش الى اتباع السياسة المتقدمة افضى قبل عهد بعيد الى منحها للاناث أيضاً وغدت تستطيع الانثى أن تهب صفة النبل لعقبها فيصبحوا فرساناً وسادة ونبلاء

ولما استقر النظام الاقطاعي وتحسنت موارد الارستقراطية بتحسن الزراعة ، غدا الواجب الذي يقضي على الفارس باتباع الامير على نفقته الخاصة ، بالنسبة للسادة الاقطاعيين أرفع ضروب الشرف والكرامة . وكان الفارس اذا ارتدى عدته المنيعة الشاملة وتقلد سلاحه الذي يدججه من الرأس الى القدم ، وامتطى جواده الذي يغطيه الحديد والصلب مثله اضحى اهلاً للقاء عشرات من العامة غير المسلحين ، فاذا اجتمع من هؤلاء الفرسان عدة استطاعوا ان يرهبوا المئات والالوف من اتباعهم و يلجئوهم الى الخضوع والطاعة . وواضح ان استفحال مثل هذه الخصومة بل وجودها كان يؤدي في كثير من الاحيان الى معارك دموية لا يعدم العامة فيها وسيلة للانتصاف لانفسهم من عسف الفرسان وجورهم . على ان ارتباط الحقوق بالواجبات بالنسبة للفريقين كان في ظروف الحياة العادية يدعم نظاماً اجتماعياً كنظام الفروسية تنقصه على ما رأيت جميع عناصر الاستقرار

وقد ندهش حينما نتأمل رسوم الفروسية وتقاليدها ، و يخيل لنا انها رسوم احدى الهيئات الدينية او الجمعيات السرية الكبرى والواقع ان هذه الرسوم التي يجب احرازها لنيل شرف الفروسية قديمة جداً ، وقد أشار اليها تاسيتوس في حديثه الذي اشرنا اليه عن فروسية القبائل الجرمانية . بيد ان هذه الرسوم اتخذت منذ القرن التاسع صبغة من الروعة والجلال تكاد تدنو من القدسية . وخلاصة هذه الرسوم في ان المرشح للفروسية قبل ان يزود بالسيف والمهماز يجوز بعض التجارب والاختبارات و يقضي اياماً في الصوم ، ثم يمضي ليلة في كنيسة عتيقة مظلمة يستسلم فيها الى التفكير والتأمل . بعد ذلك يعطى السيف والمهماز ، و يلطم على خده او كتفه لطمة خفيفة اشارة الى آخر

إهانة يسوغ له ان يغضي عنها . هذا ومع ان الفروسية نظام اجتماعي سياسي فانها لم تخل من الصبغة الدينية ، بل كانت هذه الصبغة قوية فيها الى حد ان نظام الفروسية ذاته كان يشبه فيما يختص بحقوقه وواجباته بالهيئات الكهنوتية المقدسة ، فالزام الفارس المبتدىء بالاستحمام وارتداء السترة القصيرة صورة من إحياء التنصير . ثم ان الفارس يتسلم سيفه على هيكل الكنيسة من يد أحد رجال الدين ، و يستبق الاحتفال بقبوله كما قلنا صوم وابتهال ، ثم ينادي به فارساً باسم الله والقديس جورج ، والقديس ميخائيل . و يقسم الفارس بعد ذلك ان يؤدي واجبات مهنته فقد كانت الفروسية مهنة كما رأيت ـ وليس من ضمان بوفائه سوى التربية ، والقدوة الحسنة ، وحكم الرأي العام . وخلاصة قسمه ان يقول الصدق ، وأن يؤيد الحق ، وأن يحمي المنكوب وأن يستعمل الرقة والمجاملة في معاملاته ، وأن يطارد أعداء الدين ، وأن يحتقر مغريات الرفاهة والامن ، وأن ينتصف لشرفه في أية مغامرة خطرة ، وقد بلغت هذه الرسوم في القرن الحادي عشر مكانة علية من الجلال والتقديس حتى ان الملك ذاته ما كان ينتظم في سلك الفروسية قبل أن يخدم البلاط وصيفاً ثم سيداً مرشحاً للفروسية ، ثم يمنح بعد ذلك المهماز الذهبي أو رمز الفروسية

وكما كان للفروسية رسوم وعهود خاصة بها ، كذلك كانت لها رياضات والعاب خاصة بها . وللفروسية فضل في تطور هذه الرياضات والالعاب الارستوقراطية ، فقد عدلت عن الالعاب الاولمبية القديمة حيث كانت تعرض المناظر العارية فتبعد العذارى والنسوة عن ارتيادها وتبعث الفساد والتهتك الى أخلاق اليونانيين ، وآثرت عليها الالعاب المحتشمة . وكانت المبارزة أحب هذه الالعاب الى الفرسان والسادة . فكانت تعقد لها حفلات شائقة يهرع اليها الفرسان من كل صوب و يشهدها أشرف الكواعب والعقائل والاجلون . وقد تستغرق الحفلة يومين أو اكثر تجري فيها المبارزات الفردية بين فارسين يتقاتلان بالرمح ، وللظافر أن يغنم سلاح خصمه وجواده وله فوق ذلك أن يسمي سيدة من الحاضرات تشرف على بقية المبارزات والالعاب وتسمى ملكة الحب والجمال ، ومن ثم كانت فكرة الحب تقترن بكلمة الفروسية في العصور الوسطى ، وكان حب امرأة يعني في نظر الفارس المتيم اجلال الجنس اللطيف كله . وأحياناً كان الفارس يؤثر بتأمله غادة معينة وتكون علائقهما نقية أفلاطونية فقط . وقد كان دور الفروسية في هذا الشأن مستقى خصيباً لآداب مستفيضة من قصص جميلة رائعة ، ونظم رقيق حماسي ، وأناشيد وروايات جذابة لا تقع تحت حصر . هذا ولم تكن الفروسية تقف في رياضاتها عند حد النزهة واللهو بل كانت أيضاً تنظم معارك صغيرة ، وتقيم تمارين جدية من مهاجمة حصن والدفاع عنه الى غير ذلك ، فكانت هذه المعارك والتمارين ميداناً يتلقى فيه الفارس دروسه وخبرته

* * *

ماذا كانت آثار هذا النظام الغريب في نفسية المجتمع والفرد ؟ ان الفروسية بلا ريب من

أجمل وأروع مناظر العصور الوسطى ان لم تكن اجملها جميعاً ، ولكنها لم تقف عند انشاء مجتمع فريد في رسومه ونظره يضم طائفة متماثلة متضامنة من الافراد ، بل كانت لها في انفس الافراد والجماعة في العصور الوسطى آثار عميقة ، قد ترتفع الى ذروة الخلال السامية ، وقد تهبط الى اوضع الاهواء والشهوات النفسية . فقد ذللت الفروسية كثيراً من حدة المجتمعات المتبربرة ، ولطفت من أخلاقها وخلالها ، وبثت فيها روحاً قوية من مبادىء الوفاء والعدالة والانسانية ، بل كانت الفروسية أول ما صدع من صرح الاثرة القومية على مثل شامل عام . ألم تكن تجمع في صعيد واحد بين الفرسان من مختلف الامم ، يمتزجون في الالعاب والرياضات العامة ، تجمعهم مبادىء وروابط مشتركة ؟ ولكن الفروسية من الناحية الاخرى بثت في أنفس أبنائها ، وخصوصاً غير المتعلمين منهم احتقاراً عميقاً للفنون والمهن السليمة ، وعاطفة قوية من الغرور والانانية والتمرد على النظم والقوانين ، فكان الفارس يعتبر نفسه هو المنتقم المقتص لنفسه ، ويطأ بقدمه كل شرع وعرف . هذا ولعل اسوأ ما غرسته الفروسية في نفس مجتمع العصور الوسطى هو عاطفة وحشية من التعصب الديني العميق . وقد رأيت أن بغض أعداء الدين احدى فقرات القسم الذي يؤديه الفارس عند الانتظام في سلك الفروسية . ورأيت الصبغة الدينية الواضحة التي تقترن برسوم هذا الانتظام . والواقع أن الكنيسة فكرت منذ الساعة الاولى أن تبسط نفوذها وسيادتها على الفروسية النصرانية ، وقطعت في سبيل هذه الغاية شوطاً بعيداً . فلما اضمحلت الدولة البيزنطية التي كانت تعتبرها الكنيسة سداً منيعاً أوحد لحماية النصرانية من وثبات الاسلام من جهة المشرق ، ونهض السلاجقة يجتاحون اراضي الدولة البيزنطية وينفذون الى أعماق الاناضول ، وطارت صرخة الكنيسة في الامم النصرانية باشهار الحرب الصليبية على الامم الاسلامية انقاذاً لقبر المسيح في الظاهر ومحافظة على سيادة الكنيسة وحماية للنصرانية في الواقع ، كانت الفروسية على قدم الاستعداد والاهبة لخوض غمار الحرب المقدسة ، باسم الله وباسم الدين ، وهب الامراء والسادة الاقطاعيون وهب الفرسان من ورائهم في جماعات متعاقبة الى ثغور الشام وفلسطين ، وكان الفارس يذهب الى ميدان الحرب مصطحباً وصيفه الخاص وعدة من الجند ، ويحشد كل أمير من فرسانه ما استطاع ، وتتميز كل جماعة بشعار أميرها وصيحته في الحرب . وتاريخ الحروب الصليبية فياض بأخبار الحملات والبعثات الخاصة التي كان يجهزها افراد من الفرسان ، يحاربون تحمساً للدين ، او طلباً للمغانم ، ويحثاً وراء طالعهم وهو الاغلب ، بل نقرأ ان هذه الجماعات المغامرة كثيراً ما كانت تنقطع لاعمال السلب والنهب في جميع الاراضي التي تمر بها . ولكن لا ريب في أن الفروسية بالرغم مما كان يسود صفوفها من التنافس وأسباب الانحلال أدت الى النصرانية في الحروب الصليبية خدمات جليلة خصوصاً إذا ذكرنا ان الفروسية الافرنجية بما كانت تحمل من اسباب الاهبة والعدد المنيعة

والدروع الدقيقة كانت تتفوق في كثير من المواقع على فروسية المسلمين لنقص عددها

* * *

بقيت كلمة عن الفروسية في الاسلام · ان الفروسية كامنة في الاخلاق العربية ، وكان لها كبير شأن قبل الاسلام ، وفي الدول الاسلامية الاولى ، ولكن الفروسية المنظمة ذات المبادىء والرسوم لقيت مهدها الاول في الاسلام في قرطبة ، واستقرت مبادؤها من قوانين الشرف ، ورقة المجاملات ، ورفعة الخلال ايام الناصر وولده الحكم وازدهرت بالاخص في ايام الحاجب المنصور ، يقول سديو : ان خلال الفروسية الاندلسية وشمائلها الرفيقة كانت مستقى اخذت منه الفروسية النصرانية الكثير من خلالها ورسومها . ويقول رينو : ان افكار الفروسية بدأت تزدهر في هذا العهد ، أي عهد الناصر ، مقرونة بعاطفة شرف قوية واحترام للجنس الضعيف · ويقول فياردو ان الفروسية وكل نظمها التي عرفت في الامم الغربية النصرانية كانت مزدهرة عند الاندلسيين ايام الناصر والحكم والمنصور · وكانت الاندلس في ذلك العصر كعبة يقصدها فرسان النصرانية من كل صوب بعهد سلام وحماية من الخلفاء ليعقدوا المباريات مع فرسان الاسلام · وكانت التقاليد القديمة كنداء الفارس اسم أخته أو حبيبته حين الوثوب الى ميدان القتال قد عفت في ذلك العصر ، فكان الفارس يكتفي بان ينزل الى الميدان واضعاً فوق ذراعه أو فوق خوذته شارة من حبيبة قلبه · وكانت سيدات الاندلس يشهدن المباريات والمبارزات التي تعقد في ساحات المدن الكبرى ، فكان وجودها يسبغ على تلك الحفلات الشائقة مسحة من السحر والظرف · أما شروط الفروسية التي يقضي بها العرف فكانت عشرة هي : التقوى ، والشجاعة ، ورقة الخلال والقوة ، وهبة الشعر والفصاحة ، والمهارة في ركوب الخيل ، وإعمال السيف والرمح والقوس · وكان اجتماع الجنسين على ذلك النحو عاملاً في تهذيب المشاعر والشمائل ، وتقوية عواطف الوفاء والحياء والصدق · وقد بلغت هذه الفروسية الاسلامية أسمى شؤونها وذروة ازدهارها في مملكة غرناطة التي يفيض تاريخها باخبار السادة والامجاد وأحاديث شهامتهم ووفائهم مما لا يسمح المقام بالافاضة فيه ، غير أنا نذكر على سبيل التمثيل واقعة تاريخية · هي ان الفرسان المسلمين حاصروا ملكة قشتالة زوجة الفونسو السابع في قلعة ازيكا في سنة ١١٣٩ فانبت الملكة الفرسان المسلمين على مسلكهم ورمتهم بنقص في الشجاعة والخلال لانهم هاجموا قلعة تدافع عنها سيدة ، فأقر الفرسان المسلمون عدالة التأنيب والتمسوا منها فقط ان تطل عليهم من شرفة القلعة ، فلما فعلت قدم الفرسان المسلمون اليها اسمى ضروب الاحترام ورفعوا الحصار وارتحلوا على الاثر

هذه هي خلاصة موجزة لتاريخ الفروسية ومبادئها ونظمها نستطيع أن نستشف منها الكثير من خلال مجتمع العصور الوسطى ، ومن عواطفه ونفسيته

محمد عبد الله عنان

الى ايهما نحن اقرب: الشرق ام الغرب؟

بقلم الاستاذ سلامه موسى

للاستاذ سلامه موسى آراء كثيراً ما تصدم الآراء الشائعة ٠ ومن هذا القبيل مقاله هذا الذي ننشره له اليوم فقد ذهب فيه مذهباً لا يتفق وميل الجمهور في الشرق العربي ولكنه رغم ذلك يحوي نظرات حقيقة بالتأمل والدرس . و « الهلال » يرغب في أن يقدم الى قرائه الآراء الجريئة لما فيها من حث على التفكير [المحرر]

يجري ذكر الشرق والغرب كثيراً على أقلام الكتاب والسنة الخطباء وكثيراً ما تتردد الاشارة الى أن الشرق العربي قد نهض وأخذ ينافس الغرب والى أن مصر الشرقية تفوز الآن بزعامة الشرق العربي في الحضارة والثقافة

وللالفاظ تأثير في النفوس هو تأثير الوهم الملازم للحياة . فاذا قلنا لانسان انه شرقي بقي مدى عمره ينظر الى نفسه بعين شرقية يمارس فضائل الشرق ويتسامح في رذائله ويدافع عن آرائه . فالمصري بل قل العربي يعطف الآن على آسيا ويدمن الدرس لثقافة الشرق و ينظر بعين التخوف لاوربا . ولما وقعت الحرب بين روسيا واليابان تحول عطفنا جميعاً الى اليابانيين ووضع بعضنا الكتب في هـذه الدولة الشرقية الناهضة وعمنا السرور عندما خرجت روسيا مقهورة ٠ ومن يقرأ الآن ما كانت تكتبه الصحف في تلك الايام يعرف مقدار هذا العطف المظيم الذي كان نتيجة ذلك الزعم باننا امة شرقية مثل اليابانيين

والآن يمكن أي انسان أن يتبين هذا الخطأ ويرانا أشبه بالروس في أدياننا ومزاجنا ولغتنا ودمنا من اليابانيين ٠ وانه لولا هاتان اللفظتان : شرقي وغربي ، لكان يجب أن نعطف على الروس لا على اليابانيين ٠ فنحن من حيث الدين مثلاً نشبه الروس كثيراً فاننا موحدون مثلهم نؤمن بالمسيحية أو الاسلام أو اليهودية وكلها ديانات تمارس في روسيا نفسها ٠ دع عنك المشابهة القوية بينها كلها. وهذا بخلاف الاديان الشائعة في اليابان التي تختلف عن أدياننا اختلافاً أصلياً اذ لا يزال الميكادو أي الامبراطور رباً معبوداً ٠ وأما من حيث المزاج فنحن العرب سواء فينا المصري أو العراقي أو المراكشي نستحسن الجمال الروسي ونعشقه ونشمئز من رؤية المثل الاعلى للمرأة في اليابان . ومن حيث لغتنا يجب أن نقول ان عندنا نحو الف لفظة رومانية وإغريقية نشترك نحن والروس فيها وقد شملتنا واياهم حضارة واحدة مدة طويلة هي حضارة الرومان البيزنطيين ٠ وأما من حيث الدم فحسبي القاريء انا والروس نتفق في الاصل الآري

وليس من الواضح تاريخ الفصل بين الشرق والغرب ووضع هاتين اللفظتين ٠ وبدهي انه

لا يقصد منهما تحديد جغرافي فان البلقان من اوربا وهو مع ذلك يدخل في معنى « الشرق الادنى » وجزء كبير من روسيا يدخل في آسيا ولكن الروس جميعهم غربيون . وليس يقصد منهما أيضاً تحديد في اللون فان الاتراك جميعهم أبيض وجوهاً من الاسبانيين ومع ذلك فالتركي شرقي والاسباني غربي . وقد يقال على وجه الاجمال ان اوربا غربية وآسيا وافريقيا شرقيتان . والاغلب أن هذا التقسيم يرجع الى انقسام الدولة الرومانية . فقد قسمت في القرن الرابع للميلاد الى دولة شرقية ودولة غربية ودخلت مصر وسوريا والعراق واليونان في الدولة الشرقية فبقي هذا الاسم ينطبق علينا ولكن باعتبار اننا رومانيون ...

وقد قال ياقوت في معجمه في كلمة آسيا : « وأصل هذه القسمة (المشرق والمغرب) من أهل مصر وعليه بقيت عادتهم الى الآن فانهم يسمون ما عن ايمانهم اذا استقبلوا الجنوب مغرباً وما عن شمالهم مشرقاً »

ولكن يبدو من عبارة ياقوت ان هذا التقسيم كان يطلق على قسمي العالم العربي وحده فلا تدخل فيه اوربا

ونحن اذا اعتبرنا السلالة الاصلية لسكان العالم العربي لم نجد بداً من إلحاقهم بسكان اوربا الحاضرين . فالشعوب السمراء تنتمي كلها الى السلالة الاوربية التي كانت تسكن اوربا قبل ان يغير عليها الاسيويون . وجماجم المصريين القدماء الذين سبقوا عهد الدول لا تختلف اقل اختلاف من الجماجم التي تكشف الآن في انجلترا والتي كان يعيش أصحابها في الجزر البريطانية قبل ثلاثة آلاف سنة . ثم هذه السحنة التي ترى على وجوه سكان السواحل الافريقية الشمالية هي بلا شك سحنة اوربية بعيدة كل البعد عما ترى من العيون المنحرفة والوجنات البارزة في الصين واليابان . وقل مثل ذلك في سوريا والعراق فان أهاليهما اقرب الى الوجه الاوربي من الاهالي في شرق آسيا . بل بين السوريين من اذا لبس القبعة لم يمكن تمييزه من الالماني او الانجليزي حتى ينطق بالضاد والصاد

ثم نحن جميعاً سكان العالم العربي من بغداد شرقاً الى طنجة غرباً نشترك واوربا في ميراث واحد هو ميراث الدولة الرومانية التي تعتبر دولة العرب نفسها جزءاً منها . فلنا ثقافتها وحضارتها . ويجب ألا ننسى ان العرب كانوا قبل عهد الدول متأثرين بالحضارة الرومانية يحبون المسيحية حتى لقد عطف القرآن على الرومان في حربهم مع الفرس وتنبأ لهم بالفوز لانهم امة مسيحية والفرس امة مجوسية . فلما صارت لهم دولة لم يدرسوا بوذا او كونفوشيوس او براهمة الهند بل عمدوا الى فلاسفة الاغريق فدرسوهم واكرموا اسماءهم . وأنت اذا جمعت بين عالم ازهري من القاهرة أو شيخ من شيوخ بغداد او طالب من فاس و بين عالم فرنسي أو انجليزي او ألماني لوجدته

على معنى الله والنبوة ويجرون على منطق واحد هو ما تعلموه كلهم من ارسطوطاليس . وهذا على نقيض ما يحدث لو أنت عمدت الى واحد من منادرة الصين فطلبت منه ان يجادل عالماً من علماء الازهر . فان الازهري يسير عندئذ نحو الغرب والصيني يسير نحو الشرق . ولن يلتقي الاثنان . .

وخلاصة القول اننا اوربيون في الدم والمزاج والثقافة واللغة . فليس من الصواب ان يقال اننا شرقيون ما لم يكن القصد ان يقال اننا جزء من الدولة الرومانية الشرقية وهذا ما لا أظن أحداً من القائلين بشرقيتنا يقصده

واذا لم يكن هذا القول صواباً فهو ليس ايضاً مفيداً . فانه يطبعنا بطابع الخصومة مع اوربا وهي خصومة لا تستضر بها اوربا ولا تنتفع نحن بها فان طالع اوربا الآن في صعود فاذا سرنا واياها انتفعنا وارتقينا برقيها . ولست انكر ان المغول من اتراك وتتار قد حكمونا نحو الف عام نخربوا بلادنا وأفسدوا مدنياتنا بل تسرب الفساد منهم الى دمائنا ولكننا ما زلنا مع ذلك تنزع في السحنة والمزاج نزعة اوربية . والدين العام الذي يدين به العرب هو الاسلام وهو اقرب الاديان الى المسيحية فاذا كان في العالم اثنان جديران بالتعاطف من اجل الدين فهما المسيحي والمسلم أي الاوربي والعربي

ولذلك أرى من مصلحتنا ومصلحة العالم كله التي هي في الحقيقة يجب أن تكون أهم وأخطر من مصلحتنا أن نغرس في أذهان جميع العرب في مصر والعراق وسوريا وشمال افريقيا انهم اوربيون سلالة وثقافة وحضارة وانهم يجب عليهم أن يسيروا مع أرقى الشعوب الاوربية يتثقفون بثقافتهم و يتعودون عاداتهم . وقد كانت هذه نية اسماعيل باشا الخديوي مصر الذي يعد بحق أبا النهضة الحديثة والذي حاول أن يجعل مصر جزءاً من اوربا فجعلنا نلبس لباسهم ونأكل طعامهم ونتعلم علومهم بل بالغ في ذلك ووزع على أعياننا نساء بيض الوجوه حتى تزول سمرتنا وحتى نشبه الاوربيين كل الشبه

سلامه موسى



الاكتشاف طليعة الاستعمار

رحلة السير صموئيل بيكر الى منابع النيل



السير صموئيل بيكر

حوالي سنة ١٨٦١ شرع السير صموئيل بيكر يكتشف منابع النيل حتى اهتدى الى بحيرة البرت ووضع كتابا في ذلك . وقد نقل الاستاذ العرابي بضع صفحات منه تدل القارىء على روح المكتشف المستعمر والنيات القديمة التي كان ينطوي عليها صدر رجل انجليزي عظيم حتى قبل افتتاح قناة السويس [المحرر]

قبل ستين عاماً فقط لم تكن منابع النيل معلومة لاحد ، فقد ظلت تلك المنابع سراً غامضاً آلاف السنين ، ومعنى ذلك انه لم تقم محاولات في غضون هذه المدة الطويلة لكشف هذا السر وفك معماه بل بالعكس قامت حملات كثيرة في أزمان مختلفة لتقصي منابع النيل ولكنها فشلت جميعاً ، وأشهر هذه الحملات او المحاولات كما ذكر « سنيكا » ما قام به الامبراطور « نيرون » من ارسال تجريدة مؤلفة من مائتي رجل تحت امرة ضابطين فباءت بالخذلان ، وآخر هذه المحاولات ما قام به محمد علي باشا فكان نصيبه الفشل كذلك

وبقي الناس طول السنين يروون الاقاصيص عن النيل ومنابعه كما توحيه لهم خيالاتهم واغراضهم . وافكه ما كتب عنه ما جاء في قصة « سيف بن ذي يزن » تخيلا خصب بديع ، وأسخفها ما رواه لنا بعض المؤلفين القدماء من العرب من انه ينبع من الجنة . وظلت الحال كذلك حتى هب روح الكشف في أوربا فقامت دولها تكشف افريقيا وتقتسم بلادها بينها غنيمة باردة واشتد بينها وبين بعضها التنافس فكان « النيل » من نصيب الانجليز . فقد بلغ « بروس » من قرن ونصف قرن منبع النيل الازرق . وبلغ الضابطان « سبيك » و « جرانت » منذ أقل من سبعين عاما بحيرة « فكتوريا نيانزا » منبع النيل الابيض من الجنوب عن طريق « زنزبار » وقُدر في النهاية « للسير صموئيل بيكر » ان ينجح في كشف خزان المياه الاستوائية الكبير بحيرة

« البرت نيانزا » حيث يخرج منها النيل الابيض بتمامه وذلك بعد رحلة « جرانت » و « سبيك » ببضع سنين فتم بالرحلات الثلاث كشف منابع النيل اذ حققت كشوف بعضهم البعض وانتهت بذلك خرافات القدماء وخيالات القصصيين

وآخر الكشافين الثلاثة هو موضوع مقالنا . فقد دأب السير صموئيل وراء غايته خمسة أعوام داس فيها مصحوباً بزوجه قلب افريقيا في بلاد بكر لم تطأها قدم انسان متمدين قبلهما . وقطع الطريق بعكس « جرانت » و « سبيك » من الشمال الى الجنوب فجاس خلال قفارها ورملها وذرع مستنقعها ونشعها ومشى في غاباتها واحراجها طوراً يركب اللج وتارة الارض بين قبائل من الزنوج همج عراة بربريين مختلفي العادات واللغات واخرج كتابيه « روافد النيل في الحبشة » و « البرت نيانزا »

وقد وصف أولها رحلة عام في كشف روافد النيل في الحبشة كل على حدة بما في ذلك « العطبرة » و « ستيتي » و « رويان » و « السلام » و « الانجراب » و « دهاد » و « دندر » و « النيل الازرق » . وقد تعلم العربية في غضون هذه المدة فساعدته على كشف « البرت نيانزا »

ووصف في ثانيهما رحلة لكشف منابع النيل في مذكرات مقيداً الحوادث والملحوظات يوماً فيوماً ضابطاً لها بالتاريخ معلقاً عليها بما يناسب المقام وما يتفق مع وجهة نظره وذلك مع سهولة في اللفظ وبلاغة في التعبير بما اشتهر به المؤلف بين قراء الانجليزية . ولم يترك صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فعالج النبات والحيوان والمعادن وكتب فيها بقلم العالم الخبير ، ووصف قبائل النيل قبيلة قبيلة وشرح عاداتها وأخلاقها وقارن بين تواريخها ولغاتها ، كل ذلك بريشة النقادة الثقة . أما طبيعة البلاد ووصف سطحها فاجيك بوصفه فهو عالم جغرافي قبل كل شيء . والكتاب بينا هو قصة طريفة تاريخية علمية ، اذا به سفر سياسي استعماري يرمي الى أبعد مما جاء بين سطوره . فعندي أن نكبة مصر والسودان وأوغندا ترجع لكتابة هذا الشيخ . . .

فالسير صموئيل ارستقراطي بحكم نشأته ، مستعمر بحكم بيئته ، مسيحي متعصب ناقم على الشرق والشرقيين والاسلام والمسلمين يراه القارىء في كتاباته ينعي على الديمقراطية ويهزأ « بصوت الشعب » ويضحك من « المساواة » ويبرر الاستعمار ويستحسنه ويرفع المسيحية ويغض من الاسلام ويحمل على المصريين والاتراك حملات شعواء بدون مبالاة لفتاً لانظار شعبه الى استذلال وادي النيل . فنظره لمصر قبل فتح قناة السويس يتجلى بوضوح في العبارة المختصرة الآتية : « انه كأحسن طريق (أساسي) الهند فمصر أهم بلد للانجليز »

وانظر الى قوله من كلام طويل في المساواة : « وطالما يُرى من الضروري أن يحكم الزنجي والابيض بقوانين واحدة وأن يساسا بسياسة واحدة فسيظل الزنجي شوكة في جانب كل جماعة يكون لسوء الحظ منتسباً لها ، فانه اذا صح أن يشد حصان وحمار معاً في « عريش » واحد أمكننا

ان نقود الابيض والزنجي الافريقي معاً تحت سياسة واحدة . وان غلطة المساواة الكبرى التي لا نظير لها هي التي حطت شخص الزنجي وجعلته سبة . اني أعتقد أن الزنجي في دور طفولته يكون اكثر توقداً في الذهن من الطفل الابيض الذي يكون في سنه بيد أن عقله لا يتسع ـ فهو يبشر بثمر ولكنه لا ينضج . فالزنجي ينمو في جسمه ولا يتقدم في عقله

« ان في نظام الخلق العظيم الذي قسم الاجناس وعاد فقسمهم طبقاً لقوانين سرية مميزاً كلا بما يناسبه . فترى في أجناس البشرية المختلفة صفات وأخلاقاً خاصة تتطابق ومحلات اقامتهم، والكفاية الطبيعية لهؤلاء الاجناس لا تمحي بتغير الاقامة ، ولكن غرائز كل جنس تتطور في أي مملكة يمكن أن يقيم فيها ، وعليه فالانجليزي انجليزي في استراليا والهند وأمريكا يظهر همة ونشاطاً في كل محلة اقامة كما يظهرها في انجلترا ، وكذلك بالضبط سيظل الافريقي زنجياً في كل غرائزه الطبيعية ولو انه انتقل الى تربة اخرى ، وبما أن تلك الغرائز الطبيعية هي حب الكسل والوحشية فمن المحقق انه سينتكس الى حال همجية دنيئة الا اذا حكم بطريقة خاصة وقهر على العمل

« وقد حقق تاريخ الزنوج صحة هذه النظرية . فانه اذا حرر مرة من القيود فهو لا يبرهن الا على الانحطاط فهو كالحصان الذي بدون لجام يجري لغير غاية ، ولكنه اذا كبح فلا يوجد حيوان أنفع منه ، ومما يؤسف له ان هذا ضد « الرأي العام » في انجلترا حيث « لصوت الشعب » حق الاملاء عن مسائل وناس ليس لديه عنهم أية تجربة

« وأول طلبات الزنجي عند تحريره المساواة بالذين خدمهم أخيراً مع اغتصاب الجدارة بادعاءات باطلة لا بد ان تؤكد كراهية « الجمعية البيضاء » فتتولد عداوة وبتأسس حقد وحسد بين الجنسين مصحوب بغلطات من الضروري ان تقع في مثل هذه الاحوال من كلا الجانبين »

ويقول مبرراً الاستعمار ومعرفه :

« ان اول اغراض الكشف الجغرافي هو فتح مثل هذه الاصقاع من الارض بقصد المبادلة العامة كي تصبح ذا نفع « للجمعية » والمنقب هو طليعة المستعمر ، والمستعمر هو الاداة البشرية التي يجب ان يشاد بها العمل العظيم ـ اخطر الاعمال واشقها ـ مدنية العالم »

والى القارىء نموذجاً من رأيه في المسيحية والاسلام وحملته على الشرقيين :

« وطالما يوجد تعدد الزوجات فامتداد المدنية مستحيل . وتعدد الزوجات في كل البلاد الحارة شر منتشر وهو اشد العوائق للمسيحية ، فقد رسمت الديانة المحمدية بعناية طبقاً للعوائد الشرقية فسمحت بتعدد الزوجات فنجحت ، وفي الامكان ان يعلم الانسان وجود مهيمن وان يصير مسلماً ولكن قانون الوفاء لزوج واحدة المكروه عنده عائق للمسيحية وعلى ذلك سيكون تقدم المدنية بطيئاً

« وفي مرحلة مدنيتنا الراقية الحاضرة ننظر مع الاسف الى امتلاك المسلمين لاحسن بقاع

الدنيا - من بلاد أنعم عليهـا بالجو والموقع الجغرافي حتى كانت دائماً مطموعاً فيها اكثر في الايام الاولى من تاريخ الارض ، وهذه الاصقاع الغنية ستعاق عن التقدم (تحت الحكم الاسلامي) الذي بلغ بلاداً اقل استعداداً للتقدم بطبيعتها ، فانه لا توجد بلاد في الارض ذات اهمية او يصح ان تشغل مركزاً مهماً في عائلة الامم تحت حكومة مسيحية متمدينة كتركيا في اوربا وآسيا الصغرى ومصر »

بقي ان نرسم للقراء أثر كشف البحيرة في نفس السير صموئيل تاركين تفاصيل رحلته لكتابه لمن شاء الاستزادة

« وفي النهاية جاء يوم السفر من « مرولي » ووعد « كمرامي » الزعيم ان يعطي السير صموئيل حمالين لحمل امتعته الى البحيرة حيث يمر هناك بقوارب تأخذه الى « ماجنجو » القائمة عند ملتقى « السومرست » فمن « ماجنجو » يري النيل خارجاً من البحيرة قريباً من البقعة التي يدخل منهـا « السومرست » حتى يتحقق حسابه وحساب « جرانت » و « سبيك » وبعد كلام يطول امرت رجال الزعيم عدداً من النساء أن يحملن على اكتافهن العفش الى العزبة التالية حيث يراح عنهن . وسارت التجريدة فبلغت عزبة عظيمة وعندما اقتربت منهـا اندفع من العزبة نحو ستمائة رجل بحراب ودروع صائحين وصارخين ملوحين بحرابهم اليهم فحسب افراد التجريدة انها حرب أثيرت عليهم فنادوا السير صموئيل « أطلق النار عليهم يا خواجا » ولاحظ السير صموئيل بيكر ان النساء والاطفال قد اختلطن بالرجال فاقنع رجاله بأن ذلك مجرد احتفاء وانه لا خطر البتة وأطبقت عليهم الاهالي راقصين وملوحين ومتظاهرين بالهجوم عليهم بالحراب والدروع وهم متصنعون القتال مع بعضهم . وكان الجمع شاذاً في ملبسه فكانوا يلبسون جلود فهود او قرود بيضاء بذيول بقر مدلاة خلفهم وقرون آرام فوق رءوسهم بينا قد حليت ذقونهم بلحى مستعارة صنعت من اطراف ذيول البقر الكثة

وبعد ذلك مرت التجريدة بعزبة « كريشا » عند خط ع ٣١ً ١٩ً ١° شمالاً حيث نام الجمع ثم بلغوا بعدها نهر كافور وكان الجدول في وسط مستنقع وبعد عبوره ساروا فبلغوا بعد عناء عزبة « باركاني » واكد لهم « المرشد » انهم صاروا على مقربة من البحيرة وانهم بالغوها غداً »

وهنا يقول السير صموئيل :

« وقد لاحظت سلسلة جبال عالية على مسافة بعيدة جهة الغرب فتصورت ان البحيرة واقعة على جانب هـذه السلسلة الآخر ولكن قيل لي ان تلك الجبال تكوّن الحد الغربي « لموتان نزيجا » وان البحيرة بالفعل في حدود « باركاني » فلم أستطع ان اصدق أنا قريبون كذا من الغرض من تنقيبنا . والآن ظهر المرشد « رابونجا » وابان لنا أنا اذا سرنا مبكرين في صباح غد كان في مكنتنا ان نغتسل في البحيرة ظهراً

« وقد نمت تلك الليلة بصعوبة فمنذ أعوام وانا اسعى لبلوغ « منابع النيل » وفي اثناء تلك الرحلة المنهكة كنت دائماً اخذل في احلامي في الليل . ولكني بعد عناء عظيم والحاح صارت الكأس على شفتي ولا بد لي ان اشرب من المنبع الغامض قبل ان تغرب شمس يوم آخر - من حوض الطبيعة العظيم ذلك الذي خيب منذ الخليقة كل استكشاف

« لقد رجوت ، وتوسلت ، وسعيت . في كل انواع المصاعب ، في المرض ، في الجوع ، والتعب . ان اصل الى ذلك المنبع الخفي ، وعندما بدا مستحيلاً صممت انا وزوجي ان نموت على الطريق فهو خير لنا من العودة مهزومين . فهل كان من الممكن ان صار هكذا قريباً . وانهُ في الغد يمكننا ان نقول « انتهى العمل ؟ »

« ولم تكد تبزغ الشمس حتى كنت أحث ثوري وراء المرشد الذي عند وعدي له بحفنة مضاعفة من الخرز عند بلوغ البحيرة انتهز الفرصة . وأشرق النهار صافياً وحين عبورنا وادياً عميقاً بين التلال صعدنا بصعوبة المنحدر المقابل فأسرعت الى القمة فتجلى لي فجأة سمو جائزتنا . فهناك يقع تحت امتداد الماء العظيم كلج من الزئبق - بحر لا يحده البصر على الجنوب والجنوب الغربي يضيء في شمس الظهر . وعلى الغرب على بعد ستين ميلاً تقوم جبال زرقاء الى ارتفاع سبعة آلاف قدم فوق سطح البحيرة

« ومن المستحيل وصف الانتصار في تلك اللحظة - فهنا جائزة عملنا - عن سني الامر التي شقينا فيها في افريقيا . فقد كسبت انجلترا منابع النيل ! وكنت قبل ان أصل هذه البقعة أعددت رجالي للهتاف بالانجليزية ثلاثاً احتفاء بهذا الاستكشاف ولكني الآن لما تطلعت الى البحيرة العظيمة النائية عن البحر القائمة في قلب أفريقيا وافتكرت كيف ان الانسان عبثاً بحث عن هذه المنابع في كل الاجيال الكثيرة . وتذكرت ان تلك الاداة الوضيعة التي أذن لها بحل ذلك الجزء من السر العظيم بينا كثيرون أعظم مني قد خابوا أحسست الامر أخطر من اظهار عواطفي بهتاف فشكرت الله باخلاص على ارشادنا ومساعدتنا في كل المخاطر على النتيجة الطيبة وكنت على نحو الف وخمسمائة قدم فوق البحيرة فتطلعت من فوق حجر الجرانيت الى هذه المياه - الى ذلك الخزان المتسع الذي يغذي مصر ويجيء بالخصب بينا الكل قفر - الى ذلك المنبع العظيم الخفي عن عيون الانسان منبع الخير والبركات لملايين البشر وكأحد الموضوعات العظمى في هذا الوجود اعتزمت على تشريفه باسم عظيم وبذكرى لا تمحى لواحد كان محبوباً وحزنت عليه جلالة ملكتنا وأسف عليه كل انجليزي . أسميت هذه البحيرة العظيمة « البرت نيانزا »

* * *

وعلى الجملة رغم تعصب المؤلف واختلاف وجهات نظره مع الكثير فلا غنى لمصري سواء أكان سياسياً ام طالباً ام استاذاً عن قراءة ما دبجه عن مصر

محمود حسني العرابي

الانسان يبحث عن اصله

الحياة مجازفة واختبار

نحن نعيش الآن في زمن المجازفات بل من الناس من ينظر الى الحياة نفسها كأنها أكبر مجازفة ونحن نذكر ثلاثة أو أربعة كتب صدرت في السنوات الاخيرة تصور للقارىء روح المجازفة التي يتسم بها عصرنا في النظر للحياة . فقد وضع أحد كتاب الانجليز تاريخاً لحياته فسماه « مجازفة العيش » . ووضع آخر كتاباً سماه « واجب كل فرد في أن يكون ذكياً » ووضع سياسي أميركي مشهور يدعى هنري ادمز كتاباً عن تاريخ حياته سماه « تربية هنري ادمز » وفي العام الماضي ألف الاستاذ برستد المصرلوجي المعروف كتاباً عن الحضارة الاولى للانسان سماه « مجازفة الحياة »

فهذه الكتب القليلة من مئات مثلها تدل القارىء على النظر الجديد للحياة والدنيا . فكتاب العالم الجدد ينظرون للحياة كأنها مجازفة كبيرة و ينظرون للعيش كأنه جملة اختبارات تنتفع بها في تربيتنا وزيادة ذكائنا

وليس من السهل أن نتتبع مبادىء هذه النزعة . فانه اذا كان ليس هناك شك في أن للنزعات أسباباً ترجع اليها فان هذه الاسباب تبدو لنا غاية في الغموض عندما تريد أن نتحراها الى مباديها الضعيفة . فنحن لا نعرف مثلاً على وجه التحقيق والتدقيق لماذا نزع الناس فجأة في أول النهضة الحديثة الاوربية الى التجربة وكانوا طول مدة القرون الوسطى يقنعون بالنقل عن القدماء . وكذلك لا نعرف الآن أصل هذه النزعة في المجازفة وانما نجد مدة القرن التاسع عشر أن الناس نزعوا فجأة الى الاكتشاف والرحلة الى أقصى البلدان يبحثون عن أصل نهر من الانهار أو قمة جبل أو حتى عن القطب . ثم نرى حوالي سنة ١٨٥٠ أن داروين يدور حول العالم ثم يخرج لنا بكتاب عن أصل الانسان . ثم نرى بعده مئات من العلماء يرحلون للبحث عن أصل النيل ونرى المستر ريد يخرج من انجلترا فيذهب الى أقصى السودان ويبحث عن ثقافة ارسطوطاليس بين الزنوج ثم يخرج لنا بكتاب عن « استشهاد الانسان » يقول فيه بعد أن يعرض تاريخ الانسان كما يعرض الانسان المواكب العظيمة ان الانسان قد لاقي من محن العقائد القديمة ما هو جدير بان ينفضها كلها عنه و يعمد الى اختطاط خطط جديدة للحضارة قائمة على العقل

وربما كان أكبر ما يبعث على خطة المجازفة والاختبار هذه ما رسخ في ذهن العلماء من صحة نظرية التطور . فان هذه النظرية تبدي الانسان حيواناً مجازفاً كان في البحر ثم صعد الى اليابسة ثم دعاه ضعف جسمه أمام الضواري الى استغلال ذهنه . فانتقل مجال التنازع من الجسم الى

الذهن حتى صار سيد المخلوقات . والعلماء يبحثون الآن عن المبادي : مبادىء الدماغ الكبير والحضارة الاولى وتشعب الحضارات وانتقالها من قطر الى قطر

ففي كل قطر من اقطار العالم المتمدين تقوم الجامعات والجمعيات والافراد بتجهيز البعوث للبحث عن أصل الانسان وحضارته . وهم يتكلفون في هذه الغاية الاموال الطائلة ولكنهم يدخلون فيها بروح اللذة شاعرين بهذه المجازفة العظيمة في استبطان أسرار الطبيعة ومعرفة اصول الانسان وحضارته . واذا كان بين الاغنياء من يبعثر أمواله على موائد القمار ففيهم أيضاً من يشبع في نفسه شهوة المجازفة بالبحث عن أصل المصريين وحضارتهم مثل اللورد كارنارفون الذي انفق من ماله على التنقيب عن قبر توتنخ آمون . وفيهم أيضاً المستر رد كفلر الذي عرض على حكومتنا مليوني جنيه للتنقيب عن آثارنا فرفضت حكومتنا هذه العطية الدسمة وأظهرتنا أمام الامم المتمدينة بمظهر من لا يعرف مصلحته

واذا كان بين الملوك من يقضي وقته في اقتناء الضياع وابتناء القصور وقتل الوقت في الزيارات والسياحات فان بينهم من يشبع في نفسه شهوة المجازفة بكشف المجاهل والتنقيب عن الآثار . فهذا مثلاً ولي عهد نروج تنقل الى قلب افريقيا يدرس أحوال الغوريلا لكي يستبصر بها في أصل الانسان . وهذا مثلاً ولي عهد اسوج له بعثة يرأسها هو بنفسه و ينفق عليها من ماله تبحث وتنقب عن آثار الاغريق

وروسيا نفسها على ما لها من مشاغل تكفي عشر حكومات قد وجدت من المال والوقت ما استطاعت به أن تهيىء خمس بعثات للتنقيب في مجاهل سيبيريا ومنغوليا . ومن الغريب ما روت احدى هذه البعثات من انها وجدت أقواماً منعزلين لا يجهلون النظام الشيوعي الجديد فقط بل كانوا يجهلون أيضاً أن روسيا تحكمها قياصرة من اسرة رومانوف

والامم المتمدينة تحمل الآن حملة كبيرة على مصر القديمة وسوريا والعراق . وقد جردت لذلك البعثات العديدة . فعندنا الآن بعثات المانية وفرنسية وانجليزية واميركية . والمستر برستد العالم الاميركي يرأس وحده خمس بعثات تعمل الآن في فلسطين ومصر . ويزداد الاهتمام بمصر وخاصة منذ أن اخذ اليوت سمث وبري يذيعان بين العالم نظريتهما من أن مصر هي أصل الحضارة القديمة كلها خرجت من مصر فتفشت في العالم جميع قاراته وأقطاره

ومنذ أكثر من أربع سنوات أوفدت الحكومة الاميركية الى الصين بعثة للبحث عن اصل الانسان في هضبة جوبي. وعادت البعثة الى بلادها بعد ان قضت مدة طويلة على هذه الهضبة وهي وان لم توفق الى العثور على اصل الانسان فانها توفقت الى العثور على تلك المردة العظيمة التي كانت تملأ العالم قبل ظهور الانسان بنحو خمسة ملايين سنة نعني بها الزواحف الكبرى

ولكن البحث عن اصل الانسان يتفرع جملة فروع ذكرنا منها اثنين وهما البحث عن الجماجم

الاولى للانسان او السابقة لوجوده • والثاني هو البحث عن الحضارة الاولى ، ولكن هناك فرعاً ثالثاً يدعى ال « فوكلور » وهو متواضع في خططه واساليبه ولكنه بعيد الخطورة . فهو يبحث في الاحاديث التي تتناقلها العامة في الريف يعمد الباحث الى درسها ومقابلتها بما هي عليه بين امة واخرى وبين الهمج والحضر وبين الامم الحديثة والقديمة ويستخرج منها اصول العقائد والآراء الاجتماعية • ففي العام الماضي كان واحد من هؤلاء العلماء يعيش في الريف في مديرية جرجا بالصعيد قد ضرب خيمة قريباً من النيل يدرس احوال الفلاحين ويسألهم عن الاحاديث التي تقصها الام لصبيانها حتى يناموا ويلاحظ العوائد الفاشية بينهم الآن ويردها الى اصولها المروية في آثار مصر القديمة . وهذا العالم قد بعثته جامعة اكسفورد

وخلاصة القول ان العالم قد تبدى للانسان مجالاً للمجازفة والاختبار • فالناس بعد اذ علموا الاصل الذي نشأ منه الانسان قد اقبلوا على درسه مع درس حضاراته القديمة وفي قلوبهم ثقة بالمستقبل لانهم يعتقدون ان التطور السابق له تطور لاحق ستعرف عما قريب قواعده ونواميسه التي تعمل لسمو الانسان



استفتاء الهلال

«الكتب التي أفادتني»

ردود الكتاب والادباء

ننشر اليوم الردين الاخيرين من الردود التي وردتنا رداً على استفتائنا المعلوم وللمرة الاخيرة نعيد نشر أسئلتنا فيما يلي :

١ - ما هو الكتاب أو الكتب التي طالعتموها في شبابكم فأفادتكم وكان لها أثر في حياتكم ؟

٢ - هل يكفي المطبوع الآن من الكتب العربية لتثقيف الناشئة أو لا غنى لها عن الاتجاه الى الكتب الغربية ؟

٣ - ما هي الكتب التي تنصحون لشبان اليوم بقراءتها غربيـة كانت أم غير غربية ؟

٤ - ما هو نوع التأليف الذي يفتقر اليـه العالم العربي على الخصوص - والذي تودون ان يطرقه المؤلفون ؟

الايام ـ ٩

بقلم الدكتور طه حسين

أستاذ الادب بالجامعة المصرية

(١٩١) اما في هذه المرة فستذهب الى القاهرة مع أخيك وستصبح مجاوراً وستجتهد في طلب العلم وأنا أرجو أن أعيش حتى أرى أخاك قاضياً وأراك من علماء الازهر قد جلست الى أحد أعمدته ومن حولك حلقة واسعة بعيدة المدى

قال الشيخ ذلك لابنه آخر النهار في يوم من خريف سنة ١٩٠٢ • وسمع الصبي هذا الكلام فلم يصدق ولم يكذب ولكنه آثر أن ينتظر تصديق الايام او تكذيبها له فكثيراً ما قال له أبوه مثل هذا الكلام وكثيراً ما وعده أخوه الازهري مثل هذا الوعد ثم سافر الازهري الى القاهرة ولبث الصبي في المدينة يتردد بين البيت والكتاب والمحكمة ومجالس الشيوخ

وفي الحق انه لم يفهم لماذا صدق وعد أبيه في هذه السنة • فقد أخبر الصبي ذات يوم أنه مسافر بعد أيام • وأقبل يوم الخميس ، فاذا الصبي يرى نفسه يتأهب للسفر حقاً • واذا هو يرى نفسه في المحطة ولما تشرق الشمس • وهو يرى نفسه جالساً القرفصاء منكس الرأس كئيباً محزوناً ـ ويسمع أكبر اخوته ينهره في لطف قائلاً له : لا تنكس رأسك هكذا ولا تأخذ هذا الوجه الحزين فتحزن أخاك • ويسمع أباه يشجعه في لطف قائلاً : ماذا يحزنك ؟ ألست رجلاً ألست قادراً على أن تفارق أمك ؟ أم أنت تريد أن تلعب ؟ ألم يكفك هذا اللعب الطويل ؟

شهد الله ما كان الصبي حزيناً لفراق أمه • وما كان الصبي حزيناً لانه لن يلعب ـ انما كان يذكر هذا الذي ينام هنالك من وراء النيل • كان يذكره ، وكان يذكر انه كثيراً ما فكر في انه سيكون معهما في القاهرة تلميذاً في مدرسة الطب • كان يذكر هذا كله فيحزن ولكنه لم يقل شيئاً ولم يظهر حزناً وانما تكلف الابتسام • ولو قد أرسل نفسه مع طبيعتها لبكى ولابكى من حوله أباه وأخويه

وانطلق القطار ومضت ساعات ورأى صاحبنا نفسه في القاهرة بين جماعة من المجاورين قد أقبلوا الى أخيه يحيوه واكلوا ما كان قد احتمله لهم من طعام

وانقضى هذا اليوم • وكان يوم الجمعة • واذا الصبي يرى نفسه في الازهر للصلاة • واذا هو يسمع الخطيب شيخاً ضخم الصوت عاليه • فخم الراءات والقافات ، لا فرق بينه وبين خطيب المدينة الا في هذا • فأما الخطبة فهي ما كان تعوّد أن يسمع في المدينة • وأما الحديث فهو هو

وأما النعت فهو هو ٠ وأما الصلاة فهي هي ليست أطول من صلاة المدينة ولا أقصر

وعاد الصبي الى بيته أو قل الى حجرة أخيه خائب الظن بعض الشيء ٠٠ وسأله أخوه : ما رأيك في تجويد القرآن ودرس القراءات ؟ قال الصبي : لست في حاجة الى شيء من هذا ، فأما التجويد فأنا أتقنه وأما القراءات فلست في حاجة اليها ، وهل درست أنت القراءات ؟ أليس يكفيني أن أكون مثلك ؟ انما أنا في حاجة الى العلم ، أريد أن أدرس الفقه والنحو والمنطق والتوحيد

قال أخوه : حسبك ! يكفي أن تدرس الفقه والنحو في هذه السنة

وكان يوم السبت ٠ فاستيقظ الصبي مع الفجر ، وتوضأ وصلى ونهض أخوه فتوضأ وصلى كذلك ثم قال له : ستذهب معي الآن الى مسجد كذا ، وستحضر درساً ليس لك وانما هو لي حتى اذا فرغنا من هذا الدرس ذهبت بك الى الازهر فالتمست لك شيخاً من أصحابنا تختلف اليه وتأخذ عنه مبادىء العلم ٠ قال الصبي : وما هذا الدرس الذي سأحضره ؟ قال أخوه ضاحكاً : هو درس الفقه وهو ابن عابدين على الدر ٠ قال ذلك يملأ به فمه ٠ قال الصبي : ومن الشيخ ! قال أخوه : هو الشيخ ٠٠٠ وكان الصبي قد سمع اسم الشيخ ٠٠٠ الف مرة ومرة ٠ فقد كان أبوه يذكر هذا الاسم ويفتخر بأنه عرف الشيخ حين كان قاضياً للاقليم ٠ وكانت أمه تذكر هذا الاسم وتذكر انها عرفت امرأته فتاة هوجاء جلفة تتكلف زي أهل المدينة وما هي من زي اهل المدن في شيء ٠ وكان أبو الصبي يسأل ابنه الازهري كلما عاد من القاهرة عن الشيخ ودروسه وعدد طلابه ٠ وكان ابنه الازهري يحدثه عن الشيخ ومكانته في المحكمة العليا وحلقته التي تعد المئات ٠ وكان أبو الصبي يلح على ابنه الازهري في أن يقرأ كما كان يقرأ الشيخ ٠ فيحاول الفتى تقليده فيضحك أبوه في اعجاب واكبار ٠ وكان أبو الصبي يسأل ابنه : أيعرفك الشيخ ؟ فيجيب الفتى : وكيف لا وأنا ورفاقي من أخص تلاميذه وآثرهم عنده ، نحضر درسه العام ثم نحضر عليه درساً خاصاً في بيته ، وكثيراً ما نتغدى عنده لنعمل معه بعد ذلك في كتبه الكثيرة التي يؤلفها ٠ ثم يمضي الفتى في وصف بيت الشيخ وحجرة استقباله ودار كتبه ٠ وأبوه يسمع ذلك معجباً حتى اذا خرج الى أصحابه قص عليهم ما سمع من ابنه في شيء من التيه والفخار

كان الصبي اذاً يعرف الشيخ ٠ وكان سعيداً بالذهاب الى حلقته والاستماع له ٠ وكم كان مبتهجاً حين خلع نعليه عند باب المسجد ومشى على الحصير ثم على الرخام ثم على هذا البساط الرقيق الذي فرش به المسجد ٠ وكم كان سعيداً حين أخذ مكانه في الحلقة على هذا البساط الى جانب عمود من الرخام لمسه فأحب ملاسته ونعومته وأطال التفكير في قول أبيه : اني لارجو أن أعيش حتى أرى أخاك قاضياً وأراك صاحب عمود في الازهر ٠ وفيما هو يفكر في هذا ويتمنى أن يمس أعمدة الازهر ليرى أهي كأعمدة هذا المسجد ، والطلاب من حوله دوي غريب ٠ أحس

ان هذا الدوي يخفت ثم ينقطع وغمزه اخوه بيده قائلاً في صوت خافت : لقد أقبل الشيخ . اجتمعت شخصية الصبي كلها حينئذ في اذنيه وانصت . ماذا يسمع ؟ يسمع صوتاً خافتاً هادئاً رزيناً ملؤه شيء قل انه الكبر او قل انه الجلال او قل انه ما شئت ولكنه شيء غريب لم يحبه الصبي . ولبث الصبي دقائق لا يميز مما يقول الشيخ حرفاً حتى اذا تعودت أذناه صوت الشيخ وصدى المكان سمع وتبين وفهم وقد اقسم لي بعد ذلك انه احتقر العلم منذ ذلك اليوم . سمع الشيخ يقول : ولو قال لها أنت طلاق او انت ظلام او انت طلال او انت طلاة وقع الطلاق ولا عبرة بتغيير اللفظ . يقول ذلك متغنياً به مرتلاً له ترتيلاً في صوت لا يخلو من حشرجة ولكن صاحبه يحاول أن يجعله عذباً . ثم يختم هذا الغناء بهذه الكلمة التي أعادها طوال الدرس : فاهم يا أدع . واخذ الصبي يسأل نفسه عن الادع هذا ما هو حتى اذا انصرف عن الدرس سأل أخاه : ما الأدع ؟ فقهقه اخوه وقال : الادع الجدع في لغة الشيخ

ومضى به بعد ذلك الى الازهر فقدمه الى استاذه الذي علمه مبادىء الفقه والنحو سنة كاملة

* * *

(٢٠) انك يا ابنتي لساذجة سليمة القلب طيبة النفس . انت في التاسعة من عمرك ، في هذه السن التي يعجب فيها الاطفال بآبائهم وامهاتهم ويتخذونهم مثلاً عليا في الحياة ، يتأثرونهم في القول والعمل ويحاولون أن يكونوا مثلهم في كل شيء ويفاخرون بهم اذا تحدثوا الى أقرانهم أثناء اللعب ، ويخيل اليهم انهم كانوا أثناء طفولتهم كما هم الآن مثلاً عليا يصلحون أن يكونوا قدوة حسنة واسوة صالحة . أليس الامر كما أقول ؟ ألست ترين أن أباك خير الرجال واكرمهم ؟ ألست ترين انه قد كان كذلك خير الاطفال وأنبلهم ؟ ألست مقتنعة انه كان يعيش كما تعيشين أو خيراً مما تعيشين ؟ ألست تحبين أن تعيشي الآن كما كان يعيش أبوك حين كان في الثامنة من عمره ؟ ومع ذلك فان أباك يبذل من الجهد ما يملك ويتكلف من المشقة ما يطيق وما لا يطيق ليجنبك حياته حين كان صبياً . لقد عرفته يا ابنتي في هذا الطور من أطوار حياته . ولو اني حدثتك ما كان عليه حينئذ لكذبت كثيراً من ظنك وخيبت كثيراً من أملك ولفتحت الى قلبك الساذج ونفسك الحلوة باباً من أبواب الحزن حرام أن يفتح اليهما وأنت في هذا الطور اللذيذ من الحياة . ولكني لن احدثك بشيء مما كان عليه أبوك في ذلك الطور الآن . لن احدثك بشيء من هذا حتى تتقدم بك السن قليلاً فتستطيعين أن تقرأي وتفهمي وتحكمي ، ويومئذ تستطيعين أن تعرفي ان أباك احبك حقاً وجدّ في اسعادك حقاً ووفق بعض التوفيق الى أن يجنبك طفولته وصباه . نعم يا ابنتي لقد عرفت أباك في هذا الطور من حياته . واني لأعرف أن في قلبك رقة وليناً واني لاخشى لو حدثتك بما عرفت من أمر أبيك حينئذ، لم يملكك الاشفاق وتأخذك الرأفة فتجهشي

بالبكاء . لقد رأيتك ذات يوم جالسة على حجر أبيك وهو يقص عليك قصة « أديب ملكاً » وقد خرج من قصره بعد أن فقأ عينيه لا يدري كيف يسير واقبلت ابنته « انتيجون » فقادته وارشدته . رأيتك ذلك اليوم تسمعين هذه القصة مبتهجة من أولها . ثم اخذ لونك يتغير قليلاً قليلاً وأخذت جبهتك السمحة تربد شيئاً فشيئاً وما هي الا أن اجهشت بالبكاء، وانكببت على ابيك لثماً وتقبيلاً وأقبلت امك فانتزعتك من بين ذراعيه وما زالت بك حتى هدأ روعك . وفهمت امك وفهم أبوك وفهمت أنا أيضاً انك انما بكيت لانك رأيت أديب الملك كابيك مكفوفاً لا يبصر ولا يستطيع أن يهتدي وحده . فبكيت لابيك كما بكيت « لاديب » نعم . واني لاعرف أن فيك عبث الاطفال وميلهم الى اللهو والضحك وشيئاً من قسوتهم واني لاخشى يا ابنتي ان حدثتك بما كان عليه ابوك في بعض أطوار صباه ان تضحكي منه قاسية لاهية وما أحب ان يضحك طفل من أبيه وما أحب أن يلهو به أو يقسو عليه . ومع ذلك فقد عرفت اباك في طور من أطوار حياته أستطيع أن احدثك به دون أن اثير في نفسك حزناً ودون ان أغريك بالضحك أو اللهو

« عرفته في الثالثة عشرة من عمره حين ارسل الى القاهرة ليختلف الى دروس العلم في الازهر ان كان في ذلك الوقت لصبي جد وعمل . كان نحيفاً شاحب اللون مهمل الزي أقرب الى الفقر منه الى الغنى تقتحمه العين اقتحاماً في عباءته القذرة وطاقيته التي استحال بياضها الى سواد قاتم وفي هذا القميص الذي يبين اثناء عباءته وقد اتخذ الواناً مختلفة من كثرة ما سقط عليه من الطعام ومن نعليه الباليتين المرقعتين . تقتحمه العين في هذا كله ولكنها تبتسم له حين تراه على ما هو عليه من حال رثة وبصر مكفوف واضح الجبين مبتسم الثغر مسرعاً مع قائده الى الازهر لا تختلف خطاه ولا يتردد في مشيته ولا تظهر على وجهه هذه الظلمة التي تغشي عادة وجوه المكفوفين . تقتحمه العين ولكنها تبتسم له وتلحظه في شيء من الرفق حين تراه في حلقة الدرس مصغياً كله الى الشيخ يلتهم كلامه التهاماً مبتسماً مع ذلك لا متألماً ولا متبرماً ولا مظهراً ميلاً الى لهو بينما الصبيان من حوله يلهون أو يشرئبون الى اللهو

« عرفته يا ابنتي في هذا الطور وكم أحب لو تعرفينه كما عرفته . اذاً تقدرين ما بينك وبينه من فرق . ولكن أنى لك هذا وأنت في التاسعة من عمرك ترين الحياة كلها نعيماً وصفواً

« عرفته ينفق اليوم والاسبوع والشهر والسنة لا يأكل الا لوناً واحداً يأخذ منه حظه في الصباح ويأخذ منه حظه في المساء لا شاكياً ولا متبرماً ولا متجلداً ولا مفكراً في ان حاله خليقة بالشكوى . ولو أخذت يا ابنتي من هذا اللون حظاً قليلاً في يوم واحد لاشفقت امك ولقدمت اليك قدحاً من الماء المعدني ولانتظرت أن تدعو الطبيب

لقد كان أبوك ينفق الاسبوع والشهر لا يعيش الا على خبز الازهر ، وويل للازهريين من

خبز الازهر ان كانوا لا يجدون فيه ضروباً من القش وألواناً من الحصى وفنوناً من الحشرات

« وكان ينفق الاسبوع والشهر والاشهر لا يغمس هذا الخبز الا في العسل الاسود . وأنت لا تعرفين العسل الاسود ، وخير لك ألا تعرفيه

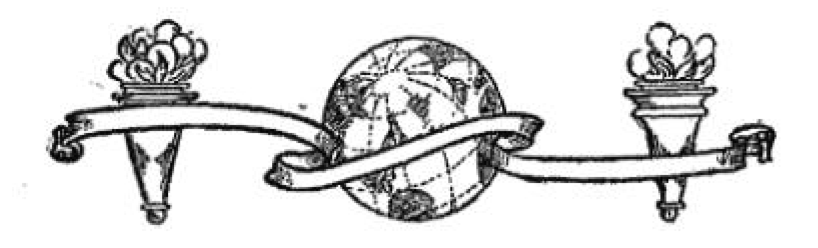
« كذلك كان يعيش أبوك جاداً مبتسماً للحياة والدرس ، محروماً لا يكاد يشعر بالحرمان حتى اذا انقضت السنة وعاد الى أبويه وأقبلا عليه يسألانه كيف يأكل وكيف يعيش أخذ ينظم لهما الاكاذيب كما تعود أن ينظم لك القصص فيحدثهما بحياة يحياها كلها رغد ونعيم . وما كان يدفعه الى هذا الكذب حب الكذب انما كان يرفق بهذين الشيخين ويكره أن ينبئهما بما هو فيه من حرمان وكان يرفق بأخيه الازهري ويكره أن يعلم ابواه انه يستأثر دونه بقليل من اللبن . كذلك كانت حياة ابيك في الثالثة عشرة من عمره

« فان سألتني كيف انتهى الى حيث هو الآن وكيف أصبح شكله مقبولاً لا تقتحمه العين ولا تزدريه وكيف استطاع ان يهيىء لك ولاخيك ما أنتما فيه من حياة راضية وكيف استطاع أن يثير في نفوس كثير من الناس ما يثير من حسد وحقد وضغينة وان يثير في نفوس ناس آخرين ما يثير من رضا عنه واكرام له وتشجيع ، ان سألت كيف انتقل من تلك الحال الى هذه الحال فلست استطيع ان اجيبك وانما هناك شخص آخر هو الذي يستطيع هذا الجواب ، فسليه ينبئك

أتعرفينه ؟ انظري اليه . هو هذا الملك القائم الذي يحنو على سريرك اذا امسيت لتستقبلي الليل في هدوء ونوم لذيذ ويحنو على سريرك اذا أصبحت لتستقبلي النهار في سرور وابتهاج . ألست مدينة لهذا الملك بما أنت فيه من هدوء الليل وبهجة النهار . لقد حنا يا ابنتي هذا الملك على أبيك فبدله من البؤس نعيماً ومن اليأس أملاً ومن الفقر غنى ومن الشقاء سعادة وصفواً

« ليس دين أبيك لهذا الملك بأقل من دينك . فلنتعاون يا ابنتي على اداء هذا الدين وما انتما ببالغين من ذلك بعض ما تريدان »

(تمت) طه حسين



معاوية

بقلم الدكتور أحمد فريد رفاعي

نال أخيراً الاستاذ أحمد فريد رفاعي بك شهادة الدكتوراه بدرجة « فائق » من الجامعة المصرية بعد أن قدم رسالة قيمة عن العصر الأموي ناقشه فيها ممتحنوه وأعجبوا بحسن اجابته وهذه الرسالة هي نتيجة درس طويل وبحث شاق دقيق على الطراز العلمي الحديث . وانه ليسر « الهلال » ان ينشر الآن فصلا من تلك الرسالة يستدل به القارىء على أسلوب الدكتور رفاعي في كتابة التاريخ واستخراج حقائقه . وقد شرعت المطبعة الاميرية بدار الكتب في طبع الكتاب في مجلدين كبيرين وسيصدر قريباً [المحرر]

١ ـ الجهاد بين الخلافة والملك

نحن الآن مقبلون على فترة جهاد عنيف بين الخلافة والملك ، فترة لا يصح أن نعتبر الجهاد فيها بمثابة جهاد بين علي ومعاوية او بين علي وغير معاوية من منافسيه في الخلافة او من الخارجين عليه وانما يخلق بنا أن نعتبرها بمثابة جهاد عنيف بين وجهات النظر العربية في الحياة فان موت عثمان ، رضي الله عنه ، لم يمت الفتنة بل اذ كاها وزادها ضراماً واشتعالاً

وانه لمن الميسور للناقد ان يلتمس العلة في الاحزاب العربية حينذاك لم تجمع هواها على سيدنا علي ، ذلك بأن الجماعة الراغبة في الوظائف والاموال لم تجد فيه طلبتها وسؤلها ولم تعثر فيه على أنشودتها ورجلها بل على النقيض قد ثبت منه حاكماً صلباً لا تلين قناته سار فيهم سيرة الحق لا تأخذه في الله لومة لائم وكانت حركاته وسكناته ، رضي الله عنه ، جميعها لله وفي الله لا يغمط بها حق أحد وكان لا يأخذ ولا يعطي الا بالحق والعدل حتى أن أخاه عقيلا وهو ابن أبيه وأمه طلب من بيت المال شيئاً لم يكن له بحق فمنعه رضي الله عنه وقال : يا أخي ليس لك في هذا المال غير ما أعطيتك . ولكن اصبر حتى يجيء مالي وأعطيك منه ما تريد . فلم يرض عقيل هـذا الجواب وفارقه وقصد معاوية بالشام . وكان لا يعطي ولديه الحسن والحسين اكثر من حقهما فانظر الى رجل حمله ورعه على هذا الصنيع بولديه وبأخيه من ابويه فلما سار فيهم هـذه السيرة ثقل على بعض الناس فعله وكرهوا مكانه

هذه خطة هؤلاء معه . أما خطة الشيوخ فمنهم من آثر العزلة وترك حبل الامة على غاربها تتطاحن أحزابها بين طلاب الخلافة ومنهم الخوارج الذين غضبوا على علي كما غضبوا على معاوية وندبوا من بينهم عبد الرحمن بن ملجم ليقتل علياً والبرك بن عامر ليخلصهم من معاوية وعبد الله ابن مالك الصيداوي ليريحهم من حليف معاوية عمرو بن العاص . هؤلاء الخوارج كانت كلمتهم

« الحكم لله لا للناس » فعتبوا على علي خضوعه للتحكيم . وما خضع الا مكرهاً معنتاً كان علي إماماً دينياً . كان موئلاً للشريعة ومثالاً للورع والاستمساك باحكام الكتاب، كان مصدراً خصيباً من مصادر الفقه والتشريع ، وكان في حكومته وحروبه على السواء مؤثراً رضا الله ، ومغضباً شهوات الناس ، وقارعاً أطماعها ، وكان عنواناً كاملاً لاسمى صفات الخلق الاسلامي من حيث النجدة والشجاعة لا الحذق والسياسة . كان مصلحاً دينياً بكل معاني الكلمة يعمل للآخرة قبل الاولى ويعمل لارضاء الله لا ارضاء الناس وكان كما وصفه عدي بن حاتم لمعاوية « يقول عدلاً ويحكم فصلاً . تتفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه . يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته . وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة . يحاسب نفسه اذا خلا . ويقلب كفيه على ما مضى . يعجبه من اللباس القصير ومن المعاش الخشن وكان فينا كاحدنا .... كان يعظم أهل الدين . يتحبب الى المساكين . لا يخاف القوي ظلمه ولا ييأس الضعيف من عدله . فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه وارخى الليل سرباله وغارت نجومه ودموعه تتحادر على لحيته وهو يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني الآن أسمعه وهو يقول « يا دنيا ألِيَّ تعرضتِ أم اليَّ أقبلتِ . غرّي غيري لا حان حينك قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك »

هذا هو علي حقاً ـ علي الذي بالغ في التدقيق في محاسبة عماله حتى اغضب اكثرهم ، وحتى خسر نصرتهم وفي جملتهم مصقلة بن هبيرة الشيباني وابن عمه عبد الله بن عباس بعد ان كان اكبر نصير له ، والذي اغضب ابن الزبير وطلحة وكان في مقدوره ان يضمهما اليه ، والذي لم يكتسب الى جانبه عمرو بن العاص ولم يقبل نصيحة ابن العباس ولا المغيرة بن شعبة في اقرار معاوية وابن عامر وعمال عثمان على اعمالهم حتى تأتيه بيعتهم ويسكن الناس ثم يعزل منهم من يشاء فابى وقال : لا اداهن في ديني ولا اعطي الدنية في امري . فقيل له انزع من شئت واترك معاوية فان في معاوية جرأة وهو في اهل الشام يستمع منه وله حجة في اثباته بما كان من عمر بن الخطاب اذ قد ولاه الشام . فأبى وقال « لا والله لا استعمل معاوية يومين » فلم تكن الحيل والخدع من مذهبه، ولم يكن عنده غير مر الحق . والذي يقول لاصحابه بعد ان اثخنوا في اعدائه « لا تتبعوا مولياً، ولا تجهزوا على جريح ولا تنهبوا مالاً » فجعلوا يمرون بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع فلا يعرض له احد . الا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به والدواب التي حاربوا عليها . فقال بعض اصحابه « يا امير المؤمنين كيف حل لنا قتالهم ولم يحل لنا سبيهم واموالهم » فقال علي رضي الله عنه « ليس على الموحدين سبي ولا يغنم من اموالهم الا ما قاتلوا به وعليه . فدعوا ما لا تعرفون والزموا ما تؤمرون »

أجل ، هذا هو علي حقاً . والذي ابت رأفته وابى دينه ان يمنع اهل الشام من الماء كما منعوه اثناء منازلتهم حتى كاد يهلك جنده عطشاً . والذي منع شيعته وانصاره من شتم معاوية ضارباً

صفحاً عن آثار استغلال ذلك في الدعوة السياسية لتأييد خلافته والحط من ملك منافسه . فانه لما بلغه ان حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية ولعن اهل الشام ارسل اليهما ان كفا عما يبلغني عنكما فأتياه فقالا يا امير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل « قال كرهت لكم ان تكونوا شتامين لعانين ولكن قولوا اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم . واهدهم عن ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي من لهج به »

هذا هو علي حقاً . شديد محاسبة نفسه وعماله . اما محاسبة نفسه فظاهرة خاصة واضحة الوضوح كله . واما محاسبته عماله فان تاريخه مفعم بمثبتات الادلة والشواهد مما افاد منه معاوية ايما فائدة وان هروب مصقلة بن هبيرة الشيباني من علي وانضمامه الى معاوية وكذلك يزيد بن حجية التيمي تيم اللات الذي كان قد استعمله علي على الري فكسر من خراجها ثلاثين الفاً فكتب اليه علي يستدعيه فحضر فسأله عن المال قال « اين ما غللته من المال » قال ما اخذت شيئاً فخفقه بالدرة خفقات وحبسه ووكل به سعداً مولاه فهرب منه يزيد الى الشام فسوغه معاوية المال فكان ينال من علي وبقي بالشام الى ان اجتمع الامر لمعاوية فسار معه الى العراق فولاه العراق

فهذه الشواهد وامثالها فيها اقطع الدلالات على شدة محاسبته لعماله واغضابه آل بيته تديناً وورعاً وعملاً للآخرة لا لبناء ملك في الدار الاولى

فلنحفظ هذه الصورة جيداً ولنذكر انها لم يتح لها الفوز والنجاح في ذلك الجهاد السياسي وان الكفة الراجحة في سياستنا الدنيوية كانت لمنازله الذي يجدر بنا ان ندرسه بايجاز واقتضاب

٢ ـ تطور الرأي العام

صور الشاعر العبقري « شكسبير » في روايته يوليوس قيصر تأثر الرأي العام ببلاغة زعمائه التي يستغلون بها سذاجة موقفه ويتملكون بها عقول قومهم ، التي بها يفكرون . وعيونهم التي بها يبصرون . فلا يصدرون الا عن ارادتهم ، ولا يفكرون الا بعقولهم . وقد أبدع أيما ابداع في موقفي بروتس قاتل قيصر ومخلص الرومان وانطونيوس مؤبنه ورائيه وأظهر الى أي مدى افتتن بهما الجمهور والى أي مدى تناقض في حبه وبغضه واكباره وتألمه

شكر الرومان بروتس قاتل قيصر لأجل الرومان وفي سبيل الرومان فاسلموا له القياد وطلبوا اليه أن يتبوأ العرش مكانه وحمل على الاعناق بعد أن تبوأ منهم حبات القلوب ثم استمعوا الى انطونيوس يرثي قيصر وما استمعوا له الا لأن بروتس طلب اليهم أن ينصتوا لان قيصر الطاغية غير قيصر الراحل فانصتوا وتكلم انطونيوس فحرك من شؤونهم وأنساهم أنفسهم واستغل في موقفه ما بثياب قيصر من دماء وثقوب . وما بجسمه من طعنات وجروح . حتى اضطرمت الفتنة وكان نصيب بروتس ما نعلم بعد حمله على الاعناق

هكذا فعل معاوية في جهاده وجلاده مع علي

فقد صدع بما أشار به عليه عمرو بن العاص اذ طالبه باظهار قميص الدم الذي قتل فيه عثمان وأصابع زوجته وأن يعلق ذلك على المنبر، ثم يجمع الناس، ويبكي عليه، لاصقاً قتل عثمان بعلي مطالباً بدمه مستميلاً بذلك أهل الشام وغيرهم من عامة المسلمين - أخرج معاوية القميص والاصابع وعلقه على المنبر وبكى واستبكى الناس وذكرهم بمصاب عثمان فانتدب أهل الشام من كل جانب وأيدهم الاشراف وذوو النفوذ كشرحبيل بن السمط وسواه وبذلوا له الطلب بدم عثمان والقتال معه على كل من آوى قتلته. ثم خلق لعلي معضلة سياسية لا يهون على السياسي حلها، وذلك بأن بعث رسالة الى جماعة علي وهذه الرسالة تحتوي على اسس المبادىء العثمانية وتقول «أما بعد فانكم دعوتم الى الطاعة والجماعة واما الجماعة التي دعوتم اليها فمعنا وأما الطاعة لصاحبكم فلا نراها. ان صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثأرنا وقتلتنا وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لا نرد ذلك عليه. أرأيتم قتلة صاحبنا .... ألستم تعلمون انهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم الينا فلنقتلهم به ثم نحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة» وكيف يستطيع علي أن يدفع الى معاوية قتلة عثمان؟ وماذا يكون موقفه امام ذلك الحزب القوي الناقم على الخليفة المقتول؟ فلذلك كان من المعقول ان يقف رده امام هذه المشكلة السياسية الدقيقة عند قوله «أما ما سألت من دفعي اليك قتلته فاني لا أرى ذلك - لعلمي بانك انما تطلب ذلك ذريعة الى ما تأمل ومرقاة الى ما ترجوه وما الطلب بدمه تريد»

٣ - معاوية

لسنا نريد ان نعرض لابداء حكم عن دين معاوية ومبلغ تمشيه في تصرفاته السياسية واقامته لحدود الله مع احكام الشرع لان ذلك قد تكلم فيه الشافعي والحسن البصري وانما نريد ان نشخص معاوية مؤسس الملكية في الاسلام وواضع أسس السياسة الدنيوية والذي قال فيه عمر بن الخطاب لجلسائه له «تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية»

كان معاوية ذا مواهب سياسية كبيرة، وكان داهية ذهناً بعيد مدى العقل مالكاً قياد اهوائه، كان «ذا مكر وذا رأي وحزم في امر دنياه اذا رأى الفرصة لم يبق ولم يتوقف واذا خاف الامر دارى عنه واذا خوصم في مقال ناضل عنه وقطع الكلام على مناظره»

كان يعمل جهده في شراء ضمائر قبائل العرب وكان قوي البذل في العطاء وقد ذكر الطبري حادثة نستطيع ان نستنبط منها نظر معاوية الى المال والى مبلغ استخدامه المال في سبيل شراء ضمائر ذوي المكانة والنفوذ من معاصريه وغيرهم فقد ذكر ان ابا منازل قال له حينما اعطاه معاوية سبعين الفاً بينما اعطى جماعة من الزعماء ممن في مرتبته مائة الف «فضحتني في تميم يا معاوية اما

حسبي بصحيح أو لست ذا سن أو لست مطاعاً في عشيرتي » فقال معاوية بلى قال فما بالك خسست بي دون القوم فقال اني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك ورأيك في عثمان بن عفان ـ وكان عثمانياً ـ فقال وانا فاشتر مني ديني فأمر له بتمام جائزة القوم

كان سياسياً بطبيعته ، معطاء وهوباً بسجيته ، وقد صدق في صفته ابو الجهم الشاعر حيث قال:

نميل على جوانبه كأننا اذا ملنا نميل على ابينا
نقلبه لنخبر حالتيـه فنخبر منهما كرماً ولينا

وانا نستطيع أن نفهم فهماً صحيحاً أ كانت ثورة معاوية بسبب قتل عثمان ثورة مصدرها عميق اخلاصه في العثمانية ليجري حكم الشرع في قتلة عثمان ام ثورة مصدرها طموحه الى الملك ليغتصبه لنفسه ـ نستطيع ان نفهم ذلك من حديث جرى بينه وبين عائشة بنت عثمان فان التاريخ يحدثنا ان معاوية لما قدم المدينة دخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان وا أبتاه وبكت فقال معاوية « يا ابنة اخي ان النـاس اعطونا واعطيناهم أماناً واظهرنا لهم حلماً تحته غضب واظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان انصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون ام لنا ولأن تكوني بنت عم امير المؤمنين خير من ان تكوني امرأة من عرض المسلمين »

وانا لا نجد تصويراً أدق لسياسة معاوية وطريقة حكمه من قوله « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي . ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو ان بيني وبين النـاس شعرة ما انقطعت . قيل وكيف ذلك . قال كنت اذا مدوها خليتها واذا خلوها مددتها »

فهذا القول يبين حلمه وطول باعه في السياسة وهدوء اعصابه اذا جابهته المشكلات او نزلت بساحته الكوارث والمعضلات وتظهر سعة عطفه وحزمه وقسطه . ولقد قال له يزيد يوم بويع له على عهده بجعل الناس يمدحونه ويقرظونه « يا امير المؤمنين والله ما ندري أنخدع الناس ام يخدعوننا فقال معاوية كل من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته »

ثم انظر الى مختلف تصرفات معاوية في حياته السياسية وغيرها فانك لتقتنع بصدق حكم الشعبي الذي قال فيه « كان معاوية كالجمل الطيب اذا سكت عنه تقدم واذا رُد تأخر »

ولقد امتاز معاوية الى جانب المامه التام بميول كل من له به علاقة من البشر وصادق تقديره مع ثقوب بصيرته بنواحي الضعف فيهم التي يستطيع التسرب اليهم منها ـ امتاز الى جانب هـذا كله بصفات ثلاث لها مكانتها السامية في تكوين دهاة ساسة الوقت الحاضر تلك الصفات الثلاث هي: ايقاع اعدائه في مشكلات لا تقوم لهم من بعدها قائمة بأفانين طريفة طالما عمد اليها الكثير من ساسة اليوم . مثال ذلك طريقته في ايقاع بطارقة الروم الذين يكيدون للاسلام وذلك بهاداتهم ومكاتبتهم بطريقة مكشوفة لاغراء الملك بهم

الصفة الثانية من مميزات معاوية الخلقية هي حلمه وهناك مئات الامثال التي اترعت بها كتبنا

الادبية والتاريخية مشيدة بحلمه مطنبة في فضائل سعة صدره على انا نجتزىء هنا بمثل بسيط وذلك انه لما ألحق معاوية زياداً بأبيه دخل عليه بنو امية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان بن الحكم الاموي فقال له يا معاوية لو لم تجد الا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة فأقبل على اخيه مروان وقال اخرج عنا هذا الخليع فقال مروان والله انه لخليع ما يطاق فقال معاوية والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت انه يطاق ألم يبلغني شعره فيّ وفي زياد ثم قال لمروان اسمعنيه فقال :

ألا ابلغ معاوية بن صخر لقد ضاقت بما تأتي اليدان
أتغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال ابوك زان

الصفة الثالثة هي نعومة السياسة وهي غير الحلم لانها من نوع المغالطات السياسية مثال ذلك ما كان بينه وبين الحسن بن علي بشأن نزوله عن الخلافة له إذ كتب اليه معاوية كتاباً فيما جاء فيه : اما بعد فانت أولى بهذا الامر وأحق به لقرابتك ... ولو علمت انك أضبط له وأحوط على حريم هذه الامة وأكيد لبايعتك فسل ما شئت . وبعث اليه بصحيفة بيضاء مختومة في أسفلها ان اكتب فيها ما شئت فكتب الحسن أموالاً وضياعاً وامانة لشيعة علي الخ .

أضف الى جانب هذه الصفات ما كتب لمعاوية من توفيق وسداد في اختيار اكبر دهاة الولاة كعمرو بن العاص وزياد بن ابيه والمغيرة بن شعبة ممن عملوا معه على توطيد الملك له والذين ارتسموا الى حد غير قليل خطوات زعيمهم السياسي في شراء الضمائر وسعة العطن ورجوح حصاة العقل . وهذا زياد المعروف بشدة الوطأة بلغه عن رجل يكنى ابا الخير من اهل البأس والنجدة أنه يرى رأي الخوارج فدعاه فولاه جند نيسابور وما يليها ورزقه اربعة آلاف درهم كل شهر وجعل عمالته في كل سنة مائة الف فكان ابو الخير يقول : ما رأيت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين اظهر الجماعة . كذلك فعل المغيرة بن شعبة حين حصبه حجر بن عدي وهو على المنبر في خطبة الجمعة فانه نزل مسرعاً ودخل قصر الامارة وبعث الى حجر بخمسة آلاف درهم ترضاه بها . فقيل للمغيرة : لم فعلت هذا وفيه عليك وهن وغضاضة ؟ فقال : قد قتلته بها

الى جانب هذه العناصر المكونة لتلك الشخصية البارزة التي اعتمدت في تأسيس ملكها عن ما اعتمدت عليه من ترضي الاحزاب بالمال وعامة الناس بالطعام واستغلال العصبيات العربية والتساهل في اقامة الحدود الدينية اذا دعت الى ذلك طبيعة الاحوال السياسية فان معاوية يصف بنفسه سبب نجاحه على علي بقوله « اعنت على علي بن ابي طالب بأربع خصال . كان رجلاً ظُهرة عُلنة لا يكتم سراً وكنت كتوماً لسري . وكان لا يسعى حتى يفاجئه الامر مفاجأة وكنت ابادر الى ذلك . وكان في اخبث جند واشدهم خلافاً وكنت احب الى قريش منه فنلت ما شئت فالله من جامع اليّ ومفرق عنه . « وبعد » فان السياسة الحديثة قد اباحت لرجالاتها في سبيل تحقيق غاياتهم ان ينتهجوا من الوسائل ما يكفل لهم نجحهم السياسي . ويجب علينا أن نثبت ان حلمهم ولو

انهم يتظاهرون بنفورهم من مدرسة « مكيافلي » التي تضحي بكل شيء تبريراً للوصول الى الغاية السياسية ، هم في الواقع انهم يأخذون بتعاليمها ويعملون على برنامجها . هذه السياسة الايجابية في نجاحها العملي ، السلبية في ارضائها المناحي الخلقية ، هي التي خرجت لنا « ماترنيخ » و « كافور » و « دزرائيلي » و « بسمرك » و « ويت » وهي التي كان من ابطالها جلادستون ذو المواقف الغريبة في الاقناع واكتساب ثقة الجمهور ولو تنحل من الشواهد واختلق من السابقات ما ليس لها من وجود

كذلك كان معاوية في جل تصرفاته يحفل كثيراً بتحقيق غاياته في تشييد الملك فهو يدير امور الناس لهذه الوجهة ، وهو ينتهج من الوسائل السياسية ما يكفل نجاحه في هذه الوجهة ، وانه لخليق بنا وبسوانا ألا نعدو بعيداً عن هذه الوجهة حين نظرنا الى معاوية في كتابه الى مروان بن الحكم بشأن حده شاعره الكبير ابن سيحان ، وحين حكم لابن الزبير بثمن داره المحترقة ، وحين ارضى عقيلاً واحتمل من الاحنف بن قيس ما احتمل . وحين يخلص من الاشتر النخعي ومن عبد الرحمن بن خالد ، وحين فصل في منازعة عمرو بن عثمان بن عفان واسامة بن زيد مولى رسول الله في حكاية الارض التي قيل ان الرسول صلى الله عليه وسلم اقطعها لاحدهما ، وحين كان يبذل المال طبقاً لمناهجه السياسية . وانا نبيح لانفسنا حين ننظر الى قول زين العابدين « إن علياً كان يقاتله معاوية بذهبه » ان نزيد على ذلك قولنا « ان معاوية كان يقاتل علياً بذهبه وذهنه »

وإنا لنظن أنا قد صورنا معاوية بما هو أهله . وأوضحنا ما كانت عليه هذه الشخصية الفذة في مسايرة الناس ، واحتمال الاذى منهم ، والتي يقول صاحبها « ما من شيء عندي ألذ من غيظ أتجرعه . واني لا أحول بين الناس والسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا » والآن نستطيع أن نفهم قيمة قول علي رضي الله عنه عن معاوية في كتابه الى زياد بن أبيه حينما كان من ولاته مما نختتم به كلمتنا عنه « اني وليتك ما وليتك وانا أراك له اهلاً . وقد كانت من أبي سفيان فلتة من اماني الباطل وكذب النفس لا توجب لك ميراثاً ولا تحل له نسباً . وان معاوية يأتي الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام »

٤ ـ سياسة معاوية

ان معاوية الذي مرن على السياسة بنشأته ، وحذقها بسجيته ، وأتقنها لمختلف أدوارها التي تقلب فيها ، فطبع عليها ، وطبعت عليه ، وأصبح منها وأصبحت منه ، لم يكن في مقدوره الا أن يكون سياسياً وسياسياً فذاً موفقاً . بل مصدر سياسات عبقرية ، طالما ينشدها عصره وزمانه حتى بعث بها و بعثت له . وخلق لها وخلقت منه . وكانت في ذاتها وجوهرها خليقة بالاجلال والاكبار كما كان صاحبها قميناً بالنجاح جديراً بالتوفيق . لانه لم يكن في وسعه بطبيعته واستعداده ومواهبه وكافة أدواته في الحكم والسلطان ، الا ان يوفق مظفراً في مختلف خططه التي ارتسمها سديدة

ناجحة لانها قطعة من نفسه ، وكل ما كان من نفس معاوية فهو بمثابة اصول السياسة في تشييد الملك . وتشييده بمنجاة من كافة الاعاصير التي تقتلع كل ملك قائم على غير طبيعة السنن الملكية الضرورية لها ولضمان حياتها ودوام قوة بيوتاتها

ان معاوية ومن ضرب على قالبه وغراره ... علموا الخفيات من اهواء النفوس فتم لهم امتلاكها وقيادتها ، وانتهجوا بهـا من المسالك ما أشبع نهمتهم ونهمتها ، وحقق بغيتهم و بغيتها ، ووحدوا بين تيار مصلحتهم السياسية ومختلف رغباتها ومصطدم منازعها ، وفطنوا بثقوب بصائرهم الى استخدام كل ما فيه القوة والحياة لملكهم من شتى العناصر في أنفسهم وولاتهم وسائر شعبهم

أما في نفوسهم فيأخذها مكرهة او طائعة بالتزام ما فيه النجح والتوفيق مع قصد واعتدال فتختار من الولاة والزعماء والقواد والبطانة من فيهم الغنية والكفاية وحسن البلاء . يبحث عنهم أنى وجدوا مهما كانت عصبياتهم وخفة ظلهم او كثافة نفوسهم ، و يجعلون في مراكزهم بمعزل عن التغيير والتبديل ما داموا من أوتاد الدولة واركان الملك

وأما في ولاتهم فيبعدهم عن جور الرعية وانصافهم الناس جميعاً فلا يصيبهم من وراء لونهم السياسي او مذهبهم الديني عسف وظلم

ولقد سأل الوليد عامله الحجاج المعروف بعسفه وجبروته أن يكتب اليه بسيرته فكتب ما نثبته هنا وما كنا نود أن يكون نبراساً حقاً للحجاج وغير الحجاج قال « اني أيقظت رأيي وأنمت هواي فادنيت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسماً يعطيه حظاً من نظري ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى النطف المسيء والثواب الى المحسن البريء . فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب »

وأما في سائر شعبهم فاستمتاعهم بكل ما يرضي العـدل والحق مع طمأنينتهم على مالهم وأنفسهم وأن تكون أبواب الولاية لشكاتهم مفتوحة . وآذانهم لمطالبهم صاغيـة . وعيونهم لخيرهم ناظرة . وكم تفيد تلك الصفات مع حزم في الولاة !

وهذا زياد بن أبيه وشدته ، كان لا يحتجب عن طالب حاجة وان أتاه طارقاً بليل وهو الذي كانت عقوبته القتل المدلج واخذ المقبل بالمدبر والمقيم بالظاعن وقد وفق زياد الى استتباب الامن في ربوع ولايته حتى قال المدائني « قدم قادم على معاوية بن ابي سفيان فقال له معاوية هل من مغربة خبر ؟ قال نعم نزلت بماء من مياه الاعراب فبينا أنا عليه أورد اعرابي ابله فلما شربت ضرب على جنوبها وقال عليك زياداً فقلت له ما أردت بهذا قال هي سدى ما قال لي فيها راع منذ ولي زياد فسر ذلك معاوية وكتب به الى زياد .....

الدكتور فريد رفاعي

الحبشة ومطامع الدول

بقلم الاستاذ فوزي الغزي

استاذ حقوق الدول في معهد الحقوق بدمشق

نشرنا في الجزء الماضي القسم الاول من هذا البحث الخطير لدى الشرقيين عموماً والمصريين خصوصاً وقد ذكر فيه كاتبه كلة عن تاريخ الحبشة وأحوالها الحاضرة وتاريخ مطامع الدول فيها الى حين عقد اتفاق رالو . وفي هذا القسم تحليل دقيق يبين كيف تبرر بريطانيا وايطاليا هذا الاتفاق ثم تفنيد هذا التبرير [المحرر]

٣ – كيف تبرر بريطانيا وايطاليا هذا الاتفاق

يتضح من مطالعة المذكرتين البريطانيـة والايطالية ، ومن رد السر اوستن تشمبرلن على احتجاج حكومة الحبشة او بياناته من مجلس النواب البريطاني ، ان الدولتين تستند في تبرير هذا الاتفاق الى الادلة الآتية :

١ – الضرورة . فقد جاء في مستهل المذكرة البريطانية هذه الجملة « تعلمون جيداً ما لصون مقدار المياه ، وزيادته اذا امكن من المكانة الحيوية لمصر والسودان لاجل مشروعات الري المتصور انشاؤها فيهما . وذلك من النيل الازرق والنيل الابيض وسواعدهما »

وذكر تشمبرلن في البيانات المنوه بهـا « ان المياه التي يحتاج اليها السودان ومصر ، لهي من المشـاكل التي تستدعي حلاً عاجلاً ، وان عدد سكان مصر يبلغ خمسة عشر مليوناً » الى آخر ما هنالك من الاقوال التي تدل على احتياج هذين البلدين الى مياه بحيرة تسانا

٢ – اخفاق المفاوضات التي اجرتهـا بريطانيا مع الحبشة مباشرة ، وعدم اقترانهـا بنتيجة حاسمة . وهذا مستنتج من الجملة الواردة في مطلع المذكرة البريطانيـة وهي « وقد ابلغتم خبر المفاوضات التي باشرتهـا الحكومة البريطانية في اديس ابابا باعتبارها ممثلة لحكومة السودان وحريصة على مصالح مصر . . . وان هذه المفاوضات لم تفض حتى اليوم الى نتيجة مثمرة »

٣ – كون الاقتراحات الايطالية لا تناقض شروط الاتفاق المقصود في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦ . وهـذا مأخوذ من احدى فقرات المذكرة البريطانيـة وهاكم نصها : « ولذلك درست الحكومة البريطانية هذه الاقتراحات درساً ملياً . وهي ترى ان هـذه الاقتراحات لا تناقض شروط الاتفاق المنعقد في ١٣ ديسمبر ١٩٠٦ »

٤ – كون المذكرات لا تمس حقوق شخص ثالث ، ولا تقيد حكومة الحبشة بشيء ، ولا

تنافي سيادتها . وهـذا مستنبط من فقرتين واردتين في رد بريطانيا المرسل الى جمعية الامم وهما « ان هـذا الاعتراف لا يمس حقوق اي فريق ثالث ، ولا يقيد حكومة الحبشة ولا فريقاً آخر غير الحكومة البريطانية » وان « لحكومة الحبشة كل الحق في الحكم فيما تراه من مصلحة الحبشة » ومن فقرة مدرجة في رسالة وزير بريطانيا المفوض الى الرأس تفاري وهي « ان هذه المعاهدة لا تمس حقوق الحبشة ولا سيادتها بشيء »

هـذه هي الادلة التي ترتكز عليها انجلترا وايطاليا في تبرير اتفاق ربالو . وهي لعمري أدلة ليس فيها من القوة الا كونها صادرة عن دولتين قويتين تجاه امة ضعيفة . نعم ان القوة قد توصل بريطانيا وايطاليا الى مبتغاهما ، وقد تمكن مخالبهما من جسم الحبشة الضئيل ، وقد ترهب جمعية الامم نفسها فلا تتجرأ على سماع شكوى المغلوب ، وأنات المظلوم ، ولكنها لا تستطيع بل ولن تستطيع ، السيطرة على وجدان الانسانية الطاهر ، وتحريف الحقائق وتشويه وجهها المنير

ان حجج هاتين الحكومتين واهية ، وادلتهما باطلة فاسدة ، تذوب كلها عند اول تفنيد وينهار صرحها المتكلف امام سلطان الحق واليك البيان :

٤ — تفنيد أدلة بريطانيا وايطاليا

﴿ ١ — الضرورة ﴾ وكيف يمكن اعتبارها من المسوغات الحقوقية ، وليس لها قياس تقاس به ، ولا حد تقف عنده . ولو كان لها مقاييس وحدود ، فمن الذي يعينها في هذه الجمعية التي ما زالت تتخبط في ظلمات الفوضى ، لا يُعرف رئيسها من مرؤوسها ، ولا يذعن صغيرها لكبيرها الا بالقوة . وهل معنى قبول الضرورة سوى فتح باب التدخل في شؤون الامم الضعيفة على مصراعية ، وترك القوي ينهش جسم الضعيف

على ان الضرورات لو كانت تجيز الاعتداء على حقوق الآخرين لكان من واجب انجلترا ان تلتزم الصمت والسكوت اذا احتلت المانيا قسماً من مستعمراتها الواسعة ، لان المانيا التي ضاقت ذرعاً بكثرة سكانها ، وعظيم مواردها ، وضيق اراضيها ، قد اصبحت بحاجة الى أراض عديدة اكثر من حاجة بريطانيا الى خزان مياه تسانا ، وكان على بريطانيا ايضاً ألا تتخذ من اختراق حياد البلجيك ابان الحرب العالمية سبباً لاعلان الحرب على المانيا ، لان الضرورة العسكرية كانت تقضي عليها بذلك

ولو سلمنا جدلاً بأن انشاء الخزان على بحيرة تسانا هو من المسائل الحيوية لمصر والسودان لا يمكن تأخيرها يوماً واحداً . فما شأن السكة الحديدية المراد انشاؤها بين الاريترية والصومال ، وما هي حاجة ايطاليا الحيوية العاجلة الى بسط حمايتها ونفوذها على الحبشة ؟

ليس في حياة الدول ضرورات تبيح الاعتداء على حقوق الآخرين ، وليس بين علماء

الحقوق بل رجال السياسة انفسهم من يتجرأ على القول بصحة هـذه النظرية . وما الضرورة الا لون من ألوان الاعتـداء ، ووسيلة من الوسائل التي يتذرع بهـا القوي الظالم ، لهضم حقوق الضعيف المكلوم

﴿ ٢ — اخفاق المفاوضات التي اجرتها بريطانيا مع الحبشة، وعدم اقترانها بنتيجة مثمرة ﴾

ولا اظن ان هـذا السبب يحتاج الى تفنيد . فان فيه اعترافاً صريحاً بأن بريطانيـا التي طال عليها امد المفاوضة ورأت ان الطرق الحقيقية لا تمكنها من تحقيق مطالبها ، جنحت الى طرق القوة والعنف ، فتآمرت مع ايطاليا على حيـاة امة تعهدت بالدفاع عن استقلالهـا واراضيها وفاقاً لعهد جمعية الامم

تقول المذكرة البريطانية ، ان المفاوضات لم تفض الى نتيجة مثمرة ، وفي هذا القول دلالة واضحة على ان بريطانيا قد أقدمت على تبادل المذكرات مع ايطاليا بسبب اخفاق المفاوضات ، وانها اعتزمت نهائياً ان تنال بالتعاقد ما عجزت عن نيله بالمفاوضات . فاذا لم يكن الامر كذلك ، فما معنى عقد المعاهدات وشد الرحال الى رباو ؟ واذا كان الأمر كذلك فما معنى قول بريطانيا في ردها على احتجاج الحبشة ، ان هذا الاعتراف لا يمس بحقوق أحد ؟

ان العبارات المزوقة ، والجمل السياسية المنمقة لا تستطيع اخفاء الحقيقة مهما بلغ واضعوها من الحصافة والكياسة وتحلوا بالدهاء والحنكة

﴿ ٣ — كون الاقتراحات الايطالية لا تناقض شروط الاتفاق المعقود سنة ١٩٠٦ ﴾

لقد ارادت حكومة بريطانيا ان تدافع عن الاتفاق الجديد بكونه لا يتضمن شيئاً يناقض اتفاق سنة ١٩٠٦ . ولكن زلت بها القدم فيما قالت « ان الاقتراحات الايطالية لم تحل محل الاعتبار في ذلك الحين سنة ١٩١٩ بسبب المعارضة للفكرة التي مؤداها ان دولة اجنبية يمكن ان تحصل على نوع من السيطرة على منابع نهر هي حيوية ليسر مصر والسودان بل لكيانهما . ولكن بالنظر الى علاقات الثقة المتبادلة لحسن الحظ بين حكومتينا ، ترغب الحكومة البريطانية الخ » فاماطت بذلك اللثام عن خفايا نياتها ، واظهرت ان الاقتراحات الايطالية لم تقبل اليوم لكونها تنطبق على معاهدة ١٩٠٦ اذ ان ما ينطبق اليوم على تلك المعاهدة كان منطبقاً عليها سنة ١٩١٩ ، بل قُبلت لان علاقات الثقة المتبادلة القائمة لحسن الحظ بين الحكومتين قد ازالت الريب والظنون من نفوس المعارضين

هذه هي الحقيقة التي لا شك فيها . ولكن يسرنا ان تضيق الحيل ببريطانيا العظمى فتصرح بها برغم حذقها السياسي ، ومقدرتها في صوغ العبارات المرنة ، والجمل المطاطة

هذا وان اتفاق سنة ١٩٠٦ هو فاسد من اساسه لانه عبارة عن معاهدة سرية معقودة لتقسيم الحبشة الى مناطق نفوذ ، ولان المادة العشرين من عهد جمعية الامم نصت على ان اعضاء جمعية

الامم يعترفون بان عهد الجمعية يبطل جميع التعهدات والاتفاقات التي لا تتفق مع نصوصه ، وعليهم ان يبادروا فوراً الى الغاء ما عسى ان يكونوا قد عقدوه من التعهدات التي من هذا القبيل . وهل من اتفاق اشد مناقضة لعهد جمعية الامم من اتفاق سنة ١٩٠٦ الذي يقضي باستعباد بلاد اصبحت منذ ١٩٢٠ عضواً في جمعية الامم

ويرجع تاريخ مناطق النفوذ الى مؤتمر برلين المنعقد سنة ١٨٨٥ . فان الدول الاوربية التي خشيت شر التزاحم على المستعمرات ، قررت في ذلك المؤتمر استحداث طريقة جديدة تحول دون كل خصام . فحددت لكل دولة اراضٍ معينة في افريقيا ، وحرمت على الحكومات الاخرى التقرب منها . وسميت هذه الاراضي مناطق نفوذ Zone d' influence او Hinterland

وقد كانت هذه الطريقة الحديثة موضوع معاهدات عقدت في برلين بين دول المانيا ، بريطانيا ، فرنسا ، ايطاليا ، البرتغال ، الكونغو

ولا فرق من حيث النتيجة بين مناطق النفوذ الاقتصادية والسياسية فالغاية في كلاهما ، ان تنفرد احدى الدول باستثمار كنوز بلاد ضعيفة وتستنزف دماءها وأموالها بدون معارضة الحكومات الاخرى لها . فاتفاقات مناطق النفوذ كلها تخالف شرائع الدول ، ولا تكون محللة الا اذا تعلقت بأرض خالية لا صاحب لها ولا مالك . ولذلك اصبح اتفاق سنة ١٩٠٦ فاسداً من أساسه ، وما بني على الفاسد فهو فاسد مثله

٤ - كون المذكرات لا تمس حقوق شخص ثالث ولا تقيد حكومة الحبشة بشيء ولا تنافي سيادتها مع ان هذه المذكرات موضوعة خصيصاً لمساس حقوق الحبشة ، وارغامها على منح ايطاليا امتيازاً بانشاء سكة حديدية من اريترية الى الصومال ، بل قبول الحماية الايطالية ، والسماح لبريطانيا ببناء خزان تسانا ، وانشاء طريق للسيارات من السودان الى الخزان . وفي هذا ما يخالف حق السيادة Droit de souveraineté وواجب احترام وقار الدول معنوياً وسياسياً Dignité morale et politique ، ويناقض عهد جمعية الامم الذي تعهدت به الحكومات المتعاقدة ، ليس باحترام استقلال بعضهن بعضاً فقط ، بل بالدفاع عنه بلا عوض عند الحاجة

ومن الغريب ان حكومة بريطانيا التي تقول في احدى فقرات مذكرتها ، وبلسان مندوبها في اديس ابابا ، ان هذا الاتفاق لا يمس حكومة الحبشة ولا سيادتها ، بل ينفعها ويزيد في يسر سكانها ، تعود فتذكر في تلك المذكرة نفسها . ان اقتراحات ايطاليا لم تقبل سنة ١٩١٩ « بسبب المعارضة القوية للفكرة التي مؤداها ان دولة أجنبية يمكن أن تحصل على نوع من السيطرة على منابع النهر الحيوية ليسر مصر والسودان بل لكيانهما » فتعترف بأن الاتفاق الجديد يخول ايطاليا نوعاً من السيطرة على منابع النهر ، وان الخوف من هذا النوع من السيطرة هو الذي سبب المعارضة القوية لابرام الاتفاق سنة ١٩١٩ ، وان علاقات الثقة المتبادلة لحسن الحظ بين الحكومتين قد أزالت

هذا الخوف في سنة ١٩٢٦ فلم يبق من مانع لبسط ايطاليا نفوذها وسيطرتها على منابع النهر

والاغرب من ذلك ان تقول ايضاً في ختام مذكرتها « ولكن هذا الوعد والاعتراف منوطان بشرط ان الحكومة الايطالية ... تتعهد بألا تقيم عند منابع النيل الازرق والنيل الابيض او سواعدهما اي خزان ... وان هذا الشرط لا يمنع استعمال سكان المنطقة للمياه استعمالاً معقولاً ... وان انشاء الخزان وعمله سيتمان بواسطة عمال محليين » فتخاطب ايطاليا كأنها هي صاحبة السيادة على بحيرة تسانا ، وتفاوضها كأن السكان من افراد شعبها ، وتعاقدها كأنما تعاقد صاحب التاج المشروع والسلطة الحقوقية في أمر يتعلق بمملكته . ثم تزعم برغم هذا وذاك ، ان اتفاق رپالو لا يمس سيادة الحبشة ولا يضر مصلحتها

ان هذه الجمل التي نقلناها اليك،من مذكرات بريطانيا ، وبيانات رجالها تدلك على ما تضمره الدولتان نحو الحبشة المسكينة ، وتوضح لك بكل جلاء كيف ان عضوين من اعضاء جمعية الامم يقتسمان على ضوء النهار ، بلاد عضو آخر يجتمع معهما حول منصة اعدت للدفاع عن حقوق الضعفاء ، ثم يسجلان صك القسمة في ديوان جمعية الامم على مرأى ومسمع من العالم المتمدن كله

لقد اعلن الرئيس ويلسون في المادة الاولى من مواده الاربع عشرة ، ان الدبلوماسية ستكون بعد اليوم صريحة ، علنية . ونصت المادة الثانية عشرة من عهد جمعية الامم على ان كل معاهدة لا تسجل في جمعية الامم تعتبر لاغية . فظن الناس ان الساسة الذين كانوا يتآمرون على حياة الشعوب تحت طي الخفاء ، سيعدلون بعد اليوم عن خططهم القديمة البالية ، ويخجلون من سلوك تلك المناهج المعوجة المعيبة ، ولكن سرعان ما خابت الظنون ، وضاعت الآمال ، فما كان يجري في الخفاء اصبح يقع على ضوء النهار ، وما كانت تتكتم فيه الحكومات خجلاً وخوفاً ، بات يدوّن علناً في سجلات جمعية الامم

هذه هي الخطوة الكبيرة التي خطتها الشعوب الضعيفة بعد الحرب ، وهذه هي الثمرات التي اقتطفتها من جمعية الامم . فويل للضعيف ما أشقاه واتعسه

٥ — لماذا تتردد الحبشة في عرض قضيتها على جمعية الامم ؟

يغلب على الظن ان ثقة الحبشة بجمعية الامم ضعيفة متزلزلة كما يستشف من خلال اسطر احتجاجها المرفوع الى الجمعية المذكورة فقد جاء فيه ان حكومة الحبشة التي قيل لها حينما اشتركت في اعمال الجمعية ، ان اعضاءها يُعاملون معاملة واحدة ، وأن على الجميع احترام استقلال الدول الاخرى ، ترى اليوم ان بعض اعضاء الجمعية يستطيع ان يتفق على حدة لارغام الدول الاخرى على قبول رأيه

والحبشة على حق فيما تقول . لان جمعية الامم التي حسمت قضية سيليزيا العليا ، وفصلت

مسائل الحدود بين دول بلقانية ، وبتت في امر جزائر آلاند ، واثبتت انها قوية امام الدول الضعيفة ، لم تبرهن — ويا للاسف حتى اليوم — عن مقدرتها اتجاه الدول القوية . فقد سدت أبوابها في وجه اليونان حينما التجأوا اليها من ظلم الديكتاتور موسوليني — ووقفت مكتوفة اليدين عندما استنجدت بها مصر من اعمال الانجليز عقب مقتل السردار ، وصمت آذانها عن سماع شكوى السوريين وقتما استجاروا بها من افعال فرنسا في بلادهم

ان العضد الوحيد الذي كانت تعقد الحبشة الآمال عليه في جمعية الامم ، هو حكومة فرنسا ، ومما يؤكد ذلك تعرض الصحف الطليانية لساسة فرنسا وقولهم ان فرنسا هي التي كانت تشجع الحبشة عليهم ، وان سفيرها في اديس ابابا هو الذي وضع للحبشة صيغة الاحتجاج الذي رفعته لجمعية الامم

ولكن يظهر ان فرنسا قد تخلت بعدئذ عن الحبشة . فقد جاء في بيان شبه رسمي صادر في ٢ يوليو ، ان حكومة فرنسا قد أرسلت تعليماتها الى مندوبها في اديس ابابا بأن يعمل بالاتفاق مع زميليه البريطاني والايطالي . فعلى من تتكل الحبشة اذن في مجلس جمعية الامم اذا عرضت قضيتها عليه ؟ ان مجلس جمعية الامم مؤلف من دول قوية هي : بريطانيا ، المانيا ، فرنسا ، ايطاليا ، اليابان . ودول صغيرة هي : بولونيا ، كولومبيا ، شيلي ، سالفادور ، بلجيكا ، رومانيا ، هولانده ، الصين ، تشكوسلوفاكيا

فالدول القوية المهيمنة على كل شيء ، لا تقدم على مساعدة الحبشة ووضع العراقيل في سبيل الساعين لابتلاعها الا لتحصل منهم على ترضية تعادل الترضية التي نالوها في الحبشة ، فتكون مساعدتها وبالاً على أمة ضعيفة أخرى بدون أدنى فائدة للحبشة . والدول الصغيرة التي لا حول لها ولا طول ، تعد نفسها سعيدة اذا تمكنت من صون استقلالها وحفظ كيانها ، فلا يعقل أن ينتظر منها أدنى معونة أو أيسر مساعدة

فهذه كولومبيا ، وشيلي ، وسلفادور ، فانهن دول اميركية ، بعيدات عن اوربا ، لا يعنين بأمرها ولا يهتممن بشأن من شؤونها ، وهذه بلجيكا فانها مرتبطة مع فرنسا بعهد عسكري منذ سنة ١٩٢٠ ، ومفتقرة لمعونتها في كل المواقف والمواطن لا تخرج عن ارادتها ولا تعمل الا بمشورتها . وأمامك بولونيا وهي مدينة باستقلالها الى الحلفاء ، ومحتاجة في صد الروس والالمان عنها الى معاضدة انجلترا وايطاليا وفرنسا ، ولديها من المشاكل الداخلية — ما يلهيها عن كل امر خارجي . وكذلك رومانيا وهي مهددة بخطر الصقالبة ، ساعية لاكتساب عطف ايطاليا ومودتها لتتمكن من الاحتفاظ بسرابيا الغنية ، والوقوف اتجاه التيار البلشفي . أما الصين وهي الدولة الشرقية الكبيرة في مساحتها الصغيرة في قوتها وهيبتها ، فهي تلتهب بنيران الثورة ، وترسف بسلاسل وقيود من الامتيازات الاجنبية ، والمعاهدات الفردية ولا تجد مجالاً للتفكير في غير

أمورها . وما تشكوسلوفاكيا وهولانده الا دولتـان صغيرتان لا يقام لها وزن ، ولا يعلق على كلامهما كبير اهمية

حقاً ان مجلساً هـذه حالته لا يستطيع انتشال الحبشة من الهوة التي وقعت فيها ، وان الحبشة لجديرة بأن تتردد في عرض قضيتها عليه

الخاتمة

ان دولة الحبشة هي الدولة الافريقية الوحيدة التي أفلتت من يد الاوربيين فصانت استقلالها بدماء طاهرة زكية ، واحرزت كرسياً في جمعية الامم برغم معارضة بريطانيا وايطاليا لها

لقد احتفظ الاحباش باستقلالهم . ولكن بعد ان دفعوا ثمنه باهظاً مهج الاكباد ، وزهرات الشباب ، حاربهم الانجليز ، وقاتلهم الطليان ، وكان لهم في قتـال الآخرين مواقف كلها بطولة وشجاعة ، فلا التدريب العسكري الحديث ، ولا الفن والنبوغ ، ولا النيران المتأججة ، والقذائف المتفجرة ، استطاعت أن تتغلب على حفاة عراة سلاحهم وطنية خالصة ، وسيوفهم شجاعة منقطعة المثال : لقد ذابت صفوف الطليان تحت حرارة الايمـان الوطني وتراجعت الجيوش المدربة أمام قوة التفاني والمغامرة في سبيل الاستقلال والحرية

انقضى القرن التاسع عشر على الحبشة بسلام ، ولكن فاجأها القرن العشرين بمؤامرات سياسية ومكائد ودسائس ولا نعلم ماذا تكون نتيجة هـذه المؤامرات ، ولا نستطيع ان نستشف اليوم ما يكنه الدهر لهذه البلاد التعسة بين طيات الغيب ، ومجاهل المستقبل . ولكن الامر الذي لا شك فيه هو أن جو الاحبـاش اصبح مكفهراً تكتنفه الغيوم وتغشاه ظلم حالكة . فاذا لم تنتبه حكومة الحبشة الى ما يدور حولها ، ولم تأخذ للامر عدته ، فستندم . ولات حين مندم

فوزي الغزي

أستاذ حقوق الدول في معهد الحقوق بدمشق



زوجها (Son Mari)

قصة تمثيلية للكاتبين الفرنسيين بول جيرالدي وروبير سبيتزر

تلخيص وتعليق الدكتور طه حسين

بول جيرالدي (Paul Géraldy) كاتب يفتن به المترفون في شعورهم وعواطفهم من الفرنسيين لانهُ مترف في شعوره وعواطفه ومترف بنوع خاص حين يحلل العواطف والشعور. تناول طائفة من الموضوعات في قصصه التمثيلي فاستطاع أن يبلغ من دقة التحليل ولطف المدخل الى القلوب ما أسرع به الى بيت موليير وأنزله منه منزلة رفيعة . ولست أدري أيذكر القارىء أني تحدثت اليه في غير هذا الموضع عن قصة من قصصه التمثيلية سماها الحب وحلل فيها الصلة بين زوجين متحابين يعرض لها من اسباب الفتنة ما يصرف المرأة عن زوجها حيناً ثم تتكشف الخيرة لهذه المرأة عن حقيقة الامر فتتبين انها كانت مفتونة لا عاشقة وان حبها انما كان مقصوراً على زوجها حتى في اشد اوقات الفتنة ذلك لان الحب شيء غير الشغف وغير الهيام وغير هذه الشهوات التي تملك النفس فتقسر عليها الامر حيناً ، فيه ثقة تمكن المتحابين من ان يطمئن كل منهما الى صاحبه فلا يسمح لنفسه بالشك فيه ولا يتخيل هذا الشك وتمكنهما من ان يعتمد كل منهما على صاحبه اعتماداً لا حدَّ له ، فيه هذه الثقة التي تمكن الزوج من أن يجيب امرأته حين أنبأته بأن فلاناً يتبعها بحبه وطلبت اليه ان يحميها من هذا الحب « مثلك لا يحتاج الى حماية ولا حراسة ولا خير في حب يتكلف صاحبه أن يقوم دونهُ يدفع عنه المغيرين » . ثم فيه الى جانب هذه الثقة ألوان من الذكرى يسيرة ضئيلة في نفسها ولكن الحب يتألف منها او قل انها هي التي تؤلف حياة المتحابين

وقد وفق بول جيرالدي في هذه القصة توفيقاً عظيماً دون أن يحتاج الى حركة او مشقة في تدبير هذه الحركة . وانما هي كلها حوار بين الزوجين او بين المرأة وذلك الذي أراد أن يفتنها . ثم لم يقف توفيق بول جيرالدي عند هذه القصة بل تجاوزها الى قصة أخرى فتنت الباريسيين في السنة الماضية وهي قصة « روبير وماريان » وهو على هذه الاجادة في التمثيل شاعر مجيد دقيق يحبه الفتيان والفتيات ويقرأون له بنوع خاص ديواناً صغيراً عنوانه «انت وانا» تناول فيه العلاقة بين العاشقين من نواحي الحياة المنزلية اليومية في لطف ودعة وخفة روح

ولكن بول جيرالدي على هذا كله صاحب جد ، وحظه من الهزل قليل . هو مترف في جده خفيف الروح يحاول الدعابة والفكاهة ولكنه لا يبلغ منهما ما يريد او هو لا يريد أن يبلغ منهما

شيئاً . وكأنهُ كان محتاجاً الى ان يعينه زميله الذي اشترك معهُ في وضع هذه القصة التي أتحدث اليك فيها اليوم . كان محتاجاً الى هذه المعونة ليلائم بين جده وفلسفته المترفة وبين ما يحتاج اليه الباريسيون في هذه الايام من الفكاهة واللهو حتى في أوقات الجد والتفكير العميق . وقد ظفر بول جيرالدي من معونة زميله بما أحب وبما أحبَّ الباريسيون فجاءت هذه القصة الاخيرة آية في الجد والفكاهة معاً . فأنت لا تستطيع ان تمضي في قراءتها دون أن ترى نفسك مغرقاً في الضحك . ولكنك في الوقت نفسه مغرق في التفكير والتأمل ذلك لان الموضوع كلهُ جد ولكن الصورة كلها هزل ، لفظ رشيق فيه عبث كثير ولكن من دون هذه الرشاقة والعبث حقيقة من هذه الحقائق التي يجب على كل انسان أن يفكر فيها وأن يلائم بينها وبين سيرته مع زوجه

وفي الحق ان روحي هذين الكاتبين قد التأما في هذه القصة التئاماً بديعاً ، وحسبك انهما استطاعا أن يحملاك على أن تفكر في أشد الموضوعات خطراً دون أن تجد في ذلك مشقة أو عنفاً بل على أن تجد في ذلك لذة لا تعدلها لذة . ولكن هذه المشقة التي لا تجدها أنت حين تقرأ القصة أجدها أنا حين أحاول أن ألخصها لك . ذلك لاني استطيع أن ألخص لك موضوعها وغرضها ولكني لن استطيع أن ألخص لك شكلها وصورتها وحوارها وما فيه من رشاقة وخفة وسرعة فكل ذلك لا سبيل الى نقله الا في ترجمة دقيقة ليست من السهولة واليسر بحيث تظن

فلأعرض عليك ما أستطيع من هذه القصة معترفاً منذ الآن بأنهُ تلخيص للموضوع لا اكثر ولا أقل ولأسلك في هذا العرض الطريق التي تعودت ان اسلكها في غير هذه القصة فاضع أمامك الاشخاص كما أراد صاحب القصة أن يكونوا

والقصة تعتمد قبل كل شيء على التناقض بين شخصين متباينين تبايناً تاماً في الطبيعة والذوق والمزاج . ولكنهما يخدعان عن نفسيهما ويخيل اليهما انهما متفقان مؤتلفان لا تباين بينهما ولا تناقض

فأما أحد هذين الشخصين فالزوج واسمهُ مكسيم مينار (Maxime Meynard) رجل من أغنياء باريس وأصحاب الاعمال فيها ، رجل كغيره من الناس ، عادي في ذوقه ومزاجه وربما كان أقرب الى الطبقة السفلى منه الى الطبقة العليا ، فان امتاز بشيء فهو يمتاز بجده في العمل ومهارته في تصريف الامور المالية ، وهو لذلك كثير الصمت قليل الكلام قليل الحركة أيضاً لا يكاد يتصور الحياة الا على انها انهماك في العمل حين يكون في مكتبه وأكل ونوم حين يأوي الى بيته . وهو على ذلك قانع بهذه الحياة يرى فيها المثل الاعلى للسعادة ، وهو لا يفهم من الزوجية الا أن يرى امرأته في البيت زينة له واداة للهو الذي لا يصيب منه الا قليلاً من حين الى حين . وهو يفهم الامانة الزوجية كما يفهمها غيره من الناس لا يخون زوجه ولا يريد أن تخونه زوجه ، يكره العبث ويسيء الظن بكل لون من ألوان المجون والمزاح ولكنه رغم هذا كله ضعيف طيب

القلب مستعد للعفو ان وقع له ما من شأنه أن يحفظ الرجال ، هو رجل طيب ولكنه يعيش في الارض وليست له جناحان يستطيع أن يرتفع بهما في الجو ولو قليلاً

أما امرأته جاكلين (Jacqueline) فجميلة خلابة ككل نساء القصص · ولكنها تناقض زوجها أشد المناقضة فهي قوية الخيال تعيش في السماء لا في الارض ، لا ترى الناس كما هم وانما تراهم كما تحب أن يكونوا ، تصوغهم صوغاً خاصاً وتسبغ عليهم صورتها الخاصة ، ثم تعيش معهم بعد ذلك عيشة راضية ملؤها الصفاء والطهر والثقة والايمان ، ذلك ان نفسها تتصف بهذه الصفات كلها ، فهي راقية تتنزه عن الدنيات ، وهي طاهرة لا يكاد يخطر لها الاثم على بال ، وهي مطمئنة على نفسها فيبعثها ذلك على أن تطمئن الى الناس وتثق بهم ثقة لا حد لها · وهي على هذا كله مترفة في تفكيرها وشعورها رقيقة العاطفة رقيقة المزاج قوية الحس ، تألم لكل شيء وتسر لكل شيء وتنتقل من الألم الى السرور ومن السرور الى الألم في سرعة غريبة ، تعيش في حلم مستمر وهي بعد هذا كله قد صاغت زوجها في صورة ملائمة لصورتها فاستيقنت انه أجمل الناس وأكرم الناس وأرقهم طبعاً وأصفاهم مزاجاً وأبعدهم نظراً وأصدقهم حكماً على الاشياء والناس أيضاً ، حتى اذا أسبغت عليه هذه الصورة الجميلة الخلابة أحبته وفتنت به واندفعت في هذا الحب والفتنة الى أقصى أمد ممكن ، وأخذت تؤول عيوبه على انها محاسن ومزايا : هو كثير الصمت لا يتحدث اليها في الحب والغزل ذلك لأنهُ رقيق دقيق ولأن الحب أجل من أن يتناوله الكلام ولأن الكلام يفسد الحب اذا تناوله · وما حاجتها الى الكلام ؟ أليس يكفي أن ينظر اليها زوجها فترى في هذه النظرات ما تشاء من حب وشغف وولاء واخلاص ؟ وهو لا يحب اللهو ولا السمر ، وما حاجتها الى اللهو والسمر ؟ أليس ذلك دليلاً على انه رجل جد وعمل ؟ أليس يكفيها أن تراه وقد عاد الى البيت فنظر في رسائله ثم قال بصوت مغضب : ما لنا لا نذهب الى المائدة ؟ ان في هذا كله لحباً وفتنة · وعلى هذا النحو أحبت زوجها وسعدت بحبه ثلاثة أعوام كاملة واتخذت نفسها وزوجها مثالاً أعلى للاسرة السعيدة المتحابة · ولكنها كانت تجهل زوجها وكانت تجهل نفسها أيضاً وكانت في حاجة الى حادثة من الحوادث تظهرها على حقيقة نفسها وتعرض عليها زوجها كما هو وتنزلها من السحاب الذي كانت تعيش فيه الى الارض لترى الناس والاشياء كما أراد الله أن يكونوا لا كما صوّرهم الخيال

ومن غريب الامر ان في هذه القصة شخصاً ثالثاً يناقض جاكلين من بعض الوجوه ويوافقها من بعضها الآخر وهو مثل شائع الآن في فرنسا . هذا الشخص هو جيزيل (Gisèle) اخت جاكلين ، فتاة تدرس الطب حرة في لفظها وحركاتها وسيرتها مسرفة في هذه الحرية لا تتحرج من أن تستعمل في لغتها ألفاظاً يألفها الطلاب وحدهم ويتفر منها المترفون ، ولا تتحرج من أن تقضي يومها وشطراً من ليلها مع الشبان في لهو وعبث ومجون ، ولا تكره أن تعود الى بيتها بعد

منتصف الليل وقد لمت ورقصت وصاحبها الى البيت شاب من زملائها في الدرس . ولكنها على هذا كله طاهرة السيرة تستطيع أن تقول لاختها انها على عبثها ولهوها لا تزال عذراء وستظل عذراء . وهي لا تكره أن تعلن الى اختها في صراحة أن الحب قد بطل في هـذا العصر وان البدعة انما هي في الدعابة والعبث ليس غير . ومن دون هذا كله قلب خيّر مملوء البر والحنان ونفس راقية تحب المثل الأعلى وتطمح اليه ولكنها تراه عزيزاً فتتسامح وتنظر الى الحياة مبتسمة في شيء من السخرية المرة تغشيها حلاوة متكلفة . هي كاختها لولا أن حظها من العقل يفوق حظها من الخيال

وهناك شخص رابع هو ام هاتين الفتاتين امرأة متقدمة في السن تمثل عصرها وتعيش غريبة في هذا العصر الجديد لا تفهم جاكلين لأنها تعيش في السحاب ولا تفهم جيزيل لأنها تحللت من القيود المألوفة وهي معذبة بينهما تعلن اليهما دائماً انهما ستقتلانها

ثم هناك شخص خامس نستطيع أن نقول انه البطل الثاني من أبطال هـذه القصة . وهو اندريه موروى (André Moreuil) شاب قد جاوز الثلاثين قليلاً حسن الطلعة متقن الزي غني متصل بالاسر الراقية شديد الحياء ولكنه حاد العاطفة والمزاج ضعيف فيما يظهر لا يكاد يملك نفسه ولا يسيطر على عواطفها . اكاد أرى أن الكاتبين قد خلقاه خلقاً وبعدا به بعض الشيء عن الاشخاص المألوفين . وهو كما خلقاه خفيف الروح جذاب عذب اللسان منطلقه يندفع في ذلك حتى يخيل اليك انه مجنون وهو في حقيقة الامر مجنون قد ذهب الحب بعقله حيناً فأصبح كهؤلاء الذين يخضعون للتنويم المغناطيسي

* * *

هؤلاء هم أشخاص القصة والقصة في نفسها قصيرة كما أن الوقت الذي تقع فيه قصير لا يكاد يتجاوز اليومين أو قل لا يكاد يبلغهما . وهي تذكرنا كما قلت بقصة الحب لولا ان الزوجين في قصة الحب كانا مؤتلفين في رقة الطبع ورقي النفس ، وهما في هذه القصة مختلفان ومن هنا انتصرت الزوجية في قصة الحب وانهزمت في هذه القصة . ولولا أن قصة الحب جد كلها وهذه القصة جد قد صيغ في لفظ فكاهي

* * *

نحن في بيت جاكلين آخر النهار وقد فرغت من استقبال زائريها في هذا اليوم الذي تعودت أن تستقبلهم فيه كل اسبوع وخلت الى اختها جيزيل فكان بينهما حديث تفهم منه الفرق بينهما في الطبيعة والمزاج ، هما تتحدثان عن صديقة لجاكلين ، فأما جاكلين فمفتونة بها قد أسبغت عليها صورتها الخاصة وأخذت تسرف في الثناء عليها . وأما جيزيل فقد رأتها كما هي وأخذت تهون من شغف اختها ، وتمضيان في الحديث فتتناولان اشياء كثيرة يظهر فيها ما بينهما من الاختلاف

في الذوق والحكم ولكن يظهر في الوقت نفسه ان بينهما حباً ومودة تقربان مسافة هـذا الخلف وتعطف كلاً من الاختين على الاخرى . وقد لامت جاكلين اختها لانها لا تزورها كثيراً ولا تثق بها ولا تطمئن اليها في الحديث واتفقتا بعد حوار ظريف على ان تستأنف حياة الاختين في ثقة وطمأنينة . وقد فهمنا من هذا الحديث ايضاً ان « مكسيم » مسافر لبعض عمله في بلجيكا ورأينا حب جاكلين اياه وفهمنا أن جيزيل مزورّة عنه بعض الازورار . وتقبل امها مضحكة مضطربة لا تدري علام تقبل من الامر اتمكث مع ابنتها ام تعود الى بيتها ، ثم يستقر رأيها على العودة فتنصرف مع ابنتها الفتاة وتخلو جاكلين الى نفسها . فنحس انها تشعر بشيء من الضجر بوحدتها . وهي تريد ان تنصرف الى غرفتها فتتناول فيها العشاء وهي تهم بذلك لولا ان الخادم يدخل عليها رجلاً تنظر اليه فاذا هو « موروى » وكانت قد رأت هذا الشاب مرة واحدة في بعض الاسمار ، فأنست اليه وأنس اليها وتحدثا فاطالا الحديث ، وأقبل هـذا الشاب يزورها في يوم استقبالها ، ولكنه اقبل متأخراً فيعتذر من هذا التأخر اول الامر ثم يعترف بانه تعمده بعد ذلك، ثم يفتنّ في الثناء على جاكلين ويظهر اغتباطه بذلك الحديث ثم يهم بالانصراف معتذراً . ولكنه يلتمس سبيلاً للبقاء او يلتمس سبيلاً الى العودة فيعرض على صاحبته انه يريد ان يستشيرها في امر ذي بال وان الوقت متأخر فهو يستأذنها في ان يعود ليستشيرها في زيارة اخرى . اما هي فتكاد تحس رضاها عن هـذا الحديث وميلها الى هذا الفتى . وقد اذنت له في ان يعود ثم بدا لها فأمرته ان يبقى وان يعرض قصته فوراً . فيبقى وينبئها بانه اختلف في الشتاء الى احدى الاسر فاتصلت المودة بينه وبينها وفي هـذه الاسرة فتاة فاحس ان الاسرة تطمع في ان يخطبها فهو مضطرب لا يدري ايقطع الصلة بينه وبين هذه الاسرة لانه لا يريد ان يتزوج ام يحتفظ بها . اما جاكلين فتدهش لان صاحبها يستشيرها في مثل هذا الامر وهي لا تكاد تعرفه ولكنه قد انس اليها حين رآها في المرة الاولى ورأى منها صراحة ونصحاً واخلاصاً فطمع في ان يستشيرها واطمأن الى رأيها . وهي لا تدري بمَ تشير عليه ، ولكنها كما قدمت لك طيبة النفس صادقة العاطفة فانظر اليها وقد اندفعت تلوم صاحبها لوماً عنيفاً لأنه يستشيرها في مثل هـذا الامر وهي ترى انه أمر لا يحتمل المشورة ، فأنت بين اثنتين : اما أن تحس بشيء من الميل الى هـذه الفتاة واذن فاحتفظ بالصلة وامض حتى تنتهي الى الزواج واما ألا تحس شيئاً واذن فلا ينبغي أن تطمع هـذه الفتاة ولا أن تضلها ، وصاحبنا لا يحس شيئاً ، واذن فسيقطع الصلة ولكن جاكلين يروعها هذا وتشفق أن تكون مشورتها عقبة في سبيل السعادة الزوجية التي تطمع فيها هذه الفتاة فتنصح لصاحبها بالاناة والتفكير وتندفع في حديث عن الحب لذيذ كله حرارة وصدق واخلاص . وقد اندفعت فيه حتى تناولت نفسها وزوجها وسعادتهما ولم تفكر أو قل لم تشعر بما تترك في نفس هذا الشاب من الاثر ، وهي تجد لذة في حديثها اليه وهو يجد لذة في الاستماع اليها وما تزال في الحديث

وما يزال هو في الاستماع والسؤال أحياناً حتى ينتهي الامر الى أقصاه وقد خلبت الفتى وحببت اليه الزواج فاستقر رأيه على أن يسرع الى بيت الفتاة فيخطبها من فوره ، وهي الآن تنصح له ألا يتعجل في الخطبة بعد ان كانت تنصح له ألا يتعجل في القطيعة . وقد فهمنا من كل هذا انها تجد لذة في الحديث الى الفتى وان الفتى مفتون باستماع حديثها . وهما في ذلك وقد تقدم الليل واذا مكسيم قد أقبل ولم يكن منتظراً انما كانت تنظر عودته من الغد . أقبل فلم يجد أحداً من الخدم وعالج باب الدار حتى فتحه وتقدم حتى انتهى الى غرفة الاستقبال دون أن يظفر بخادم فلما دخل الغرفة رأى زوجه تتحدث الى أجنبي . دهش ودهشت وبهت الزائر ونهض مودعاً وانصرف وخلا الزوجان ولكن بينهما شيئاً . أما هي فلم تكن تنتظر هذه العودة وأما هو فلم يكن ينتظر ان يرى هذا الاجنبي ولم يكن ينتظر ان تستقبله امرأته هذا الاستقبال ولا سيما وقد قدم عودته يوماً وابرق بذلك الى امرأته ولكن الرسالة لم تصل اليها وقام الدليل على ذلك فوصلت الرسالة أثناء حوارهما . ولكن في نفس الرجل شيئاً على كل حال فهو يسأل عن هـذا الاجنبي في شيء من الازدراء أول الامر ثم تشتد عنايته به شيئاً فشيئاً ويظهر الشك قليلاً قليلاً والمرأة مخلصة في الاغتباط بعودة زوجها ولكن هذا الشك يؤلمها ، يدهشها أولاً ثم يؤذيها ثم تحس الاهانة ثم تكبر نفسها وترى انها أرفع من أن تهبط الى حيث تدافع عن شرفها وبينما تغلو هي في الكبرياء يغلو زوجها في الشك ، وبينما يؤثر الكبرياء فيها فيظهر عليها الغضب يظن زوجها أن هذه آثار الخوف والريبة وما هي الا أن ينتهي الى اللوم ثم الى التعنيف ، وكلما مضى في ذلك اشتد سخط المرأة وكبرياؤها تخيل اليه أن الخوف والذعر هما اللذان يشتدان حتى ينتهي الامر الى الاتهام وينتهي بها الامر هي الى أن تزدري زوجها فتتهم نفسها أيضاً وقد انتهت الغيرة بالرجل الى أقصاها وانتهى الغضب والكبرياء بالمرأة الى اقصاهما فتركت زوجها واغلقت من دونه الباب

* * *

فاذا كان الفصل الثاني فنحن حيث كنا في الفصل الاول من الغـد وجاكلين منصرفة الى أعمال بيتها تأمر خادمها ببعض الشأن ونحن نحس انها تألم وانها ترى ان قد اهينت في كرامتها وكبريائها . ولكنها لا تقول شيئاً ولا تظهر شيئاً ولكن هذه امها قد اقبلت في شكلها المضحك دائماً وهي مضطربة مذعورة فاذا رأتها ابنتها خيل اليها انها مريضة . ثم ظنت ان اختها قد آذتها ثم تبينت آخر الامر ان زوجها قد ذهب اليها وقص عليها ما كان أمس وغلا في القصص فيسوؤها ذلك ويؤذيها في شرفها وكبريائها . ولكنها تطمع في أن تكون أمها قد دافعت عنهـا . وقد فعلت أمها فنهرت الرجل وقالت في ابنتها ما تقوله الامهات ، وجاكلين اذن سعيدة تقبل أمها في حنان وبر . ولكن لا تلبث الشيخة أن تطلب الى ابنتها أن تستعطف زوجها وتصلح ما بينهما من الامر . فاذا مضت في الحديث قليلاً أحست جاكلين ان أمها قد صدقت ما قال فيها الزوج

فتكلفت الدفاع ولكنها مقتنعة فيما بينها و بين نفسها بان ابنتها آثمة ، فيؤلمها ذلك و يؤذيها ايذاء شديداً تكتمه ولكنه مع ذلك ظاهر لا تكاد تفهمه الشيخة ونفهمه نحن في وضوح وجلاء

وهذه جنيز يل مقبلة ولست الخص لك محاولة الشيخة اقصاءها واخفاء الامر عليها في حوار بديع وحركات مضحكة ولكنها قد دخلت على كل حال وخلت الى اختها وهي تذكر ما كان بينهما من عهد امس وقد سمعت مكسيم وهو يحدث أمها بالقصة فاقبلت تؤامي أختها وتظهر لها العطف والنصح والمودة واسمع لها تهنىء أختها بانها قد اتخذت لها خليلاً وخانت هذا الزوج الذي لا يستحق الا ان يخان ، واذن ! فهي أيضاً تتهم أختها وتصدق فيها الفاحشة ! فلا يزيد ذلك جاكلين الا ألماً و يأساً ولكنها تملك نفسها وتأخذ الامر في سخرية وعبث من دونهما ألم شديد

وهن في ذلك واذا الخادم يستأذن لموروي ، فاما الشيخة فيحنقها ذلك وأما جاكلين فتستقبله ، وهي تستقبله باسمة وهو يقص عليها أمره وانه خرج من عندها أمس متأثراً مفتوناً فلم يملك نفسه فذهب الى أهل الفتاة وجلس اليها ثم لم يلبث ان تحقق انها لا ترضى مثله الاعلى فانصرف عنها وعدل عن اتخاذها زوجاً ٠ وهذا كله يلهي جاكلين و يلذها و يسليها بعض الشيء ٠ ولكن الفتى يمضي في حديثه فيخبرها بأنه وان كان قد انصرف عن هذه الفتاة وعرف انهُ لا يحبها فهو يشعر مع ذلك بأنهُ يحب ، وآية ذلك انهُ لم ينم الليل وانهُ يرى الحياة قد تغيرت كلها ، فهو اذاً يحب ، ولكن يحب من ؟ وهو يفكر و يسأل نفسه ٠٠٠ وانظر اليه وقد استكشف الحقيقة فجأة وأعلنها فجأة : فهو يحب جاكلين و يعلن اليها ذلك في لهجة مضحكة مؤثرة معاً ، وهي تدهش لذلك أول الامر ثم تغضب ثم تثور ولكن هذا كله لا يزيد صاحبنا الا اقتناعاً بأنهُ يحبها والحاحاً في اعلان هذا الحب وهي تنهره وتطرده وتقصيه ، ولكنهُ لا يزيد الا الحاحاً واصراراً ، ثم يستكشف انها هي لا تكرهه وقد لا تحبه ولكنها تميل اليه بعض الميل ، و يستدل على ذلك بأنسها اليه لاول ما لقيته واطمئنانها اليه في المرة الثانية ، وهي تدفع عن نفسها مغضبة ثائرة وقد زاد ذلك في ايذائها فزوجها يتهمها وأمها وأختها تصدقان هذه التهمة وهذا الفتى لا يستبعد التهمة ايضاً ٠ وقد انتهت الى اخراج هذا الفتى ولكنها عذرت زوجها وأخذت تلوم نفسها على هذا الكبر الذي وضعها هذا الموضع السيء وقبلت أو رغبت في ان ترى زوجها وتستعطفه وتظهره على جلية الامر ٠ و يقبل زوجها ، فتتلقاه باسمة واثقة مطمئنة وتترضاه ولكنها كلما حاولت ان تبسط له حقيقة الامر مضى هو في الاتهام ثم انتقل منه الى العطف ثم الى العفو ٠ فهو اذاً يأبى الا ان تكون زوجه آثمة و كبرياؤها يأبى ان تصرح له بجلية الامر ٠ وقد وقع بينهما ما لم يكن بد من وقوعه وظهر انهما مختلفان اختلافاً أساسياً فهو لا يؤمن بها ولا يقدسها بل يراها كغيرها من النساء ، وهي تألم لذلك ولكنها تقبله وتخفي الالم وتشكر زوجها على العفو اذا طلب اليها هذا الشكر

***

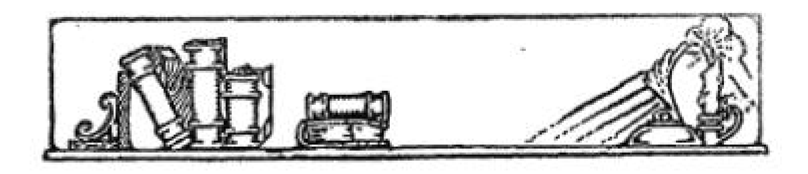
فاذا كان الفصل الثالث فنحن حيث كنا في الفصلين الاولين من الغد ولكننا نرى مكسيم ضيق الصدر ينتظر امرأته التي خرجت فأبطأت في العودة وقد جاء ميعاد الغداء وهو جائع يتضور و يطلب الى الخادم ما يتبلغ به وهذه جاكلين مقبلة فهو يلقاها ساخطاً لائماً يعنفها لانها بعد الذي كان امس قد اسرفت في عدم الاكتراث به . أما هي فتجيبه في سخرية مؤلمة بأن هذا اللون من التشديد لا يليق به بعد هذا العفو الذي اصدره امس ، على انها قد تناولت غداءها في باريس في احد المطاعم وعلى انها لا تعرف أين تتعشى وعلى انها تريد ان تذهب الى أحد المراقص . وكل هذه الاحاديث يدهش لها مكسيم ثم يغضب ثم يحاول أن يستعمل سلطته وأن يقهر امرأته على ان تحيا حياة ملائمة . ولكنها تنكر عليه ذلك في سخرية ، أليس قد عرف انها آثمة ثم عفا عنها ؟ فهو اذاً يبيح لها الاثم ! فليبح لها الحرية . وهما في هذا الحوار واذا أمها مقبلة فينصرف الرجل الى غدائه وتعلن الفتاة الى أمها في شيء من الابهام والسخرية انها لا تحب زوجها وانها قد عرفته واستكشفت امره وقد كانت تجهله فهو رجل كغيره من الناس وأمها لا تفهم من هذا الحديث شيئاً . و يفرغ الرجل من غدائه و يعود فيسأل امرأته كيف تريد ان تقضي بقية النهار فلا تجيبه بشيء مقنع ، ثم تنصرف عنه مع أمها الى غرفتها . وتقبل جيزيل ، فاذا لقيها تنكر لها وتنكرت له ، ثم كان بينهما حوار لذيذ يفهم منهُ مكسيم ان امرأته بريئة وانها لم تأثم ونفهم نحن ان هذه الفتاة نادمة لانها أساءت الظن باختها وآذتها في شرفها . والرجل لا يعرف كيف يحتال في ارضاء امرأته فهو يقترح ألواناً من الترضية يريد ان يستعطفها ويريد ان يهدي اليها هدية و يريد ان يقبلها ثم يبدو فيرى ان الحل الملائم انما هو ان ينصرف ، وكذلك يفعل . وتأتي جاكلين فاذا رأت اختها كان بينهما حوار جاف نفهم منه ألم جاكلين وندم الفتاة وحنانها وكبرياءها ايضاً

ولكن هذا الخادم يستأذن لموروى فترفض استقباله ، ثم يعود الخادم فيلح وينبيء بان موروي قد جلس واعلن انه لن ينصرف فتأذن له مغضبة وتستقبله منتهرة زاجرة . ولكنه الآن هادىء مطمئن رزين يطلب اليها في صوت كله دعة وطمأنينة أن تتفضل بتناول العشاء عنده مع زوجها . أما هي فترفض مغضبة ويلح هو متلطفاً فتأبى . وقد أخذت تدهش لانه لا يتحدث اليها في حبه وهي لا تملك نفسها ان تسأله أثاب الى الرشد منذ أمس فيعتذر في دعة وهدوء . وكأنها تألم لتغير لهجته وكأنها كانت تريد أن تراه مشغوفاً مفتوناً فتنهره وتزجره ، فأخذها شيء من الحزن حين رأته هادئاً يعتذر فهي تلومه في لطف وحزن على ما كان منه أمس . وانظر اليه وقد انفجر وترك ما كان فيه من دعة وهدوء وأخذ يعلن اليها انه يحبها ويحبها و يحبها وانه انما تكلف هذا العشاء وهذا الهدوء ليستطيع أن يراها وانه كان يريد أن يعتدل و يهدأ و يزورها من وقت لآخر زيارة هادئة محتشمة مكتفياً بذلك فاما وقد أبت الا أن يتكلم فهو يتكلم وهو يحبها ويحبها و يحبها . ونحس نحن انها تجد شيئاً من اللذة في أن تسمع هذا الحديث ولكنها مع ذلك

مغضبة ثائرة تنهره وتزجره وتزعم له انه لا يعرف من أمرها شيئاً ولا يستطيع أن يحبها و يأخذ هو في وصفها ، حتى اذا انتهى الى انها سعيدة في حياتها المنزلية انكرت عليه ذلك وألحت في الانكار فاذا هو سعيد مغتبط يرى انه قد هان كل شيء في سبيل حبه فهو يقبل عليها يأخذ بيدها ويدعوها الى أن تمضي معه وهو يهم بتقبيلها وهي تدافعه عن نفسها في قوة شديدة وضعف شديد معاً . وهي قد اضطرت الى أن تستخدم آخر سلاح فتعلن اليه انها عاشقة وان لها خليلاً . . . يصدق ذلك أول الامر ثم لا يلبث أن يفطن فينكر و ينكر في عنف ويعلن اليها انها تكذب لتدافع عن نفسها وانه لن يصدق شيئاً من هـذا وانه لو رآها بين ذراعي رجل لما صدق انها عاشقة . وهو كلما مضى في هذا الحديث صادف منها قبولاً ورضا وانظر اليها الآن مطمئنة هادئة ولكنها تبكي في صمت وتشكو له ايمانه بها وحسن رأيه فيها ثم تطلب اليه أن ينصرف الآن فاذا أبى ألحت عليه في رفق وفهمنا انها تحبه وانها تعترف بهذا الحب . ولم لا ؟ فهو الشخص الوحيد الذي آمن بها وبرأها من هذه التهمة . وهو يقبل أن ينصرف ولكن على أن يعود اذا عجز عن المضي في طريقه . وما يكاد يخرج حتى يعود زوجها باسماً مبتهجاً فينبئها بأنه قد استأجر لها مكاناً في الاوبرا حيث الرقص هذا المساء ، ولكنها تعتذر . واذن فسيصحبها زوجها للعشاء في أحد المطاعم ولكنها تعتذر . واذن فسيبقيان في البيت ولكنها تستدنيه و تنبئه بانها لا تحبه وقد انصرفت عنه . اما هو فمغرور مفتون بنفسه واثق بسلطانه فهو لا يحفل بهذا الاعلان ولكنه يمضي في حديثه مداعباً هازئاً وهي تطلب اليه حريتها فيجيبها في دعابة وهزء . وقد اقبل الخادم يستأذن مرة اخرى لموروي . فيأذن له مبتهجاً بلقائه و يعتذر اليه بأنه اساء لقاءه في المرة الاولى فقد كان متعباً من آثار السفر وهو يدعوه الى العشاء معهما هذه الليلة . فيعتذر الفتى محرجاً . و يعلن مكسيم اسفه و يلح في ان يتعشى معهما في احدى ليالي الاسبوع . ثم يعتذر ببعض العمل وينصرف عمداً تاركاً لزوجه ترتيب امر العشاء

فاذا انصرف نظر كل من العاشقين الى صاحبه في شيء من الحرج والضيق ثم جلس الفتى وطال الصمت حيناً ثم اعلن اليها في هدوء ان اسمه الخاص اندريه . . .

طه حسين





أمراض الصيف

لنا أمراض في مصر لا تحدث في أوربا أو هي تحدث قليلاً جداً بالنسبة الى حدوثها عندنا وأخصها أمراض الصيف مثل الحمى التيفوئيدية والدوسنطاريا والرمد . والرمد يحدث صيفاً وشتاء عندنا ولكنه في الصيف أكثر حدوثاً

والدوسنطاريا والحمى التيفوئيدية يحدثان من حر الصيف ورطوبته وقلة النظافة . فان الخضراوات أو الفواكه التي نتناولها في الصيف تتلوث بهذه الميكروبات التي تزكو فيها لاجتماع الحر والرطوبة فاذا لم تغسل أو تطبخ جيداً انتقلت الميكروبات الينا واحدثت هذين المرضين . وهما قليلتا الحدوث في أوربا لقلة الحر وأيضاً للعناية بالنظافة

والرمد لا يختلف من هذين المرضين من حيث كثرته في مصر بل هم يسمونه في أوربا « الرمد المصري » لوفرته عندنا وقلته هناك . وعلته الاصلية كثرة الاوساخ والذباب والغبار

فنحن أحوج من الاوربيين الى النظافة وخاصة في الصيف حين تزكو جراثيم الامراض للحر والرطوبة فيجب أن نتوقى الذباب ونغسل الاطعمة بالصابون أو لا نتناولها الا مطبوخة مغلية

الخمر واللبن

معظم من يشرب الخمر يعتقدون انهم اذا تناولوا الطعام وقت الشراب كسروا حدة الخمر ومنعوا اذاها . ولكن يبدو من تجارب عملت في انجلترا ان الطعام لا ينقص مقدار ما في الخمر من قوة للتخدير ولكنه يطيل مدة هذا التخدير وليس ذلك الا لانه يعوق هضم الخمر بعض الشيء لانه يزحم المعدة بوجوده . ومعنى ذلك ان الخمر اذا تنوولت بلا طعام حدث التخدير بسرعة لان المعدة تسرع الى هضمها أما اذا تنوولت مع الطعام فان التخدير يتأخر ولكن مقداره لا يقل

ولكن ظهر شيء آخر في هذه التجارب وهو انه اذا كان الطعام الذي يتناوله الانسان وقت الشراب لبناً فان الخمر تفقد نحو نصف قوتها على التخدير . فمن كان ينتشي أو يسكر بكأسين يحتاج الى اربع كؤوس اذا كان يتناول لبناً مع الخمر . ولا يعرف للآن سبب ذلك . وهذا يدل على ان في اللبن من الاسرار ما لا نزال نجهله . ومنذ سنوات ثبت ان في اللبن ثلاثة أنواع من الفيتامينات بينما لا يحتوي أي طعام آخر الا على نوع واحد

الصراصير في البيت

تنوي الحكومة ان تنفق ١٥٠٠٠٠ جنيه لمكافحة الذباب في القاهرة . وهي لو انفقت عشرة ملايين جنيه لهذا الغرض لما عد ذلك منها اسرافاً لان الخسائر التي تنجم عن انتشار الذباب لاتقدر بملايين الجنيهات . فان آلاف الاطفال يموتون بالنزلات المعوية والدوسنطاريا وللذباب الحظ الاوفر في نقل العدوى لمثل هذين المرضين . وايضاً يصيب العمى آلاف الاطفال لان الذباب ينقل الى اعينهم عدوى الرمد . ومع ما نراه الآن من عناية الحكومة بابادة الذباب فان في المنازل في القاهرة وباء آخر هو الصراصير التي لا يخلو منها بيت . والصراصير قليلة الضرر اذا قيست الى الذباب وان كان بعض العلماء يعزو اليها نقل العدوى بالسرطان ولكن لها طريقة في التفشي في المنزل بحيث تدخل الى أقصى الغرف وتلابس الطعام حتى ليشمئز منها الانسان

ومكافحة الذباب والصراصير لا ينفع فيهما المجهود الفردي ولا يجدي فيهما المبدأ القائل : كن لنفسك . وانما يجب في مكافحتهما ان نضع الايثار فوق الاثرة ونعتبر مصلحة الجار مثلما نعتبر مصلحتنا . فما دام في بيت جارنا صراصير وذباب فان النظافة في بيتنا لا تردهما عنا

وسيأتي اليوم الذي لن يكون بعيداً حين يسخر الناس والحكومات في مكافحة الحشرات بحيث يصير وجود ذبابة أو صرصور داعياً الى ابلاغ البوليس كما هو الحال الآن عند بعض الامم حين يجد أحد الناس في منزله بعوضة من ذلك البعوض الذي ينقل الحميات

المجاملات بين الزوجين

المجاملات ضرورية بين جميع الناس لانها بمثابة الزيت الذي يمنع احتكاك الحديد في الآلات . واكثر الناس مجاملة هم الانجليز ولعل ذلك لانهم اكثر الناس مزاحمة بعضهم لبعض حتى ان أحد الاجانب ذكر على سبيل المبالغة ان الجلاد لا يجر المجرم الى المشنقة بل هو يضع الحبل على عنقه مع الاعتذار ويطلب منه ان « يتفضل » الى المشنقة ...

ولكن الزوجين يجب ان يكونا أحرص من غيرهما على المجاملة لان في الحياة الزوجية من الاحتكاك ما يدعو أحياناً الى المضايقة بينما قد تكون للكلمة الرقيقة تأثير الزيت في تليين الآلة . ومما ذكرته الدكتورة ستوبس انه يجب على الزوجة وهي تبدل ملابسها ألا تفعل ذلك أمام زوجها حرصاً على حبه وتعلقه بها ومجاملة له

والمجاملة قد تكون بالحديث او بالعمل . ويمكن المرأة ان تجامل زوجها بالاستحسان لما يعمله او بالاعجاب به . لان الرجل لا يقف من زوجته موقف الزوج فقط بل موقف الابن من الام فهو محتاج على الدوام الى اطرائها واعجابها به . اما الزوج فيجب ان يتاحف زوجته من وقت

لآخر بهدية غير منتظرة او يطري طبخها او لباسها او نحو ذلك

والعادة ان الزوجين يترخصان الواحد مع الآخر في اشياء يستحي كل منهما ان يأتيها أمام الغريب ٠ وهذا خطأ لان المجاملات اذا لم تكن عربون الحب فهي على الاقل تقي الحب من الفتور

الحصا في الكلى والمرارة

يجد المنقبون في مومياءات المصريين القدماء حصاً في كلاهم ومنذ عهد ابقراط والاطباء يبحثون عن أصل هذا الحصا الذي يتكون في المثانة والكليتين والمرارة ويحاولون استخراجه بالعقاقير ٠ ولكن الى الآن لم تنفع فيه سوى سكين الجراح ٠ وليست العملية سهلة فان كثيرين يموتون فيها

وقد أجرى الدكتور فوزيما كي عدة تجارب خاصة بالحصا وكتب عن تجاربه تقريراً قدمه للقسم الخاص بالصحة في عصبة الامم وخلاصة ما اهتدى اليه من هذه التجارب ان العلة الاصلية في احداث الحصا هي نقص الغذاء من الفيتامين الموسوم بحرف (ا) الذي يوجد عادة في الخضراوات الطازجة ٠ وقد انتخب ستة فئران ونفى من طعامها جميع الاغذية التي بها فيتامين ا فوجد بفحص الاشعة ان الحصا تكون في مثاناتها ٠ فاعاد اليها الاغذية المحتوية على فيتامين ا فزال الحصا من المثانة ووجد أيضاً ان الفئران اذا حرمت من الفيتامين وحرمت أيضاً من الاغذية الزلالية لم يتكون الحصا فيها ٠ ولكن اذا حرمت من الفيتامين ولم يحرم طعامها من الزلال تكون الحصا بسرعة

وخلاصة أبحاث الدكتور فوزيما كي تدل على ان الخضراوات الطازجة هي خير ما يقي الانسان من الحصا وان الامتناع عن تناول الزلال مثل اللحم والقطاني يمنع أيضاً تكونه

زيت الزيتون

معظم الزيوت التي تستعمل في الطعام في مصر وسوريا أسهل هضماً من السمن ٠ وهي اذا كانت طازجة لم تقل عن السمن غذاء أو فائدة ٠ وكثير من الناس يتطعمون زيت السمسم أو زيت الزيتون ويهضمونه بأسرع مما يمكن هضم السمن

والزيوت كلها تفيد جميع الناس الذين تميل طبيعتهم الى الامساك فانها تلين الامعاء دون إحداث الاسهال المزعج ٠ واذا كان من الممكن تناولها ساذجة فذاك وإلا فيمكن مزجها بالسلطات ٠ وخير هذه الزيوت هو زيت الزيتون فانه يمكن استعماله من الخارج ومن الباطن ٠ فأما من الخارج فبدلكه بالبشرة لان الجلد سريع الامتصاص له وهو يكسو الجلد رواء ولمعة ونعومة لا يمكن أن يحصل عليها من غيره من الزيوت



وقود جديد

ليس شك في ان البترول الطبيعي المستخرج من الآبار صائر الى النفاد بل الى الفناء السريع لوفرة الاتومبيلات التي تستعمله في ايامنا هذه وأيضاً لوفرة المصانع والسفن التي تدار ايضاً به . ولذلك كان للخبر الذي أذاعته الصحف الانجليزية عن اكتشاف الالمان لطريقة استخراج البترول من الفحم رنة كبيرة وخاصة في اميركا وانجلترا . فان بريطانيا تشتري من البترول في العام ما قيمته ٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه مع انها اغنى الامم في الفحم ، و يقال ان الالمان كانوا يعرفون طريقة استخراج البترول من الفحم من مدة طويلة ولكنهم لم ينجحوا في إيجاد بترول تجاري يستطيع مزاحمة البترول الطبيعي الا حديثاً . وهذا النجاح مثال آخر على فوز العلوم الالمانية .

وأنظار العالم تتجه الى إيجاد بدل من البترول خوفاً من نفاده القريب . ولذلك فانه سيكون لاكتشاف الالمان لهذا الزيت الصناعي بعض الطمأنينة لاقطار العالم الصناعية وان كان الاميركيون اصحاب الآبار ينظرون الى هذا الاكتشاف بعين الخوف كما ينظر اليه الانجليز بعين الحسد

ومن المنتظر أن يستعمل الكثول وقوداً لبعض الآلات بدل البترول . ويبلغ المصنوع من الكثول في العام ٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠ جالون ولكن يستنفد منه نحو ٣٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جالون في الخمور والانبذة ونحو ٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠ للعطور والاصباغ . ولكن هناك من الكيماويين من يظن ان استخراج الكثول من الخليوز قد بات في حدود الممكنات التجارية . والخليوز هو المادة التي تتكون منها معظم النباتات

الجسم اليهودي

هل يختلف اليهودي من غيره من الناس من حيث قوته على المرض أو ضعفه حياله ؟

ان السلالات البشرية تختلف من هذه الوجهة . فالسفلس مثلاً وهو افتك الامراض الزهرية لا يكاد يؤثر في جسم الصيني . والسرطان لا يكاد يعرف بين الهمج والمتوحشين . وقد بحث الدكتور كامرون حالة اليهود الصحية فوجد انهم أقل الناس اصابة بالملاريا والتدرن . ولكن السرطان والديبيطس يفشوان بينهم . أما الامراض العصبية فكثيرة بينهم اكثر مما هي بين سائر السلالات وربما يعزى شيء من هذه الكثرة الى الاضطهادات العديدة التي يقاسونها

ضخامة الاطفال

ان الاطفال الاميركيين يزدادون ضخامة

هذا هو ما وجـده تجار ملابس الاطفال في اميركا . فان الشكاوي تواترت عليهم بضيق الملابس من الامهات في السنوات العشر الاخيرة فاحتاجو الى توسيعها عدة مرات ٠ وتعزى ضخامة الاطفال في اميركا الى صحة الآباء والراحة النسبية التي تعيش فيها الامهات الآن ٠ وهذا كله ثمرة من ثمرات الرفاهية والاجور العالية التي يعيش فيها العمال الاميركيون

مشاق الابن البكر

كتب الدكتور اولر العالم المشهور مقالاً عن تعليم الصبيان فاشار الى ما يلاقيه الصبي البكر من المشاق ٠ فان العادة ان الابوين يدللان ابنهما البكر اكثر ممن يليه من الاطفال فينشأ على حب بيته وابويه والتعلق بهما ٠ فاذا آن أوان دخوله للمدرسة وترك البيت لم يجد في المعلم ذلك العطف الذي كان يجده من أبويه فتحدث لذلك في نفسه صدمة قد تبعثه على كراهة المدرسة والدروس حتى يتوهم في نفسه انه بليد و ينشأ على هذا الوهم يعتقد انه دون المتوسط في الذكاء ٠ وهو لذلك ينصح للآباء بألا يفرطوا في تدليل اكبر أطفالهم بل يعودوهم الجد في النظر للاشياء

القسوة مع الجناة

سنت ولاية نيويورك شرعة جديدة تقضي بالسجن المؤبد لكل جان ارتكب في حياته ثلاث جنايات ٠ ففي المرة الرابعة مهما كانت جنايته يحكم عليه بالسجن المؤبد ولا يمكن القاضي تخفيف العقوبة ٠ وقد احتج جملة قضاة على هذه الشرعة التي تحد حريتهم في تقدير العقوبة ولكن الرأي العام يعاضد هذه النزعة الجديدة في القسوة على المجرمين

صحة الشيخوخة

القى السير رولستون وهو طبيب انجليزي معروف محاضرة عن الشيخوخة قال فيها ان الافراط في الطعام والشراب والتبغ مضر بالشيوخ ٠ وأن العمر الطويل وان كان في أغلب الاحيان موروثاً في بعض العائلات فان مراعات الشروط الصحية تساعد الشيوخ على التعمير

والقى الدكتور وليمز محاضرة في هذا الموضوع فقال انه لا يعتقد أن عملية الدكتور فورنوف والدكتور شتيناخ تطيل العمر ولكنها تبعث النشاط في الجسم ٠ وانها لا لزوم لها اذا كان الانسان يعيش عيشة صحية ٠ وأشار الى بلادة بعض الاطفال فبشر آباءهم بالعمر الطويل لهم ٠ لأن الطفل الذي يتأخر في تفتح ذكائه يكون أطول عمراً من الطفل الذي يبكر ذكاؤه في الظهور

تحديد المعاني

نذكر أحياناً بعض الالفاظ فيختلط على القارىء معناها اما لانها غير مألوفة أو لان المعنى الشائع يخالف المعنى الحقيقي . فمن ذلك مثلاً لفظة « القطاني » والمراد منها تلك الحبوب التي تنفلق فلقتين مثل العدس والفول وهي تكاد تساوي اللحم في الغذاء . أما « البقول » فهي الخضراوات لا أقل ولا اكثر . أما « البقول الحرة » أو « حرائر البقول » فهي تلك التي تؤكل طازجة بلا طبخ مثل الخس والفجل . وهناك لفظة « يقطين » وهي تلك النباتات التي تمتد على الارض مثل الخيار والبطيخ والقرع . ويسمى القرع أحياناً « يقطيناً » لهذا السبب

ونحن محتاجون الى التدقيق في هذه الالفاظ وخاصة في هذه الايام التي لا تكاد تخلو فيه مجلة من ذكر الفيتامين الذي يوجد في الخضراوات الطازجة أو اللحم الطازج أو المفاضلة بينها من حيث مقدار الفيتامين فيها ووجوده أو عدمه

فائدة غلاء الاجور

أول ما يسبق الى ذهن صاحب العمل ان الزيادة في أجور عماله تؤخر عمله وربحه وان النقص يساعده على رواج أعماله . ولكن الواقع يخالف ذلك الآن بل يناقضه و يقول بالعكس . فان زيادة الاجور في اميركا قد اتت بنتيجتين :

الاولى : ان العمال وهم كثرة الامة الساحقة زادت قدرتهم على الشراء فراجت بذلك سوق البضائع وتبين ان نقص الاجور يؤدي الى كساد البضائع لقلة من يشتريها من العمال

الثانية : ان ارتفاع الاجور يجعل أصحاب الاعمال يدمنون التفكير في كل ما يقلل النفقات وذلك باختراع الآلات التي توفر العمل . فالاختراعات مستمرة متوالية في الولايات المتحدة مثلا لغلاء الاجور . والبضائع أيضاً تتوالى أثمانها في الانخفاض لتوفير العمل

الامم والعلوم

منذ سنة ١٩٠٠ منح ٧٢ عالماً جائزة نوبل للطبيعة والكيمياء والفسيولوجية والطب . ومن هؤلاء العلماء ٢١ ألمانياً و ١١ بريطانياً و ١٠ فرنسيون و ٦ هولنديون و ٤ أميركيون و ٤ أسوجيون و ٣ دنماركيون و ٣ سويسريون وفي كل من النمسا وايطاليا وكندا وروسيا اثنان وواحد لكل من بلجيكا واسبانيا

والعدد الاكبر هو كما يرى القارىء لالمانيا . ولكن المانيا مع ذلك ليست الاولى في جائزة جائزة نوبل في العلوم وذلك لاننا اذا بحثنا نسبة الفائزين الى عدد السكان كانت هولندا هي الاولى تليها سويسرا ثم دنماركا

التربية العلمية

قرأنا في بعض المجلات الانجليزية اعلاناً غريباً يدل على روح الزمن الحاضر تلك الروح العلمية التي تشمل كل شيء الآن . ويقع هذا الاعلان في بعض المجلات في اربع صفحات كبيرة . والغاية منه ان احدى الجامعات الانجليزية تطلب معلماً يعرف أصول البحث العلمي وطرقه ستكون مهمته التخصص لتربية طائفة قليلة العدد من الصبيان يتسلمهم وهم في الرابعة من عمرهم تقريباً ثم ينشئهم من هذه السن الصغيرة على طريقة البحث العلمي بحيث لا يتأثرون بالتقليد في افكارهم . وسيكون هذا المعلم أشبه شيء بمخترع لانه سيلاحظ الوسط الذي يعيشون فيه ويبتكر الطرق لتعليمهم ويأتي لهم بالمخترعات ويهديهم الى سبيل البحث في فحص النقص والغلط وكيفية الاهتداء الى الحل ومعايرة الاشياء

وهذا عمل جديد لم يسبق ان ندب احد العلماء الى تأديته . ولذلك فان الجامعة تسخو باكبر مرتب يطمع فيه الرجل الكافي

العطور الكيماوية

مما يدل على فوز الصناعة وتغلبها على الزراعة انه في سنة ١٩٢٥ بيع في الولايات المتحدة وحدها الى صناع الطيوب والعطور ٢٣٧٠٧٢٨ رطلاً من قطران الفحم ومشتقاته أحيلت الى طيوب وعطور . فلم تعد للزهر قيمته القديمة في استخراج العطور وصارت الناس الآن تتطيب بمشتقات الفحم

تشابه التوأمين

التوأم يشبه التوأم اكثر مما يشبه الشخص نفسه

هذا هو ما يقوله الدكتور كومامي الياباني . فانه وجد ان الذراع اليمنى مثلاً لتوأمين تتشابهان اكثر مما تتشابه الذراع اليمنى باليسرى في احدهما . ومثل ذلك يقال في سائر اعضائهما وهذا هو السبب في انهما يفكران على طريقة واحدة بل أحياناً تتوارد الخواطر المشابهة لكل منهما في وقت واحد وذلك لان تلافيف الدماغ والغدد التي بالجسم والتي تنبه الدماغ متشابهة في كليهما

القدرة على الخمر لا تورث

أجرى الاستاذ هانسون تجربة غريبة الغاية منها البحث عن ابناء السكير بن هل يرثون قدرة والديهم على الخمر أم لا يرثون . فوضع في صندوق خمسة فئران متسلسلة من عشرة أجيال من الفئران كانت كلها تسكر بالخمر . ووضع في صندوق آخر خمسة فئران من آباء لم تجرب عليها الخمر . فوجد ان كلا الفريقين يصيبه السكر بلا اختلاف في الوقت

علة النبوغ

يقول الدكتور ادلر ان معظم ما يرى من النبوغ في بعض الناس لا يرجع الى امتياز طبيعي وانما يرجع في الحقيقة الى نقص في أجسامهم . وهذا النقص يدفعهم الى الاعتقاد بأنهم دون غيرهم كفاية فهم يضاعفون جهدهم لكي يبلغوا نوعاً من التبريز يعيضهم من هذا النقص . فالانسان العادي الذي ليس به اي نقص هو في رأي الدكتور ادلر محدود الاطماع والجهود لا يرى ما يدفعه الى التبريز . اما الناقص فانه دائم الاحساس بنقصه والجهد لان يعيض منه . كالالثغ يحاول ان يكون خطيباً او الاعرج يحاول ان يكون شاعراً او الاعمى يحاول ان يكون عالماً . وقلما نجد رجلاً نابغة الا وبه شيء من النقص الطبيعي حاول ان يعتاض منه كفاية جديدة لحذق فناً او طريقة حتى زاد حذقه عن المعتاد فنبغ . ومعظم النفسلوجيين مثل ادلر وغيره قليلو الايمان بالكفايات الوراثية ومعظم ايمانهم في الوسط والتعليم

ثروة الاميركيين

مما يدل على وفرة الاموال في اميركا ان احدى الصحف في تلك البلاد احصت عدد النساء اللواتي تزيد ثروة كل منهن عن مليون دولار اي ٢٠٠٠٠٠ جنيه في مدينة شيكاجو وحدها فوجدتهن ١٥٣ ما بين فتيات أو أرامل أو سيدات منهن ١١٠ فتاة وأرملة في سن الزواج . وعلى الرغم من هذه الثروة فانهن يجدن مشقة في الزواج لان الزوج الذي من طبقتهن في المال يرفض زواجهن ويؤثر عليه التزوج بفتاة فقيرة بعولها فيكون لاحتياجها اليه ما يدفعها الى طاعته والنزول على اغراضه . أما الفتاة الغنية المفرطة في الغنى فانها سرعان ما يدب الشقاق بينها وبين زوجها

تصوير الانسان لنفسه

حضرة محرر الهلال

أجاب الهلال بعدد مارس الماضي في صفحة ٦٣٣ على سؤال عبد الشكور افندي محمد حسن جاد بقليوب بخصوص تصوير الانسان لنفسه تصويراً فوتوغرافياً . ولا بأس من اجابة الهلال غير اني زيادة في فائدة القراء اجيب بأنه يمكن للانسان أن يصور نفسه تصويراً فوتوغرافياً بخلاف طريقة المرآة وذلك بواسطة استعمال آلة صغيرة اخترعت حديثاً وهذه الآلة تدير آلة التصوير الشمسي من تلقاء نفسها وتفتح وتغلق العدسة أي انها تقوم مقام يد المصور وما عليه الا وضع الآلة هذه ويركبها مع آلة التصوير ويقف أمام الآلة حتى يتم الالتقاط كأن شخصاً آخر يصوره وهذه الآلة صغيرة جداً اسمها بالانكليزية « Self Timer » أي « المؤقت الذاتي » ويمكنه ايجاد صورة متقنة جداً بهذه الطريقة

محمد أمين ابراهيم



اليوم والغد للأستاذ سلامه موسى

طبع بالمطبعة العصرية بالفجالة بمصر صفحاته ٢٥٩ من القطع المتوسط

يحتوي هذا الكتاب على ٣١ فصلاً في دراسات مختلفة من نوع ما ألفه القراء من الاستاذ سلامه موسى • وهذه الفصول كلها حافلة بالنظريات الجديدة اذ قلما يخلو فصل من نظرية علمية أو اجتماعية • ومعظم فصول الكتاب في السيكلوجية الحديثة • ومن الفصول التي تستحق الانعام « مقدمة السبرمان » يبحث فيه المؤلف عن امكان انشاء انسان جديد راق من النوع البشري الحاضر • وخاتمة الكتاب فصل يقع في ٣٠ صفحة عنوانه « على مفترق الطرق » لا نظن انه يجد كثيرين من أبناء الشرق العربي يوافقونه عليه • فمن ذلك مثلاً قوله :

« فليست أمة تنهض في العالم الآن الا وتنسلخ من قديمها ، سواء أكان هذا القديم اسيوياً أم غير أسيوي • فهذه اليابان قد تفرنجت ودخلت في الطور الصناعي وصار لها علماء يكتشفون ويخترعون • وهذه الصين قد اصطنعت اللغة العامية وهذبتها وتركت لغة الشيوخ القديمة والادب القديم وأخذت تترجم كل ما يجد من المطبوعات الاوربية • ونحن في مصر ليس لنا من المؤسسات الحسنة كالبرلمان أو المحاكم أو المدارس الا ما أخذناه عن أوربا • وكل ما هو باق لنا من القديم سيء لا يزال يؤذينا مثل وزارة الاوقاف والمحاكم الشرعية وكلية الازهر والمجالس الملية والبطركيات العديدة .

« ثم ان الزعامة السياسية في أيدي أناس ليست فيهم الكفاية للقيام باعبائها • ودليل ذلك فشلهم العظيم في عدم الاتفاق مع الانجليز وفي عدم ادراكهم قيمة اتخاذ القبعة • ولكني لا أزال مع ذلك متفائلاً أرى ان الجمهور يسبق الزعماء ويجرهم على السير بخطوات واسعة نحو الاستقلال بجميع أنواعه • فشبابنا قد سئم سخافة أدبائنا وصار يطلب من الادب شيئاً جديداً مغذياً غير الكلام عن العرب بلغة العرب • وشبابنا أيضاً يوشك أن يلبس القبعة لانه يجد هواناً في الشذوذ من العالم المتمدين وهو أيضاً قد أبصر اننا اذا أخلصنا النية مع الانجليز فقد نتفق معهم اذا ضمنا لهم مصالحهم وهم في الوقت نفسه اذا أخلصوا النية لنا فاننا نقضي على مراكز الرجعية في مصر وننتهي منها • فلنول وجوهنا شطر أوربا »

والكتاب يجري على هذا النسق بهذه الروح • وهو جيد الطبع مصدر بصورة المؤلف

مبادىء الصناعة تأليف يوسف ابراهيم يوسف

طبع بمطبعة القاهرة صفحاته ١٧٦ من القطع المتوسط

علم صناعة الحديد تأليف يوسف العارف وعثمان عبد الملك

طبع بالمطبعة المصرية صفحاته ١٠٠ من القطع الكبير

قلما تدخل بيتاً في انجلترا الآن لا تجد فيه صبياً يدرس آلات الراديو . وقلما تجد صبياً في أميركا لا يعرف الاصلاحات البسيطة للاتومويبل فضلاً عن سياقته وحده . وقلما يقف الانسان عند أحد الجواسق التي تبيع الصحف في اوربا بدون أن يرى طائفة من المجلات العلمية التي تعالج الموضوعات الصناعية. بل في أميركا جريدة يومية خاصة بالعلوم تبحث في المكتشفات والمخترعات

ولذلك يسرنا أن نرى هذين الكتابين وأولهما لجمهور القراء يبحث في الساعة وتركيبها وفي الطلمبات ولحام المعادن والكهربائية والتصوير والسينماتوغراف ويمكن أي شاب أن يقرأه ويتثقف بما فيه من ثقافة صناعية

أما الثاني فللخاصة الذين تتصل أعمالهم بصناعة الحديد وهو كثير الاشكال والرسوم يبحث في الحدادة والبرادة وأصناف الحديد . وهذا كتاب ينبغي أن يقرأه كل من له أية علاقة بالحديد وصناعته

ونحن نود أن تلوك الالسنة الالفاظ الصناعية وتألف الاذهان الافكار الخاصة بالاختراع في الصناعات . فاننا أو بالاحرى العالم يوشك أن يدخل في طور صناعي قد تنقرض فيه كل امة تهمل أمر الصناعة

الشوقيات للمدارس لاحمد شوقي بك

طبع بمطبعة المعارف بمصر صفحاته ١١٥ من القطع المتوسط

ليس بين الشعراء من هو أليق بان يحمل الطالب ديوانه ويحفظ قصائده من شوقي بك اذ هي حافلة بعبارات الحكمة والاخلاق العاليـة والمواعظ التي تغرس في النشء حب الفضائل وبذور الأدب الراقي . وقد جمع في هذا المجلد طائفة من قصائده الفريدة مثل العلم والتعليم والانقلاب العثماني وذكرى كارنارفون وتوتنخ امون وبين الحجاب والسفور الخ .

والالفـاظ التي يشق على الطالب فهمها قد شرحت بالهامش وشكلت بالشكل الوافي حتى اذا حفظها لم ينطق بها على غلط

في الادب الجاهلي تأليف الدكتور طه حسين

نشرته «لجنة التأليف والترجمة والنشر» وبه ٣٧٦ صفحة كبيرة

هذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب الذي ذاع واشتهر · وكانت الجامعة المصرية قد جمعت الطبعة الاولى منهُ ومنعت بيعه في السنة الماضية · فأعاد الدكتور طه حسين طبعه بعد ان حذف منهُ الفصل الذي دعا الى المناقشة الحادة ودخول النيابة العمومية في شأنه وبعد ان غيَّر عنوانه قليلاً · وقد أضاف الى هذه الطبعة فصولاً اخرى

والكتاب سبعة أبواب يشتمل الباب الاول على ابحاث عامة في الادب ومقاييسه ووجوب بحثه بالحرية التامة . والثاني يبحث في لغة الجاهليين وأدبهم . والثالث يبحث في انتحال الشعر ونسبته الى الجاهليين · والرابع يبحث في بعض شعراء الجاهلية مثل امرىء القيس وطرفة و الاعشى · والخامس يبحث في شعر مضر وشعرائها · والسادس يبحث في الشعر عامة · أما السابع والاخير فيبحث في النثر في الجاهلية

وقد سبق أن نوهنا بهذا الكتاب المفيد في العام الماضي · ونحن هنا في حاجة الى ان نوضح للقراء ان الطبعة الثانية اوسع واكثر اسهاباً في البحث من الطبعة الاولى · والكتاب مع ان غايته أدبية محضة إلا انه ينير الطريق للمشتغل بتاريخ العرب وحالتهم الاجتماعية والثقافية مدة الجاهلية وفي القرن الاول للهجرة

ابراهيم باشا المصري في سوريا والاناضول حررها الدكتور أسد رستم

عني بنشرها الخوري بولس قرألي وطبعت بالمطبعة السورية بمصر صفحاتها ٩٧ من القطع الكبير

هذا تاريخ كتبه كاتب مجهول أيام محمد علي عثر عليه الخوري بولس قرألي وقد طبع الجزء الاول من هذا التاريخ في هذه الرسالة التي علق حواشيها وحررها الدكتور أسد رستم · ومن الفوائد التي يلذ للمصري معرفتها ما يقوله الناشر :

«وكان محمد علي باشا قد استدعى في سنة ١٨١٦ نحو ثلاثين أسرة من مسيحيي لبنان الموارنة للاشتغال بتربية دودة الحرير واحلهم في شبرا وبهتيم · وفي سنة ١٨١٨ اقطع لجالية منهم أكبر عدداً من الاولى اربعة آلاف فدان في الوادي الشرقي بقرب الزقازيق وحفر لهم الف ساقية وأقام عليهم أربعمائة معلم · وكان رؤساء هاتين الجاليتين متصلين رأساً بمحمد علي باشا · ولا بد أنهم مهدوا السبيل للمحالفة السرية التي عقدت في سنة ١٨٢٤ بينه وبين الامير بشير حاكم لبنان الشهير على أثر زيارة هذا الاخير لمصر»

مذكرات عن زيارة دير طور سيناء لاحمد شفيق باشا

طبع بالمطبعة الاميرية بالقاهرة ونشرته وزارة الحربية صفحاته ٣١ من القطع الكبير غير ١٢٦ صورة ملحقة

احسنت وزارة الحربية في طبع هذه الرحلة لشفيق باشا لهذا الدير الاثري العظيم · والصور وحدها جديرة بالاقتناء اذ تبلغ ١٢٦ طبعت طبعاً انيقاً على ورق ناصع صقيل والكتاب مع تجليده بالورق المقوى قد جعل ثمنه عشرة قروش · ولشفيق باشا اسلوب جميل يقرأ الانسان رحلته كأنه يقرأ قصة لذيذة لا يتناول الصفحة الاولى حتى يستمر في القراءة بلا انقطاع الى آخر صفحة

زراعة محاصيل الحقل المصرية للاستاذ عبد القادر فؤاد المناسترلي

طبع بمطبعة النهضة بمصر به ٧٢٧ صفحة كبيرة

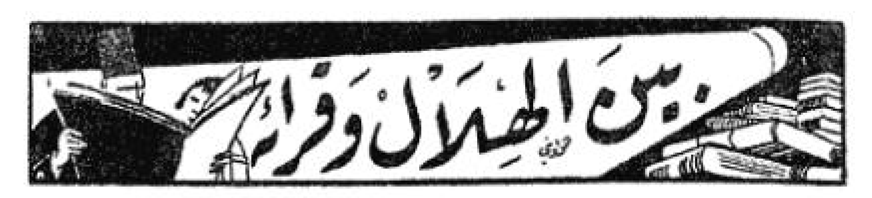
يبحث هذا الكتاب الضخم في الزراعة المصرية والمحاصيل المألوفة في ريف مصر مثل الرز والذرة والفول والعدس والقمح والقرطم الخ · وهو مكتوب بلغة سهلة لا يشق على المزارع فهمها · وكان يحسن بالمؤلف ان يزيد قيمة كتابه بالصور · وقد كتب عن القطن نحو ١٢٠ صفحة وعن القمح نحو ٤٨ صفحة · والمؤلف استاذ بمدرسة الزراعة العليا قد مارس الزراعة علماً وعملاً فكتابه ينتفع به الطالب كما ينتفع به الزارع · وثمنه ٦٠ قرشاً و يطلب من مكتبة الهلال بمصر

مطبوعات جديدة

❊ س ـ ج ❊ هذه اسئلة واجوبة عن المسائل الخاصة بالمعارف العامة ترجمها الى العربية محمود افندي شكري في لغة سهلة · فمن هذه الاسئلة : الفرق بين النجم والكوكب · وخوف الفيل من الفأر · وضغط الاسنان عند الغيظ · والصلع عند الرجال دون النساء الخ · وهذه الكتب تنقل الى القارىء معلومات لذيذة عن اشياء يجهلها معظم الناس · وصفحات الكتاب ٧٥

❊ القلوب الكبيرة ❊ سلسلة أبحاث في تراجم الاشخاص الذين خدموا أوطانهم وأنهضوها تأليف الاستاذ أسير الغريب صاحب مجلة الشمس تقع في ١١١ صفحة كبيرة وتشمل عدة تراجم منها شكسبير وميرابو وغاليليو وفرنكلين وموزارت وريشليو ونحوهم · وليس أنفع للشرقي من قراءة تراجم أمثال هؤلاء الرجال

❊ الجزء الرابع من ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ❊ تأليف ياقوت الرومي · وهو الكتاب المعروف بمعجم الادباء او طبقات الادباء · وكان الاستاذ مرجليوث قد حرر الكتاب وطبعه ولكن هذا الجزء كان ناقصاً · فبطبعه يكمل هذا الكتاب الفريد الذي يعد ركناً من أركان الادب العربي · وهو مطبوع بالقاهرة بمطبعة هندية على نفقة جب



تنبيهات : (١) يكتب السؤال واضحاً مختصراً على حدة ويعنون باسم محرر « الهلال » (٢) لا تنشر الا الاسئلة التي نرى فيها فائدة لجمهور القراء (٣) لا نتعرض لما يمس الدين او السياسة (٤) قد نضطر الى تأجيل الجواب لكثرة الاسئلة لدينا (٥) يغفل السؤال اذا لم تستوف هذه الشروط أو اذا لم نعثر له على جواب

مجالس الشيوخ

﴿ محمرة . خليج فارس ﴾ يعقوب الحاج عراك

لماذا يسمون اكبر مجلس نيابي في البلاد مجلس الشيوخ مع أن الشيخ هو الرجل المسن ؟

﴿ الهلال ﴾ يشترط عادة في أعضاء مجالس الشيوخ أن يكونوا قد جاوزوا سن الاربعين اما مجلس النواب فلا يشترط هذا الشرط فالاولون شيوخ بالنسبة اليهم

تعميد يهودي

﴿ اسكندرية . مصر ﴾ علم الهدى طه

ذكرتم في احدى مقالاتكم ان الفتى اذا بلغ سن الشباب عند بعض المسيح احتفلوا بتعميده للرجولة فيصبح رجلاً . وعند اليهود الآن عادة تقتضي الاحتفال ببلوغ الفتى سن الثالثة أو الرابعة عشرة . فهل هناك علاقة بين العادتين ؟

﴿ الهلال ﴾ هذا هو الارجح بمعنى ان هذه العادة قد نزلت الى اليهود من العصور القديمة والغرض من هذا الاحتفال عند اليهود أن يصبح الفتى « رجلاً » يمكن أن يعد من العشرة الذين تصح بهم صلاة الجماعة . وهم يضعون في هذا الاحتفال على ذراعه ربطة بها أدعية وصلوات

اختراع الغواصات

﴿ القاهرة . مصر ﴾ سيد أحمد الدكروري

أين ومتى اخترعت أول غواصة ؟

﴿ الهلال ﴾ يقال ان أحد الانجليز المدعو دربل صنع غواصة من خشب في القرن السادس عشر . وفي سنة ١٧٧٨ في الحرب الاميركية تمكن بوشنل وفولتن من صنع غواصات للحرب . و بعد ذلك اشتغل نوردنفلت الهولندي باتقان صنعها . ومن ذلك الوقت الى الآن والغواصات تصنع في دور الصناعة عند الامم الكبرى ولكل دولة أسرار عنها لا تبوح بها

مرض النوم

❊ اسكندرية · مصر ❊ حسن نجيب

ما هو مرض النوم وما أسبابه وهل هو منتشر في مصر ؟

❊ الهلال ❊ مرض النوم منتشر في أواسط أفريقيا ولا يعرف في مصر · وهو معد تنقل عدواه ذبابة تدعى ذبابة تستسي وقد يبقى المريض مدة طويلة والمرض يخامره ثم يطمو به فجأة فيصاب بالنوم و يبقى كذلك الى ان يموت · ولكن يقال انه يمكن معالجته الآن

بنود ولسن

❊ شطرة المنتفك · العراق ❊ مستفسر

ما هي بنود ولسن الاربعة عشر ؟

❊ الهلال ❊ أهم ما في هذه البنود الاربعة عشر ان تلغى السياسة السرية وتكون مفاوضات الصلح علنية · وان تكون البحار حرة في الحرب والسلام · وان يحدد التسليح وان تجلو دولتا الوسط عن الارض التي احتلتاها وان تقوما بتعمير ما خربتاه · وان ترد الزاس ولورين الى فرنسا · وان تنقح حدود ايطاليا جرياً على أصل المستوطنين · وان تستقل بولندا · وان تؤلف جمعية لضمان استقلال الدول الصغيرة والكبيرة

مؤلفات تولستوي

❊ بيروت · سوريا ❊ ادوار جرجي نصري

هل نقلت مؤلفات تولستوي الى العربية ؟

❊ الهلال ❊ نقل بعضها الى العربية نقلاً مقتضباً فيحسن بكم ان تقرأوها اذا شئتم في احدى اللغات الافرنجية

الزائدة الدودية

❊ بغداد · العراق ❊ س · ي · درويش

ما الفائدة من الزائدة الدودية للانسان ؟

❊ الهلال ❊ الزائدة الدودية من الامعاء الاثرية في الانسان وكانت تنفعه في العصور الغابرة حين كان يقتات بالجذور والاثمار الفجة وسائر النباتات التي لا تقوى أمعاؤنا الآن على هضمها · فكانت تختزن في هذه الزائدة حتى تتفشى فيها جراثيم تحل أجزاءها فيسهل عندئذ هضمها · وكانت هذه الزائدة أكبر مما هي الآن · ولكن لما تطور الانسان ودخل في الحضارة زالت فائدتها فضمرت وهي توشك ان تزول من الجسم · وترى الزائدة عند الفرس والكنغر معىً غليظاً مفيداً لكليهما

اللغتان : العربية والتركية

❊ بيروت . سوريا ❊ عطاء بكر
ما هو عدد المتكلمين بالعربية والمتكلمين بالتركية في العالم ؟

❊ الهلال ❊ يبلغ المتكلمون بالعربية على وجه التقريب نحو ستين مليون نفس أما المتكلمون بالتركية فالمظنون انهم نحو عشرة ملايين نفس

شكل لفظة

❊ القاهرة . مصر ❊ أنطون راجي
سمعنا مغنياً يغني هذا البيت .

تحيرت والرحمن لا شك في أمري   وحلت بي الاحزان من حيث لا أدري

فقال البعض ان نون الرحمن مكسورة وقال البعض بل هي مضمومة فما رأيكم ؟

❊ الهلال ❊ يريد الشاعر أن يقول « لا شك والرحمنِ تحيرت في أمري » فالواو للقسم ونون الرحمن مكسورة بها ، وبعضهم يرفع الرحمنُ باعتبار الواو للاستئناف والرحمن مبتدأ خبره محذوف تقديره عالم ، وفي هذا الوجه من التمحل السخيف ما يجعل الاعراب الاول هو الصحيح

أصل القاهرة

❊ القاهرة . مصر ❊ محمود حميدة المديني
من أنشأ القاهرة ولماذا سميت بهذا الاسم ؟

❊ الهلال ❊ أنشأ هذه المدينة جوهر الصقلي قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي وطلب من المنجمين أن يرصدوا النجم الذي يوافق مروره وقت اختطاطها فأخبروه انهُ نجم اسمه القاهر فسماها القاهرة تيمناً به

الزكام وعلاجه

❊ كيراسو . أميركا الوسطى ❊ أميل سعد
ما هو أصل الزكام وما هو علاجه ؟

❊ الهلال ❊ الزكام مرض ميكروبي معدٍ أهم علاماته سيلان الانف ووجع خفيف بالرأس . والاصابة بالبرودة في الاوساط الملوثة بميكروبه تحدثهُ ولكن البرودة وحدها لا تكفي لاحداثه فان الذين جابوا القطب الشمالي لم يصابوا به وهم يسيرون أياماً فوق الثلج . وعلاجهُ الراحة التامة بغرفة النوم يوماً أو يومين مع الاقلال من الطعام والشراب

أصل النار

❊ اللاذقية · سوريا ❊ طاهر رضوان

كيف كان يشعل القدماء النار ومتى اخترعت عيدان الكبريت الحديثة ؟

❊ الهلال ❊ تحدث النار للآن في الغابات اذا اشتد الجفاف واحتكت الغصون الجافة بعضها ببعض · فالانسان عرف النار بطريق الصدفة · وكانت تقدح بالزند يأتي الرجل بقطعة من الحجر او الحديد يضرب بها حجراً آخر وبين الاثنين عطبة اي خرقة مشيطة جافة سريعة الالتهاب · فاذا انقدحت شرارة بين الحجرين اشتعلت العطبة · أما عيدان الكبريت فانها استعملت لاول مرة سنة ١٨٢٧ في انجلترا

التحنيط في أميركا

❊ كاسيا · ميناس · برازيل ❊ جورج عون

قرأت في احدى الصحف هنا انهُ قد عثر على مومياءين مثل مومياءات المصريين في برازيل قبل كولمبوس فهل عرف قدماء المصريين اميركا ؟

❊ الهلال ❊ لم يعرف المصريون برازيل ولم يكتشفوا أميركا وانما انتشرت ثقافتهم وحضارتهم الى اميركا فانتقلت عاداتهم في التحنيط وبناء الاهرام الى الامرنديين سكان اميركا الاصليين · والاستقراء يثبت ان حضارة اميركا القديمة مشتقة من آسيا وحضارة آسيا مشتقة من مصر · فالحضارة الاولى نشأت في مصر ثم فشت شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ولذلك فان أبعد الاقطار عن مصر أحدثها عهداً بالحضارة واقربها اليها اقدمها عهداً بها · وليس في العالم كله حضارة اقدم من حضارة مصر

لفظة جنتلمان

❊ طنطا · مصر ❊ محمود محمد حمزة

ترجمتم لفظة جنتلمان الانجليزية بلفظة السيد العربية ولكن ألا تظنون معي ان لفظة مهذب أوفى بالمعنى ؟

❊ الهلال ❊ هي أوفى بالمعنى من حيث اللغة ولكنها ليست كذلك من حيث العرف الدارج في المخاطبة بين الناس · ولما تساءل الشاعر العربي الجاهلي « أي الرجال المهذب ؟ » لا نظن انه قصد معنى الجنتلمان والا فانه قد بالغ في اساءة الظن بالناس · وباللفظة نكهة انجليزية لا تؤديها الترجمة كل الاداء

الشرق الادنى

※ سان باولو . برازيل ※ جورج انطوني
ماذا يراد بالشرق الادنى ؟

※ الهلال ※ سوريا والعراق ومصر والبلقان وجزيرة العرب وتركيا

الكتب العربية التاريخية

※ مندلي . العراق ※ ظ . البندنجي
أي الكتب التاريخية العربية القديمة يصح الاعتماد عليه ؟

※ الهلال ※ كلها يمكن الاعتماد عليها ولكنها كلها تحتاج الى التمحيص وربما كان الطبري أوفاها . ورواياته عن الامم قبل الاسلام حافلة بالخرافات ولكنه في العصر الاسلامي غاية في الدقة والنزاهة

دم الجنين وتطهيره

※ صافد . سوريا ※ فرحان ضاحي
من المعلوم ان للجنين رئة وبه دم يجري فمن أين يتنفس وكيف يجدد دمه ؟

※ الهلال ※ دم الجنين متصل بدم الام فهو يتجدد مع دم الام المتجدد ولا يحتاج لذلك الى التنفس ولو ان له رئتين

الخصيان والشعر

※ الجيزة . مصر ※ محمد احمد رضوان
ما السبب في انه ليس للخصيان شوارب أو لحى ؟

※ الهلال ※ للخصيتين افراز داخلي يجري مع دم الرجل وهو الذي يحدث الشوارب واللحى ورجولة الصوت في الرجل . وهو أيضاً الذي يحدث العرف في الديك واللحية في الدندي والعثنون في الجدي

تاج الاسكندر

※ بويرتو . مكسيكا ※ اميل لويس
قرأت في احد الكتب التاريخية ان الاسكندر المقدوني لما دخل مصر كان معداً له من قديم تاج فوق دكة فلما قعد على الدكة سقط عليه التاج دون أن يلمسه أحد فهل هذه الرواية صحيحة ؟

※ الهلال ※ ليس أحد من رجال التاريخ تألفت حوله الاساطير مثل الاسكندر . وهذه القصة التي رواها كتابكم اسطورة واضحة مثل الاسطورة القائلة بأنه ذو قرنين . وهذه الاسطورة الاخيرة معروفة الاصل فان النقود التي ضربت باسمه كانت صورته مرسومة عليها وله قرن وضعه

الرسام على سبيل الزينة فتوهم العرب انه كان اقرن . أما الاسطورة التي ذكرتموها فتنسق والاشاعات التي أذاعها الكهنة المصريون عنه وهو انه سليل الالهة المصرية . ومن كان سليل الالهة فليس كبيراً عليه أن يأتي بالمعجزات وينزل عليه التاج بارادة الالهة

أعظم رجل عربي

✻ القاهرة . مصر ✻ ع . ع .

من هو أعظم رجل عربي خدم أمته في القرن العشرين ؟

✻ الهلال ✻ لكل أمة عربية رجالها وليس شك في ان الوهابيين يعدون ابن سعود من أبطال العالم لانه ضاعف ملكه . أما في مصر فان الشبيبة تعتقد ان قاسم امين هو الرجل الوحيد الذي عرف موضع الداء ووصف الدواء بتحرير المرأة . ولسعد زغلول ميزة تنبيه الامة الى الاستقلال وللطفي السيد فضل سابق في غرس فكرة القومية المصرية

أصل الفحم الحجري

✻ باس . كوبا ✻ أغناطيوس حداد

ما هو أصل الفحم الحجري هل هو أشجار طوتها الارض من عهد بعيد أم مفرزات من الارض نفسها ؟

✻ الهلال ✻ هو نباتات وأشجار طوتها الارض فتفحمت بطول الزمن . واكبر برهان على ذلك أن بعض الاشجار والاوراق لا تزال توجد رسومها بمناجم الفحم الحاضرة

« الكنز للشباب »

✻ ايتاجوبا . برازيل ✻ س . خ . مراد

هل نقل الى العربية كتاب « الكنز للشباب » تأليف W. M. Jackson ؟

✻ الهلال ✻ كلا

العادة طبيعة ثانية

✻ سيا غودي افيلا . كوبا ✻ شكر الله خ . عساف

ما معنى قولهم : العادة طبيعة ثانية ؟

✻ الهلال ✻ أي أن العادة تتأصل في الجسم حتى تصير بمثابة الطبيعة التي لا تطاق مخالفتها فالجوع للطعام طبيعة لا غنى عنه . ولكن من اعتاد الافيون تصير العادة فيه كالطبيعة بحيث اذا آن أوانها لم يطق عليها صبراً كأنها الجوع بل أشد . ومعظم العادات دون عادة الافيون قوة ولكنها مع ذلك قوية ومن هنا فائدة العادات الحسنة وضرر العادات السيئة

ألقاب العواصم

﴿ نيويورك . الولايات المتحدة ﴾ رشيد قاسم أسعد

لماذا سميت بغداد دار السلام ؟

﴿ الهلال ﴾ اطلقت على بعض المدن صفات حسنة على سبيل التيمن أو التملق لسلاطينها فقد كانت الاستانة مدة السلاطين تسمى « دار السعادة » وكانت القاهرة تسمى الى وقت قريب « المحروسة » وكذلك سميت بغداد « دار السلام »

الكلام في النوم

﴿ كوكوتا . كولمبيا ﴾ عيسى موسى ابراهيم

ما رأيكم في انسان يتكلم وقت نومه بصوت عال ويتلفظ بالفاظ لم يسمعها ولم يفكر فيها قط وماذا تنصحون له حتى يكف عن هذه العادة فلا يزعج أهل بيته ؟

﴿ الهلال ﴾ اذا نام الانسان تنبه عقله الباطن فيهذي بأشياء كان العقل الظاهر وقت اليقظة يكفه عنها فيتلفظ بالفاظ الحب للشخص الذي يحبه أو الفاظ العداء لمن يكرهه في غير وعي أو حذر . وهـذه الاحساسات موجودة وقت اليقظة ولكنها مكبوتة أي مكتومة لجملة اعتبارات يقتضيها الذوق أو الحياء . والانسان في حلمه يعود طفلاً أو يرجع الى طور سابق من أطوار حياته فيتلفظ بأشياء يظن انه نسيها ولكنها في الواقع لم تنس وانما كبتت فقط فالنوم يطلقها . ولو تحريتم ودققتم في البحث لوجدتم أن صاحبكم الذي يتكلم في نومه ينطق بأشياء كان يهتم لها منذ سنوات أو في أيام طفولته أو هي أشياء خاصة بعداوة أو بحب كتمه عن نفسه ولا يصرح به . وليس هناك ضرر من الكلام في النوم على النائم والاقلال من طعام العشاء يقلله أو يمنعه فلا يزعج غيره

الزواج وحق الخطبة

﴿ النجف . العراق ﴾ عباس الطريحي

المشاهد حتى عند أرقى الامم ان الرجل يبحث عن المرأة ويخطبها ولكن المرأة لا تبحث عن الرجل ولا تخطبه فما هو السبب في ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ الواقع الذي لا يمكن انكاره ان المرأة تهتم للزواج اكثر جداً من الرجل لانه حرفتها الرئيسية التي تعيش منها في أغلب الاحيان . ولكن العرف جرى على ان الرجل يخطب المرأة وينطق باللفظة المؤذنة بذلك ويقدم عربون الخطبة . وهذا العرف من الآثار القديمة حين كانت الكلمة الفاصلة في الزواج للرجل دون المرأة . اما من جهة البحث عن الزوج فان المرأة اكثر بحثاً عن شريكها المستقبل في الحياة من الرجل . ومن ينظر الى جريدة فرنسية يجد في الاعلانات عن طلب الزوج ان المرأة اكثر اهتماماً من الرجل بهذا الموضوع



زهو المرأة

حتى في ساعة الموت بل بعد الموت لا تريد المرأة ان تعترف بعمرها . فقد ماتت المسز أما هيام في انجلترا فجاء في آخر وصيتها التي أوصت بها قولها : « وارغب على وجه خاص في ألا يلبس احد ملابس الحداد في جنازتي ووقت الاعلان عن وفاتي في الصحف ارجو ان يعلن عن عدم حمل الزهور وايضاً لا يذكر عمري »

علة الاوبئة الوافدة

مات الاستاذ بري المؤرخ الانجليزي في الشهر الماضي . وله كتب ثمينة في تاريخ الدولة الرومانية ولكن اروج كتبه كتاب صغير في تاريخ حرية الفكر . وقد كان له رأي طريف في تعليل الطاعون الذي اجتاح اوربا في القرن الرابع عشر فانهُ يعتقد ان علة انتشاره تغير النفس الاوربية ووشوك خروجها من التقاليد القديمة ودخولها في العصر الجديد وتزعزع العقائد الراسخة القديمة . ولعل انتشار وافدة الانفلونزه بعد الحرب كانت الباعث له على هذا الاعتقاد فقد قتل منها نحو ستة ملايين نفس في العالم مع انتشار الوسائل الصحية الحاضرة . ولو كانت هذه الوافدة في القرون الوسطى لما قتلت اقل من ٦٠ مليون نفس . ولا يكاد الانسان يدري لها سبباً معقولاً الا اذا صدقنا ما يقوله الاستاذ بري من ان التغير الحادث بالنفوس عقب الحرب هو الذي هيأ الاجسام لها

حديقة الحيوانات بالجيزة

تعد حديقة الحيوانات في الجيزة من اكبر حدائق العالم وميزتها الكبرى ان مناخها الحار يوافق الوحوش والبهائم البرية في حين انها كثيراً ما تموت في اوربا للبرد الشديد الذي لا تتحمله ومن الحقائق التي لا يعرفها الجمهور ان السباع تحرم من الاكل يوم السبت فتصومه ولا تأكل الا مساء يوم الاحد وذلك محافظة على صحتها بالحمية . وتباع بيضة النعام في الحديقة بعشرين قرشاً . وبالحديقة بيت للثعابين يمنع الجمهور من دخوله وقت الاكل لان الثعابين تأكل فرائسها وهي حية فيشمئز الجمهور من رؤيتها وقد يتأثر البعض تأثراً يؤذيه في أعصابه

ثمرات الصناعة

مما يدل على ثمرات الصناعة ودخلها العظيم بالنسبة الى رأس المال المؤثل فيها انه انشيء في

مصر مصنع لصنع الكوتشوك وكان رأس المال ٧٠٠٠٠ جنيه فنجح المصنع وصار يبيع في العام بنحو ٢٠٠٠٠ جنيه . وهو يصنع اطارات العجلات والخراطيم الصحية وغير الصحية والمنتظر انه يجمع رأسماله في نحو ثلاث سنوات

اللورد الممثل

اللورد لاثوم شاب في الثانية والثلاثين من عمره وهو من نبلاء الانجليز ويحترف التمثيل وله درامتان الفهما ومثلهما . وكلتاهما لقيت نجاحاً وتوفيقاً . وقد تزوج في الشهر الماضي بفتاة ممثلة وهي في الرابعة والثلاثين من عمرها . وقد اجتمع في الاحتفال بعرسه طائفة كبيرة من الممثلين والنبلاء الذين لم يروا غضاضة في ان يكون احدهم ممثلا . واللورد لاثوم يملك مسرحاً كبيراً يدعى رو يال كورت و يديره ايضاً بنفسه

الجيش المصري

حدثت ضجة في الشهر المنصرم بخصوص الجيش المصري والخلاف الذي قام بشأنه بين مصر وبريطانيا . وهـذا الجيش يبلغ الآن نحو ١٠٠٠٠ جندي يؤخذون بالقرعة . ويعفى من هذه القرعة :

١ ـ الابناء الوحيدون

٢ ـ مستخدمو الحكومة واولاد الضباط والعمد والمشايخ

٣ ـ الموظفون الدينيون والعلماء والقسوس

٤ ـ كل من يدفع ٢٠ جنيها قبل الاقتراع

٥ ـ كل من يدفع ٤٠ جنيهاً اذا لم يحضر امام مجلس الاقتراع

٦ ـ كل من يكشف عليه طبياً ويليق للخدمة ثم يود المعافاة بأن يدفع ١٠٠ جنيه

وواضح من عدد الجيش الذي لا يزيد عن عشرة آلاف نفس ومن المبلغ المدفوع للحكومة للمعافاة من الخدمه ان شبان مصر اللائقين للخدمة العسكرية كثيرون ولكن لا يدخل الجيش منهم الا عدد صغير جداً وذلك لنظام القرعة الذي يجري العمل به الآن . فان لجنة القرعة اذا فحصت الف شـاب ووجدت ان ٥٠٠ منهم يليقون للخدمة عمـدت الى الاقتراع على ١٠ فقط منهم والباقون لا يطلبون

كلوا الثمار

لا بأس من تكرار ما يصفه الاطباء من جهة الاكثار من تناول الثمار ، فلا يكفي اكلها بعد صنعها مربي بل الافضل اكلها نيئة فحينئذ يمكن الاستفادة منها والحصول على مقدار كبير من انواع

الفيتامين التي تحتويها . ففي (ا) الليمون والبرتقال كما في التفاح مقدار وافر من الفيتامين من نوع (ج) وهو يلائم الصحة ، وفيه ايضاً مثل ما في الطماطم فيتامين من نوع (ا) · اما الفيتامين (ب) فهو موجود في البذور او النوى ويندر وجوده في عصير الثمار · فالفيتامين (ج) عنصر مقوّ مغذّ ، وفي (ا) الليمون والبرتقال مقدار كبير منه ، وهو ايضاً موجود في الدراقن والموز والفريز والكرز ، على انه قليل الوجود في العنب · ولا شيء افضل من تناول الثمار لاجل تحسين لون الوجه فهي تفوق جميع المساحيق المخصصة لذلك . وقد اخطأ الذين يمنعون من تناول الثمار النيئة بحيث ان المعدة صارت تتعب من تناولها على انهُ يجب تعود ذلك شيئاً فشيئاً

اصل هنود اميركا

كان الدكتور غان الانكليزي والاستاذ مورلي الاميركاني ينقبان عن العاديات في بلاد يوكاتان فعثرا على انقاض مدن كبيرة مطمورة منذ قرون عديدة ووجدوا آثاراً كثيرة تدل على مبلغ حضارة اولئك القوم في الزمان القديم . ويستنتج من ذلك ان تلك البلاد كانت مأهولة باقوام مجهولة الاصل · ولكن يذكر في القصيدة الهندية المشهورة المدعوة رامايان انه حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل المسيح تألف جيشٌ جرار في الهند زحف مجتازاً آسيا وميمماً اميركا عابراً الموضع المسمى الآن بوغاز بيرنغ وقد كان في ذلك العهد برزخاً ضيقاً يصل القارتين الواحدة منهما بالاخرى من جهة الاسكا . وتلقى فتيان الهنود المؤلف منهم ذلك الجيش أمراً بعدم الرجوع الى وطنهم الاصلي والبقاء في البلاد التي اكتشفوها ونشر حضارتهم فيها · وكثيرون من علماء الهنود ومن جملتهم مستر ميترا يظنون ان أولئك المهاجرين كانوا جدود الهنود ذوي البشرة الحمراء وهو مما يؤيد ما اكتشفوه حديثاً من الفنون المبينة دلائلها في الهيا كل وغيرها من الابنية التي وجدوها في المدن المكتشفة

الراقصات ووطنهن

ان العدد الاكبر من الراقصات اللواتي يجبن اكثر اقطار العالم المتمدن يخرج من شمالي انكلترا و بعض جهاتها المتوسطة ولا سيما مانشستر وهاليفاكس و برادفورد وهلّ · فأولئك الفتيات يبتدئن وهن ناعمات الظفر اذ يدخلن مدارس الرقص في الثانية عشرة من عمرهن ، و بعد ما يتقنّ مهنتهن ينزحن عن بلادهن ميممات الاقاليم الاجنبية . ولا يزاولن حرفتهن هذه مدة طويلة فان كبراهن لا تتجاوز في غالب الاحيان الثامنة والعشرين لان الراقصة متى تجاوزت هذه السن تشق عليها مداومة العمل لفقدانها ما كان لاعضائها من المرونة . وحينئذ تهجر مهنتها وتعود الى موطنها وكثيراً ما تتزوج وتعيش في بيتها مع زوجها وأولادها وفيما بعد ترسل بناتها الى مدرسة الرقص فى مانشستر مثلاً كي تنهج نهجها

غرائب الاطوار

لقد بحت اصوات القوم وهم يصيحون ان ولاة الامور في جميع انحاء المعمور يستنفدون الجهود لتخفيض الاسعار في جميع حاجات المعيشة بحيث لا يبقى خوف على أحد من الموت جوعاً . لكن حدث مؤخراً ان انكليزياً غريب الاطوار ظل خائفاً من الوصول الى يوم يقضي فيه جوعاً فذهب الى شركة من شركات التأمين (السيكورتاه) واتفق معها على أن ينقدها مبلغ خمسة آلاف ليرة انكليزية في مقابل معاهدتها اياه على أن تقدم له حتى آخر حياته وجبتين من وجبات الطعام في مطعم من اكبر مطاعم لندن . وأصبح بعد هذا الاتفاق مع تلك الشركة ناعم البال قرير العين لا يهمه ارتفاع أسعار المعيشة أو انخفاضها . واظن انه لو كان لاحدكم أيها القراء الكرام مبلغ يمكنكم أن تستغنوا عنه كذلك الذي دفعه صاحبنا هذا لتلك الشركة لما كنتم تنسجون على منواله ولكن لله في خلقه آيات

الحنطة في العالم

دقق العلماء في البحث عن الحنطة وعن امكان نقصانها الى درجة يصعب معها على الناس أن يلقوا ما يسد حاجتهم اليها وقد وجدوا انه من المستطاع زراعتها في أقاليم يكثر فيها تبخر الماء من التربة وقد كانوا يتوهمون انه يصعب تذليل تلك الصعوبة في مثل تلك الحال . على ان اختلاف المناخ والارتفاع والانخفاض في البلدان تمكن من اجتناء الحنطة في أشهر حزيران وتموز وآب كما تمكن من اجتنائها في كانون الاول وكانون الثاني وشباط واذار ونيسان ففي الارجنتين وأوستراليا يحصدون الحنطة في الشتاء وفي الهند وغيرها من البلدان المماثلة المناخ يحصدونها في اذار ونيسان وفي أقاليم أوربا الشمالية يحصدونها في تموز وآب . اجل ان التقلبات الجوية وبعض الحوادث قد تقلل مقدار الموسم في بعض الاصقاع الا ان حدوث مثل هذا لا يكون من ورائه القضاء على الموسم في جميع انحاء المعمورة قضاء يحرم البشر من هذا الصنف الذي لا غنى له عنه

سكان اميركا

يستنتج من الاحصاء الاخير الذي جرى في الولايات المتحدة الاميركانية ان في تلك البلاد ٦٨٠ ٧٤٧ ٥١ نفساً من أصل انكليزي أو من شمالي ارلندة ، و٦٨٠ ٠٦٣ ٥ أصلهم من جنوبي ارلندة ، و٢٦١ ٣٣ أوستراليو الاصل ، و٩٧١٤ من زيلاندا الجديدة ، و٣٧٤ ١٧٣ ١٢ من أصل الماني ، و٣٩٩ ٠٨٢ ١ فرنساويو الاصل ، و٠٩٣ ٣١٦ ١ من النمسا . و٤٣٧ ٤٧٢ ٣ من ايطاليا ، و٤٦٣ ٦٧٨ ١ من بولونيا ، و٦٩٥ ٢٦٠ ١ من نروج ، و٦٦٩ ٤٣٤ ٢ من روسيا ، و ٨٦٧٥٣٢ ١ من اسوج

حديث مع السير وليم ولكوكس

قلت وأنا أودع السير وليم ويلكوكس بعد ان قضيت معه ساعتين من اثمن أوقات حياتي : انك تجعلني يا سير ويلكوكس اؤمن بالانسان . فقال من فوره : بل يجب أن تؤمن بالله

فتركته وأنا أشعر اني قد ارتقيت بمعرفتي به وان نفسي ستكون في المستقبل اطيب واحسن مما كانت في الماضي واني قد اهتديت منه الى عنصر من عناصر السعادة والحب وخدمة الانسان

اني كنت فيما اقرأ من سير العظماء اتمنى كثيراً ان اختبر اختباراتهم واعيش حياتهم . فكثيراً ما كنت اغبط ابن بطوطة على سياحاته وان كنت لا احسده على افكاره . وكثيراً ما غبطت «الامير» كرو بتكين على تلك الحياة السامية التي عاشها حين ترك مركز الامارة في روسيا وعاش في احد الازقة في باريس يؤلف في العلم والعمران . اذ اي شيء اثمن في هذا العالم من أن ترى الدنيا على مهل كما رآها ابن بطوطة يذهب من مراكش الى الصين فيسير في تؤدة حتى لتشعر كأنه قطع هذه المسافة وهو على حمار . ويرى أهل القسطنطينية والسودان ويتزوج في اقاصي آسيا فيعيش حياة حافلة بالاقتحامات والاكتشافات كانها قصيدة عصماء بليغة بينما يعيش كل منا حياة كلها نثر بارد سخيف ؟ واي شيء اجمل من حياة رجل مثل كرو بتكين يأنف من معيشة النبلاء في روسيا ويرى ان كرامته الانسانية فوق هذه الصبيانيات التي يمارسها هؤلاء النبلاء فيطلق الامارة ويأخذ ذهنه بالمجاهدة والتفكير في سبيل رفعة الديمقراطية في العالم ؟

اجل . اني احب ان ارى الدنيا كما رآها ابن بطوطة لا في طيارة ولا حتى في باخرة كما يرى الناس الصور السينماتوغرافية ولكن على حمار أو ما يشبه الحمار من فرس أو جمل . وأحب أن أعيش تلك الحياة الذهنية التي عاشها كرو بتكين اجاهد للحق والعلم . ولكني بعد اذ رأيت السير ويلكوكس أحب أن تكون لي نفسه : تلك النفس التي يغمرها الحب للنـــاس والتي يدفعها الحق الى مجاهدة الظلمة أهل الظلم والظلام وتدفعها المروءة الى حب المساكين وخدمة المرضى والمنكوبين

هاك رجلاً نشأ نشأة علمية لا يعرف غير العلوم والرياضة ولكن نفسه نزعت منذ شبابه الى التصوف . وعمل في الهند مهندساً فاختلط بالفلاحين الهنود فكان اذا انتهى من الهندسة قعد اليهم يحدثهم حديث الانسان للانسان بل حديث النفس للنفس . يحدثهم عن الله والبر والحق ويجادل البراهمـــة عن عقائدهم ويحمل معه الى القرى النائية الادوية للمرضى يعالجهم بنفســه ويغسل جروحهم بيده كما لا يزال يفعل للآن في مستشفى الانجليز بمصر العتيقة . وجاء مصر حوالي سنة ١٨٨٣ فعمل في الري ووضع الترسيمات لخزان اسوان واشرف على بنائه والغى السخرة من مصر ورتب الضرائب ووزع أرض الدائرة السنية للمصريين

ولكن كل هذا تاريخ قديم . أما تاريخه الحديث فهو صفحـــة تنقش بالذهب في تاريخ اي

انسان وتملأنا حتى نحن الذين لم نشترك في هذه الصفحة فخاراً ومجداً لاننا ناس مثله تنتسب الى ذلك العنصر الذي منه نبع: عنصر الانسانية . وهي صفحة تجعلنا نثق بالانسان ونؤمن بانه لا خوف عليه من السقوط ما دام فيه مثل و يلكوكس . فان هذا الانجليزي وقف في وجه الانجليز لا لكي يثري ولا لينال مجداً بين أبناء بلاده بل لكي يدافع عن ... عنا نحن المصريين . فقد كان المهندسون الانجليز في السودان لشدة حرصهم على تعميم زراعة القطن قد وضعوا ترسيمات لبناء خزان في أعلى مكان من السودان لو انه تم لقطع او كاد يقطع الماء عنا في مصر فتجرد السير و يلكوكس للدفاع عنا وانبرى لمحاجة المهندسين الانجليز . وكان في دفاعه حاداً قوياً حتى رافعه خصومه الى القضاء بتهمة « القذف والفتنة » وخسر في هذه الدعوى ٥٠٠٠ جنيه ولكنه فاز أخيراً بكف حكومة السودان عن بناء هذا الخزان الذي كاد يوشك ان يوقع الخراب ببلادنا و يجعل أرض السودان بطائح لا يجف منها الماء ولا تريم عنها الحيات

قعدت الى السير و يلكوكس واخذت اغذو عينيّ من هذه الشيخوخة الصالحة المجاهدة . وهو الآن في العقد الثامن من عمره له وجه معروق وقامة مديدة مفتولة تشعر وانت تنظر اليه انك في حضرة ملك من أولئك الملوك الجدد الذين يعرفون ان الملوكية الحقة الحديثة ليست بالعروش المذهبة والتيجان المجوهرة فقط بل بخدمة الناس ورفعهم كما يقول ولز او كما يقول فولتير . ولكنه وهو في هذه السن المتقدمة ينظر اليك بعينين ناصعتين ويسايرك في المشي حتى يغادرك وأنت تدلك ساقيك من التعب . ولم يكن غريباً أن يكون أول اسئلتي له ان اسأله عن صحته و كيف بقي جسمه : هذه الآلة الدقيقة سليمة الى هذه السن

قلت : اني أتذكر ان المستر ستد اراد مرة ان يعرف خير الطرق للعناية بالصحة فلم يعمد الى الاطباء يسألهم بل عمد الى الشيوخ يتعرف منهم كيف بلغوا الشيخوخة وماذا يأكلون وماذا يشربون . فهل لك ان تخبرني كيف حفظت صحتك الى هذه السن ؟

فقال : اني أعتدل في كل شيء ، وما اذكر اني اكثرت مرة من تناول اللحم بل كثيراً ما عشت السنين الطوال وانا لا اذوقه وأنا الآن ومنذ سنوات نباتي وكنت عندما اكدّ ذهني في موضوع هام مثل بناء خزان أسوان اكف عن اللحم وأعتقد ان اللحم يبلد الذهن . وكذلك عشت طول حياتي وأنا ارتاض بالمشي الكثير

قلت : اما تشرب الخمر أو تدخن ؟ قال : شربت قليلاً منها أي من الخمور المعتدلة اما الخمور « الثائرة » التي يذكرها شكسبير فلا اشربها . وكنت ادخن ولكني ابطلت التدخين

قلت : ماذا تعني بالمشي الكثير وكم قطعت من الكيلومترات في اكثر أيامك مشياً ؟

قال : أنا أحب المشي . ولما كنت باسوان في بناء الخزان كنت اخرج للصحراء فامشي كثيراً واظن اني قطعت في احد الايام أربعين كيلومتراً

قلت : لقد رأيت الفلاح الهندي والفلاح المصري ومارست خلائقهما فماذا تقول في المقابلة بينهما ؟ قال : الفلاح الهندي فقير جداً ولكنه انيس يقبل عليك وأنت غريب عنه فتحمد له عشرته ويشكر لك خدمتك . ولكن الفلاح المصري كثير التوجس يعتقد انك تضمر له شراً ولعل هذا يرجع الى انه أُرهق بالظلم في السنين الماضية التي تزيد على الفين

قلت : كيف وجدته عندما جئت مصر ؟

قال : جئت مصر سنة ١٨٨٣ فوجدت ظلماً صارخاً : وجدت السخرة . وما ادراك ما السخرة . أنت أيها الشاب لا تعرف السخرة . وقفت في السرساوية في المنوفية وكان عندي ٢٥٠٠٠ فلاح قد اخرجوا من قراهم وجمعوا هناك لحفر القناة ودارت الاسواط على ظهورهم وهم يحملون الطين بل الوحل الطري من قعر القناة الى الشط . واذكر يوماً وأنا انظر الى هذا الجيش العظيم اني وقفت ونظرت الى الله اخاطبه في السماء واقسم : اني لن اخرج من هذه البلاد حتى يُقضى على هذا الظلم وتُلغى هذه السخرة

قلت : وقد الغيت . ولكن هل وجدت مشقة أو مقاومة في الغائها ؟ قال : نحن الانجليز وجميع الموظفين المصريين كنا كلنا نميل الى الغائها ولكن الاعيان وأصحاب الارض كانوا يقولون ببقائها

قلت : لقد أسديت الى الفلاح المصري والى مصر كلها معروفاً لا ينكر بالغاء السخرة . ولكن الفلاح لا تزال حالته في حاجة الى الاصلاح فهل فكرت في طريقة لاصلاحه

قال : فكرت كثيراً . وعلة الفلاح لا ترجع الى شيء آخر سوى الفقر فان اصحاب الارض يستغلونه و يمتصون دمه بالايجارات العالية حتى لا يبقى له شيء يعيش منه عيشة حسنة . وحوالي سنة ١٨٦٠ رأت الحكومة الانجليزية ان اصحاب الارض في الهند قد زادوا قيمة الايجار حتى ابهظوا الفلاح فسنت شرعة خاصة لمعاقبة كل مالك يزيد قيمة الايجار عن ثلاثة أمثال الضريبة المفروضة على الارض . ويمكن أن تسن للفلاح المصري شرعة كهذه يمنع فيها المالك ويعاقب بالغرامة والحبس اذا زاد قيمة الايجار عن خمسة أو ستة أمثال الضريبة . والذي اختبرته من الفلاح المصري انه جريء جداً على كتابة عقد الايجار وهذه الجرأة يستغلها المالكون وانا سليل عائلة فلاحين في جنوب انجلترا وليس في العالم ارحم من المالك الانجليزي فان ايجار الارض هناك قليل جداً ولذلك فان النظام الاقطاعي لا يزال يعمل به في القرى الانجليزية للآن

قلت : لقد قضيت حياتك في ريف مصر تنتقل من قرية الى اخرى وأقمت في اسوان كثيراً وكنت موظفاً في الحكومة فهل كنت تلبس الطربوش وقت تأديتك لاعمالك ؟

قال : كلا . كلا . فاني أول ما تعينت ولبست الطربوش لسعتني الشمس لسعاً فظيعاً فتركت الطربوش ولبست القبعة . وأبلغ بعضهم وزير الاشغال علي باشا مبارك اني لا البس الطربوش بتاتاً فأرسل يستوضحني عن السبب في اهمال هذا الزي الوطني الذي يجب على كل موظف ان

يتخذه فكتبت اليه أقول : « بما ان بعض الناس يولدون ولهم في رؤوسهم أدمغة وبعضهم يولد وليس في رأسه دماغ ، فان أولئك الذين لهم دماغ يحتاجون الى حمايته أما أولئك الذين ليس لهم دماغ فلهم أن يفعلوا ما شاءوا برؤوسهم » فلما قرأ الباشا جوابي هذا ضحك كثيراً ولم يعد يسألني عن هذا الموضوع . ولما ذهبت للعراق أخذت معي ستة من المهندسين المصريين انتفعت بهم كثيراً وكانوا كلهم يلبسون القبعة بالعراق . وأنتم يجب ان تلبسوها

قلت : انك تريد اصلاح الفلاح بانقاص الايجارات فهل فكرت قط في الشبيبة المتعلمة

قال : اني اهتم بالعامة والفلاحين والمساكين . ولكنك تسألني عن الشباب المتعلم فانقل عني اني احب ان ارى المصري يكتب باللغة المصرية ويكف عن اضاعة وقته في تعلم اللغة العربية فان قواعد هذه اللغة وتحفظ الفاظها ينهكان قواه حتى لا يستطيع التفكير والابتكار . فانا نبغت في الرياضة لاني تعلمت الرياضة باللغة التي اتكلمها وانا في سن الثامنة . أتعقل ما أقول ؟ ان نبوغي في الرياضة احتاج الى ٦٠ سنة من الدرس . فاذا اراد الشاب المصري ان ينبغ فيجب ألا يضيع وقته في تعلم اللغة العربية وقواعدها العديدة . بل يجب ان يعمد الى موضوع درسه فيقضي فيه عمره كله بحيث يفكر فيه باللغة التي يتكلمها حتى لا يرتبك عقله في ترجمة اللغة التي يفكر بها الى اللغة التي يكتب بها . ثم تذكر أنكم اذا كتبتم اللغة الدارجة يسهل عليكم تعليم الفلاحين

قلت : يبدو لي انك سعيد تهنأ بشيخوخة صالحة فهل انت سعيد حقاً ؟

قال : اني الآن اخدم الله والمسيح . فاني اشعر بشخص الله قريباً مني هنا عن يميني وهنا عن يساري فانا اطيع الله واحقق اغراض المسيح بمساعدة الناس اذهب يومين في كل اسبوع للمستشفى الانجليزي لمواساة المرضى ومعالجتهم واطبع الانجيل باللغة الدارجة لكي تقف العامة على أقواله وعظاته . واجد في هذا العمل من السعادة اكثر مما كنت اجد في الهندسة

قلت : لقد سمعت انك تتذمر من المعاش الذي تنقده اياك الحكومة المصرية فهل هو قليل ؟

قال : اني لم اتوظف في الحكومة المصرية سوى ١٤ سنة ولكني خدمت مصر أربعين سنة وقفت من أجلها على خط الاستواء في وسط افريقيا واتهمت في محاكم بلادي بالفتنة لاجل الدفاع عنها وخسرت ٥٠٠٠ جنيه في ذلك و بنيت خزان اسوان ورتبت الضرائب والغيت السخرة وبعت أرض الدائرة السنية للوطنيين ونظمت الري وربيت طائفة حسنة من المهندسين ومع ذلك فمعاشي من الحكومة ٣٢٠ جنيهاً في السنة . وانا لم اقتن مالاً في حياتي فانا لذلك فقير . وقد طلبت من الحكومة المصرية زيادة المعاش فلم تجب طلبي للآن

اثنان من الاجانب يجب ان نقر لهما بالفضل ونجازيهما عليه هما ويلكوكس وسكلاربدس . ومن العار علينا ان يموت احدهما في فقر بيننا نتمتع نحن جميعاً بما افادانا من ثروة ضخمة بتنظيم الري وايجاد سلالة من القطن درت علينا الخير العظيم

مجنون ام ملك ؟

بقلم الاستاذ سلامه موسى

المستر ولز قصصي انجليزي « على آخر ساعة » يؤلف القصص عن المخترعات الحديثة التي تم اختراعها او كاد بل هو يؤلف عن المستقبل ويضمن قصصه الافكار الحديثة والنظريات الجديدة في العلوم

ومن هذه القصص الجديدة قصة قرأتها له هذا الاسبوع تدعى « سرجون . ملك الملوك » عالج فيهـا موضوعين لا أظن الا انه قصد معالجة واحد فأبى الفن عليه الا ان يحشر الآخر . والموضوع الاول هو الفتاة الانجليزية الحديثة و كيف خرجت من الحرب وما هو نظرها الى العالم. اما الموضوع الثـاني وهو ما نريد الكلام عنه الآن فيتضمن درساً في علم النفس من أعجب الدروس في تحليل النفس والعقل البـاطن . فبطل القصة رجل يدعى بريمبي متواضع النفس في الظاهر كبيرها جداً في الباطن ألقته المقادير الى فتاة تحببت اليه ثم طلبت منه ان يتزوجها فقبل . فلم تكن أشهر قليلة دون التسعة بعد الزواج حتى جاءته بطفلة عرف انه ليس أباها وان امها جاءت بهـا سفاحاً من خطيبها السابق الذي خدعها فعادت هي تخدع زوجها وتتزوجه على وهم كاذب . وعاش معها يعمل كلاهما في صناعة غسل الملابس التي قضيا فيهـا السنين حتى شبت « ابنتهما »

والآن ماذا كان يفكر بريمبي في مركزه في هـذا العالم وبازاء هذا الزواج الذي خدع فيه وهذه الصناعة الوضيعة التي ارتبط بها مدى حياته ولا يستطيع أن يفلت منها لانه لا يعرف وسيلة غيرها للعيش ؟ كانت نفسه مقهورة مقيدة بهذه الحرفة الوضيعة وكانت نفسه ايضاً قد نالهـا من الهوان والذل عند ما اكتشف خيـانة زوجته ما جعله يحاول الهرب من الحقيقة التي حوله الى الخيال الذي يخلقه له ذهنه . فهو لا يرى في زواجه طهراً ولا في حرفته شرفاً وهو لا يطيق ان تجبهه هذه الحقائق كل يوم في وجهه وتصفعه فهو اذن يلجأ الى خياله يفكر في عالم يسوده الطهر والعفاف . يحلم في يقظته كما يحلم الجائع بالاطعمة الفـاخرة يأكلها في نومه . لان ذهن الانسان لا يطيق أن يميل الى جهة واحدة وطبعه الدائم هو الحصول على التوازن . فاذا أهانك شخص ولم تستطع أن ترجمهُ بحجرة وتهينه كما أهانك رأيت نفسك وأنت منفرد بعيد عن مكان الخصام وقد استرسل خيالك في معركة مع خصمك تنتهي بتغلبك عليه وقهره واهانته . واذا أنت استطعت ان تضبط خيـالك فلن تستطيع ان تضبط احلامك . وللانسان من قوة الضبط والرقابة على العقل البـاطن حتى وقت النوم ما يجعل الاحلام تتوسل لايجاد التوازن في الذهن بوسائل رمزية حتى .

ينخدع بها العقل الظاهر ولا ينتبه الانسان لمفاجأة الحلم اذ كانت وسائله غير ظاهرة . فهذا الخصم الذي أهانك وقت صحوك ولم تتمكن من قهره يقدمه لك خيالك في وقت النوم بهيئة شحاذ او كناس او طباخ او نحو ذلك من الهيئات الزرية فعندئذ يحصل التوازن في ذهنك وعواطفك

والانسان دائم الحلم في يقظته ونومه . وكثيراً ما نحلم ونحن مستيقظون عند فتور النفس بعد الغداء مثلاً فنستسلم لخواطر جميلة نتعوض بها من الحقائق الراهنة المؤلمة . وهذا كان حال بريجي فانهُ كان يلجأ لخياله فيستسلم لخواطر جميلة تعيد الى نفسه ذلك التوازن الذي فقدته عند ما وجد انهُ مرتبط بزواج غير طاهر وبحرفة غير شريفة . وكانت نفسه تميل الى القراءة فوقع في يده ذات مرة كتاب يبحث عن القارة التي يزعم أصحابها انها غرقت في المحيط الاطلسي . وكان افلاطون قد ذكرها . فأخذ خياله يسترسل في تلك القارة يتوهم ان اهلها كانوا يمارسون الفضائل يلتزمون العفاف والشرف وكانت ثيابهم بيضاء . والبياض هو رمز الطهارة

وكان بريجي في حياة زوجته يتخيل هذه الاخيلة الجميلة عن القارة المفقودة فلا يجد منها اية مقاومة لانها لم تكن تجد فيها ما يضرها فلم تكن لذلك تعارضه . ولكنها ما كادت تموت وتدفن حتى قام في ذهن بريجي ان يترك هذه الحرفة ويأخذ في درس هذه القارة المفقودة ويستقصي أخبارها . وخرج هو و « ابنته » من تلك الدار التي عاش فيها جملة سنين طويلة مقهور العواطف مكبوح النفس ونزل في بيت تؤجر غرفه فاكترى غرفة واخذ في التعرف الى النازلين فيه وكان يحدثهم عن هذه القارة المفقودة التي صارت الآن وسواساً دائماً يلهج به ولا يكف عن التحدث عنه . وحدث ان شاباً ماكراً من النازلين بهذا البيت عرف فيه هذا الوسواس فادعى انه يستنزل الارواح بالنقر على المائدة فتنزل وتتكلم بلسان احد الجلوس . ففي احدى الليالي قعد خمسة او ستة الى المائدة وابتدأ النقر فتواجد الشاب وحمي وصار يلفظ بألفاظ متقطعة موجهة الى بريجي يذكره فيها ببهجته في الحياة وانهُ ملك وانهُ يجب أن يهب من نومه ويصلح هذا العالم الذي ضاع منهُ العفاف والذي اكتسى بالضعة والهوان . وكانت هذه الكلمات القليلة كافية كل الكفاية لان تجد في نفس بريجي تلك التربة الخصبة التي تزكو فيها . ألم يكن بريجي مضغوط العواطف في تلك المهنة الحقيرة طول حياته يتجرع سموم العيش وهو عارف بذلة نفسه امام خطيئة زوجته وهوان معيشته ؟ فها هو ذا صوت من الله قد جاءه يقول له : « انت سرجون . ملك الملوك . أما آن لك أن تهب من نومك وتصلح هذا العالم » ؟

وما كذب بريجي او سرجون ان صارت تلك الوساوس القديمة حقائق راهنة . فانهُ قام في التو والساعة وسار الى قصر ملك الانجليز يريد مقابلته ومخاطبته في هذه الملوكية الطارئة عليه . وبديهي ان الحرس طردوه اشنع طرد فجمع نفراً من الشوارع وسار بهم الى مطعم ووقف بينهم

يخطبهم عن العالم الجديد والسلام والشرف • وحسبه صاحب المطعم من دعاة البولشفية فجاء الشرطة فحضروا وقبضوا عليه وتفرق الجمع

وعقد له محضر من الاطباء قرر هو فيه انه سرجون ملك الملوك وقرروا هم فيه انه مجنون فأرسل الى المستشفى • وقضى فيه بضعة أسابيع ثم عاونه أحد أصدقائه على الفرار ففر وعاد فالتقى «بابنته» وكان وهو في محنته قد لحقه برد أثر في رئتيه واحدث التهاباً في الشعب • فهو الآن طريح الفراش يجتر وساوسه السابقة وقد دخله الشك فيها بعد هوان المارستان وذلته • ويقضي عرف الفن القصصي على المؤلف أن يدهش القارىء ويفجأه بأن يجعل الطبيب الذي يتولى علاجه بطريق «التحليل النفسي» وتحريره من هذه الوساوس هو نفسه ذلك الشخص الذي كان قد عرف زوجته قبل أن يعرفها سرجون فهو المسئول عن خطيئة هذه المرأة وهو أيضاً لمعرفته بهذا السر يستطيع ان يرد الى سرجون عقله و يدرك منازع هذا العقل الباطن ومراميه

ولكن كيف يرد اليه عقله ؟

يقول له انهُ ملك ولكنهُ ليس منفرداً بالملوكية بل كل منا ملك مثله • ففي كل منا دماء الملوك القدماء كالفراعنة وغير الفراعنة من ملوك الكلدان وغير الكلدان • فهؤلاء الملوك كانوا يتزوجون عدداً كبيراً من النساء وأولادهم يتزوجون مثلهم فانتشر بذلك دمهم في الامم التي كانوا يحكمونها • فكل فرد من أبناء هذه الامم ملك • ولذلك يحق لبريمي أن يسأم من هذه الصناعة الوضيعة التي مارسها مدة طويلة من حياته وان تهيب به تلك الطبيعة الملوكية في نفسه الى السمو والشرف • وكما انه في أوهامه السابقة كان يرمز الى الطهر والعفاف في القارة المفقودة في المحيط الاطلسي بالثياب البيضاء • فهو الآن يرمز الى الخروج من ضعة المهنة التي يمارسها وقيود الحياة الضيقة التي عاشها باعتقاد الملوكية في نفسه • فسرجون رمز من رموز العقل الباطن يدل على تشوف نفسه الى السمو والعمل لخدمة الناس واصلاحهم

ونحن أليس كامناً في نفس كل منا ملك ؟ ألسنا نسأم أحياناً حياتنا الوضيعة فنفكر في ضرب من السيادة لكي نؤدي الخير لابناء نوعنا كما نفهم هذا الخير ؟ فهذا اذن هو جنون بريمي وحالته المرضية هي حالة كل فرد منا الا أن اثرها كان أشد في نفسه وابلغ لانه لما كبح طماحه السابق وضغط عواطفه تنكرت له نفسه وعمدت الى الرموز والمداورة فوجدت من رمز القارة المفقودة وما فيها من طهر وعدل ومن رمز الملوكية منفرجاً تتفرج فيه ضائقتها كما تأزمت الاعصاب

وهاك الآن بريمي أو سرجون يتكلم وهو في فراشه مع أحد اصدقائه الذين يعودونه في مرضه :

« لقد لذّ لي ان أحادث الدكتور ديفيزز عن حياتي التي عشتها في صغار وسخافة وعمى

وتكلمنا عن الرجل العظيم الذي يسكن في نفسي وعن الرجال العظماء الذين يسكنون في نفس كل واحد منا ... وعندما سميت نفسي « سرجون ملك الملوك » وشرعت في ان أحكم العالم كنت كما قال الدكتور ديفيزز ارمز الرموز . لان الواقع ان كل فرد منا هو ملك الملوك وكل منا يجب عليه ان يقبض على العالم ويحبيه ويحكمهُ كما يجب عليَّ ان افعل ... لقد ظننت نفسي ملكاً عظيماً أقود الناس فيسيرون في أثري . وأنا اشك في اني شعرت يوماً بأني كفء لهذا المنصب ولكني لم اجد طريقاً اخرى لكي اكون ملكاً . وها أنذا الآن اجد هذه الطريق . لقد قلت للدكتور ديفيزز انهُ ما دام هو ملك مثلي وما دام كل انسان يستطيع ان يكون ملكاً فمسألة الملوكية لم تعد مسألة خاصة بالقصور والعروش والتيجان لان هذه الاشياء قد مضى زمانها وصارت في حكم آلات السلاح المصنوعة من الحجر . وان المهم الآن ان يكون شخصي شخص ملك اعمل مع سائر الاشخاص الملوك في هذا العالم لكي نجعله صالحاً حقيقاً بميراثنا السامي . وكل من يستيقظ الى هذه الحقيقة يصبح ملكاً . ويمكننا عندئذ ان نمارس الملوكية ولو متنكرين . ويمكن الانسان ان يكون غسالاً مثلي حينما كنت بربجي فقط فلا يفكر الا في الارباح والحاجات والمخاوف التي يفكر فيها غسال صغير – وما كان اشد سأمي وقت هذا التفكير – او ان يكون ملكاً سليل عشرة آلاف ملك وأحد ورثة هذا الميراث الانساني العظيم وسيداً للاجيال القادمة التي لم تولد بعد – وان كان قد اتفق ان عاش عيشة التي يمارس صناعة غسيل الملابس

« ولكن هنالك تبتدئ العقبات في الظهور . اذ لا يكفي ان تقول انك ملك بل يجب ان تمارس الملوكية ... وهنا اختلفت انا والدكتور ديفيزز في شأن واجبات الملك لان الموضوع لا يزال غامضاً امامي . ولكن غموضه هذا يشير الى كيفية الابتداء . لانه يجب ان ازيل الغموض بأن احصل منذ الآن على المعرفة حتى اعرف مملكتي . وهذا معقول . يجب ان اتعلم حتى اعرف ميراثي بل ميراثنا . يجب ان اعرف تاريخه وما فيه من كفايات وطرق الناس الذين يسيئون حكمه . ويجب ان ادرس علوم المعاش من تجارة واموال وعندما يتضح لي كل شيء اشرع في المكافحة والتصويت والعمل ويجب ان اعرف كفاياتي الخاصة وكيف يمكنني ان اقدمها لمملكتي . ويجب على كل ملك ان يجد عهد توليه بما له من هبات خاصة . وقد اتفقنا انا وديفيزز على هذه المسألة

« ولكني للآن لا اعرف ما هي كفايتي او الهبة الخاصة التي لي . وقد قال الدكتور ديفيزز انهُ يعرف عن نفسه ان مهمتهُ معرفة البواعث والعلاقات الانسانية فكفايته خاصة بدرس العقل فهذا واجبه . واجبهُ الملوكي . اما انا فاني لم ابلغ بعد الى معرفة نفسي هذه المعرفة ... يجب ان ابدأ بدرس هذا الكون ومعرفة تاريخ هذا العالم – امبراطورية سرجون . وبدرس جميع الاشياء

التي أملتها في احلامي • يجب ان أعود الى المدرسة ثانياً لكي أتعلم كيف افكر تفكيراً سديداً ولكني قلق تائق الى المعرفة . وعند ما افكر في ما يجب ان اقرأه وفي الابحاث وفي زيارة المتحفات اشعر اني أريد ان اقوم في التو وابدأ بالعمل • لقد قضيت حياتي الماضية وانا لا اقدر شيئاً للمسئولية او للملاحظة حتى لا اكاد أفهم الآن كيف قضيت هذه السنين • ولكني على كل حال مسرور لاني استيقظت قبل ان تفوتني الفرصة.

« اني ما زلت شاباً لم اتجاوز الاربعين الا بقليل • مضى نصف عمري في الطفولة والصبا والنصف الآخر في الاعمال • وقد أعيش اربعين سنة اخرى وقد تكون هذه احسن سني عمري فسأقضي اذن نحو ٣ او ٤ سنين في درس هذا العالم وسأشرع في درس السياسة لكي أدرك علل الهوان وصغر العقل بين الناس • وسأشرع أيضاً في ان ابسط بين الناس هذا الانطلاق او هذه الحرية العظيمة التي اختبرتها بنفسي • وستكون لي حياة سياسية لان كل انسان لا تكون له حياة سياسية يكون اشبه بالفأر في بطن السفينة منه بالربان الذي يبعها • وعندئذ ابدأ في وجود نفسي الحقيقية وواجبي الخاص بي . وقد اكون متعجلاً في نظري ولكني أراني الآن مهموماً بمسألة الجنون والمارستانات • فاني لا اعرف ماذا يدعو الى الجنون • فان هذا الموضوع قد لبس عليّ ونغصني • وقد وافقني الدكتور ديفزز على أنه متى بلغ موضوع ما هذا الحد لم يبق الا جمع المعلومات والافكار عنه بطريقة علمية • وعندئذ يذهب عن الموضوع لبسه ونغاصته فيشغل الذهن فقط ويسليه • ولما كنت في المارستان تكلمت مع هؤلاء المساكين وقد حزنت لاجلهم ووعدتهم بالانقاذ عند ما احقق مملكتي . والآن اراني اشعر بالبدء في فهم مملكتي هذه والطريقة التي تمكنني من الاستيلاء عليها • ولعلي عند ما يحين الوقت سأدرس المارستانات وانشر عنها المعلومات بين الناس حتى يرقوها ولا يحبسون الناس فقط بل يعملون لمعونتهم وعلاجهم

« لقد كان من رأي الدكتور ديفزز — او من رأينا نحن الاثنين — ان في حالات الجنون غرضاً حقيقياً مهماً • فالجنون ضرب من التبسيط والتسهيل وازالة العوائق والقيود • • • فان اسرار العقل تنكشف فيه • • •

« وعند ما رأيتك لاول مرة لم افقه وجه العلاقة بيننا • فقد كان الزهو والغرور لا يزالان يشتملان عليّ وكنت اعتقد اني نبي عظيم وملك يجب ان يطيعه العالم • وظننت انك ستكون اول تلاميذي وادنام اليّ واخصهم بي • ولكني الآن اعرف عن نفسي وعن الناس اكثر مما كنت اعرف قبلا • فليس على الناس الآن ان يكونوا تلاميذي بل ملوكاً مثلي اذ يجب ان نعمل مع اولئك الذين ادركتهم اليقظة لرقي مملكتنا وتقدم الانسان

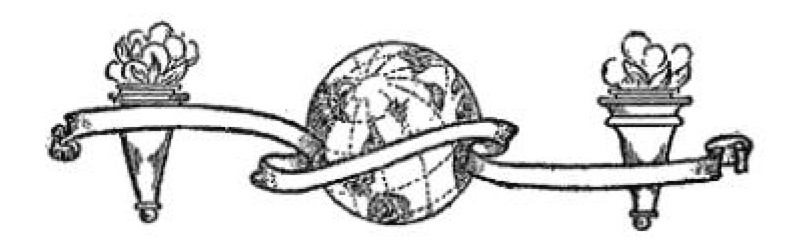
« لقد كنت على الدوام ارغب في معرفة الاشياء ولكن الآن قد انعقدت ارادتي على

معرفتها . ومن هنا الاختلاف . فاني لا اكاد اصدق اني منذ وقت قصير كنت اتململ لا اعرف ماذا افعل بوقتي ولكني الآن لاشتياقي الى معرفة الاشياء اشعر انهُ مهما طال وقتي فاني لن اجدني فارغاً من العمل . ومما يدهشني انهُ قد مضى على استعمال الطيارات في مملكتي ١٢ سنة ومع ذلك فاني لم اركب طيارة قط . اجل . يجب ان انظر الى العالم من فوق طيارة . وربما احتاج الى ان اذهب الى الهند او الى الصين او الى اقطار اخرى غريبة لان هذه الاقطار هي ايضاً جزء من ميراثنا . فأنا محتاج الى ان اعرفها . ومحتاج ايضاً الى رؤية الغابات والبراري التي يجب ان نضعها تحت سيطرتنا ... ثم العلوم . يجب ان نعنى بالاعمال العظيمة التي يقوم بها رجالنا في اختراعات . لاني اذا لم افهم هذه الاعمال فقد اعوقها . لشد ما عميت عن حياتي وعجائبها ! اني عندما افكر في هذه الاشياء لا اطيق الصبر والبقاء بالفراش ... »

لقد اختصرت في النقل ولكني اظن اني وفقت الى ابراز فكرة المؤلف . وهي اننا جميعاً نعمل من الاعمال الوضيعة ما هو دون آمالنا واماثينا . وفي نفس كل منا عرق نازع الى الرفعة والسمو يجعلنا نحلم ونتخيل . وقد تثور النفس على الواقع المزري والحقائق المؤلمة فتبلغ ثورتها حد الجنون كما حدث لبريجي حين طفرت نفسهُ من اناء الغسل الى عرش الملك . ولكن كلنا بريجي وان كان خيالنا لا يبلغ حد الجنون . ولعل المغزى الادبي لقصة ولز هو تلك الكلمة العربية المأثورة : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

أليس معنى هذا اننا كلنا ملوك ؟ ان كلا منا ملك يجب عليه ان يدرس مملكتهُ بل ملكوته . وما ملكوته سوى هذا العالم علينا ان ندرسه ونستقري احواله ونضرب في مجاهله ونقف على علومه وآدابه ثم نشرف عليه ونقترح له ما نستطيع من اقتراحات الاصلاح والتقدم

سلامه موسى



الانف والعطور

تأثير المشمومات فى الذاكرة والعواطف

المشمومات كلها تصل الى أنوفنا بما يتطاير من موادها حتى يبلغ الغشاء المخاطي الذي يقع في الجزء الخلفي الاعلى من تجويف الانف . وهذا الغشاء يتصل بأعصاب الشم التي تنقله الى الدماغ فنحس بالرائحة وندخر هذا الاحساس بالذاكرة لاختباراتنا المستقبلة

والمشمومات كلها تختلف من حيث بقائها فبعضها سريع الزوال وبعضها يقيم على السنين كما تختلف من حيث قوتها وضعفها كما ان بعضها أيضاً يختلف من حيث تعلقه بالذاكرة او العواطف . فالمسك أثبت العطور يقيم اكثر من مائة سنة في الجسم الذي يعطر به ولذلك فانهُ يخلط الى جميع الطيوب الاخرى لكي يكسبها هذه الخاصة في الاقامة . وكثيرون ممن شموا الكلوروفورم وقت العمليات الجراحية لم ينسوا رائحته بعد العملية بسنوات كأنهُ قد علق بذاكرتهم علوقاً لا خلاص منهُ حتى ليدأبوا في دفعه عن خياشيمهم باطلاق النفس من الانف بعنف كأنهم يحسون بلصوقه

والعطور كالازياء تختلف باختلاف الازمنة بل ايضاً باختلاف الطبقات الاجتماعية . ومما يلاحظ ان الطبقة العالية من الناس تأنف من استعمال العطور القوية بينما الطبقات الفقيرة لا تبالي باستعمال العطور الزاعقة التي يشمها الانسان على مسافة بعيدة . والحال كذلك في استعمال الاصباغ المشهورة في الملابس . فالذوق العالي يكره اللون الباهر الفاضح بينما الفلاحون والفقراء يحبون الالوان الزاهية المتلألئة . ولعل هذا الفرق يرجع الى أن تربية الذوق تقتضي الاعتدال في الرائحة واللون . بل يمكن أن نرى هذا الاعتدال أيضاً في استعمال التوابل والحريفات في الطعام فان الطبقات الفقيرة تدمن استعمالها بينما لا تستعملها الطبقات العالية الا بتأنق وتقلل

والانسان في أحواله المدنية قلما يستعمل أنفه للشم الا عرضاً ولكن الهمج الذين تحوطهم الاخطار يحتاجون الى الدقة في الشم وتمييز الروائح اكثر منا . ولذلك فانهم يستطيعون تعيين جملة أشياء بأنوفهم . وحاسة الشم عندنا تقبل التنبيه والتخدير فما ينبهها القهوين والاستركنين ومما يخدرها الكوكيين فانهُ يجفف الغشاء المخاطي ويشل أطراف الاعصاب التي تنقل الى الدماغ الاحساس بالمشمومات

ومن الناس الاخشم الذي لا يشم البتة او يشم قليلاً . ولكن منهم ايضاً من لا يطيق العطور

ولكن يمكن أن يقال على وجه العموم ان الرجل أشد احساساً بالمشمومات من المرأة وان كانت معيشة المرأة المنزلية تضطرها الى أن تروض أنفها على الشم اكثر من الرجل حتى تميز بين التوابل والاطعمة الطازجة والبائتة . ويمكن أن يقال مثل ذلك عن تطعم الطعام فان ذوق الرجل أحدّ بطبيعته من المرأة ولكن ذوق المرأة اكثر تدريباً لالتصاقها بالمطبخ اكثر منه

والانسان يعد من أحدّ الحيوانات نظراً فان النظر هو الحاسة الرئيسية لنقل المعارف الى الدماغ . ولكن عند الحشرات تقوم حاسة الشم مقام حاسة النظر عندنا . فانك لا تكاد تضع قطعة سكر لا تشم أنت لها أية رائحة حتى ترى النمل قد دب اليها من كل مكان . وربما كان من الابحاث المنتجة أن نبحث عن علاقة الشم بالغريزة والنظر بالعقل كما نراهما في النمل والانسان

والطيور كالانسان تعتمد كثيراً على النظر في البحث عن طعامها ولكن منها أيضاً أنواعاً كالعقبان والنسور قد ارتقت فيها حاسة الشم ارتقاء عظيماً حتى ليهتدي النسر الى الرمة وهو على أميال عديدة منها

ومما يروى عن علاقة الذاكرة بالشم ان النساجين الفرنسيين منذ اكثر من مائة سنة رأوا ان الشيلان الكشميرية تباع وتروج بين السيدات في المدن الفرنسية . فصنعوا مثلها وحاكوها في ألوانها ونسيجها وتطريزها ولكن رواجها كان مع ذلك ضيقاً او معدوماً . وأخيراً عرف أحد التجار الفرق وهو ان الشيلان الكشميرية لها رائحة خاصة ليست في الشيلان الفرنسية . وهذه الرائحة هي عطر البتشولي الذي يتعطر به الهنود وهم ينسجون هذه الشيلان

والعطور تستخرج الآن من النباتات او من قطران الفحم . ويجمع الزهر بكميات كبيرة لكي يستخرج منهُ مقدار قليل من العطر . فان طناً من زهر البرتقال لا يستخرج منه بالاستقطار سوى رطلين من العطر ويباع الرطل بنحو عشرين أو خمسة وعشرين جنيهاً . ولا يستخرج الرطل الواحد من عطر الورد الا من عدة أطنان من الورد ويباع الرطل من هذا العطر الآن بمبلغ ٣٢ جنيهاً . وأغلى أنواع العطور هو عطر البنفسج فان ثمن الرطل من الانواع الفاخرة منهُ الآن نحو ٢٠٠ جنيه

وأعظم المزارع التي تختص بالزهر واستخراج عطوره في جنوب فرنسا ورومانيا وبلغاريا فهناك ترى الآلاف من الفدادين المنبسطة وفيها الورد او البنفسج او الخزامى او الليمون . وهم يستخرجون العطر بطريقتين : طريقة الاستقطار التي لا تختلف من طريقة استخراج الخمر من الزبيب

وطريقة الدهن . فانهم يضعون الزهر في دهن فيتشرب الدهن العطر ويبقيه · والطريقة الثانية أكثر تكاليف من الاولى

وفي الاسواق مئات الانواع من العطور بعضها يؤخذ من الخشب كالصندل وبعضها من قشر الخشب كالقرفة وبعضها من الورق كالنعناع وبعضها من البزور كاللوز ولكن اكثرها من الزهر · وليس شيء أعجب من الطرق الحديثة التي تستعمل الآن في استخراج العطور الانيقة الفاخرة من قطران الفحم فان عطر الموز او الياسمين او البرتقال الذي يباع الآن في الاسواق كثيراً ما يكون في الاصل قطراناً أسود كريه الرائحة ولكن للعلم سحراً قد أحال هذه المادة السوداء الى عطر جميل كما سيحيل يوماً ما تلك المعادن الخسيسة الى ذهب كما كان يحاول كيمائيو القرون الوسطى عبثاً أن يبلغوا هذه الغاية

وقد كان الاغريق يعنون بالطيوب وذلك لعنايتهم بالجمال . وكان حانوت العطار عندهم مثل القهوة عندنا يلتقي فيه الناس على مواعيد ويقعدون للمسامرة . وكان رب الدار اذا دعا أصدقائه الى وليمة عمد الى حمامة فنضحها بالعطر حتى يعطر ريشها به ثم يطلقها فوق ضيوفه فاذا طارت ورفرفت تناثر العطر قطرات تنفح الهواء وتبعث السرور في قلوب الحاضرين · ويحكى عن نيرون أنه عندما ماتت زوجته نثر من الطيوب في الشوارع مقادير كبيرة وكان الرومانيون يستعملون هذه الطيوب في الجنازات كما تستعمل اكاليل الزهر الآن وتحمل وراء الميت

ومما يحكى عن أحد الخلفاء انه كان يحب الورد ويرى انه بين العطور كالنبيل بين العامة فلذلك منع العامة من استعماله · وليس أدل على علاقة الزهر بالعواطف من أن المرأة المتبرجة تبالغ في تعطرها بل ان الطبيعة نفسها لا تخالف هذه القاعدة · فان المسك الذي يكون في نافجة الغزال لا تفوح رائحته الا في وقت التلاقح . وفي القضاء الانجليزي شرعة قديمة تقول :

« ان كل امرأة من أية طبقة او صناعة او في أية حال سواء أكانت امرأة او فتاة او ارملة اذا وجد انها بعد صدور هذه الشرعة تخدع او تغري او تؤثر في احد رعايا جلالة الملك حتى يتزوجها باستعمالها للعطور او الشعر العارية او الكعب العالي ستكون عرضة للعقاب الذي يستعمل الآن للسحرة ويلغى الزواج وتلغى آثاره »

ونقول اخيراً انه من نكد الدنيا أن تكون الروائح الكريهة أبعد اثراً في الالم للنفس من اي اثر يحس به الانسان من السرور بشم العطور · فان أقوى الروائح في العالم حسنها وسيئها هي رائحة الظربان فان من يشمها يبقى سنين وهو لا ينسى ألمها

فن التفكير

التفكير السيء والتفكير الحسن

عند ما تتفاوض دولتان في نزاع بينهما وتنتدب كل منهما مندوبين لفض هذا النزاع يقف كل من المندوبين بازاء الآخر موقف المصارع ولكن الصراع هو صراع الرؤوس والغلبة في النهاية لمن يفوز في التفكير الحسن ويكون أسلوبه في هذا التفكير أدق واكثر انتاجاً وأنضج ثمرة من الاسلوب الذي يتبعه خصمه . ونحن في مفاوضتنا القادمة مع الانجليز سنقف منهم هذا الموقف وستكون الغلبة لمن يحسن التفكير . ولسنا بذلك نهمل القوة التي تؤيد الانجليز والضعف الذي يحرجنا ولكن يجب ألا يبرح من أذهاننا أن الامم العظمى في الحرب الكبرى لم يعتمدن على القوة وحدها فانهن كن ينفقن على الدعاية المبالغ الطائلة من المال ويخصصن أعظم الرجال لهذه الدعاية . وما الدعاية في النهاية سوى استنصار للفكر .

ونحن نعيش الآن في زمن يحتاج الى التفكير اكثر مما كان يحتاج اليه أي زمن آخر . وليس ذلك لان زمننا هو زمن الاختراع والاكتشاف فقط بل لان مسائلنا الاجتماعية أيضاً قد كثرت وتعقدت وأصبح العالم يسرع في تطوره فليست أمة الآن تطيق الركود لان الزمن الحاضر يقتضي منها أن تكون صاحية متنبهة لكل انقلاب تستطيع النظر للمستقبل بصدق وسداد حتى لا تفاجئها أحوال جديدة لم تكن قد تهيأت لها . ثم ان حركة العلوم والآداب قد نشطت وسارت في طريق الفكر البكر المنتج بخلاف ما كانت عليه في العصور الماضية حين كان النقل والتقاليد ومأثور السلف كله يقوم مقام التفكير البكر

وقد يقال اننا كلنا نفكر فعلام البحث عن « فن » للتفكير فالدماغ يفكر كما تهضم المعدة طعامها بلا حاجة الى تعليم . وهذا صحيح الى حد ما لان التفكير طبيعي في كل انسان ولكن كما أن الانسان قد يتعود من العادات في الطعام من حيث الكثرة والتنوع ما يسوء به الهضم كذلك قد يتعود من العادات ما يجعل تفكيره سيئاً غير مثمر . وأيضاً يجب أن تتذكر ان الكفايات الطبيعية يمكن تحسينها بالتعليم والمران . فنحن كلنا نقفز ونعدو بالطبيعة والفطرة ولكن فينا المجلي في السباق والقفز ذلك الذي مرّن نفسه وراض ساقيه على الخفة والسرعة . وكذلك التفكير . فاننا كلنا نفكر ولكن فينا السياسي البصير والفيلسوف المنتج والعالم المخترع . ولهؤلاء أسلوب في التفكير يختلف من أسلوبنا

والاسلوب الذي يتبعه معظم الناس في التفكير هو أسلوب البديهة . فان أعمالنا التي نمارسها

كل يوم من تجارة أو زراعة أو حتى صحافة أو طب أو هندسة لا تحتاج الى التفكير البكر فاننا نسلط عقولنا على مصاعبها ونحلها لساعتها كما تلهمنا بديهتنا . وهذه البديهة قد اكتسبناها من التعليم السابق والعادات المغروسة في أنفسنا بجملة عوامل ربما كان أهمها عامل السرعة في البت والحكم لان معظم أعمالنا تحتاج الى أن نقول فيها الكلمة الفاصلة لمجرد ظهور صعوباتها

وهذا الضرب من التفكير نحتاج اليه ولكنهُ لن يكون بكراً وهو اذا اعتاده الانسان فانهُ يحتاج عند تأزم الازمات العظيمة من اختراع أو اكتشاف أو التبصر في خطة سياسية الى نوع آخر نريد به تفكير الروية

العقل وحده لايكفى للتفكير البكر

من الاوهام الشائعة أن العقل هو المفكر وان الفكر منه بمثابة الصفراء من المرارة . ولكن الواقع الذي يثبته علم النفس الآن أننا لا نفكر بعقولنا فقط بل بكل جسمنا أو اذا شئت فقل بكل نفسنا . فنحن نحتاج للتفكير الى افراز الغدد الداخلية بحيث اذا زالت أو ضعفت ساء تفكيرنا كما هو مشاهد في أولئك البله الذين يولدون بنقص في الغدة الدرقية . ثم نحن لا يمكننا أن نفكر حتى تنشأ الرغبة في التفكير ثم تستحيل الى عاطفة لتحمس فنفكر في حماسة وهمة ومثابرة . ولكن هذه الرغبة لن تنشأ في نفوسنا حتى نجد ألماً أو سروراً أو إعجاباً من الناس أو ربحاً منتظراً . أما ما دامت نفوسنا باردة فاترة فاننا لن نفكر تفكيراً بكراً . وكل من مارس الكتابة يعرف أنه لم ينتج شيئاً مثمراً سوى ذلك الذي أحس أنه حمي فيه قبل الشروع في تأليفه . ولذلك يحتاج التأليف الحسن والاختراع المفيد الى وجود رغبة سابقة فيهما . ولكن هذه الرغبة لا تقوم في النفس حتى يجد صاحبها شيئاً يسره أو يؤلمه . ففي أوربا وأميركا يقبل العلماء على الاكتشاف لانهم يجدون من الوسط الذي يعيشون فيه ما يثير سرورهم أو غضبهم ولا يجدون ذلك الفتور الذي يجده العالم في مصر . وأنت لو أخذت رجلاً في قدرة داروين وذكائه ووضعته بين أمة منحطة لا تبالي بالنظريات العلمية لما نشأت في نفسه رغبة التأليف والبحث فنحن نفكر بنفوسنا وهذه النفوس تحتاج الى الوسط الذي يرغبها في التفكير ويجعلها تحمى للسرور أو الالم

الاسلوب الامثل للتفكير البكر

من يتتبع أحوال كبار المفكرين أو المخترعين ويبحث عن الطرق التي اهتدوا بها الى خاطر جليل أو اختراع مفيد أو اكتشاف عظيم يجد أنهم يتسمون كلهم بسمة غريبة ظاهرها الدعة والخمول والكسل وباطنها النشاط الذهني . واذا نحن استقرينا اختباراتهم ألفيناهم يتفقون في هذه الاطوار الاربعة للتفكير البكر

وأول هذه الاطوار الاستعداد · ومعناه الدرس والبحث وجمع المعارف والمقابلة · وهنا تختلط الافكار حتى لا يتميز غثها من سمينها والمخطىء منها من السديد بل يشعر المفكر أنه في حالة ارتباك

ثم يأتي الطور الثاني وهو طور الحضانة التي تختلف من جملة أيام الى جملة أشهر أو حتى سنوات وهنا يكاد ينسى المفكر أنهُ يفكر ولكن عقله الباطن يشتغل بالموضوع يقابل ويجتر ويعاود الدرس وتروح الخواطر وتغدو بلا ثمرة واضحة

ثم يأتي الطور الثالث وهو طور الكشف · وهنا يلتمع خاطر سديد هو الحل للموضوع وكأنه جاء بالهام · ولكن الواقع أن الذهن وهو غائب في الطور الثاني طور الحضانة كان يعمل مجداً وان كان المفكر يبدو للناس كأنهُ في دعة وخمول · فالتماع الخاطر الاخير انما جاء بعد هذه الحضانة

أما الطور الرابع فهو طور التحقيق والمراجعة والتثبت والتمحيص

عوائد سيئة للتفكير

قلنا اننا كلنا نفكر تفكير البديهة ولكن التفكير المثمر هو تفكير الروية · ولا نعني بتفكير الروية تفكير العمد والقصد · لانه وان كان المفكر يبدأ عامداً قاصداً فان سداد التفكير يقتضي الحضانة والنسيان · فالمفكر يحتاج الى أن ينسى نفسه ويترك ذهنه طليقاً يجتر أفكاره كما يشاء · كالبطل المجلي في العدو أو السباحة يجب أن يعمد أولاً ثم يطلق ساقيه بلا عمد ولا ارادة · بل هو اذا اقحم ارادته وهو يعدو فقد ترتبك ساقاه

فادمان العمد والارادة عادة سيئة من عوائد التفكير · والانسان يجري في معيشته ومسلكه على طريقة المحاكاة والتقليد · والتفكير يكاد يكون زياً من الازياء يجري فيه الانسان على ما يرى حوله وعلى ما ينشأ عليه من التربية والمحاكاة · وهناك من العادات والمعايش ما يعوق المفكر عن التفكير الحسن · فالكاتب الذي يكتب في جريدة يومية مقالاً كل يوم قلما يعرف طور الحضانة حين تجتر النفس موضوع تفكيرها على غير وعي منها · وهذا بخلاف الكاتب في مجلة شهرية · ولعلنا لا نظلم فرح أنطون حين نقول ان جميع مخلفاته الادبية انما كتبها وهو يحرر مجلته الشهرية فلما دخل الصحافة اليومية لم يفكر بعد ذلك في كتاب مفيد

وقد قلنا ان الانسان مفطور على المحاكاة ولكل وسط زي غالب في التفكير كأنهُ زي اللباس فاذا نشأ الصبي على أن ينظر بعين الاهتمام والاحترام الى الاستظهار أي الحفظ عن ظهر قلب فان هذه العادة تتشبث به الى يوم وفاته في الشيخوخة ولا ينتظر منه أن يكون مفكراً لانهُ سيقرأ كل ما يقرأ ونفسه نازعة الى عادتها القديمة عادة الاستظهار ولو كان ذلك للافكار نفسها لا للعبارات

فقط . ولعل الكارثة العظمى المبتلي بها الادب العربي الآن من حيث استظهار الادباء لعبارات الاقدمين وصرفهم مجهود نفوسهم الى تحفظها ترجع الى أنهم وهم صبيان في المكاتب تعودوا الاستظهار وليس عجباً أنك تجد اكثر الكتاب حباً للعبارات المحفوظة اكرههم للتفكير ولو لم يكن بكراً

فهاتان عادتان من عوائد التفكير السيء . عادة الكتابة السريعة حين يعتمد الكاتب على بديهته في الجريدة اليومية مثلاً وعادة الاستظهار ينشأ عليها الصبي فاذا شب أخذ يجمع الافكار والعبارات بدلاً من ان ينقد ويمحص ويبتكر

عوائد حسنة للتفكير

التفكير الحسن يحتاج الى حضانة . وقد ضربنا الامثلة بالكتاب الذين يكتبون عن روية والذين يكتبون عن بديهة . ولكن ميادين الاعمال التي تحتاج الى التفكير الحسن كثيرة فان رجل السياسة او الطب او الادارة او العلوم كلهم يحتاج الى حضانة حتى يثمر تفكيرهم

ويمكننا جميعاً ان نعاون انفسنا بتقييد خواطرنا مدة الحضانة فان الخواطر تروح وتجيء ويحل بها النسيان . فاذا نحن قيدناها بالتدوين ، ثم عدنا فجعلنا الخاطر الذي دوناه رأساً لموضوع جديد ندرسهُ ونفحصه فان الخواطر يتسع الميدان لها ويجر احدها الآخر وقد نهتدي ونحن في طريق الغاية الاصلية الى كنز ثمين ولو لم نصل الى تلك الغاية كالعرب كانوا يبحثون عن احالة المعادن الخسيسة الى ذهب فاخفقوا في الغاية ولكنهم عثروا في طريقهم على معارف مفيدة في الكيمياء

ومعظمنا يمارس اعمالاً تتكرر كل يوم ، والعقل مثل سائر الاعضاء يستسهل العادة ولذلك يحسن بكل منا ان يكف كل عام نحو شهر عن عاداته الذهنية فيقرأ أشياء مخالفة لآرائه أو لا يقرأ شيئاً البتة وانما يقتصر على تغيير المنظر والوسط المألوفين . واذا كان « تغيير الهواء » مفيداً للصحة الجسمية فان تغيير الثقافة مفيد للصحة الذهنية

وخلاصة القول ان التفكير البكر يحتاج الى حضانة وان المخترعات والمكتشفات والخواطر الجليلة تأتي في إحساس الشخص المفكر عفواً الى الذهن كأنها الهام لما سبق من حضانتها مدة طويلة أو قصيرة . ولكن المفكر يحتاج الى ان يوفق حتى في تربيته العوائد السيئة من التعجل والاهتمام لاشياء تعوق التفكير كالحفظ والجمع وايضاً يحتاج الى اصطناع عوائد حسنة مثل الروية والحضانة والخروج من وقت لآخر من العوائد المتأصلة والعقائد القديمة

س . . .

الحياة العلمية فى العصر العباسى

وحركة النقل عند العرب

ننقل هذا البحث من المجلد الاول من كتاب « عصر المأمون » للدكتور أحمد فريد رفاعي ، وسيصدر الكتاب في مجلدين كبيرين قريباً [المحرر]

نعلم من تاريخ اليونان القديم ، ان أثر اليونان في الثقافة الانسانية عظيم وعميق ، لانه الى جانب امداد العالم بمنتجات فلاسفة اليونان وعلمائهم وكتابهم ومفكريهم ، فقد أمده أيضاً بالنخب والملح مما وقف عليه اليونان من زبدة علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والهنود والفرس والرومان . واذا ما قلنا ان العرب وقفوا على الفلسفة اليونانية ومنتجات العقول اليونانية فكأننا نقول ضمناً بوقوفهم على آثار العقليات الانسانية العامة وانهم وقفوا على آثار الثقافة القديمة والحضارات القديمة

ونعلم ان الدولة العباسية كانت فارسية الى حد ما . أو على الاقل كانت متصفة بالطابع الفارسي متأثرة به . ونعلم من تاريخ سقوط الدولة الرومانية للاستاذ جبون اضطهاد مدارس اثينا بمعرفة جستنيان لانه كان خصماً للفلسفة الوثنية ، وكانت الفلسفة الافلاطونية حينذاك قد آتت ثمرتها ونضجت ثم هرع اصحابها الى الفرس واتصل بأنو شروان سبعة من علماء اليونان فاكرم وفادتهم وأفسح لهم مجال التأليف والنقل فيما هم اهله واصحاب القدح المعلى فيه . ويقول لنا ابن النديم في الفهرست ان الفرس نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسية فنقل ذلك الى العربية عبد الله بن المقفع . فمن الاستنتاج المعقول اذن ان العرب حين اتصلت ثقافتها بالثقافة الفارسية تأثرت في الوقت نفسه بالثقافة اليونانية ايضاً . ولم تكن الثقافة الفارسية مما يستهان بأمرها او يغمط قدرها ، لانك اذا سردت تاريخ كبار ملوكهم مثل سابور بن ازدشير مثلاً تجد انه في خلال عهده بعث الى بلاد اليونان واستجلب كتب الفلسفة وامر بنقلها الى الفارسية واختزنها في مدينته وأخذ الناس في نسخها وتدارسها

فالثقافة العربية استفادت ايما افادة من منتجات الفرس وآثارهم وتراجمهم

لنتدرج الآن الى شيء من التوضيح بسيط فننقل لك ما يقوله ابن صاعد الاندلسي في هذا الباب لانه مختصر عما تعرض له أمثال الاساتذة « نلاينو » وابن ابي صيبعة والقفطي وابن النديم وغيرهم ممن هم عدتنا وموئلنا حين نعرضنا لهذه البحوث في العصر المأموني ولكننا الآن في سبيل المقدمة موجزة

يقول ابن صاعد « ان أول علم اعتني به من علوم الفلسفة علم المنطق والنجوم . فأما المنطق فأول من اشتهر به في هذه الدولة عبد الله بن المقفع الخطيب الفارسي كاتب أبي جعفر المنصور

فانه ترجم كتب ارسطاطاليس المنطقية الثلاثة التي في صورة المنطق وهي كتاب قاطاغورياس ، وكتاب باري ارمنياس ، وكتاب انالوطيقا . وذكر انه لم يترجم منه الى وقته الا الكتاب الاول فقط وترجم ذلك المدخل الى كتاب المنطق المعروف بالايساغوجي لفرفوريوس الصوري وعبر عما ترجم من ذلك عبارة سهلة قريبة المأخذ وترجم مع ذلك الكتاب الهندي المعروف بكليلة ودمنة وهو اول من ترجم من اللغة الفارسية الى اللغة العربية

وأما علم النجوم فأول من عني به في هذه الدولة محمد بن ابراهيم الفزاري ، وذلك ان الحسين ابن حمد المعروف بابن الرومي الآمدي ذكر في تاريخه الكبير المعروف بنظام العقد انه قدم على الخليفة المنصور في سنة ست وخمسين ومائة رجل من الهند عالم بالحساب المعروف بالسند هندي في حركات النجوم مع تعاديل معلومة على كردجات محسوبة لنصف نصف درجة مع ضروب من اعمال الفلك ومع كسوفين ومطالع البروج وغير ذلك في كتاب يحتوي على اثني عشر باباً وذكر انه اختصره من كردجات منسوبة الى ملك من ملوك الهند يسمى فبغر وكانت محسوبة لدقيقة فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب الى اللغة العربية وأن يؤلف منه كتاب تتخذه العرب أصلاً في حركات الكواكب فتولى ذلك محمد بن ابراهيم الفزاري وعمل منه كتاباً يسميه المنجمون بالسند هند الكبير وتفسير السند هند باللغة الهندية الدهر الداهر ... »

وقد يكون من المستصوب ان نفهم حقيقة وجهة نظر العرب حينذاك الى علم الفلك فهم كاليونانيين في زمن بطليموس كان غرضهم في الهيئة تبين الحركات السماوية مع كل اختلافاتها المرئية بأشكال هندسية تمكنهم من حساب أوضاع الكواكب لاي وقت فرض ، فان كانت تلك الاشكال تصلح لحساب الظواهر وضوابطها وما اهتموا بالمباحثة هل هي موافقة لحقيقة حركات الاجرام السماوية وذلك لظنهم ان البحث عن حقيقة الحركات وعللها يكون على المشتغلين بالحكمة والطبيعة والحكمة الالهية

وانما نجد بقطع النظر عن احكام النجوم المرفوضة في أيامنا قطعياً ، ان الهيئة عند العرب قد اشتملت على علم الهيئة الكروي والعملي وقسم صغير من النظري يخص الكسوفات واستتارات الكواكب السيارة مع علم التاريخ الرياضي وعلم اطوال البلدان وعروضها على طريقة كتاب الجغرافية لبطليموس فقد خرج عليهم من علم الهيئة عند العرب علم الميكانيكا الفلكية وعلم طبيعة الاجرام السماوية واكثر علم الهيئة النظري حيث انه يبحث عن حقيقة حركات الكواكب

فلا مرية اذن ان العرب الى جانب وقوفها على الفلسفة الفارسية والحكمة اليونانية قد وقفت ايضاً على آخر الآراء العلمية في ذلك الحين خاصة علم الفلك لانها وقفت على آراء بطليموس فيما وقفت عليه من الآراء وبطليموس كما قال البتاني قد تقصى علم الفلك من وجوهه ، ودل على العلل والاسباب العارضة فيه بالبرهان الهندسي والعددي الذي لا تدفع صحته ولا يشك في حقيقته

درس بالمحنة والاعتبار بعده وذكر انه قد يجوز ان يستدرك عليه في ارصاده على طول الزمان كما استدرك هو على ابرخس وغيره من نظرائه لجلالة الصناعة ولانها سماوية جسيمة لا تدرك الا بالتقريب . أما عن ترجمة كتاب زيج بطليموس المقول بأن ايوب وسمعان فسّراه لمحمد بن خالد البرمكي فسنتكلم عنه وعن امثاله حين تعرضنا لهذه الموضوعات في العصر المأمون

على انه يجدر بنا في هذه الفذلكة أن نشير الى الكتب البهلوية الثلاثة التي توصل الى اكتشاف أثر نقلها فيما قبل انتهاء القرن الثاني للهجرة الاستاذ نللينو احدها في علم اهيئة الحقيقي وهو زيج الشاه او زيج الشهريار واثنان في صناعة احكام النجوم وهما المزيدج في المواليد المنسوب الى بزرجمهر و كتاب الوجوه لتنكلوس ونشير هنا ايضاً الى ان كتاب المجسطي نقل في أيام الرشيد

وانا نلخص الك هنا ما لاحظه المرحوم جورجي بك زيدان في امر النقل من ان العرب مع كثرة ما نقلوه عن اليونان لم يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية او الادبية او الشعر مع انهم نقلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود فقد نقلوا جملة صالحة من تاريخ الفرس وأخبار ملوكهم وترجموا الشاهنامة ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودوتس ولا جغرافية استرابون ولا الياذة هوميروس ولا اوذيسته والسبب في ذلك ان اكثر ما بعث المسلمين على النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق

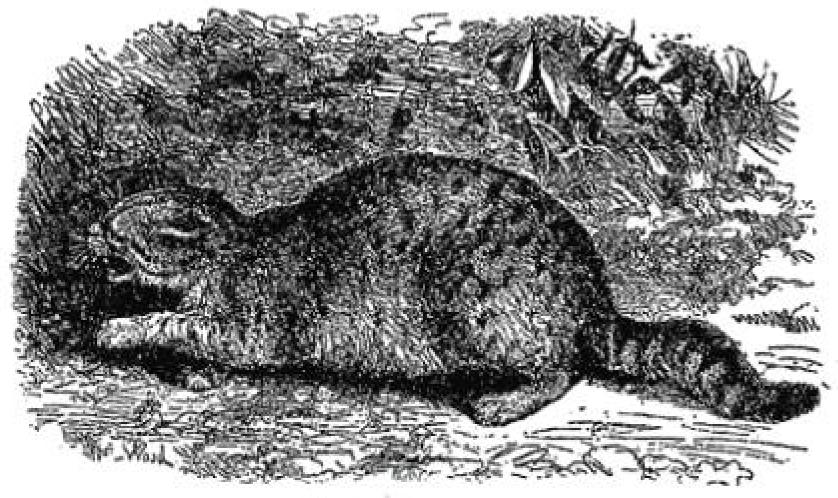
ولا يستخف بما اقتضاه ذلك النقل عن أشهر امم الارض في ذلك العصر من التأثير في الآداب الاجتماعية والآراء العامة لا سيما ما نقل عن الفارسية لان معظمه في الادب والتاريخ فدخل الآداب العربية كثير من آداب الفرس الساسانية واكثرهم اقتبسها العرب من الكتب التي نقلت عنهم ولم يبق منها الا الف ليلة وليلة و كليلة ودمنة ونتف متفرقة في بعض الكتب وقد درس هذا الموضوع المستشرق اينواسترانسيف الروسي ووضع فيه كتاباً طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ على انا نلاحظ ان تأثير هذا النقل عن الفرس لا يزال قائماً الى الآن في بعض الكتب العربية التي وضعت في عصر المأمون نذكر منها على طريق التمثيل كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة والتاج للجاحظ . على هذه المنقولات بنى المسلمون ما ألفوه في هذه العلوم في اثناء تمدينهم غير ما اختبروه وأضافوه اليها من عند انفسهم

وان المطلع على ما جاء بالفهرست لابن النديم خاصاً بتلك المنقولات يعلم مع شديد الاسف بأن جلها قد ضاع . على انه كان للقليل الباقي منها أثره الفعال في نهضة اوربا وأهم ما بقي من ذلك التراث القيم هو كتاب المجسطي لبطليموس ترجمه الحجاج بن يوسف و كتاب السياسة في تدبير الرياسة ترجمه يوحنا بن البطريق وبعض آثار لقسطا بن لوقا البسلبكي وغيرها

الدكتور احمد فريد رفاعي

الانفعالات النفسية

وعلاماتها عند الحيوان والانسان



الغضب : قط بري غضب وقد تهيأ للقتال

من الثابت ان الاشارة باليد للتعبير عن رغبات الانسان كما يفعل البكم سبقت الكلام وان الرموز والصور ـ كما هما في الهيروغليفية ـ سبقت حروف الهجاء

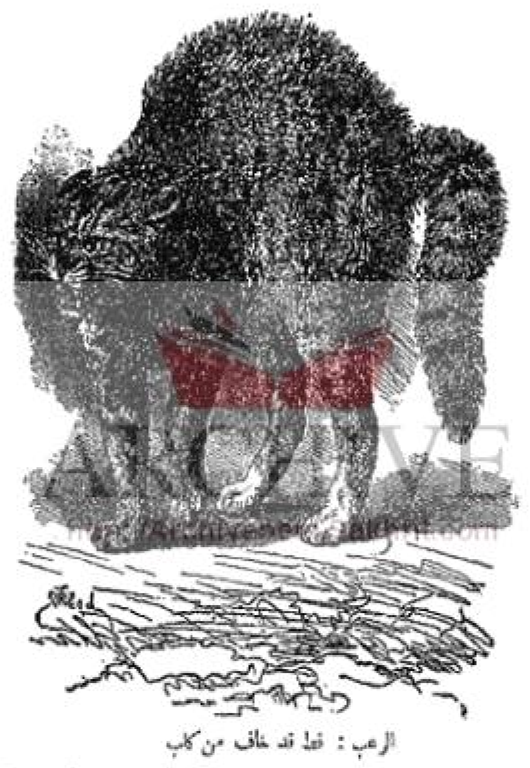
ولا نزال للآن نعبر عن بعض أغراضنا بحركات في الجسم فاذا عرض لنا شيء لا نوافق عليه عبرنا عن ذلك ـ علاوة على كلمة النفي ـ بهز الرأس أفقياً من جهة لاخرى وهذه عادة تأصلت فينا من الصغر • فان الطفل عندما يقرّب لفمه طعام يمجه يهز رأسه بالكيفية السابقة وذلك ليحول بين فمه والطعام

واذا أراد شخص أن يدعو آخر بعيداً عنه فعلاوة على كلمات النداء تجده يشير بيده كأنه يجذبه اليه وأيضاً اذا أراد أن يأمر الخادم مثلاً باحضار شيء له تراه يشير بيده اشارة خاصة كأنهُ يريد أن يدفعه ويساعده في الذهاب

وللانفعالات النفسية كالغضب والخوف والحزن والاشمئزاز والضحك والاستغراب والخجل وما اليها ما يدل عليها من حركات الجسم • وسأحاول في هذا المقال أن أشرح كيف نشأت هذه الحركات معتمداً على ما قاله الفيلسوف العظيم والعالم الكبير السير تشارلس داروين

عندما يغضب الحيوان لسبب ما يقف شعره خصوصاً شعر الظهر والرقبة وتتسع حدقتا عينيه ويكشر عن أنيابه ويشد جسمه كي يصبح شكله مخيفاً بحيث يلقي الرعب في قلب عدوه

كذلك الانسان تظهر عليه هذه العلامات او ما يقرب منها وقت الغضب فان شعر رأسه يقف ويطبق فمه دلالة على انهُ يريد تنفيذ شيء صمم عليه ويقبض يديه استعداداً لضرب العدو . ولنشاط الدورة الدموية في الجسم في أثناء ذلك واحتياجه لكمية عظيمة من الهواء ترى التنفس وضربات القلب وحركات الصدر في ازدياد عظيم كذلك يزيد اللعاب في الفم وربما كانت زيادته هذه ناتجة من ان الانسان وهو في حالته الوحشية الاولى كان يحاول التهام عدوه في هذه الاحوال ولتسهيل هذا الالتهام تراه مضطراً لزيادة كمية اللعاب ومن كثرة ممارستها أصبح شعور الانسان



الرعب : قط قد خاف من كلب

بالغضب مهيجاً لغدد اللعاب . أما في الخوف فانه يفتح الفم وتتسع العينان كي يتمكن الانسان او الحيوان من رؤية ما أحدث الخوف والفزع . وتزداد ضربات القلب و يسرع التنفس ويستعد الخائف دائماً للهرب من هذا المأزق المخيف وأهم ما يلاحظ وقت الخوف قلة اللعاب في الفم وسببه اضطراب المخ في هذه الاحوال والذي يترتب عليه عجز بعض الغدد ومنها غدد اللعاب عن اداء وظيفتها . وقد كان للخوف المقام الاول اذ كان الانسان قديماً يسكن الكهوف التي تجاور الوحوش الضارية التي كانت بينه وبينها حرب دائمة

وبعد الغضب والخوف يهمد الجسم ويعدّ هذا رد فعل لنشاطه الجسم السابق

وفي الحزن عندما نشاهد طفلاً قبلما يبدأ في الصياح ترى الطرفين الداخلين للحاجبين القريبين من الانف يرتفعان كذلك تهبط زاويتا الفم بعد انطباقه · ثم تتكمش الاعصاب القرية من العينين وذلك لتمنع الدم الذي يتدفق في مثل هذه الاحوال من ايذاء العين



الخوف : رجل مرعوب

وعملية تكمش أعصاب العين خصوصاً السفلى منها تشد الشفة العليا للفم الذي تتسع فتحته في أثناء ذلك

وبتكمش الاعصاب المذكورة تُضغط الغدد الدمعية ومن ثم تسيل منها الدموع

من هذا يتضح أن أي ضغط للغدد الدمعية يسبب انهمار الدموع حتى في غير أحوال الحزن كالاغراق في الضحك او التحديق في نور ساطع او التثاؤب · ولا يختلف البكاء عند الكبار عنه عند الاطفال الا أن الكبار لا يصيحون أو يولولون الا في الحالات الصعبة . وعندما

يشعرون بما يحزن ترام يكشون الاعصاب التي حول العين والتي يتسبب منها امتلاء العين بالدموع ومن ثم انحدارها على الخدود

ومما يشاهد في أثناء البكاء زيادة اللعاب ونظراً لكثرة ما يتدفق من الغدد الدمعية من الماء نرى جزءاً منه يسيل من الانف لان الاخيرة تتصل من الاعلى بمجرى العين

وفي الاشمئزاز يحول الانسان وجهه عما يسبب الاشمئزاز ويحرك فمه حركات تشبه كثيراً تلك التي نعملها عند ما نريد أن نلفظ طعاماً كريهاً من الفم وغالباً يعقبها بصاق كما تفعل لتنظيف الفم مما يكون عالقاً به من الطعام المكروه

وفي أثناء الضحك تنشط الدورة الدموية ويزيد بريق العينين وتسحب زوايا الفم الى ناحية



السرور : قرد يضحك

الاذنين مع رفعها قليلاً وهذه تسبب ظهور أخدودين يبتدئان من فتحتي المنخارين وينتهيان الى ما تحت الفم

وفي التسمع يفتح الفم لكيلا يكون صوت التنفس من الانف حائلاً دون سماع الصوت وايضاً ليفتح طريقاً آخر ليصل الصوت منه الى الاذن

وأغلب الحيوانات تحول أذنيها لجهة الصوت . وبمناسبة تحريك الاذن نقول ان الحيوانات كالكلاب والقطط مثلاً التي تعتمد كثيراً على أنيابها وقت المشاجرة تلصق آذانها برأسها خوفاً من تمزيقها وقت العراك

وقد كانت لنا القدرة على تحريك آذاننا ولكن سهولة تحريك الرأس في أي جهة نريدها حال دون ذلك ولا يزال بعضنا قادراً على تحريكها حتى الآن

كذلك كانت لنا القدرة على تحريك جلد أجسامنا كما تفعل الخيل عند ما يضايقها الذباب والبعوض ولكن ابدينا وفرت علينا هذه الحركة

وعند الاستغراب تنفتح العينان كي نتمكن من رؤية ما يسببه ويرتفع الحاجبان وهذا يحدث تجعداً في الجبهة كما في الخوف ويهبط الفك الاسفل للفم وذلك لانصرافنا نحو ما أثار الدهشة وبهذا الانصراف تضعف الاعصاب عن حمل هذا الفك وجمله في حالته العادية

أما استجماع الفكر فيجعلنا نخفض الحاجبين وهذا يسبب تجعداً ظاهراً بأعلى الانف وذلك



عدم الرضا : شمبنزي يمد شفتيه اعلانا لعدم رضاه

كي نحصر نظرنا في شيء واحد امامنا او ما نتصور انهُ امامنا ونهمل رؤية بقية الاشياء التي ربما عاقتنا عن دركه

وعندما نريد أن نظهر عدم قدرتنا على عمل شيء نقلب الايدي مظهرين الاكف كأننا نقول ان ليس معنا ما ندافع به كسلاح وغيره واظن فكرة التسليم بالايدي قائمة على أساس اننا نسالم غيرنا باظهار ان اليد خالية من السلاح او ما كان يستعمل قديماً في القتال

وعند الخجل تعلو الوجه حمرة اصطلحنا على تسميتها « حمرة الخجل » و يصحب ذلك اضطراب في حركات الشخص . ولتفسير هذا نقول ان الانسان يهتم كثيراً بنقد الناس إياه خصوصاً ما تعلق منه بشكله واهم جزء يدل على شكل الانسان هو وجهه فاذا عرفنا ان احدهم ينتقد شكلنا

نقلت أعصاب الوجه هذا الاحساس الى مراكز المخ العليا وهذه تصدر أوامرها الى الجهات المختصة بارسال كمية من الدم في الوجه فتعلوه حمرة الخجل و بتوالي الزمن أصبح اي انتقاد لافعالنا أو شعورنا باننا خرجنا عن المألوف أو عملنا عملاً نخشى من افتضاح أمره موجباً تخجلنا

وصغار السن من الجنسين اكثر خجلا من العجائز والمرأة اشد خجلاً من الرجل

ومما يثبت ارتباط الخجل ارتباطاً كبيراً بآراء الغير ان المرء اذا ارتكب جريمة وتأكد من عدم ظهورها للملأ لا يخجل بينما يضطرب و يحمر وجهه خجلا اذا و بخه أي شخص خصوصاً اصحابه ورؤساءه على هفوة بسيطة

والدليل على ان جميع ما مر بالقارىء وراثي قد استقيناه من جد واحد ان العالم على اختلاف أجناسه يشترك في التعبير عن هذه الانفعالات النفسية بحركات متشابهة

كذلك الاطفال يولدون و بهم استعداد لعمل هذه الحركات وايضاً نرى العميان يعمدون عند التعبير عن انفعالاتهم النفسيــة لمثل هذه الحركات كاحمرار الوجنات عند الخجل مع انهم لا يرون النظرات القاسية لمن يخجلون منه . كذا يهزون اكتافهم دلالة الاستخفاف و بالاختصار يشتركون مع الاصحاء في جميع ما ذكر

ولرب معترض يقول ان الاطفال في الاسابيع الاولى لا يبكون بل يصيحون من غير دموع تسيل على خدودهم والحقيقة ان الغدد الدمعية في مثل هذه الاحوال ينقصها مران بسيط بعده نرى العين ممتلئة بالدموع واذا حدث وهيجت الجفون بلمسها بأي شيء خشن لامتلأت العين أيضاً بالدموع

كذلك الضحك والخوف موجودان في الاطفال ولكنهما لا يظهران الا في وقت متأخر

حنا ابراهيم



كنوز العالم
وكيف نستغلها

مرت بالانسان أطوار مختلفة من الرقي الصناعي فكان في كل طور يزداد قوة بازدياد قدرته على الانتفاع بالطبيعة · فقد كان يعيش قبلاً في العصر الحجري ثم عرف الزراعة فاستطاع بذلك أن يزيد عدده من بضع مئات الالوف الى مئات الملايين · فقد كانت أوربا مثلاً قبل معرفة الزراعة لا يزيد سكانها كلها عن نصف مليون نفس فلما عرفت الزراعة ومارستها صار سكانها يعدون بالملايين · وعرف المصريون النحاس فصنعوا منه الادوات التي قدّوا بها الحجر وعلموا الناس فن البناء · ثم اكتشف الحديد في آسيا الصغرى وصنعت منه الاسلحة فكان السبب الاصلي في فتوحات الاسكندر والامبراطورية الرومانية · ومنذ أقل من مائتي سنة عُرف البخار واستعمل في ادارة المصانع فانتقلت اوربا من الحال الزراعية الساذجة التي لم تكن تختلف فيها عنا نحن المصريين الى حال صناعية راقية جلبت عليها المال والقوة من جميع اركان العالم

والآن يوشك العالم ان يدخل في طور جديد قد نُفاجأ به او ببعضه في هذا القرن وقد يتأخر بضع مئات من السنين · ولكن المحقق أننا الآن على أبوابه · وهذا الطور هو الارتقاء الطبيعي للصناعة بارتقاء العلوم الطبيعية · ففي العالم كنوز مخبوءة في باطن اليابسة والبحر وفي حرارة الشمس التي تبعثها الينا كل يوم وفي التيارات البحرية بل في المادة نفسها أي مادة تلمسها بيدك من تراب او حجر أو ماء او خشب · ونحن نذكر فيما يلي ستة من هذه الكنوز التي ينتظر من العلماء في الوقت القريب أو البعيد أن يستغلوها

١ — الذرة

قد ينجح احد العلماء في استغلال الذرة وقد يتأخر استغلالها الف سنة · فان الاغريق عرفوا الكهربائية التي اشتققنا نحن اسمها من الكهرباء لتجاربهم السابقة فيه ومع ذلك لم يستغلوا معرفتهم · وقضى العالم نحو الفي سنة قبل ان يعرف فائدة الكهربائية · وقد يتأخر استغلالنا لمعرفتنا بالذرة مئات السنين كما حدث في الكهربائية

ولكن الذرة هي شغل العلماء الطبيعيين الآن والمعقول أن إدمان درسها وفحصها سيؤدي الى استغلالها في يوم قريب · ولكي نعرف مقدار ما ينتظر منها نفرض أن امامك كوباً من الماء · فهذا المقدار الصغير من الماء اذا عرفنا كيفية استغلال الذرة فيه من الطاقة (اي القوة) مقدار ما في ٤٨٠٠ طن من الفحم اي ان الباخرة القائمة من الاسكندرية تقصد الى الهند يكفيها ان تحمل كوباً من الماء فقط لكي تبلغ غايتها · فان الماء مؤلف من جزيآت وكل جزيء مؤلف من ذرات · وجزيء الماء يحتوي على ذرتين من الهيدروجين وذرة من الاكسجين · ثم ان جزيء الهيدروجين

يزن ٨ ٠٠ر١ وحدة ذرية . والذرتان تزن ضعفي هذا العدد اذا كانتا في جزيء . ولكن هنا شيئاً غريباً . وهو ان الهليوم تحتوي ذرته على اربع ذرات من الهيدروجين ولكن بدلاً من ان يكون وزنها اربعة أضعاف الذرة نراها فقدت ٠٣٢ر وحدة ذرية . فأين ذهبت ؟

هذا هو اصل الكلام الكثير الذي نسمعه الآن عن الذرات . فان جميع العناصر كالحديد والذهب والراديوم والمواد كلها مؤلفة من ذرات . وهي تختلف في عدد الذرات بحيث اذا أمكننا ان نهتدي الى طريقة تجعل في مقدورنا التصرف بهذه الذرات في العدد والترتيب استطعنا ان نحيل العناصر فنجعل من الحديد ذهباً أو رصاصاً . ولكن ليست الغاية تحويل العناصر وانما العبرة بهذه الطاقة المفقودة وقت التحويل التي رأيناها عند تحويل ذرات الجزيء من الماء الى هليوم . فان هذه الطاقة يمكن استعمالها في إيجاد حرارة او كهربائية أو أي نوع آخر من القوة

٢ ـ الطعام من الماء

ليس الزمن بعيداً حين يمكن إحالة الخشب الى طعام للناس او علف للمواشي وهو الآن يحال بسهولة الى أقمشة والى ورق واذا وُفق الكيمائيون الى ذلك فان عصر الزراعة ينتهي من العالم ولا يعود احد يزرع شيئاً إلا للزينة والعلم . وانما تستحيل الحقول غابات كما كانت قبل معرفة الزراعة

ولكن علماء الطبيعة يطمعون في اكثر من ذلك . فان هذا الكوب من الماء الذي فرضناه يمكن إحالة مائه أيضاً ، اذا استطعنا ان نمتلك ناصية الذرة : الى سكر أو نشاء أو الى شحم أو زلال . فقد قلنا ان الجزيء من الماء يحتوي على ذرتين من الهيدروجين وذرة واحدة من الاكسجين . ونحن نعرف أن ستاً من ذرات الكربون اذا أضيفت الى ستة جزيئات من الماء تكوّن منها جزيء من السكر . واذا نحن أنقصنا وزدنا في جزيئات هذا السكر أمكننا ان نحصل على مواد الطعام الاخرى

٣ ـ المد والجزر

ثلاثة أرباع سطح الارض يغطيه الماء ، وهذا الماء كله يرتفع و ينخفض مرة كل يوم . فكم من الطاقة يضيع هباء بلا فائدة بارتفاع هذا المقدار العظيم من الماء وانخفاضه كل يوم ؟

وحكومات العالم الكبرى تشتغل الآن بدرس تيار المد والجزر بغيـة الانتفاع به . فأمام الحكومة الفرنسية مشروع يراد منه إقامة مصنع على شاطىء فرنسا ينتج من الطاقة مقدار ٥٠٠٠ حصان . وتنوي انجلترا أن تنفق ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٠ جنيه للانتفاع بالمد عند مصب السفرن . وتنوي ولاية مين من الولايات المتحدة أن تنفق ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠ للانتفاع بالمد في خليج فندي

والانتفاع بالمد يكون بالطبع عند الشواطىء بأن توضع آلات اذا ارتفعت او انخفضت حركت دواليب وهذه الدواليب تولد كهربائية للاضاءة او لادارة المصانع . ونحن نولد الكهربائية بالفحم او بالشلالات . وفي الفحم نخسر ٨٤ في المائة من قوته أما الشلالات فتتكلف تكاليف كبيرة

فاذا أُنشئت آلات لتوليد الكهربائية من المد توافرت للناس قوى جديدة لا تستغل الآن ولا تتكلف مثل المبالغ التي تضيع باستعمال الفحم او المياه الساقطة من الشلالات

٤ ـ اختزان الحرارة وتوجيهها

معظم الخسارة في استعمال الوقود تنشأ من تبعثر الحرارة في كل جهة فلا تذهب متجهة الى الغرض المقصود منها . فحرارة الآلة البخارية لا يستعمل منها في جر القطار سوى نحو ١٠ في المائة والباقي لا يمكن ضبطه والتحكم فيه فيذهب عبثاً . والمصابيح الكهربائية تشع حرارتها بلا فائدة بحيث لو كنا نعرف مادة تمنع تسرب الحرارة وتضبطها في جهة معينة لكان صاحب المنزل الذي ينفق الآن مائة قرش في الشهر لاضاءة منزله لا ينفق سوى اربعة او خمسة قروش فقط . ثم ان حرارة الشمس التي تبعثها الينا كل يوم تذهب او يذهب معظمها هباء . فلو اننا استطعنا ان نحيل الحرارة الى جسم نحمله في آنية لا تشع منها بحيث اذا أردنا ان نطبخ فتحناها وسلطناها على الطعام فلا تذهب الحرارة إلا في ناحية الطعام فقط لكان لنا من هذا الاختراع اقتصاد عظيم

وما دمنا نقول ان المادة صورة اخرى من الطاقة فليس بعيداً على الذهن ان تحال الحرارة الى مادة . بل يقول العلماء ان أشعة الشمس تكسب الارض بضوئها وحرارتها كل عام ٨٠٠٠٠ طن أي ان بعض حرارة الشمس يستحيل الى مادة

٥ ـ احالة العناصر

كانت إحالة العناصر الشغل الشاغل لكيمائيي القرون الوسطى وهي الاصل في الكيمياء الحديثة والعلم يثبت الآن أن الذرات تبنى في المادة على نظام واحد: نواة في الوسط مؤلفة من بروتونات وحولها كهارب ونصف البروتونات او اكثر من النصف مرتبط بهذه الكهارب . وسائر البروتونات حر طليق . وعددها هو الذي يميز عنصراً من عنصر . ففي نواة الزئبق مثلاً ٨٠ بروتون طليق فاذا فقد منها بروتون واحد صار الزئبق ذهباً . وبديهي أنهُ اذا نجحت عملية احالة الزئبق الى ذهب فان الحكومات تكف عن استعمال الذهب نقوداً . ولكن يرجى من مثل هذا الاكتشاف أن تحال المعادن السخيفة الى معادن مفيدة للصناعة والحضارة

٦ ـ حرارة الارض

ليس شك في ان باطن الارض حار بدليل البراكين والفوارات الحامية ولكن لم يمكن أحداً للآن أن يستعمل حرارة الارض . وأبعد ما بلغه الانسان في نقب القشرة ٧٧٤٥ قدماً بلغها المنقبون عن البترول

فاذا امكننا أن نستغل حرارة الارض توافر لدينا وقود جديد لا ينفد ولا نحتاج معه الى التفكير في فحم أو بترول . وربما كان الخوف من نفاد هذين الوقودين اكبر ما يجعل الحكومات تتراخى في هذه الطاقة التي بباطن الارض والتي يمكن كل انسان أن يجد فيها كنزاً لا يفنى

كيف يعيش المرء هنيئا في هذه الحياة؟

ثلاثة ردود أخرى مستحسنة

نشرنا في الجزء الماضي من الهلال المتاليين اللذين نالا الجائزة في مسابقة الهلال واولهما السيدة كلثوم عودة فاسيليفيا (من لينتغراد بروسيا) . وثانيهما محمد توفيق يونس افندي (من مصر) . ووعدنا بنشر ردود أخرى مستحسنة . وها نحن أولاء ننشر هذه الردود ولا بد لنا هنا من اعادة ما قلناه من قبل وهو ان لجنة التحكيم اعتمدت في حكمها على شرط المسابقة المنشور في الهلال ومنه يظهر جلياً ان المطلوب ايراد اختبارات شخصية ومشاهدات واقعية وليس مجرد البحث النظري [المحرر]

١ - د. مصطفى مصطفى مشرفه

هذه صورة من السعادة لها مما اشترطه الدين للهناء قدر ، ولها مما اشترطته الفلسفة قدر آخر ، ولها مما اتفق الناس على انه مثل أعلى للهناء نصيب أكبر من نصيبها من سعادة الدين والفلسفة

وهي صورة حية لرجل حي له آمال وضمير وبه ضعف البشر وحوله فتنة الدنيا وزينتها ، تغلبه الشهوات حيناً فيرضيها وتعصمه الفضيلة أحياناً فيعتصم بها ، وهو يحيا بين ذلك جم الامل في الخير ، شديد الثقة بنفسه ، دائم العمل لهناء زوجته وأولاده

هي صورة صديق أجنبي له من العمر أربعون عاماً وله من زينة الحياة زوجة وأربعة صغار يسعى جهده ليعولهم ويتقدم فيشتق من ذلك بعض سعادته . أصابه من محن الحياة ما لو أصاب غيره من سواد الناس لنغص عليه عيشه وسارع به في غير أوان الى وهن الشيب وركاكة الكبر ، ورغم ذلك فقد استطاع الرجل أن يسقط من حساب المقدر لعمره فوق الخمسة الاعوام بفضل ما احتفظ به من رونق وشباب

سألته يوماً أأنت سعيد يا فلان ؟ فلم يتردد في القول ايجاباً ، قلت فبماذا أنت كذلك ؟ فامضى برهة في صمت باسم وديع لا يشوبه تقطيب التفكير ثم ضحك قائلاً سوف اخبرك الآن كيف مارست هذه المهنة مهنة الهناء حتى قربت من حذقها . فأول عوامل السعادة عندي الشعور بالحياة ، وثانيها الضحك وثالثها أن يصور المرء لنفسه صورة من السعادة تتفق ووجدانه

أما شعوري بالحياة فبتقدير نعمها وجمالها في كل ما يحيطني من مناظرها . ولقد مارست اكتساب هذا الشعور في اول امري عن طريق الذكرى حيث رأيت فيما مرّ بي جمالاً لم أره في

وقته ونعمة لم أحسها لساعتها ، حتى الآلام والمحن والامراض رأيت حولها نعماً وجمالاً لو أنني انتبهت لها وقتئذ لخففت هذه المتاعب عني

قلت: اضرب لي مثلا قال: ومالي والامثال ! ! ألا تذكر عهد الدراسة في ايام الصبا قلت: نعم اذكره . قال فارجع بذاكرتك الآن اليه ترَ لتفكيرك في قارس البرد بالذهاب الى المدرسة وفي مشاجراتك ومشاكلك اليومية بل حول كل ما كان ينغص عليك عيشك ويسبب لك الآلام لذة وجمالا غابا عنك وقتها حيث صرفتك الآلام عن رؤية الناحية الجميلة الممتعة

وارجع بذاكرتك الى مرض أصابك في زمن بعيد ترَ في عناية اهلك بك وفي عيادة أصدقائك لك بل في استكانتك في الفراش وشعور العطف الذي حاطك جمالا ومتعة صرفك عنهما وقتئذ تغاليك في تقدير مصيبتك واضعاف شعور تقدير الجمال في نفسك

وارجع بذاكرتك اخيراً الى يوم ضيق تجد لكسرة الخبز التي اصبتها بعد عناء لذة لا تدانيها لذة اللقمة السائغة والطعام الذي لم تبذل في الحصول عليه جهداً كبيراً

وما عليك بعد ذلك الا أن تنتقل في تقديرك هذا وشعورك بالحياة من ماضيك البعيد الى ماضيك القريب الى أمسك فيومك فيبدأ عندئذ شعورك بالحياة . وعليك أن تنمي هذا الشعور فيك بالامل والتفاؤل . وعليك أن تقول لنفسك وانت تسير مثلا انني قادر على السير وأن تؤكد لها أن في القدرة على فعل الشيء نعمة ولذة . وأن تقول لها وأنت تستنشق الهواء فتملأ به رئتيك انني استنشق الهواء والتذ به ، وهكذا في كل مظاهر حياتك

ولكن لا تقل لها وأنت في عسر او مرض او ألم قد كنت صحيحا قادراً بالامس وانا اليوم مريض او معسر او متألم كما ان من السخف أن تقنع نفسك ان في مجرد الشعور بالالم لذة . انما عليك ان تقول لها غدا سوف ابرأ فاشعر بلذة الصحة المضاعفة وغداً سوف تنفرج الحال وغداً سوف تزول الآلام ، وعليك ان ترى ما يحيط بالمصاعب مما يعزي النفس ويخفف عنها . وتأكد ان ليس في هذه الحياة من المتاعب ما يصعب على المرء التخلص من اثره في اتلاف سعادته سوى الالم الجسماني المستمر فما عداه حالات نفسية يهيئها المرء لنفسه وفق نظراته للحياة ، ويستطيع الانسان أن يهون من شأن الالم الجسماني بالضحك وبأن يخلق مما حوله سلوى ينصرف اليها بذهنه

والضحك هو اكثر ما يتحتم ملازمته لنا في الحياة لاسعادها وتخفيف وطأة آلامها . ولقد كنت في اول ممارستي اياه أرسله في تكلف ما فتىء ان صار طبعاً . وكنت التمسه قبل زواجي بين الاصدقاء الطروبين وفي دور التمثيل الهزلي وفي الرياضة البدنية فصرت أجده بعد زواجي لامرأتي ــ التي حاولت جهدي ان احسن اختيارها ــ في لعبنا سويا وخروجنا الى الهواء الطلق

والنزهات الخلوية وفي قراءتنا الكتب والمجلات الفكهة وغشياننا دور التمثيل المزلي كما توفر لدينا المال له . فلما رزقنا الله اولادنا كان لنا بهم هناء جديد يفوق كل ما ذقنا من هناء

اني اهرع الى بيتي بعد انتهاء عملي وهو وكر هنائي ومنبع سعادتي فالعب مع اصحابي المحبوبين حتى ليحسبني الرائي طفلا او مجنونا واداعب زوجتي واضحك معها واشركها في لعبنا واذكي في نفسي حبي لها حتى يخيل اليّ احياناً انني شاب حديث العهد بالزواج وسعادة الغرام . وانني اضحك في آلامي واضحك في مرضي واضحك في متاعبي حتى أكاد افقد الحس بأثرها

هناك آلاف من الناس يهمهم جداً ان يشعروا الناظرين بآلامهم ومصائبهم فتجدهم يتكلفون مظاهر الجد والتقطيب والبؤس لأتفه الاسباب وأهون المصائب وهم لا يعلمون أنهم بذلك يضاعفون مصائبهم ويتلفون حياتهم ويشمون في أنفسهم داء التشاؤم الوبيل بل ويحملون الناس آلاماً وهمية بغير سبب ولا مبرر . اما صورة السعادة التي يجب ان يصورها المرء لنفسه بحيث تتفق ووجدانه فلا أخال احداً من الناس يجحد الفضيلة ويحب الرذيلة وما اظن أحداً من الناس لا يرجو لنفسه ولغيره الخير كما لا اظن احداً لا يبغي هناء العيش (ولو أن جلهم لا يعملون له) فصورة السعادة التي صورتها لنفسي صورة تتفق بقدر نور عقلي مع الخير والهناء وهي صورة مرنة لا أثر للتعصب فيها . ان نعيمي الآن وقد تزوجت في داري وزوجتي واولادي وهنائي في أن اربي اولادي والعب معهم وفي أن أساعد زوجتي وتساعدني وأن احمل عنها متاعبها وتحمل عني متاعبي وفي ان اخلق لي ولها اللهو البريء في اوقات فراغنا ، والمرح في اكتساب رزقنا جميعاً

هذا هو جانب متع الدنيا من صورتي اما جانب الخير وحب الفضيلة فانا انسان لا اخلو من ضعف البشر ومن اقتراف الذنوب ، فاذا فعلت ما لا يرضي ضميري وديني فانا لا احاول التكفير عنه بدوام تذكره والتفكير فيه كما يفعل النساك والزهاد لانني اعتقد ان ذلك ينغص عليّ عيشي بلا مبرر بل احاول اصلاحه ان أمكن او افعل من الخير ما أظنه يكافئه

وانا أتردد او على الاقل احاول التردد عند فعل الشر واقدم او على الاقل احاول الاقدام عند فعل الخير فاذا غلبتني شهواتي وضعفي فلي رجاء في الله وايمان بعفوه وحلمه ولي ايمان بالعمل المنتج ولي أمل في الحياة والخير

هذه صورة السعادة التي تتفق ووجداني والتي احاول ان أقرب منها في رجاء وتفاؤل

وسكت الصديق عندئذ فقلت له هل من المتيسر لي ان أستعيد نسخة من هذه الصورة قال : « لم لا ؟ ! ان الهناء غاية نبيلة يستحق ان يبذل الانسان فيها جل جهوده بل لعلها أنبل الغايات »

مصطفى مصطفى مشرفه

٢ – رد امين فارس

عملاً بشروط الكتابة في هذا الموضوع التزم اختباراتي ومشاهداتي الشخصية · فأورد بالايجاز بضع نقط من تاريخ حياتي تتضمن على ما أرى امثل طريقة للحياة السعيدة الهنيئة وابدأ بسن الادراك حينما يستقل المرء بشؤون حياته · فأقول شببت على حب العمل وقبل ان ينتهي العقد الثاني من عمري ابتدأت أعلم براتب زهيد · وكان شعاري اتمام الواجب في أية دائرة عشت فيها بكل امانة ونشاط والاكتفاء بما قسم الله لي دون قعود عن السعي إلى الامام او طموح لبلوغ اقصى ما يمكن من النجاح في مهنتي · فوجدت في اتمام الواجب حق الاتمام راحة لا توصف بلسان أو قلم كاتب ماهر · ورأيت في القناعة والرضا والارتياح إلى الحال التي يكون فيها المرء راحة ما فوقها من راحة · والفيت السعي إلى الامام بغية التقدم والنجاح يوجد في المرء همة و يريحه من شر التراخي ويجعله فرحاً مسروراً بسعيه وفي ذلك لذة عقلية دونها كل لذة وإن عظمت

ولا بد لي من الالمام بكيفية صرفي ساعات الفراغ · فإن ذلك مهم جداً في هناء الحياة وسعادتها · كنت اصرف ساعات الفراغ في التنزه خارج المدينة التي عشت فيها على رءوس الجبال أسرح الطرف بمناظر الطبيعة وأمتع النفس بجمالها الفتان ولا سيما في فصل الربيع البهج ترويحاً للنفس من عناء الاعمال وتجديداً للقوى · وعندما أعود إلى منزلي أصرف اوقاتي في المطالعة ومعاشرة الاصدقاء الذين تحلو لي عشرتهم ويستفيد المرء من مجالستهم وفقاً لقول اليازجي

وافضل ما اشتغلت به كتاب جليل نفعه حلو المذاق
وعشرة فاضل فطن لبيب يفيدك من معانيه الدقاق

فلم يخل منزلي من المجلات المفيدة كالهلال والمقتطف اللذين ساعداني على توسيع معرفتي العمومية والحصول على هناء الحياة ساعات الفراغ ولا يزالان يؤانسانني إلى الآن · وشفعت المجلات بالجرائد اليومية للاطلاع على احوال العالم والتسلية معاً و بكل كتاب جديد مفيد

وقد حافظت على الوقت أشد المحافظة ليس وقت العمل فحسب بل وقت الفراغ والراحة أيضاً فبعد التنزه والتمتع بمجالسة الاصحاب والمطالعة نمت في الوقت الذي عينته لنفسي وهو الساعة العاشرة مساء · إلا ما ندر في ظروف فوق العادة · وقمت مبكراً وهيأت نفسي لمباشرة اتمام واجبات النهار · ولم اتأخر عن مواعيد العمل على الاطلاق

وراعيت الاعتدال في الشراب والطعام والرياضة والمنام والعمل الخ · فحافظت على صحتي وقوى عقلي وجسدي وهأنا في العقد السادس من عمري ولا أزال بفضل الله قوياً نشيطاً أعمل

عمل الشبان الاقوياء المجدين مقروناً بالاختبار الذي اكسبتنيه الايام وكل الذين يعرفونني يعجبون من مواصلتي العمل الذي ينوء به أقوياء الشبان فرحاً مسروراً عملاً بقول أحدهم : اعمل كأنك تلعب والعب كأنك تعمل أي اتقن عملك إلى حد يهون عليك فتعمله كأنك تلعب وتلهو والعب بجد كأنك تعمل . فلا بدَّ لمن رام ان يعيش هنيئاً من المحافظة على صحته وقواه ومن حياة الاعتدال والصحو والفرح القلبي والمحافظة على اوقات الراحة وعدم الانغماس في اوقات الفراغ بما ينهك الجسد والعقل معاً ويسيء الصحة ولو حلالاً . ولا يخفى على المفكرين ما للصحة من التأثير في الهناء والسعادة

ما أنعم الله على عبده بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفي في جسمه فإنه في عيشة راضيه

وإلى القارىء بعض الشواهد التي مرَّت عليَّ في حياتي اثباتاً لما تقدم :

علمني صاحب لي الشطرنج فكنا نصرف بعض اوقات الفراغ نتسلى به وإذ وجدته يستغرق وقت الفراغ ويتبعه بشيء من وقت الراحة والنوم فأضطرُّ أحياناً ان اتأخر عن الميعاد لا كمل اللعب وانهض صباحاً غير مستجمع كلَّ نشاطي — إذ وجدته هكذا — هجرته وقد مضى على هجري له اكثر من ربع قرن

اجتمعت قبل بضع سنوات بصديق في حديقة عمومية فعرض عليَّ كأساً من الشراب فرفضت وفهم في اثناء الحديث اني لا أدخن ولا أشرب ولا ألعب بما يقتل الوقت عبثاً فضلاً عن انه يضعف الصحة والحياة فقال يظهر انك محروم ملاذ الحياة . فأجبته لي ملاذّ لست تعلمها منها المطالعة والحياة العائلية الصحيحة بين الاهل والولد حيث جنتي الارضية . وأتمتع بكل سار لا يعقبه ألم في الحياة ولا وخز ضمير ولا يذهب بالهناء والسعادة الحقة واني لمغتبط اني زاهد بملاذّ الحياة التي ترغبني فيها والناس في ما يعشقون مذاهب . علمني في العقد الثالث من حياتي صديق ان أدخن فدخنت بضع سنوات ولما وجدت التدخين يذهب بشيء من رنة صوتي ان معلماً أو خطيباً هجرته مؤبداً قائلاً له لا أدعك تتسلط عليَّ فأنا سيد نفسي ولست بسيدي

ولا بدَّ لي من القول ان ما ذكرته ليس كل ما يلزم لمن يريد أمثل طريق للحياة الهنيئة إلى نهايتها وأمهد لما سأذكره بالقول المشهور « ليس حسناً ان يعيش آدم وحده فلتصنع له معيناً نظيره » وهذا المعين أن أحسن اختياره واوحي به الحب الحقيقي دون نظر إلى أمور لا طائل تحتها يحسب لها كثيرون حساباً يكون نعمة ويكمل هناء الحياة وسعادتها . وقد اسعدني الحظ أن أجد معينة وافقتني في مبادئي السابقة وارتضت ان تشاطرني حياة الاعتدال في كل شيء ولا أزال عائشاً معها بهناء يسر كل منا لسرور اليفه ويحزن لحزنه ويشاركه في شعوره ويؤنسه ونحن

متقاربان في العمر متفقان في المشارب متعاونان على الدهر أمناء إلى الموت لا يجد احدنا معنى للحياة بدون الفه . ولا يخفى ما في ذلك من الحياة وسعادتها

ولا بدَّ من نتيجة طبيعية لوجود المعين وهي الاولاد الذين عليهم يتوقف جانب عظيم من هناء الحياة وسعادتها أو شقائها وتعاستها . ذلك يتعلق بنوع التربية والتهذيب فإن أحسنت تربيتهم ونشأوا صالحين مفلحين وحققوا آمال الوالدين كانوا نعمة لهم وعلة هناء واغتباط وإن أهملت تربيتهم ساءت أحوالهم وخابت آمال والديهم بهم وأصبحوا نقمة ومرارة للحياة فعلى من أراد ان يعيش هنيئاً في هذه الحياة ان يهتمَّ جد الاهتمام بتربية أولاده أحسن تربية منذ نعومة أظفارهم . وقد اختبرنا انا وشريكة حياتي ذلك إذ قد رزقنا اربعة بنين واربع بنات فبذلنا الوسع في تربيتهم وتهذيبهم وتعليمهم جميعاً فنشأوا على حياة الاعتدال وحب الفضيلة والعمل النافع وقد ضحينا ولا نزال نضحي من راحتنا واوقاتنا واتعابنا في سبيل تربيتهم وثقافتهم وقد وجدنا ولا نزال نجد هناء لا يوصف وفرحاً عميقاً في هذه التضحية وهذه الاتعاب ويزيد هناءنا ان افكارنا مطمئنة مستريحة من جهة الجميع ونأمل أن يحيوا ذكرنا ويخدموا جيلهم اجل خدمة فترقص افئدتنا طرباً وتفعم نفوسنا هناء وسروراً

ولان الهناء والسعادة من الامور التي تتعلق بداخل الانسان اكثر مما يحيط به من الامور الخارجية ينتج طبعاً ان سلامة الضمير ومتانة معتقد الانسان من الامور التي تولّد فيه الاطمئنان والهناء حتى في الشدائد والمحن . كنت ايام الحرب العظمى مع صديق من ضباط الالمان يحادثني عن مصاعب الحياة فقال اراك مع ضيق ذات يدك بشوشاً مبتسماً على الدوام واود ان اكون نظيرك ولا استطيع اذ ليس لي ثقتك بالله ومتانة عقيدتك . وهذا يرينا ان استناد المرء الى قوة خفية فوق قوته يشعره في معترك الحياة وجهادها انه ليس وحده فيحصل على هناء عظيم . ولا أقول بتدين باطل لا يؤثر في الحياة فان التدين الحق له ثمارة في الحياة يؤثر فيها أحسن تأثير ويظهر بالعمل وحسن المعاملة للناس ويفيض منهُ القلب هناء وغبطة

وهناك مسرة وهناء للمرء لا يعرفهما الا من يشعر مع الآخرين حق الشعور شعوراً لطيفاً هو من ثمار التدين الحق فيكون على استعداد تام لمساعدة الغير بكل قواه ولا سيما الذين يقعون في ضيق ويحتاجون الى من يواسيهم ويأخذ بناصرهم ويرفع عنهم المظالم ويخفف عنهم آلام الحياة ويبذل جهده ليجعلهم سعداء . وقد قيل السعيد من جعل غيره سعيداً. واني لاشعر بهناء أعظم من الهناء الذي يخامرني عندما افكر اني لم أؤخر مساعدة قدرت عليها كل ايام حياتي مع معرفتي ان كثيرين ممن ساعدتهم كانوا غير شاكرين

وأثق ان المفضال عبد الله افندي كريم سيكون مغتبطاً مسروراً ولو دفع عشرين جنيهاً لانهُ

يشعر انهُ خدم الادب والذين يشكون من الحياة ألغازها واحاجيها وأنار طريق الانسانية المتألمة ليبصر كثيرون امثل طريق للحياة المنيئة السعيدة .

أمين فارس

٣ – رد عزمي بطرس

قال احد ائمة الادب في هذا الزمان :

« لا احاول تعريف السعادة حين ارسم صورتهــا او استحضر ذكرياتها ... واخال اننا لا نخطئ في الشعور بالسعادة ولا في طلبهــا الا يوم تدخل علينا التعريفات والحدود ونبدأ في فهمها بالرأي قبل ان ننالها بالتذوق والاحساس ... »

صدق الامام !

وأنا ايضاً لا احاول ان اعرف السعادة تعريفاً جامعــاً مانعاً كما يقول المناطقة ، ولا أزعم ان ادلك يا صاحبي على الطريق الاوحد الذي اذا سلكته حفتك السعادة من كل صوب . كلا فأنا نموذج مفرد بين الكائنات ، وانت نموذج آخر يختلف عن الاول كل الاختلاف فما يصلح لراحة نفسي وقلبي قد لا يصلح لراحة نفسك وقلبك . ولكني مع ذلك سأحاول الآن ان ارسم صورة عامة للسعادة ؛ ولا تنتظر صورة كاملة باضوائهــا وألوانها وظلالها . كلا فاني لن اضع غير الخطوط الرئيسية وأنت بعد ذلك وشأنك تريق عليها من الالوان والاضواء والظلال حسبما قدر لك من طبع ومزاج ونظرة الى الحياة ، ويلونها غيرك بما يناسب طبعه وهواه ، فان اختلفت الصور في آخر الامر وتباينت فانهــا مع ذلك لن تعدو أن تكون نسخاً متعددة لاصل واحد هو الذي ارسمه لك الآن :

لقد دلتني اختباراتي الشخصية على ان السعادة لا تتهيأ للانسان الا بامرين: الاول أن يكون له مثل أعلى يسعى لتحقيقه بشرط أن يكون هــذا المثل متمشياً مع الغاية من الحياة . الثاني أن يسعى كل يوم في تحقيق مثله الاعلى مستهيناً بما قد يلاقيه من آلام ويعترض سبيله من عقبات

يقولون ان السعادة هي القناعة والايمــان ، او بعبارة اخرى هي الاكتفاء واليقين ، ولكن الحياة تنفي هذا القول وتنقضه من أساسه ، لان غاية الحياة هي التقدم والرقي ، وسبيلها تغير الصور وتطور الاشياء ، فليس في مكنة الانسان ان يقنع فلا يطلب مزيداً ، او يوقن بصورة واحدة من صورها غير ملتفت الى باقي الصور ، وحتى لو امكنهُ ذلك فانهُ لا يكون سعيداً لانهُ يكون عندئذ خارجاً على نواميس الحياة ؛ فالاكتفاء واليقين معناهما السكون والراحة ، والحياة كلها عمل وحركة ولكي يكون مثلك الاعلى سامياً ومتمشياً مع غاية الحياة ، يجب عليك ان تدرك صلتك بالكون

ومركزك فيه وتعدل من وقت الى آخر ، مثالك الاعلى بحيث يوافق ما فهمته من معنى الحياة وغايتها . واوصيك في هذا المقام ان تنظر الى الحياة نظرة راضية مطمئنة ، فان كنت بطبعك ساخطاً على الحياة متبرماً بها فسارع الى التخلص من هذا الطبع بتعود النظر الى الوجهة المنيرة من كل شيء ، ولتعلم ان السخط على الحياة دليل على عدم فهمها تماماً ، فالحياة فيها من المتع السامية واللذاذات البريئة ما قد تنوء به اعصابك واحساساتك

هذا واكبر ظني ان الشيء الوحيد الذي ينغص على الناس عيشهم ويجعلهم يشعرون خطأ انهم في شقوة دائمة ونكد مستمر ، هو انهم لا يفهمون طبيعة الآلام التي تصادفهم في حياتهم ، ثم يريدون حياة غير مشوبة بأقل الآلام او ادنى المتاعب، غير عالمين ان حياة كهذه مستحيلة الوجود وان الانسان لا يشعر بمعنى اللذة الا لان هنالك شيئاً اسمه الالم . وعدم ايمان الكثيرين بضرورة الالم في الحياة ناشيء عن عدم وجود غاية يسعون لتحقيقها او مثل أعلى يؤملون الوصول اليه فهم يتخبطون في عيشهم تخبطاً ويشقون شقاء مستمراً والسعادة قريبة منهم تناديهم فلا يسمعون وتلوح لهم فلا يبصرون . فلو ان احداً اتخذ لنفسه غاية يسعى ويتدرج كل يوم لتحقيقها ، فانه كلما تقدم خطوة في هذا السبيل ، شعر بغبطة وفرح عظيمين ينسيانه ما تحمله في تقدمه نحو غايته من ألم ومشقة ، بل شعر أن الآلام التي يقاسيها في هذا السبيل انما هي آلام لذيذة لانها بذلت لدرك غاية سامية

فاتخذ لنفسك مثلاً أعلى او غاية عظمى بشرط ان تكون تلك الغاية متمشية مع غاية الحياة، واسعَ في تحقيق غايتك بكل ما اوتيت من جهد يحدوك الامل والايمان بضرورة الالم في الحياة ، تعش سعيداً متمتعاً بما يتاح لك من لذات الحياة ، غير متبرم بما قد تلاقيه فيها من آلام

هذه هي الصورة العامة التي أردت رسمها للسعادة ولا شأن لي بعد ذلك بالتفصيلات فالناس مختلفون في الامزجة والطباع والصورة الدقيقة المتصلة لا تنطبق على جميع الناس . فلا يعنيني اذن أن امدح لك مثلاً أعلى بعينه فالمُثُل العليا تتنوع وتتعدد ، وليس لي أن ازعم ان سبيلاً بعينه هو الواجب سلوكه الى المثل الاعلى فالسبل والمناهج مختلفة متباينة عند جميع الناس ولا اريد أن أقول ان مقداراً معيناً من الجهد لازم لتحقيق المثل الاعلى فالجهود تختلف وتتفاوت أيضاً ، وانما الذي يعنيني فحسب هو أن يكون لك مثل أعلى متمش مع غاية الحياة وان تسعى جهدك في تحقيقه مستهيناً بما قد يصادفك من ألم ومشقات في سبيل الوصول اليه

عزمي بطرس

ابنة جوزفين وام نابليون الثالث

ووصيتها لولديها

في أوائل شهر نوفمبر سنة ١٧٩٠ وصلت الى مدينة طولون قادمة من جزيرة المرتينيك سيدة تصحبها ابنتها وهي فتاة في السابعة من عمرها ، تبدو عليهما علائم الخوف ، فانهما غادرتا تلك الجزيرة فراراً من ثورة اشتعلت نيرانها ولكنهما لم تكادا تطآن ارض فرنسا حتى علمتا انها مسرح ثورة لا مثيل لها . فالام هي جوزفين دي بوهارناي حفيدة حاكم مقاطعة فرنسوية ، والفتاة ابنتها هي هرتنس دي بوهارناي

و بعد وصول جوزفين دي بوهارناي الى فرنسا انطلقت ومعها كريمتها الى فنتنبلو لموافاة زوجها وقد كان مسنداً اليه في ذلك الحين منصب رياسة الجمعية الدستورية

وارتأى الوالدان أن يسرعا في إدخال ابنتهما هرتنس الصغيرة الى مدرسة دير الاباي أوبوي ليجعلاها بنجاة من كل ما يخشى من المكاره الناشئة عن الحوادث في ذلك الحين الا انها لم تطل المكث في ذلك الدير فأخرجت منهُ بغتة في ١٠ اغسطس وهو تاريخ هجوم الغوغاء على قصر التويلري ، وقد تلا ذلك الهجوم تدمير الاديار والمدارس . وفي تلك الاثناء جُعل المسيو بوهارناي قائداً لجيش الرين إلا أنهُ لم يلبث طويلاً في قيادته لصدور أمر يقضي بفصل جميع النبلاء من مناصبهم في الجيش ، فاعتزل في قريته للاشراف على عقاراته لكنه لم يلبث ان ألقي القبض عليه وزج في السجن ، و بعد بضعة أيام قبض على زوجته . وحدث ان هرتنس الصغيرة لما استيقظت ذات صباح علمت أن والدتها دخلت عليها وقبلتها دون أن توقظها وانها سيقت الى السجن ولم يبق لها من سند تعول عليه إلا شقيقها البالغ اثنتي عشرة سنة من العمر ، فهذا الفتى سعى على غير طائل لخلاص والديه . وصدر أمر يقضي على جميع أولاد النبلاء بتعلم مهنة من المهن فاختار بوهارناي الحدث مهنة التجارة . وكانت هرتنس الصغيرة تشهد بعينيها من المنزل المقيمة فيه بشارع البنيار جميع حوادث الثورة تجري وهي لا تدرك لها معنى

وجاء يوم ٩ ترميدور (من شهور الثورة) فدخلت على هرتنس سيدة مقنعة وقبلتها قائلة لها انها سعت لاخلاء سبيل والدتها فنجحت ، وكانت تلك السيدة المدام تاليان . وفي ١٨ ترميدور من السنة التالية عادت جوزفين الى بيتها . وفي اليوم عينه أطلق أيضاً سراح الجنرال هوش ، وكان هذا الجنرال صديقاً لوالد هرتنس . فلما أعيد الى الجندية بعد خروجه من السجن طلب أن يؤخذ بوهارناي الحدث الى الجيش ، وكان ذلك فاتحة خدمته العسكرية . وفي خلال ذلك أدخلت

هرتنس مدرسة أنشأتها في سان جرمان المدام كمبان وصيفة الملكة ماري أنطوانيت

وكانت تلك الفتاة تخرج بعض الاحيان من المدرسة ، فذات ليلة صحبت والدتها الى ليلة ساهرة فتقرر في تلك السهرة حظ هرتنس ووالدتها ، ونحن نكتفي بايراد ما كتبته هي عن هذا الحادث :

« وكان عدد المجتمعين كثيراً فجلست الى المائدة بين والدتي وجنرال كان ينحني ويحاول التقرب منها ليخاطبها بلهفة فكانت تضطر الى التراجع الى الوراء ، وقد تمكنت من التأمل في محياه دون أن يعلم فوجدته بهي الطلعة ترتسم على وجهه سيماء القوة والذكاء إلا أنهُ كان مصفراً ، وكان يتكلم بحدة ونزق ٠ وكان ذلك الضابط الجنرال بونابرت »

ومع معارضة هرتنس وشقيقها في زواج والدتهما مرة ثانية صممت الام على الاقتران ببونابرت في ١٩ تموز من السنة الرابعة وقت ما أسندت الى بونابرت قيادة جيش إيطاليا

وأعقب ذلك سلسلة انتصارات عديدة نالها ذلك القائد ، وكانت معلمة هرتنس تقول لها : لقد أصبت حظاً بأن كان زوج أمك قائداً كثير الفتوح

فقالت هرتنس : ولكنهُ أصاب فتحاً لن أنساه وهو فتحه قلب والدتي

وبعد بضعة أشهر عاد الجنرال بونابرت من إيطاليا وسكن منزل جوزفين بباريس وكانت هرتنس المبتهجة برؤية والدتها مستاءة من رؤيتها التغير الطارىء في البيت بوجود بونابرت قاهر إيطاليا فكتبت ما يلي : « ما أعظم التغير الذي حدث في مسكننا الصغير فهو يغص بالقواد والضباط وقد صعب على الحرس منع الناس من الدخول لمشاهدة القائد الظافر »

وبعد حين من الزمان انطلق بونابرت الى مصر ومعهُ شقيق هرتنس ، فرافقت جوزفين الى طولون زوجها وابنها تاركة هرتنس في مدرسة المدام كمبان مع كارولين شقيقة بونابرت ، ونحن نذكر كيف عرفت تانك الفتاتان حوادث ١٨ برومير ٠ ودونك ما كتبتهُ هرتنس في هذا الصدد :

« في ليلة ١٨ برومير ارسل الينا الجنرال مورات المتيم بحب كارولين اربعة من جنوده ليشهدونا ما حدث في سان كلو وما كان من ارتقاء الجنرال بونابرت الى منصة القنصلية ٠ فليتصور القارىء مجيء أولئك الجنود الاربعة ليلاً الى دير فيه نساء فربما كان في ذلك الامر بهجة إلا أن المدام كمبان لم تنس قط تلك المخالفة لقواعد اللياقة وقد دونت ذلك في مفكراتها »

وبعد فتنة ١٨ برومير تخير القنصل الاقامة في قصر اللكسمبور ولكنهُ هجره بعد حين من الزمان واتخذ التويلري مسكناً له . وقد قالت جوزفين لابنتها على اثر ذلك الانتقال : إن ذكرى ماري انطوانيت تقض مضجعي

وأزف الحين الذي ذكروا فيه مسألة زواج هرتنس فأدركت من سماعها كلام القنصل الاول انها لا تستطيع اتخاذ بعل غير موافق لرغبته ولمصلحة الدولة ، واضطرت الى الاقتران بشقيقه لويس بونابرت ولم يكن احد من الزوجين راغباً في ذلك الزواج ولكنهما رضيا به مكرهين

ومعلوم أن الزواج الذي يتم على كره يكون وخيم المغبة ولا سيما متى أجبرت عليه فتاة رقيقة الشعور خيالية الافكار حادة المزاج كابنة جوزفين . ومع ما كانت عليه طباع الزوجين من التنافر لم يلبثا أن وُلد لهما غلامان في مدى سنتين وهما نابوليون شارل ونابوليون لويس

ولما انتدب زوجها للجلوس على عرش هولاندا لم تجد لها مندوحة عن المضي الى تلك البلاد لموافاته . ولا يخفى على أحد أن ابنة جوزفين لم تخلق لان تكون ملكة فالبلاد التي تربعت في سريرها جاهرت بعداوتها ، ومما زاد الطين بلة اتصاف زوجها بأطوار غريبة

وفقدت هرتنس ابنها البكر اثر مرض قصير الامد فغادرت هولاندا شاخصة الى جبال البرنات لترويح النفس بعد تلك الصدمة العنيفة التي أصابتها . ثم انها عادت الى باريس وأقامت في منزلها بشارع شيرتي ، ولم تخطر على بالها العودة الى هولاندا تلك البلاد الممقوتة أو مساكنة بعلها ذلك الرجل المكروه

وكانت تعيش في باريس في وسط يختلف اليه الفنانون ويتنابه هواة الفنون الجميلة ، فعنيت بالتصوير ونظم الاناشيد وقد أصبحت أنشودة «الانطلاق الى سوريا» التي نظمت عقدها أنشودة وطنية . وفي ٢٠ ابريل سنة ١٨٠٨ ولدت غلاماً ثالثاً وهو شارل لويس نابوليون ، وهذا صار فيما بعد امبراطوراً وقد عرف باسم نابوليون الثالث

وكانت فكرة الطلاق تجول منذ عهد بعيد في ذهن العاهل نابوليون ، وقد جسم تلك الفكرة بغتة حادثٌ تافه في الظاهر الا انهُ عجّل في حمل العاهل على تقرير رأيه هذه المرة ، ففي حفلة أقامها رفاق أوجين بوهارناي في الجندية هتفوا لهُ مطلقين عليه اسم خليفة نابوليون ولما درى هذا بالامر ثار ثائره ، ومساء ذلك اليوم عينه جاهر لجوزفين برغبته في تطليقها وقد شهدت هرتنس ذلك المشهد فكان لهُ وقعٌ سيء عليها لم تنسهُ طول حياتها

وبعد بضعة أشهر تزوج نابوليون بماري لويز النمساوية فنالت هرتنس محنة شديدة حين تلقت الامر بحمل وشاح الامبراطورة الجديدة في حفلة العرس . وكانت تأمل أن تكافأ على ذلك بنيلها من الامبراطور الترخيص بالطلاق الا أن نابوليون لم يبد رضاً به فاضطرت الى الشخوص مرة ثانية الى هولاندا قاصدة زوجها . ولكن حدث لحسن حظها وحسن حظ تلك البلاد ان ذلك الملك الغريب الاطوار عزم فجأة على التنازل عن العرش فهجره وانطلق دون أن يخبر أحداً حتى ولا زوجتهُ بالمكان الذي أمّه ، فادارت هرتنس الشؤون نائبة عنه حيناً من الزمان ريثما ضمت مملكة هولاندا الى الامبراطورية الفرنسوية

وهذه المرة تملصت هرتنس من مملكتها وزوجها معاً فقرر الامبراطور إجازة الطلاق وعين لها راتباً قدره مليونا فرنك ، فتنفست الصعداء وجعلت مقامها في باريس حيث كانت تعيش بابهة عظيمة وعلى هواها ، وأصبحت دارها مثابة لرجال العلم وأرباب الفن

وفي تلك الاثناء كانت الحوادث تتعاقب بسرعة وكان صرح الامبراطورية يميل الى التداعي وبقي في فرنسا الحلفاء المنتصرون وأجبر الامبراطور على التوجه الى جزيرة البا

واطالت هرتنس الثناء على الملوك المتحالفين لحسن معاملتهم لها ، فكان قيصر الروس يجيء تقريباً كل يوم الى المالميزون لمشاهدتها وقد قال : «أتيت الى هذه البلاد للاقتصاص من نابوليون ، ومن غرائب الامور اني لا أجد لذة الا بمعاشرة اسرته» . ونالت هرتنس بمساعدته راتباً يبلغ أربعمائة الف ليرة ودوقية انشثت لاجلها مع ابقائهم لها عقاراتها في سان لو

ولكن ما عتمت ان انتشرت فجأة أخبار رجوع الامبراطور فبهت الناس ، وخفّت هرتنس لملاقاة معبودها العائد من منفاه لكنه لم يكرم وفادتها واتهمها بممالأة أعدائه عليه ، فكبر الامر على ابنة جوزفين ودافعت عن نفسها بقوة اضطرته الى اغضاء الطرف على ما أتته في أثناء غيابه

ثم ان نابوليون بعد ما قُهر في واترلو احتاج الى شخص يفرج كربته فاستقبلته هرتنس في المالميزون استقبالاً محفوفاً بجميع مجالي الاحترام وطلبت منه أن يقبل منها عقداً من الالماس تبلغ قيمته مليوناً من الفرنكات . ولم يكد الامبراطور يغادر البلاد حتى أُمرت بترك باريس في مدى أربع وعشرين ساعة ، فاخذت ولديها وتوجهت بهما الى طرغوفيا بسويسرا ثم الى كنستانس حيث ابتاعت قصر ارنمبرغ . وفي معتزلها هذا لم تجد الراحة التي كانت تنشدها ، فلما نشبت الثورة سنة ١٨٣٠ صارحها كبير نجليها برغبته في الاشتراك في الفتنة الايطالية ، فانكرت عليه ذلك لكنه لم يتحول عن عزمه ، فسار الى فلورنسا وفي السنة التالية توفي فيها

ولم يبق لتلك المرأة المنكودة الطالع سوى ولد واحد ، فصممت على انقاذه من غائلة الاحداث مهما كلفها ذلك الامر من الضحايا والمشقات ، وبذلت الجهود لابقائه على مقربة منها في ارنمبرغ ، الا أن لويس نابوليون كان ذا مطامع كبيرة فعالج تلك الحركة المعروفة بحركة ستراسبورغ خفية من والدته ، فكان من أمر تلك الحركة وتبعتها الوخيمة عليه ما كان . فتصدع قلب تلك الام وخافت عليه من نزول النوازل الملمات ، وخفت الى باريس وانطرحت على قدمي لويس فيليب طالبة منه العفو عن المجرم ، فمنحها الملك سؤلها مشترطاً عليها أن تبرح فرنسا في مدة ٢٤ ساعة وكانت تلك الحوادث شديدة الوطأة على صحتها ، ففي ٣ اغسطس سنة ١٨٣٧ كتبت الى ابنها نزيل أميركا ما خلاصته : «تعال يا لويس ، تعال لتغمض عيني» فبادر الامير لتلبية نداء امه ووصل قبل تقطع أنفاسها المعدودة بزمان قصير ، ففاضت روحها في سويسرا في ٣ اكتوبر من تلك السنة . وفي أثناء اعتقال الامير لويس نابوليون في قلعة هام أقام لها ضريحاً في روايل لا تزال رفاتها فيه

وكانت الملكة هرتنس موصوفة بالذكاء والدهاء كما يستدل من كلامها الموجه لنجليها بمثابة وصية ومشكاة يستنيران بها ، وهذه خلاصته :

« يعتبر حظ البونابرتيين من أغرب الحظوظ في الازمنة الحديثة ، فهم الآن مستهدفون للنكبات الشديدة دون أن تتيسر لهم المجاهرة بكلمتهم الاخيرة . فبواسطة اسمنا يمكنكما أن تصبحا ملحوظي المكانة في اوربا القديمة وفي العالم الجديد على السواء ، وفي كل مكان وكل زمان لم يطرأ تغير على البشر ، فهم على الرغم منهم يحترمون ذرية اسرة هادنتها الاقدار ، والاسم المشهور أول نصير يجود به القدر على من يبتغي الوصول به الى مدى بعيد . ان نابوليون منشئ شهرتنا قد سحق الشعوب تحت أثقال مطامعه الا انه احيا موات الآمال الجسيمة عند جميع الصعاليك وحرّك عوامل الاعجاب في كل قطر ، فانا عرفتهُ في حالتي القوة والضعف ؛ ولا اصوّره لكما كمثال كامل ، فكثيراً ما كانوا يشبهونه بقصبة مطلية بالحديد . وقد تسلطت عليه نقيصتان : الضعف وعدم التكتم . ولما كان من طبعه الاكثار من الكلام كانوا يستدرجونه الى كشف الغطاء عن جميع أسراره ، فالملك مقضيٌّ عليه بأن يصمت أو أن يتكلم دون ان يقول شيئاً ، وكثيراً ما يستعينون عليه بنقيصته ليبلغوا أوطارهم منهُ . وفي غالب الاحيان كان نابوليون ينقاد للاصدقاء الاقدمين أو الى المتملقين الجدد ، فتجنبا الانقياد لشخص يصعب عليكما فيما بعد التملص منهُ . على انهُ يجب أن ترعيا حق الامانة لاصدقائكما ، فذلك يستميل اليكما تعلق الناس بكما . انتما في النكبة الحالية الحالة بنا تجهلان مصيركما ، ومع ذلك فلا تقفلا باب قلبيكما في وجه الامل ، وافتحا أعينكما وترصدا الفرص الملائمة . وان افلتت فرنسا افلاتاً نهائياً من ايديكما ففي ايطاليا والمانيا وروسيا وانكلترا أسباب لتأهبان بها للمستقبل ، وفي كل مكان تطرأ بوادر أفكار ترفع الى اوج السؤدد وارث اسم مجيد . فلك ولاخيك الحق في أن تكونا بعد ملك رومية وارثين لنابوليون اذ أن عمكما يوسف ليس لهُ سوى بنات ، وعمكما لوسيان جعلته أطواره الغريبة يفلت من يده فرصة كان يستطيع فيما مضى انتهازها ليجلس على أقرب درجة من العرش ، وهو على ما أعرفهُ رجل لا يخلو من المقدرة العقلية فهو جريء ومحتال الا أن حدتهُ جعلتهُ دائماً يضيع فوائد المشاريع التي كان الاقدام هادياً له في معالجتها ، وهو البطل الحقيقي ليوم ١٨ برومير بعد ما نال الضعف والتردد والجبن من نابوليون في ذلك اليوم . وبعد واترلو ابدى لوسيان كثيراً من الشجاعة لما قلبت الاحداث ظهر المجن لاسرته فنسج على منوال نبلاء ايطاليا في القرن الخامس عشر مجاهداً بهمة عالية لمبايعة نابوليون الثاني . ولو جرى نابوليون على رأي أخيه منقاداً الى ذوقه السليم لكانوا قد قذفوا الى نهر السين اولئك المشاغبين المؤلف منهم مجلس النبلاء والمجلس التشريعي ، وكانوا باشارة واحدة قد تمكنوا من اجراء ذلك الامر بمناصرة البقية الباقية من الجيش ، واستطاعوا فيما بعد أن ينازعوا الاعداء على أرض فرنسا قدماً فقدماً ، وكان من الممكن أن تكون الحكومة المطلقة سبباً لخلاص السلالة الامبراطورية ، ولكن لسوء حظ تلك السلالة لم يكن زعيمها في ذلك الحين الا خيال نفسه ، وقد أبصرتهُ عند منتصف الليل صاعداً الى العربة ليوافي جيشه عند حدود

بلجيكا ، فعانقني مبتسماً الا أن وجهه كان منقبضاً انقباضاً تؤلم رؤيته ، فكانت نفسه مريضة كما كان جسمه وقد أنهكه ما بذله من الجهد في الحرب التي أجج سعيرها في أثناء الشهور الثلاثة . ومنذ ذلك الحين أعادت اليه الراحة في جزيرة القديسة هيلانة شيئاً من صفاء ذهنه ، ولما كان ذا عقل راجح وكان تام الخبرة باخلاق البشر نظم هناك حياته ودفاعه ومجده بلباقة الممثل في الملعب حين تيقن الفصل الاخير من درامته

« ان الفتنة استنزفت قوة البحث بادلاء الحجج عند الفرنسويين لكنهم لم يسدوا آذانهم عن سماع الصوت البشري ، ففي الحركات المؤثرة وطلاقة اللسان ما يستطيع أن يوقظ الهمة في الشعب ولكن لا تدوم تلك اليقظة مدة طويلة فحذار أن تنخدعا بها وتجنبا الفرص التي ينتهزها المتربصون بالحكومة لايقاظها ، فالبوربون الذين استولت عليهم الحماقة قد ضلوا عن سواء السبيل بتركهم العناصر المتطرفة تفعل ما تريد في ديارهم وباغضائهم الطرف عن خطباء الندوة النيابية الذين يشعلون تلك العناصر ، وربما نجم عن ذلك حريق هائل

« لا تنسيا انكما أميران ولكن لا تنسيا أيضاً الاحكام التي أنتما متفيئان ظلها ، فلقبكما حديث العهد ، فاذا ابتغيتما أن تصيراه رفيعاً ومكرماً وجب عليكما أن تبينا انكما تستطيعان النفع . فان أنتما رأيتما ان ذوي الاموال يخشون على أموالهم من الضياع فعداهم بأن تكونا ضمينين لها ، واذا شكا الشعب من مظلمة فأظهرا له انكما انتما ايضاً تشكوان من تلك المظلمة واقنعاه بأن خلاصه لا يكون الا على ايديكما . وبالايجاز أقول ان مهمة البونابرتيين هي المجاهرة بالصداقة لجميع الناس ، فمن مهمتهم أن يكونوا وسطاء ومصلحين . واعلما انه لا يتعذر عليكما أن تصبحا كمعبود او كفاد او كوسيط بين الاقدار السماوية المنيفة ومصالح البشر ، فالبشر يميلون الى الالتجاء الى عناية منظورة فلا اسهل من اصابة مودة الشعب فهو في بساطة الاحداث ، واذا رأى انهم يعنون بأمره استنام اليهم لكنه ان هو آنس منهم الاستبداد والعبث بحقوقه قلب لهم ظهر المجن وخرج عليهم ، وهو لا يصدقهم ان هم تجملوا معهُ في الكلام وأغلظوا في القول لاعداء وهميين يصورونهم له عاملين على ايذائه

« وتهيأوا لكل خطب مفاجىء ، ربما تيسر لكم تهيئة الحوادث ، ولا تسيئوا الى احد ولا تستسلموا لاي كان ، واكرموا وفادة الجميع حتى الفضوليين وأصحاب الاغراض والمستشارين فيمكنكم أن تجنوا ثمار الفوائد من جميع هذه الامور ، وارصدوا الفرص لتغتنموها فلا تحدث مهزلة او مأساة دون ان يكون لكم من ورائهما مغنم ، وكونوا في كل مكان ولازموا جانب التعقل والحرية ولا تجاهروا بوجودكم الا في الحين الملائم »

الياس طنوس الحويك

خواطر وقصص

بقلم الدكتور طه حسين

بين قراء الصحف والمجلات وكتابها صلات منها اللذيذ المحبب الى النفس ومنها الثقيل البغيض . بينهم صلة الفهم والحكم والاعجاب حين يوفق الكاتب الى اختيار الموضوع الذي يكتب فيه وحين يوفق الى احسان الكتابة فيه وحين تصادف معانيه وآراؤه اهواء القراء وتلائم ألفاظه وأساليبه أمزجتهم وطبائعهم ومثلهم العليا أو القريبة من العليا من الجمال الفني فيقرأون ويسيغون ويجدون اللذة الفنية فيستزيدون ويلحون في الاستزادة . ويشعر الكاتب بأن قراءه يستحبون آراءه ويستعذبون ألفاظه ويستزيدونه ويشتاقون اليه وينتظرون أن تطلع عليهم صحيفته أو مجلته ليقرأوه ويسايروه ويشاركوه في لذته وألمه ويشاطروه شعوره وعاطفته فيجد في ذلك لذة لا تعدلها لذة ويحس ميلاً شديداً الى أن يكتب ويحسن ويمعن في الاحسان والاجادة ليعظم حظه من رضا قرائه عنه واعجابهم به . واذا هو أيضاً مشوق الى قرائه كلف بلقائهم بتمثلهم جميعاً حين يكتب ويحس كأنه يتحدث اليهم واضعاً نفسه كلها في أحاديثه شاعراً بأنهم يتذوقون هذه النفس يتقبلونها في رضا وابتهاج وشرة أحياناً . واذا هو متى أتم الفصل وفرغ من تدبيجه يتعجل اليوم الذي يظهر فيه ثم يتعجل الايام التي تلي هذا اليوم ليرى هل قرأ القراء وكيف قرأوا وماذا تركت قراءتهم في نفوسهم من أثر ؟

وعلى هذا النحو تستمر هذه الصلة بين الكتاب والقراء قوية ممعنة في القوة فيكتب هؤلاء ويقرأ أولئك وتنشأ بينهم هذه الصلة الروحية التي تكره كل فريق منهم على ألا يستغني عن الفريق الآخر

ولكن بين القراء والكتّاب صلة اخرى ليست بالحلوة ولا الخفيفة ولا المحببة الى النفس ، ذلك ان لكل شيء غاية وان لكل جهد حداً ينتهي اليه فقد يفتر القراء عن القراءة ويفتر الكتاب عن الكتابة . وويل لأولئك وهؤلاء من فتور أولئك وهؤلاء . فاما حين يفتر القراء فالكاتب معنّى تعب شقي مضطر الى أن يحتال في الطب لهذا الفتور فاذا هو يتكلف الوسائل ويلتمس العلل لينبه قراءه ويوقظ ميولهم ويثير ناحية من نواحي هذه الميول تلتمس ذلك في الحب حيناً ، وفي اللهو حيناً آخر ، وفي العبث والمجون مرة ثالثة ، وفي استكشاف الآراء الغريبة والنظريات التي لا عهد

للقراء بها مرة رابعة ٠ وهو في هذه الحيل يوفق مرة و يخطئه التوفيق مرة اخرى ٠ وأما حين يفتر الكتاب فويل للقراء مما يعرض عليهم من السخف وهراء القول وفاتر الحديث ٠ وويل للكتاب أيضاً فهم أول من يشقى بهذا الفتور ، يشقون به حين يحبون أن يكتبوا فلا يجدون من أنفسهم ولا من ملكاتهم نشاطاً للكتابة ، و يشقون به حين يلتمسون الفكرة فاذا رؤوسهم فارغة وحين يلتمسون اللفظ فاذا هم قد نسوا لغتهم وكأن الله قد خلقهم خرساً لا ينطقون ٠ وهم مع ذلك يحسون بأنهم مضطرون الى أن يكتبوا ، مضطرون الى أن يجدوا الفكرة مهما تفرغ رؤوسهم ، والى أن يجدوا اللفظ مهما تخرس ألسنتهم ، فانظر اليهم يمضون بأقلامهم على الورق متبطئين وقد تقبضت وجوههم وارتسمت عليهم صورة منكرة من الالم كأنما يقتطعون ما يكتبون من رؤوسهم اقتطاعاً . ثم هم يشقون شقاء آخر بهذا الفتور لا يعدله شقاء هو هذا الالم الذي يجدونه حين يلتمسون صدى ما يكتبون فلا يجدون له رجعاً أو يجدون له رجعاً منكراً : يسمعون من هذا القارىء سخطاً ، ويحسون من هذا القارىء ازدراء ، ويلمحون من هذا القارىء شيئاً من الاشفاق والرحمة ، و يجتمع لهم هذا كله في مزاج يغيض من فتور القراء عنهم وازورارهم عما يكتبون

ولا تقل ان هذا الحظ من الشقاء مقدر لفريق دون فريق من الكتاب بل ثق بأنه قسمة الكتاب جميعاً ، لكل منهم نصيبه في وقت من الاوقات ، ولم لا وليس هناك كاتب يستطيع أن يضمن لنفسه النشاط المتصل والقدرة المستمرة على الانتاج الخصب المفيد ٠ والقراء لا يقدرون في اكثر الاحيان هذا الحد الذي ينتهي اليه نشاط كتابهم ومفكريهم انما هم يريدون أن يقرأوا كما يريدون أن يأكلوا وان يستمتعوا بكل لذات الحياة وليس يعنيهم أمر من يقدم اليهم ما يقرأون، وانما يعنيهم أن يقدم اليهم دائماً فصولاً قيّمة ممتعة ، ومتى عنيت حين تذهب الى المطعم بأمر صاحب المطعم فالتمست له المعاذير اذ قدم اليك طعاماً مرذولاً ؟ انما تنصرف عنه مغضباً ساخطاً ان كنت من ذوي الامزجة الحادة أو مغضباً مزدرياً ان كنت من ذوي الامزجة الهادئة

واكثر ما يعرض الفتور للكتّاب في الاوقات التي يشتد فيها نشاط القراء للقراءة ، وانما يشتد نشاط الناس للقراءة حين يفترون عن غيرها من أعمال حياتهم اليومية فيشعرون بالحاجة الى الراحة وانفاق الوقت في شيء ليس هو بالبطالة المسئمة ولا بالحركة المؤلمة : والقراءة هي هذا الشيء ٠ أما في فصل الشتاء والربيع حين يستكمل الانسان نشاطه للحركة والعمل والتصرف في فروع الحياة فميل القراء الى القراءة معتدل لانهم يجدون ما يشغلهم بياض النهار وشطراً من سواد الليل فلا يقرأون الا بمقدار ٠ ولكن انتظر الصيف حين تضعف الاجسام وتثقل عن الحركة

وتبطىء العقول في التفكير ويضطر الانسان الى أن ينفق حياته نائماً او كالنائم . في ذلك الوقت يحتاج القارىء الى الكاتب و يلح عليه في الانتاج وفي الانتاج الخصب المرفه المفيد ، وهو ينسى ان الكاتب انسان مثله قد عمل حين كان له حظ من نشاط واضطرب في الحياة ، حين كان يستطيع أن يضطرب في الحياة ، وهو الآن قد فقد نشاطه او كاد يفقده فثقل جسمه عن الحركة وابطأ عقله في التفكير واحتاج الى أن يقضي وقته كما يقضيه القارىء نائماً او كالنائم محتاجاً الى من يسكه بين البطالة المسئمة والحركة المؤلمة ويرفه عليه بعض الترفيه

لا يقدّر القارىء هذا كله ولا بعضه وانما يريد أن يقرأ وأن يقرأ الشيء الجيد

فأما الذين تعودوا أن يكتبوا الكتب والاسفار فحظهم حسن محتمل فهم يكتبون حين تواتيهم الكتابة ويسكون حين لا يجدون من أنفسهم نشاطاً اليها

ذلك اذا لم تضطرهم ظروف الحيـاة (وكثيراً ما تضطرهم ظروف الحياة) الى امضاء العقود والاتفاقات مع الطابعين والناشرين واذن فهم ككتاب الصحف والمجلات وربما كانوا شراً منهم وأسوأ حالاً

ولست أدري هل أتيح لكثير من القراء ان يظهر على حال كاتب من كبار الكتاب ومجيديهم واشدهم حرصاً على ارضاء الجمهور والظفر باعجابه حين يأخذه هذا الفتور ويفارقه النشاط الى التفكير والانتاج . ولو قد ظهر القراء على حال هؤلاء الكتاب لعرفوا شيئاً كثيراً ، منه ما يرضي ويضحك ومنه ما يغضب ويحنق . والقراء مسرفون في ظلم الكتاب وازدرائهم والعبث بهم ، فهم يتفكهون على حسابهم — ان صح هـذا التعبير — . يسخرون من هذا الكاتب للفظه ، ومن ذلك الكاتب لاسلوبه ، ومن كاتب آخر لتفكيره، ومن كاتب رابع لشكله وصورته ، ولو قد عرفوا كيف يسخر منهم الكتاب حين يكتبون ولا سيما أثناء هـذا الفتور والضعف لاستيقنوا بأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وان عبث الكتاب بهم ليس أقل من عبثهم بالكتاب . فكم يعلن الكاتب سخطه على قرائه وصحيفته وفنه ! وكم يهزأ الكاتب بعقول قرائه ، وصاحب صحيفته ! وكم يرسل الكاتب قراءه وصحيفته « الى الجن » كما يقول الفرنسيون

زعموا ان أناتول فرانس أمضى اتفاقاً مع صحيفة من صحف فينا وكانت صحيفة رائجة عظيمة الانتشار . وكان عوضها عليه قيماً فلم يستطع رفضه ايثاراً للمال ، وكان مكلفاً ان يكتب لها فصلاً سياسياً في كل أسبوع فكان يقضي أسبوعه كله دون أن يكتب من هذا الفصل حرفاً ولكنه يقضي أسبوعه كله مفكراً في انه سيجيء يوم يصل فيه مندوب الصحيفة ليأخذ هذا الفصل

وكانت هذه الفكرة وحدها كافية ليسرف في لعن الصحيفة وقرائها وفن الكتابة . ولكن الساعة آتية لا ريب فيها . فاذا أمسى مساء الاربعاء جاء الخادم فأنبأ سيده بأن مندوب الصحيفة بالباب فانظر اليه كيف يضطرب ويثور ويصخب ويهم بطرد المندوب لولا ان صديقته « مدام دي كايافيه » تهدئه وترفق به وتشجعه فيأمر بأن يدخل المندوب ويقدم اليه قدح من النبيذ الابيض ويأخذ في كتابة الفصل . ولا تسل كيف كان يكتب هذا الفصل ، انما كان يقتطع من الصحف المختلفة اقتطاعاً ويضم الفقر المقتطعة بعضها الى بعض مع شيء من الزيادة والحذف والتغيير ولكن هذه السرقة أو هذا العدوان كان يحتاج الى الوقت المادي وكان الخادم يأتي من حين الى حين ليتعجل الفصل ، فكان الكاتب يجيب أعطوه النبيذ ! أعطوه نبيذاً أبيض ان كان قد شرب نبيذاً أحمر ، او احمر ان كان قد شرب نبيذاً أبيض . وما يزال الخدم يلهون الرجل بألوان النبيذ والكاتب وصاحبته يلفقان حديثهما من الصحف حتى يتم لهما هذا التلفيق ويمضيه اكبر كتاب فرنسا ويدفعه الى المندوب مبتسماً ويتقاضى أجره الضخم ويصبح القراء مبتهجين بما قرأوا من آيات الكاتب العظيم

فاذا كنت لا ترى في هذا استهزاء بالقراء وعبثاً بعقولهم لا يشبهه عبث فانت رجل سمح كريم الطبع

***

وما لي أتحدث اليك بهذا الحديث وانا أقسم ما فكرت فيه حين نهضت لاملي على صاحبي تلخيص القصة الذي تعودت أن امليه أول كل شهر هذه السنة لارسله الى الهلال . ذلك اني منذ أقبل الصيف أفكر في هذه القصة طوال الشهر ولكني لا أقرأ شيئاً ولا أكتب شيئاً . انما افكر ساخطاً على الحياة والاحياء والواجب والذين يلحون في أن تؤدي الواجبات منكراً هذا الوعد الذي وعدته الهلال والذي يضطرني الى ان ألخص قصة في كل شهر حتى اذا انقضى الشهر واقبل الشهر الجديد ازداد هذا التفكير حدة وهذا الضيق شدة وساء له خلقي بعض الشيء ولكني مع ذلك ارجىء القراءة والكتابة من يوم الى يوم ، ثم أصبح ذات يوم فاذا بطاقة من الهلال تتعجل القصة ، او دقة من الهلال في التليفون وسؤال رقيق لطيف عن القصة ، أجيب عليه في لطف ورفق . ولكن ويل لصاحبي ولمن حضرني بعد هذا الجواب !...

ومن غريب الامر ان الهلال قد أسرع هذا الشهر فتعجل القصة في اليوم الثاني وقد كان يتعجلها في اليوم العاشر او الحادي عشر ، ولكن اسراع الهلال لم يغير من ابطائي ، فلم أصنع شيئاً

حتى كان اليوم الثامن من هذا الشهر فلم أر بدأً من التفكير في الهلال وقصة الهلال وقراء الهلال وقلت (وأنا أعتذر الى هؤلاء جميعاً) : أفرغ لهم صباح اليوم فاذا كان المساء كنت قد انتهيت من هـذه الضائقة · وخلوت الى صاحبي والى طائفة من القصص وأخذت أختار · وكنت قد قرأت عرضاً للهو والفكاهة قصصاً تمثيلية جديدة أربعاً او خمساً وكنت راضياً عن اكثرها حين قرأتهـا ، فيسألني صاحبي : ولمَ لا تلخص هـذه القصة ؟ فافكر قليلاً ثم أجيب : لان فيها عبثاً كثيراً لا يلائم مزاج القراء · يقول صاحبي : فتلك ؟ فأجيب : قد تسخط رجال الدين · ـ فالثالثة ؟ فأجيب : ان للهلال قراء من السيدات والفتيات واكره ان أوذيهن بما لا يحببن · واؤكد لك ان ليست هذه القصص التي ارفض تلخيصها خيراً ولا شراً من القصص التي لخصتها الى الآن ، فقد لخصت ما فيه عبث ، وقد لخصت ما يغضب اولئك او هؤلاء ولكن حقيقة الامر انه الصيف واني سئمت الكتابة واني ألتمس المعاذير لتأجيل هـذه الكتابة ، والتمس في القراءة اسباب النشاط الى الكتابة · وقد كان العقاب صارماً هـذه المرة فقرأت قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي لوسيان بسنار (Lucien Besnard) عنوانها « في ظل الحريم » (A l'ombre du harem) وهي قصة تمثيلية قصد بها صاحبها الى شيء من الترفيه على النظارة في اغراب ، تحدث اليهم فيها عن أمير مسلم في بلد لم يعينه ولكنه يشبه أن يكون في المغرب الاقصى أخضع للحماية الفرنسية واتصل به مهندس فرنسي ، ففتن هذا المهندس زوج الامير وأغواها وعرف الامير ذلك ولم يرد أن يجهر بالانتقام فاحتال حتى سرق ابن المهندس واضطر امرأته الى أن تسعى الى قصره تستعطفه وتسأله أن يرد اليها ابنها، فلما صارت عنده احتبسها واراد ان يحملها اثم زوجها وان ينتقم منه في شخصها · ولكن هذه المرأة كانت أماً شديدة البر بابنها ، فمحت عاطفة الامومة منها كل شيء آخر كما محت من نفس الامير كل ميل الى الاثم فقضيا معاً ليلة طاهرة · ولكن الامير يريد ان ينتقم فيأخذ على المرأة عهـداً لتكذبن على زوجها ولتنبئنه بأنها قد اسلمت له · وكذلك تفعل لتظفر بابنها ، فيرد اليها الصبي وتعود الى فرنسا ويطلب زوجها الطلاق وتوشك المحكمة ان تقضي له لولا ان الامير قد تتبع القضية فأسرع الى فرنسا وشهد بالحق امام القضاء لانه كان قد أحب هذه المرأة

قرأت هذه القصة ولكني رأيت فيها من الاغراب والاحالة ما نفرني من تلخيصها · فانصرفت عنها الى قصة اخرى « لسنا بعد أطفالاً » (Nous ne sommes plus des enfants) للكاتب الفرنسي ليوبول مارشان (Léopold Marchand) تمثل عبث الشباب وغرور الشبان وكيف يخيل اليهم انهم قد اصبحوا رجالاً فينصرفون الى حياة الرجال ويفسدون على انفسهم لذات الشباب حتى تنقضي الشباب حقاً واصبحوا رجالاً ندموا وحاولوا ان يستردوا لذات الشباب فاذا هم قد تغيروا واذا الاسباب قد تقطعت بينهم وبين هذه اللذات · ولكني رأيت في القصة فتوراً وطفولة وشيئاً

اشبه بواجبات الشبان في المدارس . وانا اريد ان اتخير لقراء الهلال قصة مرضية معجبة

فانصرفت عنها الى قصة اخرى شعرية قصيرة للكاتب الفرنسي المشهور هنري باتاي (Henri Bataille) عنوانها « حلم في مساء حب » (Songe d'un soir d'amour) وفي الحق اني قرأت هذه القصة القصيرة فرضيت عنها واعجبت بها اعجاباً شديداً ورأيت انها تلائم عقلي كما تلائم هواي وقلت : أخصها لقراء الهلال ، ولكنها شعر وجمالها الفني في اللفظ والخواطر الشعرية وأنّى لي في هذا القيظ المهلك ان اعطي قراء الهلال صورة صادقة او مقاربة من هذا الاثر الفني البديع . والقصة في نفسها يسيرة فهو شاعر احب امرأة وكلف بها ثم خانته هذه المرأة فهو يألم لهذه الخيانة ويحاول ان يتعزى عنها فيصادف امرأة جميلة رقيقة مترفة تحبه وتريد ان تعزيه ولكن ذكرى المرأة الاولى تتمثل له في كل سبيل فتحول بينه وبين كل لذة . وقد اقبل هذا المساء على صاحبته الثانية وكاد يشعر بحبها ويستمتع بقربها لولا ان هذه الذكرى تمثلت له ووقفت امامه يراها هو ولا تراها المرأة . فالمرأة تدنو منه ويهمّ ان يدنو منها ولكن للذكرى اشارات والفاظ يراها هو ويسمعها فينأى بعد قرب ويصدّ بعد دنو . وما تزال المرأة به وما يزال هو بنفسه حتى يخيل اليه انه قد انتصر على الذكرى وهو يلتزم المرأة تقبيلاً ولثماً ولكن الذكرى قد انزلقت بينهما فهو لا يلثم ولا يقبل ولا يلتزم الا صاحبته الاولى

ثم يحسان نبأة فيفترقان ويقبل صاحب المرأة وقد شك في شيء فيفاضبها وتعود المرأة الى الشاعر عارضة نفسها عليه عرضاً وما كان اسعده بأن يقبل لولا ان الذكرى قائمة امامه تكرهه على ان يأبى ويعلن الى صاحبته انه لا يحبها

هذه خلاصة القصة ولكن من لي بما كان يطلبه بشر بن المعتمر الى الكتاب أن يأخذوا من وقتهم للكتابة ساعة نشاطهم وفراغ بالهم . وهل الى النشاط وفراغ البال سبيل في هذا الوقت الثقيل ؟

فلأنصرف اذن عن هذه القصة الشاقة الى قصة اخرى أيسر منها وأدنى الى التلخيص ولقد ظفرت بهذه القصة وظفرت بها حقاً ووجدت في قراءتها لذة وهي قصة « النية الحسنة » (La bonne intention) للكاتب الفرنسي فرانسيس دي كرواسيه (Francis de Croisset) ظريفة اللفظ لطيفة المعنى سريعة الحوار قيّمة الموضوع تمثل امرأة مغنية كبيرة جميلة كثيرة العشاق قد أقبلت عليها فتاة من بنات الاغنياء تدعوها باسم أبيها لتغني عندهم ذات ليلة فتقبل الدعوة وتتحدث الى الفتاة تسألها عن الحب والشبان فتنبئها الفتاة بان ليس لها من ذلك كله حظ ولكن نظرة من الفتاة تقع على طاقة من الزهر تعجبها فتدنو الفتاة من الطاقة فترى بطاقة مرسلها

فتضطرب وتهم أن تنصرف فما تزال المغنية بها حتى تعرف منها أن مرسل هذه الطاقة قد خطبها ثم انصرف عنها وانها أحبته وألمت لهذه القطيعة. وتمضي الفتاة ، و يأتي صاحب الطاقة لوعد كان بينه وبين المغنية فهو يحبها منذ أشهر و يرجو أن يظفر منها اليوم بما يريد ، ولكنها تلقاه متنكرة مؤنبة وتلقي عليه في الاخلاق دروساً فقد اقسمت لتردنه الى الفتاة . اما هو فيسمع لها غير حافل بها و يمضي في استعطافها حتى اذا وجد منها الاباء عمد الى عاطفة الغيرة فاستغلها واخذ يعدد لها اخدانه من صديقاتها فتأخذها غيرة شديدة وتسمح له ، ولكنها لم تنس الفتاة ولم تنس انها تريد ان ترد عليها خطيبها فهي الآن تجاهد نفسها بين الاحتفاظ بهذا الفتى والبر بذلك الوعد . وما تزال في هـذا الجهاد حتى تظفر واذا هي مقتنعة بانها ان تكن قد اثمت فانما اثمت في سبيل الخير : أليس الفتى قد وعدها بأن ينصرف من عندها ليذهب الى ابي الفتاة خاطباً ؟

ولكن بأي وجه الق الناس وفريقاً منهم بنوع خاص لو أنني ذهبت الخص هذه القصة في شيء من التبسط والتفصيل ؟ ستقول ولكنها تنتهي انتهاء حسناً ملائماً للاخلاق . نعم ولكن طريقها الى هذا الانتهاء معوجة فيها ورد كثير يحفه شوك اكثر فما لي لا اعدل عنها الى قصة اخرى مستقيمة سليمة العاقبة ؟

وقد وفقت الى هـذه القصة صباح اليوم بعد ان قرأت يومين كاملين . وفقت اليها وقرأتها وأعترف انها تلائم الهلال وقراء الهلال وتلائم الاخلاق والعادات وتحرج المتحرجين وفيها دقة في التحليل وحرص على الاجادة واجادة ظاهرة وهي تمس موضوعين نحن في أشد الحاجة الى درسهما : أحدهما ضعف الرجال عن تدبير أمورهم ، والثاني حرص المرأة على كرامتها . وهذه القصة قد كتبها الكاتب الفرنسي المشهور الفريد كابو (Alfred Capus) وعنوانها « برينيول وابنته » (Brignol et sa fille)

وأنا أريد أن ألخصها لك ولكني بدأت اقرأ في الساعة التاسعة صباح اليوم وقد قرأت أمس وأول أمس وقد بلغت الآن الساعة الثانية حين يشتد القيظ و يذهب النشاط و يخضع الناس جميعاً قراؤهم وكتابهم لهذا الفتور الثقيل اللذيذ الذي يضطرهم الى الراحة والتماس الهدوء في النوم أو القراءة أو فيهما معاً ، ألست ترى من الخير ان ندع الفريد كابو وقصته وأن نودع الهلال وقراءه؟ فقد ألاحظ ان هذا « العدد » هو آخر اعداد هذه السنة من سني الهلال . وهل تسمح لي الهلال وقراؤها أن أقدم اليهم أجمل الشكر على هذه العناية القيمة التي تفضلوا بها عليَّ وعلى ما كتبت لهم من رسائل وفصول ؟

طه حسين

عجائب الجهاز العصبي

نظام تلفوني للجسم

منذ عامين او ثلاثة وضع الجنرال سمطس وهو السياسي البويري المعروف كتاباً في الانجليزية أطلق عليه اسم « فلسفة الكليات » ارتأى فيه عن الحياة عدة آراء طريفة كان أهم ما استلفت نظرنا فيه قوله ان التطور ناموس شامل يبدأ من المادة الى الحياة الى العقل . فغاية المادة ان تكون حياة وغاية الحياة ان تكون عقلاً

وفي اجسامنا ما يدل على ان الجهاز العصبي كله بما فيه الدماغ والاعصاب يقف من الجسم بمقام الملك من الرعية لا من حيث التحكم والسلطان فقط بل ايضاً من حيث عناية الجسم به . فلو ان قحطاً نزل بشعب ما لاصاب الجوع جميع الناس ما عدا الملك . وهذا ما يحدث بالفعل في اجسامنا وقت الجوع الاضطراري او الاختياري . فاذا صام احدنا مثلاً خمسين يوماً فانه يفقد نحو خمسين رطلاً من لحمه وشحمه ولكنه لا يفقد درهماً واحداً من اعصابه . فبينما الكبد تنزل الى نصف وزنها والقلب يفقد ثلثه وجدران الامعاء والمعدة ترق حتى تصير كالورق والعضلات تضمر وشحم البطن يزول تبقى الاعصاب سليمة صحيحة . وهي انما تسلم مدة الصوم بما تأكله وتتغذى به من نسيج الجسم

ويمكن القارىء ان يبحث صحة نظرية الجنرال سمطس بأن يضع على مائدته وقت الطعام اربعة او خمسة انواع من الحيوانات التي تأكلها وينظر في ادمغتها بشرط ان ينتقيها بترتيبها في التطور . فليضع واحداً من الجنبري وهو حيوان لم تنشأ فيه الفقار بعد ثم سمكة ثم حمامة ثم ارنب . فعلماء التطور يقولون ان الجنبري سبق السمك وهذا بالطبع سبق الحمام والارنب . ولكن الارانب من اللبونات وهي ارقى الحيوانات الآن

فلنبدأ الآن بتمخخ رءوس هذه الحيوانات . وليكن التمخخ بحذق واحتراس حتى يخرج الدماغ سليماً فنستفيد منه علماً ونستمرئه طعماً . فأول ما نلاحظه ان نسبة الدماغ الى الجسم من حيث المقدار تزداد كلما ارتقينا من الجنبري الى السمك الى الحمام الى الارنب . فقد تكون السمكة التي امامك تزن اربعة ارطال ومع ذلك فكمية ما فيها من دماغ اقل مما في الحمامة التي لا يبلغ وزنها رطلاً او بعض رطل اما اذا قابلتها بالارنب فأنت في حاجة الى سمكة لا يقل وزنها عن ٣٠ او ٤٠ رطلاً لكي تستخرج منها دماغاً يبلغ في وزنه ما تستخرجه من الارنب الصغير

ولكن ليست العبرة بالكمية فقط بل هي ايضاً بالكيفية · والكيفية أهم من الكمية فان دماغ الفيل اكبر من دماغنا اذا اهملنا النسبة الى الجسم · ولكن نحن نمتاز عنه بأن الجزء الامامي من الدماغ وهو المخ اكبر جداً من الجزء الخلفي وهو المخيخ · وهذا ما يجده القارىء ايضاً في الرؤوس التي فرضنا وجودها على المائدة فكلما ارتقى الحيوان من الجنبري الى السمك الى الحمامة الى الارنب زاد المخ على المخيخ · بل انت لا تكاد ترى مخاً للسمكة وانما ترى مخيخاً فقط اما في الانسان فان المخ يطغى على المخيخ حتى يحصره في مؤخرة الدماغ واسفله

وما الفرق بين المخ والمخيخ ؟

المخيخ يتسلط على حركة الجسم وهو مركز الاحساس بالعالم الخارجي فهو لذلك أسبق في التطور من المخ الذي هو مركز التمييز والتفكير · والمراكز الرئيسية للجهاز العصبي أربعة :

١ ـ المخ وهو مركز التفكير والتمييز وهو كبير جداً في الانسان ثم يصغر بالتدريج حتى يكاد ينعدم في الحيوانات الدنيا

٢ ـ المخيخ وهو مركز الحواس الخمس وهو الذي يتسلط على حركة الجسم ومكانه مؤخر الرأس الاسفل في الانسان

٣ ـ عصب الفقار وهو يقوم أحياناً بوظيفة المخيخ

٤ ـ العصب السمبثاوي وهو يجري باستطالة عصب الفقار ويتسلط على الاعمال الاضطرارية كحركة الامعاء مثلاً

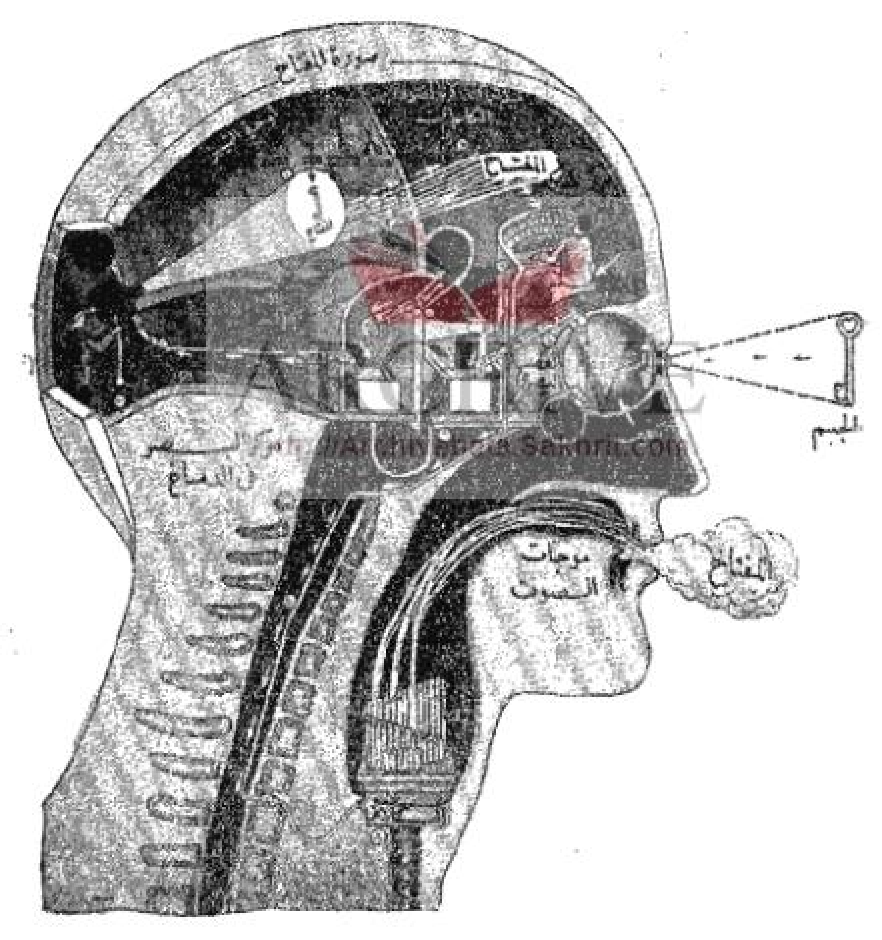
وتتشعب في انحاء الجسم أعصاب دقيقة تنفرش على البشرة وتنقل لهذه المراكز صورة العالم فتدفع هذه المراكز مؤتلفة أو مستقلة عضلات الجسم الى الحركة

ولننظر الآن في مثال نعرف منه كيف نحس بالعالم الخارجي ولنفرض ان أمامنا مفتاحاً تتدرج من بدء رؤيته الى أن ننطق باسمه . فأول ما تقع عيننا عليه تنعكس صورته في عدسة العين · وهذه العدسة لا تختلف من عدسة قمرة التصوير · ثم تعمل الاعصاب في النقل عمل التلفون · فمن العين الى المخيخ نجد أعصاباً تنقل صورة المفتاح ومن المخيخ الى العين نجد أعصاباً أخرى تنقل الاحساس بالرؤية · ومن « مركز البصر في الدماغ » تنتقل الصورة الى « مخزن الذاكرة » · ومن هنا تنتقل الصورة الى المخ للمقابلة والمقارنة والتمييز بحيث نعرف هل ما نراه مقص أم ملعقة أم مفتاح عند « لوحة التمييز » ومن هناك تنتقل الصورة الى مقدم المخ حيث « ميدان الذاكرة لصور الكلمات » فنتخيل المفتاح ثم تنزل الصورة الى « مركز الحركة للكلام » وراء الجبهة وهذه

المركز متصل بالحنجرة أي « عضو الكلام » وهناك يخرج الصوت الى الفم فننطق بلفظة « المفتاح »

ولكن كيف يمكن القارىء ان يصدق هذا الوصف ؟

عندنا طريقتان لاثبات ذلك . الاولى تتلخص في ان بعض الناس يصابون بأمراض أو جروح أو تدخل العيارات النارية أحياناً في رءوسهم وتثبت في مكان ما من الرأس فتعطل احدى الكفايات كالنطق أو النظر أو السمع فنفهم من ذلك مكان هذه الكفايات بتكرار الحوادث حتى يمكننا ان نعرف طبغرافية الدماغ . والثانية ان الحيوانات التي هي أدنى من الانسان يكون دماغها أصغر من بعض نواحيه فهي لذلك تكون انقص منه في الكفايات التي يمتاز بها عنها



كيف ندرك رؤية المفتاح ؟

آراء طبيب مصري منذ ۹۰۰ سنة

فصل من كتاب « دفع مضار الابدان بارض مصر » لابن رضوان

يحسن بنا الآن وقد انصرفت العناية الى بث الدعوة الصحية في مصر بما يذاع من النشرات وما يقام من المتحفات وما يعرض من الاشرطة السينمية وما يكتب في الصحف والمجلات من الرسائل والمقالات ـ يحسن بنا الآن أن نرجع ۹۰۰ سنة الى خلف لنرى ما كانت عليه حالة مصر الصحية وما كان عليه علم الطب وآراء الاطباء في ذلك الزمان

وقد عاش في مصر في القرن الخامس للهجرة طبيب هو علي بن رضوان بن علي بن جعفر أبو الحسن المصري وقد الف رسالة جمة الفوائد أسماها « دفع مضار الابدان بارض مصر » . وقد جاء عن هذا الطبيب المصري في كتاب « النجوم الزاهرة في ملوك القاهرة » ما يأتي : « كان من كبار الفلاسفة في الاسلام وكان له دار بمدينة مصر على قصر الشمع تعرف بدار ابن رضوان وقد تهدمت الآن ، كان اماماً في الطب والحكمة كثير الرد على أرباب فنه . وكان فيه سعة خلق عند بحثه وله مصنفات كثيرة . توفي سنة ثلاث وخمسين واربعمائة »

ومن كتابه هذا الذي نحن بصدده ثلاث نسخ بدار الكتب المصرية الاولى كانت في ملك « ولي النعم الحاج ابراهيم باشا والي جدة » في ٥٢ ورقة دخلت في ملك الشيخ حسن الجبرتي وختمه عليها يؤكد ملكيتها له وكانت من مجموعة المرحوم مصطفى باشا فاضل والثانية كانت أيضاً في ملك الشيخ حسن الجبرتي وعلى هذه النسخة عبارة نصها : « انتقل بالشراء الشرعي من ولده في ١٢ رمضان سنة ١٢٤٠ الملك يحيى الشهير بالحكيم وخط هذه النسخة وأوراقها ٢٢ مشكولة مكتوبة سنة ١٠٩٦ هـ اما الثالثة فخطها نسخ في ٧٦ صفحة بحروف مجونة في قطع اكبر وعلى ورق صقيل ومن غير تاريخ ويظهر انها منقولة ولم يذكر اسم الناسخ ولا عهد كتابتها

على انه موجود أيضاً بالدار نسخة أخرى منها عنوانها رسالة في حكم طب اهل مصر وفي حكم الفصول الاربعة وما يحمد فيها وما يخبث بها للشيخ سري الدين بن الصائغ الحنفي الطبيب سنة ٩٨٤ وهي منقولة تقريباً بالحرف من كتاب دفع مضار الابدان ومنسوبة لابن الصائغ هذا وربما رجعنا الى نقل مقالات مناسبة

ولكي يدرك القارىء محتويات هذا الكتاب نذكر له فصوله وموضوعاته وهي :

الفصل الاول : في صفة أرض مصر ومزاجها
« الثاني : في صفة اختلاف هوائها وما يتولد منها
« الثالث : في الاسباب الستة المحيطة بالصحة والمرض بارض مصر
« الرابع : في فصول السنة بارض مصر

الفصل الخامس : في ان اكثر ما أعطاه ابن الجزار من أسباب وخم أرض مصر ليس بصحيح
« السادس : في اختصاص المدينة الكبرى اليوم بمصر في هوائها وجميع أحوالها
« السابع : في الوقوف على أسباب الوباء وسائر الامراض الوافدة
« الثامن : في اعادة ما تقدم على سبيل الجملة وشرح أمر الاسباب الستة المحيطة بالصحة والمرض
« التاسع : في الحيلة الكلية في حفظ الصحة ومداواة الامراض
« العاشر : فيما ينبغي للطبيب أن يفعله في الابدان بارض مصر
« الحادي عشر : في صفة تدبير الابدان بارض مصر
« الثاني عشر : فيما يصلح رداءة الهواء والماء والغذاء بارض مصر
« الثالث عشر : فيما يدفع به ضرر الامراض الوافدة بمصر
« الرابع عشر : في نسخ أدوية تستعمل في دفع للضار وحفظ الابدان
« الخامس عشر : في انه ينبغي أن يختار السكنى بمصر وان كانت تفعل في الابدان رداءة

* * *

وكان الدكتور مكس مايرهوف طبيب العيون المستشرق قد اختار منها الفصل السادس وترجمه واراد أن يتقدم به الى المؤتمر الجغرافي بصفة كونه يتناول الجغرافية الطبية لمصر ولكن حالت دون ذلك حوائل. وقد طبع ذلك في رسالة بالالمانية زينها ببعض صور الفسطاط وخريطة جغرافية لمصر في ذلك الزمن (وهي المنشورة مع هـذا المقال) وقد رأينا نقل هذا الفصل الى « الهلال » فيما يلي لما فيه من الفائدة الجغرافية والتاريخية القيمة (توفيق اسكاروس)

اختصاص المدينة الكبرى بمصر في هوائها وجميع أحوالها

أما أرض مصر في الهواء والماء والغذاء والتربة فقد قلنا في ذلك على طريق العموم ما فيه كفاية ، اما الآن فانا نقول في المدينة الكبرى في هـذه الارض خصوصاً ليكون ذلك مثالاً يحتذى عليه في غيرها . والمدينة الكبرى بارض مصر ذات أربعة أجزاء ، الفسطاط والقرافة ، والجزيرة ، والقاهرة والجيزة ، وبُعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة ، والجبل المقطم في مشرقها وبينه وبينها مقابر المدينة . وقد قالت الاطباء ان اردأ المواضع ما كان الجبل في مشرقها يعوق عنها ريح الصبا وأعظم أجزائها هو الفسطاط و يلي الفسطاط من المغرب النيل وعلى شط النيل الغربي أشجار كثيرة طوال وقصار وأعظم أجزاء الفسطاط موضع في غور فانه يعلوه من المشرق المقطم ومن الجنوب الشرق ومن الشمال الموضع العالي من عمل فوق اعني الموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومتى نظرت الى الفسطاط من الشرق أو من مكان آخر مرتفع رأيت وضعها في غور

وقد بيّن ابقراط أن المواضع المتسفلة أسخن من المواضع المرتفعة واردأ هواء لاحتقان البخار فيها ولأن ما حولها من المواضع العالية تعوق تخلل الرياح اليها وازقة الفسطاط وشوارعها ضيقة وأبنيتها عالية

ومن شأن أهل الفسطاط أن يرموا ما يموت في دورهم من السنانير والكلاب ونحوها من الحيوان الذي الف الناس في شوارعهم وأزقتهم فتتعفن و يخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم ايضاً انهم يرمون في النيل الذي يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفهم ، ومجاري كنفهم تصب فيه ، وربما انقطع جري الماء فيشربون هذه العفون باختلاطها بالماء

وفي خلال الفسطاط مستوقدات عظام يصعد منهما في الهواء دخان مفرط وهي أيضاً كثيرة الغبار لسخافة الارض حتى انك ترى الهواء في أيام الصيف كدراً يأخذ بالنفس ويتسخ الثوب النظيف في اليوم الواحد . واذا مر الانسان في حاجة لم يرجع الا وفي وجهه ولحيته غبار كثير و يعلوها في العشا خاصة في أيام الصيف بخار كدر اسود واغبر ولا سيما اذا كان الهواء سلياً من الرياح فاذا كانت هذه الاشياء كما وصفنا فمن البين انها تضر الروح الحيواني الذي فينا حاله هذه الحال فيتولد اذاً في البدن من هذه الامور فضول كثيرة واستعدادات نحو العفن إلا ان الف أهل الفسطاط لهذه الحال وانسهم بها يعوق عنهم اكثر شرها وان كانوا على حال يسرع أهل ارض مصر وقوعاً في الامراض، وما يلي النيل من الفسطاط يجب أن يكون أرطب مما يلي الصحراء وأهل الشرق أصلح حالاً لتخرق الرياح لدورهم وكذلك عمل فوق ، والحمراء ، الا أن أهل الشرق ماؤهم الذي يشربونه أجود لانه يستقى قبل أن تخالطه عفونة الفسطاط

فاما القرافة فأجود هذه المواضع لان المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها واذا هبت ريح الشمال مرت باجزاء كثيرة من بخار الفسطاط من المرور بها ، والقاهرة على الشرق تغيرت حالها وظاهر ان المواضع المكشوفة في هذه المدينة هي أصح هواء وكذلك حال المواضع العالية

و يلي الفسطاط في العظم وكثرة الناس القاهرة وهي في شمال الفسطاط وفي مشرقها ايضاً المقطم يعوق عنها ريح الصبا والنيل منها أبعد قليلا وجميعها مكشوف للهواء وان كان عمل فوق ربما عاق عن بعض ذلك وليس ارتفاع الابنية بها كارتفاع أبنية الفسطاط لكن دونها كثيراً وازقتها وشوارعها أوسع وانظف واقل وسخاً وابعد من العفن واكثر شرب أهلها من مياه الآبار واذا هبت الريح تخترقها واذا هبت ريح الجنوب احدرت من بخار الفسطاط على القاهرة شيئاً كثيراً وقرب مياه آبار القاهرة من وجه الارض مع سخافتها يوجب ضرورة ان يصل اليها بالرشح من عفونة الكنف شيء ما ، و بين القاهرة والفسطاط بطايح تمتلىء من رشح الارض في أيام فيض النيل و يصب فيها بعض خرارات القاهرة ومياه هذه البطايح ردية لوقوفها وتسبخ ارضها وما يصب فيها من العفونة والبخار المرتفع منها على القاهرة والفسطاط زائد في رداءة الهواء بهما و يطرح في جنوب القاهرة قذر كثير نحو حارة الباطلية

وكذلك ايضاً يطرح في وسط رحبة العيد الا انه اذا تأملنا حال القاهرة كانت بالاضافة الى الفسطاط اعدل واجود هواء واصلح حالاً لان اكثر عفوناتهم ترمى خارج المدينة والبخار ينحل

منها اكثر ، وكثير ايضاً من اهل القاهرة من يشرب من ماء النيل وخاصة في ايام دخوله الى الخليج وهذا الماء يستقى بعد مروره بالفسطاط واختلاطه بعفوناتها

واما الجيزة فهي غربي النيل وهي صغيرة ووضعها في سمت الموضع العامر من الفسطاط وحولها من الاشجار والنبات شيء كثير ، ومن شأن المواضع الكثيرة الاشجار ان يكثر فيها العفن كما قال القدماء . وعلة ذلك ما ينحل من الشجر من الفضول وما يحتقن بين الشجر من البخار والماء الذي يشربونهُ هو من النيل يستقى من غير مخالطة لعفن الفسطاط لان مصب النيل نحو الجيزة اكثر وما يليهم منه لا يمر بالفسطاط الا ان ينقطع مصب النيل من جهة الفسطاط فتبلغ العفونة الى الجيزة ولشدة مجاورة الجيزة النيل تكون ارطب

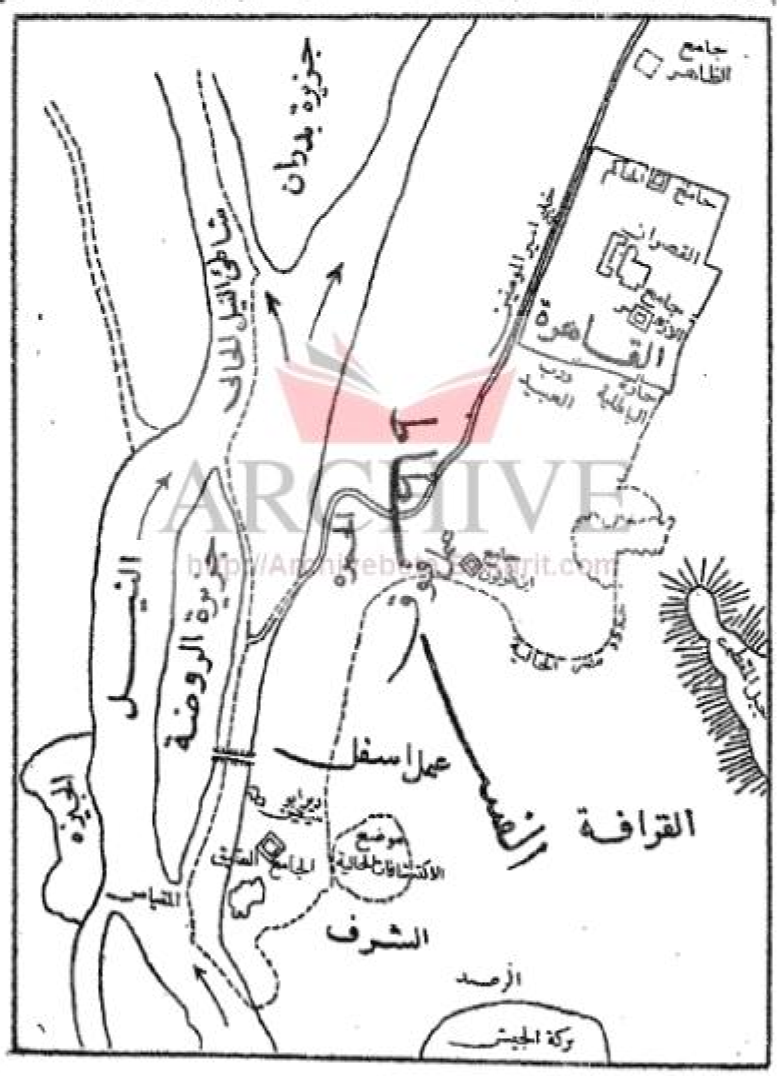
واما الجزيرة فأصغر من الجيزة وهي في وسط النيل بين الجيزة والفسطاط وفيها ايضاً اشجار كثيرة وهي على حال ارطب هذه المواضع لان النيل محيط بها من كل جانب فظاهر ان اصح اجزاء المدينة الكبرى القرافة ثم القاهرة والشرق وعمل فوق مع الحمرا والجيزة وشمال القاهرة اصح من جميع هذه لبعده عن بخار الفسطاط وقربه من الشمال . واردأ موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلي النيل والسواحل والى جانب القاهرة من الشمال الخندق وهو في غور وهواه يتغير لهذا السبب فاما المقسم فمجاورته للنيل تجعله ارطب

واذا كان في الشتاء وأول الربيع حمل من البحر المالح سمك كثير فيصل الى هذه المدينة فيجتمع في ابدانهم منه فضول كثيرة عفنة فلولا اعتدال امزجتهم وصحة ابدانهم في هذا الزمان لكانت تولد فيهم امراضاً كثيرة قاتلة الا ان قوة الاستمرار يعوق عن ذلك وربما انقطع النيل في آخر الربيع واول الصيف من جهة الفسطاط فيعفن ما بقي من الماء بكثرة ما يلقى فيه الى ان يبلغ عفنه ان يصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر ان هذا الماء اذا صار على هذه الحال غيّر مزاج الناس تغييراً محسوساً

وفي جنوب هذه المدينة على مسافة بعيدة موضع يدعى الفيوم يخزن فيه ماء النيل ويزرع عليه مرات في السنة حتى انك ترى هذا الماء اذا خلي تغير لون النيل وطعمه واكثر ما يحس منهُ هذه الحالة في البحيرة التي تكون في أيام النيل بسفط ونهيا وصاعداً الى ما يلي الفيوم وهذه حال تزيد في رداءة حال أهل المدينة ولا سيما اذا هبت ريح الجنوب ومن شدة تجاوز الفسطاط والقاهرة والجزيرة والجيزة تشترك جميعاً في الهواء والغذاء والماء والامراض الوافدة وان كان ذلك في بعضها أيسر منه في بعض .

فمن البيّن ان اهل المدينة الكبرى بأرض مصر اسرع وقوعاً في الامراض من جميع اهل هذه الارض ما خلا الفيوم فانها ايضاً وبية بسبب ما ذكرنا وأردأ ما في المدينة الكبرى الموضع الغابر من الفسطاط ولذلك غلب على اهله الجبن وقلة الكرم فانهُ ليس منهم واحد يغيث الآخر ولا

يضيف الغريب الا في النادر ويغلب عليهم الحسد وصاروا من اهل السعاية والاغتياب على امر عظيم ولقد بلغ بهم الجبن الى ان خمسة اعوان تسوق منهم مائة رجل وأكثر ويسوق الخمسة الاعوان رجل واحد من اهل البلدان الاخرى ممن قد تدرب في الحرب فقد استبان اذاً ان العلة والسبب في ان صار اهل المدينة الكبرى بأرض مصر اسرع وقوعاً في الامراض وأضعف أنفساً ولعل بهذا السبب اختار القدماء اتخاذ المدينة في غير هذا الموضع فمنهم من جعلها بمنف وهي مصر القديمة ومنهم من جعلها بعين شمس ومنهم من جعلها بالاسكندرية ومنهم من جعلها في غير هذا الموضع



عاصمة الديار المصرية في القرن الخامس للهجرة

هل الاديان منتشرة بين جميع الشعوب؟

يعتقد كثير من الناس أن الاديان منتشرة بين جميع شعوب العالم بلا استثناء . فلا توجد جماعة من البشر متمدينة أو متوحشة الا وتدين بدين ما وتعبد الله او آلهة او أصناماً . ولكن هذا وهمٌ بعيـد عن الحقيقة لا يطابق الواقع . اذ توجد شعوب عديدة لا تدين بدين ولا تعتقد أية عقيدة بل لا تجد في لغاتها ألفاظاً تدل على معنى من معاني الدين كالله أو آلهة أو عبادة أو روح او خلود و ما الى ذلك

وانا ندلل على ذلك برأي علماء الاجتماع وفلاسفة الغرب وما استشهدوا به من أقوال الرحالة والمكتشفين الجغرافيـين والمبشرين من رجال الدين الذين اختلطوا بمعظم شعوب العـالم في مختلف القارات.

قال الفيلسوف هربرت سبنسر في الكتاب الرابع من مؤلفه « أصول علم الاجتماع »

« توجد ادلة بأن النـاس الذين فصلوا عن عالم الافكار المكتسبة مذ طفولتهم بسبب من الاسباب خلو من كل فكرة دينية . فقد ذكر الدكتور كيتو الذي كان أصم في مؤلفه « الحواس المفقودة » صفحة ٢٠٠ شهادة سـيدة اميركية ولدت صماء بكماء ولم تعلم بالطرق الصناعية الخاصة الا بعد وصولها الى سن الرشد . قالت ـ او بالاحرى كتبت بطريقتها ـ انهُ لم يخطر على بالها البتة ولا على بال احد من الصم البكم الذين كانوا معها في دار واحدة انهُ لا بد للعالم من خالق

وقال القس صموئيل سمث الذي عاش ثمـاني وعشرين سنة وسط أناس صم بكم وهو يصف احدهم « انه ليس له اي المـام بالخلود . وانهُ لم يعثر على واحد من الصم البكم ممن لم يتعلموا عنده اية فكرة عن قوة عليا خلقت العالم وتدبره »

يقول سبنسر : « فهذا كله يدل على انهُ ليس بالشعوب المتمدينة ميل غريزي الى الدين . ولدينا براهين تؤيد صحة هـذا الاستنتاج وتثبت ان فكرة الدين مفقودة أصلا بين كثير من الشعوب المتوحشة . فقد قدم السر جون لوبوك امثلة على شعوب عديدة من هذا القبيل في كتابيه « الاعصر السابقة للتاريخ » و « أصول المدنية »

وروى المستر هارستون في مجلة « فورتيتلي ريفيو » بالمجلد التاسع عشر انهم كانوا يعلمون رجلاً من قبيلة الودي وهو في السجن فاتضح ان ليس لديه اي المـام عن الخالق ولا عن الروح ولا عن عالم آخر.

وذكر شون فورت في مؤلفه « أواسط افريقيا » ما نصه : « ليس للبنجرس اذنى فكرة عن الخلود وهم يجهلون كل معتقد ديني . وامر الزولو وهم على درجة من الذكاء برهان واضح على صحة دعوانا هذه واليك الحديث الذي دار بين الرحالة « جارد نز » وواحد منهم يدعى تباي

جاردبز — هل لك إلمام بالسلطة التي خلقت العالم ؟ انت ترى الشمس تشرق ثم تغرب والاشجار تنبت وتنمو فهل تعلم من يدبر كل هذا ؟

تباي — بعد ان سكت برهة — اننا نرى كل هذه الامور ولا نعلم من اين اتت ونعتقد انها اتت من تلقاء نفسها . (راجع كتاب رحلة في بلاد الزولو بافريقيا للرحالة جاردبز ص ٧٢)

ويؤيد ما تقدم ايضاً الحديث الذي دار بين السر صموئيل بيكر وبين رئيس قبيلة من قبائل اللاتوك يدعى كومورو واليك نصه :

السر صموئيل بيكر — هل لكم اي اعتقاد في وجود آخر بعد الموت ؟

كومورو — وجود آخر ! ! وكيف ذلك ؟ هل يمكن الميت ان يخرج من قبره الا اذا نُبش القبر وأُخرج منهُ

بيكر — هل تظن ان الانسان مثل الحيوان يموت ثم يندثر أمره ؟

كومورو — لا شك في هذا . فان الثور أقوى من الانسان ولكنه يموت مع أن عظامه أطول وأقوى من عظام الرجل التي تكسر بسهولة لانه ضعيف

بيكر — أليس الانسان أذكى من الثور ؟ أليس له عقل يدبر أعماله ؟

كومورو — توجد ثيران أذكى من بعض الرجال فان الرجال يزرعون الارض كي يحصلوا على قوتهم أما الثور والحيوانات المتوحشة فانها تحصل على قوتها من غير زرع

بيكر — ألا تدري انه يوجد فيك شيء آخر خلاف الجسم ؟ ألا تحلم ؟ ألا تذهب الى مسافات طويلة في أثناء نومك وجسمك لا ينتقل من مكانه ؟ فكيف تعلل ذلك ؟

كومورو باسماً — كيف تعلل أنت ذلك ؟ ان هذا الامر يحصل لي كل ليلة ولكني اجهل أسبابه

بيكر — أليس لديك أية فكرة عن الارواح التي هي أقوى من الانسان والحيوان ؟ أليس لك أقل خوف من عواقب الشر خلاف الخوف من العوامل الطبيعية ؟

كومورو — اني اخشى الفيلة وحيوانات أخرى حينما أسير ليلاً في الغابات ولكني لا أخاف من شيء آخر

بيكر — وعلى هذا فانت لا تعتقد في شيء لا في أرواح الخير ولا في أرواح الشر ، وتظن ان كل شيء فيك من جسم وعقل يندثر بموتك . وانك مثل بقية الحيوانات لا فرق بينك و بينها

كومورو — طبعاً .

بيكر — ولكن انظر الى حبة القمح كيف تعفن بعد أن تبذرها في الارض ولكن لا تلبث قليلاً حتى تنبت وتنمو منها سنبلة تأتي بحبات كثيرة فاذا كانت حبة القمح تحيا بعد موتها فمن باب أولى الانسان الذي هو أعظم المخلوقات

كومورو — لقد ادركت قصدك جيداً ولكن الحبة الاصلية تنعدم بعد الموت فهي تعفن كما

يموت الانسان و ينقضي أمرها . أما السنبلة التي تنبت منها فليست الحبة الاصلية بل ثمرتها ونتيجتها . وهكذا حال الانسان فاني أموت ثم أعفن و ينقضي أمري ولكن نسلي ينمو مثل ثمرة الحبة . وقد لا يأتي الانسان بنسل كما تفنى الحبة ولا تأتي بثمر . فبعد الموت ينعدم الانسان كما تنعدم الحبة

وقال العلامة فيانا دي ليا الدكتور في العلوم الطبيعية والعضو بالمجمع العلمي الفرنسوي في كتابه « الانسان حسب مذهب التطور » صحيفة ١٧٤ وما بعدها ما يأتي :

ليست الفكرة الدينية من طبيعة النوع الانساني وليست هي صفة أصلية فيه تميزه من سائر الاحياء وما هي الا حالة مر عليها في احد اطوار ارتقائه . وعلى كل حال فهي ليست لازمة له وليست عامة بين جميع الشعوب اذ توجد شعوب متأخرة لم تصل في أطوار ارتقائها الى طور الافكار الدينية . وتوجد فئات كثيرة بين الشعوب المتمدينة فاقت هذا الطور و يزداد عددها كل يوم . وتوجد شعوب أخرى خطت نحو المدنية خطوات تذكر ولم تمر مطلقاً بهذا الطور ـ طور التدين والافكار الدينية . وهذه الشعوب التي لا يدين أفرادها بدين ما يوجد منها في افريقيا وآسيا وأميركا وأوستراليا . وذلك بشهادة الرحالين تومبسون . وفان دير كامب . والقس موفات . والرحالة الشهير لفنجستون والسر صموبل بيكر ـ المتقدم ذكره ـ والدكتور موفات . ودالتون وليختنشتين . وقد ذكر كل من مورتز بجنر في رسائله الثلاث والسر جون لوبك في كتابيه « أصول المدنية » و « الاعصر السابقة للتاريخ » ـ المتقدم ذكرهما ـ عدداً كبيراً من الشعوب التي ليست لها أية عقيدة دينية

روى ليفنجستون الرحالة الكبير في مجلة « الجمعية الانثروبولوجية الفرنسوية » ان عبادة الاصنام وكل نزعة دينية معدومة بين قبيلة بتشيانا وكثير من قبائل افريقيا الوسطى . وقد أيد كل من كازاليس والمبشر موفات قول ليفنجستون هذا . فقد قال موفات في كتابه « عشرون سنة في افريقيا الجنوبية » ما يأتي : « طالما سعيت جهدي في اكتشاف شيء من الافكار أو الاعتقادات الدينية عند الاهالي لأتدخل بينهم فلم أفلح لانه ليست لديهم أية فكرة من هذا القبيل »

وقال القس برون مثل هذا القول عن قبيلة الماكولو ببلاد الكفر باواسط افريقيا

وروى المبشر لنجستون هذه الرواية أيضاً عن قبيلة ميونجو بافريقيا

وروى الاب سلفادور مثل هذه الرواية أيضاً عن قبيلة أرافيرس وكثير غيرها من قبائل أوستراليا

وقال هذا القول أيضاً الرحالة ما كليو مكلي عن سكان جزيرة سلمون وعن قبائل البابواس التي تعيش على سواحل غينيه الجديدة وعن قبائل خليج بافان

ولم يعثر المبشر يسبجرت على أي أثر للاعتقاد بالله او الاصنام أو الخلود أو أي معتقد آخر عند كثير من قبائل كاليفورنيا القديمة · وكذلك الحال بالنسبة لسكان كاليدونيا الاصليين وقبائل الباشاجوني والفوجيان

وروى السرجون ايرسون عن قبائل الفيدا بجزيرة سيلان أنه ليس لهم المام باية عقيدة دينية من أي نوع · وكانوا يسألون السر جون ايرسون : « أين هذا الاله وعلى أية شجرة أو على أية صخرة يعيش ؟ » وكذلك حال كثير من زنوج شبه جزيرة ملقا

وروى السر ميسنجر بردلي مثل هذا عن قبيلة من قبائل اوستراليا والرحالة ديتبورن عن قبائل البوشيمان والاسكيمو بين وعن قبائل ليسا وخاسياس التي تعيش في شمال الهند

ونقتطف من كتاب « المادة والقوة » للعلامة بختر الالماني صحيفة ٢٥١ من الترجمة الفرنسوية ما يأتي :

« اثبت كثير من العلماء والسائحين والتجار والمرسلين المبشرين انه توجد شعوب عديدة ليس بها ادنى نزعة دينية · وطالما سمعت وقرأت ان الدين او التدين هو الصفة المميزة للنوع الانساني وهو الحد الفاصل بينه وبين بقية الحيوانات · فلا يخلو الحال من احد امرين : إما ان القائلين بهذا القول على خطأ · وإما انه يوجد عدد كبير من الناس لا شيء يميزهم من الحيوانات »

وقال العلامة بروكا الشهير « لا ريب عندي في انه توجد شعوب كثيرة من النوع الانساني خالية من كل معتقد وعبادة ومن كل فكرة دينية »

وهنا استشهد بختر بما قال السر جون لوبك وداروين وغيرهما عن وجود قبائل كثيرة لا تعتقد أي دين مما اشرنا اليه ثم قال :

« وابلغ من هذا كله ان جميع اتباع كنفوشيوس لا دين لهم بالمرة فهم لا يعتقدون في الله ولا يؤمنون بخلود الروح · وليس ما يسمونه بدين كنفوشيوس سوى مذهب فلسفي عمراني اخلاقي نشره صاحبه وهو فيلسوف صيني قديم فاتبعته الطبقة المتعلمة في الصين ومعظم سكان اليابان

واليك ملخص مذهب كنفوشيوس نقلاً عن كتاب « الاطلال » للعلامة فولني صفحة ١٣٩ :

« الحقيقة هي ان كل ما في الوجود وهم وخيال وظواهر باطلة · وليس التقمص الروحي الا رمز الى التقمص الجسمي المادي الحقيقي . لان مادة الجسم – مثلها مثل جميع المواد التي في الكون – لا تفنى بعد الموت بل تتحلل وتنتشر في الارض والهواء وتدخل في تراكيب اخرى · وما الروح الا القوة الحيوية التي تنتج من خواص مواد الجسم وتأثير اعضائه بعضها في البعض مما يجعله يتحرك ويحيا · اما القول بان هذه القوة الناتجة من تأثير الاعضاء وخواص المادة الملازمة لها والتي تولد

منها وتنمو معها تبقى (اي تلك القوة) بعد موت الجسم لهو قول خيالي وهمي خلقه تصورنا المخدوع وما الله الا مجموع القوى الطبيعية غير المنظورة المنتشرة في جميع اجزاء الكون والتي تحركه او مجموع النواميس الطبيعية التي تديره

« ولما كانت هذه النواميس الطبيعية في غاية الدقة واغلبها خفي على الانسان برزت للناس كلغز لا يمكن حله فقالوا بوجوب الايمان بها بغير ادراكها وزعموا انها فوق العقل البشري ٠٠٠

«٠٠٠ان الحكمة هي معرفة النواميس الطبيعية ٠ وان الفضيلة تقوم في اتباعها والشر والرذيلة في جهلها وعدم السير وراءها » انتهى كلام فولتي عن مذهب كنفوشيوس الذي يسمونه ديناً

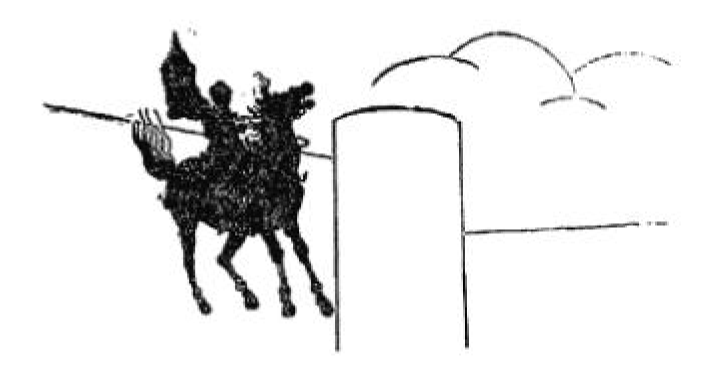
ومن الشعوب التي لا تدين بدين ما بعض قبائل العرب القديمة فقد جاء في كتاب « مصادر الاسـلام » ما نصهُ : والعرب الجاهلية اصناف ، فصنف انكر الخالق والبعث وقال بالطبع المحيي والدهر المفني يؤيد هـذا ما ذكره القرآن عنهم في سورة الجاثية « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين »

***

قد عددنا فيما تقدم افراداً وشعوباً كثيرة لا تعرف لها ديناً من الاديان بين متوحشة ونصف متمدينة ومتمدينة واثبتنا ذلك بشهادات العلماء والرحالة والمبشرين وبالآية القرآنية ٠ وعلى هذا فالقول بأن الاديان منتشرة بين جميع شعوب العالم قول لا يطابق الواقع ولا يتفق مع الحقيقة

نصيف المنقبادي





ضروريات الكفاية

يرمي كاتب هذا المقال الى اثبات ان زيادة الاجور للعمال هي من مصلحة الصناعة نفسها كما هي من مصلحة العامل أيضاً . فالاجرة يجب ألا تكفي ضروريات الحياة للعامل فقط بل يجب ان تكفي « ضروريات الكفاية » للصناعة نفسها لان العامل القليل الاجر هو أقل كفاية في صناعته من العامل الكبير الاجر [المحرر]

ان نظرية بعض الاقتصاديين القدماء التي تقول بعدم امكان قيام صناعات ضخمة في البلاد الزراعية البحتة مثل روسيا ومصر وغيرها من الامصار قد سقطت بعد الحرب وتحققت نظرية الفريق الآخر الذي لا يقول بالامكان فقط بل يجزم بضرورة وجود هذه الصناعات على مر الايام ولسنا هنا في مقام شرح النظريتين والموازنة بينهما لا سيما وان أولاهما قد أُسقطت علمياً من كتب الاقتصاد الجديدة . وان الاخيرة نشاهد أثر تطورها بيننا في مصر . فضلاً عن الصناعات التي أُدخلتها الحرب الاخيرة في بلادنا فان عندنا اليوم تحفزاً للمغامرة في انشاء صناعات ضخمة . وما يقوم به بنك مصر مثلاً وغيره من الشركات التي تألفت والتي تتألف لبرهان محسوس عملي على صدق النظرية الاخيرة

ومن هذا التمهيد البسيط نفهم أن في بلادنا عمالاً يجب البحث في شؤونهم والتفكير في سياساتهم ولو من الوجهة العلمية البحتة إن لم يكن كذلك من الوجهة الاجتماعية وانه عن قريب سيظهر لهم أثر في شؤون الدولة وستكون لهم دوائر تنطق عن لسانهم كما حدث في الصين مثلاً ، وان دلائل الامور تدلنا على صحة ما ذهبنا اليه فالمشاكل التي نسمع عنها ونقرأها كل يوم بين العمال واصحاب رءوس المال في مصر تنذر بقرب هذا اليوم

والذي نريد أن نبحثه اليوم في مقالنا ليس مذهباً سياسياً ولكنه نظرية اقتصادية حديثة دلت المدرسة الحديثة من الاقتصاديين على ضرورة الاخذ بها لصالح العمال والعمل أو قل لصالح الصناعة والدولة

فقد جاء على الانسان زمن كانت كل افكاره مشبعة بالحصول على حاجياته اليومية كما يعيش الحيوان الآن . وذلك ليتمكن من الحياة فقط بما يسد به رمقه . ودالت دولة هذا الزمن وجاء بعده عصر كافح فيه العمال للحصول على قسط أوفر من الحياة يقيهم شر الطوارىء كالامراض والشيخوخة . فكسبوا في كفاحهم بعد معارك طويلة بين العمل ورأس المال ، وانتهى هذا الدور كذلك وجاء بعده دور العصر الحاضر الذي رفض فيه العمال الاكتفاء « بضروريات الحياة »

وطالبوا بحقوقهم كاملة ونادت طليعتهم في كل البلاد « لا تقبل الرُّبع » . ولما كان الاقتصاد علماً فنياً وانه أعقد العلوم وادقها لانه لم يقم على سنن طبيعية ثابتة كعلم الفلك مثلاً أو غيره من العلوم العتيقة وانه ما زال يشيد قوائمه على سلوك الانسان ومطامعه التي تختلف في بلد عنها في آخر فقد وزنت رجالاته هذه الدعوة وأخذت تنادي بتحسين حالة العمال إلى اقصى حد ممكن تحت نظرية « ضروريات الكفاية » وذلك من جهة اتقاء لدعوة المتطرفين من العمال ومن جهة أخرى لمصلحة الصناعة كما سيظهر بعد

فطبعي ان أي تحسين في طبقات العمال ينتج زيادة في الغلة الصناعية بقدر هذا التحسين . خذ مثلاً تعميم التعليم في الايام الاخيرة وأثره في زيادة غلة العمل واضح جلي . فعامل اليوم ينتج أكثر من عامل أمس وعامل الغد سينتج أكثر من عامل اليوم لانه كلما زاد تعلم العامل ازداد تقديره لمسئولية العمل . وتقدير المسئولية في الاعمال أقل ما ينتجه الضبط والاتقان والاقتصاد . ومن المسلم به أن استخدام عمال أصحاء قانعين كل في العمل الذي يخصص له عن طريق العلم والتجربة يزيد في الانتاج زيادة محسوسة فالمريض أو الذي عنده استعداد للمرض لا يمكن أن ينتج كالصحيح ولا يصح أن ننسى ما ينشأ من العطل وامتناع الانتاج في حالات الاضراب أو النزاع الذي يقوم بين العمل ورأس المال

والذين يدافعون عن نظرية « ضروريات الكفاية » يستندون في ذلك الى عدم صلاحية ووفاء نظام السخرة في كل أدواره في كل زمان ومكان . وأهم طلباتهم : زيادة أجور العمال وترقية أحوالهم الصحية ونشر التعليم والثقافة الصناعية بينهم وانقاص ساعات العمل . والى القارىء ما يقوله أستاذ الاقتصاد « روبنصن » عن كمية الطعام واللباس ونوعيهما اللازمين للعمال :

« ان العمال الذين لا يتناولون الطعام الكافي لا يقدرون على انتاج عمل طيب ، فلا شيء يسيء للهيئة الاجتماعية اقتصادياً أكثر من دفع أجور منخفضة لا تكفي العامل للحصول على الطعام الكافي لتنمية قوته وذكائه الى حدهما الاقصى ، وفي مثل هذه الظروف فالعامل لا يساوي أكثر مما يناله لانه لم يدفع له أكثر . والشدة والغباء من جانب صاحب العمل وعدم تمكين العمال من المساومة قد تحرم صاحب العمل نفسه من تنمية أرباحه أكثر مما هي عليه وتحرم العامل كذلك من أن يحيا حياة معقولة نشطة »

وذكر « ف . ووكر » عن نشر التعليم والثقافة الصناعية الحقائق والارقام الآتية عن تقرير صدر من أحد معامل الهند

	في انجلترا	في الهند
كمية القماش الناتجة في العملية الواحدة	٧٦٧ يارده	٢٤٠ يارده
ساعات العمل في الاسبوع	٥٥½ «	٨٠ «
« « في العام	٢٧٧٥ «	٤١٢٠ «
الاجور الشهرية للعملية	٧٠ روبية	١٣ روبية

وهذا بالطبع يرجع لعدم نشر التعليم والثقافة الصناعية بين العمال الهنود وحيث المواظبة على العمل والنشاط والنظام والطلب المستمر يكاد يكون معدوماً فالرجال هناك تستخدم في الغالب في الاعمال التي تستخدم فيها النساء

وقد شرح هذه النظرية ورسم الفرق بين ضروريات الكفاية وضروريات الحياة الاستاذ « الفرد مارشال » حجة المدرسة الانجليزية في الاقتصاد فقال :

« كان استعمال اصطلاح الضروريات فيما سلف متصوراً على كل ما يكفي لاعالة العمال وعائلاتهم ولكنه يجب علينا اليوم ان نرسم حداً فاصلا بين « ضروريات الحياة » و « ضروريات الكفاية » فنقول انه في كل زمان ومكان يوجد لكل نوع من أنواع الصناعات دخل معلوم قل أو كثر ضروري فقط لقوام أعضاء هذه الصناعة بينما يوجد دخل آخر اكبر من هذا الدخل ضروري لصيانة كفايتها في مستوى عال

« فالسكان مثلاً في جنوب انجلترا زادوا في غضون القرن الحاضر زيادة معتدلة هذا بعد اسقاط عدد المهاجرين من تلك الجهات ـ الا ان كفاية العمل التي كانت في الازمان الاولى عالية كالتي في شمال انجلترا قد هبطت نسبياً بالنسبة للجهات الشمالية حتى ان أجور العمل الواطئة في الجنوب باتت أغلى في الغالب من أجور عمال الشمال العالية وهذا يشير الى ان العمال في الجنوب يحصلون فقط على ضروريات الحياة المجردة لسد رمقهم ورمق نسلهم المتكاثر وانهم لا يحصلون على شيء من ضروريات الكفاية

« وضروريات الكفاية في انجلترا لفلاح عادي او عامل غير مدرب هو وعائلتـه تتألف من مسكن صحي يحتوي على عدة غرف متصل بالمجاري القروية وملابس مدفئة مع مستلزماتها وماء نقي ومؤنة وافرة من الحبوب ومقـدار معتدل من اللحم واللبن وقليل من الشاي وغيره مع شيء من التثقيف والرياضة (كالملاهي والصحف وغيرها) وغير هذا كله يجب ان تكون الزوجة حرة في الاشتغال بعمل آخر ، كي تقوى على تأدية واجبات الامومة والمنزل على الوجه الا كمل . وإذا جرد

عامل غير مدرب في احد المراكز من بعض هـذه الاشياء فسيعتوره من الضعف ما يعتور الحصان الذي قُصّر في علفـه أو الآلة التي لم تُعط الفحم الكافي · فكل استهلاك لهذه الغاية محقق انه استهلاك منتج وأي تقتير في هذا الاستهلاك ليس فيه شيء من التدبير والاقتصاد بل هو عين التبذير والاسراف »

* * *

وفي مصر·· إذا درنا بأعيننا من أقصاها الى اقصاها لما وجدنا أثراً « لضروريات الكفاية » بين عمالنا · فما زالت أجور العمال عندنا منحطة إلى درجة تكاد تكون تحت مستوى « ضروريات الحياة » فأجر العامل غير المدرب عشرة قروش تقريباً بينا متوسط عدد الانفس التي يعولها ستة انفس · كما جاء في احد تقارير جمعية الصنائع · وأجور البنات والاولاد التي تعمل نحو ١٥ ساعة في اليوم زهيـدة جداً فلا تزيد عن قرشين ونصف قرش · وساعات العمل على العموم عنـدنا أطول منها في كل البلاد المتمدينة · والثقافة معدومة · والمسائل الصحية وغيرهـا لم يأت دور التفكير فيها بعد

ونحن لا نطلب للعمال شيئاً فهم أحق واقدر على الطلب منا · ولكنا إذا قصدنا من الكتابة شيئاً نلفت اصحاب الصناعات ورجال السياسة في مصر إلى الضرر المحقق الذي يحيق بالصنـاعة المصرية وهي في مهدها من اضعاف الانتاج على توالي الايام بإهمال تحسين حال العمال اكتفاء بالربح القريب الموقت · والى ان الوطنية الحقة هي قبل كل شي ترقية الجمهور المصري وتدريب كفاياته وترويضهـا حتى تبلغ كفاية الاوربي وتزيد عليهـا · لا اضعاف كفايته وحطها حتى تصير مثل كفاية الهنود وغيرهم من الشعوب المتأخرة · ولسنا في حاجة لعمل تجاريب للتدليـل على صحة هذه النظرية فقـد دلت الاحصائيات على ان العامل الهندي الذي يشتغل في مد سكة حديد مع انه يتناول اجراً ضئيلاً جداً ويشتغل ساعات طويلة فإنه يكلف العمل كثيراً وينتج اقل من العامل الانجليزي الذي يشتغل في نفس العمل ويتناول اجراً كبيراً ويعمل ساعات اقل. وذلك بالطبع يرجع لكفاية العامل الانجليزي وانحطاط كفاية الهندي · فالاول يحصل على « ضروريات الكفاية » والآخر لا يكاد يحصل إلا على « ضروريات الحياة »

محمود حسني العرابي



الكشف الطبي قبل الزواج

الكشف الطبي على الخطيبين اجباري الآن لا يجوز الزواج بدونه في اسوج ونروج وتركيا وبعض الولايات المتحدة . وآراء العمرانيين غير متفقة على سداد هذه الخطة لان بعضهم يعتقد انها اعتداء كبير على الحرية الشخصية وآخرون يظنون انهـا تشجع الشبان على اتخاذ الخلائل دون الزوجات

وخوفاً من هـذه العواقب قررت بعض المدن في ألمانيا وبلجيكا وايطاليا أن يكون الكشف الطبي اختيارياً بحيث يمكن الخطيب أن يقدمه أو لا يقدمه لخطيبته

ولا يمكن البت في هذا الموضوع الا بعد الاختبار الطويل لان هناك من النتائج ما لا يتضح أثره الا بعد مدة طويلة من الاختبار . وقد تكون النظريات فيه مخالفة للواقع

الغذاء الصحيح للكهول

ليس هناك غذاء يصح لكل الناس في جميع الاعمار . فجميع الشبان والصبيان يكادون لا يتأذون بأي طعام . ولكن الانسان متى قارب الاربعين أو جاوزها يجب عليه الحذر من تناول اللحوم والقطاني (كالعدس والباقلاء) والالوان الدسمة والخمور

ومن الاطباء من يعد اللحم سماً للشيوخ يقول بمنع كل من جاز الخمسين من تناوله وخاصة اللحم الاحمر . ولا بأس من تناول القليل من لحم الارانب والدجاج . اما السمك فلا خوف من تناوله

ويجب على الكهول والشيوخ أن يكثروا من تناول الخضراوات والفواكه طازجة ومطبوخة مع التقلل من العشاء أو الكف عنه بتاتاً . واذا كانوا يفطرون بالبيض فخير لهم أن يقتصروا على المح ويتركوا الزلال

البارفين والجمال

منذ أكثر من عشر سنوات شاع استعمال البارفين لملء الامكنة الغائرة من الوجه حتى تستقيم الملامح وتذهب منها هيئة التحول ولكن تبين الآن ان البارفين لا يمكث مدى الحياة . فان كثيرين ممن استعملوه في اميركا وأوربا قد رأوه ينز من الجلد ويخرج وذلك لانه يهيج الانسجة ويتلفها . ومعنى ذلك انه يعمل الآن عكس ما هو مطلوب منه

السرطان وعلاجه

من الحقائق التي ثبتت وأصبح لا نزاع فيها بين الاطباء أن السرطان يزداد ٠ وقد كانت هذه الزيادة تعلل في السابق بشيئين :

أولاً : ان التحسن في الصحة العمومية قد جعل الناس يبلغون الكهولة والشيخوخة ٠ وكانوا قبلاً لا يبلغونهما . ولما كان السرطان لا يصيب غير الكهول والشيوخ فانهُ يزداد ولكن زيادته دليل على التحسن في الصحة العمومية

وثانياً : كانت تعلل الزيادة بأن التشخيص في هذه الايام ادق مما كان في الزمن السابق وان الحوادث الماضية لم تكن تدخل في الاحصاءات لان تشخيصها كان خطأ فزيادة الحوادث هذه الايام لا تعود الى كثرتها الآن وقلتها سابقاً بل الى دقة التشخيص

ولكن الدكتور وود وجد ان هذين الاعتبارين لا قيمة لهما الآن لان التحسن في الصحة والدقة في التشخيص قد مضى عليهما زمن كاف يمنع تأثيرهما في الاحصاء ٠ والواقع الآن ان السرطان لعلل مجهولة يزداد سنة بعد سنة ٠ وهو يصيب واحداً من كل ثمانية من الرجال الذين تتراوح سنهم بين الـ ٥٥ و الـ ٧٠ كما يصيب واحدة من كل خمس نساء تتراوح سنهن بين الـ ٤٥ و الـ ٦٥

وهذه نسبة تدل على ان حوادث السرطان اكثر من حوادث التدرن وان الكهل يجب أن يخشاه اكثر مما يخشى التدرن أو أي مرض آخر ولا يزال الشك عالقاً بشأن طبيعة هذا المرض والمشاهد انه يحدث من منبه خارجي ولكن لا بد من استعداد الجسم لقبوله ٠ ومع انه لا يورث ولا هو معدٍ بالمعاشرة فان الاستعداد له يورث بحيث اذا كان الابن يعيش عيشة احد أبويه التي أدت الى حدوث السرطان فان الغالب ان السرطان ينشأ فيه ايضاً ٠ ولكن اذا عرف استعداده من الشباب وتوقى العادات التي كان والده يتبعها في الغذاء والشراب فان الغالب ان ينجو منه

والرأي الآن على ان السرطان يحدث بمنبه او مهيج كالتبغ على الشفة او اللسان أو السن النخرة في اللثة او نحو ذلك . فهذا التهييج يحدث خللاً في خلايا الجسم فتنمو على غير نظام في غير طريقتها الاولى وتسير في أنحاء الجسم فتنشر هذا الخلل في جميع الخلايا ٠ وأول ما ينشأ السرطان ورم جامد صغير قد يتقرح واكثر حدوثه في الرجال في الشفة السفلى وفي النساء في الثدي ٠ ولذلك يجب على كل من جاز الاربعين ألا يهمل مثل هذا الورم في هذين المكانين

والسرطان سهل العلاج اذا لوحظ في أوله وبتر بالسكين او عولج بتسليط أشعة الراديوم أو أشعة رونتجن عليه ولكنه اذا تفشى في الجسم فلا علاج له البتة الآن

دنمركا والخمور

لا يزال كثيرون من الاميركيين يطعنون في سداد الرأي القائل بمنع الخمور منعاً باتاً . وذلك لان اختبارهم في السنوات القليلة الماضية قد دل على ان لهذا المنع نقائص عديدة قد يكون الترخيص ببيع الخمور أهون في الضرر منها . وذلك لان المنع قد أدى الى :

١ ـ انتشار طائفة كبيرة من المخدرات تقوم مقام الخمر

٢ ـ أوجد تجارة منظمة لتهريب الخمر تكلف الحكومة نفقات كبيرة في تعيين البوليس لضبط المهربين

٣ ـ بيع الكحول المستخرج من الخشب للوقود بدلاً من الخمر وفي هذا ضرر كبير قد أودى بحياة كثيرين واحدث لغيرهم العمى

وقد اتبعت دنمركا طريقة أخرى لمنع ضرر الخمر لا لمنع الخمر نفسها وذلك بفرض الضرائب الباهظة عليها وخاصة على الخمور القوية مثل الوسكي والكنياك . فقد كان متوسط ما يتناوله الفرد من الكحول ٢٥ر٧ من اللترات في السنة فنزل بعد فرض هذه الضرائب في سنة ١٩٢٣ الى ٤٥ر٢ من اللترات . أي ان هذا النزول بلغ ٦٦ في المائة

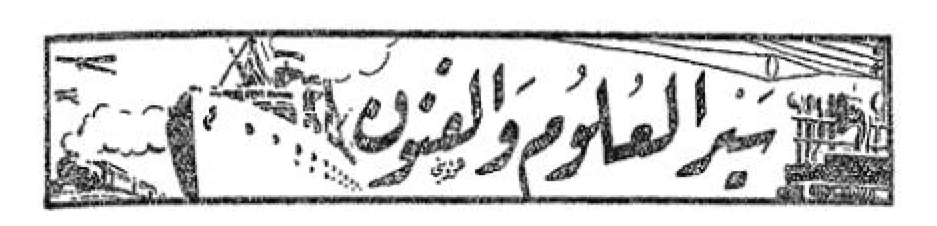
وقد وجدت الحكومة الدنمركية ان قلة تناول الخمر لغلائها قد أثمرت ثلاث نتائج وهي : قلة الجرائم وقلة الامراض وزيادة قدرة العامل على العمل

همسة الموت

الصوت الذي نسمعه ضعيفاً كان ام شديداً هو تموجات او اهتزازات تصل الى طبلة الاذن فتؤثر فيها وينتقل التأثير الى الدماغ فنحس بالصوت . ولكن اذا كانت هذه التموجات شديدة جداً او ضعيفة جداً فاننا لا نسمعها

وقد وجد الاستاذ وود ان الاصوات اذا كانت تموجاتها شديدة بحيث لا تسمعها آذاننا فانها تؤثر في الاحياء الصغيرة كالفأر مثلاً وتقتلها . وقد أطلق عليها لذلك اسم « همسة الموت » لاننا لا نسمعها . ووجد لها فوائد في الصناعة فانك اذا وضعت زيتاً مع الماء لم يختلطا ولكن اذا سلطت عليهما « همسة الموت » اختلطا وصارا مستحلباً . ووضع الاستاذ قليلاً من الزئبق في الماء ثم سلط عليه هذا الصوت فاستحال الزئبق قطرات صغيرة ترى بالمكرسكوب وقد تفرقت في الماء وأحالته الى مستحلب كالحبر لوناً

ويعتقد الاستاذ وود ان هذه التموجات الصوتية يمكن استعمالها في المستقبل في مزج المواد التي لا تمتزج بالطرق المألوفة الآن



قعر البحر غير مستقر

كانت الحكومة الفرنسية قد بعثت باخرة لسبر أغوار المياه في المحيط الاطلسي . فوجدت هذه الباخرة ان الخارطات السابقة التي عين فيها مقدار هذه الاغوار يختلف عن الحقيقة الراهنة الآن . ويرجع هـذا الاختلاف الى ان قعر البحر غير ثابت فهو دائم الارتفاع والهبوط . ومنذ مدة بعثت حكومة ايطاليا بعثة علمية للبحث عن حركة الجزر وأرض المحيطات فكان مما أثبتته هـذه البعثة ان جزيرة كورسيكا تنتقل نحو الغرب بسرعة بطيئة لا تزيد عن عشرة أمتار في القرن الواحد

السكر من الخشب

قضى الدكتور برجيوس الالماني عدة سنوات وهو يدرس طريقة لاستخراج السكر من الخشب حتى تمكن أخيراً من تحقيق غرضه تحقيقاً يجعل السكر المستخرج من الخشب منافساً في الاسواق لاصناف السكر الاخرى المستخرجة من القصب او البنجر . وقد تألفت شركة لاستخراج هذا السكر وشرعت تبني مصنعاً قريباً من جنيف . وليس شك في انه اذا عمت هـذه الطريقة فان زراعة البنجر والسكر تزول من العالم كما زالت زراعة النيل

والسكر المستخرج من الخشب ليس أبيض ولكنه رمادي اللون و به ٩٥ في المائة من السكر الخالص

تقدم الطيران

يطرد التقدم في الطيران من جميع النواحي فالآن تصنع الطيارات و تباع بارخص مما كانت تباع قبلا فان المصانع الالمانية تبيع الطيارة الكبيرة المصنوعة كلها من المعدن بمبلغ ١١٠٠ جنيه وتباع الطيارة الصغيرة الآن بنحو ٧٣٠ جنيهاً

وقد مضت سنوات والطيارات تطير كل يوم بانتظام ومواظبة وتحمل البريد بين نيويورك وسان فرنسيسكو . وهي مسافة تساوي المسافة بين لندن وبغداد

ومتوسط اجرة نقل الطن ميلاً واحداً ١٥ قرشاً فقط

اعلان والف جنيه

مما يدل على فوضى الافكار بشأن التعليم هذه الايام ان سيدة انجليزية تدعي المسز تايلر أعلنت في الصحف عن ألف جنيه تدفع لنفقات تعليم ابنها كما يعين هذا التعليم أحد أصحاب الاعمال بحيث عند نهاية التعليم يقبله عنده موظفاً في أعماله

والذي حدا بالمسز تايلر الى هذا الاعلان انها ترى ان أصحاب الاعمال يزعمون ان تعليم الجامعات لا ينفع الشبان في العمل بل بالعكس يعجزهم عنه . فهي تتحدى أصحاب الاعمال أنفسهم لكي يفرضوا نوعاً من التعليم يهيىء الشاب لأن يكون أهلاً للقيام بالاعمال الحرة وتدفع في سبيل ذلك نفقات لتعليم ابنها ١٠٠٠ جنيه . وقد ذكرت في اعلانها هذا انها عرفت والداً أنفق على ابنه ٢٠٠٠ جنيه في تعليمه ثم عندما خرج من الجامعة لم يجد عملاً ولم ينفعه تعليمه أدنى منفعة من هذه الوجهة

والواقع ان تعليم الجامعات قد تخلف عن روح الزمن الحاضر اذ لا يزال يعنى بالثقافات القديمة عناية كبيرة ويفرض درس هذه الثقافات على جميع الطلبة تقريباً وهذا الدرس لا يهيىء الشاب للاعمال الحرة

والواقع انهُ يجب أن يكون للتعليم غايتان : الاولى تثقيف الطالب بالثقافة العامة الحديثة والقديمة . والثانية تهيئته لان يخدم نفسه بخدمة الهيئة الاجتماعية . والجامعات تكاد تحقق الغاية الاولى ولكنها للآن عاجزة عن تحقيق الغاية الثانية وسيبقى كذلك مدة طويلة حتى يقبل أساتذتها على درس الحضارة الراهنة وتفهم أغراضها وحاجاتها

قضية التطور

يعرف القراء انه منذ اكثر من سنتين حكمت احدى المحاكم في أميركا على المدرس سكوبس بغرامة لانه ألقى على الصبيان في مدرسته الابتدائية ما يخالف قصة التوراة و يوافق نظرية التطور وقد عرضت القضية في آخر درجاتها الاستئنافية فحكم بحق المدرس في تدريس التطور دون قصص التوراة

وقد تألفت جمعية من الكارهين للتطور برياسة المستر كلارك لترويج الدعاية الى مكافحة كل من يقول بالتطور . ومما يذكر عن هذا المستر كلارك انه كان عضواً ظاهراً في جمعية الكوكلكس كلان . وهي جمعية تفتك بالزنوج الذين يتهمون بالاعتداء على البيض وتحول دون ترقيتهم أو مساواتهم بالبيض

تبليط الشوارع بالحديد

تجرب الحكومة الفرنسية تجربة جديدة في مدينة لومانس · فقد اختارت شارعاً من شوارعها وبلطته بالحديد · و يوضع الحديد ألواحاً عريضة مضرسة تضريساً خفيفاً وذلك لكي لا يتزلق عنها الجواد وفي الوقت نفسه يجد الاتومبيل أرضاً سهلة يسير عليها بلا عائق

واذا صحت هذه التجربة فانها تنوي تعميمها في المدن الاخرى .

الدين والدولة في المانيا

لما اعلنت الجمهورية في المانيا سنة ١٩١٩ فصلت الدولة من الدين · وكانت الكنائس أيام الامبراطورية تابعة للحكومة التي تعين القسوس من الكاثوليك والبروتستانت . فلما فصلت الكنيسة عن الحكومة باعلان الجمهورية صارت الجمعيات المسيحية تعول القسوس وتدفع المرتبات لهم وتصون الكنائس

و يقول المستر ماكومب انه على أثر اعلان الجمهورية فشا الالحاد في المانيا وخاصة بين البروتستانت الذين بلغ المنشقون منهم ٢٤٦٣٠٢ سنة ١٩٢١ وأصبحوا ملحدين · فهل تسير المانيا في الخطة التي سارت فيها فرنسا ؟

التعب في الاعصاب

كان كثير من العلماء يقول بأن الاعصاب لا تتعب فهي في زعمهم كالاسلاك الكهربائية لا شأن لها بالقوة المستنفدة وانما التعب يحدث في العضلات · وكانوا لذلك يقولون بأن التفكير أو الاستسلام للخواطر لا يتعب ما دامت ليست فيه حركة

ولكن الواقع ان كل من اصيب بهم عظيم وأخذ يفكر فيه يشعر انه يتعب من التفكير تعباً كبيراً ولو لم يحرك عضواً من اعضائه · فالاشتغال بالهموم من الاعمال العصبية وهو يضني الجسم . وكذلك اذا استيقظ الانسان وكان في نومه مشغولاً بالاحلام لم يشعر عقب اليقظة انه قد استراح من النوم · و بديهي انه وهو نائم لم يكن يشتغل إلا بقواه العصبية أما قواه العضلية فكانت مرتاحة أو قليلة الحركة

وقد صنع الدكتور هل الانجليزي مقياساً دقيقاً تقاس به حرارة الجسم وهو يقيس الاختلاف في الحرارة الى جزء من عشرة ملايين من الدرجة · فوجد ان أي نشاط في العصب يزيد الحرارة بقدر ما · وانه لا تعود اليه حرارته الطبيعية الا بعد راحة طويلة

ومن هنا يتبين للقارىء ضرورة الراحة للاعصاب وخاصة اذا كانت اعماله ذهنية .

ثروة الولايات المتحدة

تزداد ثروة الولايات المتحدة كل عام وتتقدم في الاسواق فتجلي غيرها منها وتأخذ مكانها فهي الآن تنتج

٥١ في المائة من مجموع محصول العام من حديد الزهر
و ٦٦ » » » الفولاذ
و ٥١ » » » النحاس
و ٦٢ » » » البترول
و ٥٢ » » » الخشب
و ٨٠ » » » الكبريت
و ٦٤ » » » الزنك
و ٥٥ » » » القطن

وفي العالم كله الآن ٢٤ ٥٦٤ ٥٧٤ أتومبيل في الولايات المتحدة وحدها من هذا العدد ١٩ ٩٥٤ ٣٤٧ اي ٨١ في المائة من عدد أتومبيلات العالم

لماذا نحب العطور ؟

لكل حيوان رائحة خاصة والانسان لا يشذ عن هذه القاعدة فان له رائحة تعرفها الحشرات التي تتطفل عليه وتسير اليه مهتدية بها · وقد كتب الدكتور هفلوك اليس مقالا قال فيه انا نحب العطور والطيوب لانها فيها كلها هذه الرائحة الانسانية التي نعرفها في أنفسنا · فرائحة الحناء تكاد تشبه رائحة الانسان · اما العطور فانها مع رقتها وحلاوتها تشترك وهذه الرائحة الانسانية في الاساس المشموم منها

وهي لهذا الاساس المشترك تهيج في أنفسنا العواطف الجنسية لاننا نشم منها الرائحة الانسانية

أذى الضوضاء

الدكتور ليرد استاذ معروف بجامعة كولمبيا وقد خص اسبوعين من وقته لبحث الضوضاء وما ينجم منها من الاذى للاعصاب · فوجد انها تنهك أعصاب المشتغلين والفارغين معاً حتى النائم لا ينام ملء جفنيه وراحة أعصابه اذا كان حوله قليل أو كثير من الضوضاء · فان النبض يزداد وقت النوم حين تمر في الشارع عربة ثقيلة أو يُنفخ في نفير اتومبيل · واذا عمل عاملان أحدهما في سكون والآخر في ضوضاء أتمّا عملهما في وقت واحد ولكن الثاني يخرج من عمله منهوكاً اكثر من الاول

الاحلام والشعور عن بعد

المشهور عن المستر ولز الكاتب الانجليزي المعروف انه يهزىء القائلين بالشعور عن بعد الذي يسمى « تليباثي » وهو ممن يحملون على السير اوليفر لودج الحملات المنكرة لاعتقاده بهذا الشعور وبوجود الارواح . ولكن حدث في هذا الشهر انه كتب مقالاً عن هذا الموضوع ذكر فيه اختبارات السير جلبرت مري أستاذ الاغريقيات المعروف مع ابنته . فان هذا الاستاذ مع ثقافته وذكائه يؤمن بالشعور عن بعد ونقل الافكار وقد جرب جملة تجارب مع ابنته فكان يقعد مع ضيوفه في غرفة ثم يفكر الجميع في موضوع معين فتدخل الفتاة وهي تجهل ما كانوا يفكرون فيه فتخبرهم بالموضوع مفصلاً أو مجملاً

وأصدر المستر دون كتاباً عن اختباراته في الاحلام قال فيه انه تنبأ بعدة حوادث مهمة في العالم وانه ليلة حدوث الزلزال في مرتنيك صحا فازعاً من النوم وهو يقول انه قتل ٤٠٠٠ نفس . وفي اليوم التالي حدث الزلزال فذكرت الصحف ان القتلى ٤٠٠٠٠ نفس

وقد كان علماء النفس الى الآن يرون في الاحلام تعبيراً عن شهوة كامنة في النفس ولكن لم يقل احد منهم بامكان التنبؤ . والمتأمل في هذا الموضوع لا يمكنه أن يؤمن بهذه النظرية ما لم يفرض ان الزمن لا حقيقة له البتة

القرصان الصينيون

القرصان هم لصوص البحر يخرجون في سفينة فيلتقون باخرى فيهددونها بالمدافع حتى تستسلم وعندئذ يسرقون كل ما فيها من ثمين السلع والبضائع . وقد كانت الجزائر غاصة بالقرصان الى نحو مائة سنة خلت حتى أوفدت أميركا اسطولها لقتالهم فكفوا عن القرصنة . ولكن القرصنة لا تزال حية للآن في الصين وللقرصان بواخر كبيرة . ويقدر عددهم بنحو ٧٠٠٠ يرتزقون بمهاجمة السفن وحمل ما فيها من بضائع وأحياناً يحملون الناس للافتداء

ومما يذكر عن هؤلاء القرصان ان ثلاثة منهم دخلوا باخرة انجليزية في ميناء هونج كونج ووقف واحد ومعه مسدس على رأس القبطان وأمره بالخروج من الميناء والا قتل لمحظته . فخرج الرجال بالباخرة ولم يسمع عنه ولا عن باخرته خبر بعد ذلك

ومما يروى أيضاً ان طائفة من القرصان انقضت على مدرسة أجنبية قريبة من الشاطىء ثم حملوا الصبيان وحجزوهم ولم يفكوهم حتى نالوا ما طلبوا من الفدية

والانجليز دائبون في مكافحة القرصنة ولكن الفوضى الضاربة أطنابها الآن في الصين تساعدهم على العبث بالامن



نابليون : تأليف هربرت فشر وترجمة محمد نوفل ومحمد مصطفى زيادة

طبع بالمطبعة الرحمانية بالقاهرة صفحاته ٣٠٠ من القطع المتوسط

خير الكتب في مصر ما تخطه أقلام المعلمين فهناك تجد الدقة والاستيفاء مع البعد عن البهرجة والتبختر . ولعل هذا ايضاً ما تجده في سوريا او العراق . وهذا الكتاب قد ألفه هربرت فشر وزير المعارف في انجلترا سابقاً وترجمه هذان الفاضلان محمد نوفل ومحمد مصطفى زيادة وكلاهما معلم . وقد وفياه حقه من العبارة السهلة الدقيقة والصور والرسوم الموضحة للمتن . وكتاب يؤلف عن نابليون بقلم وزير بريطاني جدير بأن يقف عليه القارىء في اي لغة . وهاك ما يقوله المؤلف عن نابليون والشرق :

« ولقد كانت هناك بواعث أخرى تبرر غزو مصر : فان نابليون منذ حداثة سنه كان يحلم بجمال الشرق وعظمته وما يحويه من الاسرار ، يسهله عليه أن روّاد البحر من اهل قرشقة كانوا ملمين تمام الالمام بساحل تونس المجاور لهم ، وتونس قريبة من مصر ، ومن مصر يسرح الخيال الى مكة وطهران ، والى صحاري العرب وحدائق الورد ببلاد العجم ، والى المعابد البيضاء على ضفاف الكنج المقدس . ولقد فكر نابليون وهو في سن الشباب ، أن يندمج في سلك الجيش البريطاني في الهند ، وكاد يوماً ، وهو قائد صغير ، يذهب الى تركيا ويبدأ فيها حلقة من سلسلة حياته الحربية [1] وفي أثناء الحرب الاوروبية اشتدت عقيدته في قوة القضاء والقدر ، لما أحرزه من النصر تلو النصر ، وشعر كأن قوة خفية تجذبه نحو الشرق . وكان يتحدث بذلك لاصدقائه في كثير من الاحيان ، حتى اصبح يعتقد ان إيطاليا ليست نهاية احلامه ، بل هي نقطة الابتداء ، وان شكلها الجغرافي الممتد في البحر ، وسواحلها الكثيرة التعاريج ، ستسهل عليه الاستيلاء على أصقاع البحر الابيض المتوسط ، وما وراءها من البلاد . لذلك استولى على أنكونا ، ليكون له ميناء مشرفاً على الشرق ، واستولى ايضاً على جزر ايونيان ، وسيطر على جنوا . وأسس الجمهورية الليجورية بها ، لتكون له قواعد على البحر الادرياتي ، واعتمد على الحظ لاثارة الفتنة في اليونان وللقضاء على تركيا قضاء مبرماً »

والكتاب حسن التجليد والطبع والورق وثمنه ١٥ قرشاً ويطلب من المكاتب الشهيرة بالقاهرة

---

(١) طلب نابليون مرة وهو حديث العهد بالخدمة في الجيش الفرنسي أن توفده الحكومة الى تركيا لتنظيم المدفعية في جيش السلطان ، وكان غرضه من الذهاب أن تتاح له فرصة الاتصال بالشرق ، ولكن لم يسمح له بسبب غضب حكومة الادارة عليه وحذف اسمه من قائمة القواد

مكايد الحب تأليف ثورنتن هال وترجمة اسعد خليل داغر

طبع بالمطبعة العصرية بالقاهرة صفحاته ٢٦٦ من القطع المتوسط

مؤلف هذه القصص كاتب معروف في اللغة الانجليزية والمترجم هو الاستاذ اسعد خليل داغر وهو خير من يجيد العبارة السهلة الرصينة الرشيقة · وقد انتقى من القصص ما كان في اسلوبه أجذب لانتباه القارئ، وفي موعظته ابعث على التفكير واليقظة · وقد قال في المقدمة :

« أما مشتملات هذا الكتاب فليست من جنس الحكايات المصنوعة التي لا حقيقة لها على الاطلاق ولا من نوع القصص الموضوعة ولها شبه ظل الحقيقة التاريخية بل هي حوادث حب وغرام حقيقية جرت في قصور ملوك أوربا وقياصرتها في أوقات مختلفة · وقد تخللها من نصب الحبائل والمصايد وتدبير الخدائع والمكايد واقتراف المآثم والمحارم وتجرع غصص الكوارث والفواجع مايدهش العقول و يحير الافكار وتقشعر لشدة هوله الابدان · وهي كلها منقولة عن شهود ثقات رأوها بعيونهم وسمعوها بآذانهم ودونوها في تواريخهم »

و يحتوي الكتاب على عدة قصص مكتوبة بهذا القلم البليغ والكتاب جيد الطبع والورق ويطلب من مكاتب القاهرة

صيد الخاطر تأليف ابن الجوزي

طبعته ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة صفحاته ٥٠٤ من القطع الكبير

ابن الجوزي عالم من علماء القرن الخامس الهجري جاء في أثر الحركات الشيعية والمعتزلية والرافضية فوقف هو الى جانب السنة يقول بقدم القرآن وكفر المتصوفين والفلاسفة وكل من خالف السنة حتى الغزالي نفسه لم ينجُ من لومه أما الحلاج وسائر المتصوفة فكفار يجب قتلهم ويحل دمهم · وهو على هذا التشدد كما هي عادة أمثاله في غاية الاخلاص لنفسه ولقرائه · وهذا الكتاب الضخم الذي نشرته له مكتبة الخانجي يدل على اخلاصه وتسننه وهو خواطر مختلفة في الدين والاخلاق كثيراً ما يروي فيها المؤلف أشياء عن نفسه · وهاك خاطراً من خواطره :

«البلايا على مقادير الرجال · فكثير من الناس تراهم ساكتين راضين بما عندهم من دين ودنيا · وأولئك قوم لم يرادوا لمقامات الصبر الرفيعة ، او علم ضعفهم عن مقاومة البلاء فلطف بهم. انما المحنة العظمى ان ترزق همة عالية لا تقنع منك الا بتحقيق الورع . وتجويد الدين ، وكمال العلم . ثم تبتلي بنفس تميل الى المباحات ، وتدعي أنها تجمع بذلك همها ، وتشفي مرضها ، لتقبل مزاحة العلة على تحصيل الفضائل · وهاتان الحالتان كضدين ، لان الدنيا والآخرة ضرتان · واللازم في هذا المقام مراعاة الواجبات ، وألا يفسح للنفس في مباح لا يؤمن بان يتعدى منه اعراض عن واجب ورع · المبتلي يصيح · فلأن يبكي الطفل خير من أن يبكي الوالد · واعلم ان

فتح باب المباحات ربما جر أذى كثيراً في الدين · فأوثق السكر قبل فتح الماء . والبس الدرع قبل لقاء الحرب ، وتلمح عواقب ما تجني قبل تحريك اليد ، واستظهر في الحذر باجتناب ما يخاف منه وان لم يتيقن » · والكتاب على هذا النسق جيد الطبع حسن الورق

تنوير الاذهان في تاريخ لبنان تأليف ابراهيم بك الاسود

الجلد الثاني طبع بمطبعة القديس جاورجيوس بيروت صفحاته ٧٧٩ من القطع الكبير

هذا هو المجلد الثاني من تاريخ لبنان الذي وضعه ابراهيم بك الاسود · وهو يحتوي على تاريخ طائفة من اعيان العائلات اللبنانية وتاريخ الرهبانيات المختلفة وشروح مستفيضة لعادات اللبنانيين في البلاد المختلفة ثم يصف المؤلف بعد ذلك تاريخ الصحافة والمعارف والادارة في لبنان

وهاك ما يقوله عن الدروز :

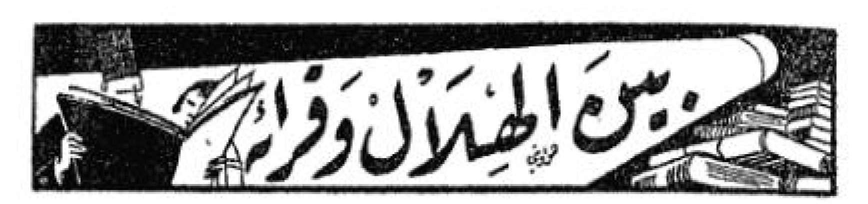
« وهم ينقسمون الى طبقتين عقال وجهال فالجهال من جهلوا اسرار الدين والعقال يقال لم اجاويد من عرفوها وهؤلاء من الورع والتقوى والمعرفة في الدين درجات وللنساء العقل في الدين كالرجال وليس لجاهل ان ينتظم في سلك العقال إلا بعد التماسه ذلك مراراً من شيوخ قريته العقلاء وليس لهم ان يسلموه الدين إلا بعد أن يروا بأعينهم زكاء سيرته وكلما صلحت أحواله كانت طبقته في العقل أعلى وكلما تجافى العاقل عن أمور الدنيا وأشيائها ازدادت الثقة به وشدت الرحال اليه وكلما استرسل في الاشتغال بها سقطت منزلته وضعفت الثقة فيه وقيل عنه انه جسماني ولذلك يرفض كثيرون من اهل الورع فيهم المناصب والاحكام حتى المناصب الدينية نفسها لما تقتضي من المداخلة بين الناس ومعاشرة الحكام

و بالاجمال فان رجال الدروز هم أقل تداخلاً بامور الدنيا والسياسة وفي ليلة كل جمعة ينضمون الى مجالس خلواتهم لاستماع قراءة الكتب الدينية وانصرافهم من المجالس يكون بحسب درجاتهم في الدين فمنهم من يبكر في الانصراف ومنهم من ينصرف في وسط السهرة ومنهم من ينصرف في آخرها »

وعناية المؤلف بالسير الشخصية لاعيان لبنان كبيرة بحيث يمكن ان يعد هذا « التاريخ » دليلاً لتراجم الاعيان

مطبوعات جديدة

✻ غادة الكاميليا ✻ ألف هذه القصة دوماس الصغير وترجمها الاديب الاستاذ نقولا بسترس في عبارة مأنوسة · وهي درامة تمثل ويرى فيها الانسان مأساة بالغة تصف حياة البغيّ وما تلاقيه من آلام · وتقع القصة في ١٢٨ صفحة كبيرة وقد أهدتها مجلة ميزفا الى قرائها في سنتها الرابعة



تنبيهات : (١) يكتب السؤال واضحاً مختصراً على حدة ويعنون باسم محرر « الهلال » (٢) لا تنشر الا الاسئلة التي نرى فيها فائدة لجمهور القراء (٣) لا نتعرض لما يمس الدين او السياسة (٤) قد نضطر الى تأجيل الجواب لكثرة الاسئلة لدينا (٥) يغفل السؤال اذا لم تستوف هذه الشروط أو اذا لم نعثر له على جواب

فائدة الختان

❊ العمارة ۰ العراق ❊ نعمه الشيخ كاظم

ما هي الفائدة الصحية من الختان ؟

❊ الهلال ❊ خمسة أسداس العالم لا يختتنون ومع ذلك فليس بينهم من يشكو عاهة او داء ينشأ من عدم الختان ۰ وربما كان الختان مضراً اذا كانت ظروف الشخص لا تسمح له بالنظافة أما في المعيشة النظيفة فالختان وعدمه على حد سواء بالنسبة للصحة ۰ وهو من الشعائر الدينية او العادات المرعية وليست له أية فائدة صحية

نابليون وهني بال

❊ جبل عجلون ۰ فلسطين ❊ فؤاد طوقان

ما هو وجه المقابلة بين نابليون وهني بال القرطاجني ؟

❊ الهلال ❊ كلاهما اجتاز بجبال الالب في ظروف قاسية وكلاهما كان فاتحاً جريئاً ثم اختتمت حياته بمأساة النفي أو الفرار ۰ وأيضاً تمكن المقابلة من حيث القوة البحرية ۰ فان أساطيل انجلترا زعزعت سيادة نابليون كما ان أساطيل الرومان هزمت هني بال ۰ ولكن نابليون أفشى في العالم ديموقراطية الثورة الفرنسية ومبادئها الحرة أما هني بال فليس له هذا الفضل

الرديو في مصر

❊ القاهرة ۰ مصر ❊ ع ۰ ع ۰ ش ۰

ما هي نفقات الرديو وانشائه في مصر ؟

❊ الهلال ❊ رأينا ناساً أنشأوه بأنفسهم وركبوا جميع آلاته بأنفسهم فلم يكلفهم نحو ستة جنيهات ۰ ورأينا غيرهم كلفوه نحو ١٥ أو ٢٠ جنيهاً وسمعنا بعض هذه الآلات في القاهرة فلم نجد الاصوات المنقولة عن باريس ولندن واضحة الوضوح الذي يسر النفس ۰ وعند باعة الصحف

الاوربية في القاهرة صحف خاصة بالراديو يمكنكم أن تقتنوها وتعرفوا من مقالاتها واعلاناتها كل ما تطلبونه من حيث الثمن والتركيب

حب الشباب

❊ بصرة . عراق ❊ يعقوب يوحنان

هل من دواء لمعالجة حب الشباب ؟

❊ الهلال ❊ أحسن ما يوصف له من العلاج المحافظة على الصحة بالرياضة وتوقي الامساك والاطعمة الملحة وتناول الخضراوات . أما البثور نفسها فتعالج بالمعقمات

فن التمثيل

❊ الخرطوم . السودان ❊ ج . ج . ج .

اني من هواة التمثيل وأحب أن أحترفه فهل لكم أن تدلوني على مدرسة في أوربا لتعليمه مع ذكر النفقات ؟

❊ الهلال ❊ أشهر مدرسة لهذا الفن في أوربا هي الكونسرفتوار Conservatoire في باريس . ونفقات المدرسة قليلة ولكن المعيشة في باريس تكلف الطالب نحو ١٥٠ جنيهاً في السنة

نحن والقدماء

❊ زحلة . لبنان ❊ ميخائيل شديد

هل ارتقاء الفنون والعلوم في أيامنا برهان على تفوق عقولنا على عقول الاقدمين ؟

❊ الهلال ❊ انه برهان على ان ثقافتنا أوسع من ثقافتهم أما من حيث القوى العقلية فالاغلب اننا نستوي واياهم في ذلك . فالفرق بيننا وبينهم هو فرق بين العلم والجهل وليس هو فرقاً بين القوى العقلية . والارجح أنه منذ شرع الانسان في الحضارة قبل ٨٠٠٠ سنة تقريباً وقف التطور في الجسم والدماغ لان وسائل العيش هانت باكتشاف الزراعة فصار كل انسان يتزوج ويتناسل . وما دام الامر كذلك فان صفات الاجيال السابقة لا تنتفي ولا تنقح بل تبقى في الاجيال اللاحقة

أثر القذائف

❊ دياربل . سنغال ❊ فوهرا معلوف

لماذا يموت الانسان اذا أصابته قذيفة مهما كانت صغيرة في حين انه تجري عليه العمليات الجراحية الخطيرة فيشفى منها ؟

﴿ الهلال ﴾ ليست كل قذيفة مهلكة فان كثيرين يشفون منها . ولكن وقوع المصاب في ساحة القتال يعرض جروحه للاقذار فتتلوث بميكروبات قد يصعب على الطبيب التخلص منها في حين ان وقت العملية الجراحية يكون المريض في غرفة مطهرة ولا تمسه آلة أو يد غير معقمة . ثم ان الوهم والخوف من الموت في الحرب يضعفان حيوية الجسم فاذا رأى الجريح ان دمه يسيل أو انه يوشك ان يغمى عليه حسب ذلك موتاً فيزداد ضعفاً

انتشار السفور

﴿ القدس . فلسطين ﴾ ع . ع .

ما رأيكم في السفور وهل ينتشر قريباً في القطر المصري ؟

﴿ الهلال ﴾ ان الملاحظ انه ينتشر بسرعة . ولم يعد أحد من القائلين بالحجاب ومنفعته يصرح بذلك في الصحف . وقرأنا دفاعاً عن السفور لجملة فتيات مسلمات في مصر ورأينا كثيرات منهن سافرات بل رأيناهن يختلطن بالرجال في المجتمعات . والسفور أعم في الطبقة العالية والطبقة الدنيا منه في الطبقة المتوسطة . وتيار الحضارة الاوربية يكتسح كل ما امامه من العوائق و يتغلب عليها

شعار الهلال

﴿ سان باولو . برازيل ﴾ كنعان حنا متى

هل الهلال شعار ديني للاسلام أم هو شارة الدولة العثمانية ؟

﴿ الهلال ﴾ هو شعار الدولة العثمانية ولا شأن له البتة بالاسلام فاننا لا نسمع عنه شيئاً في صدر الاسلام أو الدولتين الاموية أو العباسية كما لا نسمع عنه شيئاً في تاريخ مصر

وقد اتخذه الاتراك شعاراً نقلاً عن البيزنطيين في القسطنطينية لان هؤلاء جعلوه شعارهم منذ سنة ٣٣٩

القهوة وأصلها

﴿ باريتوس . برازيل ﴾ حسن قاسم

متى واين اكتشف البن ومتى عم استعمال القهوة ؟

﴿ الهلال ﴾ أصل شجرة البن في الحبشة وقد عرفها ناس من اليمن كانوا يترددون على الحبشة للتجارة فاستعملوها في السهرات للصلاة فأفادتهم . ثم انتقل استعمالها الى الحجاز ومصر وعدها بعضهم نوعاً من الخمر ولذلك أطلقوا عليها اسم « القهوة » وحرموها وافتى الازهر بتحريمها ولكن فائدتها تغلبت في النهاية وعم استعمالها . وترون في كتاب « حرية الفكر وتاريخ أبطالها » للاستاذ سلامه موسى فصلا وافياً عن تاريخ القهوة

الفخار والحديد

❊ واشنطون · اميركا ❊ ا · ب · كرم

لماذا يبلى الحديد والفولاذ في الارض ولا يبلى الفخار ؟

❊ الهلال ❊ لان الحديد يتحد بالاكسجين فيصدأ و يتهرأ أما الفخار فلا يتحد به والفولاذ كالحديد

نظرية اينشتين

❊ الاسكندرية · مصر ❊ من هو اينشتين وما هي نظريته ؟

❊ الهلال ❊ اينشتين عالم يهودي ألماني ولد سنة ١٨٧٩ وفي سنة ١٩١١ دخل في الرعوية السويسرية · وفي سنة ١٩٠٩ تعين أستاذاً في جامعة زوريخ · ونظريته معقدة تحتاج لفهمها الى كثير من العلوم الرياضية · ولكن يمكن اختصارها بأنها تقول بنسبية الاشياء وان الابعاد ليست مطلقة ثابتة · فما يحسبه راصد من الارض الف ميل قد يحسبه راصد آخر من كوكب آخر ٥٠٠ ميل وكلاهما يكون مع ذلك مصيباً من حيث النسبة الى الراصد · وله آراء أخرى في الجاذبية تكاد تناقض آراء نيوطن · واذا أحببتم التوسع فاقرأوا كتابه في الانجليزية وعنوانه Relativity by A. Einstein

الاسعد والاغنى والاشهر

❊ قليوب · مصر ❊ عبد الشكور محمد

من هو أسعد الناس ومن الاغنى ومن الاشهر ؟

❊ الهلال ❊ ان السؤال عن أسعد الناس كالسؤال عن أصح الناس جسماً بل هو أعقد منه · لان صحة الجسم يمكن ان تقاس بأقيسة معروفة · أما السعادة فحالة داخلية تشعر الشخص هناء اكثر مما يشعر به غيره من الناس · أما أغنى الناس فالمظنون الآن انه فورد · أما أشهرهم بمعنى اكثرهم ذكراً على السنة الناس فالغالب انه تشارلي تشابلن فانه اسم أجري على الالسنة وصورته لا تخلو منها لوحة سينمائية

لقب دكتور

❊ قليوب · مصر ❊ احمد محمد ابراهيم

ما أصل لقب « دكتور » ومن الواضع له وكيف يستعمل الآن للطب والعلوم والآداب

❊ الهلال ❊ معنى اللفظة في اللغة اللاتينية « معلم » وكانت تطلق في القرون الوسطى باوربا على معلمي اللاهوت والمنطق حين كان التعليم باللاتينية · ولما كان الطب يدرس باللاتينية أطلق هذا اللقب على الاطباء · وأول اطلاقه على المتخرجين في الشرائع كان سنة ١١٣٠ في بولوني بفرنسا · ثم بعد ذلك صار اطلاقه على خريجي الفلسفة والعلوم والآداب والموسيقى

تعيين التواريخ القديمة

﴿سمخ · فلسطين﴾ مشترك

كيف يعين علماء الآثار تاريخ الملوك القدماء كقولهم : قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ونحو ذلك ؟

﴿الهلال﴾ كان عند بعض القدماء تاريخ معروف مثل تاريخ الالعاب الاولمبية عند الاغريق فانه يمتد الى نحو سنة ٨٤٠ قبل الميلاد وهو مضبوط فكان يقال ان هذا الحادث مثلاً قد وقع في الاولمبية العشرين أو الخمسين . وكان المصريون يذكرون السنة التي حدث فيها الحادث و يعينونها بترتيبها في حكم الفراعنة · والسنة المصرية شمسية دقيقة . وكان الرومانيون يفعلون ذلك . وبمقابلة التواريخ يمكننا ان نعرف تاريخ بابل والفينيقيين ونحوهم من الام القديمة اما لمناسبة الحروب أو المصاهرات أو نحو ذلك . ومع كل هذا فان الشك لا يزال قائماً بشأن بعض التواريخ مثل خروج بني اسرائيل من مصر و بناء الهرم . وهذا الشك في بناء الهرم الكبير يدعو الاثريين الى الاختلاف في نحو الف سنة فبعضهم يقول انه بني سنة ٤٥٠٠ والبعض سنة ٤٠٠٠ و البعض سنة ٣٥٠٠

التنفس العميق والرياضة

﴿بغداد · العراق﴾ مشترك

هل يفيد التنفس العميق بلا تمرين وهل تنفع الرياضة البدنية شخصاً ضعيف البنية ؟

﴿الهلال﴾ التنفس العميق بلا تمرين يفيد الحجاب الحاجز فقط · وهذا الحجاب عضلة بين الصدر والبطن · أما مع التمرين فانه يفيد كل الجسم لان الدم يتوارد بالحركة الى الرئتين فيتطهر · والرياضة الخفيفة تنفع ضعاف البنية ويمكنهم أن يتدرجوا منها الى ما هو أثقل

مصنع لنسج القطن

﴿أسيوط · مصر﴾ ع · م

كم من الجنيهات يتكلف انشاء مصنع لنسج القطن وهل يوافقه مناخ الوجه القبلي ؟

﴿الهلال﴾ تختلف مصانع النسج بالطبع من حيث الكمية المطلوب منها نسجها ولكنها على كل حال تحتاج الى رأسمال كبير · أما من حيث موافقة المناخ فالنسج والغزل كلاهما يحتاج الى جو رطب وهذا اذا لم يكن موجوداً فانه يمكن إيجاده بالوسائل الصناعية · وقد كان يقال ان الجبن الرومي لا تنجح صناعته في مصر لجفاف الهواء ولكنه صنع بعد ترطيب الهواء بتصنع صناعي

جحا وأصله

※ منفلوط · مصر ※ محمد اسكندر عبد الحليم

من هو جحا وما مبلغ قصصه من الصحة ؟

※ الهلال ※ في أواخر الدولة العباسية شاعت كتب مجونية كنوادر ابي ضمضم ونوادر جحا ونوادر الموصلي وبعضها ينقل نوادر الآخر · وجحا شخص وهمي تنسب اليه النادرة ولكن يبدو من روح الفكاهة في نوادره ان شيئاً من المجون التركي قد دخلها وذلك من حيث مزج البراعة الى البلاهة

البكاء عند الاطفال

※ طنطا · مصر ※ عبد الحميد ناشد

يقول بعض الاطباء ان في بكاء الاطفال فائدة لهم فهل هذا صحيح ؟

※ الهلال ※ الطفل في الاسابيع الاولى من حياته يحتاج الى ما ينشط دمه ورئتيه والبكاء يؤدي هذه المهمة اذا كان معتدلا . أما الاستمرار في البكاء فدليل شيء يؤلم الطفل

« وصف مصر »

※ القاهرة · مصر ※ محمد امين ابراهيم

هل نقل الى العربية كتاب « وصف مصر » الذي ألفه العلماء الذين كانوا بصحبة نابليون في اثناء احتلاله مصر وهل توجد منه نسخة بالمكتبة الاميرية ؟

※ الهلال ※ هذا الكتاب لم يترجم الى العربية مع عظم قيمته التاريخية · وتوجد منه نسخة بالفرنسية في المكتبة الاميرية

اعتذار

الى أصحاب الاسئلة

انا نسعى جهدنا في سبيل الرد على اقصى عدد من الاسئلة التي تردنا . ولكننا مع ذلك نرانا الآن وقد انتهت سنة الهلال مقصرين من هذ القبيل · وهو تقصير اضطراري يلجئنا اليه ضيق صفحات الهلال من جهة ومن جهة اخرى عدم استيفاء الاسئلة للشروط التي نثبتها في صدر باب الاسئلة كل شهر ·

ونشير بصفة خاصة الى الاسئلة الطبية فمعظمها ذا صبغة شخصية مما يحسن الالتجاء فيه إلى رأي الطبيب



ماذا فعلت عصبة الامم؟

لا ينتظر المتشائمون شيئاً عظيماً او حقيراً من عصبة الامم بينما يتطلع اليها المتفائلون و يرون فيها بذرة صالحة لان تكون حكومة للعالم في المستقبل . وقد يكون كلا الفئتين مغالياً في نظره ولكن يمكن ان ننظر فيما قررته عصبة الامم وانتهت منه الى الآن وفيما تشتغل به في الوقت الحاضر

فما قررته :

انها منعت خمس حروب

انها نقلت من روسيا الى أوربا ٤٢٧٠٠٠ أسير

انها كافحت التيفوس في بولندا وتغلبت عليه

انها أنقذت النمسا من الافلاس عقب الحرب

انها نقلت من تركيا الى اليونان مليون نفس

انها ساعدت اللاجئين الروس والارمن

انها فصلت في النزاع الخاص بسليسيا

انها فصلت في النزاع الخاص بالموصل

كل هذا تحقق . أما ماتشتغل به العصبة الآن فهو

محو الرقيق من جزيرة العرب والحبشة

محو الاتجار بالفسق

الغاء بيع الافيون

حماية الاهلين في آسيا وافريقيا

تخفيض السلاح

مكافحة الملاريا والسرطان ومرض النوم والتدرن

تقرير ٨ ساعات للعمل في جميع أنحاء العالم ومنع اضطهاد العمال في الشرق

واذا لم تكن هذه الاعمال مما يدعو الى التفاؤل العظيم فانها على أية حال لا تدعو الى التشاؤم

حقائق عن قناة بناما

يبلغ طول قناة بناما ٥٠ ميلاً وهي تفصل بين القارتين الاميركيتين وتصل بين المحيطين

الاطلسي والهادي • وقد حاول دلسبس ان يشق هـذه القناة ولكنه فشل ونجحت الحكومة الاميركية في القيام بهذا العمل • وكان أهم ما دعا الى فشل دلسبس بعوضتان كانتا تقتلان العمال بالحميات التي تنقلانها اليهم • وكان اول ما عملته الحكومة الاميركية انها محت هذا البعوض من القناة وحولها سنة ١٩٠٤ حين شرعت في حفرها • وليست قناة بناما مثل قناة السويس فانها صخرية ليست على استواء واحد . ولذلك فان السفن والبواخر تدخل في احواض مرتفعة وتتخلص من حوض الى حوض على نحو ما تفعل السفن في قنوات النيل حتى تجتاز بالقناة • وقد تكلفت القناة من الاموال مائة مليون جنيه وفتحت سنة ١٩٢٠

الزوج وحماته

المفروض المزعوم بين الناس ان الزوج يكره حماته كما تكره هي ايضاً زوجة ابنها . ولكن هاك حادثاً يدل على الحب بين زوج وحماته . فقد حدث في باريس ان سيدة توفيت فقامت بنتها وزوج بنتها باحراق الجثة ثم حفظ الرماد في إناء في المكان العمومي الذي تحفظ فيـه مثل هذه الآنية وهو قريب من المحرقة او يجاورها . وبعد أشهر ذهب هذا الزوج لكي يرى إناء حماته فلم يجده فقاضى الشركة الموكلة بحفظه وطلب منها تعويضاً عن رماد حماته قدره مائة الف فرنك

والآن هاك مسألة حسابية : اذا كان رماد الحماة يساوي ١٠٠٠٠٠ فرنك فكم تساوي جثة الحماة الميتة ثم كم تساوي جثتها الحية عند زوج ابنتها ؟

عشر كلمات لنابليون

التجارب هي الحكمة الحقيقية عند الأمم

قلب السياسي يجب أن يكون في رأسه

أعتقد اني أجرأ الناس الذين اشتغلوا بالحرب

كل المصائب واللعنات التي تنزل بالناس تأتي من لندن

لقد أرادت الطبيعة من انجلترا ان تكون جزيرة فرنسية مثل كورسيكا

طبيعتي هي العمل فقـد ولدت وعشت للعمل • ولقد عرفت حدود الجهد في ساقيّ وعينيّ ولم اعرف حدود العمل

لا بأس من الكذب احياناً ولكن ادمان الكذب عادة قبيحة

البراعة غير مطلوبة في الحرب

بين الناس من يترجم قصيدة ولكنه لا يستطيع قيادة ١٥ رجلاً

إذا قيل ان احد الملوك يرأف برعيته فمعنى هذا انه سيفشل في حكمها

الاقباط في دمياط

دمياط الآن من أهم المدن الصناعية في القطر المصري وكانت كذلك في القرن السابع الهجري أي منذ ستمائة سنة . وكانت صناعتها في أيدي الاقباط فقد ذكر ياقوت الحموي عنها ما يأتي : « ومن ظريف أمر دمياط وتنيس ان الحاكة بها الذين يعملون هذه الثياب الرفيعة قبط من سفلة الناس وأوضعهم وأخسهم مطعماً ومشرباً واكثرا كلهم السمك المملوح والطري والصير المنتن واكثرهم يأكل ولا يغسل يده . ثم يعود الى تلك الثياب الرفيعة الجليلة القدر فيعمل في غزلها ثم ينقطع الثوب فلا يشك مقلبه للابتياع انه قد بخر بالند »

بعض الهوالم

الحرية خير ما يعالج به الخطأ اما العقوبات فهي اسوأ العلاجات — رمزي مكدونالد

ليس في العالم أشق من الترميم واصلاح العالم — المستر بولدوين

نحن لا نقاتل لاجل الحرية بنصف الهمة التي نقاتل بها ضدها — نوروود

العالم كله يتطلع الى الزعماء ذوي الشخصيات العظيمة والمثل العليا — الدوق يورك

ان انجلترا كانت وستبقى مثالاً لامعاً للعالم لاحترامها القوانين والانظمة — القاضي جاري في نيويورك

لقد عاش على هذه الارض قبل ٢٠٠٠ سنة أناس لو أنهم ساروا اليوم في لندن لما لاحظ احد انهم غرباء — الاب موربه

من هم الداوية ؟

ذكر ياقوت في معجمه الذي كتبه في القرن السابع الهجري في كلامه عن جبل اللكام قرب انطاكية انه « للداوية من الفرنج وهم قوم حبسوا أنفسهم على قتال المسلمين ومنعوا انفسهم الزواج فهم بين الرهبان والفرسان »

وهؤلاء الداوية هم المعبديون الذين احتلوا مالطة وقبرس وحاربوا المسلمين مع الصليبيين . ولا يعرف الاصل في تسميتهم بالداوية الا ان تكون اللفظة مشتقة من الدواء لانهم كانوا يؤون المرضى والزمنى ويعالجونهم

حقائق

كان سكان العالم في بداية القرن التاسع عشر يقدرون بـ ٧٠٠ مليون نفس والآن يبلغون ١٧٠٠ مليون نفس

كان بيرون الشاعر الانجليزي اعرج ومع ذلك فانه عبر الخليج الفاصل بين آسيا وأوربا عند القسطنطينية

اكبر محطة في اسكوتلاندة هي محطة و يفرلي مساحتها عشرون فداناً و يدخل فيها و يخرج منها كل يوم نحو الف قطار

الزلازل التي تقع في المحطات اقوى جداً من تلك التي تقع باليابسة

في الصين اكبر مناجم للفحم

اول من استعمل الفولاذ هم الرومان

فائدة اللبن وأذاه

للبن فوائد عديدة وغريبة . فهو مثلاً اذا شرب مع الخمر كاد يزيل العنصر المخدر فيها ولا يدري احد سبب ذلك . فان الانسان قد يأكل مع الخمر ما شاء من الطعام فلا يكون له اي أثر في تخديرها للجسم والذهن . ومما وجد حديثاً عن فائدة اللبن اذا أعطي منه للصبي الذي أحسن غذاؤه كوب كل يوم او كوبان فوق غذائه العادي زاد طول قامته نحو ضعفي ما كان يزيده بدون اللبن وزاد وزنه ايضاً ما يقرب من الضعفين . وهذا بالطبع الى سنين محدودة

هذا عن الفائدة . اما عن الاذى فان الصبي الذي يتناوله يفرط في النشاط فلا يستطيع السكون فهو يدأب في الحركة ولذلك فانه يقلق اهله و يتعبهم

اجازة ولكن بنية سيئة

اذا تكرم صاحب المصنع في اميركا الآن باعطاء اجازة اسبوع لاحد العمال فان العامل لا يقبل هذه الاجازة مع الرضا التام . وذلك لانه قد فشت بين اصحاب المصانع طريقة جديدة للاقتصاد وذلك بأن يمنحوا بعض العمال اجازات لمدد مختلفة لكي يروا هل يمكن ان يسير العمل بدونهم أم لا . فاذا سار بدونهم استغنوا عنهم

فوائد

اصدرت كندا من الفراء ما قيمته ٠٠٠ ٥٠٠ ٣ جنيه في العام الماضي

لا يجوز لموظف في الحكومة الانجليزية ان يضع في غرفته بساطاً ما لم يكن مرتبه اكثر من ١٠٠٠ جنيه

اليابانيون يشمئزون من التقبيل ولذلك فان شرائط السينما الاجنبية تحذف منها التقبيلات قبل عرضها على الجمهور

بين الصينيين في شمال الصين من هم في بياض الاوربيين

بين أهالي نجد من لم يذق الخضراوات مطبوخة للآن

تبلغ أملاك الزنوج في الولايات المتحدة نحو ضعفي مساحة القطر المصري من الارض

زانجويل

زانجويل هو الكاتب اليهودي الانجليزي وكان من زعماء الصهيونية وله أسلوب شائق في الانجليزية يصف الفقر عن معرفة وتجربة • ومما يحكى عنه ان سيدة قالت مره عن احد كتبه :

— لقد قرأته ثلاث مرات

فأجاب زانجويل : كنت أفضل يا سيدتي ان تشتريه ثلاث مرات

أحسن ما يجلب الجمال

كل بنات حواء يطلبن الجمال ولكنهن يختلفن . فبعضهن يطلبه في زجاجة والبعض في مشرط الجراح والبعض في اللباس • ولكن أضمن ما يجلب الجمال للقامة والوجه هو السباحة لان هذه الرياضة تجعل جميع العضلات تتحرك وتزيل من البطن الشحم المتراكم وتنشط الدم فتحمر الوجنتان وينضر الوجه • وللسباحة تأثير آخر في الرشاقة لانها تعمل عمل الرقص من حيث تعويد الفتاة الحركة الرشيقة وانتصاب القامة

المرايا

لم يكن الانسان قبل ستة آلاف سنة يعرف المرايا وانما كانت المرأة تنظر الى صورتها في الماء وتصلح من شأنها بقدر ما ترى من صفحة الماء • ثم عرفت المعادن بعد ذلك النحاس اولاً ثم البرونز فكانت المرايا تصنع منهما • ثم عرفت الفضة فصارت تصنع المرايا منها وفي العربية لفظة الوذيلة وهي المرآة الفضية • اما مرايا الزجاج الحديثة لم تعرف الا بعد اكتشاف الزئبق وطريقة دهن الزجاج به • وقد كان الرومانيون اول من صنعوا الزجاج

اشتراكات التلفون

تدل اشتراكات التلفون على مقدار الميل في الاهالي الى السرعة في إتمام الاعمال • والولايات المتحدة اكثر الامم استعمالاً للتلفون فان المائة من سكانها يستعملون ١٤ تلفوناً وتليها كندا التي يستعمل المائة من سكانها ١٢ تلفوناً ثم تلي هاتين الامم التالية :

دنمركا	لكل مائة من الاهالي ٩ تلفونات	استراليا	لكل مائة من الاهالي ٥ تلفونات ونصف
زيلاندة الجديدة	لكل مائة من الاهالي ٧ تلفونات	سويسرا	» » » » ٥ »
أسوج	» » » » ٧ »	المانيا	» » » » ٤ »
نروج	» » » » ٦ »	بريطانيا العظمى	» » » » ٢ »